فجيعة الادب العربى

احمد شوقى امير الشعراء

سيذكر مؤرخو الأدب العربى عامنا هذا ذكرى ممزوجة بالآهات والحسرات ، ففيه فجع الادب فى شاعرين كانا بلا شك اكبر شعراء العرب فى هذا العصر ، ليس فى مصر فقط ، بل فى جميع البلاد التى يتكلم أهلها العربية . فما كادت الدمعة على حافظ ابرهيم تجف حتى ريع الادب بوفاة احمد شوقى امير الشعراء وحامل لواء الشعر العربى فى هذا العصر

ترجمة شوقى

كتب المغفور له احمد شوقى موجز ترجمته حتى بلغ الثلاثين من عمره وقد جاء فيها انه سمع أباه ذات يوم يرد أصل الاسرة الى الاكراد فالعرب وكان أبوه (جد الفقيد) قد قدم مصر يافعاً فدخل فى معية محمد على باشا ثم تداولت الايام وتعاقب الولاة الفخام وهو يتقلب فى المناصب السامية الى أن عينه المغفور له سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية . فكانت وفاته فى ذلك المنصب عن ثروة راضية بددها ابنه (والد صاحب الترجمة) فى سكرة الشباب وعاش بعدها بعمله غير نادم ولا محروم . وعاش صاحب الترجمة فى كنفه وهو وحيده

وتطرق صاحب الترجمة الى ذكر طرف من سيرة جده لوالدته ثم قال عن نفسه ما يأتى :

« أنا إذاً عربى تركى يونانى جركسى بجدتى لأبى ـ أصول أربعة فى فرع مجتمعة . . . أما ولادتى فكانت بمصر القاهرة

« أخذتنى جدتى لأمى من المهد . . . وكانت منعمة موسرة . فكفلتنى لوالدى وكانت تحنو على . . . وحدثتنى انها دخلت بى ذات يوم على الخديو اسماعيل وأنا فى الثالثة من عمرى ، وكان بصرى لا ينزل عن السماء من اختلال الاعصاب ، فطلب الخديوى بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط ، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه وألعب به . فقال الخديوى لجدتى : اصنعى معه مثل هذا دائماً فلا يلبث أن يعتاد النظر الى الارض . قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاى . قال : جيئى إلى به متى شئت ، انى آخر من ينثر الذهب فى مصر

« ولا يزال هذا الارتجاج العصبى يعاودنى »

ثم أورد شوقى طرفاً من نشأته فذكر انه دخل مكتب الشيخ صالح وهو فى الرابعة من

عمره . ولما ترعرع أراد أن يدخل مدرسة الحقوق فامتنع ناظر المدرسة عن قبوله فى أول الامر بسبب صغر سنه وأخيراً قبله . فمكث شوقى بتلك المدرسة سنتين ثم دخل قسم الترجمة وخرج منه بعد سنتين . وبينما هو يتردد على المغفور له على باشا مبارك ورد على هذا مرسوم من « المعية » بطلب شوقى اليها . فكان سروره بذلك عظيما جداً قال شوقى فى ذلك :

« ذهبت الى السراى . وهنالك استؤذن لى فى الدخول على المرحوم الخديوى توفيق باشا . فلما مثلت بين يديه ، ولم أكن قد رأيته من قبل ولكن مدحته مراراً وأنا فى المدرسة ، خاطبنى قائلا : قرأت يا شوقى فى الجريدة الرسمية انك أعطيت الشهادة النهائية . وكنت أنتظر ذلك لألحقك « بمعيتى » لكن ليس بها الآن مكان ، فهل لك فى الانتظار ريثما يهيىء لك الله الخير ؟ فأقبلت على أذيال العزيز أقبلها ثم قلت : حسبى يا مولاى انك قد ذكرتنى من تلقاء نفسك الشريفة وأى خير يهيىء الله لعبدك أفضل من هذا الخير ؟ فأطرق العزيز هنيهة ثم قال : لقد سمعت ان أباك عطل من العمل فأبلغه اننى ربما أدخلته فى عمل قبلك . ثم تهلل وأذن لى فى الانصراف

« ولبثت بضعة أشهر أنتظر فرجاً يأتى به الله وكان المرحوم على باشا مبارك لم يقطع عنى « الراتب » الى أن كان يوم كثر غيمه وغزر مطره . فخرجت قبيل الاصيل فى حاجة لى على حمار أبيض كان لوالدى . وبينما أنا عائد الى منزلى مجتازاً ميدان عابدين بصرت بالعزيز فى بهو القصر يشرف منه فنزلت عن الدابة أمشى كرامة للمليك ، وأمرت الخادم أن يبتعد بها وأن يلاقينى خلف القصر . ثم مشيت على القدمين حتى اذا انتهيت من الميدان اعترضنى رسول من الامير يدعونى اليه . فوافيت وأنا لا أعرف السبب . وكان معه ساعتئذ عبد الرحمن باشا رشدى . فتحلى الحليم بصورة الغضب وقال : أليس لى أن أطل من بيتى حتى نزلت عن حمارك وألجأتنى الى الاثناء ؟ قلت : عفواً يا مولاى . هكذا أدبنا الاوائل فقد قال شاعرهم :

واذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

« فتبسم ضاحكا وقال : انكم معشر الشعراء تتفاءلون بالغيوم وهذا اليوم من ايامكم فاسمع للباشا فان عنده لك فألا . فالتفت الباشا عندئذ إلى وقال : الآن أمرنى أفندينا أن أبلغك تعيين أبيك مفتشاً فى الخاصة الخديوية ، وأما انت فتعين بعد شهر . ثم مد العزيز إلى يده فقبلتها واجماً وقد غلب على السرور حتى أنسانى الشعر وكان ذلك وقته »

وانتقل شوقى بعد ذلك الى الكلام على أول عهده بمنصبه وقال ان الخديوى توفيقاً أراد له أن يدرس الآداب والحقوق فى فرنسا . وكان ينقده ستة عشر جنيهاً نصفها من الخاصة والنصف الاخر من « المعية » . واستقر رأى شوقى على طلب العلم فى فرنسا وفقاً لرغبة الخديوى . وسافر مزوداً بمائة جنيه . وقد وصف ركوبه البحر لأول مرة الى مرسيليا . وبعد

أن قضى فى فرنسا عاماً التمس من الخديوى أن يأذن له فى العودة الى مصر لقضاء عطلته . فأبى الخديوى عليه ذلك ونصح له بقضاء أربع سنوات كاملة فى اوربا وارسل اليه خمسين جنيهاً لينفقها فى رحلة يختارها فاطاع الامر ولبى دعوة نفر من رفاقه الفرنسيين لزيارة مدنهم فى الجنوب

وبعد انتهائه من السنة الثانية سافر مع فريق من الطلبة المصريين الى انجلترا على نفقة الخديوى توفيق . ومكث هنالك شهراً ولم يلبث ان سئم انجلترا . وفى السنة الثالثة أصيب بمرض شديد جعل حياته أقرب الى الموت ، ولكنه نجا باعجوبة فاشار عليه الاطباء بأن يقضى أيام النقاهة تحت سماء افريقيا فوقع اختياره على الجزائر . وبعد أن أقام بها أربعين يوماً عاد الى باريس وحصل على الشهادة النهائية . ورأى الخديوى عباس أن يظل شوقى فى فرنسا ستة أشهر أخرى

شوقى فى اوج شهرته

وكان شوقى قد بلغ إذ ذاك نهاية العقد الثالث من عمره وهو الحد الذى وقف عنده فى كتابة ترجمته بيده . وكان وهو فى تلك السن قد بلغ أوج الشهرة ليس فى مصر فقط بل فى جميع أنحاء العالم العربى . وظل ينثر على الناس درر شعره فى شتى الموضوعات السياسية والاجتماعية وزادت منزلته سمواً فجعله الخديوى عباس شاعره الخاص . فأخذ شوقى ينظم له قصائد المديح فى كل عيد وفى الاحوال الخاصة . وكذلك كان ينظم القصائد فى مدح السلطان عبدالحميد والدولة العثمانية كما ترى ذلك فى ديوانه

ولما شبت نار الحرب العظمى الماضية طلبت اليه السلطات العليا مغادرة البلاد نظراً الى ما كان بينه وبين سمو الخديوى عباس من وثيق الارتباط . فاختار الاقامة باسبانيا حيث نظم قصيدته المشهورة عن قصر الحمراء . ومما جاء فيها قوله :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

ولما أذن له فى العودة الى مصر نظم قصيدة فى مدح المغفور له السلطان حسين قال فى مطلعها :

الملك فيكم آل اسماعيلا لازال بيتكم يظل النيلا

ومنها البيت المشهور :

أألخون اسماعيل فى ابنائه ولقد ولدت بباب اسماعيلا ؟

وانصرف بعد ذلك الى نظم القصائد الحسان فى شتى الموضوعات وكل قصيدة منها قلادة جمان أو ديوان شعر . ولم يكن يدع فرصة قومية أو وطنية إلا انتهزها ونظم فيها قصيدة يستحث بها وطنية قومه ويذكرهم بمجد السلف ويذكى فيهم نار الحماسة . وكانت داره « كرمة ابن هانى » بالمطرية مثابة الادباء والعظماء . ثم انتقل بها الى الجيزة حيث ظلت تلك الدار مجتمعاً لرجال الأدب . وفيها نظم طائفة من أفخم الشعر وأجزله وفيها طلع على المسرح العربى بروايات

« مصرع كليوباترة » و « مجنون ليلى » و « قمبيز » و « أميرة الاندلس » و « عنترة » . وكان فى اخريات أيامه يجمع العدة لتأليف رواية جديدة للمسرح العربى

ومنذ بضع سنوات أقيمت له فى دار الاوبرا الملكية بالقاهرة حفلة فخمة عقد له فيها لواء الامارة فى الشعر العربى . وحضرت تلك الحفلة وفود من شتى الاقطار العربية لمبايعته الامارة. واختير منذ عهد قريب عضواً بمجلس الشيوخ السابق اعترافاً بفضله على الادب

شوقى الشاعر

لسنا نعرف أحـــداً من رجال الادب فى العالم العربى يجهل شعر شوقى ومكانة شوقى بين الشعراء . ومع ذلك لا نعرف أحداً سمع شوقى يلقى قصيدة فى حفلة عامة أو من منبر عام . فقد كان هذا الشاعر على علو كعبه ورسوخ قدمه يتوارى عن عيون الناس فى وداعة وحياء . وهذه ظاهرة نادرة لا نعرف لها مثيلا بين طائفة الشعراء . فكان شوقى اذا نظم قصيدة لتلقى فى حفلة عامة دفع بقصيدته الى أحد أصدقائه ليتلوها عوضاً عنه وقلما يحضر تلاوتها لأنه كان يكره أن يضايقه الناس بالثناء عليه

وقلما أجمع الناس على مبايعة أحـــد امارة الشعر اجماعهم على مبايعة شوقى بتلك الامارة ليس فى مصر فقط بل فى جميع البلاد التى يتكلم أهلها اللغة العربية . وفى الواقع ان شوقى هو من الشعراء القلائل الذين قلما يجود الزمان بمثلهم . ويزيد فى قدرة شعره أنه ظهر فى عصر يميل الى المادة ويرغب عن الخيال ، حتى لقد بات الشعراء يعدون على الاصابع فى جميع أنحاء العالم ، إذ صار للماديات المقـام الاول فى الاجتماع ومع ذلك استطاع شوقى اذكاء نار الحماسة للشعر فى صدور الناس لأن شعره لم يكن من النوع العادى الذى تسمعه « بمناسبة وبغير مناسبة » من طائفة النظامين المتطفلين على صناعة القريض . بل كان شعره الهاما لاتسمعه أو تقرأه الا وتشعر بلذة غامضة لانه يصل الى قرارة نفسك عن طريق القلب والعواطف

ومما يزيد فى قدر شعر شوقى أنه نبغ وله منافسون فى الشعر لهم كما له أتباع ومعجبون وفى مقدمتهم صديقه المرحوم حافظ ابراهيم وكان يلقب بشاعر النيل . ومع أن أنصار حافظ كثيرون وهم يفضلون شعره على شعر شوقى الا أن لواء الامارة العامة كان لصاحب الترجمة . ولا بدع فقد كان شوقى يمتاز على حافظ بسعة الأطلاع على الادب الغربى الى جانب الاطلاع على الادب العربى ، حالة ان حافظاً لم يكن ملماً الا باداب العرب . أضف الى ذلك أن شوقى نشأ نشأة جعلت أود عيشه مكفولا بخلاف حافظ فقد كان مضطراً الى العمل طلباً للرزق

وما نحسبنا نخطىء اذا قلنا ان شعراء مصر الثلاثة فى العهد الاخير ـ ونعنى بهم شوقى وحافظاً والمطران ـ هم شديدو الشبه بذلك الثالوث الشعرى القديم الذى نبغ فى القرنين الاول والثانى

للهجرة ونعنى به جريراً والفرزدق والاخطل . فجرير شاعر يتلاعب بالعقل عن طريق القلب . والفرزدق شاعر يتلاعب بالنفس عن طريق اللفظ . والاخطل بينهما يتلاعب بكلا العقل والقلب عن طريق المعانى من دون عناية مفرطة بانتقاء الالفاظ والعبارات

ولا يخفى أن الشاعر يولد شاعراً وتجيش نفسه بوحى يؤثر فى الجمهور ولا يقتصر على أفراد معينين . فاذا كان شعره لطبقة واحدة فقط من الناس أو كان يؤثر فى جماعة دون غيرها فليس مقدراً لذلك الشعر أن يعيش بعد قائله أو أن تخلد ذكرى قائله بعد وفاته . أما شوقى فشاعر بكل معنى الكلمة وشعره سوف يدوم مادامت اللغة لانه لم يكن لمصر فقط بل للعالم العربى بوجه الاجمال . وفى الواقع أن شوقى كان شاعر الحياة بكل مناحيها ، فهو شاعر الطرب وشاعر الوطنية وشاعر الاجتماع وشاعر السياسة وشاعر الحكمة وشاعر التجاريب وشاعر الاسلام وشاعر الشرق . وكان مسلماً يغار على الاسلام ويحترمه أيما احترام . ومع ذلك كان شديد التسامح فى موقفه بأزاء الاديان الاخرى حتى لقد ذكر عيسى وموسى وسائر الرسل والانبياء بما لا يدع مجالا للشك فى أن الرجل يحترم جميع الاديان على حد سوى ، انظر الى قوله فى القصيدة التى وصف بها خروج الاتراك من مقدونية :

عيسى سبيلك رحمة ومحبة للعالمين وعصـمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرأً هان الضعاف عليك والايتام
ياحامل الآلام عن هذا الورى كثرت عليـه باسمك الآلام
أنت الذى جعل العباد جميعهم رحماً وباسمك تقطع الارحام

ففى هذا الوصف مايجعلك تشعر بما يجيش به صدر شوقى من التسامح وما يكنه من الاحترام للدين المسيحى الذى خرج القوم على تعاليمه وأفسدوه بل اسمع ما يقوله فى همزيته التى مطلعها :

همت الفلك واحتواها المـاء وحداها بمن تقـل الرجاء

فقد أشار فيها الى مولد المسيح اشارة تدل على أقصى التسامح الدينى إذ قال :

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروءات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسـناه من الثرى الارجاء
وسرت آية المسـيح كما يسر ى من الفجر فى الوجود ضياء
تملأ الارض والعوالم نوراً فالثرى مائج بهـا وضـاء
لاوعيد ، لاصولة ، لا انتقام لاحسـام ، لاغزوة ، لادماء

فهذا الوصف للسلام الذى ساد العالم عند ولادة المسيح لما لا يوفق اليه شاعر الا اذا كان مازج وحيه روح التسامح والاحترام العام

والى جانب ذلك كان شوقى شديد الغيرة على دينه لايدع فرصة تمر دون ان يذكر قومه بمجد الاسلام وبفضائله حتى لقد يخيل اليك وانت تقرأ همزيته النبوية أو بائيته فى « ذكرى المولد » أو تائيته « الى عرفات » او حائيته فى « خلافة الاسلام » او ميميته « نهج البردة » انك امام عاطفة دينية يجيش بها صدر الشاعر وعقيدة راسخة تتمكن من قلبه وتحتل جوارحه . بل لقد يخيل اليك وانت تقرأ تلك الدرر الغالية انك تستمع الى أحد أئمة الدين يدعوك الى احترام الدين والتمسك بفضائله والعمل على احياء مجده

ولعل تغلغل العاطفة الدينية هى التى منعت شوقى من أن يلوث شعره بالمجون أو بهراء القول شأن السواد الاعظم من كبار الشعراء لافى الشرق فقط بل فى الغرب ايضاً . وفى الواقع انك قلما تجد شاعراً نزه نفسه عن لغو الكلام أو عن الهجو أو المجون . أما شوقى فقد كان عف اللسان لم ينظم فى حياته قط بيتاً يخجل أى امرىء من تلاوته على ابنته فى خدرها . ولعمر الحق أننا لفى اشد الحاجة الى هذا النوع من الادب المنزه من كل نقيصة وشائبة

وقد كان شوقى بحكم بيئته ونشـأته على معرفة تامة باخلاق الملوك وآداب الامراء . ولم يرتكب قط قصورا فى تأدية الواجب . وكان شديد الاخلاص لسمو الخديوى عباس حتى انه اضطر ـ كما سبق القول ـ الى مغادرة القطر والاقامة ببلاد الاندلس فى أثناء الحرب العظمى الماضية . وكان من الطبيعى ان تكون ضلعه مع سمو الخديوى الذى نشأ فى كنفه . والمعروف عن شوقى انه كان شديد الاخلاص للذين تربطه بهم الصلات . ولما كان ملازماً لسمو الخديوى عباس كان ينظم له القصائد فى فرص معينة . والى جانب ذلك كان ينظم ايضاً اشعارا فى مدح السلطنة العثمانية التى كانت مصر خاضعة لها ، وفى الاشادة بمجد الاتراك والتنويه بعزهم الغابر . وكان مدفوعا الى ذلك بعاطفتين قويتين ، احداهما أنه كان يمت بحسب اعترافه الى اصل تركى ، والثانية أنه كان يرى فى الخليفة الموئل الاخير للاسلام والحامى لذمار المسلمين . أضف الى هاتين العاطفتين أنه بحكم صلته بسمو الخديوى عباس كان واجباً عليه احترام السلطنة العثمانية الممثلة بشخص الامير

فالقصائد التى نظمها فى الدفاع عن الأتراك وفى الأشادة بمجد آل عثمان كانت اذن تنبثق عن عاطفة طبيعية فى نفس شوقى . وقد شكا فيها من تصاريف الزمن ومما آلت اليه السلطنة بسبب العوامل المختلفة والقوى التى كانت متألبة عليها . وحاول فى جميع ما نظمه فى هذا الموضوع ان يستثير حماسة قومه وعطفهم على الاتراك . وان يلوم بعض الدول التى كانت تناوىء الاتراك

* * *

على ان تحمس شوقى للاتراك ووقوفه موقف الظهير لهم لم ينسياه واجباته حيال وطنه ولا أضعفا منـه عصبيته أو عاطفته . بل لم ينس شوقى ما عليه لوطنـه حتى فى حالة بعده عنه .

وقصائده فى مدح مصر وفى التغنى بمجد مصر وفى الاشادة بذكر مصر أكثر من ان تعد . اقرأ همزيته التى تلاها فى المؤتمر الشرقى الدولى الذى عقد فى جنيف سنة ١٨٩٤ ، أو سينيته التى نظمها وهو بالاندلس، أو تائيته فى تجديد مجد مصر ، أو داليته فى محمد على باشا الكبير أو داليته فى «الاهرام» ، أو رائيته فى «أبى الهول» ، أو لاميته فى وداع اللورد كرومر ، أو نونيته فى توت عنخ آمون ، أو غير ذلك من القصائد الكثيرة ، تجده فى جميعها يعطف على مصر ويرثى لأوجاعها ويشدو بمجد شعبها الغابر بأسلوب يملك على النفس مشاعرها وليس له نظير فيما نظمه الشعراء . وكان فى جميع ما نظمه حريصاً جد الحرص على ألا يؤاخذ بكلمة يقولها أو عمل يأتيه . وفى الواقع ان موقفه كان حرجاً جداً بعد عودته من منفاه باسبانيا . فقد كان مخلصاً شديد الاخلاص لسمو الخديوى عباس . ومع ذلك لم يجد فى اخلاصه للحكومة القائمة ما يتنافى مع موقفه السابق فقد كان اخلاصه فى الحقيقة موجها الى أسرة محمد على كلها . وقد قال رداً على همسة بلغته :

أأخون اسماعيل فى أبنائه ولقد ولدت بباب اسماعيلا

وعاب عليه بعضهم عدم انضمامه الى النهضة الوطنية الاخيرة ، وهو لوم فى غير موضعه فقد نظم شوقى فى موضوعات وطنية كثيرة وأتحف الآداب العربية بدرر سوف تبقى على الدهر وكلها تفيض حماسة ووطنية وايثاراً لمصلحة الوطن على مصلحة الفرد . ولعلنا لانبالغ اذا قلنا انه ما من شاعر بين المتقدمين أو المتأخرين بلغ شأو شوقى فى هذا المنحى من مناحى الشعر . فقصيدته البائية فى مشروع ملنر التى يقول فى مطلعها :

اثن عنان القلب واسلم به من ربرب الرمل ومن سربه

و بائيته فى مشروع ٢٨ فبراير التى يقول فى مطلعها :

أعددت الراحة الكبرى لمن تعبا وفاز بالحق من لم يأله طلباً

وقصائده الكثيرة فى تجديد مجد مصر . والازهر . والجامعة . وبنك مصر . وشباب الديار . وتوت عنخ آمون . وغير هذه من عشرات المنظومات ، تمثل لك وطنية شوقى ومحبته لمصر أبلغ تمثيل . على ان هذه الوطنية المتقدة فى صدره لم تنسه الشرق ولا ما يجب عليه حيال الشرق . لذلك لم يدع فرصة تفلت دون ان يبث ما يجيش به صدره من العطف على الشرق والاعجاب بمجده الغابر . وهذا النوع كثير فى شعر شوقى . وأى سورى يقرأ قصيدته فى نكبة بيروت التى يقول فى مطلعها : « يا رب أمرك فى الممالك نافذ » الا ويشعر بأن شوقى ليس شاعر مصر فقط بل شاعر الشرق اجمع . وفى الواقع ان شاعرية شوقى لا تبلغ ذروة ارتفاعها الا عند ما يفكر شوقى فى الشرق وما آل اليه أمره بعد ذلك العز الوافر والجاه العريض . فى مثل ذلك الموقف تجد خيال شوقى يحلق الى أعلى عليين وترى الوحى يتدفق على لسان شوقى بشعر جزل يكاد يذوب رقة وتملك طلاوته مشاعرك حتى يصل الى قرارة نفسك . وشوقى اذ يفكر

فى الشرق وفى مجده الغابر يخلع عنه ثوب « مصريته وتركيته » وينسى انه فى مصر ويسبح فى جو الشرق عامة لا يرى أمامه الا شعباً واحداً مهما تعددت أقاليمه ولغاته وعاداته . فهو الشرق الذى يجب احياؤه وبعث مجده الغابر وتجديد ثوبه البالى بنفخ روح الغيرة الصحيحة على مجد السلف

ويستعين شوقى على ذلك بالتجائه الى ضرب الامثال والاكثار من أقوال الحكمة. والمشهور عنه انه اكثر الشعراء تمثلا بالحكم وأقدرهم على ايراد الامثال حتى لقد أصبحت أقواله على افواه جميع الكتاب والادباء وطلبة المدارس . وشوقى من هذه الناحية اكثر الناس شبهاً بالمتنبي . بل تكاد وانت تقرأ اولهما انك تردد شعر ثانيهما . وفى الواقع ان بين شوقى والمتنبى شبهاً عظيما فى الاسلوب وحسن انتقاء الالفاظ والاستعانة بها على تأدية المعانى التى تصل الى قرارة النفس فتثير بها الطرب والاعجاب

خاتمة

ولا يتسع المجال للالمام بشعر شوقى من جميع مناحيه . فذلك يتطلب الفصول الطوال وانما نقول ان الحكم على منزلة شوقى هو الآن فى عنق التاريخ . ولقد اختلف معاصرو شوقى فى تعيين تلك المنزلة ـ وان يكن سوادهم قد اجمع على انه امير الشعراء بالوصف الحقيقى ـ على ان لشوقى كما لغيره من الشعراء نقاداً قد حاولوا فى احوال عدة ان ينزلوه عن المرتبة التى وصل اليها وان يرفعوا غيره فوقه . ولكننا نعتقد ان شعر شوقى كالطود الراسخ سيخلد ما خلد الادب العربى . نعم انشوقى لم يكن معصوماً من الخطأ . فالشاعر المعصوم لم يخلق بعد ، لا فى مصر ولا فى غير مصر من أقطار العالم . والمؤرخ المنصف هو الذى يقدر العوامل المتضاربة التى تؤثر فى نفسية الانسان وتطبعه هو وتفكيره بطابع خاص . ونفسية شوقى ظاهرة فى كل قصيدة من قصائده ، حتى لتستطيع وأنت تطالع مجموعة من القصائد ان تعرف قصيدة شوقى متى قرأت منها البيت أوالبيتين . فشعره يمتاز بطابع يصعب وصفه ، سلاسة فى التعبير وجدة فى المعنى وحسن انتقاء للالفاظ مع ابتكار فى المعانى . وقد يأخذ شوقى معنى قديماً فيلبسه ثوباً جديداً منالالفاظ يجعلك تطرب له لانه يصل الى قرارة نفسك عن طريق جديد . وهذه مزية لا تجدها فى غير شوقى ولا يحسنها الا شوقى . ويندر ان تجد فى مجموعة قصائده فكرة مكررة مرتين ولو فى قصيدتين مختلفتين . فهو مبتكر أبداً . ولا ريب ان تضلعه من آداب الفرنسيين قد جعل له مزية على غيره من الشعراء . ولعله لوكان حافظ واسع الاطلاع مثله على آداب الغرب لفازعليه بامارة الشعر . وعلى كل فان شوقى قد أصبح فى ذمة التاريخ . وللتاريخ وحده حق الحكم على مرتبة شوقى بين الشعراء حكما لا نقض فيه ولا ابرام

حافظ ابراهيم

حياته فى ثوبها البارز

لما نعى المرحوم حافظ بك ابراهيم فى ٢١ يوليو الماضى كان الجزء الاخير من السنة الاربعين للهلال قد أعد للطبع . ولم يكن فى الامكان وقتئذ ان ندبج مقالا مسهباً فى حياة هذا الشاعر الكبير فشيعه « الهلال » بكلمة موجزة ، عرض فيها نشأته وحياته الادبية بالاجمال ، وضمنها رثاء يليق بمقامه كنابغة من نوابغ اللغة العربية الذين يتركون بفقدهم فراغاً واسعاً قل أن يشغله غيرهم إلا بعد زمن طويل

ولكن كان واجباً علينا - وقد اتيحت لنا الفرصة فى مفتتح السنة الحادية والاربعين - أن نوفى هذا الشاعر حقه من الكتابة ، وأن نقوم بقسطنا من خدمة الادب العربى الذى يعد « حافظ » علماً من اعلامه ، وشاعراً فذاً من أبلغ شعرائه

وليس كثيراً ان نبالغ فى هذا الشاعر ، أو أن نطيل الكتابة فى تحليل حياته . فهو شاعر أمة شرقية كبيرة ، بل هو شاعر أمم العربية جمعاء . والذى يتصفح حياته منذ نشأته الى حين وفاته يراها جديرة بالدرس والتحليل حتى تظهر كما هى ، وكما كانت ، لتكون اسوة للناشئين ، الذين يترسمون حياة النبغاء ، ويولعون بالوقوف على حقيقتها وما يحيط بتلك الحياة من عوامل توجهها إلى وجهات خاصة لها تأثيرها فى تكوين النابغة وطبعه بطابع خاص يميزه عمن سواه

وقد كانت حياة « حافظ » خاضعة لتلك العوامل التى جعلت منه شاعر البؤس ، وشاعر الثورة على الاخلاق ، وشاعر الانسانية ، وشاعر الوطنية ، وشاعر الاجتماع

فى مفتتح حياته

نشأ حافظ يتيماً فقيراً كما نشأ كثير من الافذاذ والنبغاء ، فرباه خاله وادخله احدى المدارس الابتدائية ، فبقى بها إلى ان حصل على شهادتها . ثم التحق بالمدرسة الحربية - وكان مسموحاً وقتئذ لحامل الشهادة الابتدائية ان يلتحقوا بها - فاتم فيها دراسته مجاناً ، وخرج منها برتبة « ملازم ثان » ، فارسل إلى السودان . ولكنه كان على الرغم من هذه التربية العسكرية ميالا بطبعه الى السلام ، يؤثر نعيم الحياة وملاذها على خشونة الحياة العسكرية وما تكلفه من عنت واجهاد ، ويود ان يحمل قيثارته كشاعر يتغنى بالفضيلة ويستنهض الهمم الى السعى فى طلب المجد ، لا ان يحمل سلاحه كضابط يخوض غمار الحروب

فقد كان منذ صباه شديد الرغبة فى مطالعة الشعر ، مولعاً باستظهار الآثار الادبية لكبار الادباء ، يحس بملكة الشعر تنمو فى نفسه ، وتملك عليه مسالك تفكيره ، فاراد أن يتخذ منها طريقاً الى المعالى ، وان يعقد عليها جميع ما يجول بنفسه من آمال واحلام . وقد هيأت الظروف التى تحيط به ان تبرز هذه الملكة ، وان تأخذ حظاً عظيما من التربية الادبية تتغلب به على تلك التربية العسكرية التى امضى فيها بضع سنوات . فقد شهد فى صباه نهضة شعرية على جانب كبير من السمو ، يحمل لواءها المرحوم محمود سامى باشا البارودى الوزير الخطير والشاعر الفارس ، فكان جديراً بحافظ المولع بالادب ان يكون له من هذه النهضة نصيب يساعده فى مستقبل أيامه ، وان يجد منها مشجعاً على تربية ملكته وتغذية قريحته ، وان ينظر الى الشعر نظرة كبيرة تجعله معقد آماله فى بلوغ مطامعه من المجد وعلو المكانة ، خصوصاً وهو يرى ان قائد هذه النهضة من الرجال العظام الذين سموا الى رتبة الوزارة واصبحت لهم شهرة عظيمة فى الميدانين : ميدان الشعر ، وميدان الحرب .. لذلك التحق بالمدرسة الحربية وهو يواصل التربية الادبية مع الدراسة العسكرية ، ويرمى من وراء ذلك كله الى ان يكون يوماً ما كمحمود باشا البارودى ، وان يصبح له فى ميدانى الشعر والحرب ما كان لذلك الوزير الخطير

ولكن حافظاً ـ كما قلنا ـ كان ميالا بطبعه الى السلام ، يكره العنت والاعنات ويتململ من حياة الخشونة وما تقتضيه الحياة العسكرية من غلظة وقسوة وتغلب على العواطف الانسانية فى بعض الاحيان ، وما الى ذلك مما لا ينسجم مع نفسه الرحيمة وعاطفته الرقيقة

لهذا كانت حياته فى الجيش اشبه بحياة الشاعر منها بحياة الجندى فلم يشترك فى موقعة من المواقع الحربية ، وقضى اغلب المدة التى قضاها فى السودان ضابطاً فى التعيينات ، ينتهز فرصة فراغه فينظم الشعر ويبعث به الى اصدقائه فى القاهرة أو يسمعه لزملائه الضباط

وقد عرف بين زملائه بالفصاحة وحسن البيان واحكام الاداء . فكانوا يندبونه للدفاع عن بعضهم اذا حدث منه ما يقتضى محاكمته امام « محكمة الجيش » . وقد حدثنا رحمه الله يوماً عن دفاعه أمام هذه المحكمة ، فاخبرنا انه دافع فى عدة قضايا عسكرية تبلغ العشرين حكم فيها كلها بالبراءة ماعدا قضية واحدة كان القتل هو التهمة المنسوبة الى المتهم وقد اعترف مرارا بجريمته

نزوعه الى الحياة الشاعرية

قدمنا ان حافظاً كان ميالا بطبعه الى السلام ، نزوعاً الى الحياة الشاعرية المملوءة بالخيال ، والبعيدة عن التكليف والقيود . وطالما تبرم من حياة الجندية خصوصاً بعد ماخابت آماله واتضح له انها لن تكون له كما كان يريد طريقاً الى بلوغ مآربه . ويظهر هذا التبرم بوضوح من تلك القصائد التى بعث بها من السودان الى بعض اصدقائه . ومنها هذه القصيدة التى يذكر فيها حياة اللهو والنعيم ويتشوق اليها ويقول :

سلام الله يا عهد التصابى   عليك وفتية العهد القديم
أحن لهم ودونهم فلاة   كأن فسيحها صدر الحليم

....

فمن لى أن أرى تلك المغانى   وما فيها من الحسن القديم
ولكنى مقيــدة رحالى   بقيد العدم فى وادى الهموم

ثم يقول فى قصيدة أخرى وهو فى السودان :

رميت بها على هذا التباب   وما أوردتها غير السراب (١)
وما حملتها الا شــقاء   تقاضينى به يوم الحســاب
جنيت عليك يانفسى وقبلى   عليك جنى أبى فدعى عتابى
فلولا انهــم وأدوا بيانى   بلغت بك المنى وشفيت مابى
سعيت وكم سعى قبلى اديب   فعاد بخيبــة بعد اغتراب

فترى انه فى هذه الابيات وفى كثير غيرها مما قاله فى السودان يتبرم من حياته العسكرية ويتشوف الى حياة أخرى تكون الين جانباً وأخف عبئاً ، مما يلائم نفس شاعر مثله ، فقد كاف نفسه مالا تريد سعياً وراء الرزق وطلبا للمجد ، ثم آب بالخسار وبدا له فى آخر الامر أنه كان واهما حين اتخذ الجندية وسيلة لتحقيق مطامعه من المجد والرفعة

وترى انه وهو ضابط فى الجيش عبر عن نفسه بالأديب دون الضابط مما يدلك على أن الأدب عنده كان فى المقام الأول ، وانه يفضل أن يكون أديبا على ان يكون ضابطا ، ويشكو من انهم وأدوا بيانه ، ولولا ذلك لبلغ مناه وشفا مابه كما يقول

سياسة الانجليز فى الجيش

لم يكن اذن لحافظ مطمع فى حياة الجندية خصوصاً بعد ما رأى فيها من خيبة الامل مارأى ، وبعد ماشهد فيها من تكسر اظافر المصرى ، واستطالة الانجليز عليه

وقد وصف بقلمه شيئا من هذه الحال فى الجيش المصرى فقال :

« شكا ضابط مصرى الى كبيره وهو يحاوره من سوء العيش ، وجفوة الرؤساء ، وكثرة الاتعاب وقلة الاعطية ، فأجابه الانجليزى ، وقد أمال سالفته تيها ، وثنى عطفه كبراً : « اذا أصبح السردار وقد أراد أن يملأ غرف المدرسة الحربية وفناءها من التلامذة ألا تتم له تلك الارادة ؟ » قال المصرى : « بلى ، فلا يكلفه ذلك غير النشر فى احدى الصحف حتى تتواقع التلامذة على

(١) الضمير للنفس والتباب الخسار

بابها تواقع القطا على المنهل العذب » قال الانجليزى : « لهذا انتم فيما انتم فيه من البلاء فهو ان يشأ يذهبكم . ويأت بخلق جديد » ... لذلك تكسرت فى المصرى الاظافر وبات مهضوم الجانب غير مرعى الجناب يعتوره الذل والخور وتأخذه سوء القالة وهو كأنه العمر كلما مر به يوم لحق به النقص »

ويذكر بعد ذلك « حافظ » من مساوىء الجيش المصرى فى السودان مالا ترضى به النفوس الابية التى طبعت على العزة والحرية ، وأبت الخضوع للذل والاستكانة للهوان

وقد كانت نفس حافظ من هذه النفوس التى تنفر من الذل وتبغض الظلم وتثور عليه فلا عجب اذا كان كلما طال مقامه فى الجيش زاد بغضه للانجليز واشتدت حفيظته عليهم . وقد أحسوا منه هذا البغض ، وتلك الحفيظة بما كان يصلهم عنه من الواشين والدساسين وصنائع الانجليز ـ حتى إذا كانت ثورة الجيش فى السودان التى تلت حرب الترنسفال سنة ١٩٠١ اتهم حافظ فيمن اتهموا من الضباط بتهمة التآمر وأرسلوا الى قلعة الجبل ليحاكموا فيها ، وكاد يحكم عليهم بالاعدام لولا شفاعة الخديو السابق ، فاكتفى باحالتهم الى المعاش وأرسلوا الى مصر

بعد رجوعه من السودان

عاد « حافظ » الى مصر كاسف البال مكموداً لانه كان يريد أن يعود اليها كما يعود المعذب بنار الجحيم الى جنة النعيم ، وان يرد اليها « رد الشمس قطرة المزن الى أصلها وردالوفى الامانات الى أهلها » كما قال فى كتابه الذى بعث به الى الشيخ محمد عبده يستنجزه وعده بأن يتوسط له فى العودة من السودان

ولكن عاد اليها والخيبة تحدوه ، وشقاء العيش يستقبله ، فكان حقيقاً بأن يجزع من هذا الشقاء ، وأن يضيق صدره وتثور نفسه على هذه الحياة المملوءة بالخيبة والوبال ، فتنطلق بتلك القصيدة الخالدة التى هى من خير ما رسمته قريحة شاعر بائس امتلكه اليأس ، فاستعذب الموت مودعاً الحياة وداعاً مؤثراً يتعزى فيه عن آماله ويرثى بها نفسه . قال :

سعيت الى أن كدت انتعل الدما   وعدت وما أعقبت إلا التندما
لحا الله عهد القاسطين الذى به   تهدم من بنياننا ما تهدما

الى آخر هذه القصيدة المنشورة فى ديوانه . وهى غرة من غرر الشعر فى باب الشكوى

* * *

ماذا عسى ان يفعل « حافظ » بعد ما نبذه الانجليز ونفوه الى مصر ، هل يثور عليهم وعلى الحكومة المصرية التى وافقتهم على احالته الى المعاش وهو كسير الجناح ، فقير لا يجد ما ينهض بحاجاته ؟ . لقد تذرع بالصبر ، والصبر يضنيه فى هذه الحال المؤلمة ، عسى أن تعطف الحكومة

عليه فترده الى ظلها حيث يجد رزقه ويأمن عادية الفقر . وقد نال من ذلك بعض المأرب ، فاعيد الى الحكومة ضابطا فى البوليس ، ولكنه ما لبث غير قليل ، ثم خرج منها وعاد يشكو الزمان وأهله ويندب حظه ويرثى لامته ، فيقول :

انى احتسبت زماناً بت انفقه وعزمة شابت الدنيا ولم تشب

. . . . . .

لكننى غير مجدود وما فتئت يد المقادير تقصينى عن الارب

على ان حافظاً وان كان اليأس قد امتلكه ، فسد أمامه الابواب ، الا أن بارقة الامل كانت تحدوه من طريق الشعر الذى اشتهر به وأصبح له بسببه حظوة عند كبار القوم ، ومكانة لدى الخديو لذلك ترى له غير قصيدة واحدة فى الخديو السابق ، يمتدحه ويمتدح شاعره « شوقى بك » ويود من وراء ذلك كله أن يكون له حظوة فى البلاط ولكن بعض رجال البلاط يعلمون ما لحافظ من البراعة والمقدرة فى نظم الشعر ، فيخشون منه على مكانتهم ، ويخافون مزاحمته اياهم اذا أتيح له يوماً أن يكون فى زمرتهم ، فتراهم يسدون عليه الطريق ويحولون بينه وبين النفاذ من هذا الباب ، فيعف هو عنه ، ويولى وجهه نحو حامى الدين ، وامام المصلحين الشيخ محمد عبده ، عسى ان يأخذ بيده فيجد من تشجيع الامام ما يطلق قريحته بالشعر الفياض فى كل فن من فنونه ، وينشط فى هذا الوقت الى خدمة فن النثر فيهم بترجمة رواية البؤساء لفيكتور هيجو ، ويصدرها باهداء رقيق الى الاستاذ الامام . حتى اذا مات هذا الامام تحطمت آماله وأصبح كما قال يخشى ان تطول حياته لشدة ما أصابه من اليأس بفقده

ليالى سطيح

ويشتد به اليأس بعد وفاة الامام وتعاوده الشكوى من الزمان واهله ، وينظر فلا يجد من قومه مسعفاً فيفتر عزمه وتتخاذل نفسه ويعتزل فى بيته عاكفاً على ايداع شجونه كتابا أخرجه بعد وفاة الامام بعام واحد اى فى سنة ١٩٠٦ وهو الكتاب الذى عنونه باسم « ليالى سطيح » وقد نحا فيه نحو كتاب « عيسى بن هشام » للمرحوم محمد بك المويلحى ، وان لم يبلغ مبلغه ، وابتدأه بما ينم عن حزنه ويأسه فقال : ـ حدث أحد أبناء النيل قال :

« ضاقت عن النفس مساحتها لهم نزل بى . وأمر بلغ منى فخرجت أروح عنها . وأهون عليها . فما زلت اسير والنيل ، حتى سال ذهب الاصيل ، فاذا أنا من الاهرام أدنى ظلام . وقد فتر منى العزم وسئمت الحركة ، فجلست أنفس عنى كرب المسير ، واضطجعت وما تنبعث فى جارحة من التعب . وكنت من نفسى فى وحدة الضيغم ، ومن همومى فى جيش عرمرم ، وجعلت أفكر فى هذا الدهر وأبنائه فجرى على لسانى ذكر ذلك البيت :

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوت انسان فكدت أطير »

ويستمر حافظ فى وصف ما يجول بخاطره من الهموم والاشجان . على هذا الاسلوب ولكنه لا يلبث الا قليلا فى التقيد بالسجع ، ثم يفك عقاله ويكتب على سجيته نثراً مرسلا بلا تعمل ولا كلفة . وهو لكى يجعل للكتاب لذة القصة يتخيل ان أحد أبناء النيل اعتزل فى مكان على شاطىء النيل بالقرب من الاهرام . وانه لكذلك إذ سطعت عليه ريح كريهة انهزم أمامها النسيم ، وانقبض لها صدر الجو ، وتعلقت بأنفاسه فصدعت رأسه ، ولما انجلت عنه تلك الغاشية أبصر بجيفة فوق ماء النيل رمى بها أحد سكان القرى فى هذا النهر العظيم . فيخاطب النيل آسفاً لجهل هذه الامة التى أصبحت لا تعرف قيمته بعد ما كان أسلافها يعبدونه ويبالغون فى تقديسه . ثم يمسك عن الكلام ويهم بالنهوض ، واذا به يسمع صوت انسان يقول :

« أديب بائس ، وشاعر يائس ، دهمته الكوارث ، ودهته الحوادث ، فلم تجد له عزماً ، ولم تصب منه حزماً ، خرج يروح عن نفسه ، ويخفف من نكسه ، فكشف له عن مكانى ، وقد آن أوانى . أى فلان (يعنى حافظاً) لقد أخرجت للناس كتاباً (يعنى البؤساء) ففتحوا عليك من الحروب أبواباً ، وخلا غابك من الاسد ، فتذأب عليك أهل الحسد . أى فلان اذا القى عصاه ذلك المسافر ، وغادر بحر العلم أرض الجزائر ، فقد بطل السحر والساحر ، فانكفىء الى كسر دارك ، وبالغ فى كتم أسرارك ، واقبل غداً مع الليل ، وترقب طلوع سهيل ، ومتى سمعت من قبلنا التسبيح ، فقل لصاحبك الذى يليك هلم إلى سطيح »

ثم إذا كان الغد جاء الى المكان فالتقى بصاحبه الذى أخبره به سطيح فيتحدثان قليلا فى نقد الحياة المصرية ، حتى يسمعا التسبيح ، فيهرولا نحوه ، فاذا بسطيح يخاطب هذا الصاحب بكلام يفهم منه انه « قاسم بك أمين » كما يفهم من الكلام السابق ان أحد ابناء النيل الذى يعنيه المؤلف والذى خاطبه « سطيح » هو الأديب البائس والشاعر اليائس « حافظ ابرهيم » . وتدور الاحاديث بين هؤلاء الثلاثة حافظ ، وقاسم امين و « سطيح » وهو الشخص الخيالى الذى استعار له حافظ اسم كاهن بنى ذئب فى الجاهلية

ذلك هو مجمل الخيال فى هذا الكتاب الذى أودعه حافظ كثيراً من آلامه ونقده للحياة المصرية . وهو خيال كما ترى ضعيف . ولكن حافظاً اتخذ منه وسيلة لبلوغ غرضه من عرض جانب غير يسير من أخلاق المصريين وعاداتهم ولغتهم وآدابهم وسياستهم وغفلتهم عن مصالحهم واهمالهم لحقوقهم مما يحتاج إلى استثارة الهمم واستفزاز النفوس إلى تهذيبه واصلاحه

فى أشعاره

ويستمر على هذا المنوال فى نقد الحياة الاجتماعية ، السياسية فى مصر بأسلوب لاذع

كطريقته فى شعره الاجتماعى الذى هو فى الحقيقة صدى لكتاباته وأحاديثه . فقد كان رحمه الله كثيراً ما يأسف فى أحاديثه لفساد العادات وضعف الاخلاق فى هذا الزمان ، وكان جريئاً فى مجابهة قومه بذلك ، صريحاً فى ان يجهر به فى عدة قصائد ، منها قصيدته الزوجية التى قال فيها :

وكم ذا بمصر من المضحكا ت كما قال فيها أبو الطيب

ومثل تلك قصيدته فى « الامتيازات » وغيرها مما هو منشور فى ديوانه . ولعل ثورته على الاخلاق والعادات هى أولى الميزات التى انفرد بها اغلب شعر « حافظ » . وان كل من يقرأ او يسمع شعر حافظ فى هذا الباب يحس بأنه كان رحمه الله ضيق العطن يثور ويهتاج كلما رأى أمامه مالا ينسجم مع طبيعته السليمة ومع غايته العظمى من ان يجد قومه فى الذروة من الاخلاق الفاضلة والعادات الصالحة

نعم انه كان ثائراً على الاخلاق والعادات التى لا تتسق مع ما ينشده لقومه من الاصلاح والتقدم . ولا غرو فقد صحب امام المصلحين الاستاذ الشيخ محمد عبده وآخى كبار المجددين كقاسم بك امين ، وكان له من طبيعته السامية حافز الى تنبيه قومه واستنهاض هممهم لاصلاح حالهم والدفاع عن لغتهم ، والذود عن حقوقهم

ولذلك تجد الى جانب شعره الخلقى طائفة غير يسيرة من الشعر القومى الذى دافع فيه عن اللغة العربية وعن بلاده وأرسل خلاله عدة صيحات فى وجوه المحتلين كانت عليهم اشد وقعاً من مقذوف « القنابل »

وقد امتاز شعر حافظ السياسى بميزة قل ان توجد فى غيره بل هى لا توجد فى سواه ، تلك هى التعريض اللاذع والسخرية البالغة التى يرسلها كما يرسل مادح المديح الى ممدوحه ، وهى فى الوقت نفسه ذم وانتقاص من اشد انواع الذم والانتقاص . اقرأ له قصيدته التى قالها فى مظاهرة السيدات ابان الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ وقد حاصرها الجيش الانجليزى وفرقها ، ثم اعد هذا البيت وانظر ما فيه من سخرية لاذعة :

فليهنأ الجيش الفخور بنصره وبكسرهن

أو اقرأ له قصيدته فى وداع كرومر لتتبين صدق ما نقول . ونحن نقتطف منها هذه الابيات :

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى فلا تكذب التاريخ ان كنت منشدا
لقد حان توديع العميد وانه حقيق بتشييع المحبين والعدا
فودع لنا الطود الذى كان شامخاً وشيع لنا البحر الذى كان مزبدا
وزوده عنا بالكرامة كلها وان لم يكن بالباقيات مزودا
فلم لا نرى الاهرام يا نيل ميدا وفرعون عن واديك مرتحل غدا!

كأنك لم تجزع عليه ولم تكن ترى فى حمى « فرعون » أمناً ولا جدا

* * *

يخطىء الذين يقولون ان « حافظاً » ليس له أثر فى النهضة الوطنية الاخيرة . ففى ديوانه من القصائد القومية والسياسية التى قالها منذ ثلاثين أو خمس وعشرين سنة ما يكفى لانهاض امم الشرق جمعاء لا الامة المصرية وحدها

وماذا يقوله « حافظ » بعد ما قاله فى اوائل القرن العشرين بما كان له أثره البارز فى نهضة سنة ١٩١٩ ؟ . لقد كان من حق نفسه ان يضع قيثارته ليستريح بعد ما جهد فى العزف على اوتار الاخلاق والعادات والسياسة والدعوة الى استعادة مجد الغابرين الذى اضاعه بنو الشرق بغفلتهم واهمالهم . وكان من حق نفسه ايضاً أن يخلد الى الوظيفة ينهل منها رزقه فى أمة لايصلح فيها الادب منهلا للرزق ، وأن يسكن الى تلك الحياة الهادئة بعد ما قضى فى جهاده نحو خمس عشرة سنة كانت بمثابة خمسين عاماً لما أخرج فيها من القصائد الاجتماعية والسياسية التى امتاز بها وكانت ابرز ما فى ديوانه إذا استثنينا قصائد الشكوى وهى لاتخرج عن انها قصائد ضمنها كثيرا من نقد الاخلاق والشؤون العامة

سكن حافظ ابراهيم الى الوظيفة فى دار الكتب منذ سنة ١٩١١ فبقى بها عشرين عاماً لم ينظم فيها شيئاً من القصائد غير المراثى التى كان يشيع بها الكبراء والعظماء ورجال العلم والادب . وهى باب من الابواب التى طرقها واجاد فيها قبل أن يوظف بدار الكتب . على انه لم يسم فيها بالعهد الأخير أكثر مما سما اليه فى الماضى على الرغم من انقطاعه لها ونظمه اياها بين حين وحين كلما اختطف الموت عظيما من العظماء أو اديبا من الادباء .

وقد اشتهر بالقائه لهذه المراثى حتى كان له فى كل حفل المقام الاول من الاعجاب . ومن الغريب ان حافظاً الذى اشتهر بحسن الالقاء واجادة الاداء كان لا يستطيع الخطابة ولم يحاول يوما ما ان يخطب ثلاثة اسطر نثراً مع انه كان يلقى القصيدة الطويلة من قصائده عن ظهر قلب وكان يحجم عن أن يتصدى للخطابة التى يعتقد انه قد يكون له فيها المقام الثانى

وكان رحمه الله محباً للموسيقى يطرب لها ويتعشق سماعها . وكان طربه لها بمثابة طربه للشعر ، كما كان طربه للشعر يتضاعف كلما اقترب من الغناء . ولذلك كان لايعجبه من الشعر الا ما كان كالغناء فى عذوبته وتأثيره و يقول عن خير الشعر انه « ما سبق دبيبه دبيب الغناء » . ولعل من خصائص أشعاره تلك الظاهرة الموسيقية التى تبدو فى جميع منظوماته . ويمكننا ان نقول ان كل اشعاره صالحة للغناء لتخير الفاظها وتجاوب حروفها وسلاسة اسلوبها وما اودع فيها من روح لطيفة تتمشى مع صفاء الذهن واشراق النفس وانسجام الحياة

طاهر الطناحي

نظرات الى المستقبل

نشرنا في العدد الاول من السنة الاربعين استفتاء لطائفة من صفوة المفكرين في مصر عن تطورنا في الاربعين سنة الماضية وها نحن اولاء ننشر في بدء السنة الحادية والاربعين للهلال استفتاء فيما يحتوى على آراء طائفة من كبار مفكرينا فيما عسى ان يكون عليه مستقبل

مصر بعد ٥٠ عاما

في الشئون الاقتصادية والمالية

رأي سعادة احمد عبد الوهاب باشا وكيل وزارة المالية

يتسع وقت سعادة احمد عبد الوهاب باشا لكل شيء ، أن عمله الرسمي يتخطى جدران وزارة المالية ، فيستغرق مصر وعلاقاتها بالشرق والغرب فى الحاضر والمستقبل

على انى حين لقيته لم أجده كما تصورته رجلا تبدو عليه أمارات المزاج العصبي والحيوية المتوثبة . كلا ! هو هادىء الظاهر على الاقل ، يعزى سر نجاحه فى القدرة على التنفيذ الى عقله المنظم وذهنه الحاد وخبرته التى تزداد يوماً بعد يوم ... وانه لرجل حقائق لا دخل للاوهام والظنون فى حسابه ، على انه بصير بالاحتمالات ، يحتاط لما ليس فى الحسبان قدر ما يستطيع انسان

كره ان أحمله على التكهن ، فلما بسطت له وجهة نظر « الهلال » ، قال بعد لأى :

« لا بأس من التحدث عن الغيب على أساس من الواقع . وما أعنى الغيب على نحو ما يفهمه المتفلسفة أو يزعمه المشعوذون . الغيب عنـدى هو تقدير النتائج المجهولة فى مقدمات معلومة دون اهمال لما عساه يفاجيء ويأتى بغتة »

قلت : « أراكم ميالين على الدوام الى جانب التفاؤل . فهل تفاؤلكم طبيعة جبلتم عليها ، أم تراه يذهب ويجيء تبعاً للظروف والمؤثرات » فألفيته شعلة ضاحكة ، وقال :

« أنى بطبيعتى متفائل ، لكنى فى حياتى العملية أبنى تفاؤلى على منطق معقول وعلى حقائق ممحصة »

قلت : « جئنا نسترشد برأيك عن الحالة الاقتصادية والمالية بعد خمسين عاماً ، بعد عمر طويل ان شاء الله » فابتسم قائلا : « وهل ترانى سأكون واحداً من المعمرين أعيش الى ان تتنافس الصحف فى نشر صورتى وذكر النادر من سيرتى ؟ ! »

قلت : « من يدرى لعلهم يحدثونك وقتذاك عن مصر قبل خمسين عاماً »

فأجاب وفى عينيه بريق من السخرية الرفيقة : « بل قد يطلب الى ان ألقى محاضرة بالراديو عن زيارتى لمقبرة « توت عنخ أمون » لأول مرة ! ! ما علينا ! ! سأختصر فى الكلام . فالموضوع متشعب ، قل ان يستوعبه بحث مستفيض ، وأكرر أن المستقبل مجهول على كل حال »

ولست ازعم انى استوعبت كل ما قاله سعادته ، وانما أروى ما أمكننى فهمه بأسلوبى وطريقتى :

« المأمول أن تكون الكهرباء موفورة لكل انسان ، فالقرية ستكون اذ ذاك أشبه شئ بالضواحى ، والراديو سيعم استعماله

« أغلب الظن أن الكهرباء من اسوان والقطارة والمنحدرات الكثيرة ربما تكون قد جعلت الصناعات الزراعية وفيرة المحصول تغنينا عن استيراد أى شيء ، وقد تمكننا من تموين البلاد الاجنبية ، وربما تمكننا من تصدير لحوم محفوظة وأسماك منوعة فى هيئة علب السردين ، ثم ان فواكهنا الطازجة والمجففة ، خصوصاً البلح والبرتقال والمانجو ، جديرة بأن تقتحم الاسواق الخارجية

« ثم اننا سنكون قد تخلصنا الى الابد من الاعتماد على محصول واحد . وانها لأمنية جريئة أن نحل مكان أوربا فى تموين البلاد الشرقية ــ الشقيقات العربيات ــ بالاقشة لاقتراب العادات وجرياً وراء التعاون المؤسس على التفضيل والتفاهم المشترك . فهل أقمشتنا القطنية والحريرية والصوفية سترتقى بسرعة هائلة فتسد حاجتنا وتفيض ، بفضل الكهرباء قبل المهارة والحذق . وهل مصر ستصنع الطيارات بكثرة ، ذلك لان الطيارة قد أخذ صنعها فى البساطة ، بحيث سيجيء يوم يتمكن الصانع المدرب من بنائها كما هو الحال فى عدة اللاسلكى .

وهنا سألت سعادته قائلا : وما رأيك فى صناعة السينما والراديو . فانى أتكهن لمصر بنشاط عظيم فى هـذا المضمار . وانى اذا لم أستطع تعيين مكان المدينة التى ستضاهى « هوليوود » عندنا ، فانى أتخيلها كشيء حقيقى لا ريب فيه . وأنا على ثقة من ان الشرائط المصرية ستدر عشرات الالوف ــ أو الملايين ــ على مصر بالنسبة لرواجها فى الاقطار التى تتكلم العربية . كذلك الراديو ، فان محطات الاذاعة على النسق الاوربى ستكون فى القاهرة . وما جعلنى أجزم بذلك الا ما أشاهده من توافرنا على التجويد فى فن التمثيل والموسيقى والغناء وتفوقنا فى الشئون الثقافية . . ! !

« باريس الشرق .. هكذا ستكون القاهرة . بملاهيها ومسارحها ومعاهدها ومعارضها ومتاحفها

« وناهيك بما تدره الحمامات والمشاتى والمصايف اذا نظمت وكفلت لروادها أسباب الراحة ووسائل اللهو البرىء وسهولة المواصلات وحسن المعاملة واصطناع الحيلة فى جذب الطبقات جميعاً . لا طبقة الاغنياء وأصحاب الملايين ليس غير . ان الاسكندرية وأبو قير ورأس البر يمكن العناية بها بحيث تصير مصايف دولية . وهذا ما سيحقق فعلا . وكأنى بالمصطافين قادمين على متن الهواء لقضاء بضعة أسابيع على شواطئنا وفى فنادقنا المصرية . وكذلك الحال فى المشاتى مثل الاقصر

وحلوان والواحات (وحيث المياه المعدنية) ستجتذب هذه كلها عشرات الآلاف كل عام للاستشفاء والتمتع بمشاهدة المخلفات والآثار »

فابتسم قائلا : « انك حالم ، لكن فى تكهناتك شيئاً من الحقيقة

« ان ثروتنا المذخورة فى الارض ، مثل الغيب ، حافلة بالمدهشات الرائعة . لكننا لا نعرف بالضبط ماذا تعطيه لنا ، ومن يدرى لعلها تعطينا الشيء الثمين الذى يزيد فى ثروتنا العامة . وهنالك ثروة فى البحار لا ينبغى ان نحذفها من تقديرنا ، تلك هي الاسماك والاصداف وجلود السمك الكثيفة وقشرها الغليظ وعظامها الصالحة للامشاط وغيرها . فهذه الثروة يصح أن تضيف الى أموالنا أكداساً من الذهب النضار »

قلت : « يمكن التكهن بأن مصر بفضل السياسة الجمركية ، وبفضل استحواذنا على قناة السويس ، وبفضل ما ينتظر من جمارك الطيران ، وبفضل الضرائب التى سنفرضها على رءوس الاموال بلا نظر الى الجنسية ، ثم بفضل الاقتصاد المعقول لا تحتاج الى مليم واحد من الخارج تقترضه . وهذا عمل عظيم ، لاننا سنشيد مصراً أخرى صناعية الى الحد اللازم زراعية على طراز حديث

« اظن ان سياستنا المالية يجب أن تقوم على أساسين جوهريين : العمل على حماية المنتجات والمحاصيل المصرية وتشجيع الصناعات القومية ، ثم زيادة الدخل والاقتصاد فى النفقات ، أى توطيد الاحتياطى وزيادته مع العمل على تسديد ديوننا القديمة

« فهل أقول ان مصر فى سنة ١٩٨٢ ستكون رخية موفورة المال عزيزة على الازمات ؟! »

فقال : « ذلك ما نتمناه »

☆☆☆

هذا خلاصة ما استوعبته وأرجو أن يكون وافياً بالمرام

في التربية والتعليم والثقافة العامة

رأي الاستاذ محمد العشماوي بك السكرتير العام لوزارة المعارف

ذاع للأستاذ العشماوى بك صيت بعيد فى الأوساط المثقفة ، بأنه نصير الفنون الجميلة وكافة ألوان المعرفة التى نحن بحاجة اليها لنستكمل ما فاتنا دركه فيما مضى . ولله لقد بهرنى بواسع اطلاعه ورجاحة منطقه وتقاعسه عن الغلو بطبيعته

بدأت باستفهامي عن المدة التى تكون قد مضت بعد خمسين عاما على « الامي الاخير »

فنظر الى الافق البعيد كمن يستوحى السماء وقال : « لا شك اننا سنكون بعد نصف قرن قد دفنا (الامي الاخير) . على شرط أن نكون قد نفذنا الاجبارية بقانون صارم يعاقب من يتخلف عن تعليم أولاده والاحتياط لتعليم الكبار على الكره منهم . وعندى أنه يجب دفنه بغير احتفال. لكن يصعب على تعيين الوقت الذى ندفنه فيه »

فقاطعته قائلا : « ما رأى سعادتكم فى اننا نحفظ هـذا (الامي الاخير) ونحتفل بوضعه فى المتحف المصرى ؟ »

فضحك واستصوب الفكاهة ، وقال : « هو على كل حال حادث تاريخى . ومثل هذا الامي يكون علامة على انتهاء عصر الجهل العام والظلام ! ! »

من هذا السؤال قفزت الى ميزانية التعليم . فأجاب بأنها ستكون أضعاف اضعاف ما هي عليه الآن . وأكد انها ستفوق ميزانية وزارة الحربية والبحرية والطيران مجتمعة . اذ هو يعتقد ان مصر لن تأخذ يوما من الايام بسياسة التسليح . فهى مسالمة بطبيعة أهلها . فبعد الاتفاق مع بريطانيا وبعد ان تصبح عصبة الامم اداة فعالة فى فض المشاكل وحسم النزاع ، أى حاجة تبقى للصرف عن سعة للتسليح ؟ العصر القادم ــ كما تشير اليه اتجاهات الساسة وميول الشعوب ــ سيكون فريداً فى حياة الانسانية ، من ناحية العدول عن الحرب المسلحة الى التفاهم والتراضى والتعاون بقدر الامكان

قلت : « هل المدارس الصناعية والفنية والزراعية ، هي التى سيكون لها المكان الاول فى عناية وزارة المعارف فى الخمسين سنة القادمة ؟ »

فاتجه الى وعلى محياه سيما الجد ، كرجل يتكلم عن خطة مقررة او سياسة يستحسن ان تأخذ بها بلاده وقال : « إن ما نراه اليوم صوتا خافتا سيسفر فيما يأتى من الزمن عن تصميم وعزم مقرون بالتنفيذ . المستقبل للمدارس الصناعية والفنية والزراعيــة . ولن تخرج المدارس الثانوية أكثر من حاجة الجامعة والمدارس العليا . وهذا لخير مصر ، مصر التى ستشعر بحاجتها الى البناء والاصلاح فى شتى ميادين النشاط الحيوى . وتلك ضرورة تصيح بها حالة البلاد الراهنة . ونحن سنلبي نداء الوطن الذى يسعى الى الامام ، ونكفل له شبابا يحمل مسئوليات تركنا حملها للاجانب واهملنا ما تبقى منها »

قلت وقد استلهمت « آلهة الفنون » :

ــ ما رأيكم فى معهد الموسيقى ومعهد التمثيل ؟

فقال على الفور ، حتى لحسبته يقرأ فكرى :

ــ معهد التمثيل والسينما ! أحب أن لا يغيب عن بالك انى انظر الى التمثيل على اعتبار أنه اداة للتثقيف وليس وسيلة من وسائل اللهو والتسلية . فالرواية المسرحية الفنية كانت ومازالت غذاء الروح

والعاطفة النبيلة . إن مصر ستكون بعد خمسين عاماً مركزا لنهضة فنية عظيمة . ولا يمكن التكهن بالدور الذى ستلعبه فى تاريخ الفنون الجميلة . لكن لامانع من الظن بأن انقلابا خطيرا قد شرع يبرز وعن مداه وأثره يطول الكلام ولا يحمل الحدس والتخمين

فاطربنى تفاؤله وجعلنى اسأل : « اذن سيعود سيرته الاولى معهد التمثيل ؟ »

قال : « وسيتسع ايضا للسينما ، استعداداً لسد حاجة البلاد الفنية وتشجيعاً للرغبة فى انشاء صناعة تعرف انت مبلغ مزاياها وجليل خدماتها ، من نواح لا تحصى ، اخصها الناحية المادية والدعاية والتثقيف »

وختمت حديثى بالاستفسار عن الجامعة : « على اى حال ستغدو بين معاهد العالم ؟ »

فقال عقب برهة سبح فيها :

ـــ الجامعة ؟ ! انها تسير ببطء لكن بوثوق ، وتتقدم تدريجيا على الاسس العلمية الصحيحة . اليوم نحن مضطرون للاستعانة بالاساتذة الاجانب . وفى الغد ستقترض منا جامعات اوربا اساتذة فى العلوم الشرقية ، وربما فى التشريع والفلسفة . وهنا اذكر ان كاترين زوجة بطرس الاكبر لما وليت الحكم انشأت جامعة روسية ، كل أساتذتها من الالمان ، فلم يمض طويل وقت حتى حل الروس مكان الالمان ، ومهروا فى العلوم والآداب وتفوقوا فى الفنون

« وكذلك فعل فردريك الاكبر ملك روسيا الذى فتن بالثقافة الفرنسية واستقدم فولتير الى بلاطه وكان يعرض عليه اشعره ، فانه انشأ جامعة جعل مديرها أحد العلماء الفرنسيين يعاونه رهط من بنى جنسه

« فى الختام ان جامعتنا ستكون مركز الدراسات الشرقية ، ومشرق اقمار تعيد لنا صيت العرب والفراعنة . وستكون القاهرة قبلة يحج اليها المشارقة جميعاً وبعض المغاربة لاتمام علومهم »

في علاقتها بالاسرة الدولية

رأي الدكتور محمد حسين هيكل بك

أفاض الدكتور هيكل فى مركز مصر السياسى ومكانتها الدولية بعد نصف قرن من عامنا هذا وانتقل من موضوع الى موضوع ، منسجم المنطق فتان البيان قال :

ـــ حينذاك لا تكون مصر الحديثة هامشا على تاريخ مصر القديمة ، ولا تعيش فى كنف الفراعنة تستجدى العطف عليها ، ولسان حالها يقول : ارحموا عزيز قوم ذل . . .

« بلى ! ! ان السياح سيفدون على مصر ، ليشهدوا كيف بعث الشعب الذى خرج من تحت انقاض

الزمن ونفض عنه غبار الفناء ، وكانوا من قبل يجوسون خلال الديار ، يمجدون آباءنا ويترحمون علينا

« مصر اليوم موضوعة على الرف ، فى عزلة عن الاسرة الدولية وفى الغد ستزاحم الامم النابهة بالمنا كب سباقة الى أداء واجبها نحو الحضارة ونحو الانسانية

« إن الخمسين عاماً القادمة لا بد مستنفدة قوانا فى بناء مصر الحديثة التى نحلم بها اليوم ، وأول لبنة فى أساس هذا البناء هو اتفاقنا مع بريطانيا اتفاقاً يحقق المطالب القومية كاملة غير منقوصة وفى مقدمتها الاستقلال التام لمصر وسودانها . ولا يتوهمن أحد أن الاستقلال هو غاية الغايات . كلا . إنه مفتاح الطريق ليس غير . ومن قعد عند الباب مكدوداً من الاعياء لا يأمن قطاع الطرق

« لا نطلب الاستقلال لذاته بل لثمراته . وعندى أن مصر بعد أن تستكمل بناءها ، ترحب بها الدول كعضو عامل فى جمعية الامم . وفى عصبة الامم أعضاء كالاشلاء تلعب دور الصفر على شمال العدد . ولست أتصور مصر بعد نصف قرن الا ظافرة بمكانة كتلك التى تتمتع بها سويسرة — مكانة دولة مضمونة الحياد . وقد أتخيلها منافسة لسويسرة من حيث انعقاد المؤتمرات الدولية التى تفض المشاكل بالحسنى وتسوى المنازعات ووجوه الخلاف بالتراضى والتفاهم

« مركزنا الجغرافى ، وحاجتنا الى هدوء السلم وطمأنينته — خصوصا عقب أعمال البناء المجهدة — وتطلعنا الى المثل الاعلى للحضارة ، كل هذا سيوحى الينا أن خير سياسة يجب أن نتبعها هى مصافاة الشعوب جميعاً ووضع علاقاتنا مع الدول على قواعد الولاء والمحبة وحسن النية والتعاون المتبادل

« إنه لامطمع لنا أسمى من تأدية الرسالة التى نعدنا لها خلقنا السمح وطبعنا الكريم . وأعنى بها رسالة السلام . فنحن الذين تعاقبت على إخضاعنا أقوى الدول قد تعلمنا من مصارعها درساً لا ينسى — تعلمنا أن البغى مرتعه وخيم . وليس مثلنا شعب ذاق لذة إذلال غيره من الشعوب ثم شرب كأس الذل حتى الثمالة . ونحن الذين أرهقنا الطغيان حتى لكاد يسحقنا بكلكله لن نظاهر دعاة الحرب أو نحبذ طغيانهم . وسيساعدنا على أداء رسالتنا الرفيعة ما نكون قد أحرزناه من نفوذ أدبى بين الشعوب ، بفضل سفرائنا . ونباهة الذكر وحسن الاحدوثة أفضل سفير

« على ان السلم فى دمنا . السلم عندنا عقيدة . فانا معشر أهالى وادى النيل قد ورثنا التراث الروحى للشرق . والشرق هو الذى أنجب الانبياء — أنجب محمداً وموسى وعيسى وما يشذ دين من الاديان الثلاثة عن أن يكون السلام لبابه وجوهره

« هناك شىء جليل آخر . هناك أن مصر ستبرز للامم مثلا صالحاً وأنموذجاً حياً . والامم كالافراد تحتاج الى القدوة الحسنة ، ذلك أننا سنكيف طباعنا بحيث يستعذبها المشارقة ويسيغها الغربيون . سنكون ملتقى الصفات الشرقية والخصائص الغربية ، فنجمع النقيضين فى نفوسنا ، فتقوم

الحجة على بطلان ما قال به شاعر الاستعمار ، روديارد كبلنج ، من أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ما كر الجديدان

« بذلت أوربا فى سبيل الحرية الفكرية وحرية العقيدة دماء زكية . وتعلم عنها العالم أنه لا يتهيأ للانسان تقدم وارتقاء بغير التسامح الفكرى والتسامح المذهبى . لكن أوربا لم تعرف التسامح العنصرى . والراجح أن الحضارة الراهنة يعوزها التلقيح بهذا المصل الحيوى ، مصل التسامح العنصرى ، فلا يعود البيض يحتقرون السود ويزدرون الصفر ويستريبون بالشعوب السامية ، وفى أمريكا يتجلى الظلم العنصرى وتظهر مساوئه بأشنع مظاهرها

«عن مصر ستتعلم الانسانية ان التسامح العنصرى ــ مثل التسامح الفكرى والتسامح المذهبى ــ ضرورى لتكون حضارتنا الراهنة انسانية حقاً . ولن تتحقق قط فكرة السلام العالمى عن طريق تكوين الاسرة الدولية بدون هذا التسامح

« ذلك فى رأيى واعتقادى هو ما ستصنعه مصر بعد خمسين عاماً ، ستمانى العالم الى مثل أعلى يحث على الاسوة الحسنة والقدوة الطيبة »

فى التطور الاجتماعى

رأى الدكتور منصور فهمى

يسبق الدكتور منصور فهمى عصرنا هذا بأفكاره . وبعض تأملاته تكشف عن نبوءات صادقة . طفق يتحدث الى عن مصر من الوجهة الخلقية بعد نصف قرن ، فحسبته بعض أهلها فى قادم الايام وفد علينا من المستقبل ، يبشر الحاضر بحسن العاقبة . وكنت سألته : « ترى هل تكون مصر أزكى اخلاقا منها اليوم ، وهل تكون حياتها الاجتماعية أنضر صفحة وأصلح حالا ؟ »

فاتكأ الى الوراء ، وحدق فى السماء برهة ثم قال :

« ستتغير بيئتنا بلا ريب ، وستتغير أفكارنا بعد خمسين عاماً . وتبعاً لذلك تتطور حياتنا الاجتماعية . وستحقق بهذا التطور الخطير وسائل الاستقلال ونبالة النظم واستقرارها وشيوع الحريات الصادقة بيننا وأخذنا من الثقافة بنصيب وافر . ومن مميزات هذا التطور تطهرنا من أخلاق الضعف التى بثتها فى نفوسنا عهود الاستبداد والظلام . وأنكى هذه الاخلاق المريضة هو النفاق والحسد والبغضاء . وليست الانانية والاثرة بأخس ما دهينا به

« سيعيش الفرد للمجموع ولاهله وذويه ثم لنفسه . وذلك هو حجر الزاوية فى بناء الامم ، فبدون التضحية وانكار الذات ، والايثار والتعاطف ، لا يطيب وطن ولا تتحقق قومية . ان

الوطن يبنى بأشلاء الضحايا وتستمد القومية حيوتها من أرواح الاسخياء بجهودهم الصالحة من شهداء الفكرة أو العقيدة . وقد يستشهد الرجل فى معركة لاطعن فيها ولا نزال ، على نحو ما يموت العالم والمصلح والزعيم فكل من هؤلاء شهيد قضى نحبه على دفعات

« ثم انك لن تجد أناساً مسرفين فى الشهوات والبذخ ولا زاهدين فى المناعم المباحة ، ولن تصادف شاباً يائساً خائر العزيمة يفرق من المجازفة ويشفق من المخاطرات ، ويسلك الى الكسب أقصر الطرق ويضيق عليه الافق فيحصره فى محيط مختنق كالقبر ، تذبل فيه همته و يركبه تشاؤم قاتل وتتقاذفه الحيرة والخيانة

« ستنفتح ميادين للعمل والحركة والنشاط فى غير مصالح الحكومة ودواوينها ، وسيتعلم الشبان فى مدرسة الحياة الحرة أن الامر جد وأن الفوز للشجاع المثابر ، وأن التعاون من الصفات الانسانية التى ينهض عليها صرح الحياة الاجتماعية سامقاً وارف الظلال

« اذ ذاك يمتلىء وقت المصرى بالعمل المنتج . والعمل هو أعظم مروض على الفضيلة . وهو الذى يلقى بذور الخير فى الضمائر . وسيكون من أثر ذلك أن تقفر القهوات المنتشرة فى بلادنا انتشاراً شديداً وتعمر البيوت ، وفى عمار البيوت سعادة حرمناها

« واذ ذاك نفقه كيف ننتفع بأوقات الفراغ انتفاعاً موفقاً ، ونعرف كيف نستغلها فى تغذية العقول بالاطلاع أو التسلية الفنية البريئة ، أو الاستجمام لوقت الكدح والدأب ، أو المكث بين الزوجة والعيال حيث تنقلب الدار فردوساً وينقلب الاطفال ملائكة أبراراً

« وثم ظاهرة كبيرة ! تلك هى سفور النفس واشراقها عند الرجل والمرأة ، حين يسفر العقل وتسفر العاطفة . يسفر العقل من حجاب الجمود والجهالة ، وتسفر العاطفة من حجاب المرض والانحلال . ولست أريد الاطالة فيما ينجم عن اشتراك المرأة فى القيام بالاعمال العامة والخاصة ، اذ من تحصيل الحاصل ان أصف حالة كالتى نراها اليوم فى أوربا . والفرق شاسع بين أمة يحمل نصفها الاعرج الكسيح نصفها المقعد الضرير وبين أمة يتآزر شطراها على النهوض بها والسير الى الامام

« وكأنى بالعائلة المصرية قد استقرت على دعائم راسخة . وأهم هذه الدعائم الزوجة الواحدة والتربية الحرة الفاضلة . ومتى استقامت العلاقات بين الجنسين أصبح التفاهم ميسوراً ، وصار فى الوسع اختيار شريكتنا مدى الحياة . والعائلة هى الامة مصغرة . فاذا برئت من العلل برىء المجتمع من الادواء الوبيلة التى نلاحظها عندنا خصوصاً بين أهل الريف وجماعة الموظفين وطلاب المنافع الذاتية من أصحاب الاهواء والنبانات المسفة ، مما كان سبباً فى تفككنا الاجتماعى وعدم اتساقنا لمجابهة الارزاء القومية والمحن الوطنية بنفوس متعارفة متآلفة

« فاذا استقامت لنا الامة اسرتنا الكبرى التى تضم شيعنا ونحلنا وعقائدنا فى صعيد واحد يرفرف عليه روح التضامن ، ساقنا مثلنا الاعلى الى الاتجاه نحو الاسرة العظمى ، أسرة الانسانية ، وأغلب الظن أن الحضارة الراهنة مصيرها الى توجيه الشعوب فى نظام يكفل استقلالها و يربطها برباط مقدس من الاخلاص والوئام . ان الفكر الانسانى يسبق الاخلاق بآلاف السنين ، وقد هدانا الفكر الى أن الحياة لا تبسم ولا تستحق العيش ما لم تهون آلامها وأرزاءها الاخلاق الرضية »

في الادب والعلم والفن

رأي الاستاذ خليل مطران

لاداعي الى الاطالة فى مناقب خليل مطران والالماع الى ميزاته التى لا تحصى ... ويكفى فى مقام ضيق كالذى افسحته لى « الهلال » ان اعترف بأن حديثه من المستحيل أن تقيده حافظة أو تلاحقه مخيلة ، وقد ذهبت لاستمتع بسحر بيانه واستيعاب ما يمكن استيعابه . ومامن دأبى ان اختزل الخطب الطوال . ان شاعر القطرين محيط زاخر بالمعلومات والتجاريب . وهو عظة ناطقة . عاشر القدماء فبزهم وجرى مع المجددين فى الشوط فسبقهم

قال لى فى جملة ماقال :

« كنت قد حدثتنى عن رأيى فى جائزة « نوبل » لماذا لم يظفر بها أديب مصرى ، فاليوم أدلى لك بصيغة التأكيد ، ان غير أديب وشاعر سيظفر بها على الارجح

«سيكون لنا بعد نصف قرن مما تصبو اليه الآن ، ادباء عالميون وكتاب ينتشر لهم صيت فى كل مكان ، وتترجم منتجاتهم البديعة الى اللغات كافة . لا اتكلم على سبيل الامنية ، أنا استنتج محترساً ناظراً الى الغاية من المستهل . فلا شك فى ان الاحوال المعنوية والظروف المادية ستتطور ، ولا شك فى ان الاديب سيدنو فنه من الكمال المنشود . فقد أرى أن الرخاء واليسر ضروريان لتقدم الفنون الجميلة

« ومن العسير تعيين الاتجاه الذى تسلكه القصة والرواية فى نصف القرن القادم . لكن يمكن الظن بأن الفكرة الصوفية ــ بالمعنى السامي ــ ستغمر هذه القصص وتعيش بها ولها شخصياتها ، ولا أردد كلمة الشاعر الهندى طاغور ، وهي التى نادى بها قادة الفكر فى عصرنا الحاضر . الفكر الحديث الذى فهمنا انه يتجه الى الله بعد أن كاد يتجه فى القرن الماضى الى المادة وعبادة الارضيات قال طاغور فى حديث له مع مكاتب جريدة أمريكية : ان المدنية الغربية قد سئمت ضوضاء الآلة وعافت المادية . وليس امامها سوى الهدوء والسكينة مهربا . تعبد فى قدسه وجه الاله فى صمت ملائكى

«فكأن الحضارة قد تطورت الى اتجاه نحن مبرزون فيه ، قد فطرنا عليه وركزته عهود الاستبداد والظلام فى طبائعنا . فانه لم يكن امامنا معاشر الشرقيين سوى الله نستعديه على الاقوياء ونفىء الى ظله الرحيم ونستريح الى ما يسبغه علينا من صبر وراحة بال ، حين كان الصبر قوام الحياة وملاك القوة ، وحين كانت راحة البال غذاء ضروريا لاشباع روحنا الجائعة وتسكين نفوسنا القلقة

« ان الرواية المسرحية والقصة ـ صغيرة أو مستفيضة ـ ستزدهر على طراز مستحدث . كيف لا ونحن الذين ابتدعنا هذا الفن وسمونا به الى الكمال ، فأعطينا للادب العالمى والفن الانسانى أثمن درة واغنى بها « الف ليلة وليلة » . ويغلب القصص على عيون الكتب الادبية عندنا من مثل الاغانى وما اليها

« سيكون الاديب فى سنة ١٩٨٢ فى رغد من العيش . انكتاب الواحد او الرواية الواحدة تدر على صاحبها آلاف الجنيهات . ويومذاك تكثر شركات النشر والطباعة وترتقى الصحافة وتباع الجرائد بالملايين . وقد لا اغالى اذا حسبت ان مصر ستغدو اروج ميدان للأدب العربى والفكر العربى ، يهرع اليها من سائر الاقطار الشقيقة العباقرة والنبغاء لينضموا الى الاسرة الفنية الادبية

« ثم لا يبعد ان توجد مدارس فى الادب والنقد . وعندى ما يجعلنى اعتقد ان علماء مصر سيتممون عمل المستشرقين الذين اقول انهم عاجزون عن اتمامه لبعدهم عن الروح العربية ، ولان بعضهم متعصب من غير وعى يعالج البحوث بطريقة العالم لا بروح الاديب الفنان ، ومن أجل ذلك لا يتغلغلون الى صميم الادب العربى

« فليطمئن اهل الصناعتين : النثر والشعر ، فان المستقبل لن يبخسهم حقهم ، انهم لن يكونوا كأسلافهم يعيشون فى حمى الامراء ومن فضل ما يسخو به العظماء والكبراء . سوف يكونون قوة يرهب بأسها وتخشى سطوتها . سيكونون القادة الحقيقيين للشعب . وسيتحكمون فى القلوب والعقول يهيمنون على الشعب ويكيفون اخلاقه ويصبونه فى القالب الذى يشتهون

« وسيعكس المسرح حياتنا المخبوءة والظاهرة ويعيد الحياة الى تاريخنا المنسى . وسينشط كتابنا الى تأليف القصص السينمائية

« كل هذا سيؤدى الى تطور اللغة فان تقدم اللغات ظاهرة تدل على حيوية الامم . والادباء هم الذين يستطيعون وحدهم ترقية اللغات وبعث الحياة فيها »



ماذا علمـــني والدي
وماذا أبغى تعليمه لاولادي

حديث مع فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي شيخ الازهر الشريف السابق

ماذا تعلم وماذا يعلم

لفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الازهر السابق ، منزلة خاصة فى نفوس أصدقائه وعارفيه لم يكتسبها بجاه ورثه أو بثروة آلت اليه بل اكتسبها بفضل وصلاح اشتهر بهما وبعلم وافر عزز ما حباه الله به من خلق سام شريف. فلما عين شيخاً للازهر كان للنبأرنة فرح واغتباط فى البلاد رددت الصحف صداها فى الاجواء إذ شعر اصدقاؤه والذين سمعوا عنه بأن هذا المعهد الجليل سيستقبل عهداً جديداً ويحيا حياة جديدة

وأشهر ما اشتهر به فضيلته الصدق وعزة النفس ، واذا قلنا عزة النفس قلنا الصدق لان من كان عزيز النفس لا يسعه الا أن يكون صادقاً ، وقد بذل فى هذا السبيل الشيء الكثير وعانى كذلك الشيء الكثير

فرجل كهذا ، والرجال المشابهون له قليلون ، جدير بأن يسأل السؤال الذى خطر لنا ان نسأله إياه وهو : « ماذا علمك والدك ، وماذا تحب أن تعلمه لأولادك ؟ » ثم زدنا هـذا السؤال بياناً فقلنا : « لا بد أن يكون والدكم قد غرس فى قلبكم مبدأ أو مبادىء كان لها وقعها فى نفسكم على مر الاعوام فما هو هذا المبدأ أو ما هى هذه المبادىء وهل ترون الآن بعد انقضاء ثلاثين أو أربعين سنة على ذلك العهد ان ما علمكم والدكم إياه يليق بأن تعلموه لأولادكم أو تحبون أن تعلموهم اياه ؟ »

فابتسم فضيلته وقال بوداعته التى يعرفها اصدقاؤه : « وهل تريد أن تذكر اسمى ؟ »

فقلنا : « وما الفائدة اذن اذا لم نذكر اسمكم ؟ إن المهم فى ذلك صدوره عن رجل يجله الناس ويحترمونه ، فيقع كلامه فى نفوسهم وقعاً خاصاً »

فقال : « لا » . فقلنا : « حدثونا ثم نرى »

والده والصدق

فقال بتؤدته الخالية من كل كلفة وكبرياء وبصراحته المشهورة : « لا أستطيع أن أقول ان

والدى كان متعلماً كما أنه لا يسعنى ان اقول إنه كان جاهلا فقد دخل كتاب البلدة (المراغة) وهو حدث وتعلم فيه القراءة والكتابة وحفظ القرآن ثم انتقل الى العاصمة وأقام فى الازهر ثلاث سنوات عاد بعدها الى البلدة . هذا كل ما تعلمه ورزق ثمانية اولادكلهم على قيد الحياة كما أنه هو ما يزال حياً ولله الحمد ، وأنا أكبر اخوتى وقد تعلم ستة منا ولم يتعلق اثنان بالعلم حتى ان أحدهما لم يتعلم القراءة والكتابة الا بعدما ناهز الثلاثين .

« والذى اذكره دائماً عن والدى أنه كان يحرص على ان يصدق أنجاله فى القول فى كل كبيرة وصغيرة ولم يكن عنده شر من الكذب لاعتقاده أنه أساس كل رذيلة ، فكان يوصينا دائماً بالصدق مهما تحملنا فى سبيله من أذى »

عزة النفس وثمنها

« وقد لاحظت أنه فى أثناء تربيته لنا كان يراعى أن يشب كل منا عزيز النفس أبيها ، وكان لا يفتأ يردد قوله ان عزة النفس أثمن ما يقتنيه المرء فى دنياه ، وان من يفقد عزة نفسه يغدو كالعبد الذليل مهما أوتى من الجاه والمال الطائل »

خلق الأب فى الأولاد

فقلنا : « وهل ضرب لكم مثالا على عزة النفس »

فقال فضيلته : « نعم ، فى احوال كثيرة . وقد كان من العبث ان تحمله على اتيان عمل بالامر أو بالوعيد والتهديد »

فقلنا : « هذه صفة بارزة فى فضيلتكم وان كنتم تمسكون عن ذكرها تواضعاً منكم ولكن لا نظن ان التواضع يمنعكم عن أن تقولوا لنا هل هى صفة متجلية فى اخوتكم كذلك ؟ »

فقال : « أظن ذلك »

وختم فضيلته حديثه عن والده بقوله : « وقد كان والدى دائماً شديد التقوى فكان لذلك تأثير كبير فى نفوسنا »

فقلنا : « والدليل على ذلك ان بكره أصبح شيخاً للازهر » فابتسم فضيلته ومضى فى حديثه فقال : « وقد تلقى بعض اخوتى علومهم فى الازهر وأحرزوا شهادة العالمية »

اصول الاخلاق

وانتقلنا بعد ذلك الى الشطر الثانى من موضوعنا ، فقلنا لفضيلة الاستاذ الاكبر :

« لقد سمعنا ما غرسه والدكم فى نفسكم فهل تتفضلون الآن فتحدثونا عما تودون غرسه بدوركم فى نفوس انجالكم ؟ »

فقال فضيلته : « انى أوصيهم دائماً باصول الفضائل والاخلاق »

فقلنا : « وماذا تعنون باصول الاخلاق ؟ »

تحول التقاليد والعادات

فقال : « انى لا أتعرض لسلوك أنجالى فى حياتهم الاجتماعية من حيث التقاليد والعادات فان التقاليد والعادات تتغير على مر الايام وكر الاعوام ، فقد يكون اليوم من ادب الاجتماع أن أشيع زائرى حتى الباب ، وقد لا يصبح هذا التقليد ضرورياً غداً . وقد عرفنا تقاليد كثيرة من هذا القبيل تحولت مع الزمان وكان تحولها فى بعض الاحيان عظيما ، فليس من الحكمة أن أنصح لاولادى بأن يطبقوا على حياتهم اليوم ما كنت اطبقه على حياتى لما كنت فى سنهم بل انى أترك ذلك لحكمهم ولمقتضيات المكان والزمان اللذين يعيشون فيهما

« ولكن اذا قلنا ان التقاليد والعادات تتحول وتتغير ، فاننا لا نستطيع ان نقول ذلك فى الفضائل والاخلاق الاساسية . خذ الصدق مثلا فقد كان فضيلة فى العصور الغابرة وفى العصور الوسطى وفى هذا العصر ولا يمكن ان ينقلب الى رذيلة فى العصور القادمة ، فالصدق سيظل صدقاً وقد يحرج الصدق ولكن هذا لا يمنع انه صدق وان الصدق فضيلة »

مبدأ عزة النفس

« وان ما يقال عن الصدق يقال عن عزة النفس كذلك فانها ستظل فضيلة على الرغم من كل ما يقال أحياناً وبرغم كل ما يعمل احياناً أخرى »

فقلنا : « هذا صحيح وكم من أناس اضطهدوا فى عصور مختلفة لانهم كانوا اباة النفوس وأبوا ان يحيدوا عن شممهم »

فقال فضيلته وهو يحدق الى السماء : « ان البذل فى سبيل عزة النفس ضرورى لاحياء المبدأ ، أريد أن أقول ان من يضحى فى سبيل عزة نفسه يقيم الدليل المادى على ان المثل الاعلى الروحى ما يزال حياً ويحث ابناء جلدته على الاستمساك به . وكما أن شهداء الوطنية يغذون روح الوطنيـة فتتأجج نارها كذلك الذين يبذلون فى سبيل عزة نفوسهم يغذون هذا المبدأ الذى هو أساس المبادىء

« وأمنيتى لا تقتصر على ان يتزود أنجالى وحدهم بعزة النفس بل هى تتعداهم الى جميع الناس وقد علمنا التاريخ أنه ما من شعب تقوم له قائمة الا اذا كان أبى النفس عزيزها فاذا تسلح شعب بهذا السلاح الروحى فان كل سلاح مادى يفل الى جانبه

« هذا مبدأ لم تغيره السنون ولا يمكن للاجيال ان تغيره »

هل فشلت الديمقراطية ؟

وهل يتسنى للاجتماع النشوء بدونها ؟

تعانى الديمقراطية اليوم فى بعض أنحاء العالم محناً تهاجمها وتحاول القضاء عليها . وستصهر هذه المحن الديمقراطية كما تصهر النار المعادن فتخرجها نقية صافية . وليس غريباً أن تكون تلك المحن على أشدها فى بلاد الغرب . فهنالك نبتت الديمقراطية وهنالك خاضت أشد المعارك التى سجلها تاريخ الاجتماع

وفى الواقع أننا اذا نظرنا الى الديمقراطية باعتبارها نظاماً حكومياً ، رأينا من خلال مبادئها مشاكل عويصة قد شغلت أفكار علماء الاجتماع منذ أقدم الأزمنة خصوصاً بعد الحرب العظمى الماضية . ولا نعلم نظاماً وجه اليه الناس من المطاعن والمثالب ما وجهوه الى الديمقراطية ومع ذلك ما يزال قائماً وليس ثمة ما يدل على قرب انهياره . نعم انه لا يخلو من عيوب كثيرة ولكن معظم هذه العيوب ليست فى جوهر الديمقراطية بل فى أساليب تطبيقها

وقد زعم بعضهم ان هذا النظام لا يختلف عن النظام الاستبدادى المعروف الا فى كون الأخير نظاماً فردياً يتحكم به الفرد فى الجماهير ، حالة أن الديمقراطية تجعل السلطة الاستبدادية فى يد الجماعات . على أن هذا التعريف للديمقراطية لا ينطبق على حقيقتها بل هو مشوه لمحاسنها . ولئن كانت الديمقراطية غير منزهة عن الشوائب فانها ما تزال خير نظام حكومى خبره الأنسان ، وخير تعريف لها أنها حكم الشعب لخير الشعب بواسطة الشعب . وعلى كل فان أقل ما يقال فى وصف هذا النظام انه مناف للدكتاتورية أو الاوتوقراطية ، وأنه إذا كان يبدو فى بعض مظاهره بثوب الديكتاتورية فذلك من عيوب تطبيقية

النظام الاستبدادى : فوائده ومضاره

لا ريب فى ان النظام الاستبدادى أو الاوتوقراطى او الديكتاتورى هو اقدم نظم الاجتماع واعرقها ، وعليه قام نظام الاسرة منذ أقدم الازمنة وكان يجب ان يكون النظام الطبيعى للاجتماع ولكل الحكومات لولا فكرة المساواة التى تجعل كل انسان يدعى بأن له ما لكل فرد آخر مثله من الحقوق وعليه مثل ما على كل فرد من الواجبات . على ان فكرة النظام فى حد ذاتها تقتضى الخضوع لسلطة عليا مطلقة سواء أكنا فى كنف الاوتوقراطية ام فى كنف الديمقراطية . وهذه السلطة فى الاسرة هى رب الاسرة . وفى الحكومة الاوتوقراطية هى الحاكم . وفى

الديمقراطية هي الشعب . ولا ريب انه لو استطعنا أن نضمن ان يكون الحاكم المطلق عادلا منزها عن الهوى لكان ذلك خير النظم الحكومية وأفضلها . ولكن ما عاناه البشر من استبداد الحكام المطلقين يجعلهم ينفرون من الاوتوقراطية ولا يسكنون الى سلطة الفرد

وللنظام الاوتوقراطي ـ بشرط افتراض قيامه على العدل ـ فوائد لا يمكن انكارها . وفى مقدمة تلك الفوائد حصر السلطة فى جهة واحدة وعدم توزيعها توزيعاً لا ينطبق على مقتضيات النظام . ولكن اذا كان لهذا النظام حسنات فانها تذهب بسبب سوء تطبيقه وعدم الاهتمام بغير المصلحة الشخصية فى إدارة حركته . وبعبارة أخرى ـ ان سوء هذا النظام غير متأت فى الاصل عن طبيعته بل عن جهل الذين يقومون بتطبيقه وأنانيتهم وإيثارهم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة . والمفروض فى نظام الاسرة ـ وهو خير أنموذج للنظام الاوتوقراطي ـ أن رأس الاسرة لا يتحكم فى شؤون أسرته لمصلحته هو بل لمصلحة الاسرة كلها . هذه هي القاعدة فاذا شذ عنها كان شذوذه تشويهاً لنظام الاتوقراطية

ومن دواعي الإسف ان الذين تنتهى اليهم مقاليد السلطة قلما يؤثرون المصلحة العامة على مصالحهم الخاصة الا اذا كان لهم من وراء ذلك غاية معينة . وههنا وجه الخطر فى النظام الاوتوقراطى . فلو امكن ضمان إيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة فى هذا النظام لكان المثل الاعلى للنظام الحكومى

ولنفرض ان رب اسرة وزع سلطته الطبيعية على السواسية اولاده ، وان اولاده هؤلاء يختلف بعضهم عن بعض ـ كما هو المتوقع ـ فى طباعهم واخلاقهم وامزجتهم ونفسيتهم ودرجة تعليمهم . فماذا تكون نتيجة توزيع تلك السلطة ؟

يدعى كل منهم انه مطلق التصرف فى شؤونه وله من السلطة ما لاخيه تماماً وفى هذا ما فيه من تنازع السلطة وارتباك النظام . وهذا ما يعيبه انصار الاوتوقراطية او النظام المطلق على الديموقراطية اذ يقولون ان السلطة فيها موزعة غير كاملة

النظام الديمقراطي : عيوبه ومزاياه

ويخطىء من يظن ان النظام الديمقراطى حديث العهد او انه من مواليد العصور الحديثة . فهذا النظام قائم على الشورى وقد امرت الاديان المنزلة بالقسط والشورى وعدم الاستبداد . ثم ان الديمقراطية هى اساس النظم الجمهورية وقد كانت الجمهوريات والحكومات الشبيهة بالجمهوريات كثيرة الشيوع فى الازمنة السالفة . من ذلك جمهورية أثينا المعروفة فى التاريخ وقد نبغ فيها الكثيرون من أهل الرأى والحصافة . وكان النظام الديمقراطى أقرب إلى نفسية الشعب

اليونانى فى الأزمنة القديمة وأقرب إلى نفسية الشعوب المستوطنة سواحل البحر الابيض المتوسط.
واذا قلنا النظام الديمقراطى فلا نعنى به حتما النظام الجمهورى فليست الجمهورية والديمقراطية مترادفتين كما يتبادر إلى ذهن الكثيرين بل كثيراً ما يكون النظام الملكى أقرب إلى الديمقراطية من النظام الجمهورى . وأبلغ مثال على ذلك نظام الحكم فى انجلترا فهو ملكى ولكنه اكثر انطباقاً على مبادىء الديمقراطية من نظام الحكم الجمهورى فى الولايات المتحدة حيث لرئيس الجمهورية من السلطة أضعاف ما لملك انجلترا ، وحيث سلطة الكونجريس أقل من سلطة البرلمان الانجليزى

على أن للديمقراطية كما هى الآن شوائب ظاهرة وعيوباً يتمسك بها أعداؤها ويأخذونها عليها . ومن هذه العيوب ما هو فى طبيعة الديمقراطية نفسها ومنها ما هو ناشىء عن طريقة تطبيقها . وقد أشرنا الى الاخيرة منها وليست هى موضوع بحثنا الآن . أما العيوب التى هى فى طبيعة الديمقراطية نفسها فأهمها ما يأتى :

أولا - توزيع السلطة وتعدد الاحزاب

لا شك أن هذا فى مقدمة المآخذ على النظم الديمقراطية وان يكن الكثيرون يحسبونه مزية لا نقصاً . على أنه لو كان توزيع السلطة هو النظام الذى يسميه علماء الاقتصاد توزيع العمل ما كان ثمة شك فى انه لخير الجمهور وللمصلحة العامة . ولكن توزيع السلطة ليس مرادفا لتوزيع العمل وليست السلطة اعتباراً مادياً حتى يجوز توزيعه أو تجزئته . وانما السلطة قوة غير مادية يجب حصرها فى مصدر واحد سواء أكان هذا المصدر مستمداً تلك السلطة من الامة أم من مورد آخر

ومن الامثلة الشائعة عند الانجليز أن كثرة الطباخين تفسد الطعام . ويقابله المثل العامى وهو ان السفينة التى يديرها ربانان تغرق ، على ان الاختبار يعلمنا ان خير القرارات ما يصدر بعد الجدال والمناقشة واخذ الرأى . فالشورى لازمة لتلافى الوقوع فى الخطأ على قدر الامكان والشىء الوحيد الذى يمكننا ان نأخذه على اباحة الرأى فى المجالس النيابية هو انه مدعاة الى تعدد الاحزاب ، وتعدد الاحزاب قد يكون لازماً الى حد محدود فاذا جاوز الحد أصبح عيباً من عيوب النظم الديمقراطية . وهذا ما نشاهده الآن فى معظم البلدان الاوربية حيث تتعدد الأحزاب وتتضارب المصالح فيتعذر ثبات الحكومات

ثانياً - نقص النظام التمثيلى او النيابى

وهذا يأتى بنا الى العيب الثانى من العيوب التى هى فى طبيعة النظم الديمقراطية وفى الواقع ان كبار رجال السياسة وعلماء الاجتماع فى جميع انحاء العالم يدركون نقص النظام التمثيلى وما

يؤدى اليه من الأضرار . وقد اقترحوا عدة طرق لمعالجته أو لتخفيف وطأة ضرره فلم تسفر مساعيهم عن النجاح

والضرر الذى ينشأ عن نقص النظام التمثيلى مزدوج . فهو من الجهة الواحدة يغمط حق بعض الطوائف والجماعات ويحولدون تمثيلها تمثيلا صحيحاً . ومن الجهة الاخرى يؤدى الى تعدد الاحزاب تعدداً ليس فى مصلحة النظام ولا يساعد على استقرار الحكومات

وقد ارتأى بعضهم اصلاح النظام النيابى بسن قانون للانتخاب النسبى أو الانتخاب المبنى على المصالح أو المهن أو الطوائف أو الاديان ، أو الحدود الجنسية أو الجغرافية أو ما الى ذلك . ولكن ليس فى أحد هذه النظم ما يمكن اعتباره أنموذجاً للعدل أو الكمال . بل ان لكل منها مساوىء وشوائب لايتسع هذا المجال لشرحها . وفى الواقع ان هذا اعظم عيب من عيوب الديمقراطية وجميع رجال السياسة وعلماء الاجتماع يعترفون بذلك . واذا كانت الديمقراطية تعانى المحن فى الوقت الحاضر فذلك ـ بلا أقل ريب ـ ناشىء عن فساد النظم الانتخابية التى لا يمكن أن تساعد على ايجاد هيئة نيابية أنموذجية تمثل الامة تمثيلا حقيقياً لايتطرق الشك اليه

قلنا ان تعدد الاحزاب ناشىء قبل كل شىء عن نقص فى النظام التمثيلى ، وانه متى جاوز هذا التعدد الحد المعقول كان سبباً فى تعب الحكومات وعدم استقرارها وسرعة انهيارها مما ليس فيه مصلحة للوطن . وفى الواقع انه كلما قلت الاحزاب كانت الحكومات أدعى الى الثبات وأقدر على خدمة الوطن وتصريف شؤون الدولة . وهذا ما نشاهده فى انجلترا والولايات المتحدة حيث الاحزاب السياسية على أقلها فان الحكومات فيها أثبت عادة من الحكومات فى غيرها . واذا تسنى للحكومة الاستقرار فى دست السلطة مدة من الزمن أمكنها أن تصرف شؤون الدولة على وجه أدعى الى الاطمئنان . ومن دواعى الاسف ان الاحزاب فى كل دولة من دول العالم قلما تخلو من مطامع حزبية مهما ادعت بانها لاتخدم إلا المصلحة القومية . ولذلك ترى كل حزب يوجه قواه ـ قبل كل شىء ـ الى اقصاء الأحزاب الاخرى عن الحكم والاستئثار بمقاليد السلطة

مظاهر الصراع بين الأوتوقراطية والديمقراطية

واذا وجهنا أبصارنا الآن الى بلاد الغرب التى يحسبها البعض مهد النظم الديمقراطية وجدنا الصراع على اشده بين تينك القوتين العظيمتين ونعنى بهما الديمقراطية والاوتوقراطية . ترى هل ملت أوربا الديمقراطية وهل بلغ من فشل هذا النظام فيها أن غير الناس افكارهم بشأنه وصاروا يرون خلاصهم آتيا عن النظام الاوتوقراطى الاستبدادى ؟

لاشك أن تطبيق النظم الديمقراطية هنالك أدى الى متاعب كثيرة حتى صار الكثيرون ـ

حتى من أنصار الديمقراطية نفسها - يشكون من هذا النظام مر الشكوى ويرون العلاج الوحيد فى الرجوع الى النظم الاستبدادية . واننا نكرر هنا ماقلناه آنفا وهو انه اذا أمكننا أن نضمن قيام حكم استبدادى عادل كان ذلك هو الحكم النموذجي الذى فيه خلاص الاجتماع . ولكن ضمان ذلك غير مستطاع فى جميع الاحوال

أما كون بعض البلاد فى أوربا قد اختارت الحكم الديكتاتورى بدلا من الحكم الديمقراطى فراجع الى اخلاق كل أمة ونفسيتها ودرجة نضوجها السياسى ومستوى تعليمها وسعة ادراكها لعظم التبعات التى تقع على عاتق من تلقى اليه مقاليد السلطة والحكم . ولا شك أن عودة بعض الدول الى النظام الاستبدادى دليل على فشل الديمقراطية فيها وعلى عدم ملاءمة هذا النظام لاخلاق شعبها ونفسيته فى الوقت الحاضر ثم ان فى الرجوع الى الديكتاتورية شبه « تأديب » لاولئك الذين اساءوا الى الديمقراطية بسوء تطبيقهم لمبادئها

وبعبارة أخرى - ان الديمقراطية فى اى قطر قد تصاب بالفشل من وقت الى آخر . فاذا تعذر ملافاة ذلك الفشل - وكثيراً ما يتعذر - فلعل افضل علاج لذلك هو تعطيل الديمقراطية مؤقتاً والعودة الى النظام الاستبدادى بشرط ان يستطاع ضمان العدل مع الاستبداد

٭٭٭

وهنالك حقيقة يجب ألا تغرب عن البال وهى ان الديمقراطية - بخلاف الأوتوقراطية - تتفق مع مبادىء النشوء والارتقاء . وفى مقدمة المهام الملقاة على عاتقها توفير السعادة للجماعات وتوسيع نطاق الرخاء لها او على الاقل لاكبر عدد ممكن منها . نعم ان توفير السعادة لكل فرد فى حد ذاته ليس من الامور الممكنة ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله

ان الديمقراطية تقاوم اليوم العوامل المتألبة عليها مقاومة شديدة والكثيرون من علماء الاجتماع يعتقدون أنها قد فشلت - حتى فى أشد البلاد تمسكا بمبادئها - وان نجاة العالم الوحيدة هى فى العودة الى النظام المطلق فى كل بلاد يستطاع فيها ضمان العدل مع الاستبداد . ومن العبث أن نكر ان الديمقراطية قد فشلت فى بلاد كثيرة . ولكن فشلها ليس فى الغالب ناشئاً عن عوامل هى مسؤولة عنها بل هو ناشىء عن سوء تطبيق مبادئها أو عدم نضوج الذين يراد تطبيقها عليهم وعن فساد بعض المبادىء التى تقوم عليها كقوانين الانتخاب والتمثيل الحزبى وعدم صلاحها فى اكثر الاحوال لحاجات الجماعات . ولاشك ان ناموس التطور يقضى بتطبيق مبادىء الديمقراطية تطبيقاً تدريجياً . أما الطفرة فى تطبيقها فمؤدية الى الفشل لا محالة

الدين الاسلامي ووجهته

كلمة اسلام : أصلها ومعناها وتطوراتها

بقلم الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

القى الاستاذ العلامة الشيخ مصطفى عبد الرازق في الجامعة الاميركية ببيروت في أوائل هذا العام ثلاث محاضرات عن الدين الاسلامي دلت على سعة اطلاعه وغزارة علمه ، وقد نشرنا في العددين الاخيرين من السنة الاربعين محاضرتين من المحاضرات الثلاث ، وفيما يلي المحاضرة الثالثة من تلك السلسلة القيمة

١ - النظريات المختلفة

في المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لكلمة اسلام

١ ــ الدين الذى جاء به محمد بن عبد الله النبى العربى المولود بمكة سنة ٥٧١ م المتوفى بالمدينة سنة ٦٣٢ م معروف باسم « الاسلام » منذ عهده الاول . وقد يسمى السلم بكسر السين والسلم بفتحها على ما ذكره « لسان العرب » . وهذه الاسماء الثلاثة هى ألفاظ عربية المادة والصيغة فلها عند العرب معان هى حقائق لغوية . ولما استعملت النصوص المقدسة الاسلامية هذه الالفاظ فى الدلالة على الدين الاسلامي كان ذلك بالضرورة تصرفا فى المعنى اللغوى الاصلى

وقد جرى عرف العلماء على تسمية الالفاظ المستعملة فى معان وضعها لها الشرع بالاسماء الشرعية ، كالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وكالايمان والكفر . وربما خص ما يتعلق بالعقائد مثل الايمان والكفر بالاسماء الدينية . ويذكرون فى كتب أصول الفقه خلافا فى الاسماء الشرعية نفيا واثباتا فى الوقوع ، على معنى ان ما استعمله الشارع من اسماء أهل اللغة كالصوم والايمان هل خرج به عن وضعهم الى وضع مستحدث أو لم يخرج به عن وضعهم وانما استعمله استعمالا مجازياً جارياً على أساليبهم ؟ . قال بالاول القاضى ابو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٤ هـ ١٠١٣ م وقال بالثانى المعتزلة والخوارج والفقهاء . ويستفاد من هذا البحث ــ الذى فصله سيف الدين ابو الحسن على الآمدى المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ١١٨٦ م فى كتاب « الاحكام فى أصول الاحكام » ج ١ ص ٤٨ ، ٦١ ــ أن علماء الاسلام يعتبرون المعانى الشرعية متفرعة عن المعانى اللغوية وثيقة الصلة بها

٢ ــ وقد عنى المفسرون والمتكلمون واللغويون وغيرهم من الباحثين برد المعنى الشرعى للفظ « اسلام » الى أصله اللغوى

وجمع الفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ١٢٠٩ فى تفسيره لقوله تعالى : « ان الدين عند الله

الاسلام » جملة المذاهب فى ذلك فقال : « وأما الاسلام ففى معناه فى أصل اللغة ثلاثة أوجه : (الاول) أنه عبارة عن الدخول فى السلم أى فى الانقياد والمتابعة قال تعالىٰ : « ولاتقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا .... » (س ٤ النساء مدنية آية ٩٤) أى لمن صار منقادا لكم ومتابعاً لكم (الثانى) من أسلم أى دخل فى السلم كقولهم اسنى وأقحط وأصل السلم السلامة (الثالث) قال ابن الانبارى (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ٩٣٨ م) : المسلم معناه المخلص لله عبادته من قولهم سلم الشيء لفلان خلص له فالاسلام معناه اخلاص الدين والعقيدة لله تعالى » ج ٢ ص ٤٢٣ المطبعة الخيرية سنة ١٣١٨ هـ

٣ ـ أما المحدثون فجمهرة المستشرقين منهم ترى : أن اسم (اسلام) يرجع الى معنى من الطاعة والخضوع غير ارادى أى التسخير لارادة قاهرة ، يقول جولد صيهر Goldziher : « اسلام بمعنى خضوع أى خضوع المؤمن لله ، وهذه الكلمة ، التى هى أوفى من كل كلمة غيرها فى تعيين المنزلة التى جعلها محمد للمؤمن فى علاقته بمعبوده ، عليها طابع ظاهر من الشعور بالتبعية والقدوة لا تحيط بها حدود ، ويجب على الانسان أن يستسلم لها متبرئا من كل حول له وقوة » (عقيدة الاسلام وشريعته Le Dogme et la Loi de l'Islam ص ٢) . ويشير الى مثل ذلك القول (أرنولد) Arnold فى الفصل الذى كتبه عن (اسلام) فى دائرة المعارف الاسلامية Encyclopédie de l'Islam ولا يختلف ما ذكره (بابنجر) Babinger فى الفصل الذى كتبه عن الاسلام فى كتاب « اديان العالم » Religions du Monde عن كلام (جولد صيهر) فى شيء

وقد تنبه (سيد أمير على) الى أن أمثال هؤلاء المستشرقين اعتبروا معنى الانقياد الذى فسر به لفظ أسلام انقيادا مطلقاً لارادة لا حدود لسلطانها ، ولا كسب لاحد معها فجاء يبين فى كتابيه (روح الاسلام Spirit of Islam واسلام Islam) أن ليس فى استعمال كلمة اسلام لغة أو شرعا ما يدل على معنى الانقياد المطلق والخضوع المتضمن لمعنى الجبر كما يفرضه عادة أكثر الباحثين من علماء الغرب . على ان (سيد أمير على) يقرر ان المعنى الشرعى للاسلام هو السكد فى تحرى الرشد والتماس الفلاح بتزكية النفس كما يؤخذ من الآيات : « وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا » سورة ٧٢ الجن (مكية) آية ١٤ . « ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » سورة ٩١ الشمس (مكية) آية ٧ ـ ١٠ وذلك يستلزم معنى الطاعة الارادية ظاهراً وباطناً . والرشد هو الهدى والفلاح ، وهو الذى يهدى اليه القرآن من تصديق خبر الله وامتثال أمره . كما فى كتاب (مفتاح دار السعادة) لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ج ١ ص ٤٠ ـ ٤٢

وبهذا البيان يتضح ما فى كلام ادواردسل Edward Sell من التعسف فى تأويل رأى سيد أمير

على مقال أدوارد سل عن الاسلام فى دائرة المعارف الدينية والخلقية ج ٧

يرى (ادواردسل) ان اعتبار المؤلفين الاوروبيين أن لفظ (اسلام) يعبر عن الاذعان التام لارادة الله فى كل شؤون العقائد والاحكام توسع فى فهم معنى اللفظ اذ هو انما يدل على معنى أخص من الاذعان المطلق ، فهو انما يدل على الاذعان العملى ويستشهد بقول سيد أمير على ان الاسلام هو تحرى الرشد

ثم يحاول (ادواردسل) أن يجعل جملة ماورد فى القرآن من لفظ (اسلام) ومشتقاته مؤديا معنى الانقياد الظاهر والطاعة بالجوارح ويزعم أن المفسرين يبدو أنهم مجمعون على استعمال اللفظ فى معنى آلى ، ويقول : ان هذا يتفق وعدم ورود كلمة « اسلام » فى السور الاولى ، إذ هى لم ترد الثمانى مرات : منها ست فى السور المدنية واثنتان فى السور المكية الأخيرة ، ويرجع ذلك الى أن أركان الدين العملية لم تصر جزءاً منه على وجه قاطع حتى كون محمد دينه فى المدينة ، ويخلص من ذلك الى أن لفظ « اسلام » عند ماينظر اليه من وجهة النظر المحمدية يفقد كثيراً من جماله الروحى الذى تجمع حول فكرة الخضوع التام لارادة الله ، ويصبح مؤيداً للمبدأ اليهودى القائل بأن المهم ليس هو روح الشريعة ، بل المهم هو مراعاة الاداء الصورى لواجبات ظاهرة خاصة

ودعوى « ادواردسل » : أن كلام « سيد أمير على » يفيد قصر الاسلام على خضوع الجوارح دون خضوع القلب لا يمكن أن يؤخذ من عبارات « سيد أمير على » فى كتابه ما يؤيدها . ومحاولة « ادواردسل » أن يجعل جملة ماورد فى القرآن من لفظ « اسلام » وما اشتق منه مؤدياً معنى الانقياد الظاهر والطاعة بالجوارح فقط محاولة لاتقوم على أساس ، لأن ماذكر فى القرآن من لفظ « اسلام » وما اشتق منه مقابلا للايمان ومخالفا له ـ بحيث يدل الاسلام على العمل الظاهر والايمان على التصديق ـ لايعدو ثلاث آيات على ماورد فى كتاب « حجج القرآن » لأبى الفضل احمد بن المظفر الرازى الحنفى ، أتم كتابه سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢م أولايعدو أربعا كما هو الواقع ، اذ ترك صاحب الكتاب آية ٥ س ٦٦ التحريم مدنية

أما اجماع المفسرين على استعمال لفظ اسلام . فى معنى آلى فغير صحيح كما يتضح لكل مطلع على التفاسير المختلفة للقرآن . وسيأتى مايؤيد ذلك فيما يلى . وعدم ورود لفظ « اسلام » فى السور الاولى لاينتج مايريد أن يستنتجه المؤلف فقد وردت صيغة اسم الفاعل من أسلم فى ٣٩ آية ، المكيات منها ٢٤ والمدنيات ١٥ وبعض هذه المكيات فى سور غير متأخرة كما فى آية « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » سورة ٦٨ القلم (مكية) آية ٣٥ وهى السورة الثانية فى ترتيب نزول القرآن على ما نقله صاحب الفهرست عن نعمان بن بشير . وكما فى آية ١٤ سورة ٧٢ الجن (مكية) التى ورد فيها الفعل أيضا

ولكارا دى فو Carra de Vaux رأى فى معنى كلمة « اسلام » وأصلها بينه على الوجه الآتى

«كان من تبع ابراهيم يسمى حنيفاً ومعناه المائل لانهم مالوا عن عبادة الاصنام التى كانت قد فشت فى العالم، أو يسمى المسلم أى الذى يجدد ويصون الشيء سالما ذلك بأنهم جددوا وصانوا التوحيد الخالص . وتفسير (مسلم) بأنه المستسلم لله أو المسلم نفسه لله أبعد غوراً فى التصوف من أن يكون المعنى الأصلى» (كارادى فو . مفكرو الاسلام ج ٣ ص ٥٥) وهذا الرأى غير وجيه من الناحية اللغوية فانه ليس فى مادة «اسلام» ولا صورتها مايؤيده على مقتضى أصول اللغة وقواعد الاشتقاق، وما علمنا بأن من مدلولات هذه المادة التجديد أو الصون ولا رأينا أن صيغة أفعل تفيد أحد هذين المعنيين

ب - النظرية الراجحة

فى المعنى اللغوى والمعنى الشرعى لكلمة اسلام

١ - من تأمل فيما ذكره اللغويون من معانى مادة (سلم) على اختلاف ألفاظها وصيغها متحرياً البحث عما يصلح أن يكون أصلا يتفرع عنه سائر المعانى وجد فى كتب اللغة المعتبرة مثل كتاب الاشتقاق لابن دريد والصحاح للجوهرى، والمفردات فى غريب القرآن، ولسان العرب لابن منظور والمصباح المنير للفيومى - أن السلام بكسر السين والسلم بكسر اللام، الحجارة الصلبة سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة والواحدة سلمة، واستلم فلان الحجر الاسود هو افتعل من السلمة، وان السلم بفتحتين شجر عظيم له شوك ورقه القرظ يدبغ به واحده سلمة بفتحتين أيضا كأنما سمى بذلك لاعتقادهم انه سليم من الآفات ويقال منه سلمت الجلد بفتح اللام اسلمه بكسرها اذا دبغته بالسلم . ولعل هذه المعانى هى التى ينبغى أن تكون هى الاصل الاول لمادة سلم وعنها تفرعت جميع الاستعمالات الاخرى . ذلك بأن هذه المعانى هى أمور مادية محسوسة قريبة الى حياة البداوة فهى أجدر أن تكون أصلا لوضع المعانى المجردة . وقد ولد العرب من هذه المعانى معانى أخرى وضعية حقيقية قائمة على معنى الخلوص الذى هو ملحوظ فى المعانى الاولى

وهذه المعانى الحقيقية المولدة هى: (١) معنى الخلوص من الشوائب الظاهرة أو الباطنة، وفى معاجم اللغة أن السلم بفتح فسكون والسلام والسلامة تكون بمعنى الخلوص والتعرى من الآفات الظاهرة أو الباطنة (٢) معنى الصلح والامان . ويقول اللغويون: ان السلم والسلم بكسر السين وفتحها لغتان فى الصلح يذكران ويؤنثان كالسلام (٣) معنى الطاعة والاذعان فالسلم بفتحتين على ما فى كتب اللغة والسلم بفتح فسكون والسلم بكسر فسكون الاستسلام والاذعان والطاعة

ويرد اللغويون (السلام) الذى هو اسم من اسماء الله والسلام بمعنى التحية والدعاء الى معنى الخلوص والسلامة من المكاره والآفات . ورد السلم بمعنى السلف الى هذا المعنى غير عسير

وفعل اسلم يستعمل فى اللغة على وجهين:

احدهما ــ أن يستعمل لازماً

الثانى ــ أن يستعمل متعدياً

واللازم يكون بمعنى الدخول فى السلم بمعنى الصلح أو الطاعة وقد ذكر علماء الصرف أن صيغة افعل اللازم تأتى بمعنى الدخول فى شىء كأصبح بمعنى دخل فى الصباح وأقحط دخل فى القحط واعرق دخل فى العراق

وأما المتعدى فصيغة افعل فيه ترد للتعدية وهى تصيير الفاعل قبل دخول الهمزة مفعولا، فاسلم الشىء لفلان منقول بالهمزة عن سلم الشىء لفلان خلص له من غير منازع كسلمه له تسليما المنقول بالتضعيف وحقيقة معناه اخلصه له وجعله له سالماً

ولفظ « اسلام » مصدر اسلم لازماً كان أم متعدياً فهو صالح للدلالة على كل مايدل عليه الفعل من المعانى السالفة

هذه هى جملة المعانى اللغوية لمادة « سلم » وما تفرع عنها، وقد ورد فى القرآن استعمال كثير من صيغ هذه المادة فى معانيها اللغوية

فورد معنى الخلوص والبراءة من الشوائب الظاهرة والباطنة فى الآية ٧١ من السورة ٢ البقرة (مدنية) « قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها » وفى الآية ٨٩ من السورة ٢٦ الشعراء (مكية) « إلا من أتى الله بقلب سليم » وورد فى غير هاتين الآيتين أيضاً، وجاء معنى الصلح فى مثل الآية ٣٥ سورة ٤٧ محمد مدنية « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » والآية ٦١ سورة ٨ الانفال (مدنية) « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم »

واستعمل القرآن بعض صيغ هذه المادة فى معنى الانقياد والخضوع كما فى الآية ٢٦ سورة ٣٧ الصافات (مكية) « بل هم اليوم مستسلمون »

٢ ــ على ان القرآن استعمل لفظ (اسلام) وفعله والوصف منه فى معنى شرعى خاص ، وقد اختلفوا فى هذا المعنى الشرعى على مذاهب ثلاثة :

ا ــ قال قائلون : ان الاسلام هو الايمان ، ومعنى الايمان باتفاق أهل العلم من اللغويين وغيرهم (التصديق) كما فى لسان العرب ، وذهب هذا المذهب الفخر الرازى فى تفسيره عند آية « ان الدين عند الله الاسلام » مستدلا عليه

ب ــ وقال آخرون : ان لفظ (اسلام) يطلق فى لسان الشرع على معنيين : (أحدهما) الايمان (والثانى) معنى أعم من الايمان وهو الانقياد بالقلب أو بالظاهر ، وقد نقل هذا المذهب النووى فى شرحه على صحيح مسلم عن الخطابى

ومن القائلين بأن لفظ (اسلام) يطلق فى لسان الشرع على معنيين من يفسر هذين المعنيين

عما فسرهما به الراغب الاصفهانى فأحد المعنيين هو الايمان ، وهو الاعتراف باللسان ، والثانى فوق الايمان ، وهو أن يكون مع الاعتراف باللسان اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله فى جميع ما قضى وقدر

ج ـ وقال قائلون : ان الاسلام يطلق شرعاً على ثلاثة معان ، وعلى هذا جرى الغزالى فى الاحياء وهذه المعانى الثلاثة هي :

أولا ـ اطلاق الاسلام بمعنى الاستسلام ظاهراً باللسان والجوارح ، مع اطلاق الايمان على التصديق بالقلب فقط ، وبذلك يكون الايمان والاسلام مختلفين

ثانياً ـ أن يكون الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعاً ، ويكون الايمان عبارة عن التصديق بالقلب ، فالايمان أخص من الاسلام

ثالثاً ـ أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعاً ، وكذا الايمان ، وعلى هذا فالاسلام والايمان مترادفان

٣ ـ وأثر الفرق الاسلامية ظاهر قوى فى هذا الخلاف المرتبط بمسألة احتدم فيها النزاع بين الفرق وهي مسألة الكفر بارتكاب الكبيرة

فالاشعرية لايكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه مالم يرتكبه مستحلا له غير معتقد تحريمه . خلافا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبائر يكفر و يزول عنه الايمان . وخلافا للقدرية والمعتزلة القائلين بأنه يخرج من الايمان ولا يدخل فى الكفر ، فيكون بين الكفر والايمان ـ الابانة للأشعرى ص ١٠ وشرح الفقه الأكبر لأبى منصور الماتريدى المتوفى سنة ٣٣٣ هـ ص ٢ ـ ٤ طبع الهند

بل ان الفرق جعلت مسألة المعنى الشرعى للاسلام والايمان ، من أسس نزاعها صراحة فالأشعرى يقول فى الابانة : « ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل اسلام ايماناً » ص ١٠ ويقول الطبرسى الشيعى فى تفسيره مجمع البيان : « والأسلام والايمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة » ج ١ ص ١٧٥ طبعة فارس سنة ١٣٠٤ هـ

فالخلاف على هذه المسألة انما هو فى الحقيقة من تمحلات الفرق والتماسها دقائق البحث اندفاعا وراء جموح النظر فهو مصطنع اصطناعا

٤ ـ ولكنهم يريدون أن يلتمسوا سبباً لهذا الخلاف فى القرآن نفسه وعندهم أن منشأه أن علماء الاسلام وجدوا فى آيات القرآن ماذكر فيه الاسلام مقابلا للايمان على وجه يشعر بالتغاير بينهما : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ، ولمايدخل الايمان فى قلوبكم » آية ١٤ سورة ٤٩ الحجرات (مدنية) . « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات

مؤمنات » آية ٥ سورة ٦٦ التحريم (مدنية) . « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات . . » آية ٣٥ سورة ٣٣ الاحزاب(مدنية) . « الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين » آية ٦٩ سورة ٤٣ الزخرف(مكية) . كما وجدوا فى آيات مايدل على أن الاسلام والايمان واحد : « وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » آية ٨٤ سورة ١٠ يونس (مكية) . « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » آية ٣٥ ، ٣٦ سورة ٥١ الذاريات (مكية) . « يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هدا كم للايمان ان كنتم صادقين » آية ١٧ سورة ٤٩ الحجرات (مدنية)

وقد أرادوا التحلل من هذا الاشكال بأن جعلوا (للاسلام) فى لسان الشرع معانى مختلفة

على أن الامر لايدعو الى ذلك فان القرآن استعمل من مادة (سلم) صيغا كثيرة فى معانيها اللغوية كما استعملها العرب ولكنه استحدث للفظ (اسلام) وما اشتق منه معنى واحداً شرعيا استعمله فى آيات غير قليلة ، وهذا المعنى هو : التوحيد واخلاص النفس لله وحده لايكون فيها لغيره شرك يعبد ويسمى الها . وهو معنى مولد من المعنى اللغوى الذى هو الخلوص والسلامة . قال ابن دريد فى كتاب (الاشتقاق) جـ ١ ص ٢٢ « واشتقاق المسلم من قولهم أسلمت لله أى سلم له ضميرى »

أما سائر استعمالات القرآن لهذه المادة فاستعمالات لغوية جارية على الاوضاع والاستعمالات العربية الحقيقية وقد ذكر ما يفيد ذلك الزمخشرى فى الكشاف عند تفسير آية « ان الدين عند الله الاسلام »

٥ ــ والادلة على أن معنى الاسلام الشرعى هو التوحيد واخلاص الضمير لله من وجوه :

(أحدها) أن القرآن يقرر أن الدين واحد على لسان جميع الأنبياء وهو الايمان بما يجب الايمان به وانما تختلف الشرائع أى الاحكام العملية : « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب » آية ١٣ سورة ٤٢ الشورى (مكية) .

يراجع تفسير الطبرى ، والكشاف ، والرازى ، والبيضاوى . « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو إلا ذكرى للعالمين » آية ٩٠ سورة ٦ الانعام (مكية) يراجع الكشاف . « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . . . . . » آية ٤٨ سورة ٥ المائدة (مدنية) . يراجع الطبرى

ويراجع كتاب مفتاح دار السعادة الطبعة الاولى بمصر جـ ٢ ص ١٢٦ ، ١٢٧ وكتاب حجة الله البالغة جـ ١ ص ٦٨ ، ٦٩

ودين الله الواحد الذى لايدخله النسخ ولايختلف باختلاف الانبياء هو فى عرف القرآن المسمى اسلاما « ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم . ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ؟ فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » آية ١٩ ، ٢٠ سورة ٣ آل عمران (مدنية) يراجع الكشاف ايضا . « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » آية ٣ سورة ٥ المائدة (مدنية) . وهذه الاية الاخيرة نزلت يوم عرفة فى حجة الوداع . قالوا : ولم يعش النبى بعدها الا ٨١ ليلة وهى تدل على أن الدين الذى هو الاسلام هو التنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع التى كملت فى القرآن . أما الاحكام العملية فهى تختلف باختلاف الانبياء والامم وقد تتغير بتغير المظان ، ولم يجمعها القرآن إلا إجمالا بتبيينه الأصول التى تستمد منها تلك الاحكام ولم تكن كملت عند نزول الآية ، يراجع تفسير البيضاوى لهذه الآية والموافقات للشاطبى ج ٣ ص ٦٢ وج ٤ ص ١١٦ ، ١١٧

وقد ثبت بما ذكرناه أن الدين فى عرف القرآن هو الايمان بالاصول الدينية التى هى حقائق خالدة لايدخلها النسخ ولا تختلف فيها الانبياء . وأن الاسلام هو هذا الدين إذ لادين غيره عند الله

(ثانيها) أن صيغة « اسلام » وردت فى القرآن مضافة وغير مضافة فى ثمان آيات ، ست منها مدنية وآيتين مكيتين . أما المكيتان فهما : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام .... » آية ١٢٥ سورة ٦ الانعام (مكية) ، « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » آية ــ ٢٢ سورة ٣٩ الزمر (مكية) والآيتان صريحتان فى أن الاسلام فيهما هو الايمان الخالص الذى موضعه الصدر أى القلب

أما الآيات المدنية فهى :

« ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين » آية ٧ سورة ٦١ الصف (مدنية) . وتفسير الاسلام فى هذه الاية بالايمان تدل عليه الآيات اللاحقة دلالة ظاهرة ، « يحلفون بالله ماقالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا .... » آية ٧٤ سورة ٩ التوبة (مدنية)

والاسلام فى هذه الاية مذكور فى مقابلة الكفر

وقد قوبل الاسلام وما يشتق منه فى القرآن بالكفر كما فى هذه الاية وآية « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » آية ٨٠ سورة ٣ آل عمران

(مدنية) . وآية « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » آية ٢ سورة ١٥ الحجر (مكية)

وبالشرك فى آيات عدة منها « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » آية ٦٧ سورة ٣ — آل عمران (مدنية) وآية « قل أغيرالله أتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم . قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين » آية ١٤ سورة ٦ الانعام (مكية)

اما باقى الآيات المدنية فهى : آية ١٧ سورة ٤٩ الحجرات (مدنية) . وهى من الآيات التى ذكرها كتاب (حجج القرآن) فى حجج القائلين بأن الايمان والاسلام واحد . وآية ١٩ سورة ٣ آل عمران ، وآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » اية ٨٥ سورة ٣ آل عمران واية ٣ سورة ٥ المائدة

وقد بين الزمخشرى وغيره من المفسرين فى تفسير هذه الايات أن الاسلام فيها هو التوحيد واسلام الوجه لله . وذلك يقتضى ان لفظ (اسلام) لم يرد فى القرآن إلا مستعملا فى معناه الشرعى مرادفا للايمان

(ثالثها) أن القرآن سمى أتباع دين محمد (الذين آمنوا) فى آيات منها : « ان الذين امنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » آية ٦٢ سورة ٢ البقرة (مدنية) . وآية « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئون والنصارى ، من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » آية ٦٩ سورة ٥ المائدة (مدنية) . وآية « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة . ان الله على كل شىء شهيد » اية ١٧ سورة ٢٢ الحج (مدنية) . كما سماهم المسلمين فى آيات منها : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هوسماكم المسلمين من قبل وفى هذا . . . » اية ٧٨ سورة ٢٢ الحج (مدنية) . وآية « يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » اية ١٠٢ سورة ٣ آل عمران (مدنية) . وفى ذلك اشعار بأن معنى الايمان والاسلام متفق غير مختلف

٦ — واذا كان الاسلام فى عرف القرآن هو القواعد الأصولية التى يجب الايمان بها والتى جمعها القرآن كاملة بحيث يعرف الاسلام بأنه هو ما أوحاه الله الى نبيه محمد فى القرآن ، وأمره بتبيينه للناس كما تشير اليه اية « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم . . » اية ٤٤ سورة ١٦ النحل (مكية) فقد تطور استعمال لفظ الاسلام الى ما يشمل الأصول الاعتقادية ، اوالفروع العملية وتطور استعمال لفظ (الدين) كذلك فاصبح تعريف الدين عند المسلمين هو : وضع الهى سائق لذوى

العقول باختيارهم اياه الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل . وهذا يشمل العقائد والاعمال (كشاف اصطلاحات الفنون) ومع هذا التطور فقد بقيت بين المسلمين آثار العرف الشرعى الى اليوم . فهم يقسمون الدين الى فروع وأصول باعتباره منقسما الى معرفة هى الاصل وطاعة هى الفرع ويقولون : ان العقائد يقينية فلا بد أن تكون ثابتة بطريق دينى يقينى قطعى وهو القرآن وحده اذ هو المقطوع به وحده فى الجملة والتفصيل ، أما الاحكام العملية فيكفى فيها الظن ، شرح المواقف جـ ١ ص ٣٨ الموافقات جـ ٤ ص ٣ . ويقولون : ان النسخ لايكون فى مسائل علم الكلام وانما يكون فى مسائل الفقه

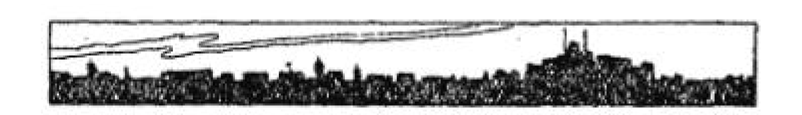
ثم ان الخلاف بين المسلمين فى شؤون الاحكام العملية ليس له خطر الخلاف فى الامور الاعتقادية فالاراء المتباينة فى الاولى تسمى مذاهب ، وأتباع كل يعتقدون أن مذهبهم صواب يحتمل الخطأ ، ومذهب غيرهم خطأ يحتمل الصواب . بل يرى بعضهم أن الحق يتعدد فى المسائل الاجتهادية باعتبار أن الله لم يكلف الناس الا بأن يبذلوا جهدهم فى تحرى الصواب فما وصلوا اليه بجهدهم فهو بالنسبة لهم الحق لا يجوز العدول عنه . ولست تجد شيئاً من ذلك فى أمور العقائد التى يؤدى الاختلاف فيها الى تفرق الفرق يكفر بعضها بعضا . والحق فى مسائل الاعتقاد واحد لا يتعدد وكل ما سواه باطل ، أحسن الفروض بالنسبة لصاحبه أن يعذر فينجو من عقاب الاخذ بالباطل (فصول البدائع فى أصول الشرائع) جـ ٢ ص ٤١٧ ـ ٤٢٤

هذا والاعمال البدنية نفسها لا يكون لها اعتبار فى دين المسلمين بحسب صورها الظاهرة وانما هى معتبرة بالنيات والهيئات النفسانية التى هى مصدرها ، يراجع كتاب (حجة الله البالغة) جـ ١ ص ٤ وفى القرآن « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ...... » آية ٣٧ سورة ٢٢ الحج (مدنية) . ويروى عن النبى (ص) حديث هو أحد الاحاديث التى عليها مدار الاسلام ، وقال الشافعي وأحمد : انه يدخل فيه ثلث العلم ، وهو من أصح الاحاديث النبوية وأشهرها حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، شرح القسطلانى على البخارى جـ ١ ص ٢٢

واعترافا بمكانه بين السنن تجده فى فاتحة كثير من كتب السنة المعتبرة . هذا الحديث هو :

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى »

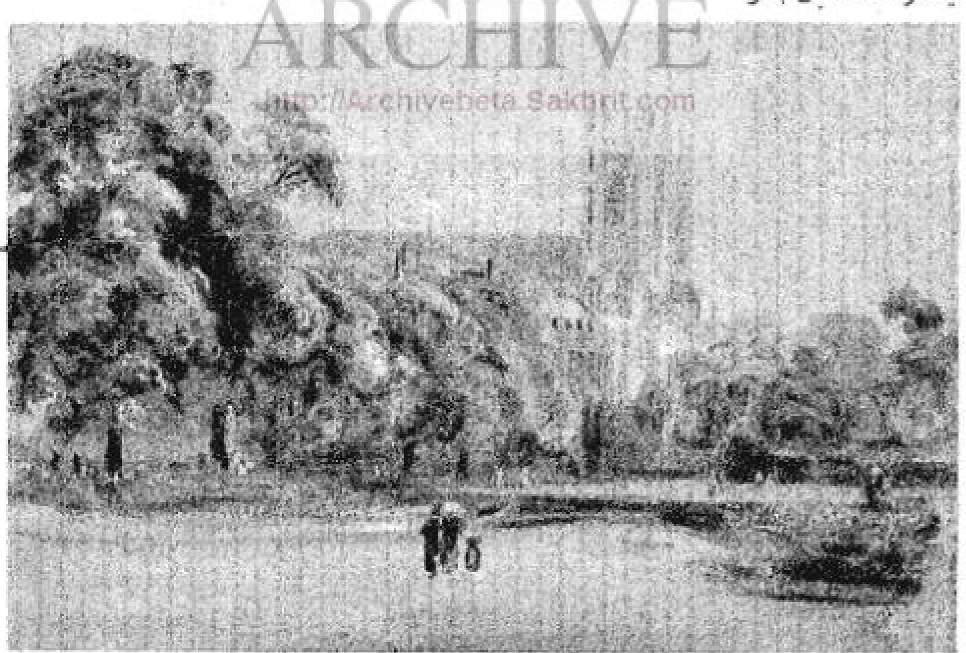
مصطفى عبد الرازق



متحف الفن الحديث بالقاهرة

في سنة ١٩٣٨ قررت وزارة المعارف العمومية إنشاء (متحف الفن الحديث) واختيرت له سراي موصيري القديمة عند ملتقى شارع فؤاد الأول بشارع عماد الدين . وفي ٨ فبراير سنة ١٩٣١ افتتحه حضرة صاحب الجلالة الملك . وفي خلال تلك السنوات الثلاث التي مضت بين قرار إنشائه وافتتاحه ، بذلت في سبيل إعداده جهود عظيمة والفت لجنتان لانتقاء النفائس الفنية التي تعرض به ، إحداهما بالقاهرة والأخرى باوربا ، وعاونتهما على هـذا الغرض لجنة الفنون الجميلة بوزارة المعارف العمومية . وكانت الفكرة الأساسية ترمي إلى إيجاد نواة من منتجات المدارس الفنية المختلفة ثم إكمال الأقسام بنفائس فنية أخرى تنتقى وتشترى . وإذا كان المتحف الآن يضم الكثير من الكنوز الفنية القيمة ، فانه مع هذا لايزال فيه متسع لزيادة ثروته منها حتى يضاهي المتاحف الفنية الكبرى بالبلدان الغربية

وأول ما صادفك حين تزور المتحف ردهة كبيرة تطل عليها عدة غرف منها ثلاث غرف كبيرة خصصت لمعروضات الفنانين المصريين والفنانين الأجانب المقيمين في مصر . ويلفت النظر منها ما أبدعته ريشة الفنان صباغ مثل صور (وادي الملوك) و (معبد الأقصر) و (قرية بقرب الاهرام) وغيرها من صور الاماكن التي برع في تصويرها . ثم معروضات محمود سعيد بك التي يبدو فيها انسجام بالغ كصورة (فتاة في ثياب زرقاء) و (منظر ريفي) . ومعروضات راغب عياد وهو فنان ينتظر له مستقبل باهر



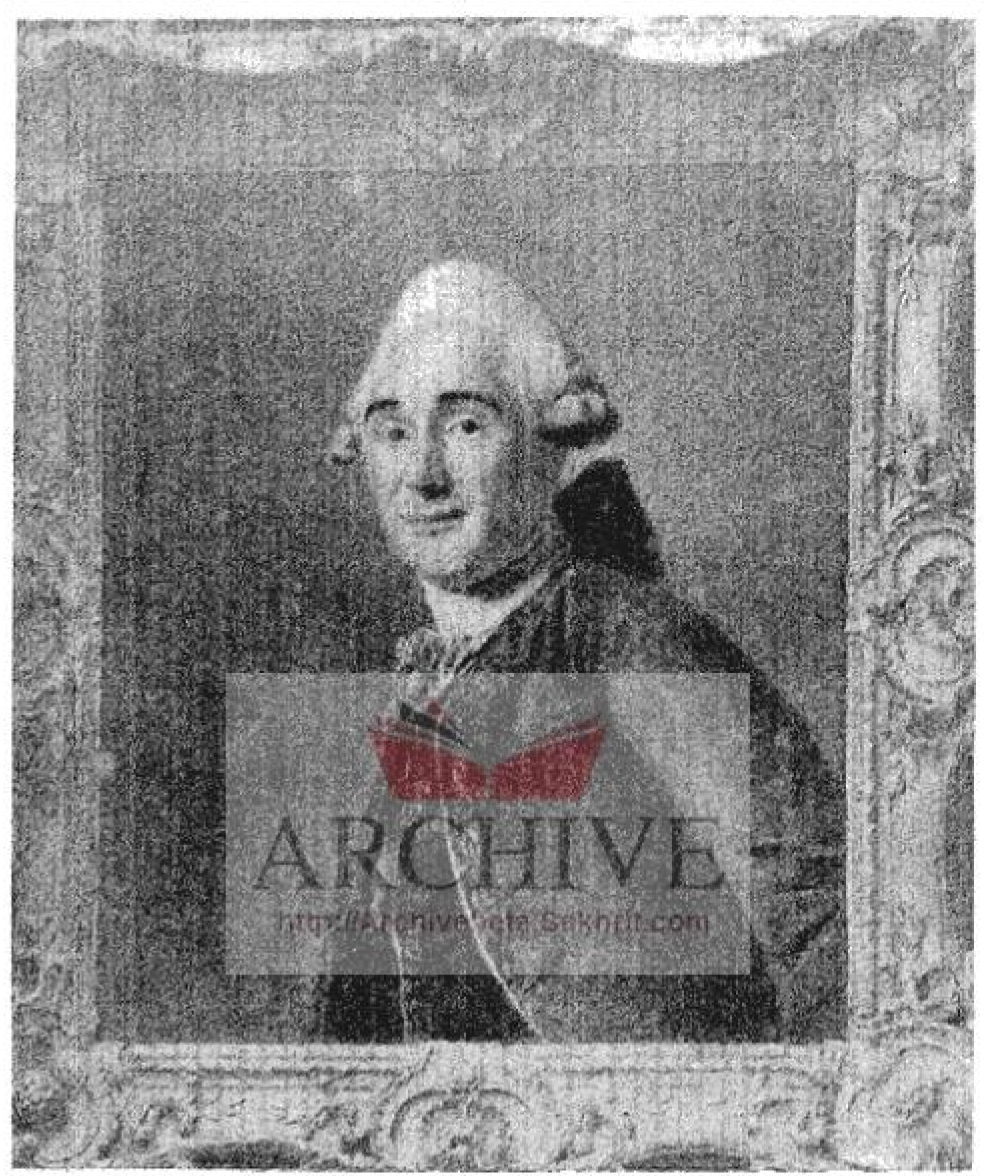
غابة فونتنبلو : للرسام ت . روسو (المدرسة الفرنسية في القرن التاسع عشر)

ونذكر من العارضين الوطنيين أيضاً : يوسف كامل ومحمد حسن واحمد صبري وعبد اللطيف فهمي وحبيشه وحسين محمد الطيب ومحمد علي ، وقد أجادوا جميعاً مع تفاوت بينهم في الموهبة.
وعرض جرابديان صورة (عجوز زنجية) وهي تدل على قوة في الابتكار

وإلى جانب معروضات الوطنيين عرضت منتجات الفنانين الاجانب الذين يعيشون في مصر ويتأثرون بجوها وذوقها ويستمدون وحيهم من هدوئها وصفاء سمائها . ونذكر من بينهم اينوشانق الذي عرض مجموعة من الصور المائية امتازت بالرقة والجاذبية ، ومنها صورة (امرأة) في حجم



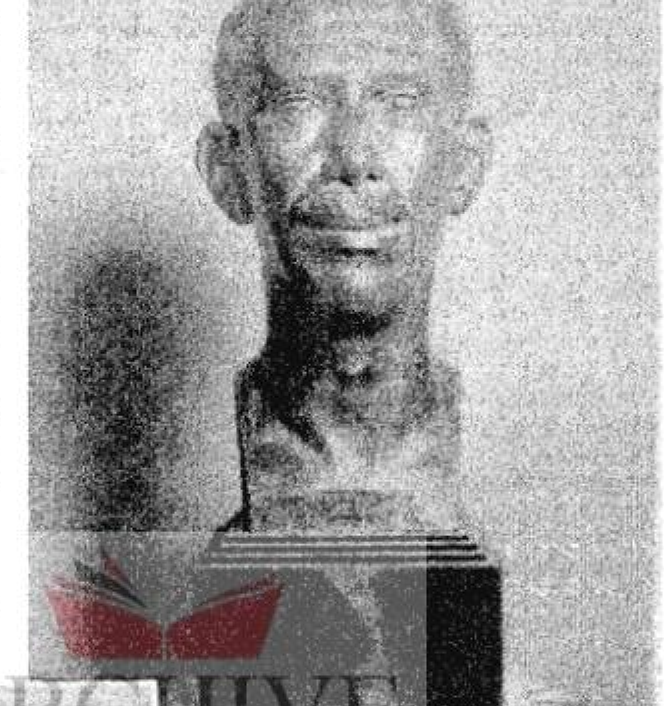
صورة امرأة : للرسام كوبديس (المدرسة الفرنسية في القرن التاسع عشر)



صورة رجل : الرسام روسلين (المدرسة السويدية في القرن الثامن عشر)

صغير تدل على ملكة الانسجام عنده . وعرض بيي مارتن صورة (دراسة) وصورة (الامومة) وهو فنان ذو حساسية تأخذ باللب . وعرض بارور صورة (فتاة صغيرة) و (باب أيا صوفيا) وفيهما تظهر براعة في تنسيق الالوان . ومن العارضين ايضاً جبرييل بيس وقد عرض صورة (القاهرة القديمة) ومنهم أيضاً شارل بوجلين الذي لفتت الانظار منه صورة تمثل ساحل المحمودية .
ومنهم روجر بريفال وحمزه كار وكوبك وجون رالف ولم ستوارت

وفي وسط تلك القاعات مجموعة من التماثيل الجميلة منها تمثال بديع (لامرأة) واقفة وتمثال نصفي للدكتور علي باشا ابرهيم وهما للمثال النابغة مختار ثم تمثال (فتاة النيل) لفرودمان كلوزل



تمثال نصفي للدكتور علي ابرهيم باشا : للمثال مختار

وقد تمثلت مدارس الفن المختلفة في الطبقة الاولى من المتحف فهناك مثلا المدرسة الأيطالية وقد مثلت بصور من ريشة نيقولادي ليبراتوري وفيروتشو (وهو استاذ ليوناردو دافنشى) وفرنشسكو ماتزولا ورانوتزيو فارنيزي

وتمثلت المدرسة البلجيكية المعاصرة بصورة (الببغاء) لالفريد ستيفنز، وصورة (نيوبورت) للويس أرتان ، وصورة (الطاحونة) لفرانس كورتان وصورتي (امرأة عارية) و (على شاطىء النيل) لاميل باس وغيرها لكبار الرسامين المعاصرين

وتمثلت المدرسة الانجليزية بعدة ألواح بديعة منها (مناظر ريفية) لريتشارد ويلسن وجينزبورا وبيتراف وينت و (منظر وستمنستر) لبونتجتون، وصور أخرى لايتى والسر وليم بيتشي . وهناك أيضاً صورة بريشة الفنان السويدي روسلين واسمها (الكولونيل روبرتسون)

ومن بدائع الفن الهولندي الموجودة هناك صور لبيرستراسن وكورنليوس دوسارت وبيجا

فتاة في ثياب زرقاء : للرسام محمود سعيد بك

وجان ستين وهم من رسامي القرن السابع عشر

وتمثلت المدرسة الفرنسية القديمة والمدرسة الفرنسية الحديثة كلتاهما ببدائع فنية قيمة ، فمن رسامي الاولى لارجليير وسانتير وبيلمان وفرنيه وديبورت وجرز . ومن رسامي الثانية جيريكو وشاسيريو وديكان وهنري رينيو ودوبريه وبودان وتيودور روسو وكورو وكوريه . وتمثل كذلك الفنانون المعاصرون بعدة الواح

التمثال دالو : من عمل رودان



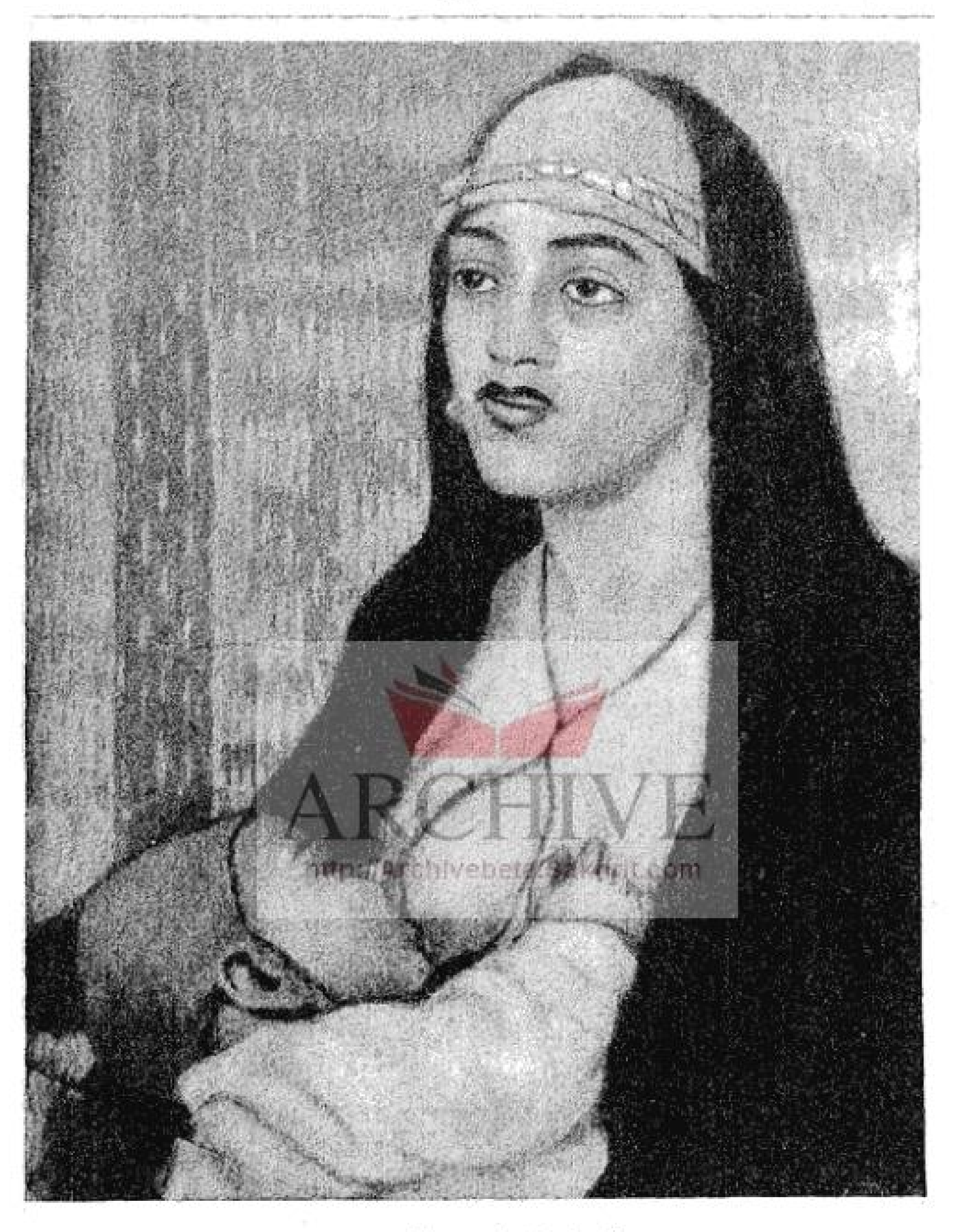


صورة رجل : للرسام ديجاس (المدرسة الفرنسية في القرن التاسع عشر)

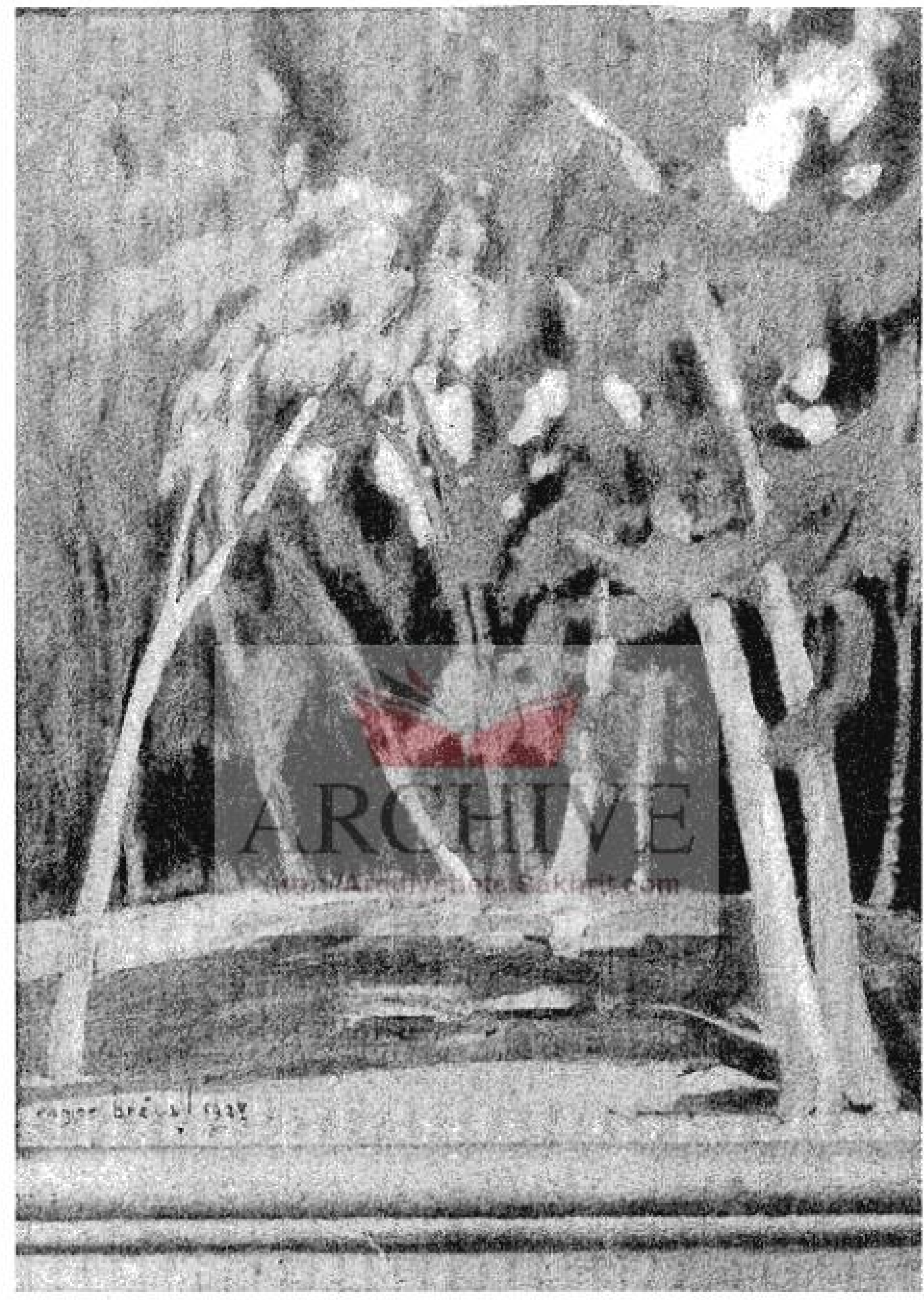
جذابة يضيق النطاق عن شرحها

ولم ينس منشئو المتحف أن يضموا اليه كذلك بدائع من منتجات فن النحت ، ونذكر منها تمثال (المفكر) لرودان و (الخروف العنيد) لبورديل و (فتاة وغزالة) لبوشار وغير ذلك

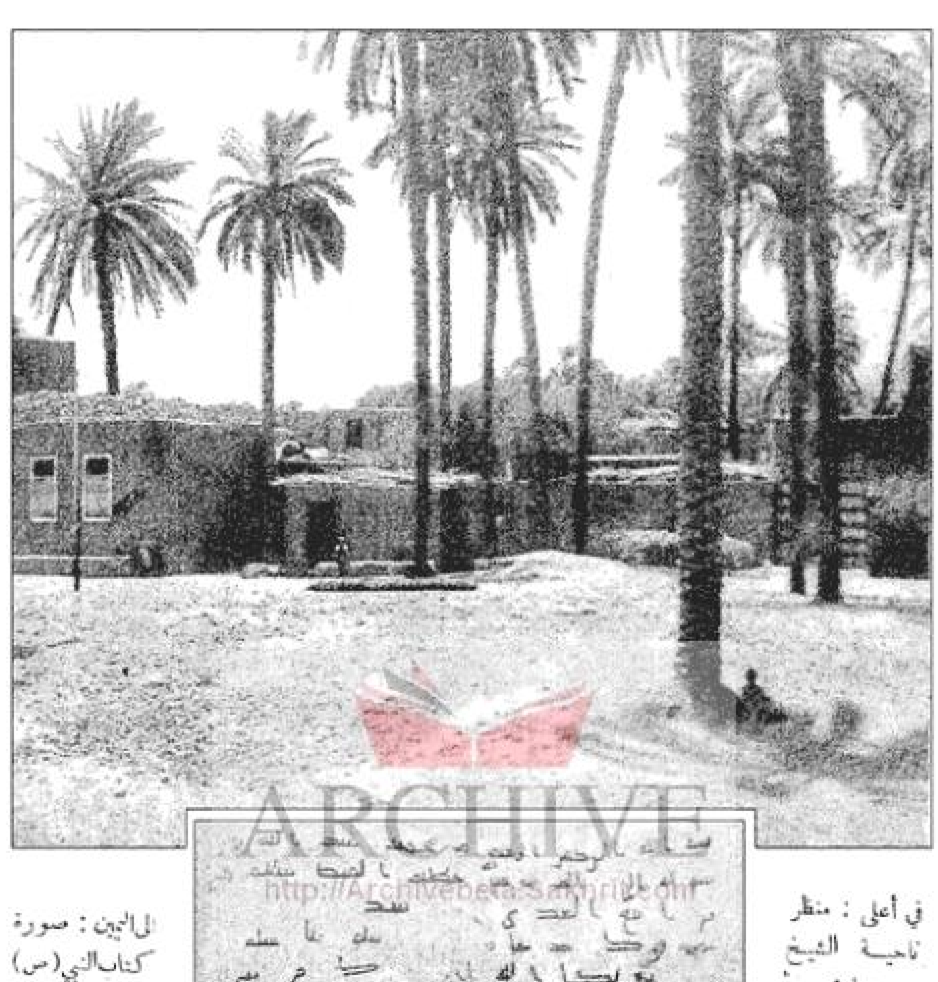
والأمل وطيد في اتساع هذا المتحف ونمائه على مدى الزمن فقد بدأت مصر تقدر الفنون حق قدرها وترفع أربابها الى المكانة الخليقة بهم



الامومة : للرسام بيي مارتن



تحت الاغصان : للرسام بريغال



في أعلى : منظر ناحية الشيخ عبادة

الى اليمين : صورة كتاب النبي (ص) الى المقوقس

منذ عشرين عاما وضع المرحوم حفني بك ناصف بحثاً ممتعاً عن « مارية القبطية » التي اهداها المقوقس الى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد أسعدنا الحظ بالحصول على النسخة الاصلية من هذا البحث الممتع الذي يجده القارىء في الصفحات التالية

وضع المرحوم حفني بك ناصف هذا البحث منذ عشرين عاماً
- حين كان وكيلاً لمحكمة طنطا - ولم يسبق نشره قبل الآن

مارية القبطية

تحقيق في سيرتها وموطنها

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله ومصطفاه ، وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين

وبعد ، فهذا بحث نفيس ومطلب عزيز ، ساقني اليه نظر في نفسي وتفكر في شخصي ، ودعاني اليه أمر لايعني غيري ، فحدا بي تسلسل الفكر واطراد النظر الى أن خرجت من مضايق الشخصيات الى باحات الكليات وجاوزت مايهمني الى مايهم غيري ، وطرت بأجنحة الفكر في الهواء ، وضربت في الارض ، وأرض الله واسعة الفضاء ، حتى اهتديت الى حلقة من العلم كانت مفقودة ، وظفرت بضالة كانت منشودة ، وتذكرت أمر اسحاق نيوتن إذ وقعت عليه تفاحة من شجرة باسقة فألم لشدة وقعها مع صغر حجمها ، وعجب لثقلها مع خفة وزنها ، فما زال النظر يهبط به ويرفعه ، ويعلو به ويضعه ، حتى وصل الى تحقيق أمر الجذب العام ، وأخرج للناس مبحثاً ناضجاً كان من أكبر الوسائط لحل غوامض المباحث الطبيعية وعوائص المطالب الفلكية

ولا يمنعني من حمد الله بعد ما بين درجتينا ، وسعة الفرق بين مبحثينا ، فالله يعطي النعم على حسب الهمم . وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم

☆☆☆

كان الناس ينادونني منذ نشأتي باسم (حِفني) بكسر الحاء ، ولما سافرت الى صعيد مصر راعني من أهله نداؤهم لي بلفظة (حُفني) بضم الحاء ، ثم لما خالطت أهل الشام رأيتهم ينادونني (حَفني) بفتح الحاء ، فدعاني ذلك الى العجب من هذا التخالف ، وقلت في نفسي أي الاقوام يا ترى أصح نطقاً ، وأمتن ضبطاً ، ولعل ماعرفته منذ صغري خطأً والصواب غيره ، فتناولت القاموس المحيط لأزيل هذه الحيرة فلم أجد فيه في مادة (ح ف ن) اسم بلدة يمكن أن يرد نسب اسمي اليها ، وعهدي به يذكر البلاد ، فانتظرت الى ان رأيت كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، فاذا فيه :

(حفن) بفتح الحاء ناحية من نواحي مصر، وفي الحديث : « أهدى المقوقس الى النبي صلى الله عليه وسلم مارية من حفن من رستاق أنصنا »

ثم وجدت فيه اسم قرية أخرى تدعى (حفنا) وقال انها قرية من قرى مصر . فأدركت أن النسبة في اسمى لابد أن تكون لاحد هذين البلدين أو لعظيم من أحدهما وأن الصواب فتح الحاء كما ينطق أهل الشام ، خلافاً لما اعتدت سماعه منذ صغرى

ولم يقف فكرى عند هذا الحد بل قلت في نفسي ماذا عسى أن تكون هذه الناحية التي أهدى المقوقس منها مارية الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاني لا أعرف في مصر قرية بهذا الاسم (حفن) وأين ياترى رستاق أنصنا الذي منه هذه القرية ؟ ثم راجعت كتاب الاحصاء الرسمي للبلاد المصرية ، فلم أجد فيه اسم (حفن) ولا أنصنا ، فسبحلت وحوقلت ، وتمثلت بقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها هطل أجش وبارح ترب

ثم بدا لي أن أراجع كلمة أنصنا في معجم ياقوت لعلي أجد لها بياناً شافياً فراجعت الكتاب ورأيت فيه (أنصنا) بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل . ونقل عن أبي حنيفة الدينوري أن اللبخ (١) لاينبت إلا فيها وهو شجر تنشر منه الواح السفن وربما أرعف ناشرها . ويباع اللوح منه بخمسين ديناراً أو نحوها . واذا شد منها لوح بلوح وطرحا في الماء سنة التأما وصارا لوحاً واحداً

قال ياقوت : « قد رأيت انا اللبخ بمصر وهو شجر له ثمر يشبه البلح في لونه وشكله ويقرب طعمه من طعمه وهو كثير ينبت في نواحي مصر . وينسب الى انصنا قوم من أهل العلم منهم أبو طاهر الحسين بن أحمد بن حيون الانصناوى مولى خولان ، وأبو عبد الله الحسين بن احمد بن سليمان ابن هاشم الانصناوى المعروف بالطبرى . روى عن أبي على هارون بن عبد العزيز الانبارى المعروف بالاوراحي وروى عنه أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر الناقد بمصر »

وكلام ياقوت هذا وان كان مفيداً لم يشف غلتي ولم يذهب بحيرتي ، فراجعت ماطبع من كتاب الانتصار لابن دقماق فرأيت فيه ما نصه :

« وأنصنا بلدة قديمة بها آثار عظيمة . وكان بها مقياس صغير يقاس فيه ماء النيل ، وبعضه باق الى الآن . وهي على ضفة النيل الشرقية قبالة الاشمونين »

---

(١) اللبخ المذكور في ياقوت هو غير الشجر المعروف الآن بهذا الاسم . وقد انقطع من الديار المصرية من ابتداء زمن القيصر أرقاد وهنوريوس في أوائل القرن الخامس من الميلاد . وكان في زمن عبد اللطيف البغدادى نادراً ثم انقرض بالكلية . واسم هذا الشجر باللاتينية « برسيا » وثمره جيد للمعدة وورقه يقطع الدم اذا جفف وسحق وذر على الموضع الذى يسيل منه الدم . ويقال ان هذه الشجرة كانت تقتل آكلها في بلاد الفرس ، فلما نقلت الى مصر صارت لاتضر . وليس هو المخيط كما زعم بعضهم

وقال صاحب الانتصار فى موضع آخر : « إن الاشمونين ذات كيمان عظيمة . وان بانيها أشموم إبن مصر ، ونقل عن القبط أن أشموم بنى سرداباً تحت الارض من الآشمونين الى انصنا »

فانشرح صدرى بعد مراجعة كتاب الانتصار ، وبرقت اساريرى وقلت لقد كدت اظفر بضالتى فانى اعرف قرية الاشمونين وأعرف ان بها كيماناً واطلالا عظيمة فلا بد أن تكون انصنا فى مقابلتها على ضفة النيل الشرقية . ولم ألبث ان سافرت الى الاشمونين ، ونظرت منها الى النيل فوجدت على الضفة الشرقية اطلالا ممتدة بين قرية دير أبى حنس وقرية الشيخ عبادة ، وتبينت بالنظر ومراجعة المصور الجغرافى صدق مقابلة هذه الاطلال وقرية الاشمونين

فلم يبق بعد ذلك شك فى أن هذه الاطلال أثر مدينة أنصنا الازلية التى ذكرها ياقوت ، فعبرت النيل وقضيت نصف نهارى فى الدوران حول تلك الاطلال أجوس خلالها ، ورأيت فيها من العمد الضخمة والتماثيل الفخمة ، والانقاض المتنافرة والمساحة الواسعة ، ما يدل على انهـا كانت مدينة محكمة البنيان مستبحرة العمران

قال الادريسى : « هذه المدينة هي مدينة السحرة التى جلب منها فرعون كل ساحر عليم لمغالبة موسى عليه السلام »

وذكر أبو الفداء وغيره ما لا يخرج عن كلام الادريسى

قال صاحب الخطط التوفيقية : « ويغلب على الظن أن السحرة انما جلبوا من مدينة (بنز) التى تقرب من أنصنا لان أنصنا حديثة العهد فانها بنيت فى أيام القيصر ادريان لتكون مركزاً للاقاليم القبلية بدل الاشمونين.وقد قام هذا القيصر من مملكة ايطاليا سنة مائة وثمانين من الميلاد ، وساح فى أرض مصر وأقام بمدينة طيبة ، وكان مستصحباً شاباً جميلا يقال له انتنيويه وكان يحبه حباً شديداً ، فقدر الله سبحانه أن غرق هذا الشاب فى النيل قريباً من محل هذه المدينة ، فحزن عليـه القيصر حزناً شديداً وأمر بانشاء مدينة لتكون تذكرة لنديمه هذا ، وأمر بجمع الرومان المتفرقين فى جهات القطر وأسكنهم فيها مع من جلبه اليهـا من بلاد الروم على عادة القياصرة قبله ، وجعل لانتنيويه معبداً مقدساً . وكان كل قيصر بعد ادريان يزيد فى زخرفتها ، فبقيت فريدة فى حسنها الى أن دخلت الديانة العيسوية ارض مصر فالتحقت بمدينة طية وكان لها سور عظيم هدمه صلاح الدين وجعل على كل مركب منحدر فى النيل حمل صخرة منه الى القاهرة ، فنقل بأسره اليها . وبنى به صلاح الدين ما احدثه من المبانى فى مدينة القاهرة . وفى الخطط الفرنسية ان صورة انتنيويه مرسومة على أكثر عمد هذه المدينة ، وأنها بنيت فى موضع مدينة (بنز) ولذلك سميت « بنز انتنيويه » . انتهى كلام الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك بتصرف

وقد اهتم بهذه القرية أجلاء الصحابة والتابعين ، فقد اشترط الحسن بن على رضى الله عنه على

معاوية فى ضمن ما اشترط ان يعفى هذه القرية (حفن) من الخراج فأعفاها معاوية من الخراج . ولما قدم الى مصر عبادة بن الصامت أيام عمرو بن العاص وتولى بعض الاعمال بها ، بحث عن هذه القرية وبنى بها مسجداً يعرف للآن باسم مسجد سيدى عبادة ، وقد تجدد بعد موته . وموضع هذه القرية الآن يعرف باسم «الشيخ عبادة»

وقد زرت هذا المسجد فرأيت به ضريحاً فى قبة عالية فسألت أهل البلد : «لمن هذا المسجد ؟» فقالوا جميعاً : «لعبادة بن الصامت» ، فقلت : «ان عبادة بن الصامت رجع الى الحجاز ومات هناك كما هو معروف من التاريخ ، فلمن هذا الضريح ؟» فقالوا : «له ، لأن كثيراً من الاضرحة يبنى باسم عظيم من الاولياء أو الصالحين وان لم يكن مدفوناً به»

والذى كنت أتعب نفسى فى التنقيب عليه وجدته مشهوراً عند أهل هذه القرية فانهم يعرفون ان الاطلال التى بجانبها هي اطلال انصنا وان بلدهم هذا موقع قرية حفن ، ويقولون ان المسجد الذى بناه عبادة بن الصامت فى موضع بيت مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم

فانبهرت من معلومات أهل هذه القرية وجهلى أنا قبل أن أبحث هذا البحث ، وقلت لنفسى : أهل البيت أدرى بالذى فيه

وانى وان لم أجد سنداً لمعتقداتهم من كتب المؤرخين فانى لا استبعد شيئاً مما قالوه ، فان عبادة ابن الصامت وفد الى مصر بلا شك وأقام فى الصعيد زمناً كان صاحب الامر والنهى فيه . ومثله من يعتنى كل العناية بآثار بيت النبى صلى الله عليه وسلم وتجديد ذكرى من ينتسب اليه ، فلا بد أن يكون اختياره هذا الموضع لبناء المسجد مبنياً على سبب قوى ، وليس (هناك) أقرب من هذا السبب الذى ذكره أهل هذه القرية « الشيخ عبادة »

وقد رغبت الى مصور لاخذ صورة منظر هذه القرية ومنظر النيل أمامها (كما ترى فى الرسم المنشور على صفحة ٧٢)

ذكر ترجمة مارية القبطية

وسبب اهدائها الى النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر أصحاب السير أنه كان على مصر من قبل الروم حاكم يقال له المقوقس (١) واسمه جريج ابن ميناء ، وكان له علم بأسرار الكتب الدينية . وقد وفد عليه مرة المغيرة بن شعبة مع رهط من ثقيف ، فسأله المقوقس : «ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد؟» فقال المغيرة (ولم يكن أسلم وقتئذ) : «ما تبعه منا رجل واحد» فقال المقوقس : «كيف صنع به قومه ؟» فقال المغيرة : «اتبعه احداثهم

(١) ومعنى المقوقس مطول البناء ، وهذا لقب كل من ملك مصر

ولاقاه من خالفه فى مواطن كثيرة » قال : « فالام يدعو ؟ » فقال المغيرة : « الى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ، ويدعو الى الصلاة والزكاة وتحريم الزنا والخمر » قال المقوقس : « ان هذا الذى تصفون منه نعت الانبياء »

وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتاباً الى المقوقس فى عام الحديبية مع حاطب بن بلتعة اللخمى وكان مع جيد مولى ابى رهم الغفارى ، فسارا الى أن وصلا مصر وسألا عن المقوقس فقيل انه فى الاسكندرية ، فسافر اليها حاطب وطلب مقابلة المقوقس فلم يتمكن من الوصول اليه لكثرة الحجاب فاستأجر سفينة وسار بها فى البحر الى أن حاذى مجلس المقوقس وكان فى موضع مشرف على البحر وأشار بالكتاب الذى معه ، فأمر المقوقس باحضاره ، فلما حضر ناوله الكتاب ففض ختامه المقوقس فاذا فيه :ـــ

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فانى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم القبط . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون »

فاستدعى المقوقس حقاً من عاج ووضع فيه الكتاب ودفعه لجارية له ، ثم قال لحاطب : « ما منعه ان كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده الى غيرها ؟ » فقال له حاطب : « ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله ، فما له حين أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى ؟ » ثم قال حاطب : « انه كان قبلك رجل (١) يزعم أنه الرب الاعلى ، فأخذه الله نكال الاخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك . ان هذا النبى دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش واعداهم له اليهود وأقربهم منه مودة النصارى ، ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك الى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبى أدرك قوماً فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت من أدرك هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به »

فقال المقوقس : « أحسنت . أنت حكيم جاء من حكيم » ثم طلب من حاطب أن يصف محمداً له فوصفه له وأوجز فقال المقوقس : « أفى عينيه حمرة ؟ » قال حاطب : « ماتفارقه » فقال المقوقس : « أوبين كتفيه خاتم ويركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزىء بالتمرات والكسر . لايبالى من لاقى من عم أوابن عم ؟ » قال حاطب : « هذه صفته » فقال المقوقس : « قد كنت أعلم أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج من الشام وهناك كان مخرج الانبياء ، فأراه قد خرج من أرض العرب فى أرض جهد وبؤس . والقبط

(١) يريد فرعون

لا تطاوعنى على اتباعه ، وأنا أضن بملكى أن أفارقه » ثم قال المقوقس : « أنا لا أحب أن يعلم بمحاورتى إياك أحد من القبط ، فارحل من عندى ولا يسمع منك القبط حرفاً واحداً » ثم دعا بكاتبه ، فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب :—

« بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه . وقد علمت ان نبياً قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام . وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبثياب وبغلة لتركبها . والسلام عليك »

ولم يقتصر المقوقس فى هديته على ما ذكره فى الكتاب ، بل زاد عنه كما ترى فى البيان الآتى :—

اصناف الهدية

(١) مارية بنت شمعون ، وكانت أمها رومية
(٢) وجارية أخرى يقال لها سيرين ، ولكنها أقل جمالا من مارية
(٣) وجارية أخرى يقال لها قيسر
(٤) وجارية سوداء يقال لها بريرة
(٥) وغلام اسود يقال له هابو
(٦) وبغلة شهباء ، وهى التى سميت بدلدل
(٧) وفرس مسرج ملجم وهو الذى سمى بميمون
(٨) وحمار أشهب وهو الذى سمى بيعفور
(٩) ومربعة فيها مكحلة ومرآة ومشط وقارورة دهن ومقص وسواك
(١٠) وجانب من عسل بنها . وقد أعجب النبى به ودعا لبنها بالبركة
(١١) وألف مثقال من الذهب
(١٢) وعشرون ثوباً من قباطى مصر
(١٣) وجانب من العود والند والمسك
(١٤) وقدح من قوارير

☆☆☆

قال حاطب : « فرحلت من عند المقوقس . ومعى حرس من الجند الى ان بلغت ارض جزيرة العرب ، فوجدت قافلة من الشام تريد المدينة فارتفقت بها وارجعت الجند »

ولما وصل حاطب الى المدينة سلم الهدية وكان من ضمنها طبيب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع الى اهلك . نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع »

وأهدى النبي احدى الجاريتين لحسان بن ثابت والاخرى لابي جهم بن حذيفة العدوى ، وأبقى لنفسه مارية . وكان النبي (ص) يحبها كثيراً . وكانت عائشة وحفصة من زوجاته تغاران منها وتتكلمان فيما بينهما فيها

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم ايامه بين زوجاته وسراريه . ففي يوم حفصة استأذنته في زيارة أبيها ، فلما خرجت دعا مارية لتجلس معه . ولما رجعت حفصة علمت أن مارية عنده فامتنعت عن الدخول الى ان خرجت ثم دخلت الى بيتها وعاتبت النبي في ذلك ، فأخذ يسترضيها وهي لاترضى وما زالت به حتى حرم على نفسه مارية ارضاء لحفصة وعائشة . ففرحت حفصة وأخبرت عائشة بالامر ، فقالت عائشة : « قد أراحنا الله منها » فنزلت سورة التحريم :

« يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضاة ازواجك والله غفور رحيم . قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم » ومنها « إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالحو المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا »

فكفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وأرجع مارية الى ما كانت عليه

وقد أسلمت مارية قبل أن تصل الى المدينة ، هي وسيرين بدعوة حاطب بن بلتعة

وكانت مارية جميلة وبيضاء لأن أمها رومية ولأنها من سلالة الروم الذين اسكنهم أدريان مدينة أنصنا . وكانت جعدة . وقد ولدت من النبي ولده ابراهيم في السنة الثامنة من الهجرة . ومات ابراهيم وعمره ثمانية عشر شهرا . وعاشت بعد النبي الى أن ماتت في خلافة عمر بن الخطاب فصلى عليها ودفنت بالبقيع ، وقبرها معروف هناك . وكانت وفاتها في السنة السادسة عشرة

وترى على صفحة ٧٢ من هذا الجزء صورة الكتاب الذى ارسله النبي (ص) الى المقوقس مع حاطب بن بلتعة منقولة عن نسخة محفوظة بدار الآثار في الاستانة ، قيل أنه عثر عليها عالم فرنسي في دير بمصر قرب اخميم في زمن سعيد باشا والي مصر

خاتمة

لم يكن الرق عند المصريين والرومانيين مقيدا بالقيود الضيقة التي قررتها الشريعة الاسلامية بل كان أمر الاسترقاق واسع النطاق ، فكما يحصل بالاسر في الحرب كان يحصل بالاختطاف وبتقريره من الحكومة على غير الاشراف وبعجز المدين عن وفاء الدين وبسلطة الملوك على الرعايا بقيود معروفة في تاريخ القدماء من المصريين والرومانيين

وكانت مارية وسيرين وقيسر وبريرة من هذا القبيل ولم تكن الشريعة الاسلامية فى وقت اهدائهن تمنع من تملك مثلهن باليمين

وكما أهدى الى محمد جارية من مصر أهدى لجده ابراهيم جارية منها وهى هاجر أم اسماعيل فيحق لنا نحن المصريين أن نفخر بمصاهرة هذين الرسولين الكريمين ونذل باتصالنا بمقاميهما الرفيعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

☆☆☆

وقد كتبت هذه العجالة فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٣٠ بلا تسويد ، فمن وجد فيها عيباً فليصلحه . والعصمة لله وحده

حفني ناصف

الحياة خدعة

خط عمرى على جبينى خطوطاً آذنتنى بقرب وقت الرحيل
وانبرى الشيب فوق رأسى ينادى (قم تزود) لم يبق غير القليل
مر ظهر الحياة مثل ضحاها وسيمضى كذلك وقت الأصيل
بين ظلم ونقمة وعداء وكنود من حاسد وخليل
وجلاد بغير ذنب وقسر واعتساف من غاشم وجهول
ليت من جاء لم يجيء ، أى معنى لحياة بين البكا والعويل
علة بعد علة ورزايا بعد أخرى وكربة التحصيل
وانهماك يضنى الجسوم وهم اثر هم وحسرة التحويل
قد عركت الخطوب حدثاً وكهلا والفت الكروب منذ طويل
وعجمت الايام حلواً ومراً واصطحبت الأقوام غير ملول
واقتحمت الأخطار غير مبال أزهور أم عوسج فى سبيلى
قائدى همتى وعزمى عونى خبرتى رائدى وحزمى دليلى
وانقضى الكل كالخيال ولكن دام عندى ذكرى الأسى والجميل

سليم عنحوري

مصل الحقيقة

حقنة تحمل المجرم على الاعتراف

حقاً انه لا جديد تحت الشمس ، ففيما مضى كان الساسة يحصلون على الأسرار بواسطة الخمر التي تذهب بلب الرجال فيفضون بمكنون سرهم ، واليوم نستخرج الحقيقة من المجرمين بواسطة دواء « الأسكوبولامين » الذي يجعلهم يبوحون بأسرارهم على الرغم منهم ، فنحن لم نأت بجديد ، وكل ما هنالك اننا أدخلنا تحسينات على الطريقة القديمة

الألمان هم أول من استخدم « الأسكوبولامين » في أمراض النساء والولادة ، فاكتشفوا انه يحدث نوماً عميقاً لمدة قصيرة ، لكن الأمريكان هم الذين استخدموه قبل سواهم في اماطة اللثام عن الجرائم ..

قال الدكتور روبرت هاوس : في ٧ سبتمبر سنة ١٩١٦ كنت أقوم بتوليد سيدة تحت تأثير الأسكوبولامين ، فرغبنا في وزن الطفل ، لكن لم نجد الأوزان فبحث الزوج عنها فلم يجدها . ولشد ما كانت دهشتي عندما رأيت الزوجة التي كانت مستغرقة في النوم ، تقول بصوت واضح : « إن الأوزان في المطبخ معلقة في المسمار خلف الصورة » . فكون هذه السيدة لم تكابد أي ألم ، وكونها لم تذكر في أي وقت وضعت طفلها ، ومع ذلك استطاعت أن تدلي باجابة صحيحة على سؤال وقر سمعها ـ كل ذلك استهواني وملك على لبي ، الى حد أني وطدت العزم على التحقق مما اذا كانت تلك الظاهرة تعتبر من خصائص الأسكوبولامين

وقد أسفرت بحوث الدكتور هاوس فيما بعد عن ان المخ لا يتخدر كله بمفعول الأسكوبولامين ، وانما يقتصر التخدير على مراكز الاعصاب التي نحس بها ونتحرك .. أما الذاكرة فتبقى كما كانت مع فارق واحد ، هو ان القدرة على كتمان ما تحتويه من أسرار ، تتلاشى وتنعدم . ولذلك تفسير علمي يعسر فهمه على غير الاطباء والاخصائيين ، فلنكتف بهذا القدر من المعلومات عن مفعول الاسكوبولامين

***

فلما انتهى الدكتور هاوس من مشاهداته تلك ، خلال قيامه بمهمته كطبيب ومولد ، اسرع الى تطبيق اكتشافه على المجرمين

ومنذ اكثر من عام قام بعض اعضاء « معهد الكشف العلمي عن الجرائم » (بالجامعة الشمالية الشرقية بشيكاجو) بتجارب على الاسكوبولامين ودواء آخر يشبهه في المفعول

أجريت هذه التجارب على أشخاص من ذوى الحيثيات والمراكز المحترمة فى المجتمع تطوعوا لهذا الغرض ووعدوا بالاصرار على الكذب (اذا استطاعوا) فى ردودهم على الاسئلة التى توجه اليهم أثناء خضوعهم لسلطان الاسكوبولامين. وتتلخص الطريقة التى اتبعت فى هذه التجارب فيما يلى :

أولا - يكتب الشخص الذى تجرى عليه التجربة قائمة بأسئلة لا يستطيع سواه الاجابة عليها إجابة صحيحة مثل : « ما هو اسم عائلة أمى » و « فى أى مدينة ولد أبى » . وهلم جرا

ثانياً - تكتب قائمة أخرى فيها الاجابة الصادقة عن تلك الاسئلة ، ثم توضع هذه القائمة فى ظرف لا يفتح إلا بعد الانتهاء من التجربة ، عندما يكون الشخص قد تخلص تماماً من مفعول الاسكوبولامين

ثالثاً - وبعد اعتزامه أن يكذب فى الاجابة على الاسئلة أثناء خضوعه لتأثير الاسكوبولامين تعطى له الحقنة الاولى

وقد شوهد ان بعضهم كان فى بداية تخدره بالاسكوبولامين ، يكذب فى إجاباته . لكنه بعد مضى وقت قليل كان يفقد القدرة على الكذب ويصرح بالحقيقة

ذلك هو ما حدث لواحد من اعضاء المعهد - أدلى أول الامر بأكاذيب ، عدل عنها الى الصدق بالتدريج ، كما اتضح من مضاهاة إجاباته وهو تحت تأثير المخدر ، بالاجابات التى سبق أن كتبها وأودعت ظرفاً مختوماً فقد كانت الاجابات متطابقة ، إلا فى حالة واحدة ، ذلك انه أجاب بالسلب على سؤال هذا نصه : « هل تذكر انه قبض عليك فى حادث انتهكت فيه حرمة القوانين الخاصة بحركة المرور ؟ » .

أجاب بالنفى على هذا السؤال وهو يقظان ، وأثبت ذلك فى قائمة الاجابات المذكورة . لكنه تحت تأثير الاسكوبولامين أجاب رداً على هذا السؤال بقوله انه منذ سنوات مضت قبض عليه فى فرجينيا وحكم عليه بغرامة جزاء مخالفته قوانين المرور . فلما قيل له انه نسى فلم يدون الحقيقة فى قائمة الاجابات ، بينما لم يستطع إنكارها تحت تأثير الدواء ، ذهل وارتبك برهة ثم ضحك قائلا : « يا لله !! انها الحقيقة بعينها . . لقد قبض على ، وغرمت . . غير انى نسيت ذلك نسياناً تاماً !! »

واليك حادثة من هذا القبيل وقعت خلال تلك التجارب ، ذلك ان ضابطاً فى البوليس نسى اسم المتجر الذى اشتريت منه سيارة أهداها له أحد أقربائه ، وكان المتجر فى مدينة نائية . فجاء يطلب الينا أن نسأله عن اسم هذا المتجر واسم المدينة الكائن بها ، عندما يكون خاضعاً لتأثير الاسكوبولامين . ففعلنا ، فاذا به يدلى الينا باسم المتجر واسم الشارع واسم المدينة

٭ ٭ ٭

ومما يساق دليلا على ان الاسكوبولامين يعطى نتائج على اعظم جانب من الأهمية فى تحقيق الجرائم ، ان نائباً عمومياً سابقاً فى احدى المدن الجنوبية الكبرى فى الولايات المتحدة أجرى تجارب عدة استعمل فيها الاسكوبولامين كوسيلة للوقوف على الحقيقة

ذلك ان سلسلة من الجرائم الوحشية ارتكبت طوال أشهر عدة ، وقد عجز البوليس عن اتهام أية عصابة . وأخيراً قبض على طائفة ممن تحوم حولهم الشبه ، ثم ألقيت عليهم أسئلة وهم تحت تأثير الاسكوبولامين . ففى كل حالة اجتمعت فيها لدى السلطات أسباب تدعو الى الاعتقاد بأن المتهم مدان ، حصلوا بواسطة الأسكوبولامين على اعترافات وافية تثبت الادانة ، إلا حالة واحدة أخفقت فيها التجربة فى تحقيق ظنونهم . والواقع ان هذا الذى أفضى به المتهمون وأذاعوه ، ليس من قبيل الاعترافات ، إذ ان اقوالهم كانت عبارة عن إذاعة ذكريات اختزنت فى حافظتهم . فلما أفاق المتهمون من شبه الذهول الذى صحب عملية التخدير ، لم يذكر واحد منهم كلمة واحدة مما صرح به ، ولكنهم عندما ووجهوا بتلك الاعترافات سقط فى يدهم ، ثم وقعوا على اعترافات جهزت بعد افاقتهم (تماماً) من تأثير الاسكوبولامين

° ° °

على ذلك ، يكون لنا فى الاسكوبولامين أداة جديدة قوية ، تساعدنا فى كشف الجرائم والافراج عن الأبرياء . ومما لاجدال فيه ان المتهمين لا يجوز إرغامهم على تعاطى الدواء حقنا تحت الجلد . وفى ذلك يقول الاستاذ ماك كورميك : « ان استعمال الأدوية لاحداث حالة يستطاع معها اخماد القوى الواعية ، لم يصادف قبولا عند المشرعين حتى من الجهة النظرية الصرفة » . لكن القانون يسير ببطء . غير انه اذا كان القانون يبحث عن الحقيقة ويبغى الوقوف على جلية الامور حقاً ، فان استخدام الاسكوبولامين أو دواء يشبهه فى الكشف عن الحقيقة ، سيصادف فى النهاية موافقة وقبولا

(ملخصة عن مقال في مجلة هيجيا)



تقييد النسل

أم

انتخابه

العالم أشد حاجة الى جيل صالح منه الى جيل كثير العدد

في العالم الآن نهضتان اجتماعيتان خطيرتان ترمي احداهما الى تقييد النسل والاخرى الى تحسينه . وفي المقالة المنشورة هنا شرح موجز لهاتين النهضتين وما ينتظر لهما من التأثير في الاجتماع . والمقالة ملخصة عن فصل مسهب للاستاذ اوزبرن أحد كبار علماء النشوء والارتقاء في اميركا

لا يستطيع كاتب هذه المقالة الا الارتياب في وجاهة النظرية المعروفة بتقييد النسل (Birth Control) فهي مناقضة لنواميس التطور والوراثة ومضرة بالاجتماع بل هي مناقضة لنواميس الطبيعة نفسها فلا بد لها اذن من الفشل عاجلا أو آجلا

وبازاء هذه النظرية نظرية أخرى أفضل منها وأحسن أثراً في الاجتماع ، وهي نظرية انتخاب النسل بقصد تحسينه (Birth Selection) . وهذه النظرية تتفق والنواميس الطبيعية الازلية ولا سيما ما يتعلق منها بالنشوء والارتقاء . وقد كان تشعب نواحي مدنيتنا الحاضرة مدعاة الى تعطيل نظرية انتخاب النسل في كثير من مراحلها

وأول من جاء بهذه النظرية فرنسيس جالتون الذي نبغ في الربع الاخير من القرن الماضي وقال إنها تنطبق كل الانطباق على نظرية داروين وسبنسر المعروفة « ببقاء الاصلح » . أما نظرية تقييد النسل فتناقض مبدأ بقاء الاصلح لانها ترمي الى تقليل النسل لكيلا يزدحم العالم بسكانه ولكن هذا التقليل قد يمنع ولادة الاشخاص الحائزين لجميع شروط بقاء الاصلح - أي يقضي على الصالحين وغير الصالحين معاً . لانه لا يسعى الا الى غاية واحدة وهي حصر سكان العالم ومنعهم من النمو والتكاثر لكيلا تضيق بهم أبواب الرزق

فمبدأ تقييد النسل مضر بالاجتماع من وجهة بقاء الاصلح لانه يمنع ولادة الصالح وغير الصالح على حد سوى. أما مبدأ انتخاب النسل فهو أفضل منه لانه يقضي بمنع ولادة غير الصالح تحسيناً لصفات الجيل عامة ، وعليه فهو وسيلة لتحسين الاجتماع وترقية مستواه وتسهيل ناموس النشوء والارتقاء

وبعبارة أخرى إن نظرية تقييد النسل تنظر الى الاجتماع من وجهة العدد . ونظرية اختيار النسل تنظر الى الاجتماع من وجهة تحسين النوع

وقد اقترح بعضهم تعقيم المجانين وضعاف العقول والاجسام الذين لا يصلحون للبقاء منعاً

لهم من التناسل . وهذه وسيلة سلبية من وسائل انتخاب النسل لتحسينه . وأما الوسيلة الايجابية فهي العناية بالنسل الصالح والقيام على تربيته حتى يتكاثر ، ومن النواميس الطبيعية أن الاصلح هو الذي يبقى ويدوم ، وأما غير الصالح فلا بد له من الفناء بمرور الزمن

ولا حاجة الى القول إن العالم مهدد بالزيادة العددية فى سكانه وهذه الزيادة ستجعل مشاكل الاجتماع أشد تعقيداً مما هي فى الوقت الحاضر . على أن نظرية تقييد النسل ترمى الى تقليل العدد ـ سواء فى ذلك من يصلح للبقاء ومن لا يصلح له . وفى هذا ما فيه من الخطر على الاجتماع لانه يحرمه النوابغ الذين يمكن ان يفيدوه ويصلحوه

مشاكل الاجتماع الحاضرة

ولننظر الآن فى مقابلة هاتين النظريتين وتأثير كل منهما فى مشاكل الاجتماع الحاضرة وأهمها مسألتا زيادة سكان العالم وضيق أبواب الرزق ولا سيما بعد الحرب العظمى الماضية . وقد تعقدت هذه المشاكل منذ ذلك الحين وظهرت جميعها مرتبطة ببعض كأنها مشكلة واحدة تتناول الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والدينية وغيرها . واذا القينا نظرة اجمالية على بلدان العالم المختلفة وجدنا أنه حيثما تكون المدنية على ابسطها وفى اوائل اطوار نشوئها تكون تلك المشاكل على أقلها تعقيداً وتكون فيها نسبة المواليد على اكثرها . فكأن تقدم المدنية يعرقل زيادة المواليد

مثال ذلك ان شعب جاوا زاد من ١٢ مليونا الى ٣٦ مليوناً فى فترة قصيرة من الزمن لم تزد فى خلالها شعوب أوربا سوى ٦٠ فى المائة فقط . ذلك لان مساوىء المدنية وأمراضها ونقائصها لم تكن معروفة آنئذ فى جاوا فلم تقف عثرة فى سبيل نمو الشعب الجاوى . أما الآن فقد بدأت نسبة المواليد تنقص هنالك أيضاً

وهنا لك ستة عوامل تؤثر بلا شك فى نظام الاجتماع وهى فى الواقع ستة « افراطات » نوردها لك فيما يلى :

(١) الافراط فى اتلاف موارد العالم الطبيعية

(٢) الافراط فى استعمال الآلات التى تغنى عن الايدى العاملة

(٣) الافراط فى بناء السفن والبواخر والسكك الحديدية وغيرها من وسائل النقل التى حلت محل الطرق الاولية

(٤) الافراط فى انتاج المواد الغذائية وفى الأدوات التى يحتاج اليها الأنسان وعلى وجه خاص بعد الحرب العظمى الماضية

(٥) الأفراط فى الثقة بالمستقبل مما أدى الى الافراط فى توسيع موارد العالم المختلفة

(٦) الأفراط فى التناسل وزيادة عدد السكان الى مالا طاقة لموارد العالم الحاضرة به مما قد أدى الى انتشار البطالة فى جميع انحاء العالم

أضف الى هذه «الافراطات الستة» افراطاً آخر غير عام فى جميع أقطار العالم ولكنه واضح كل الوضوح فى بعضها وهو الأفراط فى المضاربات وفى رءوس الأموال واستغلالها على وجه يبهظ كواهل الافراد والجماعات

وقد كان السر وليم كروكس - من معاصرى فرنسيس جالتون - يقول إنه لا بد أن يجيء وقت يصبح فيه اطعام سكان العالم الذين يزدادون بسرعة فى مقدمة المشاكل الاقتصادية . وقد اقترح لذلك حلا غريباً وهو استغلال النتروجين الذى فى جو العالم باستخدام شلالات نياجرا على أن يستعمل النتروجين فى الاستزادة من خصب التربة حتى يكفى نتاجها سكان العالم . وفى الواقع أن الاختراعات الزراعية الحديثة قد حققت اقتراح السر وليم كروكس من بعض الاوجه فصار فى الوسع الاستزادة من خصب التربة فى الجهات المزدحمة بسكانها والتى يزيد فيها الناس بسرعة . ففى جاوا مثلا - حيث عدد السكان ستة وثلاثون مليوناً من الانفس - صار فى الوسع الحصول على ما يكفى القوم من الارز الذى هو غذاؤهم الاساسى . بل لقد أصبح سعر الارز لا يسدد نفقات انتاجه هنالك . وفى الولايات المتحدة الاميركية يبلغ عدد السكان مائة مليون واثنى عشر مليونا من الانفس ومع ذلك يجد القوم ما يحتاجون اليه من غذاء بالسهولة التى كان أجدادهم يجدون بها غذاءهم يوم لم يكن عددهم يزيد على عشر عددهم الحالى وذلك بفضل الاستنباطات والاختراعات الزراعية

زيادة عدد السكان

فزعة الجيل الحاضر من العلماء

ولننظر الآن فى مسألة زيادة سكان العالم وهل هى خطر حقيقى يتهدد العالم أم هى صيحة من الصيحات التى اعتادها المتشائمون يلقونها من وقت الى آخر ليزعجوا العالم وينذروه بالويل والثبور؟

لا ريب أن الحروب والزلازل والامراض والمجاعات وكوارث العالم المختلفة تصد سبل زيادة البشر صداً قوياً . ومع ذلك فان عددهم يتزايد بسرعة كبيرة . فالحرب العظمى الماضية ذهبت بالكثيرين من شبان العالم ومع ذلك تدل احصاءات جامعة الامم التى يوثق بها أن عدد البشر زاد من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٨ اكثر من ١٢٥ مليونا ونصف مليون

ولا حاجة الى القول ان هذه الزيادة وأشباهها هى التى تلقى فى روع المتشائمين وتجعلهم يبشرون بمبدأ تقييد النسل وهو كما ترى وسيلة صناعية لوقف نمو العالم ، وقد أصبح مبدأ شائعاً ينادى به فى جميع أنحاء العالم ، وبعد ان كان وأد البنات شائعاً بين الجاهلية واحراق النساء ودفن الزوجات شائعاً بين الهنود أصبح المتمدنون فى هذا العصر ينادون بوجوب تقييد النسل بلا تمييز بين الجنس أو القوى العقلية

ولعل روسيا هى البلاد الوحيدة التى يطبق فيها مبدأ تقييد النسل تطبيقاً بأوسع معانيه . والحكومة الروسية تقدم كل مساعدة ممكنة لكل زوجة تريد ان تجهض للتخلص من نسلها

على ان هنالك حكومات اخرى قد ابدت فى احوال كثيرة ميلا الى العمل بمبدأ تقييد النسل ومنذ عهد قريب عقد فى لندن مؤتمر للبحث فى هذا المبدأ حضره الكثيرون من الاطباء والعلماء ورجال الدين من جنسيات مختلفة ، وجرى البحث فى المبدأ المذكور على اوسع نطاق ، واظهر الكثيرون ميلا الى الاخذ به وقاتهم ان ذلك ليس فى مصلحة العمران فقد يحول دون نمو النوابغ والافراد الذين يستطيعون خدمة بنى جنسهم والعالم اجمع

ويقول أنصار تقييد النسل إن وسائل منع الحمل هى من أعظم الاختراعات التى وفق اليها الانسان وهى عقبة كأداء فى سبيل نمو البشر وليس ذلك فقط بل هى متفقة مع مقتضيات الصحة العمومية تمام الاتفاق حتى لقد صار الكثيرون يعتقدون أن منع الحمل والصحة الحقيقية هما شىء واحد . على أن مثل هذه الدعوى لا تستند الى أساس على صحيح ، ولعله لم يمر عليها وقت يكفى لاصدار الحكم النهائى . بل إن فريقاً كبيرا من الأطباء الذين يعول على آرائهم يعتقدون أن منع الحمل بالوسائل الصناعية كثيراً ما يذهب بصحة المرأة ويؤدى بها الى الهلاك

ولقد تقدم الشرح أن نظرية تقييد النسل ترمى الى منع تكاثر البشر وازدحام العالم بهم حالة أن نظرية انتخاب النسل ترمى الى تحسين النسل وتشجيع العناصر القوية فيه على النمو وتطلق المجال لمبدأ بقاء الاصلح ليعمل عمله فيقضى على من لا يصلح للبقاء ويستبقى من يصلح له . ولا يخفى انه اذا اطلق العنان لسكان العالم ليزيدوا بلا قيد فان العناصر الضعيفة الفقيرة فى كل شىء تنمو أسرع من العناصر القوية . وهذا ناموس طبيعى يصعب ادراك كنهه . فالميكروبات والهوام والحشرات الضعيفة تنمو أسرع من الحيوانات التى هى أرقى منها . والقبائل الضعيفة المتوحشة تنمو أسرع من القبائل الراقية . ومدة الحمل عند الانسان هى اطول من مدة الحمل عند الحيوان . ومدة الحمل عند الحيوان اطول بكثير منها عند الحشرات والميكروبات بوجه عام . فالميكروب الواحد قد تتناسل منه ملايين الميكروبات وهو لا يزال حياً . حالة ان الحيوان الراقى أو الانسان لا يستطيع أن يرسل من نسله إلا بضع عشرات . وهذا يثبت لك ان الطبيعة قد رتبت ان تطول مدة الحمل كلما تقدم المخلوق الحى فى سلم النشوء . ولعل الغرض من ذلك تقوية عاطفة الامومة فى أثناء تلك المدة

مضار تقييد النسل

فاذا اتضح لك ما تقدم علمت أن مبدأ تقييد النسل مضر بالاجتماع من حيث إنه لا ينظر الى مشكلة الاجتماع إلا من وجه زيادة السكان وهو يحرم العالم من نوابغ كان يمكن أن يولدوا ويخدموا قضية العمران

وهنالك اعتبار آخر قد غاب عن فكر الكثيرين . ذلك أن الاحصاءات الدقيقة التى لا يمكن أن يتطرق اليها الشك قد أثبتت أن الاسر التى ليس لها سوى ولدين لا يمكن تخليدها ابداً . والاسر المؤلفة من ثلاثة أولاد يصعب تخليدها فى المستقبل . والاسر المؤلفة من أربعة أولاد تخلد زمناً طويلا . وسبب ذلك ان الاسرة التى ليس لها سوى ولدين تكون معرضة فى أغلب الحالات للانقراض . بخلاف الاسرة التى لها أربعة أولاد أو خمسة فقد يموت بعضهم وينجو الباقون لتخليد الاسرة . فالذين يبشرون بمبدأ تقييد النسل يعملون - ولو عن غير قصد - على تقويض نظام الاسرة بحيث يصبح الاجتماع مؤلفاً من أفراد مشتتين لا يربطهم رباط . ومما يجدر بالذكر أن فريقاً غير يسير من انصار مبدأ تقييد النسل قد أخذوا يدركون قبل فوات الوقت أن وسائل منع الحمل انما تسعى الى تقليل العدد وانها بتقليلها العدد تجرف الصالحين وغير الصالحين معاً وتفسح المجال لتغلب هؤلاء على أولئك ما دام الضعاف وغير الصالحين للبقاء يتناسلون أسرع من الاقوياء الصالحين

ويؤخذ من المباحث التى قام بها الدكتور هايمز فى انجلترا أن تقييد النسل وسيلة سلبية وانه لا يمكن أن ينجم عنه خير للاجتماع لان تعميم وسائل منع الحمل مما يشجع الفتيات على الاسترسال فى الشهوات والرذيلة . وهذا وحده يؤثر فى نظام الزواج اسوأ الأثر

ويقول الدكتور كبل الارلندى - وهو من أنصار مبدأ تقييد النسل - انه قام بمباحث واسعة النطاق جداً فثبت له انه باستعمال وسائل منع الحمل يمكن أن تتعادل نسبة المواليد ونسبة الوفيات فى أميركا بعد ثلاثين عاماً . وعند انتهاء تلك المدة يقف سكان الولايات المتحدة عن النمو ويزول الخطر الذى يتهددهم من ناحية زيادة السكان

مبدأ انتخاب النسل

أما مبدأ انتخاب النسل فقد أوضحنا سابقا أنه فى مصلحة العمران لانه يرمى الى انتخاب الذين يصلحون للبقاء والى السعى للاستزادة من تسلهم مع بذل الجهد لمنع من لا يصلحون للبقاء من التناسل ، ولما كان الذين يصلحون للبقاء أبطأ تناسلا وأقل خصباً من الذين لا يصلحون للبقاء فان الخطر على الاجتماع من ناحية زيادة السكان يصبح خطرا ضئيلا لا يستحق الاهتمام

وفى مقدمة الوسائل التى يعتمد عليها أنصار مبدأ انتخاب النسل تلقيح ضعاف العقول والاجسام ومن لا يصلحون للبقاء تلقيحاً يعقمهم ويحول دون تناسلهم . وغرض هذا التعقيم اسمى - بالاعتبار الادبى - من غرض تقييد النسل ولا يؤثر فى الاجتماع التأثير السىء الذى يحدثه تقييد النسل . واذا كان أنصار هذا المذهب يحتجون - فى جملة ما يحتجون به - بأنهم يريدون تخفيف الزحام عن الارض وتقليل المنافسة على أبواب الرزق واراحة الأم من عناء تربية جيش من

الاولاد ، فان مبدأ انتخاب النسل يحقق تلك الاغراض جميعها ولكن على وجه أكثر انطباقا على مقتضيات الاجتماع

أضف الى ذلك أن تقييد النسل لتخفيف متاعب الامومة لا يؤدي الى عاقبة حميدة لان متاعب الامومة هي الحمل الذى ألقته الطبيعة على الام لتؤدى المهمة المعهود بها اليها فى الحياة وبعبارة أخرى إن متاعب الامومة هى الجهاد الطبيعى الذى تقوم به المرأة لتنازع البقاء. وقد أثبت العلم أن كل مخلوق حى لا يبذل شيئاً من الجهود فى سبيل تنازع البقاء مصيره للزوال. وكلما قويت تلك الجهود واشتد التنازع فى سبيل البقاء كان البقاء أضمن وأتم. وجهاد النساء ووجودهن فى الحياة ألزم من جهاد الرجال ووجودهم. فقد يهلك ثلاثة ارباع الرجال فى العالم فلا يطول الزمن حتى يعمر العالم مرة أخرى. ولكن اذا هلك ثلاثة ارباع النساء بل ربعهن فقط احتاج تعمير العالم الى وقت طويل جداً

* * *

ومن الظلم أن ننكر على مبدأ تقييد النسل كل فائدة ؛ فهو فى جوهره مفيد من حيث الغرض الاساسى الذى يرمى اليه أى الحيلولة دون ازدحام العالم وكثرة المتنافسين على أبواب الرزق ، إلا أنه مناف لنظام الطبيعة غير منطبق على مقتضياتها بخلاف مبدأ انتخاب النسل فانه طبيعى منطقى معقول مفيد لنظام الاجتماع ومتفق كل الاتفاق مع نظرية النشوء والارتقاء ومبدأ بقاء الاصلح

ومما يجدر بالذكر أن الكثيرين من الغربيين فى أوربا وأميركا يسيرون اليوم على مبدأ تقييد النسل. وهو خطأ يجب تنبيههم اليه وارجاعهم عنه. وفى الوقت عينه يجب أن يشرح لهم مبدأ انتخاب النسل والفرق بينه وبين مبدأ تقييد النسل مع شرح مزايا ذلك وشوائب هذا وفضل الاول على الثانى. وقد ظهر فى الاعوام الأخيرة كثيرون من كبار المفكرين ممن وجهوا جهودهم لتأييد مبدأ انتخاب النسل - اما بوسيلة التعقيم التى سبقت الاشارة اليها - وهى سلبية - أو بالوسيلة الاخرى التى يشير اليها الدكتور فورونوف واضرابه وهى اختيار أطفال ممن اشتهر آباؤهم وأجدادهم بالعقل والذكاء. وتلقيحهم بخلاصات غدد العظماء ليكونوا نواة لجيل « السوبرمان » أو الانسان المتفوق الذى سيرث الارض فى مستقبل الزمان - كلتا الطريقتين نافعة للاجتماع وكلتاهما تضع حداً لزيادة عدد البشر وللحيلولة دون تكاثر الذين لا يصلحون للبقاء

ان العالم لا يشكو اليوم من كثرة عدد سكانه بقدر شكواه من كثرة الذين لا يصلحون للبقاء. ولو جرى الناس على مبدأ تقييد النسل ما كان ثمة مجال لشكوى ذات بال. وعلماء

الاجتماع واثقون تمام الثقة بان الناس سوف يرغمون - عاجلا أو آجلا - على السير على مبدأ انتخاب النسل بعد ان يثبت لهم بوجه قاطع أن مذهب تقييد النسل لا يحقق بمرور الزمن مايعلق عليه من الآمال، وانه فى الواقع مضر بالاجتماع . ولعل الوسيلتين اللتين أشرنا اليهما واللتين يقوم عليهما مبدأ انتخاب النسل - وهما التعقيم بحسب مذهب جالتون ، والتلقيح بحسب مذهب فورونوف - هما أنفع ماوفق البشر الى اكتشافه لترقية الاجتماع ورفع مستواه ولتقريب ذلك اليوم الذى يظهر فيه جيل « السوبرمان » ويرث الارض

فهل لنا أن ننقح نظريتنا فى مبدأ تقييد النسل وان نسعى للقضاء على هذا المبدأ قبل استفحاله فان فى تعميمه والعمل بموجبه اضراراً بليغة تؤثر فى الاجتماع وقد ترجع بالمدنية قروناً كثيرة الى الوراء . واذا أفلحنا فى القضاء على فكرة تقييد النسل لم يبق لنا مندوحة عن الالتجاء الى نظرية انتخاب النسل لان فضلها واضح لا يحتاج الى بيان . اما محاولة تخفيف متاعب الامومة فشفقة فى غير موضعها



منوعات

من جيد (التضمين) (١)

- ١ -

خليلك انت

أفق يا قلب ، ان الرشد أولى وان العمر آخره انصرام
أحاديث الهوى غرتك حيناً وما صدقت ، ولا صدق الغرام
[خليلك أنت ، لامن قلت خلى وان كثر التجمل والكلام]

(١) التضمين من ضروب الاستشهاد بكلام الغير ومثله « الاقتباس » ، وعده بعضهم من الحسنات البديعية، كما عد الاقتباس ، وقد جاء كثيراً فيما قاله شعراء العصر الرابع ، لكنه قليل في عصرنا ، وهو : أن تتم كلامك ببيت من قول غيرك ، وأحسنه ما كان مشهوراً

صفحات مطوية من صفحات

الحكم الوطني في سورية

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

> الزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر جولات قلمية في السياسة والعلم والادب والاجتماع . وقد نشر الهلال له غير مرة مقالات علمية واجتماعية شائقة . ونحن نتحف قراء الهلال في مفتتح هذا العام بطائفة من ذكريات هذا الزعيم الوطني الشهير . وقد تخللت هذه الذكريات آراء وأحكام في رجال وحوادث تركنا لحضرته حرية ابرادها دون أن يكون لنا نصيب فيها

فى اليوم الاول من شهر أيار ــ مايو ــ سنة ١٩٢٠ ــ فى عهد وزارة رضا الركابى باشا ــ زارنى على غير ميعاد سابق هاشم بك الاتاسى فاذ لم يجدنى ترك لى خبراً أنه بحاجة شديدة الى مقابلتى لامر طارىء ــ والطوارىء فى تلك الايام مثل القتيلة المشتعلة بالقرب من مخازن البارود تتطلب السرعة فى الحركة والانجاز فى العمل ، فذهبت اليه وكان نازلا بفندق (داماسكوس بالاس) فلما اجتمعنا وتبادلنا احاديث المؤانسة والولاء على جرى العادة تذاكرنا فى الموقف الدقيق الذى تقفه البلاد السورية وان لابد من التشمير عن ساعد الجد للاخذ بيدها ولو تحملنا فى ذلك ما تحملنا ، وكانت فكرة الاستقلال قد درجت على الالسنة الوطنية العامة بالاطمئنان لان الواقفين على خفايا الامور لم ينبهوا الرأى العام الى الاخطار المحدقة بالبلاد ، ثم أخرج لى هاشم بك من جيبه قائمة ببضعة اسماء كان اسمى من جملتها وقال : « ان هذه قائمة الوزارة الجديدة التى ستخلف وزارة الركابى باشا فهل أنت موافق عليها ؟ » وفى الحق ان هذه القائمة باغتتنى واخذت على طريق تفكيرى ، لاننى لم أكن عارفا من قبل ان الرياسة عرضت على صديقى الاتاسى بك ، وان كنت موقناً بأن وزارة الركابى باشا زائلة حتما لزوال الدواعى التى كانت تؤيدها ، ولان الاجتماعات التى عقدها جلالة الملك فيصل فى دار رئيس امنائه دلتنى على رغبته عنها وتململه منها ، وقد حضر هذه الاجتماعات فيمن حضر غير الاتاسى بك وغيرى المرحوم يوسف بك العظمة والسيد رشيد رضا ويحيى حياتى بك ومصطفى وصفى بك ورفيق بك التميمى وعثمان افندى سلطان وغيرهم من كبار رجال الملكية والعسكرية

ثم وجدت بجانب اسمى فى القائمة (وزير خارجية) فلم تطب نفسى ولم ارتح الى الاشتراك فى أى عمل حكومى مسؤول فى تلك الايام التى افسدتها دعاية المستعمرين ودراهمهم . وكان حنقى شديداً كما كان حنق اخوانى الوطنيين على من بيدهم الامر للضعف الشديد الذى استولى عليهم فى معاملة

المأجورين بعد ما استفحل أمرهم وصاروا لا يستحون من بث دعايتهم علنا بين التجار وأصحاب الأملاك مبينين لهم المرابح العظيمة التى تصيب الافندية والمتاجر فى العهد الجديد ، مع ان الركابى باشا هو أحد الاعلام فى الشرق العربى ممن يملأون الكراسى التى يجلسون عليها ويتحملون التبعات بالحزم والاقدام ، وقد ازدادت هذه الدعاية أضعافاً مضاعفة بعد وصول الصفائح مملوءة ذهباً وهاجاً الى دار احد الاعيان فاتخذت الدعاية شكلا منظما على ايدى حزب على له لجنة تنفيذية معلومة ، وقد يغفر الوطن الذنوب الا اذا كانت من الكبائر مثل ذنوب الذين آداروا دفة هذا الحزب وتآمروا على تأسيسه

وقفت بين الاقدام والاحجام وأرجو ألا يظن ظان أنى لو احجمت يكون ذلك مبنيا على ماتقتضيه مصلحتى من التظاهر بالتشاؤم — وقد قلت مصلحتى لان السياسة علمتنا أن من أراد أن يصفه الناس بالذكاء والتوقد فعليه أن يتشاءم دائما لانه اذا صدق ظنه وحلت الكارثة صفق له الغوغاء وبالغوا فى حكمته وقدموا له البخور على المذبح ، بل من طبيعة الغوغاء هؤلاء أنهم كما قال الجنرال (لودندورف) يتطيرون ويتشاءمون دائما فان لم يحدث الشر الذى يخشونه كانوا هم ومن أشرنا اليهم من اهل (التذاكى) و (التفاطن) فى فرح ومرح وهكذا نراهما كليهما يتلذذان على كل حال — اما رجال العمل فليسوا كذلك سعداء وهم لا يعتبرون على جانب الحق الا اذا نجحوا وحينئذ تصفق لهم الغوغاء . أما اذا لم ينجحوا فياويلتهم لان هؤلاء الغوغاء انفسهم يرجمونهم بالحجارة وقد يكون الحق بجانب هؤلاء الغوغاء لانهم يراقبون المناظر السياسية الاجتماعية كما يراقب المتفرجون المسارح فيصفقون تصفيقاً عظيماً لمن يجيد دوره فى الرواية ولو كانت هزلية

ولكنى على كل حال لم أترك لهذه المصلحة الانانية سلطانا على ، بل قلت فى نفسى عليك بالجد الذى يليق بتلك الشدائد فلا تركن الراحة واللذة لاولئك الذين لا يقدمون على الخدمة العامة الا اذا ضمنوا لانفسهم السلامة ولو من ليلة يناموها فى البرية من غير لحاف ، ولما عدت فى المساء الى بيتى جاءنى المهنئون فعرفت منهم دخولى فى الوزارة الاتاسية

سمعت زوجتى هــذا الخبر فقامت وقعدت ثم دخلت على تلومنى على اشتراكى فى هذا العمل المحفوف بالمكاره ظانة أننى أخفيت عنها الامر قصداً ، فذكرت لها ما جرى بينى وبين هاشم بك وما جال فى خاطرى من الافكار التى حملتنى على اللين وعدم الرفض فاستاءت أشد استياء ، لا لانها تأبى أن أتحمل تبعة فى سبيل بلادى بل لانهــا وطدت النفس على أن تنال كلانا فترة من الراحة والسكون نقضيها فى الاسرة معاً بين أولادنا بعد تلك الغيبة الطويلة التى قضيتها فى مصر والزعازع التى نزلت بنا من جرائم الاتحاد بين السفاحين وأعوانهم . وكأنى بها وقد نظرت الى هذه المسألة من وجهتها الاقتصادية كما نظرت اليها من وجهتها السياسية ، فرأت ان الاوان قد آن لعودتى الى عملى الخاص واهتمامي بشؤون بيتى لأن من أمهات الفضائل واقدس الواجبات أن يفكر المرء فى استقلال

أبنائه كما يفكر فى استقلال وطنه ، ولا وطن لمن لا بيت له ، فصبرتها واعترفت لها باصالة رأيها ونجابة قصدها وان كل والدة مثلها يحق لها أن تهتم برفاهية أبنائها ، ولكننى قلت لها أيضاً ان الذين لا يريدون أن يتعرضوا للخسائر والكوارث ولا أن يخطوا خطوة واحدة الى الامام ما لم تكن مضمونة هم الاغفال الذين لا شأن لهم وان الذين لا يأبهون للعراقيل فى سبيل الواجب هم الذين يجوزون العقبات ، وان هذه المغامرة شريفة لانها لغاية شريفة ، ثم أى صرح يستطيع المرء تشييده يا ترى أسمى من صرح الوطن ؟ وأى ظل أورف من ظله فى مثل هـذا الزمن الذى تتسابق فيه الامم الى تثبيت حوزتها وتأييد بنيانها ، ويزداد المرء تمسكا بقوميته عندما يرى هذا التكالب من الامم الجبارة على بسط سلطانها على رأس الامم المستضعفة مما يجعل الدفاع عن الاوطان واجباً مقدساً ولا يترك شيئاً من القيمة لتلك الدعوى الانسانية الطويلة العريضة التى فحواها ان الانسان أخو الانسان . وأما القول بأن هناك أمماً متمدنة تغار على بعض الاقوام الناشئة فتريد ان تمد لها يد المساعدة الى أن تقف على رجليها فهو كلام يجوز أن يتفوه به اما سخفاء المبشرين من أهل القرن الماضى أو دهاة السياسة من أهل القرن الحاضر ، وان يصدق به الذين تربوا على طريقة الاكليروس فى القرون الوسطى

☆ ☆ ☆

كانت أولى القضايا التى تطلبت الحل فيما بين الوزراء أنفسهم قضية وزارة الداخلية لامتناع رضا بك الصلح عن قبول رئاسة الشورى ، فاقترح أحد الوزراء أن تعاد اليه وزارة الداخلية وايد هذا الاقتراح رئيس الامناء وبعد أخذ ورد قبل الاقتراح فاخذنا نبحث فيمن يحل محله فى رئاسة الشورى ، فاقترح هاشم بك ان يكون المرحوم علاء الدين بك الدروبى فاستغربت هذا الاقتراح منه وقاومته بشدة لما اعرفه فى الرجل من الرجعى التى نشأ عليها فى مدرسة السلطان عبد الحميد وقد بقى الى سنة ١٩١٨ لا يعرف له لون سياسى يتصف به،ومن عجيب ما أقصه على القارىء ان وزارتنا لما سقطت عقيب وصول الجنرال غورو الى ميسلون لم يقم علاء الدين بك بما تقتضيه المجاملة واللياقة المتعارفة من زيارته هاشم بك سلفه فكأنه تنمر واشتد ساعده من تغلب (الانصار) مع انه كان فى الوزارة يبدو حملا حتى أخذنى هاشم بك جانباً فى بيت الملك فيصل لما كان اللصوص يشنون الغارة عليه فى آخر ساعة من ساعات الحكم الوطنى وقال : « أرأيت ياد كتور ما فعل علاء الدين بك ان بلدى وقد أيدته ذلك التأييد أمامكم ؟ انه لم يشأ أن يتنزل لزيارتى وقد خالف كل مألوف بعد أخذه محلى فى هذه الايام العصيبة » فقلت له : « لا بأس إن صفات الرجال تظهر فى أوقات الشدة » ولم أر هاشم بك فى حياته متأثراً كما رأيته فى تلك الساعة الرهيبة . على ان هذا لا يمنعنى من اعطاء علاء الدين بك حقه خصوصاً بعد الموتة الفظيعة الحمراء التى ماتها فى حوران وطى الارض جثمانه فى عاصفة محلية ، فقد كان ادارياً قديراً واخصائياً فى القوانين العثمانية يعرفها معرفة عملية طالما نفعتنا

أما ميل علاء الدين بك الرجعى فلم يتجل لنا الا فى أواخر أيام وزارتنا إذ أخذت الاحزاب

اللاوطنيـــة تظهر جرأة نادرة وتنذر بالقضاء على جميع الآمال ، وفي تلك الساعات الخطرة المفعمة بالمصادمات بين الوطنيين والرجعيين اقترح علاء الدين بك أن يكون حمدي بك الجلاد مديراً للشرطة بدلا من الامير بهجت الشهابي ، ووحيد بك قائداً للدرك وكلاهما كان له اتصال وثيق سري بالفرنسيين كما كان معروفاً من التقارير الرسمية وكما ثبت بعد الاحتلال . وبلغ به الحال ان اقترح لما صار وزيراً للداخلية بدلا من رضا بك الصلح ان يقبض على بعض الوطنيين ليذهبوا الى غياهب السجن واذا اقتضى الحال ان يصعدوا الى المشانق ، وضرب على نفع ذلك مثلا من المشانق التي علقها في اليمن ، ولم يرفع هذا القناع عن وجهه الا بعد ما افشيت الاسرار من رجال مسؤولين عن نقص معداتنا الحربية نقصاً جوهرياً مما يحتم علينا التوسل بالوسائل الدبلوماسية كما سنبينه مفصلا

وتألفت وزارتنا يومئذ على الشكل الآتي :

هاشم بك الاتاسي (للرئاسة) ، علاء الدين بك الدروبي (للشورى) ، رضا بك الصلح (للداخلية) ، يوسف بك العظمة (للحربية) ، فارس بك الخوري (للمالية) ، ساطع بك الحصري (للمعارف) ، يوسف بك الحكيم (للتجارة والزراعة والاشغال العمومية) ، جلال بك زهدي (للعدلية) ، الدكتور شهبندر (للخارجية)

ثم أخذت الاجتماعات تتوالى في بيت جلالة الملك فيصل لـكثرة الرسائل المهمة الواردة في تلك الأيام من مختلف الجهات ، وربما كانت أهمها رسالة من اللورد التي تاريخها ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٠ الى جلالة الملك وفيها التبليغ الرسمي من بريطانيا عما اتخذه الحلفـاء من القرارات بشأن سورية وفلسطين والعراق وليس في هذه الرسالة من جديد سوى تحقيق ما كان معروفا من اعطاء الانتداب على سورية لفرنسا ، والعراق لانكلترا والاعتراف بهما دولتين اثنتين مستقلتين ثم ذكر فلسطين والاسباب الداعية الى انتداب انكلترا عليها وتذكير جلالته برسالة منه تتعلق بهذا الموضوع وقد دعي في هذه الرسالة الى السفر الى أوربا مرتين ، والغرض الوحيد من هذا الاصرار كما تقول الرسالة انما هو ليتمكن جلالته من بسط قضيته وقضية البلاد وان حقوق ملكيته لا تتم الا بواسطة مؤتمر الصلح

ولم يرد في هذه الرسالة اقل اشارة الى الدويلات التي استجدت في سورية — لا الى لبنان ولا الى العلويين ولا الى جبل الدروز ، بل ذكرت سورية باعتبارها دولة واحدة مستقلة كما ذكر العراق

وتضاربت الآراء يومئذ في سفر الملك فبعضها وافق وبعضها خالف ، وكانت كلمة المخالفين هي التي تغلبت أخيراً ويا للاسف ، وربما كانت المصلحة في سفره لاسباب سأبسطها عند ماتسنح الفرصة خصوصا لان وحدة الجبهة بين الحلفاء — وايطاليا من جملتهم طبعاً — لم تـكن من المتانة بحيث تحول دون كل عمل سياسي ، وجهود الامة يجب ان تكون متنوعة على قدر قواها العقلية والبدنية

عبد الرحمن شهبندر

حورية البحر

قصة مصرية بقلم الاستاذ محمود تيمور

— ١ —

حدثني صديقي حافظ قائلا : —

منذ عشرين سنة كان عمري عشرة اعوام بينما كان شقيقي شريف قد تخطى الخامسة عشرة . وكنا نسكن القاهرة شتاء في قصرنا العتيق بشبرا ، والرمل صيفاً في فلتنا الجميلة المطلة على البحر في جهة « سابا باشا » وكنا نعيش عيشاً هادئاً لاغبار عليه مع جدتنا ومعلمتنا السويسرية مدام هوبير . وكنا ملتحقين بمدرسة الجزويت وكانت مدام هوبير تذاكر لنا دروسنا وتعتنى بملابسنا . وكنا نحبها لوداعتها وطيبة قلبها . وكانت تجمعنا غالباً بعد العشاء في حجرتها وتقرأ لنا الحكايات المسلية من الكتب الكبيرة المصورة . ولا أنسى وجهها البشوش بأنفها الأقنى ونظارتها الذهبية التي لا تفارق عينيها ومعطفها المنزلي الطويل ذا اللون البنفسجي . وكانت جدتي تحبنا حباً يفوق الوصف وتغدق علينا النقود والهدايا بلا حساب . ولا تشبع من تقبيلنا وملاطفتنا ، ولا غرو فقد كنا كل من بقي لها في الحياة من اولادها

وكان لمصائب الدهر أثر بالغ في نفسها فاعتزلت العالم معتكفة في دارها تلبس السواد دائماً وتقضي وقتها اما على السكينة تدخن لفائفها الواحدة أثر الاخرى أو على سجادة الصلاة تصلي وتقرأ في كتبها الدينية

أما شقيقي شريف فكان هوائياً غريب الطبع ولكنه كان محباً لي شفيقاً على يعمل مافي وسعه لاسعادي . يغضب اذا ما عنفني أحد ويدافع عني في المدرسة ممن يريدون معاكستي . يشرح لي دروسي الصعبة ويلاطفني دائماً بعذب حديثه . وكان يمكث الساعات الطوال بجوار النافذة ، لايغير جلسته وهو ناظر الى الفضاء نظرة تائهة كلها أسرار . واقتربت منه مرة وسألته في رفق :

— لماذا أنت جالس هكذا طول هذه المدة يا أخي ؟

فنظر الى نظرة لاتخلو من اشفاق وقال :

— . . . انني احلم ياشريف . افكر دائماً في اسرار هذا الوجود

ولاحظ على حيرتي فربت على كتفي وقال :

— ايه ياحافظ هذه مسائل عويصة لاتستطيع فهمها . اذهب والعب بنحلتك . .

وكان اخي مغرماً بالشعر وبالاخص الشعر الفرنسي الذي كان يحفظ من مقطوعاته الغزلية

والغنائية الشيء الكثير . وكثيراً ما كان يقف أمام النافذة فى حجرتنا الخاصة ينشد الاشعار بالقاء عذب ولهجة مؤثرة فكنت استمع له وأنا مأخوذ ، أحس فى أعماق قلبي بهزات سحرية ، ومرة قرأ لى خطابا غرامياً كتبه لفتاة سماها « وردة الربيع » كله أوصاف واستعارات جميلة .فنظرت اليه مشدوها وقلت له :

ـــ لمن هذا الخطاب يا أخى ؟

فابتسم ابتسامة كبيرة وقال فى شيء من الخيلاء :

ـــ لها . للتى ملكت زمام قلبي . التى تسبح حولى ـــ فكرة ـــ لا أراها ولا ترانى . !

فلم افهم شيئاً مما قال . وقادنى الى النافذة وقال لى وهو يشير الى الاشجار والزهور :

ـــ لله ما أحلى هذه الطبيعة الباسمة ، أنظر الى هذه الورود الحمراء . انها أرواح لحوريات من الجنة جاءت تزور دنيانا فى هذا الشكل الجميل ، وهذا النخل المنبسط الطويل الذى يتمايل فى هوادة وجلال مع النسيم ، انه أرواح الفراعنة القدماء الذين كانوا يحكمون وادى النيل فى الزمن الغابر الا ترى مظهر الملكية منطبعا على محياها الرزين . وهذا القرنفل الوديع انه ارواح الاطفال الصغار تمضى ايامها فى دنيانا شبه نائمة فى احضان النسيم . . .

ـــ ٢ ـــ

وأهدته مرة مدام هوبير كتاباً ضخما منهباً بصور فنية رائعة ، تتضمن قصة رائعة عن « حوريات البحر » . وهى تلك المخلوقات التى حدثتنا عنها الأساطير ووصفتها لنا بأن نصفها الأعلى على شكل البشر ونصفها الأسفل على شكل السمك . وكانت القصة تصف باسهاب خلاب حياة هاته الحوريات فى جوف البحار وقصورهن البلورية المختفية فى الاعماق وقد قدم مؤلف الكتاب القصة للقراء بمقدمة عجيبة قال فيها : « ولا تحسب أيها القارىء العزيز أن قصتى من القصص الخرافية التى نكتبها للتسلية وقتل الوقت بل هى معلومات صحيحة ووقائع حقيقية جمعها فتى من صيادى نورمانديا من حورية من هؤلاء الحوريات » وشغف اخى شريف بهذا الكتاب شغفاً لايقدر فكان لايفارقه طرفة عين يأخذه معه فى الحديقة ويأتى به الى حجرة الأكل ويضعه تحت وسادته اذا نام وكان يقرأه بلهفة ويتمعن فى صوره بشوق ولذة . ونادانى مرة وأخذ يقرأ لى بحماس كبير بعض فقرات من الكتاب ، أوصافاً خلابة لبطلة القصة « حورية البحر » ، كان يعجب بها أكثر من غيرها . ثم ارانى صورتها وهى تعوم بهدوء بين لجج البحر تعبث بشعرها الاصفر الطويل المتدلى على كتفيها . وكان اخى يضغط يدى بشدة وهو يحدق فى الصورة تحديقاً عميقاً . ويقول :

ـــ انظر اليها جيداً . انها تكاد تنطق . . . بل أسمعها تهمس بالكلمات

فقلت له :

ــ انك تخيفنى بلهجتك هذه يا أخى

فأخذ يضحك ضحكا عصبياً وطوى الكتاب واحتضنه بشدة وقال لى :

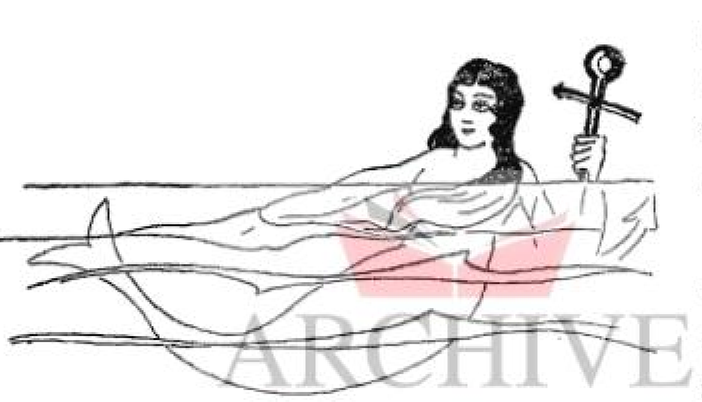
ــ اذهب والعب بنحلتك ياحافظ . . انك مازلت صغيراً

وذهب الى مدام هوبير فى حجرتها وكانت جالسة بجوار النافذة تشتغل فى رتق بعض الجوارب وسألها على الفور :

ــ مارأيك فى قصة هذه « الحورية » اتشكين فى حدوثها ؟

فرفعت مدام هوبير نظرها من الجوارب وازاحت قليلا نظارتها عن عينيها وقالت له بدهشة وهى تبتسم :

ــ ومن أين لى أن اجيبك عن هذا السؤال !



ــ ألم تقرئى المقدمة؟

ــ هذا رأى المؤلف

ــ ورأيك أنت ؟

فصمتت قليلا مترددة وهى مشغولة بمسح نظارتها.ثم قالت له بهدوء :

ــ ربما يكون فيها شىء من الصحة

فصرخ أخى منفعلا :

ــ تقولين «ربما » . . انها قصة حقيقية تشهد حوادثها بأنها ليست من مخترعات البشر .انها قصة واقعية !

وخرج من الحجرة كالزوبعة ومدام هوبير تتبعه بنظراتها المندهشة . وقصد جدتنا ، وكانت جالسة بهدوء واستسلام على كنبتها تفكر وتتنهد وسألها على الفور قائلا :

ــ وأنت ياجدتى هل تشكين فى وجود هذه المخلوقات ؟

فاستيقظت من احلامها وابتسمت له ابتسامة عذبة . وأدنته من صدرها واحتضنته فى رفق وقبلته وهى تقول :

ــ أى مخلوقات تعنى ياحبيبى ؟

ــ « حوريات البحر » انظرى الى هذه الصورة

ثم مد لها الكتاب واشار لها على صورة الغلاف .

فتناولت نظارتها من العلبة ووضعتها على عينيها بتأن وجعلت تنظر فى الصورة ببساطة وابتهاج كطفل يتفرج على لعبة جديدة ثم اجابت قائلة :

ـــ بلا شك ياحبيبي . هذه المخلوقات موجودة وتعيش فى البحار كما نعيش على ظهر الارض

فانهال عليها اخى يقبلها ثم عاد الى الحجرة وهو محتضن الكتاب

ـــ ٣ ـــ

ومرت الاشهر وانتهت السنة الدراسية . ولم يعد أخى شريف يتكلم عن هذه الحوريات ولكنى لاحظت أنه كان يديم المطالعة فى الكتاب بشغفه السابق . واشترى عدة كتب أخرى عن الموضوع نفسه كان يقرأها بنهم كبير . وانتقلنا الى فلتنا اللطيفة بالرمل . وكان لى ولاخى حجرة واحدة لها نافذة واسعة تطل على شاطىء البحر وأخذت الحياة تدب دبيبها السنوى على هذا الشاطىء المحبوب وأخذنا نستقبل بنفوس عطشى النسيم المشبع برائحة البحر تلك الرائحة الغريبة التى تحمل فى طياتها عطر الاسفار

واستأجرنا كشكا للحمام ـــ كعادتنا السنوية ـــ وبدأنا حماماتنا فى ابتهاج . وأعدنا صلاتنا ببائعى السميط،وجددنا تعارفنا بأخوان الشاطىء الذين لم نكن نرى وجوههم الا فى الاسكندرية، وبالاجمال استعدنا حياة « الحمام » بما فيها من أنس وجمال . ولاحظت على أخى شريف شغفا عظيما بالسباحة ، على خلاف عادته فكان يقضى طيلة الوقت من الصباح إلى الظهر وهو اما فى الماء يعانق الامواج بهوى عجيب أو متمدد على الرمل ، يحدق فى السماء تحديق الحالم

وكان من عادتنا أن نقصد « الكازينو » عصر كل يوم لنقابل أصدقاءنا ونشاهد السينما فكان أخى يتركنى معهم ويتنزه وحده على الشاطىء بخطى متمهلة ، ويداه خلف ظهره . وعند مايخيم الظلام ويحين وقت السينما يختار مكانا منعزلا مهجورا ويقعد فيه مغمورا بالظلام تجاه البحر يراقب الافق الحالك العريض ويستمع الى صخب الامواج

وذهبت اليه مرة وقلت له فى رفق :

ـــ ماذا تفعل هنا يا أخى وحدك ؟

فقال لى وعيناه تلمعان :

ـــ ماذا افعل هنا . . انى اشم البحر وأعانقه . . .

ثم قام وفتح يديه وابرز صدره وقال فى شغف كبير :

ـــ آه البحر ، البحر . هذا حبيبي الذى لا أمل عشرته مدى الحياة

ومرة ذهبت اليه وهو فى مكانه هذا وقلت له :

ـــ ألا تأتى لمشاهدة السينما معنا يا أخى ؟

فلم يجب عن سؤالى . ولكنه قام من كرسيه وأمسك يدى ثم سار بى بضع خطوات نحو البحر ، وقال لى وهو يشير اليه :

ـــ انظر ياحافظ ، انظر الى هذا النور الصغير الذى يتلألأ على صفحة البحر السوداء . . .

ـــ أين ؟ لا أرى شيئاً . .

ـــ هناك . هناك بقعة صغيرة من النور تضىء ضياء المشاعل . دقق النظر جيدا انها تلمع فى توهج ألا تراها ؟

ولم أكن قد شاهدت شيئا مطلقا ولكنى أجبته وأنا ارتجف :

ـــ أجل انى أراها

فتابع كلامه فى اهتمام :

ـــ هناك يصعدن الى سطح الماء للنزهة . هناك يلعبن بين الامواج ويرسلن لنا ابتساماتهن الساحرة . . . !

ـــ ٤ ـــ

ومرت الايام وحالة أخى تتطور تطورا عجيباً فقل كلامه وتجنب الناس بقدر المستطاع وازداد انطواء على نفسه يصرف الوقت فى التأمل . أما البحر فكان قبلة نظره فى كل وقت . لا يتركه الا مضطرا . وكنت ادخل فراشى ليلا للنوم وأخى بجوار النافذة ينظر الى البحر. فاذا ما استيقظت وجدته قد استيقظ قبلى واتخذ مجلسه المختار بجوار النافذة يحيى البحر تحية الصباح فيخيل لى أنه لم يبرح مكانه طول الليل فاشعر نحوه بحنان غريب واهرع اليه واقبله واقول له :

ـــ مالك ياأخى صامت هكذا ؟

فيقبلنى ويحتضننى . والاحظ انه يمسح دمعتين قد تحدرتا من عينيه. فاتشبث فيه وأقول له فى جزع :

ـــ ماذا . أنت تبكى .. ؟

فيمسح على رأسى ويبتسم فى كآبة ويقول :

ـــ ان اسرارى لايفهمها احدغيرى . فلاتتعب نفسك بى ياحافظ . . انى أحبك ، أحبك جدا .

وأقاموا مرة فى الكازينو احتفالا ليليا كبيرا فذهبت أنا وأخى شريف وجماعة من اصدقائنا لحضوره . وكانت الزينة فخمة والانوار ذات الالوان المختلفة تشع فى كل مكان ، والموسيقى الخاصة بالرقص لاينقطع لها دوى ، والجلبة ذات الطنين الشاذ منعقدة فى الجو كأنها موجة ثقيلة من أمواج

الصيف ، والناس يتحركون فى ذلك الضوء المختلط تحرك الاشباح فى عالمهم المبهم الغريب . وكنت أحب جدا مثل هذه الحفلات لاحتوائها على وسائل من التسلية

وذهبت مع الاصدقاء وركبت الارجوحة . أما أخى شريف فجلس على كرسى يراقبنا من بعيد وقام الى اخيراً وقال لى :

ـــ سوف أتركك ياحافظ فهل يمكنك ان تعود وحدك الى المنزل

ـــ والى أين انت ذاهب ؟

ـــ عائد الى المنزل . انى اشكو صداعا شديدا

ـــ ولكن ألا تنظر الالعاب النارية ؟

فضحك ضحكة قصيرة واجابنى :

ـــ وهل تظن انى حضرت الى هنا لمشاهدة الالعاب النارية انى حضرت من أجلك . ولكن اسمع ياحافظ سأبعث لك بخادمنا مصطفى لينتظرك على باب الكازينو

فاحتججت قائلا :

ـــ ولماذا الخادم . ألا استطيع أن أعود وحدى الى المنزل ؟ انى لست صغيرا

ـــ حسن جدا . انت لست صغيرا بالطبع ، وعاقل ايضا

ثم وجه كلامه لنا جميعا وقال :

ـــ بونسوار يا اطفالى الاعزاء

وتركنا وسار بخطى طويلة متزنة صوب الباب واختفى فى الازدحام، أما انا فامضيت الوقت مع رفاقى نلعب ونضحك . ولكن عودة أخى المبكرة الى المنزل سببت لى شيئا من النكد . وبعد مشاهدتى للسوارخ خرجت مع اصحابى وعدت الى المنزل

ولما دخلت رأيت مدام هوبير جالسة فى البهو الارضى تطالع جرائدها السويسرية وكانت على الحالة التى تركتها عليها قبل ذهابى الى الكازينو . ولما أحست بقدومى قامت نحوى وهى تبتسم وقالت لى فى حنو :

ـــ هل اعجبتك الحفلة ؟

ـــ جداً

ورأت فى يدى مجموعة من اللعب وعلب الحلوى فصاحت مبتهجة وصفقت بيدها وقالت :

ـــ لقد نهبت الكازينو أيها الصغير . ماهذه الاشياء الجميلة ؟

فأطلعتها على ما معى . وكان بينها طرطور من الورق الملون فأخذته منى ولبسته وهى تصيح طرباً :

ـــ هذا هديتى أليس كذلك ؟

وضحكنا معاً . وبعد قليل سألتنى :

ـــ أين شريف ؟

ـــ شريف ! لقد عاد قبلى بزمن طويل . انه يشكو صداعاً

فنظرت إلى بدهشة . وصعدت معى الى الطابق الاعلى وهى صامتة تفكر ودخلنا حجرة النوم فوجدناها خالية فزاد انشغال مدام هوبير . ولكنها لم تفه بكلمة وساعدتنى فى صمت على خلع ملابسى وادخالى فراشى ثم قبلتنى وقالت لى :

ـــ بونسوار يا صغيرى . أرجو لك أحلاماً طيبة

وخرجت فى هدوء وأقفلت الباب خلفهـا . وأصابنى أرق شديد فلم أستطع النوم . وكنت أسمع خطوات مدام هوبير فى البهو الارضى وهى تسير جيئة وذهاباً . ودقت الساعة الثانيـة بعد منتصف الليل ولم يعد أخى بعد . ولكن بعد دقائق قليلة سمعت باب المنزل يفتح واذا بمدام هوبير تتكلم فى غضب واذا بأخى يجيبها فى حدة . وتنفست الصعداء وعندما اقترب أخى من باب حجرتنا سمعته يقول للعربية :

ـــ أنا حر فى تصرفاتى . لم أعد طفلا . وليس لاحد رقابة على . .

وسمعت مدام هوبير تتمتم غاضبة وهى تقصد الى غرفتها . وفتح أخى باب الحجرة بشدة . ولكن عندما وقع بصره على ، وكنت متظاهراً بالنوم خفض من حدته وأقفل الباب فى هدوء . ولما أتم خلع بذلته وارتداء ملابس النوم جلس على المقعد الكبير تجاه النافذة وجعل يراقب البحر ومر الوقت وأخى لا يتحرك . فرأيت أن أنبهه بطريقة غير مباشرة . وجعلت أتقلب فى فراشى متنهداً . فالتفت إلى وقال :

ـــ أنت صاح ؟

وجاء الى وجلس على طرف السرير وأخذ يمسح على رأسى . فتعلقت برقبته وقبلته وقلت له :

ـــ الى أين ذهبت يا أخى ؟

فصمت طويلا . وكأن وجهه يتفتح بشراً كتفتح الوردة تحت ندى الفجر . وفجأة قال لى وقد أمسك يدى بشدة :

ـــ لقد رأيتها . . ؟

ـــ . . من يا أخى ؟

ـــ . . رأيتها تسبح فى الماء بين الامواج بشعرها الاصفر الطويل وجسمها البلورى المشرب

بحمرة فاتنة . رأيتها محاطة بجواريها تلعب بينهن وتضحك . . وقد رأتني وابتسمت لى وأشارت الى اشارات سحرية . .

وقطعت على أخى سبيل حديثه وقلت له :

ـ أخى . أخى . انى خائف

فنظر الى فى اشفاق ثم قال :

ـ . . حاول أن تنام يا حافظ واذا أردت فيمكنني أن أروى لك قصة « بابا حاجى بكير » . . انها توافق مزاجك الليلة . .

ووسدنى المخدة وغطانى بالملاءة . ثم قصد سريره لينام . .

ـ ٥ ـ

ومضت أيام على ذلك واعترى أخى تطور جديد فلم يعد يكلمنى عن حوريات البحر بكلمة واحدة وعادت له بشاشته القديمة فكان ينشد لى الاشعار ويروى لى القصص . . ويكثر من المداعبة مع مدام هوبير . ولولا تلك الجلسات الطويلة التى كان يقضيها أمام النافذة محدقاً فى البحر تحديقه المعروف لحسبت أنه قد عاد الى حياته الاولى

وحدث أن استيقظت فى ليلة من ليالى سبتمبر على حركة ضعيفة ففتحت عينى باحتراس وشاهدت أخى يفتح دولابه ويخرج منه برنس الحمام . وبدأ يخلع ملابسه فى عجلة . فاختلط على الامر واضطربت ودقت ساعة البهو الاثنتى عشرة وكان أخى قد أتم عمله . فأقفل الدولاب واتجه نحو الباب يريد الخروج . ولكنه التفت نحوى ونظر الى ثم أرسل لى قبلة حارة فى الهواء . وخرج بحذر وتلصص . أما أنا فكنت أرتجف مع تظاهرى بالنوم ولا أدرى كيف لم يلاحظ أخى هزات جسدى

وجعلت أترقب عودة أخى وأنا أعد الثوانى والدقائق . ولكنه لم يعد . وكان الوقت يسير ببطء متناه كأن الدقيقة جيل طويل . وأخيراً لم أستطع صبراً وتركت فراشى عجلا وقصدت حجرة مدام هوبير وأخذت أقرع بابها بشدة وأنا أقول :

ـ مدام . . مدام . . افتحى . . !

واستيقظت مدام هوبير وفتحت الباب بسرعة وهى تقول :

ـ ماذا يا حافظ ماذا ؟

فتشبثت بها وقلت لها :

ـ أخى يا مدام أخى . . لقد خرج بعد منتصف الليل بقليل ولم يعد

فاصفر وجهها وألقت نظرة سريعة على ساعة يدها وتمتمت قائلة :

ـ الساعة الرابعة الآن

ثم وجهت الكلام الى وقالت :

ــ كيف خرج ؟

ــ خرج بملابس الحمام

فأسرعت توقظ الخدم . وخرجت مع بعضهم تبحث عن أخى وكنت معها فى تلك الليلة الهائلة التى لا أنسى حوادثها ما حييت . وتركنا جدتى على سجادة الصلاة تدعو الله فى حرارة وابتهال أن يعيد اليها حفيدها

وكان البحر صاخباً كأنه فى عراك مع الطبيعة يلعنها وتلعنه . وكانت السحب تحجب نور الفجر فتطيل سواد هذا الليل المتمرد . وكان لزمجرة الهواء صوت يماثل صهيل الخيول الشاردة . وبعد بحث طويل مضن عثرنا على « برنس » أخى ملقى على الشاطىء . . أما أخى فلم نعثر له على أثر . وعدنا الى المنزل خائرى القوى مشتتى الفكر ، وقهقهة الامواج الخبيثة تتبعنا ، فكنت أرتعش وألتفت حولى وأنا أحاول سد أذنى

وتنهد حافظ طويلا وقال :

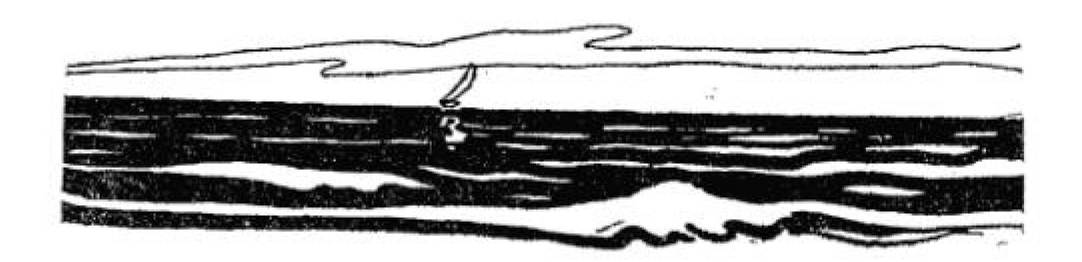
ــ وكان هذا آخر العهد بأخى !

ونكس رأسه صامتاً . ثم قال لى فى همس :

ــ ألا تعطى سيجارة من سجائرك الانجليزية

فناولته واحدة وأخذت أنا أخرى . ثم جعلنا ندخن فى صمت غريب . .

محمود تيمور

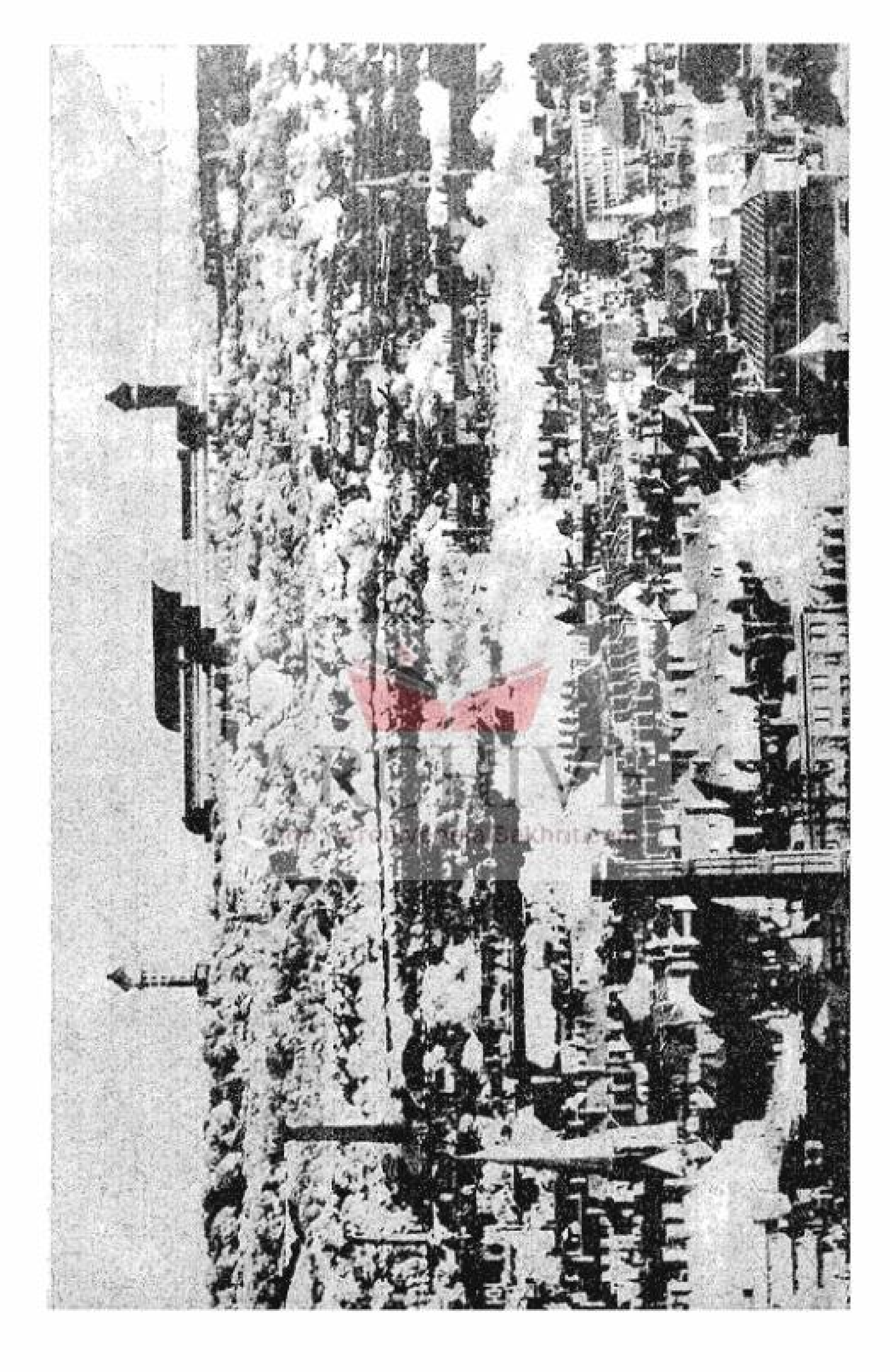


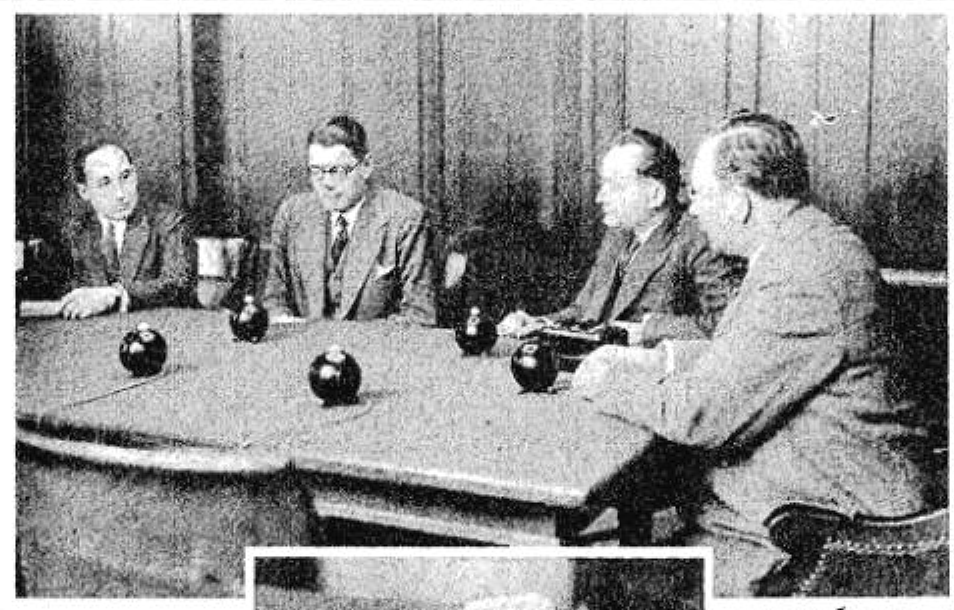
سير العلوم والفنون



التصوير عن بعد

تمثل الصورة التي فوق هذا الكلام والصورة التي في الصفحة المقابلة منظرين لقصر البلور (كريستال بالاس) في سدنهام بانجلترا ، صورا من مكان واحد وهو قمة سطح بناء في شارع ستراند في لندن بينه وبين قصر البلور احد عشر كيلو متراً وكسور . فالصورة الاولى صورت بآلة تصوير ذات عدسة عادية ولوح عادي فظهر فيها المنظر المواجه للعدسة وفي الاعماق البعيدة قصر البلور وقد حدد مكانه بالخطوط المنقطة . والصورة الثانية صورت بواسطة آلة تصوير ذات عدسة بعيدة الرمي ولوح من الواح الاشعة تحت الحمراء وبذلك تخطى مدى العدسة ما أمامه حتى استقر على القصر الذي يبعد احد عشر كيلو متراً فالتقط صورته بما حوله من دور وأشجار كما ترى في الصورة المقابلة . وقد كان استعمال الاشعة تحت الحمراء فتحاً جديداً في عالم التصوير اذ انك تستطيع بواسطتها ان تصور ساحل فرنسا من دوفر مع ان العين المجردة لا تراه وذلك لأن العدسة تقرب المنظر البعيد مثل منظار الملاحين واللوح ذو الاشعة الحمراء يلتقط الصورة واضحة جلية





في أعلى : الميكروفونات أمام الاعضاء
في أسفل : الكاتبة تستمع الى ما حوته الميكروفونات وتسجله كتابة

الى اليسار : جهاز الحجز أمام رئيس الاجتماع وقد برزت منه الازرار التي يتصل كل واحد منها باحد مكروفونات الاعضاء

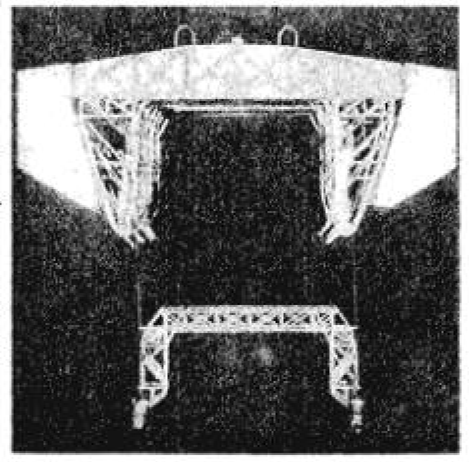
الكاتب الكهربائي

اخترع أحد المهندسين الالمانيين اختراعا مكونا من «جهاز حجز» ومكروفونات تسجل الصوت لاستعماله في أثناء المناقشات بان يوضع أمام كل عضو ميكروفون وأمام رئيس الاجتماع جهاز الحجز . فاذا أراد الرئيس في أثناء المناقشة تسجيل حديث أحد المتحدثين ضغط على الزر الموجود أمامه بين أزرار جهاز الحجز والذي يتصل بالميكروفون الموضوع أمام ذلك العضو — فيلتقط الميكروفون كلام العضو ويسجله . وبعد ذلك تعطى الميكروفونات الى احدى الكاتبات تديرها فتستمع الى ما فيها وتسجله كتابة



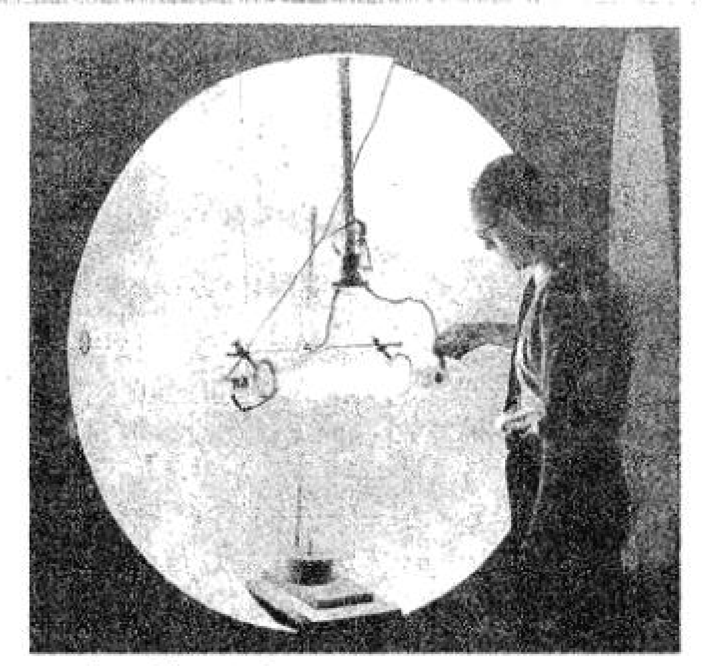
نشل السفن الغارقة

مازالت مشكلة نشل السفن الغارقة من أهم الامور التي تشغل بال المهندسين والباحثين . وقد اخترع أخيراً جهاز لنشل السفن وهو عبارة عن آلة ضخمة ذات اسنان فولاذية تنطبق على الشيء الغارق فتمسكه ولا تنحل عنه حتى يفلت منها ذلك الشيء . ومتى ملئت هذه الآلة بالهواء المضغوط من الصهاريج الموجودة في سفينة الانقاذ فان قوة اندفاعها الطبيعي لأعلى يرفعها ويرفع معها الحطام المتعلق بها



في أعلى :
آلتان من آلات النشل وقد انطبقت احداهما على الحطام في قعر البحر ومازالت الثانية آخذة في النزول لتنطبق بدورها على طرف الحطام الآخر لرفعه

الى اليمين : تمثل هذه الصورة شكل آلة النشل وقد ظهرت فيها اسنانها الفولاذية وفي اسفل جهاز يقود الآلة حول الحطام تماما



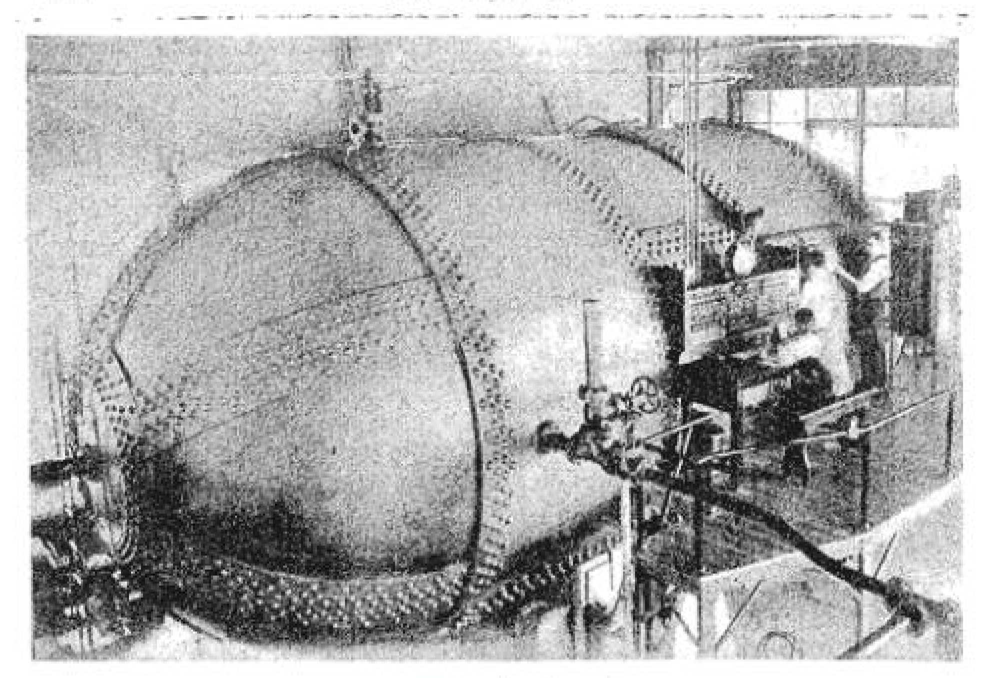
ضوء المستقبل

مصباح من النطرون الذي هو مصدر جديد للضوء في معمل شركة الكهرباء العمومية في نيويورك والضوء الاصفر الساطع الذي يشعه ذلك المصباح هو الضوء الوحيد الذي استعمل لتصوير هذه الصورة التي تبين كيف يجرب المصباح على مقياس للضوء لمعرفة قوة كفاءته

ساعة مغناطيسية

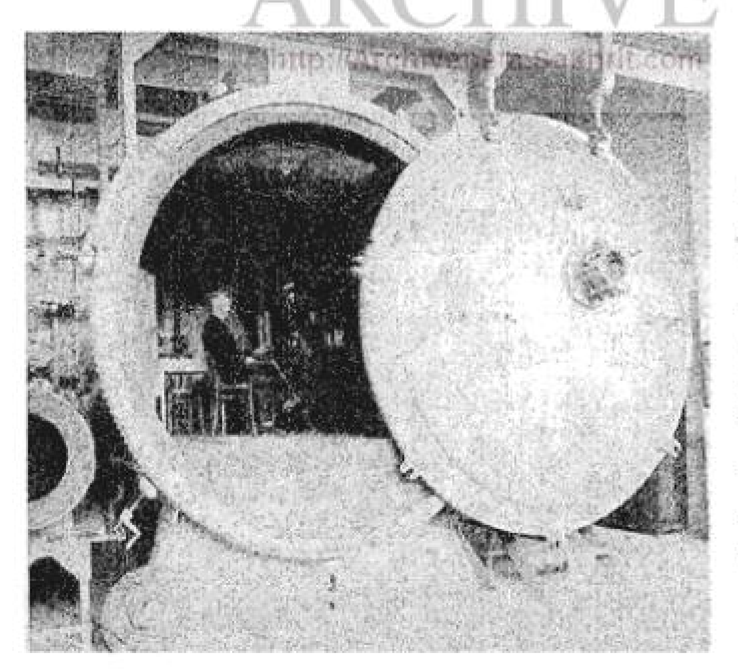
اخترع المهندس توماس من شركة وستنجهاوس ساعة مغناطيسية لا تدور بالتروس مثل الساعات المعتادة وانما تدور بأربع لوحات مغناطيسية دوارة . فاللوح الاول يدور مرة في كل ثانية ، والثاني مرة في كل دقيقة ، والثالث مرة في كل ساعة ، والرابع يدير العقربين مرتين في كل أربع وعشرين ساعة . وترى في أسفل صورة هذه الساعة الغريبة





نفق الرياح المغلق

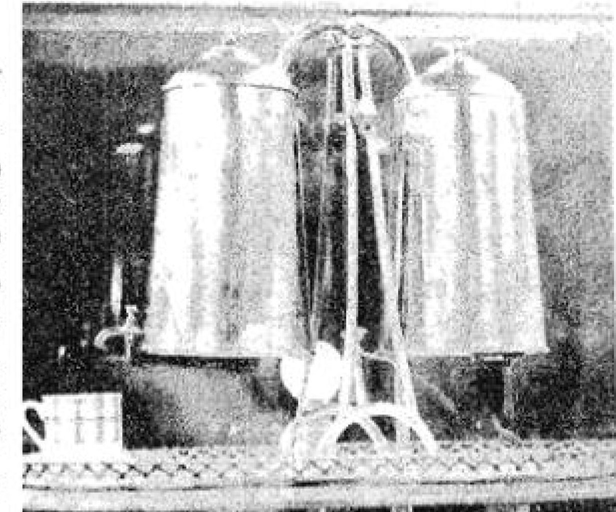
هذا الهيكل الفولاذي الضخم مقام في احد معاهد اميركا لاختبار قوة الطيارات وقدرتها على تحمل الضغط الجوي فهو نفق مغلق يستعمل فيه الهواء المضغوط كتيار قوي يشتد حتى تبلغ قوة ضغطه ٢٠ الف كيلو على القدم المربعة وتوضع فيه نماذج الطيارات وتفحص من خلال نوافذ من الزجاج لمعرفة تأثير ذلك الضغط فيها



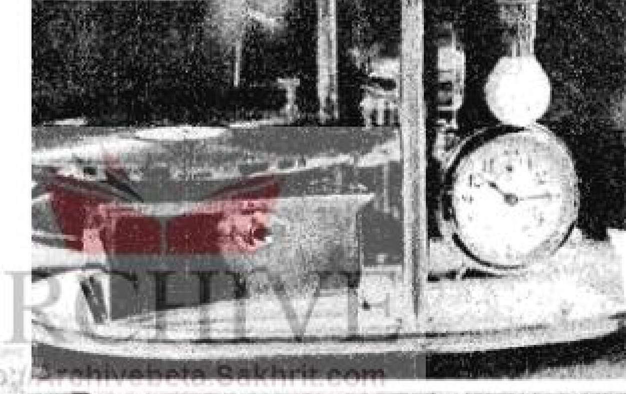
قاعة الضغط

جهاز عجيب من اختراع البروفسور جارسو مدير معمل علم وظائف الاعضاء في بورجيه — وهو عبارة عن صندوق كبير من الطاط طوله خمسة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار يستعمل لدراسة تأثير زيادة الضغط وخفته على صدور الطيارين واعصابهم

منبه يصنع القهوة



تمثل الصورة التي الى اليمين اختراعاً طريفاً عرض في حديقة المعروضات بباريس وهو منبه عادي تديره على الساعة التي ترغب في ان يوقظك فيها ففي هذه الساعة لا يقرع جرساً مفزعاً وانما تدور آلاته فيصعد الماء الى بكرج القهوة ويسخن فيه ثم يوضع فيه البن وتفتح الحنفية وتصب القهوة في القدح . ومتى تم ذلك دار فونوغراف على الاسطوانة التي تحب سماعها فتصحو من نومك على صوت الفونوغراف وتجد القهوة معدة مهيأة !



سيارة البر والبحر

في أسفل : صورة جهاز غريب يدعى سيكلومير ينطلق على البر والبحر ويحمل ثقلا وزنه مائة وعشرون كيلو جراماً وقد أشير باستعماله في المستعمرات لاجتياز أنهرها غير الصالحة للملاحة وطرقها غير المعبدة



مذنب جديد

فى شهر أغسطس الماضى اكتشف الاستاذان بلتير وهويبل الاميركيان مذنباً جديداً سمياه باسمهما ويمكن رؤيته بمنظار اعتيادى . وقد عثرا عليه فى برج فرساوس (Feresus) على مقربة من النجم المسمى «الغول» وكان يتجه شمالا بسرعة عظيمة بمتوسط عدة درجات فى اليوم مع انحراف قليل نحو الشرق . ويبلغ طول ذنب هذا المذنب درجة واحدة أو نحو ضعفى قطر القمر وهو بدر

جيل السوبرمان

يعتقد معظم العلماء أن التعجيل بجيل السوبرمان أو الانسان المتفوق لايتم الا عن طريق انتخاب النسل . وهذا الانتخاب يقضى بتعقيم ضعاف العقول والاجسام لكيلا يتوالدوا ولكى يكون نسل الاجيال المقبلة ممن يصلحون للبقاء . وقد قام الدكتور تريون من اساتذة جامعة كاليفورنيا بمباحث واسعة النطاق ايدها بالتجارب العلمية الكثيرة للدلالة على ان من السهل جدا التعجيل بجيل السوبرمان ومن التجارب التى قام بها انه أخذ طائفة من الجرذان واستولدها انسالا كثيرة متبعاً مبدأ انتخاب النسل فكانت النتيجة انه حصل فى مدة وجيزة على جيل من الجرذان ارقى من جيل آبائه من كل وجه . وما يزال الدكتور تريون المذكور يوالى تجاربه هذه وهو يعتقد ان فى وسعه استيلاد جيل من الجرذان يختلف اختلافا عظيما عن الجرذان الاعتيادية حتى لقد يخيل الى من يفحصه فحصاً علمياً انه حيوان جديد لاعلاقة بينه وبين اسلافه على الاطلاق

الباسفيك و القمر

لايخفى ان هنالك نظرية علمية لتعليل نشوء القمر مؤداها ان القمر انفصل عن الارض من المكان الذى هو اليوم المحيط الباسفيكى . الا ان الاستاذ نيوبرج العالم الالمانى المشهور قد قام حديثا بمباحث واسعة النطاق أثبت بها فساد النظرية المذكورة . ويظهر ان العمليات الحسابية الدقيقة تدل على أن فراغ الاوقيانوس المذكور (على فرض انه كان مملوءا بمادة كمادة القمر تماماً) لايمكن ان يتسع لاكثر من سبعمائة مليون كيلو متر مكعب (نحو ١٦٧ مليون ميل مكعب) حالة ان حجم القمر يزيد على ذلك كثيرا اذ يبلغ ٢٢ بليون كيلو متر مكعب أو نحو خمسة بليونات وربع بليون ميل مكعب . وعليه لايمكن أن يكون القمر قد انفصل عن الكرة الارضية من المكان الذى يعرف اليوم بالاوقيانوس الباسفيكى

سم النيكوتين

النيكوتين من السموم التى هى فى متناول الجميع . وقد حاول الكثيرون فصله عن نبات التبغ فلم يكن نجاحهم تاماً . وقد قام الاساتذة ويكهام وويلبر وجونستون من اساتذة جامعة كولورادو الاميركية بتجارب واسعة النطاق ثبت لهم منها انه اذا عولج النيكوتين بالاشعة التى فوق البنفسجية أصبح لايؤذى كأن المعالجة بتلك الاشعة تزيل مافيه من سم . على أن اطالة تعريض النيكوتين للاشعة المذكورة مدة طويلة يجعل النيكوتين سما زعافاً

الرائحة وقوة النظر

قد ثبت الآن أن بين الرائحة وقوة الابصار علاقة شديدة وان الروائح القوية تنبه أعصاب البصر وتزيد فى قوتها. ويظهر انه كلما كانت الروائح ذكية كانت قوة الابصار أحسن

وتدل التجارب على ان رائحة روح الليمون تجعل الابصار نقياً صافيا وربما كانت من أفضل الروائح لتنبيه حاسة البصر وتقويتها على أثر الجهد. والمعروف أن رائحة الكولونيا (وهى من المواد التى تدخل رائحة الليمون فى تركيبها) هى من أفضل المواد لتنبيه حاسة البصر عند الشعور بتعب أو نعاس

خلاصة الكبد

فى سنة ١٩٢٠ — أى منذ اثنتى عشرة سنة فقط — ثبت للعلماء ان خلاصة الكبد هى من افضل المواد لمعالجة الانيميا الحادة (فقر الدم). وقد اعطت الولايات المتحدة هذا الاكتشاف «طابعا رسمياً» بادراجه فى «اقرباذين العقاقير» الرسمى الذى يطبع وينقح مرة كل عشر سنوات

وقد أدرج فى الطبعة الاخيرة اربعة وعشرون علاجا جديدا لمكافحة امراض كانت تعتبر قبلا مستعصية على الطب. ومن ضمنها ما يأتى: مصل الحمى الشوكية. ومصل التهاب الرئة. واللقاح ضد الدفتيريا. ومركب الافيدرين. وسلفات الافيدرين لشفاء الربو. والايثلين وهو مخدر جديد. واللقاح ضد الكلب أو الهيدروفوبيا. واللقاح ضد الحمى التيفوئيدية. والانسولين

النوم وعنصر الايودين

القى الدكتور كارّ الانجليزى خطبة فى مجمع تقدم العلوم البريطانى اثبت بها أن المواد والمركبات التى تحتوى على الايودين (اليود) تجعل الانسان ينام وتتحكم فى مدة نومه كما تتحكم ايضا فى مدة (نوم) بعض الحيوانات التى تنام فى الشتاء وتصحو فى الصيف

العيون الزرقاء

كان سواد العيون صفة مستحبة عند العرب ومازال هذه الصفة تعتبر حتى الآن من علامات الجمال عند معظم الشعوب. على ان لزرقة العيون أيضا عشاقا كثيرين ولا سيما بين شعوب أوربا الشمالية. وهذا اللون لايوجد عادة الا مع الشعر الاشقر. وقد جاءنا الدكتور فرتيس العالم الهولندى الشهير ببحث علمى جديد يؤخذ منه أن الزرقة الحقيقية فى العيون أندر من الكبريت الاحمر، وان معظم الذين يباهون بعيونهم الزرقاء ليسوا فى الحقيقة متصفين بزرقة صافية بل هى غالباً مزيج من الاصفر والازرق وقد تكون فى بعض الاحيان مزيجاً من عدة الوان يغلب عليها اللون الازرق

مذنب فاي

هو من الاجرام الفلكية التى تظهر من وقت الى آخر. وهو من المرتبة الثانية عشرة ولذلك تصعب رؤيته بالعين المجردة. وقد عاد الينا الآن بعد غياب سبع سنوات ويمكن مشاهدته على مقربة من برج المرأة المسلسلة (اندروميدا)

درجة الصفر المطلق

هى الدرجة التى تبطل عندها كل حركة حتى حركة الجوهر الفرد فى دقائق المادة . وهى الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر الاعتيادى بمقياس سنتجراد . ويعتقد بعض العلماء انها المقياس الوحيد الذى لايتأثر بنظرية النسبية لانه هو هو فى كل مكان وزمان ولان الجمود المطلق عن الحركة لايمكن ان يكون « نسبياً » . وقد حاول العلماء أن يصلوا الى درجة الصفر المطلق بالوسائل الصناعية فلم يوفقوا الى ذلك . الا ان « نشرة الاخبار العلمية » الاميركية الصادرة فى ٢٤ سبتمبر الماضى تقول انه بعد تجارب كثيرة وفق الدكتور كيسوم الاستاذ بجامعة ليدن الى استيلاد درجة من البرد تقل سبعة اعشار درجة فقط عن درجة الصفر المطلق أى انه استطاع ان يوجد ، بوسيلة صناعية ، جوا بلغ الدرجة ٣ ر ٢٧٢ تحت الصفر فاذا صدق هذا الخبر كان عمل الاستاذ كيسوم المذكور من اعظم الاعمال العلمية التى تمت فى هذا العصر

فى الحقب الخالية

القى الاستاذان بول وفايات الفرنسيان خطبة فى معهد دراسة المتحجرات بباريس (المعهد الباليونتولوجى) فى هيكل عظام « انسان ديسلار » الذى اكتشفته احدى البعثات العلمية على مقربة من محطة ديسلار بالسودان الغربى عام ١٩٢٧. وقد أثبت العالمان المذكوران أن المباحث التى قاما بها تدل على ان صحراء افريقيا الكبرى كانت فى القرون الخالية بلاداً ناضرة شديدة الخصب والنماء تسكنها شعوب كثيرة يدل عليها الهيكل العظمى المشار اليه . والارجح ان صاحب الهيكل هو من الشعوب التى كانت تقطن تلك البلاد فى العصر الجليدى الاخير . ومن المحتمل ان « انسان ديسلار » كان الحلقة التى تربط الانسان الاول فى اوربا بالانسان الاول فى جنوبى افريقيا ، وان الشعب الذى كان ذلك الانسان منه انشطر شطرين نزح احدهما شمالا الى اوربا وصار جداً لسلالة الانسان الاوربى الاول المعروف بالكرومانيون . ونزح الآخر جنوباً وصار جداً لسلالة الشعوب البوشكوب والهوتنتوت والباتو وهى من احط شعوب البشر

في عالم الطبيعة

اثقل العناصر المعروفة فى الطبيعة هو الاوزميوم وتختلف كثلته من ٣ ر ٢١ الى ٢٤

أخف العناصر المعروفة هو الايدروجين

أصلب المواد المعروفة هو الالماس

ألين المواد المعروفة مما يمكن تطريقه هو الذهب

اعلى حرارة يمكن قياسها بالضبط تختلف بين الدرجة ٣٥٠٠ و ٣٨٠٠ بمقياس سنتجراد

اخفض درجة للبرد وصل اليها العلم هى الدرجة ٣ ر ٢٧٢ بمقياس سنتجراد تحت الصفر

اغلى المواد المعروفة فى العالم هو الراديوم فهو يساوى أكثر من مائة الف ضعف وزنه ذهباً

امريكا في العصر الجليدى

ظهرت دلائل جديدة تثبت أن القارة الاميركية كانت مأهولة فى العصر الجليدى . فقد عثر بعض علماء الجيولوجيا على بقايا جاموس برى متحجر يرجع الى العصر الجليدى وهو مدفون فى طبقة من الارض لاشك فى انها ترجع الى ذلك العصر . وهذا الجاموس مقتول بنبلة حجرية باقية متحجرة فى جسمه وهى من نوع النبال التى كان الانسان الاول يستعملها فى العصر الحجرى . وشكل النبلة يدل على العصر الذى صنعت فيه

انسان جافا

اكتشف الدكتور اوجين دوبوا (وهو العالم الهولندى الذى اكتشف جمجمة انسان جافا منذ نحو اربعين سنة) عظام فخذ متحجرة لا شك فى انها عظام فخذ فرد من افراد « انسان جافا » الذى يعتبره علماء النشوء والارتقاء الحلقة المفقودة بين الانسان وسلفه الحيوانى ، ويعتقد الاستاذ اليوت سميث العالم الانجليزى المعروف ان اكتشاف هذه العظام هو دليل جديد — اذا كانت هنالك حاجة الى دليل جديد — على صحة نظرية الحلقة المفقودة

تعليل جديد لنخر الاسنان

قام الاستاذ توليس الانجليزى بمباحث واسعة النطاق لمعرفة سبب نخر الاسنان لاعتقاده أن جميع الاسباب التى يعلل بها أطباء الاسنان ذلك المرض لاتستند الى تأييد علمى . وقد ثبت له ان « مينا الاسنان » مركب بمئات الالوف من الذرات البلورية من مادة « الاباتيت » وهى ضرب من فوسفات الكلس . ويختلف وضع هذه الذرات فى اسنان الانسان عنه فى اسنان بعض الحيوانات كالكلاب مثلا . فهو فى الكلاب عمودى بالنسبة الى سطح الاسنان . بخلاف وضع تلك الذرات فى اسنان الانسان فانه مائل بالنسبة الى سطح الاسنان . ولا يخفى ان اسنان الكلاب لا تصاب بالنخر مع أن تركيبها الكيمياوى هو كتركيب اسنان الانسان تماماً . لذلك يعتقد الاستاذ توليس المذكور ان سبب نخر الاسنان فى الانسان هو كيفية وضع الذرات البلورية المذكورة . وهو يقول انه قد قام بمباحث كثيرة تثبت له صحة نظريته هذه ويؤيده فى هذه النظرية طائفة من كبار أطباء الاسنان

المناعة في المستقبل

الرأى السائد بين جمهور العلماء فى العصر الحاضر هو انه من الممكن اكتساب المناعة الطبيعية ضد بعض الامراض بالوراثة . ويعتقد الاستاذ فورونوف المعروف عند الكثيرين من قراء الهلال ان انتخاب النسل والعناية به شرط اساسى لايجاد المناعة الطبيعية فى الاجيال المقبلة . ويقول الدكتور ميلر من اساتذة جامعة واشنطون ان التجارب التى قام بها منذ سنين لايجاد مناعة وراثية ضد بعض الامراض فى الفئران والجرذان يمكن تطبيقها على الانسان ايضاً واذا استمرت جهود العلماء فى سبيل ايجاد المناعة الوراثية كما هي الآن فسيجيء يوم ينتصر فيه الانسان على الميكروبات من دون حاجة الى لقاح صناعى

شؤون الدار

بيوت المستقبل

يقول الخبيرون بالشئون المنزلية ان بيوت المستقبل ستكون أكثر انطباقاً على مقتضيات الصحة والسعادة واطالة العمر . وان من أهم صفات تلك البيوت ما يأتي :

١ ـــ ستكون نفقات بناء البيت وتأثيثه أقل من تلك النفقات فى الوقت الحاضر بما لا يصدق وربما لن تزيد على العشر

٢ ـــ لن يعمر بناء المنزل أكثر من عشرين سنة لان سنة النشوء والارتقاء تقتضى التمشى مع العمران وتجديد كل قديم بال من دون أن يتطلب ذلك نفقات زائدة

٣ ـــ سيمكن اقامة البيت أو بناؤه فى مدة لا تزيد على اسبوع لأن جميع المواد والاجزاء التى يتألف منها ستكون معدة جاهزة ومقاييسها معينة وجميعها من الحديد والمعادن الاخرى بحيث يسهل تركيب تلك الأجزاء واقامة منزل صحى جميل فى مدة وجيزة من الزمن

٤ ـــ ستباع البيوت بجميع أثاثها وموادها وأجزائها كاملة مع ما تحتاج اليه من وسائل التدفئة والتهوية واللهو والراديو والتلفون وتتولى الشركات التى تبيعها الاشراف على تركيبها الى أن يصبح المنزل معداً للسكنى مع توافر وسائل الراحة التامة

٥ ـــ سيكون هيكل البيت الخارجى من المعدن أو الصلب الذى لا يصدأ و لن تزيد ثخانة جدرانه على ثلاث بوصات أو أربع . وستكون الجدران من الداخل مطلية بالميناء أو اللون الابيض الناصع أو بالالوان التى يتفق عليها الشارى مع البائع

٦ ـــ سيستعمل فى نوافذها الزجاج الذى يسمح بمرور الاشعة التى وراء البنفسجية وذلك وحده كفيل بجعل البيت صحياً للغاية

٧ ـــ سيكون لكل بيت جاراج لاجل الاوتوموبيل وساحة للالعاب الرياضية وسطح مسقوف جانب حديقة ، وغير ذلك من مستلزمات الراحة والهناء والمعيشة الرغدة

اللبن وحامض الليمون

كان المظنون قديماً أن مزج اللبن الحليب بأى نوع من الحوامض يخثره ويفسده ولكن أحد الاطباء الاميركيين قد جاءنا الآن بنظرية جديدة مؤداها أننا اذا مزجنا اللبن الحليب بحامض الليمون اصبح سهل الهضم جداً . وينصح الطبيب المذكور للأمهات باعطاء أولادهن ذلك المزيج لانه مغذ ونافع ، ويقول ان هذا المزيج غنى جداً بالفيتامين (C) ومفيد فى معالجة قروح المعدة لان المعدة تستطيع هضم المزيج بسهولة ومن دون جهد

النوم وطول القامة

يقول أحد الاطباء الاميركيين — وهو الدكتور بالمر من اطباء جامعة جون هوبكنس باميركا — ان كثرة النوم تطيل قامة الانسان وان السهر يقصرها . ولذلك يجب على الام ان تحرص على اولادها وتراقب مدة نومهم حتى لا يشبوا قصار القامة لان الفوز فى معترك الحياة هو — عادة — لطوال القامة لا لقصارها

بودرة قديمة

تقول مجلة « بوبيولار ميكانيكس » إن اليونانيات كن يستعملن بودرة الوجه قبل المسيح باربعمائة سنة وان هذه البودرة كانت تصنع بالطريقة التى تصنع بها اليوم تماما . وقد عثر الاستاذ شير الاميركى على علبة فيها بودرة ومطمورة مع امرأة فى قبر بمدينة كورنثوس . وكان مع علبة البودرة معجونات مختلفة مما يستعمل للزينة

الفحم السائل

بدىء منذ عهد قريب باستعمال الفحم السائل لطهى الاطعمة فى احدى مدن الولايات المتحدة . ويقال ان للطهى بهذا السائل عدة مزايا لاتتوافر فى الفحم الجامد . ذلك ان الفحم السائل أدنى الى شروط النظافة وادعى الى الاقتصاد وأسهل تداولا ولا ينبعث منه دخان ولا رائحة . فهو اذن المثل الاعلى لنوع الوقود الذى تحتاج اليه ربة المنزل للطهى ولغيره من الشئون المنزلية

لاتقاء الحريق

تمكن أحد العلماء البافاريين من اختراع طلاء كيمياوى اذا طليت به الادوات المنزلية ولا سيما المصنوعة من الخشب فانها لاتحترق ابدا . وقد جرب المخترع اختراعه هذا امام جمهور كبير من رجال الصحافة والحكومة فطلى قطعا من الاثاث المصنوع من الخشب ثم اشعل النار فى ذلك الاثاث فلم يحترق . وليس ذلك فقط بل ثبت أن الخشب المطلى بالمادة المذكورة لا يخترقه رصاص البنادق أو المسدسات . ويظهر أن شركات التأمين على الحريق مهتمة بهذا الاختراع وستسعى لاقناع ربات المنازل باستعماله اتقاء لحوادث الحريق المعرض لها المنزل وكل ما فى المنزل على الدوام

لحفظ الفضيات

كثيراً ما تتسخ الفضيات كالشوك والملاعق والسكاكين بسبب عدم العناية وقلة الانتباه . وقد قرأنا فى احدى المجلات العلمية أن كيمياوياً ألمانياً اخترع طلاء للفضيات يحفظ نقاوتها ولونها الطبيعى حفظاً تاماً بحيث لا يتغير ذلك اللون مهما تداولتها الايدى وكثر استعمالها . وهذا الطلاء لا لون له فلا تمكن رؤيته . على ان المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر لم تذكر لنا ما هو ذلك الطلاء وما تركيبه

تنظيف زجاج المنافذ

خير ماينظف به زجاج النوافذ مزيج من الطباشير والسبرتو يطلى به الزجاج أولا ويترك قليلا ثم يمسح بقطعة من الفانلا الناعمة

من فوائد الرياضة

الرياضة البدنية ضرورية للجسم ولكن بشرط الاعتدال وبشرط عدم الانهماك فيها عندما يكون القلب ضعيفا . وقد ثبت الآن أن من جملة فوائد الرياضة انها تزيد حجم الدماغ ووزنه أكثر من الزيادة الناشئة عن التغذية

أما الاعتقاد الشائع أن أكل المخ يزيد فى قوة الدماغ وحجمه فليس ثمة برهان علمى يؤيده ، وغاية ما يقال بهذا الشأن ان المخ ـ ككل غذاء آخر مفيد ـ يزيد فى نمو الجسم بوجه الاجمال ، وبالتالى يزيد فى نمو الدماغ أيضا . إلا أن تأثيره فى الدماغ لا يزيد على تأثير أى غذاء آخر فيه

لصيد الارانب

اذا وضعت فى فخ مزيجا من اجزاء متساوية من زيت اليانسون وزيت الكراوية وزيت الروديوم أقبلت عليه الارانب بحيث يسهل اصطيادها

ولا يخفى ان لحم الارانب من افضل انواع الغذاء التى عكن اعطاؤها للمرضى . ويشترط فى الارنب أن يكون صغير السن إذ يكون لحمه إذ ذاك اسهل هضما على المعدة

لا بادة الحشرات

من اخبار الصحف الاميركية أن وزارة الزراعة تجرب مسحوقاً جديداً لابادة الهوام والحشرات يقال انه سم زعاف لجميعها ولكنه غير مؤذ للانسان . وهذا المسحوق يفقد قوته حالما يتعرض للشمس

لتدفئة القدمين

نحن الآن على أبواب الفصل القارس وعلى كل أم أن تعنى بصحة أولادها وتحفظهم من البرد بقدر ما فى استطاعتها . ولا يخفى ان الانسان ـ صغيرا كان أم كبيرا ـ كثيرا مايصاب بالبرد عن طريق قدميه . لذلك يحسن طلاء جلد الحذاء بدهان يمنع تسرب البرد أو الرطوبة الى القدمين . وأحسن طلاء من هذا القبيل مزيج مؤلف من جزء واحد من شمع العسل وخمسة أجزاء من زبدة جوز الهند . ويجب تسخين الحذاء قليلا قبل طلائه لكى تتفتح مسام الجلد ويدخل فيها الطلاء . وهذا الطلاء يحفظ حرارة القدمين ويمنع تسرب الرطوبة الى الداخل

شرب الماء

كثيراً ما تمنع الام ولدها الصغير من شرب الماء قبل الاكل أو بعد الاكل لاعتقادها أن ذلك يمنعه من الاكل . وهذا خطأ شائع بين الكثيرات من الامهات . فالولد اذا أحس بالعطش وبالحاجة الى شرب الماء يجب اعطاؤه حاجته منه وعدم حرمانه اياه الا اذا كان واضحاً انه يريد أن يلهو بالماء فقط

لقتل الاشجار والنباتات

كثيرا ماتنمو فى الحديقة نباتات وشجيرات غير مرغوب فيها . فاذا أريد التخلص منها وجب ان يحفر حولها وتملأ الحفرة بسائل من اونس ونصف أونس من اوكسيد الايثلين مخففا فى الماء بنسبة عشرة فى المائة فيقتل تلك النباتات فى الحال

وصايا لحفظ السجاد

١ ـ لا تعلق سجادة على الحائط لان ثقل السجادة يفصل خيوطها بعضها عن بعض

٢ ـ لا تدع الغبار يستقر على السجادة

٣ ـ لا تضع السجادة فى مكان مظلم بل عرضها للشمس من وقت الى آخر

٤ ـ أبعد السجادة عن الرطوبة . ولا تفرشها على البلاط مباشرة بل ضع تحتها حصيراً ناعما أو بساطاً آخر لوقايتها من رطوبة الارض

٥ ـ السجادة المفروشة على الارض تعمر أكثر من السجادة الملفوفة

٦ ـ انثر قليلا من النفتالين على السجادة من وقت الى آخر

٧ ـ لا تطأ السجادة بحذاء ذات مسامير بارزة

الانسجة الحريرية

ليس من الحكمة غسل المنسوجات الحريرية، ولا سيما الناعمة منها ، بالماء الساخن . والافضل أن تغسل بالماء الفاتر الذى هو أقرب الى البارد مع اضافة بضع نقط من محلول الامونيا (النشادر) الى الماء فان ذلك يحفظها نعومتها ولين ملمسها ومتانتها

المنسوجات الصوفية

اذا أردت خزن المنسوجات الصوفية فعلقها فى الهواء بضعة ايام ثم نظفها جيدا بالفرشاة ونظف ايضا الخزانة المراد وضعها فيها بمسح جوانبها من الداخل بقطعة من الفانلا لازالة الهوام التى قد تكون معششة فى الداخل

خطر السواك

السواك هى العود الذى تنظف به الاسنان وهى تصنع عادة من الخشب أو من ريش بعض الطيور بعد تنظيفها وتطهيرها . على أن المصنوعة من الخشب هى أفضل من المصنوعة من ريش الطيور لان السواك منها تستعمل مرة واحدة فقط ثم تطرح جانباً بخلاف السواك المصنوعة من الريش فان الكثيرين يحتفظون بها لاستعمالها المرة بعد المرة . وفى هذا من الخطر مافيه لان استعمال السواك ثم وضعها فى الجيب قد يكون سبباً فى نقل بعض الاوساخ والميكروبات الى الفم

وعلى ذكر الاسنان نقول ان الواجب على كل أم أن تعنى بنظافة أسنان أولادها على الدوام. واذا كانت الاسنان غير منضدة أو كان منظرها مشوهاً بعض التشويه ففى الامكان اصلاح العيب فى الحداثة بالسهولة . أما اهماله فيزيد فى وضوح التشويه أكثر فأكثر ويجعل اصلاح ذلك العيب صعباً جداً

الطلق أو البودرة الناعمة

الطلق أو البودرة الناعمة من أهم أدوات الزينة للمرأة ومن أكثرها شيوعاً فى الاستعمال وقلما تجد مادة يكثر استعمالها للاغراض الكثيرة التى يستعمل لها الطلق . فهو يدخل فى صناعة الورق والصابون والاتومبيلات وحفظ الفاكهة و . . . و . . . و . . . ومن أهم وجوه استعماله فى القروح والرضوض فهو يلطفها وينشىء فوقها قشرة ناعمة تمنع انكشاف اطراف الأعصاب

في عالم الأدب

نداء للجنس اللطيف

بقلم السيد محمد رشيد رضا
(طبع بمطبعة المنار بمصر
صفحاته ١٢٢ من القطع المتوسط)

صدر هذا الكتاب فى أثناء عطلة الهلال ولم نستطع تقريظه فى حينه ، وهو كما عهده القراء فى مؤلفات العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا : غزارة فى المادة ، وقوة فى الحجة ، واتساق فى الاغراض ، واحكام فى الاداء . وقد الفه اجابة للجنة الهندية التى تكونت فى « لاهور » لاحياء دعوة الاسلام واذاعة مناقب خاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . ويحتوى هذا الكتاب على بحوث قيمة فى حقوق النساء فى الاسلام وحظهن من الاصلاح المحمدى العام . وفيه تحقيق لمسائل تعدد الزوجات والتسرى والسفور والطلاق وما يتعلق بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم من الاحكام والحكم وتكريم النساء وبر الوالدين وتربية البنات وغير ذلك مما يملأ ١٢٢ صفحة مدبجة بأسلوب سلس مملوء بالعلم الغزير والادلة الصحيحة

مراقى النجاح

تأليف الارشمندريت انطونيوس بشير
(طبع بالمطبعة العصرية بمصر
صفحاته ٢١٦ من القطع الصغير)

يتشوق القارىء الى معرفة الوسائل التى توصله الى النجاح فى الحياة . وقد كتب الكاتبون فى أسباب النجاح ووسائله وكان لكل منهم رأى ومذهب فى ذلك ولكننا نعتقد أن ما اتجه مؤلف هذا الكتاب فى بيان تلك الوسائل لهو من أصدق ماقيل فى هذا الموضوع . فقد جمع فيه أفضل الطرق المؤدية الى نجاح الانسان فى الحياة وتكلم فى خمسة فصول عن هذه الطرق بما يدل على صحة النظر وصواب الفكرة التى أوحتها التجارب الى المؤلف وارشد اليها استقراء حوادث الحياة . وقد قال فى الفصل الرابع تحت عنوان «اعتن بحياتك الفكرية» :

« ان ثيابك ، وحركاتك ، وكلامك ، وجميع مظاهرك الخارجية هى مرآة لشخصيتك الداخلية فهى نوافذ كبيرة لمنزل كيانك ومنها يخرج نور فكرك لجميع الناس . أنت لاتستطيع أن تقابل الناس بالبشاشة والايناس ان لم تكن كذلك فى بيتك . فنظف مسكن فكرك ولا تأذن للآراء السقيمة العقيمة بالدخول اليه

وابدأ عملك مبكراً فى الصباح بعد أن تنهض من نومك . قرر فى نفسك قراراً جازماً انك ستجعل يومك بكامله ممتلئاً بالبهجة والاشراق ، واذا تعرضت لك المخاوف والظلمات فحاربها واطردها عنك . ردد فى فكرك عند تناول الطعام وبعد الذهاب الى العمل وفى اوقات الراحة سحابة

يومك ، جميع الرغبات الصالحة للنجاح فى عملك ولا تقرأ إلا الكتب النافعة التى توقظ نيران الشهامة والمروءة والبهجة والحماسة فى قلبك »

جريمة سلفستر بونار

تأليف اناتول فرانس — ترجمة الاستاذ عازار
(طبع بالمطبعة العصرية
عدد صفحاته ٣١١ من القطع المتوسط)

لاناتول فرانس عدة مؤلفات ترجم بعضها الى اللغة العربية ، وحازت هذه المؤلفات رواجاً فائقاً لما لمؤلفها من المكانة الادبية ولما تناولته من موضوعات كانت مثار الشوق والاعجاب . ومن هذه المؤلفات قصة « جريمة سلفستر » وهى من القصص الفنية وتكاد تكون ترجمة لحياة اناتول فرانس . وقد اشترك فى ترجمة هذه القصة الشاعر المصرى الاستاذ محمود ابو الوفاء فعاون المترجم فى تهذيبها وتنسيقها تنسيقاً عربيا فصيحاً وقام بطبعها الاستاذ الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية ، فجاءت شائقة فى تأليفها بليغة فى ترجمتها ، جميلة فى طبعها حسنة الرونق ، تنبئك صفحاتها وغلافها بما بذل فيها من عناية ومجهود

رباعيات الخيام

نظمها بالعربية الدكتور احمد زكى ابو شادى

(طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر
صفحاته ٢٧ من القطع المتوسط)

ترجم غير اديب واحد الى اللغة العربية رباعيات عمر الخيام ، وكان من حظنا أن اطلعنا على هذه الترجمات واحدة بعد الاخرى ، وقد كتبنا عن بعضها فى الهلال ، وأبنا رأينا فى اهتمام هؤلاء الادباء بهذه الرباعيات دون غيرها من أدب الفرس الذى يحوى من الآثار الادبية الاخرى ما لو ترجم الى اللغة العربية لاضاف اليها ثروة جليلة وافادها فائدة دونهـا تلك الفائدة التى يجنيها الادب العربى من رباعيات عمر الخيام . ففى الادب الفارسى من قصص الفردوسى ، وتصوفات جلال الدين الرومى ، وغزليات حافظ الشيرازى، وفلسفيات سعد الشيرازى وغيره ما لو ترجم بعضه الى اللغة العربية لحاز من الاعجاب اضعاف ما تحوزه رباعيات الخيام — ذلك الفلكى الرياضى الذى لم يسم فى الشعر الى مكانة حافظ الشيرازى وامثال حافظ من شعراء الفرس وفلاسفتهم

ونحن نظن انه لولا « فتزجرالد » المستشرق الذى عنى بعمر الخيام عناية خاصة لمـا اتيحت له تلك الشهرة فى بلاد الانجليز وغيرها من البلاد الغربية التى صادفت فلسفة الخيام هوى فى نفوسهم

على اننا لا نريد ان نبخس الترجمات حقها فى عالم الادب ، فذلك رأينا فى عمر الخيام وفلسفته. اما راينا فى ترجمته فهو يختلف باختلاف براعة الادباء الذين ترجموه . ونعتقد ان الترجمة التى بين ايدينا الآن والتى أتحف بها الدكتور ابو شادى قراء العربيـة ، لهى من خير الترجمات وابلغها اسلوباً ، وافصحها بياناً

لقد حذا الدكتور حذو بعض كبار الشعراء فى ترجمة هذه الرباعيات ، بل عارضه ، وسبقه فى كثير من الرباعيات الى سلاسة الاسلوب ، واتساق الاغراض واحكام الاداء ، واوفى على الغاية من

ذلك كله ، وكانت هذه الرباعيات كما كانت رباعيات حافظ الشيرازى التى ترجمها الدكتور ابو شادى ايضاً جديرة بالثناء الفائق والتقدير العظيم

اشعة وظلال

للدكتور احمد زكى ابو شادى

(طبع بمطبعة الشباب بمصر
صفحاته ١٤٤ من القطع المتوسط)

من معاد القول أن نقدم الدكتور احمد زكى أبو شادى الى القراء كشاعر فياض له من الآثار الشعرية ما يربو على آثار كثير من شبان العصر الذين أولعوا بفن الشعر ، وأتوا فى ذلك بالطريف الرائع

فالدكتور أبو شادى شاعر مجيد مارس فن الشعر منذ خمسة عشر عاماً ، ونشر عدة قصائد فى كثير من الصحف والمجلات المنتشرة فى مصر والاقطار العربية ، وأودع نفثاته الشعرية فى غير كتاب واحد ، منها هذه النفثات التى نشرها فى هذا الديوان وسماها « أشعة وظلال » وقد حلاها بالصور والرسوم الجميلة فجمعت بذلك بين براعة الشاعر ومهارة الرسام . ونحن لا نستطيع أن نقتطف للقراء شيئاً من هذه الاشعار المصورة الا اذا نقلنا معها رسما من هذه الرسوم ، فقد نظمها الشاعر وصفاً لبعض الرسوم الفنية التى عرضت فى المتاحف والمعارض لكبار الرسامين المصريين والاجانب كالاستاذ شعبان زكى ، وفرانسوا ميليت ، وفراجونارد ، وفرانزهالز ، وغيرهم على أنه بين هذه الاشعة والظلال قصائد أخرى غير مصورة جادت بها قريحة الشاعر الخصبة . وهى لا تقل فى الجودة عن اخواتها ، وتدل على ما للشاعر من نفس فياضة بالشعر ، تتناول كل شىء من جمال الطبيعة وتصوره أحسن تصوير

نهضة الاوقاف السورية

تأليف السيد عبد القادر الخطيب

(طبع بمطبعة طباره ببيروت)

يحتوى هذا السفر على الكلام عن نهضة الاوقاف السورية فى عهد صاحب الفخامة السيد تاج الدين الحسينى رئيس الوزارة السورية السابق الذى ظهرت فى عهده عدة اصلاحات كان للاوقاف منها نصيب غير يسير كما يقول المؤلف . ومن هذه الاصلاحات التى احتوى عليها هذا السفر : انشاء معاهد جديدة ، وترميم المعاهد القديمة ، وانشاء عقارات جديدة للاستغلال ، واصلاح العقارات الموقوفة ، وشراء عقارات أو قطع أرض قضت المصلحة بشرائها ومساعدة الجوامع الفقيرة غير الداخلة فى ادارة الوقف

وقد تحلى هذا السفر بصور جميلة تكاد تستوعب منه النصف أو تزيد

تاريخ الآداب العربية

تأليف عباس على صيام

(طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر
صفحاته ١٢٢ من القطع المتوسط)

ليس التأليف المدرسى من السهولة بحيث يستطيعه كل مؤلف ولو لم يكن مربياً . فهو يتطلب

غير ما يتطلبه التأليف العادى فى الموضوعات الاخرى من مراعاة قوى الناشئين والسير معهم سيراً حكيما يتناسب ومداركهم وما تقتضيه من تنظيم المعلومات وتوضيحها وتيسير ما يتعسر على اذهانهم حتى يستطيع ان يصل بهم الى الغاية المرجوة من تنشئتهم تنشئة منظمة ، وتثقيفهم تثقيفاً صحيحاً يفيدهم فى مستقبل حياتهم

وليس كل ذلك بالسهل على المؤلف والواجب ان يكون كل من يتعرض للتأليف المدرسى مدرساً مارس مهنة التدريس ونجح فيها ، كمؤلف كتاب « تاريخ الآداب العربية » الذى وضع وفق المنهج الجديد للسنة الثالثة الثانوية . فهذا الكتاب على صغر حجمه قد جمع من المعلومات الادبية المفيدة ما يحتاج اليه ناشئة كالتلامذة الذين وضع لهم وهو فى الوقت نفسه مؤلف على نسق سهل يتناسب وقوة التلامذة فى هذا العهد ، وقد تحلى باجادة الطبع حتى بدا فى رونق يجذب أنظار التلاميذ ويشوقهم الى مطالعته واستظهار ما فيه من معلومات وآثار ادبية قيمة

الصاحب بن عباد

بقلم خليل بك مردم

(طبع بمطبعة الترقي بدمشق
صفحاته ٢٥٤ من القطع المتوسط)

هـذا هو الجزء الرابع من تلك السلسلة الادبية التى قام بتأليفها الاديب المعروف الاستاذ خليل بك مردم بعنوان « أئمة الادب » . وقد تناول فيه تاريخ حياة الصاحب بن عباد أبي القاسم اسماعيل بن ابي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني الملقب بالصاحب ، وتناول عصره وآثاره العلمية والادبية وعلاقته بادباء عهده ومذهبه فى الكتابة الى غير ذلك مما يتعلق بحياة هذا الاديب والوزير الخطير

وقد أحسن المؤلف كل الاحسان فى تأليف هذه السلسلة واحياء ما درس من حياة كبار الادباء العرب ونشر آثارهم ، واطلاع الجمهور على ما كان لهم من مكانة وفضل فى عالم الادب

العراق أو الدولة الجديدة

للسير نيجل وادسون — ترجمة عجاج نويهض

(طبع بمطبعة العرب بالقدس
صفحاته ٦٠ من القطع الصغير)

وضع هذه الرسالة السير نيجل الانجليزى ، والقاها بمحاضرة فى « جمعية آسيا الوسطى الملكية » بلندن ، وهي تتناول قضية العراق العربى . وفيها يرى القارىء كيف يحلل الانجليز مسألة سير العراق فى طريق النجاة ، وكيف يصف الانجليز حق العراق فى الاستقلال وتقرير المصير والديموقراطية والكيان الدولى

وقد ترجها عن الانجليزية الاستاذ عجاج نويهض ، وقدمها بمقدمة قيمة للاستاذ أسعد داغر محرر السياسة الخارجية بجريدة الاهرام الغراء

وقد تصفحنا هـذه الترجمة فوجدناها حسنة البيان فصيحة الاسلوب ، فنهنىء المترجم ونرجو لترجمته التقدير اللائق

بين الهلال وقرائه

زاردشت

(سانتالوشيا — الارجنتين) خليل التنورى

قرأنا فى بعض المجلات العربية التى تصدر فى الارجنتين مقالة عن زاردشت نبى الفرس القديم أنه لايعلم أحد تاريخ ولادة هذا النبى . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لا يعلم شىء عن تاريخ ميلاد هذا النبي على وجه التحقيق . ويعتقد الكثيرون انه مؤسس المازدية أو المجوسية . وزعم غيرهم انه شخص خرافى لم يكن له وجود حقيقى . وذكره ارسطو فيلسوف اليونان الاكبر ويستدل مما قاله عنه انه عاش فى المائة السابعة قبل التاريخ الميلادى

النجوم

(سانتا لوشيا — الارجنتين) ومنه

هل يضىء كل نجم كالهلال ؟

(الهلال) كل نجم بالمعنى العلمى هو شمس أى انه جرم من الاجرام العلوية ذو نور أصلى . أما الهلال — وهو القمر فى أوائل ظهوره — فيستمد نوره من جرم آخر وهو شمسنا

الحياة على الارض

(كوى سنجق — العراق) جمال حويزى

هل الحياة على الارض تزيد أم تنقص ؟

(الهلال) لانفهم ماتقصدونه تماماً . فان كنتم تقصدون « بالحياة » عدد المخلوقات أو الكائنات الحية فلا شك ان عددها فى زيادة مستمرة . وان كنتم تقصدون تلك القوة الغامضة التى هى سبب كل حركة ونشاط والتى من خواصها انها تنمو وتتغذى وتتوالد وتحس فهذه قوة غير مادية لايتناولها نقص ولا زيادة

الحياة والحرارة

(كوى سنجق — العراق) ومنه

هل الحياة تفنى بالحرارة ؟

(الهلال) نعم اذا وصلت الحرارة الى حد معين . فالميكروبات مثلا (وهى أسرع المخلوقات الحية توالدا) لا تستطيع ان تعيش فى الماء وهو فى درجة الغليان . ويقول العلماء إن الحياة يستحيل وجودها فى النجوم (أى الشموس) بسبب حرارتها الهائلة

أما سؤالكم عن غاية الله من خلق الكون فنضرب عنه صفحا لما يحتمل أن يثيره من الجدل الدينى مما لا تطرقه هذه المجلة عادة

الاحلام وعلاقتها بالمستقبل

(سليمانية — العراق) حبيب سلمان بدريه

جاء فى الصفحة ٣٠٣ من الجزء الثانى من هلال السنة الماضية ان الاحلام ليس لها أية علاقة بالمستقبل . ولكن علمنا من رجل نثق به كل

الثقة انه رأى فى منامه مرة نقطة دم على سبابته وفى اليوم التالى جرحت سبابته فى الموضع الذى رأى فيه نقطة الدم . فما قولكم فى ذلك ؟

(الهلال) اذا صدق صاحبكم فى روايته فلا شك ان الحادث من قبيل الاتفاق الذى تسميه العامة « الصدفة » . على ان الاحلام قد تكون لها علاقة بالمستقبل كما لو فكر الانسان طويلا فى أمر يتوقعه فقد يحلم به قبل وقوعه . وقد اشرنا الى ذلك فى الجزء الذى ذكرتموه من الهلال

أوهام عن الطيور

(سليمانية — العراق) ومنه

من الاعتقادات الشائعة بين العامة ان اللقلق اذا لمسه انسان لم يتمكن من الطيران . وان الحبارى لاتصاد الا فى ظل حمار . وان طير الابابيل (الخطاف) اذا وقع على الارض لم يستطع النهوض من تلقاء نفسه . فهل لهذه الاعتقادات أثر من الصحة ؟

(الهلال) لا أثر لها من الصحة على الاطلاق فهى من خرافات العامة

الجنيه والدولار

(بغداد — العراق) وديع عيسى

لماذا يعتبر الجنيه الانجليزى اساساً للمعاملات المالية الدولية بدلا من الدولار الاميركى مع العلم بان الدولة الاميركية اغنى من الدولة الانجليزية ؟

(الهلال) كان الجنيه الانجليزى حتى عهد قريب اساسا للمعاملات الدولية لعدة اسباب أهمها :

(١) ثقة الناس بقيمة ذلك الجنيه وثباته ولا سيما منذ الحروب النابوليونية يوم اقرضت انجلترا دول أوربا نحو الف مليون جنيه لمحاربة نابوليون

(٢) لثقة الناس بالنظام المالى الانجليزى

(٣) لان الجنيه الانجليزى اقدم من الدولار الاميركى

(٤) لان النظم الانجليزية المالية امتن من النظم المالية الاخرى بدليل ان جميع البنوك الانجليزية واصلت اعمالها المالية كالمعتاد منذ بدء الضائقة المالية العالمية الحالية حتى الآن بخلاف غيرها من البنوك الاخرى — حتى المشهورة منها بمناعتها المالية — فقد منى الكثير منها بافلاس . ومع ذلك فان الجنيه الانجليزى منذ نهاية الحرب العظمى الماضية لايتمتع بالمزايا التى كان يتمتع بها قبل الحرب ولا سيما منذ خرجت انجلترا عن قاعدة الذهب .

تطور الانسان

(بغداد — العراق) محمد رءوف آل الجوهر

هل ظهرت أنواع كثيرة من الانسان فى اثناء تطوره باد منها غير الصالح وبقى الصالح ؟

(الهلال) نعم . ظهرت فى خلال مراحل التطور عدة أنواع من الانسان عندنا الآن منها بعض النماذج . وقد انقرضت جميع الانواع غير الصالحة للبقاء وبقى النوع الافضل طبقاً لناموس بقاء الاصلح . وبمرور الزمن ستنقرض جميع الشعوب غير الصالحة للبقاء وتواصل الصالحة منها للبقاء تطورها نحو الكمال . وفلسفة السوبرمان أو الانسان المتفوق تقوم على هذه الفكرة

بثرة العراق

(حله — العراق) عبد الوهاب هبه

فى العراق نوع من التقرح يصيب الاطفال غالباً فى وجوههم وتسميه العامة « بلاخت » فما سبب هذا الداء وما علاجه . وهل يوجد فى غير العراق ؟

(الهلال) يخيل الينا من كلامكم ان هذه البثرة هى المعروفة عند الكثيرين بحبة حلب . ويسميها الغربيون حبة حلب أو حبة الشرق أو حبة بسكرا (Clou de Biskra) وبسكرا مدينة بالجزائر . وهذه الحبة أو البثرة معروفة هنالك ، وهى تنشأ عن العدوى بميكروب يسمى علمياً « ليشمانيا فيرونكلوزا » (Leishmania furunculosa) وينتقل اما بواسطة الماء ، أو بلسع الهوام . ولهذا تظهر الحبة عادة فى الاماكن المكشوفة من الجسم كالوجه أو اليد . ومدة تفريخ هذا الميكروب بضعة أيام تظهر بعدها شبه قرحة تترك وراءها أثراً لا يزول

وأحسن طريقة للوقاية منها هى تلافى العدوى ولسع الهوام وتعقيم ماء الشرب فى الاماكن التى يكثر فيها هذا المرض . ومتى ظهرت القرحة وجب معالجتها باليودوفورم وازرق المتيلين وبرمنغنات البوتاس . وقد يفيد الكى بالمواد الكاوية فى حالات كثيرة ، على ان افضل علاج معروف حتى الآن هو الحقن « بالارسينو بنزول » فقد اسفر عن نجاح كبير . وهذه الحبة أو البثرة معروفة فى أنحاء كثيرة من بلاد الشرق كسوريا والعراق والهند ومراكش والجزائر

زواج الاقارب

(بلوفيلد — الولايات المتحدة) ا . م . م

ما رأيكم فى اعتقاد معظم الناس انه إذا تزوج الرجل ابنة عمه أو ابنة خاله أو خالته جاء النسل ضعيف العقل والجسد ؟

(الهلال) فى « معجم لاروس الطبى » ان الاعتقاد قديماً كان ان الزواج بين الاقربين يورث النسل ضعفاً فى القوى العقلية والجسدية . ولكن المباحث العلمية الاخيرة تثبت أن ذلك الزواج يورث صفات الوالدين أو نقائصهما ولا يفضى إلى أى نتيجة اخرى . ولا يخفى ان بعض الاسر قد تكون عرضة لامراض وراثية أكثر من غيرها فزواج أعضائها بعضهم ببعض انما يزيد فى وطأة تلك الامراض وشدتها

على ان هنالك اقربين لا يبيح العقل ولا القانون ولا العرف ولا الذوق تزاوجهم كاقتران الاخ باخته والرجل بابنته أو ابنة اخيه وما الى ذلك مما تعافه النفس وتأباه الآداب . وكان من عادة بعض الملوك فى العصور الخالية ان يتزوج أحدهم أخته حفظاً للعرش فى الاسرة . على أن هذه العادة قد زالت الآن والحمد لله

معالجة اللسع

(طنامل — مصر) انور السيد الجندى

من عادات العامة انه اذا لدغ زنبور أو نحلة أحدهم بادر الى معالجة اللسعة بوضع كتلة من الطين على الموضع زاعماً ان فى ذلك شفاء له من الالم . فهل لهذا العلاج تعليل كيمياوى ؟

(الهلال) هـذه العادة شائعة فى بلاد كثيرة غير مصر. ولا يخفى ان أحسن علاج للسعة النحلة أو الزنبور أن يغسل المكان الملسوع بالماء المالح المضاف اليه قليل من ملح الطعام، أو بالخل، أوبماء الكولونيا، أوببضع نقط من محلول النشادر، ولعل مزيجاً مركباً من ١٠ جراماً من محلول النشادر و٥ جرامات من السكولوديون و٠٠٥ سنتجراماً من حامض السالبسليك هو من افضل ما تعالج به هذه اللسعات. وعلى كل يجب انتزاع حمة الزنبور أو النحلة قبل كل شيء

أماعلاج العامة الذى أشرتم اليه فليس له تعليل علمى يؤيده الا أن يكون فى الطين آثار ملح أو بول يحتوى على قليل من النشادر

في الكون

(مزغونة ـ مصر) مرزوق تادرس

حسما للخلاف وقع بيني وبين بعض الأصدقاء أرجو أن تفيدوني هل اكتشف العلم أجراماً سماوية خارج النظام الشمسى تبعث نوراً من ذاتها غير مستمد من نور الشمس، وما هو أقصى بعد بيننا وبين هذه الاجرام؟

(الهلال) فضاء الكون غاص بالنجوم (أى الشموس) غير الداخلة فى النظام الشمسى ونورها أصلى غير مستمد من نور غيرها من الاجرام وحجم بعضها يزيد كثيراً على حجم شمسنا واقربها القنطورس وتبعد عنا ثلثمائة الف ضعف المسافة بين الارض والشمس أو نحو أربع سنين ونصف سنة نورية. وأبعدها عنا نجوم السدم الاولية وتبعد عدة ملايين سنوات نورية

الروح والنفس

(الناصرية ـ العراق) جعفر بن الشيخ حسين

اختلف الناس فى تعريف الروح والنفس فنهم من قال انهما واحد ومنهم من قال انهما مختلفان. فما رأيكم فى ذلك؟

(الهلال) يصعب جداً التمييز بين الاثنين وقد جعلتهما معجمات اللغة واحداً فقالت إن النفس هي الروح. يقال خرجت نفسه أى روحه. والروح قوام الحياة. أما الذين يميزون بين الاثنين فيقولون إن النفس لا قوام لها من دون المادة وأما الروح فتستطيع أن تخلع ثوب المادة وتحيا بدونه

تحسين الوجه

(الناصرية ـ العراق) ومنه

ما هي أحسن طريقة لجعل الوجه ممتلئاً ولازالة التجعدات منه؟

(الهلال) التجعدات من أعراض التقدم فى السن ويصعب اجتنابها وإنما يمكن تخفيفها بانتقاء النوع الملائم من الغذاء ومراعاة شروط المعيشة الصحية. وهنالك وسائل لمعالجة تجعدات الوجه بالكهربائية ولكنها غير مضمونة وقد يكون فى استعمالها شيء من الخطر

انتقال الافكار

(القاهرة ــ مصر) أحد القراء

قرأنا جميع ما نشرتموه فى الهلال فى موضوع مناجاة الارواح واستحضارها. ولاشك ان الذين يؤمنون بامكان مناجاة الارواح يؤمنون أيضاً بامكان انتقال الافكار « تليباتى » فهل فى إستطاعتكم اثبات هذا الانتقال ببراهين علمية ؟

(الهلال) مسألة انتقال الافكار أو التليباتى حقيقة يسلم بها حتى الذين ينكرون امكان مناجاة الارواح وإن لم يكن فى الوسع اثباتها بطريق علمى . ومن المحتمل أن تكون هنالك نواميس طبيعية خاصة بقوى الانسان العقلية والفكرية ولم يوفق العلم الى معرفتها حتى الآن

سبب الضحك

(القاهرة ــ مصر) ومنه

ما هو سبب الضحك ، ولماذا نضحك من بعض الاشياء ولا نضحك من غيرها ؟

(الهلال) لم يتفق العلماء على تعليل الضحك حتى الآن . وهنالك نظريات متناقضة لا يمكن الأخذ باحداها دون الأخرى ، وغاية ما يمكن قوله بهذا الصدد هو أن الضحك ، كالتثاؤب أو التأوه ، ظاهرة فسيولوجية تنشف عن انبساط بعض العضلات بعد توترها . ولا نعلم حتى الآن حقيقة ذلك «الانبساط» ولا يمكننا تحديد الاشياء التى لا بد أن تثير الضحك ، ولا سيا أن للضحك علاقة بالطبع أو المزاج . فبعض الناس أسرع الى الضحك من غيرهم

الدلتا

(نانشيز ــ الولايات المتحدة) خليل رفول

لماذا تسمى البلاد الخصبة الواقعة شمالى مصر بالدلتا ؟

(الهلال) يطلق اسم الدلتا على البلاد المحصورة بين فروع نهر النيل شمالى مصر لان شكل هذه البلاد مثلث يشبه حرف الدلتا «باللغة» اليونانية

« يامزين »

(القاهرة ــ مصر) عبد العظيم عطية

أرجو افادتنا لماذا يعتبر قولهم « يا مزين » من قبيل السخرية ؟

(الهلال) لانعلم السبب بالتمام ولعل ذلك ناشىء من اعتقاد الناس عامة ــ فى مصر وفى غير مصر ــ أن «المزين» أو الحلاق منفور منه بسبب مضايقته «لزبائنه» بكثرة ثرثرته واطالته لعمله وهى تهمة سخيفة تجل عنها الكثيرين من الحلاقين

كلمة « عتيد »

(مونتفيدو ــ عاصمة اوروجواى) رزق الله نفاع

نرجو ان تفيدونا عن صحة استعمال كلمة « عتيد » ؟

(الهلال) يستعمل جمهور الكتاب هذه الكلمة بمعنى المتوقع فيقولون الملك العتيد والاحتفال العتيد . وكل ذلك من اغلاط العامة لان معنى العتيد الحاضر والمهيأ من عتد الشىء عتادة وعتاداً أى تهيأ

في الملاحة

(الكويت — خليج فارس) عبد الوهاب ابن عيسى القطامي

هل كان العرب الاقدمون يسترشدون في ملاحتهم بالابراج والكواكب المعروفة الآن عند أهل الملاحة أم على الثمانية والعشرين نجماً من منازل القمر التي كانت معروفة عندهم؟ (وقد أورد السائل أسماءها)

(الهلال) الارجح أن العرب كانوا يستعينون بجميع النجوم والكواكب والابراج التي ذكرتموها ليس في أسفارهم البحرية فقط بل البرية أيضاً . أما الاسماء الثمانية والعشرون التي أوردتموها فقد وقع فيها بعض التحريف واليكم صحتها (١) السرطان بفتح ففتح (٢) البطين بضم ففتح (٣) الثريا (٤) الدبران بفتح ففتح (٥) الهقعة بفتح فسكون (٦) الهنعة بفتح فسكون (٧) الذراع بكسر ففتح (٨) النثرة أو نثرة الاسد بفتح فسكون (٩) الطرفة بفتح فسكون (١٠) الجبهة أو جبهة الأسد (١١) الزبرة بضم فسكون (١٢) الصرفة بفتح فسكون (١٣) العواء بفتح ففتح (١٤) السماك أو واحد السماكين (١٥) الغفر بفتح فسكون (١٦) الزبانان بضم ففتح (١٧) الاكليل (١٨) القلب أو قلب العقرب (١٩) الشولة بفتح فسكون (٢٠) النعام أو النعام الصادر والنعام الوارد بفتح النون (٢١) البلدة بفتح فسكون (٢٢) الذابح أو سعد الذابح (٢٣) بلع بضم ففتح ويسمى أيضاً سعد بلع (٢٤) سعدالسعود (٢٥) الاخبية (٢٦) المقدم (٢٧) المؤخر (٢٨) الرشاء بكسر ففتح

أصلب الحجارة المعروفة

(بيروت — سوريا) أحد طلبة الجامعة الاميركية

ما هي أصلب الحجارة المعروفة في العالم مما يصلح للبناء ؟

(الهلال) نظن أن حجر الغرانيت (ويسميه بعضهم الحجر الاعبل) هو أصلب الحجارة المعروفة التي توجد بكثرة وتصلح للبناء نعم ان الالماس أصلب منه ولكنه لا يوجد بكثرة ولا يصلح للبناء

وهنالك أيضاً أنواع أخرى من الحجارة تسمى « كوارتزيت » تكاد تشبه الغرانيت في صلابتها . ولكنها هي أيضاً نادرة فلا تصلح للبناء

الابراج

(بيروت — سوريا) ومنه

لماذا قسم علماء الفلك بعض الاجرام العلوية الى ابراج وأطلقوا عليها أسماء حيوانات ؟

(الهلال) المعروف عند علماء الفلك أن البابليين هم الذين سموا بعض المجاميع الفلكية بأسماء حيوانات لسهولة الرجوع اليها ولان شكلها الظاهر يشبه تلك الحيوانات بعض الشبه . وعن البابليين أخذ الفرس والعرب أسماء تلك المجاميع أو الابراج حتى وصلت الينا

من هنا وهناك

لاتقاء الصوت

الضجة والاصوات المزعجة من مستلزمات المدنية الحاضرة . ويظهر أن الانسان سيذهب ضحيتها فى المستقبل . وقد روت احدى المجلات العلمية الامريكية أن هذه المشكلة من أعظم المشاكل التى تشغل بال المخترعين فى جميع أنحاء العالم . وقد كثرت الطلبات فى امريكا على الادوات المنزلية والمكتبية التى تمتص الصوت وتمنع تضخيمة . وبلغت هذه الطلبات فى السنة الماضية اربعة أضعاف ما كانت عليه فى السنة التى قبلها

المرآة ونور الشمس

اذا عرضت المرآة للشمس الساطعة مدة طويلة أصبحت غبشا غير صافية . وليس ذلك فقط بل ان تعريض المرآة للنور القوى يجعلها بمرور الزمن صفراء ويذهب برواء أديمها

بدل الاسفلت

من أنباء مدينة براغ أن شركة الغاز فيها قد وفقت الى صنع مادة لرصف الشوارع تشبه الاسفلت ولكنها امتن واكثر مرونة وأرخص ثمناً

الاضراب قديما

يؤخذ من المباحث التاريخية القديمة أن عادة الاضراب عن العمل كانت شائعة فى روما قديماً . من ذلك أن العازفين على الناى فى معبد « جوف » - يهوه - (أى معبد كبير الآلهة) أضربوا مرة عن العزف لأنه صدر أمر من رئيس الكهنة يحظر عليهم تناول طعامهم فى صحن المعبد . واستمر اضرابهم مدة طويلة وانضم اليهم جميع الموسيقيين فى روما حتى اضطر رئيس الكهنة الى اصدار أمر آخر الغى به الامر الاول

مصدر جديد للحرير الصناعي

يجربون اليوم استخراج الحرير الصناعى من خشب الخيزران . وتدل النتائج التى اسفرت عنها التجارب فى الهند وسيلان على ان مستقبل هذه الصناعة سيكون باهراً

أقدم شجرة كمثرى

فى منزل الارسالية التابعة للقديس يوحنا المعمدان بكاليفورنيا شجرة كمثرى عمرها مائة وست وعشرون سنة . والارجح أنها أقدم شجرة كمثرى من نوعها فى العالم

البيرة في لندن

يؤخذ من بعض الاحصاءات أن أحد أحياء العمال بلندن - لا يقل عدد سكانه عن مائة وعشرين الف نفس - يستهلك من البيرة كل سنة أربعة أضعاف ما يستهلكه من اللبن الحليب

اكبر بحيرة صناعية

اكبر بحيرة من صنع الانسان فى العالم هى بحيرة «خزان هوفر» على نهر كولورادو بامريكا ولم يتم انشاؤها حتى الآن

فى صناعة الطيارات

يقوم الآن صناع الطيارات فى أمريكا بتجارب مختلفة لمعرفة أفضل المواد التى يمكن أن تصنع منها أجنحة الطيارات . وهنالك نوع من خشب الابنوس كثير المسام شديد الخفة عظيم المتانة يظهر ان الانظار متجهة اليه أكثر من غيره لصنع أجنحة الطيارات

لمكافحة العث

اخترع أحد الكيمياويين الالمان مزيجاً لمكافحة العث يتألف من تسعين جزءاً من الصابون وعشرة أجزاء من سيليكات الصوديوم

شجر التين الشوكى

تكثر أشجار التين الشوكى فى جنوبى امريكا وفى بلاد المكسيك كثرة هائلة وهو يستعمل هنالك علفاً للبهائم . ومنه نوع يحتوى على نسبة طفيفة من المواد المخدرة وقد اتجهت الانظار أخيراً الى الانتفاع به فى التجارة

ديوكسيد الكربون

ديوكسيد الكربون — ويسمونه أيضاً الثلج الناشف — هو من أبرد المواد المعروفة وتبلغ برودته الدرجة ١٤٥ تحت الصفر بمقياس فهرنهيت

عبادة الشمس

ما تزال عبادة الشمس شائعة فى بعض جهات أرمينيا الشمالية حيث يقسم الناس عادة باسم الشمس . وهذه العبادة قريبة من دين المجوسية أى دين عبدة النار . وهى قائمة على الاعتقاد بأن النور هو مصدر كل خير ، والظلام مصدر كل شر . وكان رمز هاتين القوتين عند المانوية قديماً اهرامان واهرامازدا

أغرب محطة لاسلكية

أشد المحطات اللاسلكية وحشة هى محطة «جزيرة ويليس» التى تبعد أربعمائة ميل الى الشرق اوستراليا وفيها عاملان فقط لالتقاط الاشارات اللاسلكية الخاصة بالاحوال الجوية وتدوينها

أكبر حديقة

هى حديقة لورنتيد بمقاطعة كويبك بكندا لها منطقة خاصة بها فيها اكثر من الف وخمسمائة نهير وبحيرة

الحاصلات في ايطاليا

اهم حاصلات ايطاليا هى القمح والنبيذ وزيت الزيتون والقنب . وقد نقصت جميعها فى العام الماضى نحو ثلاثين فى المائة عن نتاج السنة التى قبلها

في قانون حمورابي

كان قانون حمورابى (الذى حكم على مملكة بابل قديما) يقضى بانه اذا انهدم بيت وجب على المهندس الذى تولى بناءه ان يقوم بترميمه واعادة بنائه على نفقته

الغابات في أمريكا

بلغ عدد الاشجار التى وزعتها مصلحة الغابات فى الولايات المتحدة فى السنة الماضية اكثر من مائة مليون شجرة وذلك تشجيعاً لزراعة المناطق الملائمة

سكان الولايات المتحدة

بلغ عدد سكان الولايات المتحدة بحسب أحدث احصاء رسمي مائة وثمانية عشر مليونا — فضلا عن أربعة عشر مليوناً من الاجانب . ومن هؤلاء الاجانب نحو تسعة فى المائة لايعرفون اللغة الانجليزية

في البحار

كثيراً مايهيج البحر وتهب عليه الرياح الشديدة فتقوم الانواء وتعالى الامواج وكثيراً ما يشاهد الموج يعقد شبه عمود من دخان يرتفع الى علو الف قدم . وقد شوهدت بعض تلك الاعمدة ترتفع الى علو ميل أو أكثر

الملاريا فى الولايات المتحدة

فى احصاءات مصلحة الصحة للولايات المتحدة ان نحو مليونين من الاهالى يصابون بحمى الملاريا كل سنة فى الولايات المتحدة الجنوبية الشرقية فقط

ينبوع ماء بارد

فى احدى الحدائق العامة بالولايات المتحدة ينبوع ماء بارد يتدفق فى الهواء عالياً جدا كأنه فوارة . وترجع برودته الى وجود ديوكسيد الكربون ممزوجاً به

اكلة لحوم البشر

تدل الاحصاءات التى لدى جمعية الامم على ان القبائل التى تمارس اكل لحوم البشر آخذة فى الانقراض ولم يبق منها الا نحو نصف مليون من الانفس معظمها فى قارة افريقيا

انتاج النحاس

توجد اكبر مناجم النحاس فى اميركا ثم فى شيلي وتشترى حكومة الولايات المتحدة ستين فى المائة من النحاس الذى تصدره جمهورية شيلى الى الخارج

تعقيم اللبن

كان اللبن الحليب يعقم سابقاً بالسر لا لغرض صحى بل لحفظ اللبن من الفساد ولتلافى ماينجم عن فساده من الخسارة المالية

ضفادع امريكا الجنوبية

فى جبال الاندلس بأمريكا الجنوبية ضرب من الضفادع تحمل صغارها فى كيس خاص على ظهورها وتنتقل بها الى كل جهة الى ان تبلغ السن التى تستطيع معها المعيشة مستقلة

مسرح جديد بنيويورك

أنشىء حديثاً فى نيويورك مسرح جديد مجهز بجميع الوسائل التى تجعل الصوت واضحاً مسموعاً مهما يكن الشخص بعيداً عن الممثلين وفى هذا المسرح بضع عشرات من الآلات التى تقوى الصوت وتجلوه لكى يتسنى سماعه بوضوح تام

البيوت في الهند قديما

يقول علماء الآثار الذين درسوا تاريخ الهند ووقفوا على معالم حضارتها البائدة انه كان فى « موهنجو دارو » منذ خمسة آلاف سنة بيوت للسكنى لا يقل عدد الغرف فى كل منها عن عشرين غرفة وكان فى بعضها نحو خمسين غرفة

السقوط بمظلة النجاة

يؤخذ من التجارب التى قام بها المهتمون بشؤون الطيران أن السقوط من أعالى الجو بمظلة الطيران يقى من الحوادث المفجعة وينقذ الساقط من الموت . ولكن للسقوط ، ولو بمظلة النجاة ، تأثيراً سيئاً فى القلب وكثيراً ما يموت الانسان ، لا لاصابته عند سقوطه بل لما يصيب قلبه من الهلع اذ قد ثبت من التجارب الكثيرة أن سرعة سقوط المظلة تكاد تبلغ مائة وعشرين ميلا فى الساعة أى نحو ضعفى سرعة القطارات الحديدية الكبيرة

تقلص البطيخ

قامت وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة بتجارب غريبة لمعرفة مقدار تقلص البطيخ وما يخسره من الوزن بمرور الزمن فثبت لها أن الوزن ينقص نحو اربعة ونصف فى المائة كل سبعة أيام

كاهنات روما

يقول بعض المؤرخين ان كاهنات الهيا كل بروما قديما كن يحملن مصابيح ذات فتيل مصنوع من مادة الاسبستوس . وكانت الشعائر الدينية تقضى بالمحافظة على نور تلك المصابيح لكيلا تنطفىء على مدار السنة اذ كان يعتبر انطفاؤها نذير شؤم

الخسارة من الدخان

فى بعض الاحصاءات الامريكية ان الدخان الذى يتصاعد من المداخن فى الولايات المتحدة يسبب للبلاد خسارة لا تقل عن خمسة عشر دولارا لكل شخص من سكان البلاد أو نحو مليار وثمانمائة مليون دولار

موسيقى الجاز

يقول بعض علماء الموسيقى ان الموسيقى المعروفة بالجاز مأخوذة من الموسيقى النجرية التى جاءت من النمسا لا من موسيقى الزنوج الامريكيين كما يتوهم الكثيرون . ويقول هذا العالم أيضا ان موسيقى الجاز ليست وليدة السنوات الاخيرة فقد كانت شائعة فى بولونيا والنمسا منذ عهد بعيد

عصير المطاط

يسمى العصير الثخين الذى يخرج من شجر المطاط (الكاوتشوك) « لاتيكس » او لبن المطاط . وقد صنعوا فى سنغابور مادة جديدة من اللاتيكس رصفوا بها بعض الشوارع لاختبار متانة هذه المادة فاسفرت التجربة عن نجاح تام لان هذه المادة شديدة المرونة والصلابة معاً

باعة الفازولين في امريكا

فى الولايات المتحدة ٣١٨ الفاً من باعة الفازولين « بالقطاعى » فضلا عن ١٢٢ ٥٢٤ محطة للفازولين تابعة للشركات المختلفة وفضلا عن الباعة بالجملة

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء الاول من السنة الثالثة - صدر في أول سبتمبر سنة ١٨٩٤

المماليك

افتتح الجزء الاول من السنة الثالثة للهلال بمقالة تاريخية عن المماليك لها بقية فى الجزء الثانى . وقد جاء فى هـذه المقالة أن المماليك ينقسمون باعتبار حكوماتهم الى قسمين :

(الاول) السلاطين وهم الذين استقلوا باحكام المملكة المصرية

(الثانى) الامراء وهم الذين تولوا حكومتها بعد الفتح العثمانى تحت سلطة الباب العالى

فاما القسم الاول فهو مذكور باجمال فى هذه المقالة مع ذكر شيء عن أصل المماليك ونشأتهم ووطنهم . وقد جاء عنهم أن أصلهم يتصل ببلاد تركستان وهي بلاد شاسعة الاطراف فى شمالى آسيا تمتد من نهر جيحون غرباً الى حدود الصين شرقاً ويحدها من الشمال الاوقيانوس المتجمد الشمالى ويسكن هذه البلاد شعوب التركمان والمغول والتتر والجركس ويتصف أهلها بقوة البنية وجمال الخلقة وقد كانت هذه البلاد قبل ظهور الاسلام فى حالة الهمجية والبداوة يدينون باديان مختلفة ترجع كلها الى الوثنية

فلما ظهر الاسلام وافتتحوا الامصار أوغل قوادهم شمالا بعد افتتاح العراق وفارس وارمينيا حتى أدركوا أولئك الاقوام فقامت الحروب بينهم وبين المسلمين سجالا وكان العرب يرسلون بمن يقع فى حوزتهم من اسرى تلك البلاد الى دار الخلافة بمثابة الجزية لاستعمالهم فى منازل الخلفاء وكبار الامراء ويدعونهم بالمماليك وكان ظهور ذلك أولا فى عهد الدولة العباسية . فكان الخلفاء العباسيون اذا جاءهم سرب من هؤلاء الاسرى انتقوا منهم أحسنهم خلقة وأقواهم بنية واستخدموهم فى دورهم ثم صاروا يتفاخرون بالاكثار منهم

وكان المماليك فى بادىء الامر فى ظلمات من الجهل وعلى ابعاد من الفضيلة لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولكنهم بمخالطتهم الامراء ورجال الدولة واعتناقهم الديانة الاسلامية تهذبت عقولهم واستنارت اذهانهم فاحبهم الخلفاء وقربوهم منهم حتى استخدموهم فى بلاطهم ثم بالغوا فى ترقيتهم وعهدوا اليهم فى بعض اعمال الدولة فبرعوا فى السياسة وتدبير الاحكام وادارة الاعمال وهم كما تقدم من نخبة الرجال قوة وعقلا وجمالا

فلما كثر تمرد عمال الامصار من العرب صار الخلفاء يعهدون الى المماليك فى ولاية الامصار وقيادة الجند وشأنهم فى ذلك شأن الفراعنة مع جالية اليونان فان المصريين فى عهد الفراعنة كانوا يحتقرون كل أمة غير أمتهم ويبالغون فى النفور من الغرباء فلم يكن لليونان يد فى مصر . فلما تولى بسامتيك الاول من العائلة السادسة والعشرين

ومن جاء بعده أباحوا لهم الاتجار بمصر وأكرموا وفادتهم فطاب لهم المقام وكثر ترددهم ثم صار الفراعنة يتخذون منهم جنوداً وقواداً حتى عظم شأنهم ومدوا ايديهم الى الاحكام وكان ذلك فاتحة استيلائهم على هذه الديار الى آخر ما جاء في هذا المقل عن المماليك وسلاطينهم

نهضة الادب في عصر العباسيين

يلي ذلك مقال عن نهضة آداب اللغة العربية في عصر العباسيين وهو أحد المقالات التي أنشأ منها المرحوم جرجي زيدان سلسلة عن تاريخ آداب اللغة العربية من أقدم أزمانها إلى أواخر القرن التاسع عشر. وتناول في هذا المقال علمي النحو والصرف وما كان لهما من شأن في عصر العباسيين وما نالاه من عناية العلماء واللغويين

وقد ذكر مؤسس الهلال في ذلك المقال من اشتهر في الصرف والف فيه في عصر العباسيين والكتب التي الفها علماء ذلك العصر وتطرق من ذلك الى ذكر امهات كتب الصرف في القرن الماضي

ويضيق بنا المقام عن الاقتباس من هذا المقال.. ثم يليه في باب المقالات مقال عن المعدة وبيان تفصيلي لاجزائها وما لها من مصداق الحكمة الشريفة القائلة: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء»

أما باب المراسلات فيحتوى على رسائل القراء من أسئلة وغيرها ، ومن ذلك سؤال عن السبب في أن الطفل إذا سقط في الشهر الثامن لا يعيش وإذا ولد في الشهر السابع يعيش. فكان الجواب:

أما قولكم إن الجنين إذا ولد في الشهر الثامن لا يعيش فهو من قبيل المتعارف بين العامة فهم يعتقدون أن الطفل إما أن يولد في الشهر السابع أو في التاسع، والمولود في السابع يسمونه سباعياً وأما إذا ولد في غير هذين الشهرين فلا يكون من أبناء الحياة. ولكن الحقائق الطبية تنقض هذا القول لان الولادة الطبيعية التامة لا تكون إلا في الشهر التاسع وإذا حدثت قبل ذلك فيكون المولود سقطاً قبل أن يعيش، على أن الأمل في حياته يكون بنسبة قربه من زمن الولادة الطبيعي، فالمولود في الشهر الثامن يرجى بقاؤه أكثر من المولود في الشهر السابع وفي السابع أكثر مما في السادس

وأما سبب اعتقاد العامة أن الولادة لا تصح إلا في الشهر السابع أو التاسع وليس في الثامن فهو على ما نرى أنهم رأوا بالاختبار والمشاهدة أن المولود لا ترجى حياته إلا إذا ولد بعد الشهر السابع فصار هذا الشهر عندهم حداً فاصلا بين حياة المولود وموته فمن ولد بعد الشهر السابع ولم يدرك التاسع سموه سباعياً إشارة إلى انه ولد ولادة غير طبيعية ولكن لا يشترط أن يكون في الشهر السابع على أنهم لو اشترطوا ذلك واعتقدوه فانهم يطبقون زمن تلك الولادة على الشهر السابع ولو كانت في الثامن لانهم قلما يصيبون في تعيين أسابيع الحامل بالتدقيق ولا

لوم عليهم إذ قلما يستطاع تحقيق بداية الحمل بيومه ولا بد من برهة لا تقل عن اسبوعين يتردد فيها الحاسب بين الظن واليقين وهذه البرهة كافية لتعديل حساب المعتقد بعدم صلاحية الشهر الثامن للولادة. فاذا كانت الولادة في أوائل الثامن طابقها على الشهر السابع واذا كانت في أواخره عدل الحساب من جهة أخرى فتقع في الشهر التاسع، وهذا هو سبب ما تقرر في أذهانهم من أن المولود لا يحيا إلا إذا ولد في الشهر التاسع أو السابع والله أعلم

ويلي ذلك باب الاخبار العلمية ثم بابا تاريخي الشهر والنقد والتقريظ

عن الجزء الثاني – صدر في ١٥ سبتمبر سنة ١٨٩٤

يوسيفوس

على غلاف هـذا الجزء ترى صورة يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي الشهير الذي ولد سنة ٣٧ وتوفي سنة ١٠٣ بعد الميلاد . وكان والده من أعاظم كهنة اليهود في ذلك العهد ووالدته من العائلة الملوكية المكابيـة وكان على صغره حاذقاً نبيهاً وكانت شائعة في عصره تعاليم الجمعيات الشهيرة ، وهي : الصدوقية والفريسية والاسينية فانضم هو الى الفريسية ودافع عنها، وفي السادسة والعشرين من سنه سنة ٦٣ سار إلى رومية للدفاع عن بعض اليهود في تهمة ، وفي سنة ٦٦ عاد إلى أورشليم فاذا باليهود قد ثاروا وتمردوا على الدولة الرومانية واختاروا يوسيفوس هـذا زعيماً لهم على أنه كان ممن يحرضهم على الطاعة والرجوع إلى السكينة ولكنهم تحصنوا في الجبل ودافعوا دفاعاً حسناً زهاء ٧٤ يوماً وأخيراً اضطروا إلى التسليم . وأما يوسيفوس فاختبأ مع جماعة من أصحابه في كهف وفضلوا الموت هناك على التسليم ولما يئسوا من البقاء في قيد الحياة اتفقوا على الانتحار ثم رأوا أن يقتل بعضهم بعضاً فلم يبق منهم حياً إلا يوسيفوس ورجل آخر فعزت عليهما الحياة فسلما فأمر فسباسيان القائد الروماني باغلالهما وإرسالهما إلى نيرون فتخلص يوسيفوس بتنبئه لفسباسيان بالتملك على الرومانيين بعد قليل ، فلم تمض ثلاث سنوات من سجنه حتى صحت نبوته وتبوأ فسباسيان العرش الروماني فحل وثاقه وأكرم وفادته ثم حاصر الرومانيون أورشليم مرة أخرى واستولوا عليها بعد حرب فخيروا يوسيفوس في أمر يلتمسه فقال أعطوني الكتاب المقدس واصفحوا عن أخوتي وخمسين من أصحابي فوهبوه ذلك

ولبث يوسيفوس بعد ذلك في منزله وانقطع الى الكتابة والعبادة ولكنه كان مكروهاً من الفئتين ، فاليهود كانوا يعتبرونه خائناً لهم لانحيازه الى عـدوهم والرومانيون كانوا يستغشونه ولا يثقون به

واشتهر يوسيفوس خاصة بمؤلفاته في تاريخ اليهود أهمها «تاريخ حروب اليهود» كتبه أولا

بالسريانية ثم باليونانية وقد ترجم الى العربية وكتاب « آثار اليهود » وكانت وفاته فى رومية سنة ١٠٣ م

أمراء المماليك

تناول مؤسس الهلال فى هذا الجزء القسم الثانى من مقالة المماليك باعتبار حكوماتهم وقد ذكر فيه كيفية محاولة السلطان سليم التغلب على شوكة المماليك حتى لا يتمكنوا من الانفراد بالحكم أو الاتفاق مع الوالى العثمانى على ذلك والخروج على الدولة العلية . ثم انتقل إلى ذكر من اشتهر من المماليك لاسيما على بك الكبير كما اتى على تاريخ الحملة الفرنسية بالحجاز ودخول محمد على باشا الى مصر وقضائه على المماليك بوليمة القلعة

النهضة الادبية فى عصر العباسيين

وهنا حلقة من هذه السلسلة التاريخية الادبية تشمل نهضة اللغة فى عصر العباسيين اجاد فيها ذكر تاريخ المعجمات وما يتعلق به منذ بداوة العرب وتناقلهم لالفاظ اللغة على السنة الحفاظ ، الى أول تدوين اللغة فى الاسلام على يد أبى عبيدة معمر بن المثنى البصرى فى عصر العباسيين ، الى اشهر من كتب فى علوم اللغة بين معجمات وغيرها

تجارة الرقيق

وهى مقالة ضافية تضمنت تعريف تجارة الرقيق أو النخاسة وتاريخها منذ بدء ظهورها فى العصور القديمة وانواع الاستعباد فى مختلف الممالك القديمة الى انحصارها فى تجارة بيع العبيد السود من اهالى أواسط افريقيا والحبشة الى سعى فئة « الكويكر » الانجليزيين فى الغائها الى عقد المعاهدة بين انجلترا والباب العالى على منع الاتجار بالرقيق

ويلى هذه المقالة باب المراسلات وباب السؤال والاقتراح ثم الاخبار العلمية وتاريخ حوادث الشهر من مصرية وخارجية



حافظ وشوقى

بقلم الاستاذ الدكتور طه حسين

كان لفقد حافظ وشوقى فى العالم العربى أسى وجزع لم يسبق لهما مثيل منذ قرون . فلا عجب أن نرغب الهلال الى الدكتور طه حسين ، وهو صاحب البراعة فى هذا الميدان ، أن يقول فيهما كلمة ويصدر رأيه

١ ــ مهمة الناقد

فى أقل من ثلاثة أشهر فقدت مصر لسانيها الناطقين ، وفقد الشرق العربى شاعريه العظيمين حافظاً وشوقى وكأنما أراد القضاء أن يمهل أمير الشعراء شهرين وبعض شهر ليرثى حافظا وينصفه بعد موته كما مدحه حافظ وأثنى عليه وأعلن إمارته للشعر فى حياته

فلما قضى شوقى من ذلك حق الوفاء والانصاف والعدل ألحقه الله بصاحبه فى حيث لا تنافس ولا تفاخر . وفى حيث لا غل ولا حقد ولا موجدة . وقد كان شوقى يرجو ــ كما قال ــ ان يرثيه حافظ ، ولو قد تأخر حافظ عن شوقى لقال إنه كان يرجو أن يكون السابق وان يرثيه شوقى . وأمر الله نافذ وكلمة الله هى العليا ، فقد أراد أن يموت حافظ وان يتبعه شوقى بعد شهرين وبعض شهر ، وأن يفقد الأدب العربى الحديث علميه ولسانيه وشاعريه ، وأن ترزأ مصر فى ابنيها العزيزين دون أن تجد فى أحدهما خلفاً من فقد صاحبه

ولست أكتب هذا الفصل لاصف حزن مصر أو حزن الشرق العربى على الشاعرين ، ولا لاصور هذه اللوعة التى ملأت عليهما قلوب الاصدقاء والاحبة . فقد عرف الناس ذلك حق معرفته وقد كثر الكلام فيه ، وما أظن ان الناس سيفرغون منه قبل زمن طويل . انما أريد فى هذا الفصل ان أكون مؤرخاً للشعر المصرى الحديث ، وان أكون منصفاً فى هذا التاريخ ما وسعنى الانصاف ومدت لى أسبابه وهيئت لى وسائله ، ولعل أول الانصاف ان أعترف بانى قد عرفت الشاعرين وكان بينى وبينهما ما يكون بين الناس من قرب وبعد ومن مودة واعراض . وانى لم أكد اشيع كلا من الرجلين الى حيث أراد الله له أن يكون ، حتى أخذت نفسى بان أنسى ما كان بين شخصيهما وبينى من هذه الخصومات الباطلة التى تعرض للناس فى الحياة ، وألا أستبقى منهما الا الخير الذى يدعو الى الحب ويثير فى النفس عاطفة الحزن والالم ويطلق اللسان والقلب بهذا الدعاء الخالص الصادق البرىء الذى نسميه الاستغفار

فرحم الله هذين الراحلين الكريمين . كلمة اطلقها خالصة قد ملأها البر والحب والوفاء . ولكن حافظاً وشوقى ليسا شخصين فحسب ، وانما هما شاعران كانا فى حياتهما ملكا خالصاً للنقد وهما بعد موتهما ملك خالص للتاريخ . وقد قال النقد فيهما حين ما استطاع أن يقول فعرفا وانكرا ورضيا وسخطا . ولعل النقد لم يستطع أن يبرأ من تأثير رضاهما وسخطهما ، ولعل النقد أن يكون قد حرص على أن يغيظهما فاسرف فى الطعن ، أو على ان يرضيهما فغلا فى الثناء . ولعلهما أن يكونا قد رضيا عن ثناء المادح فتلطفا له حتى اغرياه بالغلو فى المديح ، او سخطا على نقد الناقد فتنكرا له حتى اغرياه بالافراط فى اللوم والاغراق فى التجريح . وكذلك يعجز الاحياء عن ان ينصف بعضهم بعضاً لأن شهوات الرضى والسخط وعواطف الحب والبغض واهواء التعصب والتحزب تفسد عليهم أعمالهم فتدفعهم راضين أوكارهين الى الغلو حيناً والى التقصير حيناً آخر . واذا لم يستطع الاحياء أن يظفروا من شركائهم فى الحياة بالانصاف والعدل فخليق بالموتى أن يظفروا بهذا العدل وذلك الانصاف ، لان الموت ينبغى ان يجب ما قبله وان يمحو مافى الصدور من غل وما فى النفوس من موجدة ومايتملق به بعض الناس على بعض من أسباب الخصومة والمنافسة والكيد

وأنا أريد أن اعترف ايضاً بأنى كنت أوثر حافظاً على شوقى فى حياتهما ، وكنت اختص شاعر النيل من المودة والحب بما لم اختص به أمير الشعراء . لان روح حافظ وافق روحى ولان كثيرا من أخلاق حافظ وافق اخلاق . ولكنى على ذلك اريد (واستعين الله على ما اريد) اريد ان انسى الآن حبى لحافظ وايثارى اياه بالمودة الصادقة والحب الخالص ، وان أجمل الرجلين سواء امام النقد الادبى الذى اريد أن اعرض له فى هذا الفصل . وانا اعلم ان من العسير جداً أن يخلص المؤرخ ومؤرخ الادب بنوع خاص من عواطفه وشهواته ومن ميوله واهوائه ومن ذوقه فى الادب والفن ، فهو خليق أن يخضع لهذا كله قليلا أو كثيراً حين يدرس الشعراء والكتاب ، أو يوازن بينهم أو يحكم عليهم . أعلم ان هذا عسير ولكنى اعلم انى سأجد فيه ما استطعت . واعلم بعد ذلك انى انما ذكرت عواطفى التى كانت تعطفنى على حافظ بالحب والمودة وتصرفنى عن شوقى بعض الشىء لتتم انت ماقد اعجز عنه انا من الانصاف ولتمحو انت ماقد اتورط فيه أنا من الغلو والاغراق

وأنا أشد الناس رثاء للكتاب والشعراء والادباء واصحاب الفن الجميل عامة . فحظوظهم سيئة فى حياتهم من غيرشك ، وقلما ينصفهم التاريخ بعد الموت . هم يثيرون فى نفوس الاحياء ضروبا من الحقد والوانا من الضغينة . هذا ينفس عليهم لانه لم يوفق الى حظهم من الاجادة ولم يظفر بمثل ماظفروا به من اعجاب الناس ، وكان خليقاً أو كان يرى نفسه خليقا بالاجادة والاعجاب . وهذا يتنكر لهم لان الحسد قد ركب فى طبعه ولان غريزته قد فطرت على الشر وحب الاذى . وهذا ينتقصهم لانه لم يفهمهم أو لم يذقهم ، ولان فنهم لم يقع من قلبه موقع الرضى ولم ينزل من نفسه منزلة الموافقة ، وهم يحتملون ذلك ويتعرضون له ويعللون أنفسهم بان المرء لن يظفر بحقه من الانصاف والعدل ما عاش ،

ولكن التاريخ قائم ينصف المظلوم ويقضى فى امره بالعدل والقسط . يعللون انفسهم بهذا ويتعزون به عما يلقون فى حياتهم من الاذى وما يحتملون فيها من الالم . وهذا خير لانه يعصمهم من اليأس ويحميهم من القنوط ويذود عنهم عوادى الضعف والفشل . ولكن التاريخ ليس أشد إنصافا ولا ادنى الى العدل من آراء الاحياء المعاصرين . لان الناس دائما طوع شهواتهم وعبيد أهوائهم . وهم متأثرون بهذه المؤثرات المختلفة التى تضطرهم الى ظلم الاحياء ولا تعفيهم من ظلم الموتى . ولقد وجدت شيئاً غير قليل من الالم اللاذع والحزن الممض حين قرأت فصلا لاناتول فرانس يصور هذا اللون القاتم من بأس الاديب

كتب اناتول فرانس هذا الفصل حين استقبل الشاعر الفرنسى المعروف لكونت دى ليل فى المجمع اللغوى الفرنسى ، وكان هذا الشاعر قد دخل هذا المجمع معينا لامنتخبا كما هى العادة ، أو قل إن كنت تريد التحقيق دخله بوصية من فكتور هوجو ، أوصى له بكرسيه فى المجمع قبل ان يموت ولم يستطع المجمع ان ينكر وصية الشاعر العظيم فانفذها ، وقبل لكونت دى ليل بين اعضائه مع انه كان قد رفضه قبل ذلك باجماع لم يشذ عنه الا فكتور هوجو نفسه ، وآن موعد استقبال العضو الجديد فى المجمع فكتب اناتول فرانس قبل هذا الاستقبال باسبوع فصلا لاذعا فى جريدة الطان — تجده فى الجزء الاول من الحياة الادبية — سخر فيه من الشاعر سخرية مرة مضحكة وتنبأ بما سيقوله فى خطبته . وانت قد تعرف أسلوب اناتول فرانس ومذهبه فى السخرية والاستهزاء . فلما كان يوم الاستقبال نهض الكسندر دوماس الصغير كما يقولون لاستقباله ، فلم يكن أقل من اناتول فرانس سخرية ولا استهزاء . كان لكونت دى ليل متشائماً ينكر الحياة ويؤثر الفناء فاسمع لخطيب المجمع اللغوى وهو يستقبله ويرحب به كيف يسأله : اذا كنت تكره الحياة فما بقاؤك فيها ؟ واذا كنت تؤثر الفناء فما احجامك عنه وامتناعك عليه ؟

وتكلم المستقبل وتكلم العضو الجديد عن فيكتور هوجو . فأما العضو الجديد فزعم ان الاجيال المقبلة ستعجب بآثار فيكتور هوجو كلها . وأما المستقبل فزعم ان هذه الاجيال ستقضى فى هذه الآثار قضاء قاسياً فتقبل منها وترفض . فلما انصرف اناتول فرانس من هذه الجلسة كتب هذا الفصل المحزن الذى أشرت اليه آنفاً والذى أنكر فيه ان تكون الاجيال المقبلة أحق بالانصاف وأقدر عليه من الاجيال المعاصرة . وانتهى الى ان فيكتور هوجو كان صاحب فن فى الالفاظ قليل الحظ من التفكير فلسفته سخف ، وأنبأنا بأن الذين أعجبوا بفيكتور هوجو حياً قد أخذت تخيب آمالهم فيه بعد ان مات . وتنبأ بأن الاجيال المقبلة لن تستبقى من شعر فيكتور هوجو إلا شيئاً قليلا

كذلك كان يتحدث اناتول فرانس وأمثاله عن فيكتور هوجو ولما يمض على موته اكثر من عامين . أرأيت حظ الادباء يتعرضون لسخط الاحياء ويصلون نار النقد ما عاشوا ، فاذا ماتوا فاما ان يتعرضوا للنسيان واما ان يتعرضوا للظلم والجور ، وقليل منهم من ينصفه التاريخ فيعرف له مكانته وحقه من الاعجاب

ما أجـدر الذين ينقدون الادباء أحياء ويؤرخونهم بعد الموت ان يكونوا رحماء لولا ان العلم لا يعرف الرحمة وهو يخشى على نفسه الفسـاد ان طمع فيها أو اطمأن اليها . ليس للاديب أمل فى الانصاف فليتخير بين حياة خيرها شر وحلوها مر ، وبين الاعراض عن الادب والانصراف عنه الى غيره من فنون الحياة

٢ ـ كيف تطور الادب حتى استقر في مصر

ظهر الشعر العربى حين عرفه التاريخ فى نجد لا يكاد يتجاوزه إلى الحجاز أو إلى العراق إلا قليلا حين يرحل الشعراء غرباً الى الاسواق والحج ، أو شرقا الى أمراء الحيرة . وربما زار شعراء نجد أمراء غسان فى أطراف الشام مما يلى جزيرة العرب . فلما ظهر الاسلام وانبسط سلطانه على الارض خلت دوحة الشعر فى نجد ومدت ظلها الى العراق شرقا والى الحجاز غرباً . ولـكنها لم تمد هـذا الظل الى الشام ولا الى مصر ولم تتجاوز به فى العراق الى فارس وما يليها من بلاد الشرق . وانما كان شعراء نجد والعراق والحجاز يفدون الى الشام وفوداً يمدحون الخلفاء ويأخذون جوائزهم وربما وفدوا الى مصر يمدحون أمراءها . وربما دفعت الاحداث ببعضهم الى خراسان . ولكن الشعر العربى لم يستوطن شرقى الدولة الاسلامية ولا غربيها ولم يتجاوز الجزيرة العربية الا الى العراق الذى كان يعد جزءاً منها أو كالجزء . فلما أديل لبنى العباس من بنى أمية نشأ فى العراق شعر لم يثبت له شعر نجد ولا شعر الحجاز ، فاستأثر العراق بالشعر طوال القرن الثانى وظلت بلاد الشام ومصر كما كانت يزورها الشعر ولا يستقر فيهـا . ثم ظهر فى الشام شعر شامى مثله أبو تمام وأخذ الشام منـذ ذلك الوقت بحظه من الزعامة فى الشعر . وكان القرن الرابع وكانت دولة الحمدانيين وكان سيف الدولة فاستأثر الشام بمـا كان العراق قد استأثر به فى القرن الثانى ، وبما كان موزعاً بين العراق ونجد والحجاز فى القرن الاول ، وبما كان نجد قد استأثر به قبل ظهور الاسلام . وظلت مصر طوال هذه القرون ضعيفة الحظ من الشعر ضعيفـة الحظ من الادب كله ، يفد أهلها الى الحجاز أو العراق أو الشام فيصيبون من ذلك حظاً ، وقد ينتقل اليهم نفر من أدباء الحجاز أو العراق أو الشام فيلمون الماماً أو يطيلون المقـام . ولـكن لم يكد يضعف أمر العباسيين فى العراق والشام ولم تكد تظهر القوة السياسية لمصر أيام الفاطميين حتى أخذ كل شيء يدل على ان القاهرة تتهيأ فى القرون الوسطى لما تهيأت له الاسكندرية فى العصر القديم . تتهيأ لايواء الحضارة الاسلامية بما فيها من علم وأدب وفن وفلسفة ودين ، كما تهيأت الاسكندرية لحماية الحضارة اليونانية . تتهيأ لتكون قبلة الشرق الاسلامى كما تهيأت الاسكندرية لتكون قبلة الشرق الوثنى والمسيحى . وتم لها ذلك لسوء حظ الاسـلام والادب العربى . كانت العجمة والجهـل يدفعان الادب العربى من الشرق الى مصر وكانت المسيحية والجهل يدفعانه من الغرب الى مصر . وكانت مصر ثابتة باسمة تستقبل ما يأتيها من الشرق وتستقبل

ما يأتيها من الغرب فتؤويه وتحميه وتحوطه وتتيح له أن يحيا ويثمر . وكذلك ظلت مصر رافعة لواء الحياة الاسلامية والأدب العربى تظل به العلماء والادباء ، حتى كان سلطان الترك العثمانيين واغارته على كل شىء وافساده لكل شىء وقضاؤه على حضارتين فى أقل من قرن ، على الحضارة الاسلامية فى مصر وعلى الحضارة البيزنطية فى قسطنطينية . فاما الحضارة البيزنطية فقد هربت جذوتها من الترك الى ايطاليا حيث أشعلت أوربا كلها فاحيتها . وأما الحضارة الاسلامية فلم تمعن فى الهرب ولم تعبر البحر ولكنها اختبأت فى الازهر الى ان يأذن الله لها أن تخرج منه فتشعل الشرق وترد اليه الحياة

وكذلك ظل فى مصر شعر وأدب كما ظل فى مصر علم وفلسفة . . وأنا أعلم أن الشعر المصرى طوال هذه القرون لا يستطيع أن يثبت لشعر نجد والحجاز والعراق والشام . ولكنه على كل حال شعر كان يقال ويتأرج عبيره ويرف نسيمه فيحيى النفوس والقلوب فى عصر ماتت فيه النفوس والقلوب أوكادت تموت . وأنا أعلم أن الشعر المصرى فى ذلك الوقت كان ضئيلا نحيفاً خفيف النفس لايكاد يسمع صوته ، ولكنه على كل حال كان شعراً حياً يمثل أمة حية ويعطف على شعوب بائسة . لجأت آلهة الشعر الى مصر فاستظلت بظلها واطمأنت الى هذا النسيم العليل الذى كان ينبعث من ضفاف النيل فيحفظ عليها ما كان قد بقى فيها من رمق . وأراد الله أن تكون مصر أسبق البلاد الشرقية الى التخلص من سلطان الترك قليلا أو كثيراً . وأراد الله أيضاً ان تكون مصر أسبق البلاد الشرقية الى تنظيم العلاقات بينها وبين أوربا . وكان من ذلك أن سبقت مصر غيرها من البلاد الشرقية الى النهضة الادبية . وكان من ذلك ان خرجت تلك الجذوة التى كانت مختبئة فى الازهر فلقيت بونابرت واصحابه . ولم تلبث ان تبعتهم الى أوربا ، فاقامت ما شاء الله ان تقيم ثم عادت قوية ملتهبة . ولم تعد وحدها بل عشقها كثير من الاوربيين فتبعوها واستقروا معها فى مصر يحبونها ويحيونهم ، يبعثون فيها القوة والنشاط وتفتح لهم ابواباً من العلم والفن لم تكن لتفتح عليهم لولا ان اتصلوا بها واتصلت بهم . وكذلك ظلت القاهرة فى العصر الحديث كما كانت فى القرون الوسطى ملجأ الحضارة الاسلامية وميدان الالتقاء والاتصال بينها وبين الحضارة الاوربية . ويجىء عصر اسماعيل فاذا تياران مختلفان يتنازعان مصر ، احدهما يأتى من اوربا فى كتب العلم والادب التى يحملها الوافدون وينقلها المبعوثون فلا تلبث ان تدرس وتترجم ، والاخر يأتى من القاهرة نفسها ، يأتى من المساجد والاضرحة ودور الاعيان والاغنياء ، يخرج من مستقره مجلدات نحيفة أوضخمة قد علاها الغبار وعبث بها البلى . ولكنه لا يكاد يصل الى بولاق أو الى غيرها من أحياء القاهرة حيث استقرت المطابع حتى يستحيل فاذا هو سيل غزير قوى عنيف فيه كثير من الصفو وفيه قليل من الكدر . ويلتقى التياران فى عقول الشباب المصرى ، فى الازهر حيناً وفى المدارس المدنية حيناً آخر فينتج من التقائهما هذا الجيل الادبى الجديد الذى ظهر على رأسه البارودى والذى نشأ فى حجره شوقى وحافظ فى الثلث الاخير من القرن الماضى

٣ ـ نشأة الشاعرين ومنبتهما

وقد تقارب مولد الشاعرين ، ولد أحدهما (شوقى) سنة ١٨٦٨ وولد الآخر (حافظ) سنة ١٨٧١ تقارب مولدهما فى الزمان ولكن لشأتهما اختلفت اشد الاختلاف . ولد احدهما بباب اسماعيل حيث البأس والعزة ، وحيث الغنى والثروة ، وحيث الترف والنعيم ، وحيث هذه العناصر الكثيرة المتباينة التى تبعث الحياة فى ناحية من انحاء النفس ، وتبعث الموت منها فى ناحية أخرى ، وحيث هذا الاعتزاز بالنفس والازدراء للشعب ، وحيث هذه الاثرة التى تخيل الى صاحبها ان كل شىء مسخر له وأنه هو لم يسخر الا ليستأثر بنعيم العيش

وولد الآخر فى ناحية مظلمة متواضعة من نواحى مصر ، فى اسرة مصرية لاحظ لها من غنى ولا ثروة ، لا نصيب لها من بأس ولا سلطان . اسرة من هذه الاسر التى تمتلىء بها مدن مصر وقراها والتى تعودت منذ ايام المماليك اوقبل أيام المماليك ان تشقى ليسعد غيرها وان تعمل ليكسل غيرها وان تتألم فى صمت وتحتمل المكروه فى صبر واذعان . ولكن أمر هذه الاسر كان قد أخذ يتغير فى هذا الوقت . فاتيح لهذه الظلمة التى كانت تغمرها وتحيط بها ان تنقشع عنها بعض الشىء ، واتيح لهذا الشعور الذى كان مغلولا ان يجد شيئاً من الحدة ، واتيح لهذا العقل الذى كان مغلولا أن ينطلق من عقاله بعض الشىء

نشأ شاعرنا الاول فى بيئته تلك فذهب الى الكتاب ثم الى المدرسة ، ونشأ شاعرنا الآخر فى بيئته هذه فذهب الى الكتاب ثم الى المدرسة . كانا جميعاً يلقيان الفقيه فى الكتاب والمعلم فى المدرسة ولكن كلا منهما كان يعود الى بيئته الخاصة . فاما شوقى فقد كان يجد من بيئته الارستقراطية ما يضعف فى نفسه أثر الكتاب والمدرسة . واما حافظ فقد كان يجد من الفقيه والمعلم صدى لحياة اسرته الخاصة . ومن هنا كانت نفس شوقى ارستقراطية رغم ديموقراطية الكتاب والمدرسة ، وكانت نفس حافظ ديموقراطية خالصة

وجهت الظروف حافظاً نحو الحرب ووجهت السياسة شوقى نحو القصر . والتقى الشاعران آخر القرن الماضى فى ميدان واحد هو ميدان الشعر . وكان احدهما قد تعلم ولكن فى عزة ونعيم ، وارتحل ولكن الى حيث اللهو واللذة والى حيث العلم والادب والفن ، و الى حيث الطبيعة المبتسمة والجمال المضىء . وكان الآخر قد تعلم ولكن فى فقر وبؤس ، وارتحل ولكن الى حيث الكد الذى لا يفيد والعناء الذى لا يغنى ، الى حيث الشمس المشرقة ابداً المحرقة ابدا ، الى حيث الطبيعة المظلمة ، الى حيث الجمال الجافى الغليظ ان صح ان يكون الجمال جافيا غليظاً ، الى حيث الجهل الذى لا غور له والظلمة التى لا يتميز فيها شىء . مضى كل من الشاعرين فى طريقه . هذا مبتسم سعيد يتغنى ، وهذا مكتئب محزون يشكو . ثم عاد كل من الشاعرين الى القاهرة . فاما أحدهما فالى حيث كان ينتظره

المنصب واللقب والثروة والترف وفراغ البال . واما الآخر فالى حيث كانت تنتظره البطالة والشوارع والقهوات المنحطة والفقر والشظف وسوء الحال ، وهذا الهم الثقيل الـكالح الذى يضاجع الفقير اذا آوى الى سريره ويكشر له عن انيابه اذا اراد أن ينظر الى وجه الصبح . ثم يجالسه على مائدته المتواضعة ويعينه على ان يلبس ثيابه الرثة ويرافقه حيث ذهب ويرافقه حيث جاء ويبعث فى صوته مهما يكن حلوا عذبا رنة حزينة مظلمة . ويلقى على نفسه مهما تكن صافية غشاء مظلما مفسداً لصور الاشياء والناس جميعاً

نعم عاد الشاعران الى القاهرة فى هذه الحال واستقبل كل منهما أهل القاهرة بما أمكن ان تتغنى به نفسه من الشعر . وسمع أهل القاهرة غناء حافظ وغناء شوقى فاعجبوا بشوقى واحبوا حافظاً . وكذلك انتقل اعجاب القاهرة بشوقى الى أهل مصر ثم الى اهل الشرق العربى . وانتقل حب القاهرة لحافظ الى أهل مصر ثم الى أهل الشرق العربى . ثم مات حافظ فحزنت عليه مصر والشرق حزن المحب ، ومات شوقى فحزنت عليه مصر والشرق حزن المعجب

٤ ـ شوقي وحافظ في مستهل حياتهما ـ معاملتهما للنقاد

كنت مرة عائداً مع الاستاذ لطفى السيد بعد ان حضرنا اجتماعاً لتخليد ذكرى حافظ قبل ان يموت شوقى ، وكنا نتحدث فى أمر الشاعرين فقال لطفى بك : « لقد خدعنى حافظ عن نفسه كما خدعنى شوقى عنها . كنت القى حافظا أول عهده بالشعر وكان يسمعنى كثيراً من شعره فلا يعجبنى فقلت له ذات يوم ارح نفسك من هذا العناء فلم يخلقك الله لتكون شاعرا . ولكنه لم يقبل نصحى وحسنا فعل ، فما زال يجد ويكدح حتى ارغم الشعر على ان يذعن له واصبح شاعراً . وكنت شديد الاعجاب بشعر شوقى اقرأه فى لذة تكاد تشبه الفتنة واثنى عليه كلما لقيتــه فما زال شوقى يكسل ويقصر فى تعهد شعره حتى ساء ظنى بشعره الاخير »

كذلك كان يتحدث اليّ الاستاذ لطفى السيد فى حافظ وشوقى . وكذلك يتحدث إلى ديوان حافظ وديوان شوقى . لا أكاد أبدأ الجزء الاول من ديوان حافظ حتى أجد تلميذاً ضعيفاً شديد الضعف ، مضطرباً عظيم الاضطراب ، مقلداً مسرفا فى التقليـد . ولا أكاد أقرأ الديوان القديم لشوقى حتى أجد طبيعة خصبة وقلباً فطر على الذكاء وخيالا حراً أريد له ان يكون مطلقاً فأبت له البيئة والظروف الا ان يكون مقيداً مغلولا . ومن الغريب انك تقرأ الديوانين فترى حافظاً يقلد ويشعر بانه مقلد ويلتمس الاجادة فى هــذا التقليد نفسه ، ولايتحرج من اعلان ذلك الى الناس بل لا يتحرج من التمدح به

وتقرأ ديوان شوقى فترى شوقى يبتكر أو يحـاول ان يبتكر ، وهو يشعر بذلك ويعلنه الى الناس ويتمدح به ، ولـكنك تجد فى هذا نفسه عنصر الفساد الذى سيقص من جناح شوقى

ويضطره الى ان يكون أشبه بالطيور الداجنة منه بالطيور التى تسبح فى الهواء ما اتسع لها الجو .
تقرأ مقدمة حافظ لديوانه فاذا هو يحصر مثله الاعلى فى محاكاة الشعراء المتقدمين من شعراء العصر الاموى والعباسى ، وتقرأ مقدمة شوقى فاذا هو يلم بالشعراء المتقدمين الماماً ويعجب بهم اعجاباً لا يخلو من التحفظ ولا يبرأ من التردد،ويعلن اعجاباً عريضا بالادب الاوربى وينبئنا بانه مجدد لا يقلد الاكارها ، ولكنه ينبئنا فى الوقت نفسه بانه قد وضع لنفسه فى حياته الادبية قاعدة ذكرها نثراً فى هذه المقدمة وذكرها شعراً فى الديوان حيث يقول :

ان الاراقم لا يطاق لقاؤها وتنال من خلف باطراف اليد

فهو لا يستقبل التجديد ولكن يستدبره . وهو لا يدخل البيوت من أبوابها ولكن يأتيها من ظهورها . وهو لا يجدد فى صراحة وشجاعة وثبات للخصوم ولكنه يجدد فى لباقة ومداورة والتواء على المناهضين . وكأن هذه القاعدة قد صيغت من طبع شوقى فسيطرت على حياته الادبية وسيطرت على حياته الشخصية أيضاً . فهو لم يواجه الناس بتجديد عنيف فى الادب قط ، وهو لم ينهض لخصومة ناقد من نقاده ، بل لم يجرؤ على أن يلقى نقاده بالعتب وأنما كان يعاملهم معاملة الاراقم لا يلقاهم ولكنه يأخذهم من خلف باطراف اليد . يغرى بهم ويؤلب عليهم ثم يلقاهم باسما وادعا ، ولا يتحرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم من أحب الناس اليه ، ولم يكن له فى حياته اليومية عدو ظاهر أنما الناس جميعاً أصدقاؤه وخلصاؤه يظهر لهم صفحة واضحة نقية ومن وراء هذه الصفحة صفحات بيض وصفحات سود . تلقاه فى الجهاد وتلقاه فى الاتحاد وتراه فى السياسة وتراه فى الاهرام وتراه فى بار اللواء وتراه فى « البكوكة » هادئاً دائماً لا يضطرب منخفض الصوت قلما تسمعه دون اصغاء اليه

كانت هذه القاعدة صورة لطبيعته ، وأى غرابة فى هذا لقد ولد بباب القصر ونشأ فى ظل القصر وقضى شبابه وكهولته عاملا فى القصر . وفى القصر حين كان سلطان القصر مطلقا او كالمطلق ثم حين كانت حياة القصر مداورة مستمرة بين الشعب الطامع فى الحرية والانجليز المعتدين عليها . فليس غريباً أن يكسب شوقى فى حياته الادبية والشخصية هذه السياسة التى تحمى صاحبها وتضمن له الظفر والسلامة معاً

وعلى عكس هذا كان حافظ أقل الناس حظاً من المهارة وأيسرهم نصيبا من المداورة وأعظمهم قسطا من الصراحة ما وسعته الصراحة ، فان ضاقت به فالخوف الصريح والاشفاق الذى لا غبار عليه

لقيته مرة عند صاحب الدولة محمد محمود باشا فانشدنى شعراً له يمدح به صاحب الدولة ويثنى فيه على جهوده وبلائه فى مفاوضة الانجليز . وكنت أعرف منه هذا الضعف وأحب ان أداعبه . فقلت له والرئيس يسمع ومن حوله جماعة من الاحرار الدستوريين : « ما أجمل هذا الشعر وما أقواه »

قال : « أتسمعون ؟ سجلوا عليه فانه خليق بعد ذلك أن ينقدنى »

قلت : « اشهدوا على انى مستعد للثناء على حافظ فى غير تحفظ اذا نشر هذا الشعر »

قال مقهقها : « اذمنى ما شئت فى غير تحفظ فلن أنشر هذا الشعر لانى لا أريد ان أحال على المعاش الآن » قلت : « فانى سأنشر فصلا عنك كله ثناء وسأستشهد ببعض هذا الشعر » وكنت قد حفظت منه شيئاً . قال : « ولا هذا أيضاً » وقضى المجلس وقتاً طويلا فى الضحك من اشفاق حافظ

وكذلك كان حافظ مع النقاد يخافهم كما كان يخافهم شوقى ولا يثبت لخصومتهم كما لم يكن شوقى يثبت لخصومتهم . ولكنه لم يكن يغرى بهم أحداً ولا يؤلب عليهم أحداً ولا يأخذهم من خلف باطراف اليد . وانما كان يعبث بهم اذا تحدث الى أصحابه ويعبث بهم اذا لقيهم ويتلطف لهم فى كل حال

كان شوقى مجدداً ملتوى التجديد وكان حافظ مقلداً صريح التقليد . ويمضى الزمن على حافظ وشوقى فاذا تقليد حافظ يستحيل — لا أقول الى تجديد بل أقول الى نضوج غريب وقوة بارعة وشخصية تفرض نفسها على الادب فرضاً . واذا تجديد شوقى يستحيل شيئاً فشيئاً الى تقليد حتى اذا كانت أعوامه الاخيرة كانت قصائده كلها تقليداً ظاهراً للقدماء من الشعراء لا يتستر فيه ولا يحتاط . ينشىء القصيدة ، فلا تحتاج الى تعب أو مشقة لتجد القصيدة القديمة التى يحاكيها . سم هذا معارضة أو محاكاة أو تقليداً فذلك عندى سواء لانه ينتهى الى نتيجة واحدة وهو ان الشاعر قد رجع الى القدماء يلتمس عندهم مثله الاعلى . ومع ذلك فمن الخير ان نعرف طبيعة الشاعرين ومزاجهما الفنى والينبوع الذى كانا يستقيان منه

٥ — طبيعة حافظ وما ظفر به من ثقافة

فاما طبيعة حافظ فيسيرة جداً لا غموض فيها ولا عسر ولا التواء . وهذا اليسر هو الذى يحببها الينا وهو الذى يجعلها فى الوقت نفسه فقيرة قليلة الحظ من الخصب والغنى . حافظ تلميذ صريح للبارودى قلده منذ نشأ ثم تشجع فقلد المتقدمين الذين كان يتأثرهم البارودى نفسه . وكما كان علم البارودى بالادب محدوداً لا يتجاوز الادب القديم يحفظه وقلما يفقه عميقه ، فقد كان علم حافظ محدودا كذلك . كان حافظ يلم بالفرنسية ولكنه لم يكن يتقنها لا نطقا ولا فهما . ستقول ولكنه ترجم البؤساء واشترك فى ترجمة كتاب فى علم الاقتصاد مع صديقه مطران . وهذا حق فقد ترجم البؤساء أو مقداراً من البؤساء ولكن فى أى مشقة ومع أى جهد . رحم الله حافظاً لقد لقى فى ترجمة البؤساء عناء عظيما ، عناء فى الفهم وعناء فى استشارة المعاجم وعناء فى الصيغة العربية نفسها . وكثيراً ما كان حافظ يعجز عن فهم فكتور هوجو فيقيم نفسه مقامه ويعوضنا من معنى الكاتب الفرنسى لفظه هو بما فيه من جمال وجزالة وروعة . اما كتاب الاقتصاد فسل صديقه مطران ينبئك بالخبر اليقين . لم يستفد حافظ

اذاً لادبه وشعره من اللغة الفرنسية شيئاً يذكر . فهو غير مدين لاوربا بشيء من ادبه . ثم لم يكن حافظ فقيها بالادب العربي اذا توسعنا فى معنى هذا الادب . لم يكن يحسن علوم العرب ولا فلسفتهم بل لم يكن يعرف من هذه العلوم والفلسفة شيئاً . انما كانت ثقافته من كتاب الاغانى ودواوين الشعراء وكان يفهم الاغانى والدواوين بقدر ما يستطيع ، فيصيب كثيراً ويخطيء احيانا . ويكفى ان تقرأ مقدمة ديوانه وتراه يزعم أن السفاح قد افنى امة باسرها لبيتين من الشعر قالهما سديف لتعلم الى اى حد بلغت ثقافة حافظ ، فلم يفن السفاح امة وانما نكل بالاسرة الاموية تنكيلا شديداً . لم يفنها ولم يبدها . ولكن حافظاً كان يظن فى اول هذا القرن ان افناء الامويين افناء لامة

غنيت ذاكرة حافظ ولكن عقله ظل فقيراً فاعتمدت شاعريته على الذاكرة من جهة وعلى الحياة المحيطة به من جهة اخرى . استمدت موضوع شعره من هذه الحياة واستمدت صورة شعره من تلك الذاكرة . وكانت ثقافة حافظ العقلية محدودة فلم ينفذ عقله الى طبائع الاشياء ولم يصل الى اسرارها ، فعجز عن اجادة الموضوع ، ولكن ذاكرته كانت قوية جداً وكان حظه من الحفظ غريباً ، وكان قد ابتكر لنفسه سليقة عربية أو قل سليقة اعرابية فاتقن الصورة وبرع فيها ، وكان اقرب تلاميذ البارودى الى البارودى

تجد هذا الشعور حين تقرأ الفنون الشعرية التى برع فيها حافظ حين تقرأ رثاءه وشكواه للزمان وتصويره للسياسة والاجتماع . لن تجد فى هذا الشعر عمقاً ولئن حللته وأخرجته من صورته الرائعة فلن يترك فى نفسك اثراً ولكنك واجد فى صورته نفسها ، فى الالفاظ التى يتخيرها الشاعر ، فى الاسلوب الذى يلائم به بين هذه الالفاظ ، ما يملأ نفسك لوعة وحزناً وحباً واعجاباً . كانت نفس حافظ بسيطة يسيرة لاحظ لها من عمق ولا تعقيد ، وكانت هذه الخصال نفسها محببة الى الناس مؤثرة فيهم . وكان شعر حافظ صورة صادقة لهذه النفس البسيطة اليسيرة فاحبوه كما احبوا مصدره واعجبوا به كما أعجبوا بينبوعه

ولما كانت نفس حافظ فى جوهرها نفساً مصرية كانت قطعة من هذه النفس المصرية الاسلامية التى تجد بساطتها وسذاجتها فى كل أثر من آثار المصريين المسلمين ، فلم لا يحبها الناس وانما يرون فيها انفسهم ، ولم لا يعجب بها الناس وانما ينظرون فيها الى صورهم تعكسها مرآة صافية وضيئة نقية لايشوبها صدأ ولا يغشاها غبار

٦ – حظ شوقي من الثقافة وما جره عليه ذلك في فنه

هذه طبيعة حافظ يسيرة كما ترى . أما طبيعة شوقى فشيء آخر . معقدة ينبئنا شوقى نفسه بتعقيدها . فيها أثر من العرب وأثر من الترك وأثر من اليونان وأثر من الشركس . التقت كل هذه الآثار وما فيها من طبائع واصطلحت على تكوين نفس شوقى ، فكانت هذه النفس بحكم هذه

الطبيعة أو الطبائع أبعد الاشياء عن البساطة وأنآها عن السذاجة ، وهي بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة كأشد ما يكون الخصب غنية كأوسع ما يكون الغنى . ثم لم تكد هذه النفس الخصبة الغنية المتوقدة تتصل بالحياة حتى لقيت من حوادثها وتجاربها ومن كنوزها وغناها ما يزيدها خصباً الى خصب وثروة الى ثروة

كان شوقى يحسن التركية وكان متقناً للفرنسية قد برع فيها نطقاً وفهماً . وكان فى أول أمره كثير القراءة حريصاً على الفهم ، فقرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه ما قرأ وما فهم ، وانضم الى هذه العناصر التى كانت تركب طبيعته عنصر جديد هو العنصر الفرنسى الذى عمل فى عقله وخياله ومزاجه كله . ونمت العناصر الاخرى بالقراءة وبالحياة . عاشر شوقى العرب فى شعرهم وأدبهم فعظم حظه من العربية ، وعاشر الترك فى حياته اليومية واتصل بهم أشد اتصال فعظم العنصر التركى فيه . ولسوء حظ الادب الحديث لم يعاشر شوقي قدماء اليونان كما عاشر قدماء العرب ولو قد فعل لاهدى الى مصر شاعرها الكامل

كان شوقى فى أول أمره مثقفاً يحب الثقافة ويشتد فى طلبها والتزيد منها ولكنه كان كغيره من الشبان المصريين يسيرون فى الدرس والتحصيل على غير هدى . ولا سيما حين يدرسون فى أوربا ، لا يقرأون من الادب الفرنسى مثلا الا مالا بد للرجل المثقف من قراءته من هذه الآثار العليا التى فرضت نفسها على الناس فرضاً ، فاما التأنق فى الثقافة والتماس الترف فى الادب فلاحظ لهم منه . وكذلك كان شوقي حين ذهب الى فرنسا آخر القرن الماضى . اذا ذكر الشعر الفرنسى ذكر لمرتين وبحيرته التى ترجمها الى العربية ، او ذكر لافنتين واساطيره التى نقلها فى العربية ، واذا ذكر الفلسفة ذكر جول سيمون . ومن المحقق ان آثار لمرتين ولافنتين آيات فى الادب الفرنسى وان فلسفة جول سيمون لها قيمتها . ولكنك لاتلاحظ ان شوقي يذكر بدلير اوفرلين او سولى بريدم او ما لرميه من الشعراء الفرنسيين ، ولا تراه يذكر تين او رينان او برجسن من الفلاسفة . ذلك لانه لم يكن يسير فى ثقافته على هدى وانما كان يأخذ من الادب الفرنسى ايسره وادناه الى متناول اليد . وكذلك كان تجديد شوقي متأثراً بهذا الحظ من الثقافة الفرنسية اى انه كان يتأثر بالقديم الفرنسى اكثر مما كان يتأثر بالجديد . ولو قد اتصل شوقى بالمجددين الذين عاصروه فى شبابه من شعراء الفرنسيين لسلك شعره سبيلا اخرى . ولكنه لم يفعل، ولكنه لم يطلق لطبيعته على ماهى عليه حريتها بل قيدها وردها كارهة على ان تتأثر فى انتاجها الادبي بسياسة القصر حينئذ وما كان يحيط به من الظروف . ولو قد أطلقها أو أرسل لها العنان بعض الشيء لغيرت حياة الشعر العربى الحديث . ولست فى حاجة الى ان اتكلف المشقة فى الاستدلال على ذلك . فقد كانت طبيعة شوقى من الخصب والقوة بحيث لم تكن تذوق اثراً أدبياً يمكن محاكاته الا حاولت هذه المحاكاة وجدت فيها . وكانت توفق اكثر الاحيان فى هذه المحاكاة توفيقاً عظيما . فلو ان شوقي قرأ الالياذة والاودسة كاملتين وفهمهما حق الفهم

واطلق لنفسه حريتها لحاول ان ينشىء الشعر القصصي فى اللغة العربية . لا اقول على نحو ما كانت الالياذة والاودسة من الطول ولكن على نحو ما كانت الالياذة والاودسة من الفن . ولو ان شوقى قرأ تمثيل اليونان وتمثيل المحدثين واطلق لطبيعته حريتها لعنى بالتمثيل شعراً ونثراً فى شبابه ولأعطى اللغة العربية من هذا الفن حظاً له قيمة صحيحة . ولو ان شوقى قرأ شعر الشعراء الفرنسيين الذين عاصروه فى شبابه،ولو أنه اختلف الى انديتهم فى باريس حين كان يقيم فيها (ولم تكن انديتهم مغلقة) لتغير مثله الاعلى فى الشعر ، ولما نظر الى القدماء من العرب ولا الى لمرتين ولفنتين واضرابهما من الفرنسيين الاكما ينبغى ان ينظر اليهم الشاعر الحديث ، اى من حيث انهم يكونون أصل الثقافة ومن حيث انهم يمتعون القارىء باللذة الفنية ، لامن حيث انهم المثل العليا للشاعر فى هذه الايام . ولكن شوقي قصر بنفسه عن هذه المنزلة او قصرت به الظروف ، اما لانه لم يقرأ كما كان ينبغى ان يقرأ واما لانه لم يعمل كما كان ينبغى ان يعمل ، تقصير فى القراءة ومجاراة الانتاج الادبي الاجنبي من جهة وتفريط فى ذات الحرية الادبية وخضوع لاحكام السياسة من جهة اخرى . هاتان الخصلتان هما اللتان قصتا جناحى شوقي فلم يستطع ان يرتفع الى حيث كانت تعده طبيعته من سماء الشعر والخيال . واغرب من هذا وابلغ فى الحزن والاسى ان هذه الطبيعة البارعة التى لم تعرف مصر مثلها فى عصرها الاسلامى العربي والتى لم يعرف التاريخ الادبي العربى مثلها منذ كان ابو العلاء لم توجه الى فهم الآيات الادبية الخالدة فى الآداب الاجنبية ولم تتعمق فى درسها واستكشاف اسرارها كما ينبغى . وانما علم شوقى بهذه الآيات العليا من آداب اليونان والرومان والفرس والاوربيين على اختلافهم ضئيلا رقيقاً لاهو بالعريض ولا هو بالعميق . كان شوقى يجهل حقيقة هذه الآيات فاذا عرف شيئاً منها فانما يعرفه بالشهرة وعلى نحو ما يتعلم الناس الذين يكتفون بدوائر المعارف أو بما يكتب للطلاب فى الكتب المدرسية ، وليس هناك دليل على ذلك أوضح من هذه القصيدة التى انشأها شوقى فى شكسبير ونشرها فى الجزء الثانى من ديوانه صفحة (٥) فاقل ما يحسه قارئها ان شاعرنا لم يعلم من أمر شاعر الانجليز إلا شيئاً ضئيلا جداً يعرفه المثقف العادى ، وهو على كل حال لم يفهم روح شكسبير ولم يتمثله ولم يحس بل لم يحاول تصوير هذا الروح . وكل ما فى القصيدة مدح لانجلترا أول الامر ثم ثناء على شكسبير غريب ، يشبه فيه ابيات شكسبير بالآيات المنزلة ، ويشبه معانى شكسبير بعيسى . ولست أدرى ما هذا الحسن المشترك بين معانى شكسبير وبين المسيح . بل لست أدرى كيف يذكر شكسبير المتأثر بوثنية القدماء وآداب الشمال الاوربى الى جانب المسيح ، وكيف يشبه ادب شكسبير بالانجيل . انما هو كلام يقال ويعتمد صاحبه على ان الذين سيقرؤونه ستروعهم الالفاظ دون ان يبحثوا عن المعانى لانهم لا يعرفون من أمر شكسبير ولا من أمر المسيح والانجيل شيئاً كثيراً . ثم يقول شوقى ان قصص شكسبير تمثل الحياة ، وكل مثقف يعرف هذا ويقوله ، بل كل مادح لشاعر من الشعراء الممثلين يقول فيه هذا ، بالحق حينا وبالباطل

أحيانا . ثم يتجه شوقى الى شكسبير فيسأله اسئلة عادية قد ألفها الناس منذ قرأوا رثاء ابى العلاء وعرفوا تصويره لبلى الاجساد فى القبور . ثم يطلب الى شكسبير الذى اجرى الدم انهاراً فى قصصه أن ينهض ليرى كيف جرى الدم بحاراً فى ظل الحضارة الحديثة ، ويذم الحرب كما يذمها كل انسان . هذا علم شاعرنا بشكسبير وهذا تصوير شاعرنا له ورأيه فيه

واين يقع هذا كله من آراء الشعراء الفرنسيين والالمان المحدثين فى شكسبير . وانى لأعرف محاورات لجوت حول بعض القصص التى تركها شكسبير ، حول هملت مثلا فى ولهلم مايستر ، لايذكر معها ما قاله شوقى من الشعر . ومع ذلك فقد كان من الحق على شاعرنا ان يكون علمه بشكسبير أوضح من علم الالمان والفرنسيين به فى القرن الثامن عشر . لان فقه هذا الشاعر العظيم قد تقدم فى قرن ونصف قرن تقدما عظيما . ومثل هذا يقال فى علم شاعرنا بافلاطون وارسطاطاليس . وقد لاحظت قديما أن شوقى أراد ان يثنى على الأستاذ لطفى السيد حين ترجم كتاب الاخلاق لارسطاطاليس فنسب الى المعلم الثانى آراء استاذه افلاطون لانه لم يقرأ هذا ولا ذاك وانما عرف اطرافا من فلسفة هذا وذاك فى دوائر المعارف وفى الكتب المدرسية . هذا التقصير فى الدرس والتحصيل وهذا الكسل العقلى أصاب شوقى وأصاب حافظاً وقصر بالشاعرين عن المكانة العليا التى كانا خليقين أن يبلغاها بطبيعتيهما القويتين . وكثيراً ما نعيت عليهما ولومتهما فى ذلك ، ولكن حظ شوقى من هذا التقصير اعظم من حظ حافظ لان شوقى هيء له من وسائل الثقافة العربية والاجنبية ما لم يهيأ لحافظ كما رأيت ولان شوقى هيء له من النعيم وأسباب الترف والراحة ما كان يستطيع معه أن يفرغ للدرس ساعات من نهار بين حين وحين . على حين حرم حافظ كل شيء أو كاد يحرم كل شيء ، وعلى حين لم يكن حافظ يزعم لنفسه ما كان يطمح اليه شوقى من مكانة ومنزلة فى الشعر

٧ ـ حافظ صديق الشعب

وتمضى الايام على حافظ وشوقى بعد ان عرفهما جمهور الادباء فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ويسلك كل منهما طريقه فى التطور الادبى

فاما حافظ فقد لقى الاستاذ الامام واتصل به وأصبح له صفياً . وما هى الا أن يتصل بأصدقاء الاستاذ ، وفيهم العالم الازهرى كالشيخ عبد الكريم سلمان ، وفيهم المجدد فى الاجتماع كقاسم أمين ، وفيهم القاضى الثبت الذى أدرك حظاً عظيما من المجد ، ولكن أستار الغيب ما زالت مسدلة بينه وبين مستقبل عظيم كسعد زغلول ، وفيهم رؤساء العشائر والاسر الكبرى كحسن عبد الرازق وعلى شعراوى ومحمود سليمان . فيهم كل هؤلاء على اختلاف نزعاتهم وميولهم وأهوائهم ومنازلهم الاجتماعية .

وهم جميعاً متفقون على ان حال الشعب سيئة وعلى ان استنقاذ الشعب من هذه الحال فرض عليهم م قبل غيرهم من الناس ، وهم يسلكون الى هذا سبلا مختلفة . ويتصل حافظ بغير هؤلاء من زعماء السياسة الحادة والملتوية فى أول هذا القرن ،يعرف مصطفى كامل وعلى يوسف ، يتحدث الى هؤلاء جميعاً ، يأنس الى بعضهم وينفر من بعضهم الا خر . وأولئك وهؤلاء يحبونه ويؤثرونه بالمودة والبر

فانظر الى ابن الشعب وقد رفعه الشعر الى أعلى مكانة حيث تتنافس فيه الارستوقراطية الشعبية وتحرص على قربه والانس به ، وهو على ذلك لم يقطع صلته ولن يقطعها باترابه من أوساط الناس ، بل هو شديد الاتصال بجماعة من الشعراء والادباء والبائسين . يأنس اليهم ويعطف عليهم ويصفيهم مودته ويبحث عنهم ان طال عهدهم به . وهم يعرفون منه ذلك ويرضون ثم يتجنون ثم يسرفون فى التجني والتحكم . وأخبار امام العبد مع حافظ رحمهما الله لا تزال معروفة يتفكه بها الناس ، ومجالس حافظ فى قهوة متاتيا وقهوات باب الخلق وقهوات الناصرية معروفة مذكورة أيضاً

هو إذاً صديق الشعب كله صديق الفقراء والاغنياء وأوساط الناس صديق العلماء المستنيرين وصديق غيرهم من الذين لاحظ لهم من ثقافة أوليس لهم من الثقافة الا حظ ضئيل . تراه فى كل بيئة وتراه فى كل مكان . تراه فى حديقة الازبكية يقرض الشعر وتراه فى الشوارع يماشى أصدقاءه باسم الثغر مشرق الوجه مظلم النفس ضاحكا مما يحزن ومما يسر

خالط الناس جميعاً فاصبح هو الناس جميعاً ، وصور نفسه فى شعره فصور بها الناس جميعاً . ثم يموت الاستاذ الامام ويتبعه قاسم ويتبعهما مصطفى كامل ، ويظهر نبوغ حافظ فى الرثاء بموت هؤلاء الناس الذين كانوا أصدقاءه لانهم كانوا أعلام الامة وذخرها . جزع أنصار الاصلاح الدينى والاجتماعى لموت الاستاذ الامام وموت قاسم ، فكان شعر حافظ أصدق صورة لهذا الجزع لا غلو فيها ولا تقصير ، ولا ضعف فيها ولا وهن . وجزع الشعب كله لموت مصطفى كامل فكان شعر حافظ صورة صادقة لهذا الجزع . نار ملتهبة ولوعة لا حد لها . وأخذت حياة حافظ تقفر من حوله بموت الاصدقاء وسوء الحال ، فنفى ولكن فى مصر، وأبعد ولكن فى القاهرة ، وأسند اليه منصب فى دار الكتب فاصابه مثل ما أصاب شوقي . واضطر الى ان يصانع ويدارى ويحسب للقول حساباً ويكظم نفسه على ما تكره ويترك شعبه من غير ترجمان . رحم الله حشمت باشا أراد ان يبر بصديقه ويحميه من البؤس والشقاء ويمهد له حياة ناعمة راضية فحرم أمته شاعرها وطمر أو كاد يطمر هذا الينبوع الصافى العذب . ذلك ان حافظاً كان لا يزال ناشئاً فى الشعر على تفوقه و براعته ونبوغه فى السياسة . كان فى حاجة الى ان تحفظ له حريته واسعة مطلقة ليبلغ شعره أشده ولينبسط ظله على مصر كلها ، فجاء هذا المنصب عقبة فى سبيل النبوغ . خيل الى حافظ والى الذين أسندوا اليه هذا المنصب انه سيخلص من البؤس فيفرغ للشعر . ولم لا ؟ لقد عرفت فرنسا كيف تستثمر شعراءها

ألم تسند الى لكونت دى ليل منصباً كمنصب حافظ فى مكتبة مجلس الشيوخ ، فلم يؤثر ذلك فى شعره الا أحسن الاثر جودة ونمواً وخصباً . فلم لا يكون حافظ مثل غـيره من الشعراء ؟ آه لان مصر ليست كغيرها من البلاد ولان البيئة المصرية ليست كغيرها من البيئات . مصر فى حاجة الى المحن لم تألم بعد كما ينبغى ولم تصهرها الهموم كما ينبغى . مصر فى حاجة الى العلم . مصر فى حاجة الى الثروة الادبية . مصر فى حاجة الى النشاط المتصل أشد أعدائها الراحة . وكذلك أبناؤها جميعاً وكذلك شعراؤها بنوع خاص . كان بؤس حافظ فى نفسه شرطاً لاتصال شعره ونمو نبوغه كان حافظ محتاجا الى ان يظل بائساً ليرى بؤس الشعب من حوله وليحسه وليصوره . ولـكن حافظاً غنى بعد فقر واطمأن بعد اضطراب فهدأت نفسه ثم اشتد بها هذا الهدوء فضاق بالحياة وضاقت به الحياة أيضاً

وليت حافظاً وقد فقد البؤس الذى كان سبيله الى المجد لم يفقد الحرية فقـد كان يستطيع مع الحرية ان يجد له فى القول مذهباً . ولـكن الموظفين فى مصر عبيد مهما تكن الحكومات القائمة ، يجب ان يقدروا لارجلهم موضعها قبل الخطو وألا يقولوا الا بمقدار

ولم يكن حافظ عظيم الثقافة ولا عميقها ، فلم يكن من الممكن ولا من اليسير أن يتجه الى تلك الفنون الشعرية الخالصة التى تصل بين الشاعر وبين الطبيعة والتى ليس للسياسة ولا للنظام عليهـا سلطان . لم تكن النجوم فى السماء ولا الرياض فى الارض ولا النيل ولا الصحراء تلهم حافظاً شيئا لان حافظا لم يكن شاعر الطبيعة وانما كان شاعر الناس

فى سبيل الله هذه الاعوام الطوال التى قضاها حافظ فى دار الكتب لا يعمل شيئا ، ولا يقول شيئا ، وانما يقضى صباحه فى الدار يعبث بالموظفين ويتندر عليهم أو على باب الدار يدخن سيجاره الضخم ، او فى قهوة دار الكتب يدخن الشيشة . فاذا كان المساء أنفق وقته بين أصدقائه فى الاندية الخاصة أو العامة

على هذا النحو قضى حافظ ثلث حياته يرثى من مات ولـكن بحساب . ويقول هذا الشعر الذى يقال فى المناسبات والذى لا يدل عادة على شىء . ولا تـكاد ترد الحرية الى حافظ باحالته على المعاش حتى يتنفس واذا هو قد اتصل بالشعب من جديد واذا هو يتأهب لينفجر وليرسل زفرات الشعب ناراً مضطرمة تلتهم ما حولهـا ، ولـكنه شيخ قد تقدمت به السن وذهبت بقوته الراحة فى دار الكتب ، وضاع نشاطه هباء مع دخان الشيشة والسيجار . فلا تثبت قواه الفانية لهذه الامانة الثقيلة التى نهض بها شابا وكهلا ، وكان يستطيع ان يستقل بحملها حين بلغ الاربعين وحين أسند اليه المنصب فى دار الكتب فيقضى . وان أصدق ما يقال فيه لقول الشاعر القديم فى عمر :

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق فى اكمامها لم تفتق

٨ - شوقي في القصر ، وفي المنفى ، وبعدهما

وأما شوقي فيمضى فى طريقه التى رسمها لنفسه منذ أرسل من باريس همزيته التى يمدح بها الخديوى :

« خدعوها بقولهم حسناء . . . »

فطلب القصر إلى الجريدة الرسمية أن تسقط الغزل وتنشر المدح وود الشيخ عبد الكريم سلمان لو أسقط المدح ونشر الغزل . فلم ينشر من القصيدة شيء وعرف شوقى أن لا بد من الاحتياط فى التجديد

يمضى شوقى فى هذه الطريق موظفاً فى القصر شاعراً للامير يمدحه كل ما دعا إلى ذلك داع وحين لا يدعو إلى ذلك داع يتفنن فى هذا المدح فيجيد مقدماته غزلا ووصفاً ولا يجيد فى المدح نفسه إلا قليلا

وكان شوقى كما يقول فى مقدمة ديوانه القديم يكره المدح وينكره على الشعراء المتقدمين ويود لو برىء الشعر من التهالك عليه والتنافس فيه ، ولكنه نشأ راغباً فى أن يتصل بالأمير حريصاً على أن يكون شاعره حاسداً للمتنبى على سيف الدولة وقد اتصل بالامير وأصبح شاعره فهو سعيد بذلك يعتز به ويفاخر ويتمدح :

شاعر الامير وما بالقليل ذا اللقب

نعم ليس قليلا هذا اللقب فى رأى شوقى فقد كان أمنيته صبياً وقد كان أمنيته شاباً يطلب العلم فى مصر ويطلبه فى أوربا . ليس بالقليل وقد رأى شوقى مكانة على الليثى من الأمير ومن الناس . ليس بالقليل فى هذه البيئة التى لا تزال تذكر عهد اسماعيل وما كان فيه من رفع وخفض ومن عز وذل ومن سلطان للحاشية والمقربين . ليس بالقليل بل هو قد يكون مفيداً ، قد يكون مذكياً لنار الشعر ممهداً سبيل التفوق والنبوغ إذا كان الامير أديباً كسيف الدولة أو كان هم الامير بعيداً فى الامارة والسياسة . ولكن أمير شوقى لم يكن أديباً فلم يفهم شوقى من هذه الناحية . ولم يكن أمير شوقى بعيد الهمة لانه جرب بعد الهمة فساءت عاقبة التجربة وعرف صدق المثل القائل : « أفلح من طار بجناح أو استسلم فأراح » وآثر السلامة والراحة ، وعكف على أموره الخاصة يعنى بها وعلى ثروته الخاصة ينميها . وأين يكون ذلك من شعر شاعر الامير ؟

شوقى إذن كحافظ يوم نفى إلى دار الكتب . ربة شعره سجينة ، ولكنها سجينة فى قفص ذهبى هو القصر، تتغنى ولكن بغناء فاتر متشابه هو المدح . وقد قيد شوقى ربة شعره هذه بنفسه منذ كان فى باريس . فلما عاد إلى مصر ظهر أن القيد الباريسى لم يكن ثقيلا كما ينبغى فأضيفت اليه قيود

وأغلال وأصبحت ربة الشعر أسيرة الامير لاتنطق الا بما يريد وحين يريد . وكان الامير ذكياً وكان الشاعر ذكياً أيضاً . وإذا لم يتح للامير أن يجعل من شوقى أبا الطيب كما فعل سيف الدولة أو فرجيل كما فعل اغسطس . فقد يستطيع الامير أن يستعين بشوقى الذكى على تدبير أموره الخاصة . ويستطيع شوقى الذكى أن ينال حظوة الامير بالسياسة إن لم يستطع أن يحبب اليه الشعر . وكذلك يصبح الشعر سمة لشوقى لا صناعة ، ويستحيل الشاعر الى رجل من الحاشية ورجل القصر يدور حول الامير ويلتوى ما التوت سياسة الامير . يتحفظ فى حديثه العادى فكيف به اذا مات الاستاذ الامام أو قاسم أمين أو مصطفى كامل ، وكيف به إذا جزع الشعب لدنشواى ، وكيف به اذا طالب الشعب بالدستور ؟

هو شاعر الامير فخير له أن يسكت ، فاذا لم يكن بد من القول فحق عليه أن يحتاط . ثم هو شاعر الامير يجب أن يفكر ويتدبر فيما يحدث بينه وبين الناس من صلة . يجب أن يقيس صداقته وعداوته وقربه وبعده برضى الامير وسخطه . واذاً فلن تكون بينه وبين طبقات الشعب المختلفة هذه الصلة الواضحة الصافية الصريحة ، هذه الصلة التى تجمع بين قلب الشاعر وقلب الشعب ، لن يحس شوقى ما كان يحس حافظ من حياة الشعب وان أحسه فلن يستطيع إلا الاعراض عنه . ليس شوقى ترجمان الشعب ولا لسانه وانما هو ترجمان الامير ولسان الامير . وما أشد ما كانت تتسع مسافة الخلف بين الشعب وبين الامير . ومن هنا تستطيع أن تقرأ رثاء حافظ وشوقى لمصطفى كامل فستحس فى شعر حافظ قلب الشعب يخفق وسترى نفسه تضطرم . وستجد فى شعر شوقى هذا البيت الذى سخر منه الاستاذ مصطفى صادق الرافعى بحق لانه لا يدل على شىء الا على ان الشاعر مجامل يريد أن يقول شيئاً :

أو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت فى القرآن

ومع ان ثقافة شوقى أخصب واغنى من ثقافة حافظ فلم يستطع شوقى ان يفرغ للشعر الخالص فى قفصه الذهبى كما ان حافظاً لم يستطع ان يفرغ لهذا الشعر فى دار الكتب ، لا لأن شوقى كان يؤثر الفراغ وتدخين الشيشة والسيجار ، بل لان الشخصية القوية التى كان يمتاز بها الامير استطاعت أن تستأثر بشوقى وتفنيه فى السياسة وتدبير أمور القصر . ويريد الله وتريد الأحداث ان تطلق ربة الشعر من عقالها وان تخرج من هذا القفص الذهبى فلا تعود اليه . ولكن بعد ماذا بعد ان انفق شوقى ربع قرن سجينا فى كنف الامير أو فى قصره

حيل بين الامير وبين الامارة والقصر وحيل بين حاشية الامير وبين القصر أيضاً ، فنهم من تبع الامير ومنهم من تخلف عنه وكان شوقى من المتخلفين

أفرحت ربة الشعر بحريتها ؟ أرضيت ربة الشعر بهذا الهواء الطلق تتنسمه متى شاءت، وبهذا الجو

الفسيح تطير فيه كيف أحبت،وبهذه الاشجار الباسقة والحدائق النضرة تنزل منها حيث أرادت مغردة بصوتها العذب مصفقة بجناحيها القويين ؟ لست أدرى ، ولكن الذى يكرره الناس ويؤكدونه ان ربة الشعر ضاقت بحريتها أول الامر ، وودت لو تعود الى سجنها الجميل الذى الفته واستعذبت المقام فيه. ويقال انها استفتحت باب القصر بتلك القصيدة المشهورة الجميلة :

الملك فيكم آل اسماعيلا لازال بيتكم يظل النيلا

والتى يقول فيها هذا البيت المشهور :

أأخون اسماعيل فى ابنائه ولقد ولدت بباب اسماعيلا

ولكن باب القصر لم يفتح وأعرض الشاعر عن اميره فلم يلحق به وأعرض القصر عن شاعر الامير فلم يفتح له . وما هى إلا أن يظلم الشاعر ، يظلمه الاجنبى فتضيق به ارض مصر ويؤمر بالرحيل فالى أين يذهب ؟ أيذهب الى قسطنطينية حيث اخواله وعمومته من الترك وحيث الامير ؟ أم يذهب الى فرنسا حيث الشباب الغض والذكرى المبتهجة ؟ ولكن الحرب فى قسطنطينية والامير فى قسطنطينية، ولكن الحرب فى فرنسا والحرب فى أكثر بلاد أوربا . هنا اختارت ربة الشعر وطناً من اوطانها ففكرت فى اسبانيا واستقرت فى الاندلس . ولم تكن ربة الشعر فرحة ولا مبتهجة وانما كانت محزونة عميقة الحزن، محزونة على القصر محزونة على الوطن محزونة على هذه الآمال التى قضبت قضباً . وربة الشعر تحيي النفوس دائماً متى تغنت ، تحييها بالغناء الفرح وتحييها بالغناء الحزين . وقد تغنت ربة الشعر فى الاندلس فاحيت نفوس المصريين واذكت فى هذه النفوس جذوة الوطنية ووصلت قديم العرب فى الاندلس بجديدهم فى مصر . ايه ياربة الشعر ، احزنى على سجنك ما استطعت وابكى عليه ماشئت، فان حزنك يملأ نفوسنا بهجة ودموعك تنقع ما فى قلوبنا من ظمأ . لقد وجدناك بعد ان فقدناك . لقد رضيت فى ظل القصر فغضبنا . فتعلمى الآن شيئاً من الايثار فى المنفى . اغضبى انت واسخطى لنبتهج نحن ونرضى

وكذلك حياة الشعراء قد صورها العباس بن الاحنف فاحسن تصويرها فى هذا البيت :

كنت كأنى ذبالة نصبت تضيء للناس وهى تحترق

وتضع الحرب أوزارها ويؤذن للشاعر أن يعود الى وطنه فيعود قوياً شديد النشاط ، ولكنه لا يكاد يبلغ القاهرة حتى يرى القصر فيحن اليه ويدنو منه . والقصر لا يعرفه ولا ينكره ، لا يدنيه ولا يقصيه . ايه ربة الشعر ، ليس الى السجن الذهبى من سبيل . اقنعى اذاً بهذه الحياة الحرة. انظرى ، ان همك لبعيد وانك لمسرفة فى الطمع . ماذا ! أتضيقين بالحرية ، وان الشعب المصرى من حولك ليسفك دمه فى سبيل الحرية . لا ترفعى بصرك الى السماء فان النجوم باقية والشمس باقية وقد تستطيعين أن تنظرى الى النجوم والشمس بعد حين . ولكن اخفضى بصرك ، انظرى الى

الارض ، لن ترى عليها ذهب اسماعيل ، ولكنك سترين عليها دم أبناء النيل يراق فى سبيل هذه الحرية التى تضيقين بها وتنفرين منها . ويخفض الشاعر بصره الى الارض ويرى الشاعر أمته تراق دماؤها وتنتهك حرماتها وتألم فى كل شىء ولكنها ترتقب الامل من كل شىء . يا للطبيعة الخصبة ، يا للقلب الذكى ، هذا شاعر القصر يصبح شاعر الشعب

نعم لقد عز على شوقى فراق سجنه الذهبى ، ولقد حن الى هذا السجن مرة ومرة ، وما أرى الا أنه كان يذكر هذا السجن والحنين اليه وهو يقول هذا البيت من قصيدته فى مشروع ملنر :

من يخلع النير يعش برهة فى أثر النير وفى ندبه

ولكنه قد ذاق الآن لذة الحرية وظهر فيه عنصره العربى وعنصره اليونانى ، فهو يحب الهواء الطلق وهو يحب الديموقراطية ، وهو ينزل الى الشارع ويطوف فيه حيث يلقى الناس ويتحدث اليهم ، ويسمع منهم ويشاركهم فى لذاتهم وآلامهم ، ثم يرقى الى سماء الشعر فاذا هو ترجمانهم الصادق ومرآتهم المجلوة الصافية . وكذلك الشعب قوى دائماً جذاب دائماً منه رفعة العظيم وبه خمول الخامل . رفع حافظا حتى تنافس فى قربه العظماء . وجذب شوقى حتى فتن بعامة الناس وأغمارهم . وكانت هذه الفتنة مصدر عظمته الباهرة ونبوغه الصحيح . لقد كان شوقى فى أول أمره شاعراً أثراً يحب نفسه ويلتمس لها أسباب اللذة والنعمة ، ثم شاعراً موظفاً يقف ملكاته على الامير والسلطان ، ثم عاد الى نفسه ثم رد الى شعبه فأصبح شاعر الفن وأصبح شاعر الشعب . ماذا ؟ بل وسع شعر شوقى فى هذا الطور من أطوار حياته مصر والشرق العربى الناهض كله . لقد كان فى شبابه يذكر الشرق والاسلام ولكن الشرق والاسلام فى ذلك الطور كانا أسيرين فى يد السلطان من آل عثمان . أما الآن فالاسلام دين الحرية والعدل والمساواة بين الامم والشعوب لا دين الملوك والامراء وحدهم . والشرق أمم مضطربة ناهضة تسمو الى المثل العليا وتجد فى السمو اليها ، والشاعر يلتمسها عند نفسها ، يلتمسها فى الصحف ، يلتمسها فى الكتب ، يلتمسها فى الاندية يلتمسها فى الشوارع والقهوات والاسواق والحوانيت ، يلتمسها حيث تعيش وحيث تنمو لا حيث كان يلتمسها من قبل فى قصر الامير وفى ظل السلطان . أصبح شوقى شاعر مصر كما أصبح شاعر الشرق العربى

وصل شوقى فى شيخوخته الى ما وصل اليه حافظ فى شبابه لان شوقى سكت حين كان حافظ ينطق ونطق حين اضطر حافظ الى الصمت ، يا لسوء الحظ ليت حافظاً لم يوظف قط ، وليت شوقى لم يكن شاعر الامير قط . ولكن هل تنفع شيئاً ليت ؟. لقد أسكت حافظ ثلث عمره وسجن شوقى ربع قرن وخسرت مصر والادب بسعادة هذين الشاعرين العظيمين شيئاً كثيراً . وتتقدم السن بشوقى وتكثر الحوادث من حوله ويشتد بشاعريته النشاط ، فاذا جناح شعره ينبسط وينبسط حتى اذا أظل الشرق العربى كله عاد شوقى فرفع بصره الى السماء بعد أن ملأ عينيه مما فى الارض ، واذا هو يرى فى السماء الفن الخالص

يرى التمثيل ويرى الغناء فينفق بقية عمره فى التمثيل والغناء . أما فى الغناء فقد أجاد من غير شك وأما فى التمثيل فقد غنى فاطرب وأثر فى القلوب ، ولكن لم يمثل شيئاً لأن التمثيل لا يرتجل ارتجالا ولا يهجم عليه فى آخر العمر، وانما هو فن يحتاج الى الشباب ويحتاج الى الدرس ويحتاج الى القراءة الكثيرة . وقد أضاع شوقي شبابه فى القصر . وقد اضاع شوقى نشاطه وحدة ذهنه قبل ان يفرغ للدرس . وقد كان شوقى قليل القراءة فكان تمثيله صورا ينقصها الروح وان حببها الى الناس مافيها من براعة فى الغناء

٩ ـ خاتمة

ثم يقبل صيف هذا العام فيخترم حافظاً وهو يتأهب للحرب كما تأهب احيل بعد ان انحاز تحت الخيمة دهراً . ويقبل خريف هذا العام فيطفىء جذوة شوقى فى هدوء ودعة يلائمان ما كان يمتاز به شوقى فى حياته من هدوء ودعة . وكلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً فى السماء . وكلا الشاعرين قد غذى قلب الشرق العربى نصف قرن أوما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء . وكلا الشاعرين قد احيا الشعر العربى ورد اليه نشاطه ونضرته ورواءه . وكلا الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التى لابد من ان تقبل ، هما اشعر اهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وابوالعلاء من غير شك . هما ختام هذه الحياة الادبية الطويلة الباهرة التى بدأت فى نجد وانتهت فى القاهرة وعاشت خمسة عشر قرنا أو أكثر، والتى ستستحيل وتتطور وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الفن وضرباً جديداً من ضروب المثل العليا فى الشعر . هما أشعر العرب فى عصرهما . ولكن أيهما أشعر من صاحبه ؟

أفترى ان ليس من هذا الحكم بد ؟ أفترى أن تفضيل أحد الرجلين على صاحبه يغنى او يفيد ؟ نعم ليس من هذا الحكم بد ، لانه تقرير الحق الواقع ، وفى هذا الحكم نفع عظيم لانه وضع للأشياء فى نصابها ولانه يبين للمبتدئين فى الشعر من الشبان اين يكون المثل الاعلى . اما أنا فلا استطيع ان اقول ان أحد الشاعرين خير من صاحبه على الاطلاق . ولكن شوقى لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء ولم يحسن ما احسن حافظ من تصوير نفس الشعب وآلامه وآماله . ولم يتقن ماأتقن حافظ من احساس الالم وتصوير هذا الاحساس وشكوى الزمان . لم يبلغ شوقي من هذا ما بلغ حافظ . وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة ، واغنى منه مادة ، وانفذ منه بصيرة ، وأسبق منه الى المعانى ، وابرع منه فى تقليد الشعراء المتقدمين . لان حافظاً كان يقلد فى الالفاظ والصور وكان شوقي يقلد فيها وفى المعانى ايضا . ولشوقي فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع ان يحسنها . شوقي شاعر الغناء غير مدافع . وشوقى شاعر الوصف غير مدافع . وشوقى منشىء الشعر التمثيلى فى اللغة العربية . يلتقى الرجلان فى كثير ويفترق الرجلان فى كثير ، ولكنهما على كل حال أعظم المحدثين حظاً فى اقامة مجدنا الحديث

طه حسين

اللورد كرومر والاحتلال البريطاني

معلومات جديدة عن الاتفاق الانجليزى الفرنسى

> اطلع أحد محرري الهلال على الكتاب الذي وضعه أخيراً المركيز أوف زتلند عن اللورد كرومر العميد البريطاني الاسبق في مصر فاقتطف منه ما يهم قراء هذه البلاد الاطلاع عليه بوجه خاص ولا سيما ما يتعلق منه بالاحتلال البريطاني لمصر لما تضمنه من معلومات جديدة لها قيمتها التاريخية

صدر فى لندن أخيراً كتاب ضخم بقلم المركيز أوف زتلند عن اللورد كرومر معتمد بريطانيا العظمى الاسبق فى مصر، وقد اشتمل هذا الكتاب على سيرة العميد الشهير منذ نشأته الى يوم وفاته. وقال المؤلف فى مقدمته انه استعان على وضع هذه السيرة بما خلفه كرومر من مذكرات وأوراق خصوصية وبما أرسله الى وزارة الخارجية من تقارير رسمية وبما كتبه الى كبار الساسة الانجليز من كتب شخصية وبما سمعه من المستر بويل الذى كان سكرتيراً شرقياً للوكالة البريطانية فى مصر فى عهد كرومر

ومع ان المؤلف أفرد جانباً كبيراً من كتابه للكلام عن الاعمال التى عملها اللورد كرومر فى الهند إلا أن الذى يهم المصريين خاصة والشرقيين عامة هو الجزء الخاص بعمل كرومر فى مصر. وعندنا ان أهم ما فى هذا الجزء هو الفصل الذى بسط فيه المركيز أوف زتلند ما كان للورد كرومر من اليد الطولى فى اعداد اتفاق سنة ١٩٠٤ الذى عقد بين انجلترا وفرنسا. وليس بين الشرقيين من يجهل هذا الاتفاق الذى بمقتضاه اعترفت فرنسا بالاحتلال البريطانى فى مصر فى مقابل تعهد انجلترا بألا تتعرض للسياسة الفرنسية فى المغرب الاقصى

ويؤخذ مما جاء فى هذا الفصل أنه فى صيف سنة ١٩٠٣ اجتمع اللورد لنسدون الذى اصبح فيما بعد وزيراً للخارجية البريطانية بالمسيو دلكاسيه وزير فرنسا، فقال له هذا فى أثناء الحديث الذى دار بينهما: «ان أهم ما يشغل فرنسا فى ذلك الوقت ضمان مركزها فى المغرب الاقصى. وان الحكومة الفرنسية تعتبر اعتراف انجلترا بالمصالح الفرنسية فى المغرب الاقصى ضرورة لا بد منها للمضى فى السياسة التى تريد انتهاجها» وختم المسيو دلكاسيه حديثه فى هذا الصدد بقوله: «ان الحكومة الفرنسية مستعدة لمساومة الحكومة البريطانية فى مقابل حصولها على ذلك الاعتراف الذى تمنى به نفسها

واتصل نبأ الحديث الذى دار بين اللورد لنسدون والمسيو دلكاسيه باللورد كرومر وهو فى مصر فكتب الى حكومته يقول إنه يرى ان الفرصة سانحة لحمل فرنسا على الاعتراف بمركز بريطانيا فى

مصر وبذلك يقضى الانجليز على دسائس السياسة الفرنسية من جهة ويوطدون مقامهم فى مصر من جهة اخرى . فقابلت الحكومة البريطانية اقتراح اللورد كرومر بالعناية التى يستحقها وقررت ان تجعله أساس المفاوضات التى تدور بينها وبين الحكومة الفرنسية

ولم تلبث تلك المفاوضات ان بدأت وكان يديرها من الجانب البريطانى اللورد لنسدون والسر الدن غورست ، وهو الذى عين فيما بعد معتمداً لبريطانيا فى مصر خلفاً للورد كرومر ، فكان اللورد لنسدون يتلقى تعليمات الوزارة البريطانية بشأن المفاوضات فيبلغها للسر الدن غورست فيسافر هذا الى باريس ليفاوض الحكومة الفرنسية فيها ثم يعود الى لندن ليطلع حكومته على النتيجة

وكانت الحكومة البريطانية تطلع اللورد كرومر على كل مرحلة تجتازها المفاوضات باسهاب وتسأله رأيه فيها وفيما تنوى عمله فى المرحلة التالية فيوافيها بآرائه واقتراحاته

وفى أوائل مارس سنة ١٩٠٤ كان مشروع الاتفاق قد انجز تقريباً فارسل الى اللورد كرومر فوافق عليه فتلقى فى اليوم الرابع عشر من ذلك الشهر تلغرافاً من اللورد لنسدون يبلغه فيه ان السر الدن غورست سافر الى باريس حاملا المشروع النهائى وانه يأمل ان المسألة ستنتهى فى القريب العاجل

ولكن حدث بعد ذلك ما لم يكن فى الحسبان ، فانه لما وصل السر الدن غورست الى باريس أبلغه المسيو دلكاسيه ان الحكومة الفرنسية لا تستطيع ان توافق على حق بريطانيا العظمى فى البقاء فى مصر الى الابد وانه لا بد من إيجاد حل لهذا الموضوع

واقترح المسيو دلكاسيه ان تحذف من مشروع الاتفاق العبارة التى تقول انه ليس للاحتلال أجل مسمى

ورأى السر الدن غورست قبل ان يسلم للمسيو دلكاسيه بشيء ان يستشير اللورد كرومر فابرق اليه بهذا الصدد ، ثم قال انه يعتقد ان اجابة المسيو دلكاسيه الى طلبه لا تقيد انجلترا بوجه من الوجوه وانه من الاوفق فى مثل هذه الاحوال ان يأخذ المرء ما يستطيع أخذه

وختم السر الدن غورست تلغرافه بقوله : «وعلى كل حال انى أود أن أعرف رأيكم فى الموضوع وهل تقطعون المفاوضة لاجل هذا السبب لو كنتم مكانى»

فلما تلقى اللورد كرومر هذا التلغراف قال : «يجب علينا أن نجعل من المتعذر على الفرنسيين أن يطلبوا منا فى المستقبل الجلاء عن مصر» ورد على السر الدن غورست بقوله : «تسألونى هل كنت أقطع المفاوضات بسبب هذه المسألة ؟ نعم أقطعها ! ومعنى هذا أنى لا أقطعها لخلاف على الالفاظ فقط ، ولكننى أقطعها اذا قيدنى الفرنسيون بتعهد يمكنهم من مطالبتى بالجلاء عند ما يريدون»

وأخيراً حل الاشكال بتساهل فرنسا فلم تطلب الحكومة الفرنسية تحديد مدة الاحتلال البريطانى لمصر

ويقول المؤلف ان اللورد كرومر كان يعتبر الاتفاق الانجليزى الفرنسى من أعظم الاعمال التى عملها فى حياته السياسية

☆☆☆

وقد نوه المؤلف فى أكثر من موضع واحد فى كتابه بالحرب المستمرة التى كانت قائمة بين اللورد كرومر والخديو السابق سمو عباس حلمى الثانى . ومن ذلك لما تقلد اللورد روز برى وزارة الخارجية كتب اليه اللورد كرومر يقول : « لقد كان الخديو غير معقول فى أمور صغيرة كثيرة ، ولكنه شاب ، والخبرة تعوزه فيجب ألا نحكم عليه بشدة وقد حاضرته بصراحة ولكن بعبارات ودية ، وانى لا أتوقع انى سألقى منه صعوبة عظيمة فى الوقت الحاضر »

ويقول المركيز اوف زتلند انه لما اقال الخديو مصطفى فهمى باشا من رئاسة الوزارة وعين فخرى باشا بدلا منه غضب كرومر لذلك غضباً شديداً وابرق الى حكومته يطلب منها ان تمنحه حرية التصرف لمقاومة عمل الخديو فاجابته الى طلبه فقابل الخديو وحتم عليه اقالة فخرى باشا بدوره فرضى سموه وعين رياض باشا مكانه . وابرق اللورد كرومر الى حكومته بعد هذه المقابلة يقول : « ان الوزير الجديد بل ان الخديو نفسه وعد بالاصغاء الى نصح حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فى كل مسألة مهمة تثار فى المستقبل »

وكتب اللورد كرومر فى فرصة أخرى الى حكومته يقول : « ويلوح لى ان الخديو الشاب سيكون مصرياً جداً » وقال فى تلغراف آخر : « ان الخديو يلعب دوره بطريقة تبعث على الدهشة اذا ذكرنا ان عمره ٢٠ سنة فقط »

☆☆☆

ومما رواه المؤلف عن اللورد كرومر أنه كان أديباً شديد الشغف بالادب وانه كان اذا اشتد الحر خرج الى شرفة دار الوكالة البريطانية وهى تطل على النيل وجلس عليها بعد العشاء مع المستر بويل وتسلى بقراءة « الياذة » هوميروس بصوت عال . اضف الى هذا أنه كان يتسلى أحياناً بنظم الشعر وقد جمع مرة طائفة من منظوماته وطبعها فى كتاب وزعه على اصدقائه فقط

ولما بلغ الرابعة والستين فى سنة ١٩٠٥ كتب الى اللورد لنسدون وزير الخارجية اذ ذاك يذكره بذلك ، فادرك الوزير أنه يريد اعتزال منصبه فالح عليه بالبقاء ، غير انه فى أوائل سنة ١٩٠٧ قرر نهائياً أن أوان استقالته قد آن فكتب الى صديقه السر رنل رود يقول : « انى أشعر انى لا امتلك الصحة

والقوة اللازمتين للنهوض باعباء منصبي على الوجه الاكمل وما دمت عاجزاً عن عمل المطلوب مني على وجه كامل بخير لى ألا أعمله مطلقاً » وكان جلالة الملك ادورد السابع يقدره تقديراً عظيما فالح عليه بالبقاء فاعتذر اليه واصر على الاستقالة

وهنا قال المؤلف انه فى أثناء وجود اللورد كرومر فى مصر عرضت عليه حكومته ان تعينه سفيراً لها فى الاستانة ثم فى برلين فرفض فعرضت عليه بعد ذلك أن تعينه نائباً للملك فى الهند فرفض أيضاً قائلا انه يريد ان ينجز العمل الذى بدأه فى مصر

واستطرد المركيز اوف زتلند من ذلك الى القول بأنه مهما كان شعور المصريين نحو انجلترا فانهم لا ينكرون ان عهد اللورد كرومر فى مصر كان عهداً ساده الرخاء والعدل

ولما وصل اللورد كرومر الى انجلترا بعد اعتزاله منصبه كانت وطأة المرض قد اشتدت عليه فنصحوا له بالسفر الى اسكتلندا لتبديل الهواء فيها فكتب الى صديق له يقول : « لست فى حاجة الى أن أصف لكم الحزن الذى استولى على حين قررت الاستقالة ولا سيما انى بمسلكى هذا قد اظهر لبعضهم بمظهر الفار من اعدائه ولكننى لا أشك لحظة واحدة فى حكمة قرارى . وهب انى لم أقدم عليه مختاراً فان الضرورة كانت تقضى على بتقريره صاغراً »

☆☆☆

ويقول المؤلف فى فصل آخر ان اللورد كرومر كان يعتقد ان نظام الحكومات الدمقراطية كما هو فى الغرب لا يصلح للشرق و« ذلك لانه من الصعب ان تحول بلاداً سادتها الاوتوقراطية اجيالا الى بلاد دمقراطية بين عشية وضحاها » كما قال كرومر نفسه فى مقالة كتبها فى مجلة اسكتلندية فى يناير سنة ١٩٠٨ وزاد على ذلك قوله : « واذا كان لابد من وقوع هذا التحول فانه يستغرق اجيالا قبل ان يتخذ شكله النهائى »

وقد عاد اللورد كرومر فقرر قوله فى مقالة نشرها فى مجلة « القرن التاسع عشر » فى سنة ١٩١٣ وفى مقالة أخرى نشرها فى مجلة « سبكتاتور » فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩١٥

☆☆☆

وفى ربيع سنة ١٩١٦ عرضت الحكومة البريطانية على اللورد كرومر رئاسة لجنة تحقيق حملة الدردنيل فقبلها وكتب يومئذ الى صديق له يقول : « وانى أعلم ان هذه المهمة ستقتلنى لانها مهمة شاقة ولكن عندما اذكر ان الشبان يبذلون أرواحهم فى سبيل بلادهم اقول لنفسى لماذا لا أبذل حياتى فى سبيل بلادى أنا الشيخ » وقد صدقت نبوءته فانه امضى الجزء الاول من تقرير اللجنة وهو على فراش الموت وكان ذلك فى أوائل يناير سنة ١٩١٧ وفى ٢٩ منه أدركته الوفاة فدفن الى جانب زوجته الاولى عملا بوصيته

الاحلام

الرأي الحديث فيها ورأي علماء العرب

ماذا يقول فرويد؟

كان الرأى بين العلماء أن الاحلام لاتستحق أن يوليها أى باحث ينشد الحقيقة عناية جدية ، لاعتقادهم أنها تنشأ عن اضطرابات تصيب المخ أثناء النوم ، وعلى ذلك فمحاولة تفسيرها بسيكولوجياً ضرب من التخمين والتكهن . فلما أصدر الدكتور سيجموند فرويد كتابه « تفسير الاحلام » فى سنة ١٩٠٠ ، صارت دراسة الاحلام من أهم البحوث البسيكولوجية . لا ، بل صارت جزءا من علم النفس ، وعم الانتفاع بها فى علاج الاضطرابات العصبية

ولكى نقرب للقراء نظرية فرويد فى منشأ الاحلام من غير أن نلجأ الى الاصطلاحات العلمية ودون أن نجشمهم عناء تعقدها ، ننقل عن الاستاذ « جود » Joad رئيس قسم الفلسفة والبسيكولوجيا فى جامعة لندن ، صورة وصفية تمثل رأى فرويد فى العقل الباطن وكيفية حدوث الأحلام أثناء النوم . قال

يمكن تشبيه العقل كما يراه « فرويد » بمنزل مؤلف من طبقتين (أودورين) : طبقة تحت الارض ، وطبقة فوقها ـ أو بعبارة ابسط يتألف المنزل المذكور من دور سفلى ودور علوى . تسكن هذا المنزل عائلتان : عائلة راقية تقطن الدور الأعلى ، وعائلة منحطة تقطن الدور الذى تحت الارض

أفراد العائلة الراقية قلائل ، منتخبون ، محترمون . وهم محافظون يحرصون على ألا يدخل فى حظيرتهم انسان ، ويلذ لهم أن يظهروا فى أحسن حال أمام جيرانهم

وأفراد العائلة المنحطة كثيرون ، على الفطرة ، لم يصقلهم تهذيب ، قد ساءت سمعتهم من كثرة ضجيجهم وعظيم جشعهم وعدم اكتراثهم للكرامة . تضطرم فى صدورهم رغبات يصرون على ضرورة تحقيقها بلا مبالاة لشعور الآخرين . بالاختصار لايتصف أفراد هذه العائلة بشىء من الفضائل ، اللهم إلا محاولات يبذلونها لرفع مستواهم وتبوؤ مركز اسمى فى الهيئة الاجتماعية ، وقوة بركانية لاتمل ثوراناً

كيف يسمح أفراد العائلة الراقية لاهل الدور الاسفل بالصعود اليهم والبون بينهم شاسع ؟ وهل يجوز أن يعاشر الفضلاء المهذبون فريقاً من الاوشاب والدهماء والسوقة ؟ !

من أجل ذلك استأجرت العائلة الراقية شرطياً من جنود البوليس ، وكلفته الوقوف على الدرج الممتد بين الدورين وحذرته من الاهمال ليلا أو نهاراً . أجل !! لقد أمرته أن يواصل

ليله بنهاره يقظان ، لاتأخذه شفقة أو يعتوره ضعف فى طرد أى فرد من أفراد العائلة المنحطة قد تحدثه نفسه بالصعود رجاء الدخول فى الدور الأعلى

مسكين هذا الشرطى !! انه فى نزاع دائم مع أوباش العائلة المنحطة ، وهو مكلف بالسهر طول الليل واليقظة بالنهار !! وهذا مايعجز عنه أقوى مخلوق ، فماذا يمكن أن تكون النتيجة ـ نتيجة هذا النزاع الدائم ؟ النتيجة واحدة من ثلاث :

أولا ـ اما أن يبقى أفراد العائلة المنحطة فى سجنهم المظلم فتسوء طباعهم وتخبث نفوسهم ويشتد الحال ببعضهم فيعود مثل الغدير الذى أقيم فى طريقه سد حجز مياهه عن التدفق فطغى على الشاطىء وانساب فوق الارض وركد وتعفن كما يتعفن المستنقع ، والبعض ينفث سمومه فى بقية أفراد العائلة فيؤثر الى حد ما فى نشاطهم وحيويتهم

ثانياً ـ قد ينجح بعض أفراد العائلة المنحطة فى دخول الدور الأعلى رغم الشرطى ، لكن لابد له قبل ذلك أن يتهذب ويصير محترما . بمعنى آخر ، يجب أن يطامن من حدته ويخفف من وطأة عنفه وينفض عنه رداءه القديم ـ والحق أن بعضهم ينقلب خلقا جديداً لايشبه قط الشخص القديم

ثالثاً ـ قد يفلت الشخص المنحط من الشرطى ويدخل الطابق الأعلى كما هو دون تغيير ويحدث هذا عند مايغفل الشرطى عن أداء واجبه ، أو عندما ينام

فالدور الأعلى هو العقل الواعى الذى يتنبه فى النهار وينام بالليل ، وأهله يمثلون مايحتويه وعينا من ملكات وأفكار . والدور الثانى هو العقل الباطن الذى لا نحسه ولا نشعر به ، وأهله يمثلون غرائزنا المتعددة ورغباتنا المكبوتة (المحبوسة) أى رغباتنا التى لم تتحقق ولا سبيل الى ارضائها . وهذا الشرطى يمثل « الرقيب » Censor الذى يزعم « فرويد » أنه قائم بين العقل الواعى والعقل الباطن . فاذا نجح فى كبح الغرائز والرغبات أدى ذلك الى فسادها وخبثها وقد يؤدى الى تسممها ونفثها العدوى فى بقية الغرائز والرغبات ، ويسمى ذلك « مرضاً عصبياً » . واذا أفلتت الرغبة أو الغريزة من الشرطى بعد صقلها وتهذيبها سمى ذلك « استعلاء » ، واما اذا أفلتت الرغبات كما هى والشرطى نائم ، فان ذلك يسمى « حلماً » . ففى الحلم اذن نرى رغباتنا على صور غير مألوفة لنا . وعجيب أن الشرطى يعود الى أداء وظيفته عندما تتذكر الاحلام ويأبى عليها أن تتمثل لعقلنا الواعى على نحو ما شاهدناها خلال النوم

اعتراضه على نظرية فرويد

هذه هى أبسط صورة لمشكلة العقل الباطن وتفسير الاحلام على أساسها ، فما رأى العلماء فيها؟ يرى فريق منهم أن نظرية فرويد مازالت فرضاً ، ولم يقبلها سواد علماء السيكولوجيا

ومن أوجه الاسباب التى دعت الى رفض نظرية فرويد زعمه أن جميع مايحتويه عقلنا الواعي ، كان فى الاصل من محتويات العقل الباطن ثم « تسامى » على نحو ماقدمنا ، وعلى ذلك يكون الضمير الانسانى رغبة قد تسامت وبذلك ينهدم أساس المسئولية الادبية التى هى دعامة الخلق

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الاحلام لايمكن أن يكون منشؤها العقل الباطن وحده ، اذا صح أن هناك عقلا باطنا على المثال الذى افترضه فرويد

فالثابت أن جمهرة كبيرة من العلماء ، اهتدوا الى حل معضلات عويصة فى المنام وعجزوا عن حلها فى اليقظة . من هولاء « ديكارت » الفيلسوف الفرنسى المشهور ، فقد رأى ثلاثة أحلام ألهم فيها قواعد فلسفته . وتمكن « هنرى بوانكاريه » الرياضى الفرنسى من حل معضلات رياضية فى الحلم . وكذلك « كوندورسيه » وغيره من الفطاحل والفحول فكيف تأتى للعقل الباطن ان يحل ماعجز عنه العقل الواعى ؟ !

ليس هذا فقط ، فان اناساً كثيرين شاهدوا احلاما وقعت كما رأوها بالضبط بعد مضى مدة من الزمن . وبين هؤلاء رجال مشهورون فى التاريخ مثل نابوليون والاسكندر المقدونى ويضاف اليهم الانبياء والقديسون والرسل

فبماذا نعلل الاحلام التى تتحقق كما شاهدها أصحابها ، بماذا نعلل رؤية المستقبل أثناء النوم ؟ ! .

الالهام والاحلام

هناك نظريتان على جانب عظيم من الاهمية اذا سلمنا بهما أمكننا تعبير تلك الاحلام

النظرية الاولى تقول : إن النفس البشرية تحتوى على ملكة خاصة تسمى « البصيرة » Intuition . وهذه البصيرة تدرك مالايدركه العقل الانسانى . وهى مهبط الالهامات التى يتحدث عنها الشعراء والفنانون جميعاً ، ثم هى مهبط الوحى الذى تتحدث عنه الكتب السماوية . وبطل نظرية « البصيرة » هو الفيلسوف برجسون ، وقد سلم بها معظم علماء النفس

والنظرية الثانية تقول : إن الماضى والحاضر والمستقبل أشياء أزلية باقية . فالماضى موجود لم يذهب والمستقبل موجود . وليس الامر متوقفا علينا فيما يتعلق بالوجود والعدم . لان الوجود الذى تتصوره ليس هو الوجود الحقيقى ، وانما هو الوجود الذى نحسه ويتمثل فى اذهاننا . لحواسنا لها دخل كبير فى تصوراتنا الذهنية ، الى حد أن الاستاذ « دى سيتر » الرياضى الذى عدل اينشتين نظرياته بناء على انتقاداته لها ، قال : إن أصدق الناس فكرة عن الوجود هم الرياضيون لأنهم ينظرون اليه من خلال الرموز والمعادلات لا من خلال حواسهم

فاذا سلمنا بهاتين النظريتين أمكننا تفسير الاحلام التى يرى بها الانسان حوادث المستقبل قبل وقوعها

على أنه هكذا اتجاه الرأى الحديث بين الثقات ، وما من حقنا أن نرفضه لأنه بعيد الاحتمال اذ أن جانباً كبيراً مما نقبله ونسلم به يبدو بعيد الاحتمال أو مستحيلا

فمثلا كثيرون منا يسلمون بانتقال الافكار، مع اننا لو ذهبنا نعال وندلل لاستبعدنا امكان ذلك . وفى حياتنا اليومية تدل تجاربنا على أن هناك الهاماً وبصيرة . ومن ذا الذى لم يلهم مرة بعد مرة ـ تنشأ فى عقله فكرة غريبة لم تكن تخطر له ببال ، فاذا هى كل الصواب وعين الصدق ، وقد تنفذ بصيرتنا فترى المستقبل وتكهن بما يحتمل أن يحدث ، وبالفعل يقع ما تكهن به

ثم أيهما أقرب الى الاحتمال : تفسير فرويد لحلم الفيلسوف ديكارت بأنه من صنع العقل الباطن مع قوله بأن هذا العقل أقل كفاية واضعف ادراكا من العقل الواعى ، أم تفسير هذا الحلم بأنه الهام رآه « ديكارت » ببصيرته وهو نائم ، مع امكان التسليم بأن هناك بصيرة والهاما ؟

إن تفسير الاحلام فى وقتنا الراهن لم يعد يرتكن كله على نظرية فرويد وان الاتجاه الحاضر يكاد يسلم بوجود البصيرة التى تتلقى الوحى والالهام ـ الوحى للانبياء والالهام للقديسين والعبقريين وذوى النفوس الطاهرة

هكذا قال علماء العرب

لست أدعى أن علماء العرب الذين عالجوا تفسير الاحلام لم يتأثروا بمن تقدمهم من اغريق ويهود ومسيحيين وغيرهم ، هذا بحث آخر . ولكنى وجدتنى أمام آراء جماعة منهم ، فقارنتها بوجهة النظر الحديثة . وقد وصلت الى نتائج ارجو ألا تكون خاطئة

قرأت رأى محمد بن سيرين وعبد الغنى النابلسى ، فوجدتهما يردان الاحلام الى عنصرين أساسيين :

(أولهما) عنصر خارج عن النفس (ثانيهما) عنصر فى طبيعة النفس

فاذا رأى الجائع أنه دعى فى نومه الى وليمة فذلك حلم مصدره النفس . واذا نام رجل قد أرهقه الكابوس ، شاهد أضغاث أحلام ، واذا نام مريض متألم رأى فى نومه أنه يعذب ، واذا نام انسان فى الشمس خيل له فى الحلم انه يحترق فى النار

يناقض هذه الاحلام التى تصدر عن النفس وتنشأ منها أنواع أخرى ، منها الرؤيا وهى التى يوحى فيها للانبياء ، ومنها الاحلام الصادقة التى تقع كما شاهدها صاحبها بالضبط ، ومنها الاحلام المرموزة وهى التى تعبر عن المستقبل بالرموز والاشارات

هذا ما استنتجته فى مقارنتى ، وهو ماأرجو أن يكون محل تقدير واعتبار . وعلى كل حال فان مسألة الاحلام وتفسيرها قد أصبحت من أهم المسائل البسيكولوجية

احمد خيري سعيد

الاصابة بالعين

هل يمكن تعليلها علمياً

« اتقوا شر الأعين »

« اياكم والعين ، فإنها تدخل الرجل القبر والجمل القدر »

حديث شريف

الايمان بالعين الشريرة شائع بين معظم الامم منذ أقدم الازمنة . ولكن جمهور العلماء يحسبونه خرافة لا طائل فيها. وقد جاءنا الآن فريق منهم بنظرية اذا صدقت كانت برهاناً على صحة هذه العقيدة يعتقد الكثيرون من الناس انك اذا حدقت النظر ملياً الى رأس انسان من الوراء فانه يلتفت اليك كأنه يسألك لماذا تحدق النظر اليه. ومن العقائد الشائعة في انحاء كثيرة من بلاد الغرب ولا سيا إيطاليا ان عيون بعض الأشخاص مؤذية الى حد أنها قد تقتل المخلوق الحي الذي تقع عليه ، واذا لم تقتله فلا أقل من أن تبتليه بمصيبة عظيمة

منشأ هذا الاعتقاد

يزعم أنصار هذه العقيدة والمؤمنون بالخوارق الغامضة أن جسم كل مخلوق حي ينبعث منه شعاع سديمي غير منظور. وفي الولايات المتحدة وكندا والمكسيك عقيدة شائعة مؤداها ان بعض الازهار تذوي في الحال اذا حملتها بعض النساء ، وتظل يانعة مزدهرة اذا حملها غيرهن

ويقول انصار هذه العقيدة ان هذا الاشعاع السديمي تنتقل بواسطته الافكار من شخص الى شخص — وهذا ما يعبرون عنه بالتليباثي — كما تنتقل الاشارات « اللاسلكية » في الفضاء

ومع ان جمهور العلماء لم يسلم حتى الآن بهذه النظرية فان فريقاً منهم يؤيدها ويعتقد صحتها . وفي الواقع ان تاريخ تطور العلم حافل بالامثلة الدالة على ان اسراراً كثيرة كانت مستغلقة على العالم وكانت تعالل تعليلات خرافية ثم أثبت العلم صحتها

قال هربرت سبنسر أعظم فلاسفة الانجليز في اوائل القرن الحاضر : إن الاعتقادات الراسخة في اذهان الناس والتي قد مر عليها أجيال كثيرة لا يمكن نبذها واعتبارها خرافات باطلة ، إذ مهما تكن مشوبة بالخطأ فانها قد تكون مستندة الى اساس حقيقي ، وقد تكون مبنية على المشاهدة

والملاحظة مئات من الاعوام . وواجب العالم ليس هو انكار العقائد بل تصحيح تأويلها

منذ عهد غير بعيد عقد مجمع تقدم العلوم الاميركى اجتماعه السنوى بمدينة سراكيوز باميركا . ومن جملة الذين خطبوا فى احدى جلساته الدكتور « ران » أحد اساتذة جامعة كورنيل. وكان موضوع خطبته « خلايا الخميرة » ومايؤثر فيها . وقد ذكر فى خطبته أنه قام بتجارب على دقيقة ثبت له منها أن العين البشرية اذا حدقت الى خلايا الخميرة الاعتيادية التى تستعمل فى صناعة الخبز قتلت تلك الخلايا لان أشعة خفية غير منظورة تنبعث من العين وتؤثر فيها كما تنبعث الاشعة فوق البنفسجية من بعض المصادر وتؤثر فى النبات والانسان والحيوان على وجه معلوم

ويقول الاستاذ ران المذكور ان خلايا الخميرة دقيقة الاحساس جداً تتأثر بالاشعة المنبعثة من العين البشرية كما تتأثر بالاشعة فوق البنفسجية وتلك التى تنبعث من مصابيح خاصة . فاذا طال تعرض الخلايا لتلك الاشعة أفضى الى موتها

العين والاشعة

وتدل التجارب التى قام بها الدكتور ران على ان العين البشرية ليست المصدر الوحيد الذى تنبعث منه تلك الاشعة غير المنظورة ، بل إن بعض أعضاء الانسان البارزة أيضاً ينبعث منها مثل تلك الاشعة ولا سيما الانامل وطرف الانف . ويظهر أن أنامل اليد اليمنى أقوى اشعاعاً من أنامل اليد اليسرى ، الا فى الرجل الاعسر فان الحالة فيه بالعكس . على ان اعضاء الجسم كلها تشع مثل ذلك الاشعاع بدرجات متفاوتة

ومنذ نحو عشر سنوات قام الدكتور الكسندر جرويتش الروسى بتجربة مدهشة خلاصتها انه زرع بصلتين احداهما بجوار الاخرى وأخذ يراقب نموهما فوجده سريعاً فاقتلع احداهما وغرسها بعيداً عنها فصار نمو كلتيهما بطيئاً ، وبعد تجارب اخرى دقيقة من هذا القبيل اتضح ان جذور كل من البصلتين تشع إشعاعاً خاصاً وان الاشعة التى تنبعث من تلك الجذور تؤثر فى الجذور الاخرى المجاورة لها تأثيراً حسناً وتساعدها على النمو

وقام علماء آخرون بتجارب من هذا القبيل أثبتت صحة النتيجة التى انتهى اليها الاستاذ ران ، حتى لقد رسخ الاعتقاد الآن عند جمهور العلماء ان جذور البصل وغيره من البقول ترسل اشعة غامضة تساعد على النمو . ولما كانت هذه الجذور تنمو بواسطة مضاعفة الخلايا الحية — وهي العملية المعروفة عند العلماء باسم « ميتوسيس » — فقد سمى الدكتور جرويتش الاشعة التى تساعد على ذلك النمو « الاشعة الميتوجينية » أو اشعة « م »

ومنذ عهد غير بعيد اعلن بعض العلماء انهم قد اكتشفوا اشعة يظهر الآن انها لا تختلف كثيراً

عن اشعة « م » . فقد عثر الدكتور ماجرو وزوجته ــ وهما من أعضاء معهد باستور بباريس ــ على أشعة شبيهة كل الشبه بالاشعة التى نحن بصددها ، وقد وجداها فى « مستنبتات » للبكتيريا وثبت لهما أنها تؤثر فى نمو جذور بعض النباتات وفى نمو البكتيريا نفسها . وبعد ذلك بقليل أثبت الاستاذ نافيل العالم السويسرى المشهور أن الاشعة المنبعثة من جذور البصلات النابتة قد تكون ضارة ومفيدة فى آن واحد ، فقد تفيد جذور بعض البصلات وفى الوقت عينه تحدث ضرراً بليغاً فى عين الضفدع

وعلى أثر ذلك أخذ بعض العلماء الالمان وغيرهم يبحثون عن سر تلك الاشعة فاتضح لهم أن عضلات الحيوان وخلايا نسيج السرطان هى مصدر قوى لها . ثم قام بعض علماء معهد بويس طمسون بامیرکا (Boyce Thompson Institute) بتجارب كثيرة ثبت منها أن الاشعة التى تنبعث من العين وتقتل خلايا الخميرة تنبعث من نحو ستة وخمسين مصدراً آخر من المواد الحية ، من ضمنها البكتيريا الحية وجذور النباتات ودم الحيوان والانسان وخلايا الاعصاب والعضلات وخلايا نسيج السرطان وبيض الحيوان الملقح ومواد أخرى حية

ومع كل هذه التجارب الكثيرة لا يزال بعض العلماء يرتابون فى أمر هذه الاشعة ويخشون أن يكون للوهم تأثير فى تعظيم شأنها أو فى القول بوجودها . وبعضهم ينكر وجودها على الاطلاق

الاصابة بالعين

ونعود إلى عقيدة الاصابة بالعين فنكرر ما قلناه آنفاً من شيوع هذه العقيدة بين جميع شعوب العالم منذ أقدم الأزمنة . ولا شك أنه إذا كان ثمة أى تعليل علمى لهذه العقيدة فلا بد أنه يقوم على نظرية أشعة « م » التى سبقت الاشارة اليها . فبعض الناس هم مصدر أخصب لتلك الاشعة من غيرهم . وهذا هو سبب تأثيرهم فيمن يتصلون بهم أو يقع نظرهم عليهم . وكثيراً ما يحدقون إلى زهرة فيعروها الذبول . وقد يضع أحدهم وردة فى عروته فتزول نضارتها فى الحال . والمعروف أن بعض الفتيات يمتنعن عن حمل الأزهار على صدورهن لانهن حالما يضعن تلك الازهار تذوى . وهذا يكاد يكون دليلا قاطعاً على أن أشعة غامضة تنبعث من بعض الاشخاص وتؤثر فيمن حولهم تأثيراً كثيراً ما يكون غاية فى الشر وسوء المصير

ومن الاعتقادات الشائعة أيضاً فى بعض أنحاء أوربا وأميركا أن أصحاب العين الشريرة إذا نظروا إلى اللبن الحليب انقلب حامضاً أو فسد أو تخثر . ومع أن العلم ينكر هذه العقيدة ويحسبها خرافة فقد يستطيع أصحاب نظرية أشعة « م » تعليل هذه العقيدة تعليلا علمياً

ومما يجدر بالذكر أن عقيدة العين الشريرة شديدة الانتشار فى ايطاليا بوجه خاص . ويعتقد

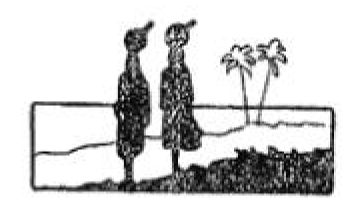
بعض العامة هنالك أن من كان ذا عين شريرة يستطيع إذا سار فى أحد الشوارع أن يخلى الشارع من المارة لأن شعوراً غامضاً يجعلهم يهربون من أمامه ويتجنبونه . ويعتقد القوم أيضاً — كما يعتقد معظم الذين يؤمنون بالعين الشريرة — ان صاحب العين لا يمكن أن يخفى على الناس بل لا بد أن يعرفه الجميع ويتناقلوا أخباره . لذلك ترى الكثيرين يخافون أن يجتمعوا به ويلتمسون الوسائل المختلفة لتلافى شره . وهنالك رقى وتعاويذ تباع لاتقاء ذلك الشر . وبعض الشرقيين يتقون ذلك باستعمال خرزة زرقاء تعلق فى عنق الطفل . ويقال إن لها قوة غامضة على رد الشر عن ذلك الطفل . وفى مدن لندن وباريس ونيويورك — مدن النور والعلم والمدنية — أناس يرتزقون من بيع الرقى والتمائم والتعاويذ

ولاحاجة الى القول انه إذا آمنا بالعين الشريرة وصدقنا وجودها وقبلنا التعليل العلمى المشروح آنفاً لم يبق ما يصعب تصديقه من جهة بعض تلك التعاويذ وقدرتها على تلافى « شر العين » . إذ ما أدرانا ؟ لعل فى الخرزة الزرقاء أو فى اللون الازرق قوة على مقاومة أشعة « م » التى تنبعث من أصحاب « العين الشريرة » وخصوصاً أن بين الاشعة والالوان علاقة لا يمكن انكارها

وهنالك مسألة يجب التنبيه عليها وهى أن الاعتقاد العام هو أن تأثير العين لا يظهر إلا إذا وقع نظر « صاحب العين » على الاشياء أو الاشخاص . وبعبارة أخرى إن التأثير لا يظهر عن بعد . « فصاحب العين » لا يستطيع أن يؤذى أحداً عن بعد لان أشعة « م » يجب أن تقع على الكائن الحى — حيواناً كان أم نباتاً — حتى يظهر تأثيرها . ويقول الاستاذ ران الذى سبقت الاشارة اليه إن المباحث العلمية الدقيقة التى قام بها قد أثبتت له بوجه قاطع أن أشعة « م » قصيرة جداً وانها لا تستطيع اجتياز المسافات الطويلة بل لا يكاد يكون لها تأثير محسوس عن بعد بضعة أمتار . وهذه قرينة أخرى من القرائن التى يمكن الاستدلال بها على صحة نظرية العين الشريرة

☆ ☆ ☆

وعلى كل فاننا ننشر هذه المقالة تلخيصاً لما نشرته احدى المجلات العلميــة من دون أن نعلق عليها برأى يؤيد النظرية أو ينفيها ، لان ذلك يتطلب بحثاً مسهباً لا يتسع له هذا المجال



صحافتهم وصحافتنا

من محاضرة للاستاذ اميل زيدان رئيس تحرير « الهلال »

(ألقيت في قاعة بورت بالجامعة الاميركية في الفصل الماضي . ولم تنشر بعد على صفحات الهلال)

منذ نحو سبعين سنة التقى فى إحدى مدارس الريف بانجلترا حدثان أصبح لهما فيما بعد أعظم الشأن فى تطور الصحافة الانجليزية — أحدهما وليم ستيد منشىء مجلة المجلات الانجليزية الذى كانت حياته سلسلة مفاجآت آخرها غرقه على الباخرة تيتانيك . والآخر جورج نيونز مؤسس مجلة « تيت بتس » الاسبوعية التى نفثت روحاً جديدة فى الصحافة والصحفيين ، والتى كان لها أثر بين فى حياة لورد نورثكليف ، فقد أصدر على غرارها مجلة « انسرز » التى كانت حجر الأساس فى بناء عظمته الصحفية

وقد اشترك ستيد ونيونز فترة من الزمن فى عملهما الصحفي ، ولكنهما لم يلبثا طويلا حتى وجدا بينهما فوارق شتى فانفصلا صديقين واستقل كل منهما فى عمله . ومما قاله نيونز وقتئذ لصديقه قوله :

« الصحافة نوعان : نوع يرمى الى توجيه سياسة الدولة وتصريف الشؤون العامة وتنصيب الوزارات واقالتها وهذا هو النوع الذى تجيده أنت . . . ولكن هناك نوعاً آخر أكثر تواضعاً من هذا النوع تقتصر مهمته على أن يقدم للجمهور ما يفيده ويسليه . . . وهذا هو النوع الذى أجيده أنا »

وقد روى نيونز أنه كان جالساً يوماً فى منزله يطالع احدى الصحف فشعر بسأم عظيم . فقد كانت الصحف فى ذلك العهد كالسجل الممل المطول . ولم يستوقفه فى تلك الصحيفة إلا خبران طالعهما بلذة . ففكر فى الامر ولم يلبث أن سأل نفسه قائلا : « لم لا تنشأ جريدة تقتصر على نشر الاخبار والنبذ التى من هذا النوع الجذاب ؟ » ولم يمض طويل وقت حتى أصدر مجلة « تيت بتس » جامعة للطرائف الجذابة فنالت رواجاً كبيراً

ومن الوسائل التى استخدمها لترويجها أنه نشر فيها مسابقات مبتكرة . وكانت أغرب مسابقة منها تلك التى سماها « مسابقة الكنز المدفون » فقد دفن فى أماكن مختلفة من الضواحى والارياف أنابيب فى كل منها ٥٠٠ جنيه تصبح ملكا لمن يعثر عليها . فتقاطر الناس للبحث عنها وأخذوا يقلبون الارض فى المزارع والحقول ووفق بعض المتسابقين فعلا الى العثور على تلك الانابيب . فهذه المسابقة كان لها دوى فى البلاد وتحدث الناس عنها طويلا ولا شك أنها كانت فكرة صحفية ناجحة

نابوليون الصحافة

قلنا إن لورد نورثكليف (وكان اسمه وقتئذ الفرد هرمسورث) تأثر بفكرة جورج نيونز وأنشأ مجلة « انسرز » على غرار « تيت بتس » تلك كانت خطوته الاولى فى عالم الصحافة . على أن أثره الباقى الذى يقرن به اسمه على الدوام هو إنشاء « الديلى ميل » التى يعد صدورها بدء عهد جديد فى تاريخ الصحافة ، فنورثكليف هو بلا ريب أبو الصحافة الشعبية ، واليه يرجع الفضل الاكبر فى التقدم العجيب الذى طرأ فى هذا الميدان

ففى أواخر سنة ١٨٩٦ كان المارة فى شوارع لندن تستوقفهم اعلانات ملصقة بالجدران كتب عليها بحروف كبيرة هذه الكلمات : The Daily Mail - A Surprise أى (الديلى ميل – مفاجأة) . ولم يلبثوا غير قليل حتى رأوا العدد الاول من هذه الجريدة . . . ووجدوا أن صدورها كان مفاجأة حقيقية إذ جاءت مختلفة اختلافاً بيناً عما ألفوه فى صحفهم الكبرى

وأول ما فوجئوا به ثمنها . فقد كان نصف بنى أى مليمين وهو (وقتئذ) نصف الثمن المعتاد لمعظم الجرائد . ومع أن حجمها كان أصغر من حجم الجرائد الأخرى – ٨ صفحات فقط – فقد احتوت على خلاصة ما كانت تنشره تلك الجرائد ، الا أن تلك الخلاصة كانت مسبوكة فى قالب جذاب وبعناوين تلفت القارىء وترتيب يرتاح اليه النظر . فلم يكن فى « الديلى ميل » أثر للمقالات المطولة ولا للمباحث المستفيضة ولا للمناقشات السياسية المملة ، بل اقتصرت على الزبدة التى يهم الرجل العادى أن يطلع عليها – كانت صفحاتها وأعمدتها بل أسطرها مدروسة درساً دقيقاً . فلا حشو ولا اطناب ولا موضوعات خاصة لا تعنى إلا فريقاً محدوداً من الجمهور . وفى مقدمة ما امتازت به « الديلى ميل » عنايتها بالاخبار فى المقام الاول وجعلها المناقشات السياسية فى المقام الثانى

ذلك كان منشأ « الديلى ميل » ولقد كوفىء منشئها على نبوغه وجهوده باقبال لم يعرف له مثيل حتى ذلك الحين ، ففى ثلاث سنوات بلغ المبيع من جريدته نصف مليون نسخة

✡ ✡ ✡

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نحيد قليلا عن موضوعنا لنتخذ من هذا الصحفى العبقرى درساً يفيدنا معاشر الصحفيين

فان نورثكليف لم يقدم على اصدار « الديلى ميل » الا بعد الاستعداد الطويل والدرس الدقيق بل انه أصدر جريدته بضعة أسابيع بدون أن تخرج نسخة واحدة من ادارته . فكان هو وأعوانه يعدون الجريدة ويجهزونها ولكن لا يطبعون منها الا نسخاً معدودة يدرسون نظامها ويعدلون فى موضوعاتها وترتيبها الى أن بلغت فى نظرهم حد الاتقان المنشود ، وحينئذ نشروها على الجمهور ، ثم ثابروا

على اصدارها برغم ما اعترضهم من العقبات وما وجه اليهم من الانتقادات . ومن أقوال نورثكليف فى ذلك قوله : « حين ترسم خطتك وتثق من صحتها فسر عليها ولاتعبأ بما يقوله الآخرون » وسئل يوماً عن سر نجاحه فى الصحافة ، فقال : « الصحافة كالحرب لها قوانين أساسية لاتتغير . وكل ما عملته أنى طبقت هذه القوانين فى وقت كانت مهملة »

☆☆☆

بعد هذه الكلمة المعترضة نعود الى نجاح « الديلى ميل » فنقول انها ما برحت منذ يوم صدورها ونجمها فى صعود مما دل على انها جاءت فى الوقت الملائم ، وانها عرفت كيف تجتذب اليها الجمهور . وقدكان من الوسائل التى روجتها انها شرعت تؤمن قراءها من الموت أو من حدوث عاهة فكان العدد الذى يشتريه القارىء بمنزلة بوليصة تأمين له

ومن المسابقات التى كان لها شأن فى رواجها أيضا انها منحت دخلا ثابتاً قدره جنيه كل اسبوع مدى العمر لمن يصيب — أو يكون أقرب من سواه فى الاصابة — فى تعيين مبلغ النقد الذى سيجتمع فى خزائن بنك انجلترا فى يوم معين . واشترطت أن يشهد أربعة أشخاص بصحة امضاء المتسابق . وبهذه الحيلة وسعت دائرة الذين أخذوا يتحدثون عن تلك المسابقة ويرقبون نتيجتها . وقد أفلحت المسابقة ونالت اقبالا عظيما

ارقام

ولا ريب الآن ان « الديلى ميل » هى أروج الجرائد اليومية فانه يباع منها كل يوم ما يقرب من مليونى نسخة . ويقدر ربحها السنوى بأكثر من مليون جنيه . وقد بلغ مجموع المبالغ التى دفعتها لقرائها المؤمنين بشرائها كل يوم — كما ذكرنا — ١٤٠٠٠٠٠ جنيه . وهى تتقاضى عن نشر الاعلان على صفحتها الاولى نحو ١٤٠٠ جنيه للمرة الواحدة . ويمكن مطابعها ان تطبع ٥٧٦٠٠٠ نسخة ذات ٢٤ صفحة فى الساعة الواحدة

تلك أرقام بليغة ولا شك ... على أن هذه الجريدة قد أدت لانجلترا خدمات جليلة فى أوقات مختلفة . نكتفى الآن من ذلك بذكر الحملات الجريئة التى حملتها على الوزارة الانجليزية فى أوائل الحرب العالمية ، ولا سيما وزارة الحربية وعلى رأسها إذ ذاك لورد كتشنر . فقد بينت تقصير الوزارة فى تموين الجيش الانجليزى بالذخيرة اللازمة له ، واستعملت للوصول الى غرضها لهجة شديدة أغضبت فريقا كبيراً من الشعب حتى انهم جمعوا أعدادها يوماً واحرقوها علناً فى شوارع لندن ، ولكن « الديلى ميل » لم تلبث ان فازت فيما رمت اليه إذ تنبه الرأى العام الى حقيقة الحالة واضطرت الحكومة الى انشاء وزارة خاصة للتموين على رأسها لويد جورج

☆☆

لقد توسعت فى الكلام على « الديلى ميل » لان انشاءها يعد بحق حجر الزاوية فى التقدم الصحفى الحديث ولانها اليوم بلا جدال أروج الصحف الانجليزية — ان لم تقل صحف العالم . وقد اقتفى خطواتها جرائد أخرى ونهجت منهجها ونالت قسطا غير يسير من الرواج ، وفى مقدمتها جريدة « الديلى اكسبريس » التى نهض بها لورد بيفر بروك نهوضاً جريئا وهى اليوم أكبر منافس « للديلى ميل »

على ان الرواج ليس يدل دائما على مكانة الجريدة ، فان التيمس — التى قال نابليون انه يحسب لمقالاتها حسابا لايقل عن حسابه للجيوش والفيالق — تطبع اقل من ٢٠٠٠٠٠ نسخة كل يوم . فهى تعد اليوم كما كانت تعد وقتئذ مؤسسة قومية لاجريدة كغيرها من الجرائد . ومثلها جريدة الطان الفرنسية فانها لاتطبع مائة الف نسخة فى حين ان الجرائد الشعبية كالبتى باريزيان والجورنال تتعدى المليون

المستقبل

قلنا إنه حدث فى انجلترا فى أواخر القرن الماضى انقلاب فى الصحافة الانجليزية تقدمت على أثره تقدماً عظيما . وكان لهذا الانقلاب سببان : الاول ، أن تعميم التعليم الالزامى كان قد نشر فى الجمهور الميل إلى المطالعة . والثانى ، أنه ظهرت وقتئذ طائفة من الصحفيين النابغين — وفى مقدمتهم لورد نورثكليف — نفثوا فى الصحافة روحاً جديداً جعلها طلية جذابة وكانت من قبل جافة مملة

وزاد انتشار الصحف من جراء ذلك الانقلاب زيادة عظيمة . فبعد أن كانت أكبر الصحف تطبع بضع عشرات من الالوف ترى الآن « الديلى ميل » — وليدة نبوغ لورد نورثكليف — تطبع نحو مليونى نسخة كل يوم كما تقدم . ولقد قيل إن الشعب الانجليزى أصبح « شعب قراء صحف ومجلات » أى أن هذه الصفة كادت تكون أبرز صفاته

أما فى مصر فما نزال متخلفين ، ولكن صحافتنا مع ذلك قد قطعت مرحلة كبيرة وتقدمت تقدماً يبشر بمستقبل حسن . ففى سنة ١٩١٤ لم يزد ما كانت تطبعه صحفنا اليومية عن بضعة آلاف من النسخ . أما اليوم فبعض الصحف والمجلات يصل إلى ثلاثين الفاً . وهذه الزيادة ستطرد بطبيعة الحال

أجل إن الاقبال على صحافتنا لا بد أن يزيد بالتدريج . وهذه الزيادة ترجع إلى مثل السببين اللذين أحدثا الزيادة فى انجلترا وهما :

أولا — انتشار التعليم

ثانياً — تقدم الصحافة فى سبيل الاتقان والطلاوة

أما التعليم فأمره معلوم ففى كل سنة تخرج المدارس جيشاً من القراء يزداد عدداً مع مرور السنين وانتشار التعليم الالزامى . فاذا كانت هذه حال صحافتنا ونسبة المتعلمين فينا نحو ١٠ ٪ فمن السهل أن تتصور ما تكون عليه حين تصبح هذه النسبة ١٠٠ ٪ كما هو منظور باذن الله

وأما تقدم الصحافة فى سبيل الاتقان والطلاوة فلا شك أن بيننا الآن فئة من الصحفيين تشبعوا بروح الصحافة الحديثة وعرفوا وسائل النجاح الصحفى . على أننا ما نزال بعد فى أول هذا الميدان واليكم البيان :

إن الصحافة عندنا تكاد تكون مرادفة للادب. فالصحفى والاديب هما فى الغالب شخص واحد . على أن المشاهد الآن فى جميع الاقطار الغربية هو التمييز بين هاتين الصفتين ، فالاديب قد يكون إلى جانب أدبه صحفياً أو قد لا يكون ، إذ لا يبرح من الذهن أن الادب فى جوهره فن والاديب فنان يعبر بقلمه عما يختلج فى صدره بقطع النظر عن أى اعتبار آخر . أما الصحافة فحرفة والصحفى محترف تقيده اعتبارات كثيرة

الصحافة إذن حرفة . . . وهي بلا ريب أكثر الحرف تشعباً فلها اتصالات وثيقة بالادب وبالسياسة وبالعمران وبالتجارة وبالصناعة وبكل دوائر الحياة الاجتماعية ، ولا بد لمن يتولى إدارة الصحيفة اليوم أن يكون ملماً بجميع أوجه عمله - يجب أن يكون واسع الاطلاع ، ويجب أن يجيد الكتابة ، ويجب أن يكون مديراً حازماً ، ويجب أن يحيط بفن النشر والاعلان ، ويجب أن يكون على علم بالطباعة وطرقها الحديثة الخ . . .

بهذه النظرة يجب أن ننظر إلى الصحافة . وهذا هو فى اعتقادى سبيل تطورنا القادم . وكما قلدنا الصحافة الغربية فيما مضى فاننا سنقتفى خطواتها فى المستقبل . فلننظر إذن إلى الاتجاهات المختلفة التى تبدو للمتأمل فى الصحافة الغربية الحاضرة

الاركان الاربعة

ولتسهيل هذا البحث يحسن بنا أن ننظر اليه من أربع زوايا - فان الصحافة تقوم على اربعة أركان رئيسية : التحرير ، الادارة ، الاعلانات ، الطباعة

(١) فمن حيث التحرير لا شك أن الصحافة تتجه الى توسيع مدى الموضوعات التى تطرقها فبينا كانت الصحيفة فيما مضى تقتصر على بعض مقالات سياسية وأهم الاخبار والحوادث الجارية فان الصحيفة العصرية أصبحت كالسوق تجتمع فيها جميع الاصناف والالوان . ففيها ما يهم الرجل وفيها ما يهم المرأة والولد . وفيها مباحث عمرانية كما فيها صور ورسوم ، وفيها الى جانب ذلك رياضة وعلم وفن وأدب وفكاهة الخ . . .

فكأنها ترمى الى أن تنعكس على صفحاتها الحياة الاجتماعية فى جميع صورها . ولا شك ان ابن هذا العصر أوسع اطلاعاً من ابن الجيل الماضى وأكثر عناية بمختلف الموضوعات . ولئن كان آباؤنا أكثر تعمقاً فى بحثهم فقد كان مجالهم محصوراً ، فى حين اننا أبناء اليوم أميل منهم إلى التوسع وأقدر على الاهتمام بالمسائل المتشعبة المختلفة

على أنه مع تعدد الموضوعات التى تطرقها الصحف فلا شك أن مهمتها الاولى رواية الاخبار . واسمها الانجليزى ينم عن ذلك News-Paper بل قد ذهب البعض الى أن كلمة « نيوز » News مشتقة من الاحرف الاولى للاتجاهات الاربعة وهي الشمال North والشرق East والغرب West والجنوب South . ومهما يكن من ذلك فلا ريب أن معظم اهتمام الصحف منصب على جمع الاخبار من جميع الميادين وبأسرع الطرق ، وهذا هو — على ما نعتقد — الاتجاه الذى ستتجه اليه صحافتنا فانها سوف تزداد اهتماماً بجلب الاخبار وعناية بطريقة سردها فى أسلوب جذاب

وليس من السهل أن نحدد ماهية « الخبر » الذى له قيمة فى نظر الصحفى العصرى . وقد يكون الخبر من الاخبار شأن فى حد ذاته ، ولكنه لا يلفت نظر القارىء العادى . وعلى الاجمال فان قيمة الخبر تقاس بنسبة لفته للانظار . وقد قال أحد كبار الصحفيين لمخبرى جريدته على سبيل التمثيل الفكاهى :

« ابحثوا عن الخبر الخارج عن المألوف ، فانه إذا عض كلب إنساناً فليس هذا بخبر لانه عادى . أما إذا عض إنسان كلباً فهذا هو الخبر ذو الشأن »

على أنه ليس يكفى أن يكون الخبر مهماً إذ يجب أيضاً صوغه فى أسلوب جذاب . وهذا فن قائم بذاته . فالاسلوب الصحفى أصبح ذا قواعد تجب مراعاتها ، وليس هذا مجال الافاضة فى هذا الموضوع وسأتناوله بشىء من التفصيل فى محاضرة اخرى

بقى أمر ترتيب الصحيفة وتبويبها وتنظيم موادها واقسامها ، وهذا ايضاً فن له اخصائيون فى جرائد اوربا ، ولعل صحفنا لا تمنحه الآن ما يستحق من العناية وان تكن قد خطت فى هذا السبيل خطوات كبيرة

وبالجملة فان مهمة المحرر مهمة شاقة اذ عليه ان يحرز كل يوم انتصاراً على السآمة ، وقد اصبح القارىء سريع الملل كثير التعنت ، ولا بد من التجديد المستمر فى الاسلوب وفى الموضوع لكى يواظب على مطالعة الجريدة

(٢) هذا من حيث التحرير ويجب الآن ان نتكلم عن الركن الثانى الذى تقوم عليه الصحافة — نعنى الادارة . واذا قلنا الادارة وجب ان نقول اولا كلمة عن الاساس المالى الذى تعتمد عليه

الصحافة . فان الصحف الكبرى فى العالم اصبحت شركات مالية قوية ونفقاتها فى بعض الاحيان تضاهى نفقات المصالح الكبيرة ولا بد من تدبير امورها بطرق اقتصادية مجدية

لست أعنى ان الصحيفة عمل تجارى كسائر الاعمال التجارية — كلا فان لها وظيفة اجتماعية سامية يجب ان تؤديها ، ولكنها لايمكنها أن تقوم بأعباء هذه الوظيفة على أحسن وجه الا بتوطيد مركزها المالى

ولماذا ؟ لان الجريدة متى توطدت ماليتها أمكنها ان تكون مستقلة فى آرائها وأحكامها ، وأمكنها ان تنتقد ما ترى وجوب انتقاده ، وأمكنها ان تصارح الحكومة والجمهور بما تقتضيه المصلحة العامة . أما الجريدة الضعيفة مالياً فانها تظل كالريشة فى مهب الريح تتجاذبها الاغراض وتلعب بها الاهواء

وكلكم سمع بلا ريب بالشركات الصحفية الكبيرة فى انجلترا ورؤسائها امثال لورد روذرمير (شقيق لورد نورثكليف) ولورد بيفر بروك . فالاول هو المسيطر على شركة « الديلى ميل » والثانى يسيطر على شركة « الديلى اكسبريس » . على ان الغريب مع ذلك ان لكل منهما أسهماً فى شركة الآخر بل كل منهما يعد اكبر مساهم مع زميله . وهكذا ترى صاحبى هاتين الجريدتين اللتين تتنافسان كل يوم وتتسابقان فى ميدان العمل الصحفى لايحول تنافسهما وتسابقهما دون الاتفاق والتفاهم ، بل قد اقام كل منهما الدليل على ثقته بعمل الآخر وتقديره له

ونحن قد شهدنا تطوراً محسوساً فى صحافتنا من هذا القبيل فقد أنشئت عدة شركات لاصدار الصحف ولكن ما يزال مداها محدوداً حتى الآن ، ولا بد أن نسير فى هذا الطريق وتتألف بيننا الشركات لاصدار الجرائد على منوال ما يجرى فى الغرب

ثم ان ادارة الجريدة الآن ذات فروع عدة تحتاج الى حسن التدبير ودقة النظام مما تحتاج اليه كل مصلحة كبيرة ، ولا يتسع المجال هنا للافاضة فى ذلك وانما نقول اجمالا ان ادارات الصحف فى مصر لاتجرى دائماً على احدث الطرق واجدى الاساليب

(٣) ننتقل الآن الى الركن الثالث — وهو الاعلانات . فان هذا القسم قد أصبح اليوم عظيم الاهمية ، لان عليه قوام الربح . فالنسخة من الجريدة تكلف اليوم أكثر من الثمن الذى تباع به للقارىء وانما تعوض الخسارة بفضل الاعلانات

وقد حسبوا أن البيع والاشتراك فى الجرائد الكبرى فى الغرب لا يأتيان إلا بثلث الدخل والثلثان الآخران من الاعلانات

ويخطىء من يعتقد أن الاعلانات تطغى على مادة الجريدة وتحرم القارىء مما له حق فيه .

والواقع أنه لولا الاعلانات لما استطاعت الجرائد أن تقدم ما تقدمه الآن بهذا الثمن الزهيد . أضف الى ذلك أن الاعلانات نفسها كثيراً ما تفيد القارىء وترشده الى ما فيه مصلحته

لقد أصبح الاعلان فناً حديثاً عظيم الشأن ، ولا بد أن يتسع مجاله عندنا أسوة بأوربا واميركا . فنحن ما نزال أطفالا فى هذا المضمار

ومتى أتقنا هذا الفن وأحطنا بأسراره وعرفنا كيف نطبقه على صحافتنا وكيف نستغله الى الحد الاقصى فحينئذ تصبح جرائدنا ومجلاتنا أحسن مما هى عليه الآن وأكثر فائدة وأرفع مكانة وأقدر على تأدية مهمتها من جميع الوجوه

(٤) بقي الركن الاخير من أركان الصحافة وهو الركن الفنى . فالطباعة تتقدم كل يوم ونحن ما نزال متخلفين من هذا القبيل ــ أقول هذا برغم التقدم المحمود الذى بدا حديثاً فى صحافتنا

ولا يتسع هذا المجال للكلام على أنواع الطباعة وما يتصل بها من الفنون كالحفر والسبك والتصوير ، فهذا موضوع يحتاج الى محاضرة بل محاضرات ولقد بدت لى أوجه تقصيرنا على الخصوص اثر زيارتى لمعرض الصحافة فى كولونيا منذ بضع سنوات وطوافى بدور بعض الجرائد الكبرى فى المانيا وفرنسا وانجلترا . وأخص منها بالذكر دار الشتاين بقرب برلين ، فلقد بلغت هذه الدار حد الكمال من حيث النظام والترتيب والاتقان والاحاطة بجميع فروع الطباعة وأساليبها

ويتنبأ المراقبون لتطور الصحافة فى الغرب بأنها سوف تضاعف العناية بالشكل الخارجى وقد يصغر حجم الصحف وتصبح أشبه بالمجلات الكبرى منها بالصحف التى نعرفها ، كما أنه لن يطول انتظارنا حتى نرى الالوان قد زينت صفحات الجرائد اليومية وساعدت على اجتذاب القارىء وترويج فكره . وسوف يكون للفنانين شأن كبير فى ترتيب الصحف بحيث يخرج كل عدد وكأنه تحفة فنية جميلة المنظر سهلة التداول تسر العين كما تسر الذهن

☆☆☆

وخلاصة القول ان التفاعل مستمر بين الجرائد وقرائها فالجرائد تثقف القراء والقراء حين يتثقفون يرفعون مستوى الجرائد . وما تاريخ تقدم الصحافة الا تاريخ تقدم الذوق العام

والتطور القادم فى الصحافة سينشأ عن ارتفاع المستوى الذهنى ، فيصبح القراء متعنتين لا يرضيهم الا الجيد والمتقن . وقد قيل ان كل أمة تنال الصحافة التى تستحقها . فكما تكون الامة تكون صحافتها

اميل زيدان

العـودة

[زار الشاعر دار احباب له فوجدها
قد تغيرت حالها فنظم قصيدته التالية]

هذه الكعبة كنا طائفيها والمصلين صباحاً ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء

* * *

دار أحلامي وحبي لقيتنا في جمود مثلما تلقى الجديد
انكرتنا وهي كانت ان رأتنا يضحك النور الينا من بعيد

* * *

رفرف القلب بجنبي كالذبيح وأنا أهتف يا قلب اتئد
فيجيب الدمع والماضي الجريح لِمَ عدنا ؟ ليت انا لم نعد

* * *

لم عدنا أوَ لم نطو الغرام ؟ وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام وانتهينا لفراغ كالعدم

* * *

أيها الوكر اذا طار الأليف لا يرى الآخر معنى للسماء
ويرى الايام صفراً كالخريف نائحات كرياح الصحراء

* * *

آه مما صنع الدهر بنا أوَ هذا الطلل العابس أنتَ ؟
والخيال المطرق الرأس أنا شد ما بتنا على الضنك وبتّ

* * *

أين ناديك وأين السمر ؟ أين أهلوك بساطاً وندامى ؟
كلما أرسلتُ عيني تنظر وثب الدمع الى عينى وغاما

* * *

موطن الحسن ثوى فيه السأم وسرت أنفاسه في جوه
وأناخ الليل فيه وجثم وجرت أشباحه في بهوه

* * *

والبلى أبصرتُه رأى العيان ويداه تنسجان العنكبوت
صحت يا ويحك تبدو في مكان كل شيء فيه حي لا يموت

* * *

كل شيء من سرور وحزَن والليالي من بهيج وشجي
وأنا أسمع أقدام الزمن وخطى الوحدة فوق الدرج

* * *

ركني الحاني ومغناي الشفيق وظلال الخلد للعاني الطليح
علم الله لقد طال الطريق وأنا جئتك كيما أستريح

* * *

وعلى بابك ألقي جعبتي كغريب آب من وادي المحن
فيك كف الله عنى غربتي ورسا رحلي على أرض الوطن

* * *

وطني أنت ولكنى طريد أبديُّ النفي في عالم بؤسي
فاذا عدت فللنجوى أعود ثم أمضي بعد ما أفرغ كأسي

دكتور

ابراهيم ناجي

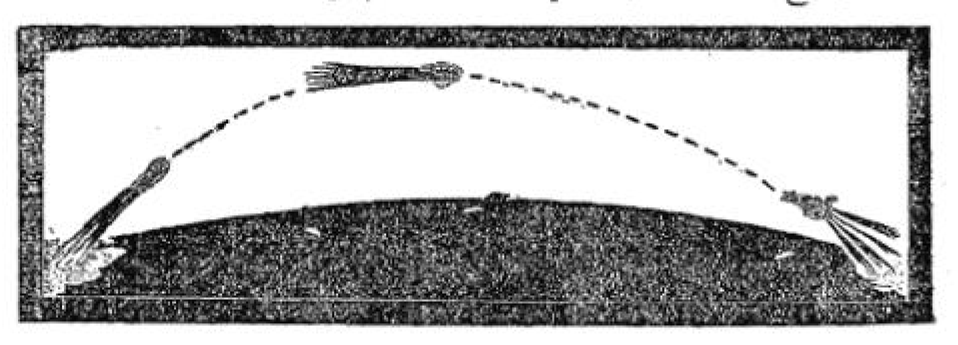
نظرية القذيفة الجوية

وهل يمكن تحقيقها علميا

الانتقال من برلين الى نيويورك في ثلاث ثوان ، والطيران بسرعة ٢٤ الف كيلومتر في الساعة ! هذا ما يؤكد العلماء ومخترعو القذائف الجوية امكان حدوثه . ولكن هل يحتمل الانسان قوة هذا الاندفاع ؟ تلك هي المشكلة التي يسعون اليوم لحلها والتغلب عليها

تدل التجارب العلمية التي يقوم بها العلماء الالمان وغيرهم في الوقت الحاضر على ان تحقيق القذيفة الجوية ممكن غير متعذر ، وانه سوف يجيء وقت تستطيع فيه هذه القذيفة قطع المسافة بين برلين ونيويورك مثلا - وهي لا تقل عن ستة آلاف كيلومتر - في نحو ثلاث ثوان من الزمن ! وقد يبدو هذا الكلام لغوا في أول الامر ، ولكن اذا شرحنا هذا القول ظهرت صحته

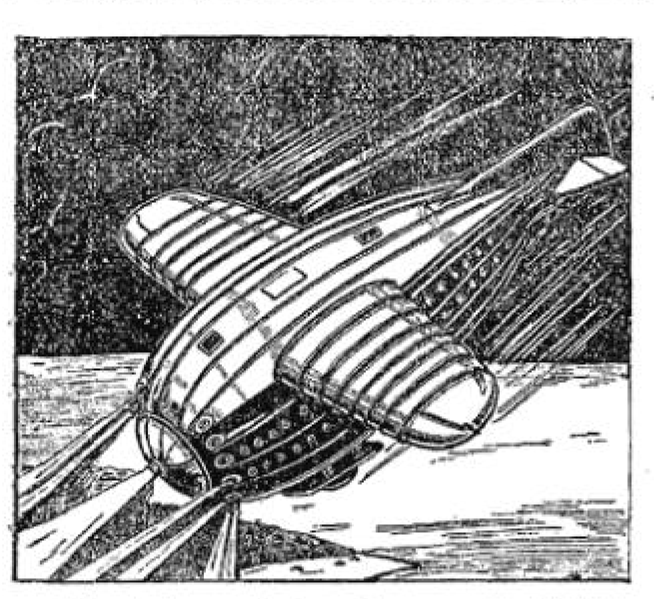
وقد جرى لأحد مراسلي الصحف الاميركية ببرلين حديث مع الأستاذ كوشباخ العالم الالماني المشهور والمعتبر اليوم في طليعة الذين هم ثقة في شؤون الطيران فأكد الأستاذ للصحافي أنه سوف يجيء يوم - وهو قريب - يستطيع فيه المرء أن يطير في الجو بقذيفة طيارة تندفع بسرعة الألوف من الأميال في الساعة على ارتفاع بضع مئات من الأميال فوق سطح الارض . ولما كان الاستاذ كوشباخ من العلماء الاثبات الذين لا يلقون الكلام على عواهنه رأى الصحافي الاميركي



القذيفة الجوية تنطلق من احد أنحاء الكرة الارضية (الى اليسار) فتسير في أفاق الجو بقوة الانفجارات المتتالية حتى اذا اقتربت من غرضها نشرت جناحيها وشرعت تطلق الانفجارات من مقدمتها لتقلل من سرعتها وتهبط على الارض سالمة

أن يستطلع منه كنه الحقيقة .
واليك خلاصة ما قال هذا العالم

قد يدهش المرء متى قيل له ان القذيفة الجوية ستقطع المسافة فى المستقبل بين برلين ونيويورك فى نحو ثلاث ثوان من الزمن ولكن ليس فى هذا القول ما يدعو إلى الدهشة فاننا إذا تذكرنا وضع المدينتين الجغرافى علمنا ان الفرق بينهما فى الزمن هو ست ساعات . فالساعة التاسعة صباحا فى برلين هى الساعة الثالثة صباحا فى نيويورك . فاذا فرضنا ان طيارة تستطيع قطع المسافة بين برلين ونيويورك فى ست ساعات فقط وانها غادرت برلين فى الساعة التاسعة صباحا فانها تصل إلى نيويورك فى الساعة التاسعة صباحا تماماً ! . . .



القذيفة الجوية تقترب من الارض وقد نشرت جناحيها وانطلقت من مقدمتها الانفجارات المتتالية لتخفف سرعتها وتعمل عمل « الفرامل » في السيارات

تبلغ المسافة بين برلين ونيويورك نحو ٣٧٥٠ ميلا أو نحو ستة آلاف كيلومتر ، فاذا فرضنا أن قذيفة جوية اندفعت فى أعالى طبقات الجو على ارتفاع بضع مئات من الاميال فوق سطح الارض ففى امكانها أن تندفع فى الفضاء بسرعة مائتين وخمسين ميلا (نحو اربعمائة كيلومتر) فى الدقيقة أو بسرعة ٢٤ الف كيلومتر فى الساعة . وقذيفة كهذه تستطيع قطع المسافة بين برلين ونيويورك فى خمس عشرة دقيقة فقط ! . . .

على ان هنالك صعاباً تحول دون اتمام الرحلة كلها بمتوسط سرعة واحدة . فقد تبدأ القذيفة اندفاعها ببطء ثم تزداد سرعتها بالتدريج حتى تبلغ نحو مائتين وخمسين ميلا فى الدقيقة . ومتى دنت من غايتها اضطرت الى تخفيف سرعتها تخفيفاً تدريجياً لتتمكن من النزول على الارض بلا خطر . فترى من هذا أن معدل السرعة لا يمكن أن يظل واحداً فى أثناء الرحلة كلها

ومن المستحيل الشروع فى الطيران بسرعة عظيمة فقد يؤدى ذلك إلى هلاك الركاب كلهم دفعة واحدة . واذا ارتفعت القذيفة نحو ستمائة ميل او سبعمائة فوق سطح الأرض أمكنها الأندفاع بسرعة هائلة اذ ليس فى ذلك الأرتفاع هواء يقاوم اندفاع القذيفة . ولكن متى أخذت

فى الهبوط تدريجاً شعرت بمقاومة الهواء . وهذه المقاومة تشتد بالتدريج حتى تبلغ أشدها على مقربة من الأرض . واذا احتفظت بسرعتها وهى هابطة حتى تدنو من الارض فان احتكاكها بالهواء يحرقها بل يصهرها ويحولها بخاراً فى أقل من طرفة عين !...

واذا تذكرنا جميع هذه الاعتبارات جاز لنا أن نفرض أن القذيفة تصل من برلين الى نيويورك فى ست ساعات وبضع ثوان ولما كان الفرق فى الوقت بين المدينتين ست ساعات كما سبق القول فكأن القذيفة تصل من برلين الى نيويورك فى ثلاث ثوان فقط ! . . .

ولا يخفى أنه عندما تخرج القنبلة من فوهة المدفع تندفع بقوة هائلة حتى اذا مست هدفاً سحقته فى طرفة عين . فكيف يمكن أن نتصور قذيفة تندفع فى الجو بمثل تلك السرعة الهائلة ثم تحط على الارض من دون ان تسحق الشىء الذى تسقط عليه ومن دون أن تتحطم هى نفسها ؟

السؤال وجيه جداً وقد حسب مهندسو الطيارات حسابه وعليه يجب صنع القذيفة بحيث تسير وهى مندفعة فى أعالى الجو كما تسير قنبلة المدفع . ومتى بلغت أشد الارتفاع خرج من باطنها جناحان بحركة أوتوماتيكية وتوالت من مقدمها سلسلة انفجارات تفعل فى القذيفة فعل «الفرامل» وتساعدها على تخفيف سرعة اندفاعها . ومتى بدأت فى الهبوط الى منطقة الهواء خففت سرعتها بموالاة إحداث الانفجارات حتى اذا أصبحت على مقربة من سطح الكرة الارضية صارت سرعتها كسرعة الطيارات الاعتيادية ونزلت على الارض بهدوء .

* * *

ولابد من بناء القذيفة كلها من مادة معدنية على أن يكون هذا المعدن جامعاً لجميع الخواص اللازمة للطيارات . ويجب أن يكون داخل القذيفة غرفة حجمها صغير جداً بالنسبة الى حجم القذيفة ولكنها تسع عدة ركاب وأكياس بريد وخلافه . ويجب دفع هذه القذيفة عندما يراد تطييرها إما بمدفع خاص بها أو بطريقة أخرى يجب التفكير فيها، والا فانها لا تستطيع توليد قوة من تلقاء نفسها تساعدها على الاندفاع بمثل تلك السرعة الهائلة فى الجو . وقد يصنع لها شبه « طوبوجان » تتزحلق عليه نزولا بسرعة هائلة حتى إذا بلغت حضيضه اندفعت صعوداً فى الجهة الاخرى بقوة عظيمة . وفى الواقع ان بدء تطيير القذيفة أو دفعها فى الهواء هو مشكلة أعظم من مشكلة انزالها على الارض ، اذ لابد لها من قوة دافعة تزداد شدة وسرعة بالتدريج . والارجح أنها ستضطر إلى الاستعانة بأجنحتها فى أول الامر الى أن تبلغ ارتفاعاً معيناً فتطوى اجنحتها إذ ذاك وتندفع فى أعالى طبقات الجو بقوة الانفجارات المتوالية . وتظل على تلك الحال الى أن

تريد الهبوط فتدفع أجنحتها مرة أخرى بطريقة أوتوماتيكية ، كما سبق القول تخفيفاً لسرعة اندفاعها واستعداداً للدخول فى طبقات الهواء

* * *

ولنعد إلى بدء سفرة القذيفة فنقول : إنها كلما زاد ارتفاعها فى الجوزادت قوة اندفاعها بفضل الانفجارات المتوالية التى تحدثها . ومتى بلغت أشد درجات ارتفاعها فى منطقة « الستراتوسفير » بلغت أيضاً أقصى سرعتها وقوتها . وتدل المباحث التى قام بها العلماء على ان فى وسع الأنسان (وفى وسع الطيارات على اختلاف أنواعها أيضاً) احتمال سرعة عدة أميال فى الثانية الواحدة على ارتفاع نحو ستين ميلا فوق سطح البحر ، ولكن ليس فى وسعه احتمال مثل تلك السرعة على سطح الارض بسبب مقاومة الهواء فان هذه المقاومة تجعله يحترق هو وطيارته فى طرفة عين بل إنهما ينصهران ويتحولان بخاراً فى الحال . أما فى أعالى الجو حيث لاهواء أوحيث الهواء لطيف جداً فان هذا الخطر يزول ، وعليه فكلما ارتفعت القذيفة (أو الطيارة) فى الجو زادت سرعتها زيادة عظيمة

ومن السهل جداً ان تصل القذيفة الى ارتفاع اكثر من ستمائة ميل (نحو الف كيلومتر) فوق سطح الكرة الأرضية فليس فى ذلك صعوبة على الأطلاق وإنما الصعوبة هى النزول على الأرض . فاذا تم النزول بسرعة مائتين وخمسين ميلا فى الدقيقة (وهو متوسط سرعة القذيفة الذى افترضناه لها فى أعالى الجو) كان هبوطها أشبه بهبوط الشهب أو النجوم المذنبة فى منطقة الهواء المحيط بالكرة الأرضية إذ يتولد عن سرعتها وشدة مقاومة الهواء لها احتكاك شديد يلهبها ويصهرها كما سبق الشرح . فللتلافى هذا الخطر يجب أن تتوالى الأنفجارات من مقدمتها لأن هذه الانفجارات تتحكم فى سرعتها وتكون شبه « فرامل » لها « كفرامل » الاوتوموبيل . وتنهى سفرتها - كما بدأتها - بنشر أجنحتها كالطيارات الاعتيادية لتتمكن من النزول على الأرض بسلام

* * *

وهنالك فريق كبير من مهندسى الطيارات يقولون إن صنع قذيفة كهذه قد يكون ممكناً نظرياً ولكنه غير ممكن من الوجه العملى . وما أكثر مايتعذر تحقيق نظريات المخترعين . ولكن يجب ألا يعزب عن البال انه لما شرع المهندسون الميكانيكيون فى وضع الرسوم للسفن الجوية المسيرة وللطيارات على اختلاف انواعها كان العلماء كافة يقولون باستحالة صنع أى طيارة أثقل من الهواء . ومع ذلك تغلب العلم على الصعوبات ، وصرنا نرى الآن طيارات وسفناً جوية تسير على متن الرياح وهى أثقل بكثير من الهوا.

* * *

وليست القذيفة التى يحدثنا عنها الأستاذ كوشباخ هى القذيفة الوحيدة التى يحاول العلماء استنباطها فان هنالك عدة مخترعين فى انحاء العالم المختلفة يحاولون تحقيق هذا الحلم الجميل . وقد نجح بعضهم فى القيام بتجارب ممتعة بهذا الصدد فارسل احدهم قذيفته الى ارتفاع ستين ميلا فوق سطح الأرض ولما بلغت القذيفة ذلك الارتفاع اندفعت بسرعة هائلة وقطعت مائتى ميل فى أقل من دقيقتين من الزمن . ولو زاد ارتفاعها على ذلك الحد لبلغت سرعتها اضعاف ذلك

ومن المشاكل الجوية التى يسعى العلماء لحلها قبل اكمال صنع القذيفة التى نحن بصددها مسائل البرد فى أعالى الجو والاحتكاك وندرة الهواء وقوة الجاذبية وقوة المقاومة ومدى احتمال الاعصاب للسرعة وهلم جرا من الاعتبارات والعوامل التى لا يمكن اغفالها اذا أريد تحقيق فكرة القذيفة . ولعل تأثير الطيران فى الانسان بمثل تلك السرعة وعلى ذلك الارتفاع من الجو هو أهم الاعتبارات التى يجب درسها درساً تاماً . ومما يجدر بالذكر ان ماقد اكتسبه الطيارون من الاختبارات بالطيارات الاعتيادية ليس كبير النفع فى الطيران بالقذائف فالطيارات الاعتيادية تعتمد على « المحرك » الذى يكثف الهواء المحيط بالطيارة ويمكنها من العوم على متن ذلك الهواء والاندفاع عليه . ومن الأمور المشكوك فيها جداً أن يزيد ارتفاع الطيارات والسفن الجوية المعروفة على اختلاف انواعها على ستة عشر ميلا فوق سطح الأرض أو أن تجاوز سرعتها وهى طائرة فى الجو اربعمائة ميل (٦٤٠ كيلومترا) فى الساعة . أما القذيفة الجوية أو القذيفة الطيارة فاذا أريد منها تحقيق الفكرة المصنوعة من أجلها فلا بد لها من الارتفاع بضع مئات من الاميال فوق سطح الأرض حيث يمكن ان تبلغ سرعتها عدة الوف من الأميال فى الساعة الواحدة . .

ومن الضرورى ان تبدأ القذيفة اندفاعها بالتؤدة وأن تزداد سرعتها بالتدريج . والمشكلة العظمى فى هذه المرحلة من مراحل اندفاع القذيفة هى : هل يستطيع أى مخلوق بشرى أن يحتمل السرعة المتزايدة التى تؤثر فى الصدر والقلب والأعصاب تأثيراً قوياً . وهل فى امكانه أن يحتمل الصدمات المتوالية التى تحدث عن اختلاف سرعة الاندفاع ؟ فهذه مشكلة من المشاكل التى يتعين على العلماء حلها قبل القيام بأى تجربة بهذا الصدد

ومن كبار العلماء والمهندسين الذين يقومون اليوم بمباحث واسعة النطاق لحل مشكلة القذيفة الطيارة الاساتذة زيولوفسكى وجودارد واوبرت وونكلر وهيلاندث وتيللنج وغيرهم ممن يثقون ثقة تامة بقرب نجاح تجاربهم وتحقيق نظرية القذيفة الطيارة على مبدأ الانفجارات المتوالية

ومن الاغلاط الشائعة أنه يستحيل اندفاع الطيارة أو القذيفة فى أعالى الفضاء حيث لا يوجد هواء وحيث الفراغ تام . وهذا الغلط ناشىء عن الاعتقاد بأن القذيفة أو الطيارة التى تسير فى الجو يجب أن « تعوم » على متن الهواء فاذا لم يكن ثمة هواء يسندها أو يحملها فانها تسقط على

الارض . على أن نيوتن العالم الانجليزى المشهور أثبت منذ ٢٥٠ سنة أن القذيفة التى تدفع فى الهواء لا تعتمد على الهواء . ولا تحتاج اليه « لتعوم » أو تستقر على متنه بل هى تسير فيه بقوة الاندفاع والقوة التى فى باطنها . فالقنبلة التى تخرج من فوهة المدفع لا تحتاج الى الهواء « ليحملها » كما يحمل الماء السفينة ، ولا هى تستند اليه ، بل تخترق الفضاء بفضل القوة التى دفعتها والقوة التى تتولد فى باطنها . كذلك القذيفة الطيارة لن تعتمد على الهواء لكى يحملها بل ستخترق الجو أولا بالقوة الاصلية الدافعة لها ثم بالقوة التى تتولد فيها والتى تنشأ عن توالى الانفجارات منها وتدفق دقائق الغاز من مؤخرها . وعند حدوث الانفجار تتراجع القذيفة قليلا الى الوراء ثم تتقدم مرة أخرى وتستأنف اندفاعها

* * *

والمجال لا يتسع لوصف كل نوع من أنواع القذائف الجوية التى يحاول العلماء صنعها . فكل منها يمتاز بميزات خاصة لا توجد فى غيرها . وتتفق جميعها على السعى للوصول الى اعلى طبقات الفضاء والطيران بسرعة فائقة . ولعل أهم التجارب التى قد تمت حتى الآن بالقذائف الجوية هى التجربة التى قام بها الاستاذ ونكلر بقذيفته الخاصة فى أوائل السنة الماضية ثم اعاد التجربة فى ١٤ مارس سنة ١٩٣١ على نور الاختبارات التى اكتسبها من التجربة الاولى ، على أن هذا الاختراع ما يزال يحتاج الى اصلاحات كثيرة لكى يصبح عملياً

ومسألة المسائل فى هذا الاختراع هى : هل تستطيع المخلوقات البشرية ان تحتمل سرعة القذيفة الطيارة التى تزيد على ألوف الأميال فى الدقيقة ؟ وهل تستطيع أعصاب الأنسان وعضلات قلبه تحمل تلك التجربة القاسية ؟

المسألة مشكوك فيها لأول وهلة . ولكن يجب ألا يعزب عن البال أن الكرة الأرضية ـ والأنسان فوقها ـ تدور حول جرم الشمس بسرعة نحو سبعة وستين الف ميل فى الساعة . ومع ذلك لا يشعر الأنسان بهذه الحركة . ولو فرضنا أن الكرة الأرضية وقفت فجأة وبطلت حركتها فالأرجح أن كل شيء حى أو جماد عليها يتناثر فى الفضاء بقوة الأندفاع الأصلية ولا تستطيع قوة الجاذبية منعه من ذلك التطاير . واذا عادت الكرة فاستأنفت حركتها فالأرجح ان المخلوقات الحية التى فوق سطحها تهلك جميعها اذ لا تحتمل تلك السرعة الفجائية

* * *

هذه مشاكل يسعى مخترعو القذائف الجوية الى حلها والتغلب عليها والا فان الأمانى التى يعللون أنفسهم بها تظل خيالا فى خيال ويتعذر تحقيقها على وجه عملى

الخزف المصري الاسلامي

بحث ممتع عن انفس مجموعة من الخزف فى مصر

بقلم الاستاذ حسن الهوارى
الامين المساعد بدار الا ثار العربية

فى سنة ٥٦٤ هجرية (١١٦٨ ميلادية) شاخت الدولة الفاطمية بسبب تنازع الوزراء على الحكم واستنجد «شاور» بأمورى احد قواد الصليبيين ضد منازعه ومنافسه «ضرغام» فجاء امورى الى مصر وفتح بلبيس وزحف على القاهرة فراقت البلاد المصرية فى عينه وافتتن بحبها فود لو يستخلصها لنفسه فشعر شاور بذلك وآنس من نفسه الضعف وقلة الحول فعمد الى الحيلة لصد تيار ذلك الفاتح العاتى ورأى أن لا قدرة له على حماية القاهرة ومصر، وكانت مصر وقتئذ تشمل الفسطاط والعسكر والقطائع، فنادى المنادي بمصر: أن ارحلوا يا أهل المدن الزاهرة، ان «شاور» يريد تدميرها وتخريبها خوفاً من وقوعها فى يد الغاصبين الظالمين. فهلعت قلوب السكان وذعروا وفروا من دورهم يحملون ماخف حمله وغلا ثمنه، ونسى الاب ابنه والولد أباه واكتروا الخيل والبغال والحمير ليهربوا من مواطنهم العزيزة التى كتب عليها الحريق، ووجد الحمالون والحمارون فرصة سانحة ليرفعوا من أجور ركائبهم، وأخيراً خلت المدن الثلاث من أهلها ونعق عليها البوم والغربان، فارسل شاور زبانيته بالجحيم والنار وزودهم بعشرين الف قرة علوءة بالنفط وعشرة آلاف مشعل ألقوها على دور الفسطاط والعسكر والقطائع وحوانيتها وحماماتها ومصانعها فمكثت أربعة وخمسين يوما ترعى فيها النيران حتى تركتها خرابا يبابا

جاء صلاح الدين بعد ذلك بثلاث سنين وانقذ من دور المدن المتخربة ما أمكنه انقاذه وسورها بسور عظيم شمل الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة وحصنها

صحن من خزف ذي بريق ذهبي مزخرف بصورة قارب صغير كامل المعدات من مجاديف وأعلام تحوطه الاسماك سابحة في الماء، وهو من صناعة مصر في القرن الثالث الهجري على عهد الدولة الطولونية (القرن التاسع الميلادي)



قاع اناء من خزف ذي بريق ذهبي تتوسطه صورة انسان يعزف على آلة موسيقية وترية . وهو من صناعة الدولة الطولونية في القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي)

بالقلعة ، حتى بلغ طول السور ٢٥ كيلو مترا

وقد كان القائم على بنائه وزير صلاح الدين بهى الدين الخصى المشهور بقراقوش وقراقوش معنـــاه النسر الاسود وقد استخدم قراقوش فى بناء السور والقلعة أسرى الحرب واستعمل فيه الاحجار التى جلبها من الاهرام الممتدة من الجهة القبلية لاهرام الجيزة الى الهرم المدرج بسقارة

إلا أن الجزء الذى انقـذه صلاح الدين من الفسطاط والعسكر والقطائع لم يعد الى سابق عهـده من العز والعمار ، لان وجهاء القوم وسراتهم أخـذوا يشيدون قصورهم داخل مدينة القاهرة وخارجها بالجهة البحرية . ولم يأت عهد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الا وقد هجر السكان هذه المدن الدارسة . فاصدر الظاهر أمراً لجميع سكان القاهرة يبيح لهم أن يأخذوا ما يريدون من المنازل المتخربة بالفسطاط والعسكر والقطائع ويبنوا بها منازل جديدة على شاطىء النيل أو فى أى جهة أخرى . وهكذا عملت يد التخريب والتدمير فى البقية الباقية من دور الفسطاط والعسكر والقطائع .

وزاد الطين بلة ان اعتاد الاهالى القاء مخلفاتهم على هذه الاطلال البالية فاصبحت تلالا ممتدة من ساحل النيل الى سفح المقطم ، وصرنا لا نعرف من أمرها شيئاً . الى أن أتاح لها الله ذلك العالم الأثرى الخالد الذكر على بهجت بك فكشف جزءاً من مدينة الفسطاط يقرب من خمسين فداناً وكان من حسن الحظ أن عثر على جزء من سور صلاح الدين بجد الجزء المكتشف من الجهة الشرقية



قطعتان من الخزف ذي البريق الذهبي على العليا صورة المسيح عليه السلام وعلى الثانية ثلاثة أشخاص كتب فوق أوسطها اسم ابو طالب — من صناعة الدولة الفاطمية فى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)

وكان من نتائج الحفر ان حفلت دار الآثار العربية بمجموعات قيمة من الخزف والفخار والخشب والشبهان والنحاس والرخام والزجاج ، سدت فراغاً عظيما كان يأسف له المشتغلون بالآثار العربية . وانفس هذه المجموعات هى مجموعة الخزف التى أعدت لها قاعة خاصة بدار الآثار العربية رتبت فيها على حسب فصائلها وتواريخها ترتيباً حسنا . ويرجع عهدها من بعد الفتح الاسلامى لمصر الى خضوع مصر للاتراك . وقد بدأ المرحوم بهجت بك وضع مؤلف عنها صدر فى مائة وثلاث وأربعين لوحة مزين بعضها بالالوان الطبيعية . وأخذ بعد ذلك يحضر المتن اللازم



كأس وقدر من خزف مزين بزخارف محفورة ومرسوم بالمينا من صناعة مصر في القرن الخامس الهجري
(القرن الحادي عشر الميلادي)

لهذا المؤلف العظيم بالاشتراك مع المسيو ماسول أحد الفنانين الفرنسيين فى صناعة الخزف ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يتم طبع هذا المتن . فرأى جناب الاستاذ العلامة المسيو جاستون فييت أن يتم طبعه ، وقد صدر حديثا بين مؤلفات الدار مزودا بلوحات عددها خمس وثمانون لوحة . وفى سنة ١٩٢٨ ميلادية درس أحد الاساتذة البلجيكيين المسيو أبل نوعا من الخزف المصرى الاسلامى يرجع عهده الى القرن الرابع عشر الميلادى عليه اسم أحد الصناع المدعو غبى ووضع عنه مؤلفا أصدرته الدار ضمن مؤلفاتها

اذا تصفحنا كتب الآثار الاسلامية لا نجد غير هذين الكتابين بهما بحث مستفيض عن الخزف الاسلامى المصرى ، اللهم إلا مؤلف الدكتور فوكيه الذى يعد اقدم ما ظهر من هذا النوع ومؤلف المستر بتلر ولكنه شمل أنواعا عديدة من الخزف والقاشانى واحتوى على كثير من الآراء غير الممحصة

وقد كان من حسن حظى ان اطلعت على أغلب هذه المؤلفات واحتككت بكثير من مؤلفيها وساجلتهم الرأى فى انفس القطع التى عثر عن اطلال الفسطاط ، يكتبون فى هذا الموضوع خبرة . وانا نرى أن نبين نتيجة تسد فراغاً

قرص من القاشانى من صناعة مصر باسم السلطان قايتباي المتوفى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) كتابته بيضاء على أرضية زرقاء

نظرياتهم، وشاهدت عليها اثناء الكشف وساعدت كثيرا ممن كانوا فاكسبناهم معرفة واكتسبنا ابحاثنا عليها تأتى بفائدة أو

***

الخزف من أقدم المصنوعات التى يحتاج اليها الانسان وتكاد تكون عريقة فى القدم كالانسان الاول . وقد دلت الابحاث الاثرية على أن الشعوب فى فجر مدنيتها كانت تفكر دائما فى صنع الخزف ، كيف لا وهو ألزم مايكون للانسان ، فكما يحتاج الى مسكن يقيه من حر الشمس وقر البرد وملبس يستر به عورته كان يحتاج الى آنية يضع فيها الشراب والغذاء اللذين يسد بهما رمقه ، وأسهل مادة يصنع منها هذه الاوانى هى الصلصال المحروق (الفخار) وكان كلما تدرج فى مدارج المدنية يعمل على تقديم هذه الصناعة وترقيتها فاخترع مواد زجاجية يطلى بها الفخار ليسد مسامه ويجعلها انيقة نظيفة حرية بان تحوى طعامه وشرابه . ولم يكتف باختراع هذه المادة التى سد بها مسام الفخار بل رأى ان يزوق الاوانى والصحون والقدور بانواع الرسوم والتصاوير المختلفة الالوان قبل أن يكسوها بتلك المادة الزجاجية التى تسميها بالمينا . وهكذا اصبحت الاوانى الخزفية بعد ان كانت من الحاجات الضرورية أصبحت تحفا نفيسة تزين بها الدور والقصور والمعابد والهياكل والمساجد ، وأصبح القوم الآن فى انحاء العالم يتنافسون فى اقتناء العريق فى القدم منها ويبذلون المبالغ الطائلة فى سبيل ذلك ، وأصبح لبعض الطرف الفنية من الصلصال شهرة عالمية ستبقى لها مابقى العالم

وانا فى كلمتنا هذه سنبين الانواع المختلفة للخزف الاسلامى فى مصر ومميزات كل نوع وتأثير العصور المختلفة فى هذه الصناعة التى تعتبر بحق مرآة صادقة لتطور المدنية الاسلامية فى مصر

***

المواضع الذي ذكر فيها الخزف في كتب التاريخ

وقبل أن نتكلم على صناعة الخزف وانواعه المختلفة سنذكر بعض فقرات ذكرها مؤرخو مصر فى العصر الاسلامى لمناسبات خاصة عن الاوانى الصينية والخزفية مما يبرهن على رواج هذه الصناعة وانتشارها فى مصر. وهذه المصادر ذكرها بهجت بك فى كتابة مترجمة الى الفرنسية وقد راجعنا على نصوصها العربية الاصلية

أولا ـ أقدم نص نعرفه خاص بالخزف الاسلامى فى مصر هو ماذكره المقريزى فى احدى فقراته عند ماتكلم على الدولة الطولونية (بالأسف لم يذكر بهجت بك الصفحة) ومن ذلك استدل على ان صناعة الخزف الاسلامى المصرى كانت معروفة على عهد الدولة الطولونية أى فى النصف الثانى للقرن الثالث الهجرى

ثانياً ـ ذكر ابن اياس عند ماتكلم على ماوجد فى تركة القائد جوهر مايأتى : « ووجد عنده عشرة آلاف زبدية صينى وبللور وفضة (١) ونحن هنا أمام تاريخ ثابت فان جوهراً القائد توفى فى ٢٣ ذى القعدة سنة ٣٨١ هـ

ثالثاً ـ وعند ماتكلم المقريزى على وفاة الاميرة ست الملك أخت الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمى فى جمادى الثانية سنة ٤٢٥ هـ قال : « وكان من جملة موجودها نيف وثلاثون زيراً صينياً مملوءاً جميعها مسكا مسحوقا » (٢)

رابعاً ـ وذكر المقريزى ـ عندما تكلم على قطع الخليج استعمال الخزف الدقيق حيث قال : « وكان ما تقدم من الزبادى فى الطيافير من الصينى الى آخر أيام الافضل بن أمير الجيوش (٣) ووفاة الامير الافضل كانت فى سنة ٥١٥ هـ.

خامساً ـ عندما تكلم ابن ميسر فى كتابه اخبار مصر على ما وجد فى دار الافضل بن أمير الجيوش قال : « ... وسبعمائة طبق فضة وذهب ومن الآلات كالاسطال والصحاف

اناء من فخار مطلى بالميناء الصفراء ومزين من الداخل والخارج بكتابة نسخية صفراء منقوشة تحت طبقة من الميناء والكتابة باسم أحد مماليك السلطان الملك الناصر بن قلاوون المتوفى سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤١ م)

---

(١) ابن اياس : ج ١ س ٥١ ط ١٥ (٢) المقريزى : ج ١ س ٤٥٨ ط ٧ ـ ٨

(٣) المقريزي : ج ١ س ٤٧٢ ط ٢٤ ـ ٢٥

والثريات والاباريق والقدور والزبادى والقطع من الذهب والفضة المختلفة الاجناس ما لا يحصى كثرة ومن برانى الصينى الكبار المملوءة بالجوهر ... » (١)

سادساً ـ عند مارثى عمارة اليمنى الفواطم قال ضمن القصيدة بيتا نصه :

« ولا حملتم قرى الاضياف من سعة الـ أطباق الا على الاكتاف والعجل » (٢)

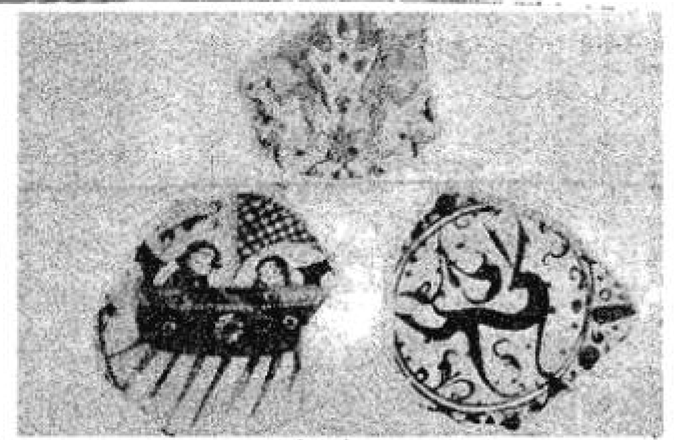
سابعاً ـ وما ذكره المقريزى ـ ويعتبر كانه حكاية من حكايات الف ليلة وليلة ـ عند ما تكلم على سماط عيد الفطر فى الدولة الفاطمية ، وانى أرى أن أنقل ماقاله المقريزى بنصه وفصه حتى اذا ماكان فيه مبالغة أو محاباة لجاه الفاطميين لا أتحمل تبعته ، قال بعد ان تكلم عن صلاة الخليفة للعيد :



شبابيك قلل من فخار خال من الميناء تذكرنا زخارفها المصنوعة بدقة فائقة باطرزة الدنتلا وقد رسم على الشباك الاوسط طاوس ناشر ذيله بعجب وخيلاء . أما الاربعة الأخرى فزينة بزخارف هندسية وعلى واحد منها كتابة كوفية مشجرة

« انهم يخلون قاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك (أي للخليفة) قدام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها أواني الفضيات والذهبيات والصيني الحاوية للاطعمة الخاصة الفائحة الطيب الشهية من غير خضروات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة الطبية النافعة . ثم ينصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالته ويعرف بالمحول طول القاعة ، وهو اليوم الباب الذى يدخل منه اليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم ، والسماط خشب مدهون مثل الدكك اللاطية فيصير من جمه للاواني سماطاً عالياً في ذلك الطول وبعرض عشرة أذرع فيفرش فوق ذلك الازهار ويرص

(١) ابن ميسر : اخبار مصر ص ٥٨ ط ٧ ـ ٩ (٢) المقريزي : جـ ١ ص ٤٩٦ ط ٣



قطع من الخزف مزينة برسوم ملونة تحت طبقة من الميناء من صناعة القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى)

الخبز على حافتيه سواميذ كل واحد ثلاثة أرطال من نقي الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها بريق ويحسن منظرها ، ويعمر داخل هذا السماط على طوله بأحد وعشرين طبقا في كل طبق احد وعشرون ثنأ سميناً مشويا ، وفي كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائراً فيبقى طائلا مستطيلا فيكون كقامة الرجل الطويل ويسور بشرائح الحلواء اليابسة ويزين بالوانها المصبغة ، ثم يسد خلل تلك الاطباق بالصحون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفائقة من الحلواء المائعة والطباهجة المفتقة ، والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تناهز عدة الصحون المذكورة خمسمائة صحن ، ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه ، فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التي في عمامتها السمة ويلبس سواها من خزائن الكسوات الخاصة التي قدمنا ذكرها ، وقد عمل بدار الفطرة قصران من الحلوى في كل واحد سبعة عشر قنطارا وحلا ، فنهما واحد يمضي به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب ، والآخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان أول السماط وآخره ، وهما شكل مليح مدهونان باوراق الذهب وفيهما شخوص نائة كأنها مسبوكة في قوالب لوحا لوحا ، فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذي على المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين ثم يستدعي الوزير فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعي الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه فيأكل من أراد من غير التزام فان في الحاضرين من لا يعتقد الفطر في ذلك اليوم فيستولى على ذلك المعمول الآكلون وينقل الى دار أرباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط فقط فيعم أهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب وافر »

واني أرى فى ذلك الدليل الكافى على رواج صناعة الخزف فى العهد الاسلامى فى مصر وسأبين الآن الانواع المختلفة للخزف الاسلامى المصرى

والذى أمكن حتى الآن ترتيبه وجعله تحت أبواب مفصلة خمسة انواع من الخزف كان لها الانتشار العظيم فى مصر من عهد الدولة الطولونية الى دولتى المماليك البحرية والشراكسة

وهذه الانواع الخمسة هي

أولا - الخزف ذو البريق الذهبي (من قبيل الدولة الطولونية الى آخر الدولة الفاطمية)

ثانياً - الخزف المزين بالالوان والمموه بالمينا (معاصر للنوع الاول وباق الى آخر الدولة الايوبية)

ثالثا - الخزف المزين بالحفر والمكسو بطبقة من المينا وهو مختلف الألوان (معاصر للنوع الثانى)
رابعاً - الخزف العادى مزين بالالوان يغلب عليها الازرق والأبيض وعموه بالمينا (انتشر فى عهد الدولة الايوبية ودولتى المماليك البحرية والشراكسة)
خامساً - الفخار الاحمر المطلى بالمينا (معاصر للنوع الرابع)

وغير هذه الاقسام الخمسة الفخار العارى عن المينا وانفس الطرف التى اتخذت من هذه المادة هى القلل الفخار وقد بقى لنا ملايين من رقابها المحلاة بالشبابيك المختلفة الرسوم الشبيهة بالدنتلا والتى لا يكاد يوجد فيها اثنان متشابهان. بقى بعد ذلك القاشانى وهو عبارة عن الواح وترابيع من الخزف المدهون تستعمل فى تغطية الجدران وسمى قاشانى نسبة الى بلدة قاشان احدى بلاد فارس التى انتشرت فيها صناعة هذا النوع من الخزف. وقد جاءت صناعة القاشانى فى مصر متأخرة يرجع ذلك الى ان اصحاب العمارات فى مصر كانوا يرجحون اتخاذ التغطية من الرخام المختلف الالوان لكثرته فى مصر اوفيما جاورها من البلدان. وكان هذا النوع من القسيفساء يوافق ذوقهم الصناعى فكسوا جدران المساجد والدور وفرشوا أرضياتها بهذا النوع من القسيفساء الجميل الذى كان له شأن عظيم فى عهد دولتى المماليك البحرية والشراكسة

الآن وقد انتهينا من التقسيم النظرى سننتقل الى الشرح العملى مع الصور لنمتع انظارنا ببهاء وحسن رونق الزخرف الاسلامى الذى تجلى بأبهى مظاهره فى منتجات العقول الجبارة لاجدادنا الذين كانوا حقبة من الدهر نبراس المدنية ومنار الحضارة العالمية

حسن محمد الهوارى



قطعتان من الخزف مزينتان بزخارف بالالوان تحت طبقة من المينا، من صناعة مصر في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادى)

هل تجب الصراحة في المسائل الجنسية ؟

أصبحت للمسائل الجنسية في الايام التي اعقبت الحرب العظمى أهمية كبيرة عند الاكثرين . وقد ساعد على ذلك ان بعض الكتاب والباحثين أفرطوا في عرض آرائهم بمختلف الطرق . ولما كانت هذه المسائل في مقدمة ما يؤثر في الاخلاق العامة واتجاه الافراد ومستقبلهم ، فقد استطلعنا بشأنها رأي ثلاثة من مفكرينا يمثلون وجهات نظر مختلفة

رأي الدكتور ابراهيم ناجي

طبيب مصلحة السكة الحديدية

> يكفينا في مصر بعض الارشاد في مسألة الزواج الكامل اما في مسألة الامراض التناسلية فالصراحة واجبة دون حياء أو خجل أو ضعف

« الغريزة الجنسية أقوى الغرائز على الاطلاق ، بهذه القوة خلقها الله ، لتضمن اتصال الذكر بالانثى ، وليستكمل العمران ويزدهر . ولكن العجيب فيها أنها علة العلل ، فاننا نظل طيلة حياتنا نضع الحواجز فى سبيل سيلها الطاغى — أو بلغة علم النفس — نظل نكبحها ونكظمها

« ومن العجيب أيضاً أن نتيجة هذا الكبح تختلف ، فحيناً علة مستعصية ، وخصوصاً فى المرأة ومن هنا نفهم سبب الهستيريا والزار وما الى ذلك . وحيناً تحويل لتلك الغريزة الى مجرى آخر أو ما يسمى بلغة علم النفس « التسامى » فان دانتى أحب بياتريس مثلا ، وعانى فى حبها ما عانى ، وكانت غريزة الجنس الجبارة تعمل عملها الصامت ، فماذا يصنع دانتى المسكين ؟ لا يجد حيلة الا أن يكتب فيها الشعر . ومن ذلك نفهم أن الشعر هو تسام بالغريزة الغاشمة الطاغية !

« فالغريزة الجنسية كما ترى هامة بالغة الاثر فى حياتنا وحياة المجتمع . فلسنا نضيع الوقت فى درسها عبثاً . و « فرويد » الذى قضى حياته يستقصى ويدقق فى هذا البحث ألقى نوراً جديداً على ناحية ظلت غامضة أحقاباً طويلة وفتح فتحاً لا فى علم النفس فقط ، بل فى الادب ايضاً . فثلا فى الادب الانجليزى نرى الرواية فى العصر الفكتورى يطبعها طابع الحياء والخوف . فاذا جاء ذكر الحب كما فى روايات « دكنز » مثلا ، وجدنا المؤلف يخشى أن يزيد الموقف عن النظر والكلام والشكوى ،

حتى جاء « هاردى » و « مرديث » ، فتميز أدبهما بالجرأة فى المسألة الجنسية ، واستهدف هاردى فى بعض رواياته لنقد مرير ، لانه طرق هذا الموضوع على غير ما يألف الناس . وأول من رفع علم الصراحة الجنسية فى الادب الاوربى هو جيته ، ولذلك أكرم ذكراه القرن العشرون ، وبالغ فى إكرامه ؛

« على أن النقطة الهامة هي هذه : هل نحن فى جيلنا الحاضر فى حاجة إلى الصراحة الجنسية ؛ ألسنا نلاحظ أن الفتى والفتاة أصبحا يفهمان عن المسألة الجنسية كل شيء تقريباً ؟

« هذا هو الواقع ، ولكن الذى نخشاه أنهما يفهمان أشياء كثيرة على غير حقيقتها . وأغلب الظن أنهما تلقناها عن الجهال ، أو من الكتب المتداولة التجارية التى لا تطرق من الموضوع الا ما تجده مروجاً للكتاب ، أو مستحثاً رغبة القارىء ولذته لا فائدته !

« فاذن تحددت مسألة الصراحة الجنسية وأصبحنا نقول ان الواجب علينا أن نطرق فى غير حياء ولا خجل المسائل التى نعتقد أنها يجب أن تفهم فهماً كاملا صحيحاً . فالمسألة هي:

(١) الزواج الكامل (٢) الامراض التناسلية

«الزواج الكامل : العلم به يشمل تشريح الاعضاء التناسلية ، وهيجين هذه الاعضاء ، والعلاقة بين الذكر والانثى ، واستدامة الحب بينهما . وهذا يتضمن أن يعرف الذكر والانثى كل منهما شيئاً من بسيكولوجية الآخر . فان الرجل مثلا لا يحسن معاشرة المرأة حتى يلم بعض الالمام بخلقها ونفسيتها وطبيعتها ، اذ هي تختلف كثيراً عن نفسية الرجل وطبيعته

« وانى لأتساءل : هل « مارى ستوبس » والدكتور « فان فلد » فى كتاب الزواج الكامل لم يتطرفا فى الصراحة الجنسية ؟ كلا المؤلفين طبيب عالم قتل بحثه تدقيقاً وفهماً ، ولكن الواقع أننا فى مصر لسنا مستعدين لمثل هذه الصراحة الخارقة ، ويكفينا بعض ارشاد يقوم به الاب والام فى منزلها والمدرس فى مدرسته والاطباء بواسطة المحاضرات

«الامراض التناسلية : فى هذا الباب لا حياء ولا خجل ولا ضعف ، يجب أن نطرقه طرقاً عنيفاً ، فان ضحايا جهل هذه الامراض يعدون بالالوف

« أليس من المحزن أن يصاب الرجل بالسيلان مثلا فيجهله أولا ، ثم يعرفه ثم يمضى الى الطبيب فما تكاد الاعراض الحادة تزول حتى يعتقد أنه شفى ، فيمضى ليتزوج ويدخل على عروسه الناضرة نضارة الورد ، فيلقحها بالميكروب الملعون فتقضى حياتها شهيدة هذا الداء ! !

« وقل مثل هذا فى الزهرى الشنيع !

« فلنكن جريئين اذن ، ويجب أن نقف معلمين للشعب ، ذاكرين له مدى هذه الامراض وشناعتها ، وتأثيرها فى الصحة العامة وفى النسل

« لنكن جريئين فقد أخرنا الحياء الكاذب والجبن والنفاق الجنسى ! »

❊ ❊ ❊

رأي الدكتور محمد زكي شافعي

السكرتير الفني لمصلحة الصحة

انها لجريمة ان نحبس عن المتزوجين والمتزوجات ومن هم على وشك الزواج سبب ما يكابدونه من نورستانيا وهستريا وقعود عن تلبية نداء الجنس للجنس

« إنى أقول بحرمان الذين لم ينضجوا عقلا وعاطفة من الاطلاع على مشا كل العلاقات الجنسية وأسرار الحقائق التناسلية . فالشاب الذى تطغى غريزته الجنسية على عقله ، تضره الصراحة فى الشئون الجنسية أيما ضرر ، وتؤذيه أبلغ الاذى . وإذا تمادينا فى إيقافه على دخيلة الامور التناسلية لفتنا باله عن السير فى الطريق الطبيعي وشغلنا وقته بما يؤخره عن الدرس والتحصيل ، وهو الجدير بأن يتأهب للمستقبل ويتخذ لحرب الحياة عدتها

« لذلك ألح فى أن تمسك الصحف اليومية والاسبوعية عن الخوض فى الكلام عن الشذوذ الجنسى وآلام الحب وعقبى الغرام . وأنا أعلم أن المجتمع لن يبرأ من عوامل السوء ولن يتطهر من إغراء الفتيان والفتيات وتلقيح عواطفهم بسموم خلقية هى شر من المخدرات . أعلم هذا واعترف به ، لكنى لا أتردد لحظة فى المصارحة بأننا نزيد الداء برحا ونساعد على تأصل العلة ، اذا أفرطنا فى قول كل شىء عن العلاقات الجنسية ، لاسيما الشاذ المنحرف منها عن طبيعته

« نعم إن الرغبة الجنسية يجب إرضاؤها مثل الرغبة فى الطعام والشراب والتنفس ، ومثل الرغبة فى الحركة ، فغض النظر عن الرغبة الجنسية وإنكارها وإرهاقها بالقيود والاعنات يفضى الى نتائج وخيمة تماثل فى شرورها وفداحتها ترك العنان لها والمبالغة فى ارضائها . غير أنه يجمل بنا ملاحظة ان الرغبة الجنسية لا تنضج قبل سن البلوغ — فى الثامنة عشرة أو السادسة عشرة . وهذه الرغبة شىء والحب السليم المعافى شىء آخر ، فقد ترضى رغبتك الجنسية ويبقى الغرام متأججاً ، وقد تموت الرغبة الجنسية ويظل الحب زاكياً مزدهراً

« فواجبنا هو توجيه الرغبة الجنسية نحو غايات ثلاث :

« الاولى — الحياة الجنسية السليمة

« الثانية — اليوجونية ، وهى عملية اختيار يراد بها تحسين النسل وترقيته

« الثالثة — علاج الامراض والالتواءات والشذوذ مما قد يصيب الحياة الجنسية ويفسد علاقاتها ويجعلها جحيما لا يطاق

« لاشك عند أحد فى أن الغريزة الجنسية وما يستتبعها وينجم عنها كانت وما تزال وستبقى المحور الذى يدور عليه المجتمع والمعين الذى تفيض منه الثقافات . إلا انى أعود فأقول إن الغريزة التى لم ترتفع عن الاغراض البهيمية فتصير حباً تسامت فيه الرغبات واستمات الميول ــ إن هذه الغريزة اذا تركت وشأنها تعود بالمجتمع القهقرى وترميه بأمراض اجتماعية وأخرى جسمانية وعقلية ، تقفه عن التقدم وقد تدهوره وتمزقه إرباً . وهو ما نشاهده فى الامم الهمجية ، وما ابتليت به الامبراطوريات الغابرة كالامبراطورية الرومانية والامبراطورية البيزنطية

« من أجل ذلك أقترح جعل المسائل التناسلية ضمن برنامج مدارس المعلمين والمعلمات ، على شرط أن يتولى تدريسها إخصائيون فى علم التناسليات ليكون المدرسون على بينة مما يجب الافضاء به الى التلاميذ والتلميذات من الحقائق الجنسية وما يتحتم عليهم تجنبه وزجر التلاميذ عنه وإرشادهم بصدده . كل هذا يبثونه فى قالب مشوق وعبارات تومىء من بعيد الى السعادة المنشودة فى الحياة التناسلية . وكأنى بهؤلاء الاساتذة يقومون بوظيفة البوليس الخلقى الذى يحافظ على صيانة الرغبات التناسلية من التلوث ويوجه برفق غريزة الناشئين الجنسية

« فاذا انتسب الطلبة الى الكليات والمدارس العالية ، أعطيناهم قدراً طيباً من المعلومات التناسلية ، فى صورة محاضرات يلقيها إخصائيون . ثم لا بأس من أن تفيض المجلات الشهرية فى بحوث كهذه تعالج الشذوذ الجنسى بأنواعه الغريبة والضعف الذى رمى الجهاز التناسلى بالوهن . وانها لجريمة أن نحبس عن المتزوجين والمتزوجات ومن هم على وشك الزواج سبب مايكابدونه من نورستانيا وهستيريا وقعود عن تلبية نداء الجنس للجنس والانحراف عن السبيل السوى الذى رسمته الطبيعة . فكم من حوادث انتحار مردها الى علة تناسلية دفينة ، وكم من طلاق مرجعه الاصلى الى مرض جنسى ، وكم من غرام محرم سببه شذوذ فى التكوين والمزاج والميول ! ! فهذا الفريق لا مندوحة لنا عن مصارحته لا سيما ونحن نملك العلاج بفضل تقدم علم التناسليات والشئون الجنسية

« هذا من جهة الفرد ومن جهة الزواج ، أما جهة الامة فانه من المسائل الجوهرية التذرع بالصراحة التامة فى الشئون الجنسية ، ذلك أننا أصبحنا نلمس الاسباب الحقيقية لعلل اجتماعية خطيرة ونعرف أنها جنسية وتناسلية أولا وأخيراً . وها نحن فى مصر قد شرعنا فى مكافحة الامراض السرية وبحث مشكلة البغاء . لكن هناك شئونا أخرى تمت الى الغريزة الجنسية والعلاقات التناسلية سيحين أوان طرحها على بساط البحث ومصارحة أولياء الامور بها ، والامور مرهونة بأوقاتها فلننتظر ولنتخذ العدة للسنين القادمة »

✡ ✡ ✡

رأي الدكتور عبد الحميد سعيد

رئيس جمعية الشبان المسلمين

من الخطأ المدمر نشر اية معلومات تناسلية على الجمهور ، فان مسائل التناسليات والمشاكل الجنسية من اختصاص فريق معين من الاطباء والعلماء ، فالمعلومات الناقصة تؤذي ولا تنفع

« الحب فى ذاته من الصفات العلوية . وقد أجاد شوقى بك حينما قال يشيد بالحب : « وبنى الكون عليه وعمر » وقد تأملت أحوال الحضارة الراهنة فاذا هي لا تلائم سعادة الحب بوجه عام ولا تصلح وكراً تشب فيه أفراخ الهوى وتكبر . ومن المحزن أنهم فى اوربا يبحثون عن الحب فلا يجدونه

« تكلمت عن الحب لان علم التناسليات يدور محوره على الحب السليم الذى يعيش فى كنفه الرجل والمرأة فى غبطة ورغد . وأصرح هنا بأن مسائل التناسليات والمشاكل الجنسية من اختصاص فريق معين من الاطباء والعلماء . ومن الخطأ المدمر نشر أية معلومات تناسلية على الجمهور ، فالمعلومات الناقصة تؤذى ولا تنفع

« وفى بلاد كبلادنا يؤدى اختلاط الجنسين لا الى الحب والتفاهم ، ولكن الى فوضى العواطف وفحش الميول . وغير صحيح ان تقدم الاوربيين يرجع الى سفور المرأة واشتراكها مع الرجل فى الاعمال ومنافستها له فى كسب الرزق . اذ الفضل فى تقدم اوربا عائد اولا واخيراً الى نهضة الفكر واطراد المخترعات . وقد قرأت تاريخ جميع رجالات الفكر والابتكار فلم أجد واحداً منهم استعان بالمرأة أو استلهما نظرية او اكتشافاً

« ان المسائل الجنسية والتناسليات تتناول اسراراً وتصف كثيراً من احوال الانحطاط والشذوذ والنبو عن المألوف وتلك شئون يؤدى انتشارها وذيوعها بين العامة الى كارثة اجتماعية وخلقية مؤكدة . وعلماء التناسليات يشخصون الداء ولا يصفون الدواء . وكتمان الحقائق عن الجمهور كان وما زال الطريقة لسياسة الشعوب وتدبير شئونها والسير بها الى معارج الرقى . فكيف بالله نذيع عليه وجوه النقص وضروب الشذوذ ونرجو له بعد ذلك استقامة وفلاحاً

« اننا شرقيون لنا عاداتنا وتقاليدنا الموروثة ولنا جونا ومناختنا واحوالنا الاجتماعية . ولا شك فى ان مزاجنا يختلف عن مزاج الغربيين . وقد جربنا عواقب تقليدهم فلنجرب الامتناع عن تقليدهم . وعلينا أن نفهم جيداً ان نقل العلم والمعرفة من بلد الى بلد يفيد فى رقيها وتقدمها . أما نقل النظم والعادات والتقاليد ففضلا عن انه يمحو الشخصية فانه يسوق الى الانحلال

« فمن رأيى ان تكف الصحف والمجلات ويكف الخطباء والمحاضرون عن الخوض فى المسائل التناسلية للاعتبارات التى قدمتها . والحكمة تقضى على الاقل بالتريث حتى يجمع الغربيون على رأى فيما يتعلق بالمصارحة فى تلك الشئون ، فقد وجدت الخلاف هناك حاداً واغلب الظن ان تحريم الخوض فيها سيتغلب فى النهاية »

المنفلوطى الشاعر

بحث وطرائف في طي الخفاء

كان المنفلوطي كاتبا عرفه الناس بآثاره النثرية المشهورة، ولكنه كان الى ذلك شاعراً ابتدأت حياته بالشعر قبل الكتابة ، بل كانت له حياة شاعرية مستقلة يجهلها الكثيرون ، ولا يعرفها الا اخصاؤه ممن عاشروه وخالطوه . ونحن اذا عرضنا لهذه الحياة فانما نعرض لشيء خاف لا يعلمه الناس أو يعلمون عنه القليل

ابتدأ المنفلوطى حياته بنظم الشعر ، فابدع فيه منذ كان شاباً يافعاً ، وجرى على منوال شعراء ذلك العصر من مديح الخديو السابق ، فنظم فى مدحه عدة قصائد نشر منها جانباً فى « جريدة العمدة » التى كانت تصدر فى مصر منذ خمسة وثلاثين عاماً ، ومنها قصيدة رفعها لسموه وهو تلميذ بالازهر الشريف ، قال فى مطلعها :

اشهرن فينا ظبا الحاظها السود   فى غير ثأر عيون الخرد الغيد

ومنها :

وخادعتنا اقال الله عثرتها   حوراء مشرقة اللبات والجيد
ادنت مسامرتى حتى اذا بلغت   غالت حياتى ، وفاتتنى بمجلود
أكلما أقضيك الوصل واحربا   جعلت حصنك اخلاف المواعيد

ومنها يخاطب الجواد :

إن أنت ياطرف سابقت الرياح وقا   بلت الهضاب بقلب غير رعديد
وكنت خــلا وفياً لى تقاسمنى   عزماً بعزم جرىء القلب مجهود
حمدت غب السرى فى مرتع رغب   وغصن عيش مديد الظل أملود
وصرت منى محــل الاهل منزلة   وصرت مكتسياً سربال محسود
فسربنا وادرع درع التبصر وا-   تقر الموامى على أين وتحريد
متى أرانى برأس التين مقصدى الا   سمى أهنى مليك العصر بالعيد
عباس بسام صعب الملتقى جذل   يوم الوغى والقرى والبأس والجود

ومنها يهزأ بالمتعصبين :

يرقى ذرى منبر التذكير عالمهم   فنجتلى منهما عوداً على عود

وقد قال هــذه القصيدة وعمره لا يتجاوز تسعة عشر عاماً . وهى اذا قورنت بسنه تعد من

أحسن ما يقوله أمثاله ، وتدل على ما كان له في صغره من سليقة مؤاتية وقريحة خصبة مالبثت حتى انبثق منها هذا النبوغ الفياض

على أن أول قصيدة قالها كانت غزلية لم ينشرها في جريدة أو كتاب ، وابتدأها بقوله :

أردنا سؤال الدار عمن تحملوا ... فلم ندر من فرط البكا كيف نسأل
وهاج لنا الذكرى معاهد أصبحت ... تعيث صباً فيها وتعبث شمأل

وقد نظم في هذه السن قصيدة طويلة ضمنها كتاباً ، وجعلها بامضاء « عدو الاحتلال » وندد فيها بالمحتلين وعرض فيها بمصطفى باشا فهمي ، فقامت الدنيا ، وأخذوا يبحثون عن ناظمها ، ولكنهم لم يهتدوا اليه . وكان مطلع هذه القصيدة :

ألا راية للعدل في مصر تخفق ... لعل مساعي دولة الظلم تخفق
ألا صدمة للجور توقف سيره ... فيجبر ذاك الكسر والفتق يرتق

ثم نظم قصيدة في سن العشرين مدح بها السلطان عبد الحميد وقال فيها :

غردت فوق غصنها الأملود ... فاستثارت هوى الفؤاد العميد
ذات طوق تقلدت بحلاه ... فوق نحر وذات عقد بجيد
كتمت وجهها زماناً فلما ... عرفوها تسترت بالعقود
كدت انسى تلك العهود ولكن ... ذكرتني وما نسيت عهودي
ذكرتني أيام طوى وانسي ... بمهاة لمياء لمياء رود
ظبية تأسر الاسود وكان الـ ... ـمعهد ان الظباء أسرى الاسود

ومنها يصف السلطان :

من له في الورى كعثمان جد ... وأب ماجد كعبد المجيد
واحداً في علاه فرداً ولكن ... جمع الله فيه كل الوجود

وقد كان رحمه الله ككل وطني يحب بلاده ويمقت المحتلين ، ولكنه لما فتح كتشنر السودان بالجيش المصري اكبر هذا العمل الجليل ، وأبت شاعريته الا ان يسجل هذا النصر بقصيدة من شعره فنظم قصيدة بامضاء مستعار قال فيها :

أرى المجد في حد الحسام المصمم ... وسير العلى إثر الخميس العرمرم
ومن جعل التدبير في الحرب همه ... أذلت اليه كل دهياء صيلم
طغت أمم السودان طوع غرورها ... فمن منجد في الغي منها ومتهم
وأعيا على بأس الرجال انقيادها ... وعاش زمانا سيفها لم يثلم
فلما دهاها بأس كتشنر عنت ... اليه وأضحت مثل نهب مقسم

ومنها :

تطالعه شم الجبال فيرتقى ذراها واجواز الفلاة فيرتمى
فاعمل تلك البيض في الدود فاكتسوا جميعاً بروداً قانيات من الدم

وقد حمل الشيخ احمد مفتاح على هذه القصيدة بالنسبة لوجهتها السياسية دون أن يعلم أنها لصديقه السيد مصطفى المنفلوطى

وفى احدى السنوات نقص نهر النيل ولم يوف كعادته ، فاقام صاحب مجلة الجامعة مباراة شعرية فى استعطاف النيل ، وعمل جائزة لمن ينظم أحسن قصيدة فى هذا الموضوع ، وكانت الجائزة كتاب الالياذة تأليف هوميروس وترجمة البستانى ، ففاز بالاولية فى هذه المباراة السيد مصطفى المنفلوطى ، وكان مطلع قصيدته :

فديتك من حسناء تجنى وتعتب ونبذل جهداً فى رضاها وتغضب

ولما اطلع رحمه الله على رواية « بولس وفرجينى » التى ترجمها فرح افندى انطون باختصار هاجه ما فيها من مواقف مؤثرة فنظم فيها قصيدة بليغة ثم ترجم الرواية كلها ونشرها باسم « الفضيلة » وألحق بآخرها قصيدة مطلعها :

يا بنى القفر سلاماً عاطراً من بنى الدنيا عليكم وثناء

وله فى حوادث العصر الذى سبق النهضة الاخيرة كثير من القصائد ، ولا سيما فى مدح الخديو السابق . ثم اتصل بعد ذلك بالشيخ محمد عبده ، وابتدأ يمدحه بجملة قصائد . وقد نظم أول قصيدة فيه قبل ان يتعرف به ونشرت فى مجلة الجامعة ، ثم سافر الشيخ محمد عبده عقب ذلك الى اوربا ، ولما عاد نظم فى مديحه قصيدة عصماء عرض فيها بحاسديه فقال :

سار يبارى النجم فى جده وعاد كالسيف الى غمده
رأى السرى والسهد مهر العلى فجد وارتاح الى سهده
فضجعة الراقد فى بيته كضجعة الميت فى لحده

وختمها بالبيت المشهور :

ما حيلة الحساد فى نعمة أسبغها الله على عبده

وفى هذا الوقت قال قصيدتين اخريين احداهما فى قصة السيدة اسماء ذات النطاقين مع ابنها عبد الله بن الزبير وقد خرج لقتال الحجاج ، فلما جاء ليودع أمه رأت عليه درعاً فارتاعت لذلك وقالت له : « ما عهدى بك يابن الزبير تدرع من الموت » فنضاها عنه وخرج لقتال الحجاج غير ملثم ولا مدرع ، وهذه القصيدة نشرت فى المطبوعة الاولى من الجزء الاول من النظرات

اما القصيدة الثانية فموضوعها مقتل الاميرين البلغاريين بيد الفوضويين وهى فى هذه المطبوعة

أيضاً . وقد نظم قصيدة أخرى فى « كلب » وهب له سيده مالا ليعيش منه . ونظم قصيدة غيرها فى « الاجتماع » مطلعها :

باصاحب القصر الذى شاده واستنفد المذخور من وجـده

وفيها تهكم بأهل البذخ والسرف . ثم عاد الى مدح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ومن ذلك قصيدته التى يقول فيها :

سقاها وحيا دارها وابل القطر وان أصبحت قفراء فى مهمه قفر
طواها البلى طى الشحيح رداءه وليس لما يطوى الجديدان من نشر
مسارح آساد ومأوى أراقم تجاور فى قيعانها الغيد بالجحر
لقد فعلت أيدى السوافى بنؤيها واحجارها ما يفعل الدهر بالحر
وقفت بها فى وحشة الليل وقفة أثار شجاها كامن الوجد فى صدرى
فانشأت أبكى والاسى يتبع الاسى الى أن رأيت الصخر يبكى الى الصخر

وكان فى هذا الوقت ما وقع من توتر العلائق بين الخديو السابق والاستاذ الامام بسبب معارضته فى ابدال أطيان من الأوقاف باخرى من أطيان الخديو ، لان فى ذلك خسارة لوزارة الاوقاف . وكان الشيخ محمد عبده وقتئذ عضواً فى مجلسها الاعلى فغضب عليه الخديو السابق ، وأخذت بعض الصحف تحمل عليه وتحركها أصابع بعض المقربين من الخديو حتى ان المرحوم السيد مصطفى المنفلوطى سأل الاستاذ الامام يوماً فقال له : « أما كان الاولى ـــ خدمة للازهر وما تقوم به من اصلاح ـــ أن تكون انت والخديو على وفاق ؟ » فقال الاستاذ الامام : « لا يمكن ان نتفق مادام طماعاً ، وما دمت أبياً » ولذلك لمح المنفلوطى الى هذا التنافر فى تلك القصيدة فقال :

فكم بين مجد الدين والعلم والتقى وبين القصور الشم والعسكر المجر

وبعد نظمه هذه القصيدة بسنة سافر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الى أوربا ، ولما عاد نظم قصيدة بائية فى تهنئته بالعودة ، وصادف ان حافظ بك ابرهيم نظم قصيدة بهـذه المناسبة ، فاتفقت قصيدتاهما فى الوزن والقافية وكلاهما لم يتقابل مع الآخر قبل نظمه قصيدته . وقد نشرت القصيدتان فى يوم واحد فى جريدة المؤيد ، فتفوق المنفلوطى فى قصيدته ، وتضاءل حافظ ابرهيم

وقد كان من تشيعه للشيخ محمد عبده ما حفزه على ذم الخديو السابق حتى قال فيـه قصيدته المشهورة التى مطلعها :

قـدوم ولكن لا أقول سعيد وعود ولكن لا أقول حميد

وكان من جراء ذلك ان قبض عليه وحوكم وسجن ستة أشهر . ولما عاد الوئام بين الخديو والاستاذ الامام سعى له الاستاذ هو وابرهيم بك المويلحى لدى الجناب الخديو فى العفو عنه ، فاجيب

رجاؤها وصدرت الارادة السنية برد حقوقه اليه ، وكان ذلك فى رمضان حوالى سنة ١٩٠٤ . فنظم قصيدة هنأ الخديو السابق فيها بقدوم العيد وشكره على عفوه عنه فقال :

العيد أقبل باسم الثغر ومناه ان تحيا مدى الدهر

ومنها :

والوفد يتلو الوفد مستبقاً أم العطاش مواقع القطر
وعفوت عن عفو مقتدر والذنب فوق العفو والغفر

وله غير هذه القصائد مالو جمع لكان ديواناً كاملا نذكر منها قصيدة «صوت الفقير» وقد نشرها فى المجلد ١٧ من «الهلال» على ان من هذه القصائد ما اندثر كما اندثر شرحه لمقصورة ابن دريد ، ورواية البعث التى ضاعت بعد وفاته أو سرقت

ولا ننسى هنا تلك الابيات البليغة التى قرظ بها ديوان حافظ بك ابرهيم ، وهى :

أما كفى السيف حتى جرد القلما يوماً يريق مداداً أو يريق دما
فالموت ان أسر الهيجاء مقتحما والسحر إن نثر الآيات او نظما
رب القوافى الذى تأبى قريحته الا ابتداعاً ولا يرضى بما علما
كأن تلك المعانى فى قوالبها راح وكأس يضل اللب بينهما
هى العقود اضلتهم محاسنها عن كنهها فدعوها ضلة كلما

وهذه الابيات يعرفها كل من اطلع على الجزء الاول من ديوان حافظ ابرهيم . وبمناسبة ما يعرف للمنفلوطى ومالا يعرف نقول إنه رحمه الله نشر عدة مقالات فى جريدة الصاعقة لصاحبها الاستاذ احمد فؤاد ، ومنها مقالة بعنوان «حاجة المرء الى السماجة» وبين فيها كيف يحتاج الانسان لنجاحه فى الحياة الى السماجة ، وقد نشرها بلا امضاء . ومن الطريف أن نذكر أن الاستاذ احمد فؤاد كان اذا طلب من السيد مصطفى ان يكتب مقالة فى جريدته وامتنع السيد عن كتابتها لا يجد الاستاذ فؤاد وسيلة الى حمله على الكتابة إلا أن يحلف انه اذا لم يكتب المقالة التى يريدها ليكتبن هو مقالة بقلمه وينشرها باسم السيد مصطفى ، فما يكاد يسمع ذلك حتى يسرع الى كتابة المقالة المطلوبة

وبعدفهذه حياة المنفلوطى الشاعرية استوعبنا منها ما أمكن استيعابه وأزحنا الرماد عن كثيرمن نواحيها ، ووضعنا بين يدى القارىء كثيراً من أشعاره . وله الحكم فى قوتها أو ضعفها . ولكنا لا نخاله يبخس هذا الجانب من حياة هذا الاديب الكبير الذى عاش فى طوريه شاعراً له جولات بليغة . ووثبات بارعة . وان كان أقدر على نثر شعره سطوراً ، منه على نظمه قوافى وبحوراً

طاهر الطناحي

نظام الطبقات

التفاوت بين البشر ضروري للعمران

من عادة الناس أن يتبرموا بما يرونه من التفاوت فيما بينهم من ضروب الظلم الذي تعانيه بعض الفئات بسبب فساد نظام الاجتماع . على ان هذا النظام غير مسؤول عن ذلك التفاوت — فضلا عن ان علم الاجتماع يؤكد لنا ان التفاوت ضروري للعمران

هل رأيت أحداً من الناس لا ينقم على الزمان ولا يلوم نظام الاجتماع لأنه — على زعمه — يرفع الوضيع ويخفض الرفيع ، وينزل جميع أصناف البؤس ببعض الجماعات حالة كونه يحسن الى غيرها ؟ فالزمان والاجتماع فى نظر سواد الناس ملومان لأنهما يقومان على الهوى والتحيز لا على الانصاف . فاذا أصاب المرء سوء فالزمان عدوه . واذا أصابه خير فلأنه أهل للخير . وقلما يسلم بأن حكم الاجتماع عادل مهما يكن فيه من قسوة وشدة ومهما يشف عن التفرقة فى معاملة النـاس . وفى الواقع ان هذه التفرقة لازمة للمخلوقات الحية كما سيتضح فيما بعد . ولولاها لم يبق أى فرق بين الجماد والحياة واقضى على كل مظهر من مظاهر النشاط الذى هو من أدل دلائل الحياة

يطلب الاشتراكيون تعميم المساواة بين الناس بطرق يطول شرحها . ويعتقدون أن تحقيق تلك المساواة أمر ممكن ، وانه اذا تحققت وتساوى الناس فى حقوقهم وواجباتهم وأحوال معايشهم أصبح هذا العالم فردوساً وأصبحت الحياة نعيما دائما

فاما المساواة فى الحقوق والواجبات فامر واجب من وجه العدل . ولـكن تحقيق تلك المساواة — حتى فى حدود القانون — متعذر من الوجهة العملية . وعلى فرض امكان تحقيقها فان ذلك لا يزيل التفاوت بين الناس لان لهذا التفاوت أسباباً يطول بنا شرحها ، منها ما هو خاص ومنها ما هو عام ، اضف الى ذلك ان الحكمة الازلية التى قضت بوجوب المساواة فى الحقوق والواجبات هي نفسها التى قضت بوجوب التفرقة فى امور الناس ومعايشهم وسائر احوالهم ، ولو شاءت لجعلت الناس كلهم أمة واحدة

وفى الواقع أن التفاوت بين افراد الناس وطبقاتهم قد فرض عليهم فرضاً وهو لخيرهم ومصلحتهم بوجه الاجمال ، وان لم يكن فى مصلحة بعض الافراد . ووجوه نفعه للاجتماع كثيرة أهمها :

(أولا) تحقيق ناموس بقاء الاصلح

(ثانياً) إستثارة نشاط الانسان

(ثالثاً) ضمان فكرة الجمال

(رابعاً) منع الملل
(خامساً) ضمان مبدأ توزيع العمل

(١) تحقيق ناموس بقاء الاصلح

ولا حاجة الى القول إنه لولا وجود التفاوت بين الافراد والجماعات ما كان ثمة أي معنى لناموس بقاء الاصلح ، ووجود هذا الناموس لا بد منه مع وجود التفاوت إذ لولاه لفازت الكثرة على القلة ، والكثرة في جميع الكائنات الحية هي للطبقات السفلى . ولذلك كان من مصلحة الاجتماع أن يكون ثمة ناموس عام لبقاء الاصلح حتى لا تكون السيادة لما هو — أو لمن هو — غير صالح للبقاء

وقد يلوح للمفكر اول وهلة أن الناموس المذكور قائم على الظلم لانه يضحي بالفرد من أجل الجماعة وبالضعيف من أجل القوي . ولكن اذا تأملنا في هذا الناموس بعين الفيلسوف ونظرنا اليه من وجهة مصلحة الجمهور رأينا أنه ناموس حكيم من وضع مدبر عاقل . ولولاه لفسد نظام الكون وانهار بناؤه . والتضحية في مقدمة الشروط التي تشترطها الطبيعة على المخلوقات الحية ولا تقوم الحياة قائمة بدونها . فمصلحة الفرد يجب ان يضحى بها في سبيل مصلحة الجمهور ، ومصلحة الضعيف يجب اهمالها في سبيل مصلحة القوي . واذا كان في ذلك شيء من الظلم في الظاهر فلان الخير العام يجب تقديمه على الخير الخاص . أليس الجندي يبذل حياته في سبيل وطنه ؟ أليست الام تضحي براحتها وهنائها في سبيل تربية ولدها ؟ بل أليست بعض الكائنات الحية السفلى — كالعقرب مثلا — تندفع الى الهلاك في سبيل تخليد نوعها ؟

فالتضحية اذن شرط أساسي من شروط بقاء المخلوقات الحية . وحبة الحنطة اذا لم تقع الى الارض وتدفن لا تنمو . ومن العبث أن نقول ان ناموس بقاء الاصلح — الذي يشترط التضحية — ليس ناموساً عادلا ، إذ ليس من العدل أن يسود على العالم من لا يصلح للبقاء ، وليس من العدل ان يتغلب الضعيف — بفضل كثرته — على القوي . وما دام الجهاد قائماً بين الأحياء ، وما دام الصراع لازماً للبقاء فلا بد من ناموس أو نظام يضمن مصلحة الجماعة ويضحي في سبيلها — إذا لزمت التضحية — بمصلحة الفرد

ورب معترض يقول ان ناموس بقاء الاصلح انما وجد لوجود التفاوت بين الافراد والجماعات ، وهذا صحيح ، ولكن التفاوت لا بد منه ولولاه ما وجدت الكائنات ولا الحياة . ولو كان العالم كله — وجميع ما عليه — مادة واحدة متجانسة لا فرق بين اجزائها أو دقائقها ما كان ثمة وجود للحياة على الاطلاق لان ظهور الحياة في حد ذاته يوجد تفاوتاً — هو التفاوت بين الجماد والحياة . ومتى بدأ التفاوت فلا بد ان يستمر حتى يتسع نطاق النبوغ ويعم كل شيء في هذه الحياة . وهذا التنوع ضروري لمنع الملل كما سترى فيما بعد

(٢) استثارة نشاط الانسان

وللتفاوت فضل آخر على الاجتماع وهو أنه يستثير نشاط الانسان ويوقد جذوة عزيمته . لانه متى أدرك أن التفاوت لابد منه فى الحياة ، وأن الطبيعة انما تعمل على استبقاء الاصلح واهلاك من لايصلح للبقاء ، لم تبق له مندوحة عن العمل وبذل الجهد فى سبيل البقاء ، وبعبارة أخرى ـ ان ناموس بقاء الاصلح يلوح للانسان بالجزاء الذى لابد أن يلقاه ان هو شحذ سيف همته وشمر عن ساعد الجد . والارض انما يرثها من يبذلون فى سبيلها النفس والنفيس . وقديماً قيل : « من طلب العلى سهر الليالى » . ولا حاجة الى القول ان النشاط مظهر من مظاهر الحياة . وليت شعرى ما الذى يمكن أن يحمل الانسان على النشاط اذا لم يكن له من وراء ذلك جزاء يرجوه ويمتاز به على غيره ، وما عسى أن يكون « الامتياز على الغير » الا التفاوت ؟

فالتفاوت اذن هو الذى يستدرج الفرد بل الجماعة الى بذل الجهد وابقاء جذوة النشاط . وهذا النشاط لازم جد اللزوم للحياة اذلا يمكن أن تقوم لها قائمة بدونه . وأية لذة للحياة اذا قضى المرء أيامه بالكسل والخمول ؟ بل أية أمة من امم التاريخ اشتهرت بالخمول واستطاعت أن تعمر طويلا ؟

وبعبارة أخرى ـ ان النشاط شرط أساسى من شروط الحياة ولا يمكن أن يكون له أثر فى الوجود الا اذا كان ثمة ما يستفزه ويوقد جذوته . والعامل الوحيد الذى يستطيع ذلك هو التفاوت لا بين الافراد فقط بل بين الجماعات أيضا . فالتفاوت اذن ضرورى جداً للحياة

(٣) ضمان فكرة الجمال

أوضحنا فيما تقدم أن التفاوت يقوم على التنوع . وهذا التنوع شرط أساسى للجمال . وهذا من المبادىء الاولية التى يعرفها أبسط البسطاء . فالاشكال الهندسية البسيطة مثلا ـ كالخط المستقيم أو كالمثلث أو المربع أو ما الى ذلك ـ أقل جمالا من الاشكال المركبة المعقدة . والكوخ البسيط أقل جمالا من القصر ذى الهندسة البديعة . والحديقة التى لا يزينها الا نوع واحد من الزهر أو النبات اقل جمالا من الحديقة التى تزينها الانواع المختلفة من الازهار والرياحين . واذا كانت الاشياء العضوية ـ كالانسان وغيره من المخلوقات الحية مثلا ـ أجمل من الاشياء غير العضوية ـ كالحجر مثلا ـ فلأن مبدأ التفاوت أكمل فى الاولى منه فى الثانية ، ولان للانسان مثلا أعضاء تتفاوت فى وظائفها وقوتها وشكلها وموقعها ، أى انها متنوعة غير متجانسة

وكما أن تنوع الاعضاء واختلاف أشكالها مدعاة للجمال كذلك التفاوت هو أساس جمال الاجتماع ولا نقصد هنا التفاوت فى الحقوق والواجبات (فقد يدعو هذا الى الاسف) وانما نقصد التنوع فى أحوال المعيشة ودرجات الاجتماع وفى القوى العقلية والادبية . ولاثبات ذلك نقول : لنفرض أن

البشر كلهم كانوا طبقة واحدة على مستوى واحد من العلوم والآداب والغنى والذوق والميل والمعيشة لاخلاف بينهم فى أى جزئية من جزئيات الحياة . فاى جمال اذ ذاك لنظام الاجتماع بل كيف يستطيع الانسان أن يتذوق معنى الجمال مادام كل مخلوق حي فى العالم كغيره شكلا وقوة وعلما وأدباً وغنى ؟ وكيف يستطيع المرء أن يدرك لذة الاطعمة الفاخرة وهو لا يعرف غيرها ولم يذق سواها ؟ بل أية قيمة للنور لولا الظلام ، وللغنى لولا الفقر ، وللصحة لولا المرض ؟ أو ليست بضدها تتميز الاشياء . . ؟

كذلك الجماعات لاجمال لوجودها إلا بوجود التفاوت بينها . ولو كانت الحياة راتبة والعيشة كلها على وتيرة واحدة لكان الزمان طويلا مملا ولكثرت حوادث الانتحار بين الناس ، اذ لاتبقى للحياة غاية تستحق العناء . ولكن التفاوت فى الافراد وفى الجماعات هو سر جمال الحياة ، بل سر جمال النظام العمرانى

ولنضرب لك مثلا آخر يوضح ماتريده . هنالك ضرب من السمك يعرف بالسمك الهلامى وهو كتلة هلامية حية لاشكل لها ولا جمال . ولو كان لهذه الكتلة أعضاء لكانت أكثر جمالا وأوفر حسنا ، لان اختلاف أشكال الاعضاء وتفاوتها فى القياس والوظيفة يضمن ذلك الجمال ، أما وهى كتلة هلامية لاتفاوت بين أجزائها فهى بعيدة عن مقتضيات الجمال

(٤) منع الملل

وتتصل الغاية الرابعة بالغاية السابقة لها أى ضمان فكرة الجمال . فان الجمال هو أضمن دواء للملل . واذا عجب المرء بشكل جميل فليس من المعقول أن يمله

ومن المستحيل أن يجتمع ملل الانسان وسآمته مع التفاوت فى الطبقات . فالانسان ميال بطبيعته الى كل جديد . ولا تتوافر الجدة الا مع التفاوت . وفى الواقع أن التفاوت فى الاجتماع يجعله أشبه بمشاهد سيماتوغرافية يتتبعها المرء بلا ملل ، لانه يجد فيها كل جديد . وليس من الضرورى أن يكون الجديد طيباً . بل ليس من الحكمة أن يكون كذلك . فان الانسان يمل حتى أكل الاطعمة الفاخرة ولا يدرك لها لذة إلا اذا تخللتها الاطعمة التافهة غير اللذيذة . وقد يمل الانسان النور لو ظلت الشمس مشرقة باستمرار ولم تتخللها الظلمة . وفلسفة الملل تدلنا على ان الانسان قلب بطبيعته يسأم العيشة الراتبة . ويقول علماء الاجتماع : ان الاغنياء الذين يسدون آذانهم عن سماع أصوات البائسين ويغمضون عيونهم لكيلا يروا شقاء الناس حولهم هم أشقى من متوسطى الحال الذين تتعاقب أمام أبصارهم مشاهد البؤس والشقاء . ذلك لان أولئك الاغنياء سريعو الملل ، وفى ذلك ماقيه من أسباب تنغيص العيش . ولا يشفى الانسان من ذلك الداء إلا علاج واحد هو تفاوت طبقات الاجتماع

(٥) توزيع العمل

على أن أعظم غايات التفاوت هو مبدأ توزيع العمل . وهو من المبادىء العمرانية الاقتصادية التي لاقيام للاجتماع بدونها

ان للجسم أعضاء مختلفة يقوم كل منها بنصيبه من العمل . فلو كانت جميعها متجانسة متماثلة ما استطاعت أن تقوم بأي عمل نافع . بل لو ان اصابع اليد كلها كانت متماثلة في الطول والقوة والوضع ما كان لليد منها أية منفعة

ولا حاجة الى القول بأن حاجات الحياة كثيرة متنوعة لاتقع تحت حصر . ومن المتعذر أن يقوم فريق واحد من الناس بسد جميع تلك الحاجات لان ذلك مناف لمبدأ توزيع العمل الذي هو من أهم نواميس الاقتصاد ، والذي لاضمان للنجاح بدونه . فالطبقة الواحدة من الناس لاتستطيع القيام بشؤون الزراعة والصناعة والهندسة والبناء والتطبيب والحكم وما الى ذلك من مقتضيات المعيشة . لذلك ليس للاجتماع غنى عن طبقات مختلفة من الناس تقوم كل منها بمهام معينة لاتحسنها غيرها

بل انظر الى مصنع واحد من المصانع المختلفة ــ كمصنع الاوتوموبيلات مثلا ــ فانك ترى فيه مبدأ توزيع العمل على أجلاه . ولولا هذا التوزيع لكان الفشل حليف ذلك المصنع

فاذا كان مبدأ توزيع العمل ــ وهو التفاوت بعينه ــ لازماً في المصانع الخاصة فلا شك انه أكثر لزوماً للاجتماع ، لان حاجات الاجتماع أكثر تنوعاً واشد تعقيدا

فاذا تساوى البشر في الغنى والسلطة والقوى العقلية والادبية وفي كل شأن من شؤون الحياة كان في ذلك فشل محقق للعمران . اذ من يكون اذ ذاك للحكم ومن للزراعة ومن للاعمال اليدوية ومن للأعمال الحرة ؟

فترى مما تقدم أن التفاوت لازم للعمران

ولكنا اذا قلنا التفاوت فلسنا نعني التفاوت في الحقوق والواجبات لان الحقوق والواجبات يجب أن يستوي فيها الجميع ــ ولو من الوجه النظري فقط ــ لان تحقيق المساواة من الوجه العملي يكاد يكون متعذرا مهما اقترب العدل الانساني من درجة الكمال . واذا كان معظم أفراد البشر يأخذون على الاجتماع ما فيه من تفاوت في الطبقات ، فلان الانانية تحمل كل طبقة على جر كل مغنم تستطيعه لمنفعة نفسها ، بقطع النظر عما قد يوجب ذلك من الاجحاف بمصالح الغير ، ولسان حال كل طبقة ذلك القول المأثور : من بعدي الطوفان

ان التفاوت في الطبقات هو لخير الاجتماع ولفائدة الانسان لو أن البشر نظروا اليه بعين الحكمة واستغلوه كما تقضي بذلك مصلحة العمران . ولكنهم مدفوعون عادة ، وبالاسف ، بعوامل الجشع

والانانية والاستئثار بالمصلحة الخاصة وغض الطرف عن المصلحة العامة . واذا كان التفاوت فى الاعتبارات العمرانية الاجتماعية لازماً كل اللزوم فهو منقصة بالاعتبار القانونى،لان أفراد البشر وجماعاتهم يجب أن يكونوا متساوين أمام القانون لا تفاوت بينهم فى الحقوق ولا فى الواجبات

ومع ذلك يقول لك الكثيرون ان التفاوت أمام القانون هو بركة فى ثوب لعنة لانه يريك الفرق بين العدل والظلم ويجعلك تتذوق لذة ذاك وفضله على هذا

التفاوت والاشتراكية المتطرفة

وتدعى الاشتراكية المتطرفة — أو الشيوعية — بأن فى وسعها القضاء على التفاوت بين الطبقات وضمان المساواة لجميع الناس . وهى دعوى لا تؤيدها النظريات ولم يؤيدها الواقع حتى الآن . فقد حاول الكثيرون من انصار الشيوعية وفى مقدمتهم ماركس أن يضعوا لتفاوت الطبقات علاجاً ويجعلوا البشر كلهم على مستوى واحد ، ليس فقط أمام القانون ، بل من الوجه الاجتماعى أيضاً . على أن جميع المحاولات التى قام بها أولئك المتطرفون قد فشلت فشلا تاماً حتى اضطر الكثيرون منهم أن ينقحوا نظرياتهم «على ضوء الاختبار» الذى كسبوه ، ولا شك انهم سيواصلون تنقيح تلك النظريات الى ما شاء الله حتى يثبت لهم نهائياً أن ضمان المساواة بين طبقات البشر ضرب من المحال ، فضلا عن كونه لا يتفق مع مصلحة الاجتماع . ولقد حاولت دولة اسبرطة اليونانية منذ أكثر من الفى سنة تجربة النظام الشيوعى الذى يجربه اليوم لينين واتباعه ، واستعملت فى سبيل تنفيذه جميع وسائل الارهاب والقوة ولكنها اضطرت فى الآخر الى الاعتراف بالفشل ، وكانت تلك التجربة — كالتجربة البولشفية الحاضرة — مظهراً جلياً من مظاهر الديكتاتورية فى أشد صور القمع والارهاب . وليس من رجل فى العالم يصدق ان الديكتاتورية يمكن ان تكون عدواً لظاهرة التفاوت بين الطبقات

نعم ان فى العالم مظالم كثيرة ، ليس التفاوت أمام القانون أقلها ، ولكن التفاوت بين الطبقات فى الاجتماع هو نعمة فى ثوب نقمة أو — كما يقول الانجليز — بركة مقنعة . نعم ان لذلك التفاوت عيوباً ونقائص كثيرة منشؤها جشع الانسان وأنانيته ومطامعه ، ولكن العاقل هو الذى يعمل جهده الطاقة لازالة تلك النقائص وتقليل وقعها . ومتى تسنى ذلك كان التفاوت بركة للاجتماع لا ينكرها الا الذين يعمون عن الحقائق أو تعميهم الغايات

وفى وسع العاقل أن يقوم بنصيبه من العمل لتخفيف وقع التفاوت ومقاومة سوء استغلاله . والانسان ميال بطبيعته الى استغلال كل عامل من عوامل الحياة لمصلحته الفردية . فاذا أمكن استغلال تلك العوامل لمصلحة المجموع لتفضيلها على مصلحة الفرد أصبح التفاوت بين الطبقات نعمة لا شك فيها ، وزال من ذلك التفاوت ما يشوهه من عيوب ونقائص

ثروة في متناول يدك
فهل أنت مهملها ؟

ذاع للمستر « فاش يانج » صيت بعيد في الولايات المتحدة ، على أثر كتاب له عنوانه « ثروة مباحة للجميع » ، حكى فيه كيف جعل من نفسه رجلا جديدا نجح بعد اخفاق ، وضمنه فلسفته في الحياة ووسيلته العملية لتطبيق هذه الفلسفة على نواحي النشاط في ميادين الاعمال . والكتاب خلاب لاتقرأ أسطراً منه حتى يجدّ بك شوق يغريك باتمامه . وفي هذا الفصل يستحثنا مستر « فاش يانج » الى استغلال ثروة عظيمة هي في متناول يدكل واحد منا ، قال : —

أنا واحد من اولئك السعداء الذين ورثوا ثروة جاءت بعد سنوات من الفقر والطيش ، والرجل الذى مات وخلف لى هذه الثروة هو أنا نفسى ، مات الرجل الذى كنته ، غير مأسوف عليه ، من الأنانية والتشاؤم والخوف ، وقضى عليه قلق البال والحسد والنــدم حيث لا ينفع الندم . لكن « فاش يانج » الذى مات لم يكن سيئاً كله ولا عقيما برمته ، فقد ترك لى كنزاً عظيما من الشجاعة والقناعة والصبر والتحرر من الأهواء الموبقة . فاقتحمت بهذا التراث ميــدان الاعمال ، وأحرزت نجاحاً جاوز ما كنت أتمناه

كنت قبل أن أبعث رجلا جديداً ، اشتغل فى الاعلانات بنيويورك . وقد استطعت ، برغم ما اعتلج بصدرى من حسرة ومرارة ، أن أحصل على قوت يومى ، لكنى أخفقت فى أن أهيء لنفسى مستقبلا حسناً أطمئن اليه . تلك كانت ايام خمر وغواية ، واستحوذ على اليأس فيها حتى لقد هممت مرة بالرحيل الى العالم الآخر ، اعتقـاداً منى بأن الحياة هناك لن تكون شراً من هذه الحياة

لكن ذات يوم خطرت ببالى تلك الفكرة ، وهى : هب انك تملك مصنعاً !! فهل كنت وأنت صاحبه تديره بطريقة تضرك ؟ وهل غاب عنك انك تملك مصنعاً للافكار أنت صاحبه ومديره وحارسه ، ولن يصنع غير ما تشاء من المنتجات ، على الطراز الذى ترضاه

قلت لنفسى : « فى الحق أنك تملك مصنعاً للافكار ، وفيك انطوى هذا المصنع ، لكنك حولته الى مصنع للاقذار !! انظر ماذا ينتج مصنعك !! الخوف والحسرة والقلق والغضب والشك - هذا ما يفيض به مصنعك . ألا ان مصنعك وبال عليك ومتعبة لسواك

« ليس فى هذا شك ، فلماذا غفلت عنه فيما سلف من العمر ؟ ! »

* * *

تلك هى الخطوة الأولى ، وأما الثانية فهى انى عجلت بكتابة قائمة تتضمن الصفات الخلقية المتينة ، فاذا هى الحب والشجاعة والبشاشة والنشاط والعطف والصداقة والسخاء والاحتمال والعدل . تسع كلمات سحرية ، كم ذا سهرت ليلة بعد ليلة لا أنيس لى فى وحدتى سواها ، لاانفك افكر فيها واتحرى كيف السبيل الى استغلالها . ولم اعتم ان عولت على جعلها ديدنى لا احيد عنها قيد أنملة . انها كلها ايجابية قوية لا تقهر ، فهى حرية أن تخرجنى من الاوحال التى غصت فيها حتى مفرق الرأس

صممت قبل كل شىء على التخلص من مخاوفى . فقد عشت طوال حياتى يمزق الخوف نياط قلبى ويسمم فؤادى . وأكثر ما كنت اخشاه هو طردى من عملى وخسرانى وظيفتى . فقررت الهجوم على ذلك العدو المبين ، فانقطعت عن عملى طائعاً مختاراً ، ولم اكن قد ادخرت من سنى لوقت الضيق والحاجة . وبذلك العمل الجرىء وقع ما كنت اخشاه . افتدرى ماذا كان وقع تلك المخاطرة فى نفسى ؟ كانت النتيجة انى وجدت نفسى فى اليوم التالى غير هياب ولا وجل وشعرت بالغبطة التى يحس بها من يقهر نفسه ويخضعها لارادته ـ اغتبطت ، مع انى اصبحت عاطلا ، تقل ثروتى عن مائة دولار ، واعول زوجة وبنتاً . وانما سرنى شعورى بسمو نفسى وارتماء خيالى الى آفاق بعيدة من الاحلام . فرحبت من كل قلبى بحياة جديدة فى دنيا جديدة

بدأت السلم من اسفله ، واشتغلت فى شركات التأمين على الحياة ، وهى مهنة تشتد فيها المنافسة . فاضطررت إلى الامتناع عن التفكير فى نفسى وترك المستقبل يعنى بنفسه وحصر اهتمامى فى الحاضر ـ فى اللحظة التى انا فيها . فأخذت الشكوك تساورنى ، لكنى كنت اطرد الهواجس عن خاطرى على اعتبار انها سلبية لا غناء فيها ، واشرع افكر فى شىء ايجابى يستحق الاهتمام . وتلك عادة يمكننا بالمران والرياضة ان نركزها فى خلقنا بحيث تصير عادة ثابتة ، فجرب غرسها ان افكاراً سوداء تحاول التسلط عليك أول الأمر ، لكنها سرعان ما تنهزم أمام قوة العزيمة

ظلت دارى مدة غير قصيرة خاوية الوفاض ، لكننا كنا اسعد من ذى قبل نجاهد ثم نجاهد . فأحرزنا انتصاراً بعد انتصار

واول معركة خضت غمارها هى الامتناع عن العادات التى عددتها ضارة . فامتنعت مرة واحدة عن تعاطى الخمر وتناول الشاى والقهوة . وما كان ذلك بالأمر الهين ، فانى ما زلت بنفسى اقنعها بالمنطق واسوق لها الأدلة ، حتى عافت الخمر وانصرفت عن القهوة والشاى. ولعمرى لقد كان تغلبى على هذه العادات فتحاً مبينا . والانتصار العظيم يكون فى العادة فاتحة انتصارات تترادف تباعاً بلا مشقة او عناء

المعركة الثانية هى التخلص من حصر اهتمامى بنفسى ، اذ قلما كنت اهتم لسواى . ذلك انه مر على وقت ساءت فيه حالنا فجزعت ، الا انى زجرت نفسى بعنف وبلا هوادة ، ثم اقبلت اقول

لنفسى : وكلما شعرت بالحاح الحاجة وعنت المطالب اصنع معروفاً وتقدم بخدمة لبعض الناس »
وعلى ذلك أجبرت نفسى على الذهاب فى أيام الآحاد إلى مستشفى يقع فى شرقى مدينة نيويورك . وهناك كنت أغنى فيطرب الأطفال المصابون بالكساح . وستدهش إذا أكدت لك انى فى نهاية هذا العام ادخرت مبلغاً لا بأس به من المال ، وكنت فى بدايته صفر اليدين كما أسلفت . وهذا جزاء من يولى الآخرين شطراً من عنايته واهتمامه
المعركة الثالثة هى اعتزامى ألا أقدم فى حياتى على عمل إذا تعرضت سعادتى للخطر من جراء اخفاقى فيه

* * *

درست الخوف وقتله بحثاً وتمحيصاً !! الخوف ألد عدو لمعظم الناس ، فما ثم واحد من أصدقائى إلا وقوت الخوف عليه شيئاً ، جل أو هان . تصفح سير الأفذاذ والعظماء والابطال ، وانظر كيف صارعوا الخوف فصرعوه . قليلون هم أولئك الذين يقطعون مراحل الحياة دون أن تسنح لهم فرصة كبيرة !! فأما السبب فى أن الاكثرين لا يتهزونها فيرجع الى الخوف فى الأغلب الأعم . قال امرسون : « إياك أن تستسلم للخوف » وقال مثل ذلك أمثاله من النابهين
وأغلب الظن أنه لم يكابد رجل مثل ما كابدته فى صراعى مع الخوف . فقد عذبتنى الشكوك والاحساسات المريضة . يخاف أغلب الناس شيئاً معيناً ، أما أنا فكدت أوجس من كل شيء خيفة ـ فزعت من الفيران وجزعت من العواصف ومن المعلمين ، وأشفقت من العقبات تعترض سبيلى . من ذلك انى فى مستهل اشتغالى فى مهنة الاعلانات ، كنت اجزع ويتولانى الذعر كلما فكرت فى زياراتى المقبلة لعملائى . وباطالما تضرعت إلى الله ـ وباطالما من ضراعة حارة ـ ان اذهب فلا أجدهم ، تفادياً من الوقوف أمامهم وجهاً لوجه
غير انى ذات يوم وقفت فى الطريق وقلت لنفسى : « ايها الجبان الرعديد ، يالك من بائس تعيس !! تأخذ على عاتقك القيام بالمهمات ثم تهملها . . هيا امض فقابل هؤلاء الناس !! » واستأنفت السير ، فزرت اولئك الذين تهيبت لقاءهم واحداً فواحداً ، لم اغادر منهم احداً
كان الفلاحون ، وانا غلام ، ينصبون اشباحاً تذود الطير عن الزرع ، هى عبارة عن اثواب عتيقة تعلق على صلبان من الخشب . فأما الطيور الهلعة فكانت تفرق من تلك الاشباح . لكن بين الوقت والوقت كانت تقع على الزرع طيور اثبت جأشاً ، فتأكل منه ما تشتهى غير مبالية بالاشباح . وقد الهمت ان مخاوف الحياة ليست إلا من قبيل تلك الاشباح . ودرك هذا السر هو لباب ثروتى وجوهر التراث الذى ورثته . وهذا التراث يقضى على يبذل ما فى طاقتى لاخوانى من بنى الانسان
والحق انى خصصت فى السنوات الاخيرة اقل من نصف وقتى لشئونى الشخصية . والشطر

الا كبر من سعادتى مرده الى قيامى بتلك الواجبات الاضافية التى اتبرع بها من تلقاء نفسى. زيادة على ذلك كرست ايام السبت لمن ضاقت بهم الحال واشتد بهم الكرب ، أقاسمهم همومهم واخفف عنهم بعض ما يكابدون . وهذا هو معنى الدين فى اعتقادى

الدين فى رأيى هو أن تضرع الى الله كل صباح تقول : « حمداً لك اللهم على ما انعمت ، بدلا من قولك : « اللهم زدنى من نعمائك »

الدين هو ان تحاول جعل البعض اسعد حالا قبل عودتك من عملك الى دارك

الدين هو ان تتحدث بالتليفون طويلا فى الصباح مع صديق قد يكون فى حاجة شديدة الى كلمة تشجعه وتهون عليه المشقات . انك ان فعلت ذلك انميت عادة التفكير فى الغير أكثر من التفكير فى نفسك

جرب . وانا زعيم لك بأن النتائج ستروعك . ولأضرب لك مثلا بنفسى ، فأنا كعميل لشركات التأمين على الحياة ، من مصلحتى أن أعرض على الراغبين فى التأمين شروطاً حسنة بالنسبة لى . لكنى على الضد من ذلك كنت اقدم مصلحتهم على مصلحتى ، فاعرض شروطاً تحمل ميزانيتهم اضعافها واترك لهم الخيار فى زيادتها . فكانت النتيجة انى اصبت رواجاً من جراء هذا السلوك الكريم

وتلك قاعدة ذهبية فى جميع المعاملات ، أدخل السرور على الناس يبتسم لك الحظ

أعود فأقول : الدين عندى هو أن تضع كل يوم تصميم عمل انشائى ، انه رياضة النفس على إخضاع الاهواء الموبقة وكبح الرغبات الكاذبة ، هو أن تثنى على الناس بما هم اهله ، هو انماء عادة « الاعطاء » بدلا من انماء عادة « الاخذ »

اخيراً ، الدين فى مذهبى هو ان نعيش فوق هذه الارض حياة تشبه ما نتصور ان تكون عليه الحياة الاخرى

إن الجشع والأنانية والحسد والخوف والغم والبغضاء والغضب لاوجود لها فى السموات ان السماء مصنوعة من صفات ايجابية ، مثل الحب والشجاعة والسخاء . ويمكننا أن نعيش فوق هذه الارض ، كأنما نعيش فى السماء ، اذا تحلينا بهذه الصفات . ان الحياة تصير سهلة ميسرة إذا عرفنا موضع القوة من هذه الصفات وحذقنا الانتفاع بها

إنه لحق ان يتحدى المرء تيار الحياة . لقد عرفت اتجاه هذا التيار ، وجملته يحملنى على متنه وماعندى شك فى أن القوة الدافعة وراء هذا التيار هى الصفات الايجابية التى حدثتك عنها . وانى لأود أن أقتسم مع الجميع تلك الثروة التى حبتنى بها هذه الصفات

الصناعات في الحيرة

بقلم الاستاذ يوسف غنيمة وزير مالية العراق السابق

مقال مستل من كتاب « الحيرة : المدينة والمملكة العربية » وضعه المؤلف في تاريخ مملكة المناذرة وحضارتها

مدينة تشتهر فى التاريخ بزهوها وقصورها وعماراتها ودوراتها وبأبهة ملوكها وترف ملكاتها ، ويتغنى الشعراء بعظمتها ورقة نسيمها ، ويقصدها المترفون والاغنياء ، ويترنح الفتيان صبابة على أصوات قناتها ، ويرقص الشبان تيها على انغام اعوادها ، الا تكون الصناعات فيها زاهرة ؟ هذا فضلا عن السوق التجارية التى كانت تقام فيها واشتراك المناذرة بسوق عكاظ

مما لاريب فيه ان الحيريين اشتغلوا بالفلاحة والزراعة وتربية الماشية ، امور تطلبها الحياة قبل أى شيء وتزيدها تشجيعاً خصب تربة السواد ومياه الفرات ، ويقضى بها موقع الحيرة وموقف سكانها ذلك الموقف الجامع بين بداوة الجاهلية والحضارة الراقية . نرى اهل الحيرة يعبرون كل صباح على الجسر الى ضياعهم (١) كما اننا نرى ابل النعمان العصافيرية ترعى وقد اشتهر امرها بين قبائل العرب وفيها يقول ذو الرمة :

هجائن من ضرب العصافير ضربها أخذنا اباها يوم دارة مأسل (٢)

تلك العصافير التى طلبها مالك من عنترة العبسى مهراً لابنته عبلة فذهب فى طلبها فقبض عليه وسجن فى الحيرة فى سجن المنذر بن ماء السماء (٣)

اما خصب مملكة الحيرة فحدث عنه ولاحرج . فمن وقف على الخورنق وبعث بنظرة الى الغرب رأى النجف وفيه النخل والبساتين والانهار ، واذا التفت الى الشرق رأى الفرات وما فيه من الخضرة والانوار ، ورأى الابل والملاحين وصيادى السمك ، يتيه خيلاء وعجباً (٤) . فكانت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزود الا رغيفاً واحداً حتى تأتى الشام (٥) . كان ذلك فى ابان عز المناذرة . ولكننا نراها بعد عهدهم سائرة الى الخراب فنسمع ابا دلامة (٦) مستهزئاً بهبة الخليفة ابي جعفر المنصور فيقول له : « انا اقطعك يا امير المؤمنين اربعة آلاف جريب غامرة بين الحيرة والنجف وان شئت زدتك » (٧)

---

(١) معجم البلدان مادة « جسر » (٢) كذلك مادة « دارة مأسل » (٣) شرح ديوان عنترة بن شداد طبعة يوسف البستاني ص ٦٨ و ١٦٩ (٤) الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الخ ص ٦٨ (٥) أمالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨ (٦) هو زند بن الجون السكوني المنشأ سمي ابا دلامة نسبة الى ابنه دلامة وهو من رجال القرن الثاني للهجرة توفي سنة ١٦١ الهجرية (٧) الاغانى ٩ : ١١٧

كان فى الحيرة النساج والقيون والصاغة . فالنساج ينسجون القز والكتان والصوف ، ولنا أدلة تاريخية على ذلك ومنها قول عمرو بن كلثوم :

اذ لا ترجى سليمى ان يكون لها — من بالخورنق من قين ونساج (١)

وجاء فى ذكر المناذرة : (٢)

والقز والكتان اثوابهم — لم يجب الصوف لهم جائب

وكان القماش احياناً موشى بالقصب أو مطرزاً بخيوط الذهب . ذكر البكرى عن النعمان وركبه عند خروجهم فى كل عيد قائلا : « وعليهم حال الديباج المذهبة » (٣) وكانت الأميرات فى بيوت المناذرة يلبسن الدمقس والحرير . قال المنخل اليشكرى فى هند بنت عمرو بن هند : (٤)

والكاعب الحسناء تر — فل فى الدمقس وفى الحرير

ومن البسة الحيريين الساج والطيلسان ورد ذكرهما فيما فرضه خالد بن الوليد على النصارى العباديين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة (٥) ومن البستهم الدخدار اسم فارسى معرب ، وهو الثوب المصون اصله تخت دار وقال عدى بن زيد : (٦)

تلوح المشرفية فى ذراه — ويجلو صفح دخدار قشيب

ومنها اليلمق ، جاء ذكره فى وصف عدى بن زيد فى يوم فصح دخل ليتقرب فى كنيسة توما فى الحيرة وكان لابسا يلمقاً مذهباً لم ير مثله حسنا كان فرخانشاه مرد قد كساه اياه (٧) ومن الثياب الحارية ايضاً الشرعبية والسيراء (٨) . وجاء فى الاغانى (٩) وصف لبس حنين بن بلوع مغنى الحيرة فقال : « وكان عليه قباء خشك شوى أو خشكون ومنطقة حمراء وخفان مكعبان » وكان يلبس الملوك المناذرة التيجان فى رءوسهم (١٠) ويلبس الحيريون العمائم (١١)

وقد اشتهر الثوب الحارى كل الشهرة حتى شبهوا ابنيتهم به (١٢) كما سيأتى الكلام عنه والحارى ايضاً أنماط نطوع تعمل بالحيرة يزين بها الرحال وانشد يعقوب : (١٣)

عفيا ورقماً وحارياً يضاعفه — على قلائص أمثال المجانيع

وعلى ذكر الأنماط تنوه بالرحال الحارية المشهورة كل الشهرة قال النابغة الذبيانى فى القصيدة التى مطلعها « يا دار مية » الخ : (١٤)

(١) شعراء النصرانية ص ٢٠٣ سليمى أو سلمى هى أم النعمان بن المنذر (٢) معجم البلدان مادة « دير هند الكبرى » (٣) معجم ما استعجم ٣٦٦ (٤) الاغانى ٩ : ١٥٩ (٥) مروج الذهب ١ : ٢٢١ (٦) شعراء النصرانية ٤٥١ (٧) الاغاني ٢ : ٣٠ اليلق القباء أصله بالفارسية يلمة عن أدب الكاتب للدينورى (٨) العمدة لابن رشيق ٢ : ١٨٠ والمخصص ٤ : ٧١ (٩) الاغاني ٢ : ١٢٠ (١٠) الطبري ٢ : ١٤٦ (١١) العقد الفريد ١ : ١٦٦ ـــ ١٧٥ (١٢) مجلة لغة العرب ٦ : ٢١٢ (١٣) تاج العروس مادة « حيرة » . (١٤) شعراء النصرانية ص ٦٦٥ راجع المخصص ٤ : ٣٤ ـــ ٩٦ والساق على الساق لفارس الشدياق ١٢٣ عن لباس العرب

والادم قد خيست فتلا مرافقها مشدودة برحال الحيرة الجدد

ويقال ان امرأ القيس أشار الى هذه الرحال اذ قال : (١)

فلما دخلناه اضفنا ظهورنا الى كل حارى جديد مشطب

أما القيون فكانوا يصنعون لوازم العمارة من الحديد كالباب الحديدى الذى كان موضوعاً على دير الاسكون (٢) . ويصنعون شكات السلاح والسيوف الحارية الشهيرة والسهام ونصال الرماح وغيرها مما كان يتخذ اسلحة لكتائب الجيش . وكتائب المناذرة معروفة ببطشها ولاسيما الشهباء والدوسر (٣) كما كانوا يعدون الاغلال للمسجونين . قال عدى بن زيد فى سجنه : (٤)

وفى حديد القسطاس يرقبنى الحا رس والمرء كل شىء يلاقى

فى حديد مضاعف وغلول وثياب منضحات خلاق

ونرى الصاغة يصوغون الذهب والفضة ويرصعونها بالجواهر . ولنا فى قول البكرى شاهد على ذلك قال : (٥) « كان النعمان يركب فى كل عيد ومعه أهل بيته ... عليهم حلل الديباج المذهبة ، وعلى رءوسهم اكاليل الذهب ، وفى أوساطهم الزنانير المفضضة بالجوهر ، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان ، فاذا قضوا صلواتهم انصرفوا الى مستشرفة فى النجف »

وقال النابغة الذبيانى فى وصف المتجردة زوج النعمان : (٦)

والنظم فى سلك يزين نحرها ذهب توقد كالشهاب الموقد

أو كما جاء فى رواية الاصبهانى : (٧)

بالدر والياقوت زين نحرها ومفصل من لؤلؤ وزبرجد

وكانت آنية الذهب والفضة كثيرة فى قصور المناذرة حتى ان النابغة نفسه كان يأكل فيها وهى من عطايا النعمان وأبيه وجده (٨) . ومن آنيتهم الديسق جاء فى تعريفه فى كتب اللغة هو خوان من فضة وما يشبه ذلك ، ذكره المتلمس فى قصيدته الى عمرو بن هند التى مطلعها « ألك السدير وبارق » الخ الى أن قال : « واللذات من صاع وديسق » (٩)

وكانوا يلبسون أطفالهم وصبيانهم أطواق الذهب وقد لبسه فى حداثته عمرو بن عدى رأس سلالة اللخميين (١٠)

---

(١) المعلمة الاسلامية مادة « حيرة » وشعراء النصرانية ص ٢٦ الا ان صاحب التاج يقول ان الحارى فى هذا البيت هو السيف المصنوع فى الحيرة (٢) معجم البلدان مادة « دير الاسكون » (٣) حمزة الاصفهانى ٦٨ (٤) شعراء النصرانية ص ٤٥٥ (٥) معجم ما استعجم ٣٦٦ وجاء مثل هذه الرواية عن بنى الحارث فى نجران فى معجم البلدان مادة « دير نجران » (٦) شعراء النصرانية ص ٦٤٣ (٧) الاغانى ٩ : ١٥٧ (٨) كذلك ص ١٦٥ (٩) شعراء النصرانية ٣٤٦ (١٠) الميدانى فى مجمع الامثال ٢ : ٥٦ فى شرح المثل « كبر عمرو عن الطوق »

ولم يقتصر اشتغال الحيريين على ماذكرنا بل كان لهم اليد الطولى فى النجارة والتنجيد، النجارة لبناء العمارات والقصور والبيع والديارات ، والتنجيد للفراش ، فقد اشتهرت رقها ، وكان يتخذ بها من الفرش أشياء ظريفة (١) وكانوا يصنعون اوانى الفخار (الكوازة) ويطلون بعضها طلاء ذا الوان بهية ، وقد عثرت بعثة رتلنكر على طائفة منها فى اطلال الحيرة مختلفة الاشكال تضاهى ما اكتشفه سار وهرسفلد فى سامراء (٢)

أما فن الريازة فكان قد بلغ شأوا من الاتقان . فبيوتها كانت مخططة تخطيطاً رفها ومتناسبة الاجزاء بنسب دقيقة (٣) . والطراز البنائى الحيرى مشهور ذكره العرب وحاكاه أحد الخلفاء العباسيين وهو المتوكل . قال المسعودى (٤) : «أحدث المتوكل فى ايامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين (هكذا ورد عن المسعودى وصحيحه ذى الكمين) ، والاروقة . وذلك ان بعض سماره حدثه فى بعض الليالى ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر أحدث بنياناً فى دار قراره وهى الحـيرة على صورة الحرب وهيئتها للهجه بها وميله اليها لئلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر ، والكمان ميمنة وميسرة ويكون فى البيتين اللذين هما الكمان من يقرب اليه من خواصه ، وفى اليمين منهما خزانة الكسوة وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والكمين (صحيحه ذى الكمين) اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية» انتهى . وهذا الوصف يلمع الى هيئة قصر السدير

وقد قال الدكتور هرسفلد : « ان العرب قد اجادوا فى وصف هـذا البناء احسن اجادة ولقد صدقوا فى قولهم ان « الحيرى بكمين » هو مثال عسكر رومانى ذاهب الى الحرب بجناحين ميمنة وميسرة » (٥)

وكان الحيريون يستعملون فى ابنيتهم اللبن (٦) والآجر والمرمر والجص والقرمد ، وقد قال النابغة الذبيانى فى ذلك : (٧)

او دمية من مرمر مرفوعة بنيت بآجر تشاد وقرمد (٨)

وقد تفنن الحيريون بنقش «عماراتهم» وزخرفها بالرسوم وبطلاء سقوفها بالفسافس والذهب (٩) وقد عثر رتلنكر ورايس على طائفة من الزخرف فى غضون نبشهما اطلال المدينة سنة ١٩٣١ فانهما

---

(١) الاغاني ٢ : ١٢١ (٢) Journal of The R. C. A. Society 1932 page 266
(٣) Manchester Guardian 7/12/32 (٤) مروج الذهب ٧ : ١٩٢ (٥) مجلة لغة العرب ٢ : ٥١٦
(٦) Journal of The R.C.A. Society April 1932 (٧) شعراء النصرانية ٦٤٣ (٨) المرمر الرخام الابيض وهو معروف في العراق ، وقوله تشاد أي ترفع بالشيد وهو الجص ، وجاء في القاموس القرمد الخزف المطبوخ ، والاصح هنا ما جاء في المخصص ٥ : ١٢٣ اذ قال القرمد كل ما طلي به كالجص والزعفران
(٩) معجم البلدان مادة « دير نجران »

وجدا معظم الغرف مزيناً بزخارف « من جص » نات ومشبع وطرز نقشه ثقيل يشترك بين الطرز الرومانى والطرز الفارسى ، وقد فحصا احدى الدور فوجداها ممثلة قطعاًمن ظلوم (١) جميلة مصبوغة اصباغاً لطيفة كل اللطافة وبهية وفيها رسم صليب محاط بدائرة يتكرر رسمه مراراً (٢) كانت بعض الصلبان بارزة وبعضها كانت محفورة « طامسة » فى غاشية الجص التى تغشى الجدار (٣)

ومما جذب نظر الأثريين خلو هذه الرسوم من تمثيل الانسان فى الحيرة والاقتصار على تمثيل الزهور والفواكه والبقول فى قرن سبق عهد الاسلام ، مع ان الحفارين فى كيش التى لاتبعد أكثر من ثلاثين ميلا عن الحيرة وجدوا صور الانسان والحيوان بكثرة وعهدها ساسانى يتفق وعهد النقوش المكتشفة فى الحيرة

اننا لانشك فى وجود رسوم تمثل البشر والحيوان فى الحيرة ولكن لايصح اتخاذ الحفر الابتدائى هنالك مقياساً لكل مافى الحيرة من تركة المصورين والنقاشين الفنانين فيها ، وأكبر دليل عندنا اقوال بعض الشعراء والمؤرخين فى الدمى والصور فى الحيرة وقد اوردنا بيتاً للنابغة فويق هذا صدره « أو دمية من مرمر مرفوعة » الخ

وقد قال عدى بن زيد مشبهاً :

كدمى العاج فى المحاريب او كا　　لبيض فى الروض زهره مستنير (٤)

وقال المسيب بن علس :

او دمية صور محرابها　　او درة شيفت الى تاجر (٥)

وقال عبد الله بن العجلان :

غراء مثل الهلال صورتها　　ومثل تمثال صورة الذهب (٦)

وقال عمر بن ابى ربيعة :

دمية عند راهب ذى اجتهاد　　صوروه فى جانب المحراب (٧)

وقال الاخطل :

حلى يشب بياض النحر واقده　　كما تصور فى الدير التماثيل (٨)

---

(١) الظلوم جمع ظلم على وزن حرب اتخذت هذه الكلمة لترجمة ما يقال فى الانكليزية Frescoes وفى الفرنسية Fresques ومعناه صورة منقوشة على حائط حديث الطلاء وتلك النقوش محلولة فى ماء الكلس ويقال للحائط المزوق بهذه الصفة مظلما قال فى اللسان: بيت مظلم كمظلم مزوق. كأن النصارى وضعت أشياء فى غير موضعها وان لم يكن هذا التعريف منطبقا كل الانطباق على ترجمة اللفظ الفرنجى . آثرنا استعماله خلو لغتنا من مقابل لهذا المعنى (مجلة لغة العرب ٥ . ٤٩٦) (٢) جريدة منشستر غارديان بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٣١ (٣) جريدة الجمعية الاسيوية الوسطى الملكية نيسان ١٩٣٢ (٤) شعراء النصرانية ٤٥٥ (٥) لسان العرب ٧ . ١٧ (٦) الاغانى ١٩ : ١٠٢ (٧) الكامل للمبرد (٨) ديوان الاخطل ص ١٢

وشهادة ياقوت الحموى لاتبقى شكا فيما نقول وهى : ان اهل المنذر كانوا يجعلون فى حيطان أديرتهم الفسافس وفى سقوفها الذهب والصور (١)

ومن منتجات الحيرة الأثمد وقد نال شهرة بعيدة وفيه يقول عمرو بن معديكرب :

كأن الأثمد الحارى منها يسف بحيث تبتدر الدموع (٢)

واشتهرت أطباق الحيرة باسم « الحيريات » جمع حيرية والحيرية طبق يسوى من قضبان الخلاف والصنصاف أو الرمان يتخذه أهل الحيرة لوضع الأثمار والفواكه (٣) وكانوا يصنعون القضم جمع قضيم وهو الاديم المخروز وقال النابغة :

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع

ولعجز هذا البيت رواية أخرى فيقولون « عليه حصير » الخ ولا عجب من هذه الرواية لأن صنع الحصير قديم فى العراق . أما القضيم فجلد يكتب عليه ، والصوانع الكتاب (٤) ومن صناعات أهل الحيرة الدباغة وصنع الاحذية قال النمر بن تولب :

فترى النعاج بها تمشى خلفه مشى العباديين بالامواق

وكانت هذه الخفاف تتخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونه السبت وينتعل بها السادة (٥) وقد عرف الحيريون صناعة الشمع للاستنارة بنوره . ويروى أنه قد صنع لجذيمة الابرش التنوخى فى أوائل القرن الثالث للميلاد (٦) . وكانت الامتعة والعروض المصنوعة من العاج معروفة فى تلك الديار وقد مر بنا فى قول عدى بن زيد وصف دمى العاج . وجاء فى معلقة عمرو بن كلثوم تشبيه الثدى بحق العاج :

وثدياً مثل حق العاج رخصاً حصاناً من أكف اللامسينا (٧)

لا بل انهم اتخذوا من هذه المادة الثمينة لترصيع سوارى أبنيتهم ، قال عمرو بن كلثوم أيضاً :

وساريتى بلنط (٨) أو رخام يرن خشاش حليهما رنينا

وطارت شهرة الغناء الحيرى فى الآفاق . وكانت القيان اللواتى يغنين غناء الحيرة يبعثن الى الملوك والامراء فبعث اياس بن قبيصة الى جبلة بن الايهم خمس قيان يغنين غناء الحيرة (٩) وذكر المسعودى أنه لم تكن قريش تعرف من الغناء الا البض حتى قدم النضر بن كلدة بن علقمة من العراق وافداً على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم أهلها (١٠) وقد اشتهر كثيرون من مغنى الحيرة ومنهم حنين بن بلوع ونفر من السديريين يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب

---

(١) معجم البلدان مادة « دير نجران » (٢) كذلك مادة « حيرة » (٣) مجلة لغة العرب ٦ : ٢٣٥ (٤) شعراء النصرانية ٦٨٨ والمفصل للزمخشري ص ٢٣٩ (٥) اللسان ١٢ : ٢٢٧ والتاج ٢ : ٢٢٧ وشيخو : النصرانية وآدابها ٢١٩ (٦) الاغاني ٨ : ٧٠ (٧) شرح المعلقات طبعة ابي صعب ١٧٠ (٨) البلنط هو العاج بعينه (٩) الاغاني ١٦ : ١٤ (١٠) مروج الذهب ٨ : ٩٣

ومالك ابن حمة (١) وعون الحيرى العبادى (٢) وكان جد حنين بن بلوع من المغنيين الفنانين فطلبه أهل الحجاز فذهب ونزل ضيفاً على سكينة بنت الحسين وأذنت للناس اذناً عاماً فغصت الدار بهم وغنى لهم ومن شدة الازدحام على السطح سقط الرواق فمات تحت الانقاض (٣)

وما قلناه عن غناء الحيرة يصح اطلاقه على آلات طربها . ومنها العود قال عبد الرحمن بن مالك بعث على عيسى بن موسى الهاشمي من عبد مناف ليلة ونحن فى الحيرة وقال لى : «قد سمعت الليلة فى دارى شيئاً لم يدخل سمعى الا ليلة فى الحميمة وهذه الليلة فانظر ماهو» فدخلت استقرى الصوت فوجدته فى المطبخ فاذا الطباخون وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود(٤) . واشتهر المزمار وحديث المزمر برصوما ورد فى كتب الادب والتاريخ وقد اطرب بانغام مزماره الخليفة هرون الرشيد (٥) وهناك غيرها من آلات الطرب ومنها الدف قال فيه عدى بن زيد :

زجل عجزه يجاوبه دف م لخوان مأذوبة وزمير (٦)

وقال جابر بن حنى التغلبى :

وصدت عن الماء الرواء لجوفها دوى كدف القينة المتهزم (٧)

وقد جمع الاعشى فى بيت واحد بعض آلات الطرب قال :

ومستق سيسمن ووناً وربطاً يجاوبه صنج اذا ما ترنما (٨)

فالمستق أصله مشته وهو من أسماء المزمار ويقال مستق سيسمن أى يؤخذ باليد ، والون الصنج الذى يضرب بالاصابع . والبربط هو المزهر والصنج صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على الاخرى مثلها للطرب والصنج أيضاً ذو الاوتار التى يضرب بها تختص بالعجم وعرف الحيريون الطنبور وقال ذو الرمة : (٩)

يضحى به الارقش الجون القرى غرداً كأنه زجل الاوتار مخطوم
من الطنابير يزهي صوته ثمل فى لحنه عن لغات العرب تعجيم

واشتهرت الحيرة بصنع الخمور ولا سيا خمور العباديين النصارى واليهود وما أكثر المرويات التاريخية والاشعار فى هذا الموضوع . فقصد حاناتها فى الجاهلية والاسلام طبقات كثيرة من الناس وتغنى الشعراء بذكرها وتلذذوا بنشوتها (١٠) وكان الملوك المناذرة أنفسهم يعقدون مجالس الشرب مع ندمائهم ويقدمون الخمر لضيوفهم قال الشاعر : (١١)

والعز والملك لهم راهن وقهوة ناجودها ساكب

---

(١) الاغانى ٢ : ١٢١ (٢) الاغانى ١٠ : ١٢٨ (٣) الاغانى ٢ ـ ١٢٢ (٤) الاغانى ١٥ ـ ٣٣ (٥) الاغانى ٥ ـ ٣٢ و ٦ ـ ١١ (٦) شعراء النصرانية ٤٥٥ (٧) شعراء النصرانية ١٨٩ (٨) المخصص ١٣ ـ ١٤ (٩) المخصص ١٣ ـ ١٣ (١٠) الاغانى ١٠ ـ ٨١ ـ ٨٨ و ١٤ ـ ١٣٥ و ١٥ ـ ٦٢ و ١٦ ـ ٩٨ و ١٨ ـ ٩٨ ـ ١٢١ و ٢٠ ـ ٨٧ (١١) معجم البلدان مادة « دير هند الكبرى »

لا بل كان غير واحد منهم مولعاً بشرب بنت الحان . قيل لحرقة بنت النعمان : «ما كانت لذة أبيك ؟» قالت : «شرب الجريال ومحادثة الرجال» (١) ومن الشواهد على بيع اليهود الخمرة ماجاء فى شعر حنين بن بلوع الحيرى : (٢)

أنا حنين ومنزلى النجف   وما نديمى الا الفتى القصف
أقرع بالكأس ثغر باطية   مترعة تارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها   بيت يهود قرارها الخزف

لنوجه انظارنا الآن الى الملاحة والتجارة فى الحيرة فى عهد ازدهارها وعصر مجدها فنقول : كانت سيادة بحر الهند فى تلك المطاوى للساسانيين سيادة مطلقة . حتى ان سكان الهند وسكان الحيرة لم يجدوا غير الطريق الآتية . فكانت سفن الفرس والهند والعرب تذهب الى جزيرة سرنديب (سيلان) ومن هناك يشترون البضاعات التى ترد من الصين فى الجنوكة (وهى مراكب الصين) كالحرير وعود الند والصندل والقرنفل . ولم ينقلها الصينيون رأساً الى خليج فارس . وقد اتخذ الفرس وسكان الحيرة مجارى الانهر لنقل البضائع والتجارات فركب الحيريون والفرس سفنهم فى الفرات وانحدروا الى دجلة العوراء أوشط العرب كما نسميه اليوم . فتشطأت طائفة منهم سواحل بلاد العرب وطافت حول الجزيرة ومرت بالبحرين ونزلت الى بحر الهند فأرست فى عدن وهى يومئذ مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون اليه وتشطأت طائفة منهم سواحل بلاد فارس وكلها حاملة انواع السلع منها من منتجات العراق نفسه ومنها ترد اليه من بلاد سورية وبلاد الروم واليونان كالحديد والنحاس والاسرب والقصدير وبعد ان كان التجار يقضون وطرهم من البيع والشراء تنشر السفن أشرعتها وتتوغل فى البحر فنها تقصد سواحل افريقية ومنها الهند فيبيع التجار سلعهم فى تلك الاقطار ويوسقون سفنهم من عروض تلك الامصار كثياب الحرير والاستبرق والقرنفل والدارصينى والفلفل والزعفران والهال والصمغ والميعة والصدف والعاج والدر والمرجان والعطر ودهن البان وغيرها من حاصلات ثغور البحار . فتأتى السفن وتفرغ تلك السلع فى العراق فيأخذ الاهلون حاجتهم منها ويبعث بالباقي منها إلى دمشق والاسكندرية وموانئ سورية وإلى بلاد العرب ومصر فكان العراق حلقة وصل بين دول ذلك العهد وبين الهند فى عصر لم يعرف فيه طريق رأس الرجاء الصالح . وكان للحيريين قسطهم الوافر فى هذه المتاجر (٣) وقصارى القول كانت تتوارد الى الحيرة المتاجر العظام براً ونهراً وترسو عندها سفن البحر من الهند والصين وغيرهما (٤)

وكان كسرى يبعث الى عامله باليمن بعير تحمل نبعاً فكانت تبذرق من المدائن حتى تدفع إلى النعمان فى الحيرة ويبذرقها النعمان بخفراء من بنى ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هوذة بن على الحنفى

(١) النويري ٢ ــ ١٥ (٢) الاغاني ٢ ــ ١١٧ (٣) ي . غنيمة (تجارة العراق قديما وحديثا) ٢٧ ــ ٢٩ (٤) البكرى : معجم ما استعجم ٢ ٣٠٢

فيذرقها حتى يخرجها من أرض حنيفة ثم تدفع إلى سعد وتجعل لهم جمالة فتسير فيها فيدفعون الى عامل كسرى فى اليمن (١)

وجاء ذكر التجارة بين الحيرة والشام فى عهد المنذر بن ماء السماء إذ أرسل أحد الحيريين وهو أبو دؤاد أولاده الثلاثة بتجارة إلى الشام (٢) لا بل كان للنعمان بن المنذر علاقة تجارية بالشام ولا سيما بالتاجر سرحون بن توفيل وكان هذا حريفاً للنعمان أى يبايعوه . وقد ذكره الربيع بن زياد فقال :

فابرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسى يوماً وابن توفيلا (٣)

وكان النعمان نفسه يبعث بلطيمة إلى سوق عكاظ فتباع ويشترى له بثمنها الأدم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من القصب والوشى والمسير والعدنى (٤)

وكان فى الحيرة نفسها سوق تقام كل سنة يأتى اليها الناس للمتاجرة وقد ذكر بين الذين قصدوها فى بعض السنين فى عهد المنذر بن النعمان : الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وكان حاتم الطائى يبيع فيها عطراً معه (٥)

كان بين العباديين نصارى الحيرة الصيارفة والتجار وقد جاء ذكرهم غيرمرة فى الكتب ومنهم عيسى بن براه العبادى الصيرفى(٦) وكان أبوزيد حنين بن إسحق العبادى النصرانى من أبناء الصيارفة من أهل الحيرة (٧)

يظهر ان التعامل فى الحيرة كان بادىء بدء بوزن الذهب . فقد ابتاع أوس بن قلام لأيوب بن محروف جد عدى بن زيد أرضاً لبناء دار بثلثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتى أوقية ذهباً (٨) فاذا اعتبرنا أن عدياً توفى سنة ٥٨٧ م وهو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف (٩) فتكون هذه الصفقة قد تمت حوالى منتصف القرن الخامس للميلاد . لكننا لا نفتأ نرى فى هذه المطاوى التعامل بالمسكوكات فى الحيرة . ولنا شواهد على ذلك من عهد الجاهلية وبعد الاسلام . وأساس التعامل الدينار والدرهم والفلوس القادسية والكوفية والنمى . جاء فى قصيدة لجابر بن حنى التغلبى (٥٦٤ م) :

وفى كل أسواق العراق أتاوة وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم (١٠)

وجاء ذكر الدرهم فى حكاية استقراض النعمان ثمانين الف درهم من الاسقف جابر بن شمعون بتوسط عدى بن زيد بعد أن رفض ابن قردس من الحيرة من دومة أن يقرض النعمان نصف هذا

---

(١) غنيمة : تجارة العراق ٢٩ ـ ٣٠ (٢) مجمع الامثال للميدانى ١ ـ ٣١ شرح المثل «انا النذير العريان» (٣) شعراء النصرانية ٧٨٩ ـ ٧٩٠ (٤) الاغانى ١٩ ـ ٧٥ (٥) الاغانى ١٦ ـ ٩٥ (٦) الاغانى ٢٠ ـ ٨٧ (٧) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ١ ـ ١٨٥ (٨) الاغانى ٢ ـ ١٨ (٩) شعراء النصرانية ٤٣١ (١٠) شعراء النصرانية ١٨٩

المال وذلك فى القرن السادس للميلاد (١) . وقال الاسود بن يعفر النهشلى فى درهم الاسجاد :

وفارقت وهي لم تجرب أغن ممنطق   وافى بها كدراهم الاسجاد (٢)

أراد بالاسجاد اليهود والنصارى وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسية نمياً وفلوساً وأشار اليها أوس بن حجر :

وفارقت وهى لم تجرب وباع لها   من الفصافص بالنمى سفسير (٣)

وجاء ذكر الفلس فى قول جرير يهجو الأخطل :

والتغلبية مهرها فلسان   والتغلبي جنازه الشيطان (٤)

وذكر الدينار بعد الفتح الاسلامى فى ولاية بشر بن مروان الكوفة . وذلك أن عبيد الله بن سريج أتى من الحجاز الى الحيرة ومعه ثلثمائة دينار ليصرفها فى هذا البلد لما بلغه من طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن الغناء فيها (٥) وذكر الدرهم فى حكاية المغيرة بن شعبة لما أراد ابتياع الخمر من أهل الحيرة بدرهم زائف(٦) وفى شعر الاقيشر إذ خدعته امرأة من العباديين ظنها أم حنين فأخذت منه درهمين ثمن خمر أراد ابتياعها فدخلت داراً لها بابان ولم يعد يراها فقال : (٧)

لم يغرر بذات خف سوانا   بعد أخت العباد أم حنين
وعدتنا بدرهمين نبيذاً   أو طلاء معجلا غير دين
ثم ألوت بدرهمين جميعاً   يا لقومى لصبة الدرهمين

ونقل ابن أبي أصيبعة (٨) أن يوحنا بن ماسويه حرد يوماً على حنين بن اسحق العبادى إذ كان صبياً يدرس عليه الطب فقال له : وما لاهل الحيرة وتعلم صناعة الطب سر الى فلان قرابتك حتى يهب لك خمسين درهما تشترى منها قفافاً صغاراً بدرهم وزرنيخاً بثلاثة دراهم واشتر بالباقى فلوساً كوفية وقادسية وزرنخ القادسية فى تلك القفاف واقعد على الطريق وصح الفلوس الجياد للصدقة والنفقة

وذكر الاثرى تلبت رايس أنه وجد فى نبشه فى أطلال الحيرة سنة ١٩٣١ نقوداً لها خطورة فى تحقيق سنى بعض التواريخ ولكن لم تنظف هذه المسكوكات حتى كتابة محاضرته للاطلاع على مضمون كتاباتها (٩)

هذا ما أردت بيانه عن الصناعات فى الحيرة ولعل الاكتشافات الاثرية تزيد هذا الموضوع مادة فى المستقبل

بغداد   **يوسف غنيمة**

---

(١) الاغاني ٢ : ٢٤ (٢) شعراء النصرانية ٤٨٢ (٣) ديوان اوس طبعة هفنر وشيخو النصرانية وآدابها ٣٨٥ (٤) الاغاني ٧ : ١٦٩ (٥) الاغاني ٢ : ١٢١ (٦) الاغاني ١٤ : ١٣٥ (٧) الاغاني ١٠ : ٨٤ (٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء ١ : ١٨٥ (٩) Hirt : The Journal of The Royal Asia Society Vol XIX April 1932 Page 266

سير العلوم والفنون



للتغلب على الطيران الأعمى

اخترع وارن ايتون من سكان لوس أنجليس بالولايات المتحدة آلة تشبه البوصلة في تركيبها لتلافي أخطار الطيران في الضباب أو فوق السحب (الطيران الأعمى) فهي تعين مكان الطيارة في الجو فيعرف الطيار بواسطتها وجهة هبوب الريح وموضع الطيارة بالنسبة للطائرات الاخرى والمدن المختلفة وعلوها عن الارض، ويرجو العارفون لهذه الآلة نجاحاً كبيراً في سبيل تقدم الطيران . وترى في الصورة المخترع المستر ايتون والآلة التي اخترعها



القذيفة الجوية أو طيارة الصواريخ

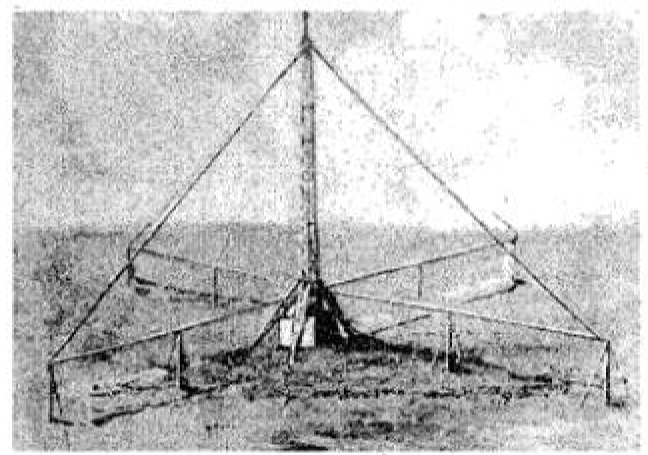
يهتم فريق من العلماء الآن بنظرية القذيفة الجوية التي تخترق الفضاء بقوة الانفجارات المتتالية ليتوصلوا الى قطع المسافات الشاسعة في وقت قصير جداً . وقد صنع العالم الالماني رينولد تلنج طيارة من هذا النوع وجربها في مطار تمبلهوف ببرلين في يوم الاحد ٣٠ اكتوبر الماضي وأسفرت نتيجة التجربة عن نجاح لا بأس به اذ اندفعت في الجو بسرعة عظيمة جداً حتى وصلت في ثوان قلائل الى علو ٨٠٠ متر حيث نفد منها البارود المسبب للانفجارات فنشرت اجنحتها من تلقاء نفسها وابتدأت في الهبوط بسرعة متوسطة . وترى في أعلى العالم رينولد تلنج وقد أمسك بطيارته ونشر جناحيها والى اليسار الطيارة وهي ترتفع في الجو بقوة الانفجارات المتتالية — وفي مكان آخر من هذا الجزء مقال واف عن القذيفة الجوية والنجاح الذي ينتظره لها العلماء



قائد الطيارة وقد ظهر أمامه المؤشر خلف عجلة القيادة

اللاسلكى يخدم الطيران

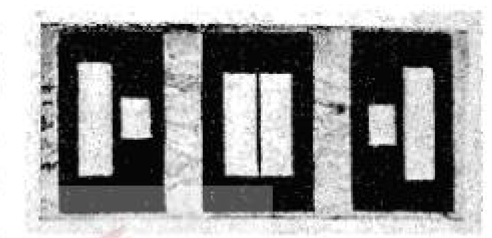
لعل اصعب الاوقات على قائد الطيارة هو ذلك الذي يخترق فيه السحب أو يعابر فيه خلال ضباب كثيف يمنعه من رؤية ما حوله ولذلك يحاول المخترعون التغلب على هذه الصعوبة بشتى الطرق . وقد بنيت أخيراً في مطار كرويدون منارة ترسل التموجات الكهربائية اللاسلكية في الجو فتلتقطها الطيارات في اثناء سيرها وتهتدي بواسطتها الى الطريق المستقيم . ففي اسفل تلك المنارة يتولد تياران كهربائيان مختلفا القوة ترسلهما المنارة من اعلاها على شكل تموجات يلتقطها جهاز خاص في الطيارة متصل بمؤشر موضوع أمام قائد الطيارة فلا يكاد ينظر اليه حتى يعلم هل هو سائر في خط مستقيم أو منحرف الى اليمين أو الى اليسار . ويتكون هذا المؤشر من قطعتين مستطيلتين من المعدن مطليتين باللون الابيض ، وتتصل كل منهما بصحيفة طويلة رقيقة من الصلب تهتز بين قطبي مغناطيس كهربائي اذا التقط الجهاز التموجات فتهتز احدى الصحيفتين بمعدل ٦٥ اهتزازة في الثانية والاخرى بمعدل ٨٦٫٧ اهتزازة في الثانية ، وطالما سارت الطيارة في خط مستقيم بين محطتين معينتين فان القطعتين البيضاوين المستطيلتين تظهران على شكل مستطيلين ابيضين متساويين في الارتفاع . فاذا انحرفت الطيارة يميناً عن طريقها قصر المستطيل الذي الى اليسار واذا انحرفت الى اليسار قصر المستطيل الذي الى اليمين ويدرك الطيار ذلك فيعتدل بطيارته في خط مستقيم



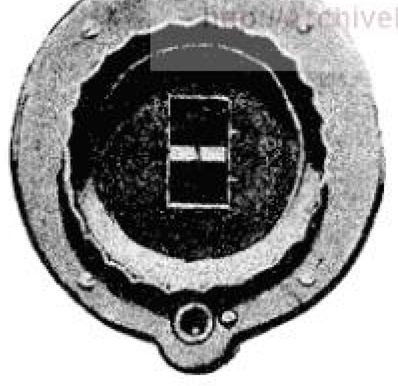
الى اليسار :
منارة كرويدون التي ترسل منها التموجات

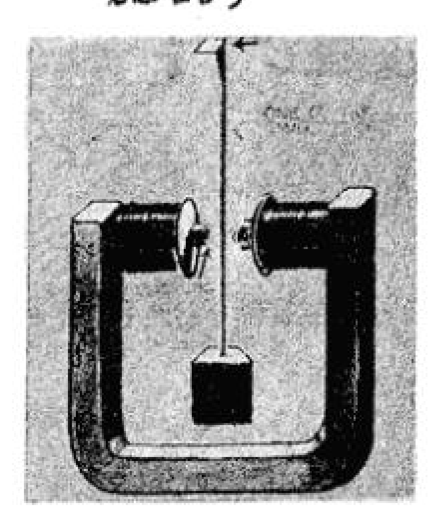


الى اليمين :
تمثل هذه الصورة المؤشر في ثلاثة أوضاع مختلفة : فالوضع الايمن يدل على ان الطيارة منحرفة عن طريقها الى اليمين ، والوضع الاوسط يدل على انها تسير في خط مستقيم ، والوضع الاخير يدل على انحرافها الى يسار الطريق

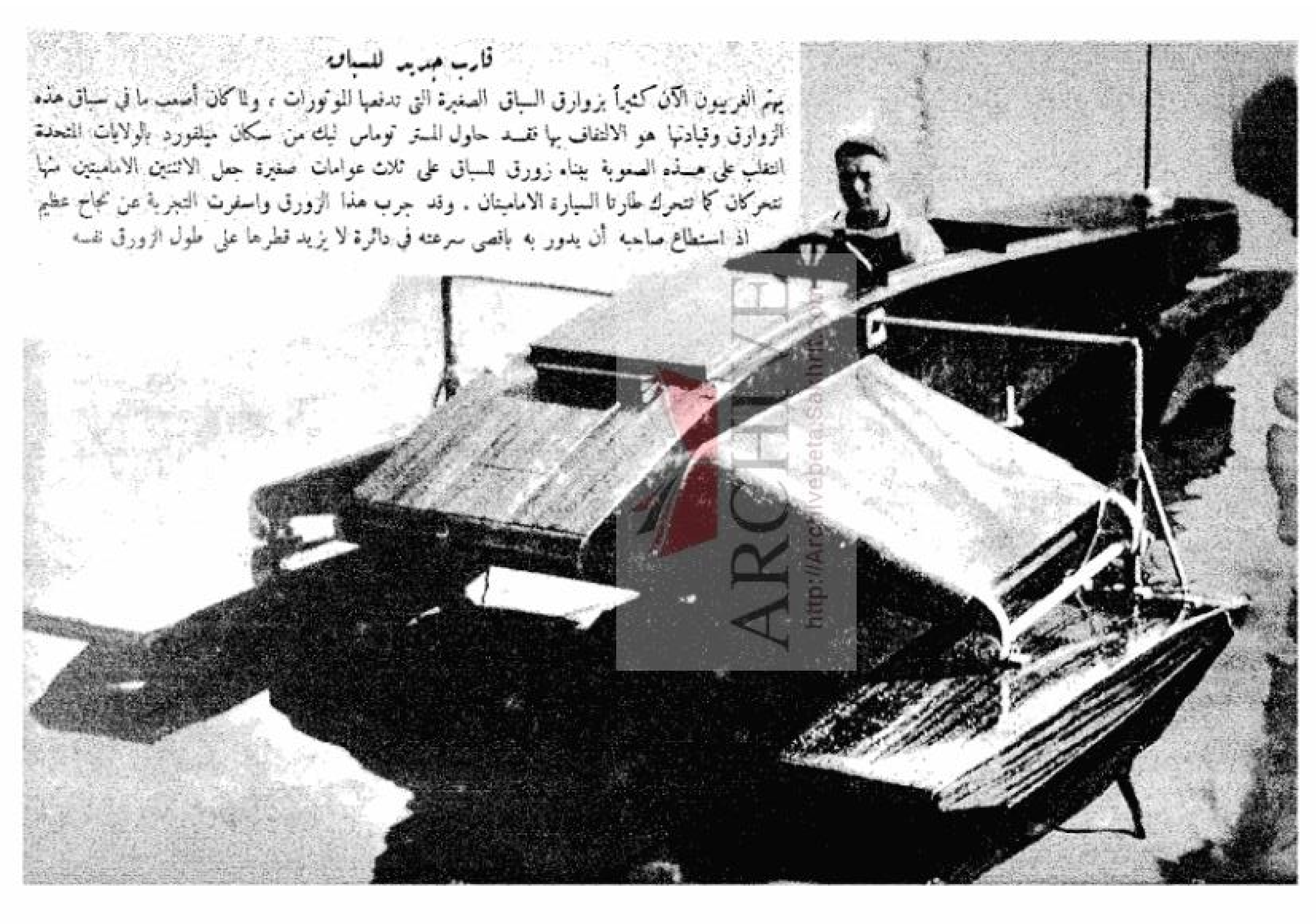


الى اليسار :
المؤشر الموضوع أمام قائد الطيارة وقد ظهرت فيه القطعتان المستطيلتان وهما ساكنتان





الى اليمين :
الصفيحة الفولاذية الرقيقة بين قطبي المغناطيس الكهربائي وفي طرفها القطعة البيضاء المستطيلة



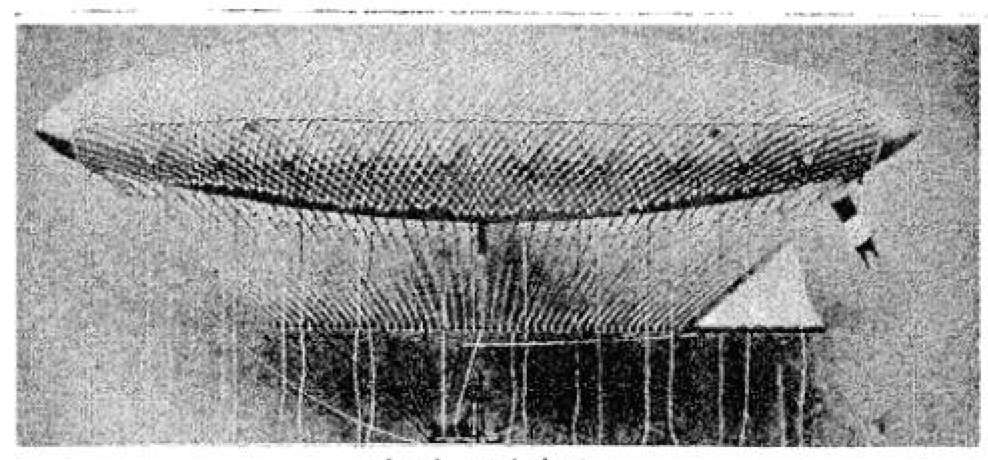
قارب جديد للسباق

يهتم الغربيون الآن كثيراً بزوارق السباق الصغيرة التي تدفعها الموتورات ، ولما كان أصعب ما في سباق هذه الزوارق وقيادتها هو الالتفاف بها فقد حاول المستر توماس تيك من سكان ميلفورد بالولايات المتحدة التغلب على هــذه الصعوبة ببناء زورق للسباق على ثلاث عوامات صغيرة جعل الاثنتين الاماميتين منها تتحركان كما تتحرك طارتا السيارة الاماميتان . وقد جرب هذا الزورق واسفرت التجربة عن نجاح عظيم اذ استطاع صاحبه أن يدور به باقصى سرعته في دائرة لا يزيد قطرها على طول الزورق نفسه

التصوير على ضوء الحرارة



تقدم التصوير بألواح الاشعة تحت الحمراء تقدماً عظيما تدل عليه التجارب العديدة التي تقوم بها معامل التصوير في اوربا واميركا . وقد قامت معامل كوداك اخيراً بتجربة ناجحة اذ أمكنها تصوير تمثال في الظلام على الضوء الحار المنبعث من مكواتين كهربائيتين سخنتا الى درجة حرارة اعتيادية فانبعث منهما ضوء حار لا يرى بالعين المجردة والتقط لوح الاشعة تحت الحمراء صورة التمثال بعد فتح العدسة مدة ساعة كاملة . وترى في أسفل الصورة المأخوذة على هذه الطريقة وقد ظهرت المكواتان كأنهما تشعان ضوءاً قوياً مع أنهما كانتا غير مرئيتين للعين المجردة في اثناء التقاط الصورة . أما الصورة العليا فمأخوذة بألواح اعتيادية بواسطة ضوء النهار الاعتيادي



الاختراعات الاولى

تقدمت الاختراعات في السنين الاخيرة تقدما عظيما قد لا يدركه الانسان الا إذا قارن بين الاشياء التي نستعملها الآن وبين ما كان آباؤنا أو كنا نستعمله منذ عشرات السنين. ولو اننا رجعنا الى سنة ١٨٥٢ التي بنى فيها المهندس الفرنسي هنري جيفار أول منطاد مسير بآلة بخارية وقارنا بينه وبين المنطاد جراف تسبلن لذهلنا لعظم الفرق بينهما في كل شيء. ولعل الصورة التي في أعلى والتي تمثل منطاد هنري جيفار تبين هذا الفرق بوضوح. فعوضا عن الدقة المتينة التي تستعمل في «جراف تسبلن» استعمل جيفار شراعا ثلاثيا صغيرا. وعوضاً عن الموتورات الجمة القوية استعمل آلة بخارية صغيرة كانت لا تقوى على مقاومة ريح متوسطة السرعة، وهناك فروق أخرى كثيرة في الحجم ومتانة الصنع والغاز المستعمل والحمولة الخ..



تمثل الصورة الى اليسار أول آلة كاتبة «تيبريتر» اخترعت فيما بين سنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٦٠. وشتان بينها وبين الآلات الكاتبة الحديثة

أول آلة تليفونية اخترعت بين سنة ١٨٦٠ وسنة ١٨٦٣. وترى المرسل الى اليسار والمستقبل الى اليمين. وكان الصوت يسمع بوضع الاذن على غطاء صندوق المستقبل مباشرة

سرعة الميكروبات

تسير ميكروبات الأمراض فى الهواء بسرعة يقول الأطباء انها عظيمة بالنسبة الى الميكروبات لأنها تبلغ سبع أقدام فى الدقيقة . وكان المفهوم قبلا أن هذه الميكروبات تنتقل بواسطة نقط الندى أو الرطوبة . إلا أن المباحث الأخيرة تثبت أن بعض الميكروبات تنتقل بلا واسطة أى على متن الهواء

البكتريا القديمة

شاع الاعتقاد بين العلماء منذ عهد غير بعيد أن البكتريا قد تعيش ألوفاً من السنين بدليل أنهم اكتشفوا البكتريا فى جوف الارض فى بعض مناجم الفحم . ولكن الدكتور ترنر أحد العلماء الاخصائيين بدرس حياة البكتريا يقول ان المباحث الكثيرة التى قام بها تدل على أن البكتريا لا يمكن أن تعمر مثل ذلك الزمن الطويل وان ما يوجد منها فى جوف الأرض وفى الطبقات الفحمية لا بد أن يكون قد تسرب الى هنالك مع الماء الذى يتخلل الطبقات

تعقيم اللبن

أحسن الطرق لتعقيم اللبن الحليب هى طريقة التعقيم بالكهربائية وذلك باطلاق تيار كهربائى فى اللبن يقتل ماقد يكون فيه من بكتيريا ، وفى عدة أماكن من أماكن بيع اللبن فى أوربا وأمريكا بطاريات كهربائية لهـــذا الغرض ، ويقال ان المجرى الكهربائى الذى يجرى فى اللبن لا يؤثر فى طعمه على الاطلاق

زيادة السرطان

تدل المباحث الطبية الدقيقة على أن مرض السرطان آخذ فى الانتشار . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية ومن احصاءات شركات التأمين على الحياة أن زيادة انتشار هذا المرض هى حقيقية ومطردة . إلا أن العلماء لا يرون فى هذه الزيادة مايقلق البال لأنها ترجع فى زعمهم الى عاملين مهمين (أولهما) أن الاحصاءات فى الوقت الحاضر هى أدق مما كانت فيما مضى (وثانيهما) أن تقدم علم الطب قد أدى الى إطالة متوسط عمر الانسان . ولما كان السرطان من الامراض التى تظهر فى كبار السن عادة فان طول متوسط العمر بوصل الانسان الى السن التى يظهر فيها ذلك المرض . وبعبارة أخرى إن تقدم علم الطب يتيح اليوم للانسان الوصول الى السن التى يصاب فيها بالسرطان

علاج جديد للسل

فى احدى المجلات العلمية الامريكية أن بعض الاطباء الاخصائيين يقومون الآن بتجارب واسعة النطاق لمعرفة تأثير « زيت الشولموجرا » فى معالجة التدرن الرئوى . ولا يخفى أن هذا الزيت يستعمل فى معالجة البرص . ويقال ان نتائج تجربته فى معالجة السل تبعث على أشد الارتياح وتقول « المجلة الكيمياوية السويدية » ان هذا العلاج يقف سير السل فى « خنازير غينية » وقفاً تاماً ، ولكن لا بد من مرور زمن طويل قبل أن تثبت فائدته للانسان ثبوتاً تاماً

زائر جديد من عالم الافلاك

فى أوائل الشهر الفائت شاهد الأستاذ بيزبروك مدير مرصد يركس الامريكى « مذنب بروك » بجوار الشمس . وهذا المذنب يزور عالمنا من وقت الى آخر وكانت آخر زيارة له سنة ١٩٢٥ أى منذ سبع سنوات وهى المدة التى يستغرقها هذا المذنب فى دورته حول الشمس

وقد اكتشف هذا المذنب لاول مرة فى سنة ١٨٨٩ ثم شوهد فى سنة ١٨٩٦ و١٩٠٣ و١٩١٠ . ولم يشاهده بعد ذلك أحد إلا فى سنة ١٩٢٥ ولما شوهد فى سنة ١٨٨٩ كان مصحوباً بأربعة « رفاق » ما لبثت أن اختفت كأنها انفصلت عنه

وعلى ذكر هذا المذنب نقول إن المذنبات أجرام علوية كبيرة لها جسم منير مؤلف من رأس وذنب . وهى قليلة المادة تدنو من الشمس من مكان ابعد من أبعد السيارات المعروفة أو من مكان قريب جداً من الشمس وتتم دورتها فى أفلاكها فى مدد مختلفة تختلف باختلاف ضيق الفلك أو سعته . فمذنب انكى مثلا يتم دورته فى نحو ثلاث سنوات وثلث سنة لان فلكه أصغر من فلك المذنبات المعروفة حتى الآن وفى سنة ١٨١١ ظهر مذنب بعيد ثبت أن مدة سيره فى فلكه تزيد على ثلاثة آلاف سنة وقد رصد العلماء من المذنبات حتى الآن ما يزيد على أربعمائة وجميعها تابعة للنظام الشمسى ولا تمكن رؤية أى مذنب منها الا عندما يدنو من الشمس

فحص عمر طبقات الارض

كان العلماء سابقاً يضطرون الى فحص منطقة كبيرة من التربة لمعرفة عمر طبقة الارض التى تنتمى اليها تلك التربة . أما الآن فقد صار فى الامكان ـ بفضل تقدم العلم ـ فحص ذرة صغيرة فقط من ذرات التربة لمعرفة عمر طبقة الارض المأخوذة منها ، وذلك بفحص اشعاعها . وتقول احدى المجلات العلمية ان الدكتور هخت النمسوى فحص ذرة من التراب لايزيد وزنها على ٣٢ مليجراماً فاتضح له ان عمرها لا يقل عن ثلثمائة مليون سنة

سيار جديد

اكتشف علماء الفلك فى كل من روسيا وأمريكا على حدة جرماً فلكياً صغير الحجم جداً لايزيد قطره على الارجح على عشرة أميال ومدة دورته حول الشمس سنتان وبضعة أيام ولما رصد هذا السيار فى أوائل اكتوبر الماضى كان فى برج الجدى . ولما كان هذا الجرم الفلكى من المقدار الثانى عشر أو يزيد قليلا فهو أضعف من ان تمكن رؤيته إلا بالمراقب (التلسكوبات) الكبيرة

ويؤخذ من رصد هذا السيار أنه واحد من الف وخمسمائة جرم فلكى صغير يدور فى الفضاء بين فلكى المريخ والمشترى . وجميع هذه الأجرام تدور حول الشمس ، وهنالك جرمان فقط منها تستغرق دورتهما مدة اقصر من مدة السيار الذى نحن بصدده

تصوير جسم الحشرات بالاشعة

قام العالمان فريك وسيزر الامريكيان (من اساتذة المعمل البيولوجي بنيويورك) بتصوير بعض الحشرات بواسطة أشعة إكس فتمكنا من تصوير باطن تلك الحشرات تصويراً دقيقاً برزت من خلاله الاعضاء الباطنية بروزاً واضحاً . وهذا التصوير يساعد على درس تركيب الحشرات الفسيولوجي وعلى مراقبة اعضائها عند قيامها بوظائفها المختلفة . والمظنون أن هذا التصوير سيكون خطوة جديدة فى سبيل درس جراثيم الامراض التى تنقلها الحشرات

الفيتامين « ا »

مادة الكاروتين (Carotene) هى المصدر الذى يستمد منه الجسم الفيتامين « ا » ولما كان غلاء هذه المادة وندرتها يحولان دون عزل الفيتامين « ا » (إذ كان الرطل الواحد منها يساوى قديماً نحو احد عشر الف دولار) وجه العلماء جهودهم لصنع مادة الكاروتين ، وقد تسنى لهم ذلك وصارت هذه المادة لاتساوى خمسة عشر دولاراً للجرام الواحد . وبهذه الطريقة صار فى الامكان عزل الفيتامين « ا » على نطاق واسع

ولا يخفى ان هذا النوع من الفيتامين لازم لنمو الجسم نمواً اعتيادياً - ويعتقد فريق من الأطباء أنه ينشىء فى بعض الاشخاص مناعة ضد الزكام والنزلات الشعبية وهو يوجد بكثرة فى زيت كبد الحوت وفى الزبدة والجزر والقشدة والبيض واللبن والسبانخ وبعض المواد الأخرى

لفصل الذهب عن الفضة

كثيراً ما يكون الذهب ممتزجاً بالفضة بكميات صغيرة جداً بحيث يصعب فصل المعدنين عن الآخر . وقد ابتكر الدكتور بور شرز العالم الألمانى طريقة يمكن بها فصل الذهب عن الفضة إذا كان المعدنان ممتزجين معاً ، ولو كان الذهب جزءاً من ثلثمائة من كمية الفضة الممزوج بها وهذه الطريقة هى معالجة المزيج بحامض الكبريت فتذوب الفضة ويبقى الذهب

سرعة النور ومرور الزمن

كان بعض العلماء يعتقدون ان سرعة النور تتناقص بمرور الزمن . ولكن الدكتور كندى من اساتذة جامعة وشنطون الامريكية قد قام بمباحث دقيقة جدا ثبت له منها فساد الفكرة المذكورة ودوام سرعة النور على حالها على مر الاحقاب ، وقد انتهى هذا العالم الى نتيجة جديدة بنى عليها نظرية جديدة فى نسبية الزمن (Relativity of time)

الاشعة الكونية

هى الأشعة التى اكتشفها مليكان العالم الامريكى المشهور وزعم انها تصل الى الارض من الفضاء الذى يتخلل الافلاك السحيقة . ولا يعرف العلماء حتى الآن شيئاً يستحق الذكر عن هذه الأشعة ولكن المباحث الدقيقة تدل على أن قوة ما يصل منها الى الارض على الدوام تعادل اربعين مليون « فولت » وهى كما ترى قوة هائلة يعجز العقل عن تصورها

معدن البلاتين

هو من اغلى المعادن فى العالم ومن أندرها وقد تمكن العلماء من ايجاد وسيلة عملية لتطريقه بحيث لاتزيد ثخانة رقائقه على جزء واحد من مائتى الف جزء من البوصة . وهذه الرقائق تستعمل فى التذهيب . ويعادل ثمن الرطل الواحد من البلاتين ثقله ذهباً . ويبلغ مجموع ما يستنفده العالم منه نحو ستة اطنان فى السنة ، ويمكن تمديده وصنع خيط دقيق منه بحيث ان طول الخيط الذى يصنع من بوصة مكعبة منه يعادل ضعفى محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء او ما يوازى خمسين الف ميل . فتأمل !

النور البارد

اخترع الاستاذ جورج كلود الفرنسى مصباحاً كهربائيا يشع نوراً ابيض بارداً وهذا النور هو اقرب الانوار الصناعية الى نور الشمس واذا وقع على الالوان تركها كما هى ولم يحدث بها اى تغيير . بخلاف المصابيح الاخرى فانها تؤثر فى الالوان فتجعلها تظهر بلون يختلف عن لونها عند ماينظر الناظر اليها فى نور الشمس

وهذا النور الجديد ينشأ من مرور تيار كهربائى فى انبوب بعض الغازات النادرة

الزلازل والبحار

يزعم البعض أن البحار وقيعانها تسلم من فعل الزلازل . وهذا خطأ عظيم لأن الزلازل تقع فى البحر كما تقع فى الأرض . وفى أواخر سبتمبر الماضى وقع زلزال عظيم فى قاع المحيط الباسفيكى شرقى سواحل اليابان . ويؤخذ من رصد هذا الزلزال انه غير شكل قاع المحيط تغييراً تاماً وفتح فى بعض انحائه ثغرات هائلة . وقد أرسلت مصلحة الطبيعيات فى امريكا بعثة علمية لمسح قاع المحيط فى ذلك المكان من جديد ومعرفة التغييرات التى احدثها الزلزال هنالك

معدن نادر

الانديوم هو من أندر المعادن المعروفة، وهو لندرته غال جداً اذ يعادل سعره عشرة اضعاف سعر البلاتين الذى يعتبر من أغلى المعادن . وفى بعض المجلات العلمية الأخيرة أن مصادر جديدة لهذا المعدن قد اكتشفت فى امريكا وانه اذا تسنى استغلال هذه المصادر والمصادر الموجودة فى المانيا فستزيد كمية المستخرج من هذا المعدن على خمسة كيلوجرامات فى العام . ونظراً الى ندرة هذا المعدن لا تعرف مزاياه حتى الآن

الفيتامين « د »

تمكن العلماء من عزل الفيتامين « د » الذى يوجد بكثرة فى زيت كبد الحوت وصاروا يصنعون منه خلاصة تعادل عشر نقط منها كمية الفيتامين التى توجد فى ثلاث ملاعق شاى من زيت كبد الحوت . وليست هذه الخلاصة من المواد التى تنتجها المعالجة بالاشعة فوق البنفسجية بل هى خلاصة طبيعية مستخرجة من زيت كبد الحوت وهى على مايقال لطيفة المذاق ومن افضل المواد لمعالجة مرض الكساح

شؤون الدار

الصوف أم القطن

للناس آراء مختلفة فى ايهما أفضل - تعويد الطفل لبس الثياب الصوفية فى الشتاء أم الثياب القطنية ؟ والغريب انك تجد هذه المسألة مثار جدل عظيم بين الاطباء انفسهم فان بعضهم يصف الثياب الصوفية والبعض الآخر يصف الثياب القطنية . ولكن الفريق الاكبر من الاطباء فى جانب استعمال النوع الاول فى الشتاء فانه أحفظ للجسم من البرد . ومن الاطباء من لايرون ضرراً من استعمال القمصان الصوفية الناعمة حتى فى فصل الصيف لانها تمتص العرق وتحفظ الجسم جافاً دائماً

أفضل الالوان

عامل اللون من أهم العوامل التى تؤثر فى جمال المنزل وحسن تنسيق ما فيه من اثاث . وقد تختلف أذواق الناس بشأن الالوان ولكن هنالك ألوانا قلما يقع عليها خلاف . فاللون الأسود فى نظر معظم الناس ان لم نقل كلهم هو من الألوان التى ينقبض منها الصدر بخلاف اللون الازرق أو البنفسجى مثلا فانها من الالوان التى يستحسنها الجميع . ويقول العالمون بطبائع الانسان ان تناسق الالوان داخل المنزل كثيرا مايكون سببا فى هناء الاسرة ورغد عيشها بخلاف فوضى الالوان فقد تنغص عيشة الزوجية

وقد ثبت أن هنالك أمراضاً عصبية يمكن معالجتها بالالوان . ويظهر ان هذه المعالجة أشد أثراً فى الاحداث منها فى البالغين . وفى بعض انحاء أوربا مستشفيات للمعالجة بالالوان

القهوة للاولاد

مادة الكافايين الموجودة فى القهوة هى منبه عظيم واذا أفرط الانسان فى استعمالها فقد تؤثر فى الاعصاب تأثيراً سيئاً وقد تجعل متعاطيها عصبى المزاج . لذلك يجب مراعاة الكمية التى تعطى منها للاولاد لكى تكون قليلة جداً ممزوجة دائما باللبن . ويقول الاطباء الاخصائيون ان الاولاد الذين يعتادون شرب القهوة السادة فى حداثتهم يصبحون فيما بعد ذوى مزاج عصبي جداً

للعناية بالاسنان

كثيرا مايهمل الانسان « الفورشاة » التى ينظف بها اسنانه فيضعها اينما تسنى له وضعها وقد يضعها فى مكان يتراكم فيه عليها الغبار وفى الغبار كثير من الميكروبات . وقد روى أحد اطباء الاسنان فى اميركا أن رجلا أصيب بالتسمم لانه استعمل « فورشاة » كان قد تراكم

عليها قليل من الغبار اذ جرحت « الفورشاة » لثته فاصيب بعدوى من ذلك الغبار وتوفى بعد قليل . وأمثال هذه الحوادث كثيرة جداً يجب العمل على تلافيها ولا يكون ذلك الا بالحرص على « فورشاة » الاسنان ووقايتها من الاقذار

حفظ البيض

اخترع أحد الاميركيين وعاء يشبه « الترموس » لوضع البيض ووقايته من الفساد ولا يخفى أن الهواء الذى يدخل البيضة عن طريق مسام قشرتها هو الذى يفسدها . والوعاء المذكور مصنوع على مبدأ الفراغ أو « الفاكيوم » أى انه فارغ من الهواء فاذا وضع فيه البيض حفظه من الفساد

وفى وسع ربة الدار ان تحتفظ بالبيض طويلا بوضعه فى الردة أو النخالة فان ذلك يمنع تسرب الهواء الى داخله ويقيه من الفساد

تنظيف الخشب

اذا أضفت بضع نقط من محلول النشادر الى جالون من الماء وغمست فيه قطعة من النسيج أمكنك ان تنظف الاثاث المصنوع من الخشب تنظيفاً تاماً وان تعيد الخشب الى لونه الطبيعى اذا كان لونه قد تغير بمرور الزمن

ومحلول النشادر يصلح أيضا لتنظيف الادوات المنزلية النحاسية . واذا رششت بضع نقط منه على السجادة فانه يطرد ما قد يكمن فيها من الحشرات

الحرائق فى المنازل

كثرت حوادث الحريق فى المنازل فى بعض أنحاء الولايات المتحدة فأصدرت احدى شركات التأمين أوامر إلى مفتشيها للتحقق من طباع ربات المنازل ومقدار حرصهن على منازلهن حتى إذا اتضح أنهن مهملات غير مكترثات لشؤونهن المنزلية أبت الشركة تأمين بيوتهن من أخطار الحريق

وكذلك أصدرت إحدى الشركات تعليمات مطبوعة لربات المنازل لحثهن على الاهتمام بشؤونهن المنزلية وعدم إهمالها والاحتراس لئلا تشب النيران فى بيوتهن

تبخير الطرائف الاثرية

كثيراً ما تكون الطرائف الفنية بؤرة للميكروبات تنتقل منها الجراثيم إلى التحف المنزلية لذلك يجدر بربة الدار أن تبخر تلك الطرائف من وقت إلى آخر قتلا لما قد يكمن فيها من الميكروبات

أكل الموالح

الموالح ولا سيما البرتقال هى من أفضل أنواع الفاكهة التى يمكن إعطاؤها للاطفال من دون خوف أن يؤدى ذلك إلى شىء من ارتباك المعدة . وفى وسع الأم أن تعطى ولدها عصير البرتقال فى كل وقت من أوقات النهار فان في هذه المادة من الفيتامين ما يساعد على نمو الاطفال والاولاد الصغار ، بل ان بعض الاطباء يعتقدون أن الاكثار من تناول

البرتقال يحدث شبه مناعة ضد أنواع كثيرة من الحميات. أضف إلى ذلك أن عصير البرتقال هو من أحسن المواد التي يغذى بها المصابون بالحميات

الحامض والسمع

يقول أحد الاطباء إن الافراط في أكل المواد الحامضة قد يؤدي إلى الصمم بعد مرور الزمن. وهو لذلك ينصح للامهات ألا يعودن أطفالهن إدمان المواد الحامضة لئلا يؤثر ذلك في حاسة السمع عندهم في المستقبل

لحم الضأن

هو أشد أنواع اللحم دسماً وأثقلها هضماً على المعدة، ولذلك ينصح الاطباء بعدم إعطائه للاولاد الصغار أو المصابين بالأمراض. إلا أن هنود نافاجو يعودون أطفالهم أكل لحم الضأن قبل أن تنمو أسنانهم. ويقول الاطباء الذين درسوا حالة هؤلاء الاطفال إنهم يتمتعون بصحة جيدة على وجه الاجمال والارجح أنهم يكتسبون قوة وراثية تمكنهم من ازدراد اللحم بسهولة بحيث لا تؤثر في حالة معدهم، ومع ذلك يجدر بالامهات أن يقللن من إعطاء أولادهن لحم الضأن فقد ثبت بالاختبار أنه يمهد السبيل للكثير من أمراض المفاصل في الكبر

أمراض الطيور

كثيراً ما تكون الطيور — ولا سيما الببغاء — حاملة لبعض أنواع الميكروبات المضرة. وقد روى الاطباء عدة روايات ذهب فيها الاطفال ضحية تلك الميكروبات، ويسمى المرض الذي تنقله «بسيتا كوسيس». ويجدر بالوالدين مراقبة الطيور التي قد تكون في بيوتهم والتي يلهو أطفالهم باللعب بها فقد تكون بؤرة ميكروبات فيها سم زعاف

ومما يجدر بالذكر أن في اميركا — ولا سيما في لوز انجليس — سيدات يربين طيور الببغاء لاستعمال ريشها. ويقول الاطباء إن كثيراً من أولئك السيدات يصبن بمرض البسيتا كوسيس ويقضين نحبهن

وعلى ذكر الطيور نقول إن من الحيوانات الاليفة كالقطط والكلاب وغيرها ما تكون حاملة لميكروبات أمراض كثيرة فيجدر مراقبتها وعدم السماح للاولاد بمداعبتها لئلا يصابوا بعدوى ميكروباتها

أسنان الاطفال

مهما بالغنا في نصح الامهات بالعناية بأسنان أطفالهن فاننا لا نستطيع تصويرها لهذه المسألة من الشأن العظيم، ليس بالنسبة الى حالة الطفل في طفولته فقط بل بالنسبة الى حياته المستقبلة أيضاً. ويظهر ان الاكثار من تغذية الطفل بالخبز الابيض (الفينو) يضعف أسنانه ويسرع به نحو الشيخوخة. ولذلك ينصح كبار أطباء الاسنان باميركا للامهات بأن يقللن من تغذية أطفالهن بذلك الخبز وأن يضفن الى الدقيق الذي يصنع منه الخبز مقداراً من تريكلسيوم الفوسفات فانه يقوى العظام ويغذيها

تأثير الوهم

لاشك أن للوهم تأثيراً كبيراً فى صحة الانسان وفى مزاجه ويقول بعض علماء البسيكولوجيا ان الوهم هو عادة مقتبسة وقلما يكون للوراثة علاقة به . أى ان الانسان اذا عود نفسه الوهم أصبح عبداً له . ولذلك يجب الاقلاع عن هذه العادة التى يشتد تأثيرها بمرور الزمن حتى يصبح الانسان عبداً لها ولا يعود يستطيع الاقلاع عنها فيما بعد . وفى استطاعة كل أم أن تربى فى طفلها ملكة الازدراء بالوهم وعدم الانقياد له لا سيما انه يسرع بالشيخوخة ويوصل الانسان اليها قبل الاوان

السكر وقوته الغذائية

السكر من أحسن المواد الغذائية التى يمكن اعطاؤها للاطفال وهو يدخل فى تركيب مواد كثيرة ولا سيما اللبن والفواكه الطازجة أو المطبوخة . ويقول الاستاذ موس وهو من علماء الكيمياء بأميركا إنه اذا أضيف إلى السكر قليل من تريكلسيوم الفوسفات كان غذاء مفيداً جداً للاطفال يساعد على نمو عظامهم وأسنانهم بوجه خاص فضلا عن كونه يحفظ السكر المسحوق من التكتل بسبب الرطوبة

ضرر المسهلات

اعتادت بعض الامهات أن يعطين أولادهن مسهلا (شربة) بمناسبة وبغير مناسبة وهى عادة لاتخلو من الخطر اذا وصلت الى حد الافراط . فقد روت مجلة السيانتفيك أميركان بعددها الصادر فى شهر نوفمبر الماضى أن أحد أطباء كاليفورنيا دعى لمعالجة ولد فى العاشرة من عمره كانت درجة حرارته مرتفعة ، وبعد فحصه اتضح له ان الولد تناول عدة اقراص من دواء مسهل فنشأت عن ذلك أعراض حمى وهذيان

ويقول الدكتور كالن الاميركى ان الافراط فى تناول الادوية المسهلة ليس محمود العاقبة اذ كثيراً ما يعقبه حمى وانحطاط عام فى قوى الجسم

معلومات مختلفة

تقول مجلة الصناعات الغذائية ان تبريد المواد الغذائية قبل وضعها فى علب يحفظها من الفساد ويحفظ ما بها من فيتامين

وقد يظل الخبز طازجاً عدة اسابيع اذا برد بالوسائل الصناعية

وكذلك يمكن حفظ العنب طويلا اذا وضع فى صناديق مثلجة

وأحسن انواع الجبن ما صنع من لبن مثلج

والرز الذى تزال منه رطوبته (وقلما تنقص هذه الرطوبة عن ٢٥ فى المائة) يسلم من الفساد

واذا كانت غرفة المؤونة مبردة كانت أقل عرضة للفئران

في عالم الأدب

اميرة الاندلس

تأليف احمد شوقي بك

(طبعت بمطبعة دار الكتب المصرية
صفحاتها ١٥٧ من القطع الصغير)

عاش أمير شعراء العصر أحمد شوقي بك شاعراً عبقرياً اجتمعت له وسائل الاجادة والنضوج فى الشعر العربى حتى استطاع ان يسمو فى الشعر الى الدرجة الأولى، وامكنه أن يجارى فحول الشعراء السابقين وحمل لواء الزعامة الشعرية فى هذا العصر على سائر شعراء الأقطار العربية بلا منازع نحو ثلاثين أو اربعين عاماً

وقد شعر فى السنين الاخيرة من حياته بالتطور العظيم الذى طرأ على النهضات الأدبية فى الشرق والغرب، ورأى النهضة الشرقية تتجه نحو العناية بالقصة وخدمة المسرح وتزويده بالروايات الشرقية، ورأى من جهة أخرى ان الجمهور قد تطورت نفسيته واصبحت القصة لها من التأثير فيه ماليس لغيرها من فنون الادب فانبرى شوقى يشترك فى هذا الميدان، لينهض بالمسرح الشرقى وليبرهن على أن اللغة العربية بل الشعر العربى يتسع لكل فن من الفنون، وليقدم للجمهور من تاريخنا ومجد آبائنا مافيه العظة البالغة والعبرة الرائعة. فأخرج رواية «مصرع كليوبطره» فمثلت على المسرح مراراً وحازت من اعجاب الادباء والجمهور ما لم يكن مقدراً لأول رواية شعرية يضعها اديب شرقى

ثم أتبع هذه الرواية برواية «مجنون ليلى» وقد مثلت فى مصر وغير مصر من الاقطار الشرقية. ثم اصدر روايته الثالثة «قمبيز» فلم يكن نصيبها من التقدير والاعجاب باقل من نصيب اختيها السالفتين

وها هى ذى رواية «اميرة الاندلس» ، وهى الرواية الرابعة. ولم يتنه طبعها الا بعد وفاة مؤلفها بنحو ستة عشر يوما. وهو فى الاغلب قد صحح قبل وفاته بروفاتها وبروفات الروايتين الأخريين «على بك الكبير» و «عنترة» اللتين ستصدران قريباً

و «أميرة الاندلس» التى بين ايدينا الآن هى رواية جرت حوادثها فى زمن اضطربت فيه الاندلس بالفتن والمكائد. وضعفت فيه الدولة العربية وكثرت فيها المطامع، وتفشى بين ملوكها البذخ والترف والخلاعة فعجزوا عن حماية الملك ورعاية السلطان امام الفرنج الذين قضوا عليهم فى آخر الأمر وسلبوا ملكهم فى هذه البلاد

وقد كتب شوقى بك هذه الرواية باسلوب

نثرى بديع اشتملت سطوره على عبارات شعرية المعنى والخيال . فبالرغم من أنها نثرية التأليف ترى شاعرية شوقى تغلبه اثناءها فيأتى بأسلوب هو الشعر بعينه

معجم الحيوان

بقلم الفريق أمين باشا المعلوف

(طبع بمطبعة المقتطف صفحاته ٣٠٠ من القطع الكبير)

أهدت زميلتنا « المقتطف » الغراء هذا الكتاب لقرائها . وهو قاموس ثمين يحتوى على اسماء انواع الحيوان التى يحتاج الكاتب والمترجم الى معرفتها والتى ليست مشهورة كبعض الاسماء المتداولة . وقد نشر المؤلف بعض بحوث هذا الكتاب فى « المقتطف » فى سنوات متفرقة ، وابتدأ هذه البحوث فى سنة ١٩٠٨ . وقد قدم المرحوم الدكتور يعقوب صروف أول بحث منها بمقدمة نقتطف منها ما يأتى :

« لايخفى على من اشتغل بالترجمة من اللغات الاوربية أو بالتأليف على منهاج الاوربيين ان من أنواع الحيوان والنبات ما اسماؤه معروفة مشهورة كالغراب والفرس والتين والزيتون ، فلا تخفى على أحد ، ولا تخفى دلالة الاسم على المسمى . ومنها ما اسماؤه غير معروفة أو غير مشهورة أو اخطأ المترجمون فى ترجمتها وشاع الخطأ دون الصواب وهذه كلها يستصعب المترجم تحقيقها من مظانها لما وصل اليها . وليس فى العربية حتى الآن قاموس عربى افرنجى عنى مؤلفه بترجمة كل اسماء الحيوانات والنباتات التى لها اسماء فى العربية أو بين الناطقين بها ، ناهيك بأن تعريف اسماء الحيوانات والنباتات فى كتب اللغة العربية قلما يدل عليها »

ولا شك ان الدكتور امين معلوف قد لقى فى سبيل تأليف هذا الكتاب صعوبات جمة وعانى مجهوداً عظيما . فان الذى يتصفح هذا المعجم يقتنع بانه ثمرة بحث طويل ومراجعة دامت عدة سنوات . وقد توخى فيه تحقيق الألفاظ التى وردت فى كتب اللغة وصحة ما يقابلها بلسان العلم الحديث ، وأهمل كثيرا من الألفاظ التى يتخبط فيها الكتاب بلا دليل كاف ، وذكر كثيرا من الألفاظ المعربة أو التى وضعها المحدثون . وكان رائده فى ذلك كله التدقيق فى البحث والأمانة فى الرواية والنقل وقد ازدان بعدة صور لحيوانات برية وبحرية مختلفة ، ورتبه المؤلف حسب ترتيب الحروف الافرنجية ذاكراً الاسم الافرنجى وبجانبه الاسم العربى

والكتاب على هذا المنوال من خير المعاجم المنظمة تنظيما حديثاً ، التى وضعت على نسق جديد يتمشى مع النهضة العلمية الحاضرة . ونحن نعتقد ان الدكتور معلوف قد خدم بتأليفه هذا الكتاب جمهرة العلماء والمتعلمين الذين لا يستغنون عن الرجوع اليه لتحقيق اسماء الحيوان . وفى الحق ان المجهود الذى قام به منفرداً انما هو مجهود قل أن يتيسر لنفر من العلماء مجتمعين

محاضرات

في التربية والتعليم

تأليف الاستاذ واصف بارودى

(طبع في مطبعة الكشاف ببيروت صفحاته ٧٣)

مؤلف هذه المحاضرات من رجال التربية والتعليم وهو مفتش معارف في الجمهورية اللبنانية وأحد علمائها وأدبائها الفضلاء. وقد القاها متفرقة ببيروت، وطرابلس، وصيدا وزحلة

واذا كان القدماء قالوا: «اعط القوس باريها» ويعنون بذلك ان صاحب الشيء أو صانعه وممارسه هو أدرى بوجوه استعماله وصلاحه فالاستاذ واصف بارودى اذا حاضر في التربية والتعليم وجعل نصب عينيه المبادىء الصحيحة والحديثة فانما يحاضر في هذا الموضوع عن دراية تامة وخبرة سديدة بمهنة التربية والتعليم التي هي في الحقيقة من أصعب المهن وأدقها وأشقها

وقد خص هذه المحاضرات بموضـوع تدريس اللغة العربية، وغرضه من ذلك تسهيل تدريس هذه اللغة وازالة ذلك الوهم الخاطىء الذي يتوهمه الكثيرون من ان هذه اللغة صعبة التناول عسرة التحصـيل مكدة للعقول والأذهان

وقال في هـذا الصدد: «اذا نظرنا لقضية صعوبة اللغة العربية بعين الانصاف والأخلاص ودرسناها بتجرد وامعان، نجد ان هذه الصعوبة التي عمت منها الشكوى ليست في ذلك كله، وانما هي نتيجة للطرق المتبعة في تدريسها

«ان لكل لغة في العالم صعوباتها، وليست صعوبات هذه اللغة العربية بأكثر من تلك التي تكتنف بقية اللغات، لكنها الطريقة، هي التي تسهل فتقرب، أو تصعب فتقصى. وان امثل طريقة لتعليم اللغة هي الطريقة المباشرة لانها تجعل اللغة سليقة في الولد. الطريقة المباشرة تمنح اللغة حياة، لانها تجعلها لغة التكلم، وعندئذ تحتفظ هذه بمرونتها فترتقى وفاقاً لنواميس التدرج والتطور»

معجم صباغ

عربي اسباني

تأليف الاستاذ ميخائيل صباغ

(طبع بعاصمة المكسيك صفحاته ٤٧٧)

لاشك ان هذا المعجم سيسد فراغاً تحتاج الى ملئه الجالية العربية في جمهورية المكسيك وفي اميركا الوسطى الجنوبية وفي سائر العالم الاسباني. وهو فضلا عن ذلك سيكون خير معوان للذين يعرفون من الشرقيين اللغة الأسبانية، وسيوفر عليهم مجهوداً كبيرا في الترجمة عن الاسبانية

ويتألف هذا المعجم من جزءين أخرج مؤلفه الاستاذ ميخائيل صباغ الجزء الأول منهما. وقد استغرق تأليفه نحو خمس سنوات حتى استوفى غايته من الكمال والاتقان وخرج الى حيز الوجود في طبع جيد ورونق جذاب فنهنىء الأستاذ صباغ بمؤلفه، ونرجو أن

يصدر الجزء الثانى عن قريب حتى يكون قد أكمل خدمته الجيدة للجالية العربية فى البلاد الأسبانية ولغيرها من الادباء والعلماء الذين يعرفون هذه اللغة

الخطرات

بقلم وداد سكاكينى

(طبعت بمطبعة الكمال ببيروت صفحاتها ١٨٢ من القطع المتوسط)

يعجبنا حينما نقرظ هذا الكتاب ان نسطر تلك الكلمة التى قالتها الدكتورة أنس بركات باز فى تقريظها لهذه الخطرات، فقد قالت: «خطرات الانسان كاختيار الاصدقاء دليل جوهر نفسيته، عنوان غايته فى الحياة التى ليست الا وزنة ثمينة نفديها بكل جواهر العالم لو صفيت لنا»

وحقا ان خطرات الانسان دليل جوهر نفسيته، وعنوان غايته. ولقد الفينا من هذه الخطرات التى دبجها يراع الكاتبة البارعة وداد سكاكينى ماملك علينا مسالك الاعجاب بتلك النفسية العالية التى سمت الى غايات شريفة وتناولت من الاغراض الأدبية والاجتماعية والاصلاحية مايلذ القارىء ويمتعه ويفيده

فهى سبع وثلاثون خطرة لكل منها فصاحته واسلوبه السليم وموضوعه المختار، فهذه فى الفن القصصى، وهذه فى العظمة الخالدة أو الأنانية أو الجرأة الأدبية أو اصلاح المرأة، وتلك فى الحقيقة الضائعة أو التجديد فى الشرق، أو الرياضة البدنية او الصحافة والصحافيين، أو التربية وأثرها فى حياة الامة، الى غير ذلك من الخطرات النفيسة التى تستحق الثناء والتشجيع

الاسلام

تأليف الاستاذ اسعد لطفى

(طبع بمطبعة فاروق بالقاهرة صفحاته ٣٦٨ من القطع الكبير)

كنا قبل ان نطلع على هذا الكتاب القيم نعرف ان الاستاذ اسعد لطفى حسن النقيب السابق لموظفى الحكومة المصرية من رجال الادب والثقافة، وكنا نشهد له حفلات يخطب فيها فاذا هو خطيب مفوه يرتجل الخطبة الطويلة ارتجالا فى عبارات فصيحة واسلوب مؤثر، وبصوت خطابى نافذ الى مدى بعيد

فلما اطلعنا على هذا الكتاب وتصفحنا ما فيه اذا بنا نرى لنقيب الموظفين السابق ناحية جليلة أخرى من نواحى كفاءته ومقدرته، وتمثلت لنا منه شخصية أخرى كنا نجهلها. وتلك الشخصية تمت الى الثقافة الدينية بسبب بل بأسباب، وترتدى ثوب الورع والتقى والاخذ بالاخلاق الكريمة والسلوك الحسن الذى انتهجه الدين الاسلامى للناس

وقد كان هذا الكتاب (الاسلام) نتيجة هذه الغيرة على الدين الذى هجره شبان هذا الزمان وعصوا اوامره، فقام بتأليفه ليهدى الخلق الى الحق، واتبع فيه طريقة جديدة ومفيدة للعالم والمتعلم، فبدأه بكلمة عن مولد النبى محمد (ص) واتبعها بفصل عن الاسلام ونشأته ومكانته وفضله واستمد من القرآن الكريم شواهد كثيرة على ما ذكره. ثم اتبعه بفصول

عن « التكليف » و « الملائكة » والانبياء و « الكتب السماوية » و « التوراة والانجيل » وقصص هود ولوط وغيرهما من الانبياء ، و « الحض على السعي في طلب الرزق » و« التحذير من الاعتقاد في التنجيم » و « الحض على الامانة والوفاء » و « التحذير من الحسد والحقد » و « الحض على الاعتدال وعدم الاسراف » و« النهي عن البخل والشح » وغير ذلك من التعاليم والاوامر والنواهي التي جاءت في القرآن الكريم . وقد استشهد على كل ما ذكر بآيات من القرآن . وقسمه فصولا حسب الموضوعات وعني بتأليفه وطبعه واختيار ورقه عناية كبيرة

مطبوعات اخرى

نكتفي فيما يلي بالاشارة الى صدور بعض المطبوعات الحديثة ونعتذر عن افاضة الكلام عليها لضيق المقام

ه « في ارجوحة الفكر » خواطر في الادب والاجتماع وعلم النفس تملأ ٨٥ صفحة من القطع المتوسط بقلم رشدي افندي ميخائيل البيسي . طبعت بمطبعة الشباب بمصر

ه « عيد سيدة صيدنايا » و « فاجعة حب » وهما قصتان بقلم الأديب انطون سعاده . طبعت بمطبعة يوسف صادر ببيروت . صفحاتها ١٠٨ من القطع المتوسط

ه « اتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس » تأليف المؤرخ مولاي عبد الرحمن بن زيدان . ظهر الجزء الثالث من هذا الكتاب وقد سبق لنا ان قرظنا الجزءين السالفين في الهلال . وهو كتاب تاريخي ضخم عن مفاخر الدولة العلوية بمكناس . عدد صفحاته ستمائة من القطع الكبير . وقد طبع بالمطبعة الوطنية بدرب الفاسي عدد ٣ بالرباط

ه « صناعة الصابون » تأليف الدكتور محمد فهمي الفولى . يشتمل هذا الكتاب على جميع المباحث المتعلقة بالصابون . وعدد صفحاته ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط . وقد طبع بمطبعة مصر

ه « محاضرات محفل فرعون » . وهي مختار المحاضرات التي القاها بعض الادباء بمحفل فرعون بالاسكندرية . طبعت بالمطبعة الاهلية صفحاتها ٩٤ من القطع المتوسط

ه « تاريخ فينيقية » وهو كتاب قيم ثمين يبحث في جغرافية فينيقية وتاريخها منذ اقدم العصور . تأليف العالم الفاضل الاستاذ الياس مرشد صباغ . طبعت بمطبعة جريدة « الحرية » لصاحبها نسيب عامر وهبه ١٥٠ غربي شارع لارتد ديترويت مشيغن

ه « الغرور » درامة عنيفة ذات اربعة فصول . تأليف الاديب احمد تقي الدين . طبعت بمطبعة الاعتدال بدمشق . صفحاتها ٩٤ من القطع الصغير

ه « سمير التلميذ » قصص مصورة وانشاء مطالعة للمدارس الابتدائية . وهو الجزء الثالث من هذه السلسلة التي قام بتأليفها الأستاذ عبد اللطيف بدوي المدرس بالمدارس الابتدائية الأميرية بمصر طبع بدار الطباعة الاهلية بشارع

الفجالة بالقاهرة . صفحاته ١٢٠ من القطع المتوسط

٥ « رسالة فى تعليم اللغة التركية الحديثة » تأليف الاستاذ محمد شاكر مدرس اللغة التركية وقد نقحتها واقرتها اللجنة الخاصة بوزارة المعارف بحكومة الجمهورية التركية بانقرة . طبعت بمطبعة سكر بشارع محمد على بمصر

٥ «ضحايا الشقاء » رواية ادبية اجتماعية تمثيلية تأليف الدكتورة منيرة طلعت صاحبة ورئيسة مدرسة كليوباتره برأس التين بالاسكندرية . صفحاتها ٤٨ من القطع المتوسط

٥ « الغفلة » رواية ادبية اجتماعية مصرية تأليف الدكتورة منيرة طلعت . صفحاتها ٥٥ من القطع المتوسط

٥ « مأساة الصنوبر » رواية تمثيلية أدبية اخلاقية اجتماعية ذات ثلاثة فصول . تأليف الاديب أنيس دية . طبعت بمطبعة الامة بيروت صفحاتها ٣٤ من القطع المتوسط

٥ « قوانين الالعاب المنظمة » ترجمة الاستاذ عبد الكريم عسيران مدرس الرياضة والألعاب بدار المعلمين ببغداد . طبع بمطبعة الأهالى . صفحاته ١٥٢

٥ « فى سبيل الاسلام والعرب » حول حوادث الاسلام الاخيرة . بقلم الاستاذ حسن صدق الدجانى. طبع بالمطبعة التجارية بالقدس صفحاته ٣٩

٥ «المغفرة » رواية ادبية اجتماعية تأليف الدكتورة منيرة طلعت . صفحاتها ٤٨ من القطع المتوسط

٥ « فن التعريب عن اللغة الفرنسية » تأليف العالم الفاضل الاستاذ ادوار مرقص. وقد قررت ادارة المعارف فى حكومة اللاذقية تدريس هذا الكتاب . طبع بمطبعة كوهين باللاذقية صفحاته ١٦٣ من القطع الكبير

٥ « ماوراء العواصف » تأليف ناجي السعدى احد ضباط الجيش العثمانى سابقاً طبع بالمطبعة الوطنية بعكا . صفحاته ٣٤

٥ « وميض من الماضى » تأليف الاستاذ محمد مختار كبابى . طبع بمطبعة السفير بالاسكندرية . صفحاته ٢٧ من القطع الصغير

٥ «لقيط الصحراء » تأليف الاستاذ احمد تقى الدين. وهى درامة تمثيلية قد ازدانت بالصور صفحاتها ٧٤ من القطع المتوسط

٥ « مئذنة الجامع الابيض فى الرملة » رسالة تاريخية » تأليف الاستاذ عبد الله مخلص طبعت بالمطبعة الادبية ببيروت . صفحاتها ١٤

٥ « صاحب مختار الصحاح » تاريخ للعلم الامام محمد بن أبي بكر الرازى صاحب كتاب « مختار الصحاح » . تأليف الأستاذ عبد الله مخلص. صفحاته ٢٦ من القطع الكبير

٥ « خالتى وقصص اخرى » تأليف رابندرانات طاغور وترجمة الأديب الفاضل والشاعر المجيد الأستاذ عبد اللطيف النشار . طبع بمطبعة صلاح الدين الكبرى بالأسكندرية صفحاته ٨٢ من القطع المتوسط

بين الهلال وقرائه

تركيب الشمس

(ريودي جانيرو - البرازيل) ج . و

من أي شيء تتكون مادة الشمس ؟

﴿ الهلال ﴾ يدل فحص أشعة الشمس بآلة السبكترسكوب على أن الشمس تتألف من العناصر التي تتألف منها الكرة الارضية عينها ولكن لما كانت درجة حرارة الشمس هائلة فان معظم العناصر التي فيها كالحديد وغيره هي في حالة غازية . وإذا صدقت النظرية الشمسية التي تقول إن الشمس والارض والسيارات التابعة للنظام الشمسي كانت في الاصل كتلة واحدة كان من الطبيعي أن تؤلف هذه الاجرام كلها من عناصر متماثلة

لماذا تدور الارض

(ريودي جانيرو - البرازيل) ومنه

يقول العلماء إن الكرة الارضية تدور على محورها . فما هو سبب هذا الدوران ؟

﴿ الهلال ﴾ تقول نظرية نشوء النظام الشمسي إن الارض كانت في الاصل جزءاً من الشمس ومنذ ملايين الاحقاب مر نجم هائل الحجم على مقربة منها فجذب منها جزءاً هو الكتلة التي نشأت منها الكرة الارضية . والارجح أن قوة الجذب جعلت تلك الكتلة تدور على محورها وقد استمرت دورتها كما تدور النحلة على محورها ولا تقف إلا إذا اوقفها الاحتكاك أو عامل آخر

الجوهر الفرد

(تكمان - الجمهورية الفضية) محمد علي غنام

قرأت ما قلتموه في الجزء العاشر من السنة الاربعين من الهلال رداً على سؤال من أحدهم بشأن الجوهر الفرد وضعف رجائكم من صنع ميكرسكوب تمكن بواسطته رؤية ذلك الجوهر . وقلتم في الجزء عينه من الهلال إن أحد علماء الانجليز قد تمكن من تجزئة الجوهر الفرد وتفكيكه بواسطة آلة نشرتم صورتها في الصفحة عينها من الهلال . فكيف نوفق بين قولنا بعدم استطاعة رؤية الجوهر الفرد وقولنا بامكان تجزئته

﴿ الهلال ﴾ ليست رؤية الجوهر الفرد شرطاً لامكان تجزئته أو لتصديق امكان التجزئة ، فنحن نؤمن بأشياء كثيرة من دون أن نراها فنصدق مثلا ان الارض كروية وانها تدور على محورها ونؤمن أيضاً بما يقوله العلماء من جهة حجمها ووزنها ودرجة كثافتها إلى غير ذلك من الامور التي لا نستطيع أن نثبت منها باعيننا . بل نحن نؤمن بوجود الجوهر الفرد

من دون أن نراه لان هنالك دلائل على وجوده . فما الذى يمنع من تصديقنا أن الجوهر الفرد نفسه تمكن تجزئته الى أجزاء أدق منه هى التى يسميها العلماء كهارب أو ايلكترونات مادامت الادلة قد قامت لدى العلماء على وجود هذه الايلكترونات من دون أن يتمكنوا من رؤيتها ؟

وفى الواقع أننا كثيراً ما نؤمن بوجود أشياء ليس لأننا نراها بل لأننا نرى بعض آثارها أو لاننا نرى مظاهر تدل عليها . فنحن نعلم بوجود عنصر الحديد مثلا فى الشمس ليس لاننا قد رأيناه فيها بل لاننا نرى آثاره عند « تحليل » طيف الشمس بآلة السبكترسكوب

فاذا وفق أحد العلماء الى طريقة لتجزئة الجوهر الفرد فليس من الضرورى أن يكون قد تمكن من رؤية الجوهر الفرد قبل أن تمكن من تجزئته . وعلى كل فان هذا المجال لايتسع لشرح طريقة تجزئة الجوهر الفرد

أما سؤالكم عن اسم العالم الذى تمكن من تجزئة الجوهر الفرد فالجواب عنه أنه السر ارنست رذرفورد

الاعدام بالكهربائية

(نيويورك ـ أميركا) ر . ز . س

جرت العادة هنا أن ينفذ حكم الاعدام بواسطة الكرسى الكهربائى بخلاف فرنسا (حيث تستعمل المقصلة) وانجلترا (حيث يستعمل الشنق) فمتى بدىء باستعمال الطريقة الاميركية ؟

« الهلال » بدىء باستعمالها فى سنة ١٨٩٠ . وقد اختلفت الآراء بشأن طريقة الاعدام هذه ، فزعم البعض انها اسرع الطرق احداثا للوفاة وزعم آخرون أنها اشدها آلاما وعذابا . ولا يتسع هذا المجال لشرح حجج كل من الفريقين وعلى كل فان الاميركيين يفضلون طريقتهم على غيرها

أعظم امرأة في هذا العصر

(ميناس ـ البرازيل) سعيد مراد

من هى أعظم امرأة فى عصرنا الحاضر وما هى الاعمال التى اشتهرت بها ؟

« الهلال » يصعب على الكاتب أن يفاضل بين الاحياء . ولا نعلم ماهى شروط العظمة فى نظركم . فقد تقوم العظمة فى نظر بعض الناس على اعتبارات حربية عسكرية وقد تقوم فى نظر غيرهم على الغنى أو العلم أو عمل الخير أو غير ذلك من الاعتبارات . ولو سألتمونا مثلا من هى أغنى امرأة أو أعلم امرأة أو اجرأ امرأة على الطيران أو ما الى ذلك لكان من السهل أن نجيبكم . أما وأنتم تسألوننا من هى أعظم امرأة فى العالم من دون أن تقولوا لنا ماذا تقصدون بكلمة أعظم وما هى شروط العظمة فى نظركم فمن الصعب أن نجيب عن سؤالكم .

الأفعى شعار الطب

(ميناس - البرازيل) ومنه

لماذا جعلت الافعى شعاراً للطب ومتى استعملت لاول مرة ؟

(الهلال) فى أساطير اليونان الاقدمين أن اسكولاب ابن الاله أبولون كان اله الطب. وقد خشى زفس اله الآلهة أن يشفى جميع المرضى ويحول دون فناء البشر فاهلكه بصاعقة أرسلها عليه. وأقيمت له معابد فى جميع انحاء اليونان كان المرضى يؤمونها من جميع الاقطار. ولما جاء الرومان اقتبسوا اسطورة اسكولاب عن اليونان وكانوا يمثلونه بصورة رجل ذى ثوب طويل وصدره عار وبيده عصا قد التفت عليها افعى

وفى خرافات الاقدمين أن قدموس ملك فينيقية وزوجه انقلبا افعيين ليتمكنا من شفاء الناس. وكان الفينيقيون يعتقدون أن من أكل الجزء غير السام من الافعى أصبح عالما بالطب

وكان الكهنة فى معابد اسكولاب ببلاد اليونان يربون الافاعى ويعنون بها ومن ثمة نشأت عادة استعمال الافعى رمزاً الى الطب

المنجنيق

(الحصن - شرقى الاردن) فؤاد عصفور

كان الاقدمون يستعملون المنجنيق لهدم الاسوار. فهل فى متاحف اوربا مجانق اثرية محفوظة الى اليوم ؟

(الهلال) كانت المجانق انواعاً مختلفة وشاع استعمالها عند اليونان والمقدونيين والرومان وغيرهم. ولا نعلم بوجود مجانق محفوظة فى متاحف أوربا

سياسة عبد الحميد

(الحصن - شرقى الاردن) ومنه

هل كانت سياسة السلطان عبد الحميد الثانى نافعة للبلاد أم مضرة بها ؟

(الهلال) كانت سياسته فى مجموعها مضرة وقد ادت الى انقسام العناصر التى كانت تتألف منها السلطنة والى هجرة الكثيرين من ابناء البلاد الى الخارج. على ان عبدالحميد استطاع بدهائه ان يحفظ هيبة الدولة وكيانها بازاء مطامع الدول الاوربية مدة طويلة

جمعية السوفيات

(الحصن - شرقى الاردن) ومنه

من أسس جمعية السوفيات ومتى كان تأسيسها ؟

(الهلال) إذا كنتم تقصدون بالسوفيات الشيوعية بوجه الاجمال فقد وجدت هذه الفكرة منذ أقدم الازمنة وجربت اسبرطة اليونانية النظام الشيوعى قبل التاريخ الميلادى ففشل كما فشل فى البلدان الاخرى التى جربته. وان كنتم تقصدون بالسوفيات النظام الشيوعى الروسى أو البلشفى فانه يرجع الى سنة ١٨٨٣ يوم انشأ الاشتراكيان الروسيان بليخانوف وا كسلرود حزباً لتحرير

العمال الروس وجعلاه يقوم على مبادىء ماركس الفيلسوف الاشتراكى المتطرف . ولما نشبت الثورة الروسية سنة ١٩١٧ كان لينين اقوى زعماء البلاشفة ولا يزال البلاشفة يحترمون ذكراه ويعتبرونه أبا الثورة البلشفية واعظم دعاة الشيوعية

الديمقراطية والاوتوقراطية

(الحصن - شرقى الاردن) ومنه

أيهما افضل للبلاد - الاوتوقراطية أم الديمقراطية ؟

﴿ الهلال ﴾ راجعوا المقالة التى نشرناها فى الجزء الماضى من الهلال بعنوان « هل فشلت الديمقراطية »

الامراض المعدية

(تموكى - شيلى) س . ن

لماذا نجد بعض الامراض معدية حالة أن غيرها غير معد ؟

﴿ الهلال ﴾ لان جراثيم بعض الامراض تستطيع الانتقال من جسم الى جسم مع بقائها حية حالة أن جراثيم بعض الامراض الاخرى لاتستطيع البقاء حية إذا انفصلت عن الجسم . أضف الى ذلك أن هنالك امراضاً غير مسببة عن جراثيم أو ميكروبات ولذلك ليست معدية فيكروب الحمى التيفوئيدية مثلا قد يخرج من جسم العليل ويتصل بماء الشرب فيلوثه . فاذا شرب منه انسان صحيح أصيب بالحمى التيفوئيدية أما مرض الزائدة الدودية مثلا فليس معدياً لانه يختلف من هذا الوجه عن مرض الحمى التيفوئيدية

جمعية الورد المصلب

(سنت ارابيل - الارجنتين) ى . ب

قرأنا فى بعض الصحف الاسبانية اسم جمعية « الورد المصلب » (روزا كروس) وهى على ما يظهر جمعية ذات اتباع كثيرين مع اننا لم نسمع باسمها من قبل . فما هى هذه الجمعية ومتى نشأت ؟

﴿ الهلال ﴾ هى جمعية ظهرت فى اوائل القرن السابع عشر لنشر الفضيلة وكان اعضاؤها يدعون معرفة العلوم الغامضة ولهم آراء تقرب من التصوف . وكانت قوانين جمعيتهم تشبه من بعض الوجوه قوانين الماسونية . وزعم بعضهم ان الجمعية ظهرت فى القرن الخامس وان منشئها رجل يسمى « روزنكروس » (وباسمه دعيت الجمعية) وكان قد زار الشرق سنة ١٤٢٢ فاستطاع ان يطلع على اسرار علماء الشرق ويقف على حقائق الفلسفة . وزعم آخرون ان الجمعية فرع من الماسونية وليس ثمة ما يؤيد هذا الزعم

استعمال الملح

(القاهرة - مصر) حسن عبد الجليل

هل عادة استعمال الملح فى الطعام وراثية أم اكتسابية فى الانسان ، وكيف نشأ الناس على استعمال هذه المادة فى طعامهم ؟

﴿ الهلال ﴾ يدخل الملح فى تركيب جسم الانسان: فى الدم والدموع والعرق والعضلات وكذلك يدخل فى تركيب معظم الاغذية التى يتناولها الانسان خصوصاً الخضروات والفواكه واللحوم . وقد كان الانسان الاول يتغذى بالحيوانات والفواكه وبعض الجذور التى تحتوى جميعها على الاملاح الضرورية للجسم . أما استعمال ملح الطعام بالذات فقد نشأ بعد ذلك ولا يعرف بالضبط متى استعمل

الملح والعطش

(القاهرة ـ مصر) ومنه

لماذا نعطش اذا أكلنا طعاماً يحتوى على كمية كبيرة من الملح ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا تناولنا كمية كبيرة من الملح تسربت الى الدم وأفسدت « ميزانية » المواد التى يتركب منها الدم فلا بد اذ ذاك من طرد الكمية الزائدة من الملح وهذا لا يتم إلا بتناول جرعات وافية من الماء لا تلبث أن تعيد الى الدم تركيبه الطبيعي . وقد جعلت الطبيعة العطش دلالة على حاجتنا الى الكمية اللازمة من الماء ولغسل الملح

عناصر المادة

(بيروت ـ سوريا) أحد القراء

قرأت فى أحد الكتب العلمية الحديثة أن عدد عناصر المادة تسعون عنصراً ثم قرأت فى مجلة علمية أميركية أن عدد العناصر اثنان وتسعون فاى القولين أصح ؟

﴿ الهلال ﴾ الارجح أن الكتاب الذى قرأتم فيه أن عدد العناصر تسعون عنصراً ليس حديثاً كما تعتقدون بل هو مطبوع منذ أربع سنوات على الاقل فقد كان عدد العناصر منذ أربع سنوات مضت تسعين ثم تسنى للعلماء بعد ذلك اكتشاف عنصرين آخرين هما « ايكا كازيوم » و « ايكا آيودين » وأولهما يعرف بالعنصر رقم ٨٧ وثانيهما العنصر رقم ٨٥ وكان اكتشاف كلا العنصرين الاخيرين على يد علماء اميركيين

الانسان القديم

(بيروت ـ سوريا) خليل جرجس عساف

بين الجمهور اعتقاد شائع مؤداه أن الانسان الاول أو الانسان فى أوائل عهد حضارته كان أصح بنية من الانسان فى الوقت الحاضر فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ لانظن ذلك صحيحاً فان مباحث العلماء مجمعة على أن الانسان قديماً كان يصاب بالامراض التى يصاب بها فى الوقت الحاضر وكانت معرفته بطرق معالجتها وبالشؤون الصحية أقل من معرفته فى الوقت الحاضر . نعم انه كان يعيش عيشة أقرب الى الطبيعة من عيشته الحاضرة ولكنه فى الوقت نفسه كان معرضاً للعوامل الجوية المتطرفة ولميكروبات الامراض المختلفة

من هنا وهناك

أعظم أرقام السرعة

أعظم الارقام المسجلة للسرعة العالمية هي بيد الانجليز ، واليك بيانها : سرعة القطارات (قطار تشالتنهام) وقد بلغت ٨١،٦ ميلا (أو نحو ١٣٠،٥ كيلو مترا) فى الساعة ، وسرعة الموتوسيكل (للمستر رايط) وقد بلغت ١٥٠،٧ ميلا (أو أكثر من ٢٤١ كيلو مترا فى الساعة ، وسرعة الاتوموبيلات (للسر ملكوم كامبل) وقد بلغت ٢٥٤ ميلا (أو أكثر من أربعمائة كيلو متر) فى الساعة ، وسرعة الطيارات (للضابط ستينفورت) وقد بلغت ٤٠٨،٨ من الاميال (أو نحو ٦٥٤ كيلو مترا) فى الساعة

بساط الريح

منذ عهد قريب كان الطياران الاميركيان هاليبورتون وستيفنس يقومان برحلة جوية حول العالم قطعا بها نحو خمسين الف ميل . ولما وصلا الى العراق طارا فوق بغداد بقصد تمثيل دور « بساط الريح » الوارد ذكره فى كتاب « الف ليلة وليلة » وكانا قد كلفا بعض أصدقائهما بأخذ صورتهما وهما محلقان فى جو بغداد ليعرضاها على الناس فى أميركا لاحياء ذكرى بساط الريح

سكان أميركا قديما

عثر علماء الآثار فى أميركا على عظام بشرية فى ولاية مينسوتا مدفونة على عمق اثنتى عشرة قدماً فى طبقة تكونت فى العصر الجليدى . ويدل الفحص العلمى لهذه العظام ولطبقة الأرض المدفونة فيها على أن أميركا كانت مأهولة بالانسان فى العصر الجليدى الأخير أى منذ نحو عشرين الف سنة

أما العظام المكتشفة فهى لشاب قد جاوز العشرين من سنه ويرجح أنه من أجداد شعب الاسكيمو

الاوتوموبيلات في العالم

كان متوسط عدد الاوتوموبيلات فى العالم فى السنة الماضية أوتوموبيل واحد لكل ستة وخمسين نفساً من سكان الكرة الارضية . ومعظم الاوتوموبيلات فى الولايات المتحدة ففيها أوتوموبيل واحد لكل أربعة أشخاص

الضحايا البشرية

قد ثبت الآن ان هنود أميركا القدماء كانوا يعبدون النار ويقدمون لها الضحايا البشرية فى الاعياد والمواسم الخاصة . وقد عثر علماء الآثار على بقايا اثافى وافران كانت تقدم عليها تلك الضحايا فى موضع قريب

ليسورى . كما عثروا أيضا فى ذلك الموضع على بقايا جثث بشرية هى جثث الاشخاص الذين أحرقهم القوم قديما وضحوا بهم لالهتهم النار ويظهر من فحص تلك البقايا أن الضحايا كانوا يوثقون وثاقاً محكما ويوضعون على الافران ووجوههم الى فوق ثم تربط أيديهم وأرجلهم الى صخور كبيرة لكيلا يستطيعوا اتيان أى حركة . ثم توقد النيران على أجسامهم الى أن يحترقوا ولا تبقى الا عظامهم

الساعات الكهربائية

بلغ عدد الساعات الكهربائية فى الولايات المتحدة فى السنة الماضية أكثر من أربعة ملايين ساعة وجميعها من أدق الساعات واضبطها

في عالم الطيران

تقوم بعض الطيارات الانجليزية والاميركية بتجارب ترمى الى تموين الطيارات بالوقود الذى تحتاج اليه فى أثناء طيرانها فوق البحار فاذا نجحت هذه التجارب فستقام فى منتصف الاتلانتيك باخرة حمولها ستة آلاف طن لتموين الطيارات التى تحلق فوق الاتلانتيك بما تحتاج اليه من وقود . وستستفيد الطيارات التى تسير بين افريقيا والبرازيل وناتال من هذه المحطة فتأخذ منها البنزين الذى تحتاج اليه وبهذه الطريقة يخف حمل الطيارة اذ لا تأخذ من الوقود الا ماتحتاج اليه حتى وصولها الى المحطة التى فى وسط الاتلانتيك

بين أوربا وكندا

كانت طيارات البريد تقطع المسافة بين أوربا وكندا فى خمسة أيام . ولكن منذ عقد مؤتمر أوتاوى الاخير صارت تلك الطيارات تقطع المسافة فى مدة أربعة أيام فقط . ويتوقع الخبيرون بشؤون الطيران ان تختصر هذه المدة الى اقل من نصفها قبل انتصاف القرن الحاضر .

الاختراعات في أميركا

يربى عدد الاختراعات التى تسجل فى اميركا كل عام على عدد الاختراعات التى تسجل فى أية بلاد أخرى من بلاد العالم . وقد بلغ مجموع ما سجل منها فى أميركا فى السنة الماضية ٤٧٨٠٠ . ويظهر أن معظم تلك الاختراعات كانت لخمس من الولايات فقط وفى مقدمتها ولاية نيويورك ، وقد بلغ عدد الاختراعات المسجلة فيها ٨٣٥٥ وتليها ولاية ايلنويز وعدد اختراعاتها ٥١٠٠ فولاية بنسلفانيا وعدد اختراعاتها ٤٣٥٧ فولاية أوهايو وعدد اختراعاتها ٤١٦٠ فولاية كاليفورنيا وعدد اختراعاتها ٣٦١٤

وتدل الاحصاءات الرسمية على ان مجموع الاختراعات التى سجلها الاميركيون منذ بدء قانون التسجيل عندهم حتى الآن بلغ ١٧٩٧٣٨٠ وهذا يعادل ضعفى مجموع الاختراعات المسجلة فى انجلترا وفرنسا معا منذ بدء قانون التسجيل

فيهما ، وهاتان الامتان هما أغنى أمم أوربا فى الاختراعات

وتدل الاحصاءات ايضا على ان متوسط عدد الاختراعات التى قد سجلت فى الولايات المتحدة منذ بدء سنة ١٩٣٠ الى الآن بلغ الف اختراع فى الاسبوع . أما فى فرنسا فقد بلغ ٨٢٥ فى الاسبوع . وفى انجلترا ٧٥٤ فى الاسبوع وفى المانيا ٥٣١ فى الاسبوع

وبلغ مجموع الاختراعات المسجلة فى سبعين دولة من دول العالم منذ بدء قانون التسجيل حتى الآن ٤٩٣ ٣٩٥ ٤ اختراعاً

وأول اختراع سجل فى اميركا كان فى سنة ١٦٤١ وكان طريقة لصنع ملح الطعام وفق اليها رجل اميركى يدعى صموئيل ونسلو

التلفون اللاسلكي

تقول الصحف الاميركية إنه لن ينقضى العام الحاضر حتى تربط الصين والولايات المتحدة بخط تلفون لاسلكى . وسيكون هذا الخط من اطول الخطوط التليفونية فى العالم إن لم يكن أطولها

الزلازل وصيد السمك

تقول مصلحة صيد الاسماك فى الولايات المتحدة ان جميع المعلومات التى لديها تثبت ان الزلازل تدفع الاسماك الى سطح الماء بقرب السواحل بحيث يصبح صيدها من الامور السهلة .

الكاوتشوك في الاوتوموبيلات

يبلغ متوسط وزن الكاوتشوك الذى يستعمل فى كل اوتوموبيل من الاوتوموبيلات ذات الستة المقاعد ثمانية واربعين رطلا

مصارعة التماسيح

فى فلوريدا بالولايات المتحدة جماعة من الهنود الاميركيين قد اشتهروا بمصارعة التماسيح — وهى مصارعة محفوفة بأشد المهالك وكثيرا ما أودت بحياة المصارعين . وطريقة المصارعة هى أن ينزل المصارع الى النهر حيث تكثر التماسيح فيداعب واحداً منها ويستدرجه الى البر حيث يبدأ الصراع ولا بد للمصارع من أشد الحذر لئلا يؤخذ بين أنياب التمساح أو يصاب بصدمة من ذيله الهائل فان فى ذلك قضاء مبرحاً . ويبذل المصارع جهده حتى يقلب التمساح على ظهره فاذا أفلح فى ذلك نال من خصمه وتمكن من القضاء عليه

قفير الزنانير

تقول السيدة برباره بتس الاميركية — وهى من المولعات بدرس طبائع الحيوانات — ان عدد الزنابير التى تجتمع فى عش واحد قلما يزيد على اربعمائة . وكأن الزنابير اذا غص عشها بهذا العدد تعلم أنه لا يتسع لاكثر ولذلك تشرع فى بناء عش جديد وتظل تزدحم به الى ان يبلغ عددها حوالى اربعمائة فتشرع فى بناء عش آخر

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء الثالث من السنة الثالثة ـ صدر في أول أكتوبر سنة ١٨٩٤

شارل داروين

هو صاحب المذهب الشهير باسمه . ويقال له مذهب النشوء والارتقاء . وهو من المذاهب الحديثة التي قامت له أوربا وقعدت في النصف الثاني من هذا القرن (التاسع عشر)

ولد شارل داروين في بيت عريق في العلم لأنه ابن روبرت داروين بن اراسموس داروين الطبيب الانكليزي والشاعر المفلق الذي اشتهر في القرن الثامن عشر باشعاره العلمية وفي جملتها كتابه الحديقة النباتية ، وشرائع الحياة العضوية وشرائع الزراعة والاستنبات ، وغير ذلك مما جعل له ذكراً حسناً بين معاصريه

وقد ولد داروين في أوائل سنة ١٨٠٩ في بلدة شروسبري من بلاد الانكليز وأخذ مبادىء العلم عن الأسقف بطلر الفيلسوف الشهير في مدرسة من مدارس هذه المدينة ثم انتقل سنة ١٨٢٥ الى مدرسة ايدنبرج ثم مدرسة كمبردج فنال شهادة البكالوريا وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وكان مفطوراً على العلوم الطبيعية ، وخصوصاً التاريخ الطبيعي للنبات والحيوان ، وكان مولعاً بدرس خفايا هذا التاريخ . واتفق بعد نيله البكالوريا أن الحكومة الانكليزية أعدت سفينة لجماعة من العلماء يطوفون بها الكرة الأرضية للبحث عن الغوامض العلمية فاغتنم داروين هذه الفرصة وركب السفينة معهم وقضى في طوافه خمس سنوات فاتسعت دائرة معارفه وعلم أن في العالم مجهولات لا تعد ولا تحصى ، وكلها تحتاج الى بحث طويل ونظر دقيق . والف بعد عودته كتابه (سياحة طبيعي) وقد ضمنه ملخص آرائه التي ظهرت بعد ذلك مطولة في مؤلفاته الاخرى

وقد توفي في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٢ ودفن بجانب قبر السير وليم هرشل الفلكي الشهير . وحمل نعشه جماعة من عظماء الانكليز

وصف الهلال

اطلعنا على أبيات للصلاح الصفدي فراق لنا أن نذكر بعضها هنا من باب مراعاة النظير قال :

هلالنا في افقه قد بدا
وهو الى الأنفس محبوب
كحاجب من اسود شائب
لكنه في الوضع مقلوب

وقال :

لا يعجب الناس من شكل الهلال اذا
ما لاح في الافق الغربي منتصبا
سعى ليخرج من تحت الشعاع الى
أن انحنى ظهره من أجل ما تعبا

وقال :

يقول هلالنا فى كل شهر
مقالة ذى عناء واكتئاب
مضى زمن ولى وجه مليح
افوق به على الخود الكعاب
وقد أصبحت منحنياً كأنى
افتش فى التراب على شبابى

الانشاء

كتب مؤسس الهلال فى سلسلة مقالاته التى ينشرها تباعاً عن « تاريخ آداب اللغة العربية » فصلا عن الانشاء جاء فيه :

ومن علوم اللغة العربية الأنشاء . وهو علم يبحث فيه عن الكلام المنثور فى التعبيرات والعبارات الحسنة اللائقة بالمقام بحيث تكون بليغة . ومبادئه مأخوذة من الخطب والرسائل . وانواعه الأمر والنهى والاستفهام والتمنى والترجى والعرض والتحضيض والنداء والقسم والتعجب وأفعال المدح والذم وصيغ العقود وغير ذلك . واكثر العلوم احتياجا الى الانشاء علم التاريخ لأنه يشمل كل هذه الأنواع

وقد اشتهر بين العرب جماعة كبيرة من الكتاب والمنشئين . ولكن اشهرهم على الاجماع عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ ويضرب به المثل فى البلاغة

المحاضرات

ومن علوم اللغة عند العرب علم المحاضرات وهو علم تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام وفائدته الاحتراز من الخطأ فى تطبيق الكلام المنقول عن الغير بما يناسب المقام حسب اقتضاء المكاتبة من جهة معانيه الأصلية . وهو من الفنون الأجنبية ويقال إن مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد . وقد أخذه العرب فى جملة ما أخذوه عن الاعاجم فى صدر الأسلام فى خلافة ابى جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عندما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية . فكانت ترجمته هذه أساساً لهذا الفن . ومن اشهر ما الف فيه ابو حيان التوحيدى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ

أقدم عيد لأقدم أمة

نشر الهلال فصلا فى هذا الموضوع لصاحب الأمضاء نقتطف منه مايلى :

« أول أمة وضعت نظام الاعياد الشعبية والاحتفالات العامة الأهلية هى الأمة المصرية الأصلية باجماع المتقدمين والمتأخرين . واكبر وأقدم عيد وضعته تلك الأمة هو عيد رأس السنة الوطنية التوتية القبطية الباقى رسمه بوادى النيل الى الآن . وكان الغرض من وضعه تذكير كل فرد من أفراد الأمة بعدد السنوات المارة عليه ومراجعة الأحوال والاعمال الصادرة منه واليه حتى يندم عما فرط منه من الخلل والزلل فى الماضى ويستعد لاصلاح سلوكه فى الآتى

تادرس شنوده المنقبادى

عن الجزء الرابع من السنة الثالثة ــ صدر في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٤

مدينة بابل

كانت بابل قائمة على ضفتى نهر الفرات جنوبى كربلاء وبالقرب من الحلة . وما تزال آثارها ظاهرة هناك . والفرات يمر فى وسطها فيقسمها الى شطرين شرقى وغربى . وربما كانت أقدم وأعظم مدينة بنيت فى العالم حتى ضرب المثل بها فى المنعة والسلطان ، على ان بعضهم يظن أن أرك وكلفة المذكورتين فى سفر التكوين عمرتا قبلها . أما فى العظمة فلم تبلغ شأوها مدينة فى تلك العصور . وهيرودتس يقول فى كتابه الاول ان بابل صارت عاصمة أشور بعد خراب نينوى . ولكن ذلك لا يطعن فى أقدميتها إذ المراد أن الاشوريين اتخذوها عاصمة بعد خراب عاصمتهم الاولى . أما زمن بنائها ففيه اختلاف والآراء فى ذلك متفاوتة لكنها لم تتفق فى قدم عهدها . ومما يدلك على ذلك أن البابليين رصدوا الافلاك ودونوا أرصادهم على جدران بناياتهم فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد

دواء النمل

سأل بعضهم عن دواء النمل على صفحات الهلال ، فأجابه بعض القراء شعراً فقال :

منى الهلال عليك من حسنى السلام
يا كوكب العلماء يانور الظلام
جاء الحكيم اليك يشكو سقمه
مع ظله من جيش نمل كالغمام
فاقرئه منى تحية والزمه ان
يصنع دوائى انه يشفى السقام
بعض من القطران يلقيه على
أبواب بيت النمل يقتل بالتمام
حجر التمغطس ضعه فى بيت العدا
الكل يهرب منه يانسل الكرام
وإذا تعسر ذلك فالكبريت يسـ
حق ناعماً وانثره تحظى بالمرام
هاك السلاح وصفته لك سيدى
فاضرب دفوف الحرب وابرز بالحسام
واهزم عدوك تسترح من العنا
واقبل سلامى عد نملك يا همام

حسن حسنى

العمل وطول العمر

من اهم ما يبحث عنه العلماء والحكماء الاسباب المؤدية الى طول الحياة بل هى أهم بحوثهم وقد خاض هذا الباب الفلاسفة والاطباء من قديم الزمان وارتأوا لذلك آراء متنوعة متضاربة . وقد اهتمت بعض الجرائد الطبية فى امريكا مؤخراً بالنظر فى ذلك فتوصلت الى نتائج ذكرتها وأشارت باتخاذها . ومن الغريب انها اسهل الطرق واقلها نفقة . ويجمعها قولك « العمل » قال السير اندر وكلارك وهو من نخبة علماء الانكليز : « العمل قوام الحياة . وخصوصاً لنحفاء الاجسام حتى المرضى فان

العمل أحسن من البطالة على شرط ان يكون على قدر الطاقة وفى دائرة الامكان »

قال إن العمل قوام الحياة ، ولم يقل التعب أو المشقة ، فان تحميل الاعضاء عملا فوق طاقتها موجب لانحطاطها وتشويش وظائفها ، وقد يتخذ الانسان بعض المقويات أو المنبهات لتساعده على زيادة العمل فلا يشعر بالتعب ، ولكن ذلك ليس طبيعياً . ولا يحسب من قبيل العمل المعتدل . فالعمل الذى قلنا إنه قوام الحياة إنما هو مايقوم به العضو فى حالته الطبيعية بغير تنبيه ولا استحثاث مع الاعتدال فى كل شيء من حاجات العيش وملاذ الحياة الجسدية والعقلية

كاشف الموت

كان المظنون ان الطريقة لتمييز حال الموت من الغيبوبة الطويلة ان تجعل اصابع الشخص المشتبه فى حياته امام نور شديد والاصابع متلاصقة . فاذا كان هناك حياة شف الجلد بين الاصابع عن لون أحمر قرمزى هو لون الدم فى الاوعية الشعرية . واذا كان الجسد ميتا لم يظهر ذلك اللون. على انهم وجدوا بالاختبار ان هذه الطريقة لا يصح الاعتماد عليها لانهم رأوا جثة فى حالة الدثور ظهر ذلك اللون بين اصابعها وشاهدوا امرأة فى حالة الاغماء البسيط ليس بين اصابعها شيء من ذلك اللون الاحمر

مدرسة الجمال

من غريب أنواع المدارس التى تأسست فى هذا القرن مدرسة لتعليم الشبان والشابات كل ما تتحلى به الشبيبة من مظاهر الجمال كتحسين اللفظ وتلطيف الاشارات والملامح وما شاكل ذلك

نسيج الزجاج

من غريب اختراعات هذا القرن أيضاً نسيج من الزجاج . فقد توصلوا الى اصطناع الزجاج خيوطا دقيقة يحيكونها نسيجا كسائر الانسجة . واسم مخترع هذا النسيج هرمن همفر سفر فى طوليدو من اعمال أوهيو بأمريكا . وقد اسسوا لذلك معملا استخدموا فيه زهاء ٢٠٠ عامل اكثرهم من البنات لان اجورهن أقل من أجور الرجال وسيزداد عمل العمال شيئاً فشيئاً

نسيج العنكبوت

اقترح بعض علماء انكلترا أن يبحثوا فى الانتفاع بنسيج العنكبوت ، فان فيه من المرونة مايجعله صالحا للاستخدام فى النسيج إلى أن قال: « فاذا اجتمعت خيوطه بصنعة ودقة ونسجت فربما تأتى الأنسان بفائدة » تقول: ومهما قيل فى هذا الرأى من الضعف فانه من الأدلة على تيقظ عقول أهل الغرب وانتفاعهم بما حولهم

ميراث سنة ١٩٣٢

المشاكل التي خلفتها السنة الماضية للسنة الجديدة

في مصر

لا جدال فى أن المساعى التى بذلها فخامة السر برسى لورين المندوب السامى البريطانى لتأليف وزارة قومية تعتبر أهم حادث سياسى حدث فى مصر فى خلال سنة ١٩٣٢ لما جره فى ذيوله من حوادث أخرى عظيمة الشأن

ومعلوم أن تلك المساعى قد حبطت ، ولو ان أمرها انتهى عند اعلان حبوطها لما علق الناس عليها ما علقوه من الاهمية ، ولكن بحث الوزارة القومية فى هيئة الوفد المصرى أدى الى انقسام آراء أعضائه فكان هذا الانقسام فاتحة الشقاق الذى حدث أخيراً على مبدأ الاكثرية والاقلية ، إذ صمم دولة النحاس باشا رئيس الوفد المصرى على فصل سعادة محمد نجيب الغرابلى باشا من عضوية الوفد فان اغلبية أعضاء الوفد طلبوا أن تكون جميع أعمال الوفد وقراراته على أساس قاعدة الاكثرية والاقلية ، فأبى دولة النحاس باشا التسليم بذلك وقال إن هناك مسائل جوهرية تدخل ضمن حدود الوكالة لا يمكن تطبيق مبدأ الاكثرية والاقلية عليها وكل ما يستطيع عمله عند اختلاف الرأى عليها هو أن يقبل الاحتكام إلى الامة كما احتكم اليها فى مسألة الغرابلى باشا فأيدته

وليس مرادنا أن نأتى هنا على تفاصيل الخلاف والأدوار التى اجتازها فنكتفى بالقول انه لما حبطت مفاوضات التوفيق وامتنع حمد الباسل باشا وصحبه عن تلبية دعوة النحاس باشا إلى جلستين عقدهما الوفد اصدر دولته قراراً عدهم فيه منفصلين عن الوفد

ولما كان سعادة محمد فتح الله بركات باشا مريضاً لم يشر اليه هذا القرار ولكن الدكتور محمد بهى الدين بركات بك أعلن بلسان والده أنه متضامن مع حمد الباسل باشا وصحبه ، ورد هؤلاء على قرار النحاس باشا بقرار قالوا فيه إنه لا يحق له فصلهم عن الوفد وإنهم يعتبرون هذا القرار باطلا كما يعتبرون كل قرار بتعيين أعضاء جدد باطلا كذلك

وهكذا ينصرم عام ١٩٣٢ ويبدأ عام ١٩٣٣ والخلاف محتدم بين فريقى أعضاء الوفد المصرى بعد ما كانت القوى موجهة كلها إلى مقاومة وزارة صدقى باشا ، وستبين سنة ١٩٣٣ هل يظل حمد الباسل وصحبه يعدون أنفسهم « وفداً » أم يؤلفون هيئة سياسية جديدة . كما انها ستظهر هل

سيكاشفون بفكرة الوزارة القومية مرة أخرى باعتبار انهم « الفريق المعتدل » كما ينظر اليهم الانجليز أم ان أصحاب هذه الفكرة سيرون الآن ان الانقسام الذى حدث أضعف نفوذ هذا « الفريق المعتدل » فلم يعد يصلح للاعتماد عليه

° ° °

وليس سراً مجهولا أن هناك مباحثات بدأت فى سنة ١٩٣٢ بين دولة صدقى باشا والسر برسى لورين المندوب السامى على حل المسألة المصرية . ونحن ندخل سنة ١٩٣٣ وهذه المباحثات لا تزال مستمرة حتى اذا أدت الى الاتفاق على أهم المبادىء العامة خاطب السر برسى لورين حكومته بما وصل اليه مع رئيس الوزارة المصرية . وعندئذ تقرر الحكومة البريطانية هل تفاوض ام لا تفاوض

ومما لاريب فيه ان نجاح المباحثات الدائرة الآن أو حبوطها سيغير موقف المندوب السامى تغييراً كبيراً فى كلتا الحالتين . فلا يستبعد فى حالة نجاحها ان يرقى الى منصب رفيع فى جهة أخرى ، كما أنه لا يستبعد فى حالة حبوطها أن يطلب هو نفسه نقله الى جهة اخرى

° ° °

وقد أدى هبوط سعر الجنيه الانجليزى أو الجنيه الاسترليني الى هبوط سعر الجنيه المصرى أيضاً لارتباطه به ، ولذلك ترقب مصر بعين الاهتمام المؤتمر المالى العالمى الذى سيعقد فى لندن فى ربيع سنة ١٩٣٣ لبحث الشئون المالية الدولية . وقد دعيت الحكومة المصرية الى الاشتراك فى هذا المؤتمر فقبلت الدعوة وقررت ان يكون الوفد الذى يمثلها فيه برئاسة دولة صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية واذا لم يتمكن دولته من مغادرة مصر عند اجتماع المؤتمر تسند رئاسة الوفد الى الدكتور حافظ عفيفى باشا وزير مصر المفوض فى لندن

وقبل أن يعقد هذا المؤتمر وقبل ان تعرف قراراته ونتائجه لا تنوى الحكومة المصرية ان تخطو اية خطوة فى مسألة فصل الجنيه المصرى عن الجنيه الاسترليني

في سوريا ولبنان

أما فى سوريا فمعلوم ان فريقاً من الوطنيين رضى ان يشترك فى الانتخابات النيابية التى جرت فى شهر ابريل سنة ١٩٣٢ كما رضى بعد ذلك ان يشترك فى تحمل اعباء الحكم رغم معارضة فريق من إخوانه . ولكنه سلك هذا المسلك بغية أن يظهر للفرنسيين رغبته فى التفاهم معهم للوصول إلى حل المسألة السورية بمعاهدة تعقد بين فرنسا وسوريا على قاعدة المعاهدة التى عقدت بين انجلترا والعراق

ولما سافر المسيو بونسو المندوب السامى الفرنسوى فى سوريا ولبنان إلى فرنسا فى صيف

سنة ١٩٣٢ كان المفهوم أنه سيعود منها إلى سوريا بعد انتهاء اجازته وهو يحمل اسس المعاهدة ليفاوض رجال الحكومة السورية فيها ، ولكنه عاد الى سوريا وهو لايحمل شيئاً منها فى حقيبته على ما ظهر للناس هناك ، فاحرج موقف الوطنيين الذين قبلوا الاشتراك فى الحكم وأخذ اخوانهم يحضونهم على الاستقالة والعودة الى صفوف المجاهدين فأبلغوا المسيو بونسو انهم ينوون الانسحاب من مجلس النواب ومن الحكومة معاً فتدارك جنابه الأمر بأن شرع فى مفاوضة الحكومة السورية فى اسس مشروع المعاهدة

ولما رأى المسيو بونسو انه استوفى بحث تلك الاسس مع رجال الحكومة السورية سافر الى باريس ليعرض الامر على حكومته . ونحن نكتب هذه السطور وجنابه لا يزال مقيما فى باريس وينتظر ان يعود الى سوريا فى آخر ديسمبر أو فى أوائل سنة ١٩٣٣ حاملا مشروع المعاهدة .. فهل تقبل الحكومة السورية هذا المشروع ؟

وهل تحل القضية السورية فى السنة الجديدة فتسترد سوريا طمأنينتها وتنصرف الى تحسين مرافقها وتعزيزها ؟

أم هل تفشل الجهود والمساعى فيظل الخلاف قائماً بين السوريين والفرنسويين وتظل البلاد فى حالة اضطراب ؟

ooo

ولبنان ! ؟ . . . فانه لا يخفى أنه كان مقرراً أن ينتخب مجلس النواب اللبنانى رئيساً جديداً للجمهورية اللبنانية فى أوائل صيف سنة ١٩٣٢ بدلا من الاستاذ شارل دباس الذى انتهت مدة رئاسته . وكان المفهوم ان السلطات الفرنسوية ترشح الاستاذ بشاره الخورى لهذا المنصب . وفى حالة عدم اتفاق الآراء عليه فانها كانت تميل الى ترشيح مارونى آخر إرضاء لغبطة بطريرك الموارنة الجديد

ولكن حدث أن الشيخ محمداً الجسر رئيس مجلس النواب رشح نفسه لمنصب رئاسة الجمهورية وأيده كثيرون من النواب وبينهم بعض النواب الموارنة البارزين . وسعى المسيو بونسو المندوب السامى لحمل الشيخ محمد الجسر على العدول عن ترشيح نفسه فلم يفلح ، فسعى لجمع الكلمة حول مرشح مارونى فلم ينجح ، فرأى ازاء انقسام الاراء أن الفرصة سانحة لتحقيق ما سماه « رغبة الشعب » فأصدر قرارات بوقف الدستور وبحل مجلس النواب وبارجاء انتخاب رئيس الجمهورية وباقالة الوزارة ، وعهد إلى الاستاذ شارل دباس فى ادارة الحكومة والى مديرى الوزارات بالقيام بأعمال الوزراء

ولا تزال الامور جارية فى لبنان على هذا المنوال حتى الآن . والمفهوم ان المندوب السامى

سيعدل الدستور اللبنانى ونظام الحكومة فى لبنان متى عاد الى سوريا فان شؤون لبنان موضوع بحث بينه وبين حكومته فى باريس فى الوقت الحاضر

في فلسطين وشرقي الاردن

ستجرى فى فلسطين فى خلال سنة ١٩٣٣ ثلاثة انتخابات هامة وهى :

١ — انتخابات المجلس الأسلامى الاعلى

٢ — انتخابات البلديات

٣ — انتخابات المجلس التشريعى

وهناك خلاف قائم على مسألة انتخابات المجلس الاسلامى الأعلى فان سماحة الحاج أمين الحسينى مفتى القدس والرئيس الحالى للمجلس الاسلامى الاعلى لا يريد أن تشمل الانتخابات الجديدة رئاسة المجلس فى حين أن الحزب المعارض له يصر على ذلك

وليس فى انتخابات البلديات شيء جديد فانها لاتختلف عن الانتخابات السابقة المماثلة لها

بقيت مسألة انتخابات المجلس التشريعى وستكون أول انتخابات من نوعها فى فلسطين ، فان الفلسطينيين ما برحوا يطالبون بانشاء النظام النيابى فى بلادهم . كما ان السلطات البريطانية ما برحت تماطلهم ، وأخيراً رأت ان لا مندوحة عن إجابة بعض مطالبهم فقررت ان تنشىء مجلساً تشريعياً للبلاد شبيها بالجمعية التشريعية التى انشئت فى مصر قبل الحرب العظمى

فاذا سارت الأمور فى مجراها الطبيعى فان فلسطين ستخطو فى خلال سنة ١٩٣٣ خطوتها الاولى فى الحياة النيابية والدستورية

ولا يخفى أن المندوب السامى البريطانى لفلسطين هو فى الوقت عينه المندوب السامى لشرقى الأردن ، والمشكلة التى تواجهها الحكومة هناك فى مستهل عام ١٩٣٣ إلى جانب المشكلة الاقتصادية هى مشكلة المعاهدة مع انجلترا ، فان الشعب الاردنى يطالب بتعديل بعض المواد المعقودة بين شرقى الاردن وانجلترا ، وقد وعده سمو الامير عبد الله أمير شرقى الاردن ببذل قصارى طاقته لتحقيق رغائبه ، وشرع سموه فعلا فى مخاطبة المندوب السامى بذلك منذ اواسط سنة ١٩٣٢

في العراق

لا يتسع المقام هنا لوصف المقاومة التى لقيتها وزارة نورى السعيد باشا من المعارضة . فحسبنا أن نقول إنها كانت مقاومة شديدة جداً . ولكن دولة نورى السعيد باشا كان يرى أن مهمته لا تنتهى الا بانتظام العراق فى سلك جمعية الامم فلما تم ذلك فى أواخر صيف سنة ١٩٣٢

رفع استقالته إلى جلالة الملك فيصل فقبلها وعهد إلى دولة ناجى شوكت بك وزير الداخلية السابق فى تأليف الوزارة الجديدة

وكان المفهوم ان الوزارة الجديدة ستكون وزارة تحول أو انتقال وأن مهمتها ستكون تهدئة الخواطر والنفوس وإعداد انتخابات نيابية جديدة ، أى أنه لم يكن ينتظر أن تعمل الوزارة الجديدة عملا سياسياً . ولكن ما كاد الناس يطلعون على برنامج الوزارة الجديدة حتى رأوا أن للسياسة فيه قسطاً غير يسير . وقيل بعد ذلك إن الوزارة الجديدة ستؤلف حزباً وإنها ستخوض به معركة الانتخابات

وسواء أصح هذا النبأ أم كان إشاعة فقط فالمقرر أن تجرى انتخابات نيابية فى العراق فى سنة ١٩٣٣

وسيكون أساس هذه الانتخابات بوجه خاص الأصلاحات الداخلية فى البلاد لأنه لا ينتظر أن يفاوض العراق الحكومة البريطانية فى تعديل المعاهدة العراقية البريطانية الحالية قبل سنوات

في الحجاز

وأهم حادث حدث فى جزيرة العرب فى سنة ١٩٣٢ ثورة ابن رفادة الذى شق عصا الطاعة على جلالة الملك ابن سعود . فقد بالغ خصوم ابن سعود فى وصف هذه الثورة مبالغة عظيمة وأشاعوا أن هناك من يغذى تلك الثورة ويحركها وأن الامير عبد الله أمير شرقى الأردن هو المنفذ لاغراض موقدى نار الحركة إلى غير ذلك من الاقاويل والاشاعات ، وظل الناس يرمقون مصير ابن رفادة باهتمام عظيم إلى أن جاءت الانباء بالتحام قواته بقوات الملك ابن سعود وبأنه حاصره وقتله فى وقت واحد

ولكن ثورة ابن رفادة لم تكن الأخيرة فقد وردت الاخبار من الحجاز أخيراً بوقوع ثورة فى عسير أثارها الامير حسن الادريسى . وتقول الحكومة العربية السعودية (حكومة الحجاز ونجد) إنها قضت على الثورة فى مهدها وإن الملك ابن سعود أوفد لجنة تحقيق الى عسير لتحقق أسباب الحركة . أما خصوم ابن سعود فيقولون إن أسباب الثورة لا تزال قائمة وان سنة ١٩٣٣ ستتمخض عن حوادث أخرى

في الشرق الاقصى

رأت جمعية الأمم حسما للخلاف الذى نشأ بين الصين واليابان على منشوريا أن توفد لجنة تحقيق إلى منشوريا لتستطلع حقيقة الحالة فيها فألفت هذه اللجنة من خمسة أعضاء يمثلون انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا والمانيا . وأسندت رئاستها إلى اللورد ليتن الانجليزى فسافرت

اللجنة إلى منشوريا وأدت مهمتها ثم قدمت تقريرها لجمعية الأمم . وهو يتلخص فى أن مساحة منشوريا تضارع مساحة المانيا وفرنسا معاً ، وفى أن اليابانيين استولوا على منشوريا ضد رغبة السواد الأعظم من أهلها الذين يناوئون نظام الحكم الجديد مناوأة شديدة ولذلك رأت اللجنة أن الاعتراف بهذا النظام ينافى مصالح الصين وقد ينافى مصالح اليابان أيضاً

واقترحت اللجنة لحسم الخلاف ووضع الأمور فى نصابها أن تدور مفاوضات مباشرة بين اليابان والصين برعاية جمعية الأمم ، وأن يعقد مؤتمر لوضع نظام جديد تحكم منشوريا على أساسه

واقترحت اللجنة كذلك منح منشوريا شبه استقلال داخلى وإنشاء جندرمة خاصة لحفظ النظام فيها وايجاد نوع من الرقابة الدولية عليها بتعيين مستشارين أجانب لها ونزع سلاحها شيئاً فشيئاً

وقد شرعت جمعية الأمم فى مخاطبة الصين واليابان فى اقتراحات لجنة اللورد ليتن . وستظهر لنا سنة ١٩٣٣ هل تقبل الدولتان حسم الخلاف بينهما على ضوء تلك الاقتراحات فتسترد منشوريا طمأنينتها ويسودها الأمان والسكينة

ooo

وأما فى الهند فانه على أثر حبوط مؤتمر المائدة المستديرة الاول الذى عقد فى لندن عاد « غاندى » إلى الهند وما كاد يستأنف دعايته فيها حتى قبضت عليه السلطات الحكومية واعتقلته فوقعت اضطرابات شتى قمعتها الحكومة بالقوة

وشرع ولاة الامور بعد ذلك يعدون معدات المجلس التشريعى الذى سلمت الحكومة البريطانية بانشائه فى الهند . وأرادت الحكومة أن تضع لطائفة المنبوذين نظاماً خاصاً يكفل تمثيلهم فى ذلك المجلس فشق على غاندى أن يظل الشعب الهندى منقسما على نفسه فأعلن أنه سيصوم إلى أن يقبل الهندوس معاملة المنبوذين على قدم المساواة ولو أدى صومه إلى موته فحقق الهندوس أمنيته حرصاً على حياته ورجعت الحكومة عن النظام الذى وضعته للمنبوذين ومضت فى إعداد معدات المجلس التشريعى . غير أن سنة ١٩٣٢ انقضت ومشكلة الهند لا تزال قائمة لعدم رضاء الهنود عن اجراءات الحكومة وتدابيرها . ويستبعد جداً أن يتم حل هذه المشكلة فى خلال سنة ١٩٣٣ وان كانت المشكلة الهندية مشكلة مشاكل انجلترا فى الخارج فى الوقت الحاضر

فى أوربا

عقدت فى أوربا فى خلال سنة ١٩٣٢ ثلاثة مؤتمرات دولية كبرى

(أولها) مؤتمر لوزان الذى عقد فى شهر يونيو لبحث مقدرة المانيا المالية وهل تستطيع

أن تستمر فى دفع أقساط التعويضات كما نص عليها مشروع يونغ بعد ما ادعت هى أنها لا تستطيع ذلك. وأسفر ذلك المؤتمر عن اقتناع حكومات الدول التى تقبض أموال التعويضات من المانيا بأن المانيا عاجزة عن الدفع فعلا فتنازلت لها عن جانب كبير من التعويضات الباقية واتفقت معها على أن يكون مجموع ما تدفعه (أى المانيا) فى المستقبل ١٥٠ مليون جنيه فقط

أما المؤتمر (الثانى) فهو مؤتمر نزع السلاح الذى عقد فى جنيف واستغرق عدة أشهر ولم يسفر عن نتيجة ما فان المانيا كتبت الى المؤتمر تقول انها تطلب اما مساواتها بالدول الأخرى فى التسليح واما أن تنزع الدول الأخرى سلاحها بحيث تصبح مثلها فانفرط عقد المؤتمر على أن تبحث حكومات الدول العظمى هذا الطلب وقد بحثته فعلا ووردت عليه ردوداً مختلفة ولا تزال المسألة موضع أخذ ورد بينها. وبناء عليه ستظل مشكلة نزع السلاح فى مقدمة المشكلات التى ستواجهها الدول فى سنة ١٩٣٣

أما المؤتمر (الثالث) فيصح نعته بانه جاء متمماً لمؤتمر لوزان وقد عقد فى لندن لاستئناف بحث مشاكل العالم الاقتصادية. غير أن استيفاء هذا البحث سيتم فى المؤتمر المالى العالمى الذى سيعقد فى لندن فى ربيع سنة ١٩٣٣، وقد سبق أن أشرنا اليه عند كلامنا عن حالة مصر المالية. ولا جدال فى أن هذا المؤتمر سيكون من أهم المؤتمرات الدولية التى شهدها العالم حتى الآن فلا غرو إذا علق عليه الناس آمالا واسعة

وقد طلبت انجلترا وفرنسا وسائر الدول التى عليها ديون للولايات المتحدة أن تسوى مسألة هذه الديون تسوية تتفق وسوء الحالة المالية الحاضرة، فكان جواب المستر هوفر رئيس جمهورية الولايات المتحدة على هذا الطلب إن الولايات المتحدة لا تسلم ببحث مسألة الديون التى لها فى أوربا الا بعدما تقبل أوربا أن تخفض سلاحها. فقالت انجلترا وفرنسا وسائر الدول ان المباحثات على تخفيض السلاح تجرى بنشاط وان الدول الخمس العظمى وصلت الى اتفاقات مبدئية ستطرح على بساط البحث فى مؤتمر نزع السلاح عند استئناف انعقاده فى سنة ١٩٣٣. فقالت الولايات المتحدة انه قبل أن تعمل اوربا عملا محسوساً لا تستطيع هى من جهتها أن تعمل شيئاً

وحدث بعد ذلك أن دفعت انجلترا للولايات المتحدة قسط دين الحرب الذى كان مستحقاً عليها فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٣٢ ولكنها صرحت بأن هذا الدفع يجب أن لا يعد استئنافاً للمدفوعات التى تنص عليها الاتفاقات الحالية بل أن يعد دفعة على حساب المبلغ الذى يتم عليه الاتفاق فى التسوية النهائية

وأرادت الوزارة الفرنسوية (وزارة هريو) أن تحذو حذو الوزارة الانجليزية فى هذا

الصدد ولكن مجلس النواب خذلها فاستعفت ، فقررت الوزارة الجديدة أن لا تدفع شيئاً قبل أن تسوى المسألة

وصفوة القول ان مسألة الديون ستظل سنة ١٩٣٣ فى مقدمة المسائل التى تشغل حكومات أوربا وحكومة الولايات المتحدة

هذا بيان اجمالى لحالة أوربا عامة . أما اذا أردنا أن ننظر الى حالة كل دولة على حدة فاننا لا نجد ما يستوقف النظر ويثير الاهتمام سوى الحالة التى أمست عليها المانيا بعد الفوز العظيم الذى أحرزه هتلر فى الانتخابات التى جرت فى سنة ١٩٣٢ فان مسالة الحكم لم تقرر تقريراً نهائياً بعد وقد ظهر أن جميع الحلول التى لجأوا اليها لم تكن ناجعـــة حتى الآن . فالسنة الجديدة ستبين هل تكون الكلمة العليا فى المانيا لهتلر وأنصاره أم لا . كما أنها قد تكون سنة تدعيم الحكم الجمهورى أو سنة تحول نحو احياء الحكم الملكى . وذلك اذا توفى المرشال هندنبرج وانتخب ولى عهد المانيا السابق رئيساً للجمهورية خلفاً له فان كثيرين يرشحون سموه لهذا المنصب لأنهم يرون أنه الشخص الوحيد الذى يستطيع مقاومة نفوذ هتلر

في أميركا

وقد أسفرت انتخابات رئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة عن فوز المستر فرنكلان روزفلت مرشح الحزب الدمقراطى على المستر هوفر رئيس الجمهورية الحالى ومرشح الحزب الجمهورى . وسيتسلم الرئيس المنتخب مهام منصبه رسمياً فى أوائل شهر مارس سنة ١٩٣٣

وسيكون فى مقدمة الأعمال التى سيعملها الرئيس الجديد تعديل قانون تحريم المسكرات فى الولايات المتحدة والسعى لابتكار وسائل جديدة لحل مشكلة البطـالة بعد ما بلغ عدد العمال العاطلين فيها ... ... ٨ عامل ومفاوضة دول أوربا فى مسألة الديون التى للولايات المتحدة عندها كما جاء فى سياق كلامنا عن مشكلات أوربا المالية

وقدوقعت فى أميركا الجنوبية فى خلال سنة ١٩٣٢ ثورات وفتن داخلية شتى أهمها الحرب الاهلية التى دارت رحاها مدة طويلة فى البرازيل بين الثوار وجنود الحكومة النظاميين . وكان الثوار يريدون قلب الحكومة الحالية لانها تكاد تكون حكومة دكتاتورية يتولى إدارتها رئيس الجمهورية وتفاقمت الحالة إلى درجة أن بعض دول أوربا اضطرت إلى إرسال وحدات من أسطولها إلى الموانى البرازيلية لحماية جالياتها . وأخيراً مل الفريقان القتال فعقدا هدنة

من صفحات الحكم الوطني في سورية

دعوة الامير فيصل الى اوربا للمفاوضة

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في هذه الصفحات طائفة اخرى من مذكرات حضرة الدكتور عبد الرحمن شهبندر عن الظروف التي احاطت بالحكومة السورية العربية التي تألفت في سوريا عقب الحرب تحت تاج جلالة الملك فيصل. ولا يخفى أن الدكتور شهبندر كان وزيراً للخارجية في تلك الحكومة فوقف بحكم منصبه وبحكم اتصاله بالساسة العربية على معلومات وأسرار لا تزال مجهولة حتى الآن عن سير الحوادث التي آلت الى خروج الملك فيصل من سوريا مما يبسطه حضرته في هذه الصفحات التي ننشرها لاطلاع ابناء العربية عليها دون أن يكون لنا رأى خاص فيها طبعاً

للشرقيين عذرهم إذا ما دعاهم الغربيون الى المفاوضة فى الشئون السياسية ولم يلبوا الدعوة سريعاً أو اذا لبوها ولم يستمرئوا الطعام الذى يطبخ لهم

ذلك لان الغرب منذ ابتلى بداء البسطة السياسية والتوسع الاستعمارى صار فى معاملته للشرقيين لا ينظر الا الى الغنيمة كيف يغتنمها والارض كيف يقتسمها . وهو لا يتورع ان يستعمل جميع الطرق الدهائية القديمة لتحقيق غايته، منذ أيام ما كيافلى الى أيام بسمارك . اذن فالذين قاوموا سفر الملك فيصل أو الامير فيصل الى أوربا تلبية لدعوة المفاوضة التى جاءته من الحلفاء كانوا ينظرون الى القضية من هذه الوجهة فلا يرون فيها الطريق المأمون ، لكن الذى فاتهم هو خطورة الحالة التى وصلت اليها البلاد

أبلغنا الجنرال اللنبى برسالة تاريخها ٢٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٠ باسم الحلفاء انهم اجتمعوا فى « سان ريمو » وقرروا اعطاء الفرنسيين الوصاية على سورية والانكليز الوصاية على العراق باعتبارهما دولتين اثنتين مستقلتين ، وطلب فيها الى الامير فيصل بالحاح المجىء الى أوربا ليتمكن من بسط قضيته وقضية البلاد خصوصاً لان حقوق ملكيته لا تتسنى الا بواسطة مؤتمر الصلح

فهل كان تفسير الانتداب يا ترى يومئذ هو نفس ما يحاول المحتلون تفسيره اليوم من انه شبه حماية أو استعمار بحيث لايجوز لملك يحترم نفسه وبلاده ان يفاوض على أساسه ، أم هذا تفسير مستجد هدتهم اليه الحوادث الطارئة والماجريات المتسلسلة ففتقت أذهانهم وأفسحت لخيالهم المجال فى الاطماع ؟

هذا سؤال ليس من السهل الاجابة عنه ، وهو يحتاج الى شيء من التحليل ، فطمع فرنسا فى

سورية مثلا هو طمع قديم يرجع عهده الى سياستها فى تأييد الكثلكة فى الخارج ــ ومحاربتها لها فى الداخل ــ لان الاكليروس كما صرح أقطاب سياستها بضاعة برسم التصدير لا برسم الاستيراد. لا غرو انها اتخذت من الكثلكة نسباً تمت بصلته الى الكاثوليك فى سورية خصوصاً الموارنة، وفى عقيدتى أن لا شىء يسىء الى المبادىء الروحية ويعرضها لقلة الحرمة مثل جعلها مطية للاغراض المادية البحتة، وكانت مظاهر هذا الطمع متعددة ظهر منها شىء فى أواخر عهد الاتحاديين الترك بشكل تنازل عن السكك الحديدية فى سورية ضماناً لقروض فرنسية، ولكن هذا الطمع تجلى بثوبه القشيب فى معاهدة (سايكس ــ بيكو) التى عقدت بين الانكليز والفرنسيين فى أوائل الحرب العالمية وتقررت بموجبها حصة فرنسا فى سورية من ميراث « الرجل المريض »

على ان هنالك دلائل متعددة تدل على ان الفكرة الفرنسية فى الوصاية أو الانتداب تدرجت من سيء الى أسوأ « وارتقت » فى معارج التدنى مع الحوادث فكانت تزداد طمعاً كلما سارت شوطا، وحاشا لعارف بالغرب ان يقول انها كانت نزيهة فى الاصل، ولكن فى وسعه ان يقول انها سادت واشتد ساعد البسطة والاستيلاء فى تصرفاتها

وهنا لا أكتفى بالاشارة الى الروح التى خيمت على الشعوب الاوربية ــ لا الحكومات الاوربية ــ عقيب مذبحة ١٩١٤ ــ ١٩١٨ والنفرة من الحروب وما جرته من الويلات والابتعاد عن المشاكل ومثار الشبهات حتى كان من مظاهر هذه النفرة فى آخر الامر مثلا ان أحجمت الممتلكات البريطانية عن تأييد المستر لويدجورج ووزارته فى محاربة الغازى مصطفى كمال باشا، مع ان فى احتمال انتصارهم احتمال استقرارهم فى الاستانة بحق الفتح ــ انى لا أكتفى بالاشارة الى هذه الروح الشعبية العامة التى انتشرت من كثرة الدماء المهرقة فى ميادين الطمع، فنفرت بحق من الوقوع فى الاتون مرة ثانية، بل أذكر واقعة مؤيدة بالوثائق فيها الشىء الكثير مما يدل على الفرق بين ذهنية الفرنسيين يومئذ وذهنيتهم اليوم. فقد كانوا فى تلك الايام خلواً ــ على أقل تقدير ــ من فكرة تمزيق سورية الى طوائف وأديان وملل ونحل. وهى لعمرى أقوى فكرة تدل على ما طرأ على الذهنية الفرنسية من التراجع، فهل قتل بيتا مثل تقسيمه على نفسه؟ وهل قتل شعبا مثل تقطيع أوصاله؟ وهل يفيد وعد فرنسا السوريين بالوحدة متى صاروا متجانسين سوى انتظار الزمن الذى يصبح فيه ابن دمشق على مستوى القرويين فى جبال النصيرية؟

والى القارىء هذه النبذة من معاهدة كادت تتم بين الامير فيصل والمسيو كلمنصو فى الاسبوع الاول من يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٢٠ وفيها عن الوحدة « ان حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد اعترافها بحق الاهالى ــ الناطقين باللغة العربية والقاطنين فى الاراضى السورية من جميع المذاهب ــ أن يتحدوا ليحكموا أنفسهم بانفسهم بصفتهم أمة مستقلة» ــ أما اليوم فقد تتظاهر السلطة

المنتدبة بالتسامح مع المدن الاربع بكل شيء سوى اجتماع السويداء واللاذقية ودمشق على مائدة واحدة !

وتتجلى خطورة الحالة فى سورية حينما جاءت دعوة الجنرال اللنبي مما يأتي:

(أولا) انمؤتمر الحلفاء أنهى قضية الوصاية على سورية ، والظاهر ان انكلترا لما رأت أن لامفر من مجيء فرنسا الى سوريا ساومت عليها وأخيرا باعتها بثمن باهظ من جهة وحققت من جهة أخرى رأى بعض ساستها ممن أشاروا بوجوب اشتراك فرنسا فى أسلاب الدولة العثمانية حتى لا تبقى انكلترا وحيدة فى مصادمة الوطنية العربية الناهضة وإخماد الابواق التى كانت هى نفسها أسرع النافخين فيها ، والمسؤول يشعر بشيء من الطمأنينة اذا ما اشترك معه فى الدفاع عن نفسه مسئول آخر . قال لى المستر كرين رئيس اللجنة الاميركية التى أمت سورية فى صيف سنة ١٩١٩ لاستفتاء أهلها فى مصيرهم : « اننا لما خرجنا من أوربا فى مهمتنا كنا كلنا آمالا كباراً فلما عدنا اليها كانت نفوسنا طافحة بالخيبة . ذلك لاننا رأينا سورية قد بيعت فى أثناء غيبتنا بيع السلع ــ قد بيعت بآبار الموصل »

لكن بيع سورية على هذا الشكل لايعنى أبداً أن الدول صاحبة المصالح فى الشرق قد نفضت يدها من القضية السورية بتاتاً او انها على اتم استعداد للتعاون فى تعبيد الطرقات للفاتحين الفرنسيين ورفع العقبات أمامهم ، بل قد أظهر المستر لويدجورج للملك فيصل ــ وقد أخرجته فرنسا من سورية تحت تهديد المدافع والطيارات ــ من الالتفات فى سويسرا ما انتهى بتتويجه ملكا على العراق ، وهذا مايدل على ان فى الحاح الجنرال اللنبي على الامير فيصل بالسفر الى أوربا معنى سياسيا ما كان يجوز لاحد من المطلعين أن يغفله .

(ثانياً) تحققت من ماجريات الامور أن وجود الجنرال غورومندوبا ساميا للجمهورية الفرنسية فى سورية سيكون عاملا من العوامل الكبرى المؤدية الى استخدام القوة فى فض الخلاف . ذلك ان الرجل ذو تربية عسكرية قاسية وعنده كما عند معظم الجنود ان الحق للبنادق وأن القانون مرجع يحتكم اليه الضعفاء ، وكان من ابرز طموحه أن يضيف الى الاوسمة البراقة المدلاة على صدره وساماً آخر من دخوله دمشق الشام ــ عاصمة البلدان العربية ومهد الحضارة الاموية ــ دخول المنتصر الذى طأطأت لجبروته الرءوس وانحنت لعزته الرقاب . يدلك على هذا المعنى اننا كنا نتذاكر مع الكولونل طولا والكولونل كوس ــ وهما مندوبا فرنسا ــ فى أمر التعديات الصريحة التى كانت تتعداها الجنود الفرنسية من تجاوز على الحدود المعينة قبيل معركة ميسلون ، فكانا يجيباننا بان تقدم تلك الجنود انما هو لكى يرى الجنرال نفرامنهم فى دمشق وان هذه الجنود ستعود أدراجها بعد قيامها بهذا الفتح ــ كما عاد الجيش الفرنسى من تونس بعد معاهدة صفا كص طبعاً ! اذن فعوامل الحرب تكتسب من هذا الطموح قوة لان التقارير التى تبعث بها المفوضية الى فرنسا عن سورية تكون مستمدة وحيها من هذه الروح ،

ولا ينكر شأن مثل هـذه التقارير أحد ممن اطلعوا على تأثير العمال الرسميين فى تطويح حكوماتهم بتقاريرهم ، وقد يكون فى سفر الملك ومحادثاته الشخصية وقابليتـه الدبلوماسية ما يقف فى وجه هذه التقارير

(ثالثاً) ان ممثلى الدول التى كنا نطمع فى مساعدتها لنا كانوا فى معاملتهم لنا حذرين كأنهم تلقوا من دولهم أمراً بأن يكونوا دقيقين فى حيادهم بل بعيدين عن التشجيع، الا من سنذكره منهم بالتخصيص. فالمستر يونغ قنصل أميركا مثلا — وهى الدولة التى صاح رئيسها بحرية «تقرير المصير» — كان فى اجتماعاته الخاصة والعامة بارداً كأنه يردد فى دمشق صدى فشل الرئيس ودرو ولسن فى واشنطن أو ينتقم للجمهوريين فى أميركا من حكومة الملك فى سوريا. ومع وجود الأمن مخيما فى منطقتنا — بخلاف المنطقة الغربية — فانه حينما رأى بعض السياح الاميركيين قادمين الى سورية مع الاستاذ الفاضل شبلى افندى الجمل لامهم بشدة كيف يدخلون هذه المنطقة المتوحشة الحافلة بالمذابح مما حمل الاستاذ على اجابته بكلمات قارصة

وكان القنصل يراجعنا فى أصغر المسائل ويشدد علينا بوجوب الاعتراف بتابعية المهاجرين اللبنانيين الاميركية، مع أن القوانين التى بايدينا وهى من مخلفات الدولة العثمانية وكنا نعمل بموجبها كانت تشترط الاعتراف من جانب الدولة صاحبة التابعية الاصلية أولا لكى تصح التابعية المكتسبة الثانية

ولا حاجة بى أن أذكر القارىء أن هذا الجفاء من جانب المستر يونغ لا يتفق بوجه من الوجوه مع قول الرئيس ولسن فى مؤتمر الصلح عن جاذبية الامير فيصل: «ان طلعته تشبه طلعة المسيح» ولا عن الاقبال الذى لقيه بعض الذين أيدوا حرية سورية من الاميركيين فى المواقف الاميركية الخاصة — ناهيك بالتقرير الرسمى التاريخى الذى وضعته لجنة الاستفتاء الاميركية وبه أيدت رغائب السوريين تأييداً خالياً من كل غرض سوى الانتصار للحق والعمل لخدمة الحرية. أما الكولونيل ايستون ممثل بريطانيا فكان فى معاملاته دقيقاً جداً ولم يترك فرصة علنية تمر من غير أن يظهر فيها تودده لفرنسا خصوصاً متى كان حديث هـذا التودد قابلا للرواية والانتقال — أما انا فكنت فى شك مما تظاهر به لانى كنت على مثل اليقين ان آبار الموصل فقط هى التى صبت دوشاً بارداً على حرارة السياسة البريطانية فى سورية — وعلى القارىء ألا ينسى أن مياه هذه الآبار قابلة للاشتعال أيضاً!

هذا حال ممثل بريطانيا أما زميلاه الكولونيلان كوس وطولا ممثلا فرنسا أو مندوبا المفوضية فمع شدة اخلاصهما لدولتهما كانا غير راضيين عن السياسة التى تمشى عليها الجنرال وبلغ هذا السخط بهما اشده عقيب معركة ميسلون ودخول الجيش الفرنسى دمشق وارتكاب تلك الخطيئات السياسية الصبيانية من اخراج الملك فيصل ووضع الغرامات على المدن وتوزيع السنغاليين على البيوت الخ. مما انتهى بخلاف فى الرأى

بينهما وبين القيادة العامة أدى الى اخراجهما من سورية والاستغناء عنهما

وعلى ذكر الملك فيصل واخراجه من سورية وسوء تلك السياسة القصيرة النظر اذ كر حديثاً جرى بيني وبين المسيو ف . ز . صديق المسيو دي جوفنل الحميم فقد قال لي : ان هذا العمل جناية سياسية على فرانسا يستحق مسببها ان يظهر في المحكمة العسكرية الفرنسية — وهو يعني انه بالاقدام على ارتكابها جلب لدولته اوجاعاً معضلة وحرمها من الانتفاع بالسياسة العربية الناشئة

هذا بالاجمال موقف ممثلي اميركا وانكلترا وفرانسا . أما ممثل ايطاليا وهو المركيز باترنو فيختلف عن ذلك كثيراً ، وعلى القارىء ان يذكر ان الحكومة الايطالية يومئذ لم تكن بالفاشيستية ، وكانت سياسة الكونت سفورزا وزير الخارجية وأمثاله في شؤون الشرق الادنى هي المتغلبة وظهرت آثارها في قضية الترك والحروب التي أثارها الغازي مصطفى كمال ، ومهما يكن من الامر فالشيء البارز فيها مقاومتها لكل بسطة حربية أو سياسية تحصل عليها فرانسا في حوض البحر المتوسط ثم يأتي بعد ذلك حرصها على الا تغلق في وجهها أسواق اقتصادية مهمة

زارني المركيز باترنو في وزارة الخارجية عقب تعيينه ، ومما ذكره لي أنه ليس قنصلا بل ان وظيفته ستكون في القريب العاجل سفيراً لدى الملك ، وقد حادثني ملياً عن سفر جلالته وأكد لي ضرورة هذا السفر في السريع العاجل ، وقال ان قرار (سان ريمو) لا يتعدى ذكر الاعتراف لفرنسا بالانتداب ، وكلمة الانتداب هذه كلمة مطاطة يتوقف المعنى الذي يوافق نهضتكم ويتكافأ مع جهودكم على حسن التخرج الذي يظهره جلالته في الاوساط السياسية في اوربا . وان ايطاليا مستعدة لسماع حديثه باذن صاغية

ومما يسترعي الانتباه ويدل على شيء من الاختلاف في وجهة النظر ان شركة هافاس نشرت في تلك الايام نبأ عن الملك فيصل بايعاز من المفوضية جاء فيه اتهامه باقبح العيوب من اللصوصية فما دون ، لكن رئيس الوزارة البريطانية شهد في مجلس النواب شهادة أخرى فزكاه بأنه العاقل المهذب الصالح لتولي الاحكام — وقد نفذ مقتضيات هذه الشهادة عندما أخرج الفرنسيون فيصلا من سورية

وذكر لي س. باشا . ش. انقائداً كبيراً مسؤولاقال للملك : « تقتضي المصلحة الآن اللين وانتظار الفرصة السانحة » وربما كان هذا القائد في مقدمة الذين ابوا ان تكافأ سورية على جهودها بمثل هذه الاساءة المخجلة

هذا كان حال السياسة العامة لما اخذت الوزارة الاتاسية تبحث في سفر الملك وهل يحسن بجلالته تلبية الدعوة أو ردها ، وبعد أخذ ورد طال أمدهما ومقاومة عنيفة لدعاية تبث في « المؤتمر السوري » مضمونها ان الملك مسافر لتنفيذ معاهدته مع فرنسا تغلبت فكرة القائلين بتلبية الدعوة تقرر ان يسافر وفد على رأسه سمو الامير زيد ومن اعضائه وزير الخارجية ووزير المعارف ساطع

بك الحصرى وعونى بك عبد الهادى كاتب جلالة الملك

ولكن الهمس فى الآذان تجدد فأقنعت الوسوسة سموه أخيراً بأن الانتداب قد تقرر فلا فائدة من سفره سوى الخيبة . وكل من عرف الأمير زيداً وتورعه ووجومه أمام مثل هذه الدعايات يقدر تأثير هذه الكلمات المهيجة فى نفسه . وفى الحق ان الوطنى لا ترهبه قنابل الأعداء محشوة بالديناميت بقدر ما تفزعه كلمات الأصدقاء مملوءة بما يمس كرامة النفس ، والاقدام خلة يحتاج بروزها الى التجاريب

تناقلت الصحف والبرقيات خبر عزمنا على السفر ولكن كنا كلما اقتربنا من تحقيق العمل برزت أمامنا عقبات كأداء لا تزال مجهولة عندى حتى هذه الساعة فأخرتنا عن السفر ،على أنى شعرت فى آخر المدة ان صاحب الجلالة نفسه كان يريد السفر على رأس هذا الوفد

وبينما كنا نعالج هذا الموضوع الهام إذ طرأت مسألة خطيرة استرعت انتباهنا واستلزمت تريثنا وهى أن الجيش الفرنسى فى محاربته الترك فى الشمال كان يريد تسخير سكة حديد رياق ــ حلب لأرزاقه وعتاده وكانت هذه السكة فى منطقتنا وتحت سلطتنا

وحدث فى عهد الوزارة السابقة أن الحكومة بالاتفاق مع الملك سمحت لبعض الاعتاد بالمرور ولكن العامة فى حمص وحماه كانوا يحدثون أنواع الضجة والتظاهر على إمرار مثل هذه الحاجات لتقوية جيش مستعمر يحارب أمة شرقية . فلما تألفت وزارتنا أتتنا الاحتجاجات من الفرنسيين تترى على قلة اكتراثنا لطلبهم هذا . وأخيراً بلغ الجنرال غورو الكولونل كوس أن يحتج باسمه وأن يبلغنا أن الفرنسيين انما هبطوا سورية ليحررونا من أعدائنا الترك ، فما بالنا نمنع الميرة عن جيوشهم وهم حلفاؤنا وقائمون بخدمتنا ، وغير ذلك من الكلام الذى يظن الفريقون أن له قيمة فى نظرنا ، فقلنا فى أنفسنا إن الفرصة سانحة اذن لسبر غور الفرنسيين ومطالبتهم بحقوقنا عليهم من حصة المكس التى لنا عندهم وغيرها كما يطالبوننا بما يزعمون أنه حق علينا لهم من استخدامهم السكة الحديدية لشؤونهم العسكرية ،لان الحقوق والواجبات بين «الحلفاء» يجب أن تكون متبادلة ،فرفضوا الطلب بجفاء لأسباب سياسية تتعلق باتفاقهم مع الترك وتحرير جيوشهم من شباك المعارك فى الشمال . وقد تكشفت لنا غاياتهم عارية من ثياب التصنع والتزويق بعد رد هذا الطلب فكانت نذيراً بالشر المستطير

ويلوح لى أن انذارهم الرسمى هذا مع ما تلاه من الموقف المتحرش الجاف كل ذلك كان مقصودا ليشغلوا به جلالة الملك ووزراءه عن السفر ويحولوا دون عرض قضية البلاد فى بيئة أصلح من البيئة التى كانت معروضة فيها

عبد الرحمن شهبندر

مشكلة الزواج فى مصر

محاضرة للاستاذ فكري أباظة
القيت في قاعة يورت بالجامعة الامريكية

سيداتى . سادتى :

أنتم تلمحون أنى أزين أصبعى البنصر « بدبلة » . وبالرغم من أنها موضوعة خطأ : على اليمين من ناحية « الابندسيت » لا على الشمال من ناحية « القلب » فقد خدعت هذه « الدبلة » الكثيرين والكثيرات فظنوا أنى متزوج أو خاطب . وقد سببت لى أضراراً وضيعت على فرصاً . أما الفرص التى ضاعت فهذا « سرى » الخاص لا أبوح به ولا أذيعه . وأما الاضرار فآخرها أن جناب مدير هذه المحاضرات ظن أنى متزوج ، أى خبير بأمور الزواج ، أى عالم بسيكولوجى ، عميق ، خطير الشأن ، فكلفنى ان احاضركم فى « مشكلة الزواج فى مصر » وأبت كبريائىَ « الاعزبية » — غير المتأهلة أن أتقهقر . فجئت معتمداً على علم هذه الايام ، وفن هذه الايام . وهو : التهويش !

* *

لعلكم تتساءلون : ماهى الادلة على أن المحاضر فى هذا الموضوع الاجتماعى خبير بموضوعه حتى لايضيع وقتنا وحتى نستغل ساعتنا هذه بما هى جديرة به من الاستغلال ؟ !

أدلتى هى :

أولا — سنى . فقد بلغت الليلة الخامسة والثلاثين وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً . فبينى وبين سن العقل وسن الحكمة وسن عضوية مجلس الشيوخ بضع سنين . وقد حكم « وليم بت » بريطانيا وهو أصغر منى عدة أعوام . وتزعم « مصطفى كامل » مصر بأسرها وهو أصغر منى بثلاثة أعوام . واكتسح « الاسكندر الاكبر » العالم بأسره وهو أقل منى بجيل . . .

ثانياً — عاشرت متزوجين ومتزوجات . وخاطبين وخاطبات . ومطلقين ومطلقات ، من كل الاجناس وكل الاديان ، واستعرضت عللهم وأمراضهم فكشفت الباطن والظاهر . ومرت على فى المحاماة قضايا زواجية وطلاقية وخطوبية زهاء اربعة عشر عاماً . . .

ثالثاً — خطبت فى سنة ١٩٢٠ فتاة كنت افتديها بنفسى واتفقنا على كل التفاصيل ، حتى اصطدمنا بمحل الاقامة فقلت : الزقازيق محل عملى ورزقى ! وقالت أمها المثقفة : لا ! اما « هليوبوليس » أو « جاردن ستى » ، فانفسخت الخطبة ! . . .

وخطبت فتاة فى سنة ١٩٢٣ واتفقنا على كل التفاصيل ، حتى قال والدها : انه يجب أن أخلع عنى رداء المحاماة واتحلى بالشريط الملون على الصدر العريض قاضياً فى مصر فانفسخت الخطبة ! . . .

وخطبت فى سنة ١٩٢٥ فتاة طالبة اسمها « توحه » واتفقنا على كل التفاصيل ، حتى قالت امها فى آخر الامر : ان « توحه » صغيرة وتخاف . . . . فيجب ان تكون الدخلة والاقامة فى (المنزل الكبير) فابت رجولتى ان اقيم فى منزل زوجتى فانفسخت الخطبة ! . . .

وخطبت أخيراً فى صيف سنة ١٩٢٦ فتاة وحددنا ميعاد عقد الزواج يوم (ثلاثاء) فاذا بى استلم بالبريد دعوة لحضور حفلة قرانها يوم الخميس بآخر أرشق منى قواماً ، وأجمل هنداما ، وأكثر مالا ، وأحسن حالا . . .

انتم ترون اذن — سيداتى وسادتى — ان محاضركم رجل اكتوى بنار الزواج وان من حقه أن يتكلم وأن من واجبكم ان تسمعوا وعلى الله الاتكال ! . . .

اعدى اعداء الزواج فى مصر

سيداتى وسادتى :

أعدى أعداء الزواج فى مصر هم الآباء ، والامهات ، والمتزوجون !

الآباء ، والامهات ، والمتزوجون ، ينشرون بكل حماسة وبكل قوة لا فى الميادين والشوارع فقط — وانما داخل البيوت — دعاية عنيفة ، مرة ، حامية ، متكررة ، ضد الزواج . . .

لأقل حادث تافه تنشب المعركة بين الاب والام امام الاولاد فى سن الادراك ، وسن الالتقاط ، وسن الترسيخ

وتتكرر هذه المآسى المنزلية وغيرها مراراً فى الشهور وفى السنين والاولاد يصغون الى هـذه الدروس اصغاء تاماً فى سن الطفولة ، ثم يميزونها تمييزاً دقيقا فى سن الفهم ، ثم يحللونها تحليلا كاملا فى سن النضوج ، حتى اذا بلغوا سن الزواج واقترح عليهم ان يتزوجوا تذكروا دروس الاب والام ، وشكاوى الاب والام ، فاجفلوا وترددوا وخلقوا لوطنهم مشكلة الزواج ! . . .

فى مصيف رأس البر وفى غيره على سنتين متواليتين أجريت احصائية عن اجابات المتزوجين عن الزواج فكانت النتيجة مؤلمة : ٩٩ فى المائة من المتزوجين ينصحون لك بعدم الزواج والواحد الباقى فى المائة يقول لك : نعم ، ولا !

تلك هى الدعاية الخطرة المنتشرة التى تعم جميع الارجاء فى هذا القطر العامر بالبنين والبنات . وليس الآباء والامهات والمتزوجون اعداء الزواج فقط من حيث لايشعرون . بل هم اعداء انفسهم وأعداء ابنائهم وبناتهم وهم « الصديق الجاهل » لفلذات الاكباد ! . . .

الأزمة فى المدن لا فى الأرياف

سيداتى وسادتى :

أخرجوا من الحساب الارياف . لا أزمة فى الريف المصرى ولا « مشكلة زواج » فى مصر الفلاحة . مصر الخضراء المزروعة المثمرة التى ترتدى الجلباب الازرق والثوب الصافى لاخطر عليها. ومن حسن الحظ انها السواد الاعظم . ثروة الفلاح اولاد . وجند الحقل اولاد . وبحمد الله الثروة من هذا الصنف فى الارياف طائلة ، والجيش جرار ! . . .

بقيت مصر المثقفة . مصر المتمدينة . مصر المدن التى ترتدى الحرير وتكدس الذهب والماس على النحور والصدور . مصر ذات الكهرباء الخاطفة للابصار . اللاعبة بالافكار . ذات المسارح والمظاهر والسيارات والحفلات والغيرة والاقتداء وحب الظهور والغرور ! . . .

هنا تجدون الأزمة الرهيبة . وهنا تظفرون بالمشكلة ؟ . . .

الزواج عندنا خيال لا حقيقة

يشعل الفتى الراغب فى الزواج سيكارته ثم ينفث الدخان ويفكر فى الزواج .. ولكنه لا يتواضع لله فيبحث فى الارض عن الزوجة وانما يبحث فى السماء . . . وبينه وبين السماء جو وخيال يصلح للطيران وللأمانى . فيطير ويتمنى . . ولكنه لا يعرف الطيران ولا يفهم فن الامانى فيظل على ارضه المتواضعة بغير زواج ؟ . .

أرأيتم فى « السينما » كيف يصورون الاحلام التى تدور عبالغاتها فى رءوس الممثلين ؟

هكذا الشباب المصرى تتراءى له « الفللات » و « السيارات » و « الخدم والحشم » و « الحرير الناعم » و « رحلات أوربا فى الصيف » و « الحفلات والسهرات » فاذا ماسألته الحقيقة : اعندك الوسائل المالية لسد نفقات هذه الحياة المقبلة ؟ اجاب الحقيقة بقوله : لا ! ولهذا ابحث عن زوجة غنية ! ؟ . . .

وبعضهم يطير نفس الطيران ويحلم نفس الاحلام . ولكن لا عن المال وانما عن الجمال . يغريه من « جريتا جاربو » حواجبها وقوامها وانسجامها . ومن « بيلى دوف » عيونها وسحرها ومن « جانيت جينور » رشاقتها ودلها . فيبحث عنهن فى « البيوت » لا على الشاشة « البيضاء » فلا يجد . فلا يتزوج !..

وبعضهم يطير نفس الطيران . ويحلم نفس الاحلام ، ولكن لا عن المال ، ولا عن الجمال ، وانما عن الاخلاق والخلال ، فهو يريد « قديسة » ولكن رشيقة . . . بنت « القرن السابع عشر » ولكن تلعب البيانو ، وتتصدر الصالون ، وتمطر الناس ثقافة وعلما عصريا . . . وهو اذا تعرف اليها على نية التفكير فى الزواج بعد الدرس والاختلاط فيجب أن تكون وقفا عليه حتى يبت ويختار . وقد تغضبه ضحكة او نكتة او فستان ، او وشاية ، فيتقهقر ولا يتزوج ، ولو علم الشاب ان مسئولية

الاخلاق عليه بعد الزواج ، وعلى رجولته ، وعلى حزمه وتعويده ما خاف وما تردد ؟ . .

هذا خيال الفتى . اما خيال الفتاة فمن جنسه ومن نوعه ومن جوه . فهما لاينشدان التكافؤ فى الثروة ، ولا فى تساوى حالتيهما الراهنة ، وانما يبحث كل منهما عن صفقة رابحة تعلو بمستواها عن مستوى كل منهما

وهذا فى نظرى هو « الزواج التجارى » والنظرة اليه نظرة مادية جشعة .وما كان هذا غرض الله ، ولا غرض المشرع الدينى . وما كان هذا هو الاساس فى نظام الزواج

ويظن بعض الهائمين من قراء الروايات ورواد السينما ان «الحب» هو أساس الزوجية . واسمحوا لى مادمنا ندرس أزمة اجتماعية ان أقول ان هذه فكرة برهن « الفشل العملى » على انها غير صحيحة فالذين يظنون ان الزواج « عاطفة حارة غرامية » مساكين ! ذلك خيال يطير من الشهور الاولى. الزواج « شركة اجتماعية » للتعاون ولتنظيم المعيشة المنزلية وللنسل وللعمران وللحماية من شرور العزوبة ولاستكمال قاعدة دينية من قواعد الله ! . .

لا علاج عندى للمصابين « بداء الخيال » إلا أن يشفيهم الله مما هم فيه . ولا يعنينا ولايعنى مجتمعنا المصرى أن نفكر فى أمرهم طويلا . فعندنا طوائف من انصار الزواج يحجمون لاسباب جدية وهم جديرون بالعناية وفى اقناعهم أمل . وسيظل الخياليون هائمين فى جو الامانى حتى تلجئهم الضرورة أو الظروف ، أو « القسمة » للزواج فيقدموا عليه بلا قاعدة ، وبلا شروط ، وبدون تحفظات ! . .

المسئولية

يقول الاعزب فى نفسه : أنا اليوم حر أمرح وأطرب على قدر وسائلى . وحياتى استطيع أن أنظمها موازنا بين ايرادى ومصروفى . وما دامت عائلتى مكونة منى ومنى ومنى . . . فالحاضر مضمون والمستقبل مضمون ، ولست احمل إلا مسئولية نفسى . فالى وللمسئولية المجهولة التى فى علم الغيب . .

١ ــ مالى وللزوجة التى قد يدب بينى وبينها النفور وسوء التفاهم وعدم الامتزاج فاعيش شقياً وتعيش شقية ؟ !

٢ ــ مالى وللزوجة التى قد تكون ارادتها اقوى من ارادتى فتتربع على عرش مملكتى وتتحكم بدكتاتوريتها المطلقة على ماليتى ، وكرامتى ، ومكانتى بين الناس ؟ !

٣ ــ مالى وللزوجة الولود المسرفة فى الخلف الصالح وغير الصالح ، المريض وغير المريض المتطالب بحسب نوعه نفقات التعليم والاعداد والجهاز ، وانا لا اعرف اليوم عدده ، ولا حدود مطالبه ونفقاته ؟ !

هذه هى اهم الخواطر التى ترد على رأس الاعزب فتحمله على ان ينفر من الزواج وملحقات الزواج . ولا شك انها خواطر « جبن » و « أنانية » و « ضعف معنوى » . ومن العبث أيها السادة

ان نتكلم كلاما فلسفيا اخلاقياً تهذيبياً فنقول كالمحاضرين المتفلسفين : يجب ويجب ويجب . . . ان الشاب يريد ردوداً عملية ، وعلاجا ماديا لاعلاجا نفسانياً نظرياً . فماذا أعددتم له من علاج ؟!

لى آراء جريئة لاأدرى — وقد قبلتم أن تحضروا وتسمعوا — هل تقبلونها على مافيها أوتتحركون. حركاتكم الارستوقراطية الانيقة فتتبرمون ، وتشمئزون ، وترفعون اصواتكم بالاحتجاجات المحفوظة التى سحقها « الزمن المادى » سحقا ، واكتسحها اكتساحا ؟! . .

الصفقة التجارية

أقول لكم الحق سيداتى وسادتى . . . ان الكلام فى مسائل الشبكة والمهر والجهاز والهدايا وليلة الدخلة والفرح والسبوع وملحقاتها أصبح كلاماً ثقيل الوقع على النفوس . . . واسمحوا لى أن أقول ان الاسر التى تعطى للارقام «مكانة» هى اسر بلدية لا علاقة لها بالروح المصرية ولا بالمدنية . .

نحن فى أزمة قاسية ، والتضحية المادية واجبة فى الازمات . والارقام الصعودية أو الهبوطية لا علاقة لها بسعادة الزوجين أو بشقائهما . والذى أرتضيه قاعدة فى الزواج المصرى اللطيف هو ما يأتى : يضم الخطيب ما لديه من المال على مالدى الخطيبة . ويتأبط ذراعها لتعاين منزل الزوجية الانيق الرشيق الذى يسعهما وحدهما بعيدين عن الاب والام والاخوة والاخوات والعمات والخالات . ثم يتأبط ذراعها ويذهب بها الى محال الموبيليه فيوصى أو يشترى الاثاث الانيق الرشيق الذى يناسب منزلها الانيق الرشيق . ثم يعقد الزواج ويخطر الاهل والمعارف بالقران الميمون مجرد اخطار . ثم يقفلان باب المنزل ويذهبان فى رحلة العسل فيقطعانها تقبيلا وعناقاً وخيالا وآمالا ثم يعودان ليعيشا عيشة التعاون الطويلة السعيدة بعون الله . . أما السمك والشكولاته والملبس والعود والقانون والطرب والرايات والزينات والمعازيم فلا تنتج الا التهكم و « النقورة » والخسارة المادية بغير مقابل . .

ينشط المشرع فى الازمات فيصدر التشريعات الجريئة صيانة للكيان الاجتماعى من ان ينهار امام التقاليد الجامدة غير المعقولة . والمشرع المصرى غير جرىء ، يخجله ان يفاجىء الناس بما لم يعتادوه ويعرفوه . ولكن ها هى فرنسا واليونان وتركيا قد اصدرت فى ثلاثة اعوام تشريعات اجتماعية جريئة ومفيدة كل الفائدة فى وقت واحد

ان لم يتعظ الناس بالنصيحة وبالمنطق وجب ان يخضعهم القانون لحكم العقل وحكم الحكمة . فرنسا واليونان وايطاليا فرضت ضريبة على العزوبة . أما تركيا فقد اعدت مشروع القانون بالفعل ولا يزال قيد البحث والنظر فى المجلس الوطنى . وضريبة العزوبة كما ترون عقوبة مالية ولكنها تحمل فى فكرتها معنى ادبيا اجتماعياً سامياً . وقد آن الاوان لأن يقتدى المشرع المصرى بزملائه فى البلاد الاخرى . .

طاردت « المانيا » الاعزاب بلوائح استخدامها . فميزت الموظفين المتزوجين فى الانتقالات والترقيات والعلاوات . وحملت « الاعزاب » من مشاق بعد الاقامة ومشاق العمل مقابل ما يتحمل المتزوج من اعباء الزوجة والاولاد

وعندكم فى مصر مثل رائع هو شركة القنال . فهذى تعطى علاوة يومية للمستخدم كلما رزق ولداً . . وتتضاعف الاعانة اذا زاد النسل عن ثلاثة اولاد . فالنسل عند موظفى شركة القنال نعمة ، لا نقمة . . . والخلف عندهم مصدر سعادة لامصدر شقاء

والحكومة المصرية اليوم تشرف على عقود الشركات . فلو انها اوعزت بادخال مثل هذه النصوص لخفت ازمة الزواج فى دوائر الحكومة وفى دوائر الشركات

وضربت « تركيا » المثل الاعلى فى معالجة الازمة الزواجية بالتشريعات الجريئة فطاردت موظفيها المتزوجين بالاجنبيات أشد المطاردة . واصدرت (قانون منع الاسراف) ومن ضمن محتوياته تحديد ليالى العرس ، وتحديد قيمة الجهاز ، واهملت فى القانون المدنى النص على دفع المهر فى عقد الزواج . وقد علمت من كبار كتاب الاتراك ومن موظفى السفارة التركية ان عادة (المهر) آخذة فى الزوال بين الاوساط المتعلمة

سيداتى وسادتى :

حادث الزواج الذى يحدث فى الاسر المصرية اصبح فرصة تنتهزها العائلات مع الاسف الشديد للتفاخر وحب الظهور ، ومن شأن التفاخر وحب الظهور ان يجرا المبالغة والارهاق . ليس ارتفاع رقم المهر ورقم الشبكة هما فقط سبب الشكوى وانما أهل العروس يضطرون اضطرارا للمبالغة فى الجهاز تحت تأثير التفاخر وحب الظهور . وتنتهز العروس الخبيثة هذا الموقف هى وزميلاتها الخبيثات وعريسها الخبيث فيتآمرون جميعاً على شحن قائمة الجهاز بالاصناف الغالية وبالكماليات . . . واعتاد تجار (الموبليا) ان يعلنوا اسم العروس على اجزاء الجهاز وفى هذا من التحريض على التظاهر والاسراف ما فيه . . .

اجراءات الزواج فى مصر طويلة

اجراءات طويلة مضنية : مفاوضات مبدئية بواسطة الاقارب والاهل أو بواسطة « الخاطبة » . تحريات كتحريات قلم المباحث والبوليس السرى . . مفاوضات حول تقديم « الدبله » . مناقشات ومداولات حول تقديم الشبكة . مخابرات بخصوص المهر وعقد الزواج . مناقشات مملة حول « ليلة الدخلة » وحول « العرس » . . هذه كلها مفاوضات أعقد من مفاوضات انكلترا مع مصر . . أو مفاوضات الدول حول نزع السلاح ! . . والخطر انها تشمل تفاصيل عديدة قد يتولد عنها الخلاف وفسخ الخطبة . .

والحقيقة الثانية هى التى ينطبق عليها مثلنا الفلاحى المعروف : « زواج بالدين واولاد بالفايظ » فلى اصدقاء كثيرون استدانوا المهر من المرابين بفوائد ربوية يعاقب عليها القانون . واعرف عائلات كثيرة استدانت ثمن الجهاز بالفايظ . ألا ترون انه من الغريب الجنونى ان يبدأ عهد الزواج الميمون المبروك بارتباكات مالية ، وان يقوم بناؤه السعيد على كمبيالات واقساط وفوائد . بل سائلوا التجارب كم من مرة قبض الوالد مبلغ المهر وسوى به حجوزاته واقساطه المطلوبة للبنوك ثم أخذ يماطل العريس خوفا من نفقات الجهاز ؟ ثم سلوا تجاربكم كم من مرة ادت هذه المماطلة الى فسخ الخطبة والى فسخ العقد والى بقاء « الضحية » فى بيت ابيها تندب سوء حظها وتبكى حاضرها ومستقبلها ، لانها كانت فريسة المادة وفريسة التظاهر وفريسة التقاليد السخيفة التعسة التى لم يقل بها دين ، ولا منطق ، ولا انصاف ! . .

المادة هى الجريمة . . .

والآباء والامهات هم المتهمون . .

والفتاة والفتى هما المجنى عليهما . . .

وهذه هى القضية ! ! !

فهل عندكم دفاع ؟ ! . .

الزواج المختلط

ومن هذه الجريمة الاهلية تنجت الجريمة المختلطة . تنجت السقطة العمرانية الاجتماعية الكبرى وهى الزواج من الاجنبيات ! ! !

وأود قبل كل شيء أن اكون مهذبا . فاعلن احترامى العظيم للعائلات المصرية المختلطة . ولكن هذا لايمنعنى من اداء الواجب نحو بلادى ووطنى وقوميتى . ومصلحة بلادى فوق كل مجاملة وفوق كل نفاق !

لايصلح المصرى الا للمصرية ولاتصلح المصرية الا للمصرى . وعندكم المآسى فسائلوها هل نجح زواج المصريين بالاجنبيات . .

ولكن من حق المحاضر ان ينصف . وان يعلن بكل شجاعة ان المسئولية تقع على عاتق التقاليد المادية فى الزواج المصرى

كان انصار الزواج المختلط يحتجون بالثقافة .فلما تثقفت الفتاة المصرية وبرزت من خدرها وضرب المثل بعبقريتها فى الخارج وفى الداخل بطلت الحجة ! . .

وكانوا يحتجون بالرشاقة والاناقة والتمدين . فلما ضربت المصرية الرقم القياسى أو اقتربت منه بطلت الحجة ! .

ولكن بقيت حجة ناهضة تحرج المحاضر ويتحكك بها انصار الزواج المختلط . وهي أنه زواج سريع بسيط فى متناول كل طالب ومتخرج ، متواضع الموارد قليل المال ، ما عليه إلا ان يختار فلاتكلفه عملية الزواج الا حبرا وورقا وشهوداً ثم « يلفعها » على كتفيه بدون مهر مرهق ولا شبكة مدمرة ولا هدايا مضايقة ويعود بها الى بلاده ليزاحم بها مواطناته الكريمات النبيلات ! .

حقيقة هي ليست بنت الكونت دي سربون . ولا المركيز ديلاكروا . ولا الدوق جلوستر ولا البارون فراتللي ، وانما هي فى نظره زوجة « بون مارشيه » . .

وتكون النتيجة سيداتى وسادتى اننا نلقح دمنا المصرى بدم اجنبي لايمكن ان يكون نقياً للوطن ولا وفياً للنيل . ولا مواليا للأهرام . ثم يتغلغل هذا الدم فى اجسام الأولاد واذهان الاولاد واحساس الاولاد فيغذى مخلوقات لا تحن لمصر حنين المصرى القح الخالص . هذا فضلا عن النكبات الاجتماعية الكثيرة التى ينكبنا بها الزواج المختلط . فاناشدكم المصرية الصميمة أن تسدوا المسالك على انصار هذا الاحتلال الاجنبي فى منازلنا المصرية ، وان تقيموا على الراغبين منهم فيه ادلة الذلة العمرانية الاجتماعية لا بالثقافة فقط ولا بالتمدين فقط ، وانما بالتساهل الكلي فى ضرائب الزواج الثقيلة على الطرفين والتى لا تتحملها كل الجيوب . والتى تنفر منها القلوب . .

سذاجة ونزق ! . .

سيداتى وسادتى :

هناك عامل آخر من عوامل مشكلة الزواج فى مصر وهو عامل السذاجة والنزق من جانب بعض الشبان وجانب بعض الفتيات . ومن هنا يحدث سوء التفاهم بين الجنسين الناشئين

واود ان تغتفروا لى سلفاً جرأتى فى معالجة هـذه النقطة . ضعف سلطان الأب والأم على الفتيان والفتيات فى المنازل . وانهارت « الدكتاتورية » الابوية داخل البيوت . وتمتع الشبان بحرية واسعة وشعروا بدبيب الشخصية المستقلة يدب فى نفوسهم قبل الاوان

لا أدرى السبب فى هذا ، لعله التطور السياسى أولعله الفترة بين الانتقال من القديم الى الجديد أو لعله التقليد الطارىء على المدنية المصرية ، والامة المقلدة دائما تجتاز الحدود وتتعدى الدائرة

الفتاة فى مصر وفى غيرها أكثر شعوراً بحاجتها للزواج من الفتى . وهى تحت تأثير هذا الخاطر الذى يصاحبها فى غدواتها وروحاتها تصبح أكثر تحمساً وتسرعاً فى تحقيق الفكرة من الشاب فتندفع ويخيل اليها أن وسائل الزواج هى التعارف والاعلان عن نفسها بأنها «سبورت» ومن «آخرطراز» . ولسوء الحظ لم يألف المنزل المصرى الموضوع تحت رقابة الأب والأم المجتمعات المختلطة ، وانما تحصل هذه فى غفلة من أصحاب الشأن — فى دور السينما ، أو فى منازل الصديقات من سنها وطبقتها ، أو على البلاج فى المصايف ، أو فى خطابات مفعمة بلغات وأساليب الروايات ، أو بمحادثات

تليفونية متكررة . والذى شاهدته وأدهشنى باجماعه أن الشاب المصرى الناشىء قد يلذ له أن يقابل ، وأن يحادث ، وأن يراسل ، وأن يبادل العاطفة بالعاطفة . ولكنك عند ما تسأله : أفى نيتك الزواج من هذه ؟ يجيبك بكل حماسة : الزواج شيء آخر وشيء خطير أما هـذه عواطف والسلام ! . . .

يذهب بعضهم الى القول بأن الاختلاط هو وسيلة ناجحة فى التحريض على الزواج لأنه يمهد للتعارف والتمازج وللاختبار وللدرس

لئن صح هذا وأقررتموه وجب أن يحصل علانية لا خلسة ، وتحت رقابة الوالدين وفى جوهما واشرافهما ، وأن يستظل بظل التقديس والاجلال والتقدير ، أما التظاهر بالمحافظة على التقاليد داخل البيوت والتسامح فى التقاليد خارجها فمغالطة لا أرضاها للأسر وهى تعلم علم اليقين صدق ما أقول ، وخطورة ما أدعى ! . .

الحاجة أصبحت ماسة لخلق جو صالح بين الطرفين . وقد فكر بعض الباحثين فى تأليف جمعيات مختلطة ونواد مختلطة وصالونات مختلطة لتبديد غيوم سوء الظن المتلبدة فى سماء أزواج المستقبل وزوجات المستقبل . ولا تزال الفكرة مترددة بين الاقدام والاحجام ، والشجاعة والجبن . ولاتزال مشكلة الزواج على أشدها تعانى من عدم اكتراث الزعماء والزعيمات ! . . .

فكري اباظة

[في الجزء القادم من الهلال استفتاء قام به الاستاذ فكري اباظة لدى طائفة من كبار العلماء والمفكرين في مصر بخصوص مشكلة النسل وتحديده وبخصوص مشكلة الزواج . وهو الجزء الثاني من المحاضرة]



رد على الدكتور طه حسين

بقلم الاستاذ سامى الجريديني

نحن من المعجبين الاعجاب كله بالدكتور طه حسين ، نقدر منزلته الادبية قدرها ونعترف بأنه من خير النقاد الذين أخرجتهم اللغة العربية للناس فى هذا العصر إن لم يكن خيرهم

ولا نذكر أننا قرأنا له كتاباً أو مقالا الا وأخذتنا هزة السرور مع الاعجاب ، متمنين أن يكون قدوة فى الادب العربى تدل على منهاج البحث الحر والنقد المجرد عن الهوى . فأسرعنا نقرأ فى الهلال ما كتبه بعنوان « حافظ وشوقى »

وإننا نأخذ بما أشار به إذ يقول : « إنما ذكرت عواطفى التى كانت تعطفنى على حافظ بالحب والمودة ، وتصرفنى عن شوقى بعض الشيء ، لتتم أنت (يعنى القارىء). ما قد أعجز أنا عنه من الانصاف ، ولتمحو أنت ماقد أتورط فيه أنا من الغلو والاسراف »

ونحمد له قوله : إنه يريد أن يكون منصفاً فى تاريخ الشعر المصرى الحديث وإنه يعلم ان من العسير جداً أن يتخلص مؤرخ الادب بنوع خاص من عواطفه وشهواته ومن ميوله وأهوائه ومن ذوقه فى الادب والفن

ونسأله بعد هذا عما يقصد اليه اذ يقول : ان شوقى قصر فى أخذه بالادب الافرنسى الجديد وبالفلسفة الافرنسية الجديدة ، وإنه لو أخذ بذلك لفهم مثل أدباء فرنسا الحديثين الاعلى ، ولكان شعره اذ ذاك غير شعره الذى نعرف

فاننا نحب أن نعرف مدققين ما هو مثل هؤلاء الادباء الاعلى فى شعرهم حتى يصح لشاعرنا أن يأتم بهم ، وما هو معنى النعى على شوقي تركه التثقف بثقافتهم ، وهل يصح لشاعر عربى أن يتخذ الادب الافرنسى معياراً لشعره ؟ فاذا سار شاعرنا وراء الثقافة الافرنسية هل نضمن له ناقداً لا يقوم ينعى عليه تركه للثقافة الانجليزية أو التليانية أو الالمانية

وهل يجوز لناقد افرنسى مثلا أن ينتقص من شعر بودلير لانه لم يتثقف بالثقافة الانجليزية المتمثلة فى كبلنج وفى برنارد شو ؟

اننا نفهم أن يكون المرء متثقفاً ، بل نحن لا نفهم الحياة اذا لم يكن غرضها التثقيف ، ولا نفهم على التخصيص أديباً ليس على تثقيف عظيم !

فاذا أعطينا الشاعر قسطه من الثقافة العامة هل يجوز لنا ان نحتم عليه بعد ذلك التثقيف التام أو الاغراق فيه ؟

اننا نخفى على شاعريته اذا تجلت فى الثقافة . فكبراء النقاد متقفون أما كبار الشعراء فلا . نعنى تلك الثقافة التى يرمى اليها الاستاذ طه حسين

واننا نعرف شاعراً بلغ من الثقافة فى عصره الغاية وعد من أعظم شعراء انجلترا ، ولكنه لم يستهو القلوب بشعره لا فى ذلك العصر ولا فى هذا ونعنى ملتون (Milton)

فالنقاد يعجبون بفردوسه الضائع وبقوة خياله وجمال صنعته . والمدرسون يدرسونه مغالين ومقدرين . ولكنهم مع تلاميذهم لا يقرأون له اكثر من أسطر مفروضة حتى يستولى عليهم النعاس فيهربوا إلى بيرون يحفظونه والى شكسبير يقدسونه . وقد كان بيرون أقل الشعراء تثقيفاً وكان شكسبير غير مثقف

ان الشعراء وكل كاتب كبير يفرض ثقافته على جيله . وأما النقاد فيتثقفون ليعلموا الناس ويفسروا لهم مناحي الشعراء والكتاب

كنا نحب من الدكتور طه حسين أن يفسر لنا ويشرح ما أبهم علينا مما يتوقعه فى شعر شوقي لو تثقف بالثقافة الافرنجية ــ ولا نقول الافرنسية ــ الحديثة

فقد مضى أكثر من قرن ولا تزال الناس يقرأون الفريد دى موسيه وفيكتور هيجو ولامارتين. ومضى أكثر من هذا الزمن ولا تزال أساطير لافونتين من آيات الادب الافرنسى ، فهل من يكفل لنا أن يعيش بودلير ومالرميه حياة موسيه وفيكتور هيجو . ان الزعيم بذلك لعلى جرأة عظيمة

فها شعر شوقى أمامنا كما هو لم صاحبه بالثقافة العامة الماماً . فترى كيف كان يتطور هذا الشعر لو أخذ شوقى حظه من الثقافة الحديثة ؟ ليت الاستاذ طه حسين ينير لنا الطريق ويدلنا على ذلك فاننا لا نزال فى ظلام دامس من هذه الناحية

فانه يكتفى بأن يقول لنا : لو قرأ شوقى الالياذة والاودسه لحاول أن ينشىء الشعر القصصى فى اللغة العربية . ولو أنه قرأ تمثيل اليونان وتمثيل المحدثين لعنى بالتمثيل شعراً ونثراً ولتغير مثله الاعلى فى الشعر

ونحن لا نفهم مثلا أعلى للشعر الا المثل الأعلى للامة التى يقال بلسانها هذا الشعر

فالشاعر الذى يتجرد عن مثل أمته الأعلى ويتفحص مثلا أعلى فى غير أمته قد يعد من كبار الفاتحين ولكنه لن يحسب فى عداد عظماء الشعراء

فليس لنبي كرامة الا فى وطنه . ولا قيمة لادب يعق نسبه . وقد قال الافرنسيون فى آدابهم :

" Pour être quelque chose il faut être du pays "

واننا نذهب أكثر من هذا ونزعم أن الثقافة الافرنجية فى القمة ،واننا نحن أهل العربية أقزام اذا قسنا أنفسنا بجبابرة الادب الافرنجي

ونزعم أننا لو خيرنا بين الادب العربي والادب الانجليزى مثلا لاخترنا الادب الانجليزى .ولكن

ماذا يكون تأثير اختبارنا على الادب العربي وأى خير يرجى من المقارنة والمفاضلة

يجب أن نأخذ الشعر العربي كما وصل الينا ونكيفه مع عقليتنا وبيئتنا على عصرنا فنعيش ويعيش معنا . واذا نحن أصحاب أدب عربي كما أن التليان أصحاب أدب تلياني والالمان أصحاب أدب الماني.

لقد تحامل الدكتور طه حسين على شوقي ونحن نستنتج ذلك من المثل الذى يأخذه دليلا على جهل شوقي للآيات العليا من آداب الافرنج وذلك عند نقد قصيدته عن شكسبير

فانه يأخذ من هذه القصيدة بيتاً ويهمل الابيات الاخرى ويبني العلالي والقصور على جهل شوقي لشكسبير

اننا نرجو من القارىء أن يعود الى قراءة هذه القصيدة ونحن واثقون بأنه يعتقد معنا أن شوقي أعطانا صورة عامة حقيقيـة لشكسبير لو حاول أن يزيد فى التدقيق فيها لما كان شاعراً بل عد فى الناقدين أو المؤرخين . وما قولك فى هذا البيت عن شكسبير ؟

لم تكشف النفس لولاه ولا بليت　　　لها سرائر لا تحصى وأهواء

أليس هذا هو شكسبير فى بيت من الشعر ؟

ألم يقولوا لنا إنه أنبغ من صور الخلق الانساني وأبرز سرائر النفس على لسان أشخاص رواياته وإنه جمع حكمة الكتب الى اختبار الدهر ؟ وماذا يعاب على شوقي اذا شبه شعره بآيات الله تسكن حقيقة الدهر ، وبمعاني عيسى فى الرحمة الى قصص الدهر فى الاضحاك والابكاء

ثم يهزأ الاستاذ طه حسين بشوقي اذ يتجه بقصيدته الى شكسبير فيسأله أسئلة عادية قد ألفها الناس منذ قرأوا رثاء أبي العلاء وعرفوا تصويره لبلى الاجساد فى القبور

فليسمح لنا الاستاذ ان نخالفه فى هذا أيضاً

إن شوقي بهذه الاسئلة يتوجه بها الى شكسبير لم يفعل الا أن أعاد أسئلة شكسبير نفسه بعضها على لسان هاملت مخاطباً حافراً من حافري القبور

فاشارة شوقي الى هذه الاسئلة والتوجه بها الى شكسبير ابداع شعري وفنى يمدح شوقي عليه ولانرى فيه اعادة لشيء قاله أبو العلاء أوسواه . وكل من قرأ روايةهاملت وقصيدة شوقي يدرك ذلك

أما التبحر فى العلم بشكسبير فكالتبحر فى كل ثقافة أخرى لا نظنه ذا أثر قوى على شاعرية شاعر من الشعراء

وقد طال بنا الكلام عن هذه الناحية من نقد الاستاذ طه لشوقي فنقف مرجئين نقد النواحي الاخرى الى فرصة ثانية ، مكررين القول باننا ما أقدمنا على اظهار رأينا فى هذا النقد الا بعامل الاعجاب بشوقي اعجاباً لا يقل عنه اعجابنا بالاستاذ طه حسين

سامي الجريديني

النظام المالي
فى عهد البطالسة
كيف كان البطالسة يحضرون ميزانياتهم

منذ مدة ألقى الاستاذ اندريادس خطبة فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية عن النظام المالى الذي كان البطالسة يسيرون عليه في مصر. والاستاذ اندريادس هو من اساتذة كلية الحقوق بجامعة أثينا وعضو بالمعهد العلمي بفرنسا . وقد لخصنا هنا محاضرته لما تحتوى عليه من البيانات الشائقة والمعلومات الطريفة

ليس خوض مثل هذا الموضوع من الهنات الهينات ،لان المصادر التى يمكن الرجوع اليها قليلة محدودة ، ولان أوراق البردى التى تبحث فى نظم البطالسة المالية لاتتناول سوى المقاطعات الزراعية فقط . أضف الى ذلك أن البطالسة لم يتركوا لنا تقارير أو مستندات رسمية يمكن الرجوع اليها فى هذا الصدد . ومع ذلك ففى امكاننا أن نستخلص ماهية سياستهم المالية وكيف كانوا يديرون شؤون الدولة الاقتصادية

١ — النفقات الخاصة بالسياسة الخارجية

كان البطالسة كالسلوقيين والانتيجونيين يسعون الى بسط سلطانهم على جميع أجزاء العالم اليونانى فى ذلك العهد . ولذلك كانوا يشنون الغارات من وقت الى آخر على اخوانهم من الروم . وكانت تلك الغارات تتطلب أموالا كثيرة ونفقات باهظة ليس لجيوشهم الجرارة فقط بل لجيوش المرتزقة الذين كانوا يستخدمونهم والذين كانوا يجندون منهم الألوف الكثيرة . وفى الواقع ان ماكانوا ينفقونه على أولئك المرتزقة من الأموال كان يزيد كثيراً جداً على ما كانوا ينفقونه على جيوشهم النظامية

ونظراً الى حالة القلق التى كانت سائدة على العالم فى ذلك العهد كان البطالسة مضطرين الى عقد المحالفات الكثيرة مع الدول القريبة والبعيدة . وكانت هذه المعاهدات (كالمعاهدة مع اسبرطة مثلا) تتطلب النفقات الطائلة لانشاء الحصون والمعاقل واقامة الحاميات ونشر الدعوة بين الجمهور لكسب الرأى العام

٢ — الدول اليونانة المقدونية

وكان عدد موظفى الحكومة فى مصر فى ذلك العهد كبيراً جداً . وكان نظام الدولة نفسه يقتضى ذلك لان الحكومة كانت تتدخل فى كل شيء وتشرف على كل شيء . وكان حب التوظف متأصلا فى النفوس والشبان يتهافتون على مناصب الدولة ويحسبون الحصول عليها فخراً عظيما .

ومع ان أجور معظم الوظائف كانت قليلة فقد كان مجموعها عظيما جداً . أما أصحاب المناصب الكبرى فكانوا يتقاضون « مرتبات » عالية . وكان للذين يقيمون منهم بمدينة الاسكندرية علاوات خصوصية لان المعيشة فى هذه المدينة كانت تتطلب نفقات خصوصية . وكان هنالك نظام يشبه نظام « الشفاتلك » الذى أدخله الاتراك فى مصر ودخل الشفاتلك « يسمى دوريای » (Dor e a i) وقد أدى هذا النظام الى خير عظيم للبلاد لانه أفضى الى توسيع نطاق الزراعة وتحسينها . . .

٣ — قصور البطالسة

وكان للبطالسة فى الاسكندرية وخارج الاسكندرية قصور فخمة كثيرة يقوم بصيانتها والاشراف عليها جيش من الموظفين والعمال . كانت الحكومة تنفق عليهم الاموال الطائلة كما كانت تنفق على صيانة القصور وتزيينها وشراء ماتحتاج اليه من تحف وأثاث ومحسنات من وقت الى آخر

٤ — نفقات التعليم والفنون والآداب

وقد ذكر بعض المؤرخين ماكان البطالسة ينفقونه بطيبة خاطر فى سبيل نشر العلوم والفنون والآداب . وكان أكثرهم يسخون فى ذلك السبيل سخاء عظيما . لأن البطالسة كانوا يحبون العلماء والشعراء ورجال الفن ويغمرونهم بالمنح والهبات ويبذلون كل مافى وسعهم لرفع منزلتهم فى عيون أبناء الوطن

٥ — التجارة والاشغال العمومية

كانت نفقات البطالسة فى هذا السبيل كبيرة جداً . ومن ضمنها نفقات تطهير البحار من القرصان واللصوص لتأمين طرق التجارة . ولهذا الغرض كان البطالسة يوجهون الحملات لتأديب القرصان ولصوص البر من وقت الى آخر . ومع ذلك كان البحر الاحمر يعج بسفن القرصان الذين كانت أساطيل الدولة تطاردهم من مكان الى مكان . وكان فى الاريتره والصحراء حاميات كبيرة جدا لحراسة قوافل التجار والمسافرين والحجاج

على أن البطالسة كانوا يختلفون عن السلوقيين بكونهم لايميلون الى انشاء المدن والحواضر . فكانت الاموال التى ينفقونها فى هذا الباب قليلة جدا . ويظهر أن السلوقيين كانوا أكثر ميلا منهم الى نشر الحضارة اليونانية فى مصر . وبعبارة أخرى ـ ان البطالسة كانوا أكثر ميلا الى مراعاة ميول المصريين وتقاليدهم وعدم ارغامهم على قبول الحضارة اليونانية

على أن ذلك لم يمنعهم من تجميل الاسكندرية وغيرها من مدن القطر الكبرى . وفى الواقع أن العاصمة كانت فى عهدهم آية فى الجمال

٦ — أبواب الدخل والايرادات

أما أبواب الدخل فكانت كثيرة متنوعة وجميعها من قبيل الضرائب . وقد اثبت العالم مسبيرو أن البطالسة جروا فى فرض الضرائب على الاسلوب الذى جرى عليه الفراعنة قبلهم ، وانما سعوا لتوسيع نطاقه وتحسينه . وزعم بعض المؤرخين أن بطليموس فيلادلفوس هو أول من ابتكر نظام الاحتكار (المونوبول) ، ولكن هنالك قرائن كثيرة يؤخذ منها ان هذا النظام كان معروفا قبل زمن بطليموس فيلادلفوس وان هذا اقتبسه وحسنه . وفى الواقع ان نظام الاحتكار اليونانى يختلف عن نظام الاحتكار المصرى مما يدل على أن النظامين هما من مصدرين مختلفين

وتدل جميع المعلومات على أن مدينة الاسكندرية كانت أهم مصدر للايرادات . وقد ذكر ديودورس ان مجموع ايرادات الاسكندرية (من جميع الابواب) كان يزيد على ستة آلاف « تالن » ، مع ان مجموع ايرادات الدولة ما كان قط ليزيد على ١٣٥٠٠ « تالن » . ولما كان معظم سكان الأسكندرية من الأروام كان ايراد المدينة دليلا على أن الاروام كانوا ملزمين بدفع الضرائب كالأهالى وما كانوا يمتازون عنهم فى شىء

ولا حاجة الى القول بأن جانباً كبيرا من الضرائب كان يجبى باستعمال وسائل الاكراه والارهاب وربما كان للبطالسة بعض العذر فى ذلك فقد كان يطلب منهم نفقات كثيرة لصيانة حدود الدولة وتأمين طرق المواصلات واستغلال موارد البلاد . ومع أن اجزاء واسعة سلخت من جسم البلاد فى عهد البطالسة فقد ظل البطالسة يفرضون الضرائب و يجبونها بكل ما يستطيعون من قسوة فلم تنقص حتى بعد انسلاخ بعض المقاطعات . ففى أيام بطليموس اوليتوس مثلا (وكان نجم البطالسة قد أذن بالافول وجانبا من المملكة قد ضاع) لم تكن ايرادات الدولة تقل عنها فى عهد بطليموس فيلادلفوس يوم كانت البلاد فى اوج شهرتها وعظمتها

ومع شدة انهماك البطالسة فى تقوية دعائم ملكهم وفى تكثير مناصب الدولة والانفاق عليها بلا حساب كانوا أحسن من كثيرين غيرهم من معاصريهم كالفرس والرومان . اذ كانت الضرائب تجبى من الفقراء قبل الاغنياء بقسوة لا يستطيع قلم الكاتب ان يصورها . أضف الى ذلك ان البطالسة خدموا مصر بوجه الاجمال ـ ما عدا القليلين منهم ممن كانوا أردأ أنموذج للحاكم العادل ـ اذ رفعوا فيها مستوى العلوم والفنون والآداب واكثروا من المدارس وعنوا بنشر التجارة والصناعة وبتأمين طرق السفر برا وبحرا وبنشر الامن العام ومكافحة المجرمين واللصوص وقطاع الطرق و باقامة الحصون على حدود الدولة ، ومن جملتها حصن (تيرا) وكان أمنع حصون الدنيا فى ذلك الوقت . وكانوا يعنون ايضاً بجميع مرافق البلاد ولا سيما الاقتصادية

منها حتى اصبحت مصر في ايامهم اغنى بلاد العالم وأرقى من جميع البلدان اليونانية المقدونية . وكان عدد سكانها يزيد زيادة سريعة كما هم يزيدون اليوم ويرتقون في ظل عناية اسرة جاءت في الاصل من جهات لا تبعد عن الجهات التي جاء منها البطالسة - تلك الاسرة العلوية التي ما فتئت منذ توليها شئون مصر ترعاها بعنايتها الساهرة وتحرص على ترقيتها وتوسيع نطاق مواردها وتجميل مدنها وتدبير امورها الاقتصادية ونشر العلوم والمعارف فيها ورفع مستواها وادارة دفة سياستها بما يدعو الى الفخار

* * *

هذا أهم ما ذكره الاستاذ اندريادس عن حكم البطالسة ونظامهم المـالى في مصر . وكان أعظمهم بلا شك بطليموس فيلادلفوس وفي ايامه بلغت مصر من الرفعة والسؤدد منزلة لم تكن قد بلغتها من قبل . وما كان لاولئك البطالسة ان يحتفظوا بمجد مصر ورفعة شأنها لولا توافر الاموال اللازمة لهم . وكانت الاموال تملأ عادة خزائنهم بفضل النظام المالى الذى جروا عليه والذى كان افضل النظم المالية التى عرفها التاريخ حتى عصرهم

في التضمين

الغالبان

ارحميه ، لا تهجريه مليا أنت أشقيته ، فكان شقيا
لك طرفان ، ذابلان ، وانى لأرى في الذبول سراً خفيا
كلما رمت سلوة صرعاني (وضعيفان يغلبان قويا)

لبيب

لحى الله ثرثاراً ، يمط كلامه يحدثني حيناً ، وحيناً يتمتم
كأن له خمسين حلقاً مجوفا وفي كل حلق ألسن تتكلم
أشرت اليه ، دون ذكر ، مداعباً (وكل لبيب بالاشارة يفهم)

لا تحر

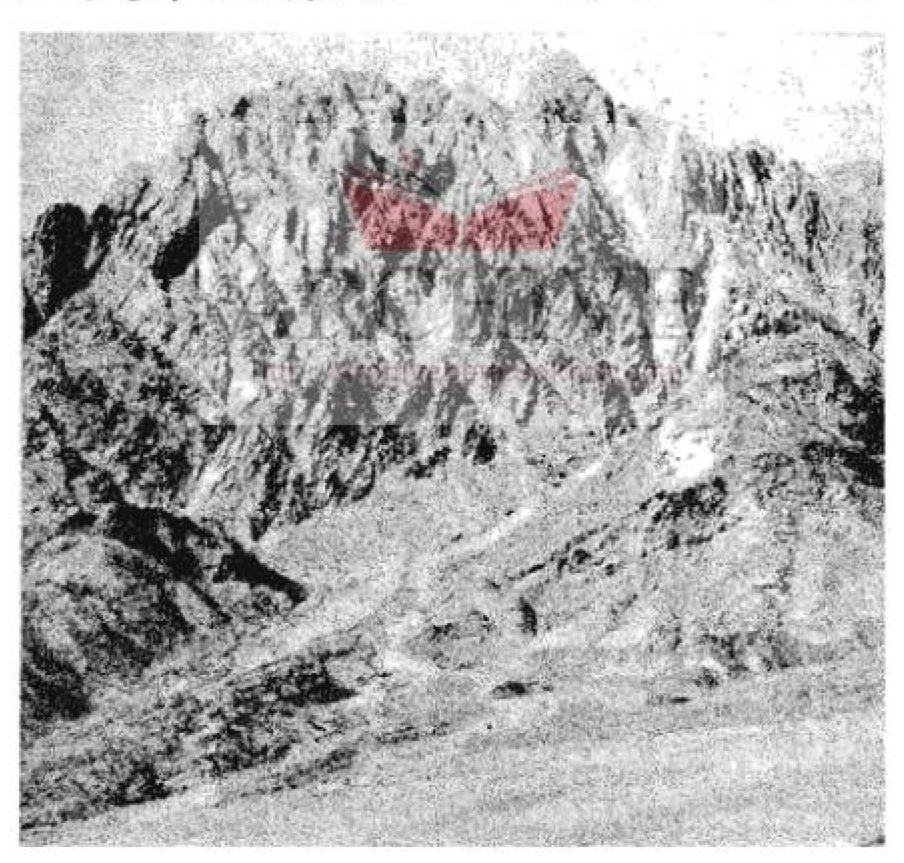
حرت في أمرك ، لم تدر الذى خيب المسعى ، وأودى بالأمل
لا تحر ، وانظر الى من عملوا كيف جازوا الصعب في نجح العمل
سر على آثارهم ، مقتديا (كل من سار على الدرب وصل)

يوسف حمدي يكن

التفسير العلمي
للمناظر الطبيعية المصرية

محاضرة للدكتور حسن صادق القيت بالمجمع المصرى للثقافة العلمية

لمناظر الطبيعة أثر عميق فى نفس الانسان . وقد يكون المنظر صخرياً مجدباً قاسياً فيبعث فى النفس هيبة ورهبة . وقد يكون هادئاً سهلا يكسو سطحه من الاعشاب والاشجار ما يعود على النفس بالغبطة والاطمئنان . وقد يكون فضاء شاسعاً نحار فى الاحاطة ببدايته أو نهايته
وإذا كانت هذه المناظر الطبيعية قد ألهمت الشاعر والاديب بمعين لا ينضب من الخيال فانها



قمة أعلى جبال الصحراء الشرقية (جبل الشايب)



جبل القطار احدى الكتل الجبلية المكونة لسلسلة جبال الصحراء الشرقية

دائماً تبعث فى علماء الطبيعة رغبة ملحة فى الوقوف على كنهها وأصلها وتطورها

وقد يبدو غريباً أن نتكلم عن تطور مناظر الطبيعة ، اذ أنها تبدو لنا أزلية ثابتة لعلها نشأت مع هذا الكوكب العظيم وستبقى معه الى ما شاء الله أن تكون نهايته

على ان هذه العقيدة فى الانسان نتيجة طبيعية لقصر حياته على الارض بالنسبة لعمرها الطويل ولبطء تطور الاشياء على سطحها . فمهما طالت حياة الشخص على الارض فان ما يحيط به من المناظر لا تختلف عند نهاية تلك الحياة عما كانت عليه عند بدئها وهى فى مجموعها التى وصفها له آباؤه



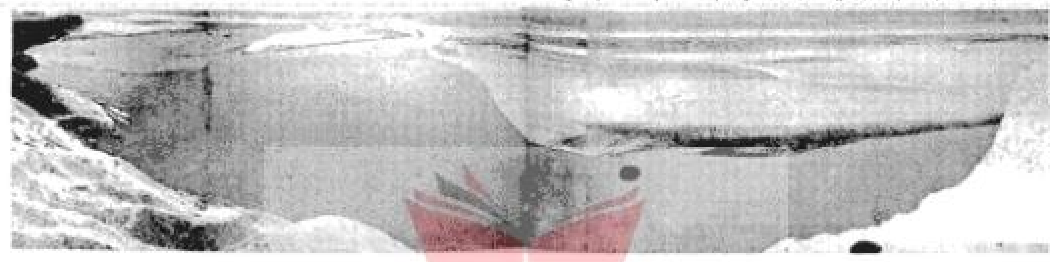
جبل موسى بشبه جزيرة سينا

وأجداده وسطره الاسلاف الاقدمون عنها فى أساطيرهم

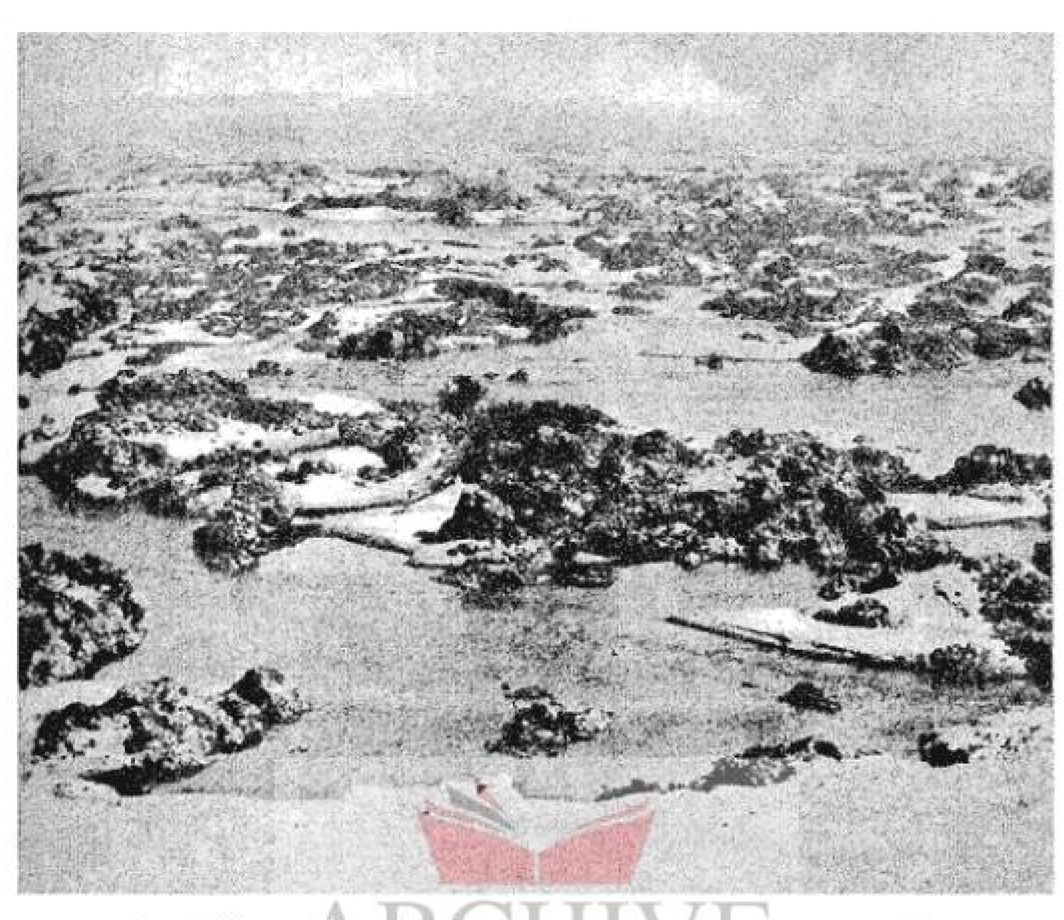
رغم ذلك فان دقة الملاحظة والاستنباط العلمى يدلان دلالة لا شك فيها على أن هذه المناظر هى فى تغير وتطور مستمر ولو أنه متناه فى البطء وان الثبات الذى يبدو عليها هو ثبات نسبى

وأينما توجهنا فلا تعوزنا الدلائل على صحة ما قدمنا . فالرياح فى هبوبها تكتسح الرمال من مكان فتلقى بها فى مكان آخر ، وهى فى طريقها تحتك بكل ما برز من الصخور فتعمل على نحته وإزالته

منظر جزء من مجرى نهر النيل يبين التيارات النهرية والجزائر الرملية التى تتكون فيه







منظر عام لشلالات وادى حلفا حيث يعترض مجرى النهر صخور جرانيتية صلبة

والانهار فى انحدارها من أعالى الجبال الى السهول المحيطة بها ثم الى البحار والمحيطات دائبة أبداً فى قطع مجاريها وحمل الصخور من أعالى تلك المجارى الى السهول ثم الى البحار

وقد نكون فى هذه البلاد أقدر على فهم هذا التأثير من غيرنا ، فقد تعودنا القول « ان مصر هدية النيل » وليس معنى ذلك الا أن نهر النيل قد كون أرض مصر الزراعية الخصبة بفضل ما القاه على سطحها مما حمله ويحمله من عام لآخر من أعالى مجاريه فى هضاب الحبشة

ولو أنا قدرنا ما يحمله النيل من الطمي والرمال الى القطر المصرى والى قاع البحر الأبيض المتوسط بآلاف الامتار المكعبة فى كل عام ، فان هضاب الحبشة تفقد هذا القدر على الاقل فى كل عام

واذا كان هذا المقدار الذى تكتسحه مجارى النهر العليا فى كل عام ضئيلا بالنسبة لحجم الهضبة الحبشية الضخمة الا أن الحال اذا استمر الوقت الكافى كفيل أن يزيل تلك الهضبة . والوقت مهما طال هين اذا قورن بعمر هذا الكوكب القديم

واذا كان ما قدمنا قد أقام البرهان على أن لبعض العوامل الجوية كالرياح والامطار والسيول أثراً فى هذا التغير الذى يتناول مناظر الطبيعة ، فان هناك عوامل أخرى تحدث هذا التغير ولكنها تعتمد على طبيعة الارض نفسها وعلى القوى الكامنة فى جوفها

فالبراكين بما تلفظه من باطن الارض من طفح ورماد تغير فى سطح الارض بقدر ما تكونه حول فوهاتها من جبال مخروطية قد تبدأ حياتها صغيرة فتبلغ مع الزمن الطويل كتلا جبلية هائلة

كذلك قد تعرو سطح الارض هزات عنيفة نتيجة حركات خفية نسميها نحن بالزلازل ، قد ترفع أجزاء من سطح الارض وتخفض أخرى . كما أن هناك حركات بطيئة قد يتناول تأثيرها مناطق واسعة من الارض ولكنها متناهية فى البطء فلا نحسها ولكننا نعرفها بما تحدثه من الاثر فى سطح الارض

فكم من الشواطىء رفعت حتى أصبحت تعلو عشرات أو مئات الامتار عن أقصى ما يبلغه ماء البحر فى أعلى مده . وكم منها خفضت حتى أصبحت تعلوها عدة أمتار من ماء البحار

كما أن بعض الجبال العليا تظهر فى قممها من الصخور التى يدل ما تحويه من بقايا المحارات البحرية على أنها تكونت فى أول الامر تحت أعماق كبيرة من مياه البحار

وكما أن بعض هذه القمم الجبلية العظمى مكونة من صخور كالجرانيت مثلا لايمكن أن تكون قد تكونت فى أول أمرها الا على أعماق سحيقة فى جوف الارض . ولا بد أن تكون الارض قد اعترى سطحها تقلصات هى التى أدت الى رفع هذه القمم آلاف الامتار

ولا يهولنكم هذا فمهما بلغت هذه التضاريس الارضية من عظم الشأن فهى لا شىء بالنسبة لحجم الارض ، وهى لا تزيد فى نسبتها عما يعلو سطح البرتقالة من تجعدات

واذا كانت المناظر الطبيعية كما أوضحنا تتغير وتتطور نتيجة ما قد يعتور القشرة الارضية من حركات وتقلصات وما قد يعدو عليها من عوامل جوية مختلفة فان للتركيب الصخرى أكبر الاثر فيما يؤول اليه المنظر الطبيعى كنتيجة لهذه العوامل ، فاذا تساوت العوامل المؤثرة فى منطقتين واختلفتا فى تركيبهما الصخرى فان المناظر الناتجة تختلف فيهما اختلافاً كبيراً

فما قدمنا قد وضح أن المنظر الطبيعى فى أى بقعة هو نتيجة العوامل الآتية :

(أولا) التركيب الجيولوجى أو الصخرى

(ثانياً) الحركات أو التقلصات الأرضية التى قد اعترتها

(ثالثاً) العوامل الجوية التى تعمل فى سطحها

وباختلاف واحد أو أكثر من هذه العوامل تختلف مناظر الطبيعة من مكان لآخر

والآن فلنفحص المناظر الطبيعية المصرية فى ضوء هذه العوامل

والقطر المصرى ينقسم تقسيماً جغرافياً الى أقسام أربعة تختلف عن بعضها فى واحد أو أكثر من

هذه العوامل التى قدمنا ذكرها وتختلف مناظر الطبيعة فيها اختلافاً بيناً تبعاً لذلك . وهذه الاقسام الاربعة هى :

(١) وادى النيل والدلتا
(٢) الصحراء الغربية — صحراء لوبيا بواحاتها
(٣) الصحراء الشرقية الممتدة بين وادى النيل والبحر الاحمر
(٤) شبه جزيرة سينا

وادى النيل والدلتا

عبارة عن شريط منخفض من الارض بين هضبتين عاليتين يلتوى بينهما النهر فى مجراه من الجنوب الى الشمال

وأول ما يسترعى النظر فى أمر مجرى هذا النهر قربه الى الجانب الشرقى من واديه وبعده عن الجانب الغربى ، حتى لترى النهر فى جزء كبير من مجراه ملاصقاً للجرف الشرقى ، بينما يترك سهلا منسعاً بين ضفته الغربية والصحراء . كذلك بينما نرى الجانب الشرقى فى أغلب امتداده يحده جرف وعر المرتقى اذا بالجانب الغربى يصعد تدريجياً الى الصحراء

ويعللون هذه الظاهرة بأنها نتيجة دورة الارض على محورها من الغرب الى الشرق مما يؤدى الى اتجاه ماء النهر نحو الشرق

وقد علل بعضهم هذه الظاهرة على أساس أن الرياح السائدة فى مصر تهب من الشمال الغربى وهذه تجعل لماء النهر قابلية للضغط على جانبه الشرقى

فاذا تتبعنا مجرى النهر نفسه وجدناه سلسلة متصلة من الالتواءات شأن كل الانهار ذات الانحدار البسيط اذ ينحرف الماء فيها لاقل عقبة فيؤدى الانحراف الى التواء بعملية الاكل والطرح، وهذا الالتواء يؤدى الى غيره وهلم جرا

وحيث تعترض مجرى النهر من الصخور ما لاقبل له على نحتها فان الماء ينتشر على سطوح هذه الصخور فى الشلالات المعروفة

أما الدلتا فهى — كدلالات باقى الانهار — سهل عظيم متسع يتفرع فيه النهر فى فرعين . وقد حدثنا أسلافنا من العرب والمصريين القدماء أنه كانت قبل ذلك فروع عدة بينها مستنقعات وبرك قد تحولت بفضل ما رسب فيها من عام لآخر الى أراض زراعية خصبة وانسدت الفروع واحداً بعد الآخر حتى انحسر الماء فى فرعى رشيد ودمياط . وقد قام سمو الامير الجليل عمر طوسون بجمع هذه المعلومات عن دال النيل فى كتاب قيم . وعلى أساسه عملت خرائط بارزة لما كانت عليه حال الدلتا فى العصور التاريخية المختلفة . ويمكن رؤيتها فى المتحف الجيولوجى التابع لمصلحة المساحة

الصحراء الغربية ـ صحراء لوبيا

هذه الصحراء الهائلة عبارة عن هضاب عظيمة تكتنفها مهابط من الارض هى الواحات المعروفة

فترى الجزء الجنوبى منها عبارة عن سهول واسعة ينحدر سطحها تدريجاً نحو الشمال والشمال الشرقى من الجبال المطلة على واحتى العوينات واركنو الى الواحات الخارجة والداخلة . وهذه تحدها من الشمال جروف وعرة تمتد منها هضبة أخرى تنتهى الى الواحات البحرية والفرافرة والفيوم ثم تلوها هضبة أخرى تنتهى الى واحة سيوه ومنخفض القطارة العظيم ، ومن ثم تمتد هضبة رابعة تنتهى الى شواطىء البحر الابيض المتوسط . وفوق هذه الهضاب والمنخفضات تمتد كثبان الرمال فى مناطق ضيقة مستطيلة قد تبلغ الواحدة منها مئات الكيلومترات ممتدة من الشمال الى الجنوب ، وهى لذلك تعترض السياحة فى هذه الصحراء الشاسعة الا فى دروب معينة

هذه الحالة التى تسود الصحراء الغربية المصرية هى كما قدمنا نتيجة لتركيبها الجيولوجى وما انتابها من حركات أرضية وما يؤثر فى سطحها من عوامل جوية

فالتركيب الجيولوجى تركيب بسيط فكل هضبة هى امتداد لطبقات أو مجموعة من الطبقات من نوع معين ، وتابعة لعصر جيولوجى معين . ففى الجنوب بعض الصخور النارية كما ترى فى واحات العوينات واركنو التى اكتشفها زميلنا وصديقنا احمد بك حسنين . تملو هذه الصخور صخور أخرى رملية تمتد الى الواحات الداخلة والخارجة ، ومن ثم تقوم الهضبة الثانية من صخور جيرية وطينية ، وهذه تمتد الى الواحات البحرية والفرافرة ، ومن ثم تمتد هضبة جيرية أخرى مكونة من طبقات من الصخور أحدث من سابقتها ، وهذه بدورها تنتهى الى منخفض القطارة المعروف

وهذه تحدها شمالا جروف وعرة المرتقى من صخور أحدث من سابقتها ومنها تنحدر تدريجاً الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط.

هذه الهضبات المتتابعة هي من طبقات صخرية تكاد تكون أفقية فهى لم يعتورها من التقلصات الارضية ما أفقدها أفقيتها الاولى فبقيت كل طبقة أو مجموعة من الطبقات على أفقيتها تقريباً فتمتد لتغطى مساحات واسعة ، أما كان بروزها نتيجة شدة صلابتها بالنسبة لما بينها من الطبقات الطينية الرخوة التى فيها نحتت مهابط الواحات

والمشاهدة قد دلتنا على ان هذا المتسع من الصحراء قليل الامطار جداً فقد تمضى السنون بدون أن يسقط المطر عليها . والعامل الجوى الذى يؤثر فيها أكثر من غيره هو الريح ، ولذلك نرى هذا السطح تكتنفه كثبان الرمال فهى أظهر ظواهره

أما المنخفضات التى بين الهضاب فقد علل وجودها بعض الجيولوجيين بأنها نتيجة النحت

بالهواء المحمل بالرمال ، وقد يكون سبق ذلك انخفاض نتيجة بعض التقلصات الارضية التى يظهر أثرها فى حروف الهضاب المحيطة بها

ومهما كان سبب هـذا الانخفاض فانه كان كافياً لتمكين المياه الارتوازية المحصورة فى الطبقات الرملية الممتدة تحتها لأن تصعد الى السطح فتجعل من هذه الواحات مأوى لبنى الانسان فى وسط ذلك الفضاء المجدب

الصحراء الشرقية

أما الصحراء الشرقية الواقعة بين وادى النيل والبحر الاحمر وخليج السويس ، فهذه وان كانت أصغر حجماً من الصحراء الغربية الا أنها تمتاز باختلاف مناظر الطبيعة فيها . وهذه كما سنبين نتيجة اختلاف تركيبها الصخرى أو الجيولوجى

فالجزء الشمالى من هذه الصحراء عبارة عن تلال وربوات بعضها كثبان رملية وبعضها من الحصى والصخور الجيرية قليلة الارتفاع سهلة المرتقى ، ترى على جانبى طريق السويس تتلوها الى الجنوب هضبة جيرية تمتد من قنا حتى القاهرة ، وهى فى الواقع امتداد ثالث للهضاب التى تكلمنا عنها فى الصحراء الغربية . وهذه تنتهى غرباً الى وادى النيل فى جرف وعر يمتد على طول امتداد الوادى ويسهل علينا الحصول على الاحجار الجيرية التى تستعملها فى مبانينا

على أن هذه الهضبة الجيرية تختلف هنا عما هى عليه فى الصحراء الغربية اذ تراها تقطعها وديان وأخوار عميقة تكاد تشبه الكانيون من حيث ضيقها وارتفاع جوانبها . ومن خير أمثلتها وادى هوف المشهور قرب حلوان ، وكذلك الوديان الكثيرة التى تصرف ما يسل من ماء المطر فى هذه الصحراء الى وادى النيل

والجزء الشمالى من هذه الهضبة قد انفصل الى كتل جبلية مربعة تقريباً منها جبال الجلالة البحرية والقبلية وجبل العتاقة وغيرها من الكتل الجبلية التى تسرى جنوبى طريق السويس . وقد انفصلت هذه الكتل عن بعضها نتيجة تقلصات أرضية حدثت فى عصور جيولوجية سابقة أدت الى انفلاق وهبوط بعض الاجزاء مع ارتفاع الاخرى

فالمناظر السائدة فى هذا الجزء الشمالى من الصحراء الشرقية كتل جبلية أفقية السطح تقطعها أخوار ووديان عميقة . وتقسيم الكتل كما قدمنا نتيجة تقلصات أرضية بينما الأخوار قد نحتتها السيول التى تنحدر فيها بعد كل مطر شديد

واذا كانت الامطار والسيول قليلة الآن فالدلائل الجيولوجية تشير الى أنه فى العصر الجيولوجى السابق لعصرنا هذا ــ وهو العصر الذى كانت أوربا تغطيها الثلوج وتسودها عوامل أشبه بالعوامل التى تسود القطبين الآن ــ كانت مصر أكثر أمطاراً مما هي الآن

أما الجزء الأوسط من هذه الصحراء الشرقية فيمكن اعتبار النصف الغربي منه امتدادا للهضبة الاولى من هضاب الصحراء الغربية وهى المكونة من الأحجار الرملية . على أن هذه تختلف عن الأولى بما يقطعها من وديان تنحدر من سلسلة جبال البحر الأحمر الى وادى النيل . وقد كانت رخاوة الصخور الرملية سبباً فى ان صارت بعض هذه الوديان سهولا متسعة بين جروف غير كبيرة الارتفاع

وأما الجزء الجنوبى من الصحراء الشرقية والنصف الشرقى منها فتقوم فيهما سلسلة تكاد تكون متصلة من جبال وعرة قد تبلغ بعض قممها علوا يزيد عن منسوب البحر بنيف والفى متر

هذا العمود الفقرى للصحراء الشرقية يتكون من فقرات متصلة كل منها عبارة عن كتلة جبلية ضخمة تختلف فى شكلها ولونها عما يجاورها من الكتل نظراً لاختلاف تركيبها الصخرى . فمنها الجرانيت ومنها الديوريت والصخور البركانية ، ولكل منها خواص تؤثر فى المنظر الخارجى للكتلة الجبلية . على انها جميعا تشترك فى وعورة سفوحها ومناعة قممها حتى لقد أصبحت بعض هذه القمم مما يفخر بتسلقه بعض من يجملون تسلق الجبال رياضتهم الخاصة

هذه السلسلة الجبلية تقطعها وديان تبدأ قرب قممها وتنحدر ملتوية بينها حتى اذا بلغت السهول المحيطة بها انحدرت إما فى خطوط طويلة الى وادى النيل او فى خطوط قصيرة الى شاطىء البحر الاحمر القريب منها

وفيما بين هذه السلسلة الجبلية الكبرى وشواطىء البحر الأحمر وخليج السويس تنتصب هنا وهناك سلاسل جبلية مستطيلة لها صفات السلسلة الكبرى الا انها أقل ارتفاعاً ومناعة ، وتعلو صخورها الجرانيتية فى كثير من الاحيان صخور جيرية وجبسية تكسر من حدتها وتكسوها بكساء يحول دون تكون القمم الحادة

هذه السلاسل الجبلية سواء منها الكبرى والصغرى مدينة بوجودها لتقلصات تناولت القشرة الأرضية فرفعت هذه الأجزاء منها فى عصور جيولوجية سابقة ثم عدت العوامل الجوية على ماحدث من بروز فشرحته بما حفرته فيها من وديان الى الصورة التى تراها الآن . ولا شك ان العامل الاهم الذى قام بهذا التشريح هو ماء الامطار وما يترتب عليها من سيول

مما تقدم ترون الفرق بين المناظر الطبيعية فى الصحراء الغربية ومناظر الصحراء الشرقية ، كما ثم ترون الفرق بينهما فى التركيب الصخرى والتاريخ الجيولوجى والعوامل الجوية المؤثرة فيهما .

شبه جزيرة سيناء

وقد يكون هذا الجزء من الصحارى المصرية أجملها جميعا . وهى حافلة بالذكريات التاريخية ذات

العلاقة الوثيقة بأغلب الاديان الحية . ولما كانت صلات العمل قد ربطتنى بسينا طوال سنين عشر فأستميحكم العذر اذا أنا أسهبت قليلا فى وصفها

وقد تكون سينا من أبلغ مناطق الارض فى التعبير عن العلاقة الوثيقة بين التركيب الجيولوجى والحوادث الجيولوجية فى تكييف مناظرها الطبيعية فكل اختلاف فى التركيب الصخرى وكل حادث من الحوادث الجيولوجية قد ترك أثره قائما فى المناظر الطبيعية بها

وقد اتفق العلماء على أن شكل الجزيرة المثلث هو ذاته نتيجة حوادث جيولوجية كان لها شأن عظيم فى سطح الكرة الأرضية فى عصور جيولوجية سابقة . فخليج العقبة كما تدل جميع الدلائل الجيولوجية نتيجة خسف شريط من الأرض بين فالقين يمتدان بطول امتداده . ولم يقتصر هذا الخسف على ذلك الجزء وحده بل قد أتبع امتداده جنوباً فى البحر الأحمر حتى أواسط أفريقيا كما انه يمتد شمالا الى بحر الأردن

ويعللون الحادث التاريخى الثابت فى جميع الكتب السماوية من خسف أرض قوم لوط باستمرار الحركات الأرضية التى كان من جرائها هذا الخسف العظيم

كذلك الحال فى خليج السويس فان الجبال المحيطة به من جانبيه تدل صخورها على أنه قد تتابها فيما مضى من العصور الجيولوجية انفلاق أدى الى هبوط ذلك الشريط العظيم من الارض الذى تغمره الآن مياه الخليج

ولو القينا نظرة عامة على شبه الجزيرة نفسها الفيناها حافلة بمختلف المناظر . وهذا الاختلاف تابع لاختلاف تركيبها الجيولوجى واختلاف العوامل المؤثرة فيها

فالمنطقة الشاطئية الشمالية تتكدس فيها كثبان الرمال فلا تترك بينها سوى مهابط صغيرة يعبر عنها عرب تلك النواحى بالحياض . فى قاع كل حوض منها جملة من النخيل حول عين صغيرة من الماء . وهذا الماء هو الذى تحتفظ به رمال الكثبان من الأمطار التى تسقط على سطحها فى فصل الشتاء .

فالعوامل المؤثرة فى مناظر الطبيعة هنا هى أولا الرياح التى تكتسح رمال الشواطىء فتذروها وتكومها فى كثبان ، والأمطار التى تؤدى الى كساء هذه الكثبان بما يعلو سطحها من الأعشاب ويعطى الحياة لأشجار النخيل ومن يأوى اليها من بنى الانسان

فاذا اتجهنا جنوباً رأينا كتلا جبلية قد تبلغ قمم بعضها الف متر أعلى من منسوب ماء البحر . كل كتلة منها مقوسة الظهر قائمة بذاتها تفصلها عن بعضها سهول منبسطة . فاذا فحصنا ترتيب وضع هذه الكتل الجبلية وجدناها مرتبة فى خطوط تمتد من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى . فاذا فحصنا كل كتلة منها وجدناها مكونة من طبقات من الصخور مقوسة محدودبة تنتهى الى نقطة متوسطة أو محور . كما أن كل كتلة منها تشرحها أخوار منحدرة من أوسطها الى السهول المحيطة بها

ويدلنا الاستنباط العلمى فى ضوء المبادىء الجيولوجية المتفق عليها على أن هذه الكتل الجبلية هى نتيجة انكماش القشرة الأرضية مصحوباً بضغط من أسفل الى أعلى فى هذه النقط على طول هذه الخطوط ، مما أدى الى بروز كل كتلة منها . ثم تولتها مياه الامطار والسيول فشرحتها بما شقت فيها من وديان

فاذا استمر بنا السير جنوباً انطلقنا فى سهل متسع منبسط لا يقابل فيه النظر من آن لآخر الا ربوات قليلة الارتفاع أفقية السطح . وهذا الفضاء العظيم ناصع البياض بما يكون سطحه من صخور طباشيرية . وهذا هو الذى يطلقون عليه صحراء التيه حيث تاه بنو اسرائيل وحيث تسكنه الآن عرب قبيلة التياهة . وفى هذا السطح المتسع تتجمع مياه وادى العريش التى تنتهى عند بلدة العريش وقد تبلغ بعد هطول الامطار الشديدة مبلغاً يؤدى أحياناً الى أضرار لا يستهان بها

وأول ما يسترعى النظر فى هذا السهل الواسع خلوه من أكوام الرمال أى أن للرياح أثراً قليلا فى تشكيل مناظره ، على أن جميع الجروف التى تحد ربواته وهضابه ترى الصخر فيها وقد نحرته السيول فى أخاديد حادة ضيقة متوازية

فالعوامل التى أدت الى مناظر صحراء التيه هى أولا تكوين جيرى متماثل لم يعتوره من الحوادث الجيولوجية ما يرفع منه أجزاء دون أجزاء فبقيت الصخور المكونة له على أفقيتها . فما يرى فيه من بروز وانخفاض هو كله نتيجة مياه السيول . والمطر فى ذلك الجزء من الصحارى المصرية أكثر مما هو فى الاجزاء الأخرى بحيث لا يمر علم الا ويهطل المطر بشدة مرة أو اثنتين أو أكثر

وقد لا نتصور ونحن فى وسط هذا الفضاء العظيم اننا فوق هضبة تعلو عن سطح البحر بين ٥٠٠ و١٥٠٠ من الأمتار ، حتى اذا اتجهنا شرقاً أو غرباً أو جنوباً فسرعان ما نجد أننا على حافة منحدر عظيم لا يتيسر تسلقه الا فى دروب وعرة معينة . فهو كالحائط العظيم يحيط بهضبة التيه من جميع جهاتها

هذا الحائط تقطعه على طول امتداده أخوار عميقة ملتوية تنحدر فيها مياه السيول فتملأها بالركام والحصى والكتل الحجرية الكبيرة ، كما أن فى بعض منحنياتها تنبع بعض العيون فتحول بعض هذه المناظر القاسية القاحلة الى واحات صغيرة جميلة . ولكنها واحات بعيدة عن متناول الانسان العادى فلا يأوى اليها ولا يقصد ماءها الا التيتل والضبع والقط البرى والفهد وغيرها من الوحوش التى ما تزال تقطن هذه المناطق المنيعة

فاذا وقفنا على قمة جبل العجمة وهو الجزء الجنوبى من هضبة التيه انبسط أمامنا منظر قد لا يفوقه على سطح الأرض منظر آخر بما يثيره فى النفس من الرهبة والاجلال . فترى السلاسل الجبلية تتلو الواحدة منها الاخرى متوازية ومتقاطعة فى شبكة معقدة من القمم والحروف تلتوى

بينها الوديان والأخوار العميقة، يحار من يتوغل بينها فى كيفية الخلاص منها . ولا تسل عن اختلاف ألوانها من الاحمر الساطع الى الاحمر القانى الى الاسود والابيض وذلك تبعاً لاختلاف الصخور التى تكونت منها

على أن هذه القسوة والوحشة التى تبدو للناظر اليها من عل تتلاشى عند ما نبدأ التوغل فيها ففى كل التواء ترى أثر الماء بما ينمو من أعشاب وأشجار كما أننا نمر من آن لآخر على عين أو عيون تقوم حولها المزارع والبساتين الغاصة بمختلف أنواع الفاكهة

هذه المجموعة الجبلية المعقدة هى نتيجة تكوين هذا الجزء من الصحراء من صخور نارية مختلفة بعضها متدخل فى البعض الآخر وهى باختلاف صلابتها ومتانتها تقاوم عوامل الطبيعة بنسبة مختلفة. فالاكثر صلابة يبقى قائماً والاقل صلابة تنحر فيه مياه السيول . ومن ثم كانت القمم والحروف الحادة ومابينها من وديان ملتوية

والعامل الأهم اذن هو ماء الامطار وما يؤدى اليه من سيول . والمطر يزيد فى المناطق الجبلية كما أنه فى شهور الشتاء تكلل هامات بعض هذه القمم اكوام من الثلج . وقد يمكث هذا الثلج أسابيع أو شهوراً حتى تبلغ حرارة الجو فى الربيع القدر الذى يذيبه فيحوله الى ماء يغذى مع ما تجمع من ماء المطر العيون التى بالوديان

وقد يعجب المرء عند سماعه بالثلج فى الصحارى المصرية ولكنها كما أوضحنا مناطق تبلغ بعض قممها ٢٦٠٠ متر أعلى من منسوب البحر . فهى تختلف مناخاً عن هذا الوادى الذى يتراوح منسوبه على طول امتداده بين القاهرة واسوان بين ٣٠ متراً و١٠٠ متر

هذا وبينما تنتهى هضبة التيه والجبال الجنوبية الى شواطىء خليج العقبة فان بينها وبين شواطىء خليج السويس منطقة شاطئية غالبها سهول منحدرة انحداراً تدريجياً من الجبال إلى الشاطىء. على أنه تقوم بها هنا وهناك سلاسل جبلية صغيرة كجبل العربه وحمام فرعون . وهى نتيجة اضطرابات وتقلصات أنتابت القشرة الارضية فى عصور جيولوجية سابقة ، فتراها تحدها خطوط من الفوالق والشقوق تنبعث منها أحياناً مياه كبريتية ساخنة . وقد يكون أهم هذه العيون عين حمام فرعون التى تفيض منها على شاطىء البحر مياه تبلغ حرارتها ٧٢ درجة بمقياس سنتيجراد وهى غنية بما بها من كبريت وأملاح المجنيزيوم والصوديوم

دكتور حسن صادق

العلم والدين والفن الجميل

بقلم الاستاذ أمير بقطر

قد يتوهم البعض ان العلاقة بين هذه الثلاثة – العلم والدين والفن الجميل – واهية او عديمة الوجود ، غير ان الحقيقة بخلاف ذلك فان حلقة الاتصال بينها متينة جدا . وما النزاع الذي نراه قائما بين انصار الدين ورجال العلم احيانا الا مظهر لهذه الصلة . واذا تصفحنا تاريخ الاديان منذ نشأتها علمنا ان العلم في الاصل لم يكن الا خادما للدين وان الفن الجميل لم يوجد الا في احضان المعابد والاديرة والهياكل المقدسة . فالفلسفة لم تكن سوى وسيلة للبحث ، كالمناقشة والجدل جريا وراء الحقائق الدينية ، وحلا لمعضلات الآراء الروحية . ولم يكن الفلك سوى طريقة علمية دقيقة لضبط مواقيت الصوم والصلاة . ولم تنشأ الموسيقى وآلاتها المتعددة الا تحميسا للعابدين في ترانيمهم الروحية وحركاتهم التوقيعية ورقصهم امام آلهتهم . وليست الصور والتماثيل البديعة التي نراها فيما ترك لنا السلف من المعابد الاثرية وما نشاهده في الكنائس اليوم في جميع انحاء العالم ، الا دلائل واضحة على ما نقول

* * *

حدا بنا الى طرق باب هذا الموضوع ما يبدو من دلائل الانتعاش فى الدوائر الدينية فى أوربا واميركا فيما يتعلق باحياء الفنون الجميلة فى أماكن العبادة ومراعاة الجمال وتقديسه فى بناء الكنائس وزخرفتها وأثاثها وطرق الاضاءة فيها وآلاتها الموسيقية وألحانها الروحية وطرق الوعظ والارشاد

مضى على الدين أخيراً زمن كانت عناية أهله فى كثير من البلدان المتمدينة موجهة على الأخص إلى الناحية العلمية البحتة ، فى حين أن الفنون الجميلة كانت مهملة إهمالا تاماً تقريباً . ولا غرابة فى ذلك فان كل عصر يستغرق فى ناحية من النواحى تكاد تلهيه عن كل النواحى الاخرى . وقد كان هذا شأن فلورنسا مثلا فى القرن الثالث عشر حينما كان الفن الجميل يشغل الاذهان قبل كل شىء ، وكان أول ما يسأل الرجل صديقه أو المرأة جارتها عن كل جديد : هل هو جميل ؟ هل تتوافر فيه شروط الفن الصحيح ؟ . وفى نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين كان أول ما يسأل الواحد الآخر فى العالم الغربى عن كل مستحدث هو : هل تنطبق عليه المبادىء العلمية الحديثة ؟

وكيف كانت فلورنسا فى ذلك العصر تستطيع أن تتناسى الجمال وهى كلها كانت تعيش فى بيئة الفنون الجميلة ، تستنشقها هواء ، وتستظل بها سماء ، وتسير عليها أرضاً ، وتسكنها منازل وأندية ،

وتسجد أمامها تماثيـل وصوراً ، وتعشقها رجالا ونساء ؟ وكيف كنا ننتظر من أوربا فى خلال السنوات الماضية أن تتنامى النزعة العلمية وأهلها يستنيرون بالكهرباء المتلألئة مصابيحها فى كل مكان ويطيرون على أجنحة الهواء ويشقون الطرق فى البحر واليابسة ويخاطبون جيرانهم فى أقصى بقاع الارض ويسمعون خطبهم وموسيقاهم وأنغامهم ؟

نسى رجال الدين فى أوربا فى خلال الخمسين سنة الماضية الفنون الجميلة بعد أن حملهم التيار العلمى إلى أقصى ما يتصوره المرء ، حتى أصبح الواحد ينصت إلى الوعاظ فى المدن الكبرى فينسى أنه فى مكان للعبادة ويخيل اليه أنه فى قاعة محاضرات كبرى يستمع إلى أستاذ فى جامعة شهيرة يخاطب الحاضرين فى موضوعات اقتصادية عمرانية اجتماعية علمية ، مؤيداً آراءه بأرقام احصائية حديثة ، من عوالم الطبيعة والكيمياء والفلك والسياسة والاقتصاد والفلسفة والاجتماع وعلم النفس . ومن الجهة الاخرى ينظر المتأمل إلى معظم هذه الاماكن التى تقام فيها الشعائر الدينية فيأسف لما وصلت اليه من التدهور والانحطاط فيما يختص بالفنون الجميلة ، سواء من وجهة المعمار أم الزخارف أم غيرها . وقد تبلغ نفقات هذه الاماكن أموالا طائلة . فأين ذهبت قواعد الجمال وفنونه ؟ وكيف رضى أبناء القرن العشرين فى البلدان الغربية أن تكون كنائسهم خالية من الجمال ، قبيحة المنظر ، لا يتوافر فيها شىء من علائم الذوق السليم والتنويع وحسن الانسجام ؟ ولم نرى أكثرها — خصوصاً عند البروتستانت — كالصناديق الخشبية ، مربعة أو مستطيلة ، والمقاعد مصفوفة فيها فى مساحات متقاطعة كأحجار الشطرنج ؟

أين ذهبت القباب الفخمة المزخرفة ؟ أين ذهبت النوافذ المغطاة بالزجاج الملون ؟ أين ذهبت الابواب الفنية التى تعلم الداخلين دروساً فى الهيبة والعظمة والاحترام ؟ أين الجو المشبع بجمال الالوان وتناسق الاعمدة وجمال الاصوات وعزف الآلات الموسيقية الذى يكسو النفوس أثواب الخشوع وينسيها ضوضاء الحياة ومتاعبها وهمومها ويدفعها إلى التفكير فى عالم آخر ، هو عالم الخلود والسكينة أينما وجد . ومهما اختلفت النزعات والعقائد فى تحديده ؟

نظرة واحدة الى أماكن العبادة الاثرية فى طيبة والكرنك وما تلاها من الكنائس القبطية القديمة فى مصر العتيقة وغيرها وما يتبعها من الفن الاسلامى الجميل فى مساجد مصر وجوامعها الشهيرة مما يشاهد فى دار الآثار العربية ، تبين لنا صدق هذه النظرية ، خصوصاً إذا قارنا هذه « الآثار » بما نراه فى المساجد والكنائس الحديثة من إهمال الجمال ونسيان الذوق السليم . وبينما نجد ممالك الغرب قد طغى عليها طوفان العلم فأنساها الجمال ، فان البلدان الشرقية فى العصر الاخير (أو العصور الاخيرة) لم تشعر بالعلم الى الآن الا قليلا ، وهى ما تزال فى تفكيرها العلمى على ما كانت عليه القرون الوسطى . ومن الجهة الاخرى نسيت الجمال وأهملت الذوق السليم وانحطت

فيهما انحطاطها فى العلم ، فلا هي ربحت الدنيا ولا الآخرة . وإذا دخلت أماكن العبادة قلما تجد فى طرق الوعظ أثراً للتفكير العلمى ولا اتصالا بالحياة ولا العالم الذى فيه نعيش . ولا تجد فى أصوات المرتلين وأغانيهم الروحية وما يصحبها فى الكنائس من « الآلات الموسيقية » أثراً لقواعد الموسيقى ولا رنة فى آلاتها من حنين الموسيقى فى أبسط أشكالها

ولا أريد أن يفهم القارىء الصورة التى أضعها أمامه على غير ما أريد . ان النزعة العلمية فى مرافق الدين فى ممالك الغرب قد طهرت الشكل الخارجى للدين من شوائب الخزعبلات والخرافات والاباطيل ، وقضت على عدد عظيم من الكهنة والقساوسة الذين كانوا يستغلون جهل العامة إشباعاً لبطونهم وسداً لمطامعهم وارضاء لشهواتهم . وأكسبت رجال الدين علماً وخبرة ودفعتهم إلى التغلغل فى معمعة الحركة العلمية لتفهم حاجات الناس ودرس نفسياتهم وأميالهم وضعفهم وطرق تفكيرهم . كل ما فى الامر أنهم تمادوا فى هذا الطريق حتى أصبح الدين فى كثير من الاحايين علماً كالكيمياء لا يتخلله شيء من الفنون التى تصبو اليها النفوس . والدين كالموسيقى يلزم أن يكون علماً وفناً فى آن واحد . واهمال العلم والعناية بالفن لا يقل خطأ عن العكس . فالموسيقى إذا نظرنا اليها من الوجهة العلمية وجدناها مبنية على أسس الامواج الصوتية طولا وقصراً ودروس السلم الموسيقى والآلات وتركيبها العلمى وغير ذلك . غير أننا إذا قصرنا درس الموسيقى على هذا الوجه العلمى ضاع الغرض منها ولم نتذوق شيئاً من حلاوتها ، لان هذا الاساس العلمى فى الموسيقى انما هو وسيلة لغاية وهي ضبط الفن وتنسيق وحدات الجمال فيه . والفرق بين موسيقى الهمجى وموسيقى المتمدين أن الاولى لا ضابط لقواعدها ولا تستند الى مبادىء علمية ولو أن كلتيهما تتفقان فى الفن بمعنى أن كلا منهما يستهوى النفوس ويلعب بالعواطف ويمس أوتار القلوب

كذلك الشعر . فن الجهة الواحدة نرى الشعر علماً بمعنى أن أوزاناً محكمة تضبطه ولكن الشعر إذا كان قاصراً على هذه الاوزان قيل انه نظم لا غير ، والناظم غير الشاعر لان الناظم يستطيع أن يضع المفردات فى قوالب الاوزان لتؤدى المعانى لا غير . أما الشاعر فعالم وفنان يجمع بين العلم والفن فيضرب على أوتار القلوب ويحرك مواقع الوجدان

استمع يوماً إلى الفلاح الساذج يغنى وراء الماشية وهي تدير الناعورة أو تجر المحراث ، أو إلى البدوى فى الصحراء يحدو فوق ظهر ناقته ، أو إلى « أولاد البلد » يعزفون على المزمار المصنوع من القاب أو « الربابة » المعروفة . إن الموسيقى عند هؤلاء جميعاً فن لا علم . وهي فن لانها على سذاجتها وخشونتها تستطيع أن تحرك عواطفك وتشنف آذانك وتطرب نفسك إلى درجة محدودة على الاقل ولكن نغمتها غير مضبوطة على قواعد علمية ، ولغتها الشعرية غير منظومة ولاتتفق مع أوزان القريض. والدين كذلك يلزم أن يراعى فيه العلم والفن ، أو الحقيقة والجمال ، فاذا خلا من أحدهما عد ناقصاً وإذا خلا من كليهما فقل عليه السلام

والحياة بأسرها فن جيل فضلا عن أنها فى القرن العشرين يغلب عليها الطابع العلمى . ولكن من منا يريد أن تكون حياته علمية محضة خالية من الجمال . لنأخذ الطعام مثلا . الطعام من الوجهة العلمية يلزم أن يكون مركباً من عناصر معينة وأن يشمل مركبات خاصة . فالمواد الدهنية والنشوية والمعدنية وكميات من الفوسفور واليود والحديد والفيتامين من نوع الف أو باء أو جيم الخ الخ ، كلها لازمة للطعام من الوجهة العلمية . ولكن إذا أهملنا الناحية الفنية ، أو لم نجد لها فى طعامنا من فائدة ، فعلينا بعلماء الكيمياء . ففى طاقتهم أن يقدموا لك هذه جميعها وكل ما يحتاج اليه الجسم فى برشامة أو حبوب صغيرة تضعها فى فك وتستعين بكوب من الماء على بلعها . وبذلك توفر عليك مؤونة الطهى والمضغ و . . . وفى مقدور العالم الكيمياوى أن يصنع لك من قطعة الفحم كمية من الزبدة . وفى عصرنا هذا يستطيع أن يزودك بطعام يكفيك عدة شهور فى علبة صغيرة تضعها فى جيبك

غير أن الطعام فن فوق أنه علم . لذلك نستعين بالفن والجمال فيجعله لنا مهرة الطهاة شيئاً منظراً ، سائغاً طعما ، منبهاً للشهية . ولم نبالغ فى تجميل المائدة ونغطيها بالاقمشة البيضاء الانيقة ونضع فوقها الادوات الفضية اللامعة والزجاجات البلورية الشفافة ، ونكسو جدار غرفتها ثوباً من الجمال بكل مظاهره ؟ ولم يجلس الانجليزى إلى مائدة العشاء فى بذلة السهرة الرسمية ولو كانت قائمة الطعام مقصورة على الجبن والبيض والسلاطة ؟ وكثيراً ما يغطى هذا الجمال فى ألوان الطعام الشهى عيوباً علمية كثيرة . فأرباب المطاعم والفنادق الكبرى لما خبروه من صنوف الجمال وفنونه يستطيعون أن ينبهوا شهيتك الى « كفتة » فاخرة مصنوعة من أحط أنواع اللحم وأشده خطراً على الصحة ، وفى طاقتهم أن يقدموا لك أشهى المأكولات وأشهاها خالية من المواد الاولية التى ينبئنا العلم بضرورتها للجسم الانسانى

كذلك نستطيع أن نضرب الامثلة العدة فى الملابس والمساكن والاندية والسفن والقطرات ونبين المبادىء العلمية التى تنطوى عليها والجمال الذى يراعى فى صنعها

* * *

واذا وازنا بين الكاثوليكية والبروتستانتية وجدنا أن الاولى على العموم عنيت بالفن الجميل أكثر من عنايتها بالعلم ، وأن الثانية أهملت الفن الجميل ووجهت جهودها الى التفكير العلمى . ومهما قيل عن التصادم بين العلم والدين فان كلا منهما فى حاجة إلى الفن الجميل إن لم تكن الحاجة متبادلة بين الثلاثة جميعها . فالفنون الجميلة إذا عدمت الفكرة العلمية أصبحت تماثيلها جوفاء وصورها جرداء مجدبة وموسيقاها خاوية خالية

فشعر هوميروس ودانتى وملتون وامرىء القيس والذبيانى والمعرى ، وروايات شكسبير وموليير ، وصور رفائيل وليوناردو ، وتماثيل ميشيل أنجلو ، وموسيقى بيتهوفن لا تقصر أهميتها على الجمال

وحده بل تتعداه إلى الحقائق والآراء العلمية الخالدة التي تنطق بها شعراً ونثراً وتمثيلا وإنشاداً ونقشاً وتصويراً

والعلم إذا خلا من الفن كان جافاً جامداً لا يصلح للمجتمع ولا يقبل عليه الناس ، كالدواء المر ذوقاً الكريه رائحة القبيح لوناً تعافه النفس ولا يقبل عليه المريض قبل أن تصل اليه يد الفنان فتستحيل مرارته حلاوة ورائحته الكريهة أريجاً عبقاً ولونه القبيح زاهياً . والماء فى عرف العلم المجرد لا يزيد على كونه مركباً من عنصرى الهيدروجين والاوكسوجين بنسبة ٢ الى ١ وما لم يستعن العلم بالجمال والفن لم يخرج الماء عن كونه مركباً لا غير ، واندثرت معالم الشلالات المتدفقة على الصخور وفات الناس جمال قوس قزح وألوانه السبعة البديعة ونسوا الأنهار وخريرها والبحار وزرقتها . وقطرات الندى وتألقاتها وندف الثلج وبياضها الناصع

والنور الكهربائي من الناحيــة العلمية كما اخترعه العالم الاميركي اديسون لا يخرج عن كونه تياراً أو قوة مجهولة تلقى مقاومة فى سلك معدنى دقيق بين قطبين أحدهما موجب والآخر سالب فتستحيل ضوءاً . وهذا الاختراع العجيب عينه كما نشاهده فى القصور والحدائق والملاهى والمخازن التجارية الكبرى فى ألوانه المتعددة وثرياته المنتشرة المتلألئة وشموعه الشفافة وتنسيقاته الانيقة ومظلاته الحريرية الغالية ، لم يبلغ ما بلغه من الجمال والعظمة والجلال قبل أن يمسه الفن بعصاه السحرية فاستحالت تلك القوة التى أخرجها لنا العلم بعبقرية اديسون ، نجوماً ساطعة متألقة ، تنتشر فى سماوات ربوعنا فتبدد غياهب الظلمات ، وتكسبها فوق ذلك جمالا يكاد يزرى بجمال الكواكب فى القبة الزرقاء

وإذا درسنا الصفات المعنوية درساً علمياً بحتاً ، ولم ننظر اليها من الجهة الفنية ظهرت لنا هياكل عظمية لا يكسوها لحم ولا يجرى فيها دم . فالحب مثلا إذا درسناه علميــاً اضطررنا أن نبحث عن الجثمانية والنفسية التى تدفع المرء إلى الولوع بغيره ، غير أن الحب من الناحية الفنيــة تعجز المباحث العلمية عن تعريفه ، وتضيق عباراتها عن تحديده . فهو تلك الجذوة المتقدة والصفة الشريفة السامية كما صورها لنا شكسبير فى روميو وجوليت ، وقيس فى مجنون ليلى . وجورج فريدرك واطسن فى رسمه المشهور « الحب والحياة »

وكان أفلاطون على نزعته العلمية الفلسفية مولعاً بالجمال حتى فى التحــدث عن الرياضيات والعلوم الطبيعية ، وكان من رأيه أن تكتب هذه العلوم شعراً وتنشد إنشاداً بدلا من أن تقرأ قراءة وتصقل فى قالب طلى جميل ، وتكتب بعبارات مزخرفة محلاة بالمحسنات البديعيــة منمقة بالقوافى والاوزان ، حتى تصبح سهلة الهضم شهية للمتعلمين . ولم تتحقق « اوتوبيا » افلاطون برمتها ، غير أن علماء التربية فى العصر الحاضر يضربون على وتر نظرية يسمونها نظرية التشويق (theory of interest)

وما هي في الحقيقة إلا تنبيه المعلمين إلى وجوب العناية بالجمال والفن في جميع مواد الدراسة حتى لا تقدم للطلبة جافة مقصورة على الحقائق العلمية العارية

والادب العربي غني بالامثلة والشواهد الدالة على اتجاه العرب إلى الفكرة التي كان يرمي اليها افلاطون . وكانوا كثيراً ما ينظمون المسائل الحسابية نظماً كما في قول الشاعر

غزال قد غزا قلبي بألحـاظ وأحداق
له الثلثان من قلبي وثلث ثلثه الباقي
وتبقى أسهم ست تقسم بين عشاق

والنابغة الايطالي ليوناردو دي فنشي كان من أكثر العلماء شهرة وأحبهم الى جميع مواطنيه ، وكان موضع اعجاب علماء العالم لانه جمع بين النبوغ في العلم والتفوق في الفنون الجميلة ، في كل ما كانت تمتد اليه يداه ، ولذلك كان فيلسوفاً وعالماً ومهندساً ورياضياً وشاعراً ومصوراً ومثالا وموسيقياً في آن واحد . حتى قال عنه أخيراً أحد علماء التوالد مازحاً : إنه لو كان حياً يرزق وترح إلى اميركا لحكم عليه بالتعقيم (حتى لايتناسل) أو زج به في مستشفى المجاذيب

✡ ✡ ✡

أبنا كيف أن العلم وحده بغير فن جميل جاف جامد ، لا تقبله الطبيعة البشرية . وقلنا كذلك ان الفن الجميل اذا خلا من العنصر العلمي كان فاضحاً فضفاضاً مبتذلا . واذا شاء القارىء أن أذكر له مثالا بسيطاً لهذا الاخير فاني أحيله الى شراء نسخة مفتخرة (édition de luxe) من كتاب أو رواية من الدرجة الثالثة ليرى كيف أن أوراقها الصقيلة اللامعة ورسومها الملونة الجميلة وجوانبها المذهبة الجذابة ، وغلافها الجلدي المرن تتقف صفحاته من الآراء الخرقاء والاقوال السخيفة ، ولا تخفي عيوبه العلمية الواضحة

وذكرنا أيضاً أن الدين في حاجة إلى العلم لان الثاني أنقذ الشكل الخارجي للاول من تمويه الكهنة وأباطيل التقاليد والخرافات التي يتبرأ منها الدين ، كما أنه في حاجة إلى الفن الجميل . ونضيف الى ذلك أن التقاليد ومغالاة الكاثوليكية في الفنون الجميلة وانصرافها عن النزعة العملية دفع بالبروتستانتية إلى مدى بعيد تجاه الناحية العلمية فأهملت الناحية الفنيـة إهمالا معيباً . وقد أدرك البروتستانت أخيراً غلوهم في الواحدة وأخذوا يحولون الدفة قليلا نحو الثانية ، وان كان بعضهم يقدم رجلا ويؤخر أخرى بدعوى أنه من المشاهد أن في الفنون الجميلة خطراً على الاخلاق، وان العناية بالجمال تستحيل عادة إلى عبادة ، فيضيع الغرض من الجمال والفنون الجميلة

في ترجمة حياة ملتون للكاتب ميسون يشير المؤلف الى هذه المسألة الدقيقة بقوله : « وكان ملتون برغم شاعريته سامي المبادىء على النقيض من الشعراء وأهل الفن الذين تتغلب عادة حساسيتهم وشهواتهم على مبادئهم الخلقية »

ولاتخرج هذه العبارة عن عقيدة الناس عامة فى رجال الفن ، وخشية الكثيرين على بنيهم وبناتهم من ولوج أبواب العمل فى الملاهي والمسارح وأبهاء الفنون الجميلة ، وما يترتب على ذلك من فساد أخلاقهم . وليس هنـاك ما يستدل منه على صحة هذه النظرية أو فسادها ، اللهم الا ما يشاهد بالاختبار وهذا فى نظرى لا يعول عليه الا اذا عزز ببحث واحصاء ـ وهو ليس من السهولة بمكان

غير أنه فيما يتعلق بالدين توجد حقيقة لا تنكر ، وهي أن الانصراف الى الفنون الجميلة قد يحول دفته نحو الجمال فيقوم هذا مقام الصلاح وينسى الناس أن الغرض من الدين التطلع الى المثل الاعلى . وقد حدث ذلك فعلا قبل الحرب العظمى فى عهد قياصرة الروس حينما أهملت الأخلاق الكريمة والمبادىء السامية ، واستعيض عنها فى كنائس روسيا الارثوذكسية بأفخر ماعرفته المسيحية فى تاريخها من الموسيقى ، وأبدع ما شاهده الانسان من روعة الفن وجمال الانشاد وجلال الطقوس الكنسية. وبمجرد الاشارة الى الراهب الداهية راسبوتين يدرك القـارىء صورة أولئك الذئاب الخاطفة التى كانت تتستر وراء الثياب الملائكية الناصعة البياض وتختفى وسط دخان البخور المتكاثف فوق رءوس المصلين ويخفت عواؤها لعزف العازفين وترتيل المرتلين

٭ ٭ ٭

هذه المخاوف تستند على أساس أن الغلو فى كل شىء غير محمود العاقبة وخير الامور الوسط ، فليس من المستحب أن تحول أماكن العبادة الى متاحف فنية للصور والتماثيل وقاعات واسعة للغناء والموسيقى ، كما أنه ليس من المستحب أن تحول منابر الوعظ والارشاد الى كراسى علمية تلقى منها محاضرات جامعية علمية محضـة . واذا شئت أن تشاهد جميع الأنواع التى يمكن أن تتصورها من هذا القبيل ، من الجنوح الى العلم المجرد، الى الاغراق فى الفنون والاسراف فى التجميل ، الى العبادة الدينية الخالية من آثار العلم والفن ، الى التوسط بين هذا وتلك ـ اذا شئت رؤية هذه جميعهـا فعليك بامبركا

ففى بعض أماكن العبادة فيها يخيل اليك أنك فى متحف فنى جميل ، فى بنائه ونظامه وأستاره الحريرية وزجاجه الملون ، وأضوائه المتعددة الالوان التى تتغير وتتبدل وتسطع وتتضاءل من حين الى حين ، وآلاته الموسيقية الكثيرة وفرق المترنمين والمترنمات ، والراقصين والراقصات (١) ، واللغة الشعرية البليغة التى يلقى بها الوعاظ عظاتهم باصوات عذبة خلابة . وفى بعضها يخيل اليك أنك فى قاعة

(١) فى الاحياء التى يغلب أن يكون سكانها من الممثلين ورجال ونساء الفن فى نيويورك يشمل بروجرام العبادة رقصاً مقدساً صامتاً يمتاز بالحشمة والوقار تمثيلا للحسد والبغضاء والتقوى والحب وغيرها من الفضائل والرذائل

محاضرات معتادة تسمع الى فيلسوف أو اقتصادى أو عالم نفسانى . وفى بعضها تغلب فيها الفرائض الدينية المجردة الخالية من كل أثر للعلوم الحديثة والفنون الجميلة . غير أن فى معظمها تجد للثلاثة الاقانيم ــ العلم والدين والفن الجميل ــ آثاراً واضحة وان قلت أو كثرت بنسب متفاوتة

وهذه الأخيرة فى نظر الكثيرين افضل الانواع جميعها وأعلاها مثلا لانها لا تعنى بواحد من الثلاثة على حساب الآخرين . وتجد التسامح الدينى فيها بالغاً منتهاه ، فاذا دخلت احداها لايمكنك أن تحكم اذا كانت هيكلا لليهود أو كنيسة للمسيحيين ، ولا تستطيع أن تقول انها لمذهب مسيحى دون الآخر ، وبعض هذه تقبل فى عضويتها الناس جميعاً من كافة الاديان والمذاهب والاجناس

ولما كان الحد الفاصل بين العلم والفن والدين فى هذه الاماكن غير واضح ، فان فرقة الموسيقيين والمرتلين والمرتلات قد يكون اعضاؤها كلهم أو بعضهم من الفرق التمثيلية الغنائية (الأوبرا) الذين يتناولون مرتباتهم بعضها من المسارح التمثيلية وبعضها من اماكن العبادة . ومن هذا القبيل ما يحدث فى انجلترا أحياناً من دعوة المنوط به الوعظ يوم الاحد ممثلا ماهراً لقراءة سفر أيوب بصوته التمثيلى على جمهور المصلين

ونقول فى ختام مقالنا هذا ان أواصر الاتصال بين الثلاثة لانستطيع انكارها وهى كلها لا غنى للبشر عنها . فالعلم يزودنا بالحقائق ويطرد من رؤوسنا اباطيل العادات وأضاليل التقاليد ، ويقودنا للبحث عن الحقيقة أينما وجدت . والفن الجميل يصقل لنا الحياة ويزينها ويزخرف لنا المنتجات العلمية وينمقها ، ويرسم لنا طريق السعادة والسرور والغبطة ، ويخلق لنا جنة عدن فى الارض التى عليها نعيش ، وفردوساً ونعيما فى الدنيا (ان لم يكن فى الآخرة) ويصور لنا الجمال بكل ما تنطوى عليه الكلمة من المعانى السامية . والدين بمعناه الأوسع ــ مجرد من الطقوس والرموز ، برىء من التحزبات والتعصبات ، والمذاهب والمنازعات الجدلية ــ الدين بهذا المعنى الواسع الذى يضم تحت لوائه الانسانية جمعاء الشرق والغرب ، الابيض والاحمر والاصفر والاسود من جميع الملل ، يقودنا الى المثل الاعلى ، الى ذروة رفيعة تصبو اليها النفوس الكبيرة وتتطاول اعناقها اليها بغير أن تستطيع بلوغها . وهو ذلك المثل الاعلى الذى حدا بالفيلسوف عمانوئيل كنت أن يقول : أن الله لايمكن اقامة الدليل على وجوده ولكن بغيره لا يمكن أن تكون ثمة مبادىء أخلاقية فاذا لم يكن هناك اله فعلينا اذن بايجاده . وأياً كان المعنى الذى يرمى اليه هذا الفيلسوف ومهما بحثنا فى كل من العلم والدين والفن الجميل على حدة فلا بدلنا من العودة الى نتيجة واحدة وهى ان سعادة بنى الانسان معقودة ألويتها بتدخل هذه الثلاثة واندماجها واشتباكها وارتباطها . ومن منا لاتصبو نفسه أن يرى الحقيقة والجمال والمثل الاعلى تسير فى العالم متكاتفة جنباً الى جنب ؟

امير بقطر

جاذبية اينشتين وجاذبية نيوتن

لماذا قال اينشتين بتحدب الكون وتناهيه

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

> في الجزء العاشر من المجلد الاربعين لمس الاستاذ نقولا الحداد — في مقاله عن نظريتي اينشتين ودي ستر وعن شكل الكون وتناهيه — لمس بعض موضوعات النسبية الممهدة السبيل لنظرية شكل الكون . ولم يكن في المجال متسع لبحث هذه الموضوعات ، فهو يعود في مقاله التالي الى اهمها وهو موضوع الجاذبية وعقيدة اينشتين وسائر علماء النسبية فيها

يطمح كل قارىء أن يفهم ماهي الجاذبية في الصميم . وهو مطمح عزيز المنال . لقد فهمنا أكثر مما فهم أسلافنا عن النور والكهرباء وسائر أنواع الاشعة . وأما عن الجاذبية فلا نفهم أكثر مما فهم نيوتن . ولعل الجاذبية أقل غموضاً أو أكثر وضوحاً من الكهربائية والنور ، فلم يتسن لنا مزيد علم عنها كما تسنى لنا مزيد العلم عن هذين . أو لعلها أكثر بساطة منهما فلا تحتاج الى مزيد ايضاح ، لاننا مهما تعمقنا في اكتشاف سرها فلا نعلم أكثر من أن جرمين يتجاذبان بقدر حاصل مادتيهما وبنسبة مقلوب مربع المسافة بينهما هكذا مثلا :

$$\text{التجاذب} = \frac{\text{مادة الارض} \times \text{مادة الشمس}}{(\text{المسافة بينهما})^2}$$

فلذلك لا ننتظر من البحث في نظرية الجاذبية أن نفهم فهماً أكيداً ماهي أو كيف هي ، وإنما يمكننا ان نفهم ونتحقق جيداً ظواهرها وخواصها وكفى . أما ما هي فهي جاذبية والسلام . هي خاصة من خواص الكون . كذا وجد الكون وفيه قوة التجاذب بين الاجسام . ولا يمكن تفسيرها باكثر من هذه القوة ، ولا حاجة لتفسير إلا تفسير ظواهر هذه القوة ونواميسها

ولقد توفق نيوتن النابغة العظيم الى اكتشاف ناموسها الشامل كما ذكرناه آنفاً . وكان اكتشافه عظيم الفائدة للميكانيكيات الارضية والفلكية لانه مكن العلم من استخراج النتائج المجهولة من الحقائق العمومية بالاستقراء والملاحظة . فالتنبؤ عن مواقع الاجرام وحدوث الكسوفات والخسوفات ونحو ذلك إنما هي نتائج حسابات رياضية مبنية على ناموس الجاذبية . ومن مفاخر هذا الناموس اكتشاف وجود السيار نبتون بواسطته قبل رصده ثم اكتشاف وجود السيار بلوتو أيضاً قبل العثور عليه . فناموس الجاذبية كما وضعه نيوتن خدم العلم خدمة عظمى وسيبقى خادماً له الى الابد

على ان نسبية اينشتين اكتشفت نقصاً زهيداً ، لا عيباً ، فى ناموس نيوتن هذا ، وا كمله. ولانه نقص زهيد جداً فلا يظهر أثره فى الحسابات الفلكية القريبة المسافات ، ولذلك يكتفى بناموس نيوتن كما هو فى العمليات الفلكية المحدودة بالنظام الشمسى . وقبل التبسط فى هذه النقطة من الموضوع نلخص عقيدة اينشتين فى الجاذبية كما نص عليها فى كتابه « نظرية النسبية » .

إذا تركت من يدك أى شىء كحجر مثلا يقع على الارض ، فكانوا يفسرون وقوعه بقولهم ان الارض جذبت الحجر . ولكن علماء الطبيعة الحديثين يفسرونه تفسيراً آخر كما ترى فيما يلى: ان درس المغنطيسية الكهربائية أفضى الى هذه النظرية ، وهى : انه يستحيل الفعل عن بعد من غير واسطة أو وساطة أو وسيط . فاذا كانت قطعة مغنطيس تجذب قطعة حديد فلا نقتنع بأن هذا الجذب حدث بين القطعتين فى حيز فارغ بل نحن مضطرون أن نجارى « فارادى » فى نظريته ، وهى ان المغنطيس يحدث حوله شيئاً طبيعياً حقيقياً يسمونه « الحقل المغنطيسى Magnetic field » أو « الجو المغنطيسى » وهذا الجو نفسه يفعل فى الحديد بحيث يحرجه الى الدنو نحو المغنطيس . ولا نبتغى هنا أن نبحث فيما يبرر هذه النظرية التى ليست بالحقيقة الانظرية . وإنما نقول انه بواسطتها يكون التعبير عن الظاهرات الكهربائية المغنطيسية أكثر ارضاء للعقل منه بدونها ولا سيما فى مسألة انتقال الامواج الكهربائية المغنطيسية

على هذا النحو تفعل الجاذبية . ففعل الارض بالحجر الساقط اليها لا يكون مباشراً بل بواسطة هذا الجو Gravitational Field أى أن الارض تحدث ، أو هى محدثة ، حولها جواً جاذبياً. وهذا الجو يفعل فى الحجر فيحدث دنوه الى الارض ، أى أن الارض لاتفعل مباشرة فى الحجر بل بواسطة الجو الجاذبى الذى أحدثته . أما اشتداد هذا الفعل على الجسم (الحجر) فيضعف أو يقوى بحسب سنة مقررة كلما كان الجسم ابعد عن الارض أو أقرب اليها . ومعنى ذلك ان هذه السنة المسيطرة على خواص الجو الجاذبى فى الحيز لا بد ان تكون مقررة لكى تمثل تمثيلا مضبوطاً تضاؤل فعل الجذب بحسب التباعد عن الجسم المحدث الجو المذكور

وحاصل القول أنه ليست الارض هى التى تجذب الحجر بل هو منجذب اليها بفعل الجو الجاذبى الذى الارض محدثته . فالفعل لهذا الجو لا للارض

على ان الجو الجاذبى يختلف عن جو المغنطيسية الكهربائية Electro-Magnetic field بخاصة ممتازة ذات أهمية عظيمة فى بحثنا . وهى ان الاجسام المتحركة بتأثير الجو الجاذبى تسير مسارعة نحو الجسم المحدث الجو (وليس هنا محل للبحث فى موضوع المسارعة Acceleration التى هى نتيجة الفعل الجاذبى) ، وكذلك ليس لحالة الجسم المادية أو الطبيعية شأن بهذه المسارعة . مثال ذلك ان قطعة الرصاص والخشبة ، مهما كان حجم كل منهما ، تقعان على الارض (فى فراغ حيث لا هواء) معاً اذا اسقطتا معاً . اللهم اذا كانتا فى حالة استمرارية واحدة Inertia وفيما سوى ذلك فالجو

الجاذبي يشترك مع الجو المغنطيسي الكهربائي بسائر الخواص والمزايا . وأهم هذه الخواص ان الجسم المحدث الجو لا تبقى له سلطة على الجو الذى احدثه ، بل يصبح هذا الجو مستقلا تمام الاستقلال عنه ، فلا يتحرك بحركته ولا يسكن بسكونه . يعنى لو محيت الشمس من الوجود أو نقلت بغتة الى مكان سحيق لبقى الجو الجاذبي الذى كان منتشراً حولها (شاملا للنظام الشمسى) يفعل فعله الى اجل قصير (ربما كان هذا الأجل يساوى مدة انتشار هذا الجو بسرعة تضاهى سرعة النور على الراجح)

بقى امر ذو شأن خطير فى تفسير الفعل الجاذبي ، وهو أن قوة الجذب تعتبر صادرة من أقاصى الجو الجاذبي ومتجهة نحو المركز . فالحجر الذى يسقط الى الارض إنما يسقط بفعل قوة واردة من أقاصى الجو ودافعة له نحو مركز الارض . وإذا قلنا أقاصى الجو الجاذبي عنينا الاقصى اللانهائى أو الذى ينتهى بانتهاء الحيز الذى تشغله الاجرام . على ان طبيعة هذه القوة الدافعة الى المركز هى التسارع أو التعجل كلما قربت الى المركز بنسبة مربع البعد عنه (حسب ناموس نيوتن)

فترى فى هذا التفسير ان القوة التى يتقارب بها جرمان ليست قوة جذب بالمعنى المفهوم من لفظة جذب أو جاذبية ، بل هى قوة دفع للجرمين لكى يتقاربا . وسواء أكان هذا الفعل دفعاً نحو المركز أم جذباً اليه فالظاهرة الطبيعية واحدة وهى تقارب الجرمين بفعل قوة لا نعرف عنها أكثر مما نرى من نتائجها المبسوطة آنفاً . والجو الجاذبي الذى تفسر به ليس الا فرضاً افترضه فارادى للجو الكهربائى المغنطيسى فاقتبسه اينشتين للجاذبية . وبه يعللون بعض الظواهر الطبيعية

بعد هذا البيان أصبحنا فى موقف يسهل لنا بيان الفرق بين نظرية اينشتين ونظرية نيوتن بشأن ناموس الجاذبية . لما وضع نيوتن ناموس الجاذبية غض النظر عن الوقت (أو الزمن أو المدة) فما حسب له حساباً فى ناموسه البتة . فكأن التجاذب بين جرم وجرم فى نظره يحدث فى الحال مهما ابتعدت المسافة بينهما . فاذا حسب قوة الجذب بين جرم وآخر حسبها كما هما فى وضعهما حين حسب لها هذه القوة ، فكأن قوة الجذب انتقلت من الواحد الى الآخر كانتقال الفكر . ولو اعتقد أنه يستحيل الانتقال فى الحال لأدخل الزمن فى حساب التجاذب وحسب المسافة التى كانت بين الجرمين قبل ذلك الوضع الذى تراد معرفة قوة الجذب فيه . فهو لم يراع فى ناموسه مسألة الزمن ، مع انه ملمح فى بعض أقواله أنه لا يستطيع ان يعتقد ان هذا التفاعل عن بعد المسافة يحدث فى الحال

أما اينشتين فرأى بوحى النسبية أنه لا يمكن ان يحدث هذا التفاعل من غير ان يستغرق زمناً . أى يجب أن تكون له سرعة تقاس بزمن . ذلك لأن النسبية أفضت الى نتيجة محتومة لا غبار عليها ، وهى ان أعظم سرعة فى الوجود هى سرعة النور ويستحيل أن توجد فى الوجود سرعة أعظم منها ، فاذا قلنا إن التجاذب يحدث فى الحال من غير ان يستغرق وقتاً فكأننا نقول ان فعل

الجاذبية أسرع من النور وهو أمر مستحيل ، أولا ـ لأنه ثابت بحساب رياضى ان النور منتهى السرعة فى الوجود ، وثانياً ـ لأن الانتقال فى أى مسافة يستغرق وقتاً مهما فرضنا السرعة عظيمة

فنيوتن غض النظر عن الزمن فى فعل الجاذبية ، وأينشتين لم يغض النظر عنه لأن الزمن وليد الحركة ، وانتشار الجو الجاذبى ضرب من الحركة ، فلا بد ان يستغرق زمناً . ولو انتفت الحركة من الكون وساد السكون المطلق لاضمحل الزمن بتاتاً ولم يبق له معنى . فاذا كان فعل التجاذب ، أو بالاحرى انتشار الجو الجاذبى ، حركة أو مصدراً لحركة فلا بد ان تكون له سرعة يعبر عنها بزمن . فيقال ان النور ينتقل من أول كيلو متر الى الكيلو متر الـ ٣٠٠ الف فى ثانية واحدة . وكذلك يجب ان يقال فى فعل التجاذب . ولعل سرعة انتشار الجو الجاذبى أو سرعة فعل التجاذب تضاهى سرعة النور . واذا صح ان طبيعة الجاذبية تشابه طبيعة الامواج الكهربائية المغنطيسية كما يريد اينشتين أن يثبت فلا يبقى شك فى ان سرعة التجاذب تشابه سرعة النور . وإذا صح هذا التشابه فيترجح أيضاً ان الجو الجاذبى هو سلسلة أمواج كامواج الكهرباء المغنطيسية

وبناء على ذلك يجب ان تحسب القوة المتبادلة بين الارض والقمر مثلا ليس بحسب المسافة بينهما فى موقعهما المراد حسابه بل بحسب المسافة التى كانت بينهما قبل ذلك بثانية وخمس تقريباً وهى مدة انتقال القوة الجاذبية على اعتبار ان سرعتها تضاهى سرعة النور

تحدب الجو الجاذبى

بقى من عقيدة اينشتين فى الجاذبية ان هذا الجو الجاذبى الذى نحن بصدده محدب . وربما كانت نظرية تحدب الجو الجاذبى أعقد قضايا النسبية وأغربها لاذهان البشر لمخالفتها للمألوف . على اننا نحاول ما استطعنا أن نقربها لافهامنا

يعتقد اينشتين أو بالاحرى يذهب الى ان الجو الجاذبى لا يمكن أن يوجد فيه خط مستقيم ، بمعنى الخط الهندسى الذى عرفه اقليدوس بأنه أقرب مسافة بين نقطتين ، بل ان الخط الذى هو أقرب مسافة بين نقطتين فى الجو الجاذبى لابد ان يكون محدباً . وهو يعنى بهذا الخط خط الحركة مهما كان نوعها . على ان الخط المستقيم الاقليدوسى لا يوجد إلا فى التصور فقط ، وأما بالفعل فلا يمكن أن يوجد . فما من جرم فى الكون يسير فى خط مستقيم اقليدوسى بل فى خط منحن كسير السيارات فى أفلا كها (مداراتها) . ولا يمكن ان تعبر أية حركة فى الجو الجاذبى إلا وهى منحنية مطاوعة لتحدبه

وقد أثبت اينشتين نظريته هذه بدعوى ان شعاعة النور الواردة من نجم بعيد جداً متى عبرت جو الشمس الجاذبى انحنت بانحناء هذا الجو . ويختلف مقدار هـــذا الانحناء باختلاف بعدها عن مركز الشمس أو قربها اليه . فكلما كان خط مرورها أقرب إلى مركز الشمس كان الانحناء

أشد وكلما كان بعيداً كان الانحناء أقل ، حتى إن هذا الانحناء يقارب الصفر متى كان مرور خط الشعاعة فى أقصى الجو حيث تقارب قوته الجاذبية الصفر . وقد استخرج مقدار هذا الانحناء بعملية رياضية فكانت النتيجة هكذا :

$$\text{الانحناء} = \frac{\text{١٫٧ ثانية من الزاوية (١)}}{\text{مسافة تماس بنصف قطر الشمس}}$$

أى أن المسافة بين خط مرور الشعاعة ومركز الشمس تساوى عدد كذا من نصف قطر الشمس . ولايضاح هذه القضية نشرحها بالرسم الذى تراه فى هذه الصفحة



افرض ان الشعاعة واردة من النجم ج البعيد جداً عن النظام الشمسى . فلو كانت الشمس بعيدة عن خط الشعاعة الواردة من النجم الى الارض فى خط ج وض (كما لو كانت عند ش مثلا) لكان راصد النجم ج يراه مكانه عند ج . ولكن كلما اقتربت الشمس الى الخط المذكور (والحقيقة ان الارض هى التى تسير بحيث تصبح الشمس معترضة بينها وبين النجم) صار الراصد يرى النجم فى غير مكانه ، حتى اذا صارت الشمس معترضة بين النجم والارض تقريباً صار الراصد يرى النجم عند جَ

وسبب ذلك ان الشعاعة الواردة من النجم أصبحت عابرة فى أقوى مناطق الجو الجاذبى فيميلها نحو المركز فلا تسير فى الخط ج وض بل فى الخط المنحنى ج ص مَ ض . والخط ص مَ ض ليس خطاً زاوياً كما تراه بل هو قوس من دائرة كبيرة (لم يتيسر رسمها هنا بالضبط) ولذلك يرى الراصد النجم عند جَ لأن الخط المستقيم جَ ض يماس

(١) الثانية الزاوية هي جزء من ٣٦٠٠ من الدرجة ــ الدائرة ٣٦٠ درجة . والدرجة ٦٠ دقيقة . والدقيقة ٦٠ ثانية

عند ض للدائرة التى ص م ض قوس منها . فهو يرى النجم عند جَ كأن الشعاعة واردة منه بخط مستقيم . والحقيقة ان النجم ليس هناك بل لا يزال عند ج

والزاوية الواقعة بين خط الانحراف جَ ض والخط الاصلى ج ض هى التى تسمى زاوية الانحراف . وقد استخرج اينشتين قيمتها فاذا هى $\frac{\text{١٫٧ ثانية}}{\text{الخط مَ م}}$ والخط مَ م يقاس بنصف قطر الشمس كوحدة أو مقياس له . ولذلك كلما كانت الشمس بعيدة عن خط شعاعة النجم (أى كلما كانت المسافة مَ م طويلة) كان مقدار الانحراف أقل وكانت زاويته أقل . وذلك لأن الجو الجاذبى يكون أضعف وأقل تأثيراً على اشعة النور . فترى مما تقدم ان أشعة النور كسائر الاجسام خاضعة لحكم الجو الجاذبى

وبهذه النظرية يؤيد اينشتين نظرية ان النور ليس أمواجاً ايثرية بل هى امواج شبه مادية تسير من تلقاء نفسها فى الحيز بغير واسطة أو وسيط كالايثر

يمكنك ان تتصور تفاوت هذا الانحناء اذا تصورت ان قوة الجو الجاذبى تكون أشد كلما كانت أقرب الى مركز الشمس . والعكس بالعكس ـ يمكنك تصور قوة الجو الجاذبى بانعام النظر فى السهام الممددة من محيط الدائرة الى مركز الشمس ، فهى تمثل قوى الجو الجاذبى الواردة من اقصاه الى مركزه . فتراها كأنها تدفع الشعاعة أمامها نحو مركز الشمس . ومن تجمعها على مقربة من م تفهم انها هناك أقوى منها على طرفى خط الشعاعة على مقربة من ص و ض

ولو كانت سرعة النور أبطأ جداً مما هى لكانت قوة الجو الجاذبى تتمكن من دفعها كثيراً جداً بحيث تجعلها تدور حول الشمس كما تدور السيارات حولها . ولكن لأن سرعة النور عظيمة جداً (٣٠٠٠٠٠ كيلو متر فى الثانية) فهذه السرعة العظيمة تنقذ الشعاعة من هذا المصير

هذه هى نظرية اينشتين فى تحدب الجو الجاذبى . وهذا هو برهانه عليها ـ انحناء أشعة النور الواردة من نجم سحيق حين تمر فى الجو الجاذبى . وقد استنتج هذه النظرية استنتاجاً بعملية رياضية ولكنه لم يختبرها اختباراً محسوساً . فلما اذاع نظريته هذه مع ما أذاعه من قضايا النسبية لم يجد العلماء اعتراضاً على برهانها الرياضى الذى لا غبار عليه فرأوا أن يتحققوا صحة دعواه بالرصد الفلكى . وكيف ذلك :

يتعذر رصد النجم اذا كانت الشمس مقتربة الى خط شعاعه الوارد الى الارض لأن نور الشمس الباهر يحول دون رؤيته . ولذلك لا بد من انتظار كسوف كلى يغطى فيه القمر قرص الشمس تغطية تامة وحينئذ يسهل الرصد . ففى سنة ١٩١٤ كان ينتظر هذا الكسوف . فهيأ المجمع الفلكى البريطانى بعثة برئاسة السير ادينغتون العلامة الكبير لهذا الغرض . ولكن شبوب الحرب العظمى حال دون انجاز هـــذه المهمة . وبعد الحرب حدث كسوف كلى آخر فذهبت البعثة فى

فرقتين احداهما الى برنسيب فى غربى افريقيا والاخرى الى سوبرال فى البرازيل ورصدت الفرقتان كوكبة من النجوم كانت الشمس تدنو الى خط شعاعها فى أثناء كسوفها .وأخذوا صوراً فوتوغرافية لهذه الكوكبة كما ظهرت حينئذ . وبعد ستة اشهر إذ أصبحت الشمس فى جانب آخر وشعاع الكوكبة يرد الى الارض مباشرة من غير أن يمر على مقربة من الشمس أخذوا صوراً فوتوغرافية أخرى لكوكبة النجوم نفسها . ولما قابلوا هذه الصور بالصور الاولى وجدوا مواضع النجوم متغيرة فى الاولى وحسبوا مقدار هذا التغير فوجدوه كما تنبأ به اينشتين تماماً . وهكذا تأيدت صحة العملية الرياضية وصحة نظرية اينشتين بالبرهان الحسى،وكان هذا الاثبات انتصاراً بل فوزاً عظيما للنسبية التى ضبط قواعدها اينشتين

يعزو اينشتين انحراف الشعاع المار على مقربة من الشمس كما شرحناه الى سببين : نصفه مسبب عن فعل جاذبية نيوتن والنصف الآخر مسبب عن فعل التحدب الذى تحدثه الشمس فى جوها الجاذبى . على ان هذا التحول لا يزال مبهماً لمن لا يفهم عملية اينشتين الرياضية وهى عملية تستلزم الالمام التام بالرياضيات العليا . وقليلون هم الملمون بها . ولذلك قيل انه لم يفهم نسبية اينشتين إلا عدد معدود من العلماء

على ان هذا العاجز حاول أن يتفهمه . ولعلى مخطىء فيما فهمت . وإنما أبسطه للقارىء الناقد بحذر

أما نصف الانحراف المسبب عن جاذبية نيوتن فقد شرحناه كفاية فيما سبق . وأما النصف الآخر ففى ظنى أنه ينجم عن سير الشمس بما حولها من سيارات (أى النظام الشمسى كله) فى الفضاء بسرعة (نحو ١٢ كيلو متراً فى الثانية) نحو النجم السحيق فيكا Vica (النسر الواقع) القريب من مركز المجرة (التى تشمل نظامنا الشمسى وسائر الاجرام التى نراها بالعين وبالمرصد)

وبيانه : فى كل جو جاذبى أو كهربائى مغنطيسى لا سلطة للجرم أو الجسم على الجو الذى يحدثه . أى أن الجو متى صدر أصبح مستقلا فى كيانه . فاذا كان الجرم أو الجسم سائراً بأية سرعة فلا يسير جوه معه بل يبقى مكانه . وإنما فى كل هنيهة يحدث الجرم أو الجسم جواً جديداً حوله ، وهكذا على التوالى . يمكن القارىء أن يتمثل ذلك إذا تصور شخصاً واقفاً على حافة بركة وهو يرمى كل هنيهة حصاة فى البركة فتحدث موجة تنتشر فى البركة الى أطرافها . فاذا كان كل مرة يرمى الحصاة الى مكان أبعد عن مكان الحصاة الاولى شبراً رأى دوائر الامواج متقاربة من الجهة التى يرمى فيها الحصاة ومتباعدة من الجهة الاخرى . فهو برميه الحصاة يحدث الموجة ولكن بعد حدوثها لا تبقى له سلطة عليها . وبرميه الحصاة إلى أبعد فأبعد يجعل سبب الرمى المحدث

الامواج سائراً فى اتجاه معين . هكذا الشمس (وكل جرم وكل جسم) تحدث الجو الجاذبى كأنه أمواج تنتشر حولها ولكن لا سلطة لها عليها . وهى فى سيرها تقحم فى هذا الجو فتجعله أمامها اكثف منه ورآءها . وهكذا يكون الجو أمامها أقوى جاذبية منه وراءها . وبالتالى يكون تحدبه أمامها أشد منه وراءها . وهكذا يكون العامل لانحناء شعاع النجم القصى المار أمامها ناتجاً عن سببين : الأول تحدب الجو الجاذبى الاصلى (النيوتنى) والآخر ازدياد كثافة هذا الجو بسبب اقتحام الشمس فيه

فترى مما تقدم ان اينشتين يسمى الحيز الذى يشغله أى جرم وجوه الجاذبى معه محدباً بمعنى أن أى حركة تمر فى هذا الجو لا بد ان تكون منحنية بسبب تأثير هذا الجو فيها ، ويستحيل ان تحدث حركة فى هذا الجو بخط مستقيم . هذا هو المراد بتحدب الحيز وهذا هو معنى « تحدب الفضاء » الذى لغط به الكتاب الذين راموا أن يكتبوا شيئاً عن النسبية

بناء على صحة نظرية تحدب الجو الجاذبى زعم اينشتين وكل من جاراه فى زعمه ان الفضاء (والأصح الحيز) الذى يكون فيه جو جاذبى يكون متحدباً . والحيز الخالى من جرم لا يكون متحدباً لأنه لا جو جاذبى فيه . فالحيز الكونى العظيم الذى تشغله الأجرام التى لا تحصى مختلف التحدب بسبب ما فيه من اجرام تنتشر حولها أجواء جاذبية وما فيه من فراغ خال من هذه الاجواء . فهو كالارض التى تتعاقب فيها البطاح والهضاب والآكام والسهول

وهذه النظرية (نظرية تحدب الحيز) قادت اينشتين الى عقيدته فى شكل الكون المادى . وسنشرحها فى فصل آخر ان شاء الله

شبرا نقولا الحداد



الليالي الثلاث

للاستاذ الدكتور ابرهيم ناجى

— ١ —

مكاني الهادىء البعيد   كن لي مجيراً من الانام
قد أمك الهارب الطريد   فآوه أنت والظلام

***

يا حسنها ساعة انفصال   لا ضنك فيها ولا نكد
يا حقبة الوهم والخيال   هلا تمهلت للأبد

***

يا أيها العالم الاخير   ماذا ترى فيك من نصيب
أراحة فيك للضمير   أم موعد فيك من حبيب

***

كم يعذب الموت لو نراه   أو كان فيك اللقاء يرجى
ينفض عن عينه كراه   ويقبل الراقد المسجى

***

لكن شكاً بما تجنّ   خيم فوق العقول جمعا
عجبت للمرء كم يئن   ويستطيب الحياة مرعى

***

عجبت للمرء حين يرضى   بحظه التافه القليل
ويقطع العمر ما تقضى   يرسف في قيده الثقيل

***

قد صار حب الحياة منا يقنع بالجيفة السباع
وعلم السمح أن يضنا وثبت الجبن في الطباع

— ٢ —

طال بنا الصمت والجمود لا البدر يوحي ولا الغدير
يا عالم الضيم والقيود برحت بالطائر الاسير

* * *

هربت من عالم الفناء .وجئت علي لديك أحيا
أشرب من روعة السماء شعراً وأسقي الفؤاد وحيا

* * *

هربت من عالم أضرا وجئت يا كعبتي أزور
هاتي خيالا اذن وشعراً أسكبه في فم الدهور

* * *

مللت في هاته العوالم مهزلة الموت والحياه
وصورة القيد في المعاصم ووصمة الذل في الجباه

* * *

هيا كل تعبر السنين واحدة العيش والنظام
واحدة السخط والانين واحدة الحقد والخصام

* * *

وواحد ذلك الطلاء يستر خزيا من الطباع
أفنى البلى أوجه الرياء ولم يذب ذلك القناع

* * *

بعينها كذبة الدموع بعينها ضحكة الخداع
ومنحنى هاته الضلوع على صواد بها جياع

— ٣ —

اذا خــــلا مرة فؤاد فلا أمانٍ ولا ألم
خيم في غمرة الحداد كأنه هاتِه الظلم

***

كأن صدر الظلام ضاق من كثرة البث كل حين
يا ويحه كيف قد أطاق شكوى البرايا على السنين

***

كأنمــــا ينفث الشهب تخفيف ضنك يئن منه
كالقلب ان ضاق وا كتأب تخفف الذكريات عنه

***

كم زفرة في الضلوع قرت يحوطها هيكل مريض
مبيدة حيثما استقرت متى تَنُح سميت قريض !

***

وفي الدجى آهة تطول سرت الى أذنه وشِعر
لو أدرك النجم ما تقول ؟؟ أو فهم الليل ما نسر ؟ ؟

***

ما بالها أعين الفلك منتثرات على الفضاء
تطل من قاتم الحلك بغير فهم ولا ذكاء

***

ألا وفيٌّ ، ألا معين في مدلهم بلا صباح
وكلما جدَّ لي أنين تسخر بي أنَّةُ الرياح

***

أرمي بطرفي الى فضاء حارَ بهِ ناظري وزاغ
وأرسل القلب حيث شاء يهيم في ذلك الفراغ

***

كأن قفراً يحوم فيه قفر أسميه بالفؤاد
يا قلب لَم تلف من شبيه كالغيهب الحالك السواد

***

هبنا شكونا بلا انقطاع ما حظ شاك بلا سميع
ما حظ شعر اذا اطاع يا ليته عاش لا يطيع

***

يضيع في لجة الزمن مبدداً في الورى صداه
ولن ترى في الوجود من يحس نار الذى تلاه

دكتور ابرهيم ناجي



الشخصية
كيف ندرسها ونفهمها

« افهم نفسك » – سقراط

« افهم الناس » – باكون

لن تجد بين الناس واحداً لا يحاول دراسة الشخصيات التي تلابسه في اوقات عمله وساعات فراغه، أو تغدو أمامه في موكب الحياة وتروح – كل على قدر استعداده من حيث نفاذ البصيرة ودقة الملاحظة وصدق الاستنتاج. ولا يخفى على الاريب أن التجارب تكشف لنا جوانب مستورة من شخصيات الغير، وأننا كلما ازددنا بالحياة وأهلها خبرة، صرنا أقرب الى فهم الطبائع ودرك اسرارها

لا نفتأ نقول: هذا رجل تلوح عليه مخايل النجابة وأمارات النبل. وهذاك عليه طابع الغفلة والبلاهة، يعيش على هامش الوجود، لا يعنيه شيء من افراح الناس وأحزانهم. وذياك مغرور فيه عناد وكبرياء، ومع كل ذلك فهو على شيء من الذكاء وكثير من طيبة القلب. وذاك أناني جشع قد جعل همه إشباع شهواته وارضاء مطامعه بأية وسيلة كانت. وهذا طاغية مستهتر بقواعد الخلق المقررة والتقاليد المعترف بها، ينتهك حرمة السماء والارض

لا نفتأ نقول هذا وأمثاله في كل وقت وأوان، إذا خلونا إلى أنفسنا طفقنا نستعرض خلق الله ممن اتصلوا بنا أو عرفناهم مصادقة واعتباطاً. وإذا جلسنا الى الاهل والاصدقاء تفكهنا بالحديث عن فلان أو اصطنعنا الجد في تحليل نفسية علان، ما منا الا الذي يؤيد وجهة نظره مستشهداً بأدلة يحسبها حاسمة

فما هي الشخصية؟ ما هو هذا اللغز الذي يتراءى على صور واشكال متباينة لا حصر لها؟! ما هو هذا العالم الاكبر الذي ينطوي في الانسان ولا نستطيع الاحاطة به من كل ارجائه وننكل عن الغوص الى أغواره السحيقة

الخلاف مستفحل بين الفلاسفة وعلماء النفس على « ما هي الشخصية الانسانية »، ومن اي العناصر تتركب، وكيف تنمو وتتطور، وأي المؤثرات أفعل في تكوينها أوهدمها. فقوم يقولون بخلود الشخصية الانسانية بعد الحياة، ورهط يؤكدون زوالها بمجرد الموت. وناس يقولون إنها صورة من صور الحقيقة وشرارة من القبس الالهي، وجماعة يزعمونها ظاهرة تتلاشى وحادثة تقع وتمضي بلا عودة. وبعض علماء الحياة والمشتغلين بالفسيولوجيا قد انتهوا اليوم الى ان الشخصية الانسانية تتوقف على افرازات الغدد الصماء، ويعارضهم علماء النفس، ذاهبين الى ان

الجسم وعاء للنفس وان العقل يتحكم فى الجسم ويسخره

ولما كانت دراسة الشخصية كما تتراءى فى الحياة اليومية هى موضوعنا فقد ضربنا صفحاً عن تلك الخلافات الجدلية ، لانها قل أن تنفع فى فهم الناس على حقيقتهم . وما ظنك برجل لا يعرف حتى القراءة والكتابة ، ومع ذلك لا يخطىء فى فهم الناس !! هل مثل هذا الرجل ينتفع قليلا أو كثيراً اذا عرف وجوه الخلاف بين الفلاسفة وعلماء النفس ؟! الواقع أن الشخصيات تتفاهم بطريقة سحرية ، كأنما تتخاطب النفوس وتتعارف دون وعى منا

يخيل لى أن الشخصية هى ذلك المعين الذى تتفجر منه رغبات الانسان وانفعالاته وتفيض مشاعره واحساساته ، وينبع منها نشاطه وتشع أفكاره ـ هى مبعث حركاته وسكناته والقاعدة التى ترتكز عليها اعماله وآماله ومساعيه . الشخصية بالاختصار هى أساس كل ما يبدو منا فى الظاهر وما يستقر فى الأعماق

تقسيم الشخصيات الى انواع عامة

يمكن تقسيم الشخصيات الى انواع عامة ، تمتاز بعلامات واضحة وخصال بارزة ...

فهناك نوع يعطى على وجه العموم ـ يعطى دائماً ، يعطى المـــال أو يوزع العلم أو يتبرع بالخدمات وأفانين الخير . وهو يعطى بلا مقابل ، حباً فى الاعطاء ليس غير . ويقابل هذا النوع ويضاده على خط مستقيم نوع يأخذ أو يحاول أن يأخذ ، يأخذ المال أو العلم أو يستجدى الخدمات وهو يأخذ ولا يعطى ، وقل أن يشكر من يعطيه

وهناك نوع من الناس جبل على النضال ، جعل سنته فى الحياة أن يجاهد ويكافح على الدوام لا يهدأ ولا يفتر له عزم . ويقابل هذا النوع ويضاده على خط مستقيم نوع وديع كالحمل يزهد فى هذا النضال ويتحاشاه ويسلك الى اغراضه أقصى السبل وأقلها مشقة

وهناك أولئك الذين يتحدثون عن أنفسهم بالاقوال أو الاعمال ، لا يكتمون شيئاً مما يجول فى أذهانهم ويجيش فى صدورهم ، لأن من طبيعتهم الافشاء . ويقابل هؤلاء ويضادهم على خط مستقيم ناس دأبهم الصمت واخفاء ما يشعرون به ، وتجنب الافصاح عما يدور بخلدهم ، هم كأبى الهول يعييك أن تستحثه على البوح بما يكنه ويستحيل عليك أن تفقه له سراً

ثم هناك اقوام جبلوا على التأثر بما يجرى حولهم من الوقائع والاحداث ، ينفعلون لمظاهر الطبيعة . ويلبون دواعى الحب والبغض ويقابلون الصداقة بالصداقة ويردون الجميل مضاعفاً اذا وسعهم ذلك . ويضادهم على خط مستقيم أقوام هم ابعد الناس عن تيار الحياة ـ نظارة يتفرجون على رواية الحياة ، لكنهم بلا قلوب تحس أو أفئدة تخفق وتتأثر

يجىء فى نهاية هذه الانواع نوع يبتكر ويخلق ، قد وهب القدرة على الابداع والاستنباط

ويقابل هذا الصنف ويضاده على خط مستقيم، نوع فطر على التقليد والمحاكاة والاحتذاء

مقومات الشخصية

يمكننا أن نقول بوجه الاجمال ان الشخصية الانسانية تتأثر قوة وضعفاً بالعوامل الآتية:

أولا ـ الوراثة

ثانياً ـ الجنسية والعنصر

ثالثاً ـ التربية والتعليم

رابعاً ـ الوسط والبيئة

خامساً ـ الصناعة والمهنة

سادساً ـ تقلبات الحياة واقدارها كالنجاح أو الخيبة ... والحظوظ

سابعاً ـ نوع الحضارة والثقافة

ثامناً ـ المثال والقدوة

كيف ندرس الشخصية عملياً

يطول الكلام اذا تناولنا هذه العوامل بالتفصيل، فأولى بنا أن نختصر، فانما أردنا أن ندل القارىء على المسائل الرئيسية فى دراسة الشخصيات، وعليه بعد ذلك أن يفكر ويطبق ويستنتج

يمكن دراسة الشخصية بملاحظة ما يأتى والعناية به وتحليله:

المشية ـ ان نوع المشية والحركة والصورة التى يتخذها المرء حين يسير، وقوة خطواته وسرعتها ومداها، وهيئة الجسم عند المشى ـ هذه كلها يمكن الاستدلال منها على شخصية المرء. نعم، يمكن الاستدلال بما تقدم على نوع الارادة، وكمية ما هنالك من نشاط وحيوية ومقدار ضبط النفس وقسرها على الخضوع للنظام. على ان المشية لا تدل قط على العقلية، وان كانت تضع الشخص فى طبقة معينة من طبقات المجتمع. ففى وسعنا أن نعرف جنس المرء ومهنته فى الحياة من مشيته، إذ للجنود مشيتهم ولرجال الدين مشيتهم، كما أن لكل شعب مشيته

العين والفم ـ مما لا ريب فيه أن العين تدل على شىء وتكشف من الشخصية جوانب، لكنها غير مأمونة، أما الفم فمأمون. فاذا شككت فى نظرات العين وارتبت فى دلالتها، فعليك بالفم فانه لا يكذب فى الدلالة على حقيقة الشعور ويكشف عن الخلق والميل. فلاحظ تقوس الفم أو استقامته، واجعل بالك الى الشفتين فى حالتى السكون والاهتزاز أو الانكماش والارتخاء، ولا يغبين عنك ما يحيط بالفم من خطوط واضحة المعانى

ودع كلام الشعراء، واعلم أن العيون لا تدل فى ذاتها على شىء من طبيعة المرء فى أغلب

الاحوال . ولو أنك جردت العين من صورة الوجه ، لما دلت على شيء ... إن العين تضيء الوجه وقد تكمل معناه

الصوت والكتابة ـ تدل الاصوات على الشخصيات دلالة قوية ، فان فى الصوت معنى خفياً ليس هو اللهجة ولا النبرات ولا النغمة ، لكنه كنه الصوت . وهذا الكنه هو الذى يدل على الشخصية دلالة لا تخطيء ، والمران هو الذى يعلمنا كيف نستدل على الشخصية من الصوت

وللكتابة أيضاً دلالتها ، فهى ترينا كيف حب الشخص للجمال والتنسيق وما هو نوع شعوره ومبلغ ما عنده من رعاية وولاء فى شرح نفسه والتعبير عنها . لأن الكتابة مثل التصوير تعبر عن دخيلة النفس ومنهج المرء فى الحياة

معالم الوجه والرأس والجبهة ـ أنت تعرف أن وجوهنا مثل المرايا تنعكس فيها نفسيتنا . وتعرف ان الجبهة وتغضناتها والخطوط التى يرسمها الزمن على الخدود ، تدل على ماضى المرء وتدل على الشيء الكثير من مزاجه وخلقه وطبيعة حياته . وتعرف أن الرأس له دلالة كبيرة فى تكوين رأى صادق عن عقل الشخص وذكائه وما ينتظر أن يكون عليه فهمه للدنيا وأسرارها ، مع الاحتراس من الخطأ طبعاً . والخطأ هنا يأتى من سوء الفهم ، إذ عقلية المرء شيء ومقدار تعليمه وثقافته شيء آخر ـ ويارب جاهل تسمو عقليته عن حملة الشهادات ، وقد تجد بين العوام عبقريين لم تتح لهم ظروف العيش فرصة صالحة لاستغلال مواهبهم

الايدى والارجل واشياء أخرى ـ لانطيل فى أن لاطراف الانسان كما لأذنيه وأنفه وطوله واتساع ما بين كتفيه دلالة على شخصيته ... ويكفى أن تلاحظ الناس وتراقب حركاتهم وسكناتهم لتدرك صدق ذلك

دراسة الشخصية من الاعمال

ما قدمناه يساعد على دراسة الشخصية ، لكن أهم من ذلك أن تكرر النظر فى عادات الناس وتحاول تفسير اعمالهم ، وتكثر من السؤال عن تصرفاتهم عسى أن يطلعك الغير على جوانب لا تراها ولا بد من ادمان التعليل والتحليل وانتظار الحوادث والمواقف . ولا يفوتنا هنا ان نشير على القارىء بدراسة الفن القصصى ، المسرحى والروائى ، ففيه شخصيات قد درسها العبقريون . وهى موجودة بيننا تخالطنا وتعيش معنا ، وقد نكون نحن بعض تلك الشخصيات

احمد خيرى سعيد

مكانة الادب العربي

نظرات جديدة للدكتور على العنانى

يعرف القراء الدكتور علي العناني بجهوده المحمودة في خدمة الادب والفلسفة واللغات الشرقية . وقد القى محاضرة جامعة في الادب العربي بقاعة المحاضرات العلمية بنادي الشرق الاكبر بالقاهرة . أردنا أن نتحف القراء بهذه المقتطفات القيمة منها

الأدب فى قسميه

الأدب هو المجهود العقلى ـ لأمة بعينها أو لجلة من الأمم ـ المدون فى لغة من اللغات . وهو ينقسم الى قسمين : أدب قومى خاص ، وأدب عالمى عام . والأدب القومى الخاص هو الذى يرجع الى أمة تختص به ولم تشاركها فى تكوينه أمم أخرى . وان نال بعض الذيوع عند بعض الشعوب

والأدب العالمى هو الذى نشأ عند أمة واحدة ينسب اليها واشتركت فى تكوينه والتأثر بروحه الأمم الأخرى

الأدب القومى

والأدب القومى الخاص نراه عند الجنسين السامى والآرى وبعض الاجنـــاس الأخرى . والأدب العالمى مقصور على الساميين والآريين من أول نشأته حتى الآن

وأشهر الآداب القومية الخاصة عند الساميين : الأدب المصرى القديم على توسع . والادب الاشورى البابلى ، والادب الفينيقى ، والسريانى ، والعبرانى . وكل هذه الآداب وصلت الى الذيوع والانتشار لأسباب سياسية ونفوذ الحكم والسلطان بالنسبة الى الآداب الثلاثة الاولى وبروح من الدين وقوة من العلم بالنسبة الى الأدبين الاخيرين

وأشهر الآداب الآرية القومية الخاصة : الأدب الهندى القديم ، والادب الفارسى ، العتيد ، وهما أساس الادب الآرى ، وأصل مدنية الآريين فى الشرق القديم وفى أوربا

أما آداب الاجناس الاخرى التى بقيت منعزلة فى تفكيرها وفى تطورها واجتماعها عن الامم السامية والآرية فهى كثيرة ومتعددة بعدد الامم التى سجل التاريخ أسماءها ولم يرو عنها مجهوداً عقلياً يذكر فى خيرها وخير الانسانية . وأرقى هذه الآداب الادب الصينى بين آداب التتار ، والادب الاتيوبى بين آداب الحاميين وان كانت لغة هذا الادب سامية

الأدب العالمى

أما الادب العالمى الذى نشأ عند أمة واشتركت فى تكوينه والتأثر بروحه أمم أخرى فأسباب وصوله الى هذا الحد العظيم كثيرة . وأهمهـــا النفوذ السياسى ، وامتداد سلطان الامة صاحبته فى أمم شتى ، والتأثير الروحى الدينى ، والتفرد بالنظر العلمى، والوصول به الى تكوين حلقة بارزة فى سلسلة التفكير الانسانى العام المنحصر فى الساميين والآريين

وأول أدب بهذا المعنى الكامل : الأدب الاغريقى منفرداً وممتزجاً بأدب الرومان . وعالميته جاءت اليه من سلطان الاغريق وانفرادهم بالحكم السياسى وبالروح الدينى الوثنى ثم المسيحى وقوة العلم والفن والفلسفة . وكذلك الشأن عند الرومان

انتقل هذا الأدب العالمى بشقيه اليونانى والرومانى الى العرب عن طريق السريانية والسريان فى الوقت الذى انتقل فيه الحكم العام من الآريين الى العرب الساميين

الأدب العربى أدب عالمى

وعالمية الادب العربى جاءت من الروح الدينى الاسلامى ، والنفوذ السياسى العام والجهود العلمية الفنية العربية الجبارة . ومن حمل الغرب والأعاجم المستعربين لواء التفكير وتكوينهم حلقة كبيرة فى سلسلة المجهود العقلى الانسانى ومدنية الانسان

وآخر الآداب العالمية الآداب الاوربية الحديثة . ولم يصل أدب منها على انفراده الى تكوين أدب عالمى بناء على ما تقدم من تعريفه وتحديده . وانما هى مجتمعة تكون أدباً عالمياً هو الحلقة الاخيرة الآن فى تاريخ التفكير الانسانى العام

نشأة الأدب العربى والنهضة الجاهلية

وقد نشأ الأدب العربى بنهضته الأولى فى العهد الجاهلى بعامل اختلاط القبائل العربيــة بالفرس وامتزاجهم بالعبرانيين فى جزيرة العرب فتأثرت اللغة العربية المضرية باللغتين الفارسية الآرية من جهة ، والعبرية السامية من جهة أخرى . وكان لذلك بالطبع أثر كبير فى نشأة الشعر الجاهلى الاجتماعى والدينى وفى نهضة النثر بأنواعه ، وما الى كل ذلك من مثل وحكمة ووصايا وخطب وأساطير

النهضة الاسلامية

نهضت اللغة العربية بالاسلام نهضة كبيرة برزت طفرة ، فاتسعت آدابهـــا بما وسعته من المبادىء الدينية السامية فى شأن العقيدة ، واحكام الشريعة . وهى فى هذه النهضة الثانية كانت

ممزوجة كل الامتزاج باللغة العبرية واتصلت بهـا اتصالا أدبياً روحياً وثيقاً أكثر من مقدار اتصالها بها فى النهضة الاولى الجاهلية . وما كادت بنود الفتح الاسلامى تخفق على البلاد الفارسية، حتى امتزجت العقلية العربية من جديد امتزاجاً كلياً بالعقلية الفارسية فى الادب والعلم والدين ، ثم أخذت الفصحى تتصل رويداً رويداً أثناء العصر الاموى باللغتين السريانية واليونانية وحكمة اليونان ، فظهرت بها آثار قيمة تدل على استعدادها للسير فى طريق النمو والتأهب لمزاحمة شقيقتها السريانية مزاحمة تجعل لها فى النهاية السلطان الكامل على الحركة العقلية العربية بأن تكون وحدها لغة الترجمة والتدوين

النهضة العباسية وأثرها فى الاندلس

يبتدىء العصر الذهبى للغة العربية ابتداء من عهد المنصور ـ عهد الترجمة والنقل الى العربية من الفارسية والهندية والسريانية واليونانية ، فنهضت العربية بذلك نهضة كبيرة تعد فى تاريخ آدابها الوثبة الثانية بعد النهضة العظيمة التى جاء بها الاسلام

وكما أن الاسلام أتى بمعان جليلة جديدة برزت فى قالب حكيم من اللفظ والتركيب وأعطى كلمات عربية كثيرة مدلولات دينية لم تعرف لهذه الكلمات من قبل ، واستعمل غير قليل من الالفاظ الاعجمية ، فزادت بذلك ثروة اللغة ، كذلك كان الشأن فى العلوم والحكمة اليونانية والادب الفارسى والهندى ، فانها منحت اللغة العربية من المعانى الاصطلاحية والمدلولات الفنية والمسميات العلمية ما لا يتناوله عد . وقد بدت هذه المعانى والمدلولات والمسميات فى الفاظ عربية دقيقة وتراكيب رائعة وأساليب حكيمة . وكذلك تطرق الى العربية مقدار كبير من الكلمات اليونانية والسريانية والفارسية فشاعت بها بعد قليل من الصقل الملائم للقواعد ومخارج الحروف

وكان من جراء ذلك كله ان عظم كنز المفردات اللغوية والتراكيب الفنية ، ولا شك ان اللغة العربية أصبحت بهذه النهضة العلمية الحكيمة لغة العلم والحكمة والتأليف . وصارت أدمغة الناطقين بها المستنيرين أدمغة بحث وتفكير وانتاج ، فعظمت لذلك الحركة العقلية العربيـة واتسعت دوائرها وأشرقت شمس عصرها الذهبى فى الشرق وفى بلاد الاندلس وحق ان تختص بالسيادة والسلطان العام

أنتج العقل العربى مع هذا التراث الآرى العظيم المشتمل على المدنيتين الكبيرتين إذ ذاك ، وهما المدنية الفارسية الهندية شرقاً ، والاغريقية الرومانية غرباً ، مجهوداً علمياً أدبياً حكيماً واسع النطاق قد دون فى آلاف الكتب العربية القيمة التى من اشهرها فى الادب : كليلة ودمنة ، والبيان والتبيين ، والحيوان ، والامالى ، والكامل ، والاغانى ، والعقد الفريد ، وخزانة الادب . وفى العقيدة

كتب الفرق الاسلامية مثل : الملل والنحل ، والفرق بين الفرق ، والفصل فى الملل والنحل ، والمواقف . وفى الفلسفة : كتب المتصوفة ودواوين اشعارهم . ورسائل اخوان الصفا . ومؤلفات الكندى،والفارابى،وابن سينا،والغزالى،وابن باجه ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وموسى بن ميمون . وفى سائر العلوم : ما نجده مدونا فى تاريخ الاطباء وتاريخ الحكماء ، وفهرست ابن النديم وغيرها

هذا المجهود العقلى العربى العظيم الذى اشترك فيه الاعاجم المستعربون الذين فكروا تفكيرا عربيا ودونوا مجهوداتهم العقلية باللغة العربية جعل العرب يحملون لواء التفكير الانسانى العام ويسيرون به فى الطليعة

وبنفوذهم السياسى الادبى جعلوا هذا اللواء يخفق على جميع انحاء العالم الاسلامى الآرى الخاضع لسلطانهم المباشر ونفوذهم الادبى السياسى العام . وبذلك وصل العرب بأدبهم الى رفعه الى مقام الأدب العالمى مكوناً حلقة كبيرة فى تاريخ المجهود العقلى الانسانى امتد عهدها من القرن الثامن الى الثالث عشر بعد الميلاد

دور الفتور

لأمر ما اضمحلت قوة التفكير الادبى من هذا العهد ، ولكن مصباحه لم ينطفىء ، وجذوته لم تخمد بل استمر فى البلاد العربية مضيئاً متاججاً نوعاً ما . والفضل فى ذلك يرجع الى الجامعة الازهرية . لهذا نطلق على هذا الدور دور الفتور والركود . ولكن الأدب العربى ـ وهو عالمى وقد كون حلقة كبيرة فى سلسلة التفكير الانسانى العام ـ لا ينتظر أن يتناول جوهره وكيانه هذا الفتور الفكرى الذى ظهر فى البلاد العربية ، بل المنتظر ان يبقى فى جلاله وعظمته وان يحمل لواءه أقوام آخرون غير العرب الساميين ، وقد كان هذا بالفعل . فقد تناول علمه الخفاق آريو أوربا واستضاءوا به واشتغلوا بنقله الى لغاتهم بعد نقل الكثير منه الى اللغتين العبرية واللاتينية فوقف هؤلاء الآريون على علوم العرب من طب فى قانونى ابن سينا وابن رشد ، وفلك ورياضة وطبيعة وحكمة ، وامتلأت دور كتبهم بالمؤلفات العربية المطبوعة والمخطوطة . فكان الأدب العربى وما رجعوا اليه من أدب يونانى رومانى ابتداء من عصر الرينيسانس أو احياء العلوم الى الوقت الحاضر اساساً فى تهذيبهم وثقافتهم وتكوين الحلقة الأخيرة فى سلسلة التفكير الانسانى عند هؤلاء الأوربيين .

لا يزال المستشرقون فى أوربا أمام بحر زاخر من المخطوطات العربية التى لم تطبع بعد ماطبعوه منها ، وامام محيط واسع من المؤلفات العربية التى لم تترجم بعد ما ترجموه منها ، ولا يزالون يواصلون الكتابة والتأليف فى هذا الادب العربى الكبير مع ما كتبوه فى تاريخ الاسلام

وفلسفته وحضارة العرب وتاريخ آداب لغتهم وفلسفتهم فى جميع نواحيهم وتاريخ آداب اللغات السامية ومقارناتها

مكانة النهضة الحديثة

ادركنا كل هذا وعدنا الى اليقظة بعد الخمود ، وابتدأنا نهضتنا الادبية العلمية الحديثة ابتداء من عهد حملة نابليون ، ولمحيي مصر (محمد على) رأس الاسرة العلوية الفضل الاكبر فى هذه النهضة التى وثبت وثبة عظيمة فى عهد الخديو اسماعيل ، وطفرت طفرتها العنيفة الحالية بروح من جلالة مليكنا المعظم، تلك الطفرة التى جعلتنا نشرئب باعناقنا الى المثل الاعلى وهو الوقوف الكلى على آداب لغتنا والآداب الآرية الاوربية الراقية الآن لنسمو بذلك الى روح السلام العام بين الامم والشعوب لا روح السيطرة والسلطان

ونحن اذا قارنا أدبنا العربى وما وصل اليه من مكانة حتى الآن بالآداب الحية الحديثة فلا نقول كمن يقول : « إننا نظلم الأدب العربى بهذه المقارنة » بل نرفع الصوت عالياً مفاخرين بأنه وحده هو الأدب العالمى حتى الآن . ولا يوجد بجواره أدب أمة أخرى يدانيه فى ذلك ، لأنه لا يوجد فى اللغات الحية الحديثة من اول عهد النهضة الأدبية حتى الان أدب لغة اوربية يكون وحده الحلقة التالية لحلقة الادب العربى فى سلسلة التفكير الانسانى العام . وإنما الذى يكون هذه الحلقة هو مجموعة من آداب هذه اللغات الأوربية فهى فى جملتها عالمية لا فى أفرادها وان كانت واسعة الانتشار

الادب العربى لا يقل فى طبيعته وفى مكانته عن أى أدب من الآداب العالمية الراقية ، وإن كان قد خلا من بعض فنون الآداب الآرية كالشعر التمثيلى مثلا مما جعل بعض المتعصبين يرمون -دون انصاف- اللغة العربية بالعجزعن مثل هذا الفن الشعرى ويطعنون فى الخيال العربى بعدم القدرة على السمو إلى الغاية . وأكبر برهان يرد على مثل هذه الطعون ان اللغة العربية التى قويت على تدوين علمى النحو والصرف شعراً فى ألفية ابن مالك وعلم القراءات فى لامية الشاطبى - مع أن هذا النوع من الشعر أصعب طبعاً من الشعر التمثيلى - يمكنها بطبيعتها ان تواتى الشاعر العربى إذا نزع إلى هذا الشعر التمثيلى بكل ما يحتاج اليه من لفظ وتركيب

أما عدم سمو الخيال العربى عن إدراك تلك الغاية فامير الشعراء المرحوم شوقى بك قد برهن برواياته الشعرية على هذا السمو

تحت عجلة الحياة

بقلم الاستاذ محمود طاهر لاشين

— ١ —

فى يوم الجمعة الماضى - حوالى الساعة العاشرة صباحاً - قابلت صديقى صبحى مصادفة فى أحد تلك المقاهى المرصوصة تجاه حديقة الازبكية . والمصادفة هى الوسيلة الوحيدة للقاء ذلك الصديق القديم ... فجلسنا نتسامر ، وانه لسمير فذ فى تعدد نواحيه ، فهو فكه ذو دعابة ونكات ، وراوية أشعار وأخبار للاقدمين والمعاصرين ، وناقد لهؤلاء وهؤلاء عن علم وثقافة واسعة . وهو وحده فرقة تمثيلية كاملة ، يقلد المغنين فى حذق يدعو الى العجب والاعجاب - تساعده على ذلك كله ذاكرة قوية ، ووجه معبر ، وملاحظة دقيقة ، وصوت فيه حلاوة ، وقوام فيه طول

وسرعان ما تجلت تلك الشخصية الموهوبة فى أحلى ما تكون ، وراح الوقت يمر بنا حثيثاً شهياً . وانه لكذلك إذا به صمت فجأة ، وزر عينيه كأنما يقصد مرمى بعيدا ثم تضاغطت شفتاه فى اكتئاب ، فقلت :

— ماذا جرى ؟

فهز صبحى رأسه فى صمت حتى عيل صبرى فقلت فى حدة المغيظ :

— ما هذه الحركات التمثيلية ؟ !

فاجتذب صديقى كرسياً ومال عليه شأن من يطلب أكبر قسط من الراحة ثم قال :

— ما رأيك فى هذه الحياة التى يحركنا فيها القضاء كعرائس الاراجوز ؟

— أنا لا أظن ذلك ، وأعتقد ...

— لا تظن ذلك . كيف ؟ !

— كنت أود أن أقول لك اننى أعتقد أننا مسخرون فقط فى اتبــاع سنة الـ ... وجود عامة .. أو .. السنة العامة للوجود .. كما تشاء .. مثل الحياة من حيث هى .. ونمو أجسامنا .. ثم الموت .. أما فى حركاتنا الخاصة فلنا مطلق الحرية .. ومع ذلك فهذا موضوع جدلى عتيق مالنا نصدع رءوسنا فيه ! !

فصمت صبحى هنيهة وهو مغمض عينيه نصف اغماضة كمن يريد أن يستجمع ذاكرته ثم اعتدل فقال :

— سوف أقص عليك قصة ثم نتناقش

— قلها ، ولن نتناقش

فابتسم صبحى ابتسامة فاترة، ثم أشعل سيجارة ، وبعد أن جذب منها نفسين متعاقبين أكب على المنضدة التى بيننا وقال :

ـــ دخلت المدرسة الخديوية سنة ١٩١٤ ، فكان زميلى فى «التختة» تلميذاً كان يعد فى ذلك الوقت من أصغر التلاميذ سناً ، لا يتجاوز الثالثة عشرة . ولم تمض أشهر حتى تجلت فيه صفات ميزته عنا جميعاً . فهو شعلة ذكاء فى العلوم كافة . . كان اعجوبة الى الاعلى بقدرما كنا أعاجيب الى الاسفل باهر باهر . . . ومع ما كان يشترك فيه معنا ـ أحياناً ـ من الألاعيب الصبيانية ، فقد كان محبوبا كل المحبة من المدرسين ، يرعونه بعناية خاصة ويقترحون عليه اسماء كتب ومجلات ويناقشونه فيها كلما سنحت الفرصة

ـــ فى الوقت الذى كنت تأكل فيه « الخبز القفار » من أجل عدم قراءة الكتب المدرسية !

ـــ تلك حقيقة أيضاً كنت على وشك أن أعترف بها . على أنها لم تدم طويلا . لاننا لما انتقلنا الى السنة الثانية كنا أصدقاء ، فجعل يحبب الى الاجتهاد . فاجتهدت ، وتماديت حتى شاركته فى مطالعاته الخاصة . . وتوثقت الصداقة بينى وبينه فصرنا نتزاور فى دورنا ، حتى لقد تعارفت والدتانا عن طريقنا . وأحبه والدى . أما هو فكان يتيما مات والده من سنين ، على أنه ترك وقفاً يكفل العيش الـ... وسط ، لا .. فوق الوسط . كما ترك له خزانة كبيرة من الادب القديم ، وعلوم الدين والتصوف لأنه كان من علماء الازهر . . . ثم نجحنا فى امتحان البكالوريا . فكان من الاوائل طبعاً

وأطرق صبحى برهة ثم استدرك فقال :

ـــ آه . . فاتنى أن اذكر لك موقفاً لا أنساه ما حييت . . حدث ونحن فى السنة الثالثة أنه قام فى الحفلة التمثيلية يلقى « رثاء مارك انتونى لقيصر » بالانجليزية . فما انتهى من القائه حتى دوى المكان بتصفيق الاستحسان دوياً خفق له قلبى خفقاناً شديداً وأصر الجميع على استعادة القطعة وهو واقف يبتسم ابتسامة الفوز والخجل معاً . فلما ساد الصمت وجدناه يقول بالعربية :

يا صحب ! يا رومان ! يا أهل الوطن !

هيا ! أعيروا منكم الآذانا !

واسترسل فى القطعة شعراً جزلا ، فكانت مفاجأة جنت (الصالة) لها جنوناً ، وخرج معلم اللغة الانجليزية ثم عاد فاعتلى المسرح وقدم له نسخته من روايات شكسبير بين الهتاف والتهليل

وكان صبحى يسرد هذه الحادثة بحرارة وتهدج قيدا اليه سمعى وبصرى واهتمامى ، فلم استطع الا ان أقول :

ـــ ان فتاك هذا مشرف حقا !

ــ اذن فانتبه !

ــ ٢ ــ

ــ التحق هو بمدرسة الحقوق وأنا بمدرسة التجارة . ولكن ثورة سنة ١٩١٩ كانت قد انفجرت ، وأطلقت العواطف وألهبت المشاعر وفتحت آفاقا جديدة باهرة للاماني والآمال. وكان الطلبة روحها المتقد على ما تعلم ، فلم نهتم وقتئذ للمدارس بقدر اهتمامنا بالحركة الوطنية .. على أنه كانت تحدث فترات طويلة أو قصيرة كنا نعود فيها الى مدارسنا . ولكن الذى أدهشنى وأدهش الجميع أن روح الثورة كانت قد التهمت صديقى التهاماً . وكأن نفسه كانت قنبلة كامنة وجدت من يشعلها . فاذا بهذا الفتى الهادىء الوديع قد تنمر ، وأوغل فى الثورة . فهو قائد للمظاهرات وخطيب فى الميادين ، يكتب المنشورات النارية ، ويشترك فى الجمعيات . . سرية . . . وعلنية لا يبالى

فقلت وقد أهاج الحديث وجدانى :

ــ أين هو الآن ؟ بودى لو رأيته !

ــ أين هو الآن !؟

ولم يزد صبحى على ترديد سؤالى ، وتشاغل عنى بأن جعل ينعم النظر فى أقصى الميدان ، وكانت مركبات الترام تتعاقب فى سيرها فكان يتمايل يمنة ويسرة ، وبعد فترة قال :

ــ أجل كان ناراً لا تخمد !! وقد قابلته مرة على أثر اعتقاله فى سجن المحافظة فنصحت له بالهدوء قليلا ، وبأن لا يغفل مستقبله هذا الاغفال . فامتعض ثم قال فى لهجة جبارة : « نحن الان فى ثورة للوطن ، يجب أن نكون جنودها والمستقبل فى يد الله » ! ! وكانت خطته هذه سبباً فى أننى عدت لا أراه كثيراً ، لأننى فى الواقع لم أوافقه على هذا القدر من التحمس . وكنت أوجس خيفة عليه لا سيما بعد أن علمت أنه أصبح يحمل مسدساً ! !

واضطر صبحى الى أن يقف حديثه . ذلك لان رجل البوليس الذى كان منذ جلست واقفاً ينافس عمود الترام فى استوائه وصلابته ، خيل اليه فجأة أن يحفظ النظام من هرج الباعة الجوالين ، والسائلين الملحفين ، وانها لفكرة حميدة مجيدة يشكر عليها ، ولكنه راح يعدو خلف هؤلاء وهؤلاء بساقين طويلتين اتضح أن لكل منهما قدماً يمنى ، وبخيزرانة فى يده ، فأحدث هجومه « الدون كيشوتى » ، من الذعر الهائل والفزع الاكبر ما اضطر كثيرا من الجالسين الى التدخل فى تلطيف عزته الحكومية ، وفى اعلان السلم فى الباعة والشحاذين حتى استتب النظام وعاد الى ما كان عليه قبلا

واستأنف صديقى الكلام بقوله :

ـــ الى أين وصلنا ؟ آه . . ذكرت

وصمت فترة يستجمع ذاكرته ثم قال :

ـــ ومن العجيب أن وجه صديقى قد تغير ! فتوارت عنه تلك الوسامة الصبيانية وحلت محلها نظرة غضبى . وشفتان فيهما معنى الاصرار والتحدى . .

ـــ إنها لشخصية غاية فى الغرابة

فتنهد محدثى وقال :

ـــ أجل ! هو ذلك ... وسارت الأيام والأشهر به على هذا النحو . ثم سمعت عنه أمراً لم أصدقه مطلقا . . بتاتاً . ثم تبينت أنه الحق الصراح ...

وصمت فترة أخرى

— ٣ —

ـــ كان قد اعتاد أن يأوى هو وجماعة من أنصاره الى بار فى شارع المهدى يديره أحد «أولاد البلد» ، ليتواروا فيه عن الانظار والشبهات فى تدبير شؤونهم . وفى البار بعض بنات الهوى . رانهم لجالسون ذات ليلة واذا جند من الانجليز قد داهموا البار ، وشرعوا يفتشون من فيه ، وذلك على أثر مظاهرة عنيفة قتل فيها جندى انجليزى . وكان مع صديقى مسدسه ـ كما قلت لك ـ فارتبك . . .

ـــ أى ارتباك !!

ـــ وأخرجه من جيبه لا يدرى ماذا يصنع به . ولكنه أحس بيدٍ تناولته من وراء ظهره!! وتم التفتيش وانصرف الجند فى سلام ... هل تدرى من أخذ منه المسدس ؟

ولم ينتظر جواباً ، بل قال على الفور :

ـــ احدى البنات !! واخفته خلسة فى أحد أدراج البنك!

ـــ انها لبطولة !!

ـــ وقد شرب الجميع نخب هذه البطلة . . على حساب صاحب البار

فقلت مداعباً :

ـــ وانه لبطل !

ـــ والنتيجة الطبيعية ، هى أن صديقى أولع بحب منقذته وصار يتردد على البار ليل نهار . وأصبح بين حبه وواجبه بوهيمياً لا يعبأ بالليل ولا النهار ، حتى ولا بمظهره . وقد قابلته فى هذه الفترة مرات وكنت أحمل اليه توسلات أمه المسكينة فما كان يذعن أو ينتصح

وأردت وقتئذ أن أقول شيئاً أرثى به حال تلك الام فلم تسعفنى الكلمات فاكتفيت بأن هززت رأسى أسفاً . وأدرك صبحى ذلك منى فقال :

— فما بالك حين تعلم أن الأمر قد انتهى به الى الزواج منها ؟ !

ثم تمهل - وكأنما ذكر شيئاً فجأة - فضرب المنضدة بسبابته وقال :

— وما رأيك فى القضاء والقدر ؟ !

— دعنا . دعنا . استمر

— ليس بالعجيب أن يحب فتانا فتاته ، ولا هو أول من تزوج بمثلها . وانما العجيب الى حد بعيد أن تسفر هذه الزيجة عن حب أكيد متبادل ، وسعادة منزلية شاملة كاملة . وقنع صديقى بحبه وبيته وهدأ تدريجياً . . تدريجياً ، حتى كاد لا يأبه بالحركة الوطنية - وكانت حدتها وقتئذ هدأت أيضا - وعاد الى مطالعاته والى وصل من كان أهملهم من أصدقائه

— لا سيما أنت طبعاً

— طبعاً . . وفى هذه الفترة اتصل بصديق قديم لوالده كان له مركز كبير فى المالية ، فألحقه باحدى الوظائف تحت رياسته . وعاش الفتى قرير العين .. سنة .. أكثر من سنة . وزوجته تربه من أصناف الحب والتدبير والترتيب ما يعجز عنه الوصف

فقلت :

— ان المرأة إذا احبت . . .

فأتم صديقى جملتى بقوله :

— حركت عصا موسى !

فضحكنا واستطرد يقول :

— ثم ان حركة غريبة بدأت من جانب رئيسه ، فصار يلمح لصديقى بأنه يعرف كنه زيجته ثم تمادى فجعل من هذا الموضوع ميدانا لدعابات بعضها لاذع.. وكثيرا ما شكا الى



. . . وجعل ينصحه بماله من حق الابوة . . .

صديقى ! أمره فى ألم وغيظ ، وصرح بأنه اذا استمر الرجل فى سخفه هذا أخرس لسانه مهما كانت العاقبة . وكأنما شعر الرئيس بهذا فدخل فى الموضوع الذى كانت هذه مقدماته ، وجعل ينصحه ، بما له من حق الابوة ، بأن يجعل حدا لتلك الحياة التى يحياها ، وأن يعلم أن الحياة ليست حلما شعرياً ولكنها حقائق مادية تتطلب السعى الجدى من الطرق المؤدية اليها مباشرة ، وأن أقرب تلك الطرق وأضمنها نجاحا ـ فى نظره وبعد تجاربه ـ انما هى الاتصال الوثيق بعلية القوم واصحاب الحل والعقد فى الامور . وجعل يضرب للفتى على هذه النغمة يوما بعد يوم ، وأكد اخلاصه بأن جعل يدعوه الى داره . ثم أظهر رغبته فى أن يدعو الفتى والدته للتعرف بحرمه المصون . . ثم علاوة استثنائية . . ثم دور المسيو دوفال مع غادة الكاميليا . . ثم الزواج . . .

وكان صبحى يسوق كلامه الأخير كراً ، فلم استطع الا ان أقول :

ــ بمن ؟

فتراجع صبحى فى جلسته وقال :

ــ ليس بابنتى على كل حال أيها الابله . . .

ــ فهمت

ــ الحمد لله

ــ استمر

وعاد صديقى يزر عينيه وينظر فى أقصى الميدان . . ونظرت معه فلم أبصر شيئا خاصا ، فلم أشأ أن أسأله . واشعل صديقى سيجارة فى بطء ، وبعد أن ملأ من دخانها رئتيه ، وارسل الدخان كثيفا فى الهواء وهو رافع رأسه الى الأعلى استطرد فقال :

ــ ليت الامر وقف عند هذا الحد !

ــ ٤ ــ

وبعد نفس آخر من سيجارته وفترة صمت قال :

ــ تزوج فتانا من ابنة رئيسه . . لكى تطمئن . وكانت هدية الزفاف أمراً اداريا بترقيته رئيس أحد أقلام الحسابات !!

ــ ما اعظم الهدية !

ــ وأرخصها أيضاً . . ما علينا بهذا . وهكذا قفز صديقى من طبقتنا المتواضعة إلى طبقة الأعيان . وترك مجالسنا بما فيها من وجع الرأس فى تاغور وبتهوفن ، وتسمية اليوم الذى بين الأربع والخميس ، وتصميم المشروعات الفاشلة ، وتأليف الجمعيات المحلولة الى ما هو أشهى وامتع للنفس . وكانت زوجته ـ وقد رأيتها مرارا بادىء الامر ـ أشبه بعرائس المانكان ، التى نراها فى الفترينات وتتبدل عليها الموضات بنفس السرعة !!...

ولكنني قاطعت محدثي لجأة بقولي :

ــ ولكن زوجته الاولى ؟!

فاغتاظ من قطع سياق الرواية عليه وعاجلني بقوله :

ــ ألم أقل لك إنه طلقها ؟!

ــ نعم . ولكنني أقصد أين . . . أقصد ماذا تم فى أمرها ؟ أعنى . .

ــ آه ، آه . .

وتريث ، ورمى السيجارة قبل أن يتم تدخينها ، وقرب ما بين معالم وجهه ثم بسطها وقال :

ــ لقد اختفت . . ذهبت إلى حيث لا يعلم إلا الله . على أننى أؤكد لك أنه من عجيب أمر هذه المرأة أنها لم ترجع إلى ما كانت عليه . فقد كنت فى هذه الأثناء قد تخرجت من المدرسة وتوظفت ، وبدأت أغشى تلك الدور والأنحاء وأسأل عنها فلا أراها أو أعلم عنها شيئاً !!

فقلت وقد نالت منى المرثية لها :

ــ إن أمر هذه المرأة لحزن عجيب !

فقال صديقى : « نعم » بنبرة الألم الشديد ثم قال :

ــ ومضى عامان تقريباً ، ثم ظهرت لجأة أمام القضاء بتهمة أنها دخلت مع أحد أعيان الريف منزلا سرياً ، فلما ثمل سرقت منه مبلغاً جسيما من المال . . وحكم عليها بالسجن سنتين . ثم . . ماتت بعد أن قضت منهما أشهراً

فقلت وقد أحسست بمس فى قلبى أليم :

ــ نهاية ميلو درامانيك !

فزفر صبحى زفرة طويلة وقال :

ــ ولكن ليس لنا إلا أن نسردها . وقد اهتممت بقضيتها ، وعلمت من تفاصيلها أنها كانت طوال هذه المدة تعيش مع قريبة لها عجوز عيشة شريفة منزوية ، وكانتا تقتاتان من تفصيل الملابس لنساء الطبقة الفقيرة . . . العمال وما أشبه . . . حتى لقد دهش جيرانها من فعلتها هذه . وأؤكد لك أيضاً أن صديقى هو الذى كان ينفق على القضية ويشرف عليها خفية . . ومع أننى لم أكن أراه فى عهد زواجه إلا نادراً ، فقد تبينت تماماً ـ رغم كتمانه وحرصه على مظهره ـ ان هذه الحادثة قد هدمت نفسه هدماً . وصدقت فراستى بأكثر وأروع مما ظننت . . لكى تقول إننا أحرار فى حركاتنا وتكيف حياتنا !!

فلم يسعفنى القول فظللت صامتاً ، وظل كذلك يرمقنى بعين المغيظ . . ثم قطعت الصمت الكريه بقولى :

ـــ وبعد ؟

ـــ وبعد ؟ إنى لجالس يوماً فى منزلى .. قرب المغرب .. وإذا بصديقى جاء يزورنى . ولم أكن على موعد منه أو انتظار له ، ولكنه تشوق إلى ـ على حد قوله ـ ولأول مرة شعرت بالخجل من استقباله فى غرفتى لحقارتها بالنسبة إلى ما رأيته فى منزله .. أى أثاث ، وأى ترف ، وأى أبهة !! وهممت بأن اعتذر له ، ولكنه سرعان ما أخذ يتكلم ، وينتقل من موضوع إلى موضوع ، ومن مكان فى الغرفة إلى مكان ، وعمد إلى مكتبى يتصفح ما عليه من الكتب وهو واقف ثم قال : « أوه ! لقد سبقتنى كثيراً ، ولكننى عزمت على أن ألحق بك » .

ثم جلس ، فأحدثت الاسلاك الداخلية للمقعد أزيزاً مسموعاً ، فضحك ، وآلمنى ذلك منه . فقلت له فى عتاب ظاهر : « أنت الذى أفسدت المقعد من كثرة ما جلست عليه حينما كنت تذاكر هنا » . وأدرك المرارة فى كلامى ، فقال وهو لا يكاد ينظر الى خجلا : « وهل أنسى ذلك ما حييت ؟ ! تلك الايام اللذيذة ، اللذيذة .. من لنا بها مرة أخرى ؟ ! » .

وضغط أسنانه حتى برزت عظام فكيه . فقلت أتابع تأنيبي له : « ها هى موجودة الى الآن . فهل لك أن تأخذ منها ما تريد ؟ » فضرب متكأ المقعد بقبضة يده وقال : « قلت لك انى سألحق بك فى كل شىء .. فى المطالعة وفى القهوة ، وفى كل شىء .. سنرجع الى ما كنا عليه تماماً . تماماً ! ! » فحملقت اليه لأننى أيقنت إذ ذاك أنه فى حالة عصبية غير عادية وقلت : « ما معنى هذا ؟ » فنهض واقفاً وقال فى هيئة من اندفعت الالفاظ من فه برغم نفسه : « لقد طلقتها ! طلقتها ! » وتحشرج صوته ، فذهلت من هذه المفاجأة ، وقبل أن أسترد نفسى كان يعدو على السلم عدواً دون أن يكترث لندائى

وأطرق صبحى اطراقاً طويلا ، واستصوبت أن أترك له فرصة اشباع نفسه بهذه الذكرى . فتشاغلت عنه بتصفح مجلة كانت أمامنا ، ولكننى ألفيته بعد فترة يقول : « هللو يا . هللو يا » فقلت ولم أرفع اليه بصرى :

ـــ وما هذا أيضاً ؟

ـــ هذا صوت عجلة الحياة ، وقد تأهبت لتسحق صديقى

— ٥ —

ثم عاد فقال كمن يقرأ من كتاب : « هللويا . هللويا ما اجمل دنيانا التى لا تعرف ركوداً ولا خموداً ، دنيانا التى يصفر الفضاء من حولها ، ويستتر فى ضميرها ، ويكذبها فى كيانها ، وهى التى تكذبه . ولعلها تخفى عينيها وهى خاشعة صاغرة .. هي الصبور بما عليها ، وهي الجميلة التى

تحمل معنى الكيان الوحيد . ما أجملنا نحن البشر الذى يغنى فيه ، ونحن نعرفه ! هللويا . . أيتها الشمس الحامية ، يا ذات الصدر الوضاح ، وابعثى فينا حياة ونورا ، وتغلغلى فى نفوسنا وقرانا الطينية . . أى قدر قادر على أن يحجز احلام اطفالنا تحت ضوء القمر . هللويا . هللويا . . . »

وكنت اصغى اليه اصغائى الى ساحر لا أفقه ما يتمتم به ، فلما فرغ مال الى وقال :

ــ هل تدرى ما هذا ؟

ــ لا ادرى ، ولا افهم له معنى

ــ هذا ما جاء فى ذيل خطاب ارسله الى صديقي عندما اقصوه الى اسيوط . . ولا غرو ، فالذى يبنيه الزواج . . .

ــ يهدمه الطلاق . . .

ــ بالضبط . ثم انقطعت أخباره عنى اشهرا . واتفق أنى قابلت رجلا أعرفه من أسيوط فسألته عن صديقى ، فتجهم وقال : « ما هذا المخلوق العجيب ؟ انه لدائم الكتابة والانزواء ويتعالى على الناس اجمعين . واذا كلمناه انساب فى فلسفة صوفية لا تدرى كيف يرص الفاظها بعضها إلى بعض ! انه اما أن يكون سخيفا أومختل العقل . . . بردون ! » وحاولت أن أقنعه بغير ذلك فأبى

ــ هذه دائماً فكرة أشباه المتعلمين فيمن يعلو فوق مستوى عقولهم . .

ــ انتظر ! مرت على ذلك أشهر أيضاً . وفى يوم جمعة ــ مثل يومنا هذا ــ جاء الخادم يوقظنى قبل الساعة السابعة صباحا على غير عادة طبعاً ، ويخبرنى بأن شخصاً يريد مقابلتى ، ويلح فى ذلك ، وكنا فى أواخر الشتاء والجو ما زال بارداً عابساً ، فأسرعت الى غرفة الاستقبال بقدر الامكان فاذا بى أرى صديقى ! وتبينت فى الحال أنه فى أسوأ ما عهدته صحة ، على أنه تكلف البشر وهو يصافحنى ، فكان التكلف ظاهراً ، وسألته عن سبب مجيئه . . أتعرف ماذا قال ؟

ــ فى الحقيقة يا عزيزى اننى لا أريد أن أعرف . .

ــ قال وقد خذله جلده الى حد كبير : « جئت لاسألك عما اذا كان القانون له الحق فى أن يعيد نظر قضية ما . . بعد أن يكون انتهى منها تماماً . . » ولما أدرك دهشتى عجل فقال وهو يضحك ضحكة جوفاء : « المسألة لا تخصنى بالمرة . . انها لزميل طلب الى ذلك . » فاعترانى شعور بخوف غامض . ولكننى غالبت نفسى وقلت : « ألهذا فقط أتيت ؟ وما هى التفاصيل ؟ » فاربد وجهه ثم ابتسم ابتسامات متتابعة وشرعت أحداقه المتسعة تختلج بكيفية غير طبيعية وقال : « لا داعى لاى تفاصيل ! » ثم رجا منى ان أقفل الباب منعاً للتيار ، ففعلت واعدت سؤالى مرة أخرى فقال فى هيئة غير المكترث بادى الرأى ، ثم صار التعمل يخونه شيئا فشيئاً : « زميلى هذا زوج

زيجة تعسة . تعسة جدا . وعلاوة على فراغ حياتهما من أى حب حقيقى . كانت زوجته مسرفة قاسية فى الاسراف كل القسوة . وكان المسكين ـ أقصد زميلى ـ مضطراً ان يجاريها ليحفظ مركزه » وهنا رج الهواء الباب فلحظت انه رمقه بنظرة تدل على الغضب واليقظة . ثم أمرنى ان أحكم اغلاقه معتذراً بالتيار أيضاً ، فاجبته الى ما طلب ، رغبة منى فى ان أعرف ما وراء الاكمة . ونسى او قل إنه حاول تغيير الموضوع ، ولكننى مهدت له سياقه فقال: «وكان من اسراف تلك الزوجة ان . . ان . . ان امتدت يده . . هو . . إلى أموال كانت فى عهدته بحكم وظيفته . . فلما قرب ميعاد الحساب الختامى خاف الفضيحة . . ألا يكفيك . . انى متعب . . انا مريض . . » لجبت اليه الاستمرار . فقال والامتعاض الشديد باد على وجهه : « ولكن امرأة كانت . . كان . اى امرأة . . انا لا أعرف التفاصيل تماماً جاءته بهذا القدر من المال . دون ان يشعر احد . وظهر هو امام الناس بمظهر الرجل الشريف . اما المسكينة فقبض عليها وحوكمت وسجنت . . واقسم . . ان زميلى . . نعم . . كان قد عقد النية بينه وبين الله على ان يتزوج منها بعد خروجها . ولكنها . . » وهنا فتح الخادم الباب ليقدم القهوة فصمت وهو محملق العينين . وقال بالانجليزية : «هؤلاء الناس غير امناء !! » واحتسى القهوة فى رزانة متكلفة فلما خرج الخادم قال: « والآن اسمع! إذا كان البوليس فطن الى حقيقة الامر فاذا تكون العاقبة ؟ » وأنت ترى انه لا زميل هنالك وأن المسكين انما يعنى نفسه فى خباله . . تصور !!

ــ انه لموقف يفتت الاكباد !

ــ لا يمكننى أن أعطيك صورة صحيحة عما كنت فيه من الذهول والحزن والحيرة وأنا اصغى اليه . وأرى ما حل به ! ولم أدر بل لم أستطع أن أقول له شيئاً فساد علينا صمت ضعفت نفسى عن احتماله . وخشعت عيناى حيال منظر صديقى . زين الشباب حقا وهو جالس أمامى منكمشا . محطما . ذليلا . مرعوبا . مطأطىء الرأس ليخفى وجهاً مصفراً مغبراً كوجوه الموتى . . .

ــ هذا كثير ! . . كثير جداً !

ــ أخيرا ، خيل الى أن احسن ما يتبع معه هو أن اوقظ فيه روحه المعنوية . فقلت له بصراحة : « اسمع ! انك واهم . ولو تماديت فى وهمك هذا اضررت بنفسك ضررا بليغاً . فكن رجلا واطرد عنك هذه الافكار السوداء ولو من أجل والدتك المسكينة التى ليس لها فى العالم سواك . اكرر القول بان هذا وهم أنت قادر على التغلب عليه ، واعلم ان البوليس . . » ولكنه قاطعنى على الفور يقول فى لهفة وتوسل : « لا . لا . لا تصح هكذا ، البوليس بالباب . . انه كان معى فى القطار . . وتبعنى من المحطة الى هنا ، وقد سمعتهم يغرون المارة بحتى الاوتوموبيلات . . صحيح . . ويقولون انى لص . . وتسببت فى قتل امرأة بريئة » ودخل الخادم مرة اخرى . فا

رأيك فى ان المسكين ثاب الى رشده فى الحال وقال وهو يضحك : « اننى جئت لازورك فقط » فما ان خرج الخادم حتى قال فى حيرة شديدة : « أرأيت ؟! هذا هو البوليس قد ارسله ليرانى » واستمرت الحال هكذا حتى خيل الى انى قد اسىء اليه بجدالى معه فارسلت الخادم خفية فى طلب طبيب يعرفنى ويعرفه ، ولم تمض ساعات حتى كان فى مستشفى المجاذيب ..



ها هو ذا ! هناك عند ناصية الحديقة ، هذا المتكىء على عمود المصباح

فلم استطع الا ان أقول :

— ليتنى لم اقابلك اليوم ..

فصمت صبحى فترة ثم قال فى تهكم مرير :

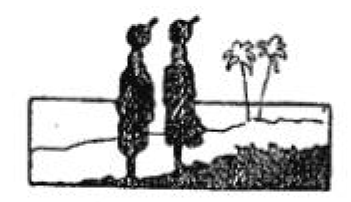
— طلبت إلى منذ حين ان تراه . فهل تريد ذلك الآن ؟ ها هو ذا ! هناك فى جانب الحديقة ، هذا المتكىء على عمود المصباح .. ارأيته ؟؟

— اتعنى ذلك الذى يلبس الردنجوت ؟

— نعم هو عينه .. لقد خرج من المستشفى وبه هذا النوع من الذهول

وكأن صلة مغناطيسية جرت بيننا وبينه ، فتحرك ، واخذ يسير على الرصيف المقابل ببطء ويتوكأ على عصاه وهو شاحب مهدم . فلما اقترب طأطأ صبحى رأسه ، وتابعته بنظرى حتى اختفى

محمود طاهر لاشين



سير العلوم والفنون



تخدير الحيوانات بالكهربائية قبل الذبح

اخترع المسيو جيشارد الفرنسي جهازاً كهربائياً لتخدير الحيوانات قبل الذبح منعاً للآلام التي تعانيها الناشبة في أثناء ذبحها ، وذلك بتسليط تيار كهربائي يخدر الحيوان لمدة تتراوح بين ثلاث وثماني دقائق ، وهي مدة كافية لاجراء عملية الذبح . وترى في الصورة طريقة استعمال هذا الجهاز الجديد

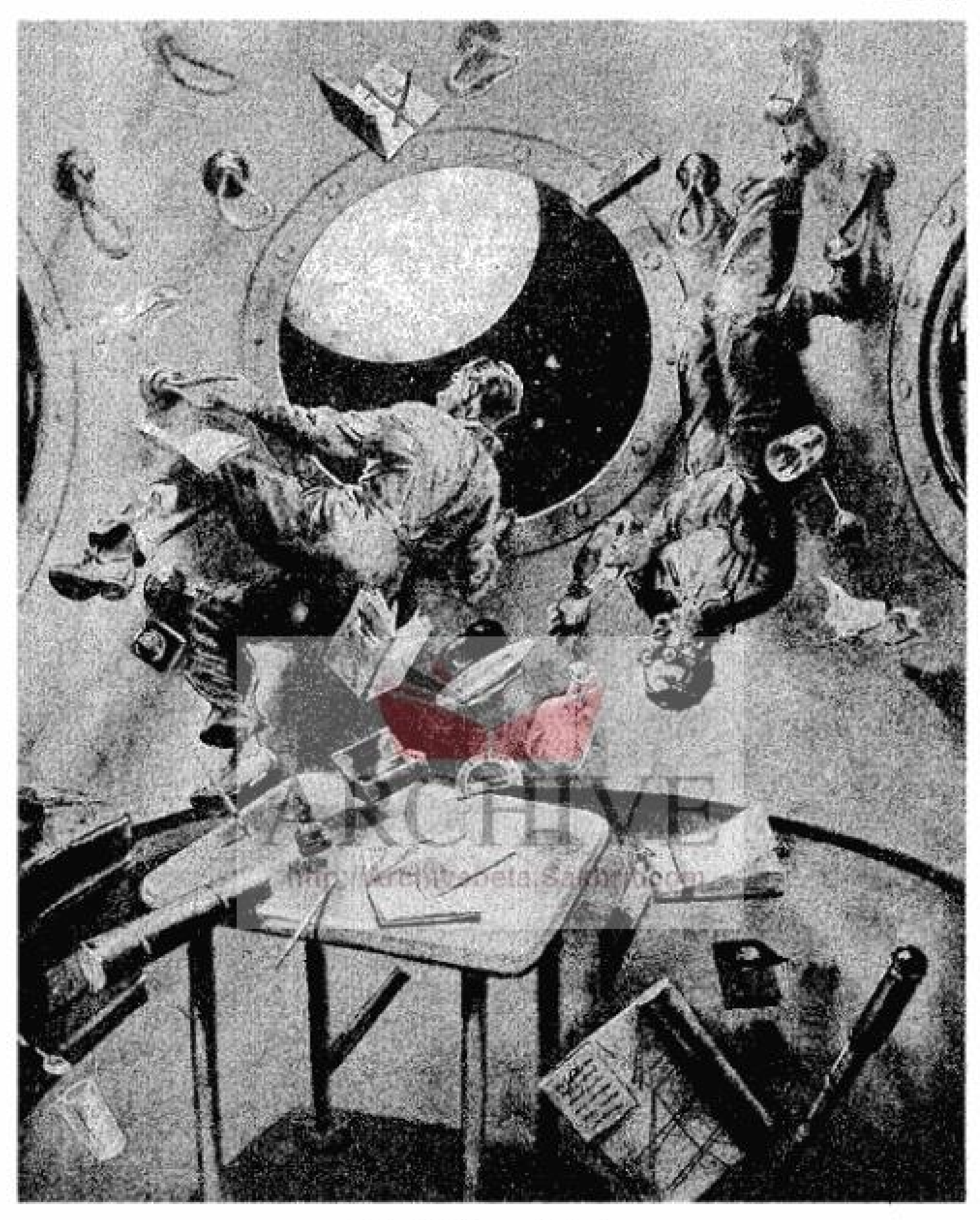


الشفق القطبي

يعد الشفق القطبي من أغرب وأجمل الظواهر الجوية ، ويسمى حين يحدث في القطب الشمالى « Aurora Boralis » وفي القطب الجنوبي « Aurora Australis » . وقد توصل العلماء الى تفسير حدوثه بأن الشمس ترسل كميات عظيمة من الذرات الكهربائية تجتذبها مغناطيسية الارض وتتجمع عند القطبين فينتج من احتكاكها بجزيئات الهواء ان تسخن الجزيئات وتشع ضوءاً

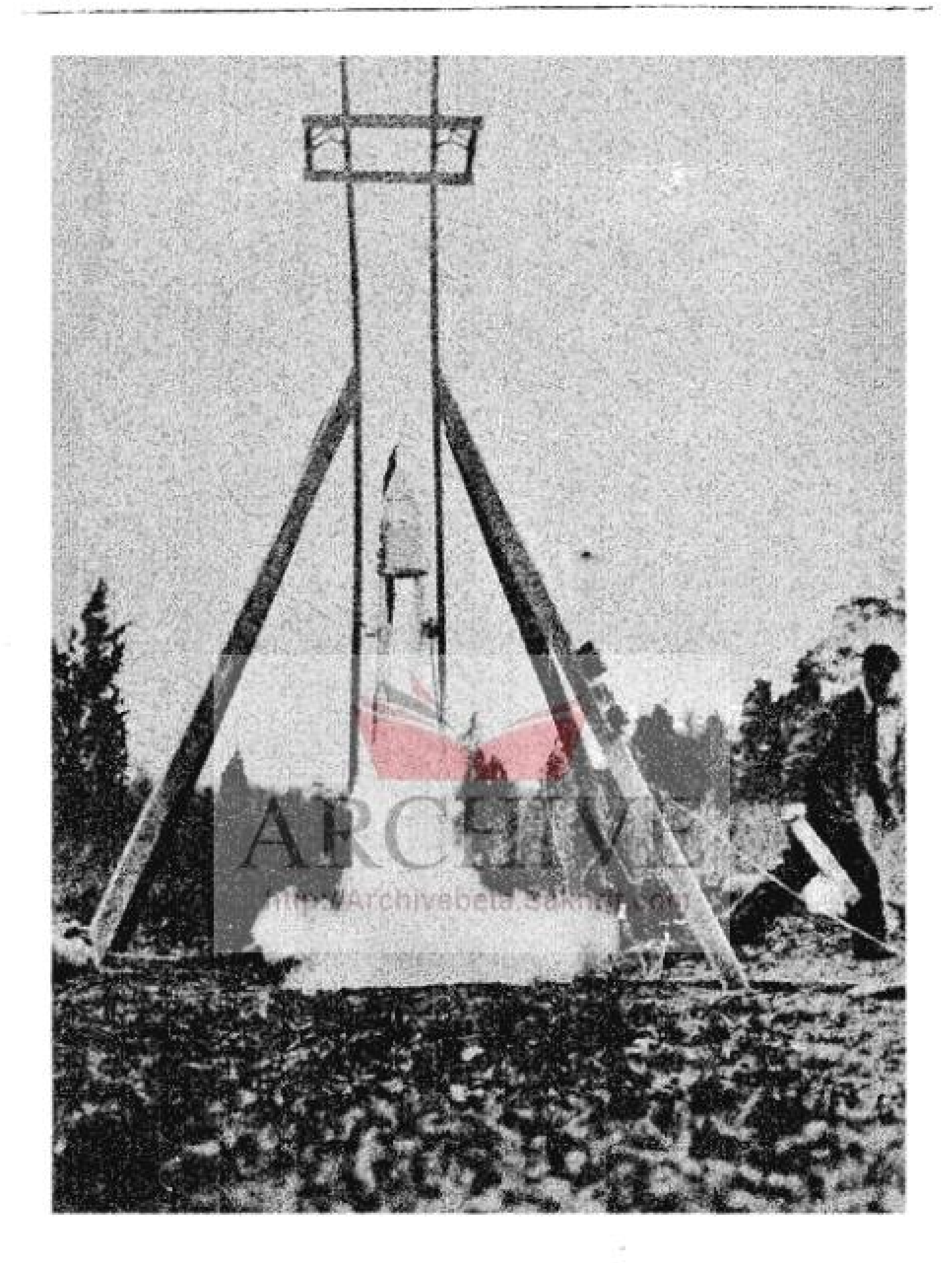


ويختلف الشفق كثيراً في مظهره اذ يظهر في اشكال متعددة مثل قوس او شريط او أشعة أو ستائر مسدلة ، ولذلك يعنى العلماء الفلكيون بتصويره في مختلف اشكاله . وقد توجهت في الشتاء الماضي بعثة المانية الى القطب الشمالى فتمكنت من تصوير شريط سينمائي للشفق سجلت فيه الاطوار التى يمر بها وتمثل الصورة العليا مظهراً للشفق في أشد حالات تألقه على شكل ستار مسدل في الجو . أما الصورة التى الى اليمين فتمثل مظهراً آخر للشفق على شكل سحاب منتشر



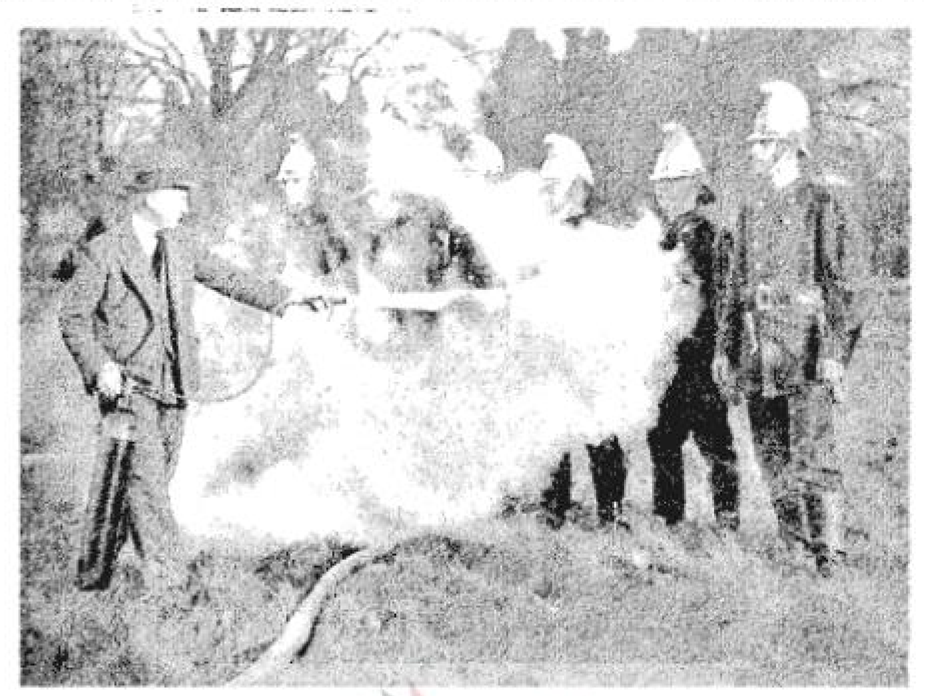
في اثناء رحلة الى القمر

كثر الكلام في السنين الاخيرة عن القذائف الجوية وما يرجوه لها العلماء من نجاح في الوصول بها الى القمر وقد تخيل الدكتور داروين ليون — أحد الباحثين في هذا الموضوع — خروج القذيفة عن نطاق جاذبية الارض فينعدم وزن الاشياء وتسبح في الهواء في أي وضع توضع فيه . وتسرى هذه القاعدة أيضاً على الركاب أنفسهم فيسبحون في جو القذيفة الداخلي ويثبتون انفسهم في الوضع الذي يريدونه بواسطة التعلق بحلقات مثبتة في جدار القذيفة الداخلي



قذيفة جوية من نوع جديد

يحاول العلماء الآن استكمال القذيفة الجوية التي تدفعها الصواريخ أو الانفجارات المتتالية وقد جربت قذيفة جديدة في ستوكتون بامريكا استعمل فيها الاوكسجين السائل كدافع لها على الحركة فاسفرت النتيجة عن نجاح عظيم اذ بلغت القوة الناتجة ٤٠ حصاناً مع أن زنة القذيفة والسائل الذي تحتوي عليه لم تزد عن رطل واحد . وتمثل هذه الصورة تجربة هذا النوع الجديد من القذائف الجوية



اطفاء النار بثاني اكسيد الكربون

جرب في لندن أخيراً استعمال غاز ثاني اكسيد الكربون في اطفاء النار المسببة عن اشتعال الزيوت والمواد الكيمياوية فنجحت التجربة تمام النجاح . وتمثل الصورة بعض رجال فرقة مطافيء لندن وقد اصطفوا واطلق عليهم الغاز من جهاز خاص لاثبات أن الغاز لا يؤثر في ملابس رجال المطافيء أو يتلفها



يخت الجليد

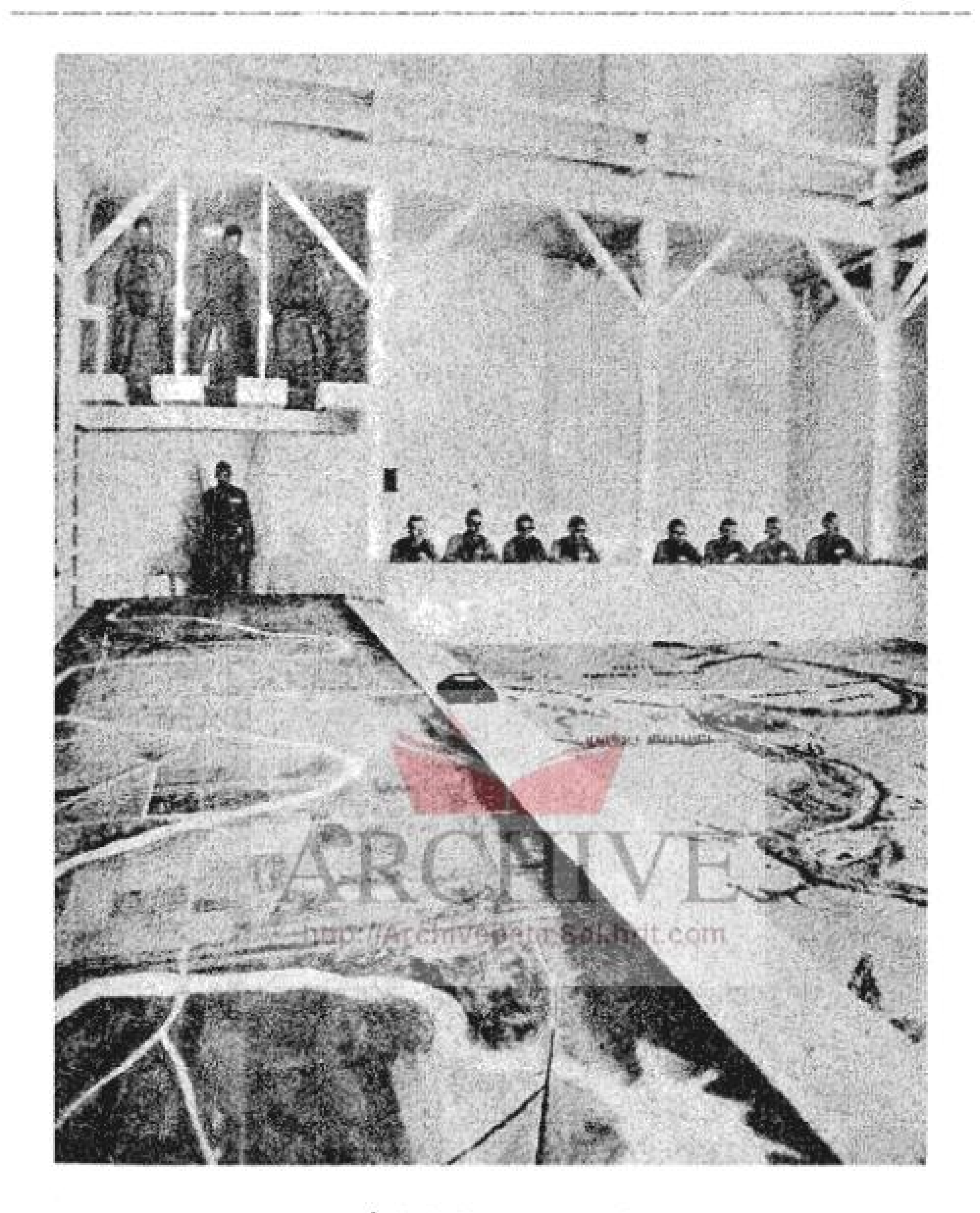
تمثل الصورة التي الى اليمين قارباً حديثاً للمسابقات فوق الجليد وهو مصنوع على نمط السيارات من حيث القيادة اذ يرتكز على ثلاث زحافات صغيرة تعمل الاثنتان الاماميتان منها كما تعمل طارتا السيارة الاماميتان



غاز لمقاومة اللصوص

اخترع المهندس الالماني هنشكه جهازاً جديداً لمقاومة اللصوص الذين يسطون على السيارات فينشلون ما فيها من اشياء ثمينة ، وذلك انه يربط الشيء الثمين بخيط يصله بالجهاز حتى اذا ماشل اللصوص شيئاً جذبوا الخيط فيخرج من الجهاز غاز خانق أو مدر للدموع فيضطر السالطون الى ترك القنية والهرب بالفرار .

وتمثل الصورة تجربة هذا الاختراع وقد انتشر الغاز الكثيف حول السيارة



في مدارس الطيران الحربي

تتبع الولايات المتحدة خطة جديدة في تمرين طلبة الطيران الحربي على القاء القنابل من الطيارات على هدف معين. وذلك بأن يقف الطلاب في غرف صغيرة كغرف الطيارات في (يسار الصورة) وتمر أمامهم وتحتهم المناظر الطبيعية مصغرة بما فيها من أنهار وجبال وحقول ووديان فيشعر الطالب كأنه في طيارة تمر فوق هذه المناظر وفي اللحظة التي يراها مناسبة لالقاء القنبلة يحرك جهازاً في غرفته . فان كان حسابه مضبوطاً اضاء مصباح كهربائي (في وسط الصورة) دلالة على اصابة الهدف . بينما يتمرن طلبة آخرون (في يمين الصورة) على مراقبة حركات الجيوش على مناظر ثابتة

نظرية سديمية جديدة

لا يخفى أن النظرية السديمية تقول بأن السيارات التي تدور حول الشمس كانت في الاصل جزءاً من الشمس انفصل عنها وتاثر بسبب جاذبية نجم هائل مر منذ ملايين الاحقاب على مقربة من الشمس واحدث فيها مداً هائلا ثم انفصل ذلك الجزء الثاني من الشمس ومنه نشأت الارض والسيارات ، الى آخر هذه النظرية المعروفة

الا ان العالم برلاج الهولندي قد جاءنا الآن بنظرية جديدة هي موضوع بحث علماء الفلك في جميع انحاء العالم واذا صحت فستقلب كثيراً من النظريات العلمية الفلكية رأساً على عقب

يقول الاستاذ برلاج إن المباحث والعمليات الرياضية الدقيقة التي قام بها قد اقنعته بأن النظرية السديمية لاتستند الى شيء من الحقيقة وكشفت له القناع عن نظرية أخرى مؤداها أن السيارات نشأت من قرص سديمي كان محيطا بالشمس وحافته تمتد الى منطقة السيار المعروف الآن باسم نبتون . وتركيب هذا القرص يجعل كثافة أجزائه تختلف وهذا مؤيد بالحسابات الفلكية التي لايتسع المجال لشرحها . ومن تلك الأجزاء المختلفة نشأت سيارات تختلف في كثافتها باختلاف الجزء الذي تولدت منه . فالجزء الأقرب الى الشمس كان (كما يجب أن يكون بمقتضى الحسابات الدقيقة) اكثف من غيره ، ومن هذا الجزء نشأت الارض وهي تقريباً اكثف السيارات المعروفة . ومن الاجزاء الاخرى نشأت السيارات الاخرى واحتفظ كل منها بكثافته النسبية ولا يزال محتفظاً بها حتى الآن

والنظرية الجديدة تشرح غوامض فلكية كثيرة كان يصعب تعليلها حتى الآن ، وقد اكب علماء الفلك في انحاء كثيرة على درس هذه النظرية، وصاحبها من علماء الفلك المعدودين في العالم

سبع عجائب طبية

المتفق عليه بين جمهور الاطباء ان أعظم الانتصارات التي وفق اليها الطب في العصور الحديثة هي السبعة الآتية نذكرها بحسب ترتيب أهميتها :

١ - ايجاد المناعة ضد بعض الامراض
٢ - التخدير
٣ - اكتشاف أنواع الفيتامين المختلفة واظهار علاقتها بالتغذية
٤ - اكتشاف وسائل لمنع تسمم الجروح وفسادها
٥ - استخدام الاشعة ووسائل التهوية
٦ - معالجة أعضاء الجسم بمواد صناعية تحل محل المواد الطبيعية كمعالجة الأنيميا بخلاصة الكبد ومعالجة المصابين بالسكر بمادة الانسولين
٧ - جراحة القلب والدماغ وأعضاء الجسم الصناعية

النحل الولود

يقول السر ليونارد هيل من أساتذة المعهد الطبي بانجلترا ان النحل الذي يشتار طلع الازهار

الغنية بالفيتامين «ه» او «E» يصبح ولوداً لان هذا الفيتامين هو العامل الضرورى لجعل النوع او الكائن بحى قابلا للتناسل والتوالد. وأما النحل الذى لا يقتات بالفيتامين المذكور فيصاب بالعقم ويصبح من الفئة المعروفة بين جماعة النحل «بالعمال»

تأثير الكوارث القومية

لا شك ان الكوارث القومية كالحروب والمجاعات والزلازل والضائقات المالية تؤثر فى صحة الشعب أسوأ تأثير. وقد تدل الاحصاءات الطبية فى سنة من السنين على نقص عدد الوفيات وزيادة نسبة المواليد وما إلى ذلك من الامور التى تدعو فى ظاهرها إلى الارتياح، ومع ذلك تكون بعض الكوارث القومية قد أحدثت اسوأ الاثر فى صحة الامة بوجه الاجمال. وهذا الاثر لا بد أن يظهر جلياً فى الجيل المقبل

مخدر جديد

اكتشف الاطباء حديثاً مخدراً جديداً يصلح للاستعمال فى الجراحة وهو أقوى من المورفين خمسة أضعاف. وأول من استعمله الالمان وقد أطلقوا عليه اسم ايدرو كلوريد البيدرو مورفين. ويمتاز هذا المخدر عن غيره بانه فضلا عن قوته على منع الشعور بالالم لا يترك بعد استعماله أى أثر أو ميل إلى ادمانه. وهذا خلاف المعروف عن مادة المورفين فانها تترك بعد استعمالها فى العمليات الجراحية ميلا غريباً الى ادمانها لانها توجد شعوراً لذيذاً بخلاف المادة الجديدة فانها لا تترك أى أثر من هذا القبيل. ويقول أساتذة معمل «كنول» الالمانى وهم الذين ابتكروا هذا المخدر انه يمكن شفاء عادة ادمان المخدرات باستعمال هذه المادة

الفيتامين «د»

لايخفى ان لبن البقر يحتوى على الفيتامين «د»، وهو المادة التى تقوى العظام وتمنع الكساح. ولكن هذه المادة قد توجد فى اللبن بنسبة قليلة ولذلك قام الاطباء بتجارب ظهر لهم منها ان البقر الذى يرعى الكلأ فى الشمس يدر لبناً غنياً بالفيتامين «د» المذكور. بخلاف البقر الذى يرعى الكلأ فى جهات لاتصل اليها اشعة الشمس. وقد قام بعضهم بتجارب أخرى من هذا القبيل فثبت أن تغذية البقر بخميرة معرضة لنور الشمس أو بمواد أخرى معالجة بالاشعة أو مشبعة بنور الشمس تجعل البقر يدر لبناً غنياً بالفيتامين «د» وقد نشرت وزارة الزراعة باميركا نبذة نصحت فيها للذين يعنون بتجارة الالبان بان يجعلوا مواشيهم ترعى الكلأ فى الجهات الشمسية

تأثير التدخين

أثبتت التجارب العلمية التى قام بها أساتذة مستشفى جامعة مشيجان الاميركية ان تدخين التبغ يحدث فى أعضاء الجسم المختلفة تأثيرات مختلفة. فهو يخفض حرارة أصابع اليدين والقدمين من درجة واحدة الى تسع درجات.

ولكنه يزيد ضغط الدم ومعدل النبض وخفقان القلب ويجعل الرئتين تتنفسان بسرعة

الاشعة الكونية

هى الاشعة الغريبة التى اكتشفها الدكتور مليكان من كبار العلماء الاميركيين وقال انها تصل الى عالمنا الارضى من الفراغ الذى يفصل بين الاجرام الفلكية البعيدة . وقد حاول الكثيرون من العلماء درس خواص هذه الاشعة ولكن مانعلمه عنها حتى الآن لا يزال يسيراً تافهاً . وقد جاءنا اليوم عالم اميركى آخر هو الدكتور آرثر كمبتون بنظرية جديدة مؤداها ان الاشعة الكونية لاتصل الينا من الفراغ البعيد الذى يفصل بين الاجرام الفلكية السحيقة بل من طبقات الجو المحيط بالكرة الارضية وانها (أى الاشعة المذكورة) تنشأ فى نقطة من الجو لا تبعد عن عالمنا سوى بضع مئات من الاميال . ولما كان الدكتور آرثر كمبتون المذكور من كبار العلماء ومن حائزى جائزة نوبل فى العلوم الطبيعية كانت نظريته الجديدة حرية بالدرس والتمحيص . واذا ثبتت هذه النظرية فسيستبدل اسم الاشعة الكونية « بالاشعة الجوية »

منشأ النوم

لا يزال سبب النوم من الاسرار العلمية الغامضة . وقدجاءنا الآن أحد العلماء الاميركيين بنظرية جديدة مؤداها ان عضلات الجسم قد تكون فى حالة استرخاء فتقل « الاشارات » التى ترسلها الى الدماغ الى أن تنقطع بتاتاً بحيث لا يستطيع الدماغ أن يظل صاحياً اذ ان استمرار وصول « الاشارات » اليه هو الذى يحفظه فى حالة الصحو التام . وتدل التجارب على ان استرخاء عضلات الجسم يتم تدريجياً بحيث لايجىء الليل حتى يبلغ ذلك الاسترخاء أشده . ويظهر ان حرارة الجسم تتوقف على درجة الاسترخاء اذ تكون على اشدها عندما يكون الاسترخاء على اقله ، وعلى أقلها عندما يكون الاسترخاء على أشده

الفيتامين وحصى الكليتين

من الاخبار الغريبة التى روتها المجلات العلمية الانجليزية والاميركية ماقرره بعض الاطباء وفى مقدمتهم الدكتور مكاريسون الانجليزى من أن نقص الفيتامين « ا » من المواد الغذائية هو سبب نشوء حصى فى الكليتين. وقد قام فريق كبير من الاطباء فى كلتا انجلترا وأميركا بتجارب فى حيوانات كثيرة فثبت منها ان التغذية بالمواد المجردة من الفيتامين « ا » تؤدى بلا شك الى تكوين حصى فى الكليتين

ذرات الجو المكهربة

لايخفى ان فى الجو المحيط بنا ذرات مكهربة يسميها العلماء « ايونات » (ions) وهى اما جواهر فردية او دقائق (molecules) قد انسلخ عنها كهرب أو ايلكترون واحد . وهذا الكهرب أو الايلكترون يصبح « ايوناً » سلبيا والذرة التى انسلخ عنها « ايوناً » ايجابياً .

وهذه الايونات تسبح فى الفضاء وتكثر أو تقل بفعل عوامل طبيعية كثيرة كحرارة الشمس وبرودة الجو ووجود الاشعة التى فوق البنفسجية والمد والجزر وما الى ذلك من العوامل

ويؤخذ الآن من تجارب علمية كثيرة ان نسبة اشباع الهواء بالايونات المختلفة هى سبب كون الجو صحياً أو غير صحى . وكثرتها تعين على شفاء أمراض كثيرة ولا سيما الامراض التى لها علاقة بضغط الدم وبالعضلات والمفاصل . ومن المحتمل أن يسعى الاطباء فى المستقبل لمعالجة المرضى بكهربة الجو بالوسائل الصناعية واشباعه بالايونات اللازمة .

الراديوم عدو الجراثيم

اثبت الدكتور اوتوماير العالم الالمانى الشهير ان لعنصر الراديوم تأثيراً قتالا فى البكتيريا التى تسبب الامراض . ومن التجارب التى قام بها انه استولد سلالات من الميكروب الذى يسبب تسمم الدم ومن البكتيريا التى تسبب تولد القيح ومن باشلس القولون ، وغمر كل سلالة منها بمادة ذات اشعاع راديومى قوى فلم تمر بضعة أيام حتى أصبحت جميع تلك السلالات عاقرة لا تتوالد بسبب أشعة الراديوم التى عقمتها ومنعتها من التوالد

في عالم الفلك

فى الخمس السنوات الماضية بلغ عدد السيارات أو « النجيمات » أو الكواكب الصغيرة التى اكتشفها علماء الفلك خمسة عشر واحدثها السيار « آمور » الذى اكتشفه العلماء فى شهر مارس الماضى . وقد كان المظنون حتى الآن ان آروس (وهو سيار صغير اكتشف سنة ١٨٩٨) هو أقرب جرم فلكى الى عالمنا الارضى . ولكن ثبت الآن ان السيار الجديد « آمور » قد يدنو من الارض حتى يصبح أقرب اليها من آروس ، وان هنالك سياراً صغيراً آخر أقرب الينا من آمور

شهب نوفمبر الماضي

كنا قد تنبأنا بتساقط الشهب فى منتصف شهر نوفمبر وهذه النبوءة مبنية على تكرار هذه الظاهرة الفلكية مرة كل ثلاث وثلاثين سنة . ومما يجدر بالذكر ان تعيين تاريخ تساقط هذه الشهب بوجه التدقيق غير ممكن كتعيين وقت حصول الكسوف أو الخسوف تماماً . لان هذه الظاهرة تتكرر فى مواعيد ولدينا البيانات الدقيقة التى نستطيع أن نستخرج منها وقت وقوعها بالتمام

أما تساقط الشهب فمعناه فناء تلك الشهب وزوالها فى الفضاء فهى لا تعود الى مواضعها مرة أخرى بعد ظهورها أمامنا . ولو كانت تعود لامكن تعيين أوقات ظهورها واختفائها بوجه التدقيق

وعلى ذكر شهب نوفمبر الماضى نقول ان علماء الفلك قد عرفوا بتساقط هذه الشهب منذ سنة ٩٠٢ ميلادية ومنذ ذلك الوقت الى الآن حافظت تلك الشهب على مواعيدها بظهورها مرة كل ٣٣ سنة

في مجاهل اميركا

أوفد المتحف الاهلى الاميركى بواشنطون بعثة علية برآسة الاستاذ تشارلس جيلمور لجمع أحافير الحيوانات الغريبة التى كانت ترتاد مجاهل أميركا فى العصور الجيولوجية القديمة . وقد قامت البعثة بمهمتها خير قيام فجابت ولايتى ويكومنج وداكوتا الجنوبية ، وجمعت نحو طنين من الاحافير الغريبة لحيوانات كانت تملأ تلك المجاهل قديما ، ومن جملتها نوع من الحصان صغير الجسم جداً ذو حافر بثلاث فلقات (وهو الآن من الانواع المنقرضة) وانواع من ذوات الثدى انقرضت ولم تترك وراءها اثراً . ونوع من النمر ذو ناب كنصل السيف تماماً

أنواع الدم الجديدة

كان المعروف عند الاطباء حتى الآن ان دم الانسان أربعة أنواع . فاذا أريد نقل دم من جسم انسان الى آخر وجب التحقق أولا من ان دم الانسان المنقول منه ودم الانسان المنقول اليه هما من نوع واحد والا نشأ عن نقل الدم خطر جسيم . وقد اكتشف الآن الدكتور اولوف طمسن من أطباء المعهد الباتولوجى بجامعة كوبنهاجن نوعين آخرين من الدم فصارت أنواع الدم البشرى بذلك ستة . وأصبحت عمليات نقل الدم من جسم الى جسم أدعى الى النجاح بعد ان كانت طائفة كبيرة منهما تنتهى بالفشل

ضعف قوة اللقاح

شاع استعمال اللقاح الواقى من الحمى التيفوئيدية بعد الحرب اذ ظهرت فوائده فى تلك الحرب ظهوراً واضحاً . وبعد ان كانت الحمى التيفوئيدية من مستلزمات الحروب (حتى لقد كان بعضهم يسميها حمى الخنادق) اصبح فى الامكان التغلب عليها بواسطة اللقاح الواقى منها . وهذا اللقاح يستحضر بعدة طرق وقد القى الدكتور جرينل من أساتذة جامعة هارفرد باميركا خطبة فى المجمع الصحى الاميركى قال فيها ان الاختبار قد اثبت ان سلالة ميكروب التيفوئيد التى يصنع منها معظم أنواع اللقاح فى الوقت الحاضر قد تضعف الى حد انها قد تعجز عن ضمان الوقاية من تلك الحمى . ويقول علماء البكتيريولوجيا ان طبائع الجراثيم تتطور بمرور الزمن وكثيراً ما تضعف قوتها كلما تقادم عهدها . فاللقاح الذى استعملته الجيوش الاميركية فى أثناء الحرب الماضية والذى وقى تلك الجيوش وقاية مدهشة أخذ فى الاصل من ميكروب الحمى التيفوئيدية من جندى بريطانى توفى بتلك الحمى فى حرب افريقيا الجنوبية . ويظهر ان السلالة التى استولدت من ذلك الميكروب (وتعرف عند الأطباء الاميركيين بسلالة رولنصون) قد تطورت تطوراً كبيرا وأصبحت أضعف مما كانت . وهذا يستدعى البحث عن سلالة جديدة يؤخذ منها اللقاح والا فلا ينقضى زمن طويل حتى تصبح تلك السلالة غير صالحة للوقاية على الاطلاق

شؤون الدار

ماذا نطعم الطفل

مسألة غذاء الطفل من المسائل التى يجب أن تدرسها جميع الأمهات . فالطفل لا يدرى عادة مايضره أو ينفعه وإنما هو يميل إلى المواد التى يكثر فيها السكر والنشا . على أن من الأطفال من هم مصابون بفقر الدم ومنهم من يخلو دمهم من الكمية اللازمة من الحديد . ويقول الآن فريق من الأطباء إن غذاء الاطفال بوجه الاجمال يجب أن يحتوى على عنصرى الحديد والنحاس فى آن واحد ، فان عنصر الحديد وحده لا يكفى لتقوية الكريات الحمراء بل لا بد من إسعافه بعنصر النحاس أيضاً . فعلى الأم أن تستشير الطبيب فى المواد الغذائية التى يكثر فيها هذان العنصران لتغذية طفلها

وفائدة النحاس فى المواد الغذائية لم تكن معروفة إلا منذ عهد قريب . ويقول أحد الأطباء الألمان إن وفرة النحاس فى غذاء الأم المرضع ضرورية جداً

الكحل والكحول

« الكحول » هى كلمة مستعملة فى عدة لغات أوربية ومعناها السبرتو . ولا شك أن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة الكحل العربية وهو من أدوات الزينة المعروفة . وقد استعاره الاوربيون والاميركيون من العرب لتزيين العيون وتزجيج الحواجب . وكانوا منذ مائة سنة يسمون الكحل « كحول السلفور أو الكبريت » للدلالة على المصدر الذى يؤخذ منه. والكحل اليوم أنواع كثيرة ويدخل فى تركيبه مواد كثيرة وبعضها سام ولذلك يجب الانتباه إلى الانواع الضارة

ويقول أحد الاطباء الفرنسيين إن الكحل يجعل جلد الجفون رخواً بمرور الزمن وإن الافراط فى استعماله يوجد فى الجفون آثار الشيخوخة

السعال الديكي

هو سريع الانتشار فى مثل هذا الفصل من السنة لأن البرد يساعد على انتشاره والواجب يقضى على الامهات بوقاية أولادهن باستعمال اللقاح الواقى وسائر الطرق الممكنة. وقد أبلغ أحد كبار الاطباء الاميركيين جمعية الاطباء الاميركية أنه اكتشف وسيلة جديدة لمعالجة السعال الديكى أسفرت تجربتها عن نتائج تبعث على الارتياح وهى إنشاق المصاب ثانى أوكسيد الكربون مخففاً بالهواء أو

لاوكسجين فتخف فى الحال وطأة السعال وتنقضى النوبة بسلام

غبار الهواء

كثيراً ما يسير الاولاد فى الشوارع على مقربة من كناس يثير الغبار فى الهواء بمكنسته المائلة . ومع عظم التبعة الواقعة على مصلحة الصحة وكونها مسؤولة عن أعمال هؤلاء الكناسين نجد الجو فى بعض الجهات - حتى فى أحسن أحياء العاصمة - مشبعاً بالغبار وبجراثيم الامراض التى يستنشقها المارة ولاسيما الاطفال الذين يسيرون فى ذلك الجو المشبع بالغبار وهم يتحدثون ويضحكون ويفتحون أفواههم غير مدركين الخطر الذى يتعرضون له . وما دامت مصلحة الصحة لا تعنى بهذه المسألة فيجب على الوالدين أن يوصوا أولادهم بأن لا يفتحوا أفواههم أو يكثروا من الحديث عند مرورهم بجهات يكثر فيها الغبار لكيلا يعرضوا أنفسهم لابتلاع ملايين الميكروبات التى تسبح مع الغبار

لا تجتنبي اللحم

الاعتقاد الشائع بين الكثيرات من النساء ولا سيما الممتلات أن أكل اللحم يستعجل الشيخوخة ويقصر العمر . إلا أن أحد الاطباء الالمان قد قام بمباحث واسعة النطاق ثبت له منها أن الاعتدال فى أكل اللحم يطيل العمر ويبعد زمن الشيخوخة . وأن الاولاد يمكنهم أن يتناولوا اللحوم البيضاء بكميات اعتيادية منذ السنة الخامسة ، ما عدا لحم الخنزير ولحم البقر فالافضل إرجاء الاغتذاء بهما إلى ما بعد السنة الثانية عشرة لان هذين الصنفين من اللحم لا يستطيع جهاز الاولاد الصغار هضمهما بسهولة ، وقد يصاب الاولاد بسببهما بارتباك المعدة

ويقول الطبيب الالمانى المشار اليه إن الذين يأكلون اللحوم باعتدال يستطيعون وهم فى سن العشرين القيام بأعمال يعجز عنها الذين هم فى سن الاربعين ممن لا يأكلون اللحوم

خطر الامشاط

كثيراً ما تكون اسنان المشط بؤرة اقذار وميكروبات . لذلك يحسن تنظيف المشط بعد استعماله كل مرة وذلك بتغطيسه فى محلول الليزول أو السليمانى أو ما أشبه

الزهور في غرف النوم

ليس هذا الفصل أوفر فصول السنة أزهارا ومع ذلك فان الأزهار فى مصر تكاد تكون متوافرة على مدار السنة كلها . ومن عادة بعض السيدات أن يضعن أزهارا فى غرف نومهن ويتركنها فيها ليلا . الا ان هذا لايخلو من خطر وكثيرا ما وقعت حوادث تسمم بسبب الازهار خصوصاً عندما تكون الغرفة صغيرة وفيها غير واحد من النائمين . وأشد الخطر من هذا القبيل هو على الاطفال . لذلك يجب ان تتنبه

الامهات فلا يتركن فى غرف نومهن أو غرف أطفالهن أزهارا فى وقت النوم

الجو في الشتاء

يظهر من فحص ذرات الجو أن هواء الصيف أكثر خطراً من هواء الشتاء وان الجراثيم الخطرة تكثر فى جو الصيف وتقل فى جو الشتاء على ان رطوبة جو الشتاء لا تخلو من الاخطار ولا سيما على الاحداث الذين لا تستطيع بنيتهم النحيفة تحمل الرطوبة . والمحافظة على هؤلا الاحداث تبدأ بالعناية باقدامهم ، والحكمة تقضى بوقاية أقدامهم من الرطوبة وخير طريقة لذلك ان تكون نعال أحذيتهم ثخينة وان يلبسوا الجوارب الصوفية ويبتعدوا عن أحذية « اللاستك » فانها لا تحتفظ بحرارة القدمين

ومن الخطأ الاغتسال بالماء الساخن ثم الخروج الى جو مشبع بالرطوبة فان الانتقال الفجائى من الحر الى البرد والرطوبة من اقوى أسباب الزكام على اختلاف أنواعه

للوقاية من البرد

اذا اضطررت الى الخروج من المنزل عند اشتداد الهواء البارد فيمكنك ان تغطى صدرك بجريدة أو بورق النشاف . فقد ثبت بالاختبار ان تغطية الصدر على هذا الوجه يمنع البرد ويحفظ الصدر دافئاً

العناية بالاسنان

يظهر ان اسنان الشعوب المتوحشة افضل حالا من اسنان الشعوب المتمدنة . وكلما تقدم الانسان فى المدنية كانت أسنانه أحوج الى العناية والاهتمام . وقد ثبت الآن أن تعدد اصناف الا كل وعدم الاقتصار على صنف واحد هما اقوى أسباب ضعف الاسنان وتسوسها . ويقول بعض الاطباء انه ليس صحيحاً ان المود الغذائية النباتية افضل للاسنان من المواد اللحمية كما انه ليس العكس صحيحاً . فقبائل نيام نيام والاسكيمو تتغذى باللحوم أكثر من تغذيتها بالمواد الاخرى ومع ذلك فاسنانها بوجه الاجمال على أحسن حال . وكثيراً ما تجد بين النباتيين (أى الذين يقتصرون على الاطعمة النباتية) ذوى اسنان سليمة . وهذا دليل على ان نوع الغذاء نفسه قلما يؤثر فى الاسنان بقدر ما يؤثر فيها خلط المواد الغذائية . وهذا الخلط أشد تأثيراً فى اسنان الاولاد والاحداث منه فى اسنان البالغين ، فلذلك يجدر بالامهات ان يعنين بهذه المسألة حفظاً لاسنان اولادهن

رطوبة الملح

الملح فى مقدمة المود التى تمتص رطوبة الجو وكثيراً ما تفسد الرطوبة طعم الملح وتضعف قوته . فاذا أريد حفظه سليما وجب وضعه فى اناء محكم السد ووضع الاناء فى نخالة فيسلم من الرطوبة وتظل قوته على حالها

وعلى ذكر الملح نقول ان المسحوق الناعم منه يفعل فى بقع الحبر فعل ورق النشاف اذ يمتصها فى الحال . وبعد امتصاصها يجب فرك

البقعة بقطعة من الليمون الحامض فتزول البقعة وقلما يبقى لها أثر

تقليم الاظافر

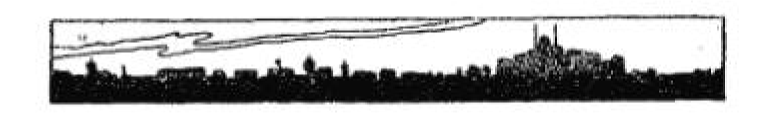
تقليم أظافر الاطفال من ألزم الأمور. فقد يجرح الطفل نفسه بل قد يؤذى نفسه بظفره. وكثيراً ما يأبى الاطفال تقليم أظفارهم لغير سبب سوى أنهم يتذكرون ما نالهم من الألم عند تقليم أظفارهم من قبل. والطفل قوى الذاكرة عادة لا ينسى الاشياء التى تسبب له الالم. لذلك يجدر بالام عند تقليم أظفار طفلها أن تستعمل الحكمة والتؤدة لئلا تؤذى طفلها وتجعله يكره تقليم أظفاره. وقد يقوده هذا الكره بعد بضع سنوات الى عادة قضم أظفاره بأسنانه بدلا من تقليمها بالمقص. وهذا القضم مضر جداً فقد يبتلع الولد قلامة ظفره فضلا عن ابتلاعه ملايين الميكروبات التى تتجمع تحت الظفر. وفى ذلك من الخطر على الصحة ما يدعو إلى أشد الحرص

وهناك طريقة بسيطة لمنع الاطفال من وضع أطراف أصابعهم فى أفواههم وهى ان تدهن أطراف اصابعهم بقليل من ماء الكينا فان الطفل إذا وضع اصبعه فى فمه وذاق مرارة الكينا مرة أو مرتين لا يعود يضع أصبعه مرة أخرى فى فمه

معالجة الرعاف

الرعاف هو نزيف الدم من الانف، وكثيراً ما يحدث فجأة لغير سبب ظاهر ثم يسيل الدم بغزارة ولا ينقطع. وهنالك اشخاص دمويون إذا نزف الدم منهم صعب وقفه. فاحسن طريقة لوقف الرعاف هو استنشاق ماء بارد قد أذيب فيه قليل من مسحوق الشب. فاذا ظل الدم يسيل ولم ينقطع فلا مندوحة عن استدعاء الطبيب فى الحال لان الاهمال قد يؤدى الى عواقب وخيمة

ومن عادة بعض الاولاد ان يجرحوا أنوفهم من الداخل بسبب ما يكشطونه عنها باظافرهم. ومثل هذا الجرح خطر جداً. وقد وقعت عدة حوادث من هذا القبيل أدت الى مرض الحمرة وكانت العاقبة وخيمة. لذلك يجب على الوالدين تعويد أولادهم عدم تنظيف انوفهم باصابعهم فان ذلك مناف لشروط الصحة فضلا عن منافاته لآداب السلوك العمومية



في عالم الادب

هاملت

ترجمة الاستاذ سامي الجريديني

(الطبعة الثانية طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر
صفحاتها ١٢٨ من القطع الكبير)

لسنا فى مقام تقديم الاستاذ سامى الجريدينى الى القراء ، فهو غنى عن التقديم والتعريف ، وقراء الهلال يعرفونه بآثاره التى كان ينشرها عليهم بين حين وحين فى هذه المجلة . ولكننا نريد هنا ان نهنىء الاستاذ سامى الجريدينى على ذلك الاقبال الذى ناله الطبعة الاولى من هذه الرواية التى الفها شكسبير حتى بعثه ذلك الاقبال على اعادة طبعها

وبعد ، فان مؤلفات شكسبير ليست من المؤلفات العادية ، وليست هذه الرواية هاملت بين مؤلفاته الا أحسن ما كتب باجماع آراء النقاد فقد أبرز بها صورة حية لاخلاق جمة جمعها هاملت وبعض اشخاص الرواية معه

ولذلك فانت بالاطلاع على هذه الرواية القيمة تستفيد من تأليفها كما تستفيد من ترجمتها فائدة لا تراها فى غيرها من الروايات

وتمتاز هذه الترجمة على الخصوص بالدقة التى توخاها المترجم فى كل جملة بل فى كل كلمة مما لا يتسنى الا لاديب يجيد الانجليزية مثل اجادته للعربية ــ كما هو شأن الاستاذ الجريدينى

تحريم البغاء عند قدماء المصريين

تأليف الاستاذ انطون زكرى

(طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة
صفحاته ٥٥ من القطع المتوسط)

يفكر ولاة الامور الآن بمصلحة الصحة المصرية فى تحريم البغاء . وقد الفوا لجنة للبحث فى هذه المسألة الاجتماعية بعد ان ثار عليها بعض أفاضل الكتاب وكشفوا عن الاضرار الجسيمة التى تصيب المجتمع من جراء هذه الوصمة الممقوتة التى حرمتها جميع الاديان وشرائع الامم من قديم الزمان وفى مقدمتها الامة المصرية القديمة . وقد قام الاستاذ انطون زكرى بتأليف هذا الكتاب وبسط فيه الادلة الاثرية التى تكشف للجمهور عن عناية المصريين من قديم الزمان بتحريم البغاء ومكافحته فى جميع البلاد ، وروى عن كتبهم وفلاسفتهم ما يتعلق بهذه المسألة ، ومن الاقوال التى رواها ما كتب على ورقة من البردى للفيلسوف آنى وهو يخاطب تلميذه خولسوحتب ونقتطف منه مايلى :

« لا تترك قلبك العوبة فى الميل الى النساء ، فان ذلك يذهب بقوة دينك وعلو شرفك وأدب نفسك . فالمرأة بما اوتيت من الدهاء وتأثير الانوثة من أقوى حبائل الشيطان . وهى كالبحر العميق الذى لا يرحم من استهواه الى قراره »

فخر ابي فراس وابي الطيب

تأليف الاستاذ عبد الغنى باجقى

(طبعت بمطبعة ابن زيدون بدمشق
صفحاتها ٥٢ من القطع الكبير)

تلك هي الرسالة التى اجتاز بها مؤلفها امتحان شهادة الآداب العليا بالجامعة السورية

ولقد وجدنا المؤلف أصاب شاكلة التوفيق فى الكتابة عن هذا الموضوع . ونظن انه لولا قلة المصادر التى كتبت عن أبى فراس الحمدانى ولولا ضيق الوقت الذى قام فيه المؤلف بتأليف هذه الرسالة لامكنه ان يستوعب هذا الموضوع من جميع نواحيه ، ولامكنه ان ينصف كلا الشاعرين ، بل لامكنه ان ينصف أبا فراس الذى غمطه حقه الادباء الذين تصدروا للكتابة عن الشعراء السابقين . واكتفوا بأن يدرسوا عدداً قليلا منهم أتيحت لهم الشهرة الواسعة دون غيرهم لاسباب يضيق المقام عن ذكرها

وقد قدم المؤلف رسالته ببحث عن بلاد العرب وأثرها فى أهلها ، وعن نشأة العرب الاستقلالية ، وعن مدار الفخر عندهم . والفخر الصادق ، والفخر الكاذب . ثم عن حالة الفخر بعد الاسلام والاقلال منه فى العهد الاموى

ثم تناول موضوعه فيما يتعلق من الفخر لكل شاعر من الشاعرين على حدة . وعقد موازنة بينهما انتهى منها الى قوله :

« ان أبا الطيب شاعر عظيم يجابهك بالعظمة أنى واجهته . ويريك آثار هذه العظمة فى كل ناحية من نواحى شعره . .

« وان أبا فراس شاعر فخور يقابلك بالفخر أنى واجهته ، أنف أبى فى كل موقف من مواقفه ، فارس شجاع ، سرى ماجد . . فهو شاعر المجد والفخر غير منازع »

صريع الغواني

تأليف الاستاذ محمد جميل سلطان

(طبعته مكتبة عرفة بدمشق
صفحاته ٢٧٤ من القطع المتوسط)

ظهرت فى الايام الاخيرة نزعة جديدة الى احياء الادب العربى القديم بدراسة كتابه وشعرائه دراسة منظمة واسعة النطاق . وكان من نتائج هذه النزعة اننا أصبحنا نرى بعض الادباء يعنون بهذا الموضوع ويؤلفون فيه الكتب التى تتناول تراجم المشاهير بطريقة تحليلية يستعينون فيها بأخبارهم الصحيحة وآثارهم الباقية . ومن هذه الكتب كتاب « صريع الغوانى » الذى قام بتأليفه الاستاذ محمد جميل سلطان . فهذا الاديب الفاضل قد عنى بدراسة هذا الشاعر الكوفى مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى . . وهو من شعراء القرن الثانى للهجرة . فدرس حياته فى أشعاره ومن أخباره . واستخلص من هذه الدراسة الواسعة ذلك الكتاب الذى يضم بين دفتيه فصولا وبحوثا تحليلية مفيدة عن الحياة الاجتماعية والادبية للشاعر ، وعن موطنه وأخلاقه وبيئته التى أثرت فيه وكان لها تأثيرها فى حياته وأشعاره . وقد استقصى هذا الموضوع استقصاء واسعاً يدل على سعة اطلاعه ، وعلى المجهود الكبير الذى بذله فى تأليف هذا الكتاب

صديق ريتان

تأليف الاستاذ حسين شوقى

(طبعت بمطبعة مصر
صفحاتها ٦٢ من القطع الصغير)

كثير من القراء لا يعرف الاستاذ حسين شوقى نجل أمير الشعراء المرحوم احمد شوقى بك وكثير منهم لم يطلع على كتاباته وخطراته الطريفة التى هى نفحة طيبة من نفحات الشباب . وربما كان من الطف هذه النفحات تلك القصة العصرية التى كتبها وعنونها باسم (صديق ريتان) وهى قصة اجتماعية وقعت حوادثها فى مدينة برشلونة باسبانيا وكان المؤلف قد نزلها مع أسرته أثناء الحرب الكبرى حين نفت السلطة العسكرية والده من مصر . ولولا ضيق المقام لأتينا بملخص طريف لهذه القصة الممتعة

مطبوعات أخرى

نكتفى فيما يلى بالاشارة الى صدور بعض المطبوعات الحديثة و نعتذر عن افاضة الكلام عليها لضيق المقام

— « اثنا عشر عاماً فى صحبة امير الشعراء » تأليف احمد افندى عبد الوهاب سكرتير احمد شوقى بك . وهي ذكريات فى ١٩٢ صفحة من القطع الصغير . تطلب من المكتبة التجارية بالقاهرة

— « الطاغية » درامة تاريخيـة فى خمسة فصول للشاعر الالمـانى العظيم فريدريك شلر وترجمة الاستاذ فائق رياض . صفحاتها ١٩٨ من القطع المتوسط

— « المثرى النبيل » رواية تمثيلية أدبية مضحكة ذات خمسة فصول . تأليف الروائى الفرنسى موليير وترجمة الاستاذ الياس أبو شبكة . طبعت بمطبعة صادر ببيروت . صفحاتها ٨٠ من القطع المتوسط

— « المصطلحات العلمية لعلوم مدرسة التجارة العليا » تأليف الاستاذ محمد حمدى ناظر مدرسة التجارة العليا . وهي تتضمن ترجمة المصطلحات العلمية لهذه العلوم من اللغتين الفرنسية والانجليزية الى اللغة العربية . صفحاتها ١٠٢ من القطع المتوسط

— « الملك اوديب » رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول . تأليف الروائى الفرنسى اندره جيد . وترجمة الشيخ حبيب اليازجي . طبعت بالمطبعة التجارية ببوتنس ايرس صفحاتها ٣٨ من القطع الكبير

— « تقرير عن معرض الطباعة بمدينة ليزج » انتدب حضرة صاحب العزة محمد امين بك بهجت مدير المطبعة الاميرية لتمثيل مصر فى معرض الطبـاعة الذى أقيم بمدينـة ليزج سنة ١٩٣٢ . وبعد عودته قام بوضع هذا التقرير الذى يتضمن اعماله ومشاهداته لهذا المعرض ، وأضاف اليه ما شاهده فى زيارته لمطابع برلين ولندره وباريس وجنيف وروما . صفحاته ٦٣ من القطع الكبير . وقد طبع فى ثوب انيق

بين الهلال وقرائه

المناعة عند العرب

(القاهرة — مصر) خليل منصور

يعتقد بعض الناس أن فى قول الشاعر العربى : « وداونى بالتى كانت هى الداء » دليلا على أن العرب كانوا يعرفون طريقة احداث المناعة فى الجسم بواسطة « التلقيح » . فهل هذا صحيح ؟ وهل فى تاريخ الطب عند العرب ما يثبت ذلك ؟

(الهلال) ليس من العدل أن نؤول قصد الشاعر الذى اشرتم اليه بمعنى لم يدر فى خاطره . فهو انما أراد أن يصف حبيبته بكونها سبب دائه وفى الوقت عينه سبب شفائه وسعادته . ولذلك قال : « وداونى بالتى كانت هى الداء »

ولا نعتقد أن العرب أو غيرهم عرفوا سر احداث المناعة فى الجسم بواسطة اللقاح

فعل اللقاح

(القاهرة — مصر) ومنه

كيف ينشيء اللقاح مناعة فى جسم الانسان ؟

(الهلال) المعروف عن جسم الانسان أنه عندما تهاجمه ميكروبات الامراض يشرع فى الحال فى اتخاذ الوسائل لمقاومة تلك الميكروبات . ومن جملة تلك الوسائل أنه ينتج بعض المواد الكيمياوية التى تصبح بمنزلة سم زعاف للميكروبات المهاجمة . وهذه الميكروبات إما أنها تصل الى الجسم بطريق العدوى الطبيعية فتأخذ الجسم على غرة (وقد لا يتاح له اذ ذاك انشاء المواد الكيمياوية بكميات كافية لسمها) أو أنها تصل الى الجسم بطريق اللقاح . والميكروبات التى يشتمل عليها اللقاح تكون عادة ضعيفة بحيث لا يكون فيها خطر على الجسم وبحيث يجد الجسم معها الوقت الكافى لانتاج المواد الكيمياوية الكافية لسمها . فكأن الغرض من ميكروبات اللقاح هو استفزاز الجسم لتوليد تلك المواد الكيمياوية لتفعل فى ميكروبات المرض فعل السم الزعاف

الحر والبرد والالوان

(بيروت — سوريا) أحد القراء

لماذا نستعمل الملابس البيضاء فى الصيف والملابس الداكنة فى الشتاء ؟ وهل بين البرد والحر من جهة والالوان من الجهة الاخرى اية علاقة ؟

(الهلال) من خواص اللون الابيض (وهو فى الحقيقة مجموعة الالوان الرئيسية) أنه يعكس أشعة الشمس . فالثياب البيضاء تعكس تلك الاشعة ولا تسمح لها بالوصول إلى الجسم ولذلك لا يشعر لابسها بالحر كثيراً . أما اللون الداكن فانه يمتص الاشعة والثياب السوداء تسمح لحرارة الاشعة بالوصول الى الجسم لانها لا ترد الاشعة ولا تعكسها

أخف المعادن

(بيروت – سوريا) ومنه

هل هناك معادن أخف من الالومينوم وما هي ولماذا لايشيع استعمالها ؟

(الهلال) نعم هنالك معادن أخف من الالومينوم كمعدن الليثيوم مثلا وهو أخف المعادن المعروفة لدى علماء الكيمياء . ولكنه نادر جداً لا يكاد يوجد الا فى المعامل الكيماوية . ومن أخف المعادن الشائعة فى الاستعمال معدن المغنزيوم على أن الالومينوم أقرب إلى متناول الجمهور وهو موجود بكثرة ولذلك شاع استعماله

صناعة الاسنان

(طنطا – مصر) فهمى حنين مطراوى

لماذا يستعمل الذهب فى صناعة الاسنان ولا تستعمل المعادن الاخرى ؟

(الهلال) ومن قال لكم إن المعادن الاخرى لا تستعمل ؟ فالبلاتين والاريديوم هما أيضاً من المعادن التى تستعمل فى هذه الصناعة . وسبب استعمالها هو أنها غير قابلة للتأكل ولا تؤثر فيها السوائل التى توجد فى الفم أو التى تصل اليه عن طريق المواد الغذائية

الالماس الصناعي

(طنطا – مصر) ومنه

قرأت فى احدى المجلات العلمية أن بعض علماء الالمان تمكنون من صنع الماس حقيقى فهل تعتقدون أن هذا ممكن من الوجه العلمى ؟

(الهلال) نعم هو ممكن علمياً ، فاذا أذبنا عنصر الكربون فى حديد ذائب وتركناه يتبلور تحت ضغط شديد بينما الحديد الذائب يبرد بالتدريج تحول الكربون الماساً ، على أنه لم يتمكن أحد حتى الآن إلا من صنع قطع صغيرة جداً من الالماس بهذه الطريقة

وعلى ذكر تحويل الكربون الماساً نقول إن فى الامكان – نظرياً – تحويل جميع العناصر والمعادن من شكل إلى شكل إذا توافرت لنا الدرجة اللازمة من الحرارة والضغط

شهب نوفمبر الماضى

(القاهرة – مصر) أحد المشتركين

فى أوائل شهر نوفمبر الماضى أنبأتنا مصلحة الطبيعيات بأنه ستتساقط فى منتصف ذلك الشهر شهب كثيرة . فما هى الشهب وكيف عرفت مصلحة الطبيعيات بقرب وقوعها . وهل يخشى على الارض من اصطدامها بها ؟

(الهلال) الشهب والرجم والنيازك هى أجسام صغيرة تتجمع فى شكل حلقات أو أقواس وتدور حول الشمس فى أفلاك واسعة كما تدور الارض والسيارات . فاذا قربت من الارض جذبت الارض بعضها . فاذا كانت صغيرة الحجم لطيفة المادة احترقت فى أعالى الجو واندثرت كالدخان أو البخار وربما تركت وراءها ذيلا لامعاً يضىء قليلا ثم ينطفىء (وهذا هو الشهاب) واذا كانت كبيرة الحجم كثيفة المادة سقطت تشق الهواء وسمع لها أزيز . وهذا هو النيزك . والكبير منها يسمى رجماً

والشهب التى انذرتنا مصلحة الطبيعيات

بوقوعها فى منتصف شهر نوفبر الماضى هي من الشهب التى تتساقط بكثرة مرة كل ثلاث وثلاثين سنة وربع سنة . ويظهر أنها تدور فى منطقة عظيمة حول الشمس دورة كاملة كل ٣٣ سنة. وجانب من هذه المنطقة (وطوله نحو مليون ميل) مزدحم بالحجارة النيزكية فاذا دنت الارض منه جذبت منه الكثير من تلك الحجارة النيزكية

أما سؤالكم هل يخشى على الارض من اصطدام الشهب أو النيازك بها فالجواب عنه بالسلب . وفى الواقع أنه لا يخشى على الارض الا من اصطدامها بسيار آخر أو بنجم (أى شمس) وهذا أمر لا يحتمل وقوعه وان لم يكن مستحيلا وإذا وقع لاقدر الله — أى اذا اصطدمت الارض بنجم أو شمس فانها تلتهب فى الحال وتصبح دخاناً أو بخاراً

الصناعات الضائعة

(كاتندوفيا — البرازيل) ج . ف

يزعم بعض الكتاب أن الاقدمين كانت لهم حرف وصناعات ضاعت ولا يستطيع أهل هذا الزمن مجاراتهم فيها . فهل يستند هذا الزعم إلى شيء من الحقيقة ؟

(الهلال) لا نعتقد ذلك لان فى وسع أهل هذا العصر أن يقلدوا صناعات الاقدمين ويبزوهم فيها لو اقتضت الحال ذلك . فتحنيط جثث الاموات مثلا بلغ عند قدماء المصريين حداً بعيداً من الاتقان . ومع ذلك فان العلم الحديث يدلنا على وسائل أتقن للتحنيط وهذه الوسائل أو بعضها تستعمل الآن فى تحنيط الحيوانات أو تصبيرها لحفظها فى المتاحف . ولكن الناس فى هذا العصر لا يعنون كثيراً بتحنيط جثث موتاهم ، كذلك كان عند الاقدمين طريقة لسقى النحاس وتقسيته وعندنا اليوم طريقة أفضل وأتقن. وإذا كنا اليوم لا نستعمل الادوات المصنوعة من النحاس المقسى فلأن عندنا أدوات من الصلب تفضلها من كل وجه

وهكذا قل فى سائر الصناعات التى يزعم بعض الكتاب أنها ضاعت فاننا نستطيع تقليد جميعها والتفوق فيها على الاقدمين إذا أردنا ذلك

أهرام الجيزة

(سان باولو — البرازيل) أحد القراء

من أى المواد صنعت اهرام الجيزة ومن أين جيء بحجارتها ؟

(الهلال) صنعت من حجارة جيء بها من أصوان على الارجح على أرمات بطريق النيل

مدة النوم

(اللاذقية — سوريا) نجيب سابا

يقولون إن النوم مدة ثمانى ساعات يكفى الانسان . فهل هذا الحكم يسرى على جميع الناس ؟

(الهلال) كلا بل تختلف مدة النوم باختلاف الاشخاص والاعمار والامزجة . فالاطفال مثلا يجب أن يناموا مدة طويلة حالة أن الشبان يكفيهم أن يناموا ثمانى ساعات نوماً هادئاً غير منقطع . ويظهر أن الانسان كلما تقدم فى السن مال الى الاستيقاظ باكراً لأنه يأوى إلى سرير نومه مبكراً ولانه لا يستنفد عادة من القوى

مايستنفده الشاب فلا يحتاج إلى نوم طويل . وعلى كل فان آراء الناس تختلف بشأن النوم ويذهب بعضهم فيه مذهباً غريباً مؤداه أن الانسان قد يستطيع أن يتغلب على النوم بالامتناع عنه تدريجياً

النوم فى النهار

(اللاذقية ــ سوريا) ومنه

هل النوم فى النهار مفيد كالنوم فى الليل ؟

(الهلال) كلا لأن عوامل الهدوء والسكون والظلام لا تتوافر فى النهار كما هى فى الليل . ومع ذلك فكثيراً ما يكون النوم فى النهار لازماً لكي يسترد الجسم ما فقده بسبب جهد مفرط أو سهر زائد

عدد المسلمين

(اللاذقية ــ سوريا) ومنه

كم عدد المسلمين فى العالم فى الوقت الحاضر ؟

(الهلال) يختلف تقديرهم بين مائتين وخمسين مليوناً وثلثمائة وخمسين مليوناً . ومن الصعب تحديد عددهم بالدقة لان هناك جهات كثيرة لم تعمل لها احصاءات رسمية يعتمد عليها

ايام الخليقة

(بندين ــ لبنان) ا . م

فى سفر التكوين أن الله سبحانه وتعالى خلق الارض والسموات وكل ما فيهما فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع . ولكن هنالك قرائن جيولوجية كثيرة تدل على أن عصوراً طويلة مرت على الارض قبل أن أصبحت صالحة لسكنى الانسان فهل بين هذه القرائن وبين رواية سفر التكوين خلاف ؟

(الهلال) إذا أخذتم رواية سفر التكوين بمعناها الحرفى كان الخلاف بينها وبين النظريات العلمية الحديثة كبيراً . وإذا أخذتموها بمعناها المجازى وفسرتم كلمة « أيام » بعصور جيولوجية وجدتم تطابقاً مدهشاً بين رواية سفر التكوين والنظريات العلمية لاسيما من جهة ترتيب حوادث الخلق فقد أوردتها التوراة بالترتيب الذى يقول به علم النشوء والارتقاء ــ أى الجماد فالنباتات الدنيا فالنباتات العليا فالحيوانات المائية فالحيوانات العليا فالانسان . وهذا التطابق فى الترتيب مدهش جداً وقد أشرنا اليه بالايجاز ولو كان المجال يسمح لذكرنا لكم عنه تفاصيل مدهشة

حركة الحشرات

(بغداد ــ العراق) ناصر سليمان

نرى بعض الهوام والحشرات كالذباب والنمل وغيرهما تسير على سقف الغرفة ورءوسها مقلوبة الى أسفل وكأنها معلقة فكيف لا تسقط بفعل الجاذبية ؟

(الهلال) لأن سيقانها تشبه (مصاصة) فكأنها عند التصاقها بالسقف (تمصه) فلا تسقط

الزئبق وميزان الحرارة

(بغداد ــ العراق) ومنه

لماذا يستعمل الزئبق فى صنع ميزان الحرارة (الترمومتر) بدلا من غيره من المواد ؟

(الهلال) لان الزئبق من المواد الثقيلة

التى لا تجمد فى درجة البرد الاعتيادية . على أنه اذا هبط البرد الى الدرجة (٤٠) تحت الصفر بمقياس فهرنهيت جمد الزئبق . وفى هذه الحالة لايصلح لقياس درجة البرد بل لا بد من استبدال الزئبق بالكحول (السبرتو) الذى لا يجمد الا اذا هبط البرد ١٧٥ درجة بمقياس فهرنهيت تحت الصفر

الصلب والحديد

(الموصل ــ العراق) عبد الكريم شهدان

ما الفرق بين الفولاذ والحديد ؟

(الهلال) الفولاذ ــ ويعرف أيضاً بالصلب ــ هو الحديد بعينه ولكنه يحتوى على كمية قليلة جداً من الكربون وغيره من العناصر . ولا يخفى أن عنصر الكربون فى الصلب يجعل الجواهر الفردية تلصق بعضها ببعض بشدة ومتانة ولهذا نجد الصلب أمتن من الحديد

الياقوت الصناعى

(الموصل ــ العراق) ومنه

قرأت فى احدى المجلات الاميركية أن أحد العلماء الالمان قد تمكن من صنع ياقوت أحمر لا يمكن تمييزه عن الياقوت الطبيعى أبداً فهل هذا ممكن ؟

(الهلال) نعم هو ممكن وقد قرأنا نحن أيضاً خبراً كهذا . وفى الواقع أن الياقوت الصناعى لا يختلف عن الياقوت الحقيقى فى شىء فكلاهما مركب من أوكسيد الالومينوم (وهو أصلب المواد المعروفة بعد الالماس) وفى كليهما يكون اللون الاحمر ناشئاً عن مواد غير نقية . وهذه المواد غير النقية تضاف الى الياقوت الصناعى عمداً . ولا يستطيع الا أمهر الخبراء التمييز بين الياقوت الطبيعى والياقوت الصناعى

علاقة النجوم بالمستقبل

(الموصل ــ العراق) ومنه

هل ثبتت للعلماء أية علاقة بين النجوم ومستقبل الانسان ؟

(الهلال) ليس هنالك أية علاقة بين الاثنين على الاطلاق . وليس علم التنجيم فى نظر العلماء سوى مجموعة خزعبلات لا تستند الى شىء من الحقيقة . ومع ذلك فان العلم يثبت وجود علاقة بين الكرة الارضية والاجرام الفلكية

الثياب العربية والثياب الافرنجية

(الحصن ــ شرق الاردن) فؤاد عصفور

ما دام الناس يؤكدون أن الثياب العربية أفضل صحياً من الثياب الافرنجية فلماذا يفضل الكثيرون هذه على تلك ؟

(الهلال) ليس هناك من يؤكد أن الثياب العربية أفضل صحياً من الثياب الافرنجية، فلكل ميزتها فى البلاد التى تستعمل فيها . ولن تكون الثياب العربية بأفضل من الافرنجية فى بلاد باردة الطقس ، كما أن الثياب الافرنجية ليست بأفضل من العربية فى البلاد الحارة . وعلى كل فان الناس عادة يختارون من الثياب ما يروق لهم لا ما هو أنفع لهم ، لأن الثياب فى نظر معظم الناس للزينة اكثر منها لاى غرض آخر

من هنا وهناك

معدن المستقبل

لا يخفى ان أصلب المواد المعروفة هى الالماس . ولكن الدكتور « فنك » أستاذ علم الكيمياء بجامعة كولمبيا باميركا يعتقد أن العالم سيشهد بعد وقت قريب ظهور معدن جديد أخف من الالومينوم وأصلب من الالماس وأمتن من الفولاذ (الصلب) ومتى وجد هذا المعدن فسيحدث انقلابا عظيما فى سير العمران ولا سيما وسائل المواصلات من سكك حديدية وبواخر ومركبات وطيارات . وربما يتم هذا الانقلاب قبل انقضاء القرن الحاضر ، وقد بدت طلائعه بظهور معدن « الدور الومينوم » أو الالومينوم الصلب فهو فى الواقع يجمع كثيراً من الصفات المنشودة فى المعدن الجديد ، ولكن لا تزال تنقصه صفات أخرى ليتمكن من إحداث الانقلاب المنتظر

سمك عجيب

اكتشف الدكتور لوج كوخ العالم الدنمركى سمكا عجيباً فى مياه جرينلند يعيش فى البر والبحر على السواء ويمشى على اربعة أرجل . وعثر هذا العالم أيضاً على أحافير كثيرة من هذا السمك وهى نادرة جداً . ويقال ان عدة متاحف أثرية فى العالم تسعى الآن للحصول على بعض تلك الاحافير لتضمها الى المجموعات التى لديها

حذاء مضيء

صنع بعض معامل الاحذية باميركا نوعاً من الاحذية المضيئة يحتوى على بطارية كهربائية وزر كهربائى اذا ضغط أنار ما حول الحذاء وساعد على السير فى الطريق بأمان

الكهربا أو الكهرمان

الكهربا - ويسميه بعضهم الكهرمان - هو صمغ شجرة راتينجية يجذب التبن اذا حك ، وهو معرب «كاه ربا» بالفارسية ومعنى «كاه» تبن و «ربا» جاذب ، أى جاذب التبن . ولا يتحجر هذا الصمغ الا بعد مرور ستمائة الف سنة عليه على الاقل ، فاذا رأيت قلادة من الكهرمان فاعلم ان عمر كل خرزة من خرزاتها يزيد على نصف مليون سنة

ضحايا الملاريا

فى أحد الاحصاآت الطبية ان مرض الملاريا (وكان العرب يسمونه البرداء بضم ففتح) هو من أشد الامراض انتشاراً فى العالم ومن أعظمها فتكا بالناس . ولا يقل عدد ضحاياه عن مليونى نفس كل سنة . ويقول أحد الاطباء الاخصائيين بمعالجة هذا الداء إن نحو ثلث سكان العالم (ومعظمهم فى نصف الكرة الشرقية) مصابون به

الغازات المثيرة للدموع

يستعمل البوليس الاميركي في بعض الولايات جهازاً يضعه في رسغه كأنه سوار وله زر اذا ضغطه انبعث من الجهاز غاز من النوع الذي يسيل الدموع . والبوليس الاميركي يجرب الآن هذا الجهاز في مطاردة اللصوص والمجرمين

اوتوبيس جديد

ظهرت في شوارع لندن حديثاً مركبات اوتوبيس من نوع جديد تمتاز عن غيرها بكبرها ونظافتها وجمال شكلها وبكون المكنة فيها في أحد جانبيها . ووجود المكنة في الجانب يسمح باستعمال المركبة كلها للركاب حالة ان المركبات الحالية تضيق عن استيعاب ذلك العدد بسبب وجود المكنة في مقدمة المركبة بحيث تشغل حيزاً كبيراً كان يجوز استعماله للركاب

طيارة جديدة

أقيم في المانيا حديثاً معرض للطيارات عرضت فيه مئات من نماذج للطيارات والسفن الجوية على اختلاف انواعها ، وبينها أنموذج طيارة لا شك أنها أصغر طيارة في العالم تسع راكباً واحداً وتستطيع الطيران نحو ثلثمائة ميل من دون أن تهبط لاخذ ما تحتاج اليه من بنزين . ويقال ان هذه الطيارة ستعم في المستقبل لقضاء الاعمال العادية نظراً الى رخصها وسهولة استعمالها وقلة ما تحتاج اليه من النفقات

معرض شيكاجو القادم

يعلم قراء الهلال ان مدينة شيكاجو ستقيم عما قريب معرضاً سيكون بلا شك اعظم المعارض التي قد أقيمت حتى الآن وستشترك فيه معظم الدول . وسيمتاز هذا المعرض عن غيره بأنه سيفتح من تلقاء ذاته بمرور أحد الاجرام الفلكية بنقطة معينة من الفلك بحيث يسقط شعاع ذلك الجرم على زر كهربائي في المعرض فيفتحه . وستسير في المعرض مركبات اوتوبيس كهربائية طول كل منها ستون قدماً لنقل الزائرين من بعض انحاء المعرض الى غيرها . وقد انشئت عدة مركبات من هذا النوع بلغ مجموع ثمنها ثلثمائة الف دولار . ولن تدخر ادارة المعرض وسعاً في سبيل نجاحه

مشمس صحي

في أحد انحاء فرنسا مشمس صحي أي مصحة يعالج فيها المرضى بنور الشمس وهذا المشمس عبارة عن غرف صحية كل جدرانها من زجاج وتدور على محور بحيث تكون دائماً متجهة نحو الشمس وهذا المشمس أو المستشفى الدوار مصنوع من الصلب والزجاج فقط

لشراء الحلواء

يظهر ان الاولاد الاميركيين هم في مقدمة أولاد العالم حباً للحلواء فقد بلغ مجموع ما أنفقوه في السنة الماضية في سبيل شراء الحلواء أكثر من خمسين مليون دولار . ويليهم السويسريون فالفرنسيون فالبلجيكيون فالا

حرير صناعي حقيقي

كثر استعمال الحرير الصناعي حتى كادت تجارة الحرير الحقيقي تبــور. ويستخرج الحرير الصناعي من مواد كثيرة وقد قرأنا الآن في احدى المجلات العلمية ان بعض مصانع الحرير باميركا يسعى لصنع حرير حقيقي من شرانق دود القز بمعالجتها بطرق كيماوية. وتدل التجارب التي قد تمت حتى الآن على أن الحرير الجديد سيمتاز على جميع أنواع الحرير المعروفة، بمتانته ونعومته ولينه وخفة وزنه

التسميد بالفحم

من أخبار المجلات الالمانية أن أحد المصانع بالمانيا يقوم الآن بتجارب كيماوية لتحويل الفحم الحجري سماداً للمزروعات. وقد أسفرت التجارب التمهيدية التي تمت حتى الآن عن نتائج تبعث على الارتياح

لتمثيل الافلاك

في معهد فرنكلين العلمي بمدينة فيلادلفيا الاميركية كرة هائلة الحجم شفافة فيها اجرام صغيرة تمثل الاجرام الفلكية في دورتها. وهذه الاجرام تدور في افلاكها على اسلاك دقيقة جداً، وسرعة دورانها متناسبة تماماً مع سرعة الاجرام الحقيقية التي هي رمز اليها. وبهذه الواسطة يمكن درس حركة الافلاك ومعرفة مواقعها درساً متقناً

مقياس البنزين

تستعمل بعض الاوتوموبيلات الاميركية الآن جهازاً يمكن بواسطته معرفة مقدار البنزين الذي ينفق في كل ميل في اثناء سير الاوتوموبيل ومقدار الباقي منه في خزان الاوتوموبيل. والمظنون ان الاوتوموبيلات الاميركية اكثر انفاقاً للبنزين من غيرها من الاوتوموبيلات بوجه الاجمال

الزلازل في اميركا

في شهر اكتوبر الماضي حدثت عدة زلازل في ولاية كاليفورنيا باميركا. وكانت الاولى في ٧ اكتوبر قبيل منتصف الليل بثلاث عشرة دقيقة والثانية في ١٠ اكتوبر والثالثة في ١١ اكتوبر. ويؤخذ من الارصاد الجوية ان زلازل أخرى توالى حدوثها في ذلك المكان عينه في ١٢ يوليو الماضي وبضعة الايام التي تلته. وهذا يدل على ان ولاية كاليفورنيا هي من المناطق المعرضة للزلازل

معالجة خيل السباق بالكهرباء

يعتقد الدكتور روبرت همفري من كبار الاطباء البيطريين بواشنطون أن معالجة خيل السباق بالكهربائية تجعلها أسرع في الجري وأقوى على احتمال التعب وقد جرب استعمال الجهاز الدياترمي (الذي يستعمل عادة في معالجة الاشخاص) في بعض جياد السباق فكان تأثيره عظيما جداً في تقوية قوائم الجواد وعضلاته

المجلات في روسيا

فى أحد الاحصاءات أن فى روسيا الآن ١٣٢٨ مجلة تصدر باللهجات الروسية المختلفة ونحو ثلث هذه المجلات يبحث فى الموضوعات العلمية

فأر جديد

يقول أحد علماء « علم الحيوان » إنه ليست جميع الحيوانات القارضة مؤذية فان هنالك ضرباً من الفئران تصطاد الهوام والحشرات - ولا سيما الجراد - وتأكلها

الاطفال والالوان

تدل التجارب العلمية على أن الاطفال يتأثرون بالالوان منذ الشهر الثالث تقريبا ولكنهم لايميزون بينها إلا بعد بلوغهم نحو خمسة عشر شهراً

حديقة للتاريخ

انشئت فى واشنطون حديقة للتاريخ الوطنى أخذت جميع أشجارها من مواضع تاريخية مشهورة وقد وضعت هذه الحديقة تحت اشراف جمعية الغابات الاميركية

حرير جديد

توصل بعض العلماء الى صنع نوع جديد من الحرير لا يخترقه المطر ولا يبله ويقال انه أمتن من جميع أنواع الحرير المعروفة وأقرب الى الدفء

نظام التدفئة عند الرومان

بينما كان بعض العمال يحفرون الارض فى « سان البان » بانجلترا (حيث كانت مدينة فيرولاميوم الرومانية القديمة) عثروا على بقايا منزل كان له نظام للتدفئة شبيه كل الشبه بنظام التدفئة المعروف اليوم بالسنترال

آداب الحيوانات

يقول أحد علماء « علم الحيوان » ان فى افريقيا حيوانات كثيرة من أنواع مختلفة اذا حان وقت ورودها للماء وقفت ينتظر بعضها بعضاً بصبر لامثيل له وبتأدب لاتجده بين أفراد البشر، فانها لاتتدافع ولا تتزاحم بل يفسح كل منها المجال لغيره فيشرب قبله

مرض الروماتزم

يقول أحد الثقات الاطباء الاميركيين إنه لو اهتمت الامهات بصحة أطفالهن منذ الصغر وحافظن على نظافة حلوقهم لنجا معظمهم فى الكبر من مرض الروماتزم الذى يعانى منه الناس ما لا يعانون من غيره من الامراض

مكتبة للمخطوطات

عزم جماعة من العلماء الالمان على إنشاء مكتبة تودع فيها المؤلفات الخطية التى لايستطيع أصحابها طبعها ونشرها بسبب قلة المال . وستكون هذه المكتبة فريدة فى نوعها وقد اختير لها مكان خاص فى مدينة هال بالمانيا

قلم رصاص جديد

اخترع أحد مصانع أقلام الرصاص الاميركية قلما جديدا كله من معدن الجرافيت وليس به خشب على الاطلاق . وهذا القلم متين جداً بحيث لا يتكسر طرفه ، وهو يكتب بسهولة . ويمكن ترفيع طرفه بمبرد خاص أو بواسطة ورق الصنفرة

الراديو بدل الموسيقى العسكرية

شاع الراديو فى الدنمرك شيوعاً عظيما حتى صار يستعمل فى جميع مناحى الحياة . وآخر وجوه استعماله هنالك هو فى الجيش فقد صارت بعض فرق الجيش الدنمركى تسير وأمامها أوتوموبيل فيه جهاز للراديو يذيع الانغام العسكرية

الزجاج الاسود

أقامت جريدة الديلى اكسبرس بلندن بناء كبيرا خاصاً بها تكاد جميع جدرانه تكون من نوع جديد من الزجاج الاسود . وهندسة هذا البناء غريبة جدا فان جدرانه كلها تكاد تكون نوافذ زجاجية وهى تجعل منظر البناء غريباً وجميلا فى آن واحد

ايجار الاجهزة اللاسلكية

تألفت شركة فى مدينة نيويورك غرضها إيجار الاجهزة اللاسلكية للذين يريدون التمتع بسماع الراديو من دون أن يضطروا إلى شراء الآلات اللازمة لذلك

قانون قديم

كان لأهالى سيباريس اليونانيين منذ سبعمائة سنة قبل التاريخ الميلادى قانون يحرم احداث الاصوات المزعجة فى الشوارع العامة

برج هائل

سيقام فى معرض شيكاجو القادم برج هائل يبلغ ارتفاعه ضعفى ارتفاع برج إيفل المشهور وسيصنع كله من الصلب والالومينوم وسيكون أعلى بناء شاده الانسان

فن الاعلان

أراد أحد مصانع الجبن بالمانيا أن يبتكر طريقة جديدة للاعلان عن مصنوعاته فصنع قرصا هائلا من الجبن على شكل « وابور زلط » وعهد الى بعض عماله فى دحرجته فى الشوارع على مرأى من الناس فكان ذلك أسلوباً غريبا فى الاعلان

انتشار السرطان

يؤخذ من إحصاءات مصلحة الصحة باميركا أن مرض السرطان أشد انتشاراً بين طبقات العمال منه بين طبقة الاغنياء ومتوسطى الحال وكذلك تدل تلك الاحصاءات على أن نسبة الوفيات بهذا الداء فى ازدياد مستمر وهى أعلى بين الرجال منها بين النساء ، وبين الزنوج منها بين البيض ، وبين ضخام الاجسام منها بين النحاف

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء الخامس من السنة الثالثة ـ صدر في أول نوفمبر سنة ١٨٩٤

« السمعانى »

هو يوسف بن شمعون الحصرونى المارونى وشهرته « السمعانى » وتعرف عائلته بالسماعنة . وكل منهم يلقب بالسمعانى . ولكن صاحبنا هذا اشتهر بهذا اللقب خاصة دون سواه من السماعنة . وهو من أفراد القرن الثامن عشر وقد قام بنصرة المشرق وقضى أحسن سنى حياته جائلا فى سائر انحاء الشرق يدون مآثر علمائه ومؤلفيه . وقد نال قصب السبق فى أعظم عواصم أوربا فى عصره حتى ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية . وقد ولد فى حصرون وقيل فى طرابلس سنة ١٦٨٧ ،وتاريخه مستفيض بالمآثر الجليلة . وله مؤلفات مطبوعة وغير مطبوعة . منها : التاريخ الشرقى . ومكتبة الناموس الشرقى القانونى والمدنى وهو فى خمسة مجلدات ورسالة عربية فى أصل الرهبنة . وهذه المؤلفات المطبوعة اما المؤلفات التى لم تطبع ، فنها كتاب فى الصور والذخائر المقدسة فى خمسة مجلدات وهى تبحث فى الصور المقدسة مما هو مصنوع من الفسيفساء أو منقوش على الرخام أو غيره ومحفوظ فى كنائس المغرب والمشرق أو مرسوم فى الكتب القديمة اللاتينية أو اليونانية وصور السيد المسيح وصور العذراء والصور الموجودة فى فلسطين والذخائر . ومن المؤلفات غير المطبوعة مؤلف مطول فى سورية القديمة والحديثة ، وكتاب علم الالهيات وغير ذلك

وصف الهلال

قال الصلاح الصفدى :

وقد لاح الهلال لمن يراه
وذيل الليل عندالشرق مرخى
كنون او كنؤى او كقوس
بلا وتر نراه او كفخ

وقال ابن ظافر المصرى :

والليل فرع بالكواكب شائب
فيه مجرته كمثل المفرق
ولربما يأتى الهلال بفجره
متصيد حوت النجوم بزورق

الفلسفة

الفلسفة لفظ يونانى مركب من كلمتين (فيلوس) محب (سوفيا) الحكمة . اى محب الحكمة . وهو الفيلسوف . وأول من لقب به فيثاغورس الفيلسوف اليونانى الشهير الذى ظهر فى سنة ٥٦٤ ق . م لقب نفسه به تواضعاً وذلك ان الفلاسفة كانوا قبله يدعون حكماء والفلسفة الحكمة . فلما ظهر فيثاغورس وسافر الى مدينة ايلاذه وتذاكر

مع لاون الملك ببحوث فلسفية أظهر مهارة ودقة فسأله الملك : أية صناعة اتقنت من الصناعات فقال : « لا اعرف شيئاً على الاطلاق سوى أني أحب الحكمة » ومن ثم اطلق عليه وعلى الحكماء من بعده لقب فيلسوف

اما موضوع الفلسفة فهو في تعريف المتقدمين « البحث في جميع ما تمكن معرفته إما بواسطة الحواس الخارجية ، واما بالاستدلال العقلي من كل مايتعلق بالله وبالروح وبالعالم الهيولي » . وفي عرف المتأخرين تطلق على بيان اسباب الاشياء المادية وغير المادية او ذكر الاشياء مع اسبابها وفيه ما يجمع التعريفين

العلم الاسلامي

العلم النبوي أقدم اعلام الاسلام . ولم نعثر على تفصيل له في كتبهم ، ولكننا رأينا فيه أقوالا يظهر منها أن الاعلام النبوية لم تكن جميعاً بلون واحد أو شكل واحد ولكنها كانت على اشكال والوان متباينة . وهاك ماورد من هذا القبيل

قال جابر : « ودخل النبي بعلم ابيض »

وقال ابن عباس : « وكان للنبي علمان علم اسود كبير وعلم ابيض صغير »

وقال البراء بن عازب : « واذكر ان العلم كان مربعاً اسود مرقطاً بالوان مختلفة »

ويؤخذ من النصوص التاريخية ان الفاطميين كان علمهم أخضر ، وأن الامويين اتخذوا العلم ابيض والعباسيين كان شعارهم الاسود

أما الهلال فهو شعار الدولة العثمانية . ولم يكن عند الاسلام قبلها . وقد اتخذته شعاراً بعد فتح القسطنطينية . وكان الرومانيون يتخذون رسم الهلال رمزاً الى السلطة وينقشونه على نياشينهم فالظاهر ان السلطان محمداً الفاتح اتخذه شعاراً لدولته اشارة الى ما اوتيه من الفتح المبين بتسلطه على القسطنطينية عاصمة الرومان

عن الجزء السادس من السنة الثالثة ـ ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤

المبارزة عند الرومان

بلغت الدولة الرومانية في ابانها من السطوة والصولة ما قلما بلغت اليه دولة من دول الارض وكانت عندهم عادة جارية لم يسبقهم اليها أحد . وهي (تبارز الاسرى) فقد تفننوا في قتل الأسرى حتى ارتأوا أن يقتل بعضهم بعضاً بالمبارزة في مراسح عمومية بنوها لذلك . ويفرضون للفائز مكافأة

وكان المتبارزون فرقاً يتميز بعضها عن بعض بنوع أسلحتها وكيفية مبارزتها . فنهم المتبارزون العاديون وكانوا يتبارزون أزواجاً . ومنهم المتبارزون جماعات ، ومنهم الفرسان المتبارزون ، ومنهم المتبارزون بالأشراك . والمتعممون ، وكانوا يلبسون خوذاً عميقة تغطي عيونهم ، ومنهم أصحاب السلاح التام

والمتبارزون على اختلاف فرقهم كانوا يلبسون

الخوذة ويتقلدون السلاح ماعدا أصحاب الأشراك . وكان من عوائدهم إذا أصيب أحد المتبارزين بجرح فسقط على الارض ولم يمت أن يقف الضـارب دائساً فوقه ينتظر اشارة الجمهور اما بقتله أو بالكف عنه

وأفظع المبارزات عندهم مبارزة الأسود . وذلك أن يطلقوا على المبارزين أسوداً ضارية معدة لذلك . وهى أشد خطراً مما تقدم ذكره . وقل أن ينجو منها المبارزون

قبر أمنا حواء

(حلفا) محمد افندى عثمان

فى جدة قبر يقال له قبر أمنا حواء . فهل هو حقيقى ، وكيف وجد بعد الطوفان . وما هو تاريخ وجوده أفيدونا ولكم الفضل ؟

(الهلال) لم يرد ذكر ذلك القبر فى التوراة ولا الانجيل ولا القرآن ولا الحديث ولا ألمع اليه أحد من المؤرخين الموثوق برواياتهم فى صدر الاسلام . ولكننا قرأنا لهم كلاماً يتعلق بالخليقة وهبوط آدم وحواء نورده بحرفه نقلا عن راويه

قال المسعودى فى مروج الذهب الجزء الاول أثناء كلامه عن المبدأ وشأن الخليقة : « وأهبط الله آدم بسرنديب ، وحواء بجدة ، وابليس بيسان ، والحية باصبهان . فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون . وتنازع الناس فى قبر آدم ، منهم من زعم أن قبره بنى فى مسجد الخيف . ومنهم من رأى أنه فى كهف جبـل أبى قبيس وقيل غير ذلك . والله أعلم بحقيقـة الحال »

وقال ابن الاثير فى الجزء الاول من كتابه الكامل وأثناء كلامه عن هبوط آدم : « قيل ثم ان الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء . فقال على وابن عباس وقتـادة وابو العالية انه أهبط بالهند على جبل يقـال له نود من أرض سرنديب وحواء بجدة »

وقال غيرهما ما يشبه ذلك ولم يتعرض أحد لذكر قبرها

أسباب الصلع

وجد بعض أطباء الانكليز أن من أسباب الصلع حجب شعر الرأس عن الهواء فيقل غذاؤه ويضعف نموه . ونرى أن المشاهدة تؤيد ذلك لان الصلع أكثر كثيراً فيمن تقضى عليهم أحوالهم ومصالحهم بلبس العمامة أو الطربوش طول النهار

اقفال النوافذ بالكهرباء

اخترع بعضهم طريقة لاقفال نوافذ المعامل دفعة واحدة عند الاقتضاء بواسطة الـكهرباء . وذلك يكون غالباً فى حوادث الحريق لان النار إذا شبت فى معمل كبير فقد يكون اطفاء تلك

النار متوقفاً على اقفال النوافذ وحجب الهواء عنها ، فالآلة المشار اليها تتكفل بذلك . وهي عبارة عن صندوق كهربائي معلق على جدار المكان من الخارج وتمتد منه الاسلاك إلى درف النوافذ فاذا اقتضت الحال اقفالها يضغط زر في الصندوق فتقفل النوافذ بسرعة غريبة حتى قيل إن الف نافذة تقفل في دقيقة واحدة

منبه البوستة

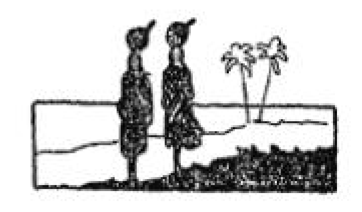
العادة في توزيع الرسائل بأوربا أن السعاة يطوفون الشوارع كما هو الحال في مصر ويضعون الرسائل في صناديق معلقة على أبواب المنازل . وقد اخترع بعضهم طريقة يتنبه بها أهل المنزل ساعة وضع تلك الرسائل في صندوق البوستة بواسطة جرس كهربائي

ايقاف الشمس

(طنطا) توفيق رزق الله

طلب يشوع بن نون من الله إيقاف الشمس كما ورد في سفر الاصحاح، فاستجاب طلبه ووقفت الشمس نحو يوم كامل، مع أن علماء العصر أجمعوا على دوران الارض وثبوت الشمس فما قولكم ؟

(الهلال) قلنا غير مرة إن الكتب الدينية انما شأنها هداية الناس إلى الطريق الحق وتعليمهم واجباتهم نحو خالقهم . فاذا ذكرت شيئاً يختص بالشمس وحركتها انما تذكره على ما يوافق افهام العامة ويطابق ما يقع تحت حواسهم ، فالمراد بايقاف الشمس كما يقول يشوع اطالة النهار ريثما يتغلب على الاموريين المحاربين له . وهذا لا ينافي دوران الارض وثبوت الشمس



أدب المراسلة في الجيل الماضي

آثار خطية لبعض كبار الزعماء والادباء

اتيحت لنا فرصة الاطلاع على بعض الرسائل التي كانت ترد الى الكاتب الشاعر المرحوم حفني بك ناصف من الكتاب والشعراء في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فرأينا فيها من الامثلة الادبية مايرسم لنا حقيقة الاسلوب الذي كان يستعمله الادباء في خاصة رسائلهم . ولهذا آثرنا نقل بعضها على صفحات الهلال ليطلع القراء على ما كان يمتاز به ادب المراسلة في الجيل الماضي

إن أول ما يمتاز به الاسلوب الذى كان يستعمله الادباء فى خاصة رسائلهم فى الجيل الماضى هو النزعة الادبية التى ترى بين سطوره ، والتى تشعرك بتعلق الكاتب أو المرسل بالادب ، وعنايته بتدبيج رسالته فى أسلوب نثرى أو شعرى يرضاه الاديب المرسل اليه وينال منه الاعجاب

ومن ذلك ما كتبه المرحوم الشيخ حمزة فتح الله الى حفنى بك ناصف وهو فى قنا فى يناير سنة ١٨٩٦ فقال :

« .. قد حظيت برسالتك فى قنا بعد أن تجاوزت الحدود أو كادت . فراقنى منها أيها الصاحب بعد محاسن لفظها ومعناها ، اننى لم أتنسم من الوجه البحرى الى الآن سوى نسيم صباها

وان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس مهموم أزالت همومها

« وكان انتشاقى عرفها ليلة يومنا هذا ، فذكرت قول الشاعر وأظنه المعرى :

وعذرت طيفك فى الجفاء لانه يسرى فيصبح دوننا بمراحل

« أستغفر الله العظيم ، بل أضاءت المسالك والدياجى الحوالك ، كأنما عناها ابن الحسين حيث يقول ـ وما أعذب وأرق :

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء اذ حيث أنت من الظلام ضياء

« وبعد ، فانى احمد اليك الله تعالى اذ نشلتنى من تبعة بيت ابن الشريد الذى جلبته القافية على الوزير الصاحب لما ضمنه الامام العسكرى أثناء اجابته عن بيتى الوزير اللذين أوفدتهما عليك ، وأنتمهما لعس شفتيك بقوله بعد مالا يحضرنى الآن ، فانما أنثل من جعبة الحافظة التى اثارتها لاجابتك نوابغ رسالتك :

فضمنت بيت ابن الشريد كأنما تعمد تشبيهى به وعنانى

ـــ :

(أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان)

« فهذا البيت الثانى أيها العيلم ، هو المعنى بالاشارة ، وابن الشريد وان كان صخراً فإن من الحجارة (١)

« ولم تكتف أيها الجهبذ المفضال ، بهذا الافضال ، حتى جعلت لى دائرة سوهاج مركزاً للدجاج ، والديكة والسكباج ، فلا أدرى أية أياديك اشكر ، ولا أية فرائد معاليك اذكر .. »

الى آخر هذه الرسالة التى ننشر خاتمتها بخطه فيما يلى :

الكاتب الاكتب ما وسع العالم اجمع والسلام عليك وعلى من لديك

وعلى سعادة افندم المدير ووكيله وحضرات ناظر المدرسة والافندى البرلسى وجميع

الاحبة افندم

وقد ذكر الشيخ حمزة (الديكة والسكباج) . والسكباج مرق يعمل من اللحم والخل . ويظهر أن الشيخ حمزة فتح الله كان يحب هذا المرق كما هو مشهور من حبه للديكة الرومية .. وقد استعمل فى خلال رسالته فقرات من السجع . وهذا السجع كان منتشراً فى ذلك الوقت حتى إن المرحوم الشيخ محمد عبده وزملاءه وتلامذته كسعد باشا وحفنى ناصف وغيرهما كانوا يستعملونه فى مراسلاتهم ومقالاتهم ثم عدلوا عنه قبل أن يبتذل . ويظهر ذلك من تلك الرسالة التى أرسلها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الى المرحوم حفنى بك ناصف ، فقال :

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار »

عزيزي

تسجع لي في كتابك وتطلب ان اسجع لك في جوابك كأنك لم تسمع اني تبت عن السجع حتى لو

ساقه اليه الطبع فماذا اصنع بك وقد نقضت توبتي بارتكابه . اعادوا الى كتابك وجدانا

بالا وجدته تقتبس ثياب الصوم والقضايا كوم عليه كوم مع قدوم القدوم ومحاصة

النوم حتى كانت نعمتك حب علي وكانما انتقل خلاك الى لكن لما تذكرت قطر الماء

وقرب وقت الافطار والنجاة الى الدار من غاشية اهل النار ونكلة الذنوب والاوزار

قلت تشقق قرقار فكان بالكاد وقد حضر والطعام يتبعه على الاثر فانبلت العروق

وتفتحت الحلوق واستكانت البطون وقرت العيون وثاب السكون تحدثت اليك على الشبع

بما كان اذ عنيت بك البدع من اطالة السهر وقتل الليل بالسهر الى وقت السحر فذلك تهلكة

للبدن مجلبة للوهن مفسدة لتنغيص الزمن مطفئة لنور الفطن وقد كان ابيه عنه الحق

ثم قد رصد التحويل [illegible] والسلام

وسلامي عليك وعلى السيد احمد [illegible] الكريم

محمد عبده

ليلة ٩ رمضان

فترى الاستاذ الامام يذكر حفنى بك فى هذه الرسالة بتوبته عن استعمال السجع ، حتى لو ساق اليه الطبع ، ـ كما يقول ـ ويلومه فى ظرف على نقضه لتوبته بسبب ما اضطره ادب حفنى بك إلى الرجوع اليه . ثم لا يجد مندوحة من اجابته بهذا الاسلوب ولو على سبيل الاحتذاء الذى طالما يستعمله المتراسلون فى اجابة بعضهم بعضا

على انه بالرغم من أن بعض العلماء والادباء كالشيخ محمد عبده اقلع عن استخدام هذا الاسلوب الذى خلفه لنا مستعربو الفرس فى العصور الوسطى ، فان البعض الآخر فى اوائل القرن العشرين كان لا ينهج فى رسائله الانهجه ، بل الف به كتاباً قصصياً كالمرحوم محمد بك المويلحى فى كتابه (عيسى بن هشام) . ومن هذا النوع تلك الرسالة :

اصوان في ٧ مارس سنة [illegible]

صديقي الفاضل حفني بك ناصف

لولا يقال اننا بتنا نتقارض الحمد والثناء . ونتناوبه بيننا المديح والاطراء . لجعلت لك صحف الاخبار . تفرد تغريد الاطيار . ولصغت فيك ما يتألق كالنضار . ويتأرج كالازهار . حمداً لك على ما صنعت به لغة القرآن . بقوة الدليل والبرهان . وما نطقت به من فصل الخطاب . في حسن الدفع عن معجزة الكتاب .

ربما بلغ من الضعف ان يصبح الدخيل في امورنا فوق الاصيل ، ولكن لغة هذا الدين لا يمكن الآن تقبل الدخيل . فالله وليك فيما أتيت ونصيرك . والقرآن بعد ذلك ظهيرك : يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم .

ولئن كنت رأيت بالامس انني نصرت رسول الله بكلمتي في "دانتي" فانا على يقين اليوم انك نصرت كتاب الله بخطبتك في "التعريب" جزاك الله عن خدمة كلام الله افضل ما عنده من منازل المتقين الاطهار وما ادخره في النعيم لعباده الصالحين الابرار .

محمد المويلحي

جراند اوتيل اصوان

وقد كان من المألوف ان يتهادى الشعراء بالابيات والقصائد . وكثيراً ما يضمنون رسالاتهم شيئاً منها خصوصاً اذا كان المرسل اليه شاعراً ، وقد اهدى ذات مرة حفني بك ناصف صورته إلى المرحوم اسماعيل باشا صبري . فرد عليه يشكره بثلاثة ابيات رقيقة ، فقال :

حظيت راحتي برسمك حفني · متمما فاز بالمسرة قلبي (صدري)

صورة ما شفت مثلها ولكن · حيرت في صفات ذاتك فكري

اذكرتني محاسنا لك غرا · لم ينلها سواك من اهل مصر

المخلص
اسماعيل صبري

ومن الطريف أن نذكر هنا ان حفني بك ناصف اهدى سنة ١٩٠٨ « رماناً » الى حمد باشا الباسل وكيل الوفد المصرى فشكره حمد باشا بهذه القصيدة اللطيفة :

مانح الرمان من أقصى الصعيد · دمت فينا مهدياً فى كل عيد
حبذا فاكهة قد جمعت · كل معنى من معانيها يفيد
فهى فى مطعمها فاكهة · وهى فى باطنها در نضيد
وهى فى التشبيه تحكى صرة · من دنانير بطرد فى البريد
أو كنهد ناهد من غادة · عمرها عن خمس عشر لا يزيد
وهى من مرسلها بر وقد · جاءنا من غير شرط أو وعيد (١)

نفحة من عشر قاض (انا صف)
هو من الحكام ذو رأى سديدْ
منحة فاقت عن الدستور من
كونها اعتبرها وجه الجديدْ
كلما أهرقت المديا دماً
من رماها قلت يا هل من مزيدْ
فيا دوني جميعا فليعش
مانح الرمان من اقصى الصعيدْ
حمد باسل

---

(١) عكس « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »

ويجب أن نذكر أن ازدهار النهضة الادبية فى أواخر القرن الماضى وظهور طائفة من البلغاء كحفنى بك ناصف قد وجه ناشئة المدارس الى الولوع بانتحال الأدب . وقد كان حفنى بك مدرساً فى مدرسة الحقوق فسرت روحه فى تلامذته وأعداهم بأدبه فوجد بينهم الشاعر والناثر وأخذوا يراسلون استاذهم بالرسائل الشعرية والنثرية . ونحن نذكر هنا انه لما ارتقى حفنى بك من وظيفة التدريس إلى منصب القضاء أرسلت اليه عدة تهان من زملائه واخوانه وتلامذته . نذكر منها هنا تهنئتين شعريتين احداهما للمرحوم مصطفى كامل باشا وثانيتهما لصاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا . وكانا وقتئذ تلميذين فى مدرسة الحقوق .وقد بدأ مصطفى كامل قصيدته بقوله :

حتام قلبي للوصال يميل	وعلام سيف الصد لى مسلول
حكم الغرام بلوعتى وتذللى	لك والتذلل للجميل جميل

ويقول فيها :

هيهات أسلو من برانى حبه	كلا ولا اسواه قط أميل
كيف السلو وحبه فرضاً أزا	ه كمدح من من شأنه التفضيل
بدر الوفا (حفنى) المعظم قدره	صدرالأماجد (ناصف) المأمول

الى أن قال :

لا زلت فى رتب السعادة راقياً	عرش العلا وشعارك التبجيل
مالاح بدر أو ترنم (كامل)	حتام قلبي للوصال يميل

وقد ختمها بهذه الأبيات الثلاثة التى تخالف القصيدة فى الوزن والقافية . وقد عزلها بخط صغير :

مولاى (كامل) قد جاد الزمان له	بنت فكر [illegible] طفلة الفكر
بكر أنشأته [illegible] وما	[illegible] فى سوقه الوزن
فاسمح [illegible] لى [illegible] به	صدر الثناء [illegible] العصر

بقلم مصطفى كامل
[illegible] الحقوق

أما دولة نسيم باشا فقد قال فى قصيدته :

لأشكون لقاضى الحب مظلمتى	عساه يرسل للمحبوب إنذارا
وإن أبى رحمتى فى ظل ساحته	كلفته فى الهوى عطلا واضرارا
لعل لى ناصفاً من ذاك ينصفنى	ويصدر الحكم بالمأمول إصدارا

وآخر هذه القصيدة :

فلا عسر هنا فالعدالة قد   وافت اليه وقرته اقرارا

محمد توحيد نسيم

[illegible]

وكلتا القصيدتين تربو على عشرين بيتاً . وهما تعطيانا فكرة عامة عن أدب التلامذة فى مثل هذا المقام

وإذا كنا قد ذكرنا أدب التلامذة فى مراسلاتهم ، فلا بأس من أن نذكر شيئاً من أدب الأبناء

ولنتخذ المرحومة ملك حفنى (باحثة البادية) مثلا فى هذا الباب . فقد كانت تراسل والدها برسائل أدبية تودع فيها خواطرها السامية وعواطفها الرقيقة ما بين منثور ومنظوم . وقد أرسلت إلى والدها حفنى بك رسالة من طنطا فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ تأسى فيها لمرض عينيه وإجراء عملية جراحية فيهما . ومما قالته فى هذه الرسالة :

من مبلغ عنى طبيبك انه   يفرى بمبضعه حشاى واضلعى
يخبرك صدرى بالحقيقة إذ بدا   من اثر طعنته السعال مشايعى
فلئن سكت فن ضرورات الأسى   ولئن سعلت فزفرة المتفجع
ولئن بكيت فانما لتذكرى   عينيك تفتح بالسنان المشرع
فاسلم أبى وانظر الى برأفة   عينى فداؤك كى أقر ومسمعى

ولا بد هنا من أن نذكر ان أدباء ذاك الجيل قد عنوا بالزجل واستظرفوه وظهر فيهم عدد من كبار الزجالين نذكر منهم المرحوم عثمان بك جلال شيخ الزجالين ، والمرحوم الشيخ محمد النجار ، والمرحوم الشيخ احمد القوصى . والمرحوم السيد عبدالله النديم . وقد كانوا يتراسلون فى بعض الأحيان بالزجل ، وكان حفنى بك ممن يتفكهون بالزجل ويمارسونه فى رسائلهم

وكان اصدقاؤه يراسلونه به أيضا . وبعث اليه الزجال المعروف الشيخ احمد القوصى يهنئه لنقله وكيلا لمحكمة قنا ، فقال :

يابو الادب ياحفنى بيه   ما اقدرش أحصر أشـواقى
وأنا فى بعدك اعمل ايه   اجعل رسـولى أوراقى

٭٭٭

من الحرارة الله يحميك،   ولو تكون هيـه طبعك
ولا يمكن عقرب فيك   وبالنـاموس اقض بشرعك

وأرسل اليه القاضى الأديب محمد بك (باشا) صدقى فى سنة ١٩٠٢ زجلا مطلعه :

الشوق الى نظم الازجال غلب على أمر القاضى
والقصداشرح واقعة حال مادمت قاضى اليوم فاضى

ثم ختمه بقوله :

أما الخلاصة انى الآن أصبحت فى ديل الشعرا
زجال جلالة (حفنى خان) سلطان سلاطين الفقرا

فرد عليه حفنى بك بزجل مطلعه :

منى لسيد الزجالة الفين سلام فوقهم بوسه
مالوش نظير فى الرجاله يخلق من الهيلك دوسه

° ° °

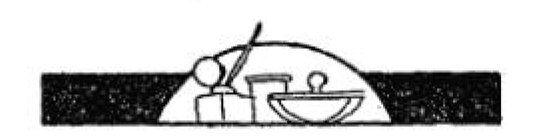
زجال جلالتنا المحبوب حامل لوا جند الشعرا
حايزنشان «رعرع ايوب» ومعاه لقب «جاب اليسرا»

ومنها :

بتشترى فى القول وتبيع ياما انت شاطر فى التفليس
وإنت يوم قاضى توزيع واربع شهور مأمور تفليس

° ° °

وبعد ، فهذه نماذج لم يسبق نشرها من أدب المراسلة فى الجيل الماضى . وهى تميط لنا اللثام عن اسلوبهم فى رسائلهم الخاصة ، وتوضح لنا كيف كان الادباء يتهادون فى كتبهم بنوافح قرائحهم مابين نثر وشعر وزجل ، يذهبون فيه مذاهب الفن والطلاوة والطرافة ، ولا يهملون فى رسائلهم جانب الادب الذى يعتزون به ويحرصون عليه ، ويحبون الانتساب اليه . وقد ساعدهم على ذلك صفاء عيشهم ، وقلة تكاليفهم ، وسعة فراغهم ، وعدم شغلهم بما يصرفهم عن العناية بالرسائل الخاصة من مختلف المشاغل التى تخنق ادباء الجيل الحاضر



مشكلة الزواج فى مصر

استفتاء لنفر من العلماء والمفكرين

وهو الجزء الثاني من المحاضرة التي ألقاها الاستاذ فكري أباظة في قاعة يورت بالجامعة الاميركية

نشرنا في العدد الماضي من الهلال الجزء الاول من محاضرة الاستاذ فكري اباظة وقد تناول فيه مشكلة الزواج في مصر من نواح متعددة. وفيما يلي تتمة هذه المحاضرة وهي استفتاء قام به الاستاذ فكري أباظة لدى طائفة من كبار العلماء والمفكرين في مصر بشأن مشكلة النسل وتحديده ومشكلة الزواج عموماً

وصلنا لمشكلة النسل وأشعر انى أواجه موضوعاً دقيقاً . فلا شك أن اغلبية الشبان يحسبون الف حساب للنسل الكثير وما يتطلبه من النفقات الكثيرة . . . ومن الصعب على ان أجرح الآذان بشرح نظرية التحكم فى النسل والافاضة فيها . ومن الصعب على أن أدعو لتقليل النسل فهذه دعوة اجتماعية غير نزيهة ... ولكن ما العمل ونحن مهددون بأزمة سببها الخوف من كثرة الاولاد . وقد درست الموضوع حق الدرس ، ومن رأيى ألا يحتوى منزل الزوجية على أكثر من الزوجين وثلاثة من الاولاد على أكثر تقدير . أما العلاج الذى انصح به والطريقة التى ارسمها للزوجين فهذا لا يقال فى محاضرة عامة وانما يهمس به فى الآذان أو تعد له محاضرة خاصة لا يحضرها الا المتزوجون والمتزوجات . وسأفكر أنا وبعض زملائى الاطباء فى الدعوة الى تلك المحاضرة المنتظرة . . .

ولكى تعلموا سيداتى وسادتى انى تعبت فى هذه النقطة الخطيرة من نقط موضوع الزواج فانى أقرأ عليكم استفتاء خاصاً « بالعقم الطبى » أى « بمنع الحمل » بالوسائل الطبية . وهى فرصة أنتهزها لشكر حضرات الاطبـاء الذين تكرموا بمساعدتى فى الموضوع وهم حضرات النوابغ : نجيب بك محفوظ ، والدكتور شفيق ، والدكتور الدياسطى . ولكم أن تستفيدوا من هذه الناحية الطبية كل الاستفادة . ولكنى رأيت قبل هذا أن أؤسس البحث على اساس شرعى دينى مدعم فلجأت الى عالم كبير راسخ القدم فى فنه وهو الاستاذ « احمد بك ابراهيم » وكيل كلية الحقوق . واليكم رأيه أولا ثم آراء حضرات الاطباء . ولكن يجب ان تعلموا أنى حذفت ـ مراعاة لوسط المستمعين ـ كثيراً

من حجج علمائنا وأعلامنا . وموعدنا « بحرية وعصرية البحث المكشوف » محاضرة خاصة تجمع وسطاً خاصاً

رأى الاستاذ احمد بك ابراهيم وكيل كلية الحقوق الملكية

« . . . وقد علمت مما تقدم أن جمهور العلماء يقولون بجواز المعالجة لمنع الحمل قبل نفخ الروح فيه

« وانى أقول لك فى الختام ان هذه المسألة قد وضح حكمها من جهة الدين والشرع الاسلامى وهو جواز المعالجة لمنع النسل أو تقليله على رأى أكثر الفقهاء . لا سيما وأنتم تعلمون أتم العلم حال شباننا وفتياتنا الآن . وعهدى بك أنك بعيد النظر فى كل ما تقول وما تكتب . وأنا مؤمن بهذا ولكنى سقت اليك هذه الكلمة ليطمئن قلبى . . . والسلام عليكم ورحمة الله »

رأى الدكتور نجيب بك محفوظ

« رداً على خطابكم الذى ذكرتم فيه أنكم تنوون البحث فى حل ازمة الزواج وتطلبون رأيى فيما اذا كان من المستطاع منع الحمل بوسائل طبية بغير اضرار بالزوجة أبدى ان الوسائل المتبعة لمنع الحمل تختلف بحسب السبب . .

« . . . وأما الاحوال التى يطلب فيها منع الحمل لاسباب اقتصادية فيلجأ غالبا الى وسائل ميكانيكية ومستحضرات خاصة كثيرا ما ينتج استعمالها ضرر قد يكون بالغاً فى بعض الظروف فضلا عن كونها غير مضمونة التأثير . . . »

رأى الدكتور احمد شفيق

« أخى فكرى

« احتراماتى وتحياتى وشكرى لتشريفى بالاستشارة فى موضوع بحثك ومعالجتك مشكلة الزواج فى مصر ، وهى لا شك عويصة وخارقة لكل منطق فى كثير من وجوهها وأنا واثق ـ مما أعلم من تاريخ كتاباتك ـ أنه لابد لك من مهاجتها بطريف أسلوبك

« أما عن سؤالك فقد تناوله بالبحث والاهتمام فريق من الاطباء فى أوربا وغير الاطباء أيضاً مجاراة للتطور الحادث فى صفوفهم ، وكان نتيجة طبيعية لتعميم التعليم بينهم أولا واشتداد سبل العيش على الانسان مع الغلو المطرد فى رغباته وضروب افراحه ، حتى أصبح طبيعياً أن يئن تحت عبء الزواج والتناسل وما يجره من المسئولية والمطالب والآلام ثانياً . ولذا لم يتركوا باباً من طرق المنع إلا بحثوه . وتوصلوا فعلا الى طرق متعددة فعالة لاحراز « العقم الطبى » كما شئت أن تسميه لو أن التسمية تقع موقعها الحرفى اذا تقيدنا فيه فقط بالاسباب المرضية من غير ان تتخطاها الى الأوجه والاعتبارات الاجتماعية والمنطقية . كما ان الطب والاطباء المسئولين يقيدون الاجه، تر

الصناعى بمبررات واضحة محدوده ويصمون ماعداها « بالاجهاض الاجرامى » فهم لذلك لا ينظرون بعين راغبة لطرق منع الحمل الا فى نفس الحدود التى يبررها الاجهاض الصناعى لما تسببه جميع الطرق المعروفة من اضرار . وهذا يفسر موقف الاطباء المسئولين ازاء هذه النقطة الاجتماعية الهامة والتى تواجههم كل يوم اعراضها لتبرير الموقف ولو ان السؤال لم يطليها

« أما عن الشطر الثانى فلا شك أن هناك ضرراً جسمانيا من هذا الذى يمنع به الحمل يتفاوت فى تأثيره بحسب نوعه ، وباختلاف الطبع . وربما اطمأن الشخص لتجاربه باديء بدء ولكن بمرور الزمن يتراكم التأثير حتى يبدو بنتائجه ، ولا بد من التذكير — حتى يبدو لنا الضرر واضحاً — بأن المرأة فى نوعها الجنسى خلقت لاهم وظائف الخليقة أو الطبيعة وهى التناسل واستمرار النوع ، وفى بعض الحلقات الوطيئة تتناسل هذه بدون احتياج الى شريك . وربما كانت هى فعلا الاصل . وعلى أى حال فهى العامل الاهم فى استمرار الخليقة بغناها الحالى وعليها تقع أهم تبعات التناسل من حمل وارضاع وتربية ، بينما يستخدم الرجل فى العمل لتوريد حاجاتها وما تهديه للوطن من نسل ، وأمامنا مثل قريب فى اقطاع الانعام وغيرها فقليل من الذكور يفى بحاجات تناسلها

« إذن فالمرأة لا بد لها من الحمل وهذا فعلا ينمى جسمها ونفسيتها وعقلها . وعوده يحفظ لها كيانها الفسيولوجى بل يجدده . واذا كان كذلك فلا بد أن يكون حرمانها من تأديته يعود عليها بالاضرار التى تنشأ من عدم الوظيفة ، فلو حرمنا العين من النظر أو اللسان من النطق أو اليد من العمل فترت واضمحلت وظائفها ، ولا بد من أن يفت فى اليد بمضى الوقت عليها بالتدريج . وهذا مشاهد فعلا فى حال المرأة فيما خصص فى جسمها لهذه الوظيفة السامية فتنىء بالضمور ، وعكس ذلك تتجدد وتترعرع تلك بذاتها عند من لا تضن عليها باداة التجدد . ومن هذا الذى نراه فى تجاربنا اليومية يتضح لنا أساس التغيرات التى تعترض كثيراً من النساء فى سن القتور الطبيعى المسمى بسن اليأس فتكثر شكواها الجسمية والنفسية . وتبكر عادة تلك الإعراض عند من عداها ممن أثر على مجاميعهن المنع ، وكان ذلك قسراً أو قصداً

« وهنا لابد لنا أن نتعظ بالامر المألوف فى الحياة العامة حتى إنه أضحى كمبدأ لنا ، وهو اننا ندفع ثمناً لكل مسرة أياً كانت ، ويكون الثمن عادة أو منطقياً بقدر ما اكتسبناه من مسرة ، وان لم يكن دائما كذلك ، فالمرأة التى تحرم عائلتها والمجتمع الانسانى مما خلقت لاجله حفظالكيان أو جرياً وراء مسرة أياً كان نوعها أو تمتعاً بعيشة خاصة أو ما أشبه ذلك من أسباب اجتماعية محضة — لا بدلها من ان تدفع لذلك ثمناً ان لم يكن فى جوهر أعضائها فعلى حساب نفسيتها أو كليهما

« هذا . وقد لمستم اخوتكم موضوع منع الحمل كأول من تصدى لهذا البحث الاجتماعى فى مصر . ولاهمية شخصكم فى بحث اجتماعياتنا عامة — وهى من أنتج مواضيع الاصلاح المطروحة فى بلدنا الثانى »

المرن — أرجو من اخوتكم رجاء خاصاً هو عدم مضاهاة بلدنا فى بدء تكوينه بلاد أوربا التى لا يطرأ عليها تغيير أياً كان الا بعد أن يمحصه الاجتماعيون وكتابهم من جميع أوجه البحث والمناقضة . واذا تركنا للعامة طرق المنع فى ايديهم حتى ولجزء وافر من الخاصة لا بد ان يسيئوا استعماله ويعود علينا بالنتائج السيئة . وكلنا نعلم قوة التقليد بين صفوفنا وخصوصاً ما خف شأنه من اوجه التقليد

« هذا وكلنا نعلم مقدار الوفيات البالغ فى الطفولة بيننا ، وربما كان من أهم أبواب الاصلاح — اذا لزم المنع للمواليد عامة كأمر يخص الوطن — محاولة الاقلال أو منع التعدد فى الزوجات وتقييد الطلاق بشروطه الاسلامية العادلة

« وهناك جمع غفير من الاطباء فى اوربا يرتزقون من هذا المورد الخصب الذى يحذره فى مصر الآن المسئولون من الاطباء ، ارجاء لاحد خطوب المدنية الحديثة اذا استعمل فى غير محله

« وفى الختام أرجو أن تسامح اطالتى التى يبررها أهمية الموضوع من وجه عام . ولعلى أكون قد أجبت على سؤالك بما يفى « شراهة الاطلاع » اذا سمحتم بالمجاز مع قبول اسمى احترامى »

رأي الدكتور الدياسطي

« . . وسائل تحديد النسل شتى وليس أحدها بضامن منع الحمل اطلاقاً . وهى اما عقاقير تستعملها المرأة أو اخلاط يستعملها كلا الزوجين أو احدهما . .

« . . . كل ذلك قد يحول دون الحمل ولكنه كما ذكرت لا يمنعه بتاتاً . . وأما اذا كان عند الطبيب سبب أو اسباب وجيهة تستدعى عمل اجراء حاسم فهناك وسيلتان : اما اجراء عملية فتح البطن وازالة مقطع من كلا البوقين وربطهما . . وإما تعريض . . للاشعة . وفى الحالة الاولى لن تحمل السيدة بعدها ، وفى الحالة الثانية قد يكون من المحتمل ان يعود اليها . . وليس هذا مضموناً فقد يزيد مقدار الاشعة عن الحد اللازم فيسبب للمريضة أمراضاً عصبية »

☆☆☆

سيداتى وسادتى :

كاتبت بعض اقطابنا فى الموضوع وسألتهم على من يلقون تبعة أزمة الزواج الحالية : أعلى الفتيات أم على الفتيان أم على أهلهم أم على التقاليد المادية ؟ وقد تكرم بعضهم فتفضل بالرد على وانى أشكر لهم جزيل الشكر عنايتهم بمساعدتى فى هذه المحاضرة وأشكر الظروف التى أتاحت لكم ان تختم هذه المحاضرة بآراء هؤلاء الكبار وستجدون حتما فيها أنضج الاراء وأصح النظريات

رأى فضيلة الاستاذ الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر السابق

« حضرة الاستاذ

« السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد وصلنى كتابك الذى سألتنى فيه رأيى عمن تقع عليه مسئولية

أزمة الزواج . وهل هناك اقتراح تشريعى يساعد على تبديد هذه الازمة

« ولا أظن أنك سقطت على خبير فان الجواب على سؤالك يتطلب دراسة دقيقة للطبقات فى مصر ودراسة لنفسية الشبان والفتيات ، ومثل هذه الدراسة غير ميسورة لى

« ولولا حرصى على مساعدتك ببعض المساعدة فى علاج هذا الموضوع لكان من حق أن أسكت عن الكتابة فيه

« وقد يبدو لى أن هذه الازمة غير موجودة فى بلاد الارياف حيث لا توجد المدنية الحديثة وحيث يقل الشعور بها وبما تستلزمه ، وأنها بارزة واضحة فى المدن حيث يقوى الشعور بالمدنية ويشتد التنبه الى ماتستلزمه من الترف فى المسكن والملبس والمركب والزينة وأنواع اللهو المباح منها وغير المباح . واذا أنت سلمت بهذا أمكنك التسليم بأن المدنية هى سبب الازمة وأن عليها وحدها تقع المسئولية . وانى أريد بكلمة المدنية مايفهمه العامة والجمهور منها ، وهى المدنية الحاضرة بفضائلها (ان كان لها فضائل) ونقائصها لا المدنية الفاضلة الكاملة

« واذا بحثت الاسباب التى تدعو الشبان والفتيات الى الاحجام عن الزواج تراها جميعها ترجع الى المدنية

« الشاب يحجم عن الزواج لانه يطمع فى زوجة غنية يساعده مالها على الاستمتاع بزينة الحياة وزخرفها . ويريد زوجة يستطيع هو اسعافها بما تصبو اليه نفسها وتصبو اليه نفسه من هذا الزخرف ، ويريد أن يكون له ولها من الثروة مايمكنهما من تربية الاولاد وتعليمهم تعليما راقيا ومن توفير أسباب السعادة لهم . وهذا غير ميسور الا لعدد قليل من الناس . أضف الى هذا أن خروج الفتيات على التقاليد دفعة واحدة أوقع الرعب فى قلوب الشبان

« والفتاة تريد زوجاً موفور الثروة يستطيع أن يوفر لها جميع ما ترغبه وتطلبه ، وهذا الذى ترغبه غير واقف عند حد . ثم إنها تضع أمامها مثالا للزوج يخلقه لها الخيال ويجيد ابداعه وتصويره ثم تطبق هذا المثال البديع على ماقد يعرض لها من الشبان فلا تراه ينطبق الا على القليل النادر . . وقد صار سلطان الفتيات على أهليهن قوياً أيضا فى هذا العصر وهم يتبعون رغباتهن . فهذه الاسباب كما ترى ترجع الى المدنية الحاضرة ، ويجب أن تحتمل المدنية الحاضرة مسئولية أزمة الزواج

« ثم انك رجل تشتغل بالقانون وأظنك على اطلاع بما صدر من القوانين التى حدت أنواع الحريات . وأعتقد أن كل شىء ما عدا العلاقات الزوجية وروابط الاسرة يمكن الصبر فيه على احتمال القوانين . أما روابط الاسرة فانها لا تحتمل ذلك . وهل ترى ان يتم عقد الزواج بالاكراه ، وهل فكرت فى نتائج زواج يجبر عليه الزوجان بقانون ؟

« أما تحديد المهر مثلا ونفقات العرس فلا يوصل الى نتيجة حاسمة . نعم ان المغالاة فى المهر

ونفقات الافراح بغيضة الى النفوس وهى معطلة فى بعض الاحيان ، ولـكنها ليست أصل الداء . بل الداء الحقيقى هو مايعقب الزواج من النفقـات التى تتطلبها المدنيـة الحاضرة سـواء أكانت نفقات الزوجة والمنزل أم نفقات الاولاد . ومن هذا تعلم انى لا أرى اصدار تشريع للخلاص من هذه المعضلة الاجتماعية ، ولـكن على القادة والزعماء والمفكرين ان يحاربوا هـذه المدنية الباطلة وان ينشوا مدنية فاضلة قوامها الدين والخلق والعلم

« ولا أريد بالدين حفظ قواعده وتصورها بل أريد الايمان بها ايماناً يملأ النفوس رغبة فى الله ورهبة منه ، ويضع الحياة الدنيا حيث وضعها الله . وهذا القدر يتفق والمدنية الفاضلة فان الدين الحق والمدنية الحقة سواء لا يمنعان الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا فى الدائرة التى لا تنافى الفضيلة . واقصد بالخلق الخلق الفاضل الذى يزدان به صاحبه أكثر مما يزدان بالجاه والمال ، والذى يجعل النفس راضية مطمئنة صابرة على احتمال مكاره الحياة صابرة على الدأب والعمل فى غير ضجة حتى يصل صاحبها الى ما قدر له غير آسف على شىء فات ، والذى يجعل صاحبه شجاعاً يواجه الناس بثوب نقى زهيد القيمة ونفس رفيعة القدر . وأريد العلم الذى يدعو الى التواضع والذى يعرف صاحبه قدره واقدار الناس واقدار كل ما فى الدنيا من حق وباطل وصحيح وبهرج ، ويجعل لذة صاحبه به أكبر من كل اللذات . ولك تحياتى واحترامى »

رأى الاستاذ محمد على علوبة باشا

« صديقى العزيز الاستاذ فكرى

« تطلبون رأيى فى ازمة الزواج فى مصر وعلى من تقع مسئوليتها أعلى الشبان أم على الفتيات أم على أهليهم أم على التقاليد المادية ، وتطلبون ان كان لى اقتراح تشريعى يساعد على تبديدهذه الازمة

« والذى ألاحظه أنه لو كان لهذه الازمة وجود فى القرى ـــ وهو ما أشك فيه كثيراً ـــ فانما يكون نتيجة الحالة الاقتصادية دون غيرها

« أما فى المدن وبين الطبقات المستنيرة فقد وجد عامل جديد نشترك فيه مع غيرنا ولا سبيل للتحكم فيه ، وهو عامل الحيطة والنظر الى المستقبل ، فان الشاب والفتاة كلاهما يريد أن يطمئن على مستقبله بدخل مضمون قبل ان يرتبط بواجبات زوجية قد تنمو مع الزمن ويصبح القيام بها عسيراً

« هذا اذا صرفنا النظر عن ان العالم قد صار الآن مادياً وان فريقاً من الناس هنا كما فى الخارج يطلب من الزواج جاهاً أو ثروة . ولم أدخل هذا الفريق فى تقديرى

« وبرغم ان العوامل التى ذكرتها لـكم عامة ولا يمكننا التحكم فيها ، فان فى مصر عاملا له فيها أثره الخاص ويجب علينا ان نفكر فيه وهو عامل التفاوت الفكرى والتهذيبى بين الجنسين

« نعم فى مصر تفاوت عظيم بين الشبان والفتيات . فان المدارس تخرج لنا كثيراً من الشبان لايجدون عدداً من الفتيات المثقفات يكفى للاقتران به . وتعليم الفتاة عندنا لم يتسع الى درجة يرى فيها كل شاب بغيته

« وفى هذا يجب لحل الازمة نشر تعليم الفتاة على أساس صحيح حتى يوجد التوازن بين الجنسين وحتى يكون العرض مساوياً للطلب ، والا اضطر كثير من الشبان مع الاسف الى التزوج باجنبيات أو الى عدم الزواج . وهؤلاء هم الذين لا تغريهم المادة وانما يرغبون بصدق واخلاص فى ان يتزوجوا ممن تكون على درجة من الذكاء والثقافة والاخلاق كافية لتفهم معنى الحياة المشتركة أى معنى الهناء العائلى

« من هذا ترون أن ليس من العدل القاء المسئولية على الشبان كافة أو على الفتيات كافة أو على التقاليد المادية فان هذه ستبلى مع الزمن ، وأن لا ضرورة للتفكير فى تشريع لا فائدة منه . وانما الحل ما عرضته عليكم

« وأرجو أن تلاحظوا ان بحثى مقتصر على موضوع الزواج . وهو بعيد عن موضوع المواليد . فان مصر بحمد الله مازالت من أكثر بلاد الدنيا انتاجاً لولا كثرة وفيات الاطفال فيها كثرة لا تحمد عليها . واذا وصل القائمون بالامر فينا الى صيانة الطفل مما يهدده فى حياته الاولى ظهر لكم فيما بعد بحث طريف فى ازمة كثرة السكان

« وتقبلوا تحياتى واحترامى »

رأى محرم بك فهيم نقيب المحامين الشرعيين

« عزيزى حضرة الاستاذ

« . . . إن ما أخذتم على عاتقكم علاجه قد أعضل على كثير من المفكرين فى هذا العصر ولو أنهم رجعوا الى الدين لوجدوا أن تعاليمه وأحكامه أنجع علاج ، وأهدى مايوصل الى المطلوب . فعلى الآباء والمربين أولا وبالذات تقع مسئولية ما وصلنا اليه مما أصبح فى حاجة الى ذلك العلاج ، فلو أن هؤلاء كانوا يدينون بما فرضه الله وأمر به منتهين عما نهى عنه لتخرج أولادهم فروعاً على أصول لا تفترق عنها ولا تتباين معها

« . . . أرأيت يا حضرة الاستاذ كيف لو اتبعت احكام الدين وغض الرجال أبصارهم . . . وتحجب النساء ولم يتبرجن لكان هذا داعية الى الزواج بعامل الطبيعة لأنها لا تجد عند جموحها ما يحد منها غير الزواج واتجاه الرغبة اليه

« لا أظنك يا استاذ بعد ذلك غير مسلم بأن اتباع تعاليم الدين وأحكامه هى العلاج الوحيد فى البلاد الاسلامية للمشكلة التى تعالجونها . ولا شك أنه لتحقيق هذه الوسيلة يجب وضع تشريع يفرض تعاليم الدين ، ويأمر بأوامره ، وينهى بنهيه ، ويحدد من العقوبات الرادعة ما يكفل الوصول الى

ذلك ، ولا بأس من اشتماله على ما يجعل الزواج واجباً عند البلوغ الى السن التى يحددها القانون الا لعذر ، وعلى عقوبة اهمال هذا الواجب بما هو مقرر عند بعض الامم الاخرى التى رأته من وسائل العلاج الذى تنشدونه

« والسلام عليكم ورحمة الله »

رأي الاستاذ عزيز بك خانكي عن الزواج المسيحي

« أخي الفاضل

« أزمة الزواج هى — أولا وقبل كل شيء — أزمة مال . الشبان فى زماننا هذا يتطلعون فى الغالب الى البنت ذات الدوطة ، وبعبارة أصح يتطلعون الى الدوطة قبل البنت . تكثر الرغبات فى البنت بمقدار مايعده والدها من دوطة . أما الجمال والكمال فيأتيان بعد المال . ألا ترى أنه فى عهد اليسر والرخاء وحيث يكثر استعداد الآباء لدفع دوطة لبناتهم ، يزداد اقبال الشبان على الزواج

« أضف الى هذا أن بنات هذا الزمان بلغن من الرقى الفكرى والادبى درجة جعلتهن ينظرن الى الشبان نظرة تدقيق فيه شيء من الغلو والكبرياء

« وقل ان تجد زواجاً الدافع اليه ائتلاف القلوب مع حب متبادل أو وحدة فى مستوى التربية النفسية أو العلمية

« زد على هذا وذاك روح الاستقلال التى بدأت تنبت فى نفوس الشبان وتفضيلهم — لزمن ما — العزوبة على الزواج استبقاء لحريتهم أطول زمن ممكن

« فأزمة الزواج مشكلة مالية أخلاقية . والسلام عليكم ورحمة الله »

رأي فؤاد أباظة بك مدير الجمعية الزراعية

« ١ — مسئولية الشبان

« أولا — المسئولية الكبرى تقع على الشبان المتزوجين بالاجنبيات الذين يزداد عددهم كل يوم فهم فى نظرى العنصر المباشر لتحطيم القومية المصرية

« . . . ان الاولاد ينشؤون ضعافاً فى قوميتهم المصرية بسبب انحيازهم لجنسية والدتهم وتشرب روحها وأفكارها ، وهى فى معظم الاحوال لا تسر المصرى الصميم

« . . . ان سقوط « غرناطه » وتدهور الدولة الاسلامية فى الاندلس يرجع الى الزواج المختلط فى تفصيل لا يتسع له المجال

« ثانياً — الشبان « لسانهم طويل » ينسبون الى الفتيات ويذيعون عنهن أخباراً بالحق وبالباطل وهذا — فى الحالين — لا يليق

ذلك لأنهم لم يتعودوا فى تربيتهم المنزلية المعيشة فى وسط عائلى يختلط فيه الجنسان كأصدقاء

« ٢ ـ مسئولية البنات

« أولا ـ اندفاعهن فى تيار المدنية فلا يجدن فى الوسط المصرى كل ما يروق لهن من الخروج والتردد على التياترات ، ودور السينما ، والمراقص ، والرحلات الخلوية ، والمعاشرة الحلوة بوجه عام . . .

« ثانياً ـ التغالى فى المظاهر وعدم القناعة وكثرة النفقات ، فعلى البنات تصحيح هذه الاعتقادات بالاعمال لا بالاقوال

« ٣ ـ مسئولية الأهل

« أولا ـ ترك الحبل على الغارب للاولاد وعدم الرقابة اليقظة وعدم النصح والارشاد

« ثانياً ـ قدوة الاهل بالذات يجب أن تكون قدوة طيبة

« ٤ ـ التشريع

« أولا ـ ضريبة على المصرى المتزوج من أجنبية

« ثانيا ـ ضريبة على كل طفل ينتجه الزواج المختلط

« ثالثاً ـ عدم توظيفه فى الحكومة المصرية

« رابعاً ـ عدم الاعتراف بمصرية الاطفال

« خامساً ـ ضريبة على العزوبة »

☆☆☆

سيداتى وسادتى :

ان اهتمامنا بالسياسة شغلنا عن موضوعاتنا الاجتماعية الخطيرة ، فظللت مشا كلنا تسير على غير هدى وعلى غير نور . فنحن فقراء فى تقرير المشاكل الاجتماعية وفى درسها وفى معالجتها . ونشكر الجامعة الامريكية التى تتيح لنا من حين لآخر هذه البحوث . وانى أشكركم على أن سمعتم هذا الوقت الطويل . وأرجو أن يكون موضوعى المقبل « مشكلة كثرة الزواج فى مصر » وأعدكم عند ذلك بأن أحضر لالقاء المحاضرة ومعى أولادى (المحروسين) ان شاء الله !

فكرى اباظة

(٥٩)

قائد « جراف تسبلن » يحدثنا عن مستقبل الطيران والمناطيد

المستقبل للطيارة أم للمنطاد ؟

كان أول سؤال طرحناه على « قاهر الجو » :

« هل تعتقد أن مستقبل الطيران سيكون للطيارة أم للمنطاد »

فاجاب بقوله : « لست أشك لحظة واحدة فى أن مستقبل الطيران لمسافات بعيدة سيكون للمناطيد لا للطيارات وذلك لثلاثة أسباب جوهرية : أولها أن المناطيد أسلم من الطيارات ، وثانيها أن المناطيد تستطيع أن تحمل حمولة ثقيلة فى حين أن الطيارات لاتستطيع ذلك ، وثالثها أن رحلات المناطيد أوفر من رحلات الطيارات وأكثر ربحاً منها »

السلامة فى المناطيد

وتناول الدكتور اكنر بعد ذلك كل سبب من تلك الاسباب وأفاض فى بسطه فقال بصدد السبب الأول : « ان المنطاد « جراف تسبلن » طار حتى الآن ثلاث عشرة مرة عبر المحيط الاطلنطى من المانيا الى امريكا الجنوبية ذهاباً وإياباً بدون أن يحدث له حادث وفى هذا اكبر دليل على ما فى السفر بالمناطيد من سلامة وأمان »

فقلنـــا : « ولكننا نذكر أن المنطاد « جراف تسبلن » اضطر مرة الى النزول فى جنوب فرنسا فى أثناء رحلة من رحلاته من المانيا الى امريكا الجنوبية »

فقال الدكتور اكنر : « هذا صحيح ! ولكن الطريقة التى نزل بها « جراف تسبلن » يومئذ الى الارض تعزز ماقلته عن سلامة الطيران بالمناطيد . . . فان « جراف تسبلن » اضطر الى النزول لان أربعة من محركاته الخمسة وقفت فجأة فقرر ربانه عندئذ النزول الى الارض فتمكن من الهبوط به بواسطة المحرك الخامس وحده وهذا ما لايتيسر عمله فى الطيارات الى الآن ، لأنه حتى فى الطيارة التى لها ثلاثة محركات لايستطيع ربانها أن ينزل بها اعتماداً على محرك واحد فى حالة تعطيل المحركين الآخرين »

حادث المنطاد « ر ١٠١ »

فقلنا : « وما رأيكم فى حادث المنطاد الانجليزى (ر١٠١) ؟ »

فقال : « ان نكبة هذا المنطاد لم تكن من جراء انفجار خزان البنزين فيه ، بل نجمت عن

سقوط المنطاد ونطح مقدمته للارض لاسباب ليس هنا مقام تعدادها . وبعد ما نطحت مقدمته الارض انفجر خزان البنزين وهو حادث يحدث عادة للطيارات لا للمناطيد . . .

« وبهذه المناسبة اخبركم أننا نفاوض الآن بعض البيوت الامريكية لكى تموننا « بالهليوم » فنستعيض به عن البنزين ، ولا يخفى ان مادة الهليوم التى لاتوجد بحالتها الطبيعية إلا فى الولايات المتحدة هى مادة غير قابلة للاحتراق فباستعمالها نحل آخر مشكلة من مشكلات السلامة فى المناطيد »

مسألة الحمولة

واستطرد الدكتور اكنر من ذلك الى القول :

« وهب أن الطيارات استطاعت أن تكفل سلامتها على منوال المناطيد فمن المتعذر عليها أن تحل مسألة الحمولة ، ولا يخفى ان هذه المسألة فى مقدمة المسائل التى تعرض للطيران البعيد المدى أى للطيران الطويل المسافات . ولنفرض جدلا أن الطيارات وفقت الى حل مسألة الحمولة بعد حل مشكلة السلامة فانها لاتستطيع بحال ما ان تهيء لركابها أسباب الراحة والرفاهية التى تهيئها المناطيد لهم حيث ينامون فيها ويأكلون ويتسلون ولا يعانون الازيز الفظيع الذى يعانيه ركاب الطيارات »

الناحية المالية

وانتقل « قاهر الجو » بعد ذلك الى الكلام عن افضلية المناطيد على الطيارات من الوجهة المادية المالية فقال : « ان كل رحلة يرحلها المنطاد « جراف تسبلن » من المانيا الى امريكا الجنوبية تكلفه ٧٥ الف مارك فى الذهاب ومثلها فى الاياب

« أما ايراد كل رحلة يرحلها المنطاد على ذلك الخط فهو ٥٠ الف مارك من البريد الذى يحمله و٣٦ الف مارك من الركاب الذين يسافرون به فيكون مجموع ايراده فى كل رحلة ٨٦ الف مارك . فاذا اسقطنا منها نفقات الرحلة ومجموعها ٧٥ الف مارك يكون الربح فى كل رحلة ١١ الف مارك وهو مبلغ لا يستهان به اذا علمنا ان جميع الشركات التى تسير طياراتها بين اوربا وامريكا تأخذ اعانة من حكوماتها لتغطية جانب من خسائرها »

وهنا سألنا الدكتور اكنر : « كم يدفع المسافر بالمنطاد من المانيا الى امريكا الجنوبية وبالعكس ؟ »

فقال : « يدفع ١٨٠٠ مارك فقط وهو مايدفعه ثمن حجرة عادية فى البواخر لو سافر بحراً »

وشفع الدكتور اكنر ماتقدم بقوله : « ويقطع المنطاد « جراف تسبلن » المسافة بين المانيا وامريكا الجنوبية فى سبعين ســـاعة فى حين أن اسرع الطيارات التى تطير بين أوربا وأمريكا

الجنوبية وهى الطيارات الفرنسية تقطع مسافة تقل عن المسافة التى يقطعها منطادنا فى مائة ساعة واربع ساعات »

بين أوربا والشرق

فقلنا : « وما هو المشروع الذى قدمتم مصر من اجله الآن ؟ »

فقال : « ان ردى على هذا السؤال دليل آخر على المستقبل العظيم الذى نتوقعه للمناطيد ، فان بعض شركات الملاحة الهولندية لاترى ان المناطيد ستحل محل الطيارات فى المسافات البعيدة فقط ـ بل هى ايضاً ترى انه من المرجح جداً أن تحل المناطيد محل البواخر نفسها . ولما كانت هذه الشركات تفكر فى بناء باخرتين كبيرتين لتسييرهما بين هولندا والهند الهولندية فقد رأت قبل ان تشرع فى بناء هاتين الباخرتين ان تعلم هل من الاوفق لها ان تمضى فى صنع الباخرتين ام تستعيض عن خطوطها البحرية بخط جوى تسير عليه المناطيد ذهاباً واياباً بين هولندا والهند الهولندية ؟ وعهدت إلى تلك الشركات فى درس هذا الموضوع الهام فقدمت مصر لهذا الغرض على ان استأنف سفرى منها الى الهند للغرض عينه ، ثم اوافى الشركات التى اوفدتنى برأيى النهائى لتقرر ماتراه موافقاً لمصلحتها »

فقلنا : « وفى حالة تقرير انشاء خط جوى للمناطيد بين هولندا والهند الهولندية هل تتوقعون ان تنزل هذه المناطيد فى القاهرة ؟ »

فقال : « طبعاً وستكون القاهرة المحطة الوحيدة التى تنزل فيها المناطيد فى رحلتها من امستردام فى هولندا الى باتافيا فى الهند الهولندية »

فقلنا : « وما هو الوقت الذى تقدرونه لمثل هذه الرحلة ؟ »

فقال : « انى اعتقد ان خمسا وعشرين ساعة تكفى المنطاد ليجتاز البحر الابيض المتوسط الى القاهرة . اما الوقت الذى يستغرقه طيرانه من القاهرة الى باتافيا فيصعب تقديره الآن ولكننى أظن أنه لايزيد على أربعة أيام ونصف يوم »

واختتمنا أسئلتنا للدكتور اكنر بان سألناه متى بدأ يهتم بشؤون الطيران بالمناطيد فقال : « من سبع وعشرين سنة .. أجل ! من سنة ١٩٠٥ ... لقد صدق من قال ان روما لم تبن فى يوم واحد ! ... وقد أصبحت اليوم عجوزاً فقد ولدت سنة ١٨٨٦ ... »

وهنا ابتسم جنابه وقال : « ولكن لا تظنوا ان معنى هذا انى مقعد والبرهان على ذلك ... » وانطلق « قاهر الجو » من المقعد الذى كان جالساً عليه كأنه فى العشرين من عمره (وهو فى الخامسة والستين) وقال : « هيابنا ... والا ابقتنا الصحافة هنا للعشاء »

كريم ثابت



قصة مصرية بقلم الاستاذ محمود تيمور

حدثنى الرواى قائلا . .

ــ لا أستطيع أن أحدد بالضبط الوقت الذى عرفت فيه حلمى . ولكنى أذكر أنى رأيته لأول مرة فى « لبتون » عند ما كنت اجتمع مع « شلتنا » فيما نصدع رءوسنا بمباحثنا الادبية العقيمة . رأيته مع الرفاق وسلمت عليه ضمنا ثم جلست

وملت على صديقى حنفى وقلت له :

ــ من يكون هذا الافندى ؟

فابتسم وقال همساً :

ــ أديب يريد الانضمام الى زمرتنا

ولم تعجبنى هيئته ولكنه حرك فى قلبى نوعا من الشفقة عليه فقد كان هزيلا شاحب اللون قليل الابتسام تبدو عليه مظاهر الصعلكة فى كل شىء

وتوثقت بينى وبينه روابط الصداقة فعلمت أنه من ساقطى الابتدائية يسكن القاهرة ويعيش من مرتب متواضع يرسله له والده المقيم فى الريف . وتحققت من أحاديثه ان معلوماته سطحية جداً وتافهة

وكان يأتى كل يوم محملا بمجموعة من الكتب ورزمة من الجرائد والمجلات ويتكلم عن أشياء يسميها بالفردية ، والقومية الأخلاقية ، والبشرية ، واللاوعى ، وما شابه ذلك . فكنت لا أفهم لكلامه معنى ، وكان يظهر على وجهه الامتعاض اذا تحدث أحدنا حديث المجون والاستهتار . فكان الرفاق يتغامزون عليه ويظهرون امتعاضهم منه ، وكثيراً ما أخرج لى من جيبه قائمة طويلة مكتوبا فيها : علم الاجتماع ، علم النفس ، علم ما وراء المادة ، علم الفلك ، علم اللاهوت ، علم التنويم المغناطيسى ، علم العروض والقوافى الخ . . ويقول لى فى حماس وعيناه تلمعان :

ــ انى ادرس هذه العلوم فى جد واهتمام وسترى لى فى القريب العاجل ابحاثاً عميقة فيها

وكنت أباغته فى حجرته الخاصة لأرى الى أى مدى وصل فى دراساته وابحاثه ، فأجده ملقى على الكنبة يدخن فى حالة تبلد غريب وأعقاب السجائر مكومة على الارض والدخان عالق ضبابيا

كثيفاً فى جو الحجرة والتراب يكسو الكتب والاوراق بطبقة سميكة . فحين ينتبه لوجودى يمد لى يده ويبتسم فى استرخاء ويقول :

ــ ان العمل يرهقنى كما ترى

ــ . . . .

وكان صديقنا حنفى قد اختص بتزويد « الشلة » باخبار المسارح وصالات الغناء ، فجاءنا مرة وقبل أن يمد الينا يده بالسلام قال :

ــ خبر عظيم أيها الاخوان ، لقد افتتحت الآنسة كوثر الراقصة صالة غناء لها وجمعت فيها نخبة من أشهر الراقصات والمغنيات والمنولوجست . فما رأيكم فى سهرة عندها هذا المساء ؟

فوافق البعض والبعض اعترض ، وبعد أن هدأت الجلبة تكلم حلمى ولم يكن قد تحركت شفتاه بشىء ، وقال وعلى وجهه أمارات الاشمئزاز :

ــ من هى كوثر هذه ؟

فاجابه حنفى فى حماس :

ــ أشهر راقصة فى مصر بل فى العالم كله

فمط حلمى شفتيه وقال :

ــ بل قل أكبر جرثومة على سطح الارض

واحمرت عينا حنفى وقال :

ــ وهل تعرفها ؟

ــ أوتريد منى أن أعرف مثل هذه الافاعى القذرة ، لا أدرى لماذا تسكت ادارة الامن العام عن مطاردة أمثال هؤلاء البغايا ؟

فادار حنفى ظهره له وقال موجها كلامه لنا :

ــ مخبول . . مخبول !!

وملت على حلمى وقلت له :

ــ ولكنك سترافقنا على أى حال

فاظهر سخطا شديدا ورفض رفضاً قاطعاً . ولكن بعد محاولة بسيطة منى قبل أن يذهب معنا . وكانت حجته فى ذلك أنه فى حاجة لدرس هذه البيئة المنحطة وكتابة بحث تحليلى عنها

وذهبنا الى الصالة ، ورقصت الآنسة كوثر فى تلك الليلة رقصاً أقام جمهور المتفرجين واقعده .. وضج المكان بالتصفيق وأصوات التهليل . وسألت حلمى مستطلعاً فقال :

ــ ياله من جمهور سخيف !

وعادت كوثر الى رقصها وأخرج حلمى جريدة من جيبه وجعل يطالع فيها ، ولاحظت عليه أنه كان يختلس النظر الى الراقصة بعيون تلمع فيها الرغبة المكبوته . ولكنه كان يلتفت الى من حين لآخر ويقول متململا :

ــ ألا تنتهى هذه السهرة ؟

فصرخ فيه حنفى قائلا :

ــ وما الذى يمنعك من الخروج ؟ ان الباب يرحب برحيلك

فأجابه حلمى وهو ينظر اليه فى احتقار :

ــ سأخرج عند ما أريد أن اخرج

وعاد الى جريدته يطالع فيها

وكنا على أبواب الصيف وقد بدأ البعض يهجرون العاصمة الى الثغر ، وانتقلت الوزارات الى مصيفها فى بولكلى وكنت اذ ذاك موظفا فى الخارجية . واسعدنى الحظ أن أكون ضمن الموظفين الذين اختارهم الوزير ليعملوا معه فى الاسكندرية

وعلمت أن بعض الرفاق سافر الى رأس البر والبعض إلى الريف وبقى الآخرون فى مصر ملازمين «لبتون» ، وانقطعت أخبار الجميع لأننا كنا مضربين عن كتابة الخطابات بعضنا لبعض ، ومن الغريب أننا لم نتفق على شىء اتفاقنا على هذا الاضراب

ومرت الايام . وبينما كنت أركب ترام الرمل من سان استفانو الى البلد ، ناولنى أحد الغلمان إعلانا من اعلانات المسارح لفت نظرى فيه صورة مكبرة عرفت صاحبتها أول وهلة ، فنشرت الاعلان أمامى وأنا أبتسم وقرأت :

الآنسة كوثر

الراقصة العالمية المشهورة

تحيى الاسكندرانيين الكرام وجمهور زبائنها المصيفين
وتخبرهم بأنها اعتزمت قضاء شهر أغسطس بأكمله فى الثغر
تعالوا شاهدوها مع فرقتها العظيمة فى تياترو البلفى

كل مساء كل مساء

وبعد ان تأملت الاعلان لحظة ، دعكته ، فى يدى ثم قذفت به من الترام ، واخذت «الاهرام» من جانبى وبدأت أطالعها

ولما وصل الترام محطة الرمل قصدت الى محل اتينيوس فوجدت الأستاذ برتران المحامى فى

المختلط ينتظرنى ، وكنت على ميعاد معه لدرس النزاع القائم بينى وبين مدام « دينا » بشأن ايجار منزلها

وبينما كنت مهتما بشرح مسألتى للاستاذ اذ حانت منى التفاتة فوجدت شخصاً مهندما يدخل القاعة استرعى انتباهى ، وبغتة صحت فى عجب :

ــ حلمى !!

فالتفت الى ، ثم دنا منى مبتسما وهو يختال فى بدلته الرمادية الانيقة ذات الكرافت الأحمر والمنديل الذى من نفس اللون ، وكان طربوشه مائلا فى رشاقة . وراعتنى تلك الرائحة الجميلة التى كانت تتضوع منه ، وسلم على فى شوق وأنا أنظر اليه مبهوتاً . وبعد ان تبادلت معه كلمات السلام والسؤال عن الصحة قلت له :

ــ أمعتزم الاقامة طويلا فى الثغر ؟

ــ بضعة أيام

ــ فقط ؟

ــ ربما مكثت أسبوعا على الاكثر

ــ والاخوان كيف أحوالهم ؟

ــ لم أقابلهم مع الاسف من مدة

ــ ولاحنفى ؟

قلت ذلك وأنا ابتسم اذ كان معروفا عندنا أنه وحنفى لا يتفقان على رأى ، ويقوم بينهما نزاع مستمر ، وكنا نسميهما بالضرايرُ . فابتسم ابتسامة خاطفة وحول نظره عن نظرى وقال :

ــ أراه أحيانا فى صالة كوثر

فقلت وقد ازداد عجبى منه :

ــ أو تتردد على صالة كوثر الآن ؟

فامسك يدى وقال بعد تفكير قليل :

ــ إننى ادرس هذه الاوساط .. ادرسها جيداً

ــ وهز يدى وقال فى ابتسام :

ــ سأراك بالطبع .. أين تسكن ؟

ــ شارع ابراهيم باشا الديب بمحطة ثروت باشا

ــ إذن اورفوار

ــ اورفوار

وعدت الى الاستاذ برتران وتابعنا حديثنا عن منزل مدام « دينا » .. ولما انتهيت ودعته وذهبت الى شارع سعد زغلول لأتمشى فيه قليلا ، ولأتفرج على واجهات دكاكينه . ولم أشعر الا ويد وضعت على كتفي فالتفت فاذا بحنفي ، فصحت على الفور :

ـــ الله ! وانت أيضا هنا ؟ !

ـــ فاجابني بدون امهال :

ـــ أظنك قابلت حلمي ؟

ـــ كان معي منذ لحظة في اتينيوس

وامسكت يده وهززتها وأنا في سرور كبير وقلت :

ـــ والله وحشتنا جداً يا حنفي

وكنت أحب حنفي وافضله على بقية الاخوان لطيبة قلبه وميله للمرح والتهييص . وتابعت حديثي معه قائلا في دعابة :

ـــ أظنك اتيت مع حلمي في قطار واحد ؟

ـــ هذا هو الواقع

ـــ مدهش !

ـــ ليس هناك أي دهشة إذا علمت اننا نلازم بعضنا الآن ليل نهار

ـــ كلام جد ؟

ـــ غاية في الجد .. إنما نحن مع ذلك أعداء

ـــ ماهذه الألغاز ؟

ـــ الا تعلم أننا نتنازع نحن الاثنين على حب غانية واحدة ؟

فقلت بلا تفكير :

ـــ كوثر ؟

ـــ مظبوط

فانفجرت ضاحكا حتى دمعت عيناي وقلت :

ـــ ولكن لمن الحظوة ؟

فنظر حنفي إلى السماء وقال :

ـــ اللئيمة تعبد المال .. وأنا كما تعلم على قد حالي

ـــ وحلمي ؟

فحدق في وجهي في جد واهتمام وقال :

— لا أدرى من أين يأتى بالمال .. لم اكن أصدق فى حياتى ان هذا الصعلوك الغبى سيغدو يوما ما منافسى

ودعوته للعشاء وقضينا الوقت نتحدث عن حلمى وعن منافسته له فى حب كوثر . ولما انتهينا من الطعام أوصلت صديقى الى صالة البلفى ودعانى لمصاحبته. فاعتذرت بمختلف الأعذار وودعته على أمل اللقاء فى اليوم التالى

ومن سوء حظى ان جدت عندنا فى وزارة الخارجية اشغال اضطرتنى وبعضاً من زملائى الى العمل الى ساعة متأخرة فى المساء اياما متوالية . وحل يوم الجمعة فاحببت ان اقضيه كله فى البيت متمتعا بالوحدة والكسل ، وتمنيت أن لا يقلق راحتى أحد . ولكن فى الساعة الثالثة بعد الظهر بينا كنت مرتديا بيجامتى ومتمدداً على الشيزلونج أتصفح فى تراخ « المصور » اذ دخل على حمزة السفرجى وقال وهو يقدم لى بطاقة :

— إن البيك صاحب البطاقة منتظر سعادتك فى حجرة الضيوف ويلح فى مقابلتك لامر هام

فأخذت البطاقة منه والقيت عليها نظرة خاطفة وانا اتمتم :

— حلمى !

ثم رميتها جانباً وقمت وأنا أتمطى وقلت لحمزة :

— أخبر البك بأنى حاضر اليه .. واعمل القهوة على عجل

وذهبت الى حجرة الضيوف ، فلما رآنى حلمى قام مسلما فى ترحاب كبير وقال لى :

— آسف إذ انى ازعجتك

— مطلقا .. وأرجو أن تعذرنى لمقابلتك فى هذه الهيئة غير المحتشمة

— اوه ..

وكان حلمى مرتديا بدلة غير التى شاهدتها عليه فى اتينيوس . لونها كحلى وغاية فى الاناقة . وكان يتضوع منه نفس العطر الجميل الذى شممته منه فى مقابلتى الاولى

وبعد مقدمة وجيزة قال لى وهو ينظر أمامه :

— لقد جئتك فى مسألة هامة

— خيرا ان شاء الله

— انا مضطر الى العودة اليوم الى مصر لمقابلة والدى . ومحتاج الى سلفة خمسة جنيهات لأسدد منها حساب اللوكاندة ومصاريف السفر ، سأردها اليك حال وصولى مصر وان اردت أرسلتها لك بالتلغراف ، لم أكن أرغب فى مضايقتك بهذا الطلب ولكنك تعلم أنى لا أعرف أحدا أستطيع أن أركن اليه فى هذا البلد سواك . وقد طرأت على ظروف غريبة أتت على كل ما عندى .. كن واثقا أن المبلغ سيصلك غدا ..

وتذكرت جملة حنفى التى قالها لى فى شارع سعد زغلول وهى : « لا أدرى من أين يأتى بالمال » . ولكن حلمى اندفع فى كلامه واخرج لى من جيبه برقية أرانى إياها فاذا بها من والده يعلمه فيها بخبر قدومه الى القاهرة . ثم ناولنى خطابا قال لى إنه من أبيه أيضاً وأشار إلى جملة يقول فيها : « أما المبلغ فسأعطيه لك فى مصر عند مقابلتى لك » . واختلطت فى رأسى الافكار ولم أشعر الا ويدى تخرج المحفظة من جيبى وتناول حلمى ورقة مالية من ذات الخمسة الجنيهات . . ورأيت حلمي يهز يدى شاكراً ويقوم نحو الباب وأنا بجانبه وكان يقول لى :

ــ كن واثقاً أن المبلغ سيصلك غدا

وعدت الى حجرة نومى وأنا منقبض النفس ، وصرخت على حمزة السفرجي وقلت له غاضباً :

ــ إياك ان تزعجنى فى راحتى بعد الآن .. اذا جاء أحد يطلب مقابلتى فاخبره بأنى غير موجود

وأغلقت باب الغرفة بشدة

وانقضى أسبوع على مقابلتى هذه لحلمى ولم يصلنى شىء منه . ورأيت حنفى مرتين ولكنى لم أكاشفه بكلمة فى الموضوع . وبينما كنت ذات مساء فى الكازينو جالساً مع بعض زملائى فى الوزارة رأيت حلمى سائراً مع زمرة من الرفاق الذين يدل مظهرهم على أنهم ممن لا يشرفون الانسان بصداقتهم ، وكان الجميع يتكلمون بصوت عال ويضجون بالضحك والتنكيت . ورآنى حلمى ، ولكنه حول وجهه سريعاً واختفى مع زملائه فى جمهور المتنزهين ، فشعرت باشمئزاز منه ، وعولت على ان اتجاهله هذا المساء

ومرت الايام وقابلته مرة أخرى على رصيف الميناء الشرقى فى الموضع الواقع امام « التريانو » وكنا وجها لوجه . فتقدم نحوى مهللا واندفع يتكلم عن أشياء بعيدة كل البعد عن موضوع الخمسة الجنيهات وعن تهربه منى فى الكازينو ، ثم هز يدى واختفى . وتابعت سيرى وانا ابتسم فى امتعاض وتعجب

وانقضى الشهر الذى اعتزمت كوثر ان تمضيه فى الثغر . وعادت بفرقتها الى العاصمة ولم أعد أرى أثراً لا لحنفى ولا لحلمى

• • •

وانتهى موسم الاصطياف الحكومى وانتقلت الوزارات الى مقرها الشتوى فى القاهرة . وعدت لمقابلة « الشلة » فى « لبتون » ، فوجدتهم كلهم لاينقصهم الاحلمى . وروى لى الاخوان أخباراً غريبة عنه ، فقد اختلس من بعض أقاربه مبلغاً لايستهان به وزور مرة امضاء والده

وحدث مرة وأنا مار فى شارع المغربى اذ رأيت حلمى ، وكنت لم أشاهده منذ شهور ، ولحنى فدنا مني وسلم على وكان مرتديا هذه المرة بذلته الرمادية التى رأيته بها فى « اتينيوس » . وكانت قذرة

غير مهندمة . فسلمت عليه فى اقتضاب وبرود وتابعت سيرى غير ملتفت اليه . ولكنه سار بجانبى صامتاً وقضينا بضع دقائق ونحن لا ننبس بكلمة وتظاهرت بعدم الاهتمام به وأخيراً انحنى على وهمس فى أذنى :

ــ أنا معذور فى ريال . . ريال واحد

والتفت نحوه وأنا عازم على طرده . فقابلتنى عيناه المربدتان الذابلتان ، وكان وجهه شاحباً مخططاً بتجاعيد متزاحمة . ولاحظت أن شفتيه تتحركان ، فهل كانتا ترتعشان أم كانتا تلفظان بعض الكلمات غير المسموعة . وتجسم أمامى فى شخص حلمى البؤس والتدهور فى اقصى معانيها فاغضيت بصرى وأخرجت الريال من جيبى ومددت له يدى فخطف الريال منى متلهفاً . وهو يردد لى كلمات الشكر ، وأسرعت فى مشيتى مبتعداً عنه وأنا أشعر بكابوس جاثم فوق صدرى

ومرت الأيام ، ولم أعد أرى حلمى وبدأت اتناساه . وكنت ليلة فى بار اللواء مع الشيخ الزينى شيخ الطريقة الحسينية أناقشه فى بعض المسائل الدينية ، وكان من عادتى أن امر على بار اللواء مرة فى الاسبوع لأقضى السهرة مع صديقى الذى جعل محله المختار هناك . ورأيت بغتة حلمى امامى ولا أدرى من أين أتى . وتقدم نحوى بلا سلام ومال على وقال :

ــ ارجو ان تسمح لى ببضع دقائق

ونظرت اليه متضايقاً فتابع حديثه قائلا :

ــ أؤكد لك اننى لن أطلب منك مليما واحداً

وكان نظره قلقاً . وعضلات وجهه تلعب فى حركة آلية . فاستأذنت من الشيخ وسرت معه حتى نهاية القهوة . ووقف هناك وقال لى وهو ينقل بصره من موضع الى آخر :

ــ لقد صار لى الآن ثلاث ساعات وأنا ابحث عنك

فقلت له :

ــ ولكن لأى غرض ؟

فامسك يدى وشد عليهما شداً عصبياً وقال :

ــ أنا على حافة الهاوية فاذا لم تتقدم وتنقذنى سقطت الى الحضيض

ــ افصح

ــ لم أفكر الا فيك دون أصدقائى كلهم أو قل من تبقى لى من أصدقاء . . . احمنى من نفسى . احمنى من الوباء الذى ينهش قلبى ويحطمنى . خذنى عندك وقيدنى وانزل على من العقاب ما استحقه بشرط ان تشفينى

ــ من أى شىء ؟

ــ قلت لك من الوباء . الوباء المزمن المتغلغل فى اعماق نفسى . انقذنى منها . من حبها
وبدأ صوته يعلو متهدجاً وعيناه تتندى بالدموع . وتابع كلامه وهو فى انفعال شديد قائلا :
ــ انى أشعر بكره شديد لها تلك التى مرغتنى فى الأوحال وجعلت منى مسخا موبوءاً ينفر منه الجميع ، ولكن لا سلطان لى على نفسى . أنا رجل محطم دنىء سافل بلا ارادة
وأخذ يصرخ وهو يبكى قائلا :
ــ قلت لك انقذنى .. انقذنى ..
وبدأ الناس يلتفتون نحونا . وحاولت ان اهدئه ولكن بلا جدوى ، وأخيراً رأيت عربة اجرة مارة بجوارنا فاوقفتها وأركبته فيها وأنا معه . وسرنا ووجهتنا منزلى . وبدأت حالته تهدأ تدريجياً . وكان يتمتم وهو يشد على يدى :
ــ لا تتركنى .. لا تتركنى ..
ووصلنا الى المنزل ، ودخلناه وجلست امامه فى حجرة الضيوف وقلت له :
ــ اوضح لى كل شىء
فاخرج من جيبه خطابا اعطانيه وقال لى :
ــ اقرأ
وقرات الخطاب فاذا به من والده ينذره فيه انذاراً نهائيا مصحوباً بأقسام غليظة بأنه ان لم يسافر اليه فى اول قطار من مصر فانه سيعلن الى الملأ تبرؤه منه وسيحرمه من كامل حقوقه فى كل ما يملكه . وكانت لهجة الخطاب شديدة للغاية فالتفت اليه وقلت :
ــ وعلى اى شىء عزمت ؟
ــ لا رأى لى ولا عزم . تركت كل هذا لك
فصمت برهة افكر ورايت من واجبى ان لا اخيب ظن هذا البائس التعس فى فالتفت اليه وقلت :
ــ اسمع يا حلمى .. ارى ان تبيت عندى هذا المساء . ثم نسافر معاً الى والدك فى الصباح المبكر، وانى كفيل باصلاح كل شىء . يجب ان تقطع علاقتك بمصروان تبدأ حياة جديدة فى الريف
فاجابنى فى لهجة ذليلة وهو مطاطىء الرأس :
ــ قابل كل شىء
ــ اتفقنا
وناديت حمزة السفرجى وطلبت منه أن يهىء فراشاً لحلمى ، فصدع بالامر وهيأ مرقداً

وثيراً على احدى الكنبات العريضة . . ودنوت من حلمى ولاطفته على كتفه وقلت :

ــ سأتركك لتنام فأنت فى حاجة الى الراحة

فنظر الى قلقا كالطفل الذى يخشى النوم فى الظلام منفردا . وادركت ما يجول بخاطره فأتممت كلامى قائلا :

ــ وسينام معك فى نفس الحجرة حمزة السفرجى . وإذا احتجت لشىء فما عليك إلا ان تطلبه منه . . هدىء روعك ونم مستريحا

فهز يدى بلا كلام ، وخرجت وفى اثرى حمزة . ولما صرنا منفردين قلت للسفرجى :

ــ هذا شاب مسكين مصاب بضعف الاعصاب ، كن لطيفاً معه وقم على خدمته كاللازم

ثم ناولته بيجامة من بيجاماتى وقلت له :

ــ واذهب بهذه اليه .. وجهز لنا فى الصباح المبكر فطورا جيدا فسنسافر فى قطار الساعة الثامنة

وخرج حمزة السفرجى ، وبدأت أخلع ملابسى استعدادا للنوم وأنا مغتبط من نفسى لحرز بعملى .

وفى اليوم التالى استيقظت من النوم على طرق الباب وصوت حمزة يقول لى فى لهجة غير عادية :

ــ سيدى . . سيدى

وكانت الساعة السادسة فقمت من السرير وفتحت الباب وقلت :

ــ ماذا ؟

فبادرنى بقوله :

ــ إن الضيف غير موجود

فدهشت للامر وقلت :

ــ كيف ؟

ــ غير موجود ياسيدى وقد بحثت عنه فى كل المنزل فلم اعثر عليه

وذهبت من فورى الى حجرة الضيف فوجدت الفراش خالياً وملابس حلمى مكومة بجواره فقلت لحمزة :

ــ لقد خرج بالبيجاما إذن

ــ هذا ما اعتقده

ــ ولكن ألم تحس بشىء وأنت نائم ؟

ــ مطلقا

(البقية فى صفحة ٥٣٥)

المقامات العباسية ـ ١

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى.

حدث عباس بن غسان عن نفسه قال : ـ

ولدت بنعمة الله لابوين كريمين فى مدينة الاسكندرية عقب الوقعة العرابية ونشأت على شاطئها . وكان فيما ورثت ـ لما انتقل ابى الى رحمته تعالى ـ حبى لهجرانها وكرهى لبحرها فتركتها مع أمى الى العاصمة ولبثت لا ابرحها . مقيما على حب حرها فى الصيف وفياً لهوائها الجاف فى الشتاء . الى أن بعث بى فى طلب ما اصطلحوا على تسميته العلم وهو فى الواقع لا يعدو أن يكون أخذا بمبادىء الادب والعلم فى لغة افرنجية ودرس شىء من اللغة العربية

واختاروا لى ـ وضمير الجمع يعود الى أمى والى بعض الاهل وبعض الأصدقاء وكثير من الجيران ـ مدرسة فى مدينة بيروت من أعمال السلطنة العثمانية فى ذلك الزمن ، وانا بعد فى أوائل أيام المراهقة

وقالوا فى تعليل ذلك : « إن المدارس فى مصر خاضعة بعد فوضى ـ لنظام انجليزى لا يريد بالطلبة خيراً ويتربص الشر بالبلاد فلنبعد ابننا الى بلد ذى مدارس تعلم العربية والانجليزية فيعود الينا أملا لوظيفة فى دور الحكومة وهذا جل المراد »

ولكنهم أرادوا امراً وأراد الله أمراً آخر

فانه مامضى على فى تلك المدرسة سنة وبعض سنة حتى طوى البحر والبر خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب، حتى اذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع وشرق بى ـ ذلك نعى أمى

ولا يعرف مر الحياة وعذاب الشعور بالوحدة إلا من فقد أماً كانت له الأب والأم وكل ما فى العالم من حب وإيثار . فاذا بى أصغر الطلبة سناً فى دار تجمع ثلثمائة ونيفاً من التلاميذ من جميع أقطار السلطنة العثمانية ولا مرشد لى إلا عقلى الصغير

فكنت أخلو إلى نفسى أناجيها وأبكى فينظر الى اخوانى الطلبة ويضحكون قائلين : « مالهذا الغريب ينتبذ منا مكاناً قصياً كأنه أوحشته ديار البلح والملوخية ؟ » ويدعوننى الى اللعب فارفض فيزداد بهم الحنق ويهزأون بى . الى أن انفردت بزعيم لهم ذات يوم وكان يكثر من التهكم على والتحكك بى، فجمعت كل مافى جنبى من إقدام و مافى صدرى من غضب وأعملت فيه يدى ورجلى ورأسى ضرباً ولكما وفررت هارباً

فلما كان المساء وخرج الطلبة من قاعة الطعام سرت فى غاب المدرسة وحيداً حزيناً فاذا

بعصبة منهم التفت وأحدقت بي وانهالت عليّ بانواع الضرب من كل ناحية ، وقدر الله ومر بساحة القتال تلميذ كبير في قسم من الاقسام العالية فشتت شملهم وانقذني

فذهبت مهشم الاعضاء الى رئيس المدرسة أشكو فنظر إلى وقال : « لاتبك ولا تشك . أليس لك يدان للضرب ورجلان للركل ؟ فاذهب وافعل بمن اعتدى عليك مافعله هو بك . وأما أن تخاصم فتنهر فتأتي شاكياً فما لا أريد سماعه » وكان الرجل أميركياً

ولذا تراني حتى الساعة أبغض هؤلاء الاميركيين وأحمل الجميل للبطل المنقذ

وقلت يا ويلتي في أي الأوساط وقعت ؟ ! وقالت لي غريزتي : « دع عنك التوكل على الغير واخلع تمائم أمك عنك واعمل لنفسك ، فان مالقنته في البيت من أخذ الناس بالحسنى وإيثار الغير وتنكب أسباب الشر لم يغن عنك شيئاً . وها زملاؤك على صغر سنهم لا يطيعون إلا طبيعة الشر فلا يرحمون الضعيف الوحيد ويستغلون من لا يكيل لهم الكيل كيلين »

فلم تمر على دراستي السنتان حتى صرت شر الطلبة سلوكا . اذا كلمني تلميذ وآنست من نفسي تفوقا عليه أشبعته ضربا ، وان خشيت فوزه على سلقته بلسان سليط . وهكذا حتى أصبحت من الزعماء المبرزين وحتى صرت ـ أنا الذي رباه أبواه في أحضان التقوى وحفظ اللسان ـ مثلا في سلاطة اللسان والمزؤ بآداب الدين . وكان من مقتضيات الزعامة وبحكمها فرضاً علينا نحن المتصدرين لها أن تنصرف عن الدرس ما استطعنا وان نبذل ما أعطينا من ذكاء وحيلة في تعذيب الاساتذة والمدرسين ، فان نجونا من العقاب ازددنا جرأة وان نالنا القصاص أصبحنا في اعين الطلبة أبطالا مجاهدين

على أنه قد وهبت في الصغر شيئاً من قوة الحافظة ، فكنت أستعين بها على تحصيل ما يكفي من الدرس حتى لا يتجاوز ما يعدونه حداً أدنى لمنع السقوط في أيام الامتحان . واعطاني نظام المدرسة الحر ميدانا أهرب فيه من الدرس في الصفوف الى مطالعة ما في دار الكتب من مجلات وروايات في شتى فروع الادب

وكان الباعث الدافع إلى هذه المطالعة سهولة ما في مثل تلك المطبوعات من تحصيل من ناحية وشفاء للغليل الجنسي المكبوت من ناحية أخرى . وأما السبب الظاهر الذي كنا نعلله طلبة وأساتذة فتقوية التحصيل اللغوي واكتساب الاسلوب الانشائي المتين . فاذا تغلب دافع من الدافعين على الآخر بان الأثر على الطالب إما انهزاماً نفسانياً أو اندحاراً جسمانياً

وحدث في ربيع سنة تقدمت سنة خروجي من المدرسة أن قدم مدينة بيروت فلك غاص بالسياح الاميركيين فكان حتما عليهم أن يزوروا داراً للعلم أميركية النسب فامتلأت بهم على رحبها . وكنا كلنا الدارسون والمدرسون نستبق التعرف بهم والتحدث اليهم أو الاكتفاء بالحملقة . فما أقلق مضطجعي في تلك الأيام وأبعد النوم عن عيني إلا رؤيا النساء الأميركيات . فقد كان

العهد أول عهدى بالكلام إلى سيدة ، فما بالك برهط منهن بضات لعوبات فتنة للناظرين . فكانت تحفزنى الغريزة ويشكمنى الحياء الذى أتقنوا تدريسه إياى فى البيت ، فأصبحت كالمأخوذ لا يدرى ما يفعل . وكنت لا أصدق أن هناك قارة أميركية تجمع مثل هذا العــدد من الغيد البيض يسلبن الألباب

وبلغ أثر هذا المنظر الخلاب فى مبلغاً جعلنى أرجع فى المثل الأعلى فى حياتى إلى أمرين جعلتهما مطمح آمالى : الأول متاع بامرأة من هذا الجنس وهذا النوع . والثانى أن يكتب اسمى فى جريدة فى ذيل مقال فيها . وربما كان أثر المطالعة السهلة فى دار الكتب عاملا أول فى هذا المطمح الأخير أو لعله انعكاس جزئى من المطمح الأول

ولبثت أياماً متردداً ، ثم استجمعت قواى وأرسلت إلى كفيلى كتاباً ضربت فيه بآمال الأسرة عرض الحائط ، فقد ذكرت له انى استخرت الله فألهمنى أن أدرس الطب ولما كانت معاهد الطب فى أميركا أرقى معاهد العالم (كذا) فلا بد من السفر اليها والالتحاق بجامعة من جامعاتها . فهل كان الطب بغيتى إذ كتبت لقومى ما كتبت ؟ وهل كان ضمان مستقبلى محط أملى فى ذلك الكتاب ؟

إنى أرجع القهقرى فى ذاكرتى فأرى أنى خادعت نفسى تخدعنها على انتهاج دراسة الطب ، وأنا الذى تتقزز نفسه من رؤية المريض ويكاد يغمى على إن رأيت جرحاً . فخلال رغبتى فى التأمين من الفقر بصنعة فى اليد ووراء سعيى لاحتراف حرفة حرة ـ خلال كل هذا ووراءه كانت تجذبنى جذباً باطنياً قوياً تلك القامات الأميركية والوجوه البيضاء والأجسام البضة

على أن ما قدر كتب . ويد العناية التى أومن بقيادتها لى بدلت فى الأمور وغيرت . ولن أستعجل لك الحوادث أيها القارىء العزيز فلكل مقام مقال . انما لا بد لى من وقفة أقفها الآن على أطلال ذاك الماضى أستعرض فيها أختبارى وأطلب الجواب الصحيح على أسئلة أتساءلها فلا أحير جواباً

* * *

أنتعلم أم لا نتعلم ؟ هذه هى المسألة . وما هو الغرض من التعلم ؟ ألمجرد العلم بالشىء وملء الدماغ بالمعرفة أم للوصول إلى لذة وهناء وسعادة ؟ وما هى السعادة التى ننشدها ؟ أمادية هى أم أدبية أم الأمران معاً ؟ وكيف الوصول إلى الأمرين أو الى أحدهما ؟

وهل نحن واثقون من مطابقة تعلمنا على بيئة نعيش فيها أم تصطدم نظرياتنا بصلابة الأمر الواقع وعنف الحياة يكتنفنا من كل ناحية ؟

وماذا نتعلم اذا كان لابد لنا من العلم ؟ وأين يبدأ التعلم ؟ أفى البيت أم فى المدرسة ؟ ومتى ينتهى دور الاول حتى يبدأ دور الثانية ؟

وما خطب الناس الذين يولدون فى بيوت الأمية ما خطبهم ؟
وماهى المدرسة ؟ أنظام للدرس تفرضه الدولة على الكافة أم حرية أطلق فيها الحكم واطرد الباب ؟ إن جعلنا التعليم فى يد الدولة تفرض انظمته على رعاياها لم نجب على السؤال بل أعدناه بشكل آخر ، لانه ينبغى للدولة أن تختار لوناً من ألوان التدريس ترمى اليه . هل تطلق الحرية وتوسع كل أبواب الثقافة أم توجهها وجهة معينة لتخريج صنف معين من الناس ؟
وهل تصبغه بصبغة دينية أم أدبية أم علمية أم تجعله كشكولا من هذا وذاك وذلك ؟
وميل الصبي الطالب هل نتبعه فيه ونشجعه عليه أم نجبره على انتهاج ضرب من ضروب الدرس لايأنس من نفسه انصباباً عليه ؟
إن تركناه على ميله فاننا لسنا واثقين من حقيقة هذه الميول ، أثابتة هى حقيقية أم وليدة مناسبات وظروف ؟ وهل يلبث الميل واحداً فى كل أدوار الحياة ؟
ألا ترانا نجد كباراً فى فن التربية يقولون لك علم الولد مالا يحب فتربى فيه روح المقاومة والصبر والثبات وتؤهله لكل مفاجآت الحياة . لانك ان اطلقت له عنانه جرى فى ميدان واحد ضيق ، فاذا سد فى وجهه باب الخروج كبا لاتقوم له قائمة . وأما إن نوعت سبله ودربته على مختلف الميادين شحذت عزيمته وجعلته أهلا لكل شوط
على أنى لو رجعت الى ضميرى أستشيره لعجزت أن أبدى فى أى مسألة من هذه المسائل رأياً أرتاح أنا اليه بله جمهرة القراء . ولكننى من شىء واحد واثق كل الوثوق . ذاك أن يعلم الابناء فى وطن آبائهم لافى ديار الغربة ، واذا كان لابد من الالمام بشىء فى الخارج فليكن عندما يبلغ الطالب سن الرشد لاقبل ذلك بيوم
فهو إذا استوفى رجولته وأتم كيانه لم يعد للوسط الاجنبى من تأثير فيه يجعله مذبذباً لا أصيلا ولا دخيلا فتصدق عليه حكاية الغراب ومشيته
والعبرة فى التعلم هى اختيار الموافق لا الحسن أو الاحسن ، فانه ما قضى على بعض الناس واضاع ، شخصياتهم ، مثل اختيار آبائهم لهم مدارس يصفونها بانها من الدرجة الاولى فى احدى مدن أوربا ، فعاد التلميذ او التلميذة يضحك من اصله وينكره ، ويهزأ منه البلد المقلد ويحتقره . حتى اصبحنا واذا باسباب التعلم تجعلنا متبرمين بالحياة متضجرين لا نستقر على حال ولا تطيب لنا ناحية من نواحى العيش
ولكننى لم أقم نفسى معلماً أو واعظاً ولا أحب هذه المواقف ، فغايتى هى أن أحكى حكايتى وأقص سيرتى تسلية لاعبرة ، وتفكهة لا موعظة
وموعدنا فصول تالية ان شاء الله

سامي الجريديني

لكل جديد لذعة

طالع قراء الهلال الكثير من نفثات الاستاذ امير بقطر وبحوثه الاجتماعية الخطيرة . وموضوع اليوم من أطلى الموضوعات ولا سيما بما احتواه من الامثلة الشائقة الكثيرة . وهو دراسة دقيقة لما يلاقيه كل جديد من عقبات ومصاعب

بقلم الاستاذ امير بقطر

لكل جديد لذة فى بعض الاحايين ، ولذعة فى غيرها . وليست المبادىء والعادات والتقاليد وحدها هى التي يصعب نبذها والتمسك بسواها فان للاشياء المادية المحسوسة سلطانا على صاحبها وسيادة قوية السواعد ، شديدة المراس ، كثيرة البطش

يقول علماء النفس ان الاقلاع عن عادة ألفها الانسان والرجوع عن رأى معروف من الوعورة بمكان عظيم . لانه يدعو الى اعتناق مبدأ جديد واتباع عادة جديدة ، واعتناق هذا المبدأ أو اتباع هذه العادة يتطلب تفكيراً وموازنة وترجيح مبدأ على مبدأ وعادة على عادة . وفى هذا كله من العناء والنصب والتعب مالا يخفى . والمرء بطبيعته ميال الى الراحة والكسل ، وقل من لا يهوى الخلود الى السكينة ومن يرغب فى عناء التفكير حبا فى البحث عن الحقيقة والجرى وراء الاصلح ، ما لم يكن الدافع ضرورة قصوى ، اقتصادية أو اجتماعية ، اتقاء لشر أو خشية الوقوع فى خطر ، أو دفاعاً عن النفس

يقول الرياضيون أن أقرب مسافة بين نقطتين الخط المستقيم ، غير أن الذين يجدون فى كل جديد لذعة ، يزعمون أن النقطة أو المكان الذى هم فيه هو أقرب مسافة بين نقطتين ، كما زعم الفلاسفة والساسة أن الخط المتعرج المنحنى أقرب هذه المسافات ، لان اللف والدوران فى نظر الفلاسفة أقرب طريق الى الحقيقة ، وفى نظر الساسة أقرب طريق الى نيل المراد ، والجمود فى نظر الاصوليين أقرب طريق الى كل مكان فى الوجود

ان فى تاريخ التمدن الانسانى فترات تقهقر فيها البشر خطوات الى الوراء ، ومراحل شلت فيها أعمالهم ، وأصاب كبد مشروعاتهم سهام الفشل والخيبة . ويعزو أحد علماء (١) الكيمياء سبب هذا

---

(١) دكتور ادون سلوسين (Slosson) وله مؤلفات عدة في الكيمياء وهو معروف بمؤلفاته العلمية المكتوبة بلغة يفهمها غير العلماء . ومن كتبه المعروفة « مواعظ كيمياوي » و « دروس سهلة في نظريت اينشتين » و « احاديث علمية » الخ . وهو دكتور في العلوم والفلسفة ويشغل مركزاً هاماً في حكومة واشنطن بأمريكا

التقهقر وذاك الفشل الى مرض معد يصيب العقول ويتفشى بين الناس بسرعة البرق ويدعى نيوفوبيا، وهو يشبه الهيدروفوبيا ، غير أن المرضين وان اتفقا فى الاعراض يختلفان فى الاسباب . ففى حالة المرض الثانى يقال ان العليل عند رؤية الماء يعتريه الخوف والحنق الشديد ، وفى الحالة الاولى تظهر عليه علائم الانقلاب والتأفف وأعراض الاستياء الشديد عند رؤية كل جديد . وهذا الداء كثير الانتشار ومتى أزمن لايعرف له بين العقاقير من دواء غير السم الزعاف

ومن المشاهد أن الناس جميعهم يحملون جراثيم هذا الداء ، وكلنا عرضة لظهور أعراض خفيفة منه « وطفح » بسيط من جراثه . وتمتاز عصور عن عصور وبلاد عن بلاد بتفشيه بصفة عدوى سريعة الانتقال . غير أن أسلم طريقة للوقاية منه هى استعمال « مصل » التربية العلمية التى تدعو للتفكير والبحث وقبول الآراء الحديثة

كتب أحد اعضاء البرلمان الانجليزى فى مارس سنة ١٨٢٥ الكتاب الآتى تعليقاً على أول اقتراح فى البرلمان لانشاء أول خط حديدى فى انجلترا :

« لقد اتضح لي فى ختام الامر أن صاحب الاقتراح ذاهب العقل لامشاحة ، فقد كان زبد الغيظ يفور من فمه كما تفور القدور وهو يقترح ادخال تلك الآلة الجهنمية ، ذلك الوحش الضارى الذى يحمل ثمانين طناً من السلع ويزعج عباد الله بدخانه الكثيف بين منشستر ولفربول . والحمد لله فقد خنق ذلك الشيطان الملعون فى مهده ، إذ جاءت اصوات الاغلبية الساحقة ضده وانسحب اصحاب الاقتراح غير مأسوف عليهم »

ومن قبيل هذا الخطاب ماحدث فى مجلس النواب الانجليزى فانه عندما اقترح نائب ادخال البخار فى الاسطول وقف نائب آخر متنفضاً وخاطب صاحب الاقتراح وهو يتدفق غضباً قائلا :

« اننا عندما ننخرط فى سلك البحرية ياحضرة النائب المحترم نعرض ذواتنا لخطر الحرب ونذهب متأهبين لمعانقة رقاب المنايا تقطيعاً ونسفا ورميا برصاص البنادق وشظايا القنابل ، ولكننا ياحضرة النائب المحترم نأبى أن نغلى غليا ونحن على قيد الحياة . »

ولما أن أدخلت نظم التدفئة وأنابيب الماء وشيدت المنازل العالية ذات الادوار العديدة فى رومه، استشاط سنيكا الحكيم الرومانى غيظاً ونقم عليها وأعلن سخطه على رءوس الملأ قائلا انها خطر دائم على الاخلاق وتهديم للفضيلة، وتحسر على الماضى . وأبان كيف أن الاقدمين كانوا يعيشون أحرارا نبلاء تحت سقوف من القش ، فى حين أن المصريين عبيد أرقاء تستر ذلتهم قصور عمادها المرمر والرخام وجدرانها المنقوشة بالذهب الوهاج

ولو أتيح لهذا الحكيم أن يبعث من قبره اليوم ويشاهد إحدى ناطحات السحاب التى يتجاوز عدد طبقاتها المائة فى نيويورك ، لعجزت لغته اللاتينية — على غناها — عن التعبير عن سخطه واستيائه

وحدث فى الجيل السابع عشر أن انجليزيا واسمه Coryate عاد الى بلاده بعد رحلته إلى ايطاليا

حاملا معه آلة شيطانية وهى شوكة الاكل المعروفة . ولما أن عرف عنه انه يستعملها للقبض على قطع اللحم بدلا من أصابعه كان موضع الهزء والسخرية ، وعد عمله هذا مجوناً واهانة للعناية الربانية . وقالوا : « كيف يجرؤ امرؤ أن يخجل من لمس طعام بأصبعه ؟ »

ومن أسخف وأغرب ما سمعناه منذ سنوات ، أن مدرسة أجنبية للبنات فى مصر كانت تشجع الفتيات (المصريات) على الأكل باصابعهن . بدلا من السكينة والشوكة بدعوى المحافظة على التقاليد الشرقية . ألا يعلم أصحاب ذلك المعهد أن الشوكة لم تهبط على أوربا من السماء وأن مصر كغيرها من البلدان لها حق التمتع بمزايا الميراث الاجتماعى فى حدود المعقول أيا كان منشؤه ونوعه . وأن الاستعانة بالآلات على اختلاف انواعها لمن الفروق الهامة بين الهمجية والمدنية ؟

ولما اعتنق البلغاريون المسيحية عقد رجال الدين مجلساً للبحث فى هل تتفق السراويل التى يلبسها أهالى بلغاريا مع الدين الجديد الذى تدينوا به ؟ وذلك لان السراويل (البنطلونات) كانت غير معروفة عند المسيحيين فى بادىء الأمر ، وقد انقلبت الآية اليوم فان بعض المسيحيين الذين ينشرون دينهم فى اسيا وافريقيا يشجعون معتنقى المسيحية على ارتداء السراويل تشبها بهم سواء أكان ذلك يلائم جو البلاد أم لايلائمه

وفى عصر شكسبير كان يقوم الرجال بادوار السيدات فى رواياتهم كما يفعل الآن طلبة مدارسنا فى كثير من الاحوال ، ولما أن ظهرت فى فرنسا سنة ١٦٢٩ « بدعة جديدة » وهي أن يقوم النساء بالادوار النسائية أخذ المتفرجون فى الصفير والزمر وضرب الممثلين والممثلات ببذر البرتقال

ومن أفكه القول ما وقع فى انجلترا عند ظهور النظارات تحت اشراف الجمعية الملكية ، فقد طعن الجمهور فى الزى الجديد وقالوا أنه مفسدة للاخلاق وان النظارة تعدم المساواة بين من يلبسها ومن لا يلبسها من الرجال ، وأضافوا الى هذا ان المرأة لا يمكنها أن تضع نظارة على عينيها لاسباب تتعلق بالجمال والحكمة ، وبهذا تعدم المساواة بين الرجل والمرأة . واذاع قسيس مشهور بياناً أعلن فيه أن فى النظارات اعتداء جريئاً على الاخلاق لان فيها قلباً للحقائق المرئية بالعين المجردة ووضع الاشياء وضعاً غير طبيعى لما تشعه عليها من ضوء كاذب

ولما ظهر الاوتوميل قامت حوله القيامة وأجمع الكبير والصغير على أنه خطر على المارة والامن . وليس هذا بغريب فان الامبراطور أورليان عند ما دخل انطاكيا يحمل أكاليل الظفر لم يجرؤ على ركوب عربته خشية الرأى العام

ومن الغريب انه فى فجر القرن التاسع عشر كان الفحم غير معروف فى فيلادلفيا ، فلما ان شحنت اليها كميات منه رفض الناس استعماله وقوداً واكتفوا بدك الشوارع به . وحاول أحد التجار أن يبيع عربة من الفحم لاول مرة فى تلك المدينة فأخرجوه منها وهددوه بالقبض عليه

وفى منتصف القرن التاسع عشر اقبل الناس فى اميركا على شراء سلعة جديدة وهى أحواض الحمامات « بانيو » لاستعمالها فى المنازل . وما كادت تأتى الى عالم الوجود حتى هجاها رجال الاقلام والصحافة بألسنة حداد ، وقالوا انها مدعاة للبذخ والاسراف ومنافية لمبادىء الديمقراطية . وزاد الاطباء الطنبور نغمة فادعوا أنها خطر يهدد الصحة العامة ونادوا بمقاطعتها . واستعان المعارضون بالحكومة كالمعتاد وطلبوا منها مصادرة هذه البدعة أو تضييق نطاقها بفرض ضريبة جسيمة على اصحابها واجبارهم على استخراج رخص رسمية قبل السماح لهم بالانتفاع بها . وفعلا بلغت الضريبة على الحوض الواحد فى ولاية فرجينيا ثلاثين ريالا ، وحرمت بلدية بوستن استعمال هذه الاحواض تحريماً باتاً شرعياً الا اذا أشار الاطباء على أحد بها

وعند ظهور الكتب المطبوعة لاول مرة لم يقبل الناس على شرائها حتى افهموا غشاً وتضليلا أنها مخطوطات . وطعن العلماء الطليان على الطباعة طعناً جارحا وقالوا انها بدعة همجية المانية ونادى كهنتهم : « لنهدم كيان الطباعة أو تهدم هي كياننا »

وعند وصول السفينة الاولى إلى انجلترا محملة ملحاً لم يقبل على شراء الملح أحد فالقى فى اليم

والموز على حلاوته كان « مضغة » فى الافواه عند أول ظهوره فى لندن ، فلم يتيسر لتجاره أن يوزعوه بأى ثمن . وأخيراً حاولوا توزيعه مجانا على صعاليك المدينة وفقرائها فابوا ، وأخيراً ترك فى مكانه يتسرب اليه الفساد . والبطاطس فى بدء عهد انجلترا بها أعدمت بدعوى أنها ضارة بالمجتمع الانسانى . أما الطماطم فديست بالاقدام لان « فيها إفساداً لاخلاق الامة »

منذ سبعين عاما فقط لم تقبل البنات فى أميركا سوى كلية واحدة ، ولم تقبل امرأة فى مطعم إلا مصحوبة بذويها ، ولم يكن لامرأة حق التصويت فى بلاد العالم كلها . ومنذ عهد قريب لما أن القت السيدات الحجارة على البرلمان الانجليزى احتجاجاً على حرمانهن من حق الانتخاب ، صاح أحد النواب متهكما : « زوجوا الاوانس منهن فيكففن عن المطالبة بحقوقهن »

والكهرباء عند بدء ادخالها فى عواصم المديريات فى مصر لم تقبل على الرحب والسعة من جميع السكان على السواء . فقيل عنها فى بعض الدوائر انها تذهب بالبصر « وتلحس » نور العيون ، وقيل عنها فى اوساط أخرى انها تعرض المبانى والمنازل لخطر الحريق ، وتباهى بعض ذوى البنايات الفخمة من اعداء الجديد ، بأنهم محافظة على التقاليد يرفضون بتاتا ادخال البدعة الغريبة فى منازلهم . وقد رفض السكهنة فى كثير من الكنائس أن يجعلوا للشموع والقناديل الزيتية مزاحماً ، فبقيت الكهرباء ردحاً من الزمن حرماً محرماً . غير أنى أذكر أن تلك العقبات التى وضعت فى سبيل هذا الاختراع العجيب لم تك الا حواجز من الهشيم ، لم تكد تسطع عليها أضواء المصابيح الجديدة عن كثب حتى أكلتها حرارتها ، فأقبل الناس جميعاً على هذه « البدعة » صاغرين ، وانطلق تيارها السحرى فى ثريات

الكنائس فبدد غياهب الظلمات فيها واختفت أمام شموعه الساطعة أصوات المحتجين من ذوى العمائم السوداء

ولا أزال أذكر أيضاً أن بعض الاعيان فى عواصم المديريات على غنائم الوافر وثرواتهم الطائلة ظلوا زمناً طويلا يترددون فى استعمال العربات والاوتوميلات ، وداموا يمتطون ظهور الحمير البيضاء المقصوصة الشعر المكسوة سرجها بالقطيفة الحمراء .. يخترقون شوارع المدينة الكبرى ، فيقف لهم الناس اجلالا على الجانبين ، وهم يفاخرون أنهم لايزالون على عهودهم الماضية وان ظهر الدابة أكثر وجاهة وأعز جانباً وأرفع مقاماً من متكآت العربة ومساند الاوتوميل . وان خطوة الحمار الهادئة ومشيته الوئيدة الناعمة أصح للمعدة والامعاء من رجة السيارة وسرعتها الخاطفة وصعودها وهبوطها وحركاتها البهلوانية الشيطانية وجموحها الذى لايكبح

ولم يغب عن ذاكرتى المنازعات والخصومات التى كانت تقوم بين الآباء وأبنائهم فى أعرق الاسر وأكرمها . ولم تك هذه الحروب الشعواء الاصراعاً بين أب محافظ يريد أن يقضى البقية الباقية من حياته فى منزل أجداده فى ذلك الحي القديم الذى هجره ذووه ولم يبق فيه الا الفقراء ومتوسطو الحال ، وبين ولد يرغب فى الانتقال الى أحد الاحياء الجديدة حيث يقطن «ذوات» البلد وحيث تكثر المنازل الحديثة التى تتوافر فيها الشمس المضيئة والهواء النقى والمرافق الحديثة والحمامات المجهزة بالاحواض والانابيب التى يجرى فيها الماء الساخن والبارد والغرف الصحية المطلة على الحدائق الغناء

ويقول أمين سامى باشا فى مؤلفه «التعليم فى مصر» ان الاهالى فى أول الامر كانوا عقبة كؤودا فى طريق تعليم بنيهم . أما تعليم البنات فلم يصادف قبولا فى عصره حتى اضطر محمد على باشا الى اصدار أمره بشراء عشر جوار سودانيات صغيرات السن يلتحقن بمعرفة كلوت بك لتلقى فن الولادة ومعهن اثنان من أغوات الحرم ليتعلما فن الطب والجراحة . وليست العقبات التى صادفها محبذو تعليم البنات ببعيدة العهد ، فان احصاءات سنة ١٩٣٠ فقط تدل على أن عدد الطالبات فى مدارس وزارة المعارف الثانوية لم يتجاوز ٣٩٦ مقابل ١٤٨٧٧ من الطلبة الذكور

وقد لاقى كلوت بك فى مدرسة قصر العينى الامرين لان الاهالى كانوا يعارضون فى تشريح الجثث ويعدونه أعتداء على حرمة الموتى

وعند انشاء مدرسة روض الاطفال فى قصر الدوبارة منذ سنوات تعبت ناظرة المدرسة كثيراً فى اقناع الوزارة بأن قبول البنين والبنات لتعلم تحت سقف واحد من تلك المدرسة لا عيب فيه لانهم أطفال أبرياء لا تتجاوز سنهم السادسة

كل هذه ذكريات تاريخية قد نعيدها لمجرد التسلية ، ولكن دعنا نقف برهة ونفكر ملياً ونتساءل هلا نزال نقاوم الآراء الجديدة ؟ وهل مصدر هذه المقاومة نوبة خفية من داء النيوفوبيا ؟

أمامنا طائفة من المسائل الاجتماعية التى قد انحدر تيارها من بلاد الغرب ، وقد اقتبسنا بعضها على علاتها قبل أن تهضمها معدة أوربا ، وكدنا نقتبس البعض الآخر محاكاة وتقليداً ، وما برحنا نرحب برأى تارة وننبذه أخرى . وها أنا أضع أمام قراء الهلال طائفة من المسائل التى يجدر بنا درسها وهى :

١ ـ أمن صالح الامة أن تكثر وزارة المعارف من المدارس الثانوية والعالية أم تضع حداً لها وتنفق معظم ميزانيتها على التعليم الاولى ؟

٢ ـ أيحسن جعل التعليم الابتدائى والتعليم الاولى واحداً بغير تفريق ، الزامياً مجانياً ، مع رفع مصروفات التعليم الثانوى حتى لايقبل عليه إلا القلائل مع استثناء النوابغ من الفقراء ؟

٣ ـ أيكون نصيب البنين والبنات واحداً فى التعليم ؟

٤ ـ أنترك أبواب الوظائف مفتوحة للجنسين مع قبول الناجحين والناجحات فى امتحان مسابقة يعقد لهذا الغرض ؟

٥ ـ الى أى حد نترك الحرية للمرأة فى منافسة الرجل ؟

٦ ـ أمن الحكمة تشجيع « ضبط النسل » خصوصاً بين الطبقات الفقيرة ، أم القضاء على الفكرة قضاء مبرماً ؟

٧ ـ هل يحسن منع بنينا وبناتنا من تعلم الرقص الذى يقبل عليه بعض الشبان فى القاهرة والاسكندرية ؟

٨ ـ أمن الحكمة أن نأخذ برأى التربية المشتركة بين الجنسين فى المدارس الابتدائية لاعتبارات اقتصادية واجتماعية ؟

٩ ـ أيجدر بنا قلب انظمة التعليم رأساً على عقب بما فيها من مناهج وامتحانات وشهادات وكتب دراسية وادارة وأغراض تعليمية ؟

١٠ ـ هل البلاد فى حاجة الى تشريع جديد فى مسائل الزواج يتناول فرض ضرائب على غير المتزوجين القادرين على الزواج ، وفحص القادمين على الزواج فحصا طبيا ؟

☆ ☆ ☆

ليست هذه المسائل وعشرات غيرها جديدة ، وليس هناك أمة تستطيع أن تفاخر بأنها اهتدت الى اجابات شافية عنها ، وليست مصر وحدها هى التى تعانى مئات من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية غير أننا نريد أن نقدم على حلها ولو بطريق التعبيث بشرط ألا يشترك فى هذا الحل المصابون بداء النيوفوبيا ، الذين لايرجى شفاؤهم

امير بقطر

كيف عرف اينشتين
ان الكون متناه غير محدود
وانه كروي الشكل فارغ الجوف

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

> نشرنا في الجزء الماضي من الهلال بحثاً سلساً قريب المنال للاستاذ نقولا الحداد في موضوع الجاذبية وعقيدة اينشتين فيها. وهو يستأنف في هذا العدد ذلك البحث مبيناً فيه ما ذهب اليه العلماء وخصوصاً اينشتين في شكل الكون المادي

كان من نتائج مباحث النسبية انسياق البحث الى شكل الكون المادى ، أى الحيز الذى تشغله الاجرام وما يحف حولها من اجواء جاذبية واشعاع كهربائى مغنطيسى Radiation على اختلاف أنواعه (وأمواج النور نوع منها) . ففتح علماء العصر باب البحث فى اللانهاية مرة أخرى، بعد أن أغفل العلماء هذا الباب زمناً لاشتغال العلماء بخواص المادة وظاهراتها ونواميسها

كان العلماء منذ القديم الى أن بزغ فجر نظرية النسبية يذهبون الى أن الهندسة التى ضبط قضاياها اقليدس خاصة من خواص الفضاء . وغفلوا عن نظرية ان الفضاء بغير المادة هو العدم بعينه . ولا هندسة فى العدم . غفلوا عن هذه النظرية واعتبروا الفضاء وجوداً حقيقياً ذا ثلاثة ابعاد (الطول والعرض والعمق) واشتغلوا بالهندسة بناء على هذا الاعتبار من غير نظر الى المادة التى تشغله ، بل اعتبروا المادة خاضعة لاحكام هذه الهندسة حتما

بمقتضى هندسة اقليدس : النقطة موضع فى الفضاء . فان كان فى ذلك الموضع ذرة من المادة فهى النقطة ، والا فهناك نقطة وهمية . أو أن الذرة تشغل تلك النقطة . فالشىء الاساسى هو هذه النقطة الوهمية واحتلال الذرة لها عرضى . والخط مؤلف من عدد غير متناه من النقط . فهو مفروض فى الفضاء أيضا فان شغلته مادة كانت المادة عرضا وهو الجوهر . وله خاصة الطول فقط . والسطح

مؤلف من عدد من الخطوط لانهاية لهـا ، وله خاصة الطول والعرض فقط (الجهـات الاربع). والجسم أو المجسم مؤلف من عدد من السطوح لانهاية لها . وله خاصة الطول والعرض والعمق (أو السماكة . أو الجهات الست)

بناء على ذلك لا يكون الخط إلا مستقيما ، وهو اقصر مسافة بين نقطتين . فان كان منحنيا لم يعد خطا بل يصير حدودا لسطح . كذلك السطح لايكون الا مستوياً ، أى ذاخطوط متوازية ولا قاطع فريق منها آخر . فان كان السطح منحنياً صار حدوداً لمجسم

هذه هي خواص هندسة الفضاء سواء أكان الفضاء حيزاً مشغولا بالمادة أم وهمياً خلواً منها. فلننظر فى الحيز الكونى أى المشغول بالمادة لكى نرى كيف يمكن أن يكون شكله . وهل هو متناه أم غير متناه ؟

لو سألت أى شخص قد رسخت فى ذهنه عقيدة هذه الهندسة الاقليدوسية (وهى راسخة فى فى ذهن كل واحد منا) : ماذا تعتقد فى مدى هذا الكون المادى ؟ هل هو متناه أم لا نهاية له ؟ لاجابك : لاأستطيع أن اتصوره متناهياً أى ذا أول وآخر

ـــ لماذا تعتقد هكذا ؟

ـــ لانى اذا تصورت خطا يمتد فى الفضاء فلا أستطيع أن اتصور ان امتداده ينتهى عند حد لو أن له طرفين ينتهى بهما ، لانه ان لاح لى ان له طرفين ففى الحال يلوح لى انه يمكن مده الى ما بعدهما ، وان لاح لى ان هناك حداً يحول دون مده ففى الحال اسائل نفسى ماوراء ذلك الحد. وهكذا الامر لو تصورت سطحاً ممتداً الى الجهات الاربع فى الفضاء لا أستطيع ان اتصوره متناهياً. وكذلك لو تصورت مجسما يتسع فى الفضاء لا أستطيع أن أتصور له ستة حدود لانى أسائل نفسى حينئذ ماوراء تلك الحدود . فاللانهاية نتيجة محتومة للتمادى فى تصور المتناهى . أى كلما توغلت فى تصور نهاية للفضاء بدا لى عدم تناهيه

ـــ حسناً . كأنك تقول ان تصور تناهى الفضـاء اصعب على الذهن من تصور اللانهاية. ولـكنك تتصور خطاً وهمياً وسطحاً وهمياً ومجسما وهمياً فى فضاء خال . فلا معنى لهذا التصور لان الفضاء الخالى عدم ، فالتصور فى العدم عدم . دعنا نتصور الفضاء حيزاً مشغولا بالمادة . فما ظنك بهذا الحيز المادى ؟ هل هو متناه أم غير متناه ؟

ـــ قد يمكننى أن اتصوره متناهياً ووراءه من جهاته الست فضاء خال فارغ ويمكننى أن اتصوره غير متناه . أى انه مادام هناك فضاء فهناك اجرام الى مالا نهاية له . ولـكن تصور الاول اسهل للذهن من تصور الثانى . فالاصعب هو تصور تناهى الفضاء الخالى لاتناهى الحيز المادى

تناهي الحيز المادي

نقول : والراجح جداً هو أن الحيز المادى متناه . ولنا أدلة عليه أظهرها هو الارصاد الفلكية . اذا استكشفنا القبة الزرقاء بمنظار (تلسكوب) مقرب جداً رأينا عالم المجرة , درب التبان أو الطريق اللبنى كما يسميه الافرنج) ينتهى فى شكل قرص سمكه نحو خمس قطره . ونظامنا الشمسى أقرب الى مركزه منه الى محيطه بنسبة ١ الى ٢ . وبعد قرص المجرة لا نعود نرى الا ظلاماً دامساً ، كأن هناك خلاء مطلقاً . ولكننا اذا تمادينا فى الرصد والاستكشاف واستعنا بالتصوير الشمسى بدت لنا وراء ذلك الخلاء السحيق عوالم أخرى كعالم مجرتنا (وقد أحصوا منها الى الآن على قولهم نحو مليونى عالم مختلفة الاقدار) ومع ذلك يرى ان لهذه العوالم نهاية ، لان وراءها خلاء مطلقا . لذلك رجح الاعتقاد أن الكون المادى ذو نهاية ، له أول وآخر ، أى له جهات ينتهى فيها ويحيط بها فضاء مطلق خال . هذا دليل حسى مرجح على تناهى الكون المادى ، فلنبحث عن برهان آخر

المشاهد جليا ان هذه العوالم المادية موزعة فى الحيز العظيم الذى تشغله توزيعاً متساوياً تقريباً . نعم انها فى بعض البقاع اكثف منها فى بعض البقاع الاخرى المجاورة . ولكن مناطق الحيز كله بالاجمال مملوءة اجراماً بالتساوى فليس لمنطقة حظ منها أكبر من أخرى . لذلك تعد الاجرام موزعة بالتساوى على مناطق الحيز . وبعبارة أخرى — للحيز المادى معدل كثافة واحدة فى كل نواحيه

فلو فرضنا ان الفضاء غير المتناهى مملوء اجراماً أو بالاحرى عوالم مادية بلا نهاية على هذا النحو أى أن العوالم موزعة فيه بالتساوى لكان الفرض لايتفق مع ناموس الجاذبية الذى اكتشفه نيوتن وهو سنة طبيعية لايمكن نقضها . فبحسب هذه السنة يجب ان يكون للكون المادى مركز وان تكون الاجرام حول المركز أكثر ازدحاما منها فى منطقة أبعد بحيث انها كلما كانت أبعد عن المركز كانت أقل ازدحاما . والواقع المشاهد خلاف ذلك ، أى أن الاجرام موزعة بالتساوى . ثم إن تناقص الزحام كلما كانت المادة أبعد يفضى أخيرا الى منطقة لامادة فيها ولا إشعاع ولا شىء مطلقا . وهذه النتيجة مناقضة لفرض عدم تناهى الفضاء . فاذا كنا لانستطيع أن نجحد ناموس الجاذبية وجب أن نسلم بان الحيز المادى لا يمكن ان يكون بلا نهاية أى أن ناموس الجاذبية وعدم التناهى نقيضان لايجتمعان

ثم ان ناموس الجاذبية نفسه ينقض نظرية عدم تناهى الحيز المادى من جهة أخرى لانه مع حقيقة تساوى كثافة المادة فى الحيز الكونى يفضى الى اشتداد قوة الجاذبية كلما بعدنا عن المركز الى حد لايتصوره العقل . هذا على افتراض ان الحيز المادى غير متناه وهو أمر مستحيل . واليك البرهان الذى أوجزه اينشتين ، ونحن نشرحه هنا بقدر الامكان . ولا بد فيه من عملية رياضية بسيطة يفهمها كل من له أقل المام بالرياضيات : —

برهان اينشتين

بحسب ناموس نيوتن فى الجاذبية : ان عدد خطوط القوة الواردة من اللانهاية [1] الى المادة Mass (أى القدر اللازم منها لانجذاب المادة الى المركز) تناسب المادة

أى ان الجاذبية (المرموز عنها بحرف ج) تساوى القوة (و) مضروبة بالمادة د هكذا :

ج = و × د

اذا رمزنا عن «معدل كثافة المادة» بالحرف فد (واذن ج × و = فد) وعن كرة السكون بالحرف كر وعن حجمها بالحرف ح كان لنا : كر × ح = فد

أى ان كرة السكون تضم حجمه مضروبا بالمادة

وهكذا لنا : ان عدد خطوط القوة المارة فى سطح الكرة ط الى داخلها مناسب للكثافة مضروبة بالحجم هكذا :

و × ط = فد × ح وبالخير لنا : و = (فد × ح) / ط

ويمكن ان ترسم هكذا : و = فد × ح/ط معادلة (١)

ومعنى هذه المعادلة انه فى أى مساحة من سطح الكرة يكون عدد خطوط القوة مناسباً لكثافة المادة مضروبة فى حجم الكرة مقسوماً على سطحها

ولكن لا يخفى عليك ان ح/ط = ش (أى شعاع الدائرة ، وهو نصف القطر) لانك اذا ضربت شعاع الدائرة بسطحها حصلت على كتلة حجمها . أى ح = ش × ط ، ومنها لنا بالخير ش = ح/ط فاذا وضعنا ش بدل ح/ط فى المعادلة (١) السابقة كان لنا : و = فد × ش ومنها لنا بالخير ش = و/فد معادلة (٢)

أى ان شعاع الكرة الكونية يساوى القوة مقسومة على المادة .

ينتج من ذلك انه كلما مددت الشعاع اتسع سطح الكرة وكبر الحجم ، وبالتالى ازدادت القوة واشتدت جدا ، لانك اذا ضاعفت جانبي المعادلة (٢) بعض اضعاف هكذا مثلا :

١٠ ش = ١٠ و/فد رأيت ان نسبة القوة الى كثافة المادة تزداد جدا ، وهو أمر مستحيل لانه مناقض لناموس الجاذبية الذى بنى عليه هذا البرهان (وهو ينص على ان قوة الجو الجاذبي كلما كانت بعيدة عن المركز ضعفت كربع البعد) فكيف بنا اذا كان شعاع السكون غير متناه ؟

(١) تعتبر الجاذبية قوة واردة من المحيط الى المركز

اذن لا يمكن ان تكون كرة السكون غير متناهية ، لانها اذا كانت غير متناهية انتقض ناموس الجاذبية الذي يستحيل نقضه . فبحسب هذا البرهان الآخر لا يمكن ايضا ان يكون الحيز المادى غير متناه ، لان عدم تناهيه لا يتفق مع ناموس الجاذبية من هذه الناحية

مع ذلك نقول إن تلك النتيجة التى توصلنا اليها آنفاً ، أى أن الحيز المادى متناه ، غير مقنعة كل الاقناع أو أنه يمكن الاعتراض عليها بأنها تؤدى الى نتيجة اخرى وهي ان النور وسائر أنواع الاشعاع التى تبعثها الاجرام تنطلق مع تمادى الزمن الى الفضاء الخالى ولا تعود الى حيزها الذى صدرت منه . وهذا يفضى الى افقار الحيز المادى وتلاشيه . وانما يمكن تلافى هذه النتيجة اذا ترجح لنا أن الاشعاع لا يخرج من حيزه بل يبقى محصوراً فيه بحكم فعل الجو الجاذبى الذى لا يتمادى فى التباعد عن المادة المصدرته إلا وقد تلاشى

نستنتج مما تقدم أمرين مناقضين لناموس الجاذبية

(الاول) ان ناموس الجاذبية لا يتفق مع بنية السكون المادى المعروفة وهي ان المادة موزعة فيه بالتساوى. وهو أمر يستلزم ان تكون القوة أشد فى المحيط منها حول المركز . وكلما تمادينا بتصور اتساع السكون لاحت لنا القوة أشد فأشد وهو أمر مستحيل لمخالفته لناموس الجاذبية

(الثانى) ان ناموس الجاذبية يستلزم أن يكون للسكون مركز تتكاثف الاجرام حوله وتقل كثافتها تدريجاً كلما كانت أبعد عن المركز ، الى أن تصبح فى البعد الاقصى نادرة ثم لا أثر لها [1]

ولكن الواقع المعروف والمشاهد هو غير ذلك ، أى ان المادة موزعة توزيعاً متساوياً ، وليس لها مركز اكثف من غيره . وتساوى هذا التوزيع مناقض لناموس الجاذبية . والحاصل ان التوزيع حقيقة راهنة ، والجاذبية حقيقة راهنة أخرى ، ولكنهما متناقضان ، فكيف يمكن التوفيق بينهما ؟ أو كيف يجب أن يكون شكل الكون المادى لكى يتفق مع ناموس الجاذبية ؟

شكل الكون

اذا فرضناه مجسما مكعباً أو مستطيلا أو شكلا متعدد السطوح وقعنا فى نفس التناقض الاول الآنف نصه ، وهو أن القوة فى سطوحه الست يجب ان تكون أشد جداً منها فى نقطته المركزية بحسب اتساعه ـ وهو أمر مستحيل كما علمت . وإذا تصورناه غير متناهي الاتساع كان ذلك المستحيل أعظم استحالة . وكذلك نقع فى التناقض الثانى ايضاً لانه ما الذى يجعل له زوايا ثمانياً تبعد عن المركز اكثر من أواسط السطوح الست ؟ وأى قوة اضافية غير القوة الجاذبية تحافظ على تلك الزوايا فى مواقعها ؟

---

(١) كما هو الحال في النظام الشمسي باعتبار أنه عالم قائم بنفسه فان اكثف جزء منه في الشمس وهي حول مركزه . وبعد ابعد سياراته خلاء قطره نحو ٨ سنين نورية ومن ثمت يبدو فوج آخر من الاجرام

لعله يبدر فى الحال الى ذهنك ان المجسم الكروى أصح من المجسم ذى السطوح لانه ينقذنا من تباعد زواياه عن المركز أكثر من تباعد اواسط سطوحه . ان المجسم الكروى يجمل جميع اجزائه متوازنة حول مركزه

حسن ، ولكن فرض المجسم الكروى المملوء مادة بكثافة واحدة يوقعنا أيضاً فى كل من التناقضين الآنفى النص ، لانه كلما تصورنا الكون الكروى عظيما بدر الى ذهننا اشتداد القوة فى سطحه ، وهو أمر مناقض لناموس الجاذبية . وكلما تصورناه عظيما وطبقنا عليه ناموس الجاذبية بدر الى ذهننا أنه شديد الكثافة فى مركزه الى حد لا يتصوره العقل ، وهو امر مناقض لحقيقة توزع المادة بالتساوى

إذن ، فلنبحث عن شكل آخر غير المجسم ذى الاضلاع والسطوح والزوايا وغير المجسم الكروى . فماذا يخطر لك ؟ لنفرض ان شكله كشكل اللوح ، كلوح النظام الشمسى [١] مثلا له اتساع كبير وسماكة قليلة جداً بالنسبة الى اتساعه . فى هذه الحالة تكون مجموعات الاجرام متجاذبة بعضها الى بعض فى ذلك اللوح . ولكن كيف يجب أن يكون هذا اللوح ؟ أمستو كسطح مستقيم الخطوط حسب هندسة اقليدوس ؟

إذا فرضناه هكذا وقعنا فى نفس التناقضين المذكورين سابقاً إذ لا بد ان يكون لهذا اللوح مركز . ولا بد أن يكون مستديراً تتباعد مناطقه عن مركزه على نمط واحد . وكونه ذا مركز وكون مجموعات الاجرام موزعة فيه بالتساوى يناقضان ناموس الجاذبية ، زد على ذلك ان كونه قرصاً مستوياً كما فرضنا لا يخلصنا من كونه غير متناه ، وعدم تناهيه مناقض للناموس أيضاً

اذا فرضناه قرصاً مستوياً لا نستطيع ان نتصوره متناهياً ، لان تناهيه يستوجب ان يكون له حدود ، وهو أمر يحار فيه العقل

إذن يجب ان نعدل عن كونه قرصاً مسطحاً مستوياً تطبق عليه هندسة اقليدوس ، أى هندسة الخطوط المستقيمة . فلا ينقذنا من هذه الورطة الا أن نتصوره لوحاً محدباً بحيث تلتقي حواشيه ويلتحم بعضها ببعض ويتكون منه شكل كروى فارغ من الداخل فراغاً مطلقاً . حينئذ يكون متناهياً ولكن لاحدود له . يكون متناهياً لانه غير منتشر فى الفضاء اللامتناهي ، ولا فى الفضاء الذى فى جوفه . حوله فضاء خال ، وضمنه فضاء آخر خال . ويكون بلا حدود لاننا حينئذ لا نقع فى حيرة تصور الحدود التى تجعل له اولا وآخراً . أو تجعل له أطرافاً يعز على العقل تصورها . فلا اطراف له ، بل يتصل بعضه ببعض . وحينئذ تتخلص من المركز الذى يجعل ناموس الجاذبية فيه مناقضاً لحقيقة توزع

(١) يمكنك أن تتصور النظام الشمسي كلوح اذا تصورت افلاك السيارات (مداراتها) وهي متوازنة في سطح واحد تقريباً ، كدوائر مشغولة بأجوائها الجاذبية المتصلة بمركزها في الشمس كأنها قرص والشمس في وسطه

المادة بالتساوى ، والذى يجعل المادة مزدحمة فى منطقة حوله دون اخرى ، والذى يجعل القوة أشد فى منقطة دون منطقة أخرى ضمنها

هل تصلح هندسة اقليدوس ؟

واذا ارتحنا الى هذا الشكل وقبلناه رأينـا ان هندسة الخطوط المستقيمة (هندسة اقليدوس) لا تتفق مع هذا اللوح المحدب تحدباً يجعله كروى الشكل كجلدة كرة المطاط الفارغة ، بل تتفق معه هندسة النسبية كما توصل اليها اينشتين

لنتصور هذا اللوح مستوياً أى مستقيم الخطوط بحسب هندسة اقليدوس ، واننا نريد أن نخطط فيه خططا هندسية كمثلثات أو مربعات أو مستطيلات أو دوائر . فحيثما نرسم المربع مثلا تكن زواياه قائمة (٩٠ درجة) مهما كان كبيرا أو صغيراً . أو حيثما نرسم الدائرة تكن نسبة قطرها الى محيطها كنسبة واحد الى ٣،١٥ مهما كانت كبيرة أو صغيرة . وانما من مساوىء هذا اللوح اننا لا نستطيع أن نضع حدا لاى شكل فيه لايمكن تجاوزه بل نضطر أن نتمادى بتصور أى شكل ممتداً فيه الى ما شاء الله . لو شئنا مثلا أن نمد قطر الدائرة من جانبيه الى أن نجعل الدائرة تشمل كوننا هذا كله فلا ننتهى من مده الى الابد لان انبساط هذا اللوح يحتمل الامتداد الى ماشاء الله . ولا نستطيع أن نجعل له حدا لئلا نتطلع الى ماوراء ذلك الحد . كذلك لا نستطيع أن نتصور نهاية لاضلاع المربع أو أى شكل هندسى فيه يستحيل مده بعدها . بل مهما تصورنا اننـا بلغنا الى حد نهائى يبدو لنا انه يمكن مده بعده . فعيب اللوح المستوى المستقيم الخطوط (الاقليدوسى) انه غير متناه ولا يمكن تصوره متناهيا بلا حدود

فلنلتفت الآن الى اللوح المحدب تحدبا بحيث ينثنى على نفسه بشكل كروى . ولنر كيف يمكن تخطيط الاشكال الهندسية المار ذكرها عليه . وهل اذا رسمت دائرة على هذا السطح المحدب وشئت أن توسعها ما استطعت تقع فى مشكلة اللانهاية ، أم تصل الى نهاية من غير ان تقف عند حد تحدثك نفسك عنده متسائلا : ماوراء هذا الحد ؟

افرض انك رسمت دائرة على هذا اللوح المحدب ، ورسمت قطرها ، فهل تكون نسبة القطر الى الدائرة كنسبة ١ ــ ٣،١٥ كما هى فى هندسة اقليدوس ؟ يستحيل ذلك لان القطر محدب كتحدب السطح ، ولذلك هو أطول من قطر الدائرة فى سطح مستو . وبالنتيجة تكون نسبة الدائرة الى المحيط أقل من ٣،١٥ وكلما وسعت الدائرة وطال القطر صارت هذه النسبة أقل . تصور انك وسعتها حتى بلغت الى محيط اللوح الكروى الذى نحن بصدده تماماً ، يصبح قطرها حينئذ نصف دائرة مساوية لها أى يصبح قطرها مساوياً لنصف محيطها . ثم تماد فى اطالة قطر هذه الدائرة ومحيطها يسير معه ، تر أنه فيما القطر يزداد طولا تشرع محيط الدائرة يضيق ويصغر بعد تجاوزه محيط الكرة

وكلما تماديت فى مد طرفى القطر ترى الدائرة أضيق فأضيق الى أن يصبح طول القطر أكبر من طول الدائرة . وأخيراً تتلاشى الدائرة حين يلتقى طرفا القطر . فترى مما تقدم ان السطح المحدب الذى تتصل حواشيه بعضها ببعض فى شكل كروى خال من عيب اللانهاية . لانك اذاً أيان مددت فيه خطا او وسعت دائرة تنته بالتقاء طرفى الخط وبانتهاء الدائرة كما ابتدأت من غير أن يعترض حد يستوجب التساؤل : ماذا وراء ذلك الحد . فهذا الشكل ينقذنا من مشكلة اللانهاية ومشكلة حدود النهاية ، فهو شكل متناه ولكنه غير محدود

وانما لهذا الشكل عيب خاص به ان شئت ان تسميه عيباً ، وهو أن هندسة اقليدوس لا تنطبق عليه . اولا لانه ليس فضاء فارغاً وهميا يمكن تصور امتداد الخطوط والسطوح فيه بحرية ، بل هو حيز مشغول بالمادة محدب ، وكل خط فيه يجب أن يخضع لهذا التحدب . فاذا مددت فيه خطا فى أقصر مسافة بين نقطتين اعتبر ذلك الخط فيه مستقيما ولكنه فى عرف الهندسة الاقليدوسية منحن تبعاً لتحدب اللوح الذى يمتد عليه . تصور انك تقيم فى عالم كهذا وجعلت تسير فى أى اتجاه باستمرار من غير أن تحيد يمنة أو يسرة أو ان ترتفع أو تهبط فتعتبر نفسك انك سائر فى خط مستقيم ، ولكنك بعد حين تجد نفسك قد وصلت الى حيث رحلت فتعلم انك لم تكن سائراً على سطح مستو بل على سطح محدب ، وانك اذا شئت ان تمد خطا مستقيما أو ان تخط لك طريقا مستقيما بالمعنى الاقليدوسى استحال عليك الامر ، لان طريقا مستقيما كهذا يوجب عليك الخروج من عالم هذا السطح الى عالم الوهم — فبناء على هذه الاعتبارات المتقدمة ترى ان هندسة اقليدوس لا تصلح لكون محدب كهذا . ولا بد له من هندسة اخرى خاصة به . هندسة اقليدوس تصلح لفضاء خال من المادة تستطيع أن تصور فيه الخطوط ممتدة بحرية حيث تشاء . ولكن الحيز المادى الذى نحن بصدده تتوقف هندسته على مادته ، فادته ، لاهو ، تتحكم بهندسته . ومادته قد جعلته محدبا . فاصبحت الخطوط التى تمتد فيه على اقرب مسافة بين نقطتين محدبة حتما كتحدبه

هذا هو معنى قول النسبيين : ان كوننا المادى ليس اقليدوسياً أى أن قضايا هندسة اقليدوس لا تنطبق عليه . فلا مجموع زوايا المثلث فيه يكون مساوياً لقائمتين ، ولا زوايا المربع فيه تكون دائماً قائمة ، ولا تكون النسبة بين القطر والدائرة دائماً واحدة الخ

ذلك هو معنى قولهم « تحدب الفضاء » . والصواب « تحدب الحيز » الذى تشغله مجموعات الاجرام . فالتحدب ناتج عن ترتب الاجرام فى هذا الشكل الكروى لا عن طبيعة فى الفضاء توجب هذا التحدب . فلو تصورنا الاجرام قد تلاشت من الوجود ينطمس ذلك الحيز المتحدب فى بحر الفضاء الخالي ويلتبس فيه . فنحن لا نستطيع أن نتصوره متحدباً الا بتصور المادة مالئته ولها طبيعة التحدب

وحاصل القول ان كوننا كروى متناه لا حدود له اللهم الا الفضاء الخالي الذى نعتبره عدماً . فكأنه أى الكون المادى جزيرة فى اوقيانوس الفضاء اللامتناهي . قد يكون وراء هذه الجزيرة

الكونية المادية شيء آخر مختلف الطبع عن طبيعة كوننا . والا لو كان من طبيعة كوننا يشع إشعاعات مادية كاشعاعات مادتنا لا تصلنا به وعلمناه وحينئذ لا يكون غريباً عنا بل يكون من جملة عالمنا . ولكن الى حد علمنا ليس وراء الحيز المادى هذا شيء من ذلك . فاذاً نعتبر حيزنا المادى هذا هو كل الكون الذى يسوغ لنا ان نفكر فيه ونتصوره وندرسه . والتفكير فيا وراءه عقيم كالتفكير بالعدم

كيف يستخرج حجم الكون

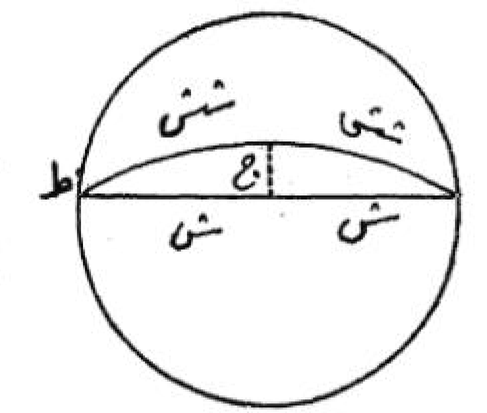
قلنا إنه على سطح اللوح المستوى الاقليدوسى تكون نسبة القطر إلى الدائرة كنسبة واحد الى ٣،١٥ ويعبر عن هذه القيمة بحرف ب وعن الدائرة بحرف د وعن نصف قطر الدائرة بحرف ش (أى شعاع الدائرة الممتد من مركزها الى محيطها . والقطر يمتد من جانب المحيط الى الجانب الآخر ماراً في المركز ولذلك يساوى شعاعين) فطول الدائرة د = ٢ ش × ب اللهم فى سطح مستو . هذه نسبة ثابتة بين الدائرة والشعاع لا تتغير مهما كبر حجم الدائر أو صغر

ولكن فى سطح محدب كسطح كوننا الذى نحن بصدده يكون قطر الدائرة أطول من $\frac{\text{ش}}{\text{ب}}$ أو أن محيط الدائرة أقصر من ٢ ش ب . اذا رمزنا عن شعاع هذه الدائرة بالحرف شش بغية أن نجد النسبة بين شعاع الدائرتين ش و شش وقيمة هذه الدائرة كما استخرجها اينشتين بحسب ناموس النسبية كانت النسبة هكذا فى هذه المعادلة

$$\text{د} = \frac{\text{جيب}\ \frac{\text{ش}}{\text{شش}}}{\frac{\text{ش}}{\text{شش}}} \times \text{ب}$$

أى أن ب هنا أصغر منها فى السطح المستوى

والرسم التالي يجلو للقارىء ما معنى هذه المعادلة



تصور هذه الدائرة على سطح مستو . فشعاعها ش خط مستقيم
ثم تصورها في سطح محدب فيكون شعاعها شش وهو محدب لجهة نظرك فوق ش والخط الواقع منه عمودياً على القطر ش ش تهيأ لك جيب الزاوية ط

بواسطة هذه النسبة بين القطر والمحيط فى سطح محدب يستطاع استخراج شعاع الكرة الكونية وقيمة حجمها وسعة سطحها ، اذا أمكن قياس قسم صغير من سطحها . ولكن اذا كان هذا القسم صغيراً جداً فلا يختلف الخط فيه عن الخط الاقليدوسى الا اختلافاً نظرياً فقط ، لان كرة الكون عظيمة جداً فلا يشعر بتحدبها فى مدى قصير كمدى نظامنا الشمسى مثلا ولا مدى اضعافه

قد تقول سلمت ان شكل اللوح المحدب أصح شكل للكون ولكن لماذا تختار الشكل الكرى منه وهناك اشكال اخرى محدبة كالاسطوانة (الانبوبة والخاتم والسيجار والقرص الخ) ؟ والجواب ان الشكل الكرى أصح اشكال التحدب ، هو فذ بينها لان له خاصة ليست لغيره . وهى ان جميع النقط فيه متوازنة متقابلة مهما كان حجمه كبيراً أو صغيراً . وهناك الشكل البيضى أى الاهليلجى ، فهو لا يقل صلاحية عن الشكل الكرى للسبب عينه . أى ان جميع اجزائه متشاكلة Symmetrical . ويظهر أن اينشتين وبعض العلماء يرجحونه على الشكل الكرى لان كثيراً من مجموعات الاجرام تتخذ هذا الشكل الاهليلجى ومنها نظامنا الشمسى

لا يجزم اينشتين بشكل الكون على هذا النحو وانما يرجحه جداً لانه يحل مشكلة التناقض التى شرحناها آنفاً بين ناموس الجاذبية وتوزع الاجرام المتساوى فى الحيز المادى ، وتعذر تناهى الكون ، ولان هذا الشكل يتفق مع نظرية النسبية كل الاتفاق . وليس المجال متسعاً لشرح هذا التوافق وانما نقول انه مبنى على تحدب الجو الجاذبى الذى شرحته فى مقالى السابق

وقد استخرج اينشتين وغيره من العلماء طول قطر الكون فجاء بحسابه نحو الف مليون سنة نورية ، وبحساب غيره اطول من ذلك جداً ، والله اعلم

بقيت اعتبارات أخرى يستلزمها شكل الكون على هذا النحو ارجئها الى حين آخر وانما لابد من تفسير ماذاع عن تغير اينشتين رأيه فى شكل الكون. أعتقد ان اكتشافات دى ستر فى اثناء ارصاده قد لا تغير رأى اينشتين فى شكل الكون بل قد تغير رأيه فى استمرار حجم الكون على وتيرة واحدة . فهو يعتقد ان قدر المادة التى فى الكون ، وسعة حجم الكون مقرران ثابتان ، فلا المادة تزيد ولا هى تنقص . ولا كرة الكون تضيق او تتسع . ولكن اكتشافات دى ستر قد تحمله على تغير رأيه فى اتساع الكون كما يرتئى دى ستر ويؤيده لامتر . أى ان كرة الكون تنتفخ مع الزمان وتكبر مساحة على حساب الفضاء الخالى . ولكن الى الآن لم ينشر اينشتين رأيه فى هذا الشأن . ومهما عدل فى رأيه فلا ينتقض شيء فى بناء نظرية النسبية . لانها ليست مبنية على اعتبار شكل الكون . بل شكل الكون يمكن ان يستنتج منها

شبرا (مصر) نقولا الحداد

معلومات طريفة عن القمر

لست تعرف معظمها

تعرف العامة عن القمر أشياء كثيرة وتجهل أشياء أكثر . ونحن نورد فيما يلى طائفة من أهم المعلومات التى يجب أن يلم بها القراء عن هذا الجرم الفلكى الذى يمت الى عالمنا باقرب الصلات

القمر هو الجرم الفلكي الوحيد الذى يؤثر فى عالمنا الارضى بعد الشمس . وهذا التأثير هو عن طريق المد والجزر اللذين يحدثهما فى الارض بتعاونه مع الشمس ولو زال القمر من الوجود لبطل المد والجزر

يسير القمر فى الفضاء متجهاً نحو الشرق ويدور بين الافلاك دورة كاملة فى ٢٧ يوماً و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١،٥٥ ثانية

هذا إذا حسبنا دورته منذ مروره من أحد النجوم إلى حين عودته اليه . أما إذا نظرنا اليه من عالمنا الارضى فان المدة التى تمر بين القمر الجديد والقمر الذى يليه تختلف نحو ١٣ ساعة . ويبلغ متوسط الشهر القمرى ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و٢،٨٦ ثانية

وعند نهاية الشهر لا يعود القمر إلى النقطة التى كان فيها بعينها لان جاذبية الشمس تبعده عن تلك النقطة أكثر فأكثر

ويشرق القمر ويغيب متأخراً كل يوم ٥٠،٥١ دقيقة عن اشراقه ومغيبه فى اليوم الذى تقدمه

يبلغ قطر القمر ٢١٦٣ ميلا أى أنه أكثر من ربع قطر الارض بقليل . ويبلغ محيطه ٦٧٩٥ ميلا . ومساحته ٠٠٠ ٦٦٠ ١٤ ميل مربع أى أنها تعادل مساحة أميركا الشمالية واميركا الجنوبية معاً أو هي $\frac{1}{14}$ من مساحة الكرة الارضية

أما مساحة القمر عند ما يكون بدراً فهى نحو ٠٠٠ ٣٩٠ ٧ ميل مربع أى نحو مساحة اميركا الشمالية فقط

ويبلغ حجم القمر ٥٣٠٠ مليون ميل مكعب أى نحو جزء من خمسين من حجم الارض . ويبلغ ثقله ٧٨ تريليون طن أو نحو جزء من ثمانين من ثقل الارض

يبلغ أقصى بعد القمر عن الارض ٩٧٢ ٢٥٢ ميلا وأقرب بعده ٦١٤ ٢٢١ ميلا والمتوسط ٨٤٠ ٢٣٨ ميلا . فبعده اذن عن الارض يعادل $\frac{1}{390}$ من بعد الارض عن الشمس

تبلغ سرعة القمر فى دورته حول الارض ٣٥٠ ٣ قدماً فى الثانية أو ٢٨٧ ٢ ميلا فى الساعة أى نحو $\frac{1}{30}$ من سرعة الارض فى دورانها حول الشمس

طول فلك القمر ٦٨٠ ٥٠٠ ١ ميلا

القمر يعوق دورة الارض ويجعل حركتها أبطأ مما لو لم يكن موجوداً . ولهذا السبب أصبحت دورة الارض حول الشمس تستغرق ٢٤ ساعة وكانت قبلا تستغرق أربع ساعات أو خمساً

القمر هو أكبر الاقمار المعروفة

ويعتقد بعض علماء الفلك أنه كان فى الاصل جزءاً من الارض انفصل عنها من المكان الذى هو اليوم قاع المحيط الباسفيكي

تبلغ كثافة مادة القمر ٣ ٢/٥ من كثافة الماء . وتبلغ كثافة مادة الارض ٥ ١/٢ من كثافة الماء . فجاذبية القمر أضعف من جاذبية الارض ولا تزيد على سدسها . والجرم الذى يزن رطلا واحداً على القمر يزن ستة أرطال على الارض . والشخص الذى يزن تسعين كيلوجراماً على الارض لا يزن سوى خمسة عشر كيلوجراماً فقط فى القمر . وإذا استطاع الانسان أن يثب إلى ارتفاع خمس أقدام على الارض فانه يستطيع أن يثب الى ارتفاع ثلاثين قدماً على القمر . والبندقية التى تطلق على الارض رصاصة إلى بعد كيلومتر واحد تستطيع أن تطلق فى القمر رصاصة إلى بعد ستة كيلومترات

وليس جرم القمر تام الاستدارة فان قطره المتجه نحو الارض أطول من القطر الذى يعترضه على زاوية قائمة ببضع مئات من الاقدام

وهو يدور على محوره فى المدة التى يدور فيها حول الارض ولذلك لا نرى منه إلا وجهاً واحداً من وجهيه . ولو كان سيره فى فلكه منتظماً تماماً ما رأينا منه إلا نصفه المتجه نحونا . ولكن محوره غير عمودى تماماً على سطح فلكه فاذا مال قطبه الشمالى أو الجنوبى نحونا رأينا أيضاً بعض نصفه الآخر

ومن القمر جزء لا نبصره أبداً يبلغ ٤١/١٠٠ . وأما الباقى فاننا نبصره فى أوقات مختلفة

ويبلغ طول كل من الليل والنهار فى القمر أربعة عشر يوماً

ولادراك بعد القمر عنا نقول إننا إذا أطلقنا قنبلة فى الجو وسارت هذه القنبلة بمتوسط ١٦٤٠ قدماً فى الثانية فانها تصل إلى القمر بعد ثمانية أيام وخمس ساعات . واذا انطلق فى الفضاء قطار فانه يصل إلى القمر بعد ثلثمائة وعشرين يوماً . أما الاشارة اللاسلكية فانها تصل إلى القمر فى ثانية وربع ثانية

ولو وقفت القوة المركزية فى القمر فجأة لسقط جرم القمر على الارض . ولاستغرق وصوله الى عالمنا أربعة أيام و١٩ ساعة و ٥٤ دقيقة و ٥٧ ثانية

والجاذبية التى تثبت القمر فى فلكه قوية هائلة تستطيع أن تقطع حبلا من الحديد ثخانته أربعمائة ميل ! . . .

وليس فى القمر أى أثر للحياة وليس فيه ماء سائل ، ولكن يحتمل أن يكون فيه ماء جامد (جليد) بسبب شدة البرد

ويكاد القمر يكون مجرداً من الهواء ، ولا تزيد كثافة الهواء المحيط به على جزء من الف من كثافة الهواء المحيط بالكرة الارضية . أى أن جو القمر يكاد يكون فراغاً تاماً . ولهذا فان النيازك التى تسقط على القمر من الفضاء لايصادفها شىء من الاحتكاك فلا تلتهب

ولو أطلق مدفع فى القمر وكنا واقفين بجانب المدفع ما أمكننا أن نسمع صوته بسبب عدم وجود هواء

ولا يمكن ايقاد نار على سطح القمر إذ ليس هنالك أوكسجين

ولو وقفنا على سطح القمر ونظرنا الى عالمنا الارضى لرأينا للكرة الارضية الوجوه المختلفة التى نراها هنا للقمر . أى أن الكرة الارضية تبدو أولا هلالا ثم تكبر حتى تصبح « بدراً » أى حتى يرى قرصها كله مشرقاً ثم تتضاءل

وعندما يكون القمر هلالا يكون طرفا « قرنيه » متجهين الى عكس جهة الشمس ، ولا يمكن أبداً أن يكونا متجهين الى جهة الشمس

وعند ما يكون القمر بدراً لا تزيد قوة نوره على جزء واحد من ٦١٨ الف جزء من قوة نور الشمس . وفى الواقع أن قوة نور القمر لا تزيد على ربع قوة شمعة

ولو كان الفضاء مملوءاً بأقمار كلها كاملة ما زاد مجموع نورها على ثمن نور الشمس

ونور القمر وهو بدر يعادل تسعة أضعاف نوره عندما يكون فى يومه السابع

ولا يزيد النور الذى يعكسه القمر على سدس النور الذى يتلقاه من الشمس

أما حرارة نوره فلا تكاد تذكر ، ولا تزيد حرارة نوره وهو بدر كامل على جزء من ١٨٥ الف جزء من الحرارة التى تتلقاها من أشعة الشمس

وتزيد حرارة جو القمر فى النهار على مائتى درجة بمقياس فهرنهيت . أما فى الليل فتهبط الى مائتى درجة تحت الصفر

أقوى التلسكوبات الموجودة فى العالم ترينا القمر بوضوح بحيث نستطيع رؤية أى بناء (لو كان فى القمر أبنية) لا ينقص حجمه عن حجم سراى عابدين أى أن التلسكوبات القوية ترينا القمر كأنه لا يبعد عنا سوى ثلاثين أو أربعين ميلا . أما تلسكوب مونت ويلسون بأميركا فانه يرينا القمر كانه على بعد عشرين ميلا فقط منا

سطح القمر مغطى بما يشبه فوهات البراكين . وقد أحصى بعض علماء الفلك نحو٣٣ الف فوهة منها . والارجح أن عددها جميعاً لا يقل عن ستين الفاً . وتسمى اكبرها فوهة كلافيوس وقطرها ١٤٠ ميلا . وتعرف أعمقها بفوهة ثيوفيلوس ويبلغ عمقها ١٨ الف قدم . وهنالك فوهات أخرى كثيرة هائلة الحجم بعيدة الغور وأشهرها فوهة كوبرنيكوس وفوهة ارسطو وفوهة تيخو

ولبعض تلك الفوهات شقوق عميقة جداً . وكان بعضها يقذف حمما إلى مسافات بعيدة جداً في العصور الجيولوجية الغابرة

وفي القمر جبال كبيرة وعدة سلاسل جبال

وأشهر تلك السلاسل سلسلة « ابنين » وتشتمل على اكثر من ثلاثة آلاف قنة أو جبل

وتمتد هـذه السلسلة إلى مدى أربعمائة وخمسين ميلا ويبلغ ارتفاع بعض قننها عشرين الف قدم

وتنتهي هذه السلسلة الى جرف عال اذا وقع ظله على الأرض امتد ذلك الظل الى مدى تسعين ميلا

وهنالك سلسلة أخرى تسمى « الالب » (باسم سلسلة الجبال المشهورة المعروفة في أوربا) وتشتمل على سبعمائة قنة من قنن الجبال ولها واد يبلغ متوسط عرضه خمسة أميال وطوله ثمانين ميلا

أما أعلى جبال القمر فهو جبل « لبنتز » ويبلغ ارتفـاعه ستة وعشرين الف قدم . واذا قابلنا هذا الارتفاع بارتفاع جبل « افريست » الذي هو أعلى قنن الجبال المعروفة عندنا كان جبل « لبنتز » أعلى منه (نسبياً) بثلاثة أضعاف

وقياس ارتفاع جبال القمر أسهل من قياس ارتفاع الجبال على الارض

وليس ثمة أي دليل قاطع على وجود براكين « عاملة » في القمر وان تكن ثمة آثار براكين كثيرة منطفئة

وفي القمر سهول فسيحة كثيرة كان يظن أنها بحور . وما تزال تسمى بحوراً حتى الآن كبحر الانواء وبحر الزمهرير وبحر الغيوم الخ

الى أدبائنا ـ للترجمة

When as a child I slept and wept,
Time crept:
When as a youth I laughed and talked,
Time walked:
When I became a full-grown man,
Time ran:
And older as I daily grew,
Time flew:
Soon I shall find in travelling on,
Time gone!

نقترح على أدبائنا ترجمة هـــذه الابيات شعراً عربياً سلساً . وسننشر أحسن الردود على صفحات الهلال ونقدم جائزة أدبية لاصحابها

الجامعة الازهرية

أول جامعة للعلم وأقدم رابطة بين الشباب الشرقى

بعد ان انتشرت الفتوح الاسلامية وتوطدت أركان الدين فى الشرق بدأ الولاة ينشئون الجوامع فى الامصار. ولم يكن الباعث على بنائها منذ ذلك الوقت مقصوراً على الاغراض الدينية وحدها، انما كان يرجع أيضاً الى أسباب سياسية واجتماعية. اذ كانت هذه الامكنة وأمثالها تستخدم لاجتماع العلماء. فيها كما اتخذها علماء التفسير والحديث مقراً لهم. ولما لم يكن من الممكن الفصل بين السياسة والدين كان المسجد المكان الذى تذاع فيه الاخبار الهامة التى تتعلق بالمصلحة العامة. فمثلا كان جامع عمرو بن العاص فى مصر هو المركز الحكومى من كل الوجوه: به بيت المال، ومنه يصدر الوالى احكامه، وفيه تقام الجمعة، ويدرس الدين احيانا...

أما الطلاب الذين يريدون التعمق فى العلوم فكانوا يرحلون الى العلماء فى بلدانهم كمحمد ابن ادريس الشافعى الذى رحل الى الامام مالك وقرأ عليه الموطأ فقال: «ان احد يفلح فهذا الغلام» وأجازه بالافتاء. ثم كان العلماء والطلاب يجوبون الاقطار الاسلامية، واينما حلوا تلقوا العلم عمن هم أغزر منهم مادة، أو لقنوه من هم دونهم حتى جاء الامام الشافعى مصر وباشر مهنة التدريس مدة طويلة فى جامع عمرو، فشجع ذلك احمد بن طولون على بناء جامعه بالقطائع وترتيب الفقهاء والمدرسين به

الجامع الازهر

ولم ينتظم التدريس إلا على عهد الفاطميين فى مصر، فهم الذين بنوا الجامع الازهر وجعلوا منه مسجداً تقام به شعائر الدين ومنارة ينبعث منها نور العلم والعرفان، والازهر أول مسجد أسس بالقاهرة، ورابع مسجد بنى بالديار المصرية بعد الفتح الاسلامى، اذ لم يكد القائد جوهر الكاتب الصقلى - مولى الامام أبى تميم معد الخليفة المعز لدين الله - يضع اساس القاهرة حتى شرع فى بنائه ليتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمى. شرع فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ وكمل بناؤه لتسع خلون من رمضان سنة ٣٦١ هـ. والكتابة التى تدل على صحة هذا التاريخ قد ضاعت، ولكن المقريزى ذكر انها كانت تحيط بالقبة فى الرواق الاول على يمين المحراب والمنبر، وان نصها هو «بسم الله الرحمن الرحيم، مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه

الاكرمين ، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى . وذلك فى سنة ستين وثلثمائة » . وذكر المقريزى أيضا ان أول جمعة جمعت فيه كانت فى شهر رمضان لتسع خلون منه سنة ٣٦١ هـ

وتروى حول السبب فى بنائه اسطورة لانشك فى انها منتحلة - كما سنبين بعد - فهم يروون ان الخليفة أراد يوماً زيارة واحد من آل البيت خفية ، وكان جوهر القائد فى معيته . فلما أراد العودة جعل جوهر النور من وراء الخليفة فتعجب من فعله ولم ينكر عليه الى أن طلع النهار فاحضره وسأله عن الاسباب التى حملته على ماصنع معه بالليل . وأراد أن يبطش به فى الحال ! قال جوهر : « استرحم الخليفة أن يسمح فى أن أبدى ماحملنى على ماصنعت » فصدر له النطق بذلك فقال : « الذى حملنى على هذا حلم وعدالة الخليفة ووصيته بالخيرات ، ووجدت ان الخيرات أنوارها تكون فى القبر وفى الموقف يوم القيامة ! فالذى الهمنى الله به أن اجعل النور خلف الامام لعل الخليفة يسألنى عن السبب فابديه له لعله يتعجل ما اوصى به لانتفاع الامة . والامر ظاهر ويمكن التصريح باظهر من ذلك ! » فقال الخليفة والحاضرون : « ظاهر ! ظاهر ! وأى وجه من وجوه البر ترشدنا عنه ؟ » فقال : « ان مسجد عمرو ومسجد ابن طولون يدرس فيهما اسيادنا العلماء ! فاصدر الامر ببناء مسجد للتدريس به ويكون مباحاً لطلبة العلم ليلا ونهاراً حتى تعم منفعته ويسمى الجامع الازهر » فامر ببنائه

تلك هى القصة التى ينسجونها حول سبب بناء الازهر ونحن لو تجاوزنا عن التكلف البادى فى كل ناحية من نواحيها فانا لا نستطيع إلا أن نقطع بانتحالها . لأن ابتداء تأسيس الازهر كان سنة ٣٥٩ ، وكمل بناؤه سنة ٣٦١ كما قدمنا وكان قدوم الخليفة على مصر سنة ٣٦٢ كما هو ثابت فى كثير من المصادر ، فيكون قدومه بعد تمامه بعام فمتى اذن كانت زيارته خفية لآل البيت ؟ ومتى اذن حدث هذا الأخذ وذاك الرد بينه وبين جوهر ؟ ويقول المقريزى ان الجامع سمى « بالازهر » لكونه محاطا بالقصور الزاهرة ، ويذهب غيره من المؤرخين الى القول بانه سمى باسم فاطمة الزهراء التى ينتسب اليها الفاطميون . وسواء أصح هذا أو ذاك فانا نقطع بان اختيار اسم الجامع اتى بعد اختيار مكانه . فكيف تروى لنا القصة ان جوهراً اقترح على الخليفة اسم الجامع قبل ان يقترح عليه مكانه

نظام الجامع وعمارته

نظام الجامع كنظام الجوامع التى بنيت فى القرون الاولى للاسلام . فهو عبارة عن صحن مكشوف بالوسط يحيط به من أربع جهات ايوانات أربعة : أكبرها الايوان الذى به المحراب وكانت جميع الايوانات نظام اسقفها على عمد من الرخام أو من البناء ، وقد اتبع هذا النظام فى جميع المساجد التى شيدت بمصر الى عصر الدولة الايوبية حيث بنيت المدارس ذات النظام

المتعامد، لها صحن مكشوف أيضا ولها اربع ايوانات معقودة أو مسقوفة يتكون منها - مع الصحن - شكل متعامد، وهذا بعينه هو النظام الذى اتبع فى عهد المماليك للمدارس والجوامع. وتلك المدارس المتعامدة كانت تبنى أيضا على سمت القبلة وبذلك لم تخرج عن كونها مساجد تقام فيها الصلاة فى أوقاتها وتلقى فيها الدروس فى بقية النهار

وفى عهد الفاطميين كان يزين الجامع الازهر بافخر زينة وينار بالانوار الساطعة فى أيام المواسم العامة، مما حدا بالخليفة المعز الى بناء منظرة فى قصره ليشاهد منها هذه الزينات فاطلق عليها اسم « منظرة الجامع الازهر ». وعنى خلفاء الفاطميين عموماً بعمارة الازهر فكانوا يجددون فيه ويزيدون لا سيما العزيز والحاكم

وقد حدث فى سنة ٧٠٢ ان انهدم الجامع بزلزال شديد فاخذ الامير سلار من رجال دولة المماليك البحرية على نفسه عمارته. وفى سنة ١١٦٧ زاد فى سعته - بمقدار النصف تقريباً - الامير عبد الرحمن كتخدا بن حسن جاويش القازوغلى

وكان الخلفاء والوزراء والامراء وذوو الجاه ممن تولوا حكم مصر يتنافسون فى تشييد وتعمير هذا الجامع وملحقاته بانشاء الاروقة لسكن المجاورين، والحياض للغسل والوضوء وغير ذلك. ويذكر المؤرخون أن الامير طيبرس مشيد المدرسة الطيبرسية (التى هى من ملحقات الازهر) لما فرغ من بناء تلك المدرسة وأحضروا له حساب نفقاتها، استدعى طستا مملوءا بالماء وغسل أوراق الحساب كلها من غير أن يقف على شىء منها ثم قال: « شىء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه »

الازهر مدرسة جامعة ورابطة شرقية

أهم خصائص الازهر أنه - وان بدأ كغيره من المساجد - لم يلبث ان أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كل حدب وصوب الكثير من مختلف العلوم والفنون. وقد ذكر المقريزى أن أول من فكر فى تحويل هذا الجامع الى جامعة هو يعقوب بن كلس، وكان يدين باليهودية أولا ثم تحول عنها الى الاسلام، وهو الذى أشار على المعز الفاطمى بفتح مصر، ولما صارت الوزارة اليه سار على ما كان عليه الوزراء من قبله من حيث تشجيع العلوم والآداب فاقترح على الخليفة العزيز بالله أن يقف الجامع الازهر على العلم. وبذلك أصبح نبراساً للجامعات الاسلامية، وقد ابتنى بجواره داراً لجماعة من القراء عدتهم خمسة وثلاثون، فكانوا يجتمعون بعد صلاة الجمعة ويقرأون القرآن الى صلاة العصر، وقد أجرى عليهم العزيز الارزاق وأغدق عليهم وزيره ابن كلس الصلات

وهذه العناية الكبيرة التى بذلت للاهتمام بأمر الازهر فى بداية نشأته وفى زمن من توالى

على مصر من الحكام حتى اليوم ، جذبت اليه الوفود الاسلامية المختلفة من مشارق الارض ومغاربها . فامه التركى والمغربى والجركسى واليمنى والزنجبارى والجبرتى والهندى والافغانى والاندونسى وغيرهم . ووجدوا فيه جميعاً من الحفاوة ما حبب اليهم المكث بتلك الجامعة الزاهرة السنين الطوال ، مفضلين طلب العلم بها على طلبه فى أوطانهم ـ على كثرة وجود المدارس الاسلامية فيها

والعلماء الذين كانوا ـ وما زالوا ـ قائمين بالتدريس فى الجامعة الازهرية أكثر توسعاً فى التدريس وانقطاعاً للعلوم من غيرهم من علماء البقاع الأخرى . والارزاق التى أجريت على الطلبة ساعدت ـ كما ذكرنا ـ على جلب الشباب الشرقى اليها من اقصى البقاع ، فاشتهر اسم « الازهر » فى الآفاق وعظمته الامم الاسلامية كلها وصارت تجل المتخرجين فيه اجلالا كبيراً وتنزلهم منزلة خاصة . فبعض الناس يتحدثون ان المتخرج فى الجامعة الازهرية سواء أكان عراقياً أم كردياً لايعادل به أغلب سكان تلك الاقطار أكبر عالم لديهم لم يتخرج فى تلك الجامعة فترى لهم من الخضوع لعالمهم الازهرى والاصغاء لقوله والصدع بأمره ماليس لغيره من العلماء ، حتى بلغ من ذلك ان مجرد انتساب الرجل للجامعة الازهرية فى بعض الاقطار الاسلامية كاف فى سماع قوله واطاعة أمره . فكأنها لدى عامة المسلمين فى الشرق مكان السويداء من الفؤاد تراهم فرحين مستبشرين اذا حدثوا عن عظمتها والعناية باهلها ، آسفين محزونين اذا ألقى اليهم شيء ضد ذلك ! وفى اعتقادهم أن اصلاح الجامعة الازهرية اصلاح للاسلام ، وصدعها صدع للدين وخروج على سياجه

دروس الجامعة الازهرية

ذكر المقريزى أن أول ما درس بالازهر الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة . فانه فى شهر صفر سنة ٣٦٥ جلس على بن النعمان القاضى بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر « بالاقتصار » ، وكان الحاضرون جمعاً عظيماً وأثبت اسماءهم

وروى بعض المؤرخين ان الازهر ظل منبتاً للفقه الفاطمى الى ان بنى الجامع الحاكمى سنة ٣٨٠ ، فتحلق فيه حينئذ الفقهاء الذين يتحلقون فى الجامع الازهر ، وبقى مذهب الشيعة نشراً فى مصر قضاء وفى الازهر دراسة ، الى ان انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ فعاد لمصر حينئذ المذهب السنى . وأول مذهب سنى درس بالازهر المذهب الشافعى ، وانقرض من ذلك الحين المذهب الشيعى ولم يبق له بالازهر من أثر سوى الجراية من الخبز ـ أو غيرها ـ تمنح لأتباعه

ونظن ان العلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية قد درست فى الأزهر أيام الفاطميين اذ يبعد ان يكونوا اهملوها لو صح ان دار كتبهم كانت تحوى مائة الف مجلد منها ستة آلاف فى الطب، وكرتين سماويتين: احداهما من الفضة يقال ان صانعها بطليموس نفسه وانه انفق عليها مايعادل ثلاثة آلاف دينار. كما اشتملت هذه المكتبة ايضا على خرائط جغرافية ثمينة كالتى ذكرها المقريزى فى قوله: «دخل هذه المكتبة - مكتبة الفاطميين - أحد السياح فرأى فيها مقطعا من الحرير الازرق غريب الصنعة فيه صورة اقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوبة باسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وانهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحرير...»

ولقد أتى على الازهر حين من الدهر تعطلت فيه الدراسة ومنعت إقامة الجمعة به فى أيام الايوبيين وبعض سلاطين المماليك، وبالرغم من ذلك فقد استمرت له شهرته الاولى وكان هو الجامعة الكبرى التى يجتمع فيها العلماء يتباحثون ويتساجلون الآراء. واتجهت العناية الكبرى لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص، وتسابقت همم الفحول فى اتقان آلاتها من نحو وصرف وعلوم بلاغة، فنبغ حينئذ بمصر أئمة أعلام كالامام عز الدين بن عبد السلام والامام السبكى وأبنائه والسراج البلقينى وجلال الدين السيوطى وغيرهم من المصريين الذين يفخر بهم وبمؤلفاتهم العالم الاسلامى اجمع. ونبغ من الشرقيين كثيرون منهم ابرهيم بن عيسى الاندلسى وتاج الدين التبريزى والحافظ العراقى ومحمد بن محمد البغدادى وشيخ الاسلام زكريا الانصارى وغيرهم. أولئك كلهم كتبوا فى علوم القرآن وتاريخ القرآن وفى البلاغة وغيرها كتبا يعتد بها ويقدرها العلماء المستشرقون الذين يشتغلون بالاسلاميات

وكما تدرس بالجامعة الازهرية الآن الفروع المختلفة لعلوم الدين فانها تدرس بها ايضا العلوم الحديثة من فلسفة ومنطق ورياضيات يساهم فى تدريس بعض هذه المواد اساتذة اجلاء من الجامعة المصرية، وذلك مظهر جميل من مظاهر التعاون لخدمة العلم والدين فى مصر

نظام الدراسة بالجامعة الازهرية

نستطيع اليوم ان نقرر ان نظام التدريس المتبع فى جامعات العالم قد سبقتها فيه جامعتنا الازهرية العتيدة. فالاصل فى نشوء الجامعات ان يجلس عالم فى مكان ما وتلتف حوله طائفة من التلاميذ لهم مطلق الحرية فى الاستماع له أو الانفضاض عنه، وهو يلقن من يجلس اليه ما فقه من علوم ومعارف لا يقبل عليها مالا أو عطاء. تلك هى الفكرة التى اشتقت لها الكلمة اللاتينية القديمة Universitat والتى اتسع مدلولها حتى أصبحت كلمة University تطلق الآن على الجامعات الحديثة. فمنذ عشرة قرون من الزمان وانت ترى العلماء فى الازهر كل يجلس بجانب

عمود من اعمدته الكثيرة ويلتف حوله من يريد أن يأخذ عليه العلم من الطلبة

ولعل من المشاهد الرائعة حقا فى الجامعة الازهرية أن يلقى الاجنبى - أو غير الاجنبى - نظرة عامة على فسحة الجامع الرحيبة ذات المائة والستة والعشرين عموداً ويرى الآلاف المؤلفة من طلبة العلم جالسين على الارض - كل فريق يصغى لاستاذه .. ذلك ولا شك يلقى فى روع الناظر دهشة العجب ويقر فى نفسه اجلال منظر هذا المجلس العلمى العظيم

ومن التقاليد الازهرية ان الشيخ المدرس اذا جلس بجانب أحد الاعمدة لالقاء الدرس استقبل القبلة وقعد على الارض أو على كرسى من خشب بحسب كثرة المستمعين أو قلتهم ، ثم يتربع حوله الطلبة ولكل طالب محل لايتعداه وبيد كل منهم نسخة من الكتاب الذى يدرس ، فيبدأ الشيخ بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ثم يبين لهم موضوع درسه ثم يقرأ بنفسه أو يستقرىء أحد طلبته جملة من الكتاب الذى بايديهم ، ثم يأخذ فى تفسير تلك العبارة ، وللطالب الاستفسار عما غمض عليه فيجيبه الشيخ بما يزيل من ذهنه الخفاء وبمالايخرج به فى شرحه عما هو فى الكتاب الذى بين يدى الطلبة بحيث ان ما كان يدرس من قرون هو هو بعينه الذى يقرأ اليوم . والطلبة لا يكتبون ما يسمعون من اساتذتهم فى مذكرات خاصة بل يقتصرون على حفظ الكتاب الذى بايديهم ، ويبقى الدرس نحو ساعتين ، ومتى فرغ الشيخ منه يختمه بقراءة الفاتحة ويقوم الطلبة فيقبل كل واحد منهم يد (شيخه) ثم يطلب منه صالح الدعاء

والجامعة الازهرية وان كانت معدة لنشر العلم فى مصر كسائر المدارس الاميرية إلا انها مستقلة بذاتها غير تابعة لوزارة المعارف بل امرها بيد (شيخها) ومجلس ادارتها وايراداتها من الاوقاف العامة والاوقاف الخاصة التى وقفت عليها وبعضها من مالية الحكومة المصرية

الحى الجامعى بالازهر

قد يكون من الممتع حقاً ان نذكر ان الجامعة الازهرية قد أخذت صفتها الجامعية بشكل واضح من قديم ، وقد ذكرنا شيئاً من ذلك فى كلامنا عن نظام الدراسة بها ونذكر اليوم امراً آخر طريفا ذلك ان الحى الجامعى الذى يتكون لكل جامعة حديثة قد وجد فعلا للجامعة الازهرية من آلاف السنين . ترى ان جامعات اكسفورد وكمبردج وباريس وجامعات المانيا وغيرها قد شيدت الى جانب قاعات الدرس مساكن مهيئة للطلبة بعيدة عن ضوضاء المدينة وجلبتها وزودت هذا الحى بكل مايلزم لساكنيه مما يكفل لهم العيش الطيب الهادىء ، وتفكر الجامعة المصرية تفكيراً جدياً فى العمل على تعميم فكرة الحى الجامعى وانشاء مساكن للطلبة فى الفراغ حول حدائق الاورمان بالجيزة

وأول من وضع نواة الحي الجامعي بالازهر العزيز بالله الخليفة الفاطمي، فهو الذي ابتنى بجوار الازهر - كما ذكرنا - دارا لجماعة من القراء عدتهم خمسة وثلاثون كانوا يطلبون العلم بالازهر نهاراً ثم ينامون في تلك الدار ليلا وهيأ لهم وسائل المعيشة وسار من جاء بعد العزيز على سنه فاصبحوا ينتزعون ملكية البيوت المجاورة للازهر ويلحقونها به، وأسسوا فيه الاروقة وأصبح مأوى للطلاب ينامون فيه وتأسست تبعاً لتلك الحركة حوانيت تبيع «المجاورين» ما قد يحتاجون اليه من مأكل وملبس أو كتب . وتسمع بعض « الازهريين » اليوم يطلقون على حيهم اسم الحي اللاتيني تشبها بطلبة باريس

كلمة أخيرة

ان كانت لنا كلمة أخيرة في « الجامعة الازهرية » فهي الرغبة الخالصة الى القائمين بأمرها أن يضعوا امام أعينهم دائما الغاية التي يرمي اليها التعليم في تلك الجامعة ، وهي تخريج رجال عالمين بالاحكام الشرعية والعلوم العربية محافظين على التعاليم الدينية والآداب والنصائح الاسلامية. قادرين على نشر تلك الاحكام وهذه الآداب، ذوي سلطان على قلوب العامة وتأثير في نفوسهم حتى يسلكوا بهم المحجة الواضحة الموصلة الى اغراض الشرع الاسلامي الصحيحة . تلك في الحق غاية جليلة نبيلة لو أتيت من بابها واتخذت اليها وسائلها

وان الجامعة الازهرية التي دوى في اروقتها صوت جمال الدين الافغاني ودرس فيها أمثال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والشيخ علي يوسف وسعد زغلول والتي كانت أول من حمل مصباح العلم في عصور الظلمات والتي انبعث منها أول نور بدد ظلمة الجهل في المشرقين ، لهي الجامعة التي نرغب مخلصين في ان تدوم للعالم اثرا وللشرق ذخراً . ونأمل ان تمتد اليها يد الاصلاح بما يجعلها تتمشى مع آمال الاجناس الشرقية المختلفة التي تؤمها ، وان تنجب لهذا الشرق الخطباء المصاقع والكتاب الفطاحل والقادة الاعلام الذين ينهضون في جنباته نهضة رجل واحد ويهزونه من سباته العميق ، ويرسلون الصيحة قوية داوية في العالم أجمع . . الشرق حي ، والشرق يعمل ويجاهد . . .

محمود شافعي حسن
الجامعة المصرية — كلية الآداب

(مصادر البحث) (١) الخطط للمقريزي (٢) الخطط لعلي باشا مبارك (٣) الفاطميون في مصر للدكتور حسن ابرهيم حسن (٤) الازهر لمصطفى بيرم (٥) كنز الجوهر في تاريخ الازهر (٦) Al-Azhar et ses Reformes للاستاذ خالد حسنين (٧) Cairo, Jerusalem & Damascus للاستاذ مرجليوث (٨) A Short History of the Fatimid Caliphate للدكتور دي ليس اوليري

شـــوقى

للاستاذ محمد الهيهاوى

(الاستاذ محمد الهياوي . . . كاتب معروف ، أما أنه شاعر فذلك مالا يعرفه الا الاقلون ، وقد وقع له في أحاديث بعض المتأدبين عن الشعراء بعد انتهاء حفلات شوقي ما عده تحديا لاستطاعته العودة الى الشعر . فنظم لذلك هذه القصيدة البليغة الاسلوب السامية المعاني « المحرر »)

مهج ، وما المهج الفداء الكافى ورِدى ، وأين له العزاء الشافى

وعلى القلوب وإن زعمن تجلداً حرق رواسب فى القلوب طوافى

تتوارد البلوى وهن عواصف فتطارد السلوى وهن سوافى

شعل يؤججها الاسى فاذا ونى خفت بهن قوادم وخوافى

تلفت بها بين الجوانح مضغة خفقت كلمع البارق الخطاف

إلا هوى ود تعلق رفقـــة فأقام ممتنعاً على الاتلاف

قلبي حملت من الهموم لواعجاً خشنات مس الجنب والاعطاف

أغراك بالصبر الجميل كلاله فاذا دعوت به فليس يوافى

فالآن فاحمل من همومك زاخراً يطوى المنى كالزاخر الرجاف

. . .

شوقى ، أبيت من الفناء صحيفة كتبت لكل مملم سفساف

وأقمت فى كنف الخلود فان تغب نطق الخلود بصوتك الهتاف

نفسوا عليك وأنت بانى مجدهم سعة من العيش الرخى الكافى

يمنى عطارد باركته فبجبحت لك فى حواضرنا وفى الارياف

بينا سواك وكم أسوت جراحه لهفان يطلب حيلة المستاف

لما سباك من المنية أنها أمن لذى شرف وذات عفاف

ومضيت تستبق السكينة مدرجاً فى السندس الزاهى وفى الأفواف

قالوا الهدى وعليه الف تحية طرقته غاشية من الارجاف

والنور منسوخ الظلال مبدد والحق عريان الكواهل حافى

لا تعجلوا فالله من نعمائه حفظ الجزيل من التراث الوافى

لكن لوعته ولوعتنا له … كلتاهما بالهاطل الوكاف
جفت غواديه وكان عهادها … خضل الجدى متتابع الاخلاف

* * *

لك فى يمين الشرق أصدق موثق … يمضى بظاهر يأسه والخافى
وعلى بنى قحطان عهد يقتضى … همم الشباب لجيشه الزحاف
لما رأيتهم خفافاً للعلا … باركتهم من طائرين خفاف
وهتفت فى مصر نصيحة مهتد … لخصصتها بطبيبها العراف
الأقربون العرب إخوة أهلها … والأبعدون أعزة الاحلاف
سلمت فصاحة قلبك المشكور فى … يومين يوم هدى ويوم خلاف
«الكرمة» الورقاء أين غديرها … ينساق بين جنى وبين قطاف ؟
والصادح المأمول أين غريده … ينساب بين حشى وبين شغاف ؟
غنى فرد على الحياة بريقها … فاذا الحياة بهيجة الاطراف
طابت فضاحكت الرجاء الى مدى … وحنت على المستيئس الصداف
حتى قضى فاذا تبلج صبحها … ليل عريض المنكبين غداف

* * *

يا بدر بل يا بحر بل يا من مضى … بمحامد الأسماء والاوصاف
أشرق كعهدك فى الوجود منوراً … وأفض كجودك بالنمير الصافى
واطلع كعادتك الكريمة فاتحاً … بقواضب عنوانهن قوافى
وامنح بنى الفصحى كتاب خلودها … من معجز الانفال والاعراف
واسمع كما سمحت غوادى مزنة … بش الجواد لها وهش العافى
وامسح جبين الصبح منك بآية … ميمونة الرحبات والاكناف
يحنو الندى فيها على أزهارها … كالروض ألفافاً على ألفاف
وحى إذا اشتقت القديم حباكه … سبط العظام مطرح(١) الاكتاف
وإذا تشوقت من الجديد عبيره … أعطاكه لطفاً من الالطاف
بعث الاوائل فى الاواخر وانتحى … بهم مناحيه من الانصاف
يروى حديث الكهرباء وتارة … يروى عن القلام والخذراف(٢)

(١) عالى الاكتاف واسعها (٢) نبتان من نبات الصحراء

ويريك رطب الدر فى قطر الندى ... ويريك سفى الريح فى الاحقاف
فاذا انتمى ترفاً لمحـــتد عصره ... فقد انتمى شرفاً (لعبد مناف)

* * *

يا من تعجلت الرواح لغاية ... هى منهج الخلصاء والألاف
دنياك شتى زخرف ومباهج ... ومؤمل ناء وآخر هاف
وعلى حواشيها وفى أطوائها ... زمر الأسى من ذاهب ووافى
تسقى بكأس فى اليدين مزاجها ... ما خبات من سائغ وزعاف
صورتها لجلوت من أصنافها ... ما لم نكن ندرى من الأصناف
وخلعتها ثوباً تنـــاثر وشيه ... لتروح فى ثوب النعيم الضافى
هات الحديث عن النعيم وظله ... والنازلين به من الأسلاف
فى جنة لا جنب صاحب حظها ... متجانف عنهـــا ولا متجافى
عقبى المنى للمحسنين أياديا ... المسلفين خلائق الأشراف

* * *

إن كان فاتك كل ما أحببته ... فى النيل من حسن وسحر ضفاف
فالكوثر المورود أبهى كلمـــا ... عطفت عليه خمائل الصفصاف

محمد الهياوى

من طريف الافكار

* لنعش بسلام حتى نموت بسلام فان الصعوبة ليست فى الموت بل فى الحياة
* ان رقة الشعور هى البلاء الاعظم . وإن رقة الشعور تخلق للعقل أسباباً جديدة لسبر غور شقائنا وقياس هذا الفراغ الشامل (أناتول فرانس)
* ان المرأة لاتفكر فى مشاركة الرجال فى الحكم إلا اذا رفض الرجال مشاركتها فى الحياة.
* العمل يجب أن يكون اجبارياً على كل انسان
* ابحث عن المعرفة ، لان المعرفة لا تبحث عنك
* تتألف الحياة من أربعة أشياء : العمل ، واللعب ، والحب ، والعبادة.

تركيا القديمة في تركيا الجديدة

(زار كاتب هذا المقال تركيا ، وهو يروي
هنا بعض ملاحظاته ومشاهداته في تلك البلاد)

من الساعة التى وضعت فيها قدمى على أرض تركيا وأنا أقول ان تركيا الجديدة لا تكاد تختلف فى شيء كثير عن تركيا القديمة التى سمعنا عنها وقرأنا وصف رجالها وأخلاق بنيها وصفات ساستها. ولست أقول هذا القول فى غير ماترو أو دراسة ، فانا مثلا أعلم كما يعلم الناس جميعاً أن قائداً موفقا اجتمعت فيه العزيمة والاقدام وحب الاصلاح هو الذى يقود تركيا اليوم ، وان تركيا أصبحت جمهورية وان هذه الجمهورية عملت لخير البلاد الشيء الكثير . فهى مثلا قد فتحت هذا العام الف مدرسة ، كما أنها جعلت التعليم الابتدائى اجباريا ومجانيا ، وصبغت هذا التعليم بصبغة وطنية فاصبح الطالب يرى إذ يدرس التاريخ أو الجغرافيا ان تركيا هي المحور الذى تدور عليه الدراسة . فهو يدرس التاريخ ليعرف مكانتها بين الامم وعناصر قوتها ، وهو يدرس الجغرافيا ليعرف كيف تستطيع تركيا أن تمد فى تجارتها وتبسط فى نفوذها البرى والبحرى ، وتتحرر من ربقة الاستعباد الاقتصادى لغيرها من الدول بعد ان تحررت من ربقة الاستعباد السياسى . واعرف فوق ذلك ان هذه الجمهورية تعنى بالفلاح وتعينه ، فهى قد وهبت أراضيها (الدومين) لهؤلاء الفلاحين على أن يستغلوها ثلاث سنوات متواليات . فان قام الفلاحون بهذا الاستغلال طول هذه المدة أصبحت الارض أرضهم . أعرف انتركيا الجمهورية كل هذا ، ولـكن شعورى بان تركيا القديمة ما تزال تبدو فى تركيا اليوم — وتبدو واضحة يحسها الانسان فى الناس الذين يسيرون فى الطرقات ، وفى الصحف وفى الحكومة وفى كل مكان — لم يضعف اذ عرفت الحقائق التى ذكرتها لك

فالتركى رجل متدين كثير الحرص على دينه ، قليل المرح شديد العبوس . فاذ جاءت الجمهورية أباحت للانسان ان يعتنق أى دين شاء مادام قد بلغ سن الرشد . ولـكن ما يزال التركى متدينا ومتعصبا لدينه . فانت اذا دخلت الى المساجد فى الايام العادية وجدتها خالية كما تجد مساجد القاهرة ، فاذا كان يوم الجمعة غصت بالمصلين يأتون مئات مئات وفيهم الشبان وفيهم الرجال الذين لم يتقدم بهم العمر . وقد يأخذ بك العجب اذ ترى تركيا التى الغت الطربوش واستبدلت به قبعة ، وترجمت القرآن الى التركية وجعلت الاذان تركياً ، لا تزال تبقى على يوم الجمعة كعطلة رسمية تقف فيها الاعمال جميعاً ويخرج الناس للهو والمرح . فتمتلىء الطرقات بهم وقد تأنقوا فى لبس ثيابهم . وتركيا تخسر بحرصها على يوم الجمعة عطلة رسمية خسارة مادية ، لان تجارتها وأعمالها تعطل يوماً آخر هو

يوم الاحد ـ العطلة العالمية ـ الذى تقف فيه اعمال البورصات والمصارف والمتاجر والمصانع . وكان الاجدر بتركيا ان تسرع الى اتخاذ يوم الاحد عطلة وهى التى تقلد أوربا فى كل شىء ولكنها لم تفعل . وقد حرت فى تعليل هذا فسألت الكثيرين عن السر فاذا جواب غامض لا يكاد يزيد على ان الحكومة حاولت هذا بالفعل ، ولكنها لم تستطع ان تمضى فيه . وقد عرفت ان الغاء الطربوش ولبس القبعة يمكن تبريره بأن الدين فى القلب وليس المظهر جزءاً منه ولا أثراً له . وان ترجمة القرآن يمكن تعليلها بأن التركى يجب أن يعرف دينه وكتابه الذى يؤمن به ، والناس لاتكره هذا فى نهاية الامر وبعد المناقشة ، أما ان يعطل الاحتفال بيوم الجمعة فهنا الاجتراء على نص آية كريمة وهنا الاعتداء على حرمة الدين وبذلك لايستشعر اولو الامر فى امتهم القدرة على اقتراف هذا العمل فيدعوه !

ولست تستطيع ان تفهم كيف ان حكومة تركيا ـ وهى حكومة لادينية ـ تهتم بأمر القرآن والاذان فتترجمها الى اللغة التركية وكان الاجدر بها بعد ان فصلت الدولة عن الدين ان تترك هذا كله للناس ، فمن أراد أن يعرف أصول دينه فى كتابه المقدس تلمس لذلك الوسائل . ولكن تركيا القديمة التى تعنى بالدين وتحتفل بأمره وتنزله من حياتها منزلة خاصة لم تمت بعد . ولكن تركيا القديمة كان اهتمامها بالدين يظهر فى هذه المساجد التى تملأ الاستانة حتى سميت بحق مدينة المساجد ، وفى هذه الآيات التى تكتب على الابواب والسور والمعاهد والمتاحف ، وفى لفظ (الله) الذى يتردد فى كلام الاتراك وتحياتهم كثيرا . واهتمام تركيا الجديدة يظهر فى ترجمة القرآن وفى ترجمة الاذان وفى الاعتناء بالاحتفال بيوم الجمعة احتفالا ما أظن دولة اسلامية أخرى تقوم بمثله .

على أن تركيا القديمة تظهر فى الروح الشرقية التى يلمحها الانسان المدقق فى كل ما يبدر من الاتراك ، فالفتيات سافرات وهن يلبسن على الطراز الاوربى الحديث وهن يتلقين العلم فى الجامعات مع الشبان جنباً الى جنب . ولكن لست تستطيع أن ترى صورا من اختلاط الجنسين كان من المعقول ان يراها الانسان فى بلد تشجع فيه الحكومة هذا الاختلاط وتدعو له ، حتى لتفتح حانات الرقص الى الصباح وتشجع ضباطها وموظفيها وتستحثهم للاقبال عليه ، حتى ليدعو الى هذا الرقص الغازى بنفسه عملا وقولا . ولكنك فى النهاية تجد الفتيات التركيات شبه منعزلات . وترى فى مشيتهن وحركاتهن المرأة التركية ذات الجد والاحتشام . وانى لأذكر أنى كنت استثير صديقاً تركيا بترديدى على مسمعه : « أرنى شابا مع فتاة ولك ليرة ! » وقد خرجت مع هذا الصديق مرات الى الحدائق والملاهى والجزائر حيث يحتشد الاتراك الوفا ألوفا . وكان يدور بعينيه فى هذه الالوف ليرى الفتاة مع الشاب ، ولست أذكر أنه أخذ منى ليرة . قد يبدو أن فى هذا القول مبالغة أو تهويلا . ولكنى

أقنع بان أقدم للقارىء هذه النتيجة . ان الفتاة المصرية وهى فى بلاد شرقية وليست تلقى تشجيعاً من الكتاب ولا من الهيئات ، تتفرنج وتسرع فى هذه الفرنجة أكثر مما تفعل فتاة تركيا . وصور الاختلاط بين الجنسين فى مصر تتعدد على شواطىء البحر وفى الحدائق وفى الملاهى ، وليس لهذه الصور نظائر كثيرة فى تركيا . وقد حدثتك عن الشبان والفتيات فى تركيا ، أما إذا ارتقيت — أوهبطت — ! الى مرتبة الشيوخ والفلاحين فهنا تركيا القديمة بحالها ، تركيا التى تكره القبعة ، وتركيا التى تكره الحروف اللاتينية ، وتركيا التى تكره السفور واختلاط الجنسين ، وتركيا الشرقية التى لاتعرف مصطفى كمال المجدد الاجتماعى ولا تحبه ، وانما تعرف مصطفى كمال المنقذ الذى حرر البلاد من الاعداء ورد لها الحرية ، وهى تحب هذا المنقذ ، وهى على أتم استعداد لان تعمل معه فى ميادين الحرب والعمل السلمى وان تقدم حياتها وما لها فى سبيل تقوية تركيا واعزاز جانبها

وفى النهاية تبدو تركيا القديمة فى نظام الحكم الحالى ، فنظام الفرد الذى كان فيها ما يزال هو نظامها الحالى ، فثمة جمهورية وبرلمان ولكن الناقدين لايستطيعون أن يتكلموا إلا همساً ، وان ارتفعت أصواتهم أخرسوا ، وإن تحركت اقلامهم قصفت هذه الاقلام . ولقد همس فى اذنى اكثر من هامس وشكا لى اكثر من شاك ! ولكن تركيا الجديدة تظهر رائعة جليلة بحيث تحرك الاعجاب فى النفوس وفى الصدور جميعاً ، فى المظاهر القومية التى لاتنفك تطالع الانسان أينما ذهب فى تركيا . فالاجانب لاتلمحهم ولاتراهم ، والحكومة لاتسمح لهم بان يفكروا فى الاعتداء على سيادتها ، وانى لاذكر ان أول ماشاهدته فى أزمير واستوقفنى ، هو جريدة «سن بوستا» — آخر بريد — فقد رأيتها فى أيدى الناس جميعاً وعلى صدرها بالخط العريض (حادث هام — الشرطة والمعارف يهتمان به !) وقد طلبت من أحدهم ان يترجم لى هذا الخبر ، فاخبرنى ان فتاة اجنبية مسيحية كاثوليكية قد أثر عليها بعض المبشرين فاعتنقت البروتستانتية ثم بلغ الخبر أهلها فابلغوه بدورهم للأمن العام فقام الشرطة بالتحقيق من ناحية وقامت به وزارة المعارف من ناحية أخرى ، وأغلقت هذه المدرسة الاجنبية التبشيرية ووعدت الصحيفة قراءها بأن تنشر لهم أخبار هذا الحادث الهام أولا فأولا

وليس هذا الحادث إلا واحداً من حوادث كثيرة كلها تدل على أن تركيا التى ماتزال شرقية فى صميمها قد عززت هذه الشرقية الكامنة المستترة بقومية قوية واضحة

سيد فتحي رضوان

ما ضاع من علوم الاولين

هل عاش جيل من البشر المتفوقين

قبل اجيال البشر التاريخية ؟

يزعم الكثيرون من الناس أن الاقدمين كانوا يعلمون من أسرار الطبيعة ما لا نعلمه الآن، وانه كانت لديهم علوم وفنون بلغت حداً بعيداً من الكمال. وبين العلماء أيضاً فريق يعتقد أن نوعاً من « السوبرمان » أو الانسان المتفوق ظهر على الارض منذ عشرين الف سنة، أى قبل عصر بناة الاهرام بعدة ألوف من السنين، ثم زال وزالت معه علومه لان نكبة طبيعية حلت بالعالم وقضت على سواد الجنس البشرى فلم ينج منه سوى بضع جماعات تشتتت وتقهقرت وضاعت علومها الا قليلا بقى عالقاً بالاذهان وظهرت آثاره فيما بعد. ثم شرع الانسان يتدرج فى سلم الرقى من جديد، ومع أنه قد بلغ اليوم شأواً بعيداً من الحضارة فما يزال فى بعض العلوم مقصراً عن جيل السوبرمان المنقرض

ونريد قبل الايغال فى هذا الموضوع أن نوضح الغرض من هذا البحث تمام الايضاح، فحن لا نريد أن نثبت أن اسلافنا من مصريين وأشوريين وبابليين وغيرهم كانوا على جانب من العلوم والفنون التى بلغت فى عهدهم شأواً عالياً، فذلك بحث قديم أكل الدهر عليه وشرب. وإنما نريد أن نبسط نظرية جديدة جاء بها الاستاذ رينيه تيفنان وغيره من العلماء، ومؤداها أن جيلا من السوبرمان أو الانسان المتفوق عاش على هذه الارض منذ عشرين الف سنة أو أكثر وكان ذا حضارة راقية وعلوم سامية، ثم زال هذا الجيل لان نكبة طبيعية حلت به، فذهبت حضارته وعلومه ولم يبق منها الا نزر يسير توارثه البشر فيما بعد وظهرت آثاره فيما خلفه لنا المصريون والاشوريون والحثيون والكلدانيون وغيرهم من الامم البائدة. وبعبارة أخرى - ان النظرية الجديدة تقول بأن المصريين القدماء وغيرهم ورثوا علومهم عن شعب من السوبرمان تقدمهم بعدة ألوف من

> في هذه المقالة قرائن تدل على ان الارض كانت في الحقب الغابرة مأهولة بنوع من « السوبرمان » كان يعلم من أسرار الطبيعة ما لا نعلمه الآن. ثم انقرض هو وآثاره فانحط النوع الانساني، ثم شرع يتطور من جديد الى ان وصل الى حالته الحاضرة. وهذه المقالة مبنية على سلسلة مباحث كتبها الاستاذ رينيه تيفنان العالم الفرنسي واحتكرت إحدى الصحف الاميركية حق نشرها

السنين . ولكن هذا الذى ورثوه امتزج بالخرافات حتى أصبح يبدو كأنه ضرب من الشعوذة. وكان القيم على الميراث الاصلى جمهور الكهنة الذين احتازوا العلوم وأبوا أن يبوحوا باسرارها إلا لمن انتظم فى سلكهم ودان بمذهبهم . وكان مرور الزمن مدعاة لذهاب معظم ذلك الميراث، فلم تأت العصور المظلمة حتى طمس على البقية الباقية منه وصار سواد الناس ينظرون الى كل ذى علم كما تنظر نحن اليوم الى المشعوذ، وينسبون كل اختراع إلى الشيطان حاسبينه ضرباً من السحر . وهذا سبب الاضطهادات التى وقعت على رجال العلم الذين أرادوا استطلاع اسرار المعرفة وفك رموز العلوم التى حذقها البشر منذ عصر بناة الاهرام بل قبل ذلك العصر بكثير

(١) العلوم الغامضة

ترى ماذا فعل أولئك العلماء حتى استثاروا سخط الجماهير واستوجبوا صنوف التعذيب والاضطهاد ؟

يقول الاستاذ تيقنان انهم حاولوا أن يكتشفوا اسرار الكائنات وعلاقة الارض بالاجرام العلوية والنواميس التى تسرى على جميعها . وكان أمامهم شعاع ضئيل من علوم الامم البائدة الممزوجة بالخرافات . ولكن بنى وطنهم حسبوهم كفاراً أو سحرة مشعوذين فثاروا عليهم واضطهدوهم أشد اضطهاد . وكان نصيب معظمهم الهلاك . كذلك فعلوا ببطرس دالبانه الذى أحرقوه ببولونيا ، وتشيكو الاسكلى الذى احرقوه بفلورنسة ، وجردنو برونو الذى احرقوه فى روما ، وكمبانيلا وكوبرنيكوس وانطونيو دومينيس ومئات غيرهم من العلماء الذين حاولوا اماطة اللثام عن اسرار الطبيعة واستعادة العلوم التى ضاعت بعد زوال جيل السوبرمان الذى عاش على هذه الارض منذ نحو عشرين الف سنة

وفى مقدمة العلوم التى أراد اولئك العلماء احياءها علم الفلك أو - بكلمة أصح - علم التنجيم. وقد ضاع هذا العلم الآن أو أصبح مزيجاً من الخرافات يسخر منها العلماء الافرنج. ما يزال يعتقد أنه قد لا يخلو من حقائق وكان الاقدمون يعرفونها

أما الاضطهادات التى وقعت فلا يصعب على القارىء تعليلها ، فقد بلغ التعصب الدينى فى عهد تلك الاضطهادات أشده ، وكان الكهنة ورجال الدين يشددون الوطأة على كل عالم أو مخترع يجيء بشيء جديد ، بحجة أنه مناف لاصول الدين . وفى الواقع ان السحرة والعرافين كثروا فى ذلك العصر وكانت اعمالهم ممتزجة بالدجل والشعوذة ، الأمر الذى زاد فى حقد رجال الدين عليهم ، على ان امتزاجها بالشعوذة لا ينفى احتمال استناد علوم السحر والتنجيم والعرافة فى الاصل الى اسس ضاعت بمرور الزمن

وفى الواقع ان أهالى العصور المظلمة والمتوسطة بذلوا جهود الجبابرة للقضاء على علوم الاقدمين فاضطهدوا السحرة والاطباء والمنجمين واصحاب الآراء الجديدة . وقد نسيغ اليوم بعض تلك

الاضطهادات لانها كانت موجهة الى الخرافات . ولكنها - وهذا موضوع الاسف - وقعت على مروجي الخرافات ورجال العلوم الصحيحة على حد سواء . وما كان يمكن أن يقع غير ذلك لان العلوم كانت ممتزجة أشـــد امتزاج بالخرافات . وقد ضاعت ولم يبق منها الا نزر يسير توارثه الناس وشوهوه فظهر بصورة هي أقرب الى الشعوذة منها الى الحقيقة

خذ علم الفلك مثلا وقد بلغ فيه الاقدمون شأواً بعيدا تجد أن علماء الفلك فى العصور المظلمة كانوا فى الوقت عينه منجمين أيضاً . ومع ان هنالك أدلة كثيرة قد تقنعنا بأن علم التنجيم كان يستند فى الاصل الى اساس وبان الاقدمين من الاشوريين والكلدانيين كانوا يعرفون من اسراره ما نجهله اليوم ، فقد فسد ذلك العلم بمرور الزمن وضاع الارث الذى تركه « السوبرمان » الذى انقرض

(٢) الادلة على ضياع العلوم الغامضة

ويقول الاستاذ تيفنان ان الادلة على ضياع علوم الاقدمين كثيرة ، وفى مقدمتها ما تركه الاشوريون والبابليون وقدماء المصريين من آثار ونقوش وكتابات ورموز ما يزال الشيء الكثير منها مستغلقاً على عقول العلمـــاء حتى اليوم . والمظنون ان الرموز والطلاسم التى يستعملها المشعوذون الآن كانت فى الاصل بمنزلة مفاتيح لاسرار المشتغلين بالعلوم الغامضة وان معانيها ضاعت بمرور الزمن فأصبحت الآن غير مفهومة حتى عند الذين يستعملونها فى شعوذتهم . وكان واضعوها الاصليون يدركون كنهها لانهم كانوا يعلمون من اسرار الفلك والجغرافية والطب والهندسة والحساب وغيرها ما ذهبت به الايام

وفى الواقع ان القرائن متوافرة على أن جيل « السوبرمان » الذى نحن بصدده كان يعرف الكثير من أسرار الطبيعة ولا سيما علم الفلك أو التنجيم . بل يزعم البعض أنه كانت عنده اختراعات كثيرة لا تقل عن اختراعات أهل هذا الزمن شأناً . ومما لا شك فيه أن القوم كانوا يعرفون العلاقة بين الكائنات الحية فى هذا العالم من جهة والاجرام العلوية وفصول السنة والعوامل الطبيعية من جهة اخرى ، فكانوا يعلمون مثلا ان اشتداد البرد أو الحر يؤدى الى امراض كثيرة وان أمراض الرئتين تكثر فى فصل الشتاء ، وامراض الجهاز الهضمى تكثر فى الصيف ، وامراضاً اخرى تتفشى فى فصلى الربيع والخريف ، وان الوفيات فى منتصف الصيف أو الشتاء أكثر من الوفيات فى منتصف الربيع والخريف ، وان مركز الارض فى الفلك يؤثر فى عدد المواليد ، وان مركز الشمس والقمر بالنسبة الى الارض يؤثر فى الكائنات الحية تأثيرات معينة ، وان أوجه القمر تؤثر فى الانسان والحيوان والنبات تأثيراً ظاهراً ، الى غير ذلك من الاسرار التى عرفها القوم وزعم الذين جاءوا بعدهم أنها خرافات

وفى الواقع أن العلم قد أثبت اليوم كثيرا من تلك المعلومات ، فقد اثبت مثلا أن لمركز الارض بالنسبة الى الشمس علاقة بالمواليد . فهذه المواليد تبلغ معظمها بين منتصف الليل وطلوع الفجر، وتبلغ أقلها من طلوع الفجر الى العصر ، وتبلغ متوسطها الاعتيادى من العصر الى منتصف الليل

كذلك أثبت العلم ان هنالك عدة انواع من الحيوانات ، ولا سيما المائية ، بينها وبين اوجه القمر علاقات متينة وسنورد لك فيما يلى بضعة امثلة منها :

ففى جزيرة صاموا مثلا نوع من الديدان البحرية (واسمها العلمى Eunice veridis) هى شبه تقويم دقيق لأن الأهالى يعرفون بها الأيام . فهذه الديدان تبدأ بالتزاوج فى ميعاد لا تخلفه أبداً وهو اليوم الأول من الربع الأخير من قمر شهر نوفمبر فى كل عام - أى فى نهاية فصل الربيع فى نصف الكرة الجنوبية ، ففى هذا اليوم تماماً تتعكر مياه البحر ويكثر الزبد وبعد يومين تظهر تلك الديدان عائمة جماعات جماعات

وفى الأوقيانوس الاطلنطى نوع آخر من تلك الحيوانات المائية (واسمها العلمى Eunice fucata) تخضع لذلك الناموس عينه فى اليوم الأخير من قمر يوليو

وفى مياه اليابان حيوانات كثيرة تقوم بوظائفها الفسيولوجية قياماً دقيقاً بعيد طلوع الهلال وبعيد صيرورة القمر بدراً فى شهرى اكتوبر ونوفمبر فقط بعد غروب الشمس بساعة واحدة تماماً

وفى مياه بريتانى (بفرنسا) حيوانات مائية كثيرة تقوم بوظائفها الفسيولوجية قياماً دقيقاً يتوقف على منازل القمر

مثال ذلك أن الحيوان البحرى المعروف باسم (Platynereis Dumerilii)

(١) لا يوجد له أثر أبدا عند ما يكون القمر بدرا

(٢) ولكنه يوجد بكثرة فى الليلة الاخيرة من الربع الاخير

(٣) ويقل قلة ظاهرة فى الليلة التى تلى ظهور الهلال

(٤) ويكثر مرة أخرى كثرة عظيمة فى مساء الربع الاول

وتستمر هذه التطورات فى فصل الصيف كله بدقة كدقة الساعة - الامر الذى يدل دلالة اكيدة على وجود علاقة وثيقة بينها وبين الافلاك بوجه خاص والقمر بوجه عام

(٣) الفلك وأعمال الناس

ويزعم الاستاذ تيفنان أن هنالك أمثلة كثيرة من هذا القبيل لا يتسع المجال للاسهاب فيها وقد أورد منها شاهداً يدل دلالة غريبة على علاقة الافلاك بأعمال النـــاس بوجه عام . وهذا الشاهد هو النتيجة التى انتهى اليها العالم تشيشفسكى والقى عنها محاضرة مسهبة فى أكاديمية العلوم بباريس ، وخلاصتها أن الاحصاءات الدقيقة قد أثبتت وجود علاقة بين الفلك وسياسة البرلمان

الانجليزى . ففى المائة سنة الماضية كان تعـــاقب الاحزاب السياسية فى انجلترا تابعاً لنشاط الشمس . فكلما اشتد ذلك النشاط (Solar activity) وبلغ منتهاه وثب الأحرار (أو العمال بعد الحرب العظمى الماضية) الى كراسى السلطة . وكلما همد وثب المحافظون إلى الحكم . وقد ظهرت هذه القاعدة ظهوراً واضحاً فى تاريخ البرلمان الانجليزى ولم يكن لها أى شذوذ . ولما وقعت الانتخابات الاخيرة (التى فاز فيها المحافظون فوزاً جارفاً) كان نشاط الشمس على أقله كما اثبت العلم وكما أثبتت ارصاد تلك السنة

فهل من الحكمة إنكار علاقة الفلك بأعمال الناس ؟ إن الملاحظة والاختبار ـ بل العلم نفسه ـ من أقوى الأدلة على وجود تلك العلاقة . ويقول العالم تشيشفسكى الذى سبقت الاشارة اليه ان مرجع تلك العلاقة هو إلى تأثير التغيرات التى تطرأ على أشعة الشمس ولا سيما الأشعة التى وراء البنفسجية . وتأثير هذه الأشعة واضح وقد تنبه اليه العلماء منذعهد غير بعيد وأدركوا أن الأشعة التى وراء البنفسجية تؤثر فى أجسام الناس وطباعهم وأمزجتهم . وهذا تعليل مايبدو منهم من الميل أحياناً إلى تأييد آراء معينة ، والانقلاب عن تلك الآراء فى أوقات أخرى

وفى الواقع أن وجود مثل هذه العلاقة بين أشعة الشمس وأمزجة الناس قد أصبح أمراً طبيعياً فى نظر العلماء بحيث لو لم تكن تلك العلاقة ثابتة لدهش العلماء بعد أن عرفوا من أسرار الأشعة ما عرفوه . وما دام الأمر كذلك فلماذا ندهش لأن الأقدمين قالوا بوجود مثل تلك العلاقة ؟ أوليس المعقول أنهم علموا بوجود تلك العلاقة مما ورثوه عن ذلك الجيل المنقرض من « السوبرمان » الذى أخذ عنه المصريون القدماء والاشوريون والحثيون والبابليون وغيرهم ؟ وإذا كان حقيقياً ما يقوله العلماء من وجود أشعة مختلفة فى هذا الكون لكل منها تأثير خاص فى الانسان والحيوان والنبات ، فلماذا ننكر علم التنجيم الذى يقول بوجود علاقة متينة بين الانسان والكائنات العلوية ؟ نعم ان ذلك العلم طرأت عليه تقلبات كثيرة وامتزج بكثير من الشعوذة فى يد الذين ورثوه ولم يحسنوا القيام عليه ، ولكن القرائن كلها تدل على أن جيل السوبرمان المنقرض عرف الكثير من أسرار الطبيعة والكائنات العلوية وخواص أبراج الشمس ومنازل القمر وهلم جرا

وذكر الأستاذ تيفنان دليلا آخر على معرفة القوم بالفلك فقال : إن العلماء عثروا على آثار اشورية لا يقل عمرها عن مائة قرن أو عشرة آلاف سنة بينها تمثال لرجل (وكان الاشوريون يسمونه نسروخ) محاطاً بحلقة لا ريب أنها الحلقة التى تحيط بالسيار زحل والتى لا يمكن رؤيتها إلا بالتلسكوبات القوية . فكيف عرف الأشوريون بوجود تلك الحلقة منـــذ عشرة آلاف سنة ؟ أوليس من المعقول أنهم عرفوا ذلك مما ورثوه عن جيل السوبرمان الذى انقرض منذ عدة آلاف من السنين ؟

(٤) دلالات أخرى

والمجال لا يتسع لا يراد الشواهد على دقة الاقدمين فى أرصادهم الفلكية . وفى الواقع أنها كانت دقيقة إلى حد يثير الدهشة . فقد رصدوا مواقع النجوم وأبراج الشمس ومنازل القمر وقاسوا الأبعاد الفلكية وعينوا مواعيد الكسوف والخسوف . وهنالك قرائن تدل على أنهم عرفوا جغرافية الارض معرفة دقيقة بل ان من تلك القرائن ما يدل على أنهم كانوا يعلمون ان الارض كرة مستديرة

وقد ورث الكهنة فى جميع العصور كنوز المعرفة وقاموا على حراستها لئلا تعبث بها العامة، ولا شك أن الكهنة المصريين القدماء كانوا على شيء كثير من أسرار تلك العلوم . والارجح أنها لم تكن تخلو من الدجل والشعوذة لان الكهنة ورثوا ما ورثوه عن قوم نبغوا فى العلوم والفنون قبلهم بعد آلاف من السنين . فقد اكتشف الاستاذ هورنر آنية فخارية فى مصر يرجع تاريخها إلى نحو ١٧ الف عام ، وهى تدل على مبلغ رقى صانعيها وما كانوا عليه من حضارة . وفى تاريخ بلنيوس الرومانى أن الامبراطور نوما الذى حكم روما منذ نحو ٢٦٠٠ سنة كان يعرف أسرار استيلاد النور من شرر البرق (ولا يبعد أن تكون الاشارة هنا إلى الكهربائية) وتدل جميع القرائن على أن الكلدان أتقنوا رصد الافلاك قبل عصر بناة الاهرام

ولنأخذ الاهرام مثلا على ما بلغه الاقدمون من العلم والفن . ولا شك ان المصريين الذين بنوا أهرام الجيزة لم يكونوا حديثى العهد بعلم الهندسة ، بل كانوا قد بلغوا فيــه ــ وفى الفلك والجغرافية أيضاً ــ حداً بعيداً . ومع أن العلماء قد كتبوا الكتب الكثيرة عن تلك الاهرام ودلالتها فان العلم لا يزال يكشف من اسرارها كل يوم ما يحير العقل

خذ الهرم الاكبر مثلا وارسم تحت قاعدته خطين متقاطعين يمران بزوايا تلك القاعدة . ثم اطل الخطين شمالا شرقياً وشمالا غربياً حتى ساحل البحر الابيض تجد منهما مثلثاً هو مثلث الدلتا تماماً لا اكثر ولا اقل

وارسم خطاً مستقيما من نجم القطب إلى مركز الهرم تجد ذلك الخط يقسم الكرة مناصفة تماماً براً وبحراً

واضرب ارتفاع الهرم الاكبر فى الف مليون تجد بعد الارض عن الشمس

ولا شك ان المصريين استعملوا الهرم الاكبر بمنزلة مرصد للافلاك . فان المقاييس الفلكية التى ضبطوها بواسطة الهرم ــ والتى لا يتسع المجال للاسهاب فيها ــ تدل على ما بلغه القوم من العلم والمعرفة

بل هنالك ما هو اغرب من ذلك بكثير . ذلك ان الدلائل متوافرة على ان الاقدمين كانوا

(البقية صفحة ٥٣٦)

الوباء

(بقية المنشور صفحة ٤٧٨)

وكنت على وشك أن أرسل الخادم ليبلغ البوليس ، ولكن حانت منى التفاتة نحو المائدة الصغيرة التى بجوار الفراش فابصرت عليها ورقة استرعت انتباهى . فأخذتها وقرأت فيها ما يأتى :

« لقد عملت المستحيل لأبقى ، فلم استطع . لن أطمع فى عفوك بعد الآن ، وشكرا لك .

حلمى »

فصمت وأنا أبتسم ابتسامة مريرة ثم قلت للخادم :

— اجمع ملابسه فى صرة واذهب بها بعد انتهاء عملك الى حجرته بشارع المدبولى رقم ٢٠

• • •

وشاءت الظروف أن أعين قنصلا فى بيريه بعد هذه الحادثة بايام ، وشددت الرحال الى مقر وظيفتى ، ومكثت فيها عاماً كاملا ثم عدت بالاجازة الى مصر

وفى اليوم التالى لقدومى ذهبت الى لبتون لارى الرفاق فقابلونى فى تهليل كبير ، وجلست أحدثهما عما رأيته فى بلاد اليونان وجعلوا يروون لى ما وقع فى مصر اثناء غيبتى . ولم نتكلم عن حلمى ، كلمة إذ كان موضوعه خارج دائرة تفكيرنا . وبعد العشاء اقترح علينا حنفى ان نذهب الى صالة كوثر ، فقلت له وأنا أبتسم :

— أما زلت غارقا فى الصالات ؟

— وهل يوجد شىء يستحق الفرجة غيرها ؟

وملت عليه وهمست فى اذنه :

— وكيف حال غرامك ؟

— اوه لقد تبخر من زمن

ومشينا حتى وصلنا الصالة وتقدم حنفى وأخذ لنا التذاكر ، وسرنا نحو الباب . ورأيت اثناء دخولى شخصاً (ملطوعا) بجوار الحائط فى حالة تبلد كأنه نعسان ، وخيل لى أننى اعرفه ، وكانت هيئته زرية للغاية . يلبس جلبابا قذرا عليه جاكته لاتصلح ممسحة للبلاط . وكان يتثاءب فى هيئة كريهة وبصوت بشع ، ويتجشأ بين حين وآخر . وخطر ببالى خاطر ارتجفت له ، وسألت على الفور ، حنفى ، وأنا أشير له فى الخفاء الى هذا الشخص وقلت :

— من يكون ؟

فاجابنى بلا مبالاة وهو يدفعنى للدخول :

— ألا تعرفه . . اتراه قد تغير الى هذا الحد . ؟

فتمتمت وأنا أشعر بغصة فى حلقى : « بل اعرفه . . أعرفه . . »

وبدأ التمثيل فظهرت مغنية أمضتنا حينا بآهاتها المبتذلة ونغماتها المملة . ثم ظهر منولوجست القى منلوجا سقيما لا ادرى كيف احتملته حتى النهاية . وتبعته راقصة كانت تغنى و « تشوح » بيديها و « تلعب » خصرها فى حركات توجب الرثاء . واخيرا ظهرت « كوثر » فضج الناس بالهتاف. وكانت تلبس ملابس فضفاضة شفافة تظهر خلفها ساقاها البديعتان وبدأت رقصها ، ولا ادرى أى باعث دفعنى هذه اللحظة لأن التفت نحو الباب . ووجدت حلمى قد دخل وارتكن على الحائط وأخذ يراقب الراقصة بعيون شرهة وشفتاه ترتجفان . . وما كاد دور كوثر ينتهى حتى اختفى خلف الباب

ولما تم التمثيل وخرجنا وجدته (ملطوعا) فى موقفه الذى شاهدته فيه وانا داخل ، وكان كما تركته غارقاً فى تبلده يتجشأ ويتثاءب فى شكل بشع . وتخلفت عن الجماعة وذهبت اليه فعرفنى ورأيت شفتيه المصفرتين تنفرجان عن ابتسامة مريضة . وسمعت صوته يقول فى حشرجة :

ــ الحمد الله بالسلامة

ثم مد لى كفه فى شكل فهمت منه غرضه ، فأخرجت من جيبى قطعة من ذات الخمسة القروش ووضعتها فى يده . كل ذلك وأنا صامت وتركت الصالة وأنا مشمئز من العالم كله

محمود تيمور

ما ضاع من علوم الاولين

(بقية المنشور فى صفحة ٥٢٤)

يعرفون اسرار النشوء والارتقاء ، فقد جاء فى كتابات هندية قديمة إشارات لا تترك مجالا للشك فى ان ناساً عاشوا منذ عشرين الف سنة كانوا يعرفون اسرار التطور . واليك ترجمة عبارة من تلك الكتابات :

« ولما فصل العالم عن الظلمات نشأت المادة من العناصر ، فظهرت النباتات أولا وكانت هذه النباتات غذاء لكائنات حية نشأت من الماء . ثم مرت هذه الحيوانات فى اطوار متتابعة إلى ان ظهر الانسان أخيراً »

فما معنى هذه العبارة إن لم تكن دليلا على معرفة الاقدمين بناموس التطور ؟ وإذا كانت صروف الدهر قد طمست علومهم فليس معنى ذلك انهم كانوا جهالا وأن علومهم كانت ضرباً من الشعوذة . وهذا يحدو بنا إلى هذا السؤال وهو : كيف انقرض جيل السوبرمان ومتى ؟ ولعل خير جواب عن هذا هو اسطورة جزيرة الاتلنتيد

سير العلوم والفنون



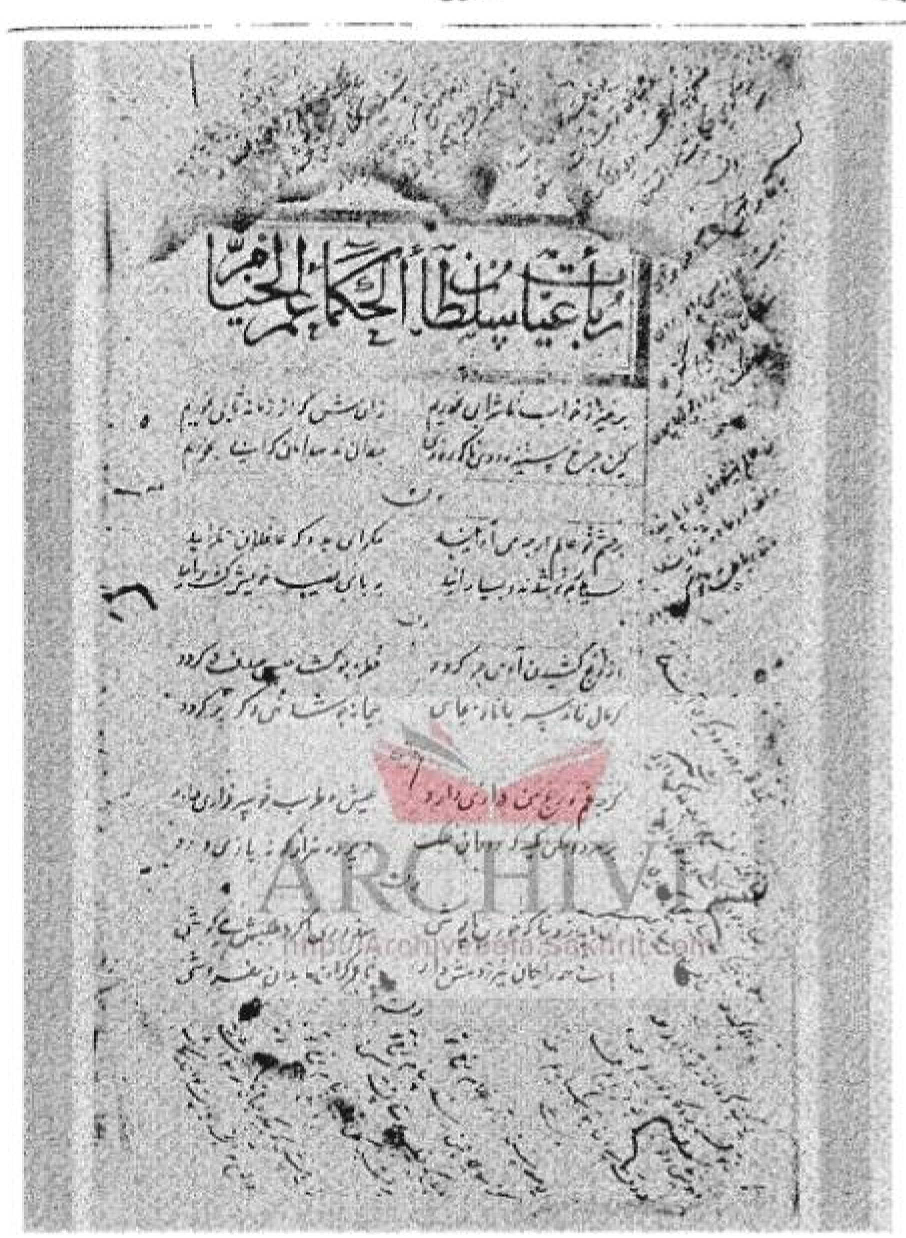
مظلة تحلل الاشعة

نوع جديد من المظلات وقد صنع بطريقة علمية من الورق اللامع الشفاف المعروف باسم « سيلوفان » وقد صنعت بحيث تحلل أشعة الشمس فتحجز عن الجسم الاشعة المحرقة وتكسب البشرة لوناً اسمر . ونرى في الصورة احدى السنحات على شاطىء كاليفورنيا بامبركا وقد استظلت باحدى هذه المظلات الحديثة



الراديوم شفاء .. وهلاك !

في حين قد ثبت للعلماء ما لعنصر الراديوم من قوة الشفاء الخارقة ، فان الذين يضعون هذا العنصر (وهو على شكل ملح) في الابر الدقيقة الخاصة به يتعرضون لاخطار جسيمة . ولوقاية مالىء ابرة الراديوم من تلك الاخطار ، فانه يضع يديه اثناء هذه العملية في صندوق خاص مبطن بطبقة سميكة من الرصاص (كما ترى في الصورة) . ويشتغل القائمون بهذه العملية ثلاثة أشهر ثم يستريحون مثلها


رباعيات سلطان الحكماء عمر الخيام

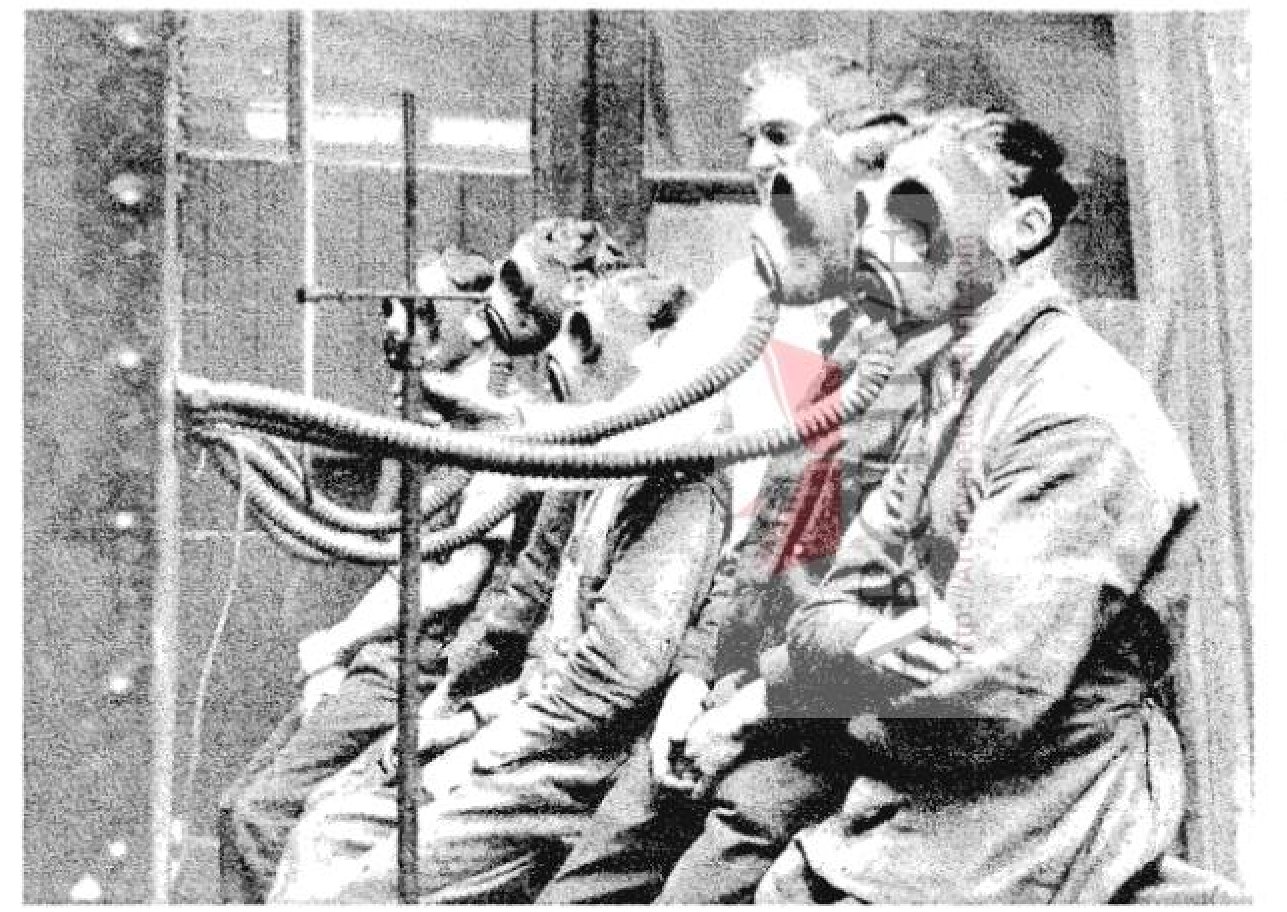
أقدم نسخة من رباعيات عمر الخيام

كان المعروف الى عهد قريب أن أقدم نسخة من رباعيات عمر الخيام المشهورة هي تلك القول بأنها ترجع الى سنة ١٥٠٥ . ولكن عالماً يدعى جوري براساد ساكسنا ــ من لاكنو بالهند ــ اكتشف نسخة أخرى من هذه الرباعيات الخالدة أقدم من الأولى بنحو مائة عام . اذ يرجع تاريخها الى سنة ١٤٢٣ ميلادية . وفوق هذا الكلام صورة للصحيفة الاولى من هذه النسخة الخطية الثمينة



مدالية جالسورثي الفائز بجائزة نوبل في الآداب

فاز بجائزة نوبل في الآداب الكاتب القصصي والروائي الانجليزي جون جالسورثي . وقد ضربت بهذه المناسبة مدالية على أحد جانبيها صورة ترمز الى الفن والادب وتحتها اسم الكاتب الفائز وسنة حصوله على الجائزة ، وعلى الجانب الثاني صورة نوبل صاحب الجوائز العالمية المعروفة باسمه . وترى جانبي المدالية في الصورة التي في اعلى

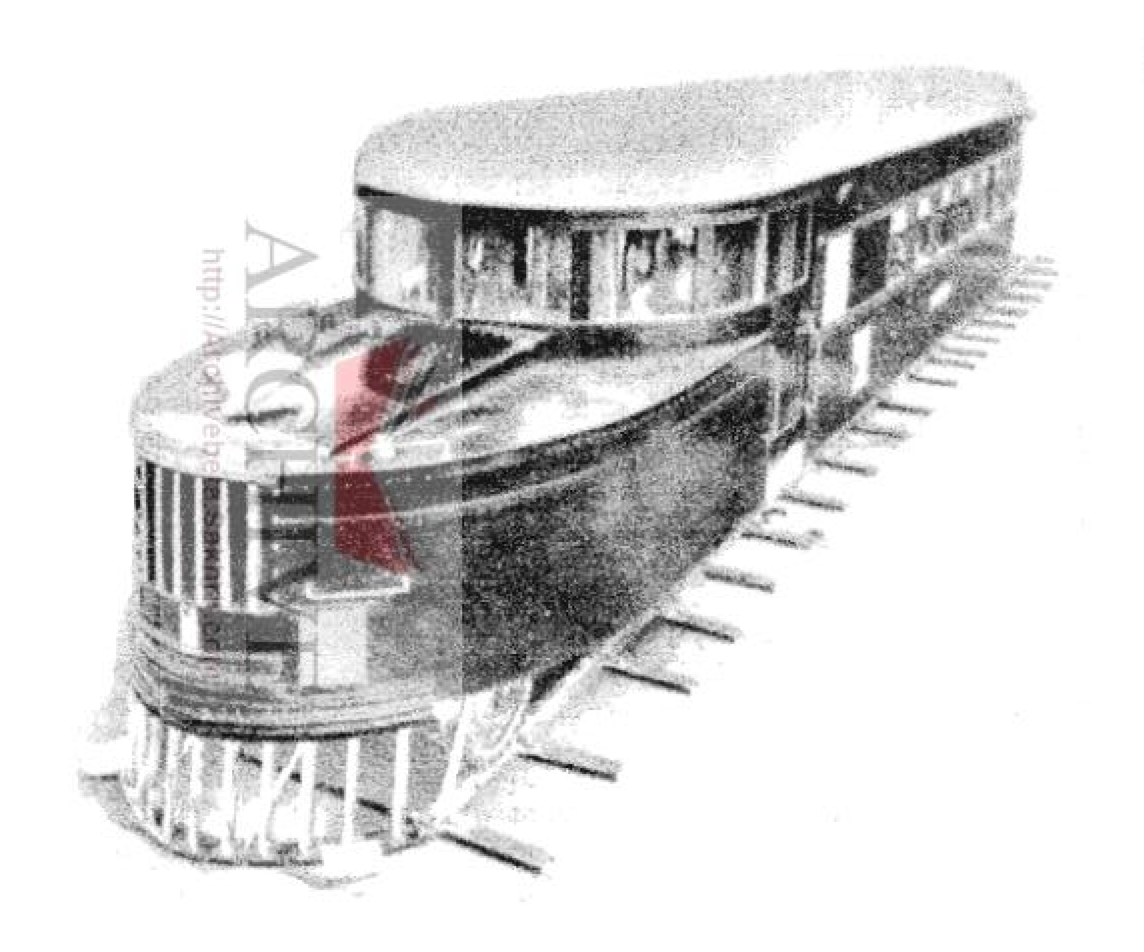


في سبيل العلم

ستة رجال يعرضون حياتهم للموت الزؤام في سبيل العلم ، وهم ملحقون بشركة انجليزية تصنع الاقنعة الواقيـة من الغازات . وتراهم في هذه الصورة يختبرون كفاية هذه الاقنعة بان يضعوها على وجوههم ثم يطلق عليها الغاز القاتل لامتحان قدرة هـذه الاقنعة على مقاومة الغازات الخانقة

لمنافسة قطرات السكك الحديدية

تصنع الآن شركة امريكية نوعا جديداً من السيارات أطلقت عليه اسم « أوتو ترام » ، لأنه وسط بين السيارة والترام تقصد به منافسة قطرات السكك الحديدية وهو مصنوع من معدن الالومينوم لا تتخلله الحرارة ولا البرودة ولا التراب ولا الضجيج . ويدار بالبترول . وقد أعد لقطع المسافات بسرعة وأجر يسير . وترى في الصورة واحدة من السيارات المذكورة



من أعماق البحار

لا يقف جهد العلماء عند حد استكشاف ودراسة ما يقع تحت أنظارهم فوق سطح اليابسة وانما يمضون في أبحاثهم الى أعماق البحار . وفي أسفل صورة لضرب جديد من السمك اكتشفه العلماء حديثاً . وهو سمك هائل رهيب من نوع الاخطبوط « سمك الحبر » ذو منظر جميل الا أنه شديد الخطر ، فانه إذا وقع على فريسة قبض عليها بأطرافه القوية المتعددة فلا تفلت الفريسة وفيها رمق من الحياة . والى اليمين نوع جديد من « تنين البحر » جيء بأربعة منه من جزر جالاباجوس بأمريكا الجنوبية الى حديقة الحيوانات بلندن . وينفث هذا التنين بخار الماء من خياشيمه ويبلغ طول الواحد أربع أقدام . وهو ذو معرفة مدببة وجلد شائك ولكنه لا يؤذي أحداً . ويرى في الصورة أحد حراس حديقة الحيوانات في لندن يقدم له طعامه من أعشاب البحر





من آثار العصر الجليدي

جاء فى نبذة نشرها « معهد سمشسونيان » (وهو من أشهر المعاهد العلمية بأميركا) أن علماء الآثار فى أميركا قد عثروا على أدلة جديدة تثبت بوجه قاطع أن أميركا كانت مأهولة بالناس منذ خمسة عشر الف سنة على الأقل. ومن جملة تلك الآثار فك إنسان مدفون فى طبقة من الارض تكونت فى العصر الجليدى، أى منذ مدة تختلف من ثلاثين الف عام إلى خمسة عشر الف عام . ومما يدعو إلى الدهشة أن العلماء وجدوا مع ذلك الفك - أى فى الطبقة عينها من الارض - أدوات وقواطع مصنوعة من حجر الصوان ومن عظام حيوانات منقرضة مما كان الانسان يستعمله فى العصر الحجرى . وفى هذا برهان قاطع على ان أميركا أقدم عهداً بالنوع البشرى مما كنا نظن حتى الآن

تفكيك الجوهر الفرد

من المعلوم أن الجوهر الفرد يتألف من أجزاء أصغر منه تسمى كهارب أو ايلكترونات، والعناصر إنما يختلف بعضها عن بعض بعدد الكهارب التى تتألف منها جواهرها الفردية. ولم يتمكن العلماء حتى الآن من تفكيك عرى الجواهر، لان القوة التى تربطها معاً هى قوة هائلة تفوق حد التصور . وقد قرأنا الآن فى إحدى المجلات العلميـــة أن الأستاذين لانج وبراخ - وهما من كبار العلماء الألمان - قد تمكنا حديثـــاً من تفكيك الجواهر الفردية باستعمال أشعة الراديوم الصناعية واطلاق سيل من ايلكترونات الهيليوم أو الايدروجين على الجواهر الفردية المراد تفكيكها . وقد تمكن الاستاذان المذكوران من تفكيك عناصر الليثيوم والبيريليوم والبوريوم والصوديوم والالومينوم (وجميعها من العناصر ذات الجواهر الخفيفة) والرصاص (وهو من العناصر ذات الجواهر الثقيلة)

أغرب العناصر

جمع أحد علماء الكيمياء إحصاء عن أشد العناصر تطرفاً فى الوزن وغيره من الخواص. وعن أقصى درجات الحرارة والبرودة التى وصل اليها العلم . ويؤخذ من هذا الاحصاء أن أثقل العناصر المعروفة هو الاوزميوم وأخفها هو الايدروجين (إلا إذا ثبت أن بقايا الكهارب فى أنابيب أشعة اكس هى أخف من ذلك) . وأصلبها هو المـــاس وأشدها ليناً هو الذهب ، وأن أعلى درجة من الحرارة استطاع الانسان أن يقيسها بشىء من الضبط هى الدرجة ٣٨٠٠ بمقياس سنتجراد ، وان أدنى درجة من البرد وصل اليها بالطرق الصناعية هى الدرجة ٣ ، ٢٧٢ سنتجراد تحت الصفر (وتنقص سبعة أعشار الدرجة عن درجة الصفر المطلق التى تبطل عندها حركة الكهارب فى عناصر المادة)

أما أغلى العناصر المعروفة فهو الراديوم ، ويزيد ثمن الاونس الواحد منه على مليونى دولار اميركى أو نحو ستمائة الف جنيه بسعر القطع الحالى

قوة الاشعة الكونية

الاشعة الكونية هي الاشعة التى اكتشفها الاستاذ مليكان العالم الاميركى الشهير وقال إنها تصل إلى عالمنا الارضى من الفضاء الذى يتخلل الاكوان السحيقة . وقد تمكن الدكتور جونسون الاميركى من تقديرقوة هذه الاشعة فى اندفاعها نحو الارض فقال إنها توازى اربعين الف مليون فولت ، وهى قوة هائلة لا يستطيع عقل الانسان أن يتصورها

أحافير أسماك غريبة

عثر الدكتورلوج كوخ أحد علماء الجيولوجيا الدنمركين على أحافير أسماك غريبة فى جرينلند بينها سمكة كانت لها أربع قوائم ، وهذا النوع من السمك معروف لدى العلماء واسمه العلمى « ستيجوسيفال »وهو من الحيوانات التى تعيش فى البر والبحر على حد سواء ، ويقال أنه جد فصيلة الضفادع . وما يزال فى بعض أنحاء البحار المحيطة بافريقيا وأوستراليا ضرب من الاسماك ذات أربع قوائم تعيش فى البحر وتسير على البر ، ولها أكياس تشبه الرئة وتستنشق بها الاوكسيجين . وقلما تستطيع هذه الاسماك أن تقضى أكثر من بضع ساعات تحت الماء ، فاذا جاوزت ذلك الحد ماتت اختناقاً

وهج الحرارة

إذا نظرت الى رصيف الشارع فى يوم شديد الحر خيل اليك أنك ترى أمواج الحرارة تندفع من الرصيف متعرجة متكسرة ، وفى الواقع أن الذى تراه ليس اشعاع الحرارة بل هو انكسار أشعة النور الناتج عن مجارى الهواء غير الكثيف المتصاعد من الرصيف فان اشعة الحرارة تنحنى وتتكسر كما تلوح العصا متكسرة عندما تغطسها فى الماء

الهواء في أعالي الجو

كان المظنون حتى عهد قريب أن الانسان لا يستطيع مجاوزة عشرة كيلومترات ارتفاعاً فى الجو بسبب لطافة الهواء فى الطبقات العليا وعدم صلاحه للحياة ، الا ان الرحلات الجوية التى قام بها الطيارون فى بضع السنوات الماضية قد أثبتت ان الانسان يستطيع الارتفاع الى علو ستة عشر كيلومتراً فى الجو من دون أن يتعرض لخطر الاختناق . واذا تمكن الطيارون قبل تحليقهم فى الجو من طرد غاز النتروجين الذى فى اجسامهم أمكنهم الارتفاع الى اكثر من ذلك . وقد توصل السر ليونارد هيل العالم الانجليزى المشهور الى هذه النتيجة بعد مباحث وتجارب كثيرة قام بها فى بضع السنوات الاخيرة . وكانت التجارب التى قام بها العلماء فى فرنسا قبل ذلك تدل على ان اقصى ارتفاع يستطيع الانسان بلوغه هو نحو اثنى عشر كيلومترا ولو كان مجهزاً بغاز الاوكسيجين

ضغط المعادن

كانت الطريقة المتبعة حتى الآن لصنع الاخلاط المعدنية تقوم على استعمال الحرارة ، وقد أخذت الآن طريقة الضغط الشديد تحل محل الحرارة . أى أنه بدلا من صهر المعادن

وصبها معاً فى وعاء واحد ، يؤخذ مسحوق كل معدن على حدة ثم تمزج هذه المساحيق معاً وتضغط ضغطا هائلا تحت درجة واطئة من الحرارة . وهذه الطريقة تفضل الطريقة القديمة لان المعادن المصهورة لا تجمد جميعها عند درجة واحدة من البرد ، فاذا مزجت معا واريد تجميدها لم يخل ذلك من صعوبة نظراً الى اختلاف درجات البرودة التى تجمد عندها

ملح الاوقيانوس

ماء البحر فى تبخر مستمر ، ولولا ما يصب فيه من مياه الانهار والامطار لتبخر ماؤه كله فى مدة وجيزة ولبقى الملح فقط . وقد حسب أحد العلماء كمية الملح الذى فى ماء الاوقيانوس الاطلنطى ، فوجد انه لو تبخرت جميع مياه هذا الاوقيانوس لبقيت بعدها طبقة من الملح تكفى لتغطية الولايات المتحدة كلها بطبقة تبلغ كثافتها ميلا ونصف ميل !

لازالة الصوت

الاصوات المزعجة من اقوى العوامل المقصرة لعمر الانسان . وقد اثبت العلماء ان متوسط عمر الانسان فى الارياف (حيث الاصوات المزعجة على أقلها) هو اكثر من متوسط عمره فى المدن حيث تكثر الاصوات وحيث تتوافر العوامل الاخرى المقصرة للعمر . وقد تنبهت الحكومات ايضاً منذ عهد بعيد الى ان رجال المدفعية فى الجيوش اقصر عمرا من سائر الجنود ، لان هزيم المدافع يقصر أعمارهم.

وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية أن اثنين من ضباط المدفعية الايطالية قد وفقا الى اختراع كمامة اذا وضعت على فوهة المدفع حالت دون سماع دويه عند اطلاقه ، فاذا أمكن تعميم هذا الاختراع فى جميع المدفعيات واتيح استعماله لاسكات البندقيات أيضاً زال عامل من أقوى العوامل التى تؤدى الى تقصير العمر

لاتقان التليفون

كثيراً ما يقرع جرس التليفون فى أثناء غياب أهل البيت مع أن المراد ابلاغهم خبراً مهماً . وقد اخترع أحد الأمريكيين جهازاً كهربائياً يوضع على مقربة من التليفون فيلتقط بطريقة أوتوماتيكية (أى من تلقاء نفسه) ما يراد تبليغه لأهل البيت ويسجله ، فاذا حضر أهل البيت وفحصوا الجهاز وجدوا الرسالة التليفونية التى جاءتهم فى أثناء غيابهم

وقد عرض هذا المخترع جهازه هذا على احدى شركات التليفون الامريكية فعنيت به عناية شديدة ، ويقال ان فى نية هذه الشركة احتكار الاختراع لبيعه لمشتركيها لحسابها الخاص

اقوى نور صناعى

صنعت احدى شركات الكهرباء الألمانية مصباحاً كهربائياً عاكساً له قوة ثلاثة آلاف مليون شمعة . وقد وضع هذا المصباح على متن احدى السفن الالمانية لاستعماله فى الكتابة فى الجو ، وهى الطريقة الحديثة فى الاعلانات .

و يقول الاستاذ جهيلوف الالمانى ان أشعةهذا المصباح تمكن رؤيتها من القمر بسهولة ، وهى تعادل أشعة نجم من القدر السادس

للنجاة من الغرق

اخترع أحد علماء الكيمياء الالمان حزاماً للنجاة من الغرق اذا نظر اليه الناظر لم يجده يختلف عن أى حزام مما يستعمله الناس عادة ، ولكن فى داخله قرصاً صغيراً من أحد مركبات الكربونات . فاذا لبس الانسان هذا الحزام وعام على سطح الماء فان ابتلاله بالماء يجعل مركب الكربونات يفور، فيتولد عنه ديوكسيد الكربون الذى لايلبث أن يملأ الحزام وينفخه فيصبح أداة نافعة تحول دون الغرق

السليولويد من الخشب

صنع أحدالامريكيين مادة تشبه السليولويد ولكنها أقوى منه وذلك من رب الخشب ، وتصلح هذه المادةلصنع الدمى وجميع الادوات التى تصنع الآن من مادة السليولويد . ومن خواص هذه المادة الجديدة أنهـا خفيفة الوزن جداً ومتينة وغير قابلة للاحتراق ونفقات صنعها زهيدة

لتبريد الغرف

يأنف الكثيرون من استعمال المروحة الكهربائية لتبريدالغرف ، ويعتقد بعض الأطباء أن تيارالهواء الذى تنشئه المروحة كثيراً ما يكون ضرره أكثر من نفعه . وقد اخترع أحد الامريكيين جهازاً لتبريد هواء الغرف يشبه الثلاجات المعروفة وليست به مروحة ولا هو ينشىء تياراً من الهواء ، ولكنه يبرد الجو المحيط به بطريقة اوتوماتيكية وبالمقدار الذى يريده المرء . وهذا الجهاز يشتغل بقوة الكهربائية واستعماله خال من كل ضرر ، ويقال انه لا يستنفد من التيار الكهربائى إلا نزراً يسيراً

واخترع مهندس المانى مروحة كهربائية يمكن وضعها فى أية نافذة من نوافذ البيت . ومن خواصها انها « ترشح » الهواء الذى يدخل الغرفة وتقتل جميع الميكروبات التى تكون فيه قبل وصوله الى الغرفة . وفى وسع هذا الجهاز « ترشيح » أو تعقيم ستة آلاف قدم مكعبة من الهواء فى الدقيقة ، ويقال ان هذا الجهاز ينفع المصابين بمرض الربو

نقل البريد بالانابيب

فى عواصم أوربا وأمريكا الكبرى تنقل الرسائل البريدية بواسطة أنابيب ممدودة تحت الأرض بقوة الهواء المضغوط ، وكثيراً ما تسخن تلك الانابيب الى درجة يخشى معها من الحريق بسبب احتقانها بالرسائل المدفوعة داخلها. وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات الالمانية أن مهندساً ألمانياً اخترع جهازا لتبريد تلك الانابيب عند اللزوم بطريقة اوتوماتيكية ، وبهذه الوسيلة صار يمكن اتقاء خطر الحريق فى الأنابيب . وينتظر تعميم الجهاز المذكور فى جميع مدن أوربا وأمريكا التى تنقل فيها الرسائل بواسطة الأنابيب

شؤون الدار

الجدري

ظهر الجدري في بعض مدن القطر المصري بشكل وبائي فاضطرت مصلحة الصحة العمومية الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع انتشار هذا الداء وقد كللت مساعيها والحمد لله بالنجاح ولن تنقضي بضعة أيام حتى يكون هذا الداء قد زال

وبمناسبة هذا الداء نرى من الواجب تنبيه الامهات الى طرق الوقاية منه ، وخير تلك الطرق هي التلقيح . والمفهوم عند الاطباء ان تأثير اللقاح يدوم من خمس سنوات الى عشر ، إلا أن احدى المجلات الطبية الاميركية تقول ان التجارب قد اثبتت أن الاشخاص الذين يلقحون مرتين في العمر ويظهر مفعول اللقاح فيهم جيدا يضمنون المناعة ضد هذا الداء مدى الحياة

وسواء اصدقت هذه النظرية أم لم تصدق فان التلقيح أحسن علاج عرف لهذا الداء حتى الآن . ولا يضير الانسان ان يستعمله مرة كل خمس سنوات مثلا لاسيما انه لايحدث رد فعل ولا يسبب أي ازعاج

اعراض الداء : ولكي تستطيع الام تمييز هذا المرض عن غيره عندما يصاب به أحد اولادها، نقول ان أهم اعراضه حمى فجائية ترتفع الى الدرجة ٤٠ او أكثر وسرعة النبض وصداع شديد مصحوب بقيء وآلام في المفاصل . وتدوم هذه الاعراض عادة ثلاثة أيام يظهر في خلالها على أسفل البطن وعلى الفخذين آثار طفح تشبه الحمى القرمزية والحصبة . وفي اليوم الرابع يزداد الطفح فيعلو الوجه اولا ولا سيما الجبين ثم أعضاء الجسم المتطرفة ، ويتطور الطفح في بضعة الايام التالية تطوراً غريباً ويصحبه التهاب في الجلد

وهنالك اعراض اخرى تعرفها معظم الامهات واستدعاء الحكيم في هذه الحالات اسلم عاقبة بل هو فرض محتم على الوالدين

البقول المثلجة

اذا وضعت البقول في « ثلاجة » مدة بضع ساعات ثم طبختها فان نضجها لا يستغرق سوى نصف الوقت الذي تستغرقه لو لم توضع في ثلاجة

انتشار الانفلونزا

تقول أنباء الصحف الاجنبية إن مرض الانفلونزا متفش في هذا الشتاء في أوربا وأميركا تفشياً ذريعاً ، ويقدرون عدد المصابين به في الولايات المتحدة أسبوعياً بأكثر من ربع مليون . ومع أن معظم الحوادث سليمة ، فقد نشرت مصلحة الصحة الاميركية نصائح للجمهور وللامهات لكي يعنين بصحة أولادهن . وفي مقدمة هذه النصائح للأمهات ما يأتي :

منع أولادهن من التعرض للبرد وتدفئة الجسم لا سيما القدمين

منع أولادهن من التردد على الأماكن المزدحمة كالملاهى ودور السينما

ملاحظة حالة معدة الولد لكى تبقى دائما منتظمة

الاقتصار فى الرياضة البدنية على ما كان لطيفاً وغير شاق

جعل الولد ينام المدة الكافية لأخذ القسط اللازم له من الراحة

العناية بغذائه واجتناب اجهاد المعدة

عدم مخالطة المصابين

حرير لا يتجعد

من الاحلام التى يتعلل بها أصحاب مصانع النسيج فى أوربا واميركا انتاج نوع من الحرير لا يتجعد، لأن ذلك يوفر على السيدة كثيراً من نفقات غسل الثياب الحريرية وكيها . وقد جاءت الانباء الآن بأن احدى شركات النسيج الانجليزية قد تمكنت أخيراً من انتاج هذا النوع من الحرير، والمظنون أن السيدات سيقبلن عليه اقبالا عظيما، لانه فضلا عن نعومته وجمال لونه يمتاز بمتانته وبعدم تجعده على أية حال

مرض السكر

هو من الامراض الكثيرة الانتشار . وكان المعروف حتى الآن أنه من الأمراض التى تصيب الكبار فقط، ولكن الاختبار قد أثبت ان هنالك أحداثاً أيضاً يصابون بهذا المرض . ومعظم هذه الاصابات يمكن أن تزول اذا تدوركت منذ أول ظهور المرض . فعلى الأم أن تراقب حا[لة] أولادها وما قد يبدو عليهم من أعراض . و[لتعلم] أن داء السكر، مع ندرة اصابة الاولاد به، يستعصى شفاؤه اذا تقادم عهده

وعلى ذكر هذا المرض نقول ان جم[يع] مباحث الأطباء قد أثبتت بوجه قاطع [أن] لاعلاج للسكر غير الحقن بالانسولين، وان جم[يع] الاعشاب والنباتات التى يعلن عنها البعض لا تنف[ع] المصابين بهذا الداء على الاطلاق

معالجة الزكام

كان الاعتقاد الشائع بين العامة سابقاً أن المصاب بالزكام يجب أن يأكل جيداً، ولكن مباحث الاطباء الاخيرة تدل على أن الانقطا[ع] عن الاكل أو على الأقل تخفيف الاكل شر[ط] جوهرى للاسراع بالشفاء . وهنالك طرق كثير[ة] تتبعها العجائز فى معالجة الزكام وكلها غير مجدية ان لم نقل انها ضارة . ولا شك أن انتظام المعد[ة] والراحة التامة وعدم إجهاد قوى الجسم هي من أهم شروط عدم التعرض للزكام . والسهر يعرض معظم الاولاد الصغار لهذا الداء الذى كثيراً ما يتطور وتنشأ عنه مضاعفات خطيرة . فالواجب يقضى على الامهات بمنع أولادهن من السهر مهما تكن الدواعى لذلك

متوسط ساعات النوم

يقول أحد الاطباء الفرنسيين إن متوسط ساعات النوم يختلف باختلاف السن، ويمكن تحديده بوجه الاجمال كما يأتى :

١٤ ساعة من كل ٢٤ ساعة للاطفال الذين

تختلف اعمارهم من سنة الى ٣ سنوات

١٢ ساعة من كل ٢٤ ساعة للاولاد الذين تختلف اعمارهم من ٤ سنوات الى عشر

١٠ ساعات من كل ٢٤ للاولاد الذين تختلف اعمارهم من ١١ سنة الى ١٧ سنة

٩ ساعات من كل ٢٤ ساعة للشبان الذين تختلف اعمارهم من ١٨ سنة الى ٣٠ سنة

٨ ساعات من كل ٢٤ ساعة للرجال الذين تختلف اعمارهم من ٣٠ سنة الى ٥٠ سنة

٧ ساعات من كل ٢٤ ساعة للرجال الذين تزيد اعمارهم على خمسين سنة

صابون لمنع العث

اخترع أحد الانجليز نوعاً من الصابون اذا غسلت به الثياب الصوفية لم يقربه العث فيما بعد. والمعروف ان كل نوع من الصابون تكون عشرة فى المائة من اجزائه «كلوريد ترتفنيل كلورو بنزيل الفوسفونيوم» يكون خير علاج للعث، فان الثياب المغسولة بهذا النوع من الصابون تصبح بمأمن من الهوام على جميع انواعها

لحفظ البطاطس

اذا ارادت ربة الدار حفظ البطاطس طويلا وادخاره للشتاء مثلا، امكنها ذلك بوضع البطاطس فى موضع بعيد عن الرطوبة وفى جو تكون حرارته ٦٠ درجة بمقياس فهرنهيت فى العشرة الايام الاولى على ان تخفض تلك الحرارة إلى درجة ٤٠ بمقياس فهرنهيت. ويقول أحد أساتذة جامعة كورنيل الاميركية — وهو أحد الثقات فى شؤون الزراعة — إن السر فى حفظ البطاطس هو الاحتيال على قشره حتى لا يتشقق، لان تشققه هو سبب فساده

صيدلية البيت

العقاقير الآتية هي أهم العقاقير التى تحتاج اليها ربة الدار لمعالجة الحالات التى تطرأ على غير انتظار، وهى :

الشب (سلفات بوتاسيوم الالومينوم)
حامض البورق (أسيد بوريك)
البورق (تترابورات الصودا)
الكالوميل (كلوريد الزئبق)
الطباشير (كربونات الكلسيوم)
سلفات الحديد
الملح الانجليزى (سلفات المغنزيوم)
سلفات الصودا
ملح النوشادر (كلوريد الامونيا)
ملح الصودا (كربونات الصوديوم)
الملح (كلوريد الصوديوم)
صودا الغسيل (كربونات الصودا)
صبغة اليود — ماء الاوكسجين — الخردل — بزر الكتان — الخطمية — البابونج — الكونياك — الكينا — الاسبرين — الجليسرين — الفازلين — حامض الفينيك

هذه أهم العقاقير التى تحتاج اليها ربة الدار والتى يجب أن تكون موجودة تحت يدها لمقابلة الطوارىء التى تفاجئها على غير انتظار. وهنالك عقاقير أخرى لا يتسع المجال لذكرها ومعظمها مما لا يحسن استعماله الا بمشورة الطبيب

فى عالم الادب

عصر اسماعيل

بقلم الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى

(جزءان طبعا بمطبعة النهضة بالقاهرة .
عدد صفحاتهما ٣١٤ و ٤٠٠)

نعتقد أن أهم ما ينبغى درسه وتمحيصه واستقراؤه من وقائع التاريخ وأسبابه ومسبباته هو كل ماله صلة بحياتنا الحاضرة ، وما كان أقرب الى عصرنا أثراً وأشد ارتباطا بما نعيش فيه ونبنى عليه حياتنا فى المستقبل . ولقد كان جديراً بكاتب مطلع كالاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى أن يتناول تاريخ الحركة القومية فى مصر الحديثة . وهى أبرز حركة مصرية لها أهمية خاصة وتأثير عظيم فى مصر بل فى كثير من بلدان الشرق ، واليها يرجع التطور الكبير الذى اعتور مصر فى هذا الزمن . فتتبعها منذ منشئها ، وكشف عن أدوارها من عهد المقاومة الاهلية فى اثناء الحملة الفرنسية فى مصر الى عهد محمد على باشا الكبير حين بدأ تأسيس الدولة المصرية الحديثة ، وما تم فى ذلك العصر من تأليف القومية المصرية بفتح السودان وضمه الى حظيرة الوطن ، وما قام به من جلائل الاعمال . وقد استوعبت هذه الادوار ثلاثة أجزاء أخرجها الاستاذ عبد الرحمن بك كسلسلة تاريخية محكمة النظام الى نهاية عهد محمد على باشا.

ثم تابع جهده العظيم فى تأليف هذه السلسلة القيمة ، فأصدر أخيراً كتاب « عصر اسماعيل » فى جزءين ضخمين على وتيرة الاجزاء السابقة من العناية بالتأليف والاهتمام بجمال الطبع وحسن الرونق

ويشتمل الجزء الاول على عهد عباس باشا الاول وسعيد باشا وأوائل عهد الخديو اسماعيل ، ويحتوى الجزء الثانى على بقية عهد اسماعيل . ويضيق بنا المقام اذا اردنا أن نشرح جميع ما اشتمل عليه هذان الجزآن من بحوث وفصول . ويكفى أن نقول ان الاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك قد برهن للناس فيما أخرجه من هذه السلسلة التاريخية على أن مجهود الفرد قد يتضاعف حتى يبلغ مجهود الجماعة ، فانه لاشك أن هذا العبء الذى تصدى للقيام به فى تأليف تاريخ الحركة القومية منذ منشئها الى الآن والادوار التى مرت بها ، لايمكن أن يقوم به فرد واحد الا اذا كان قد أعطى من الصبر والمثابرة وقوة القريحة وسعة الاطلاع ما لمؤلف تاريخ الحركة القومية وعصر اسماعيل . فقد عرف الاستاذ عبد الرحمن بك بذلك كله . ولاجل هذا لم يكن من الغريب ان يخرج من هذه السلسلة التاريخية ما أخرجه من اجزاء ضخمة متتابعة يقنعك الاطلاع على كل جزء منها أنه جدير بالاقتناء وأن صاحبه حقيق بالثناء

على طريق الهند

للاستاذ جميل عبد الوهاب المحامي

(طبع بمطبعة الاهالي ببغداد . صفحاته ٢١٠)

موضوع هذا الكتاب سياسي جغرافي يتناول مصالح بريطانيا في العراق وكيفية نشوئها ودرجة أهميتها . وقد قسم المؤلف كتابه الى أربعة أقسام : الاول خاص بأهمية الخليج الفارسي وتاريخه وعلاقة بريطانيا الاولى بالبلاد المحيطة به، وعلاقة وادي الفرات بذلك ، والقسم الثاني يبحث في مطامع المانيا الاستعمارية في الشرق الادنى وفي مشروع سكة حديد بغداد وموقف انجلترا تجاه هذا المشروع . والقسم الثالث يتناول مصالح بريطانيا الاقتصادية في العراق . أما القسم الرابع فيتناول تطور الموقف السياسي في الشرق الاوسط والادنى بعد الحرب العامة

وقد استقى المؤلف مواد البحث من الكتب الموثوق بها والمستندات الرسمية . وفي مقدمتها المستندات البريطانية عن أصل الحرب الكبرى والمستندات الالمانية المحتوية على أوراق وزارة الخارجية الالمانية من قيام الامبراطورية الى سقوطها ومن الأوراق البرلمانية ومطبوعات الحكومة البريطانية ، وغير ذلك من الوثائق والمستندات

ولا شك أن المطلع على هذا الكتاب ستنجلي امامه صفحات من سياسة بريطانيا في العراق والسياسة الاستعمارية في الشرق الادنى

استحالة المعية بالذات

وما يضاهيها من متشابه الصفات

تأليف الشيخ محمد الخضر بن مايابي الجكني

(طبع بالمطبعة المحمودية التجارية الكبرى بمصر . صفحاته ٤١٤)

يحتوي هذا الكتاب على بيان واف لمعاني الآيات القرآنية والاحاديث النبوية المتشابهة التي زاغت فيها عقائد كثير من الناس بأوضح بيان ، فكشفت استحالة اتصاف الله بشيء من صفات الحوادث كأن يكون جسماً أو جوهراً أو عرضاً أو حالا في جهة من الجهات الست أو جالساً على العرش الى غير ذلك مما هو مذكور في المتشابهات مؤيداً بنصوص جميع أئمة الدين الاسلامي المجتهدين

وقد قام بتأليفه الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ونهض بتصحيحه أخوه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المدرس بالكلية الاسلامية بالأزهر الشريف ، وقد طبع على ورق جيد وغلف بغلاف جميل

القوميات

نظمه حسن حفار

(طبع بمطبعة اللواء بطرابلس الشام . صفحاته ٦٠)

هو ديوان طريف لشاعر شاب يستحق التشجيع . ولقد تصفحناه فوجدنا فيه من القصائد والمقطوعات مايبشر بما سوف يبلغه هذا الشاعر من مستقبل حسن . ويحتوي هذا الديوان على كثير من الموضوعات المختلفة التي عني الشاعر باجادة نظمها مثل : الاسبان تحيي العرب ،

واستقلال العراق ، ونهضة الشام ، ومعارضة عمرو ابن كلثوم ، والليلة الغراء ، وسوق عكاظ ، وغير ذلك من القصائد العامرة . فنهنيء الشاعر الشاب ونرجو له فى دولة الشعر والأدب مستقبلا حسنا

ملكات العقل الباطن

بقلم الاستاذ وليم سرجيوس المحامى

(طبع بالمطبعة المصرية الاهلية بمصر . صفحاته ١٠٠)

يبحث هذا الكتاب فى نواح متعددة من علم النفس ، ويتناول موضوع العقل الباطن وقد تكلم عنه فى غير فصل واحد . واحتوى الكتاب على فصول ممتعة يشتاق كل قارىء الى الاطلاع عليها ، كأعاجيب حب العقل الباطن وأسرار النبوغ ومظاهره ، ودرجات العقل ، وموطن العقل الباطن ، وملكاته والنفس الخالدة وقد كتبت كل هذه الموضوعات بأسلوب تحليلى سلس

ديوان فرحات

نظم الاستاذ الياس حبيب فرحات

(طبع بمطبعة مجلة الشرق بسان باولو . صفحاته ٢٨٦)

طالما كانت شهرة بعض الشعراء جناية على شعراء مجيدين واخمالا لادباء نابهين . وقد منينا فى وقتنا الحاضر بتحكيم الشهرة فى أقدار الشعراء والادباء . فعند الناس الآن أو كثير منهم أن الشاعر المشهور الذى تردد الصحف اسمه هو الشاعر الكبير والشاعر المجيد والشاعر العبقرى الى غير ذلك من الأوصاف التى تخلعها الصحف على الشاعر المعروف . أما غيره من الشعراء الآخرين فمهما بلغوا من السمو والاجادة فلن ينالوا من الاستحسان وأوصاف الثناء ربع ماناله الشاعر الذى يتكرر اسمه على صفحات الجرائد

نسوق هذه المقدمة لنقول ان صاحب هذا الديوان غير معروف الا من القليلين فى هذا القطر وشهرته لاتكاد تتجاوز المهجر فى البرازيل . ولكنه شاعر مجيد ، وحسبك أن تتصفح ديوانه لترى صدق هذا الوصف ، ولتعرف كم تكون الشهرة لبعض الشعراء جناية على البعض الآخر . ولقد أعجبنا من هذا الشاعر ذلك الفيض الذى بدا فى ديوانه وتناول من مظاهر الحياة وجمال الطبيعة اغراضاً سامية ونواحى متعددة فيها كثير من البراعة والتجديد

علم الاقتصاد

تأليف الاستاذ عبد القادر المظم

(طبع بمطبعة الجامعة السورية بدمشق صفحاته ٢٤٥)

فاتنا فى أعداد ماضية أن نتحدث للقراء عن هذا المؤلف السمين الذى دبجته يراعة الاستاذ عبد القادر المظم رئيس معهد الحقوق العربى بدمشق . فهو مؤلف يعرف قدره كل من درس علم الاقتصاد وعالج بحوثه الهامة . فهو علم من ألصق العلوم بالحياة الاجتماعية ، لانه يدرس علاقات الناس بعضهم ببعض فيما يختص بلوازم معاشهم . وغاية البحث عن راحة الفرد وسعادة الجماعة

ومن أجل هذا كان كتاب « علم الاقتصاد » الذى قام بتأليفه الاستاذ عبد القادر المظم من الكتب الهامة التى تستحق المطالعة والدرس ،

خصوصاً للذين يشتغلون بالمسائل الاقتصادية

وقد قسمه الى ثلاثة أقسام . كل قسم منها يشمل عدة بحوث وفصول تتعلق بهذا العلم . منها البحث فى موضوع علم الاقتصاد وأقسامه ، والحاجات ،وصفات الحاجة ، والارزاق والمنفعة ، والحادثات الاقتصادية ، وعلاقة الاقتصاد بالعلوم الاخرى ، وتاريخ علم الاقتصاد ، والقوانين الاقتصادية ، الى ما سوى ذلك من الموضوعات . وقد وضع الكتاب فى اسلوب دراسى سهل ،وطبع فى ثوب قشيب

ابو نواس

تأليف عمر فروخ

(طبع بمطبعة الكشاف ببيروت
صفحاته ٥٥ من القطع الصغير)

تقوم مكتبة الكشاف بنشر سلسلة تحتوى على دراسات أدبية لبعض الشعراء والأدباء المشهورين ، وستكون هذه السلسلة ذات حلقات تحتوى كل حلقة منها على قسمين مستقلين : الاول يشمل دراسة تحليلية لحياة الشاعر أو الكاتب ، والثانى يضم مختارات منقودة محللة من آثاره . أما الشعراء والادباء المقلون فيكتفى لهم بقسم واحد

وقد أرادت المكتبة أن تضع هذه الحلقات بين أيدى الناشئة لتكون لهم بمثابة النبراس الذى يكشف لهم ما غمض عنهم وما جهلوه من حياة الشعراء والكتاب . وبدأت هذه الحلقات بدراسة أبى نواس ونقد شعره واستقراء أخباره بقلم الأستاذ عمر فروخ أستاذ الأدب العربى فى كلية المقاصد الاسلامية ببيروت . وقد تكلم فى فصول أربعة عن ترجمة أبى نواس وشعره ، ودراسة ديوانه ونقده ، وغير ذلك مما يتعلق بتلك الدراسة النافعة التى لا نشك فى أن الناشئة سيجدون فيها فائدة ومتعة

المحاسن الخطية

(أو سفر الفن والحكمة)

بقلم الخطاط المصرى الأستاذ محمد مرتضى

(طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . صفحاته ٨٩)

كان — وما زال — حسن الخط آية على سمو الذوق وجمال الطبع . وقد عنى به الاقدمون وظهر بينهم أفذاذ من الكتاب البارعين كابن مقلة الذى ذاع صيته وضرب به المثل فى حسن الخط . وقد تقدم فن الخط فى عهد المماليك فى مصر تقدماً عظيما وتغالى الملوك فى اقتناء التحف الخطية وتزيين القصور والمساجد بها ،وقد حفظت لنا دور الآثار والكتب عدة تحف خطية مازال مثار الاعجاب وتدل على ما كان للمصريين فى ذلك العهد من براعة وعناية بهذا الفن الجميل . ثم دارت الايام وعنى الاتراك اكثر من المصريين بالخط وبرعوا فيه براعة فائقة . ولكن المصريين فى النهضة الحديثة أرادوا أن يستردوا ما كان لهم من مكانة فى هذا الفن فظهر فيهم نخبة من مهرة الخطاطين نذكر منهم الآن صاحب هذا السفر النفيس الاستاذ محمد مرتضى فقد اشتهر بجمال خطه وبراعة براعته فى تنسيق الخطوط على اختلاف أنواعها تنسيقا بديعاً يجتذب النفس الى

الاعجاب بحسنها ومهارة كاتبها . وقدأصدر اخيراً مجموعة سمينة من الخط الجميل سماها « المحاسن الخطية » هي بحق سفر من الفن والحكمة جمع فيه بين بارع الخطوط وروائع الحكم فكل صفحة منه تشتمل على آية شريفة أوحديث نبوى كريم، أو عظة بالغة أو بيت أو أبيات من الشعر ، أو فقرات من مأثور الكلام ،فوضع كل ذلك وضعاً جميلا ورسمه بقلمه رسما جذاباً لايسع كل من يطلع عليه الا أن يحكم بأن راسمه فنان بارع وان هذا الرسم وهذه المجموعة تحفة فنية نفيسة جديرة بالاقتناء

ذكرى شوقي

للدكتور على العناني

(طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة . صفحاته ٣٠)

هذه كلمة دراسية بليغة دبجتها براعة العالم المفضال الدكتور على العناني والقراء يعرفون هذا العالم المفضال بجهوده وآثاره العلمية والادبية ،وقد كان صديقاً للمرحوم شوقي بك أمير الشعراء ، فرأى من الوفاء له ومن واجب الادب العربي عليه أن يجمع هذه الكلمات التي كتبها في صحف ومجلات مختلفة والقى بعضها في بعض الحفلات التي اقيمت لتأبين المرحوم شوقي بك . وقد تناول فيها كثيراً من النواحي التي تتعلق بذكرى هذا الشاعر الكبير وقدمها بكلمة مؤثرة في تأبينه . وكل من يتصفح هذه « الذكرى » يجد فيها طرافة وجدة ، فقد كتبت باسلوب ادبي علمي حديث ، ومهد لها الدكتور العناني بمقدمة فلسفية في الحياة والموت والنفس الانسانية ، ثم انتقل منها الى نفس شوقي والحزن عليه وتأبينه وشاعرية شوقي والشاعرية وعناصرها والصور المختلفة في شاعرية شوقي وشاعريته في الحكم وشاعريته في الفلسفة وثقافته ، الى آخر ماحوته هذه الذكرى من بحوث طريفة يستفيد منها كل متأدب واديب ، وقد طبعتها (رابطة الادب الجديد) طبعا أنيقا يليق بقيمة واضعها وقدره

وثائق تاريخية

للاستاذ موسى كريم

(طبع بمطبعة هداية الشرق بسان باولو بالبرازيل - صفحاته ١٤٤)

ليس للتاريخ فائدة اذا لم يتعظ الانسان بعظاته ويعتبر بعبره . وهذه الوثائق التاريخية قد تضمنت من العبر والعظات ما يرشد ويفيد . وهي على صغر حجمها قد حوت كثيراً من أخبار نابليون ونوادره وما كان يصادفه أثناء حروبه من فكاهات وغراميات . كما حوت غير قليل من نوادر الامراء وطرائف الملوك السابقين بحيث أن كل من يقرأها يجد فيها فضلا عن الفائدة التاريخية لذة ومتعة

ومن الطرائف التي حواها هذا الكتيب التاريخي ماجاء فيه عن الملك هنرى الرابع ملك فرنسا ، فقد حدث أنه « لما وصل هنرى الرابع ملك فرنسا من سياحته في مدينة امبان، عزم على البقاء فيها ساعة للراحة . ولم يكد يعرف الناس وصوله حتى الفوا وفداً لتحيته ووقف الوفد في حضرته وأخذ أحدهم يخطب قائلا :

« أيها الملك العظيم ، الصالح ، الغفور ،

الكريم ... » فقاطعه هنري الرابع قائلا : «وأضف الى هذه الصفات : المنهوك القوى ... » !

المرافعة

تأليف الاستاذ حسن الجداوى

وكيل النائب العمومي

(طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . صفحاته ١٤٤)

أصدر الاستاذ حسن الجداوى وكيل النائب العمومى هذا الكتاب ، وهو بحث فى أساليب المرافعة وتاريخها وحقوق المترافعين وواجباتهم . ولا نرى خيراً مما قرظه به الدكتور محمد كامل مرسى بك عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية ، فقد قال فى المقدمة التى وضعها لهذا الكتاب :

« عالج المؤلف فى هذا الكتاب فرعاً من أهم فروع « الفن القانونى » ، وهو المرافعة التى ينهض بأعبائها رجال المحاماة من جانب وأعضاء النيابة العمومية من جانب آخر . وبديهى أنه فى مثل هذا الحيز المحدود لا يستطيع مؤلف أن يحيط بكل ما يستلزمه هذا البحث من شرح زاخر لاصول الكلام وبراعة الجدل وجيد المنطق وفتنة البيان ، ولا أن يستوعب بين دفتيه كل القواعد التى هدتنا الى استنباطها تجاريب العصور الغابرة والحاضرة ، ولا أن يسجل فى صفحاته المعدودة أروع ماروى عن نوابغ رجال القانون فى هذا الميدان . ولكن مؤلفنا أتى لنا برغم ذلك فى هذا البحث الوجيز بطائفة صالحة وافية من هذه القواعد ودعمها بمقتطفات شهية لاساطين المرافعة فى أمم مختلفة تزيد هذه القواعد المرسلة وضوحاً وتبعث فيها الحياة . وأضاف اليها فى تواضع محمود بعض تجاربه الشخصية كما خص البيئة المصرية بقسط وافر من هذه المقتطفات ، مما جعل الاحكام العامة التى أزجاها فى بداية بحوثه أقرب منالا وأحسن قبولا . وبعد .. فيسرنى فى هذه الكلمة أن أثنى ثناء جماً على هذا المجهود الموفق طالباً الى مؤلفه الفاضل المزيد منه ، ففيه نفع محقق وهداية قيمة لكل من يضطلع بأعباء المرافعة فى المحاكم المصرية »

مطبوعات أخرى

— « الانشاء التعليمى » تأليف الاستاذ محمد شفيق معروف والاستاذ محمد عبد الغنى الاشقر المدرسين بالمدارس الاميرية المصرية . وضع وفقاً لاحدث منهج قررته وزارة المعارف العمومية للمدارس الاولية والابتدائية . طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة ، صفحاته ٢٧٧

— « غرازيلا » تأليف لامرتين . وقد قام بترجمتها ترجمة بليغة الاستاذ لاسكندر كرباج . وعنيت بنشرها مجلة الشرق لصاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم بسان باولو بالبرازيل ، صفحاتها ١٢٨

— « الاناشيد الوطنية » تأليف الاستاذ عبد القادر السيد ناظر مدرسة سعد زغلول البحرية سابقا . طبعت بمطبعة الجهاد بالاسكندرية ، صفحاتها ٣٥

بين الهلال وقرائه

وزن الارض

(الحصن ـ شرق الاردن) ذيب غنما

قرأت فى العدد ٣٢١ من مجلة «كل شىء» أن الدكتور بول هيل قضى ست سنوات محاولا وزن الكرة الأرضية فوجد انه يعادل الرقم ٦٥٩٢ والى يمينه ١٨ صفراً من الاطنان. فهل هذا صحيح؟ وما هى الطريقة التى يستطيع بها العلماء وزن الارض؟

(الهلال) قام علماء كثيرون بوزن الارض فنجحوا فى ذلك نجاحا يذكر. ولعل أدق تقدير وصلوا اليه هو تقدير الاستاذ «بوينتنج» من علماء برمنهام والاستاذ فرنان بويز من علماء جامعة اكسفورد، وقد استعمل كلاهما لهذا الغرض آلات دقيقة جدا يصعب شرحها على صفحات هذه المجلة

وقد جرى العلماء فى وزن الكرة الارضية على طرق مختلفة ادقها الطريقة الآتية:

من المعلوم ان ثقل اية مادة هو مقدار جاذبية الارض لتلك المادة، وجميع المواد تجذب بعضها بعضا وفى وسعنا ان نقيس قوة جذبها. فاذا اخذنا كرة صغيرة من الفلين مثلا وكرة اكبر منها من الرصاص امكننا بطريقة علمية دقيقة لايتسنى لنا شرحها هنا ان نقيس مقدار جذب كل منهما للأخرى. ولا حاجة الى القول ان الكرة الكبرى اقوى جذباً من الكرة الصغرى، ثم أن مقدار جاذبية الارض للكرة الصغرى (اى ثقل الكرة الصغرى) هو أضعاف مقدار جاذبية كرة الرصاص لكرة الفلين، أى أن الارض هى أثقل من كرة الرصاص بعدد تلك الأضعاف، فاذا عرفت وزن كرة الرصاص فاضربه فى عدد تلك الأضعاف يكن لك وزن الكرة الارضية

وهنالك طريقة أخرى أبسط من هذه ولكنها لاتعادلها فى الدقة، وهى أن تجد حجم الكرة الأرضية (بمقتضى قواعد هندسة الاجسام أو الهندسة الفراغية) ثم تأخذ كرة صغيرة من مادة نسبة كثافتها الى كثافة الماء ٥،٥٢ وتقيس حجمها وتجد النسبة بين هذا الحجم وحجم الكرة الارضية، ثم تضرب هذه النسبة فى ثقل الكرة الصغيرة فيكون لك من ذلك ثقل الكرة الأرضية

ولا يخفى أن متوسط كثافة الكرة الأرضية هو ٥،٥٢ أضعاف كثافة الماء. على أن الطريقة الثانية لوزن الكرة ليست دقيقة كالاولى

تقسيم السنة الى اثني عشر شهراً

(ايبتنيكا ـ البرازيل) نعمة مترى

هل تقسيم السنة الى اثنى عشر شهراً قديم؟

(الهلال) لم تكن السنة مقسمة دائما

الى اثنى عشر شهراً فقد كانت بحسب تقويم روملس الذى أسس مدينة روما مثلا عشرة أشهر وعدد أيام كل شهر ثلاثين يوماً تماماً وظل هذا التقويم كذلك الى عهد الامبراطور نوما الذى جعل عدد أشهر السنة اثنى عشر. وكان عدد الاشهر عند اليهود اثنى عشر. وهنالك أدلة قاطعة على أن السنة عند المصريين القدماء كانت مقسمة الى اثنى عشر شهراً، ولكن كل شهر عندهم كان ثلاثين يوماً، وفى آخر السنة كانوا يضيفون خمسة أيام الى السنة لتكمل عدد أيامها. وكانوا يسمون تلك الايام الخمسة « أيام السنة الاضافية »

ولا شك أن تقسيم السنة فى الاصل الى اثنى عشر شهراً كان مبنياً على القمر، أى أن الاقدمين كانوا يشهدون كل عام اثنى عشر بدراً أو قمراً كاملا. وبمرور الزمن طرأ تغيير على حساب أيام الشهر لاسباب لا يتسع هذا المجال لذكرها. وهذا هو سبب اختلاف التقاويم عند الامم

سبب الحول

(ايتينكا ـ البرازيل) ومنه

ماهو سبب الحول فى بعض العيون؟

« الهلال » ان حدقة العين مربوطة باربع عضلات تحركها الى الجهات المختلفة، وكل عضلة منها تجذبها الى جهة. وقد يتفق أحيانا أن تكون إحدى تلك العضلات ضعيفة فتجذب العضلة المقابلة لها حدقة العين الى جهتها اكثر مما يجب فتفقد الحدقة توازنها وتخرج عن موضعها وينشأ الحول. وكثيراً مايشفى الحول بعملية جراحية بسيطة

الراديوم والسرطان

(بغداد ـ العراق) عمر الخالدى

هل ثبتت فائدة الراديوم فى معالجة السرطان؟

« الهلال » الراديوم هو العلاج الوحيد المعروف عند الاطباء لداء السرطان، وهو ذو أثر محسوس فى معالجة هذا الداء اذا كان مايزال فى طوره الاول، أما اذا تمكن من الجسم فالارجح أن الراديوم لا يشفيه، وعلى كل فان هذا العلاج مايزال فى أدواره التجريبية

ولا يخفى أن أشعة الراديوم تؤثر فى جميع الاجسام الحية وتتلف الانسجة الخلوية، واذا تعرض لها الجسم طويلا فقد تحرقه حرقاً خطيراً وكذلك تقتل تلك الاشعة جراثيم بعض الامراض. ومايزال الاطباء يوالون التجارب للانتفاع بهذا العنصر النادر

والارجح أنه اذا اكتشف العلماء سبب السرطان الحقيقى وهل هو ناتج عن ميكروب أم عن سبب آخر سهلت عليهم معالجته

البحر الميت

(جنين ـ فلسطين) حنا سلامه

قرأت فى كتاب أن مياه نهر الاردن تصب فى البحر الميت وتتبخر كلها بسرعة بحيث لا يزيد هذا البحر ولا ينقص. فهل هذا صحيح؟

« الهلال » البحر الميت (وله أسماء أخرى كثيرة) هو بحر صغير فى أعمق جزء من الغور الممتد من خليج العقبة الى الحولة. طوله

نحو ستة وأربعين ميلا وأقصى عرضه عشرة أميال ونصف ميل ومساحته نحو ثلثمائة ميل مربع ومعظم عمقه ١٣١٠ أقدام . وقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس للمرحوم جورج بوست (الجزء الاول الصفحة ٢١٥) ما يأتى:

« وينصب فيه (أى فى البحر الميت) كل يوم ستة ملايين طن ماء . ويتبخر كله اذ لا مخرج لهذه البحيرة »

سك النقود

(جنين ـ فلسطين) ومنه

متى بدىء بسك النقود المعدنية؟

﴿ الهلال ﴾ بدىء بسكها على الارجح فى القرن الثامن قبل الميلاد . ويقال إن أول نقود ذهبية تداولها الناس هى النقود التى أمر قارون ملك ليديا بسكها ، وكان الناس قبل ذلك التاريخ يبيعون ويشترون على طريق المقايضة أى بتبادل السلع

الحروب الدينية

(جنين ـ فلسطين) ومنه

لماذا اصطبغت حروب العرب عند الاسلام بالصبغة الدينية ؟

﴿ الهلال ﴾ لان الغرض الاساسى من تلك الحروب كان نشر الاسلام ودعوة الناس الى الايمان به . وقد تحققت هذه الاغراض للذين قادوا المسلمين فى تلك الحروب

حافظ الشيرازي

(حيفا ـ فلسطين) نقولا الدر

من كان حافظ الشيرازى وهل نقل ديوانه إلى العربية أو الانجليزية ؟

﴿ الهلال ﴾ هو شمس الدين محمد الشيرازى ، ولد بشيراز فى أوائل القرن الثامن للهجرة (ولا يعرف تاريخ ولادته على وجه التحقيق) وتوفى عام ٧٩١ للهجرة (عام ١٣٨٨ للميلاد) . وكان أشعر أهل زمانه فى بلاد الفرس متضلعاً من علوم الدين حافظاً للقرآن الشريف (ولعل هذا سبب تسميته حافظاً) . إلا أنه كان سكيراً يدمن الخمر ويتغزل بها مما استوجب سخط رجال الدين عليه ، وقد قابل سخطهم بالازدراء والهجو . ونقل ديوانه إلى معظم اللغات الاوربية ، وقد نقل رباعياته الى العربية الدكتور احمد زكى ابو شادى

هنرى هينه

(حيفا ـ فلسطين) ومنه

من هو هنرى أو (هنريخ) هينه الاديب الالمانى وما هى أشهر مؤلفاته وهل نقل شىء منها إلى العربية أو الانجليزية ؟

﴿ الهلال ﴾ هنرى هينه شاعر وصحافى المانى معروف ولد سنة ١٧٩٧ وتوفى سنة ١٨٥٦ ، وكان من أبوين يهوديين حاولا أن يمرناه على الاشتغال بالتجارة ولكنه مال عنها إلى الأدب ، وأقام بباريس عاصمة فرنسا ردحاً من الزمن حيث جرت له أمور غرامية شحذت قريحته . وله مؤلفات كثيرة ترجم معظمها إلى الانجليزية والفرنسية وطبع منها بالانجليزية ١٣ مجلداً أهمها كتابا « هارتزرايز » و « در ليدر »

أعظم روايات شكسبير

(حيفا - فلسطين) ومنه

ما هى أعظم روايات شكسبير من وجهة الأدب والفن الروائى ؟

﴿ الهلال ﴾ ذهب معظم النقاد إلى أنها رواية « هملت » ، وفضل بعضهم عليها روايتى « مكبث » و « يوليوس قيصر » والمجال لا يتسع للمفاضلة بين تلك الروايات

الموشحات الاندلسية

(حيفا - فلسطين) ومنه

هل جمعت الموشحات الأندلسية فى كتاب خاص ؟ وإن لم تكن قد جمعت فأين نجدها ؟

﴿ الهلال ﴾ جمعت فى كتاب خاص طبع منذ نحو خمسين سنة فى المطبعة الأدبية ببيروت، ولعلكم تجدونه إذا طلبتموه من إحدى مكتبات بيروت

لغة المسيح

(حيفا - فلسطين) ومنه

بأية لغة تكلم المسيح ؟ وهل كلمة يسوع عبرانية؟ ولماذا لا يستعمل اليهود اليوم هذا الاسم؟

﴿ الهلال ﴾ كان المسيح يتكلم على الارجح العبرانية والارامية . ومعنى كلمة يسوع « مخلص » وهو فى العبرانية « يشوع » ولا يزال اليهود يستعملون هذا الاسم حتى الآن

دون جوان

(حيفا - فلسطين) ومنه

من هو دون جوان وما تاريخه ؟ فانا نقرأ إشارات كثيرة اليه فى الكتب والصحف

﴿ الهلال ﴾ دون جوان هو شخصية خيالية ظهر أولا فى رواية أسبانية ثم اتخذه الكثيرون من الكتاب الاوربيين بطلا لروايات مختلفة فى خلال الثلاثة القرون الماضية. وهذه الشخصية هى رمز إلى الرجل المعتد بنفسه وبصفات قد لا تكون متوافرة فيه من جمال وخلق وشجاعة وإقدام ومروءة وما إلى ذلك

دورة الارض

(الموصل - العراق) ك . ش

قرأت فى إحدى المجلات أن بعض علماء الاقدمين كانوا يعرفون أن الارض تدور. فهل هذا صحيح ؟ ومن من أولئك العلماء عرف هذه الحقيقة ؟

﴿ الهلال ﴾ لا شك أن بعض فلاسفة اليونان الاقدمين عرفوا أن الارض تدور ولكنهم لم يستطيعوا تعليل تلك الدورة أو اثباتها ، وأقوال بيثاغوراس الفيلسوف اليونانى تدل على رسوخ هذا الاعتقاد فى نفسه ، ولكنه لم يستطع شرح هذه النظرية بجلاء . وأول من اكتشف دورة الارض كوبرنيكوس الفلكى المشهور وقد أعلن اكتشافه سنة ١٥٤٣ للميلاد

دورة الشمس

(الموصل - العراق) ومنه

إذا كانت الارض تدور حول الشمس فهل معنى ذلك أن الشمس ثابتة أم هى تدور مع الارض ؟ وما الدليل على ثبوتها أو دورتها؟

﴿ الهلال ﴾ من طبيعة الأجرام العلوية كلها أنها تدور فى الفضاء . وما من جرم فلكى يقف ثابتاً فى مركزه بلا حراك . والشمس ـ كسائر تلك الاجرام ـ تدور على محورها بمعدل ثلاثة عشر ميلا فى الثانية . والدليل على دورتها حركة الكلف الشمسية فاننا إذا رصدناها وجدناها تنتقل ثم تعود الى مكانها بالنسبة الى الارض

متوسط حركة الارض

(الموصل ـ العراق) ومنه

كم هو متوسط سرعة الارض فى دورتها حول الشمس ؟

﴿ الهلال ﴾ يبلغ متوسط تلك السرعة نحو ثمانية عشر ميلا ونصف ميل فى الثانية أو نحو ستة عشر مليون ميل فى اليوم

تعقيم الماء

(بيروت ـ سوريا) أسعد صاف

هل يكفى أن نغلى الماء ليصبح معقماً ؟

﴿ الهلال ﴾ إن غلى الماء يقتل معظم ما فيه من جراثيم ولكنه لا يزيل الاقذار التى قد تكون موجودة فيه . ولما كان الخطر من الجراثيم أشد بكثير من الخطر من الاقذار جاز أن نعتبر الماء المغلى معقماً

عمر الارض

(بيروت سوريا) ومنه

ما هى الطريقة التى يقيس بها العلماء عمر الارض ؟

﴿ الهلال ﴾ يعتمد العلماء فى ذلك على بعض العناصر كعنصر الاورانيوم مثلا ، فهذا العنصر تنفجر جواهره الفردية على الدوام فينشأ منها جواهر عنصر الرصاص . والعلماء يعرفون نسبة الجواهر التى تنفجر كل ثانية وكل ساعة وكل قرن . فاذا وجدنا فى طبقة من الارض كمية من الاورانيوم والى جانبها كمية من الرصاص عرفنا أن العنصر الثانى إنما نشأ عن العنصر الاول وأمكننا إذ ذاك أن نعرف الزمن الذى استغرقه نشوء الرصاص من الاورانيوم . وباستعمال هذه الطريقة مع عناصر أخرى من عناصر الكرة الارضية توصل العلماء إلى تحديد عمر الارض بوجه التقريب وهو نحو عشرة آلاف مليون سنة

سد الاسكندر المقدونى

حضرة محرر « الهلال »

وردت فى هلال يونيو سنة ١٩٣٢ كلمة عن سد الاسكندر وأين هو وكيف كان ، وقد كتب كثيرون عن هذا السد وذكر فى القرآن الشريف وتغنى بوصفه كثيرون من الشعراء منهم الشاعر المشهور أمين الجندى الحمصى إذ يقول فى قصيدته الغراء التى يمدح بها الفاتح ابراهيم باشا المصرى واصفاً بسالته عند افتتاحه حصون عكاء :

لو شام حر لهيبها اسكندر
لاندك محكم سده وتفصلا

لكن كل ما ورد بهذا الشأن حسبما أرى غير حقيقى . فسد الاسكندر المقدونى تاريخه هكذا :

عند ماغزا الاسكندر سورية بعد انتصاره على الفرس فى موقعة اسس الشهيرة قرب خليج الاسكندرونة تقدم لافتتاح « صور » عاصمة الفينيقيين فرفض سكانها الأشداء دخوله مدينتهم لتحالفهم مع الفرس. فشق على الاسكندر هذا الأمر، وخصوصاً أن صور كانت جزيرة تبعد عن البر نحو نصف ميل، ولم يكن لدى الاسكندر عمارة بحرية قوية تمكنه من مهاجمة صور ومحاصرتها. وقد كانت صور القديمة العهد التى بنيت قبل المسيح بنحو ٢٨٠٠ سنة واقعة فى البر. ونظراً لان الأمم المحيطة بها من الكنعانيين والحيثيين وخلافهما كانت تضايقها من حين لآخر، فقد تراءى وقتئذ لاهالى صور أن الانسب لهم أن ينقلوا مدينتهم الى الجزيرتين اللتين كانتا أمامها. فنقلوها بعد ما وصلوهما بعضهما وبنوا مدينتهم الجديدة عليهما، ولقد تقدمت وعظمت وكانت ذات مجد وتجارة واسعة. فعند ما قدم اليها الاسكندر وجد أن افتتاحها متعذر لديه وهى محاطة بأسوار منيعة يبلغ ارتفاعها من جانب البر نحو ١٥٠ قدماً. ولم يكن لدى الاسكندر آنئذ عمارة بحرية قوية كما أسلفنا، وكان الفينيقيون فى ذاك الحين أسياد البحار فأمر جنوده أن ينقلوا من أنقاض صور القديمة ويرموا فى البحر حتى عمل سداً عرضه ٢٠٠ قدم واتصل بها. وقد استغرق ذلك سبعة أشهر، وعند انتهائه من بناء السد هاجم صور بجنوده، وقد حاربه سكانها الفينيقيون البواسل ودافعوا عنها دفاعاً مستميتاً خلد لهم ذكراً مجيداً كما فعل أبناؤهم فى حصار قرطجنة الثانى مع الرومان. وأخيراً تغلب عليهم الاسكندر وخرب مدينتهم بعد ما قتل من سكانها ٨٠٠٠ نفس وأعدم ٢٠٠٠ وباع نحو ٣٠ الفاً منهم عبيداً لشدة غيظه من مقاومتهم له.. وكان ذلك سنة ٣٣٢ قبل المسيح

وقد بقى ذكر هذا العمل العظيم تتداوله الألسنة من سنة لأخرى لاسيما وأن الاسكندر كان يحسب فى نظر الشعوب لمدة ٣٠٠ سنة من تاريخ وفاته أنه ابن السماء. ومع توالى الزمن كانت الرمال تهب وتتجمع على جانبى السد حتى أصبحت صور أخيراً شبه جزيرة كما تشاهد الآن. وقد أتيت بهذه الفذلكة بياناً للتاريخ وخدمة للحقيقة، وإذا رغب أحد قراءة شىء عن هذا السد وما عمله الاسكندر فليراجع ما ورد عنه فى الانسكلوبيدية الانكليزية الطبعة الرابعة عشرة المجلد الثانى والعشرين صفحة ٦٥٣، أو « النهج القويم فى التاريخ القديم » للمرحوم هارفى بورتر أحد أساتذة الجامعة الاميركية فى بيروت اسكندر حداد

أيام الخليقة

حضرة محرر « الهلال »

سلاماً واحتراماً. اطلعت فى عدد مجلتكم الغراء الذى صدر فى أول يناير الماضى بالصحيفة ٤١٦ على سؤال وجه اليكم خاصاً بما ذكر فى

سفر التكوين عن أيام الخليقة . وقد ذكرتم فى الجواب على هذا السؤال أنه اذا أخذت رواية سفر التكوين بمعناها الحرفى كان الخلاف بينها وبين النظريات العلمية الحديثة كبيراً، واذا أخذت بالمعنى المجازى أى باعتبار اليوم عصراً جيولوجياً كان التطابق بين رواية سفر التكوين والنظريات العلمية كاملا ومدهشاً . ويسرنى هنا أن أرسل لكم كأحد رجال الدين رأيى الضعيف فى هذا الامر . وهذا الرأى أن الادلة الكتابية تقف بجانب الرأى الثانى - وهو أخذ كلمة اليوم على المعنى المجازى - بأ كثر مما تقف بجانب الرأى الاول

والبرهان الأول على ذلك هو أن الوحى الآلهى جاء على ذكر اليوم فى الخليقة فى الوقت الذى لم تكن فيه الشمس قد خلقت وتحدد اليوم بمعناه المعروف . فالكتاب يقول إن الله فى اليوم الرابع قال : « لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين » (١) واذن فاليوم حسب معناه المعروف كان غير اليوم الذى اصطلح عليه في تاريخ عصور الخليقة حيث إنه بحسب رواية سفر التكوين لم يتم تحديد الايام والاوقات إلا فى العصر الرابع من عصور الخليقة

(١) تكوين ١ : ١٤

والبرهان الثانى هو أن الانسان بحسب ما جاء فى رواية التوراة - التى تؤيدها الاكتشافات الجيولوجية - لم يخلق إلا فى العصر السادس ، وعلى ذلك تكون الايام التى جاء ذكرها فى رواية الخليقة هى أيام بحسب اعتبار الله للوقت لا اعتبار الانسان الذى لم يكن قد وجد بعد . واذا رجعنا الى التوراة وجدنا أن اليوم بحسب اعتبار الله لا يحد بوقت اليوم المعروف لنا نحن البشر ولكنه بعيد المدى . وهاك ما قاله القديس بطرس الرسول فى هذا : « إن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد » (١) وهذا معناه ان اليوم فى نظر الله شىء لا يحد مداه ، وكما قلنا إن أيام الخليقة إنما كانت بحسب اعتبار الله لا الانسان وعلى ذلك يكون من الجائز جداً اعتبار اليوم عصراً كاملا

هذا رأينا ويهمنا ان نذكر هنا اننا لا نجزم بهذا الرأى جزماً وإنما نحن نغلب الرأى فيه تغليبا ، تحرضنا على ذلك عقيدتنا بان العلم والدين حليفان لا تناقض بينهما

وتفضلوا بقبول احتراماتنا

القمص ابرهيم لوقا
راعي الكنيسة القبطية بمصر الجديدة
وصاحب مجلة اليقظة

(١) ٢ بطرس ٣ : ٨

من هنا وهنا

احصاءات غريبة

الامريكيون مغرمون بالاحصاءات من جميع الانواع . وقد قرأنا فى احدى المجلات أخيرا الاحصاء التالى :

الخطر من الموت فى الحمام أربعة أضعاف خطر السقوط من سلم

الخطر على الطيار من الوفاة بسبب قلبه هو سبعة عشر ضعفاً للخطر من السقوط من الطيارة

الخطر على سكان نيويورك من حوادث الاصابات فى الشوارع هو اثنا عشر ضعفاً للخطر على سكان واشنطون

الخطر على الانسان من الزكام فى نيويورك أربعة عشر ضعفاً للخطر عينه فى ضواحى تلك المدينة

نوابغ العلماء في مصر

نبغ العلماء والاطباء بمصر فى عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة ، أى منذ ٦ آلاف سنة

للتغلب على الزمن

فى سنة ١٩٢٣ حدثت فى اليابان زلزلة أتلفت مدنا كثيرة وأهلكت ألوفا من الارواح . وقد عزمت الحكومة اليابانية على تخليد أسماء جميع الذين هلكوا يومئذ بتلك الزلزلة فالفت لجنة لهذا الغرض . وقد قررت هذه اللجنة تسجيل تلك الاسماء فى درج ورق من افضل انواع الورق اليابانى وبالحبر الصينى ، على أن يودع هذا الدرج فى صندوق مصنوع من أفضل انواع حجر الكوارتز البرازيلى المتبلور . ويقدر العلماء اليابانيون أن هذا الاثر سيعيش عشرة آلاف سنة على الاقل دون ان يصاب بعطب

للتغلب على الارق

ابتكر احد الاطباء الهنود رسما هو عبارة عن خطوط كثيرة التعاريج تشبه دهاليز اللابرنت ، اذا تتبعها المضطجع على السرير لا يلبث ان يستولى عليه النعاس ولو كان مصابا بالارق . ويقول فريق من الاطباء الذين فحصوا هذا الرسم إنه من احسن وسائل معالجة الارق التى عرفوها

مصباح جديد

ابتكرت شركة الكهرباء العامة الامريكية نوعاً جديدا من المصابيح الكهربائية ينار من تلقاء ذاته (اى بطريقة اوتوماتيكية) عند اقبال الظلام ، وقد عرضت الشركة هذا المصباح على جمهور كبير من المهندسين الكهربائيين فاعجبوا به

مصدر جديد للمطاط

جربت وزارة الزراعة الامريكية زراعة نباتات كثيرة لانتاج المطاط ، وآخر ماجربته شجيرة تشبه شجرة الكرم (العنب) وتدر كمية كبيرة من مادة لزجة اذا عولجت بطريقة خاصة خثرت وتحولت مادة تشبه المطاط من جميع وجوهها

صلب لايصدأ

اعلن الكثيرون من المخترعين انهم قد توصلوا الى صنع صلب (فولاذ) لايصدأ ، ولكن الاختبار اثبت ان ماصنعوه لايصلح للاستعمال . اما لانه لايجمع الشروط التي يجب ان تتوافر في مادة كهذه ، او لان سعره يحول دون استعماله على نطاق واسع . وقد جاءت الانباء الآن بأن شركة انجرسول للصلب بمدينة شيكاجو (وهي من اكبر شركات الصلب في العالم) قد تمكنت من صنع الصلب الذي لا يصدأ على نطاق واسع ، وان سعره لا يزيد الا قليلا على سعر الصلب الاعتيادي

سرعة هائلة

قطع المستر جنكنز الامريكي ٢٧١٠ ميلا بأوتوموبيل ذي اثني عشر سلندراً في مدة أربع وعشرين ساعة ، أي بمتوسط نحو ١١٣ ميلا (نحو ١٨٠ كيلو مترا) في الساعة وهي أعظم سرعة بلغها الانسان في مثل تلك المسافة الطويلة . أما السرعة التي سجلها السر ملكولم الانجليزي فقد كانت أعظم من هذه بكثير ولكن المسافة كانت قصيرة جدا

زجاج لايكسر

عرضت احدى شركات صنع الزجاج الالمانية أخيرا نوعا جديدا من الزجاج غير قابل للانكسار ، ويجمع بين مزايا الزجاج الاعتيادي ويزيد عليها ان الاشعة التي وراء البنفسجية تخترقه

معدن البراجيت

هو أول المعادن الجديدة التي اكتشفت بواسطة أشعة اكس ، وقد سمي باسم مكتشفه السر وليم براج من كبار العلماء الانجليز

اللبن المعقم

في بدء القرن الحاضر لم يكن يباع في امريكا شيء من اللبن المعقم بطريقة باستور . واما الآن فان تسعين في المائة من اللبن الذي يباع هناك معقم بالطريقة المذكورة

اصناف عنب جديدة

تقوم جامعة كاليفورنيا بامريكا باختبار أصناف كثيرة من العنب مستوردة من أنحاء العالم المختلفة بقصد استيلاد افضل الاصناف وادومها على مدار السنة

سبب الاستسقاء

يقول الدكتور يومانس من كبار الاخصائيين الامريكيين إن المباحث الواسعة النطاق التي قام

بها فى امريكا وفى جهات كثيرة قد اقنعته بان سبب الاستسقاء هو نقص البروتايين فى المواد الغذائية التى يتناولها الانسان . وتناول هذه المواد ليس عادة عن فقر بل عن عادة

الهنود والديك الرومى

تقول احدى المجلات الامريكية ان هناك دلائل واضحة تثبت ان بعض هنود أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ـ ولا سيا فى الجزء المعروف اليوم بولاية آريزونا ـ كانوا يأكلون الديك الرومى بكثرة كما كانوا يأكلون طيوراً اخرى كثيرة من جملتها الصقر والبومة ودجاج الماء والطير المعروف بابى الحناء والسلوى وغيرها

ثلثمائة الف مجرة

لجامعة هارفرد الامريكية مرصد فلكى فى جنوبى افريقيا قد شرع فى رصد نحو ثلثمائة الف مجرة تشبه كل منها المجرة التى تشاهد بالعين المجردة فى الجو فى الليالى الصافية، ولا يخفى ان هذه المجرات هى مجاميع نجوم تبعد عنا ابعاداً سحيقة تختلف من ثلاثين مليون سنة نورية الى مائة مليون

عمر الشمس

اختلف العلماء فى تقدير عمر الشمس ويظهر أن اصح التقديرات هو ان عمر الشمس ٧٫٥٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ سنة وهى تفقد بسبب الاشعاع اكثر من اربعة ملايين طن من مادتها كل ثانية، وتبلغ مادتها فى الوقت الحاضر الرقم ٢ وإلى يمينه ٢٧ صفرا من الاطنان

هيكل عظمي للديناصور

جىء إلى متحف جامعة هارفرد بامريكا بهيكل عظمى لحيوان الديناصور الذى هو من الحيوانات المنقرضة . ويبلغ طول هذا الهيكل ١٨ قدماً وهو أول أثر من نوعه فى اميركا. وقد وجدت آثار هذا الحيوان البائد بالقرب من مدينة ورتمبرج بألمانيا . وهو من الحيوانات الآكلة اللحوم والمظنون أنه كان يجول فى الارض منذ مائة وستين مليون سنة

اكتشاف غريب

قرأنا فى إحدى المجلات الاميركية ان الدكتور دارت أستاذ علم التشريح بجامعة ويتواترستراند ، بمدينة جوهانسبورج قد عثر على أدوات ترجع إلى العصر الحجرى بمقاطعة روديزيا وتدل على أن سكان روديزيا فى ذلك العصر كانوا يجمعون مادة المنغنيز تحت إشراف مصريين ويرسلونها إلى مصر التى كانت قد بلغت درجة عالية من المدنية . وكانت النساء المصريات يستعملن مادة المنغنيز لتزيين وجوههن وتزجيج حواجبهن ، والأرجح أن هذه المادة كانت تستعمل أيضاً لتلوين القوارير والزجاجات والآنية الفخارية المختلفة

وهنالك قرائن تدل على أن أهالى روديزيا فى العصر الحجرى (أى منذ نحو ستة آلاف سنة) كانوا يتاجرون بالمنغنيز مع اهالى مابين النهرين أيضاً وكانت المتاجرة عبارة عن مقايضة صرفة

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء السابع من السنة الثالثة ـ صدر في أول ديسمبر سنة ١٨٩٤

كاترينة الثانية امبراطورة روسيا

ولدت كاترينة الثانية سنة ١٧٢٩ وهي ابنة كريستيان اوغسط برنس انهال زربست أحد أمراء الأسرة الامبراطورية الألمانية ، واسمها الاصلي صوفيا اوغسطا ، فتزوجها بطرس الثالث سنة ١٧٤٥ عملا بوصية جده بطرس الاكبر ، لأن هذا الرجل العظيم كتب قبل وفاته وصية مؤلفة من ١٤ بنداً قال في السادس منها ما نصه :

« يجب على أبناء الأسرة الامبراطورية الروسية ان يتزوجوا دائما بنات العائلة الملوكية الالمانية . وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع ، إذ بهذه الصورة يمكن إجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصالحنا »

وبناء على هذه الوصية تزوج بطرس الثالث الأميرة صوفيا بعد أن تعمدت واعتنقت المذهب الارثوذكسي وتلقبت بكاترينة الكسيونا . وكان زمام الامبراطورية الروسية في قبضة الامبراطورة اليصابات بنت بطرس الاكبر . فلما توفيت سنة ١٧٦١ خلفها بطرس الثالث زوج كاترينة ولم يكن ممن أوتوا حسن السياسة والمقدرة على السلطة . وزد على ذلك أنه أضمر حرمان ابنها وابنه بولس من الملك وطلاق كاترينة ، فأدركت هي قصده واضمرت له السوء . وجعلت تسعى في اختلاس الملك منه فاجتذبت اليها الاحزاب من الأعيان ورجال الجند حتى حملته على التنازل عن الملك كرهاً ، فكتب استعفاءه بيده في ٢٧ يونيه سنة ١٧٦٢ ثم سيق إلى الحجز في قصر روبشا . وفي ١٧ يوليو من تلك السنة قتله جماعة من تلك الاحزاب بمساعدة احد المقربين من كاترينة واشاعوا انه مات بالقولنج

وقد اتخذت الحلم واللين في حكومتها لحببت فيها الرعية ، ولم تغادر وسيلة في رفع منار العلم بين رعاياها مع ماكان عليه الروسيون من خشونة العادات وسذاجة المعيشة

وانتشبت حروب بينها وبين الدولة العثمانية يضيق المقام عن تفصيلها . ولعبت كاترينة دوراً عظيما في هذه الحروب التي انتهت بمعاهدة قينارجة في ٢٦ يوليو سنة ١٧٧٤

مولد الفار

(القاهرة) احمد افندي مصطفى

من جملة احتفالات القاهرة السنوية احتفال يقال له (مولد الفار) نرى الناس كثيري الاحتفاء به . فما هو اصل هذا المولد؟ ومن هو (الفار) ؟

{ الهلال } هو الشيخ ابراهيم الفار

كان من اصحاب الكرامات وله ضريح فى زاوية التشمرى بجامع ابى نبات بشارع درب الحصر بالقاهرة . يعمل له محضر (حضرة) كل اسبوع ويحتفل بمولده كل سنة . وفى آخر يوم من مولده يركب خليفته فى موكب حافل . ويزعم العامة ان من ولد له ولد واراد ان يعيش فعليه ان يحضر به فى مولد الفار

البعوضه

(دمياط) محمد عبد الجليل البطراوى

ما الوسيلة للتخلص من البعوض الذى يسمى عند العامة بالناموس ؟

« الهلال » مما يساعد فى تجنب اذى البعوض وإبعاده عن غرف النوم ألا تضاء الغرفة إلا عند ما يراد النوم فيها وتبقى نوافذها مفتوحة ثم إذا اضيئت تقفل نوافذها جيداً ، فلا يكون فيها بعوض لأن البعوض يطلب النور دائماً

شجرة السياح

من غرائب انواع النبات شجرة تنبت فى مدغشقر يقال لها « شجرة السياح » لااغصان لها . واما الورق فينبت على الجذع عريضاً كالمهواة . ولا ينبت على الشجرة الواحدة اكثر من ٢٤ ورقة طول الواحدة سبع اقدام وعرضها خمس . وعند اصل الورقة تجويف اشبه شيء بالكأس يحتوى على نحو نصف رطل مصرى من الماء العذب البارد يتناوله أهل مدغشقر شراباً لذيذاً . فاذا كانت الشجرة شامخة ثقبوا تلك الكأس من اسفلها برمح واستقبلوا السائل النازل بوعاء وشربوه . وكثيراً ما كانت تلك الشجرة سبباً لنجاة مئات من الناس من غائلة الظمأ اثناء مرورهم فى بلاد مدغشقر . فسبحان الخلاق العظيم

عن الجزء الثامن من السنة الثالثة ــ صدر في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٤

طريقة ناجعة لازالة البعوضه (الناموس)

كتب احد القراء يقول بعد اطلاعه على السؤال المنشور فى العدد السابق بخصوص ازالة البعوض :

« صب من ثلاثة لترات إلى خمسة لترات من الزيت الحجرى المعروف بالغاز فى قصبة المرحاض وكرر هذه العملية كل شهرين او ثلاثة أشهر فينقطع الناموس من البيت بعد ثمانى ساعات من وقت صب الغاز . ولا يرجع إلا بعد زوال التأثير الحاصل من تبخر الغاز أى بعد عدة اسابيع وقد جربت هذه الطريقة وعلمتها لغيرى فنجحت نجاحاً كبيراً

وحام النساء ومولود عجيب

(طرابلس الغرب) حكمت بك شريف

وضعت احدى النساء فى بلدتنا طرابلس مولوداً عجيب الخلقة غريب الهيئة . فان الوجه فيه قطعة من لحم مستوية السطح لا أثر فيها لأعضاء الوجه كالعين والأنف وغيرهما . أما سائر الجسم فكامل . وله يدان ورجلان إلا أن الكتفين بارزتان لجهة الرأس على

ما يشبه بعض الازياء الافرنجية

وقد ظن بعضهم أن الوالدة (توحمت) على إحدى النساء الافرنجيات . فما قولكم فيما يزعمونه من أمر الوحم . وهل له أساس على يرجع اليه ؟

﴿ الهلال ﴾ الوحام أو التوحم - ويراد به اشتهاء الحامل للمأكولات مع علاقة ذلك بحالة الجنين - من الاعتقادات القديمة جداً . ولنا من حكاية يعقوب (فى سفر التكوين الاصحاح الثلاثين) بشأن توليد المعزى المخططة والمرقطة بتوحم امهاتها على عصى مخططة جعلها عند حياض الماء ، ما يدل على قدم عهدها . وما يزال هذا الاعتقاد سائداً متسلطاً على الناس عند سائر الامم . أما التعليل الطبيعى عن ذلك بالتفصيل فلم يتوصلوا اليه بعد . ولكنه من قبيل الانفعالات النفسية التى تنقل من الوالدة الى جنينها لاتصاله بها بالغذاء وغيره . ومن الامور المستحسنة فى بلاد الانكليز وغيرها ان تجعل الحامل فى غرفة نومها صوراً جميلة تنظر اليها دائماً لاعتقادهم ان تكرار وقوع النظر اليها يجعل فى الجنين ميلا إلى الجمال . وهو اعتقاد شائع بينهم

أما الخلق المشوه على مثال ما ذكرتموه فيغلب ان يكون خلقاً شاذاً

الحياة الادبية في جزيرة العرب

بقلم الاستاذ الدكتور طه حسين

(نشرت ترجمة هذه المقالة في مجلة Open Court
التي تصدر في شيكاغو بامبركا)

تستطيع أن ترسم لبلاد العرب فى هذه الايام صورتين مختلفتين أشد الاختلاف وكلتاهما مع ذلك صادقة صحيحة. فهى قسم من آسيا يسمى باسم واحد منذ عصور بعيدة جداً ولكنه يتألف من أقطار وأقاليم تختلف فى طبيعتها وتتباين أحوالها الجغرافية والاجتماعية والسياسية والدينية ايضاً. فنها السهل ومنها الوعر ومنها المرتفع ومنها المنخفض، ومنها الخصب الغنى ومنها الجدب القاحل، ومنها ما يسكنه الحضر ومنها ما يسكنه البدو. ثم منها ما يحتفظ باستقلال سياسى قوى أو ضعيف، ومنها ما خضع للاجنبي خضوعاً تاماً. ومنها بعد هذا كله من يذهبون فى الدين مذهب أهل السنة ويتشددون فى المحافظة على عقائد السلف الصالح من المسلمين، ومن يذهبون مذهب الشيعة معتدلا أو متشدداً، ومن يقيم حياته الدينيـة على التصوف، ومن يعيش عيشة المسلمين العاديين فى البلاد الاسلامية الاخرى، ومن جهل الاسلام جهلا تاماً وانغمس فى نوع من البداوة هو أشبه شيء بما يصوره الشعر العربى القديم من حياة العرب الجاهليين الذين كانوا يعبدون الأوثان والأشجار قبل ظهور الاسلام

تجد هذا كله فى بلاد العرب، فلا تكاد تصدق ان لهذه البلاد وحدة ما أو ان من اليسير أن تتحدث عنها وعن آدابها كما تتحدث عن أى بلد آخر من بلاد الشرق العربى. فأنت تستطيع أن تتحدث عن مصر وعن سوريا وعن تونس أو الجزائر فتصف حياتها الاجتماعية والسياسية والادبية والدينية فى غير مشقة ولا صعوبة، لأن لكل بلد من هذه البلاد وحدته الجغرافية والسياسية واللغوية. وهذه الوحدة تمكنك من أن تصف كل بلد من هذه البلاد وصفاً مقارباً ان لم يكن دقيقاً كل الدقة. أما بلاد العرب أو جزيرة العرب كما يسميها الجغرافيون فليس لها من هذه الوحدة حظ، فما تقوله عن الحجاز لا يصدق على اليمن وما تقوله فى أمر نجد لا يصح بالقياس الى تهامة، فليس هناك قطر واحد وانما هناك أقطار وأقاليم

* * *

وهذه الصورة التى أصورها لك الآن من بلاد العرب قريبة كل القرب من الصورة التى

نجدها لهذه البلاد فى الشعر الجاهلى حين لم تكن هذه الاقاليم كلها تتفق إلا فى الاسم ، وحين كانت تختلف فى اللغات واللهجات وفى النظم السياسية والاجتماعية والدينية باختلاف الاقاليم والأقطار ، وحين لم يكن الجمل (وهو أداة المواصلات الوحيدة) يستطيع أن يلغى ما بين هذه الاقاليم من الفروق . فهذه الاقاليم لا تزال اليوم كما كانت قبل الاسلام ، لم تلغ فيها المسافات ولم تقرب بينها السكك الحديدية ، ولم يؤثر فيها تأثيراً قوياً استعمال التلغراف على قلة استعماله ، ولا مرور السفن البخارية على سواحلها فى البحر الاحمر أو بحر الهند أو الخليج الفارسى . فهى إذاً على حالها القديم تكاد تكون معزولة عن العالم الخارجى ، وهى إذاً على حالها القديم لا يكاد يوجد اتصال وطيد بين أقاليمها الداخلية . ومن الغريب أن وضعها السياسى بعد الحرب الكبرى يشبه جداً وضعها السياسى فى القرن الخامس والسادس للميلاد قبل أن يظهر الاسلام، فيوثق الصلة بينها وبين بلاد الشرق الادنى والاوسط

كانت أطراف الجزيرة العربية فى القرن الخامس والسادس للميلاد متصلة بالدول الاجنبية المجاورة لها . فكانت أطرافها من جهة الشام متصلة بدولة البزنطيين ونشأ عن هذا الاتصال أن نظمت علاقات سياسية بين أمراء الغسانيين وقياصرة قسطنطينية أشبه بعلاقات الحماية فى هذا العصر الحديث . وأى شىء الآن امارة شرق الاردن ؟ هى امارة الغسانيين القدماء ، فيها مدن لها حظ ضئيل من الحضارة ، وفيها بادية قوية غنية ، وعلى رأسها أمير كان غسانياً قبل الاسلام وهو هاشمى الآن . وهذه الامارة كانت خاضعة لحماية قسطنطينية قبل الاسلام ، وهى الآن خاضعة لحماية لندرة . وأطراف الجزيرة من ناحية العراق كانت متصلة بالفرس تقوم فيها امارة عربية يحميها أكاسرة الفرس وتحافظ هى على حدود الدولة الساسانية من غارة البدو . وهى الآن تقوم فيها مملكة عربية ليس على رأسها لخى كما كانت الحال من قبل بل هاشمى . وليس يحميها الفرس وانما يحميها الانجليز . وبلاد اليمن وما يتصل بها من الاقاليم الجنوبية فى الجزيرة كانت فى القرن الخامس والسادس موضع النزاع بين الفرس والروم . وكانت تخضع للروم بواسطة الحبشة أو تخضع للفرس مباشرة أو تظفر باستقلال ضئيل يظل موضع النزاع بين أولئك وهؤلاء . وهى الآن كما كانت من قبل ، بعضها خاضع لسلطان الانجليز مباشرة على الساحل ، وبعضها مستقل ولكنه موضوع النزاع والتنافس بين القوة الانجليزية والقوة الايطالية

تغيرت أسماء الدول الحامية لاطراف الجزيرة أو الطامعة فيها وتغيرت بعض الشىء أشكال الحماية والطمع ، ولكن طبيعة الاشياء لم تتغير وأسباب الحماية والطمع لم تتغير ، فالدول الاجنبية تحمى أطراف جزيرة العرب ، إما خوفاً من البدو وإما رغبة فى بسط النفوذ التجارى وإما للامرين جميعاً . وطريقة العرب أنفسهم فى فهم العلاقة بينهم وبين الاجانب لم تتغير ، هى فى

القرن العشرين كما كانت فى القرن الخامس والسادس تقوم على الحاجة الى المال والخوف من القوة، فأى الاجانب المجاورين للجزيرة كان أشد قوة وأكثر مالا فهو صاحب النفوذ عند هؤلاء الناس

أما قلب الجزيرة وداخليتها فلم يتغير كذلك إلا قليلا، بادية مستقلة استقلالا تاماً تظهر الخضوع والطاعة لامراء الحضر، رغبة أو رهبة أو خوفاً وطمعاً. فليس هناك فرق بين امام صنعاء فى اليمن وبين ملك من ملوك حمير فى العصر القديم له سلطته المركزية فى الحضر، ولكن أصحاب البادية مستقلون لا يخضعون له إلا بمقدار ما يخافونه أو يطمعون فى عطائه، ومثل هذا فى نجد وتهامة والحجاز

٭ ٭ ٭

هذه إحدى الصورتين اللتين أشرت اليهما فى أول هذا الفصل. اما الصورة الثانية فتمثل بلاد العرب من حيث انها وحدة متشابهة من بعض الوجوه، فالدين الرسمى لهذه البلاد هو الاسلام، واللغة الرسمية لهذه البلاد هى لغة القرآن، والحضارة الرسمية فى هذه البلاد هى الحضارة الاسلامية القديمة. وإذاً فهما يختلف سكان الجزيرة العربية فى موطنهم الجغرافى وفى نظامهم السياسى وفى مذهبهم الدينى وفى علاقاتهم بالاجانب وفى لهجاتهم الخاصة فهم جميعاً مسلمون وهم جميعاً يكتبون لغة القرآن اذا كتبوا ويفكرون ويعيشون على نحو ما كان يفكر ويعيش المسلم قبل أن تتوثق الصلة بينه وبين الاوربيين والامريكيين

ومن هذه الناحية يستطيع الباحث عن الآداب فى البلاد العربية أن يتحدث عنها فى مقال واحد كأنه يتحدث عن شعب واحد. على ان من الحق عليه أن يلاحظ الظروف الخاصة التى تحيط ببعض الاقاليم فتجعل فى آدابه صفات ليست فى غيرها من آداب الاقاليم الاخرى. ولكن الكلام عن الادب فى جزيرة العرب يحتاج الى أن تحل مسألة مشكلة قبل الشروع فيه، ذلك ان بلاد العرب هى مهد الادب العربى القديم، فى شماليها ووسطها ظهر الشعر الجاهلى، وفى الحجاز ظهر القرآن، ومن الحجاز ونجد وتهامة انتشرت اللغة العربية وما كانت تحمل من أدب ودين الى بلاد الشرق الادنى، فغمرت اكثره وظلت موطناً للادب الخالص طول القرن الاول للهجرة. فكبار الشعراء فى العصر الاموى جميعاً من البادية أو من حواضر الحجاز ونجد

ومع ان العراق قد عظم شأنه جداً فى العصر العباسى ونبغ فيه جماعة من الشعراء ـ منهم من أصله فارسى ومنهم من أصله من هذه الاخلاط السامية التى كانت تنتشر فى العراق والجزيرة والشام ـ فقد ظل فى البادية شعراء ممتازون كانوا يفدون على الخلفاء والوزراء فى بغداد الى أواخر القرن الثالث للهجرة. ثم انقطعت الصلة الادبية أو كادت تنقطع بين جزيرة العرب

وبلاد الشرق العربى ، وعادت الجزيرة العربية الى ما كانت فيه قبل الاسلام من عزلة تامة فى الادب وشديدة فى السياسة وغيرها من مظاهر الحياة

فما سبب هذه العزلة التى نشأ عنها أن أصبحت هذه البلاد - التى كانت مصدر النور للشرق الاسلامى كله - موطن الجهل والظلمة ؟ وأصبحت هذه البلاد - التى كانت مهد اللغة العربية والادب العربى - أقل البلاد العربية حظاً من الامتياز فى الادب واللغة والدين فضلا عن العلوم الاخرى ؟

ليس الجواب على هذا السؤال عسيراً ، فقد كانت الدولة الاموية عربية خالصة ، وكان خلفاء بنى أمية ينظرون الى جزيرة العرب نظرا خاصاً ، لانها موطن الارستقراطية الحاكمة من جهة ولانها موطن الأمة التى يستمد منها الجند من جهة أخرى ، فليس غريباً إذاً أن تكون الجزيرة العربية أشد بلاد الاسلام امتيازا فى ذلك الوقت . كانت موطن الرءوس المفكرة وموطن الأيدى العاملة فى إقامة الدولة . كانت حاكمة وكان غيرها من البلاد محكوماً . فلما قامت الدولة العباسية تغير كل شىء لأن هذه الدولة قامت على أكتاف الفرس وتدبيرهم . فقامت خراسان مقام جزيرة العرب وأصبحت هى التى تمد الدولة بالرءوس المفكرة ، بالوزراء ورجال القصر وبالايدى العاملة بالجيش وعمال الدواوين . وقد أقصى العرب شيئاً فشيئاً عن الجيش والدواوين

ولم تكن بلاد العرب تشبه فى الخصب والغنى بقية البلاد الاسلامية فأهملتها الدولة ويئست هى من الخلافة . ولم تكن المواصلات بينها وبين عاصمة الخلافة منظمة ولا سهلة فليس عجيباً أن تضعف العلاقة بينها و بين مركز الحكومة الاسلامية فى بغداد شيئاً فشيئاً حتى انقطعت انقطاعاً تاماً . أضف الى ذلك ان تغلب الفرس والترك على بغداد لم يكن من شأنه أن يحتفظ بالعلاقة بين جزيرة العرب نفسها ومواطن الحضارة الاسلامية ، وان جزيرة العرب نفسها لم تكن من الغنى والثروة بحيث تستطيع أن تعيش لحسابها وتحتفظ بحظها من الحياة الادبية الراقية ، ومن الحضارة التى جلبت اليها جلباً أيام الامويين . لهذا كله انسحبت الجزيرة - ان صح هذا التعبير - من الحياة الاسلامية العامة . فأما باديتها فعادت الى جاهليتها قليلا قليلا ، وأما حواضرها فاحتفظت بشىء ضئيل تقليدى من الحضارة والادب والعلم . ولولا ان البلاد المقدسة فى الجزيرة العربية وان المسلمين يحجون الى مكة والمدينة فى كل عام وان لليمن أهمية خاصة فى التجارة أثناء القرون الوسطى لاهملت هذه البلاد اهمالا تاماً ولنسيها تاريخ المسلمين

نشأت عن هذه العزلة آثار سيئة جداً فى حياة الآداب واللغة العربية عامة وفى حياة اللغة والآداب فى جزيرة العرب نفسها بنوع خاص ، فقد كان اتصال العالم الاسلامى بجزيرة العرب فى القرون الاولى للتاريخ الاسلامى يبعث فى الآداب العربية فى العراق والشام ومصر روحاً من

البداوة وحياة الصحراء يمنحها شيئاً من القوة والجذالة فى الالفاظ والاساليب والمعانى أحياناً. فلما انقطعت هذه الصلة أمعن هذا الادب العربى فى الحضارة والترف وفقد روحه العربى الخالص شيئاً فشيئاً حتى استحال آخر الامر الى جسم لا تكاد تمشى فيه الحياة : فسدت ألفاظه فكثرت فيها العجمة، وفسدت معانيه لاسراف الشعراء والكتاب فى التدقيق، وفسدت أساليبه فظهرت فيها الركاكة والغموض

وكانت جزيرة العرب فى تلك القرون الاولى تستفيد من هذا الاتصال، فكان وفود الاعراب الى حواضر العراق والشام ووفود أهل الحضر الى مدن الحجاز تجد يثير فى نفوس الاعراب معانى ماكانت لتثور فى نفوسهم لو ظلوا فى عزلتهم الاولى. ويكفى ان نلاحظ ان الغزل الحجازى - وهو أجمل ما قيل فى الأسلام من الغزل - انما هو نتيجة لتبادل الصلات بين جزيرة العرب وحواضر العراق والشام ومصر. على ان العلم نفسه قد خسر بهذه العزلة خسارة لا سبيل الى تعويضها بحال من الاحوال، فن المحقق ان أعراب الحجاز لم ينصرفوا عن الانتاج الادبى بمجرد أن انقطعت الصلة بينهم وبين مراكز الحضارة الاسلامية، بل كان فيهم الشعراء والخطباء والقصاص والرواة، ولكن شعرهم وقصصهم وآثارهم الادبية بوجه عام لم تكن تنقل الى مدارس البصرة والكوفة وبغداد وتدرس فيها كما كانت الحال فى القرون الاولى، ولم تكن تدون فى البادية وانما كانت تحفظها الذاكرة عشرات السنين ثم يذهب بها صوت الرواة والحفاظ وتنتثر فى الصحراء كما تنتثر الرمال بتأثير الرياح. وعلى هذا أخذت اللغة العربية وآدابها فى الجزيرة تتغير وينالها التطور من حين الى حين دون أن يدون هذا التطور أو يسجل، وأصبح من المستحيل الآن أن نعرف الصلة الحقيقية بين اللهجات العربية فى الجزيرة الآن وبين اللهجات التى كانت فيها أثناء القرون الثلاثة الاولى

على ان العلاقات لم تنقطع بين بلاد العرب وبين البلاد الاسلامية الاخرى من كل وجه، فقد كان المسلمون يحجون فى كل سنة كما قدمت، وكان مركز اليمن التجارى يهم بلاد البحر الابيض المتوسط دائماً، ولذلك لم تكد تفسد العلاقة بين الجزيرة وبغداد حتى قامت مقامها علاقات أخرى بين الجزيرة والقاهرة وحرصت القاهرة منذ أيام الفاطميين على أن يكون نفوذها عظيماً جداً فى الحجاز واليمن بنوع خاص، ولكن هذه العلاقات كانت سياسية دينية اكثر مما كانت أدبية علمية. والذين يريدون أن يتتبعوا تاريخ الادب العربى داخل الجزيرة يستطيعون أن يظفروا بشىء من ذلك فى مدن الحجاز واليمن، وذلك بفضل هذه العلاقة بين القطرين وبين مصر وبفضل المكانة الدينية لمكة والمدينة

اما نجد فان حياته الادبية قد ضاعت ضياعاً تاماً الى أواخر القرن الثامن عشر تقريباً

* * *

وعلى كل حال فان فى جزيرة العرب أدبين مختلفين : أحدهما شعبي يتخذ لغة الشعب أداة للتعبير لا فى جزيرة العرب وحدها بل فى البوادى العربية كلها فى الشام ومصر وافريقيا الشمالية . وهذا الادب ـ وان فسدت لغته ـ حى قوى له قيمته الممتازة من حيث انه مرآة صافية لحياة الاعراب فى باديتهم ، وهو فى موضوعاته ومعانيه وأساليبه مشبه كل الشبه للادب العربى القديم الذى كان ينشأ فى العصر الجاهلى وفى القرون الاولى للتاريخ الاسلامى . ذلك لأن حياة العرب فى البادية لم تتغير بحال من الاحوال ، فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية والمادية الآن كما كانت منذ ثلاثة عشر قرناً . فطبيعى إذاً أن يكون الشعر المصور لهذه الحياة كالشعر الذى يصور الحياة القديمة وأن يكون موضوعه ما يقع بين القبائل من حروب ومخاصمات تدعو الى الفخر والمدح والهجاء والرثاء ، وما يثور فى نفس الافراد من أنواع الآلام واللذات التى تدعو الى الغناء بالشكوى حيناً والحب حيناً آخر والعتاب مرة ثالثة . والقصيدة العربية الشعبية الآن كالقصيدة العربية القديمة ، تبدأ بالغزل القليل البسيط المؤثر ثم تنتقل الى وصف الابل والصحراء فتطيل فى ذلك ثم تصل الى غرضها من مدح أو فخر أو غيرهما من فنون الشعر . ومثل ذلك يقال فى الخطابة ، فالبدوى الآن فصيح كالبدوى القديم حلو الحديث محب للسمر والقصص اذا اطمأن واستراح ، خطيب بليغ اذا كان بينه وبين غيره خصومة أو جدال . وهذا الادب العربى الشعبي يرويه فى البادية جماعة من الرواة يتوارثونه عن آبائهم ويورثونه لأبنائهم ويكسبون بروايته حياتهم المادية ومكانتهم الممتازة أحياناً . ولسوء الحظ لا يعنى العلماء فى الشرق العربى بهذا الادب الشعبى عناية ما لأن لغته بعيدة عن لغة القرآن ، وأدباء المسلمين لم يستطيعوا بعد أن ينظروا الى الادب على انه غاية تطلب لنفسها وانما الادب عندهم وسيلة الى الدين

أما الادب الآخر فهو أدب تقليدى لا يكاد يوجد فى البادية وانما مركزه الحواضر عادة وهو أدب قد اتخذ لغة القرآن أداة للتعبير . واذا كان الأدب الشعبي مصوراً للحياة العربية البدوية تصويراً صادقاً ممتازاً ، فان الادب التقليدى بعيد كل البعد عن هذا التصوير . ذلك لأنه متكلف مصنوع لا صلة بينه و بين الطبيعة الحرة ، فهو لا يعكس ما يحسه الشعراء والكتاب وانما يمثل ما يريد الشعراء والكتاب أن يضعوه فيه . حظ النفاق فيه اكثر من حظ الصراحة ، ثم هو تقليدى لا يصدر فيه أصحابه عن أنفسهم وانما يقلدون فيه أهل الحواضر من المصريين والسوريين والعراقيين . كذلك كان أدباء المدن فى جزيرة العرب طول القرون الوسطى وكذلك هم الآن . ونستطيع أن نؤكد ان اهل الحجاز يستمدون أدبهم التقليدى من مصر والشام بنوع

خاص ، وقد يتأثرون بغير المصريين والسوريين من الذين يفدون عليهم للحج . ولكن كتبهم التى يدرسونها فى مكة والمدينة من الكتب التى يدرسها المصريون فى الازهر ، وشعرهم الذى يقرءونه أو يحفظونه هو الشعر الذى يقرأ ويدرس فى مصر والشام ، فهم ان أرادوا أن يكتبوا فى العلوم الدينية قلدوا المصريين كما انهم يقلدونهم فى الدرس ، وهم ان أرادوا أن ينظموا الشعر قلدوا المصريين والسوريين

* * *

أما أهل اليمن فليس تأثرهم بمصر أقل من تأثر الحجازيين وان كان لهم مذهبهم الدينى الخاص. فهم على كل حال يذهبون مذهب المصريين فى درس العلوم الدينية واللغوية . هم تلاميذ الازهر يفدون عليه فيتعلمون ثم يعودون الى بلادهم فيعلمون . والغريب انهم لا يزالون يدرسون العلوم الرياضية والطبيعية على نحو ما كانت تدرس فى الأزهر قبل أن يمسه التجديد فى أوائل هذا القرن . فالفلك والحساب والمساحة والهندسة والطبيعة كل ذلك يدرس هناك كما كان يدرس فى الازهر وغيره من المعاهد الاسلامية قبل أن تتأثر بالحضارة الاوربية الحديثة . ولليمن شعر ولكنه تقليدى كشعر الحجاز يذهب فيه أصحابه مذهب المصريين قبل أن يرتقى الشعر المصرى . وأنت تكلف نفسك مشقة شديدة إن أردت أن تلتمس فى اليمن أو فى الحجاز الآن شعراً له قيمة فنية حقيقية ، إنما هى ألفاظ مرصوفة يكثر فيها البديع وتدور حول معان تافهة . وما رأيك فى أربعة أو خمسة من الشعراء يضيعون وقتهم فى صنعاء فى نظم القصائد الطويلة الركيكة حول هذا المعنى وهو ، أى الامرين خير : قرب الروح من الروح أم قرب الجسم من الجسم ؟

وقل مثل هذا فى مدح الحجازيين واليمانيين ورثائهم وهجائهم وغزلهم : كلام لا طائل تحته ولا غناء فيه ، صورة صحيحة لما كان يقال فى مصر والشام قبل خمسين سنة . أما شرق البلاد العربية فتأثره بالعراق أشد من تأثره بمصر والشام ، ففى بعض القرى فى أطراف الجزيرة مما يلى العراق شعراء ، وفيها أيضاً علماء فى اللغة والدين ، وهم تلاميذ العلماء والشعراء الذين يظهرون فى بغداد والبصرة . ولم يكن أهل العراق أحسن حالا من السوريين والمصريين أيام السلطان التركى . فليس غريباً أن يكون تلاميذهم فى أطراف الجزيرة العربية وفى نجد مقلدين متكلفين . وانه لمما يضحك أن تقرأ طائفة من الشعر رواها الألوسى لجماعة من شعراء نجد يصفون بها عيناً ينبع منها الماء الحار هناك ويختلف الناس اليها للاستشفاء . لا تجد فى هذا الكلام المنظوم فناً ولا شعوراً بالجمال ولا تصويراً له ولا شيئاً يبعث فى نفسك اللذة الفنية و إنما هى ألفاظ سقيمة ثقيلة قد زادها النظم السيء فساداً ورداءة

هذه كانت حال الادب فى بلاد العرب الى وقت قريب جداً الى ما بعد الحرب الكبرى .

تقليد شديد عقيم للمصريين والسوريين والعراقين فى علوم الدين واللغة وفى الادب. ولكن حركة التجديد العلمى والادبى ظهرت فى مصر والشام والعراق منذ القرن الماضى واشتدت جداً فى هذا القرن ولاسيما بعد الحرب بفضل هذا الاختلاط العنيف الذى يزداد كل يوم بين الشرق والغرب، فتأثر كل شىء بحركة التجديد هذه فى الشرق حتى الازهر نفسه، ولم يكن بد من أن يصل أثر هذه الحركة الى بلاد العرب لأن الحرب الكبرى هزتها كما هزت غيرها من البلاد، ولأنها اتصلت بالاوروبين اتصالا مباشراً شديداً بعد الحرب، ولان العلاقات كثرت جداً بينها وبين بلاد الشرق العربى. وكما انها كانت تقلد هذه البلاد فيما كان عندها من أدب القرون الوسطى فلا بد لها من تقليدها فى أدبها الحديث

***

على أن الباحث عن الحياة العقلية والادبية فى جزيرة العرب لايستطيع ان يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب واضطرته ان يهتم بامرها، واحدثت فيها اثاراً خطيرة هان شأنها بعض الشىء ولكنه عاد فاشتد فى هذه الايام وأخذ يؤثر لا فى الجزيرة وحدها بل فى علاقاتها بالامم الاوربية ايضاً. هذه الحركة هى حركة الوهابيين التى احدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد

نشأ محمد بن عبد الوهاب فى بيت علم وفقه وقضاء. تثقف على ابيه ثم رحل إلى العراق فسمع من علماء البصرة وفقهائها وأظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معا، فسخط عليه الناس وأخرج من البصرة، وكان يريد أن يذهب الى الشام فحال الفقر بينه وبين ذلك فعاد الى نجد واقام مع أبيه حيناً يناظر ويدعو الى آرائه حتى ظهر أمره وانتشر مذهبه

وانقسم الناس فيه قسمين: فكان له الانصار وكان له الخصوم، وتعرضت حياته آخر الامر للخطر، فأخذ يعرض نفسه على الامراء ورؤساء العشائر ليجيروه ويحموا دعوته حتى انتهى به الامر الى قرية الدرعية، وهناك عرض نفسه على اميرها محمد بن سعود فاجاره وبايعه على المعونة والنصرة. ومن ذلك اليوم أصبح المذهب الجديد مذهبا رسميا يعتمد على قوة سياسية تؤيده وتحميه بل تنشره فى اقطار نجد بالدعوة اللينة حيناً وبالسيف والحرب فى أكثر الاحيان. وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت فى الجزيرة العربية دولة سياسية عظم أمرها واشتد خطرها حتى اشفق منها الترك أشد الاشفاق، فقاوموها ما وسعتهم المقاومة فلما لم يفلحوا استعانوا بالمصريين وكان امرهم إذ ذاك الى محمد على الكبير، فنجح المصريون فى اضعاف هذه الحركة وازالة هذه الدولة الجديدة ورد امرائها الى ما كانوا عليه قبل ذلك من التواضع. فلابد

من وقفة قصيرة عند هذا المذهب الجديد لنعرف ما هو وما مبلغ تأثيره فى الحياة العقلية العربية فى هذا العصر الحديث

قلت ان هذا المذهب جديد قديم معا . والواقع أنه جديد بالنسبة الى المعاصرين ولكنه قديم فى حقيقة الامر . لانه ليس إلا الدعوة القوية إلى الاسلام الخالص النقى المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية . هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبى خالصاً لله وحده ملغيا لكل واسطة بين الله وبين الناس . هو احياء للاسلام العربى وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب . فقد انكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية فى العقيدة والسيرة . كانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله ويعظمون الاشجار والاحجار ويرون أن لها من القوة ما ينفع وما يضر . وكانوا قد عادوا فى سيرتهم الى حياة العرب الجاهليين فعاشوا من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة وأصبح الدين اسما لا مسمى له . فاراد محمد بن عبد الوهاب ان يجعل من هؤلاء الاعراب الجفاة المشركين قوما مسلمين حقاً على نحو ما فعل النبى باهل الحجاز منذ اكثر من أحد عشر قرنا

ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد فى نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الاسلام فى الحجاز ، فقد دعا صاحبه اليه باللين أول الأمر فتبعه بعض الناس ، ثم أظهر دعوته فاصابه الاضطراب وتعرض للخطر ، ثم أخذ يعرض نفسه على الامراء ورؤساء العشائر كما عرض النبى نفسه على القبائل ، ثم هاجر الى الدرعية وبايعه اهلها على النصر كما هاجر النبى الى المدينة . ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد ان يشتغل بامور الدنيا فترك السياسة لابن سعود واشتغل هو بالعلم والدين واتخذ السياسة واصحابها اداة لدعوته ، فلما تم له هذا أخذ يدعو الناس الى مذهبه فمن أجاب منهم قبل منه ومن امتنع عليه أغرى به السيف وشب عليه الحرب ، وقد انقاد أهل نجد لهذا المذهب وأخلصوا له الطاعة وضحوا بحياتهم فى سبيله على نحو ما انقاد العرب للنبى وهاجروا معه

ولولا ان الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه فى داره بقوى واسلحة لاعهد لأهل البادية بها لكان من المرجو جداً أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب فى القرن الثانى عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم فى القرن الاول . ولكن الذى يعنينا من هذا المذهب أثره فى الحياة العقلية والادبية عند العرب . وقد كان هذا الأثر عظيما خطيراً من نواح مختلفة . فهو قد ايقظ النفس العربية ووضع أمامها مثلا أعلى احبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم واللسان . وهو قد لفت المسلمين جميعاً وأهل العراق والشام ومصر بنوع خاص إلى جزيرة العرب

فبينما كان الترك والمصريون يحاربون الوهابيين كان انصار القديم من علماء العراق سواء منهم أهل السنة والشيعة يردون على هذا المذهب ويكفرون اصحابه . وكان الوهابيون يناضلون عن مذهبهم . وكان أولئك وهؤلاء يقرأون كتب السلف فى التفسير والحديث والتوحيد والفقه يلتمسون الادلة على آرائهم . وكان أولئك وهؤلاء ينشرون الرسائل والكتب التى يضعونها . كما أخذوا ينشرون الكتب القديمة التى يرجع اليها فى التماس الادلة والبراهين . وكذلك عادت الحياة القوية الى مذهب احمد بن حنبل الذى تبعه النجديون ، ونشرت كتب ورسائل كثيرة لابن تيمية وابن القيم ، واستفاد العالم العربى كله من هذه الحركة العقلية الجديدة . وليس من شك عندى فى أن هذه الحركة نفسها قد أيقظت أهل اليمن أيضاً ، فنهضوا يدفعون عن مذهبهم الزيدى ينشرون كتبهم القديمة ويؤلفون كتباً جديدة فى الفقه والتوحيد والحديث . وما زالت مطابع القاهرة الى الآن تطبع الكتب المختلفة لحساب الوهابيين من أهل نجد والزيديين من أهل اليمن

* * *

وفى اثناء هذه الحركة العنيفة ظهر حول الامراء المجاهدين من أهل نجد جماعة من الشعراء أخذوا يفتخرون بانتصارهم فى المواقع ويعتذرون عما يصيبهم من الهزيمة . وليس من الممكن أن يقال انهم جددوا الشعر وأحدثوا فيه مالم يكن . ولكنهم على كل حال عادوا به إلى الاسلوب القديم واسمعونا فى القرن الثانى عشر والثالث عشر فى لغة عربية فصيحة هذه النغمة العربية الحلوة التى لم تكن تسمع من قبل . هذه النغمة التى لا يقلد صاحبها فيها أهل الحضر ولا يتكلف فيها البديع وانما يبعثها حرة ويحملها كل ما تجيش به نفسه من عزة وطموح الى المثل الاعلى ورغبة قوية فى احياء المجد القديم

نجح المصريون فى اخماد هذه الثورة الوهابية أو قل نجحوا فى افساد هذه النهضة ولكنهم لم يقتلوها . اضعفوا سلطانها السياسى ولكن سلطانهم هم السياسى قد اضعفته اوربا بمعاهدة سنة ١٨٤٠ ، وعجز الترك عن أن يحكموا قلب الجزيرة العربية فاستراح الوهابيون وأسوا جراحهم واستأنفوا قوتهم ونشاطهم ومضت نهضتهم الدينية فى سبيلها ، ثم تبعتها فى هذه الايام نهضة سياسية بسطت سلطانهم على نجد كله وعلى الحجاز كله وأعادت لهم المثل الاعلى وهو توحيد الكلمة العربية ولكن بلوغ هذه الغاية الآن ليس من السهولة واليسر بحيث كان اوائل القرن التاسع عشر ، فقد استيقظ الشعور القومى فى البلاد العربية كلها وأحاطت بجزيرة العرب من جميع اطرافها قوة ليس فيها ما كان فى القوة التركية من الضعف والفساد والاضطراب والفقر وهى قوة الانجليز . وليس الذى يعنينا هو المستقبل السياسى لهذه البلاد وانما الذى يعنينا هو المستقبل الادبى ، ومن

المحقق ان هذا المستقبل الادبى سيكون باهرا فى يوم من الايام قريب أو بعيد

جمع ملك الوهابيين الآن جزءاً عظيما جداً من الجزيرة العربية ولم يبق سبيل الى ان يظل الوهابيون وغيرهم من ملوك العرب وامرائهم بمعزل عن الحياة العالمية العامة كما كانوا من قبل، بل هم مضطرون إلى أن يتصلوا بالممالك الاسلامية والاوربية اتصالا سياسياً واقتصاديا منظما. وقد بدأوا ينظمون هذا الاتصال بالفعل. فللوهابيين وزير مفوض فى لندرة، وملك الوهابيين على اتصال مستمر بممثلي الانجليز فى عدن. وقد بدأ الايطاليون يدورون حولهم. وهناك صلات اخرى ربما كانت أشد وأسرع تأثيراً من هذه الصلات السياسية والاقتصادية وهى الصلة العقلية التى تحدثها الصحف والمجلات والكتب. هذه الصحف والمجلات والكتب تطبع الآن بكثرة فى مصر وفلسطين والشام والعراق وامريكا. وكلها أو كثير منها يصل إلى كثيرين من أهل الجزيرة العربية، وهم يقرأون فيفهمون أحيانا ويعجزهم الفهم أحيانا أخرى. ولكنهم يعجبون على كل حال والاعجاب أول التقليد والتقليد أول الانتاج الفنى

وقد بدأت بشائر الحياة الجديدة ظاهرة جلية. ففى مكة صحيفة تنطق بلسان الحكومة وتنشر أدبا وسياسة على نحو ما كانت تفعل الجريدة الرسمية أول الامر، كانت القبلة أيام ملك الهاشميين وهى الآن تسمى أم القرى. وكانت فى مكة مجلة الاصلاح. وفى مكة مطابع. وفى مكة أيضاً وغيرها من مدن الحجاز مدارس مدنية على نحو المدارس المصرية الابتدائية تدرس فيها أوليات العلم درساً حديثا وتعلم فيها بعض اللغات الأوربية. كل هذا الى جانب التعليم الدينى القديم. وأغرب من هذه أن دعوة الى التجديد الفكرى والادبى قد ظهرت فى الحجاز منذ أعوام بتأثير ما يكتبه المصريون والسوريون. وهذه الدعوة عنيفة جداً فهى ساخطة أشد السخط على كل قديم فى الحجاز: على التعليم الدينى والادبى وعلى نظام الحكم وعلى الحياة الاجتماعية. وقوام هذه الدعوة أن الحجاز يجب ان يحيا حياة الاوطان الحرة المستقلة وأن يحتفظ من قديمه بالدين واللغة ويأخذ عن الاوربيين بعد ذلك ما استطاع، وان يستفيد من اقبال المسلمين عليه للحج فلا يفنى هو فى المسلمين، وأن يعنى أهله أشد العناية بالتعليم المدنى وباللغتين الانجليزية والفرنسية لأن احداهما لغة الاقتصاد والتجارة والاخرى لغة العلم والادب

وقد بدأ الحجاز بالفعل يرسل شبانه الى مصر ليدرسوا فيها العلم على نحو مايدرسه المصريون وأصحاب الدعوة الى التجديد لايكتفون بهذا بل يريدون أن يبعثوا ابناء الحجاز الى باريس ولندرة. وقد بدأ الحجازيون المجددون ينشئون الشعر والنثر على مذهبهم الجديد ولكنهم لم يوفقوا بعد إلى أن يكونوا للحجاز شخصية أدبية، انما هم تلاميذ السوريين، والسوريين المهاجرين الى

امريكا بنوع خاص ، فمثلهم العليا فى الادب يلتمسونها عند الريحانى وجبران خليل جبران ومن اليهما (١)

* * *

ومع اسراف النجديين فى المحافظة بحكم مذهبهم الوهابى فلن يستطيعوا مقاومة الحركة التجديدية التى تأتيهم من العراق ومصر . وبين يدى الآن طائفة من القصائد غير قليلة أنشأها جماعة من الشعراء النجديين فى مدح الملك عبد العزيز بن سعود . والذى يقرأ هذه القصائد يجد فيها تأثيراً ظاهراً جداً للروح العراقى الذى يتجلى فى شعر جميل الزهاوى ومعروف الرصافى وعبد المحسن الكاظمى ، والروح المصرى الذى يتجلى فى شعر حافظ وشوقى . ولكن للشعر النجدى الجديد شخصية تميزه من شعر العراق ومصر ، فهو على تأثره بالشعراء المحدثين محافظ فى لغته محافظة غريبة يتخير القوافى الصعبة ويطيل فيها ويكثر منها ويسرف فى الالفاظ الغريبة البدوية ، كأنه يلتمسها من المعاجم ، وكأنه يأخذها من لغة البادية النجدية التى هى فى مادتها على كل حال لغة الشعر العربى القديم . وقلما يستطيع الشعراء النجديون أن يتبعوا شعراء العراق فى تأثرهم بفلسفة المعرى والخيام أو بالنزعات الاوربية الحديثة ، أو يتبعوا المصريين فى تجديدهم العنيف لالفاظ الشعر وأساليبه ومعانيه . وانما هم معتدلون . وهم الى احياء الشعر القديم أقرب منهم الى ايجاد شعر جديد . وهم بدويون على كل حال . وهم ينشدون الملك شعرهم كما كان يفعل القدماء . ويجيزهم الملك على هذا الشعر بالابل احيانا و بالثياب احيانا اخرى وقلما يجيزهم بالذهب والفضة . وأهل نجد يختلفون الى العراق كثيراً والعراقيون يصعدون الى نجد ، ولا بد من ان يعود الحال بين القطرين الى ما كان عليه ايام بنى امية من التعاون الادبى القوى

وفى تهامة وعسير حياة عقلية ولكنها ضئيلة جداً . وهى ممعنة فى التصوف متأثرة فى ذلك بافريقيا الشمالية ، فقد نقل اليها الادريسيون طريقة مغربية انتشرت فيها وظفرت بالسلطان السياسى ولكنها لم تحدث نهضة أدبية ولم تغير من حال الادب شيئاً

أما اليمن فهى أشد البلاد العربية محافظة على قديم القرون الوسطى ، يعنى اهلها بعلوم الدين على طريقة الزيدية من الشيعة وينشرون الكتب الكثيرة فى هذه العلوم يطبعونها فى مصر . ولهم شعر كثير ولكنه ما زال قديما متأثراً بالروح المصرى الشامى الذى كان منبثا فى الشعر قبل النهضة الحديثة . والشعر عندهم مختلط بعلوم الدين فقلما تجد منهم عالما دينياً الاوله مشاركة فى الشعر ، وأكثر ائمتهم شعراء ، وإمامهم يحيى الآن يجيد الشعر على النحو القديم . ومن غريب

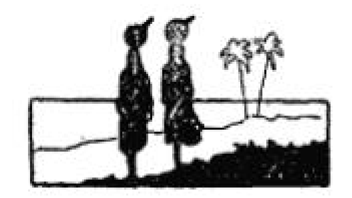
(١) انظر كل ما يتعلق بالحركة الجديدة في الحجاز في كتاب « خواطر مصرحة » لحسن عواد طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٥ ــ ١٩٢٦

أمر اليمن أنها ظلت طوال القرون الوسطى أكثر البلاد العربية حظاً من العلم والادب فى حواضرها ، وكان يرجى أن تكون أسرع البلاد العربية الى الاخذ باسباب الحياة الجديدة . ولكنها الان ربما كانت أشد البلاد الاسلامية كلها تمثيلا للحضارة القديمة والادب القديم . وأهل اليمن يفدون على مصر ولكنهم يفدون للتجارة أو لدرس العلم فى الازهر ، وليس منهم من يفكر فى الاتصال بالمدارس الحديثة . وليس فى صنعاء مدرسة وليس فيها مطبعة ، ومصدر ذلك فيما يظهر اشفاق أهل اليمن من الاجانب واغلاقهم أبواب بلادهم فى وجوه الاجانب من المسلمين والاوربيين جميعاً . ولكن الحضارة الحديثة المادية قد استقرت على سواحل اليمن ولا بد من أن تقتحم الابواب المغلقة ولن تستطيع اليمن منذ الآن أن تقاوم هذه الحضارة

* * *

وجملة القول أن جزيرة العرب الآن تشتمل على نوعين مختلفين من الحياة العقلية : احداهما محافظة قديمة لاتزال قوية بحكم الجهل وانتشار الامية ، والاخرى مجددة لاتزال ناشئة بحكم الاتصال باوربا والبلاد الاسلامية الراقية . وسيشتد الصراع بين هذين النوعين من الحياة . ولكن النصر محقق للحياة الجديدة لأن جزيرة العرب قد فتحت للحضارة الاوربية ولن تستطيع أن تغلق ابوابها بعد اليوم فى وجه هذه الحضارة . وقد يقال إن جزيرة العرب قد فتحت للحضارة الاسلامية فى القرون الأولى ثم أغلقت من دونها فما الذى يمنع ان تفتح للحضارة الحديثة الان ثم تغلق من دونها بعد حين ؟ والجواب على ذلك يسير سهل فقد كانت الحضارة الاسلامية القديمة تدخل بلاد العرب على ظهور الابل وفى الكتب المخطوطة ، أما الان فهى تقتحم هذه البلاد بالسيارات والبخار والتلغراف والتليفون والكتب المطبوعة والصحف والمجلات ، وأنى للبادية ان تقاوم هذه القوى المختلفة ؟ المستقبل إذاً للحياة الجديدة لجزيرة العرب وسيكون هذا المستقبل قريباً فى بعض البلاد و بعيداً فى بعضها الاخر ولكنه سيكون على كل حال

طه حسين



هوى

للاستاذ محمود ابو الوفا

يا لي من الحب ومن أسره   ومن وُجوم القلب في قَسره
لشدَّ ما قاسيته يافعاً   من بيضه آناً ومن سُمره
سلني أنا عنهُ فاني على   ثدييه ربيت وفى حِجره

*
* *

أقسى هوًى بين ضلوع ثوى   هوى حبيب لستَ مِن قدره
هنا هنا العاشق واحسرتا   لقلبه المذبوح في صدره

*
* *

يا قلبُ عن حبك لا تنثني   مهما تكسرت على صخره
من يركبِ البحر يَرُض نفسه   لمدّه الهائل أو جزره
ومن يرى الحب حياةً له   فليرض ان قُلب في جمره

*
* *

أظن قلبي لو غدا طائراً   وزار هذا الروض فى فجره
لهرَّه الحارس في قسوة   عوَّدها الحارس في هرّه

*
* *

وقيل لي الناس على بابه   قد سابقوا النحل الى زَهره

فقلت معذورون لم يذنبوا وان يكن ذنب فمن عطره
لهم قلوب ولهم أعين وفيه حُسْن ليس في عصره

* * *

رباه ما ذنبي أنا عنده ؟ أُذَاد دون الناس عن نهره
في حين لم نَرفع يدي مرة كأساً على سر سوى سره
وأنه لو قال لي لا تعش والله ما عارضت في أمره
هل بعد هذا أدب في هوى ؟ دل به صب على طُهره

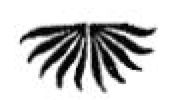
* * *

يا مَنْ مِنَ الاجلال أُخفي اسمه خيفة أن يُجرح في كبره
كفى كفى واستبق من عاشق لم يبقَ غيرُ النزر من عمره
أحييت موتى لم يكن بعثهم سهلا فكيف الحي في نشره
صُغرى أياديك على غيره تبعث هذا الميت من قبره

* * *

وقيل لى شِعرك في وصفه غيرُ مجيد قلت من هَجره
لو كان ادناني من لفظه لما حكى شِعري سوى دره
يا شقوة الشاعر ان لم ينَل عطف الذي يهوى على شِعره

محمود أبو الوفا



ما أذكره عن والدي

حديث لبهي الدين بركات بك عن

المغفور له والده فتح الله بركات باشا

٩ فبراير . . .

لم ينقض على انتقاله الى جوار ربه سوى أيام فمن الصعب أن أطلب الى أكبر أنجاله أن يحدثنى عنه

١٣ فبراير . . .

فكرت فى الموضوع من جديد ، فشعرت بما شعرت به من ثلاثة أيام فأحجمت

١٤ فبراير . . .

قيل لى ان بهى الدين بك سافر الى بساتين بركات ليستريح فيها يومين ، فقلت سأخاطبه فى الموضوع عندما يعود

١٧ فبراير . . .

خاطبت بهى الدين بك بالتلفون ، واتفقنا على أن أزوره غداً بعد الظهر

١٨ فبراير . . .

ذهبت لزيارة بهى الدين بك . . . قابلتنى كريمته الطفلة . . . « نينى » الصغيرة . . . عرفتنى ولكنها لم تبتسم لى كعادتها ... كانت ترانى عند جدها وكنت أشترك معه فى مداعبتها . . . ولذلك كانت تبتسم حينما ترانى

أما اليوم فلم تبتسم لى . . . بل قالت بصوت حزين : « جدى بح . . . » فلم أجبها فظنت انى لم أفهمها فقالت : « جدى ذهب الى ربنا »

وتركتنى الطفلة « نينى » وابتعدت عنى كأن وجودى أمامها يذكرها بجدها الذى كان يحبها حباً جماً . . . والذى كان يجد دائماً كلمة لطيفة يقولها لها مهما ضاق وقته ومهما كثر عمله . . . والذى كان يلعب معها ويمازحها ويداعبها كأنه طفل مثلها ثم يلتفت الى من معه ويقول : « انى أرى بهى الدين فى عينيها »

وأطللت بعد لحظة من النافذة فأبصرت « نيني » تسرح فى الحديقة وتمرح !

اسرحى يا « نيني » وامرحى والعبي ... ويا ليتنا كنا أطفالا مثلك نلهو ونلعب وننسى ...

......

ودخل على بهى الدين بك متجلداً كعادته ، وبعد قليل وجدت سبيلا الى الحديث الذى كنت أريد أن يدور . فقال وفى العين دمعة كانت العاطفة التى تحركها أقوى من إرادته :

— تقول يا صديقى ان والدى كان زعيما فى قريته وصاحب السيطرة على الجميع والمطاع من الجميع ، فدعنى أقول لك انه لم يكن يرى فى ذلك امتيازاً ! بل كان يشعر دائماً بأن على عاتقه واجب حماية كل فرد فيها والعمل على صون حق كل شخص ... كان يرى واجباً عليه مواساة كل من يقع به أذى أو يحل به ضرر ، كما كان يرى واجباً عليه معاونة كل من كان فى فرح ، فكنت تراه لا يترك مأتماً مهما صغر أصحابه من غير أن يتقدم مشيعيه ، فان عاقه عن ذلك عائق انتدب عنه أحد أولاده ، وكذلك اذا جاء يوم العيد رأيته يطوف على جميع الدور يحيى كل صاحب دار أو صاحبة دار بكلمة طيبة واذا أقعده عذر من الأعذار ناب عنه أحد أنجاله فى تأدية هذه التحية

اهتمامه بحقوق الناس

« وكانت داره محط زيارة الجميع كما تقول فكان بيته محل الشكوى ومحل القضاء ولم يكن لأحد أن يعصى كلمة تصدر عنه أو إشارة تبدر منه ، ولكنه مع ذلك لم يكن يرى فى هذا امتيازاً ، بل كان يرى من الواجب عليه أن يدافع عن أحقر رجل فى القرية اذا مست حقوقه أو هضمت ، وكان من المعروف فى الجهة ان الادارة لا يمكنها أن تمس أهل قريته بسوء وان هؤلاء لا يمكن ن يطالبوا بغير ما عليهم من الواجبات . كان يفخر بذلك ويضحى فى سبيله راحته ، وكثيراً ما كان ينصب نفسه منصب المعلم ليفهم الناس حقوقهم وليعلمهم احترام حرياتهم »

حق المرأة

واستطرد بهى الدين بك من ذلك الى الكلام عن الفقيد الكبير كنصير للمرأة فقال :

— وكنت تراه يطبق مذهب الحرية على نفسه قبل غيره ليكون قدوة لأهل بلدته ، حتى انه تجاوزه الى ما لم يكن معروفاً فى القرى من احترام حق المرأة . فكثيراً ما توسل بنفوذه لمنع التزوج بأكثر من واحدة ، وكثيراً ما كنت تسمعه يجاهر فى مجالسه بأنه لا يرضى على من يهضم حق زوجته أو يرهقها بالتزوج من غيرها

احترام النفس

« وكانت تلك الروح شديدة الرسوخ فى نفسه فتخطت القرية الى المركز والمركز الى المديرية فغدا منزله بعد سنين قليلة من إقامته فى القرية مقصد الناس وذوى الحاجات من أقصى المديرية الى أقصاها مع تباعد المسافات فى مديرية الغربية ورداءة طرق المواصلات . وكثيراً ماكان يكابد العنت والارهاق من المديرين وغيرهم لأنه كان يدافع عما يعتقده حقاً ، بل كنت تشعر منه انه لا يكاد يفهم لاحترام النفس معنى إلا أن يكون صاحبها حراً صريحاً فى سره وعلنه ، ومن أبرز صفاته احتقاره لمن تصغر به نفسه فيأتى عملا يجبن عن أن يجاهر به أو يخشى ظهوره

المساواة المطلقة

« وقد انتقلت معه تلك الروح من مركز المديرية الى مجلس شورى القوانين ثم الى الجمعية التشريعية ، فكنت تراه دائماً يدافع عن المساواة المطلقة وليس أدل على ذلك من اقتراحيه بشان الرتب والنياشين (١) وانتخاب شيخ الازهر وما دار عليهما من مناقشات

المجد الحقيقى

« وقد كان رحمه الله يرى المجد الحقيقى فى أن ينفع الانسان أخاه الانسان وأن يخفف من روح الظلم عنه ويمتعه بنسيم الحرية ، ولم يكن يرى أى مجد او فخار فى أن يعلو الانسان الى مركز من المراكز على هامات غيره غير مكترث لحقوقهم ، فهو كان يرى مجده فى أن يعاون المجموع لا فى أن يعلو عليه »

عقيدته الدينية

وانتقل بهى الدين بك الى الكلام عن عقيدة والده الدينية وتأثيرها فى حياته التأثير الذى يعرفه جميع أصدقائه فقال :

ــ وكان ذا عقيدة دينية لم يتطرق اليها الشك . وكانت تلك العقيدة تجعله لا يعبأ بما يقال ضد أو بما يمكن أن تفسر به أعماله لأنه كان يعتقد دائماً ان الله موجود وانه لا بد ناصر للحق ، ولذلك كنت تراه يقرأ مطاعن خصومه ويستمع الى ما يقولونه ضــــده ساخراً

(١) طالب الفقيد يومئذ بعدم جواز منح الرتب والنياشين لاعضاء الجمعية التشريعية.

ضاحكا ، وكثيراً ما كان يهمل فى الدفاع عن نفسه لاعتقاده ان الحقيقة لا بد أن تظهر ، وكثيراً ما كنت تثنيه عن عمل قد يساء تأويله فما تستطيع منه تغييراً ولا تسمع منه إلا قوله : « ما دام هذا هو الحق فلا يهمنى ما يقال فيه ، فانا أؤدى الواجب على ولتكن النتيجة ما تكون »

الخير والشر

وهنا استطرد بهى الدين الى الكلام عن ناحية دقيقة من نواحى حياة والده فقال :

ـــ وكان ذا عقيدة راسخة بأن الخير لا يمكن أن ينتج شراً وان من توليه المعروف لا يمكن أن يخونك . والغريب انه كثيراً ما عانى الضرر من جراء هذا المبدأ وكثيراً ما تألم بسببه وتضجر ، ولكنك كنت لا تلبث اذا عرضت مسألة جديدة أن تجد تصرفاته متأثرة بتلك العقيدة فيسارع الى نصرة من يلجأ اليه ولو كان ممن أساءوا اليه وأنكروا جميله وكأنه كان يرى فى الالتجاء اليه وحده الترضية الكافية والعقاب الانسانى عما فرط منهم فى حقه

حياة كلها دروس

وهنا حل موعد آخر كان بهى الدين بك مرتبطاً به فالتفت إلى وقال :

ـــ هذا بعض ما أذكره عن المرحوم والدى وقد كانت حياته التى ذكرت لكم بعض نواحيها سلسلة دروس لى

كريم ثابت



الشح القاتل : سبب شقاء العالم

هل الضائقة التي يعانيها العالم الآن هي نتيجة الشح وطمر الاموال في الأرض دون استغلالها والانتفاع بها ؟ واذا كان الامر كذلك فما هو سبب هذا الشح ؟ اقرأ تفاصيل ذلك في هذا البحث الطريف

ليس ثمة سوى سبب واحد لما يعانيه العالم من شقاء — وهو الشح . وهذا السبب يجب ان يكون نصب عين كل انسان وكل شعب . واذا استثنيناه لم يبق ثمة ما يشكو منه العالم . وفى الواقع أن رجال السياسة هم المسئولون عن هذا السبب فهم الذين يخلقونه بالقيود الصناعية التى يفرضونها والتى هى أكبر مثبط لهمم الناس وعائق فى سبيل الانتاج وترويج السلع .

ولو أمكن تفهيم بضعة الالوف من الناس الذين يمثلون الشعوب فى المجالس النيابية هذه الحقيقة لكانت حالة العالم أدعى الى الارتياح ولزالت هذه الضائقة التى يشكو منها الناس

اننا نشفق على الفرد المبتلى برذيلة الشح ، ولا نشعر بشىء من ذلك الاشفاق على الامة أو الحكومة التى تظهر الشح فى كل عمل من اعمالها وفى كل تشريع من تشريعاتها

واهل أبشع مظاهر الشح أن يموت الانسان من الجوع وفى خزائنه أموال مكنوزة . وفى الواقع ان العقل لايستطيع ان يعلل هذا التصرف أو ان يعفو عن الشحيح . فقد وجد المال منذ البدء لكى ينفق . ومن الطبيعى أن يميل الانسان الى الانفاق . وقد كان فى أول عهده يشتغل ليكسب قوت يومه بالصيد والقنص لا ليكنز المال . أى ان طبيعته كانت تدفعه الى الانفاق لا الى الشح . وكان اذا اصطاد سمكة أو قنص حيواناً عمد الى اكله فى الحال غير مبق على شىء من فريسته أو مدخر شيئاً منها . وكذلك يفعل الحيوان بوجه الاجمال فانه يلتهم فريسته فى الحال ولا يكتز منها شيئاً . وبعبارة اخرى انه يتمتع بكل ما يستولى عليه ولا يطمره فى الارض كما يفعل الشحيح

ومع ذلك نجد فى هذا القرن الموسوم بقرن النور والمدنية حكومات واماً تفتخر بذكائها وبالاختراعات العظيمة التى وفق اليها عقل الانسان من سفن تمخر البحار وطيارات تجوب الفضاء ومع ذلك تتمسك برذيلة الشح وتضع الاغلال الثقيلة لتحول دون الانفاق

إن الانسان — ذلك المخلوق المدهش الذى هو تاج الخليقة كلها — يعرف كنوز الثروة فى بطن الارض وعلى سطحها ، وفى وسعه ان يستولى على تلك الكنوز ولكنه اذا استولى عليها ليطمرها فى موضع آخر من دون أن ينفقها أو ينتفع بها فكأنه لم يستول عليها ، وكأنه فقير مدقع.

ترى من أين جاءت خلة البخل وكيف تمكن الجشع من الانسان حتى ظهرت آثاره فى كل عمل من أعماله وأفسد عليه نظام معيشته ؟

تأمل فى أهل هذا العصر الموسوم بعصر العلم والمدنية ، تأمل فى الجيل الحاضر وهو رمز للعقل

والذكاء يفخر بما قد وفق اليه من اختراعات واكتشافات ويباهى بما هو عليه من قوة وجبروت ، وبما يستطيع أن تصل اليه يده من موارد الثروة والغنى ، ألست تلمح خلة البخل من خلال كل عمل يعمله وكل مشروع يقدم عليه ؟

لقد كان الانسان فى أوائل عهده يعذر اذا مسته الحاجة أو مرت به أوقات لم يجد فيها ما يسد عوزه . كان ذلك فى عهد بداوته الاولى يوم لم يكن له سلطان على موارد الطبيعة . أما اليوم فقد وضع يده على تلك الموارد وصار يسخر قوى الطبيعة لمصلحته . وهو فوق ذلك يمتلك من وسائل استغلال الطعام ما لم يكن الانسان الاول يمتلكه . ولكن هل سخرت له الطبيعة جميع تلك الموارد ليخفيها أو يطمرها أو يكنز ما فيها ؟ أم قدر له التسلط على تلك القوى لكى يستغلها على الوجه الذي فيه مصلحة الجميع على السواء ؟

إن العقل يرشدنا الى وجوب انفاق الموارد فى سبيل خير البشر كافة . فذلك الانفاق هو لمصلحة الاجتماع بوجه عام . ومع ذلك اذا نظرت الى أعمال الحكومات فى الوقت الحاضر رأيتها كلها مبنية على البخل والجشع وحب الاستئثار بموارد الطبيعة وكنز ما فيها أو طمره بحيث لا يستفيد أحد منه . وماذا عسى أن تكون النتيجة؟

أنظر الى دولاب العمل تجده واقفاً فى كل مكان . ترى معامل كثيرة مقفلة ومعاليس مقفلا يمتنع عن انتاج الكميات الكبيرة لأن العالم لا يميل الى الانفاق ولأن خلة الشح تحمل كل فرد على طمر ماله وكنزه والامتناع عن شراء ما هو فى حاجة اليه . والمرء يسوغ عمله هذا بقوله : « خبىء قرشك الأبيض ليومك الأسود » . ولكنه ينسى أن هذا الشح هو منشأ الكساد الذى يسود المتاجر وسبب هذه الضائقة التى يئن منها العالم . بل هو الذى يجعل البنوك والمصارف تقبض يدها وتوصد خزائنها فكأنها تطمر أموالها فى الأرض والمال المطمور لا قيمة له على الاطلاق

بل الشح هو السبب الذى يمتنع من أجله جميع أرباب الاموال من فتح صناديق أموالهم واخراجها لاستغلالها فى مصلحة الاجتماع ، ولو وثق أصحاب تلك الاموال بأن استغلالهم لها يعود عليهم بالربح ما أحجموا عنه . ولكن بخلهم القاتل يعميهم عن رؤية الحقيقة فيسترسلون فى خلة هي من متممات شقاء الانسان

وليس الغرض مما تقدم الدعوة الى التبذير والتشجيع على الاسراف ، فبين الانفاق والتبذير فرق عظيم كالفرق بين الارض والسماء . فالانفاق انما يرمي الى الحصول على ما هو لازم من أمور الحياة ، وأما التبذير فهو الاسترسال فى الانفاق فيما هو لازم وما هو غير لازم من أمور الحياة . وكذلك يوجد فرق بين الشح والاقتصاد ، فأنت اذا طمرت أموالك فى الارض وأبيت اخراجها واستغلالها كنت بخيلا لا مقتصداً . واذا خفت من الاقدام على مشروع مالى لانه

لا يدر عليك الاموال الوفيرة كنت شحيحاً تمشى على نقيض مبدأ الاقتصاد . ذلك لانك تحرم نفسك ربحاً — ولو يسيراً — وتعمل على عدم ترويج دولاب الاعمال وعلى منع اتصال رزق الغير . واذا كانت معامل كثيرة لا تشتغل اليوم خوفاً من بوار منتجاتها فتبعة ذلك واقعة على أصحاب الاموال

ومما زيد الطين بلة هذه القيود الثقيلة التى ترهق بها الحكومات كواهل اصحاب المعامل ونعنى بها الضرائب الجمركية وغيرها . وقد وضعت سداً لمطامع ، ولو وقفت عند حد معقول لكان الانسان يجد وجهاً للدفاع عنها ، ولكن الحكومات تتنافس فى فرضها مدفوعة اليها بحب الجشع وبدافع البخل القاتل

وما هى نتيجة هذا المظهر من مظاهر البخل ؟

نتيجته البطالة التى تسود اليوم العالم وتكاد تزعزع اسس نظامه الاقتصادى . وقد انتشرت هذه البطالة فى بعض البلدان حتى أصبح العمال العاطلون عالة على الاجتماع وصارت بعض الحكومات مضطرة الى اعالتهم والانفاق عليهم ، وفى ذلك مافيه من التحريض على الكسل والتشجيع عليه . وتدل الاحصاءات الموثوق بها على ان فى العالم اليوم نحو ثلاثين مليوناً من العاطلين من البيض فقط عدا العاطلين من اجناس البشر الاخرى

فالعالم بوجه الاجمال يظهر اليوم بمظهر البخيل الشحيح الذى يخشى من الانفاق . واختلاف مصالحه عقبة فى سبيل تبادل المنفعة بالانفاق ، بل ان ذلك الخلاف هو سبب الاحجام عن استغلال المواد المختلفة . وكأننا بالاغنياء قد تواطأوا على طمر أموالهم فى الارض . والاموال المطمورة كما سبق القول هى كاموال لا وجود لها

ترى ما سبب خلة الشح ؟

هو الخوف من المستقبل ، فالانسان يخشى أن يقع له فى المستقبل ما يقعده عن جمع المال فيجمعه ما دام يستطيع ذلك . وكان يحمد على جمع المال لو كان الغرض منه انفاقه لاستغلاله ، اما جمعه لطمره فى الارض وامانته فجريمة لا تغتفر

ان ارباب الاموال فى العالم يستولى عليهم اليوم خوف عظيم ، وهذا الخوف يعميهم عن رؤية الحقائق لانهم ينظرون الى شؤون العالم من وجه مصلحتهم الخاصة فقط لا من وجه مصلحة الاجتماع عامة . وهم ينسون تعريف الثروة بمقتضى علم الاقتصاد ، وهذا التعريف يقول إن الثروة هى كل ماله قيمة للتبادل والمقايضة ، فاذا طمرت ثروتك فى الارض فلا تبقى لها قيمة للتبادل على الاطلاق . كما ان الذهب المطمور فى طبقات الكرة الارضية لا قيمة له الا اذا اخرج من بطن الارض وانفق

فالضائقة التى يعانيها العالم اليوم انما هى نتيجة الشح ، والشح سببه الخوف . ولا تنتظم امور الاجتماع الا اذ انتفى الشح والخوف وعمد البشر الى الانفاق عن سعة بلا اسراف ولا تبذير

المجتمع الامثل في نظر غاندى

« المدينة الفاضلة » كما يتصورها زعيم الهند وفيلسوفها

غاندى الناحل العارى لا يمثل لنا الا شخصية المجاهد السياسي . ولكن سياسة غاندى كما نعرف تقوم على أسس من الدين والاقتصاد ، وهو فوق ذلك يبنى الهند بناية جديدة سليمة ، ويهيؤها لرسالة انسانية جليلة . فليس ميدانه السياسة فحسب ، بل انه ليبدو اكثر وضوحاً وأشد تأثيراً اذ يتحدث فى الاجتماع والاخلاق ، وان جاذبيته لتفيض بها كتاباته التى يبسط بها تعاليمه الروحية والاجتماعية

على انك اذا أنعمت النظر فيما يكتبه غاندى وما يقوله ، اجتمعت لك صورة مجتمع يريده غاندى ويصبو اليه ، ويرى فيه الكمال والسعادة . وهو مجتمع هندى الا ان له سمات انسانية ، حتى يستطيع الانكليزى والمصرى والروسى ان يقتبسوا منه جميعاً . وقد سبق توماس مور غاندى فتخيل مجتمعاً فى جزيرة وأسماه « اوتوبيا » ، فأصبحت هذه اللفظة عنواناً على كل مجتمع تبتدعه مخيلة المفكرين والفلاسفة والكتاب ، فلنر اذن اوتوبيا غاندى اليوم :

اوتوبيا غاندى أو مدينته الفاضلة مدينة جد هادئة ، فأنت اذ تسير فى طرقاتها تسير هادئاً لا تخشى السيارات ، فليس للسيارات مكان فى هذه المدينة ، ولست تلمح عن قرب ولا عن بعد قطرات السكك الحديدية ، لانها أيضاً وبقية المخترعات الآلية الحديثة لا تدخل هذه المدينة . وليس شك أن المصانع الضخمة بضجيجها ومداخنها ودخانها لا تعرف طريق مدينة غاندى ، لان هذه المصانع تسبب الفقر والفاقة ، وتعتدى على أرواح العمال فتعكر صفاءها ، وتملأ نفوسهم بالسخط والثورة ، وتجعلهم عبيد المال ، وتحبب لهم القرش ثم تبعده عنهم !

فاذا سرت فى الطريق هبطت على كتفك حمامة بيضاء ، واعترضتك فى مسيرك بقرة ضخمة وداعبك قرد شقى ، وزحف على ثوبك ثعبان عنيد . فحذار ان تقلق الحمامة بل املأ عينيك من الوداعة التى تفيض بها عيناها ، وانعش روحك بهذا الهدوء الذى يبدو فى أجزائها جميعاً ، وان استطعت بعد ذلك ان تقدم لها الحب فافعل ، ثم دعها على كتفك حتى يطيب لها أن تطير

أما البقرة فلا تزعجها فى وقفتها الحالمة ، فانها لا تعطى للناس لبنها فحسب ، بل انها لتيسر لهم الزراعة ، ثم هى بعد ذلك قصيدة من الشفقة فان الشفقة لتطالع الانسان فى عينيها »(١)

أما القرد والثعبان فلن يسيئا اليك ما دمت لا تنتوى لهما الشر ، سيرقص أمامك القرد ثم يمضى لحاله ، وسيتلوى على ثوبك الثعبان دون ان يؤذيك فلا تخشه

---

(١) من مقال لغاندى

وأهل هذه المدينة فلاحون يحبون الارض ويعشقونها . وهم يزرعون أرضهم و يحرثونها بمحراث أجدادهم الاقدمين فلم يغيروه ولم يبدلوه ، وما حاجتهم إلى هذا التغيير إذا كان هذا المحراث يقلب عالى الارض سافلها ؟ ثم هم يبذرون الحب فينتج خير نبات

وأنت بدورك يجب ان تعمل فلاحاً ان أردت ، فان لم ترد كان لزاماً أن تغزل بمغزل رخيص ، فالغزل واجب حتم تزاوله المرأة العجوز ، والشابة ، والرجل والشاب والطفل . فالغزل صلاة لله ، وعلاج للروح ، وخدمة للفقراء

على ان الفقراء فى هذه المدينة يتناقص عددهم فقد كانوا غالبية سكان المدينة وكانوا لايعرفون الحياة النظيفة ولا الاكلة الهنيئة ، فلما أنشئت المدينة وتقرر ان كلا لن يأخذ الا ما يحتاج اليه ، ثم ينزل عما زاد عن حاجته الى سواه من الفقراء والمعوزين ، ثارت حماسة الاغنياء ، وتحركت فى نفوسهم عاطفة الخير ، فأصبحوا لايحتجزون لانفسهم الا القليل الذى يقيم اودهم . ولكن بعض الاغنياء لم ترقه الفكرة ، ولم يعجبه القرار ، فبقى يحوز الكثير . فثار غضب الشبان وأرادوا ان ينتزعوا من أيدى هؤلاء الاغنياء الذين تحجرت قلوبهم أموالهم التى فاضت عن حاجتهم . ولكن رئيس المدينة ردهم عن ذلك وأفهمهم « أن لا عنف » وكان هذا مبدأ أهل المدينة . فالشرير لا يعتدى عليه ولا يعاقب ، وانما يترك حتى يغزوه حب الناس فيعود لهم يسايرهم

ولو اعتدى عليك أحد افراد هذه المدينة لم تجد محكمة تلتجىء اليها ، ولا قاضياً يقضى لك ، فان خلافات الناس وجرائمهم لا ينظر فيها الا الناس فيما بينهم . فليس ثمة محكمة بالنظام الذى نألفه نحن . وليس هناك محامون على الاخص ، فالقانون الذى يكتبه الناس يزيد فى الحياة تعقيداً ، ويجعل العدالة القاظاً يستطيع أن يصوغها القاضى الماهر ، والمحامى الذلق ، والخصم الذرب كل على هواه . على أنه يجب ألا ننسى أن مبدأ هذه المدينة هو « أن لا عنف » ، وأهل هذه المدينة قد حادوا أول الأمر عن هذا المبدأ الحين بعد الحين ، فاعتدى بعضهم على بعض ثم رد بعضهم اعتداء البعض الآخر ، ولكنهم رأوا بعد ذلك جلال هذا المبدأ ، وشاهدوا بأنفسهم كيف حل مشاكلهم ، وجعل حياتهم نعيا وعيشهم رغداً

وطبعى بعد ذلك ألا يكون لهذه المدينة جيش فهى مدينة السلام والهدوء ، ولكن لا مكان للجبناء فيها ، فلو أحس رئيس المدينة يوماً أن افرادها يجنحون الى السلام للجبن الذى استولى على نفوسهم جند منهم جيشاً ، وأعدهم للقتال ، لان الجبن هو « عنف » ترتكبه النفس الضعيفة

ولو كنت غريباً لاستطعت أن تعيش فى هذه المدينة يسالمك أهلها ويساعدونك ، ولكنهم يفضلون عليك مواطنيهم ، فلو كنت جائعاً وكان من أهل المدينة جائع آخر قدم الطعام للاخير ليأكل حتى يشبع ، ثم تأكل أنت بعده ، ولو كنت تاجراً من مدينة أخرى لما اشتروا

منك شيئاً ولو كانت بضاعتك أرخص ثمناً وأجود نوعاً . فأهل هذه المدينة يؤمنون بمبدأ يسمونه بلغتهم « سادويسى »

وهذه المدينة تعيش لنفسها بنفسها . تخرج من حقولها طعامها لتأكل ، ومن مغازلها وأنوالها ثيابها لتلبس ، فهى لا تزرع لتأكل ثم تبيع ، ولا تستبدل ما تحتاج اليه بما لا تحتاج اليه ، بل هى لا تعرف التبادل ، ولا تحب التجارة ، وان اتصلت بغيرها من المدن حلت عليها اللعنة وساءت حالها . وليست هذه العزلة كراهية أو حقدا أو عاطفة شر من هذه المدينة ، بل هم يريدون بهذه السياسة أن يحصلوا على نفعهم دون أن يسيئوا الى غيرهم

وليس لأهل هذه المدينة دين رسمي ، فالمسيحى والمسلم والهندوكى واليهودى يستطيعون أن يعيشوا الواحد الى جانب أخيه عيشة محبة وأخوة . بل إن الواحد منهم يعين أخاه لأداء واجباته الدينية . فالهندوكى مثلا يطهى طعام افطار المسلم فى رمضان ، ويقدمه له ، مظهراً للحب ودلالة على الاخوة . ويحاول المسلم لقاء ذلك أن يمتنع عن أكل اللحم ، احتراماً لعاطفة الهندوكى . والهندوكى من أهل هذه المدينة يؤمن بحماية البقرة أو عبادتها ، لان حماية البقرة تعلمه الاشفاق على الحيوانات جميعاً ، فالاشفاق بالتالى على الناس جميعاً ، كما يؤمن بتقمص الارواح ، وبالطبقات الأربعة : طبقة الدينيين والعلماء ، وطبقة المدافعين ، وطبقة التجار والزراع ، وطبقة الصناع والفعلة . على أن هذه الطبقات لاتعنى تفضيلا لطبقة على طبقة بل ان الغاية من هذه الطبقات توزيع العمل بين الناس ، أى توزيع الواجبات بينهم . فالبرهمى يخدم الناس بعقله وعلمه ، و (الشادورا) يخدمهم بيديه وجسمه وهكذا . . . على أن المنبوذين لا وجود لهم فى هذه المدينة ، فالجميع اخوة يأكلون معاً ويعيشون معاً : برهمى وعامل وتاجر ، مسلم ومسيحى وهندوكى . . .

وليس الدين فى هذه المدينة الفاظا تردد ، ولا رسميات تتبع ، أو شكليات تقدس . بل ان الدين يجب أن ينبعث من القلب . والهندوكى له ان يفهم دينه بالاسلوب الذى يوحى اليه به ايمانه . وليس هناك انسان يفرض عليك طريقة خاصة لتفهم بها دينك . على أن الدين فوق ذلك لايعرف فى هذه المدينة الفوارق الضيقة ، فكتب الاديان جميعاً ـ التى يؤمن بها البوذى والكونفوشيوسى والبرهمى والمسلم واليهودى ـ هى كتب مقدسة فى نظر أهل مدينة غاندى ، وهم يطالعونها اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا ، بل انهم ليرتلون أحيانا بعض الأناشيد المسيحية الجميلة ، التى تصور ايمانا ساميا بالله . والشخصيات العظيمة التى لازمت الأديان وخدمتها هى شخصيات معروفة ومحبوبة من أهل هذه المدينة ، فعلى وعمر وبولس الرسول والقديس فرنسوا هم فى نظر ابن هذه المدينة على السواء حقيقون بالحب والاعجاب والتقديس . على أن التأمل والاطراق والاستغراق فى الافكار ليس فى نظر مدينة غاندى شيئا يحمد عليه الانسان ، فان الله يبدو فى الاشياء المادية المحسوسة للانسان ، يبدو له فى الزهرة التى تنعشه ، وفى العمل

الطيب الذى يهتدى اليه فينقذه من البطالة والهواجس ، وفى الشخص الكريم الذى يواسيه ويقويه ويرشده . فخير صلاة لله هو اذن العمل . فليعمل الناس للفقراء أو المرضى أو المنكوبين الذين حولهم فيقتربوا من الله ، ويكون عملهم خير صلاة له

والطعام الذى يأكله أهل هذه المدينة كالثياب وكالمساكن كلها بسيطة . فاللحم لا يؤكل ، ولبن البقر لايشرب ، ولا يتأنق الناس فى تهيئة الطعام واعداده . وأهل مدينة غاندى تضايقهم الاناقة فى الطعام التى يعيش فيها الاوربيون ويرونها وقودا للشهوات البدنية ، فالناس تأكل كثيرا وتأكل الطعام الدسم ، وتبقى ساعات فى مكاتبها ، ثم تنقلب الى فراشها فيبقى فى الجسم ما يفيض عن حاجته ، فلا يجد منصرفاً الا فى الشهوات البهيمية التى تهبط به فى سلم الانسانية دركات وتجنى على روحه ونفسه

أما الثياب فهى مما يغزل أبناء المدينة أنفسهم ومما ينسجون . أما المساكن فهى جد بسيطة ، ليس على جدرانها صور ، وليس على نوافذها ستائر ، فان النائم فى المنزل ليرى من نوافذها الطبيعة الجميلة : يرى السماء ونجومها ، وتنفذ الشمس منها اليه فتجدد له الحياة وتبدد له القتام

والانسان فى هذه المدينة يخدم نفسه بنفسه ، فليس هناك خدم ، بل انه لابد أن يعمل بيديه ، فقد نسى الانسان العمل اليدوى وكرهه ، فكان ذلك نقمة عليه ، فان فى العمل اليدوى صرفاً للانسان عن الافكار السوداء وتقوية لبدنه واصلاحاً لنفسه . أما الترف فهو الداء الذى يقتل الاخلاق ويهدمها

سر فى شوارع هذه المدينة وطرقها فلن تجد مستشفى واحدا ولا سجناً واحدا . أما أمر السجن فمفهوم ، فهذه المدينة لا تعاقب ، وانما تسامح . واما المستشفى فأمره جد غريب ، ذلك لأن الاطباء لا يعيشون فى هذه المدينة ، لأن الطب هو سحر اسود ، فهذا الطب يعمد الى التشريح ، وهو وصمة فى جبين الانسانيـــــة . والمستشفيات بيوت دنسة . ولكن يوجد بدل المستشفى مكان يسمى بيت الشفاء ، ليس فيه اطباء وممرضات ، ولا يتعاطى فيه المريض دواء ، بل انه ليجد فيه الراحة والهدوء ، ينام فلا يتعب نفسه ولا يجهدها ، ثم ينظف أمعاءه بالصوم أو الحمية ، ثم يتناول من المشروبات الطبيعية عصير فاكهة معينة . ويسير على نظام طبيعى لا سبيل الى التحدث بافاضة عنه هنا

وفى المدينة مدرسة يتعلم فيها البنات مع الصبيان من طفولتهم . وفيها يجتمع ابناء الاديان جميعاً ويعرف كل منهم دين الآخر وتقاليده ، ويتعلم ايضاً احترامها وعدم الاقدام على نقدها بدافع من تعصب ذميم أو كراهية . ويتلقى الاطفال ما يفيدهم وما تقبله عقولهم ، لا ما يجب أن يعرفوه ، وليس لهم نظام يقيدهم او يحد من حريتهم كثيراً ، الا انهم يتعلمون من بدء حياتهم ضبط النفس

وهم يتعلمون فى هـذه المدرسة احترام المرأة وتقديرها وعدم النظر اليها كموضوع لشهوة الرجل . على ان المرأة فى هـذه المدينة هى نصف الرجل تماماً . هي اخته قبل ان يتزوجها ، يستشيرها ويعتمد عليها ، وتجاهد الى جانبه كما يجاهد ، ويفزع اليها عند الألم والضيق . وهي أخته بعد الزواج ، يستشيرها ويعتمد عليها ، وتجاهد الى جانبه كما يجاهد ، ويفزع اليها عند الالم والضيق .

وان على المرأة فى هذه المدينة واجباً يجب ان تؤديه ، فهي لا يصح ان تعنى بجسمها ولا ان تهيئه للرجل ، فلا هى تلبس من الثياب ما يبرز من هذا الجمال الجسدى ويلعب بأعصاب الرجل . ولا هى تضع فى وجهها من الالوان والاصباغ ما يزيد هذا الجمال استثارة للحواس . يجب أن تفهم أن روحها هى التى تعشق فيها وتحب لا جسمها ولا جمالها المادى الذى يزول . وليس هذا واجب الفتاة بل واجب الزوجة فهى لا تتجمل لزوجها . ولا تقدم نفسها وسيلة لتمليق نزواته . يجب ان يعيش الزوج والزوجة صديقين . لا تنفصم صداقتهما أبدا ، فلا طلاق فى هذه المدينة.

والمرأة بعد ذلك لها الحق فى التصويت فى كل ما يقترح عليه . ولها رأى فى كل امور المدينة وشئونها مثل ما للرجل

والشبان يجب ألا يفكروا فى الزواج ، فان استطاعوا امتناعاً عنه كان ذلك توفيقاً ، فان لم يوفقوا تزوجوا من المطلقات اللواتى تركهن أزواجهن أو من الفتيات اللواتى مات عنهن أزواجهن

وقد أصدر رئيس المدينة فى هذا الصدد نداء حاراً قال فيه :

« انى لأرغب من الشبان الذين حولى ان ينفذوا هذا المقترح العظيم الذى أقدمه . انى لأرجو ان يكون أغلبكم ما يزال أعزب . لذلك أطلب ان تلتزموا هذه النية المقدسة . ذلك انكم لن تتزوجوا الا فتاة مات عنها زوجها . انكم ستبحثون عن فتاة من هذا الصنف ، فان لم تجدوا لا تتزوجوا أبداً . اعزموا على هذا واعلنوه للدنيا . اعلنوه لوالديكم ان كان لكم والدون . ولاخوانكم وللناس جميعاً (١) »

وبعد فأبناء هذه المدينة لا يؤمنون بوجود فاصل بين الشرق والغرب . ولكنهم لا يريدون ان تسود حضارة الغرب فى الشرق . لان معنى هذا ان يصبح الشرق والغرب فى « قاعة الموت » . أما اذا انتشر ضوء الشرق فى العالمين فهنا السعادة والسلام

هذه اوتوبيا غاندى الهندية . فهل نستطيع ان نصور اوتوبيا مصرية ؟ وهل يمكن ان تكون واضحة هكذا ، وعلى اساس من الواقع والحقيقة لا من الخيال والاحلام ؟

سيد فتحي رضوان

---

(١) من مقال لغاندي

الخريف

انظر الى الروض السليب الذى ... لم تبق من بهجته باقيه
كأنه فى صمته مطرقاً ... يبكى على أيامه الخاليه
هبت على اوراقه نسمة ... كزفرة جاد بها المحتضر
فريعت الاطيار فاستنفرت ... أسرابها ثم تعرى الشجر
يستشعر الرائى بأنحائه ... حزناً لطيفاً فيه معنى الوداع
كأنما الروض اليف الضنى ... معتلج الانفاس ميت الشعاع
الايكة الخضراء قد أصبحت ... بعد الشذا منهوبة عاريه
خاشعة تسدل أفنانها ... حزناً على جنتها الخاليه
والجدول الساهى له أنة ... مدفونة فى مائه لاتبين
سأمان من سير بلا آخر ... مطرد ما غيرته السنون
شطآنه سجن له دائم ... يرسف فيه موجه الوادع
يجرى خليا لا الى غاية ... كأنه فى أزل ضائع

☆☆☆

يا أيها الروض عداك الأسى ... صرف الليالى المتوالى رديف
لاتأس فالعمر زمان الصبا ... تمضى لياليه ويأتى الخريف

☆☆☆

دنياك يانفس رؤى حالم ... فى قربها شر وفى بعدها
أتنفقين العمر فى وصلها ... لتبكى الدموع على عهدها ؟
لو شاء من سواك ان تنعمى ... لم تشربى الماء ولم تشرقى
ياليت ماساءك ما انطوى ... وليت ماسرك لم يخلق
تعودى إلف الردى مرة ... كيلا تكونى إن دنا جازعه
وارعى مع النعمة فقدانها ... فانها ايماضة خادعه
يانفس ما بعد رواء الصبا ... وفرحة السالى بأفيائه
الا عتى الشيخ هاب الردى ... فصارع السن باعيائه
يانفس ما بعد احتدام الهوى ... وثورة الاشواق فى أضلعى
الا رقود فى مطاوى البلى ... برد على الاحشاء والمضجع

(سوريه) حمص — رفيق فاخورى

حروف الهجاء الغربية
هل هي من أصل هيروغليفي ؟

بقلم الاستاذ محمود عزمي

> من أي طريق جاءت حروف الهجاء الى الغرب وما هو أصلها ؟ هذا ما يعرض له الاستاذ محمود عزمى في مقاله هذا مسترشداً بما وصل اليه في هذا الموضوع الكاتب المؤرخ الفرنسي لوسيان ايتيين

فى شهر ديسمبر من سنة ١٩٣٢ قدم الكاتب المؤرخ الفرنسى « لوسيان ايتين » LUCIEN ETIENNE الى المجمع العلمى بحثاً طريفاً حاول فيه أن يكشف كشفاً علمياً عن أصل حروف الهجاء اللاتينية التى يعم الآن استعمالها بلاد الغرب والتى يحاول بعض بلاد الشرق أن يتخذها هى الاخرى وسيلة للكتابة فى تطورها الحديث

ومع ان المجمع العلمى الفرنسى الذى يضم بين جوانبه اقطاب العلوم والفنون جميعاً لا يزال يدرس البحث الذى تقدم به ذلك الكاتب المؤرخ ، فان بعض العلماء الافذاذ قد أعلن ان الاتجاه الجديد الذى يذهب اليه الباحث الجديد سيحتم ـ بما يلقيه من ضوء جديد ـ اعادة النظر فى الطرائق المتبعة فى ميادين التعليم حتى اليوم

وقد كانت المصادفة هى التى أوصلت الباحث الفرنسى الى ما يعلنه الآن من كشف علمى ، ذلك بانها القت به يوما الى حانوت تحف وجد فيها كتابا نادراً حوى طرائق الكتابة عند كل الشعوب وفى كل العصور . وكان الموضوع يشغل باله ، وكان يذكر ما تعلمه فى المدرسة من أن حروف الهجاء جاءت الى الغرب عن طريق الفينيقيين ، لكنه كان يتلمس الاصل الذى اخذ عنه الفينيقيون وهو لا يستطيع ان يعتقد ان حروفهم من خلقهم ، لانها لا تنم عن العناصر الاولى التى كانت لها نماذج وطرازاً

طرق اذن فى ذلك الكتاب النادر باب الحروف الفينيقية فوجدها اثنين وعشرين ، لكنه لم يتعرف خلالها اشكال اشياء يتفهمها عقلنا البشرى ، فقارنها باقدم حروف الهجاء عند جارات « فينيقيا » فلاحظ شبها غريباً بينها وبين حروف الكتابة العادية عند قدماء المصريين وهى التى

اصطلح علم الآثار على تسميتها بالحروف المقدسة (HIERATIQUES) : فتلمس بين هذه الحروف المصرية واحداً يقابل الحرف الفينيقى الاول ــ وهو حرف الالف ــ من وجهة الشكل ومن وجهة الصوت معاً فلم يجد إلا واحداً فقط هو الذى يرمز به الى الرجل ، وتلمس بينها ما يقابل الحرف الفينيقى الثانى ــ وهو حرف الباء ــ فوجده الحرف المصرى الذى يعبر به عن المرأة . الرجل رأس حروف الهجاء وهى أصل كل معرفة ! والمرأة الى جانبه فى تلك المهمة البشرية العظمى ! اذن ليس ترتيب حروف الهجاء ترتيباً استبدادياً بل هو مستند الى فكرة منظمة . واذن فالحرفان الاولان يشجعان الباحث على تدقيقه الذى يمضى فيه فيوصله إلى أن الحرف الفينيقى الثالث ــ وهو الجيم ــ مأخوذ من رمز « الناف » ، والى أن الحرف الرابع ــ وهو حرف الدال ــ مأخوذ عن رمز « ساقين سائرتين » وإلى أن الحرف الخامس ــ وهو حرف الهاء ــ مأخوذ عن رمز « ذيل التمساح » الذى يشير عن طريق الجناس الى مصر نفسها

ويضع صاحبنا هذه الاحرف الخمسة الاولى بعضها الى جانب البعض فاذا بها تعبر فى نظره ونظر علماء العاديات المصرية عن تركيب لغوى تعريبه : « رجال ونساء (تحت) النير خرجوا من مصر » وإذا به يرى فى هذا التركيب اللغوى تحقيقاً لافتراضه الذى كان يتلمس له تعليلا علمياً ، افتراض ان حروف الهجاء مبنية على فكرة وان تتابعها مستند إلى منطق . واذا به يلمح أن هذه الفكرة التى بنيت عليها حروف الهجاء هى التى تروى خروج العبرانيين من مصر

⁂

وتجمل الباحث بالصبر وإذا به ينتهى الى تعرف الاصول الهيروغليفية لحروف الهجاء الفينيقية الباقية على النحو الآتى :

و (v) ــ شمس مشرقة فوق عمود خشبى تعنى : « نحو الشرق »

ز (z) ــ العضو الذى يجمع التشعبات الرئوية يعنى : « اجتمعوا »

ح (h) ــ معبد يعنى : « فى معبد »

ط ــ تلاقى طرق يعنى : « فى مدينة »

ى (i.j.y) ــ عين تبكى يعنى : « فاخذوا يبكون »

ك (K) ــ اوزة تنشر جناحيها تعنى : « ولكنهم نهضوا »

ل (L) ــ أسد يتهيأ للوثوب يعنى : « مملوئين شجاعة »

م (m) ــ سلسلة جبال تعنى : « والشعب »

ن	(n)	ـ رجل يعدو	يعنى : « جرى»
س		ـ ثلاثة خطوط متعرجة	تعنى : « عبر البحر »
ع	(o)	ـ دائرة مظلل بعضها	تعنى : « اثناء اكتمال القمر »
ف	(p)	ـ قوس	يعنى : « والجيش »
ص		ـ ادوات قنص	تعنى : « الذى كان يلاحقه »
ق	(q)	ـ وعاء سال ما فيه	يعنى : « غرق »
ر	(r)	ـ فم مفتوح	يعنى : « فانشدوا جميعاً »
ش	(s)	ـ قوس هندسى منشور	يعنى : « مجد »
ت	(t)	ـ سماء فيها نجوم	تعنى « الاله »

وقد ضمنت تلك الحروف الهيروغليفية الاولى وما طرأ عليها من التطور خلال الكتابة الفينيقية والعبرانية واليونانية الى أن وصلت الى الشكل اللاتينى المعروف ، ضمنت تلك الحروف وتطوراتها لوحة فنية جميلة ابعث بها للهلال (أنظر صفحتى ٦٢٦ و ٦٢٧)

ويتضح من تلك اللوحة انها ليست حروف الهجاء وحدها التى أخذت عن الهيروغليفية ، بل انها أرقام الحساب ايضاً من الواحد الى العشرة مأخوذة من العشرة الحروف الاولى من حروف الهجاء الفينيقية الاثنين والعشرين المنتقاة انتقاء منطقياً بين الالف والثلثمائة التى تكون حروف الهجاء عند قدماء المصريين على حد قول الباحث الفرنسى الحديث

كذلك يتضح من اللوحة أن ثلاثة من الحروف الهيروغليفية لم تدخل ضمن الحروف اللاتينية وهى حروف الطاء والسين والصاد ، وان ثلاثة هيروغليفية اخرى هى الجيم والواو والياء انتجت عشرة لاتينية . وهذا وذاك ماجعل حروف الهجاء الفينيقية اثنين وعشرين فى حين انحروف الهجاء اللاتينية ستة وعشرون

☆☆☆

ويعلل الباحث صاحب هذا الكشف العلمى الطريف اختلاف الاتجاه الذى تولى شطره الكتابة فى الغرب والكتابة عند الفينيقيين والآراميين والعبرانيين والتدمريين ، وهؤلاء يتجهون من اليمين الى الشمال فى حين أن أهل الغرب يتجهون من الشمال إلى اليمين ، يعلل هذا الاختلاف بان المصريين كانوا يكتبون أول أمرهم على الطريقة الرأسية كما كانوا يكتبون على الطريقة الافقية ، وكانوا اذا كتبوا على الطريقة الافقية يتجهون من اليمين إلى الشمال أو من الشمال الى اليمين ، لكن

الحال انتهى بهم عند استعمالهم الحروف « المقدسة » الى الاكتفاء بالكتابة المتجهة من اليمين الى الشمال كما أخذ عنهم من تلاهم من أهل فينيقيا والعبرانيين . وقد ذهب اليونان مذهبهم أول الامر واتجهوا فى كتابتهم من اليمين الى الشمال ايضاً واستمروا على هذه الخطة الى ان اتصلوا بالعلوم المصرية فعرفوا أن المصريين كانوا يتجهون اتجاه اليمين كما كانوا يتجهون اتجاه الشمال ، فأعادوا تقليدهم وأخذوا يتجهون فى كتاباتهم الاتجاهين على حد سواء . لكنهم لاحظوا مع التجربة ان الكتابة من اليمين الى الشمال غير عملية لان اليد كثيراً ما كانت تحرف الحبر الذى كتبت به الحروف السابقة فتغير معالمها وشيء من هذا لا يحصل اذا اتجهت الكتابة من الشمال الى اليمين لان اليد اليمنى هي التى تكتب فى الحالتين

أما الميل إلى تضييق عرض الحروف فيعلله الباحث بقصد الاقتصاد فى المساحة ، لان الورق كان غاليا . واما استقامة دلالات الحروف بدل استدارتها عند قدماء المصريين فيعللها بان التجار الفينيقيين قد اخذوها عن الاشوريين الذين كانوا يكثرون التردد عليهم

☆ ☆ ☆

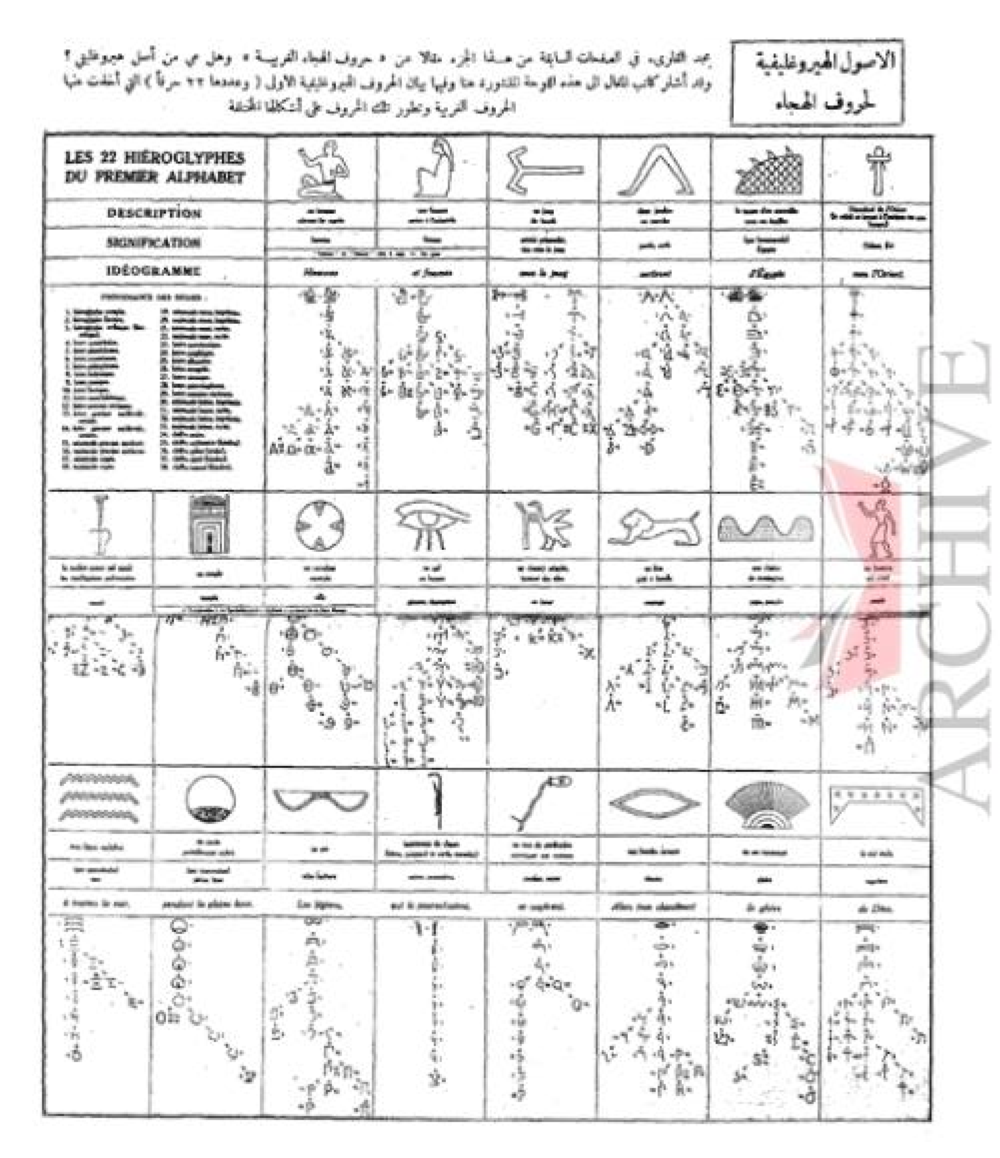
ذلك موجز للرأى المبتكر الذى تقدم به الباحث الفرنسى الى مجمع فرنسا العلمى ينتظر القول الفصل فيه ، والذى يضيف فى نهايته ـ الى مختلف تدليلاته ـ تدليلا يرجع الى ان معنى « الف » ـ وهو اسم الحرف الاول عند الفينيقيين والعبرانيين ـ باللغة المصرية القديمة الرجل أو رئيس الأسرة ، وأن معنى « بات » وهو اسم الحرف الثانى المرأة أو البنت ، وان معنى « جيمل » وهو الحرف الثالث الناف أو النير

وانا لننتظر كذلك مع صاحب الرأى الطريف قرار المجمع العلمى الاكبر ، لكننا فى انتظار هذا القرار سنحاول فى مقال نتقدم به الى قراء « الهلال » المقبل ان نتعرف اتصال الحروف العربية بذلك التطور الذى يريده الباحث تاريخا للحروف اللاتينية السائدة فى بلاد الغرب كما نحاول أن ندلى برأى علمى سليم فى القاعدة التى يبنى عليها الباحث الفرنسى الحديث فكرة ابوة الحروف الهيروغليفية وهى نظرية خروج العبرانيين من مصر ودعوى اضطهادهم فيها .. تلك الدعوى التى يلوح أن العلم الصحيح لايقر التقاليد فيما ذهبت اليه بشأنها

لندن فى يناير سنة ١٩٣٣ محمود عزمى

الاصول الهيروغليفية لحروف الهجاء

يجد القارئ، في الصفحات السابقة من هذا الجزء، مقالا عن « حروف الهجاء العربية » وهل هي من أصل هيروغليفي؟ وقد أشار كاتب المقال الى هذه اللوحة المنشورة هنا وفيها بيان الحروف الهيروغليفية الاولى (وعددها ٢٢ حرفاً) التي أخذت منها الحروف العربية وتطور تلك الحروف في أشكالها المختلفة



عقد زواج قديم
مضى عليه ٦١٨ سنة

بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى

[حصلت دار الآثار العربية على قطعة من حرير أصفر قد كتب عليها بالمداد الاسود عقد زواج الامير أبي عبد الله المتملك بدتقدو على ابنة عم الاميرة السيدة بشرية بتاريخ ذى القعدة سنة ٧٣٣ الهجرية ونحن ننشر عند هذا البحث القيم الذى وضعه الاستاذ حسن محمد الهوارى مساعد أمين دار الآثار العربية بالقاهرة . ويرى معه القراء صورة هذا العقد]

قبل أن أتناول هذا العقد بالبحث يحسن أن أقدم هنا نصه للقراء كما كتب بالمداد الاسود على تلك القطعة الحريرية الصفراء بخط الرقاع . وتحتوى مقدمته على اثنى عشر سطراً . أما العقد فيستوعب أربعة وعشرين سطراً أشرنا اليها كلها بالارقام كما ترى فيما يلي :

نص العقد (١)

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ـ والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماما ، اولئك يجزون الغرفة بما صبروا (٢) ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ـ اما بعد ، فان محامد الله خير ما ابتدأ بها الانسان وجعلها منهاجا يدله على طريق الصواب فنقول (٣) الحمد لله الذي شرف الانساب وفضلها وعلم الأحساب وكملها واوضح الاحكام وبينها . الذى هدانا بملة الاسلام التى هي افضل الملل ، وجعلها (٤) ميزان عدل معتدل وجاوز من الاشياء ما دق وجل ، وتفرد بوحدانيته عز وجل ، هادي الالباب ، ومرشد الفطر الى الصواب ، وحافظ الذراري والاعقاب (٥) الذي خلق ابا البشر من تراب ، واجرى النطف من الاصلاب ، الحاكم بعدله والهادى الى الخير وسبله ، ومعمر البسيطة بآدم ونسله ، الذي جعل النكاح عصمة (٦) من الشيطان وحبله ، فهو مما امرت الشريعة باعتماد فعله ، واباحه الله على ألسنة رسله ، فقال عز من قائل في محكم تنزيله : « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم (٧) ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » ـ احمده على ما يسره واظهره ، واشكره على ما قضى به من التواصل وقدره ، وسهله من التصاهر ويسره . واشهد ان لا إله إلا الله (٨) وحده لا شريك له شهادة

---

(١) وردت بعض أغلاط في الأصل المكتوب على الحرير في الآيات القرآنية واخرى نحوية نقلناها مصححة هنا وهي لا تخفى على المطلع اذا قارنها بالصورة الفوتغرافية

بمرأ العذاب ، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب . واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى اصطفاه من خلقه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب ، (٩) صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلاة دائمة الى يوم المآب . قائمة بالعلم والعمل ، حاكة بالأمان عند الفزع والوجل . وبعد ، فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الانام (١٠) واباحه ليستغنى بالحلال عن الحرام ، فقال جل ثناؤه في حق من خشى العيلة من كثرة أهله : « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » وقد ورد عن سيد نبي (١١) تمامه : « تناكحوا تكثروا فاني اكاثر بكم الامم يوم القيامة » وسيرفع الحجاب عما سبق في هذا الكتاب ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، ولله ما في السموات وما في الارض (١٢) وكان الله سميعاً بصيرا . وكان من قضائه السابق ، وقدره الرائق ، الذى قدره في القدم وجرى به القلم ما سأورده عليكم في كتاب اوله :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (٢) هذا كتاب صداق ، وعقد توفيق واتفاق ، وبركة تسمو على أصحابها ، وسعادة تسمو الى خطابها ، ونعمة قد من الله سبحانه وتعالى بها ، اكتتبه الجناب العالي المولوي الاميري (٣) الكبيري السيفي سيف الدين كنز الدولة أبو عبدالله محمد المتملك بدنقلة . أدام الله سعادته ونعمته ، بن الامير الاجل الكبير المحترم شجاع الدين ، بن الامير الاجل الكبير المجاهد الثاغر ، العضد المقدام ركن (٤) الاسلام مؤيد الجيوش منجد العساكر ، سداد الثغور مدبر الامور فخر الدين تاج العشيرة والقبيلة أبي المنصور مالك

أمير به دست الامارة قد زها	فناهيك من مجد وناهيك (٥) من فخر
له سيرة في عدله عمرية	بها سارت الركبان في البر والبحر

لا جرم ان هذا البيت الكريم دست هو صدره وصدر هو سره ، وأرض هو سماؤها وعين هو انسانها ، وكف هو بنانها (٦) بن الامير الاجل الكبير المجاهد المختار العضد عز العرب شرف الامراء صارم الدولة وكنزها أبي عبد الله محمد ، بن الامير الاجل الكبير المجاهد المختار المحترم كمال الامراء طراز (٧) الكبراء سيف الدولة وعمدتها أبي الفتح نصر ، بن الامير الاجل الكبير الاجل المجاهد المختار المخلص المنصور تاج الامراء عز الملك فخر العرب كنز الدولة وعدتها أبي القاسم أمير (٨) المؤمنين ابراهيم ، بن الامير الاجل كنز الدولة محمد من روت الركبان من أمره في الايام المنتصرية ما كان وعلا شأنه في ذلك الزمان ، بن الامير الاجل كنز الدولة هبة الله بن محمد بن علي بن (٩) محمد بن يوسف المعروف بأبي يزيد بن اسحاق بن معد يكرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجم بن صعب بن علي (١٠) بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ــ لمخطوبته الاميرة الجليلة الرئيسة المصونة ابنة (١١) عمه الست بشرية المرأة الكاملة ابنة الامير الاجل الكبير المحترم سيف الدين ماجد بن الامير الاجل الكبير المنعوت أعاليه مالك بن الكنز . وبه تزوجها أصدقها على بركة الله تعالى وعونه وحسن (١٢) توفيقه وعنه صداقا شرعياً مبلغه من الذهب العين المصري المثاقيل السكوكة مائتا دينار وخمسون ديناراً حالا ومؤجلا الحال من ذلك مائة دينار أقرت الزوجة المذكورة بقبضها من يد (١٣) وكيله القابل له عقد هذا النكاح مما أحضره من مال موكله ، وبقية ذلك وهومائة وخمسون ديناراً يقوم بها الزوج الزوجة مقسطة في سلخ كل سنة تمضي من تاريخ العقد بينهما وهوالثالث من شهر ذي القعدة الحرام من شهورسنة ثلاث (١٤) وثلاثين وسبعمائة خمسة دنانير . وعليه أن يتقي الله عز وجل فيها ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف والخلق الرضى المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد (١٥) عليه أفضل الصلاة والسلام ، وله عليها مثل الذى لها عليه ودرجته زائدة عليها لقوله تعالى في محكم كتابه الكريم : « وللرجال عليهن درجة والله

أقدم صورة لعقد زواج



يرى القارىء فوق هذا الكلام أقدم صورة لعقد زواج مضى عليه ٦١٨ سنة ، وهي عبارة عن قطعة من حرير أصفر كتب عليها بالمداد الأسود عقد زواج الأمير أبي عبد الله المالك بدهقة على ابنة عمه الأميرة السيدة بحرية بتاريخ ذي القعدة سنة ٧٣٣ الهجرية

عزيز حكيم » وولى تزويجها (١٦) والقائم بعقد نكاحها باذنها واذنها كها حسام الدين عز الدولة في ذلك الامير الأجل المحترم عز الدين هبة الله اخيها لابيها . ولما وضح ذلك لحضرة سيدنا ومولانا اقضى القضاة حاكم الحكام جلال الاحكام (١٧) شرف العلماء الاعلام حسنة الليالي والأيام بقية السلف الكرام ناصر الحق مؤيد الشريعة شرف الدين علم المدرسين حجة المناظرين ابى مدين شعيب ، بن سيدنا (١٨) ومولانا العبد الفقير الى عفو ربه القاضي الأجل الفقيه الامام العالم العامل جمال الحكام جلال الاحكام جمال الدين صدر المدرسين حاكم المسلمين ابي التقى يوسف القرشي (١٩) الشافعي الحاكم يومئـذ بمدينتي اسنا وادفو وثغر اسوان ومنبان (؟) وما مع ذلك من الوجه القبلي من الاعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية (٢٠) ادام الله اقبالها وختم بالصالحات أعمالها ـ ان الزوجة المذكورة ثيب حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية وان الزوج من اكفائها ، فحينئذ (٢١) أمر بكتبه فكتب فزوجها وليها المذكور من الزوج بالصداق المذكور حاله ومؤجله . قبل ذلك للزوج المذكور المولى الاجل الكبير المحترم علم الدين على بن المولى الاجل المحترم سراج (٢٢) الدين عمر بن المولى الاجل جمال الدين محمد بن اخت الموكل الملك كنز الدولة الزوج المنعوت أعاليه حسب توكيله اياه في ذلك ، قبله له قبولا صحيحاً شرعياً فوريا . وبجميعه يشهد على الزوج (٢٣) الموكل والوكيل القابل والولي والزوجة من ذكر ذلك في رسم شهادة آخره خار الله لكل من الزوجين في صاحبه وبلغه أقصى مآربه . وبه شهد على من سمى فيه بما نسب (٢٤) اليهم فيه في التاريخ المذكور أعاليه وهو الثالث من شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة أحسن الله تقضيها في خير وعافية بمنه وكرمه آمين

حضرت مجلس العقد المذكور
وشهدت على الولي الزوج المذكور
وعلى الوكيل القابل بما نسب اليهما فيه
بالامس محمد بن سليمان عفا الله عنه

حضرت مجلس العقد المذكور
وشهدت على الولي الزوج المذكور
وعلى الوكيل القابل بما نسب اليهما فيه
(...)

حضرت العقد المذكور وشهدت
على من سمى فيه بما نسب اليهم فيه
حسام الدين عفا الله عنه
محمد بن علي بن جعفر

حضرت العقد المذكور وشهدت
على من سمى فيه بما نسب اليهم فيه
على بن ابي بكر بن
على عفا الله عنه امين

* * *

ونرى تقسيم البحث فى هذا العقد الى اربعة اقسام :

أولا ـ البحث التاريخى

ثانياً ـ البحث الفنى

ثالثا ـ البحث الاقتصادى

رابعاً ـ البحث القانونى

١ ــ البحث التاريخي

ذكر نسب أبي عبد الله محمد المتملك بدنقلة الى الجد السابع والثلاثين ، ذلك لأن جده الخامس والثلاثين هو نزار بن معد بن عدنان وهو الجد التاسع عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فاحتفظ بنسبه ليباهي بشرف الاتصال بالرسول عليه السلام

أما جده السادس وهو كنز الدولة أبو القاسم والسابع وهو كنز الدولة محمد والثامن وهو كنز الدولة هبة الله فقد نسب الى اولاد الكنز او بنو الكنز الذين تغلبوا على النوبة وأقاموا بدنقلة واسوان

وقد ذكرهم ابن دقاق وغيره من المؤرخين وهاك ماقاله عنهم عند ما تكلم على ثغر اسوان : « وبها (اسوان) بنو الكنز أمراء من أصائل عرب ربيعة اهل فتوة ومكارم ممدوحون مقصودون من البلاد الشاسعة » . وفى ذلك دليل على ما كان لهم من مكانة وسلطة فى تلك البقعة من الأرض التى تحد مصر من الجنوب . ولعلو مكانتهم أفرد لهم ابو الحسن على بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وحالهم وجمع فيها من مدحهم ومن ورد عليهم

وسبب نزولهم باسوان انها كانت على اتصال بعيذاب (احد موانىء البحر الاحمر) ومن عيذاب يتوصل الى الحجاز واليمن والهند فنزح بعض العرب اليها عن هذا الطريق فى صدر الاسلام . وعند ماقطنوا اسوان ابتاعوا عدة ضياع من النوبة فضج ملك النوبة من ذلك وشكا للمأمون حين جاء مصر ، محتجا بان الضياع لعبيده وعبيده لا أملاك لهم ، فجعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان . وعلم من ابتاعوا هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنزع من أيديهم فعمدوا الى الحيلة فافهموا النوبيين أن لايقروا لملكهم بالعبودية ، فامضى البيع . وهذا مثل وحيد فى تاريخ العرب وهو استيلاؤهم من غير حرب على بقعة من الارض لترويج تجارتهم . وهو شبيه بما فعلته الشركات الانجليزية التجارية فى الهند قبل أن تضم الى الامبراطورية الانجليزية

ربض هؤلاء الاسود على الحدود المصرية من جهة الجنوب ردحاً من الزمن يردون عنها الغارات ، حتى كانت أواخر الدولة الفاطمية فثار العبيد والسودان واجتمعوا قاصدين ملك مصر فبعث كنز الدولة يعلم الملك الناصر صلاح الدين بذلك فارسل اليه نجدة على رأسها أحد قواده واسمه الشجاع البعلبكى فأوقعوا بالعبيد والسودان شر وقيعة واخرجوهم مدحورين من الديار المصرية

ومن الغريب ان كنز الدولة ـ بعد طلبه معونة صلاح الدين على العبيد والسودان ـ عاد على رأس هؤلاء العبيد يهاجم القاهرة ليعيد الدولة الفاطمية فجهز السلطان صلاح الدين اخاه الملك العادل على جيش كثيف هزم كنز الدولة ورجاله وردوهم على اعقابهم وأخرجوهم من اسوان فهربوا الى بلاد النوبة

ودخل بنو الكنز بعد هذه الهزيمة بسنين عدة الى بلاد النوبة وملكوا دنقلة وبنوا بها جامعاً كبيراً يأوى اليه الغرباء الى ان كانت سنة ٧٩٠ للهجرة فاستولوا على اسوان مرة اخرى وصاروا يشاغبون ولاة الوجه القبلى الى ان كانت سنة ٨٠٦ هـ فارتفعت يد السلطنة المصرية نهائيا عن اسوان . وفى سنة ٨١٥ هـ زحفت عرب الهوارة على اسوان وحاربوا أولاد الكنز وهزموهم وأخرجوهم منها

٢ ـ البحث الفني

كتب العقد بخط الرقاع على قطعة من الحرير الدقيق ولا غرابة فى ذلك فان العرب كانوا يكتبون على كل الأشياء : على الحجر والخشب والنحاس ويرققون الجلود ويكتبون عليها وكذلك على ورق البردى . وفى عهد هارون الرشيد عم استعمال الورق فأمر بكتابة المصاحف عليه بعد أن كانت تكتب على الرق واختاروا الكاغد (ورق بردى مصر) لمتانته ولان الجلود تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محي منه فسد وان كشط ظهر كشطه ثم انتشرت الكتابة على الورق من ذلك العهد الى الآن

والداعى الى كتابة العقد على الحرير بالرغم من شيوع استعمال الورق أمران : أولهما ان الزوج أمير من اولاد الكنز وقد عرفنا من هم اولاد الكنز فتعظيما له كتبوا العقد على الحرير . وثانيهما ان اسوان ودنقلة وعيذاب كانت فى القرون الوسطى فى طريق التجارة بين الشرق والغرب ترد اليها المتاجر من الهند والصين وغيرهما لتصدر من الاسكندرية الى البندقية وجنوة وغيرهما من مدن أوربا التى كان لها شأن عظيم فى التجارة الدولية فى القرون الوسطى . وكان عند ورود البضائع الشرقية على اسوان يقتنى بنو الكنز منها مايشاءون ، ومن ذلك الحرير الهندى الدقيق الرفيع وكان الهنود يستعملونه فى الكتابة عليه فاستعمله بنو الكنز فى ذلك

٣ — البحث الاقتصادي (١)

وجود الحرير الهندى عند اولاد الكنز فى هذا العهد عهد الناصر محمد بن قلاوون يعزز

(١) في هذا البحث رجعنا الى مقدمة الاستاذ احمد حافظ عوض بك في كتابه فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر

قول المؤرخين فى رواج التجارة الشرقيــة وكثرة مرورها بالديار المصرية التى كانت حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ، فاستفاد المماليك من ذلك وجمعوا ثرواتهم العظيمة من الضرائب التى كانوا يفرضونها على المتاجر التى تمر بمصر ، وبغير ذلك ما كان يمكنهم ان يشيدوا ما شيدوه من المبانى الشاهقة والمساجد العظيمة التى تتطلب اموالا باهظة

ويقول « لين بول » فى كتابه المسمى « القاهرة » : « لقد جمع هؤلاء المماليك بين المتناقضات التى لم تجمع فى طبقة من الامراء فى أى زمان أو مكان فبينما نعرف انهم عصبة من الافاقين ابتيعوا بيع السلع ونشأوا أرقاء وربوا سفاكين ظالمين للعباد مخربين للبلاد نجد منهم ميلا غريباً للفنون يحق لأى ذى عرش وصولجان أن يفخر به على الانداد والاقران ، ولقد أظهر هؤلاء المماليك فى لباسهم وفراشهم ومسكنهم ومبانيهم ذوقاً سامياً ورفاهية بالغة يصعب على أوربا الآن فى عصرها الاستاتيقى المحب للجمال والتأنق أن تدانيهم فيه »

فمن أين لهؤلاء المماليك بتلك الثروة ؟

هنا لا بد من النظر والاستقراء فى الحالة الاقتصادية التى كانت عليها مصر فى تلك المدة ، فمصدر الثروة فى مصر الزراعة ولم تكن تربة مصر فى ذلك الحين أخصب منها الآن بل ان المشروعات الحالية قد حسنت كثيراً من طرق الرى ، كما ان الحروب الداخلية فى عهد المماليك خربت كثيراً من الترع والأنهر مما يجعل حالتها الاقتصادية فى ذلك العهد أسوأ منها الآن

استقرأ « كامرون » مؤلف كتاب « مصر فى القرن التاسع عشر » سبب ثروة المماليك فقال ما خلاصته : « انه لما كان المماليك أصحاب السلطة المطلقة فى مصر وسوريا فقد وقعت فى قبضتهم جميع الموانىء وطرق القوافل التى توصل الى أوربا متاجر البلاد الهندية وغيرها من بلاد الشرق الاقصى . بذلك تمكنوا من فرض الضرائب التى يريدونها . وقد كانت هذه الضرائب تبلغ أحياناً قيمة ثمن البضاعة ، وقد بقى هذا الاحتكار الاقتصادى المنتج للمال فى ايدى المماليك حتى اكتشف « فاسكو دى جاما » البرتقالى رأس الرجاء الصالح ، ففقدت مصر منزلتها كمركز للتجارة العالمية وفضل التجار قطع طريق الرجاء الصالح الطويل على المرور بأرض مصر نظراً لفداحة الضرائب التى كان يجبيها المماليك ، ولوقوع مصر فى يد الاتراك واختلال الامن وفساد الحكم

ولم تسترد مصر منزلتها إلا بعد أن فتحت قناة السويس أعظم وأجل الاعمال فى القرن التاسع عشر الميلادى فجاءت السفن من الشرق والغرب تؤم مصر وتمر بها وأصبح لمصر مركز هام فى التجارة بين الشرق والغرب يفوق كثيراً ما كانت عليه فى القرون الوسطى

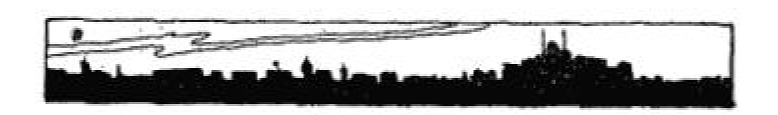
٤ ـ البحث القانوني

الشريعة الاسلامية الغراء سمحة سهلة المنال بسيطة التراكيب لا تعقيد فيها شكلا ولا موضوعاً. وكل عقود المعاملات فيها سواء، فالبيع والاجارة لا فرق بينهما وبين عقد الزواج، وليس منها ما هو مدني ولا ما هو ديني، فلا يحتاج عقد الزواج الى طقوس دينية مخصوصة ولا يجب إتمامه على يد قاض أو امام أو فقيه، ولا يمتاز عن غيره من العقود إلا بشيء واحد بسيط وهو العلانية أو الاشهار، لخطورته ولما يترتب عليه من ثبوت الأنساب وتربية الاولاد

وعقد زواج أبي عبد الله محمد المتملك بدنقلة على ابنة عمه السيدة المصونة بشرية لا فرق بينه وبين أي عقد آخر سابق أو معاصر له أو من وقتنا الحاضر، ولكنه يمتاز عن غيره بكثرته من حيث الكلام الذي يحويه والذي اشتمل على مزايا حسنة لا توجد في غيره، فهو مكون من مقدمة وصلب وقد حوت المقدمة كثيراً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحث على الزواج ليستغني الرجل بالحلال عن الحرام وليعتصم من الشيطان وحيله

وافتتح صلب العقد بذكر نسب الزوج والزوجة الى أجدادهما البعيدين جداً، ثم أخذ العاقد يذكرهما بما أنزل الله في كتابه الكريم من آيات تنظم حسن المعاملة بين الزوجين وتبين درجة كل منهما بالنسبة للآخر وتبين عدم وجود الموانع الشرعية التي تحول دون تمام العقد، ثم وضح المهر حاله ومؤجله وذكر ان الحال منه مائة دينار والمؤجل مائة وخمسون. والذي يلفت النظر فيه تقسيط المؤجل من المهر خمسة دنانير تحل في كل عام من تاريخ الزواج، فيالها من سنة حسنة! وكأني أرى الزوجة بعد أن مضى عليها العام الأول وقد قامت الى حليها وملابسها فتزينت بأحلى زينة لتذكر زوجها بليلة الزفاف فينقدها القسط الاول من مؤجل الصداق. ومن ينبئنا كم ذكرى طيبة تذكراها وقد تمنيا في عقدهما أن تتكرر ثلاثين مرة؟ بدليل تقسيط مؤجل المهر ـ وقدره مائة وخمسون ديناراً ـ خمسة دنانير في كل عام. فهل استوفت الزوجة حقها؟ او هل نسيت إحياء الذكرى ونسي زوجها الوفاء بالوعد؟

حسن محمد الهواري



مشروع القرش

للأستاذ محمد الهمياوى

رفعوا لخفوض اللواء عمادا ... ومضوا ثناء حوله وأحادا
وتجمعوا هماً وراحوا قادة ... وتلاحقوا فى ظله أجنادا
وتقدموا عصب الحياة لغاية ... لهم فكانوا العصبة الأمجادا
ومشوا على نور الشبيبة فاهتدوا ... ولرب نور للضلال اقتادا
لم يثنهم خور الشيوخ فيهمدوا ... يأساً ، ولم يتداولوا الأصفادا
أبناء مصر الناشئون أعزة ... الرافضون على الهوان الزادا
الطالعون مع المهاد قساوراً ... الراسخون مع الصبا أطوادا
المانحون حماهم من برهم ... غيظ العدا ، ومن الوفاء جهادا
عفوا عن النعماء حتى يرفعوا ... لبلادهم فوق السماء عمادا
وتجنبوا مرح الهوى ليعلقوا ... للنيل فى عضد السماك نجادا
ولووا عنانهم إلى المثلى فما ... ضلوا ولا ضل العنان قيادا
مستوجبين لمصر من بسماتهم ... يمناً ومن قسماتهم إسعادا
من كل مسماح يلوح جبينه ... فجراً ويطلع وجهه آراداً (١)
ناداهم الوطن الوفى ومن له ... بالأوفياء سواهم إذ نادى
لبيك ، لا حمد لغيرك يشترى ... بالمكرمات ولا سواك يفادى
أنت الذى إن شاء صور حسنه ... للناس فردوس العلى فأجادا
الارض ما زالت يمج ترابها ... عطراً وينضح كيف شئت شهادا
والشمس ما برحت يسيل شعاعها ... ذهباً يدور مع الجمال قلادا
لمن النعيم اليوم إن هو لم يكن ... للقائمين على الحمى آسادا ؟

* * *

القرش ، وهو إلى أخيه يضمه ، ... قدر يعز ممالكا وبلادا

---

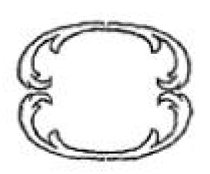
(١) جمع رأد وهو رونق الضحى

والحزم ، وهو اليه حائط أمره ، حصن يخلد ذكره آبادا
ويد الأمانة ، وهى غير مكابر يدكم ، تورث مجده الأحفادا
داويتموه من الهوان فما بدا حتى أطال من البناء وشادا
لو شاء عزمكم رأى فى قرشكم للمعجزات وآيها استعدادا
أرسلتم عما يخلد للورى مثلا يردده الورى استشهادا
فيرونه بين السهام مسدداً ويرونه بين الغمام عهادا
ويرونه بين السيوف مهنداً ويرونه عند الحتوف سدادا

* * *

ضلت هدى الاخلاص أعين معشر حسبوا المحامد غفلة ورقادا
واذا رأوا صيد المطامع سانحاً كروا عليه تعقباً وطرادا
لم يعرفوا المجد المقيم إذا دعا داعيه إلا عياً حسادا
«أعلى» (١) ، ياقلب الشباب وعزمه وصدى مناه وبشره المعتادا
صعدت بك السن المباركة المدى وشباب قلبك صاعد آمادا
فى بعض أهل الحى داء لم يزل يؤذى الندى ويسفه الأجوادا
للخير إن سمعوا هواتف روضه حرب تفيض تصاولا وجلادا
واذا غوى اللهو رجع صوته نحروا النسام وقدموا الاولادا
أبرىء قلوبهم المريضة مثلما أبرأته من أسقامها الأجسادا
واغنم حياة الخالدين فانها أبقى طرافاً فى العلى وتلادا

محمد الهياوي



(١) هو الدكتور على باشا ابراهيم رئيس جمعية مشروع القرش

المقامات العباسية ـ ٢

بقلم الاستاذ سامى الجريديني

وعاد عباس بن غسان يحدث عن نفسه قال : ـ

صعب على المرء أن يعيد ذكر أيام صباه سيرتها الاولى ، فمهما يحاول أن يرجع بالذكرى اليها يصفها كما كانت تخنه الذاكرة وينسيه الحاضر والماضى القريب حقيقتها ، فيصبغها تارة صبغة يمتزج بها يومه مع أمسه وينعتها تارة أخرى نعتاً يوحيه اليه حبه ما كانت يجب أن تكون أو مافاته فيها من أمل والتوى عليه من قصد فيبرز الحكاية فى غير شكلها الاصلى

وليس الامر مقصوراً على الماضى بل ترى العلة نفسها فى الكتابة عن الحاضر أيضاً

خذ الذين يكتبون يومياتهم ويدونون أفكارهم أو حوادث أيامهم ، فهل تراهم يصدقون فيما يقولون ؟ ألا ترانا وقد تغلبت علينا أنانيتنا وطغى حب الظهور بمظهر يرضى الناس فاذا بنا لا ندون فى أعمق أسرار ما نكتب إلا متأثرين بما سيقوله الناس اذا قرأوه ووقع ما نقول على الكافة ؟ بل اننا فى أصدق حالات النفس ترانا يزحم مانحن عليه الآن ما كنا فيه فى أوائل أيامنا فتخرج الصورة كما نحب لا كما هى . ولـكننى بالرغم من هذا وعلما منى بهذا سأجرب أن أكون صادقاً جهدى

فأيامى المدرسية كانت أيام تيه فى برية بعيدة عن الاستقرار لا قصد فيها ولا غرض

ولم أكن إلا واحداً من مئات التلامذة الشرقيين . حكمى حكمهم . يدخل أحدنا مدرسة أجنبية فاما أن تكون افرنسية تخرج الطلبة فى قالب واحد بمقياس واحد ومعيار واحد تفرنسنا ما استطاعت الى ذاك سبيلا ، أو مدرسة أميركية تطلق لنا الحرية الاميركية وتعظنا بالمواعظ الاميركية وتنهرنا عن أن نتأمرك فنخرج لا شرقيين بقينا ولا أميركيين صرنا

وما هو الغرض من المبدأ ـ مهما يكن أميركياً ـ اذا لم يستطع العمل به فى بلاد ليس استعدادها استعداد قارة كولمبوس ؟

وما الفائدة من بذرك بذور ما يسمونه ديموقراطية واتكالا على النفس والعمل فى كل أنواع العمل اذا كنت فى بلاد تختلف فى تقاليدها وتاريخها وحياتها الاجتماعية عن قارة المحيط الهادى ؟

يجب أن يكون التعليم لاهل بلد ما فى ذلك البلد نفسه متمشياً مع روحه وتقاليده وماضيه ولغة هذا البلد ، فان استعصى هذا الامر الاخير على تلقى العلوم الحديثة وجب تقوية اللغة وإحلالها المحل الاول حتى يكون تفكير النشء فيها وكتابتهم وخطبهم فيها فتنمو مع الوقت طوائف فى شتى العلوم تجعل اللغة الاصلية ممكنة فى كل نوع من أنواع العلم الحديث . هذه آية عقيدتى الذهنية الآن وقد كانت

هي هي وأنا بعد صغير . فان شئت قل هذا نبوغ ظهر منذ الصغر أو سخف لم يؤثر فيه الكبر

ولعل أصل الفكرة يمت الى روح الكبرياء التى كان يبثها فى أبواى فهى إن بذرت ولاقت أرضاً صالحة تشعبت أطرافها وطغت على الخلق وجعلت المرء يصدر فى كل أعماله وأقواله عن آثارها فى تكوينه

فالتمرد الذى كنت أشهره على الاساتذة والنظم المدرسية ، وروح الاستياء الذى كنت أظهره من كل كلمة تمس أمة شرقية ولو بحق ، والغضب الذى كنت أفتعله اذا قالوا لنا ان لغتكم لا تصلح لتدريس الطب ، والاضراب نهم به إذ نرى المعلمين الاميركيين يفضلون على زملائهم السوريين — كل ذلك لم يكن فى الواقع ونفس الامر إلا الكبرياء تنمو وتفرض على خطة السير

ومن قال لك بعد ذلك ان الانسان ليس برقيق تستعبده غريزته ثم تربيته ثم ميراثه وانه قد يستطيع أن يتحرر من هذه القيود فأعرض عنه

☆☆☆

كان لى صديق فى المدرسة بدأ تعارفنا بطيئاً ثم أخذ ينمو ويشتد حتى أصبحنا مضرب المثل فى وحدة القصد والتضامن إن مظلومين أو ظالمين . وكان يمت فى نسبه الى أصل قديم من أسرة فى صعيد مصر ، أما أبوه فاستغرب وتزوج افرنجية جاءته بابنه صديق هذا غلاماً غلب فيه لون الاب لون الام اسمر قاتماً ، وفاز خلق الام فأكسبه اللين والدعة ولم يفقده قوة العضل بل أفقده الجرأة والاقدام ، فكنا أبد تلك الايام جسدين فى روح واحدة يستعين أحدنا بالآخر فى سرائه وضرائه

وقرب يوم خروجنا من المدرسة ونيلنا شهادتها فكنا لا نتحدث إلا بما يضمره لنا المستقبل وبما أعددناه من عدة لهذا المستقبل

ودخل على محمود (وهو اسم الصديق) فى صباح يوم وأنا أتمرن على تلاوة خطاب أعددته لحفلة كانت تقيمها المدرسة وتختار للخطابة فيها أنبغ الطلبة ولا فخر

وجلس الى جانبي وقال :

اسمع يا عباس . . انك تريد أن تدرس الطب بعد نيل الشهادة وقد أنذرت أهلك بالامر وأخذت عدتك للسفر الى الديار الاميركية . إنى أراك فى ضلال مبين ، فلست لدراسة الطب أهلا وليس بك غرام بالتشريح وشم رائحة الموتى . ولست أستطيع أن أتخيلك تحفظ هذه الاسماء الطويلة العريضة لكل جزء صغير من أجزاء عظمة من عظام الهيكل الانسانى

أنت — وأيام المدرسة تشهد لى — ذو استعداد فطرى للخطابة والكلام وذو ميل للادب والكتابة فاسمع منى : نذهب معاً الى بلدنا مصر نتلقى الحقوق فيها ونكون محامين نعمل معاً ونضمن الصداقة التى نحن فيها طوال عمرنا

فاغرورقت عيناى بالدموع لأنى شعرت فى تلك اللحظة بقوة الصداقة وعلمت ان صديقي محموداً ينظر إلى نظرة لم أنظرها لنفسى من قبل فعولت على أن أكون عند حسن ظنه

وكان قد بعد العهد بذكرى الاميركيات وقلت ليالى الحلم بهن أو زالت . فأخذنا العهد أنا ومحمود على أن نعمل معاً فى كل أدوار الحياة المقبلة

وجاء يوم الاحتفال وجاءت ساعة القائى الخطاب . ولم يكن هذا أول عهدى بمثل هذه الحفلات . فقد كانت معظم أيامنا المدرسية — أنا وفريق قليل من الطلبة — منصرفة الى مثل هذا النوع من الادب . نعقد الجمعيات ونستظهر خطب مشاهير الخطباء ونلقيها متخذين مرة موقف ماركوس انطونيوس وأخرى بروتوس ومرات كثيرة مواقف الخطباء الاميركيين أمثلة تحتذى . وأما لغة الخطابة فى الاحتفال فكانت العربية . وكانت اللغة العربية فى ذلك العصر — منذ ربع قرن أو يزيد قليلا — فى دور انحطاط فظيع فى جميع البلاد العربية إلا مدينة بيروت هذه حيث كنت أتلقى الدروس

وليس معنى ذلك انها كانت تزدهر باللغة العربية أو تعتنى اعتناء مصر بها فى هذه الايام . لا ، إنما كانت تضم عدداً غير قليل من رجال خصصوا أنفسهم لدرس نحوها وصرفها ، وكان فيها جرائد كثيرة تنشر فصولا فى اللغة وفى علم ألفاظ اللغة إذ كان محظوراً عليها الكلام فى السياسة أو ما يقرب منها

فنشأت فى المدارس فكرة سخيفة عن الادب العربى وانه سجع أولا وألفاظ عويصة على اللفظ والفهم ثانياً ، أو نظم ذو أوزان وقواف كلما كثر فيه وحشى الكلام ازداد مقام صاحبه علواً . فكم كانت مهمتى شاقة وأنا أحضر خطاباً فى حفل يجمع نخبة أهل بيروت . وأنى لى بكلمات عربية جاهلية وتحصيلى فى هـذا كما فى سواه فى حكم العدم ؟ فهممت بالشعر أقرضه فكان كلما تركب معى بيت نظرت فاذا جله لشاعر آخر دخل على ذهنى بلا استئذان فظننته لي فلا ألبث أن أهدمه وأحاول بناء بيت آخر الى أن أتيح لي تعمير كوخ صغير من النظم بدأت به الخطاب ثم أردفت بعده نثراً فاتتنى فيه لغة الجاهلية فبدلت خيراً منها كلاماً تكثر فيه النكات ويقل فيه المعنى

وأرسلت كل ذلك الى أستاذ اللغة العربية فى المدرسة ليسمح بالقائه بعد أن يرسله هو الى مراقب المطبوعات — وهو رجل تركى فى حكومة بيروت — ليجيزه بعد أن يتثبت من خلوه من السياسة

فجاءنى الاستاذ — رحمه الله — وقال : « يا بنى خطابك هذا لا ينفع . غيره » قلت : « ليس فى الوقت متسع يا أستاذ وليس الامر هيناً . وماذا أغير فيـه وماذا أبدل ؟ » قال : « ابدأ أولا بمدح السلطان عبد الحميد فاذا لم تفعل منع المراقب إلقاءه » قلت : « هذا هين » قال : « ثم غير هـذه الابيات الركيكة وبدل فى هذه الجمل واجعل لكلامك غرضاً ترمى اليه وقل قولا ذا معنى وإلا ضحك الجمهور منك »

فأسقط في يدي ولجأت الى محمود أقص عليه القصة . قال لا تجزع وغاب لحظة ثم عاد مصطحباً تلميذاً اشتهر بثقل دمه اشتهاره بالنظم المميت . وأطلعه على قصيدتي وقال أضف اليها بيتاً أو بيتين في مدح السلطان ، فأخذها التلميذ يقرأها ويقرأها ثم أغلق عليه . فقال اسمحالي بها ليلتي فأعطيناه الخطاب على مضض وبتنا ليلتنا نحن الثلاثة لم تنم . أما أنا ومحمود ففي القلق على مصير الخطاب وأما التلميذ الشاعر فامعاناً في نظم البيت

وما صدقنا أن أصبح الصباح حتى ذهبنا الى شاعرنا فدفع الينا بخطابي وفيه بيتان مضافان الى أبياتي — وها قد مضى على هذه الرواية ما يزيد على ربع قرن ولا يزال بيت منها عالقاً في ذهني دون كل خطابي وها كه :

هل مثل عبد الحميد اليوم من ملك كلا ولا كان في الدهر الذي سلفا

أما بقية إشارة أستاذي العربي فلم أعمل بها فما غيرت في خطابي حرفاً ، لا إعجاباً بما كنت قد حضرت بل عجزاً عن الاتيان بشيء آخر ولأني كنت قد استظهرته كله فصار من الصعب أن يزول من ذهني . وجاء يوم الاحتفال واكتظت الدار المعدة لذلك بالقادمين المدعوين من رجال بيروت ونسائها ، وجاء دوري فقمت في غير وجل وألقيت خطابي

ولعلك لا تصدق اذا قلت لك انه لم يقابل خطاب غيره مقابلة الاستحسان . وإنه كان يصفق لي بين كل جملة وأخرى وكل بيت وآخر — إلا بيت عبد الحميد . ولكنه الواقع ، ما له من دافع

وانهالت على التهاني عند الانتهاء وأقبل على أستاذي العربي — وكان طيب القلب طاهر السريرة — فقبلني وتنبأ لي بمستقبل باهر وأثنى على إطاعتي ما أوصاني به من تغيير كثير في الخطاب حتى جاء كما رأيت . فأطرقت استحياء وسكت

ومرت بذهني حكاية كان يرويها لنا أستاذ آداب اللغة الانجليزية فيقول :

جاء في بلوتارك ان ليسياس المحامي المشترع كتب دفاعاً عن متهم من أهل أثينا ودفعه اليه ليتلوه أمام محكمة من محاكم الاغريق ليحاكم لديها . فأخذ المتهم الخطاب فقرأه وبدأ يستظهره ، فما عتم بعد أن كاد يحفظه غيباً أن شعر بضعف هـذا الدفاع وبركاكة المعنى والمبنى ، فاستاء وذهب الى ليسياس وقال : يا أستاذ انى سررت جداً من دفاعك أول مرة قرأته ولكن إعجابي به قل في القراءة الثانية وهبط كثيراً جداً في القراءة الثالثة وها أنا الآن أراه دفاعاً لا يصلح لشيء بالمرة

فنظر اليه ليسياس وقال : اذهب يا صاحبي واذكر ان قضاتك سيقرأونه مرة واحدة فقط

آه لو تعلم خطباء حفلاتنا اليوم هذه الآية الذهبية فاكتفوا بما يلقونه لا يرسلونه في الغد الى الجرائد تذيعه . إذاً لظلوا عند ظن السامعين بهم وظل الحمد مكسوباً لهم من السامعين ... ومن القارئين أيضاً

سامي الجريديني

ناموس المتوسطات

وأثره في نظام المعاملات

هل تعلم ان الخطر من الموت فجأة أعظم في البيت منه في الشارع ؟

وان الذى يبلغ الحادية والعشرين من العمر يرجو أن يعيش أكثر ممن لم يبلغ تلك السن ؟

وان خطر الموت بالطيارات أقل من خطر الموت بالسكة الحديدية ؟

وان فن الاحصاء يقوم على حصر الوقائع حصراً بعيداً عن الخطأ ؟

قلما يعنى أحدنا بفن الاحصاء وما يبنى عليه من الحسابات التى لها أعظم الاثر فى المعاملات المالية والاقتصادية . ولكن الغربيين — ولا سيما الاميركيين منهم — قد تنبهوا الى هذا الامر فبنوا عليه أعمالهم المالية والتجارية ، وصار كل من يريد ضمان النجاح فى عمله يعتمد على مبادىء الاحصاء . ولسنا نبالغ اذا قلنا انه لولا هـذا الفن لاصيبت معظم الشركات التجارية — ولا سيما شركات التأمين منها — بأعظم الخسائر ، ولباء الكثير من المشروعات المالية بالفشل . فشركات التأمين مثلا تضع ميزانياتها مقدرة ما سترتجه وما ستدفعه فى خلال كل سنة تقديراً هو عادة قرين الصواب . فاذا أصيبت بالخسارة فلفساد فى التقدير ونقص فى الاحصاء . وهكذا قل فى المشروعات المالية فان الذين يضعون ميزانياتها لا يرجون النجاح إلا اذا استعانوا بفن الاحصاء

كتب رئيس احدى شركات السياحة بأمركا مقالة جاء فيها ان فى استطاعة أى امرىء أن يجول فى أوربا ويقوم فيها بسياحة هنيئة اذا قدر متوسط نفقاته فى اليوم بعشرة دولارات ونصف دولار . نعم ان هناك مراحل من هذه السياحة تتطلب نفقات اكثر من المبلغ المذكور ، ولكن هناك أيضاً مراحل تتطلب أقل منه بحيث يتعادل النقص والزيادة ويصبح المتوسط عشرة دولارات ونصف دولار . وفى الواقع ان احدى شركات السياحة التى تتولى تسفير السياح بنت حساباتها على المتوسط المذكور فربحت ربحاً جيداً بفضل الاعتماد على ناموس المتوسطات

وغنى عن البيان ان المتاجر التى لا تعنى بمبـدأ الاحصاء لا تستطيع ضمان النجاح . وللتجار الاميركيين ولع خاص بدرس الاحصاآت بوجه عام ، فهم يدرسون احصاءات المواليد والوفيـات والاموال والمتاجر والسلع والمكوس والمدارس والمهن والصناعات وهلم جرا . بل ان ولعهم بالاحصاء يمتد الى أبعد من ذلك ويتناول أموراً قد نسخر نحن منها ولكن لها فى نظرهم قيمة عظيمة . فهم يحصون عدد أنفاس الانسان ونبضاته ومتوسط الكلمات التى ينطق بها واللفتات التى يتلفتها والمرات التى يتعرض فيها لكل نوع من أنواع الامراض والاصابات التى يصاب بها فى البيت

أو خارج البيت وفى كل شهر من أشهر السنة ، ومتوسط عدد الاشخاص الذين يقابلهم فى اليوم أو الذين يمرون على كل من رصيفي الشارع ، الى غير ذلك من الامور التى تبدو لنا سخيفة تافهة ولكنها ذات قيمة . وقد يعزم أحدهم أن يستأجر دكاناً فى أحد الشوارع فيتردد على ذلك الشارع مرات كثيرة ويحصى عدد المارة على كل من جانبي الشارع فاذا جمع ما يكفيه من ذلك الاحصاء بنى عليه حساب متجره مقدراً لنفسه الفشل أو النجاح

وفى أميركا أفراد لا عمل لهم سوى جمع الاحصاءات و « بيعها » لمن هم فى حاجة اليها . واليك أمثلة من تلك الاحصاءات الطريفة مما هو خاص بمدينة نيويورك مثلا . فتلك الاحصاءات تدل على ان المتاجر فى شارع « فيفث افنيو » هي على أشدها ازدهاراً فى القسم الواقع بين الشارعين الثانى والاربعين والخامس والاربعين . والجانب الغربي أروج فى السلع الخاصة بالنساء والجانب الشرقى أروج في السلع الخاصة بالرجال . وان وقوع المطر فى الصباح يعوق التجارة مدى النهار كله ووقوعه بعد الظهر مدعاة لرواج التجارة . وان الخطر من الاصطدام بالاوتوموبيل فى ذلك الحى هو أربعة أضعاف الخطر عينه فى الحى المجاور له . وان عدد الذين يمشون على الرصيف المظلل (سواء أكان فى الصيف أم فى الشتاء) يزيد بمقدار ٢٤ فى المائة على عدد الذين يمشون على الرصيف المعرض للشمس . وان واحداً من كل ١٢٤ شخصاً ممن يمرون هناك يعرج على دكان بائع السجاير

فلجميع هذه الاحصاءات أثرها فى تقدير حساب الربح والخسارة . وكلما كثرت وتنوعت كانت التقديرات المبنية عليها أقرب الى الصواب . أى ان الاحصاءات التى تتناول عديداً من الناس هي دائماً أدق من الاحصاءات التى تتناول قليلا منهم . وكلما تكررت الحوادث المحصاة كان « المتوسط » المبنى عليها أصوب وأدق . وهذا هو الناموس الذى تبنى عليه شركات التأمين وغيرها حساباتها . بل ان أندية القمار والمراهنات نفسها تبنى تقديراتها على ناموس المتوسطات . فآلة « الروليت » التى فى مونت كارلو وغيرها من مدن اللهو والقمار انما تدر المكاسب على أصحابها لان جميع حساباتها مبنية على ناموس المتوسطات . نعم ان تلك الآلة قد تسبب لاصحابها خسارة فى أحيان كثيرة ولكن مجموع ما تدره على أصحابها يزيد كثيراً على تلك الخسارة . كما ان شركات التأمين قد تدفع مبالغ كثيرة اذا كثر عدد المتوفين من الاشخاص المؤمنين على حياتهم . ولكن حتى مع كثرة تلك المبالغ تظل رابحة لان حساباتها مبنية على ناموس المتوسطات . وهذا الناموس يدلها على ان عدد الذين يعيشون من عملائها اكثر من عدد الذين يموتون . فاذا تفشت فى البلاد أمراض وافدة زادت الشركة الاقساط التى تتقاضاها من عملائها لتتلافى ما يحتمل وقوعه من خسارة

متوسطات الاعمار

وعلى ذكر الوفيات وأعمال شركات التأمين نقول ان الاحصاءات الدقيقة تثبت ان متوسطات

الاعمار تختلف باختلاف الأجواء والبلدان . فهى مثلا على أعظمها فى الاماكن الصحية منها فى الاماكن الملوثة بجراثيم الامراض ، وفى الاماكن الخلوية منها فى الاماكن المزدحمة . وتختلف المتوسطات فى الدولة الواحدة باختلاف ما فيها من أقاليم وباختلاف أجواء تلك الاقاليم وضروب معيشة أهلها وما يزاولونه من مهن وصناعات . ومن المتوسطات الفرعية نستطيع استخلاص متوسط عام يشمل الدولة أو البلاد كلها فنقول مثلا ان متوسط العمر فى القطر المصرى كله ثمان وأربعون سنة مع ان هذا المتوسط يختلف فى المدن عنه فى الارياف ، بل هو يختلف باختلاف المدن نفسها . ولكن شركة كشركات التأمين مثلا مضطرة الى الاعتماد على المتوسط العام إذ هي لا تستطيع أن تقرر أجوراً وأقساطاً مختلفة للمدن والجهات المختلفة بل هي مرغمة على وضع « تعريفة » عامة تشمل جميع سكان القطر . وهي عند وضعها تلك « التعريفة » أو ذلك الجدول تدرس متوسطات أعمار الناس فى كل جهة من جهات القطر وتجمع كل ما تيسر لها جمعه من إحصاءات المواليد والوفيات لكى يجىء تقديرها صحيحاً

واذا درسنا عمر الانسان فى جميع أنحاء العالم بوجه عام نجد أن متوسط هذا العمر قد زاد فى الازمنة الحديثة زيادة محسوسة . ولا شأن لنا الآن بأسباب هذه الزيادة وانما نقول ان متوسط عمر الانسان يقدر اليوم باثنتين وخمسين سنة وثلث سنة . ويؤخذ من درس مختلف الاحصاءات ان الولد الذى عمره اليوم عشر سنوات يرجو أن يعيش حتى يبلغ التاسعة والخمسين . فاذا بلغ سن العشرين زاد أمله فى الحياة فصار يتوقع أن يعيش حتى السادسة والستين . فاذا بلغ الستين من العمر زاد أمله فى الحياة وصار يتوقع أن يعيش الى الرابعة والسبعين . وبعبارة أخرى ان الانسان كلما نجا من الموت وتقدم فى العمر قوى أمله فى الحياة وصار يتوقع أن يطول عمره الى أبعد من الحد الذى كان يتوقع الوصول اليه عندما كان صغيراً . وهذا « التوقع » هو المتوسط الذى تبنى عليه اليوم شركات التأمين حساباتها . ويدخل فى تقديره عوامل كثيرة مما يطيل العمر أو يقصره . والعوامل التى تقصر العمر اكثر بكثير من العوامل التى تطيله ، لان الانسان معرض فى كل دقيقة من دقائق حياته للموت بل هو معرض فى كل خطوة يخطوها لاصابة من الاصابات القاتلة ، وقد تكون تلك الاصابات على أقلها فى المواضع التى لا نتوقعها فيها . وفى الواقع ان الاحصاءات الدقيقة تدل على ان الاصابات التى تقضى على حياة الانسان قد تكون اكثر فى البيت منها فى خارج البيت فان التعرض لخطر الوقوع على السلم أو لخطر زلة القدم أو الوقوع من النافذة أو الاختناق بالغاز أو . . أو . . أو . . هو أشد من الاخطار التى يتعرض لها الانسان فى الشوارع

واذا رجعنا الى بداءة هذا القرن نجد ان الشاب الذى كان يبلغ الحادية والعشرين من العمر كان يتوقع أن يعيش واحداً وأربعين سنة ونصف سنة أخرى بحيث يبلغ منتصف السنة الثالثة والستين

من عمره . وبعد عشر سنوات زاد متوسط « توقع العمر » نصف سنة أخرى . وفى سنة ١٩٢٠ زاد ذلك « التوقع » حتى أصبح ٤٤٠١٥ لمن بلغ الحادية والعشرين أى ان الشاب البالغ الحادية والعشرين سنة ١٩٢٠ كان يرجو أن يعيش حتى يجاوز الخامسة والستين . وفى سنة ١٩٣٠ زاد متوسط « التوقع » ثلاث سنوات أخرى . فكان الشاب البالغ الحادية والعشرين فى تلك السنة يرجو أن يعيش اكثر من سبع وأربعين سنة أخرى أى أن يجاوز الثامنة والستين من عمره

أما ما يروى من أن بعض الاشخاص وصلوا إلى سن المائة والخمسين أو ما يقرب من ذلك (ومن هؤلاء زورو آغا التركى المشهور) فالارجح أن تلك الروايات مبالغ فيها اذ لم يثبت حتى الآن بطريقة قاطعة أن أحداً جاوز المائة والعشرة من الاعوام . والارجح أن الانسان يميل الى تصغير سنه قبل أن يبلغ السبعين ويميل الى تكبيرها بعد أن يبلغ ذلك الحد . فاذا جاوز الثمانين مثلا ادعى بان عمره مائة سنة واذا وصل الى المائة ادعى بان عمره مائة وثلاثون سنة

وتدل الاحصاءات العالمية الدقيقة على أن لجسم الانسان عمراً محدوداً كما لكل آلة ميكانيكية . فاذا وصل الجسم إلى ذلك الحد بدأ العجز يدب اليه وتعطل عن القيام بوظيفته . وهذا هو الانحلال الطبيعى الذى ينتهى بالموت . ومتوسط هذا الانحلال أو الموت يختلف باختلاف البلدان . فسكان الولايات المتحدة معرضون للموت أكثر من سكان انجلترا أو الدانمرك مثلا اذ يبلغ متوسط الوفيات ٨٠٠٦ لكل مائة الف نفس فى أميركا و ٤٠٠٢ فى انجلترا و ٢٤٠٥ فى الدانمرك

وقد قلنا ان خطر الموت بالاصابات القتالة هو أعظم داخل البيت منه خارجه وقد بلغ عدد تلك الاصابات فى أميركا فى السنة الماضية ثلاثين الف اصابة عدا الاصابات التى لم تنته بالموت

فالبيت اذن ليس بالملجأ الامين الذى يتصوره بعض الناس . كما ان الخلاء ليس بالمكان الخطر الذى يجب الفزع منه ، ففن الطيران مثلا قد بلغ حداً بعيداً من الاتقان فصار الخطر منه قليلا جداً ولاسيما فى الخطوط المنتظمة فقد هبط متوسط الخطر الى نحو الصفر . وفى الواقع أن الاصابات الوحيدة التى نسمع عنها اليوم فى أخبار الطيران هي التى تقع للطيارين الذين يقومون برحلات جوية خاصة . كذلك الاسفار بالبواخر أو بالسكك الحديدية فقد هبطت متوسطات أخطارها الى الحد الادنى . وعلى هذه الحقائق تبنى شركات التأمين حساباتها

وليس ذلك فقط بل ان معظم الاصابات الخطرة تنشأ اليوم عن خطأ الانسان فى استعمال الآلة وليس عن خلل فى طريقة صنع الآلة نفسها فالطيار الذى يسقط بطيارته من أعالى الجو لا يسقط بسبب عيب فى صناعة طيارته بل بسبب خطأ يرتكبه فى ادارته حركة الطيارة . وانه لغريب جداً أن تسلم الآلة الصماء من الخطأ وهي من صنع الانسان ، وان لا يسلم الانسان نفسه من الخطأ وقد وهبه الله عقلا كاملا

قيمة الاحصاءات العملية

ولاحصاء المواليد والوفيات شأن عظيم فى تقرير الخطط السياسية والمالية والعمرانية والدولية التى تجرى عليها الحكومات . فاذا دلت الاحصاءات فى دولة من الدول مثلا على زيادة متوسط المواليد بمقدار معين صار من واجب تلك الدولة أن تحسب حساب المستقبل وأن تدبر موارد الرزق لشعبها طبقاً لمتوسط الزيادة ، وقد يحملها ذلك على الحرب فى سبيل الاستيلاء على موارد جديدة

وانظر أيضاً الى الاحصاءات التجارية أى الى احصاء الصادرات والواردات من السلع ، فقد صار احصاؤها من ألزم الامور لضبط الميزانية وفرض الضرائب وسن القوانين المختلفة . ولما كانت الارقام أصدق برهان مقنع كان للاحصاءات شأن عظيم فى تنظيم الامور الاقتصادية والمالية . وكل شركة مالية لا تبنى حساباتها على الاحصاءات الدقيقة لا يمكن أن تصيب شيئاً من النجاح

لنفرض أن صاحب مطعم لم يحسن احصاء الذين يحتمل أن يترددوا اليه فماذا تكون النتيجة ؟

تكون أنه اما أن يطهو من الطعام ما يزيد على حاجة عملائه الذين يترددون الى مطعمه (وفى هذا خسارة عظيمة) أو أن يطهو أقل مما يجب ، وفى هذا تنفير لعملائه . ولكنه اذا جمع الاحصاءات الدقيقة عمن يمكن أن يترددوا الى مطعمه واستخرج منها متوسطاً دقيقاً كان ذلك مدعاة لنجاحه

وكذلك القول فى سائر المهن والصناعات فهنرى فورد مثلا يصنع فى العام نحو ثلاثة ملايين أوتوموبيل وهو واثق بانه سيبيعها وأنها لن تبور عنده . وقد نجح حتى الآن لانه كان ولا يزال يبنى حسابه على ناموس المتوسطات وهذا الناموس يستند الى مبادىء الاحصاء ، ولو بنى فورد ما تنتجه مصانعه على احصاءات فاسدة لحل به الدمار بعد زمن وجيز ، أما وقد بنى ذلك على ناموس المتوسطات وعلى احصاءات صحيحة فلم يكن بد من نجاحه

ثم ان شركات التأمين تبنى حساباتها كما سبق القول على احصاءات دقيقة . وقد كانت حتى عهد قريب تأبى أن « تؤمن » حياة الطيارين أو الذين يقومون برحلات جوية . فلما ارتقى فن الطيران ودلت الاحصاءات على تناقص الاخطار بسبب ركوب متن الهواء رضيت تلك الشركات بتأمين حياة الطيارين . ومما يجدر بالذكر أن الاحصاءات الاخيرة تدل على أن متوسط الاصابات الجوية هو اصابة واحدة لكل ثلاثة ملايين ونصف مليون ميل من المسافات الجوية أى ان الفرد لا يتوقع أن يصاب بمكروه من جراء ركوب متن الهواء الا مرة واحدة فى كل ثلاثة ملايين ونصف مليون ميل فى أعالى الجو . ولكي يجتاز هذه المسافة يجب أن يقضى معظم عمره فى الطيران أو أن يقضى نحو عشر سنوات متوالية فى الجو من دون أن يهبط على الارض وهو مستحيل

هذه بعض الفوائد المادية المبنية على فن الاحصاء بسطناها بالايجاز ومنها ترى سبب الشان العظيم الذى يعلقه كبار رجال الاعمال فى العالم على هذا الفن

أنشودة المتعبد : الارض

أيها الارض الولود   أنت ميدان الوجود
حولك الآفاق أعلا   م تحيي وبنود
ما هزيز الريح يسفى الـ   بر . ما قصف الرعود
ما دوى الغيث يستمـ   ـلى من السحب عهود
ما حفيف الدوح والطيـ   ـر قيام وقعود
ما خرير الماء يتلو   ه من الفجر عمود
ما الندى ما الضوء إلا   قوة عنك تذود !

☆☆☆

بطنك الاسود يطوى   فحماً يفرى الجلود
ويربي معدناً منـ   ـه حلى ونقود
وسلاح يدرس المو   ت باحياء الجنود
مثلما ينبت بالحسـ   ـن أقاحى وورود
وقطافاً باختلاف الثـ   ـمر الحلو تجود
وغصوناً تبهر العيـ   ـن ركوعاً وسجود
تسرح الالحاظ منها   فى خدود وقدود

☆☆☆

أنت مبدى لحياة   ومعاد لخلود
مسجد العابد ، مرقى الـ   أمل الحر المجهود
مسرح اللاعب والسا   لب والباغى الكنود
مبعث العامل والآ   مال تنأى وتعود
مدفن الباطل والعا   طل والنذل الحسود
محمل الدنيا وما تشـ   ـمل من بيض وسود
إن آيات إلهى   فيك بالحق شهود

مرسي شاكر الطنطاوي

منذ مائة سنة

كاتب فرنسي أنصف الشرق

الفونس دي لامارتين ينتقد الاستعمار والمستعمرين

تحدثت صحف فرنسا عن احتفال القوم هناك بمرور مائة سنة على رحلة الشاعر الكبير الخالد الذكر «الفونس دي لامارتين» الى الاقطار الشرقية في سنة ١٨٣٢ تلك الرحلة التى كان لها أثرها في عالم الادب . وكان يجمل بالشرقيين ان يشتركوا في هذا الاحتفال الذي يقيمه ادباء فرنسا ، لان للشاعر لامارتين على الشرق فضلا كبيراً . لكنهم لم يفعلوا ، فلم يبق أمامنا الا واجب واحد نحو ذلك النابغة الذى دافع عن الشرق وتغنى بمحاسنه ، وهو أن نتحدث عنه قليلا فنساهم بقدر ما نستطيع في احياء ذكرى ذلك الحادث الادبي العظيم

أبحر لامارتين من مرسيليا فى اليوم العاشر من شهر يوليه سنة ١٨٣٢ ، فى سفينة شراعية أعدها له برونو روستان ، من الاسرة المرسيلية التى أنجبت فيما بعد شاعر فرنسا الكبير أدمون روستان . وفى اليوم السادس من شهر سبتمبر رست السفينة فى مياه بيروت ، وكان الجيش المصرى فى ذلك الوقت يحتل سوريا ولبنان ويتوغل فى الاناضول

أقام لامارتين فى منزل منعزل على مقربة من بيروت وبدأ رحلاته فى الجبال والسهول ، وجعل يدرس أخلاق السكان وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ويزور عظماءهم وحكامهم ، فنزل ضيفاً على الامير بشير الشهابى أمير لبنان ، وطاف فى الجبال التى يسكنها المسيحيون والدروز ولم يترك فى سوريا ولبنان أثراً إلا طاف به سائلا مستفسراً دارساً مستطلعاً . وفقد ابنته الصغيرة جوليا فى بيروت ، فلم يقعده حزنه عن متابعة طوافه وتدوين مذكراته

وبعد أن عاد الى وطنه جمع تلك المذكرات وأصدرها فى كتاب سماه « رحلة الى الشرق »

• • •

يختلف الشاعر لامارتين عن سواه من الكتاب ـ الذين سبقوه ولحقوا به الى الأقطار الشرقية ـ فى الغاية التى وضعها نصب عينيه ورغبته الصادقة فى معرفة الحقائق التى يجهلها أبناء قومه عن الشرق والشرقيين ، لاطلاعهم عليها بعد عودته من رحلته . وكان الرجل شريف النفس والمحتد ، عالى الهمة ، صريح العبارة ، كريم الخلق ، يعرف معنى الحرية ويعشقها ويريد لها الفوز فى كل آن ومكان . وكان يكره الظلم ويحارب الظالمين ، ويحب العدل وينتصر للمظلومين ،

فكل هذه الصفات مضافة الى شاعرية لامارتين وميله الغريزى الى الشرق ، جعلته أصدق رحالة غربى فى كتاباته عن الاقطار الشرقية ، وأعدل مواطنيه حكماً على الشرقيين بوجه عام ، وعلى الشعوب الخاضعة للحكم التركى فى ذلك الوقت بوجه خاص



شارة الشرف فى أسرة لامارتين ويرى فيها (الى اليمين) رسم الهلال

لقد دالت الآن دولة آل عثمان ، وقامت على انقاضها دول وإمارات ومناطق نفوذ ، وانكمشت الأمة التركية الأصلية فى جمهوريتها ، مجدة لاستعادة مجدها وتثبيت كيانها ، وأصبح العهد البائد فى حكم الماضى وفى ذمة التاريخ ، فلا نمس اذن كرامة أحد إذا قلنا إن آل عثمان قد أساءوا التصرف وطغوا واستبدوا ، وإن عهد حكمهم فى الاقطار العربية كان سلسلة من المظالم والمنكرات والأخطاء الشنيعة . وقد أدرك ذلك لامارتين ، ورأى أن الشرق الادنى لن تقوم له قائمة ولن ينهض من خموله إلا إذا زالت عنه سلطة الاتراك وتركت شعوبه وشأنها . فلامارتين يحب العرب ويحترم الاسلام . وهو لا يوافق مواطنيه والاوربيين عامة على سياستهم التى كانت فى ذلك الوقت قائمة على محاربة الاسلام . والاستعمار الذى يستمد عوامله من الدين ، هو فى نظره خطأ سياسى واجتماعى ، وظلم لا يفوقه ظلم . انه يتغنى فى قصائده وفى كتاباته عن الشرق بالاسلام وشعراء الاسلام وعظمة الاسلام . ويقول إن فى هذا الدين قوة هائلة تجمع بين المؤمنين وتجعلهم « كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » ، وهذه هى الكلمات العربية التى ينقلها لامارتين الى الفرنسية . فالاستعمار الذى يشبه بأساليبه الحروب الصليبية ليس اذن - فى نظر لامارتين - الطريقة المثلى للتقريب بين الشرق والغرب . والمستعمرون الذين يشبهون بأعمالهم جنود الحرب الصليبية ، ليسوا - فى نظره - خير رسل يبعث بهم الغرب إلى الشرق . فهو لا يريد

حرباً صليبية جديدة مصحوبة بصليل السيوف وصهيل الخيول . وقد خطب مرة فى مجلس النواب الفرنسى سنة ١٨٣١ فقال : « أنا لا أريد أن يقوم الغرب بحرب صليبية جديدة ضد المسلمين فى الشرق ، ولو فعلنا ذلك لاثبتنا أننا همجيون ! »

ولكن لامارتين ، مع ذلك كله ، لا يحجم عن المناداة بالحرب وحث أبناء قومه على خوض غمارها اذا كان الغرض منها إنقاذ الشعوب الخاضعة للاتراك من حكم السلاطين ! فهو يرى أن واجب الغرب هو إنقــاذ الشرق من الأتراك ، ومساعدة الشعوب الأخرى على استرداد حريتها واستقلالها . ولذلك نراه يصفق استحساناً وطرباً لانتصارات ابراهيم باشا المصرى على الأتراك فى لبنان وسوريا والأناضول ، ونسمعه يلح على حكومة بلاده فرنسا فى وجوب الاسراع لمساعدة ابراهيم باشا وجيشه ، لكى يصل الى الأستانة ويحطم القيود التى ترسف فيها الشعوب العربية فى أفريقيا الشمالية وآسيا الغربية

وقد حدث مرة أن دعى لامارتين ، بصفته أحد نواب الأمة الفرنسية ، الى حفلة إزاحة الستار عن تمثال « بيير ليرميت » الراهب ، الذى كان أول من نفخ فى بوق الحرب الصليبية ودعا اليها ، فرفض لامارتين إجابة الدعوة ، وأرسل يقول : « لن أحضر الحفلة التى تقام فى اميان لازاحة الستار عن تمثال بيير ليرميت لانى أعده مهيجاً خطراً ! »

وقد أراد بعض الكتاب الفرنسيين الذين حللوا نفسية لامارتين وشخصيته ، ودرسوا مؤلفاته ، أن يجدوا سبباً مجهولا لميل ذلك الشاعر العظيم الى الشرق والشرقيين ، وعطفه الخاص على الاسلام والمسلمين ، فذهبوا فى تكهناتهم كل مذهب ، وانتهى بهم الأمر إلى أن عثروا بين أوراق أسرة الشاعر على وثائق تحاول كاتبوها أن يرجعوا فيها بالأسرة الى أصل عربى ، فكلمة لامارتين ، فى عرفهم ، مشتقة من كلمة « العمرتى » العربية وقد جاء فى تلك الوثائق أن الأسرة كانت تدعى فى بادىء الامر « ألامارتين » ، ويقول أولئك الكتاب إن الشاعر نفسه كان يقول إن فى اسمه كلمة « الله » وانه من أجل ذلك سيضيف رسم « الهلال » الى « شارة الشرف » الخاصة بأسرته

وقد يكون ذلك صحيحاً ، لأن الشاعر لامارتين أضاف رسم الهلال الى تلك الشارة . ولكنه لم يكتب شيئاً يثبت أن أسرته من أصل عربى أندلسى كما يدعون

* * *

كان لامارتين يريد الخير إذن لهذا الشرق ، و يدعو الى التقرب بينه وبين الغرب ، على شرط أن يقوم ذلك التقرب على « أساس من العواطف النبيلة والمصالح المشتركة ، لا على مبادىء الحرب الدينية والمطامع الاستعمارية ، وعلى شرط أيضاً أن تجتنب أوربا القتال بالسلاح بقدر المستطاع ! »

واتخذ لامارتين فى أثناء إقامته فى الشرق مدينة بيروت مركزاً له ، فاستأجر داراً رحبة توافرت فيها أسباب الراحة والترف ، وأحاط نفسه بحاشية من أبناء البلاد الاشداء ، كان يخرج معهم من وقت الى آخر ، فيطوف أنحاء البلاد ويتوغل فى الجبال والصحراء ، ثم يعود الى مقره فى بيروت ، وفى حقيبته الصغيرة رزم من الاوراق دون فيها مشاهداته وملاحظاته وأحاديثه مع العظماء والصعاليك على السواء.

وقد أخذ لامارتين بجمال لبنان وروعة جباله ، وبجلال الصحراء واتساعها ، فكتب صحائفه الخالدة فى وصف تلك الصحراء وجبال لبنان وصفاً لم يسبقه اليه أحد ، ولم يضارعه من بعد فيه أحد . وقد قال عن لبنان : « لم يترك منظر جبال فى العالم أثراً فى نفسى أشد من الاثر الذى تركه فيها منظر لبنان ! »

وعند ما وصل الشاعر الى بيروت كان الجيش المصرى قد احتلها بالاتفاق مع الامير بشير الشهابى أمير لبنان ، وكان ابراهيم باشا يطارد جيوش الاتراك فى سهول حمص وحماة ، فكتب اليه لامارتين ينبئه بوصوله الى لبنان ويطلب رعايته ، فرد عليه ابراهيم باشا مرحباً ، وقال له : « ان حليفه الامير اللبنانى سيقوم مقامه بالحفاوة بالضيف الافرنجى المنتمى الى الامة الفرنسية الصديقة »

واليك بعض ما يقوله لامارتين فى كتابه « رحلة الى الشرق » عن ابراهيم باشا والامير بشير : « لقد مر ابراهيم من هنا مع جيشه من مدة قصيرة . وهو الآن فى حمص ، وهى مدينة كبيرة تقع بين حلب ودمشق فى الصحراء . ولم يترك ابراهيم غير عدد قليل من الجنود فى سوريا ، فان المدن الكبيرة كبيروت وصيدا ويافا وعكا وطرابلس يحتلها بالاتفاق مع ابراهيم جنود الامير بشير ـ امير الدروز الذى يحكم لبنان ـ ولم يقاوم هذا الامير ابراهيم باشا ، بل تخلى عن قضية الاتراك بعد استيلاء ابراهيم باشا على عكاء ، وضم جيشه الى جيش الباشا . ولو حدث أن انهزم ابراهيم فى حمص لاستطاع الامير بشير ان يقطع عليه خط الرجعة وان يقضى على فلول الجيش المصرى »

ثم يتحدث الشاعر عن الامير اللبنانى وصفاته ، ويتبسط فى الكلام عن أسباب الحرب وعن شجاعة الجندى المصرى وحنكة ابراهيم باشا ، ويرجو ان يتم له النصر وان يكون انقاذ الاقطار العربية من حكم الاتراك ـ الذى يكرهه لامارتين ـ على يد ذلك القائد المصرى الكبير

أما من الناحية الاخلاقية والنفسية فان لامارتين يعد بلا شـــك اول كاتب اوربى فهم الشرق ووصف الشرقيين من هذا القبيل على حقيقتهم . والصحائف التى تركها هذا الشاعر الكبير الحساس عن الكرم والجود والشجاعة واكرام الضيف والغضب للشرف والمحافظة على العرض فى الاقطار الشرقية العربية ، تعدّ أيضاً من أصدق وابدع ما خطه كاتب على الاطلاق

وأدرك لامارتين أن الشرق يجب أن يؤخذ بالحسنى ، وأنه اذا خضع لحكم القوة احيانا فان خضوعه مصطنع ، لا يلبث ان يترك المجال للغضب والانتقام . ولذلك رفع لامارتين صوته فى مجلس النواب الفرنسى ، بعد عودته الى وطنه ، وقال كلمة دونها التاريخ فى صفحاته : « إن نصيحتى لكم ان تجعلوا من العرب اصدقاء وان تتلافوا معاداتهم ، فان ذلك خير لكم وأوفى ! »

وكان لامارتين يجهل كل شىء عن الشعر العربى والشعراء العرب ، قبل قيامه برحلته الى الشرق ، ولكنه فى اثناء اقامته فى لبنان تعرف الى بعض الكتاب واطلع على كثير من الشعر العربى القديم والجديد ، فسحرته مخيلة الشعراء فى الشرق ، واعترف فى كتبه بتفوقهم على زملائهم فى الغرب . وفى كثير من قصائد لامارتين اقوال وتعبيرات واوصاف مأخوذة عن الشعراء العرب . ويسهل على كل من يطالع بامعان مؤلفات هذا الشاعر العظيم أن يفطن اليها ويعيدها الى اصلها العربى . وقد تحدث لامارتين فى كتبه عن شاعر شاب عرفه فى لبنان ، وقرأ له قصيدة نظمها فى وصف وطنه وجباله ، وجاء فيها ما معناه : ان لبنان يحمل « الشتاء على رأسه والخريف فى وسطه بينما الربيع يمتد على قدميه » فوجد الشاعر الفرنسى ان هذا الوصف يعد من ابدع ما يجود به خيال الشاعر ودونه فى مذكراته

وعندما وافته المنية قال لاصدقائه : « ان أحب أيام حياتى الىّ تلك التى قضيتها فى الشرق ، بالرغم من أننى تركت فيه أعز الناس الى ! » وهو يعنى ابنته الصغيرة جوليا التى ماتت فى بيروت

***

ولا يسعنى ان اختم هذه الكلمة التى لم استطع ان اوفى فيها لامارتين كل حقه من الثناء وعرفان الجميل دون ان اذكر حفيدته ـ الكاتبة المعروفة مدام دى سان بوان ـ التى هجرت وطنها واقامت فى الشرق ، والتى يعرفها المصريون ويعرفون مواقفها الجريئة المحمودة فى الانتصار لهم ولقضيتهم الحقة

حبيب جاماتي



فلسفة الحب عند العرب

كيف اهتم حكماؤهم بالكتابة فيه وتحليل مذاهبه

كما أن لفلاسفة العصر الحاضر آراءهم وبحوثهم في الحب والمحبين ، فان لفلاسفة الماضي آراءهم في ذلك ايضاً . وكاتب هذا المقال الطريف يبحث بحثاً ممتعاً فيما ذهب اليه فلاسفة العرب من آراء في تحليل الحب ومذاهبه

قبل أن أطرق هذا البحث كنت قد قرأت شيئاً غير يسير من أخبار المحبين ومصارع العاشقين ومحن الظرفاء والأدباء الذين امتحنوا بالحب في الجاهلية وصدر الاسلام وفي عهد ازدهار الحضارة العربية في بغداد والأندلس وفي غيره من العهود الأخرى التي اشتهر فيها أمر الحب والمحبين ، وكانت لهم سير وأخبار يرويها الرواة ويسطرها الادباء كذخيرة أدبية يسجلونها للاجيال القادمة ، ويضنون عليها من الضياع والنسيان .

وما كان ليدور بذهنى أن فلاسفة العرب - على سعة باعهم - سيهتمون بالحب والبحث فيه بحثاً فلسفياً ، ويأتون في ذلك بما لم يأت به فلاسفة اليونان الذين تناولوه بالبحث قبلهم ، خصوصاً وقد رأيت أن كثيراً من أدباء العربية أو - بعبارة أصح - رواة الآداب العربية لم يهتموا إلا بجمع سير المحبين وأخبار العاشقين جمعاً ليس فيه شيء من الفلسفة أو البحث العلمى الذى يشترك فيه العقل والتفكير . وملأوا من ذلك كتباً ضخمة ، وتفرق جانب منه في مؤلفات الأدباء ودواوين الشعراء ، حتى أصبح للحب من الأدب العربي الحظ الاوفر ، وأصبحنا نرى بين أيدينا من آداب العاشقين ومن نسج على منوالهم بالتقليد مايكاد يربو على النصف .

وما كنت لأتجنى على الادب العربى لوفرة مافيه من « أدب الحب » ، وأنا أعلم أن هذا النوع موجود بكثرة أيضاً في سائر اللغـــات ، وأن الحب قديم في البشر ، وانه موجود في فطرة الانسان منذ وجد الانسان ، بل هو موجود في فطرة الحيوان ، وربما يمكننا أن نقـــول انه موجود في فطرة النباتات وسائر الموجودات على ماذهب اليه « ابن سينا » - وليس هنا مقامه - فهو في الحقيقة السبب الاقوى في وجود الكائنات على اختلافها من حيوان ونبات وجماد .

فليس عجيباً إذن أن يستوعب « أدب الحب » جانباً وافراً من الادب العربى ، وأن يحرص الرواة على جمعه وتسجيله ، ولا سيما أنه حوى من جمال الفن ما لا يوجد في كثير من الآثار الادبية الاخرى . وانما العجيب أنّ يخلو معظم هذه الكتب الضخمة من البحث في ماهية الحب وتعليل أسبابه ، وهل هو اضطرارى أو اختيارى ؟ وهل هو داء حقاً كما يزعم المحبون ؟ وكيف يحب الانسان ، وكيف تؤثر الصورة الجميلة في نفسه ، فتقع من قلبه موقعاً لا يستطيع الخلاص

منه ؟ الى غير ذلك من البحوث الفلسفية والنفسية التى أعتقد انها لو عنيت بها معاهد التعليم لكان لتدريس هذا الجانب من الادب فائدة لايجنيها الطلاب والمتأدبون من مطالعة سير العاشقين واستظهار أشعارهم استظهاراً لايختلف عن استظهارهم لغيرها من أشعار المديح والرثاء.

ولقد كدت أظلم أدباء العرب وفلاسفتهم كغيرى ممن يظلمونهم قبل أن يطلعوا الاطلاع الكاف على آثارهم ، ويحكمون عليهم حكما فطيراً بلا روية ولا اطلاع ولا تفكير . وكنت قد أغرمت بالاطلاع على تاريخ الفيلسوف الاندلسى أبى محمد على بن حزم المتوفى فى القرن الخامس الهجرى ورغبت كل الرغبة فى تصفح مؤلفاته لعلى بما بلغه هذا الفيلسوف من نضج العقل وسداد الرأى وصحة التفكير ، فضلا عن سعة اطلاعه وأدبه الوافر الذى يتسم به فى مؤلفاته . وقد علمت فيما قرأت له انه قد تورط فى الحب وأصيب بدائه وأنشأ فى ذلك شعراً كثيراً أودعه كتاباً سماه « طوق الحمامة » لم يذكره إلا صاحب « نفح الطيب » إذ قال :

« قال ابن حزم فى « طوق الحمامة » إنه مر يوماً هو وأبو عمر ابن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين بمدينة اشبيلية فلقيهما شاب حسن الوجه ، فقال أبو محمد : هذه صورة حسنة ، فقال له أبو عمر : لم تر إلا الوجه ، فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك ، فقال ابن حزم ارتجالا :

وذى عذل فيمن سبانى حسنه   يطيل ملامى فى الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره   ولم تدر كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت فى اللوم فاتئد   فعندى رد لو أشاء طويل
ألم تر أنى ظاهرى وأننى   على ما أرى حتى يقوم دليل »

وقد كاد هذا الكتاب يضيع لولا أن « الدكتور د . ك . بيترون » الاستاذ بالجامعة الامبراطورية فى بطرسبرغ قام بنشره سنة ١٩١٤ ووضع له مقدمة طويلة باللغة الفرنسية . وأتيح لى أن أطلع على نسخة من هذا الكتاب الذى طبعه الدكتور بيتروف فى مطبعة بريل بمدينة ليدن فرأيت شيئاً جديداً فى التأليف عن الحب وأخبار المحبين ، وشاهدت فيه كثيراً مما كنت أصبو اليه من البحث فى فلسفة الحب ، وأبصرت فيه عدة ميزات لم أجدها فى غيره ، أهمها أنه اعتمد فيما ذكره على ماشاهده وحدثه به الثقات من أهل زمانه . ولقد ذكر فى مقدمته انه الف هذا الكتاب اجابة لمن طلب منه ان يضع رسالة فى صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله ، على سبيل الحقيقة بلا مغالاة ولا ايراد للخرافات . وقد استشهد ابن حزم فى جميع أبواب الكتاب بشعره هو دون غيره ، فلم يورد لاحد من المحبين شعراً فى هذا الكتاب وان كان قد أورد أخبارهم . وهذا يرجح عندنا ان ابن حزم قد وضع هذا الكتاب ليكون

ديوانا لاشعاره الغرامية ، ولكنه أراد أن يضيف الى ذلك فائدة لا توجد فى دواوين المحبين فبحث فيه عن ماهية الحب وأسبابه وتكلم عن الحب فى النوم وعن الحب بنظرة واحدة وعن المراسلة والسفراء والوصل والهجر والغيرة وأنواع العذال والرقباء والواشين ، الى غير ذلك مما انقسم فيه البحث الى ثلاثين بابا

هل كتب فى فلسفة الحب غير ابن حزم من علماء العرب ؟

يقول ابن حزم فى مقدمته مخاطبا من طلب منه وضع رسالة فى هذا الموضوع أو من انتحله ليسند اليه الخطاب ويدعى انه طلب منه وضع هذه الرسالة : « ودعنى من أخبار الاعراب المتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا ، وقد كثرت الاخبار عنهم . وما مذهبى ان انضى مطية سواى ، ولا أتحلى بحلى مستعار »

ويؤخذ من ذلك ان ابن حزم قد اختط فى تأليف هذا الكتاب خطة ليست لغيره ، ولم يسبق لاحد من فلاسفة العرب وأدبائهم أن يختطها قبله ، لانه لايريد - كما يقول - ان ينضى مطية سواه ، ولا أن يتحلى بحلى لايملكه ولا فضل له فى التحلى به . وجدير بابن حزم وبمكانته من العلم والادب والفلسفة أن يسلك سبيلا لم يسلكه أحد قبله ، وان يكون غيره من بعده عالة عليه ، لا أن يكون هو عالة على غيره

وقد يكون ابن حزم صادقا إذا أراد أن فلاسفة العرب لم يسبقوه الى تلك الطريقة التى انتهجها فى الكتابة عن الحب . أما اذا أراد أن أحداً منهم لم يسبقه الى البحث فى فلسفة الحب أو الكتابة فى ماهيته وتحديد كنهه ، فليس ذلك من الحقيقة فى شىء . فالجاحظ فى القرن الثالث الهجرى تكلم عن الحب وعرفه تعريفاً يكاد يقرب من الفلسفة وان غلبت عليه الصبغة اللغوية . والرئيس أبو على ابن سينا الف رسالة فلسفية فى « العشق » وقد كان معاصراً لابن حزم ومات قبله بنحو ثمان وعشرين سنة . وكتب غيرهما من علماء اللغة فى معنى الحب والعشق والهيام وما اليها من الالفاظ التى تتضمن معنى الحب

على اننا حباً فى الانصاف يجب أن نقرر ان كل ماقيل فى معنى الحب قبل ابن حزم عدا رسالة « العشق » لابن سينا ، كان يتناول الناحية اللغوية المحضة أو العرض دون الجوهر والصفة دون الماهية . ومن ذلك ماروى عن المأمون انه سأل يحيى بن أكثم عن العشق ماهو فقال : « هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتتأثر بها نفسه » . وكان ثمامة بن اشرس حاضراً فقال : « اسكت يا يحيى انما عليك ان تجيب فى مسألة طلاق أو محرم صاد ظبياً أو قتل نملة . فاما هذه فسائلنا نحن » فقال له المأمون : « قل يا ثمامة » فقال : « العشق جليس ممتع وأليف مؤنس . وصاحب

ملك . مسالكه لطيفة . ومذاهبه غامضة . واحكامه جائرة . ملك الابدان وارواحها . والقلوب وخواطرها . والعيون ونواظرها . واعطى عنان طاعتها وقياد تصرفها . توارى عن الابصار مدخله . وعمى فى القلوب مسلكه ، فقال المأمون : « أحسنت والله يا ثمامة » ، وأمر له بألف دينار

فانت ترى ان ثمامة - على الرغم من استحسان المأمون لما قاله - لم يأت بشيء من معنى الحب وتحديد ماهيته . ولو انصف المأمون لاعطى الالف دينار ليحيى بن اكثم لانه فى الحقيقة حام حول معنى الحب دون ثمامة الذى لم يتعرض لشيء غير بعض أوصافه وأعراضه

أما ماسوى ذلك مما كتبه ابن حزم وابن سينا ومن نحا نحوهم من علماء العربية بعدهم فقد تناول اصحابه طريقة اليونان فى البحث عن ماهية الحب ونواحيه الاخرى . ولكنهم توسعوا فيه توسعاً كبيراً ووصلوا بفصوله وابوابه الى الثلاثين أو مايقرب من الثلاثين . وساعدهم فى ذلك كثرة ماخلفه العرب من أخبار المحبين والآثار الادبية التى تتعلق بالحب

وأشهر من الف فى هذا الموضوع بعد ابن حزم وابن سينا : ابن قيم الجوزية صاحب كتاب « روضة المحبين » وابو محمد بن السراج صاحب « مصارع العشاق » . والتميمى مؤلف « امتزاج الارواح » والقاضى ابن سليمان النوقاتى مؤلف كتاب « محنة الظرفاء » . وشهاب الدين ابن أبى حجلة مؤلف « ديوان الصبابة »

وهؤلاء عدا من الفوا فى الحب الصوفى وفلسفته كابن العربى وابن الفارض وغيرهما

كلمة عن « رسالة العشق » و « روضة المحبين »

أسلفنا الكلام بالاجمال عن كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم . وهو أهم كتاب وضع بالعربية فى فلسفة الحب . ولا بد لنا ان نقول كلمة عن « رسالة العشق » لابن سينا وكتاب « روضة المحبين » لابن قيم الجوزية المتوفى بعد ابن سينا وابن حزم بنحو ثلاثة قرون ، فهما على التحقيق أحسن كتابين وضعا فى هذا الموضوع بعد كتاب « طوق الحمامة »

و « رسالة العشق » رسالة صغيرة الحجم لاتتجاوز عشر ورقات . تكلم فيها ابن سينا عن العشق بالمعنى العام وهو الجاذبية والانجذاب ، وذكر انه يسرى فى جميع الموجودات حتى الجواهر البسيطة غير الحية . وبرهن على انه موجود فى الفلكيات والعنصريات والمواليد الثلاث . وهى (المعدنيات والنباتات والحيوانيات) . وتكلم عن عشق الظرفاء والفتيان للاوجه الحسان . ثم تكلم عن الحب الالهى فى بحوث فلسفية عميقة

أما كتاب روضة المحبين . فهو يقرب من كتاب « طوق الحمامة » ، وقد نهج نهجه فى بعض

الابواب واقتبس منه وذكره فى غير موضع واحد، إلا انه أوسع مادة. وقد انتحى الناحية الدينية فى كثير من المواضع. واستشهد بعدة آيات وأحاديث. وانفرد ببعض البحوث الفلسفية كبحثه عن الحب (هل هو اضطرارى أو اختيارى؟) وبحثه عن لذة الحب وانها تابعة له فى الكمال والنقصان. كما انفرد بالبحث اللغوى فى اسماء المحبة (وهى خمسون اسماً) ونسبة بعض هذه الاسماء الى بعض، «وان العالم العلوى والسفلى انما وجدا بالمحبة». وفى هذا البحث يقرب من ابن سينا، بل هو ينقل كلام ابن سينا فى رسالته مع شيء من الشرح والايضاح وايراد بعض الآيات والاحاديث كعادته فى كثير من ابوابه.

ويضيق بنا المقام عن وصف هذه الكتب التى بحثت فى فلسفة الحب. فلنكتف بهذه الاشارة التى أسلفناها

ماهية الحب

اختلف فلاسفة العرب وعلماؤهم فى تعريف الحب وبيان ماهيته بالمعنى الروحى لا الحيوانى. وقبلهم اختلف علماء اليونان واضطربوا فى تحديده وتعريف كنهه. وقد غمض على بعضهم حتى عرفوه بانه مرض وسواسى يشبه الماليخوليا، يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والتماثيل. وقال بعض الفلاسفة: «العشق طمع يتولد فى القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى ويجتمع اليه مواد من الحرص، وكلما قوى ازداد صاحبه فى الاهتياج واللجاج والتمادى فى الطمع والحرص على الطلب، حتى يؤديه الى الغم والقلق، ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها اليها، ومن غلبته السوداء يحصل له فساد الفكر، ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء مالا يكون وتمنى مالا يتم، حتى يؤدى الى الجنون. وحينئذ ربما قتل العاشق نفسه او ربما مات غماً، وربما نظر الى معشوقه فمات فرحاً او شهق شهقة فتختنق روحه أو تنفس الصعداء ففاضت نفسه. وتراه اذا ذكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه»

وعرفه ارسطو وأتباعه بانه اتفاق اخلاق وتشاكل صفات وشوق كل نفس الى مشاكلها ومجانسها فى الخلقة القديمة قبل هبوطها الى الاجساد

وذهب ابن حزم الى انه استحسان روحانى وامتزاج نفسانى بين اجزاء النفوس فى اصل عنصرها الرفيع. وليست علته حسن الصورة الجسدية، وإلا لوجب ألا يحب إلا جميل الصورة مع اننا نجد كثيرين يؤثرون قبيح الصورة ولا يجدون محيداً لقلوبهم عن حبه، كما أن التجانس فى أصل الطباع وائتلاف الارواح هما داعية الحب والعشق. ثم يقول ابن حزم ما خلاصته: فان قال قائل لو كان هذا كذلك (أى امتزاج نفسانى وائتلاف روحانى) لكانت المحبة بين

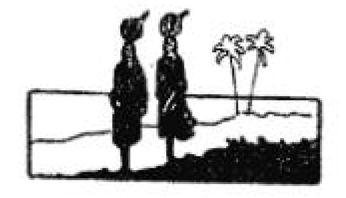
المحب والمحبوب مستوية إذ الجزآن مشتركان فى الاتصال فالجواب عن ذلك ان نقول هذه لعمرى معارضة صحيحة ولكن نفس الذى لا يحب من يحبه مكتنفة الجهات ببعض الشواغل الجسمانية والطبائع الارضية ، فلو تخلصت من هذه الشواغل لاستوى المحب والمحبوب فى المحبة

وكلما كثر التشابه زادت المودة وتأكدت ، فانظر هذا تراه عياناً وقول رسول الله (ص) يؤكده : « الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وقول مروى عن أحد الصالحين : « أرواح المؤمنين تتعارف » ولهذا ما اغتم حين وصف له رجل من أهل النقصان كان يحبه ، فقال : « ما أحبنى إلا وقد وافقته فى بعض اخلاقه »

وروى عن افلاطون ان بعض الملوك سجنه ظلماً ، فلم يزل يحتج عن نفسه حتى اظهر براءته وعلم الملك انه له ظالم ، فقال له وزيره : « أيها الملك قد استبان لك ان افلاطون برىء ، فمالك وله ؟ » فقال الملك : « لعمرى مالى اليه سبيل غير انى اجد لنفسى استثقالا لا أدرى ماهو » فادى الوزير ذلك الى افلاطون ، قال افلاطون : « فاحتجت ان افتش فى نفسى واخلاقى عن شىء اقابل به نفسه واخلاقه مما يشبههما فنظرت فى اخلاقه فاذا هو محب للعدل كاره للظلم فميزت هذا الطبع فى ، فما هو إلا ان حركت هذه الموافقة نفسه ، فأمر باطلاقى ، وقال لوزيره قد انحل كل ما أجد فى نفسى له »

وذلك يؤيد ان التجانس فى اصل الطباع يؤدى الى المحبة . والى هنا نختم هذا الفصل الذى يعطى القارىء فكرة عامة عن هذا الموضوع . وخير لمن يريد التوسع فيه ان يرجع الى مصادره التى وصفناها ، فسيجد مايقنعه بأن اسلافنا لم يألوا جهداً فى تناول كل مفيد طريف ، وانهم لم يقصروا فى تدوين آرائهم وبذل جهودهم فى خدمة العلم والادب والفلسفة ، وان كان هناك تقصير فمنا نحن الذين اهملنا البحث والاطلاع على ماخلفه لنا الآباء

طاهر الطناحي



ليلة غرام لدى كليوباتره

بقلم الاستاذ حسين شوقي

يسرنا ان نقدم الى القراء كاتب هذا المقال الاستاذ حسين شوقي نجل المغفور له احمد شوق بك امير الشعراء ، وقد تناول فيه ناحية من حياة كليوباتره الغرامية ، ولكن في أسلوب فكاهي شائق امتزج فيه الماضي بالحاضر

(المحرر)

كان الحر شديداً بالاسكندرية فى تلك الليلة كأن الريح قد كفت عن التنفس ، لذلك ركبت كليوباتره ووصيفتها تتى المصعد الكهربائى الى سطح القصر تتلمسان النسيم . وكان السطح مضاء بمصابيح الزيت الصغيرة المصنوعة من ورق البردى وقد آثرت الملكة تلك الاضاءة المتواضعة حتى لاتقلق عشاقها بضوء الكهرباء الشديد الكشاف . . أما الاثاث فكان أرائك كبيرة على الطراز الانجليزى المريح ، وقد صفت أمامها موائد صغيرة زينت بالازاهير المتنوعة كما حملت مختلف الخمور ، وكان الجو يعبق ببخور بلاد البونت(١) الكريمة التى جلبها أنطونيو خصيصاً للملكة أحلامه

وقد وضعت كليوباتره مراوح كهربائية فى جنبات السطح بدلا من أولئك الزنوج الذين يحملون المراوح اليدوية الطويلة ، فان وجودهم يضايق ضيفانها فى بعض الظروف الدقيقة . وفرشت أرض المكان بجلود النمور والاسود التى اقتنصها القواد الرومانيون وقدموها هدية للملكة الفاتنة .. زينت كليوباتره رأسها على الانموذج الاغريقى ، وربما كان عملها هذا تعلقا منها بذكرى وطنها الاول . وقد يكون هذا الانموذج الاغريقى أفضل زينة لرأس امرأة مثل كليوباتره فى خريف شبابها

وكان محياها يفيض بالجمال الرائع الكلاسيكى الذى ربما لايسر الكثيرين من فنانى حى مونبارناس المستهترين ، وكانت ذراعاها أشد بياضا من الثلج الذى يجلل جبال الالب البيضاء ، وقد حلتهما بأساور ذهبية على هيئة الثعبان . أما تتى الوصيفة المصرية فكانت غلامية الشكل بجسمها النحيف ، كأنها صورة ثانية للملك الشاب توت عنخ آمون . وقد قصت شعرها على أنموذج « لاجرسون » فصار قصيراً حتى ليخجل منه فكتور(٢) مرجريت ! وكانت سمراء اللون شهية مثل خوخ أزمير . . وكانت عيناها أشد سواداً من عاج نوبيا ، وهما ترسلان شرر الذكاء والشباب والحياة . .

---

(١) موطن الآلهة في الديانة المصرية القديمة

(٢) كاتب فرنسي مجدد في المسائل الاجتماعية ، اشتهر بمؤلفه « المرأة المسترجلة »

وكانت كليوباتره معتلة المزاج فى تلك الليلة لان حبيبها أنطونيو متغيب فى نوبيا حيث ذهب ليعاقب الثوار الذين تألبوا على التاج الرومانى مطالبين بتطبيق مبادىء الرئيس ولسون وهى حق الشعوب فى تقرير المصير . وكان مما يضايق كليوباتره أيضاً استقبالها فى تلك الليلة للوفد الرومانى المرسل من مجلس الشيوخ فى روما لمحاسبتها على اسرافها وتبذيرها . . . لكى يشعرها بأنها الملكة التابعة للنسر الرومانى

جلست كليوباتره على أريكة كما جلست الوصيفة تتى بجوارها على الارض كالهر المستكين ، ثم ارسلت الملكة فى طلب الوفد الرومانى ، كما دعت هيئة ضباط السفينة الحربية التى أقلت هذه اللجنة من برنديزى الى الاسكندرية ، واستقبلتهم كليوباتره بابتسامتها الحلوة وأشارت اليهم بالجلوس ، ثم أومأت بعد ذلك الى العبيد فملأوا لهم الاقداح

لاحظت الملكة أن ضيوفها الرومانيين آثروا فى شرابهم نبيذ الفيوم على غيره ، فقالت :

« أراكم أيها السادة قد أحسنتم الاختيار فى شربكم أعتق نبيذ فى العالم ، سأقص عليكم خبره وهو جدير بالذكر : كانت هذه الخمر الطيبة لأحد الفراعنة العظام من اسلافى وكان يدعى بى . وكان هذا الملك مولعاً بالخمور يحرص عليها ويتفنن فى تقطيرها ، ولا يطلع على مكانها فى القصر إلا الاخصاء من رجاله . لذلك عندما عصفت الثورة بتاجه فيما بعد وهاجم الغوغاء القصر الملكى سلم ذلك النبيذ العذب من أيدى الثوار ولم يهتدوا الى مكانه . ولم نعثر عليه نحن إلا منذ اشهر قليلة فى الفيوم . . . »

ثم رفعت كليوباتره كأسها صائحة : « والآن لنشرب نخب ذلك الملك الجواد الذى يتمتع الآن لا شك بخمور الاورو (١) اللذيذة »

وما كاد السقاة يطوفون مرات على الوفد الرومانى حتى أخذ ذلك النبيذ يفعل فعله الساحر فى رءوسهم ، فبدأوا ينظرون الى كليوباتره نظرة الحب والاعجاب بعدما كانوا يحملون لها فى طيات قلوبهم الحقد والضغينة

ومما زاد فى اعجابهم بكليوباتره شهرتها العالمية بأنها امرأة جميلة خطيرة ، لذلك كانت نظراتهم اليها فى تلك الساعة أحد من المصابيح الكشافة . ثم أومأت كليوباتره الى الخدم فادخلوا الراقصات اللواتى اخذن يرقصن على انغام اوبرا عائدة الشجية ، وقد سر الشيوخ الرومانيون من رقصهن ومن رشاقة اجسامهن فدعوهن الى الجلوس والى تناول الخمر فقبلن الدعوة على إشارة خفية من كليوباتره

بعد مضى وقت قصير على ذلك ، والقوم بين الكاس والطاس ، رأت كليوباتره أن الفرصة

---

(١) اسم الجنة لدى المصريين القدماء

سانحة لمنازلة ذلك الخصم الرومانى العتيد . وقد توطد لها الميدان كما تتوطد ساحات القتال باطلاق المدافع فتصير المعركة صالحة لتقدم المشاة ، فقالت :

« اظن انكم جئتم ياحضرات السادة الى ديارنا لمحاسبتى على الانفاق والتبذير ، أليس كذلك ؟ إذن هاتوا برهانكم واذكروا مايؤيد هذه الدعوى الظالمة »

ولكن هؤلاء الشيوخ ارتبكوا لدى سماعهم هذا السؤال المباغت ولم يعرفوا كيف يجيبونها لا سيما فى هذا الظرف ، فراحوا يتلمسون بنظراتهم النجدة من بعضهم . ثم أعادت كليوباتره سؤالها موجهة الخطاب الى رئيس الوفد فى هذه المرة وقد سرت لارتباكهم . وكان الرئيس مشغولا فى تلك اللحظة بمناجاة احدى الراقصات ، فاجابها الرئيس متلعثما : « أى مولاتى ، انهم لاشك مخطئون فى روما وان ماذكروا ان هو إلا دعاية السيدات الرومانيات الدميات اللواتى حسدن فيك جمالك الرائع الفتان »

ولكن كليوباتره استمرت قائلة :

« انهم يزعمون انى غنية جداً حتى لأستطيع ان انفق المال ذات اليمين وذات اليسار دون حساب . انظروا الى كل هذه المطالبات . اليكم مطالبة من محل باتو(١) وهى من السنة الماضية ، ومع ذلك لم تدفع بعد ! »

و بينما كانت الملكة تحادث الوفد الرومانى اذا بنظرها يقع فجأة على فتى جميل من بين ضباط البارجة الرومانية يشبه حبيبها انطونيو شبها عظيما وهو فى اول شبابه

نظرت كليوباتره اليه نظرة ذات معنى ثم اومأت اليه فقام الفتى من مقعده وجلس الى جانبها وهو مزهو فخور ، فقد اختارته تلك الملكة العظيمة دون سائر الحاضرين ثم سحبته كليوباتره من يده وذهبت به خفية الى مقاصيرها الخاصة . ولكن ضميرها كان يؤنبها اثناء المسير على عملها . أليس هذا نقضا لعهد حبيبها انطونيو ؟ ولكن مالبثت هذه الاعتبارات أن تلاشت لدى سؤالها نفسها :

« لم يتغيب انطونيو هذه الغيبة الطويلة ؟ أليس هذا الشاب يشبهه شبهاً عظيماً ؟ »

ولما ان طلع النهار ودق المنبه الساعة الثامنة موقظاً كليوباتره من نومها للقيام بواجباتها الحكومية ، مدت ذراعيها ـ وعيناها مازالتا مطبقتين ، وجسمها ما انفك يرتجف نشوة ولذة ـ لتطوق عشيقها الشاب ولكنها وجدت مكانه خالياً . . إذ طار ذلك النسر الرومانى عن وكره فى الفجر حاملا معه الوصيفة تتى ! . . .

كرمة ابن هانىء ١٥ ديسمبر ١٩٣٢ حسين شوقي

(١) محل خياطة شهير بباريس

دوران الاكوان

كيف تتحرك عوالم الكون الاعظم

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

على أي نظام تتمشى الاجرام والعوالم في حركاتها ؟ وماذا يلوح بخاطرنا من افكار بشأن الكون المادي اذا سلمنا بما ذهب اليه اينشتين من انه كروي الشكل وانه فارغ الجوف وليس في جوفه الا فضاء خال ؟ هذا ما يبحث فيه الاستاذ نقولا الحداد في مقاله الذي يختم به بحوثه التي نشرناها له في الجزأين الماضيين من الهلال . وقد عزم حضرته على اصدار كتاب واف في نظرية النسبية وهو أول كتاب في نوعه بالعربية

الحركة سنة فى المادة . وهي مهما اختلفت اشكالها لا تكون إلا دورية ، فما من مادة — ذريرة كانت ام مجموعة ذريرات ، وجرما أم مجموعة أجرام — الا وهي دائرة حول نقطة أو محور . ولاسكون فى المادة . السكون عدم . ولما كانت الحركة نتيجة التجاذب الذى هو طبيعة الكون المادى كانت حركات المواد متفاوتة بالسرعة تبعاً لنسبة تباعد المواد بعضها عن بعض، اقربها الى المركز اسرعها وابعدها عنه ابطؤها . فلننظر على اى نظام تتمشى الاجرام والعوالم فى حركاتها

اذا اذعنا لما ذهب اليه اينشتين من أن الكون المادى كرى الشكل (وربما كان اميل الى الشكل البيضى فى رأيه) وانه فارغ وليس فى جوفه الا فضاء خال ، وليس حوله الا اوقيانوس فضاء خال ايضاً — اذا اذعنا لمذهبه هذا فلا بد أن تلوح فى خاطرنا افكار مختلفة بشأن هذا الكون وتطرأ على ذهننا اسئلة متنوعة ، فلنبحث قليلا فيما يلوح فى الخاطر

حسب اينشتين ان قطر كرة الكون يساوى نحو الف مليون سنة نورية ، أى انه لو اتيح لشعاعة نور ان تعبر كرته من جنب الى جنب لقضت الف مليون سنة فى رحلتها . ولعله استخرج هذه القيمة العددية من مقدار تحدب هذه الكرة ، كما يمكننا ان نستخرج قيمة قطر الارض ومحيطها باستخراج مقدار التحدب فى مسافة ميلين فقط على سطحها ، وهو نحو ثمانية قراريط . ومن نسبة مسافة هذه القراريط الثمانية الى قوس الميلين يستخرج طول قطر الارض كله ، وهو ٧٩٢٠ ميلا ، ثم طول المحيط اذا ضرب هذا الرقم فى ٣،١٤ كما هو معلوم

كذلك يمكن استخراج بعد الارض عن الشمس بهذه الطريقة لان مقدار انحناء فلك الأرض (مدارها) حول الشمس نحو تسع قيراط على مسافة ٣٠ كيلو متراً ، وهي تبعد عن الشمس نحو ثماني دقائق نور = ٩٣ مليون ميل

فاذا كان انحناء مدار الارض على بعد ٨ دقائق نور لا يظهر أكثر من تسع قيراط على مسافة

٣٠ كيلو مترا ، فلو كان بعدها خمسمائة مليون سنة نورية (مسافة نصف قطر الكون) فعلى أى مسافة يكون مقدار انحناء مدارها نحو تسع قيراط أو أى جزء من قيراط ؟

اذا كان لك جلد للعملية الحسابية فربما وجدت انه على مسافة قطر المجرة يكون تحدب سطح الكون نحو قيراط أو بعض قراريط ، وقطر المجرة لابد ان يكون محدبا ذلك القدر . ومن ذلك تدرك كم مجرة يمكن ذلك الحيز المادى ان يعى ، فلا تعود تستغرب انهم قد أحصوا الى الآن نحو مليونى عالم كعالم المجرة

يقال ان قطر المجرة يساوى نحو ١٨٤٠٠٠ سنة نورية ، وهى واحدة من ملايين من العوالم امثالها . فتأمل عظمة هذا الكون . ثم تأمل عظمة عقل الانسان الذى استطاع ان يستخرج مقدار اتساع هذا الكون (بالتقريب) من معرفته مقدار تحدبه على مسافة قطر المجرة مثلا او على مسافة بعضه

☆☆☆

ولكن لماذا اتخذ الكون المادى هذا الشكل ؟

اما انه اتخذ شكل الكرة فتفسيره ليس بالامر الذى يحتاج الى تفكير عميق ، لانه طبيعى ان تتجمع الاشياء متوازنة حول مركز . ان الجمهور من الناس اذا تزاحم حول غرض تجمع فى شكل مستدير حوله ، لأن كل شخص يحاول ان يكون أقرب ما يستطاع الى الغرض . ولكن الامر الغريب فى الكرية ان يكون التجمع الكرى فارغ الكرة . لماذا لايكون ممتلئا ؟

لا يناقض امتلاؤها ناموس جاذبية نيوتن الا اذا كان الامتلاء على معدل واحد من الكثافة . ولكن لا نرى ثمة ما يوجب ان تكون الاجرام مالئة حيزها على معدل واحد . يمكن ان يكون الكون كرياً ممتلئاً بتفاوت فى الكثافة فالاجرام حول مركزه اكثر ازدحاماً ، وفى محيطه أقل زحاماً بحسب سنة الجاذبية . ولكن لما كان الواقع المشاهد انها متوزعة بالتساوى لم ير اينشتين وسيلة للتوفيق بين سنة الجاذبية وحقيقة التوزع المتساوى الا بالقول ان كرة الكون فارغة الجوف

ولكن لماذا تكون الكرة فارغة الجوف ، وتكون الاجرام موزعة فى قشرتها بالتساوى ؟ فى حين انه يمكن ان تكون مملوءة بالتوزع المتفاوت الذى تقتضيه سنة الجاذبية ، أى بحيث يكون الزحام حول المركز اشده وفى المحيط أخفه ؟ ماذا يمنع ذلك ؟ ليس فى هذا النظام ما يخالف سنة الجاذبية . بل بالعكس يتفق معها أكثر من النظام الحالى

☆☆☆

اذا صحت نظرية ابى لا متر التى تؤيدها ارصاد دى ستر ، وهى ان الكرة الكونية تنتفخ وتتسع مع الزمان ، فلا بد أن الكرة الكونية نشأت كرة ممتلئة ، ثم جعلت تتمدد وتنتفخ الى أن اتسعت

وأصبح جوفها فارغاً . وأما انها ابتدأت كما هي الآن وستبق كما هي (حسب رأى اينشتين) فاقل معقولية من الفرض السابق

يؤيد نظرية الانتفاخ هـذه ان النظام الشمسي نفسه ينتفخ تدريجياً بسبب ان الشمس تطلق بواسطة الاشعاع منهـا كل عام ٢١ مليون طن ، وسائر السيارات يطلق قدراً يسيراً أيضاً . وعلى التمادى تتناقص مادة النظام الشمسى (Mass) وبالتالى تقل قوة التجاذب بينها فتتباعد . ومعنى تباعدها ان النظام الشمسى كله يتمدد ويتسع قرصه

وعلى هذا النحو تتمدد المجرة وتنتفخ . فاذا كان هذا الانتفاخ سنة فى المادة فلا بد ان يكون سنة كرة الكون كله أيضاً . ولذلك ترجح نظرية ابى لامتر ، أى أن الكون ابتدأ كرة متكتلة ثم تمدد وانتفخ ، كما برهن عليـه دى ستر بارصاده التى ظهر منهـا ان السدم التى وراء المجرة تزداد سرعة وتفرقاً فى الفضاء ، وبالتالى ان الحيز المادى يكبر وينتفخ . لا كما زعم اينشتين أنه ثابت المقدار مادة ومساحة . وبناء على ذلك لا يبعد أن يغير اينشتين رأيه هذا ويعدل عنه الى نظرية الانتفاخ

ان نظرية ان الكون ابتدأ كتلة ثم آل الى كرة فارغة لا تؤيد حتما ان يكون جوف هذه الكرة فارغاً فراغاً مطلقاً . اذا كان فارغاً من المادة (Mass) فقد لا يكون فارغاً من امواج الاشعاع الا اذا ثبت ان امواج الاشعاع لا تنطلق الا فى جو جاذبى ، واذا ثبت أيضاً ان جوف الكرة الكونية خال من المادة ، فهل يمكن خلوه من ذلك الجو ؟ يحتمل بعض الاحتمال أنه خال منه لبعد الاجرام السحيق عن مركزه (٠٠٠ مليون سنة نورية نصف قطره) ولكن بالرغم من هذا البعد السحيق يرجح ان فيه جواً جاذبياً من مجموعة الاجرام المحيطة به ، وانما هو ضعيف عند المركز وبالتالى يكون الاشعاع نحو مركز الكرة الكونية ضعيفاً ايضاً ، فاذاً يمكن ان يكون الجو الجاذبى موجوداً فى الجوف ولو ضعيفاً

ومهما يكن الجو الجاذبى عند المركز ضعيفاً فلا يمكن أن يكون صفراً ، بل هنـاك منه شيء يؤثر تأثيراً أكثر من الصفر على المحيط . ولذلك يحتمل ان الاجرام المنحصرة فى قشرة الكرة أى لوحها المحدب الكرى لا تزال تتجاذب نحو المركز تجاذباً ضعيفاً جداً . وانما تجاذبها فى نفس اللوح الكرى أقوى جداً ، ولذلك يظل اللوح مائلا الى الانتفاخ

☆☆☆

ننتقل الآن الى الفضاء المحيط باللوح الكرى فلا بد أن تكون هـذه الكرة الكونية مغلفة بغلاف سميك (بالنسبة الى سماكة جلدتهـا أو قشرتها) من الجو الجاذبى بحيث يصبح الاشعاع فيه متقدماً الكرة الكونية بالانتفاخ أيضاً

وحاصل القول ان الحيز المادى وان كان متناهياً فهو يتوسع على حساب الفضاء الخالى الى ما لا نهاية

له ، او الى أن تذوب الاجرام وتنتثر اشعاعاً يملأ الفضاء ـ ان كان الفضاء يمتلىء ـ وحينئذ تسكن الحركة ويبقى كل شيء من المادة كالرماد المنثور في الفضاء . والله أعلم بما لا نعلم

دوران المجرة

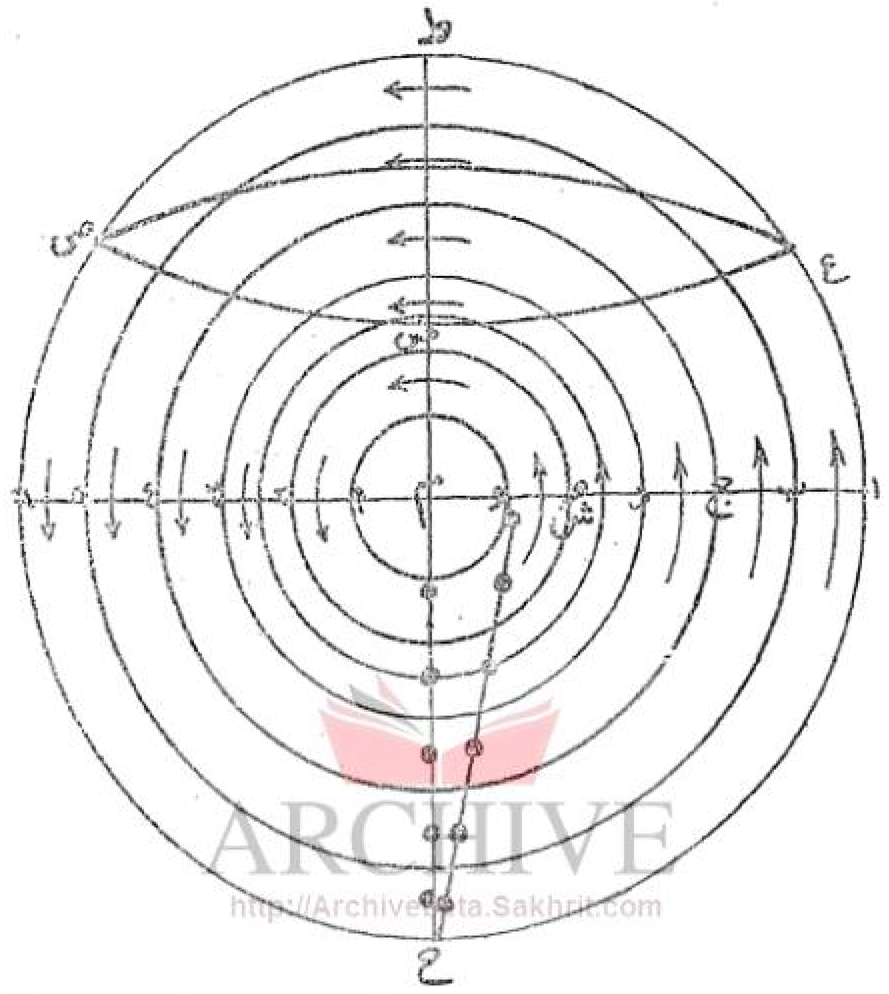
نعود الى الحيز المادي (الكرى) نفسه ونبحث في حركة عالم واحد من عوالمه التي تعد بالملايين كأنموذج لسائر العوالم . وأي عالم منها أليق لهذا البحث من عالم المجرة الذي تعد شمسنا وسياراتها وأرضنا من الجملة نقطة فيه . ولكي يسهل على القارىء فهم بحثنا نصف له هذه المجرة باختصار :

المجرة هي النطاق الغيمي الذي تتمنطق به قبة السماء شمالا فجنوباً (ويسمى درب التبان) وتنطوي فيه سائر النجوم الاخرى التي نشاهدها وما بينها مما لا نشاهده . وتلسكوب (منظار) جبل ويلسون الذي يعتبر أعظم تلسكوب الى الآن يكشف منها للبصر نحو ١٥٠٠ مليون نجمة . والتلسكوب الذي يشتغل الآن في صنعه في اميركا ، وسيكون قطر عدسيته مائة قيراط ، سيكشف اضعاف هذا العدد

جميع هذه الملايين من النجوم موجودة في حيز متناه من الفضاء ، شكله كشكل القرص المنتفخ أو الرغيف البلدي المنتفخ ، ونظامنا الشمسي يقع عند الثلث الاول من مركزه تقريباً . فاذا تصورت اننا ونحن قرب مركز هذا القرص نرمي بنظرنا الى حواشيه فنرى عديد النجوم ، الامامي منها يطمس ما وراءه ، والخلفي منها تتغلغل أشعته الينا من خلال ما أمامه ـ اذا تصورت ذلك تفهم لماذا نرى النجوم المحيطة بنا في القرص متكاثفة بشكل سحابة درب التبان . واما اذا رمينا ببصرنا الى سطح هذا القرص فطبيعي ألا نرى النجوم متكاثفة هذا التكاثف

ليست هذه النجوم العديدة متشردة في هذا القرص تشرداً ، بل هي تسير جماعات وأزواجاً وفرادى حسب مناشئها ، فالجماعة التي يسير افرادها بسرعة واحدة في اتجاه واحد تولدت من اصل (سديم) واحد كانت له تلك السرعة بذلك الاتجاه

الملاحظ ان حركات هذه الاجرام متفاوتة السرعة بعضها أسرع من بعض ، ولكن ليس لها الا مجريان فقط متعاكسان ، أحدهما يتفق مع اتجاه مسير نظامنا الشمسي ، والآخر يعاكسه . وفي بعض المجموعات يتراءى لنا ان اتجاه سيرها معامد لاتجاه المجريين معاً . ومع ان تفاوت سرعة الاجرام واختلاف اتجاهاتها يدلان أول وهلة على فقدان النظام بينها أو على الفوضى في حركاتها ، فان هذا الظاهر من الفوضى الكاذبة يؤيد أن الاجرام جميعاً تدور في ذلك الحيز القرصي دوراناً رحوياً حول محور يخترق القرص من سطح الى سطح . ويكفيك تأمل قليل في الرسم الاول فتفسر من تلقاء نفسك اسرار تلك الحركات التي تخالها فوضوية



هذا الشكل الاول يمثل مناطق دوران النجوم في قرص المجرة بسرعات مختلفة باختلاف البعد عن مركز القرص . ومع انهما تدور دورة رحوية يتراءى لنا ان الصفوف التي على الخط ا ـ م تسير في اتجاه يعاكس اتجاه الصفوف التي على الخط ا ـ د والصفوف التي على الخط ض ـ ط تسير في اتجاه معامد للصفين الآخرين

تصور ان هذا الرسم بين طبقتي الرغيف أي أنه يمثل المسافة المتوسطة بين سطحي قرص المجرة وهو مملوء نجوماً . لنفرض ان جميع هذه النجوم مسمرة ومثبتة في هذا القرص على مسافات معينة بحيث لا تتغير . فلو كان القرص كله دائراً على محوره بأي سرعة عظيمة أو بطيئة لما كنا نشعر بسرعته لان ابعاد الاجرام بعضها عن بعض تبقى على مسافة واحـدة . ونحن لا نستطيع ان نميز حركة أي جسم الا بالنسبة الى جسم آخر . فما دامت النسبة بين الاجسام واحدة فلا نعلم بحركة لها لعدم وجود جسم آخر منفصل عنها لننسب الحركات اليه . ولكن لان هذه الاجرام تسير بسرعات مختلفة بعضها

أسرع من بعض فحينئذ نشعر ان بعضها يقرب الى بعض وبعضها يبعد عن بعض

ولكن أيها السريعة وأيها البطيئة ؟

بحسب ناموس الجاذبية ان سرعة الاجرام تتوقف على ابعادها عن المركز حسب هذه القاعدة : = س : سس : : شش ٢ : ش ٢ باعتبار ان ش رمز لبعد أى جرم عن مركز المجرة

وأن شش رمز لبعد أى جرم آخر عن مركز المجرة

وأن س رمز لسرعة الجرم الاول

وأن سس رمز لسرعة الجرم الثانى

أى أن نسبة سرعة أى جرم الى سرعة أى جرم آخر كنسبة مربع بعد الثانى الى مربع بعد الاول عن المركز

وبناء عليه كلما كان الجرم اقرب الى المركز كان اسرع ، وكلما كان ابعد كان أبطأ . فلو فرضنا ان صفاً من النجوم كان على خط واحد بين المركز والمحيط مثل م ـــــ ح ثم شرعت نجومه تسير بالسرعة التى يخولها إياها الناموس المذكور آنفاً بحسب البعد عن المركز فبعد مدة تجده فى الخط الآخر و ـــ ح

ولنفرض ان نظامنا الشمسى عند ش وهو وجميع النجوم التى الى جانبيه بين المحيط والمركز أى بين ا ـــ م تسير فى اتجاه واحد ، فبطبيعة الحال نرى جميع هذه النجوم تسير فى اتجاه واحد كاتجاه مسير الشمس اذا كنا نراعى نظام الدوران كما شرحناه آنفاً ، ولكننا اذا كنا نجهل هذا النظام يتراءى لنا ان النجوم التى الى اليسار فى المنطقة بين (ه و م) تبتعد عنا لانها أسرع منا أوكأننا نحن نرجع الى الوراء ، والنجوم التى الى اليمين تتأخر عنا لانها أبطأ منا ، فكأننا نحن نقتحم الى الامام أو هى ترتد الى الوراء

ان فهمنا لهذا النظام يقنعنا ان النجوم جميعاً عن يميننا وعن يسارنا (الى عند المركز م فقط) سائرة فى اتجاه واحد بسرعات متفاوتة حسب ابعاد مناطقها عن المركز كما تقدم شرحه

ثم اذا كنا نطلق العنان للتلسكوب (المنظار) لترصد النجوم التى الى يسار الشمس بعد المركز م فى المناطق المرقومة بالارقام فى الشكل ، رأيناها كلها تسير بسرعات متفاوتة فى اتجاه واحد (كما تدل عليه الاسهم) مخالف لاتجاه الصف الذى نحن فيه (وقد تقدم شرحه) كأن هناك مجرى آخر للنجوم معاكساً للمجرى الاول

لو كان سير النجوم فى خط مستقيم وليس لها مركز تحوم حوله لصح القول ان المجريين متعاكسان . ولكن لان السير دوران حول مركز فبالطبع يكون الصفان المتقابلان على جانبى المركز (فى قطر الدائرة) متعاكسى الاتجاه أينما كانا . لهذا لما اكتشفوا ان للنجوم مجريين متعاكسين تحققوا ان اجرام المجرة تسير سيراً دورانياً حول المركز ، وكان تعاكس المجريين أقوى برهان على صحة هذا الدوران المركزى

ثم ان بعض الفلكيين زعم ان دورة اجرام المجرة ليست رحوية كما بسطناها أى ليست كدوائر على سطح القرص حول مركزه وموازية لحاشية محيطه ، بل هي دورة عرْضية أى من جانب من المحيط الى جانب آخر حول القرص كالشكل (ع ط ص ض) والذى حملهم على الظن هو أنهم رأوا كثيراً من النجوم تسير فى اتجاه معامد لاتجاه سير الشمس بين النجوم . ولاقل تأمل فى الرسم يرى القارىء أنه لا بد من وجود جانب عظيم من النجوم تتراءى لنا كانها تسير فى خط معامد لاتجاه خط مسير شمسنا ، وهي النجوم التى صار بينها وبيننا ربع الدائرة من ورائنا أو من امامنا كما تدل عليه الاسهم فى خط (ض ط) . فهذا الذى اتخذوه دليلا على ان حركة نجوم المجرة فى دورة عرْضية هو البرهان الوثيق على ان الدورة رحوية

ثم ان انبساط حجم المجرة من شكل كرى الى شكل قرصى بحيث ان سماكته تعادل خمس قطره تقريباً يثبت ان له هذه الدورة كدورة عجلة المركبة ، لان قوة الابتعاد عن المركز Centri-fugal force جعلت محيطه يتسع على حساب محوره الذى قصر فتقارب قطباه كثيراً . ولولا هذه الدورة لما اتخذ هذا الشكل . ولو كانت الدورة عرْضية كما زعم بعضهم لاستحال التوفيق بينها وبين هذا الشكل القرصى

دوران عوالم الكون الاعظم

ننتقل الآن الى سائر عوالم الحيز الكونى الذى نحن بصدده فقد لوحظ أيضاً أن جميع هذه العوالم من سدم ومن مجرات مشابهة لمجرتنا تتحرك فى حيزها بسرعات مختلفة بعضها اسرع من بعض وبعضها أبطأ من بعض ، فتفاوتها بالسرعة بينها الى امر جوهري ، وهو ان عوالم هذا الكون الكرى تسير على نمط مسير مناطق المجرة نفسها فى اتجاه واحد . واما كون بعضها أبطأ من بعض فتفسره نظرية خطرت لهذا العاجز ، وهى انه لا بد أن يكون لكرة الكون الاعظم قطبان . فالعوالم التى هى أقرب الى القطبين تتم دورتها قبل العوالم التى هى اقصى عن القطبين ، حتى لو كانت سرعتها كسرعة هذه ، ولذلك يسابق المناطق بعضها بعضاً فى مجاريها ، وربما كانت مناطق القطبين اسرع من مناطق خط الاستواء (الكونى) باعتبار ان القطبين مركزان للجاذبية ، وفى هذه الحال يكون الزحام عند القطبين أشد منه عند خط الاستواء حيث يكون التوزع هنا أقل . وفى هذه الحالة أيضاً يحتمل ان تنفلق كرة الكون الى فلقتين بعد أمد بعيد وتتوازن كل فلقة حول قطب . والله اعلم

هذه استنتاجات اقرب الى التكهن منها الى الحقيقة ، ولكنها استنتاجات معقولة . على ان هذه التكهنات ليست كل ما يخطر فى بال المتبحر فى طبيعة كرة الكون ، فهناك خواطر اخرى الراجح كما قلنا آنفا ان جميع هذه العوالم الشاغلة حيز الكون المادى تسير فى اتجاه واحد كما

تسير سيارات النظام الشمسي وكما تسير أجرام المجرة ، بدافع واحد ، وبنظام واحد ، والا لو كانت تسير في اتجاهات مختلفة لكانت فوضى خلواً من النظام ، ولا يمكن أن تكون فوضى بلا نظام مادام ثمة ناموس جاذبية منظم ، فهذا الناموس يجعلها تتخذ اتجاهاً واحداً يتمشى على نظام واحد ، ولو كانت تسير في اتجاهات مختلفة لكثر التصادم بينها ، ولدمرت بعضها بعضاً . والواقع ان الصدام نادر بينها ، ولا يحتمل الا نادراً بين الاجرام المتجاورة المناطق فقط

اتجاهات دوران العوالم

ثم ان التبحر يستعرض لنا اسئلة اخرى . منها : هل لوح هذه الكرة الكونية ذو طبقة



هذا الشكل الثاني يمثل قطعاً من كرة الكون الاعظم (بغير تناسب بين المسافات) . حول الدائرة الخارجية الفضاء الخالي . وضمن الدائرة الداخلية الجوف الخالي . والراجح ان فيه جواً جاذبياً ضعيفاً جداً عند المركز . وبين الدائرتين مسبح العوالم وتمثيل ثلاثة افتراضات لدوران هذه العوالم اثناء انطلاقها في الحيز الكوني الكري . والدوران المنزلي أقربها للمعقول

واحدة من العوالم ؟ أم هو مؤلف من طبقات يغلف بعضها بعضا كاغلفة البصلة ــ على فرض أن البصلة فارغة الجوف ، أى هو خلو من طبقات داخلية ؟ ــ فاذا كان الموح طبقة واحدة امكننا ان نحكم بان سماكته تقارب حجم المجرة ، لانه ليس بين المجرات أكبر من مجرتنا ، ويقال أنها اكبرها . واذا كان مؤلفاً من عدة طبقات فكم طبقة فيه وكم تكون سماكته ؟ هـذا سؤال تتعذر الاجابة عنه الآن . وربما استطاع علماء الاجيال القادمة ان يجيبوا عنه ، فلنتركه نصيبهم من البحث

سؤال آخر : لابد أن هذه العوالم (المجرات) تدور على محاورها ايضاً فى أثناء سيرها كما تدور مجرتنا على محورها (على نحو ما وصفناه) وكما تدور سيارات شمسنا على محاورها ، فهل تلك العوالم تسير متدحرجة كتدحرج عجلة المركبة على الارض بحيث تكون محاورها معـامدة لخط اتجاهها فى سيرها ؟ هذا معقول جداً ، ويشابهه دوران السيارات حول الشمس ــ أم انها تسير زحفاً وهى تدور على محاورها دورة رحوية بحيث تكون دورتها موازية لاتجاه خط سيرها ؟ وهذا قليل الاحتمال جداً ــ أم انها تدور دورة مغزلية بحيث يكون محورها فى اتجاه خط سيرها ، ودورانها معامد لخط السير كما أن فراشة الطيارة تدور على محورها بسرعة الفي دورة فى الدقيقة ودورتها معامدة لخط اتجاهها ، ولـكن محورها فى اتجاه خط السير كانها كالبرغي (اللولب) تثقب الهواء ثقبا؟ وهذا معقول ايضاً وربما كان ارجح الفروض الثلاثة ، لان شمسنا تسير بسياراتها على هذا النحو : محورها متجه فى اتجاه خط سيرها فى قرص المجرة وسياراتها تدور حولها دوراناً معامداً لخط السير . نعرف ذلك لان المجرة تطوق السماء من الشمال الى الجنوب ، والسيارات تسير من الغرب الى الشرق وتدور على محورها هكذا ايضاً . فيكون محور النظام الشمسى متجهاً باتجاه نطاق المجرة . لذلك نرجح ان جميع اجرام المجرة تسير فى قرص المجرة فى اتجاه محاورها . وربما كانت عوالم الـكون المادى تدور دورات مغزلية ومحاورها فى اتجاه خط سيرها (١)

استنتاج

ان معامدة قرص النظام الشمسى لخط سيره فى قرص المجرة ينبهنا الى قضية خطيرة الشأن ، وهي ان الجو الجاذبى الذى ينشئه النظام الشمسى ليس كرويا ــ كما تجعلنا سنة الجاذبية نظن ــ بل هو مخروطى الشـكل قصير واسع القاعدة ، رأسه أمام الشمس فى اتجاه سيرها فى قرص المجرة . وقاعدته وراءها وهو فى ظننا سر اهليلجية افلاك السيارات

شبرا نقولا الحداد

(١) كتبت فحوى هذا المقال بشكل أسئلة الى العلامة الكبير السر تجامس تجينز أرجو منه الاجابة عنه . فأجاب بما فحواه : « ان هذه المسائل التي أثرتها (Yan raised) تخص فرعاً جديداً من العلم ما يزال قيد المناقشة . فاذا شئت أن تتوسع فيه فا نصح لك أن تدرس بعض المؤلفات الحديثة في نظرية النسبية ــ ففعلت بنصيحته

سالرنو : اقدم جامعة في اوربا

بقلم الدكتور زكي علي

سالرنو ميناء بحري قديم في جنوبي ايطاليا لا يبعد كثيراً عن نابولى ، وكان في القرون الوسطى منتجعاً صحياً كما كان مركزاً علمياً يضم كثيراً من مشاهير الاطباء في تلك الازمنة الخالية . وتمتاز سالرنو بأنها ضمت اقدم معهد علمي أوربي عرف النظم الجامعية في تعليم الطب ، وتلك حقيقة تجعل البحث في تاريخها ذا خطورة . ولو ان المؤرخين قلما عنوا بتحقيق هذا التاريخ ، فقد بقى غامضاً حتى السنوات الاخيرة ، اذ قام الاستاذ « كارل سيد هوف » أكبر علماء تاريخ الطب الاحياء ببحوث شتى ألقت ضوءاً على هــذا الموضوع لا سيما وأنه عثر على عدة وثائق هامة من ذلك المعهد البعيد ، فأثار اهتماما لدى سائر المؤرخين الذين واصلوا التحري والاستقصاء حول نشوء جامعة سالرنو التي بزغ منها نور العلوم وانتشر فى سائر انحاء أوربا في عصر النهضة . والى القراء خلاصة ذلك البحث الطريف :

كانت ايطاليا فى القرن السادس مسرحاً لحروب طاحنة ، كما كانت تشن عليها الغارات من الشمال ، ثم تضعضعت سلطة القوط وخضع جنوبى ايطاليا للبيزنطيين . وكانت اللغة الغالبة فيه اليونانية ، غير أنه نظراً لتزعزع سلطة بيزنطه فيما بعد تسربت لغات أخرى ففشت اللاتينية فى أماكن كثيرة ، ثم لما فتح المسلمون تلك البلاد فى القرن الثامن حلت اللغة العربية محل اليونانية فى كثير من الجهات . وكذلك كانت توجد إذ ذاك جاليات من اليهود فى جنوبى ايطاليا فنشروا ثقافتهم العبرية الى جانب الثقافات الاخرى ، أعنى اللاتينية واليونانية ثم العربية . ويجدر بنا الآن أن نذكر نبذة عن الفتح الاسلامى لصقلية وايطاليا فقد قال المؤرخ الانجليزى « سنجر » فى هذا الصدد ما يلي : « كان الاسلام أعظم قوة سياسية فى العصور المظلمة ، ففى القرن السابع امتدت فتوحات « الهلال » على الشاطىء الافريقى من مصر الى المحيط الأطلسى ، وفى سنة ٧١١ عبر طارق بن زياد البوغاز المسمى باسمه الى اسبانيا ، ولا حاجة بنا إلى تتبع فتوحات الاسلام غرباً بل نقول ان السياسة الاسلامية كانت ترمى الى الاستيلاء على الشاطىء الآخر للبحر الابيض المتوسط وبسط نفوذ « الهلال » على جنوبى أوربا ـ كما تم غزو اسبانيا ـ فامتدت هجمات العرب تدريجاً على صقلية فى القرن الثامن ثم توغلوا بعدها فى الاراضى الايطالية فى القرن التاسع . ودانت صقلية للعرب بعد ان كانت تحت حكم الامبراطورية البيزنطية ، وسقطت « بالرمو » عام ٨٣١ وكان النصر حليف « الهلال » الذى امتد سلطانه عام ٨٤٦ إلى « روما » نفسها ، كما سقطت من قبلها « تارانتو » عام ٨٤٠ ، وتم امتلاك العرب لولايات جنوبى ايطاليا ، كما سقطت « نابولى » وسالرنو فى أيديهم ، أما « مونت كاسينو » المشهورة بدير الرهبان البندكتان

العظيم - والواقعة فى موقع حصين على بعد ٢٥ ميلا الى الداخل و٧٠ ميلا من سالرنو - فوقعت فى قبضة العرب سنة ٨٨٤ وبهذا تم غزو العرب هناك ،

والآن ننتقل الى نفوذ الرهبنة وحياة الاديرة فى الولايات الايطالية الجنوبية فى تلك الايام ، فان تاريخها يرجع إلى سانت بندكت من «نورسيا» (٤٨٠ - ٥٤٤) مؤسس أديرة الرهبنة فى الغرب. فانه أنشأ ديرا عظيما فى «مونت كاسينو» ألحق به مكتبة ضخمة ملأها بالكتب اللاتينية ، ثم حذا كثير من الرهبان حذوه فى انشاء الاديرة فى سائر بلاد الجنوب ومنها سالرنو. وكان نظام البندكتان يصرح للرهبان بالبحث ودراسة العلوم. وظهر فى تلك المناطق نوع من اللغة اللاتينية يسمى «بنفنتان» كتبت به مؤلفات عديدة بعضها فى الطب ، ولو أن اللغة الشائعة - كما قدمنا - كانت اليونانية التى بقيت مستعملة قرونا عدة. حتى انه فى القرن الثالث عشر عند ما أصدر فردريك الثانى مراسيم مزاولة مهنة الطب فى نابولى وسالرنو استعمل اللغة اليونانية ، بل كانت هناك عدة اديرة يونانية خصوصا فى «روسانو». غير ان الجو الذى كانت تعيش فيه الجماعات الرهبانية اللاتينية واليونانية كان مشبعاً بالمجادلات اللغوية والمنازعات والفتن الدينيـة ، فبقيت الافكار فى جمود الى أن فتح العرب البلاد فانتشرت الثقافة العربية وتنبهت الافكار الى درس العلوم التى حملها العرب ، كما ان غزوات النورمانديين من الشمال ساعدت على تنظيم المجتمع

أما «سالرنو» فكان بها جمهور من نبهاء الاطباء الذين برعوا فى صناعتهم ودونوا تجاربهم لفائدة تلاميذهم. ويرجع أقدم مؤلفاتهم الى سنة ١٠٠٠ ، غير ان الاطباء فى بادىء الامر لم يكتبوا أسماءهم على كتبهم التى كانت عبارة عن تراجم لاتينية للعلوم اليونانية. ولم يبدأ ذيوع المنتجات والآثار العلمية والطبية بنوع خاص فى سالرنو الا فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، حيث ظهر بين أطباء سالرنو من المؤلفين فى الطب «جاريو بنتوس» الذى مات حوالى سنة ١٠٥٠ و «الفانوس» الذى مات سنة ١٠٨٥ والذى عاصر أشهر رجال سالرنو وناقل علوم العرب الى أوربا فى أوائل العصور الوسطى ، وأعنى به «قسطنطين الافريقى» الذى مات سنة ١٠٨٧ وسمي الافريقى لانه ولد فى قرطاجنة. وقد نسجت حول شخصيته أساطير غريبة يخالطها كثير من الخيال نذكر منها على سبيل المثال ما رواه «ديكون» أحد الرهبان الذين عاشوا معه فى دير واحد ، فقد روى ان قسطنطين نشأ محباً للتعمق فى البحوث الفلسفية وعلوم الحكمة فترك قرطاجنه مسقط رأسه وذهب الى بابل حيث تعلم طب الكلدانيين والعرب والفرس وحكمتهم ، ثم تركها الى الهند وهناك عكف على دراسة ثقافة الهنود ، ثم واصل سفره الى الحبشة فألم بعلوم الأحباش. ولما كان دائم التعطش للعلم وفد على مصر فارتوى من ينابيع حكمة المصريين ، وبعد أن قضى فى تلك الاسفار العلمية تسعة وثلاثين عاما عاد الى قرطاجنة فأثار عليه الغزير حسد الحساد فكادوا له. ففر على ظهر سفينة الى سالرنو سنة ١٠٢٧ وهناك اختبأ متنكرا الى أن عرفه أحد

أمراء الشرق كان يزور المدينة فدل على فضله وعلمه فعظمت مكانته بين الاشراف . وبعد فترة وجيزة ذهب قسطنطين الى دير مونت كاسينو وصـار راهبا وأكب على الترجمة من مختلف الألسن الأجنبية فترجم عدداً عديدا من علوم أمم المشرق التي رحل اليها ، ثم مات بعد أن عمر طويلا . ثم ان قسطنطين كان يخفي المصادر التي نقل عنها ، ولم يذكر أسماء المؤلفين الذين ترجم كتبهم ، وكان ينسب الكتب المترجمة الى نفسه . ومن أهم الكتب التي نشرها قسطنطين كتاب باسم « بانتجنى » أى الفن بأكمله ، وقد أخذ العنوان عن اليونانية ، وكتاب مختصر يفيد كمرشد طبي للمسافر باسم « فياتيكوس » . غير أن المؤلفين الحقيقيين للكتابين هما ابن عباد وابن الجزار من مؤلفي العرب في القرن العاشر وكلاهما من شمالي افريقيا . وقد يتبين من فحص مؤلفات قسطنطين المترجمة أنها كلها منقولة عن العربية ، وهى - على ما يظهر - اللغة الشرقية الوحيدة التي كان يعرفها قسطنطين ، كما يظهر أيضـا أنه كان جاهلا بأدوار الطب العربي فى قمة ازدهاره فى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر حين انتشر قانون ابن سينا بين جميع الامم الاسلامية بالشرق . ومن ثم يغلب على الظن أن كل ماعرفه من علوم الطب اقتصر على ماتلقاه فى شمالى افريقيا من الطب العربى المنقول عن الأغريق وأن سياحاته فى الشرق لا حقيقة لها

غير أنه بالرغم من ذلك يرجع اليه الفضل الأول فى افتتاح عهد الطب العربى فى أوربا ، وعلى يديه نفذت علوم الطب الأسلامية الى مدرسة سالرنو حيث تهافت أطباؤها على دراستها ، ولا يغيبن عن البال انه منذ القرن الثامن الى آخر القرون الوسطى كانت الزعامة الفلسفية والعلمية والقيادة السياسية والفكرية فى العالم فى قبضة الأسلام الذى كانت ترفرف رايته من الصين الى المحيط الأطلسى كما كانت لغة القرآن تستعمل فى كل العلوم والفنون . ولذلك كان عمل قسطنطين فى ترجمة العلوم العربية بمثابة فتح جديد للنهضة العلمية والفكرية فى أوربا ، وكان لذلك أثره العظيم فى مدرسة سالرنو التي ازدهرت وارتقت سريعاً حتى صارت أشهر مركز للتعليم الطبي فى الغرب . ومنذ فتح النورمانديون سالرنو عام ١٠٧٦ نظموا مدرستها حتى اتخذت مظهراً شبيها « بالجامعة » واستمرت تتمتع بتلك الشهرة أكثر من قرن ونصف . ومما يجدر ذكره أن ملوك النورمانديين كانوا يشجعون نشر الثقافة العربية ، يدل على ذلك أنه عثر على صورة من أوائل القرن الثالث عشر يرى فيها الملك النورماندى ويلهلم الثانى المتوفى سـنة ١١٨٩ وبجانب سرير مرضه طبيب عربى اسمه « هاشم »

ومما امتازت به سالرنو أيضا أن « فردريك الثانى » منح جامعتها حق امتحان الأطباء والترخيص لهم بمزاولة مهنة الطب بجنوبى ايطاليا ، وكان المرضى يفدون من جميع انحاء أوربا الى سالرنو فى عصرها الزاهر كما انه قيل فيها شعر كثير

باذن بالنمسا الدكتور زكي علي

لا تجعل من صحتك وسواساً
ولا تفرط في الاخذ بالقوانين الطبية

هذا فصل من كتاب « جسم الانسان » للدكتور كاندنتج . وهو من خيرة الكتب الحديثة الجامعة بين دقة العلم وطرافة الادب

إن عمر أى إنسان يتحدد مداه إلى حد كبير - اذا استثنينا الحوادث والمباغتات - فى اللحظة التى يولد فيها ، ذلك أن عدد السنوات التى يعيشها أى انسان يتوقف على ماتهبه الطبيعة من قوة عند استنشاقه نسيم الحياة ، وأغلب الظن أن هذه القوة هى جماع ما يرثه المرء عن أبويه

إننا نقول : « يقاس عمر المرء بعمر أوعيته الدموية » وبعبارة أوضح - إن أوعية المرء من شرايين وأوردة هى التى تهرم وتموت ، وكل شىء يؤثر فيها ينكل بالجسم الذى تغذيه بالدم وتنقيه من السموم والفضلات

هكذا نقول ، وإنه لقول ينطوى على نظرية فسيولوجية صحيحة لا غبار عليها ، ولكن ما الذى يجعل الشرايين تتصلب ؟ ان الكثيرين من زملائى الاطباء قد استنفدوا جهودهم فى إقامة الدليل على أن عوامل معينة هى السبب فى ذلك التصلب . إلا انهم عجزوا عن إقناع الناس وما برحوا هم أنفسهم فى شك من صدق نظريتهم . وقد حلا لهم أن يتهموا الكحول والتبغ واللحم الاحمر وملح الطعام بأنها السبب فى تصلب الشرايين . على أن كثيرين من الذين يدمنون تعاطى هذه الأشياء باسراف تطول أعمارهم ، بينما يموت الذين يمتنعون عنها بأمراض مختلفة قبل الاوان

ولست أقصد من ذلك القول بأن الكحول لايضر الجسم ، فقد أصيب بعض المدمنين بتليف الكبد (الكباد) والتهاب الأعصاب ، ولكن إصابة المدمنين بهذه الأمراض نادرة بما يدعو إلى الظن بأن الكحول ليس هو السبب الوحيد فى هذه الأمراض . على أنه لاشك فى أن الكحول هو السبب فى ذهول العقل ، والسبب فى الوفيات بهذا المرض ، ولكن الاعتدال فى تعاطى الخمر قلما تحدث عنه اضطرابات جثمانية خطيرة

أما التبغ فان مفعوله الفسيولوجى يمكن معرفة مداه بالطرق الفسيولوجية . وأهم ما يحدثه التدخين هو انقباض الأوعية الدموية الذى يؤدى الى ارتفاع الضغط الدموى . وعند ما تصاب الأوعية الدموية بتغيرات تؤدى الى الذبحة الصدرية (التى هى عبارة عن ألم حول القلب) فان التدخين يزيد فى الالم عادة ، ولكن ليس معنى ذلك أن التبغ يسبب تغير الشرايين عن حالتها

الطبيعية أو انه السبب فى حدوث السل أو عسر الهضم

يظن البعض أن الرياضة والهواء الطلق النقى يزيدان فى العمر ، وأنا أسلم بانهما يشعران المرء بتحسن حالته . أما انهما يمدان فى الاجل فامر أشك فيه شكا بليغاً ، واضرب لذلك مثلين مشهورين : فقد كان « تيودور روزفلت » و « ولتر كامب » من هواة الرياضة البدنية فى الهواء الطلق كل يوم بلا انقطاع ، وكانا يدعوان اليها فى حرارة وايمان . وقد مات كلاهما ولم يجاوز الخمسين إلا قليلا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الجميع يعرفون أن طائفة من المعمرين جاوزت أعمارهم مائة عام ولم يتريضوا يوما واحداً فى الهواء الطلق أو يقوموا بتمرينات رياضية . بل انى درست جميع الوسائل التى اقترحت لاطالة الحياة ، وأمعنت فى فحصها دون تحيز لهذا الرأى أو ذاك ، فخرجت من درسى وفحصى بأنه ليس ثمة شىء يصنعه الانسان لنفسه بعد ولادته يزيد فى حياته أكثر من ساعات معدودة

يتنوع الناس من حيث أجسامهم الى ثلاثة أنواع : النحفاء . والبدناء . والمتوسطون فالنحفاء لهم رئات عظيمة تزيد على حاجتهم بحيث ان الهواء الذى يستنشقونه لا يملأ تلك الرئات الكبيرة ولا ينفذ الى شعابها . ومثل هؤلاء معرضون بصفة خاصة للاصابة بالسل . أما البدناء فلهم رئات صغيرة . ونظراً لانهم لا يستنشقون كمية كبيرة من الاوكسجين تكفى لاحتراق كل المواد الغذائية التى يأكلونها فان هذه المواد تستحيل الى دهن يختزن فى الجسم

وقلما يصاب النحفاء بأمراض فى القلب أو الشرايين وإذا اجتازوا الشباب - وهو الدور الذى يصاب فيه الانسان بالسل - فأكبر الظن انهم يعمرون طويلا ، ذلك أن ٦٠ ٪ من الطاعنين فى السن هم من هذا الصنف

وأما ضخام الاجسام (البدناء) فقد ركز فيهم استعداد فطرى لتدهور الشرايين وارتفاع الضغط الدموى . ولذلك تتجنب « شركات التأمين على الحياة » أن تضمهم الى سلك عملائها

وأظهر وجوه الخلاف بين النحفاء والبدناء يقع فى تركيب القناة الهضمية ، فمعدة النحفاء مستطيلة ومتدلية ، وعلى ذلك يصعب تفريغ الطعام منها الى الامعاء . ومن ثم يشكو هؤلاء ثقلا فى البطن ومن غازات تتجمع بعد الاكلات . هم بالاختصار صرعى مرض سوء الهضم

وشىء آخر نقوله عن هؤلاء النحفاء ذلك أن تدلى معداتهم وطول بطونهم وضعف عضلاتها بالنسبة لخلوها من طبقة دهنية تقويها - كل ذلك يؤدى الى التواء الامعاء مما يجعلهم عرضة للاصابة بالامساك ، ويزيد تعرضهم له مايعتادون تعاطيه من مسهلات

وعلى خلاف ذلك ضخام الاجسام ، فمعداتهم صغيرة غير متدلية ويسهل تفريغ الطعام

منها الى الامعاء . ومن أجل ذلك ينعمون بالاكل فيتناولون منه ما لذ وطاب ، الامر الذى يزيدهم بدانة على بدانتهم . وقلما يصابون بالامساك نظراً لان امعاءهم لا تسترخى أو تلتوى لاستنادها الى جدر البطن القوية

يضاف الى ذلك أن النحفاء بالنظر لان عضلاتهم مستطيلة ورفيعة ، وبالنظر لان قناتهم الهضمية تبدو كأنها معلقة بخيط ـ يدركهم التعب بسهولة ، فيعجزون غالباً عن تحقيق مطامعهم . وهذا يؤدى الى السويداء والكآبة والتبرم ، على حين يستطيع ضخام الاجسام القيام بواجباتهم بسهولة ، ولذلك تراهم جذلين مسرورين ، ينجزون أعمالهم فى ساعات قليلة يتفرغون بعدها للسهر وقضاء أوقات الفراغ فى صنوف المرح والترويح عن النفس

والنحفاء على الدوام يشرعون فى القيام باصلاح الامور والاحوال فيتوانى البدناء عن الأخذ بناصرهم و يتقاعسون عن العمل فى هذا السبيل وهم على ثقة بأن النحفاء لن يكون عندهم الجلد الضرورى للقيام بتلك الاصطلاحات وانجازها

فما الذى يمكن أن تقدمه من النصائح للنحفاء والبدناء لكى يتجنبوا مايهددهم من أخطار تنجم عن طبيعة أجسامهم ؟

ان النحفاء يجب عليهم قبل كل شىء أن يوقنوا بأن قوة احتمالهم تقل كثيرا عن اخوانهم البدناء . وهنا نقول ان الراحة مدة خلال النهار تكفى لتجديد قواهم واعادة النشاط الى اجسامهم . ثم يلزمهم أن يضطجعوا بعد الاكل ساعة أو نصف ساعة ، ذلك أن الاضطجاع يسهل على المعدة مهمتها ويساعدها على تفريغ محتوياتها فى الامعاء

وننصحهم أيضا بالمواظبة على تمرينات لتقوية البطن كالاستلقاء على الظهر ورفع الساقين فى وضع عمودى ، والتمنطق بحزام واق ومضاعفة الطعام ليزيدوا فى الوزن ، فانهم لو أخذوا بهذه النصيحة قويت أجسامهم واجتازوا عهد الرجولة فى طمأنينة تمكنهم من احتمال عبء الحياة بغير اكتراث أو مبالاة ، وبذلك تمتد أعمارهم حتى الشيخوخة الوادعة

ونصيحتنا الذهبية للبدناء هى : عدم الاسراف فى الطعام ، وان يتريضوا ويأخذوا أنفسهم بتمرينات جثمانية تساعد على التخلص من الدهن . ولهم أسوة حسنة فى الفيلسوف الابيقورى الذى صام ثلاثة أيام لكى يستطيب بعدها أكل كسرة من الخبز

على أن البدناء يتهالكون على الاستمتاع بالحياة بحيث تراهم يستنفدون قواهم ويفسدون أجسامهم قبل الشروع فى علاجها مما يصيبها بسبب تكوينهم الجثمانى . نعم انهم مثل النحفاء لا يلائم أن يردعوا أنفسهم فيضعفوا عن كبح جماحها رضوخاً لمطالب الجسم

* * *

يعتقد الكثير من الأطباء أن الامساك هو أساس كل بلاء . وتلك فكرة قد سرت عدواها

الى المرضى سريان النار فى الهشيم ، فكثيراً ما قال لى فريق منهم : «إن الامساك هو علة ما أكابده من كآبة ، وأصل ما أعانيه من تعب مقيم » ولقد هدتنى خبرتى إلى مخالفة هذا الرأى . ذلك أن معظم الذين فحصتهم فحصاً دقيقاً تبين لى أنهم غير مصابين بالامساك الذى يشكون منه

هناك حالات امساك حقيقية تنتج عن مرض عصبي ، عن فكرة ثابتة هى أنهم مرضى بالامساك ، وهذه الفكرة قد تأصلت فى عقولهم منذ الطفولة . انظر الى حالة الاطفال العقلية من جهة التبرز ، فانهم يلامون على الدوام (من أمهاتهم أو مربياتهم) اذا لم تستطع امعاؤهم طرد ما فى بطونهم من مخلفات ويشكرون اذا نشطت الامعاء . وبالطبع تأخذ هذه المسألة أهمية عظمى فى اعتقادهم ، فلا بدع إذن إذا شعروا عند إمساك بطونهم لاى سبب كان بخطر مجهول يتهدد حياتهم . وتبقى هذه الفكرة طول الحياة عالقة بالاذهان ، ونعنى فكرة أن امساك البطن شيء خطر يتهدد الحياة بالاوجاع والاسقام . وأمثال هؤلاء يعتقدون صحة النظرية القائلة بان محتويات الامعاء مشبعة بمواد سامة يمتصها الجسم عند الأمساك . وإذا اعتقد شخص صحة هذه النظرية ركبته الاوهام من مفزعات لاوجود لها . والحقيقة انه لا شيء يمتص من الامعاء غير الماء ، وان محتويات الامعاء ليس فيها كثير من السم ، وان فى الجسم مناعة ضد هذه السموم

إن جميع الأعراض التى يشكو منها هؤلاء الناس سببها الغم والاسى . مثال ذلك : ان صديقى الدكتور « الفارز » وجد انه يستطيع احداث الصداع الذى يزعمون انه ناشيء عن امتصاص السموم من الأمعاء ، والذى يدعون انه يزول بالتخلص من محتوياتها ، إن صديقى هذا احدث الصداع المذكور بواسطة حشو الامعاء بالقطن ، والقطن بالطبع كالأسفنج يمتص ما فى الامعاء من سموم

إن أمعاءك اذا تركتها وشأنها ادت وظيفتها فى الغالب على ما يرام ، لانها تكيف نفسها بحيث تلائم الجسم وتتقبل اى نوع من الغذاء دون ان يؤذيها

اصلاح خطأ

ورد فى مقال « تناهى الكون » المنشور فى العدد الماضى خطأ جوهرى فى معادلتين رياضيتين لا يمكن ان يكتشف القارىء صوابه فنصححهما فيما يلى :

صواب المعادلة فى سطر ٦ صفحة ٥٠٢ ج = و × فد

صواب المعادلة فى سطر ٧ صفحة ٥٠٢ كر = ح × فد

فنرجو من القارىء أن يصلحهما بقلمه

سير العلوم والفنون



جهاز لاختبار جودة اللآلىء

اقيم في لندن اخيراً المعرض السنوي الثالث والعشرون لجمعية العلوم الطبيعية فكان من بين معروضاته الطريفة جهاز يكشف عن جودة اللآلىء وزيفها بواسطة اشعة « اكس » وفوق هذا الكلام صورة لهذا الجهاز



وليد الكانجارو

في شهر اكتوبر الماضي جيء الى حديقة الحيوانات بلندن بأنثى كانجارو ، فوضعت في أول يناير الماضي وليداً هو أول كانجارو ولد في الأسر . وترى في الصورة الأم وقد حملت وليدها في « الكيس » الذي هيأته لها الطبيعة في أسفل جسمها لتحمل فيه أطفالها .



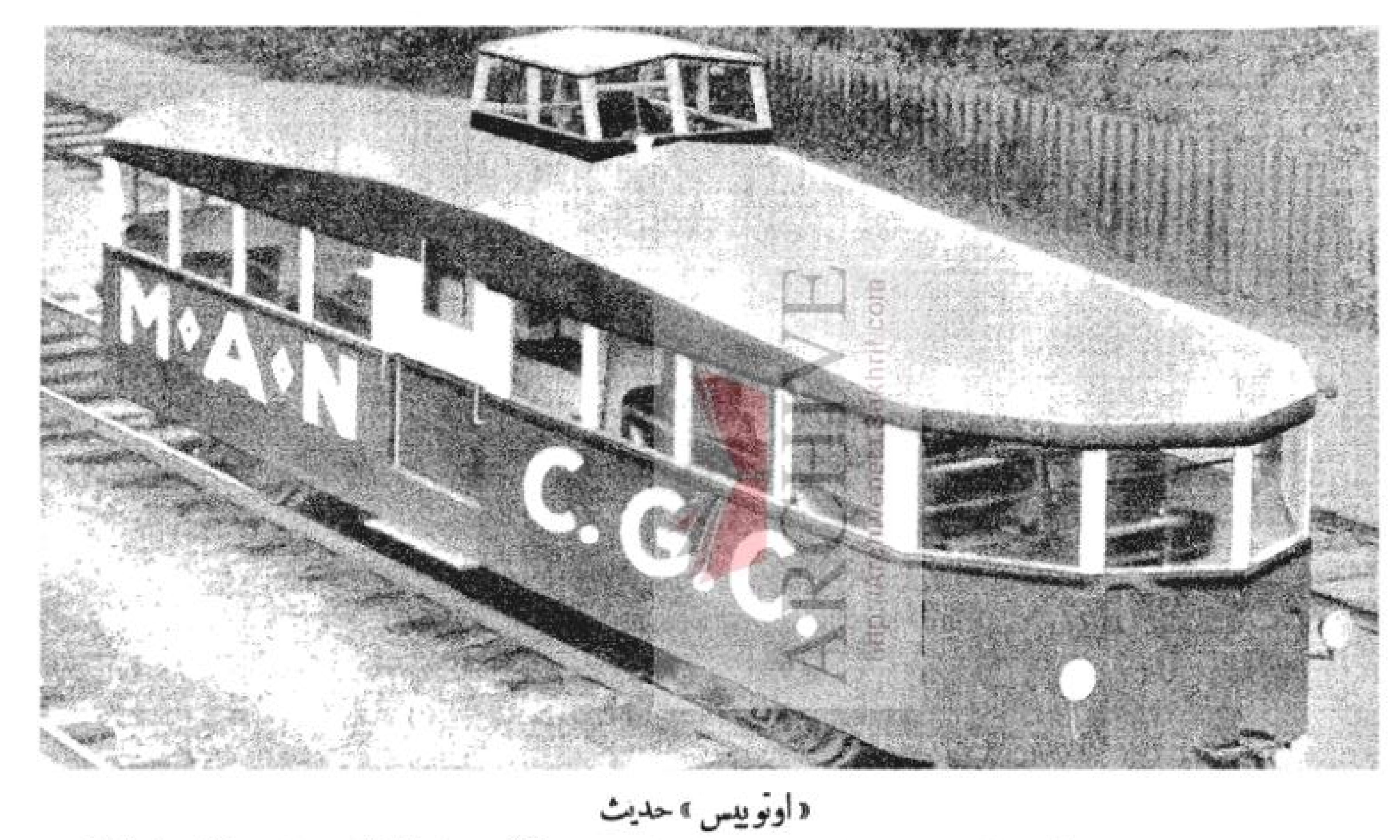
ذبح الحيوانات بلا ألم

اخترع مهندس الماني يدعى رودلف جاسنر اداة كهربائية لتخدير الحيوانات تخديراً تاماً قبل ذبحها فتموت دون ان تتعذب وتتألم . وهذه الطريقة لا تمنع تربف الدم من الذبيح بدرجة كافية ، ولذا يبقى لحمه صالحاً للاكل بعد الذبح بهذه الطريقة . وترى فوق هذا الكلام المهندس جاسنر يجرب آلته في خنزير راح في غيبوبة التخدير



قذيفة عجيبة

اخترع فتى فرنسي قذيفة تنطلق في الجو وتخترق طبقاته، وهي مصنوعة من المعدن ويبلغ طولها مترين وسبعين سنتيمترا . وغرض المخترع من هذه القذيفة هو ان يحملها بعض آلات الرصد واختبار طبقات الجو ثم يطلقها في الهواء لتقوم بهذه المهمة في الطبقات الجوية العليا حتى إذا فترت قوة اندفاعها انبثقت منها مظلة «براشوت» تنزل بها الى الارض دون عطب . وفوق هذا الكلام صورة المخترع الفرنسي بواريه وقذيفته



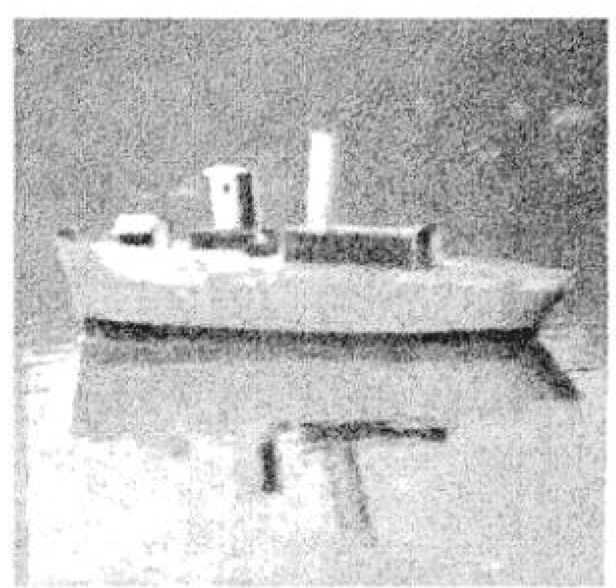
« أوتوبيس » حديث

يسير الآن في جوار بلدة نورنبرج الألمانية « أوتوبيس » حديث الطراز يسير على القضبان ويسع ٤٤ راكباً ويستطيع الانطلاق بسرعة ١٠٢ كيلو متر في الساعة . ذلك الى أن مكان سائق هذه السيارة لا يقع في مقدمتها بل في وسطها وفي أعلى السقف حتى لا يعوق حركة تنقل الركاب وحتى يستطيعوا التمتع بما تمر به السيارة من مناظر من كل ناحية . وفي اعلى احدى هذه السيارات



جهاز لتوزيع ورق اللعب

اخترعت في انجلترا منضدة طريفة للعب الورق تحوي جهازاً كهربائياً يخلط الورق ثم يوزعه على اللاعبين . وترى الى يسار هذا الكلام ثلاث صور لهذه المنضدة : فالعليا تمثل الجهاز وقد رفع عنه غطاء منضدة اللعب ، والوسطى تمثل آلة الخلط وقد وضع في طرفها الورق ، والسفلى تبين عودة اللاعبين الى المنضدة وقد مد أحدهم يده يلتقط ورقه من آلة التوزيع



قارب لايغرق أبداً

صنع رجل يدعى أدولف بوسو من أهالي سان مالو قارباً من الصلب لا يمكن ان يغرق مطلقاً . ويقول صاحب هذا القارب انه استعمله في رحلات امندسون والدكتور شاركوت عند ارتيادهما المناطق القطبية ، كما أسفرت التجارب عن استطاعة هـذا القارب ان يطفو ويواصل السير حتى بعد امطاره بوابل من القنابل . وترى صورته الى يسار هذا الكلام



طيارة المستقبل

كان علماء الطيران يقولون ان طيارة المستقبل هي التي تستطيع الصعود والهبوط رأسياً بلا انحدار . وقد اخرجت معامل روهر باخ الالمانية أخيراً هذا الطراز من الطيارات ، وقد زودت كل طيارة باجنحة خاصة تسهل عليها هذه المهمة . وترى صورة إحدى هذه الطائرات فوق هذا الكلام وعلى جانبيها اجنحتها التي تدور باستمرار بين هبوط وصعود

مخلوق عجيب

روت مجلة « السينتفيك اميركان » وهي اكبر المجلات العلمية بأميركا ان العلماء بمدينة نيويورك حائرون في امر رجل من اهالي تلك المدينة لايشعر بالالم على الاطلاق. وقد فحصه الكثيرون من الاطباء فحاروا في تعليل الظاهرة الغريبة التي يمتاز بها. ومن جملة التجارب التي اجروها انهم غرزوا في جسم هـذا الرجل دبابيس حتى رءوسها فلم يشعر بأى شيء من الالم. ولعل التعليل الوحيد لما يمتاز به هذا المخلوق العجيب هو عطب مركز الألم في الدماغ. ولا يمكن اثبات هذا الفرض الا بعد وفاة الرجل وتشريح دماغه

الانباء بالمستقبل

في الجزء الصادر في شهر يناير الماضي من مجلة « السينتفيك اميركان » ان السيدة ايفانجلين ادمس المنجمة الاميركية الشهيرة توفيت حال بلوغها سن الستين طبقاً كما سبقت فانبأت به. وقد اثار تحقيق نبوءتها اهتمام الكثيرين من العلماء، ولا شك انه زاد في عدد انصارها الذين كانوا يؤمنون بنبوءتها. وتقول المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر ان السيدة ايفانجلين المذكورة كانت تكسب من علم التنجيم نحو خمسين الف دولار في العام وان وفاتها في الميعاد الذي عينته من الامور الغامضة التي لا يستطيع العلم تعليلها. ولاشك انه سيزيد في عدد الذين يعتقدون ان للافلاك العلوية سلطاناً على اجسامنا وأرواحنا

الاشعة الكونية

أشرنا غير مرة إلى الاشعة الكونية التي اكتشفها الدكتور مليكان العالم الاميركي المشهور. ولم يتفق العلماء حتى الآن على تعليل هـذه الاشعة أو تعيين مصدرها. فالدكتور مليكان يقول انها تنشأ في الفضاء الذي يتخلل الاكوان السحيقة وتتحد عند وصولها الى جو الكرة الارضية بالِكترونات أو ومضات كهربائية ثانوية. الا أن « الاب لميتر » العالم البلجيكي المشهور (وهو من رجال الكهنوت) يقول إن هذه الاشعة هي مظهر نشوء الاكوان أي انها اشعاع المادة الاولى التي نشأ منها الكون وهي تملأ الفضاء منذ ظهرت فيه الافلاك

وقد انبرى الآن الاستاذ اينشتين صاحب مذهب النسبية لتأييد رأى لميتر بانياً رأيه على الارصاد الفلكية التي قام بها حديثاً في أميركا

الحياة في المستقبل

يصور لنا بعض العمال حياة الانسان في المستقبل صورة جميلة يبنونها على التجارب والمباحث العلمية التي يقومون بها. ومن مقتضى تلك الصورة أن تكون حياة الانسان بمأمن من جميع الجراثيم والميكروبات، لأن العلم سيتغلب على جميعها وسيجد طرقاً لاحداث المناعة في جسم الانسان بحيث لن يؤثر فيه أي مرض، وبحيث لن يبقى للموت إلا سببان: احدهما طبيعي وهو الانحلال بسبب الشيخوخة، والآخر طارىء وهو التعرض للاصابات القاتلة التي تقضى على الحياة

شهب نوفمبر الماضى

أشرنا فى جزء سابق من الهلال الى الشهب التى تساقطت فى منتصف شهر نوفمبر الماضى ويذكر القراء أن مصلحة الطبيعيات بمصر سبقت فنبهت الجمهور إلى تساقط تلك الشهب، ولكن الجمهور خاب ظنه لأنه لم يشهدها مع ان الارصاد الفلكية دلت على تساقط عدد كبير منها . وقد وقفنا الآن على تقرير فى احدى المجلات العلمية الاميركية يدل على ان الراصدين فى الانحاء المختلفة من أميركا رصدوا منها عدداً كبيراً فرصدت جامعة بوستن ٢٥٢ شهاباً ، وكلية ستايت نورمال ٧٣٤ شهاباً ، ومرصد لافوريكا أكثر من تسعمائة شهاب ، ورصد الفلكيون فى جهات أخرى عدداً كبيراً منها

أشعة جاما

هى من الأشعة التى تنبثق من عنصر الراديوم وقد ظهرت لها منفعة عظيمة فثبت أنها تحل محل أشعة اكس فى تصوير ما وراء المواد الكثيفة . وهى تفضل اشعة اكس فى كونها تخترق الفولاذ (الصلب) إلى عمق عشر بوصات وتصور ما وراءه تصويراً واضحاً . وبواسطتها يمكن فحص الصلب الذى تصنع منه المدافع ، إذ لا يخفى أنه إذا كان ذلك الصلب غير نقى نقاوة تامة كان المدفع الذى يصنع منه معرضاً دائماً لخطر الانفجار . وقد كانت طريقة فحص المدافع بأشعة اكس شاقة جداً وتقتضى نفقات كبيرة ، لذلك يرحب الآن صانعو المدافع والأسلحة النارية باكتشاف اشعة « جاما »

عنصر الصفر

لا يخفى أن العناصر التى تتألف منها المادة هى اثنان وتسعون عنصراً ، وقد اكتشف العنصران السابع والثمانون والخامس والثمانون منذ عهد قريب جداً . ومنذ بضعة أشهر اكتشف احد العلماء الانجليز بمعمل كافنديش بانجلترا جوهراً فرداً جديداً يشبه من جميع الأوجه الجوهر الفرد لعنصر الايدروجين (الذى يعتبر أساس جميع عناصر المادة) ، الا أنه يتألف من ايلكترون واحد وبروتون واحد ، اى من ومضة كهربائية سلبية وومضة إيجابية فهو والحالة هذه لا سلبي ولا ايجابي (meutre) ولذلك سمى « نوترون » اى الجوهر المحايد . أما جوهر الايدروجين فهو وحدة كهربائية والايلكترون فيها غير متحد بالبروتون اتحاداً وثيقاً ، وفيما عدا هذا الفرق لا يختلف « النوترون » عن جوهر عنصر الايدروجين . ويقترح أحد العلماء الاميركيين اعتبار النوترون عنصراً جديداً وتسميته « عنصر الصفر » وحسبانه أساس جميع عناصر المادة

مقياس الجاذبية

اخترع أحد الاميركيين آلة دقيقة جداً لقياس جاذبية القمر . وتظهر دقة هذه الآلة من كونها تسجل الفرق بين الجاذبية على سطح الارض وعلى ارتفاع بضع أقدام ، ويقال ان هذه الآلة تصلح أيضا للبحث عن المعادن التى فى جوف الأرض ، فان تلك المعادن تؤثر فى الآلة تأثيراً واضحاً

الانسان النياندرتالي في فلسطين

في سنة ١٩٣١ اكتشف أحد علماء الآثار بقايا انسان قديم في فلسطين أثبت فحصها أنها بقايا انسان من النوع النياندرتالي الذي كان يسكن أوربا في الحقب الغابرة وكان من الحلقات الاولى في سلسلة تطور الانسان. ومنذ بضعة أشهر جاءت الاخبار بان علماء الآثار بفلسطين عثروا على عظم فك أسفل لانسان من النوع النياندرتالي المذكور. والآن جاءت أنباء أخرى بان الآنسة جارود العالمة الانجليزية قد عثرت على هيكل عظمي كامل من الانسان النياندرتالي عند سفح جبل الكرمل في كهف بالقرب من المكان الذي عثر فيه العلماء سنة ١٩٣١ على الآثار الاولى

ويعنى علماء الآثار بهذه الاكتشافات جد العناية وهم يدرسونها لمعرفة الاحوال التي تطور فيها الانسان في فلسطين في الحقب الخالية

الدم والقرابة

قرأنا في احدى المجلات العلمية الاميركية أن الطبيبين «طور» و «هوايت» الانجليزيين قاما ببعض التجارب العلمية في مصر على بعض الحيوانات فاتضح لهما أن في الامكان اثبات القرابة بين شخصين بمجرد فحص دمهما، إذ ثبت لهما أن مواد معينة تحدث في الدم تفاعلات كيماوية مختلفة، وهذه التفاعلات قلما تتشابه الا في دم الوالدين وأولادهم أو أقرب المقربين اليهم. أما دماء الاشخاص المختلفين فان التفاعلات التي تنشئها فيها بعض المواد تختلف كل الاختلاف. ولا يزال العالمان الانجليزيان المذكوران يواصلان تجاربهما بهذا الشأن

رأيان مختلفان في التدخين

للعلماء رأيان مختلفان في التدخين - أحدهما أن الافراط فيه هو أحد أسباب السرطان، والاعتدال فيه لا يمتاز باية منفعة. والرأي الآخر أن الاعتدال فيه نافع يساعد على الهضم، والافراط غير مؤد الى داء السرطان وإن يكن له تأثير في الجهاز الهضمي وفي بعض أجهزة الجسم الاخرى

ويقول أصحاب الرأي الاول إن في الدخان كمية من القطران هي سبب السرطان الذي يصيب الرئة. وهذا القطران يحتوي على مواد النيكوتين والامونيا وغيرهما مما يسبب السعال والنزلة الشعبية المزمنة وغير ذلك. ويقول أصحاب هذا الرأي أيضاً إن كمية القطران التي في الدخان تختلف من ٥ الى ١٥ في المائة من الدخان الذي يتصاعد من السيجارة، وتكثر هذه الكمية كلما أمعن الرجل في تدخين السيجارة أي كلما دنا من «العقب». وقد ثبت علمياً أن الجسم يمتص هذه الكمية من القطران. وأصحاب الرأي الاول يقولون ان هذا الامتصاص هو من أسباب سرطان الرئة

أما أصحاب الرأي الثاني فينكرون ان امتصاص الجسم لقطران الدخان يؤدي الى نشوء السرطان، الا أنهم لاينكرون ان هذا الامتصاص قد يعوق بعض الاجهزة وفي مقدمتها الجهاز الهضمي

البطالة ونقص الفيتامين

تقول احدى شركات التأمين بالولايات المتحدة إن فى تلك البلاد ستة وثلاثين مليون عامل يشتغلون باجور يومية أو شهرية ، وان متوسط عدد الايام التى ينقطع فيها كل عامل منهم عن العمل بسبب الزكام أو غيره هو سبعة أيام فى السنة ، ومجموع ذلك نحو مائتين وخمسين مليون يوم . وقد اثبتت المباحث العلمية أن سبب ذلك هو نقص الفيتامين من المواد الغذائية التى يتناولها أولئك الأشخاص. وقد قامت احـــدى شركات التأمين بتجربة بسيطة فى احدى المناطق الصناعية فقدمت للعمال مواد غذائية غنية بانواع الفيتامين مدة شهر على حسابها فلم يصب بالمرض او بالزكام إلا عدد قليل جداً من العمال ، وفى هذا برهان على فائدة الفيتامينات وما لها من القوة على منع الامراض

تطور القط

كان سواد العلماء يعتقدون ان القط نشأ فى الاصل من نمر شرس كانت انيابه أشبه بنصل السيف ولكن لم يكن لديهم أى برهان قاطع على صحة هذه النظرية . وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية الاميركية ان بعثة علمية تعرف ببعثة سكوت كانت تجوب بعض انحاء ولاية داكوتا الجنوبية فعثرت على احافير حيوانات ترجع الى عصر الاوليجوسين ومن جملتها جمجمة قط هو بمنزلة الحلقة المفقودة بين النمر القديم والقط الحاضر . وهذا يثبت صحة النظرية المشار اليها آنفاً

بقايا الانسان الصينى

من الاخبار العلمية الاخيرة التى كان لها وقع حسن عند علماء الانتروبولوجيا أن إحدى البعثات العلمية التى تعمل فى صحراء جوبى ببلاد الصين عثرت على أحافير عظام الرسغ « للانسان الصينى » فى الموضع الذى اكتشفت فيه جمجمة هذا الانسان سنة ١٩٢٩ . و « الانسان الصينى » كانسان جاوا وانسان بلتدون وانسان كينيا الخ هو احدى « الحلقات المفقودة » التى كانت وسطاً بين الانسان والحيوان أو هو الانسان فى فجر طوره البشرى

لمساعدة الحواس

اخترع العلماء آلات لتقوية حاسة البصر (كالمكرسكوب والتلسكوب وغيرهما) واخرى لتقوية حاسة السمع (كالمكروفون والمجافون وغيرهما) ، ولكنهم لم يوفقوا حتى الآن الى اختراع آلات لتقوية الحواس الثلاث الأخرى وهى الشم والذوق واللمس . ويؤخذ مما تقوله إحدى المجلات العلميـة الاميركية ان فريقاً كبيراً من العلماء يشتغلون بجد ونشاط لاختراع الآلات المطلوبة وهنالك قرائن تحمل على القول بان نجاحهم متوقع من وقت الى آخر

كسوف الشمس

فى مساء الجمعة (٢٤ فبراير الماضى) كسفت الشمس كسوفاً حلقياً شوهد جزئياً فى مصر . وقد بدأ الكسوف فى الساعة ٣ والدقيقة ٤٣ ، وانتهى فى الساعة ٥ والدقيقة ٢٩

شؤون الدار

جلاء المعادن

كثيراً ما نقرأ عن مواد ومستحضرات لجلاء المعادن ومعظمها مما لا يكون عادة فى متناول الجميع ومنها معجونات يصعب الحصول عليها، ولكن هنالك طريقة سهلة لتنظيف المواد المعدنية وجلاء ماقد يعلوها من الصدأ وهي أن تمسحها اولا بقشر الليمون وتدعكها به دعكا جيداً ثم تفركها برماد الفحم المبلل فيبدو المعدن نقياً صافياً

لحفظ العنب

ذكرت إحدى المجلات الاميركية انه يمكننا حفظ العنب طويلا من الفساد إذا عالجناه بثاني اوكسيد الكربون، ولكن لم تذكر هذه المجلة كيفية تلك المعالجة. والمعروف ان افضل طريقة لحفظ العنب هي وضعه فى وعاء مملوء نخالة ناعمة

ادراج الخزائن

كثيراً ما تعصى ادراج الخزائن الخشبية عن الحركة بحيث يصعب سحبها الى الخارج أو دفعها الى الداخل ففي هذه الحالة يحسن دهن جوانبها بالشمع أو بالصابون الناشف غير المبلول فتحرك الادراج بسهولة

طول الجسم ووزنه

لم يتفق الناس بعد على تعيين الطول النموذجي لجسم الرجل أو المرأة ولا اتفقوا على تعيين مايجب أن يكون عليه وزن الجسم، وسبب ذلك اختلاف الاذواق والميول. فمن الناس من يستحسن فى المرأة طول قامتها ونحافتها، ومنهم من يستحسن فيها السمانة وثقل الوزن، ومنهم من يحب الفتاة الصغيرة الجسم. ويؤخذ من استفتاء قامت به احدى المجلات الاميركية ان سواد الناس يميلون الى المرأة التي يوجد تناسب بين طول قامتها ووزن جسمها فاذا كانت طويلة القامة ودون المتوسط فى وزن الجسم لم تحز رضى الجمهور. وكذلك اذا كانت قصيرة القامة وفوق المتوسط فى الوزن. على ان هذا «المتوسط» نفسه هو موضع خلاف كبير بين الناس وهم لم يتفقوا على تحديده حتى الآن. فقد يحسب الانجليزي المرأة التي ينقص طول قامتها عن متر واحد وستين سنتمترا مثلا دون المتوسط، حالة ان الفرنسي يحسبها فوق المتوسط. وقد يحسب الشرقي الفتاة البالغة الثلاثين من العمر والتي ينقص وزنها عن خمسة وستين كيلو جراماً دون المتوسط، حالة ان الاميركي يحسبها فوق المتوسط. ولعل أحسن قياس لمعرفة «متوسط» الطول والوزن هو مقارنة ذلك «المتوسط» بالسن ثم مقابلة الطول بالوزن. وعليه يمكننا ان نعين «المتوسطات» الآتية للطول والوزن

(اولا) المرأة:	متوسط الطول بالمتر	متوسط الوزن بالكيلوجرام
من سن ٢٠ ــ ٢٥	٦٠ ر ١	٥٨
« « ٢٥ ــ ٣٥	٦٥ ر ١	٦٥
« « ٣٥ ــ ٤٥	٧٠ ر ١	٧٠
« « ٤٥ ــ فصاعداً	٧٤ ر ١	٧٥

(ثانياً) الرجل:	متوسط الطول بالمتر	متوسطا لوزن بالكيلوجرام
من سن ٢٠ ــ ٢٥	٦٥ ر ١	٦٥
« « ٢٥ ــ ٣٥	٧٠ ر ١	٧٠
« « ٣٥ ــ ٤٥	٧٥ ر ١	٧٥
« « ٤٥ ــ فصاعدا	٧٨ ر ١	٨٠

فترى من هذين الجدولين ان هنالك تناسباً بين متوسط الطول ومتوسط الوزن يمكن ان نعبر عنه بقولنا ان الجسم يجب ان يزن عددا من الكيلوجرامات يوازى «متوسط» طول القامة ناقصاً متراً، فالفتاة التي يبلغ طول قامتها متراً و٦٠ سنتمتراً مثلا يجب ان تزن ٦٠ كيلو جراماً، والشاب الذي يبلغ طول قامته متراً و٧٥ سنتمترا يجب ان يزن ٧٥ كيلو جراماً وهلم جرا. وعلى كل فان هذه النسبة تقريبية لا قطعية. ويجب ان لا يبرح من البال ان الجدولين المار ذكرهما هما «للمتوسط» فقط وان الاجسام كثيراً ما تكون أطول وأثقل أو أقصر وأخف وفى هذه الحالة تعتبر خارجة عن المتوسط

بقى ان الكثيرات من الفتيات ان لم نقل كلهن يسعين اليوم لجعل اجسامهن نحيفة دون المتوسط لان سلطان الزى او «الموضة» يقضى بذلك. والمعروف من درس التاريخ ومن معاينة تماثيل ربات الجمال من «فينوس» الى «مس تركيا» فى هذا العصر انه ما من حسناء اشتهرت بجمالها وكانت نحيلة القوام، بل ان جميع ملكات الجمال قديماً وحديثاً كن ذوات أجسام هي فوق المتوسط فى الطول والوزن

سن موسى الحلاقة

قلما يستعمل أحد مسناً لموسى الحلاقة المعروفة بموسى الامان (Sureté). وسبب ذلك (أولا) رخص موسى الحلاقة بحيث أن الكثيرين يفضلون استعمال موسى جديدة على سن الموسى القديمة (وثانياً) لان اكثر آلات السن لا تصلح فى الحقيقة ولا تقوم بعملها جيداً

على أن هناك طريقة اكيدة لسن الموسى من دون تعب. وذلك بأن تأخذ كاساً من الكؤوس الاعتيادية وتضع فيها بضع نقط من الماء ثم تسن عليها الموسى من الداخل بان تدير الموسى بطرف أصبعك حول الكاس من الداخل دقيقة أو دقيقتين فتصبح حادة جداً وكثيراً ما تصبح أحسن من الموسى الجديدة. وبسن الموسى بهذه

الطريقة مرة كل أربعة أيام أو خمسة يمكنك استعمالها مدة طويلة وفى ذلك ما فيه من الاقتصاد

وأفضل طريقة لحفظ الموسى من الصدأ وضعها فى وعاء صغير فيه قليل من زيت الزيتون الخفيف أو زيت بزرة القطن

لازالة الروائح القوية

كثيراً ما تنتشر فى غرف البيت روائح قوية أو غير مقبولة ناشئة عن طبخ الطعام أو عن دهان الابواب والجدران أو ما الى ذلك . ففى اكثر هذه الحالات يمكنك أن تتغلب على الرائحة بوضع فحم الخشب فى الغرف. فاذا لم يكن من السهل الحصول على فحم الخشب فتؤخذ عدة بصلات وتقطع انصافاً وتوضع فى جميع غرف المنزل فتمتص الروائح القوية وتتغلب عليها . ويمتاز البصل أيضاً بامتصاص رائحة الزيوت والدهون التى تطلى بها الجدران والنوافذ والابواب

خطر الحيوانات الاليفة

ثبت من عدة حوادث أن الحيوانات الاليفة كالكلاب والقطط والطيور على اشكالها تحمل ميكروبات خبيثة يصاب بها أهل المنزل بسبب مداعبتهم لها . وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية الاميركية أن شعر بعض تلك الحيوانات كثيراً ما يكون مؤلفاً من قشور ميكرسكوبية تدخل مسام الجلد الناعم فتسبب له التهابات وبثوراً ودمامل . وكثيراً ما يصاب الانسان بدمامل وخراجات فى جسمه لا يعرف من أين جاءته أو يزعم أنها نشأت عن فساد فى الدم ، ولكنه إذا تحرى عن السبب علم أن تلك العاهات نشأت عن كثرة مداعبته للحيوانات الاليفة التى فى منزله

خطر أقلام الرصاص الكوبيا

كثيراً ما يحضر الولد من المدرسة ويشرع فى كتابة ما عليه من الفروض المدرسية بقلم رصاص كوبيا . وقد ثبت بالاختبار أن استعمال هذا النوع من الاقلام لا يخلو من خطر . ولهذا اصدرت الحكومة الالمانية أمرها بمنع استعمال هذه الاقلام فى المدارس لانها تحتوى على مواد سامة ومضرة بالبصر فضلا عن أنها كثيراً ما تؤدى الى التهاب بشرة اليد اذا كانت ناعمة ، فيجدر بالوالدين أن يمنعوا أولادهم من استعمال هذه الاقلام

لازالة آثار الماء عن الخشب

كثيراً ما تضع كوباً من الماء على مائدة من الخشب الصقيل فيترك الكوب أثراً مستديراً على الخشب يشوه منظره ، فلازالة هذا الاثر امسحه بقطعة من النسيج الناعم مغمسة فى محلول روح الكافور ثم ادعكه بقطعة من الفلانلا مشبعة بالزيت

لغسل الثياب

اذا اضفت نصف كوب من الخل الى الماء الذى تغسل به الثياب ، فانه يسهل عملية الغسل ونظافة الثياب ويقلل من كمية الصابون اللازمة للغسل

لرفو الجوارب

إذا أرادت ربة المنزل أن ترفو الجوارب وما أشبه فى الليل فيحسن بها أن تستعين بمصباح كهربائى ضعيف النور تدخله فى الجورب فى الموضع المراد رفوه ، فتستطيع إذ ذاك اتمام عملية الرفو على نور يريح النظر فضلا عن أن شكل المصباح البيضوى يساعد على انجاز العملية بسهولة

الوان التصوير الزيتي

تصنع ألوان التصوير بالزيت كما يأتى : يمزج خمسة أرطال ونصف رطل من مسحوق الطباشير بستة أونسات من الكازايين وأونس واحد من البورق ثم يضاف الى هذا المزيج مسحوق اللون المراد استعماله ويخفف المزيج الى الدرجة المطلوبة. ويمكن استعمال هذا اللون للتصوير بالزيت ولتلوين الجدران أو الادوات المنزلية المختلفة

لزيادة صفاء الصور الفوتوغرافية

اذا أردت أن تجيء الصورة الفوتوغرافية نظيفة فامسحها - بعد غسلها بالهيبوسلفيت - بقطعة من القطن الناعم المبلل بالماء لازالة ما قد يكون عالقاً بها من ذرات الغبار أو غير ذلك من المواد ، واذ ذاك تجيء الصورة المطبوعة على الورقة نظيفة صافية

رائحة الغراء

للغراء عادة رائحة كريهة تشتد عند تسخينه على النار ، وكثيراً ما يحتاج الانسان الى تسخين كمية كبيرة من الغراء فتملأ رائحته المنزل . فلازالة هذه الرائحة يضاف قليل من ملح البارود (نترات البوتاس) الى السائل الغروى فتزول رائحته فى الحال وتزيد لزوجة الغراء فضلا عن أن ملح البارود يجعل الغراء ينشف بسرعة

للعناية بالبيانو

كثيراً ما تكون الاجزاء المكشوفة من البيانو معرضة للرطوبة . ففى هذه الحالة يحسن مسحها بقطعة من الفلانلا مشبعة بزيت خفيف تدهن به تلك الاجزاء دهاناً خفيفاً ثم تترك لتنشف قليلا وتدعك بقطعة من الفلانلا مشبعة بالفازولين

كيف تقشر البصل

اذا قشر البصل تحت حنفية ماء جار ذهب الماء برائحة البصل ولم يترك لها أثراً يتصاعد فى الجو

أخطار الغبار

الهواء فى مصر وفى غير مصر مشبع بالجراثيم الممزوجة بذرات الغبار . ولما كان الاطفال والاولاد الصغار يجهلون ذلك فكثيراً ما تراهم يسيرون فى الشوارع التى يكثر فيها الغبار وهم يتحدثون معاً بدلا من أن يسدوا أفواههم ولا يفتحوها . فعلى الام أن تربى أولادها على عادة عدم الاكثار من الكلام فى الطريق لكيلا تتسرب الميكروبات الى أفواههم

في عالم الادب

في الصيف

للدكتور طه حسين

طبع بدار الهلال . صفحاته ١٣٩ من القطع المتوسط)

للاستاذ الدكتور طه حسين أسلوب ممتاز يدل على شخصيته ولو لم يوقع عليه بامضائه . وهذا الاسلوب يشوقك ويجذبك ويغريك بجمال الفن الادبي ويحملك في موجة من السلاسة والامتاع لا تملها ولن تستطيع أن تسلوها مهما كثرت سطورها وتعددت صفحاتها

ذلك لان الدكتور طه أديب فنان . وقد قرن أو وفق إلى أن يقرن إلى ملكته الفنية ثقافة ممتازة لم تتح إلا لافراد قلائل نعدهم الحلقة المفقودة بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية . فقد تثقف ثقافة عربية قويمة وهضم الادب العربي هضما . ثم تثقف بالثقافة الغربية واطلع على كثير من أدب الغرب وفيه أدب اليونان الذي يعد بحق سيد الآداب في العالم القديم . فكان له من ذلك كله ملكة فنية محيطة بكثير من أجمل ما انتجته قريحة الانسان ، ثم كان لنا نحن من ذلك كله الدكتور طه حسين عميد الادب العربي والاديب العبقري النابغة . وقد اطلع القراء على كثير من آثاره وشهدوا له بفضله ، فاذا كنا نقدم لهم اليوم هـذا الكتاب كأثر أدبي رفيع دبجته قريحة الدكتور طه ، فمن معاد القول ان نثني عليه وان نشرح ميزاته . وحسبنا أن نقول إنه قبس من أفكار طه حسين وخواطره التي جالت بذهنه ونفسه في خلال رحلة قام بها إلى فرنسا في صيف سنة ١٩٢٨

شوقي

للاستاذ أنطون الجميل

(طبع بمطبعة المعارف بالقاهرة . صفحاته ٩٥ من القطع الصغير)

يحتوي هذا الكتاب الادبي على مقالتين وخطبة بقلم الاستاذ أنطون الجميل . والاستاذ انطون الجميل أديب مشهور سبق أن زاول الصحافة وبرز فيها ثم تركها والتحق بوظيفة بوزارة المالية . وقد عاد أخيراً الى ميدان الادب والصحافة ، وكان قد كتب مقالة عن شوقي بك في العدد الخاص بتكريم شوقي من جريدة السياسة الاسبوعية الغراء ، وكتب مقالة ثانية في الاهرام يوم وفاة المرحوم شوقي بك . وكان ممن القوا خطباً في حفلة تأبينه التي اقامتها وزارة المعارف المصرية ودعت اليهـا بعض أدباء الاقطار العربية ، وقد اشتملت هذه الخطبة على كثير من ابيات شوقي مجموعة حسب التحليل الذي

ارتآه الأستاذ الجليل مما جعلها تلفت النظر وتدل على براعة الاستاذ الجيل في هذه الخطبة التي لا يقدر على مثلها الا أمثاله

وقد أضاف هاتين المقالتين إلى تلك الخطبة، وطبعها ككتاب أدبي وتحفة لقراء الادب. وقد صدرها بصفحة ونصف عن مجمل مراحل شوقي ومؤلفاته. أما المقالة الاولى فتشمل الكلام على شوقي شاعر الامراء. وهي المقالة التي نشرت في السياسة الأسبوعية، والمقالة الثانية كتبت كما قلنا في الاهرام الصادر يوم وفاة شوقي وهي مقالة تأبينية بعنوان «شوقي عاش شاعراً. ومات شاعراً». وقد نالت ثناء الذين قرأوها واعجابهم. أما الخطبة فقد تناولت ميزات شاعرية شوقي فدرسها الأستاذ انطون دراسة طويلة. وحللها على ضوء ما حفظه ديوان شوقي من القصائد والاشعار

ضحى الاسلام

للاستاذ احمد امين

(الجزء الاول طبع في مطبعة الاعتماد بالقاهرة. صفحاته ٤١٠ من القطع الكبير)

«عنيت بضحى الاسلام، المائة سنة الأولى للعصر العباسي (١٣٢ — ٢٣٢) ﻫ، أعني الى خلافة الواثق بالله. فهو عصر له لون خاص. كما ان له لوناً في السياسة والأدب خاصاً. امتاز بغلبة العنصر الفارسي، وبحرية الفكر الى حد ما، وبدولة المعتزلة وسلطانهم، وبتلوين الادب من شعر ونثر لوناً احتذى على كر الدهور واختلاف العصور. كما امتاز بتحويل ما باللسان العربي الى قيد في الدفاتر وتسجيل في الكتب، وما باللسان الاجنبي الى لغة العرب. وهو في كل هذا يخالف العصور قبله والعصور بعده مخالفة تجعله حلقة قائمة بنفسها يصح أن تسمى، وأن تدرس، وأن تميز، على اني أحياناً يدعوني إيضاح الفكرة الى أن أربطها بما كان منها في العصر الذي قبله، كما قد يدعوني تسلسلها الى أن أتجاوز الى العصر الذي بعده. وقد رتبته على أبواب أربعة: الباب الاول في الحياة الاجتماعية في ذلك العصر، واجتزأت منها بما به أثر قوي في العلم والفن. والباب الثاني في الثقافات المختلفة دينية وغير دينية. والباب الثالث في الحركات العلمية، ومعاهد العلم، وحرية الفكر، ومزايا البلدان في تلك الحركات. والباب الرابع في المذاهب الدينية وتاريخ حياتها، وأشهر رجالها، وأهم أحداثها..»

بهذا يعرف الاستاذ احمد امين كتابه ضمن مقدمته. ويلقي على القراء نوراً وضاء من هذا الضحى — ضحى الاسلام — الذي قرظه عميد كلية الآداب السابق الدكتور طه حسين بكلمة ممتعة فأبان فضل مؤلفه — وهو أحد كبار أساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية — واعترف بمجهوده الذي بذله في تأليف هذا الكتاب السمين، وقال في تلك الكلمة التي نشرت في صدر الكتاب:

«... وليس من ذنبي ان «احمد امين» قد استقصى فأحسن الاستقصاء، وقرأ فأجاد القراءة، وفهم فأتقن الفهم، واستنبط فوفق الى الصواب. ليس من ذنبي هذا ولا ذاك، وليس من ذنبي ان «احمد امين» بعد هذا كله،

وبفضل هذا كله، قد فتح فى درس الادب العربى بابا وقف العلماء والادباء أمامه ـ طوال هذا العصر الحديث ـ يدنون منه ثم يرتدون عنه، أو يطرقونه فلا يفتح لهم، ووفق الى أن يفتحه على مصراعيه، ويظهر الناس على ما وراءه من حقائق ناصعة يبتهج لها عقل الباحث والعالم والاديب. ليس هذا من ذنبى أنا. واذا لم يكن بد من أن يلام أحد لان عالماً مصرياً قد وفق الى هذا الفوز المبين، وأهدى الى اللغة العربية كتاباً لم يسبق الى مثله، فليلم هذا العالم المصرى نفسه، وليعاقب «احمد امين» لانه قد ظفر بهذا الفوز». وبعد فهذه فقرات من تلك الكلمة الممتعة التى قرظ بها الدكتور طه حسين «ضحى الاسلام» وقد أفاض فى مدحه والثناء عليه بما يستحقه. واذا قالت حذام فصدقوها..

زهرات منثورة في الأدب العربي

تأليف الاستاذ عبدالله عفيفى

(طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة. صفحاته ١٩٢ من القطع الكبير)

كثير من القراء يعرفون الاستاذ عبد الله عفيفى المحرر العربى بديوان جلالة الملك فطالما طلع عليهم بغرر قصائده العامرة، وطالما أتحفهم بآياته النثرية التى أودعها فى مؤلفاته ونخص بالذكر منها كتاب (المرأة العربية) الذى دل بحق على ما للاستاذ عبد الله من سعة الباع فى الادب العربى، وحسن الديباجة وسمو الاسلوب وهذا الكتاب الذى نحن بصدده (زهرات منثورة) له من اسمه نصيب كبير. فهو ست محاضرات أدبية ألقاها فى كلية الشريعة بالازهر الشريف تشتمل فى مجملها على النقد الادبى والموازنة بين القرآن الكريم وكلام العرب، وعلى البلاغة النبوية وما بلغت من الذروة العليا، ثم على النظائر والاشباه فى الادب العربى والمراسلة والمراجعة. ويلى هذه المحاضرات مختارات من الشعر فى الحنين الى الوطن وفى الادب والحكمة والفخر والاباء، والسياسة والغزل والنسيب... الى آخر أنواع الشعر

ولا ريب فى ان كل محاضرة من هذه المحاضرات هى زهرات منثورة بل أزهار أو زهور منثورة يجد فيها طالب الدراسة العليا ما يفيده، ويشاهد بها المتأدب والاديب ما يلذه ويمتعه. وقد فتح الاستاذ عبد الله فى هذه المحاضرات أبواباً من البحث مكثت مغلقة زمناً طويلا. وقد وفى النقد الادبى حقه وتكلم عن تاريخه فى اللغة العربية وأرجعه الى نشأة الكلام «فقد وجد القائل والناقد فى وقت واحد ذلك ان العربى لا تذاع مقالته إلا على ألسنة الرواة. والرواة هم النقدة المحصون. فما شاموا أذاعوه، وما لم يشاموا أهملوه. وقد أهمل الرواة الكثير المستفيض من شعر عدى بن زيد العبادى وأبى داود الايادى، فلم يرووه لان أسلوبهما لان حتى ضعف، ونفوا كذلك طائفة كبيرة من شعر الاعشى بعد أن خالط الفرس، وأخذ يتظرف بنقل ألفاظهم الى شعره. وكان ذلك مما دفع الاعشى عن موضعه من زعامة الشعراء...» الى آخر ما جاء فى هذه المحاضرة مما يدلك على ان

المحاضر كان يستقصى الموضوع من أساسه ويلم بجميع دقائقه ونواحيه إلماماً لا يدع مجالا لاتهامه بالقصور أو التقصير . وقد ألقيت هذه المحاضرات على طلبة كلية الشريعة بالازهر فى العام الدراسى الماضى ، فانتفعوا بها وتمتعوا بعبير زهراتها . ثم أراد الاستاذ أن يعم نفعها فجمعها فى هذا الكتاب وزانه بجمال الطبع

المراحل

للاستاذ ميخائيل نعيمه

(طبعت بمطبعة صادر ببيروت .
صفحاتها ١٤٤ من القطع الكبير)

اثنتا عشرة مقالة أو مرحلة كما يسميها كاتبها الاستاذ ميخائيل نعيمه . والاستاذ ميخائيل نعيمه أديب كبير . وهو من طائفة الادباء المجددين الذين يتعشقون الحياة والتقدم ويتغنون بهما ، ويكرهون السكون والجمود ويثورون عليهما . وله أفكار ناضجة ، وآراء صائبة ، وأسلوب فى الكتابة شائق رصين . وهو يمتلك قارئه ويجذبه اليه . فاذا أتيحت لك قراءة مقالة من مقالاته أو صفحة من صفحاته شعرت بأنك رهين ما تقرأ وأسير ما تتصفح حتى تنتهي منه . بل شعرت بشيء آخر غير هذا الشوق والانجذاب . ذلك الشيء هو الروح الجديدة التى تمشى فى ذهنك وتنبث فى أفكارك ، فاذا أنت بعد ذلك ذو ذهن متفتح الى الحياة وجمالها ، وذو رأى جديد فيما تتناوله من نواحيها

ويضيق بنا المقام عن اقتباس شيء من هذه المقالات النفيسة التى حواها هذا الكتاب . ويكفى أن نشير اليها بتلك الاشارة الوجيزة وأن نعرض بعض عناوينها . فهى كما قلنا اثنتا عشرة مقالة تشتمل على نواح مختلفة من التفكير الادبى والاجتماعى ، منها : نهضة الشرق العربى ، والى الجندى المجهول ، وأنت الانسانية ، والواحة الحية ، والانتحار ، وبيع الادب ، وموعظة الغراب

وكلها من هذا النبع الادبى السائغ ، ومن ذلك الاسلوب البليغ الشائق . ويطلب الكتاب من المؤلف بسكنتا لبنان . وثمنه ٧٥ قرشاً سورية

افريقيا

والنيل ومصر والسودان

تأليف الاستاذين زكى الرشيدى
واحمد شعبان سليم

(طبع بمطبعة الآداب الحديثة بالقاهرة .
صفحاته ٩٤ من القطع المتوسط)

وضع هذا الكتاب الجغرافى الاستاذ زكى الرشيدى الحائز درجة B.A. من جامعة ليدز والمدرس بالمدرسة الابراهيمية الثانوية ، والاستاذ احمد شعبان سليم الحائز درجة B.A. من جامعة لفربول ومدرس الجغرافيا بمدرسة شبرا الثانوية . وتوخيا فيه المنهج المخفف للسنة الثالثة الثانوية بالمدارس المصرية . والكتاب يمتاز فى جدته وروعته بالميزات الآتية :

١ — ان أسلوبه على هادىء يعود الطلبة قصر إجابتهم فى الامتحان على الحقائق الجغرافية المحضة

٢ — ان كل أشكاله وخرائطه نتيجة المجهود الشخصى للمؤلفين

٣ — أن كثيراً من خرائط الكتاب لم يسبق نشرها فى أى كتاب جغرافى قبل الآن

٤ — انه يتضمن أحدث المعلومات والنظريات الجغرافية

وهو فضلا عن ذلك حسن الطبع جيد الورق يشوق التلامذة الى مطالعته واقتنائه

رحلة اكسبريس

بين الاسكندرية واستامبول

بقلم الاستاذ « الصحافى العجوز »

(طبع بمطبعة فؤاد بالقاهرة . صفحاته ٩٠ من القطع المتوسط)

يعرف القراء الاستاذ توفيق حبيب بعلمه وأدبه وخدماته للصحافة العربية . وقد مضى عليه فى خدمة الصحافة نحو ثلاثين عاماً ، فهو بحق « صحافى قديم » . ولا نقول كما لقب نفسه فى الايام الاخيرة بلقب « الصحافى العجوز » الذى يذيل به كلماته المحبوبة فى جريدة الاهرام بعنوان « على الهامش »

وقد قام فى الصيف الماضى برحلة الى الاستانة ، كان يبعث خلالها بمشاهداته الى الاهرام تحت ذلك العنوان الذى اختاره ، فاطلع الجمهور على معلومات شائقة فى أسلوب فكاهي لذيذ وهو الاسلوب الذى امتاز به هذا الهامش . ثم رأى أن يجمع هذه المعلومات فى كتاب خاص ، ضناً بها عن الضياع ، فأحسن كل الاحسان ، واستحق الثناء لهذا العمل الذى نعتقد انه خدمة للقراء ، وهدية لهم يقدمها اليهم بين دفتى هذا الكتاب المفيد

الضحايا

للاستاذ حبيب جاماتى

(طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة . صفحاته ٢٩٤ من القطع الصغير)

هي مجموعة قصص تاريخية مختارة بعضها مترجم وبعضها مقتبس بتفصيل من متفرقات الكتب التاريخية . وقد نشرت معظم هذه القصص فى مجلات الهلال الاسبوعية وأجاد المؤلف فى كتابتها ونسجها نسجاً قصصياً ممتعاً . وعلى الرغم من اختلاف موضوع كل قصة من هذه القصص عن موضوع الاخرى فان اسم (الضحايا) يجمعها كلها ، فجميع أبطال هذه القصص كما قال الاستاذ جاماتى راحوا ضحايا : ضحايا الظلم والاستبداد ، ضحايا الغدر والخيانة ، ضحايا الحقد والانتقام ، ضحايا الطمع والجشع ، ضحايا الغرور والجنون ، ضحايا الثورات والحروب ، ضحايا العادات والتقاليد ، ضحايا السياسة والخداع

فهذه قصة البطل المجهول وهي تمثل الشهداء المصريين الذين راحوا ضحية الجهاد الوطنى سنة ١٩١٩ فى شخص ذلك البطل الوطنى المجهول ، وتلك الانشودة المصرية ، والاسكندر والمصرية الحسناء ، وابنة النيل ، وانطونيو والعرافة ، وحارس نيرون ، وجنكيز خان ينتقم ، والبطل الجبان ، والزوجان العدوان — الى غير ذلك من القصص التى حواها هذا الكتاب مما بلغ عددها خمساً وعشرين قصة كلها تمثل لك طوراً أو اطواراً من الوطنية أو السياسة أو الحرب أو الغرام أو الاجتماع مما دارت عليه رحى التاريخ ومر فى سلسلة العصور

الغابرة وكان من أبرز الحوادث وأغرب الوقائع

وقد أحسن الاستاذ جاماتى فى وضع هذه الحوادث التاريخية فى هذا الاسلوب القصصى الممتع ونجح كل النجاح فى سبكها وتنسيق عناصرها وأجزائها بحيث بدا فى كل قصة من هذه القصص احكام الاداء وتسلسل الحوادث تسلسلا طبيعياً لا أثر للاضطراب ولا للتكلف فيه . ومما زاد هذه القصص قيمة أن مؤلفها قد توخى فيها الحالة النفسية الشائعة بين ابناء الشرق العربى ، فانتقى من الحوادث التاريخية ما يتلاءم مع هذه الغاية وكتبها بأسلوب سهل سلس. فجاءت فى بابها شائقة تجذب نفوس القراء إلى تصفحها وتغريهم باقتنائها

في علم النفس

تأليف الاساتذة : حامد عبد القادر
ومحمد عطية الابراشى . ومحمد مظهر سعيد
(طبع بمطبعة المعرفة بالقاهرة .
صفحاته ٢٧٠ من القطع الكبير)

يتناول هذا الكتاب علما من أهم العلوم التى يعنى بها العلماء الآن فى أوربا وأمريكا ويثابرون على دراستها وينشئون من أجلها المعامل الخاصة للقيام بالتجارب المختلفة توصلا إلى الحقيقة الغامضة، نعنى علمَ النفس . ومما يؤسف له أن هذا العلم لم ينل فى مصر المكانة الجديرة به ، ولم يعن به القائمون بالتعليم الآن العناية اللائقة

وقد قام بتأليف هذا الكتاب ثلاثة من خيرة الاساتذة المتخصصين فى هذا العلم ، فكل منهم استاذ فى التربية وعلم النفس ، تخرج فى جامعة من جامعات انجلترا . وقد اشتركوا فى تأليف ثلاثة عشر فصلا فى هذا الموضوع . وعنى كل منهم بالنصيب الذى اختص به . واهتم بان يكون مع زميليه فى العناية سواء . فجاء الكتاب قيم البحث جيد الدرس متين التأليف

ولا يسعنا الا شكر حضرات المؤلفين على المجهود القيم الذى أدوه للثقافة العصرية وما كابدوه من المشقة فى سبيل اخراج كتاب علمى ككتابهم . وكل من تصدى للكتابة فى علم النفس بالعربية يعلم العقبات التى تعترض الكاتب الحريص على الاسلوب العلمى الدقيق

مريض الوهم
والطبيب رغماً عنه

تأليف الروائى الفرنسى الشهير موليير
ترجمة الاستاذ الياس أبو شبكة
(طبعتا بمطبعة صادر ببيروت .
عدد صفحاتهما ٨٣ و)

لموليير الروائى والممثل الفرنسى شهرة ذائعة فى عالم الادب والمسرح . وقد الف عدة روايات تمثيلية قام بأهم أدوارها . نذكر منها : مدرسة الازواج ، ومدرسة النساء ، والمثرى النبيل ، والخبيث ، والبخيل ، ومريض الوهم ، والطبيب رغماً عنه . وهاتان الروايتان الاخيرتان بين أيدينا الآن مترجمتين بقلم الاديب الفاضل الاستاذ الياس أبو شبكة . . ورواية مريض الوهم هى آخر ما الف موليير ، وقد أدركته نوبة صدرية أثناء قيامه بتمثيل دوره فى هذه الرواية فلم تمهله غير بضع ساعات. ثم راح شهيد واجبه وفنه

وكلتا الروايتين: «مريض الوهم» و «الطبيب رغما عنه» تمثيلية هزلية ذات ثلاثة فصول. ويكفي ان يعرف القارىء أنهما تأليف هذا الروائي الفرنسي الشهير. أما ترجمتهما فهي تعد من خير الترجمات وأسهلها أسلوباً. وأقومها أداء. وقد وفق الاستاذ الياس أبو شبكة الى حد كبير في نقل هاتين الروايتين الى اللغة العربية. وأجاد في وضعهما في أسلوب عربي فصيح يستحق لاجله الثناء

كتاب ضياء السجون

تأليف الفرد نيلسون والآنسة مرغريت موزو ترجمة الكاتبة «الزهرة»

(طبع على نفقة جمعية الشابات المسيحية بالقاهرة. صفحاته ٥٦١ من القطع المتوسط)

يحتوي هذا الكتاب على تاريخ حياة «ماتلدا فريداء» وهي سيدة لعبت دوراً عظيما في الاصلاح الاجتماعي في القرون الاخيرة، فقد كرست حياتها لخدمة أتعس طائفة بين الناس وهم المجرمون فسعت في اصلاح السجون منذ سنة ١٨٨٠، ووفقت في مسعاها الى حد كبير. وسترى في هذا الكتاب ما يطلعك على جلائل أعمال هذه المصلحة الكبيرة. وقد بدأ المؤلفان بفصلين عن أسرة ماتيلدا واهتداء ماتيلدا الى الاصلاح التي قامت به. ثم يلي ذلك ثمانية فصول عن نهوضها باصلاحها وخدماتها للسجناء، وعواصف حياتها، وأعمالها العامة الخ.

وقد وفقت الكاتبة الادبية «الزهرة» الى ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ترجمة شائقة مع سلاسة في الاسلوب واجادة التعبير

شرح بشارة يوحنا

للقس ابرهيم سعيد

(طبع بمطبعة النيل المسيحية بالقاهرة. عدد صفحاته ٨٦٠)

يوحنا الرسول هو أحد الحواريين الذين لزموا المسيح وشهدوا أعماله واشتركوا في كتابة انجيله. فالحواري متى كتب الانجيل لليهود ومرقس للرومان ولوقا لليونان ويوحنا للعالم اجمع. والانجيل هو مجموعة لهذه البشائر الاربع وليس هنالك — كما يتوهم البعض — اربعة أناجيل. وكاتب البشارة التي نحن بصددها كان على الارجح ابن خالة المسيح نفسه إذ المفروض ان مريم (ام المسيح) كانت أخت سالومة (ام يوحنا) وهي التي اشتركت مع بعض السيدات في شراء الحنوط وتكفين جسد المسيح عندما صلب

كان يوحنا من اسرة شريفة، وكان لابيه خدم وحشم. ولما بلغ السادسة من عمره ارسله ابوه الى «المدراش» اى الى المدرسة التي كان يتعلم فيها اولاد الاشراف والاوساط من اليهود فنشأ متعلماً مفكراً واتصل بالمسيح فأحبه، وكان المسيح يميل اليه ميلا خاصا فلازمه يوحنا وشهد منه كثيراً من الحوادث التي لم يشهدها غيره من الحواريين، كحادث التجلي ومعجزة اقامة ابنة يايروس. ولما قبض على المسيح وصلب انفض الرسل من حوله الا يوحنا فانه حضر الصلب، ولذلك عهد اليه المسيح في كفالة امه مريم واستحفظه اياها. وبعد القيامة كان هو ويعقوب وبطرس بمنزلة اعمدة الكنيسة فكانوا يقدمون

لها النصائح وقد جرت على ايديهم بعض المعجزات. وفى سنة ٥٠ للميلاد تعرفوا ببولس الرسول واعطوه « يمين الشركة » . ويظهر ان يوحنا كان قد غادر اورشليم قبل زيارة بولس الاخيرة لها سنة ٥٨ للميلاد وذهب الى افسس . وبعد استشهاد بولس اصبح ناظرا عاما لكنائس آسيا الصغرى وفى سنة ٦٨ للميلاد اى فى عهد الامبراطور نيرون الظالم نفى الى جزيرة بطمس (ببحر ايجيا) حيث كتب سفره الموسوم « بالرؤيا » وعاش حتى ختام القرن الاول للميلاد ومات ميتة طبيعية

اما بشارته فالارجح انه كتبها فى مدينة افسس بين سنة ٧٠ و٩٥ للميلاد وكان غرضه منها اقناع الناس بان المسيح هو ابن الله . والارجح ان الثلاث البشائر الاخرى كانت بين يديه حين كتب بشارته هذه ولذلك لم ير لزوماً لتدوين امور كثيرة وردت فى تلك البشائر

ولقد شرح الكثيرون من علماء الدين المسيحى بشارة يوحنا هذه التى لقبها بعضهم « ببشارة الحق » (لان كلمة الحق وردت فيها مكررة مراراً) ومع ان اللغة العربية لم تكن محرومة شرحا لهذه البشارة (كشرح ادى وبنكرتن وغيرهما) إلا انها كانت محرومة شرحاً مسهباً باعتبار الغرض الاصلى الذى وضعه الكاتب نصب عينيه وهو اقناع العالم بلاهوت المسيح . ولذلك رأى حضرة القس الورع ابرهيم سعيد استاذ علم التفسير بمدرسة اللاهوت بمصر أن يسد هذا الفراغ . فوضع شرحاً مسهباً لهذه البشارة على اسلوب لم يسبقه اليه أحد وصدر هذا الشرح بمقدمة ضافية بسط بها مزايا هذه البشارة وأتى على ترجمة كاتبها بوجه الايجاز وبسط ظروف الزمان والمكان التى كتبت فيها وغاية كاتبها بديباجة حسنة واسلوب واضح

مطبوعات أخرى

يضيق المقام عن الاسهاب فيما بقي لدينا من المؤلفات . لذلك نعتذر لحضرات مؤلفيها الفضلاء مع الاعتراف بفضلهم ومجهودهم الذي بذلوه في تأليفها . وسنشير اليها فيما يلي :

☆ (فى الضوء) وهو الجزء الثالث من علم الطبيعة تأليف الأستاذ هاشم الفصيح . ويشتمل على برنامج الصف الاول والثانى من المدارس التجهيزية . طبع فى دمشق بالمطبعة الحديثة

☆ (رسالة تاريخية عن مستشفى الاسكندرية) وضعها الدكتور عبد الرحمن عمر مدير المستشفى طبعت بمطبعة التعاون بالقاهرة

☆ (ديوان نابغة ذبيان) قصائد بليغة لعبد الله بن المخارق الشاعر البدوى المعروف بنابغة بنى ذبيان من شعراء الدولة الاموية طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

☆ (حركة العمال والاشتراكية) بقلم العلامة باول كامفماير . نقلها عن الالمانية الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف . تطلب من مكتبة النهضة أمام جريدة الاهرام بالقاهرة

☆ (خلاص النفوس فى الصلوات والطقوس الارثوذكسية) يحتوى على مايحتاج اليه المسيحى من الصلوات والتسابيح حسب ترتيب الكنيسة الشرقية الارثوذكسية جمعه وطبعه على نفقته الأستاذ صليبا بنيامين الصائغ أستاذ الدين المسيحى بالمدرسة الاميرية الثانوية بغزه . طبع بمطبعة سمير بالقاهرة

بين الهلال وقرائه

الحياة في الكواكب

(جنين ـ فلسطين) حنا سلامة

هل وجود الانسان على الارض دليل على وجود الحياة فى كواكب اخرى وعلى ظهور قوى عاقلة فى تلك الكواكب كالقوى العاقلة التى على هذه الارض ؟

(الهلال) ليس وجود الانسان على الارض دليلا على وجود الحياة فى كواكب أخرى . ولكن العقل لا يقبل قصر الحياة على الكرة الارضية دون غيرها من الاجرام الفلكية التى يصلح الكثير منها للحياة ، حتى على فرض أن شروط الحياة يجب أن تكون متماثلة فى جميعها . وفى الواقع ان شروط الحياة على هذه الارض قد تختلف عن شروط الحياة فى الكواكب الاخرى ، فقد لا تحتمل الحياة البرد الشديد على هذه الكرة حالة كونها تحتمله فى غيرها ، وقد تكتفى بقليل من الاوكسيجين فى المريخ حالة كونها تحتاج الى كثير منه فى هذا العالم . وناموس الاقتصاد الازلى يدلنا على ان قصر الحياة على الكرة الارضية دون غيرها من الافلاك لا يدل على حكمة القوة المبدعة وهو اسراف لا مسوغ له ، والا فما الغرض من ايجاد الملايين من الاجرام الفلكية واطلاقها لتسبح فى الفضاء وقصر الحياة على واحدة منها فقط ؟

مايقع في الكواكب

(جنين ـ فلسطين) ومنه

اذا كانت العناصر التى تتألف منها الكواكب شبيهة بالعناصر التى تتألف منها الكرة الارضية فهل معنى ذلك ان ما يقع على الارض يقع مثله فى تلك الكواكب ؟

(الهلال) اذا كنتم تقصدون « بما يقع على الارض » الظواهر التى تحدث على الكرة الارضية من حر وبرد ومطر ورعد وبرق وزلازل وثوران براكين وهلم جرا ، فان الاجرام الفلكية المختلفة تشهد الكثير من امثالها . واذا كنتم تقصدون شيئاً آخر مما يقع للمخلوقات الحية فى عالمنا هذا من ولادة وحياة ومرض وموت الخ ، فلا نظن ذلك يقع الا فى الاجرام التى يثبت فيها وجود الحياة

اختراع البندقية

(بونس ايرس ـ الارجنتين) طنوس عبد الله

فى أى زمان ومكان اخترعت البندقية ومن هو مخترعها ؟

(الهلال) ظهرت البندقية لاول مرة فى اوربا سنة ١٥٢٥ للميلاد ، ولا يعرف مخترعها بالتحديد . ولكن فى اواسط القرن السابع عشر استعمل الجيش الفرنسى بندقية اخترعها «فوبان»

القائد والمهندس العسكرى الذى اشتهر بطرق تحصينه للمدن

أول من تكلم العربية

(بونس ايرس — الارجنتين) ومنه

من أول من نطق باللغة العربية ؟

(الهلال) يظهر انكم من الذين يعتقدون ان اللغة العربية (واللغات الاخرى أيضاً) نشأت فجأة وتكلم بها اشخاص معينون وهى فكرة خاطئة ، فان اللغات نشأت من اصوات وتطورت بمقتضى البيئة وعوامل اخرى لا يتسع المجال لشرحها . وبمرور الزمن تنوعت الالفاظ ومخارج الاصوات ثم تفرق البشر فزاد تفرقهم فى اختلاف تلك الاصوات ومخارجها ، وصارت كل قبيلة أو جماعة تتفاهم باصوات لا يفهمها غيرها مع ان جميعها احتفظت بالفاظ واصوات بقيت مشتركة عند السواد الاعظم منها ، ومرت احقاب طويلة وكل جماعة تتفاهم من دون ان تتخذ لتفاهمها أو لغتها اسماً خاصاً . ولما انبثق فجر المدنية اتخذت كل منها اسماً خاصاً بالاقليم الذى سكنته وباللغة التى تكلمتها . وعليه لا يمكننا ان نعين أول انسان تكلم اللغة العربية ولا الزمن الذى أصبحت فيه طائفة من الاصوات ومخارج الكلمات تسمى « لغة عربية »

غاندي واللغة العربية

(بانكوا — كولومبيا) ابراهيم طنوس مطر

هل يتكلم المهاتما غاندى اللغة العربية ؟ وكم عدد الذين يتكلمون اللغة العربية فى الهند ؟

(الهلال) لا نظن ان غاندى يتكلم اللغة العربية . هذا وليست اللغة العربية من اللغات الشائعة فى الهند وليس فيها قبائل تتكلم العربية . ولكن هنالك بلا شك جمهور من الهنود (ولا سيما المسلمين منهم) يعرفون اللغة العربية ، وهؤلاء لا يمكن حصرهم إذ لم نقف على احصاء رسمى يبين عددهم ولا نظنه كبيراً

هرم الجيزة

(فلسطين) احمد شريف

يقال ان الغرض من بناء هرم الجيزة الاكبر لم يكن جعله قبراً للملك فقط بل للاستعانة به على معرفة أيام الحرب والسلم والقحط والخصب والمرض الخ . وذلك لانه واقع تحت نجوم معينة . فما نصيب هذا الرأى من الصحة ؟

(الهلال) الروايات عن الاغراض التى بنى من اجلها هرم الجيزة كثيرة متنوعة ومعظمها نظريات لا تستند الى برهان . ولا شك ان هذا الهرم بنى بموجب مقاييس واعتبارات هندسية وحسابية وفلكية . كما ان من المحتمل ان الغرض من بنائه لم يكن استعماله مقبرة فقط . ولكن الناس غالوا فى ابتكار النظريات الخيالية تعليلا لبنائه . ومنها النظرية التي أشرتم اليها وهى نظرية خيالية لا نصيب لها من الصحة ولا تستند الى برهان معقول

المعادن

(الاسكندرية — مصر) محمد عبد الرحيم العلايلى

ارجو ان تذكروا لنا اسماء الكتب التى

تبحث فى المعادن ونشوئها سواء أكانت عربية أم فرنسية أم ايطالية

(الهلال) لا نعرف كتباً فى اللغة العربية تبحث فى هذا الموضوع باسهاب يفى بحاجتكم . أما اللغات الاوربية فغنية بمثل هذه المؤلفات . واذا رجعتم الى مادة المعادن (Métallurgie Minéralogie,) فى أية دائرة معارف أوربية وجدتم طائفة من المؤلفات التى تفى بحاجتكم

الحركة الدائمة

(الاسكندرية — مصر) ومنه

من أول من اخترع آلة للحركة الدائمة وما نسبة قوتها الى الآلات الكهربائية والبخارية وما منفعتها من الوجه الاقتصادى ؟

(الهلال) لم يوفق الانسان حتى الان الى اختراع آلة للحركة الدائمة ، ولانظن أنه سيوفق الى ذلك أبداً لاسباب لايتسع المجال لشرحها . لان الآلة — مهما يكن نوعها — ليست مصدراً للقوة ، أى أنها لا تلد حركة من تلقاء ذاتها وانما هى واسطة لنقل الحركة أو توزيعها أو استغلالها . ولا يستطيع العقل أن يتصور آلة تعمل بلا احتكاك أو مقاومة (resistance) . واذا افترضنا جدلا ان فى الامكان اختراع آلة كهذه فن المستحيل استيلاد قوة منها . وكل محاولة لاستيلادها تؤثر فى القوة نفسها وتبطل حركتها

واذا علمتم ذلك لم يبق موضع للكلام على نسبة قوة الحركة الدائمة الى القوة الكهربائية أو البخارية ولاعلى منفعتها من الوجه الاقتصادى

كلمة قرصان

(الناصرية — العراق) جعفر بن الشيخ حسين

ما معنى كلمة قرصان ومن أول من مارس القرصنة ؟

(الهلال) « قرصان » مأخوذة من كلمة « Corsaro » الايطالية ، ومعناها الجرى والمطاردة وهى تطلق على أصحاب السفن الذين يهاجمون سفن الاعداء فى عرض البحر لأسر من فيها والاستيلاء على ما تحمله من السلع . والقرصان فى الاصل نوعان (أولهما) القرصان النظاميون « Corsaires » ، وكانت الحكومات قديماً تعترف بهم وتسلحهم و تستعديهم على سفن الاعداء فى زمن الحرب . (وثانيهما) القرصان الفرديون أو لصوص البحار « Pirates » ، وهم الذين يسطون على السفن سواء أكان فى زمن الحرب أم فى زمن السلم . فأما النوع الاول فقد ظهر لاول مرة فى القرن الخامس عشر على ما يؤخذ من معجم « ليتريه » الفرنسى . وأما النوع الثانى فقد وجد منذ أقدم الازمنة أى منذ استطاع الانسان أن يجول على البحار

شرب الماء

(الناصرية — العراق) ومنه

هل شرب الماء وقت الطعام بكثرة مضر ؟

(الهلال) الافراط فى كل شىء مضر أو على الاقل مذهب للمنفعة . والافراط فى شرب الماء وقت الطعام قد يؤدى الى تمدد المعدة . وقد

يكون أيضاً عرضاً من أعراض أحد الامراض كالبول السكرى مثلا (الديابيطيس) ، فان المصابين بهذا الداء يكثرون عادة من شرب الماء . والافضل أن يستشير الذى يكثر من شرب الماء الطبيب

السينما بالعربية

(بولو فرنسين — البرازيل) ميخائيل الشعار

هل توجد سينما ناطقة باللغة العربية ؟

(الهلال) نعم .. وقد عرضت فى مصر عدة روايات عربية بالسينما الناطقة وكان الاقبال عليها عظيما ، والارجح أنه سيكون لها فى المستقبل شأن عظيم فى الاقطار التى يتكلم أهلها اللغة العربية

مصرع لويس السادس عشر

(بولو فرنسين — البرازيل) ومنه

هل كان لويس السادس عشر مجرماً فى نظر التاريخ وهل كانت الجمهورية الفرنسية تظهر لولم يقتل ذلك الملك ؟

(الهلال) هذا بحث عويص لايمكن ايفاؤه حقه ببضعة أسطر . وانما نقول بوجه الاجمال إن التاريخ لا يعتبر لويس السادس عشر مجرماً ، وغاية ما يمكن أن يرمى به أنه كان ضعيف الارادة قليل الحنكة . ولعله كان له من حداثة سنه شافع ، فانه ارتقى العرش وهو فى العشرين من عمره . وفى الواقع أنه كان ضحية البيئة التى نشأ فيها ، وقد كفر بحياته عن مساوىء أسلافه وبطانته ومساوىء النظام الذى وجد فيه ، وكان قتله نتيجة اغتياظ الشعب من تلك المساوىء . ولانظن أنه كان يتعذر قيام الجمهورية الفرنسية لولا قتله

خالد بن الوليد ونابليون

(صخرة جبل عجلون — شرق الاردن) ابرهيم بيروتى

أيهما أعظم في قيادة الجيوش والفتوحات والخطط الحربية — خالد بن الوليد أم نابليون الاول ؟

(الهلال) تصعب المفاضلة بين قائدين نبغ أحدهما فى القرن السابع والآخر فى القرن التاسع عشر . فقد كانت فنون الحرب وأساليب القتال تختلف فى عصر أولهما عنها فى عصر ثانيهما ، ولو نبغ هذان القائدان فى زمن واحد لسهلت المفاضلة بينهما . وعلى كل فان سواد المؤرخين الحربيين يعتبرون نابليون أعظم قائد حربى ظهر فى العالم ويفضلونه على الاسكندر وقيصر وهانيبال

الفيلسوف نيتشه

(سنت ازابيل — الارجنتين) يوسف بركات

من هو فريدريك نيتشه وما هي مؤلفاته وهل ترجم شيء منها الى العربية ؟

(الهلال) فريدريك نيتشه فيلسوف ألمانى عاش فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر (من سنة ١٨٤٤ — ١٩٠٠) ، وأشهر

مؤلفاته كتاب «الارادة والقوة» وكتاب «نشوء القوة الادبية» و «التربية والنظام» وعدة مؤلفات أخرى فلسفية . ولا نعلم أن شيئاً منها ترجم الى اللغة العربية ولكن الصحف والمجلات العربية نشرت عن نيتشه وعن فلسفته الفصول الطوال فى أوقات مختلفة

الطوائف المسيحية

(سنت ايزابيل — الارجنتين) ومنه

أذكروا لنا أسماء الطوائف المسيحية وعدد أتباع كل طائفة وتاريخ ظهورها ؟

(الهلال) لو حاولنا أن نجيبكم الى هذا الطلب لشغلنا عدة أجزاء من الهلال ، فان الطوائف المسيحية التى ظهرت قديما والتى توجد اليوم كثيرة جداً لاتكاد تقع تحت حصر، ومنها الروم والكاثوليك والبروتستانت والموارنة واللاتين والجزويت والفرنسيسكان والسكوتيون والاربوسيون واللوثريون والكلفنيون والسبتيون والمعمدانيون والجمهوريون والمشنيحيون و . . . و الخ مما لا يقع تحت حصر ولا يستطاع الالمام به وبتاريخ نشوئه إلا بعلمه المجلدات الضخمة. وتجدون خلاصة موجزة لكل طائفة من الطوائف المذكورة فى دوائر المعارف الاوربية

مستقبل سوريا

(سان باولو — البرازيل) جميل زمكحل

ما رأيكم فى مستقبل سوريا فانى أحن للرجوع الى ربوعها ؟

(الهلال) نعتقد أن أمام سوريا مستقبلا باهراً متى استقرت الامور فى نصابها وتطورت السياسة فيها ، بمقتضى حاجات البلاد واستعداد أهلها

الرعد والصواعق

(بيت الدين — لبنان) أديب هاشم

كيف تحدث الرعود والصواعق ؟

(الهلال) كثيراً ما تتشبع طبقات الجو العليا بالكهربائية السلبية أو الايجابية وطبقات الجو السفلى (أى الملاصقة لسطح الكرة الارضية) بالكهربائية من النوع المقابل ، فاذا تماست الطبقتان انتقل التيار الكهربائى من فوق الى أسفل فسقط على الاشياء البارزة من سطح الارض كقنن الجبال أو البيوت العالية أو الاشجار الباسقة، وكثيراً ما يتم هذا السقوط بهدوء ومن دون حدوث ضرر، وقد يتم فجأة فيحدث أضراراً جسيمة . أما الرعود فتنشأ عن ازدحام طبقات الجو العليا والغيوم بالايلكترونات . فاذا حاولت تلك الايلكترونات الانفلات من غيمة والوثوب الى أخرى أو الى الارض فان الهواء الذى تمر به يسخن الى درجة عالية ويتمدد فجأة ثم يبرد ويتقلص فجأة أيضاً بعد خروج الايلكترونات منه . ومن هذا التمدد والتقلص الفجائيين يحدث الدوى العظيم الذى يصحب الانفجارات عادة

(حاشية) جاءنا مثل هذا السؤال أيضاً من ج . س من نابلس بفلسطين

من هنا وهناك

اتجاه الاختراعات الحديثة

يؤخذ من درس الصفات التى تمتاز بها الاختراعات الحديثة ان اتجاهها بوجه الاجمال هو نحو زيادة راحة الانسان ورخائه وضمان سلامته. وقد كانت الاختراعات قديماً ترمى الى تسهيل أعمال الانسان فقط بقطع النظر عن ضمان عاملى الراحة والسلامة

بحيرة صناعية

من أكبر الاعمال الهندسية التى تمت فى السنوات الأخيرة سد عظيم بناه المهندسون السويسريون على مضيق جريمزل على ارتفاع ٦١٥٥ قدماً. فانشأوا بذلك بحيرة صناعية تبلغ سعتها ثلثمائة مليون قدم مكعبة من الماء وتتولد منها قوة كهربائية تعادل قوة ٢٨٢ الف حصان. ويبلغ علو السد ثلثمائة قدم وطوله ١١٠ أقدام وطول البحيرة ميلا ونصف ميل

عملة الورق في جاوى

أصبحت النقود المعدنية فى جزيرة جاوى نادرة جداً فصار الاهالى هناك يستعيضون عنها بعملة غريبة من الورق هى كوبونات علب السجاير. وقد كثر تداول هذه الكوبونات فى تلك الجزيرة ونشأت طائفة من السماسرة تتاجر بهذه الكوبونات، وقد جمع بعضهم منها ثروة تذكر

القطب الشمالى

يؤخذ من المعلومات الجغرافية التى يوثق بها ان مستوى منطقة القطب الشمالى لايعلو شيئاً عن مستوى البحر بخلاف مستوى منطقة القطب الجنوبى اذ يبلغ ارتفاعه نحو عشرة آلاف قدم

حيوانات منقرضة

بينما كانت احدى الشركات تقوم بالبحث عن الذهب فى آلاسكا عثر رجالها على طبقة من الارض مكسوة بالجليد وفيها عرق من الذهب. فحولوا عليها فرع احد الانهر الجارية هناك لاذابة الجليد الذى فوقها. وما كاد هذا الجليد يذوب حتى ظهرت عظام حيوانات كثيرة مطمورة. ويقدر عمرها باكثر من مائة الف سنة اى انها ترجع الى ما قبل العصر الجليدى. وهذه الحيوانات هى من انواع منقرضة وبينها هياكل عظمية للحيوان المعروف بالماموث والبيسون الهائل والحصان المنقرض وغيرها

عجول البحر

هى من الحيوانات التى تعيش على البر والبحر ومن أكلة اللحوم. وكانت القرائن تدل على قرب انقراضها ولكن مصلحة المصايد باميركا أصدرت أوامر مشددة نهت بها عن صيد هذا الحيوان خيفة انقراضه

سرقة الاوتوموبيلات

ظهر أن فى أميركا عصابات منظمة لسرقة الاوتوموبيلات، وقد بلغ ثمن ما سرقته من الاوتوموبيلات فى السنة الماضية نحو خمسين مليون دولار . فاذا فرضنا أن متوسط ثمن الاوتوموبيل الف دولار كان عدد الاوتوموبيلات المسروقة نحو خمسين الفاً . والبوليس الاميركى يبذل الآن جهوداً عظيمة لا كتشاف مخابىء تلك العصابات

نباتات القطبين

يظهر أن النباتات التى تنمو فى القطبين الشمالى والجنوبى متماثلة وتكاد تكون هى بعينها . وللعلماء فى تعليل ذلك نظريتان : الاولى أن هذه النباتات ظهرت فى جميع انحاء الكرة الارضية فى أثناء العصر الجليدى، أى يوم كانت الكرة الأرضية مكسوة بالثلوج وآكام الجليد ، فلما انزاح الثلج وذاب - أى لما انقضى العصر الجليدى - انقرضت النباتات التى كانت ملائمة للجو البارد ولم يبق لها أثر إلا فى القطبين حيث بقى الجو شبيها بجو العصر الجليدى

أما النظرية الثانية فهى أن الكرة الارضية كانت تعلوها فى العصر الجليدى سلسلة من الجبال تمتد من منطقة القطب الشمالى الى منطقة القطب الجنوبى، وفى هذه السلسلة ظهرت تلك النباتات، ثم اختفت السلسلة بمرور الزمن وبفعل العوامل الجيولوجية، ولم يبق منها غير آثارها فقط فى القطبين، ولا تزال مكسوة بنباتات متماثلة

كبريت جديد

سجل أحد الانجليز اختراع نوع جديد من الكبريت يمكن إشعال كل ثقاب منه مائة مرة أو أكثر . ولهذا الكبريت علبة مطلية طلاء خاصاً كلما حك بها الثقاب أشعلته . وبعد إطفائه يعاد إلى العلبة مرة أخرى لاستعماله

مقبرة غريبة

هى مقبرة واقعة على الحدود بين النمسا وإيطاليا وفيها جثث ثلاثين الفاً من الجنود الايطاليين الذين قتلوا فى المعارك التى حمى وطيسها بين الايطاليين والنمسويين فى الحرب العظمى الماضية . والغريب فى أمر هذه المقبرة أن على كل قبر فيها علامة تدل على مهنة الميت المضطجع فيها . فتجد على قبر الخياط إبرة وخيطاً ، وعلى قبر الحلاق مقصاً ومشطاً وهلم جراً

الثلج الاصفر

كثيرا ما تكون الارض مغطاة بثلج أصفر وسبب هذا اللون وجود هوام صفراء فى الجو يقع عليها الثلج ويجرفها معه فتعطيه لونا ذهبياً زاهيا

زرقة العيون

يظهر من المباحث التى قام بها بعض العلماء أن زرقة العيون هى لون وهمى لاحقيقة له، أى ان العيون التى تظهر للناظر زرقاء ليست فى الحقيقة كذلك وان الطبقة الخارجية من قزحية العين «الزرقاء» هى عادة خالية من المادة الملونة

من حيل الفراش

فى الطبيعة ألوف من أنواع الفراش ذى الالوان الجميلة المختلفة ، وأكبر تلك الانواع فراشة توجد فى غينيا الجديدة . وفى الهند نوع يحتال للدفاع عن نفسه بان يتلون بلون البيئة المحيطة به كما تفعل الحرباء . وهنالك نوع اذا هاجمه عدو اطلق عليه رائحة كريهة يهرب منها العدو ، ومن الفراش أنواع تستطيع أن تعكس أشعة الشمس بالوان مختلفة

تسجيل الشهادات والاعترافات

كثيرا مايعـــدل المتهمون عن الاقوال والاعترافات التى يبدونها فى التحقيق وينكرون ماسبق أن ادلوا به من المعلومات . ولذلك قررت بعض المحاكم الاميركية استعمال جهاز شبيه بالفونوغراف لتســجيل تلك الاقوال والاعترافات والمعلومات بحيث لايستطيع المتهم انكارها فيما بعد ، والمظنون أن يعم استعمال هذه الآلة فى جميع المحاكم ولا سيما الجنائية منها

حركة الانتقال فى اميركا

لاشك أن الشعب الاميركى أشد شعوب الارض ميلا الى الحركة والتنقل . وقد جاء فى أحد الاحصاءات الرسمية أن عدد الذين اجتازوا الحدود بين كندا والولايات المتحدة فى سنة ١٩٣١ بلغ أكثر من خمسة واربعين مليون شخص أو نحو ثلث سكان الولايات المتحدة وكان عدد الذين اجتازوا تلك الحدود بالاوتوموبيلات فقط ثلاثة ملايين شخص

« شيكات » للعميان

لما كان لبعض العميان بمدينة نيويورك مبالغ مودعة فى بعض البنوك رأت هذه البنوك أن تهيء لهم دفاتر « شيكات » ذات احرف بارزة من طراز احرف برايل وقد بدأت تلك البنوك تصرف الشيكات التى من هذا النوع

معرض شموع

جمع الاستاذ أدولف ستاك الاميركى شموعا من أنواع مختلفة من جميع انحاء العالم ومنها ماهو قديم جداً يرجع الى بضعة قرون . وهذه أكبر مجموعة من نوعها فى العالم وقد جعل منها صاحبها معرضا يزوره الكثيرون من الناس

غابات المستقبل

لايخفى ان العالم لايستطيع الاستغناء عن الغابات سواء أكان من الوجه الصحى أم من الوجه الاقتصادى . والحكومات تعنى اليوم بالغابات عناية تامة ، وقد رسمت الحكومة الاميركية خطة للاكثار منها ولتحسينها وانتقاء أفضل الاشجار لها حتى تكون غابات المستقبل أفضل من الغابات الحاضرة من كل وجه

من اعالى الجو

اذا ارتفع الطيار الى علو ميلين فى الفضاء فوق أرض مستوية أمكنه أن يرى دائرة من الارض قطرها نحو مائة وثلاثين ميلا بشرط أن يكون الجو صافيا والسماء صحواً

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء التاسع من السنة الثالثة ـ صدر في أول يناير سنة ١٨٩٥

ابن باجه

هو ابو بكر محمد بن يحيى بن باجه التجيبي الاندلسي السرقسطي. ويعرف أيضاً بابن الصائغ الفيلسوف الشاعر المشهور. وهو من الفلاسفة الذين ترجمت فلسفتهم الى اللغات الاجنبية وعني الغربيون بمطالعتها والتبحر فيها كما فعلوا بفلسفة ابن سينا وابن رشد وابن الطفيل والفارابي والكندي والغزالي وغيرهم. وقد حرفوا اسمه بنقله الى لغتهم فسموه قياس Avempace

ولد ابن باجه في سرقسطة بالاندلس في أواخر القرن الخامس الهجري ونبغ بين أقرانه في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وألف فيها كلها. ولم يذكر مؤرخو العرب تفصيل ترجمة حياته لان أول من فعل ذلك منهم الفتح ابن خاقان في كتابه قلائد العقيان. وكان معاصراً لابن باجه، وقامت بينهما منافسة. فذكره الفتح في آخر كتابه ونسبه الى انحلال العقيدة. ومما قاله فيه: «هو رمد عين الدين، وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنوناً، فما يتشرع، ولا يأخذ في غير الاضاليل ولا يشرع». وغير ذلك مما يدل على المنافسة والمبالغة في تنكيله والايقاع به

ولكن غير الفتح من المؤرخين قالوا فيه ما يناقض ذلك. والفتح نفسه ذكره في مكان آخر ونقله نفح الطيب، وهو قوله: «فيه نور فهم ساطع، وبرهان علم لكل حجة قاطع، تتوجت بعصره الاعصار، وتأرجت من طيب ذكره الامصار» الى أن قال: «اذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق، وان طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق، مع نزاهة النفس وصونها وبعد الفساد من كونها، والتحقيق الذي هو للايمان شقيق، والجد الذي يخلق العمر وهو مستجد. وله أدب يود عطارد أن يلتحفه، ومذهب يتمنى المشترى أن يعرفه، ونظم تعشقه الالباب والنحور وتدعيه مع منافسة جوهرها البحور» والظاهر أنه كتب هذا قبل أن تحدث بينهما وحشة. فلما حدثت الوحشة رماه بتلك السهام

وقد تولى الوزارة لدى أبي بكر الصحراوي صاحب سرقسطه، ثم تولاها عند يحيى بن يوسف ابن تاشفين في المغرب، وكان حسن السيرة فحسنت به الاحوال فحسده الاطباء والكتاب وكادوا له فقتلوه مسموماً في سنة ٥٣٣ الهجرية

وافضل كتب ابن باجه كتاب تدبير حياة المعتزل. وهو يشتمل على خلاصة فلسفته

نوبار باشا

بينما كان صاحب الدولة والاقبال نوبار باشا رئيس مجلس النظار يتمشى في عزبته مر بثور من ثيران غيطه، فباغته الثور، فاجفل دولته

وأراد الرجوع الى الوراء ، فعثرت رجله بحجر فوقع وقد كسر عظم ساقه من أعلى العقب ، وأغمي عليه ، وكان سائر اتباعه ومزارعيه في غفلة من كل ذلك . فمر به بعض اليونانيين مصادفة فاعانوه ، ودعوا أهل العزبة فجاءوا وحملوا دولته الى المنزل ، واستدعوا له الطبيب . والمظنون أنه لا يستطيع النهوض قبل أربعين يوماً . وقد عهد الى سعادة ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية في مهام وظيفته اثناء مرضه

المطر الصناعي

وصل بعضهم الى اصطناع المطر بتصعيد غازات يستحضرها من مواد كيماوية ، فاذا لامس الغاز الهواء برد بخاره وتساقط مطراً . ولكن بعض رجال أميركا الآن اتقن هذا الاختراع اتقاناً غريباً حتى أمكنه استحضار ملء غرفة من الغاز يكفي لانزال المطر على مسافة عشرين ميلا من كل جهة

عن الجزء العاشر من السنة الثالثة ـ صدر في ١٥ يناير سنة ١٨٩٥

ابن خلدون

هو الفقيه الكاتب الفيلسوف عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الصمد بن خلدون الحضرمي أصلا الاشبيلي منشأ ومقاماً . وهو صاحب التاريخ المشهور بمقدمته المعروفة باسم « مقدمة ابن خلدون »

يتصل نسب خلدون جد صاحب الترجمة الى وائل بن حجر من عرب اليمن . وينتهي نسبهم الى قحطان وكان مقامهم في حضرموت في شبه جزيرة العرب . وانتقل خلدون وهو الجد العاشر للمترجم من المشرق الى المغرب ، وأقام في قرمونة بالاندلس ثم انتقل الى اشبيلية . ثم ما زالت هذه العائلة تنتقل في المغرب من مدينة الى أخرى على مقتضيات التقلبات السياسية حتى كانت زمن ولادة صاحب الترجمة في تونس فولد فيها في أول رمضان سنة ٧٣٢ وقرأ فيها القرآن على محمد بن نزار الانصاري والعربية على المقرى الزواوي وغيره من نخبة العلماء وأخذ العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكمية عن أبي عبد الله الابلي . وكان يشهد له بالتبريز في ذلك ثم استدعاه أبو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس لكتابة العلامة عن السلطان أبي أسحاق فكتبها ، وخرج معهم أول سنة ٧٥٣ . وقد كان منطوياً على الرحلة من افريقية لما أصابه من الاستيحاش لذهاب أشياخه ووالديه في الطاعون الجارف . فلما رجع بنو مرين الى مراكزهم بالمغرب ، وانحسر تيارهم عن افريقية اعتزم اللحاق بهم فصده عن ذلك أخوه ثم خرج من تونس مع العسكر ونزل ببلاد هوارة ...

ويضيق بنا المقام عن تلخيص تاريخ ابن خلدون من ذلك المقال الطويل الذي كتبه مؤسس الهلال في هذا العدد فارجع اليه ان شئت

انقضاء العالم سنة ١٩٠٨

(طنطا ــ مصر) جرجى روفائيل

قرأنا فى احدى الجرائد اليومية أن الكون سينقضى فى سنة ١٩٠٨ . ويصعد الى السماء ١٤٤ الف شخص وهم أحياء وهذا أمر لم يسلم به عقلنا فنرجو الافادة عن الحقيقة

(الهلال) نقلت هذه الجريدة ذلك الخبر على علاته . والواقع أن الارض لا تخلو من أهل الخرافات . ولا تكاد تمضى سنة حتى يظهر فيها واحد أو غير واحد يبتدعون خرافة من هذا القبيل . والحقيقة أن زمن فناء العالم من الغوامض التى لم تكشف لاحد من الناس لا بطريق العلم ولا بغيره ، فانبذوا كل ما يقال فى هذا الصدد ، فانها أقوال مبنية على مجرد الوهم والخيال يريد بها أصحابها اكتساب الشهرة من أضيع الابواب

تنظيف الاحذية بالكهربائية

اخترعت آلة كهربائية لتنظيف الاحذية وصبغها . وهى عبارة عن صندوق فيه نافذة تدخل فيها القدم لابسة الحذاء وترتكز على قاعدة بشكل النعال ثم يلقى صاحبها فى شق الصندوق قطعة من النقود مثل القرش أو نصفه فتتحرك الآلة من الداخل . وفيها خمسة أزواج من الفرش : الزوج الاول للتنظيف ، والثانى للصباغة ، والثلاثة الباقية للتلميع فيخرج الحذاء مصبوغاً لامعاً . والآلة لا تشتغل إلا إذا وضعت قطعة النقود فيها فهى مثل آلة الوزن فى بعض الميادين

لغز

سلام الله يا قارى الهلال
عليك فانت ملتقط اللآلى
أتيتك سائلا يا بحر فهم
تكرم بالافادة عن سؤالى
بأية حالة شخص لشخص
يناديه بعمى أو بخالى
فكان أخاً لامه مع أبيه
نكاحهما بشرع الله حالى

(طنطا) فريد بشارة مترجم المأمورية المختلطة

تذاكر السكك الحديدية

يصنعون فى بعض مدن أميركا تذاكر السكك الحديدية من معدن الالومينيوم بدلا من الكرتون وخصوصاً لتذاكر الاشتراك لعدة أشهر حتى لا تبلى من كثرة الاستعمال . وشكل تلك التذاكر مستدير بقدر الريال وعليها العلامات أو النقوش التى تدل على درجة الاشتراك ومقدار المدة وأسماء الامكنة

علاج للسعال

وصف بعض أطباء الهند علاجاً بسيطاً لتوقيف السعال الشديد فقال : «اذا أصيب أحد بسعال شديد أواذا كان السعال يتردد على المصاب نوباً مهما كان سببها ، فاحسن وسيلة لتوقيفه ملعقة كبيرة من الكليسيرين فى قليل من اللبن الساخن أو الزبدة السائلة تؤخذ جرعة واحدة للبالغ فيزول السعال حالا . والكليسيرين سائل حسن الطعم قريب التناول لا تخلو منه صيدلية

استفتاء فى شأن الأزمة العالمية

هل نحن على عتبة عصر جديد ؟

يعانى العالم منذ أربع سنوات أزمة اقتصادية لم يسمع التاريخ بمثلها ولا شهد الناس أشد منها . وقد حار العقلاء فى تعليلها واستقصاء أسبابها ، وهم لايزالون يبحثون عن علاج لها يرجون أن ينقذوا به صرح الاجتماع من الانهيار . وكان يسهل تشخيص الداء ووصف الدواء لولا أن هنالك عوامل كثيرة متضاربة تزيد المشكلة تعقيداً وتؤخر عودة الرخاء

وقد استفتت احدى المجلات الفرنسية طائفة من كبار العلماء والمفكرين فى شأن هذه الأزمة واستوضحتهم أسبابها وطلبت منهم ابداء الرأى فى معالجتها . وفى مقدمة من استفتتهم :

أندريه موروا	الكاتب الفرنسى المعروف
وهنرى برجسون	الفيلسوف والعضو بالاكاديمية الفرنسية
وجوزيف بارتلمى	العضو بالمعهد الفرنسى
وجورج سول	الكاتب الاشتراكى الاميركى
ولونا شارسكى	الوزير الروسى
والبير اينشتين	الفيلسوف وصاحب نظرية النسبية المعروفة

وسنورد فيما يلى خلاصة موجزة لآراء هؤلاء المفكرين على تباينها :

خلاصة رأى أندريه موروا

كان الانسان منذ أول نشأته يميل الى اختراع الآلات ليستعين بها على بعض الاغراض وليتمكن بواسطتها من تخفيف أعباء أعماله . وقد أسفرت مساعيه عن قسط كبير من النجاح اذ تمكن من تسخير بعض قوى الطبيعة لخدمته وأصبح السيد المطاع،ليس فى منزله فقط بل فى البر والبحر والحقل وفى أدغال الوحوش وفى كل مكان وصلت اليه قدماه . وبعد أن كان مخلوقاً ضعيفاً لاحول له ولا قوة أصبح بفضل اختراعاته سيد الخليقة يأمر وينهى فيطاع

على أن الاختراعات التى وفق اليها أثرت فى نظام معيشته وفى علاقاته بأبناء جنسه . وكان لكل من تلك الاختراعات محاسن ومساوىء . وكان بعضها ينقل مركز التجارة من مكان الى مكان . فاختراع آلة النسيج مثلا ضمن للانسان ما يحتاج اليه من ثياب . ولكن تلك الآلة كانت فى الوقت عينه نقمة للألوف من عمال النسيج الذين كانوا يعملون بأيديهم ويرتزقون من عرق جبينهم .

واختراع المدفع قضى على الألوف من العمال الذين كانوا يرتزقون من صنع القسى . وفي كل مرة ظهر فيها اختراع جديد كان العمران يقف حائراً ويشعر بما لذلك الاختراع من مساوىء ومحاسن . وفي كل مرة كان الاجتماع يستغرق وقتاً طويلا قبل أن يألف النظم والأساليب الجديدة

وفي المائة والخمسين سنة الماضية تم للانسان تسخير قوى الطبيعة بسرعة لم يعهد لها مثيل في أي عصر من عصور التاريخ . وكان الفضل في ذلك للعلم التجريبي الذي جعل الانسان في غنى عن استعمال قواه البدنية . ذلك لأن البخار والكهربائية وغيرهما من قوى الطبيعة حلت محل القوى البدنية فصار الفرد يستطيع انتاج ما لم يكن يستطيعه الا الكثيرون . وفي أواخر القرن التاسع عشر تسنى للمجتمع العمراني أن يألف العصر الآلي الجديد . ووقعت في العالم أزمات اقتصادية عاقت سير العمران قليلا ولكن الاجتماع لم يلبث أن تغلب عليها

وفي سنة ١٩١٤ وقعت الحرب العظمى الماضية وكان من نتائجها تكاثر عدد العمال العاطلين وصيرورتهم عالة على الحكومات . وكانت الولايات المتحدة تعتقد أن زيادة أجور العمال والاكثار من الانتاج سيضمنان الرخاء للناس . ولكن تلك البلاد أدركت بعد قليل أن الافراط في الانتاج مؤد الى الجوع . وفي الواقع أن العالم شهد يومئذ منظراً كله متناقضات . اذ صارت الحاصلات والغلال تباد بقصد رفع الاسعار بينما الناس يتضورون جوعاً . وسار صناع الأحذية عاطلين من العمل بينما الناس يمشون حفاة . وفرغت البيوت من السكان بينما الفقراء ينامون في الطرق والأزقة

ومن الظلم أن نتهم الآلة التي صنعها الانسان وننسب اليها هذه المساوىء . فالآلة ليست مسؤولة عن شيء اذ لا ارادة لها من تلقاء نفسها بل هي طوع ارادة الانسان . وقد كان اختراعها في جميع العصور رمزاً الى انتصار العقل على المادة . ولكن الانسان كثيراً ما يضل فلا يعرف كيف يستغل انتصاره

ففي مقدمة الاغلاط التي ارتكبها في العصور الحديثة أنه عني بمسألة الانتاج أكثر من عنايته بالاستهلاك . أي أنه سعى للاكثار من المصنوعات ولم يسع للاكثار من المستهلكين . والسياسة الاقتصادية التي جرت عليها اميركا — والتي تقول بوجوب زيادة أجور العمال للمساعدة على زيادة الاستهلاك — لم تكلل بالنجاح تماماً . ولهذا نرى تلك البلاد تشكو من انتشار استعمال الالات وحلولها في كل شيء محل الايدي العاملة . وهذا هو سبب ما يشهده العالم اليوم من تقلقل النظام العمراني وعدم استقراره

ومن تلك الاغلاط أيضاً ما شهده العالم بعد الحرب العظمى من التناقض بين المبادىء السياسية والاقتصادية . فبينما علماء الاقتصاد ينادون بوجوب توحيد العالم اقتصادياً (وهو ما يعبرون عنه بالدولية الاقتصادية) نرى رجال السياسة يسعون لتقوية العصبيات الجنسية بحيث تسعى كل دولة لما

فيه مصلحتها بقطع النظر عما قد يلحق بغيرها من الأذى . ولكن العقلاء يعلمون أن العالم لا أمل له بالرخاء الا اذا اتفقت « الدولية الاقتصادية » و « الدولية السياسية » . وقد تطرفت الامم فى العصبية السياسية فوضعت الحواجز الجمركية ، وهى تأمل بذلك أن تعرقل الواردات الاجنبية وتضع أمامها العثرات ، حالة كونها فى الوقت ذاته تسعى لاصدار سلعها الى غيرها

ولعل العلاج الوحيد لهذه الحالة هو درس مسألة الاستهلاك درساً مستوفى وتفهيم الناس هذه الحقيقة ، وهى أنه اذا لم يمكنهم زيادة ما لبعض الامم الفقيرة من قوة الشراء والاستهلاك فيجب تقييد الانتاج عند الأمم المصدرة . ويجب على رجال الصناعات أن يفهموا أنه اما أن يكون الوفاق تاماً بين الاساليب السياسية والاساليب الاقتصادية أو أن يهلكوا فلا تقوم لهم فيما بعد قائمة

واذا تسنى للانسان حل مشكلة الانتاج فان الآلة الصماء بدلا من أن تكون عدوة الحضارة تصبح وسيلة للرخاء . اذ يمكن بواسطتها تقليل ساعات العمل ويتاح للفقراء أن يتمتعوا بمباهج الحياة التى لا يتمتع الان بها الا الموسرون . ومتى تم ذلك أصبح العالم نعيما يستطيبه الجميع

خلاصة رأى هنرى برجسون

كثيراً ما تعرض للمفكر هذه المسألة وهى : هل الاختراع هو الذى ينشىء الحاجة أم ان الحاجة هى ام الاختراع ؟ ويظهر أن المنطق هو فى جانب الذين يقولون ان الحاجة هى أم الاختراع ، فضلا عن أن المباحث العلمية الحديثة تؤيد هذا القول . فقد درج الانسان على الاختراع منذ فجر المدنية ، وكان دائماً يسعى الى استنباط الالات التى استعان بها على تسخير قوى الطبيعة من ماء وفحم وزيت وبخار وكهربائية وهلم جرا . ولو أن العقل الانسانى أحسن التصرف بتلك الاختراعات وبما تنتجه لكان ذلك فى مصلحة الاجتماع . فهو من الناحية الواحدة استخدم تلك الاختراعات لسد حاجات الانسان الضرورية . ولكنه من الجهة الاخرى أفرط فى الاهتمام بالكماليات . ولقد تلتبس الضروريات أحياناً بالكماليات . فما يكون ضرورياً لأحد من الناس قد يكون كمالياً لغيره . ولكن المنتجين قلما عنوا العناية اللازمة بالاقتصار على انتاج ما لا غنى عنه من لوازم المعيشة . وكثيراً ما ساروا بقوة الاندفاع أو اتباعاً للعادة لا يهمهم الا أن ينتجوا الاشياء ويبيعوها . وهذا خطأ لا يتسنى اصلاحه الا بتوحيد الصناعات والشؤون الزراعية معاً ، على أن يعهد لكل آلة فى عمل معين يفى بحاجات المستهلكين ولا يزيد عليها . وبعبارة أخرى يجب تنظيم استخدام الالات لاستغلالها على أفضل وجه . وفى الواقع أن الالة ليست عدوة العامل لأنه اذا أحسن استعمالها أراحته كثيراً . فبدلا من أن يعمل اثنتى عشرة ساعة أو أكثر كما كان يفعل قديماً ، يجد متسعاً من الوقت لراحته وللتمتع بمباهج الحياة وتثقيف عقله

ومن المساوىء التى ننسبها الى الآلة الصماء أنها تساعد على جعل معيشتنا صناعية وعلى الاندفاع

وراء الكماليات وهجرة الارياف والتزاحم على المدن والتأثير فى علاقة العامل بسيده صاحب العمل . ومما يجدر بالذكر أن فى الامكان اصلاح جميع هذه المساوىء لوتوافر حسن القصد . ولو تم اصلاحها لاصبحت الآلة نعمة للانسان بدلا من أن تكون نقمة . وفى الواقع أن هـذا الاصلاح يجب أن يصدر منا لا من الآلة فانها صماء غير عاقلة

خلاصة رأى جورج سول

قام زعماء المال والاقتصاد فى أميركا بجهود لاصلاح مساوىء النظم الاقتصادية الحديثة فأنشأوا « مجلس الحقول الزراعى » (فيدرال فارم بورد) و « اتحاد الترميم المالى » وأولهما لشراء الحاصلات التى تغمر الاسواق وتزيد على الحاجة . ولتوسيع نطاق الجمعيات التعاونية لبيع الحبوب وشرائها . وثانيهما لاقراض الاموال للبنوك وشركات التـأمين والسكك الحديدية والبلديات والشركات الخصوصية وغيرها

كل ذلك قائم على نظام « الرأسمالية » وقد كانت نتيجته ونتيجـة الجهود المماثلة له حصر ثلثى الصناعات الاميركية فى بضع نقابات أو فى أيدى عدد يسير من الرجال لا يزيد على خمسة آلاف . وفى الواقع ان نحو خمسة وثلاثين من البنوك المالية الخصوصية فى اميركا هى مسيطرة على حركة الاموال كلها فى تلك البلاد

وبعبارة أخرى إن النشاط المالى الاقتصادى فى الولايات المتحدة هو بيـد بضعة أشخاص يتصرفون بمصير أمة مؤلفة من أكثر من مائة وعشرين مليوناً من الانفس

هذا هو السبب الاكبر للأزمة التى تعانيها اليوم الولايات المتحدة ، ولا علاج لها الا قلب هـذا النظام رأساً على عقب . فالبطالة منتشرة انتشاراً هائلا . والفوائد التى يجنيها الزراع فى مستوى منخفض . والمعامل لا تجد أسواقاً لمصنوعاتها . ومع ذلك تشتغل ليل نهار وتزيد الانتاج . فكيف يمكن والحالة هذه التغلب على الأزمة الطاحنة ؟

يقول بعض علماء الاقتصاد ان من مزايا الهيئة الاجتماعية أنها تتغلب على الصعاب التى تعترض سير العمران وتألف بالتدريج البيئة التى تعيش فيها . ولكن التغلب على الصعاب فى الماضى ليس دليلا على التغلب عليها دائما . والتغلب عليها هذه المرة أصعب بكثير للاعتبارات الآتية وهي :

(١) ان المصالح الفردية المسيطرة على الانتاج الصناعى تسعى لتخفيض الانتاج دفاعاً عن رؤوس الاموال وعن فوائدها . وفى هذا تثبيط لهمم المصانع وتقييد لعملها

(٢) ان الزراع الذين يعجزون الآن عن « تصريف » حاصلاتهم فى الاسواق سيضطرون آخر الامر الى تقييد الزراعة والانصراف الى انتاج حاجتهم فقط من تلك الحاصلات . وفى هـذا تقهقر الى العصر الذى كان الانسان يقتصر فيه على انتاج ما يحتاج اليه فقط

(٣) ان الكثيرين من العاطلين سيهجرون أعمالهم التى حذقوها ويلتمسون أعمالا أخرى لا يحسنونها وانما تحيثهم بشىء من الرزق

(٤) ان الكثيرين من العاطلين وامثالهم سيصبحون عالة على الاجتماع

والدواء الوحيد لجميع هذه المساوىء هو تعميم الاشتراكية ونبذ مبدأ الرأسمالية الفردية

خلاصة رأى جوزيف بارتلمى

ان الازمات الاقتصادية هي وليدة الرخاء أو هي الثمن الذى يدفعه الاجتماع عن الارتفاع السريع فى أثمان الحاجات والمصنوعات والاراضى والعقارات والاجور . وقد يبدو هذا القول غريباً ولكنه الحقيقة بعينها . فالازمات لا تجىء فجأة بل يتقدمها دائما دور رخاء مفرط . وهذا الرخاء يشجع البنوك على اخراج الاموال من خزائنها واقراضها للناس . فيندفع هؤلاء فى الانتاج ويفرطون فيه افراطاً بعيداً عن الحكمة . ومتى زاد الانتاج أدى الى تراكم المنتجات والى صعوبة « تصريفها » وفى ذلك انذار بدنو الزوبعة

سل العالم الاقتصادى : ما هو سبب الجوع ؟ يجيبك ان سببه وجود الطعام بكثرة ! . . وسله : ما سبب العرى ؟ يقل لك انه كثرة المنسوجات

أفليس هذا من المتناقضات الغريبة ؟ اليس مدهشاً أن يموت الانسان من الجوع حالة ان الحكومات تتلف القمح ؟ وان لا يجد المرء حاجته من اللبن حالة ان البرازيل تلقى الوف الاطنان منه فى البحر ؟ وأن يفتقر الشرق الى المنسوجات ، والقطن يجمع ليحرق ويتلف ؟

ان أصحاب المصانع يريدون رفع أسعار منتجاتهم باتلاف تلك المنتجات . فاذا لم يتمكنوا من رفعها أدى ذلك الى الكساد . ولا تعود البنوك تقرضهم ما يحتاجون اليه من الاموال . ثم انظر ما يترتب على ذلك من المساوىء

تزيد المعامل الانتاج فتطلب القروض من البنوك . وتندفع فى الانتاج فتطلب المزيد من القروض . ويريد المستهلكون شراء ما يحتاجون اليه من المنتجات فيطلبون القروض . ويزيد الانتاج ، وتزيد القروض . ولكن الاستهلاك لا يزيد بتلك النسبة عينها . وهنا مبدأ الازمة

فعلى الحكومات تبعة خطيرة هي تنظيم الاستهلاك والتشجيع عليه . ولا يتم هذا الا بازالة الحواجز الجمركية فهذه الحواجز تخنق التجارة والصناعة والزراعة ، وازالتها هى بمنزلة اعطاء الاكسجين لنظام العالم الاقتصادى الذى يكاد يختنق

وهنالك علاج آخر لتخفيف وطأة الازمة وهو تشجيع الزراعة وتعمير الريف ومنع الهجرة الى المدن

وفوق ذلك كله يجب العمل على تقوية دعائم السلام الدولى وتوفير الثقة المالية العالمية

خلاصة رأى لوناشارسكى

إن خلاص العالم لايكون بالرجوع الى الوراء ، بل بالسعى لبلوغ الكمال . وقد كان يصح القول قديما إن الانسان عاجز عن سد جميع احتياجاته . أما اليوم فهذا القول لا يصح

ترى هل بذل الانسان كل ما يجب بذله لتنظيم الانتاج والاستهلاك على اكمل وجه؟

ان الناس لا ينتجون اليوم ما هو ضرورى لرخاء الاجتماع بوجه عام ، بل هم ينتجون ما تتطلبه مصالحهم ومصالح فريق صغير من أصحاب الاموال . والمنتجات لا توزع على السواء بل تباع للذين يقدرون على شرائها . ونتيجة ذلك واضحة لا تحتاج الى شرح . فان الملايين من الناس يهلكون معانين مضض الشقاء ، حالة ان السلع تطرح فى زوايا الاهمال وليس من يشتريها

ومادام الامر كذلك فلماذا لا نجرب اصلاح الحال عن طريق الاقتصاد الاشترا كى؟ اننا معشر الروس قد عزمنا على ذلك عزماً اكيداً . ونحن نعلم بالمساعى الهائلة التى يقوم بها أعـداؤنا الذين يهمهم بقاء النظام الحالى ، ومن العبث أن نحاول اقناع أصحاب الاموال المتعصبين لتظرياتهم فانهم يصرون على الاحتفاظ بالحالة الراهنة

وفى الواقع أننا لسنا نشهد اليوم ختام الحضارة كما يرجف البعض ، بل نحن نشهد خاتمة طبقة من الناس تريد أن تسيطر بقوة مالها على نظام العمران ، ومتى ذهبت هذه الطبقة فسيشهد العالم بدء عصر جديد وحضارة جديدة ، وهى حضارة الاشترا كية الدولية القائمة على مبدأ الجمع بين العلم والفن أو بين العلم والعمل . وهذه هى الوسيلة الوحيدة لبقاء العمران

وقد يكون الكفاح طويلا وشديداً ولكنه سينتهى بزوال تلك الطبقة المؤذية وبزوغ فجر أول مدنية حقيقية

رأى البير اينشتين

أما رأى العلامة اينشتين فوجز جداً وهاك ما كتبه قال :

اننا ندرك سبب الاعتقاد بانهيار صرح الحضارة ، وليس فى ذلك الاعتقاد ما يدعو الى الدهشة ، وامامنا ضروب الفوضى والشقاء تعمل فى الاجتماع . ولكننى واثق بان تقدم وسائل الانتاج سيؤدى — بعد التغلب على المصاعب الحاضرة — الى اطلاق حرية الفرد وترقية الحضارة ترقية صحيحة

هل تفيد حرب جديدة في حل الازمة العالمية ؟

حديث لسعادة علي الشمسي باشا

قد يتساءل بعض القراء عن السبب الذي من أجله اخترت الشمسي باشا لهذا البحث الخطير ، فجوابي الى هؤلاء : أني لم أختره لانه كان وزيراً للمالية مرة ووزيراً للمعارف غير مرة فكثيرون من وزرائنا السابقين لا يحفلون بهذه الموضوعات الخطيرة ، ولكنني اخترته لأن اشتغاله بالشؤون السياسية والاقتصادية المحلية لم يصرفه عن درس الأحوال السياسية والاقتصادية العالمية . فهو يقضي كل يوم ساعة أو ساعتين في مطالعة أرقى الصحف والمجلات الغربية ، ويكثر من التردد على المجتمعات الافرنجية فيختلط فيها بكبار رجال المال والاعمال . وهذا الى جانب سفره كل عام الى الديار الاوروبية وانتهازه فرصة اقامته فيها لدرس ما فاته درسه في مصر من شؤون العالم وتطوراته ، وتساعده عضوية مجلس ادارة البنك الأهلي على الاتصال بأناس كثيرين من ذوي الرأي والاطلاع

هل تنفعنا حرب جديدة ؟

سألت الشمسي باشا : « هل تعتقد أن حل الازمة العالمية الحالية لايكون إلا بحرب جديدة أو بعبارة أخرى : هل تظن ان حرباً جديدة تساعد على حل الازمة التي اكتوى العالم بنارها ؟ »

فقال سعادته : « يردد كثيرون في هذه الايام قولهم ان لا سبيل الى تفريج الازمة التي يعانيها العالم إلا بحرب جديدة . والذي اعتقده أنا هو ان هذه النظرية فاسدة ، فان ما يعانيه الناس الآن انما نجم عن الحرب الاخيرة وما جرته من ويلات ، فاذا نشبت حرب جديدة فان العالم لايلبث بعد اندلاع نارها بزمن ان يواجهه ما يواجهه الآن من مشكلات وأزمات »

حلول الازمة

فقلت : « وما هي فى نظر سعادتكم الحلول التي يحاول اقطاب اوربا واميركا ابتكارها لمعالجة الازمة العالمية الحالية ؟ »

فقال الشمسي باشا : « ان حلول هذه الازمة معروفة لاقطاب الدول وقد اتفق عليها سواد الذين يبحثون هذه الشؤون

« وتتلخص تلك الحلول فى المسائل الثلاث الآتية : (اولا) الغاء ديون الحرب وديون التعويض (ثانياً) الغاء جانب كبير من الحواجز الجركية أو تخفيض الرسوم الجركية (ثالثاً) الغاء القاعدة التي وضعتها بعض الدول بان لا تستورد الا كميات محدودة من مصنوعات معينة

وبشرط ان تأخذ منها البلدان التى تورد اليها هذه المصنوعات ما يساويها من مصنوعاتها هى

« تلك هى الحلول التى لا علاج بدونها للازمة العالمية التى تئن منها جميعاً . وأقطاب اوربا وأميركا يسعون الآن لاستنباط اقصى ما يمكنهم استنباطه من الوسائل التى تساعد على تنفيذ الحلول المذكورة

« وهم يصادفون فى سبيل ذلك عقبات شتى وصعوبات كثيرة لأن لدولهم مطامع متفاوتة وشهوات متباينة ، ولذا أعتقد أن أمد الازمة سيطول قليلا »

مقياس الرخاء الحقيقى

واستطرد سعادته من ذلك فقال :

— ومتى وفق اقطاب اوربا واميركا الى تطبيق اقصى ما يسعهم تطبيقه من الحلول التى حدثتكم عنها ، فان حكومات بعض البلدان تكف عن تضحية مصالح الزراع فى سبيل مصالح الصناع فترتفع اثمان الغلال

« واثمان الغلال هى المقياس الحقيقى لنسبة الرخاء الذى يسود الناس ، فاذا كانت مرتفعة كان ذلك باعثاً على الرخاء العظيم ، لأن الزراع يبيعون عندئذ محصولاتهم بأثمان حسنة فيجتمع عندهم المال فينفقونه على شراء حاجاتهم ولوازمهم فتروج الأعمال وتنشط الحركة فى الاسواق ، وبذلك يصرف الصناع مصنوعاتهم بعد ما كانوا لا يجدون لتصريفها منفذاً

« ومما زاد مشكلة الصناعة تعقيداً إقفال اسواق الهند والصين واليابان فى وجه بضائع الغرب ، وهى أسواق لا يستهان بها لكبر مساحة تلك البلدان الثلاث التى تؤلف قارة بذاتها ولعظم عدد سكانها

الآلات ومشكلة العاطلين

« وبينما الاسواق تقفل فى وجه بضائع الغرب يستنبط الغربيون كل يوم آلة جديدة تزيد كمية المصنوعات من جهة وتغنى عن العامل من جهة أخرى فتضيف الى مشكلة تكدس البضائع التى لا تصرف مشكلة العمال العاطلين ، أو بالحرى تزيد مشكلة العاطلين اشكالا ، ولذلك يبحث الخبراء الآن الوسائل التى يمكن التوسل بها لتخفيف شر المشكلتين بتطبيق نظام جعل ساعات العمل فى الاسبوع اربعين ساعة بدلا من ثمان واربعين ، بشرط ان يجىء التطبيق من حيث الاجور لمصلحة العامل »

خطر الاضطرابات الاجتماعية

وهنا قال سعادة محدثى :

— ولا شك ان ازدياد عدد العمال أمر خطر من الجهة الاجتماعية وهو اكبر حافز لاقطاب

الدول على تدبير ضروب العلاج اللازم للازمة الحاضرة . ولا اخالكم تجهلون أنهم كانوا يخشون فى اوربا وقوع اضطرابات اجتماعية فى هذا الشتاء من جراء استحكام الازمة لأن فى الشتاء تشتد حاجة الاهلين الى الملابس والطعام ووسائل التدفئة . غير أنه من حسن الحظ ان الشتاء كاد ينتهى دون أن تبتلى اوربا الا بشىء يسير من الاضطرابات كالتى تبلغنا أنباء وقوعها فى المانيا الآن وكالتى بلغتنا أنباء وقوعها فى بلدان البلقان من مدة قصيرة

« ولكن هل دوام النظام مكفول فى اوربا بوجه عام اذا استمرت الحال على هذا المنوال ؟

« هذا ما يرتاب فيه العارفون ، وهذا ما يبعثهم على حث الحكومات على وجوب تناسى المطامع والاهواء السياسية فى سبيل انقاذ المجتمع البشرى من الخراب بحلول الفوضى محل النظام ، إذ أن الفوضى معناها خراب ، ولا فوضى بدون خراب عاجل أو آجل

« ويظهر ان اقطاب الحكومات بدأوا يفهمون الحقيقة ويقدرون خطر الحالة ، بدليل انهم أخذوا من مدة قصيرة يتساهلون فى امور كانوا يأبون فى السنوات الماضية ان يتزحزحوا فيها عن موقفهم فيها قيد شعرة ، ولا شك فى ان هذا التساهل والمضى فيه هو الطريق الوحيد الذى يؤدى الى الغاية المنشودة »

يجب الاستعجال

وختم الشمسى باشا حديثه بقوله :

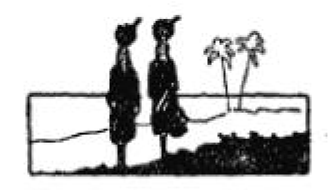
— فقط يجب الاستعجال ! . . . فانى أخشى أن تكون عاقبة العناد والتردد وقوع الاضطرابات والقلاقل الاجتماعية التى امكن كبح جماحها حتى الآن . .

العا « ولكن اذا انفجر البركان فماذا يكون مصير المجتمع البشرى عندئذ ؟

اثما ! « وماذا هو التحول الذى تتحوله الازمة العالمية ساعتئذ ؟

« أما ونحن نقدر خطورة هذا كله ، فهل بيننا من لا يطلب استعجال وضع حد للحالة الحاضرة ؟؟!! »

كريم ثابت



العالم غدا

هل تصدق هذه النبوءة ؟

نقرأ من وقت الى آخر وصفاً لما ينتظر ان يكون عليه العالم في المستقبل بفضل تقدمه واطراده في سبيل النشوء ، ولا يخلو ذلك الوصف من الخيال لانه مبني على تصورات وتخيلات قد تستند وقد لا تستند الى الحقائق . واليك اقرب تلك الصور الى المعقول ، نقلا عن اقوال من يوثق بهم من الزعماء المخترعين

أول شيء تتناوله نبوءات العلماء هو المنزل.فهم يتوقعون ان تكون بيوت المستقبل مبنية من ألواح زجاجية شفافة او شبه شفافة أو من ألواح مصنوعة من مادة رملية بلورية . وسيكون المنزل من الداخل غيرقابل للحريق ولاتنفذ اليه الاصوات المزعجة ، وفيه مواد لامتصاص الاصوات يمكن نقلها من غرفة الى غرفة . وستكون الجدران التى تفصل بين الغرف من الداخل متحركة بحيث يتسنى توسيع بعض الغرف أو تضييقها حسب الطلب . وستكون ثمة وسائل للتهوية واترطيب الهواء وجعله على الدرجة المطلوبة من الحرارة أو البرودة

وستكون الابواب مصنوعة بحيث تنفتح أمام الداخل أوتوماتيكياً بمجرد وقوفه أمامها لأن خياله يؤثر فى بطرية كهربائية فوتوغرافية فينشأ عن ذلك تيار كهربائى يفتح الباب

وسيجرى غسل الثياب والآنية على نظام أوتوماتيكى وبواسطة آلة تعمل بضغط الهواء ولاحاجة معها الى الصابون . وكذلك سيكون نظام الاستحمام أيضاً

وسيكون لكل منزل قاعة للاستقبال أو الاجتماع ، بها جهاز لاسلكى ، يمكن بواسطته رؤية جميع الحوادث التى تجرى فى العالم عن بعد وسماع كل ما يحدث وقراءة الانباء المختلفة من دون حاجة الى مطالعة الجرائد . وسيكون فى كل منزل أجهزة للسينما الناطقة بعد ابلاغ هذه الاجهزة حد الاتقان وستنتشر آلات التليفزيون (الرؤية عن بعد) انتشاراً عظيما ، وستكون هذه الآلات ناطقة وبالالوان الطبيعية ، بحيث يستطيع الانسان ان يرى ويسمع كل ما يقع فى العالم من الحوادث حوله أو بعيداً عنه . وبدلا من أن يسافر ليرى البلاد المختلفة يجلس فى عقر داره ويراها عن بعد ويسمع رجال السياسة يخطبون فى عواصم الدول

وتقول السيدة اميليا ارهارت الطيارة المشهورة : ان الطيارات ستكون فى المستقبل الوسيلة الوحيدة للاسفار . وستصنع طيارات هائلة تطير بمعدل ستمائة ميل فى الساعة بين المدن ، وبمعدل الف ميل فى الساعة فوق البحار . وستحلق على ارتفاع خمسين الف قدم لكى تنجو من مقاومة الهواء وستستطيع الطيارات ان ترتفع أو تهبط فى الهواء عمودياً وان تبقى فى الجو مدة طويلة من دون ان تهبط الى الارض لتأخذ حاجتها من الوقود . وستكون الطيارة على الارجح بشكل قبلة هائلة الحجم لان هذا الشكل اكثر ملاءمة للطيران السريع ولمقاومة الاحتكاك بالهواء . ومتى بلغت الطيارة أقصى سرعتها أمكنها أن تطير مدة طويلة بقوة الاندفاع ، فتطوى إذ ذاك أجنحتها ولا تعود الى بسطها الا متى أرادت النزول . وستكون غرف المسافرين بالطيارة مريحة مستوفية جميع أسباب السرور ، لا يصل اليها صوت مزعج ولا ينقصها هواء نقى . فى ذلك اليوم سيستطيع الانسان أن ينتقل من باريس الى نيويورك فى بضع ساعات ، وان يفطر فى لندن صباحاً ويتعشى فى الهند فى المساء

وستهتدى الطيارات فى اسفارها بالراديو فلا تضل سبيلها بسبب الغيوم ، ولن تؤثر فيها تقلبات الاحوال الجوية . وتعتقد السيدة اميليا ارهارت المذكورة ان اخطار الطيران ستقل الى أدنى حد بحيث يكون السفر بالطيارة أقل خطراً من السفر بالسكة الحديدية أو الاوتوموبيل والاوتوموبيل ؟

يعتقد المستر كترنج ، نائب مدير شركة الجنرال موتورز باميركا ، اننا سنرى فى العشرة الاعوام المقبلة طرازاً جديداً من الاوتوموبيل لا يزيد ثقله على الف رطل ولا تقل سرعته عن مائة وخمسين ميلا فى الساعة ، ولن يزيد متوسط ما ينفقه من البنزين على جالون واحد لكل ثمانية أميال . ومن المحتمل ان تستغنى عن استعمال البنزين بتاتاً بجهاز لاسلكى يستمد قوته من مركز عام . وستكون القوة المستولدة فى هذا المركز العام والتى يرسلها المركز الى جهات مختلفة ، مستمدة من قوة أشعة الشمس ، وستختلف هندسة الاوتوموبيلات فى المستقبل عنها فى هذا العصر . والارجح ان عدة كل اوتوموبيل ستكون فى مؤخرته فيساعد ذلك على ازالة الصوت والروائح الكريهة والارتجاج ، وسيحدث انقلاب هائل فى صناعة اطارات الكاوتشوك (العجلات) بحيث تصبح متينة للغاية ، وستزيد وسائل الامان فى الاوتوموبيل حتى يتسنى اجتناب جميع الاخطار

وستنار الطرق التى تسير عليها الاوتوموبيلات ليلا باسلوب أوتوماتيكى جديد ، وسترصف تلك الطرق بمادة تمتص نور الشمس فى النهار وتطلقه فى الليل فيخيل الى السائر أنه يسير فى رائعة النهار ، وفى هذه الحالة لا يعود الاوتوموبيل يحتاج الى مصابيح للسير ليلا

وسيطرأ انقلاب عظيم على القطرات الحديدية أيضاً ، ويعتقد السر هنرى تورنتون رئيس شركات السكك الحديدية الكندية أنه لن يمر خمسة عشر عاماً حتى تبلغ سرعة القطرات الحديدية مائة وخمسين ميلاً فى الساعة من دون أن تتعرض تلك القطرات أو ركابها لاى خطر أو ازعاج . ويعتقد أيضاً أنه ستظهر فى المستقبل قطرات تسير على الارض وعلى القضبان الحديدية على حد سواء ، وسيزيل هذا الاختراع من حدة المنافسة القائمة الآن بين الاوتوموبيلات والسكك الحديدية ، ويقوم المهندسون الالمانيون والسكوتلنديون الآن بتجربة قاطرات جديدة تسير بالآلات الدافعة التى تسير بها الطيارات

أما الشؤون الزراعية فيرى أنبياء المستقبل ان تغيراً عظيماً سيطرأ عليها . فستحل المواد الصناعية محل المنتجات الغذائية النباتيـة . وسيصنعون السكر والبقول وغيرها بطرق كيماوية . وسيعتاض عن الخبز أيضاً بمادة صناعيـة تماثله تماماً . وستكون مادة السليولوز قوام المواد الغذائيـة الصناعية ، وسيزرعها الانسان فى المناطق الحارة على نطاق واسع جداً . وستصنع المواد البروتائينية واللحوم فى المعامل الـكيمياوية . ويقول المستر ونستن تشرتشل ان الانسان سيستغنى عن تربيـة الدواجن وسيعتاض عن لحومها بلحوم صناعية تماثلها تماماً

أما الامراض الوافدة فان العلم يحاربها اليوم بكل قواه ويرجو ان ينتصر عليهـا انتصاراً حاسماً فى خلال مائة سنة . وسيكشف الطب علاجاً حاسماً للسل والسرطان وغيرهما من الامراض المستعصية . وسيتمكن العلم من ايجاد جو يستحيل على ميكروبات الامراض ان تعيش فيه . كما أنه سيتمكن العلماء من تجديد قوى الشباب من دون تعريض الانسان لاى خطر

والخلاصة ان الانقلاب سيكون عظيماً وتاماً من كل وجه وسيشمل جميع النظم العلمية والمادية والعمرانية والاقتصادية

الى حضرات الادباء والشعراء

ضاق هذا العدد عن نشر جميع ماجاءنا من الرسائل والقصائد الجيدة . فنعتذر الى اصحابهـا الافاضل . ونرجو ان نتمكن من نشرها فى الجزء القادم والاجزاء التالية باذن الله

المقامات العباسية ـ ٣

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

وقال عباس : إنى لا أعرف امرأ أشد غروراً من طالب خرج يحمل شهادته المدرسية مهما كانت درجتها أو قيمتها ، فهو الكاتب والخطيب والفيلسوف والسياسى وهو سيد الناس ، فلم لا يمشى فى الأرض مرحاً

وهذه كانت حالى لما عدت إلى مصر مع صديقى أحمل البكالوريا البيروتية الأميركية ، ونحمل كلانا كل ما فى الدنيا من أحلام وأمانى وآمال فى المستقبل

ولقد كان من حسن حظى وحظ النـــاس أنه ما لبثت نشوة الغرور أن اصطدمت بحجر تكاليف الحياة فكانت نعم المهذب المربى حيث لم يكن هذا موجوداً فى المدرسة

وكانت أول تلك الصدمات أن قيل لنا لما حاولنا أن ندخل مدرسة الحقوق الخديوية : « ليس لشهادتكما قيمة فهى ليست مصرية وليست أجنبية يعتد بها » وأوصد دوننا الباب

ولقد كنا فى ذلك الوقت نعد الأمر ظلماً أوقعه بنا أهل بلدنا ورجال حكومتنا لأننا لم نكن نفهم الحواجز تقام فى سبيل العلم ، وأما بعد ما ذقنا طعم الدهر واختبرنا قيمة النظريات ترسل على علاتها وتطلق كالطير فى الفضاء ، فاننا أصبحنا بعون الزمن من أنصار الحماية جمركية كانت أم علمية . فانه لا يقلب كيان أمة شىء مثل الفوضى فى نظمها تبيح مواردها الأدبية والمادية لكل من هب ودب ، فلا تلبث أن تستفيق وقيود الأجنبى فى عنقها وهذا هو البلاء . وإنى ليحزننى أن أكف الآن عن شرح نظريتى الفلسفية هذه ولكن موعدى بها قريب يأتيك نبؤه بعد قليل

• • •

ولما كنت قد عولت على درس الحقوق وكان الأمر صعباً على فى وطنى لما تقدم من الأسباب عزمت ـ ومحمود يحثنى ـ أن أتلقى فى فرنسا ما فاتنى هنا فى مصر

وأجمعنا أمرنا وأعددنا للأمر عدتنا ـ وكنا ثلاثة ـ أنا ومحمود وآخر اسمه سليم وقلنا هيا بنا إلى فرنسا . ولم يكن الأمر سهلا فى ذلك الزمن

فلم يكن هناك بعثات حكومية وكان التلامذة المصريون لايكادون يعدون على أصابع اليدين والرجلين فى اوربا كلها

ولكن الظلم الذى كنا نظنه انتابنا حفزنا ، والغرور ـ وهذه إحدى حسناته ـ ابى علينا ان نلين للقائلين البثوا حتى تنالوا البكالوريا المصرية فأبينا أن نضيع أيامنا سدى

وأتينا نحن الثلاثة بورت سعيد لنركب فلكا إلى مرسيليا . وكانت البواخر إذ ذاك صغيرة لا يركب مثلها مسافر الآن ، فلم تكن حمولة الواحدة منها لتزيد على ثلاثة آلاف من الأطنان ـ وبواخر الشركة التى قصدنا عنيت ـ وكان السفر قليل الاهتمام بأسباب الراحة التى يرونها الآن ضربة لازب

وقد كنت ولا أزال سيء الظن بالبحار أكرهها وقليل الايمان بهذه المراكب البحرية تمنعنى الأكل والنوم وتورثنى الدواخ الدائم . فلهذا كنت من أشد النـــاس إعجاباً بعمر بن الخطاب يأمر قواده أن لا يضعوا البحر بينهم وبينه ، ومن أكبر المكذبين لوقائع نلسون الحربية فانه ما كان يدخل عقلى ان فى مقدور المرء أن يقف وحده على رجليه فى سفينة تشق العباب فما بالك به ذاهباً آيباً محارباً ؟

وشاء القدر ودخلنا الفلك وما عتمنا أن فهمنا بيت شوقى فى مطلع قصيدة له نظمها فى ذلك الحين وقال :

طال عليها القدم   فهى وجود عدم

قديمة تمت إلى نوح بنسب . قذرة تفوح رائحتها فى كل ناحية من نواحيهـــا امتطيناها فى بورت سعيد وقد أضنكها البحر الهندى وزاد فى شقائها البحر الأحمر فلم تكن لتستطيع المشى إلا الهيدبى

فقال محمود : لا بأس تمتع بمحاسن البحر وهذه أول سفرة لنا تساهل الذكر . وقال سليم : تمتع بمطابخ الفلك فهؤلاء الفرنسيون يتقنون الطهى إتقاناً ينسيك طعام بيتك ونظافته

وكنت قد اقترحت على الرفيقين أن نأخذ فلكا انجليزية فلم يوافقانى . أما محمود فتعصباً منه على المحتلين وأما سليم فخوفاً من قلة الطعام فسلمت أمرى لها ولله ، فما بعدنا عن الشواطيء المصرية بضعة اميال حتى كذب البحر محموداً فأرغى وأزبد ولم يمكنا من الاستمتاع به فاستعنت عليه بالله وبعقاقير لا تغنى عن الله شيئاً وجلسنا إلى طعام العشاء .

وكان سليم حرسه الله ذا داءين : داء من لدن الله شحذ معدته واتقن آلة هضمه فلا يشبع أو يأكل ما لدى وما لديه ، وداء آخر طاريء استدعى له الطبيب فأمره بالكف عن الطعـام إلا قليلا مما يبقيه على قيد الحياة

فلما مدت المائدة وجاء الطهاة الفرنسيون بما لديهم نظرت خلسة إلى سليم ، فاذا به مستح ان اراه ـ ولم يكن الحياء صفة لاصقة به ـ وانتظرته قليلا فاذا بطبعه غلب حياءه فأخذ يزمجر ويزبد ويرعد ، فالطعام دون وهو على ذلك قليل لا يكفى البطون الجائعة ولا يقيت النفوس الجشعة مهما يزجرها الداء

على انى لم اشأ ان انتقم منه فى الحال وقد منعنا ركوب فلك اخرى خشية ان تتحسن الحال فى الأيام التالية فينتقم هو منى

على انه لما طال المطال ويئس من رحمة الطهاة ورأى البحر دونه والمشقة طويلة بكى بكاء صاحب امرىء القيس ، فدهشت وذعرت ولم ا كن اعلم قوة العشق والغرام إذا انصبت بكليتها على الطعام

ولم نوفق نحن الثلاثة إلى غرفة واحدة نأوى اليها فبعثرونا كل واحد فى حجرة مع زميل او زميلين والسبب يرجع إلى قلة اختبارنا اولا وقلة ما فى جيوبنا ثانياً

وكانوا قد قالوا لى إن شريكى فى حجرتى ضابط افرنسى فى الجيش العامل فى الهند الصينية

فلما جن الظلام قصدت إلى حجرتى اتلمس هذا التابوت يقدمونه للأحياء سريراً فى مثل هذه السفن فرأيت فى التابوت المقابل آدمياً عارياً ستر القليل من جسمه وكشف بقية بيضاء بضة المتجرد ، فوجمت وحسبت القوم قد غلطوا فأسكنت فى الحريم اولعل المرأة مسافرة متنكرة تحت ثوب حربى

فكنت إذا نظرت فوق السرير أرى سيفاً مصلتاً معلقاً فوق رأسه وغدارة تحت رجايه فأعيد النظر إلى ماظهر من جسده فأقول امرأة لا شك فى الأمر

فأوجست فى نفسى خيفة واسرعت إلى سريرى وتركت الباب والنافذة على مصراعيهما مخافة الطوارىء

ذلك لأنه إن كان النائم رجلا ففيه اختلاط من هول مالقى فى البحر او انه كان وحيداً فى الحجرة فلما قيل له جاءك افريقى يشاركك بيتك اتخذ عدته بما يحارب به المتوحشين . أو كانت امراة فالذنب ليس ذنبي وباب الاعتذار مفتوح

وهكذا إلى ان توغلنا فى الليل وغط الرجل غطيطاً ازال عنى الأوهام والأحلام

فلما بدا الصبح ورأى كل منا صاحبه اطمأن واطمأننت

أما أنا فلانى رأيت منه إنساً وظرفاً وحسن عشرة انستنى استعداده العسكرى . وأما هو فلا اعلم سبب اطمئنانه حتى الساعة

فطفق يحدثنى عن هول ما رأى فى البحر الهندى فى فلكنا المحروسة هذه إذ هاج البحر وطغى وبغى حتى قال الربان إنه ما رأى هيجاناً كذا فى كل ما رأى وحتى انفجرت آلة البخار وتوقفت عن السير فرفعوها ما استطاعوا الى ذاك سبيلا عساها أن تصل سالمة الى مرسيليا

قال وهذا هو السر فيما ترى من البطء فى سيرها ، فقلت فى ضميرى لاحول ولا قوة إلا بالله نترك الأهل ونفارق الأوطان بغية الدرس ثم نقع هذه الوقعة فى أول الميدان

ولم أشأ أن أطلع صديقي سليما على ما علمت فأزيد على مصابه في الطعام مصاباً آخر ولكنني اسررته الى محمود فأبى إلا أن يفشيه لسليم ويلومه على حمله إيانا على ركوب هذه الباخرة دون الجاريات كلها مسترخصين اللحم نادمين عند احتساء المرق. فغضب وأبى إلا أن يثأر لنا ولنفسه فكان إذا جلس يأكل التهم والتهم ثم أخذ ما وسعته جيوبه، فاذا قلنا له في ذلك استاء واستعان على ما التهم بشيء غير قليل من كربونات الصودا

وكان اليوم الرابع عشر من شهر يوليو وهو يوم عظيم عند الفرنساويين وقال الركب سوف يعوضنا الربان ما مر بنا من المحن فيملأ قلوبنا سروراً الليلة

ورأينا الضباط - ومعظم الركب منهم - يلبسون الثياب الملونة ويتقلدون النياشين، وشاهدنا النساء يصبغن صفرة وجوههن وثغورهن فقلنا دوننا ليلة ليس لها مثيل

وجاء الليل ومر منه هزيع أو هزيعان. فلم نر لحفلة ١٤ يوليو أثراً فلا موسيقى ولا رقص ولا عشاء فاخر ولا سمر

قال قائل أظنها كانت الليلة البارحة ليلة ١٤ يوليو. قلنا ولكنا ما شاهدنا فيها أمراً يميزها عن الليالي الأخرى

وقال آخر قد يقع ١٤ يوليو غداً ففي البحر يؤخرون في المواقيت ويقدمون، حتى إذا لم يدع لنا حلك الليل البهيم أملا عدنا كل إلى حجرته خائباً، ثم سرى خبر في الصباح فسر ما أبهم علينا

قالوا إن جندياً من الجيش الراكب البحر قضى نحبه

وما حيلتك في مثل هذه الأخبار تأتيك في باخرة عرجاء في بحر طويل عريض عميق؟

وصح الخبر وأخذ الجيش عدته ليودع فقيده فصفرت الباخرة ودارت دوراناً عنيفاً وقذفت بالمسكين إلى أعماق البحر بعد أن أثقلوه حتى لا يعود

وعمت الكآبة السفر أجمعين - فالموت مكروه، وعادة القاء الموتى بحراً ما ألفها الناس ولكنها في نظري خير من إسكانه جوف الارض، فاننا نسرف في احترام جثث الموتى أيما إسراف ونحيط جثمانهم بشيء من أشباه العبادة مما أدى بنا إلى الخوف من الموت خوفاً يزيل كثيراً من متاع الحياة

وما أمسى المساء حتى كان القوم قد نسوا فقيدهم وأخذوا في الرقص على أنغام الموسيقى طربين

أما نحن الثلاثة الذين ركبنا البحر من بورت سعيد فلم نشاطر القوم أفراحهم لا حزناً على الميت بل خوفاً مما قد يكون لايزال مخبوءاً لنا في سر هذه الفلك العزيزة. ولكننا نشطت والحمد لله عند ما قربنا من مرسيليا وساعد البحر فوصلنا المرفأ بعد الميعاد المضروب بأكثر من يومين

فودعناها على ان لا نرى لها وجهاً متعها الله بالصحة والقوة ولا متعنا بها بعد ذاك

° ° °

وكان من حسناتها القليلة أن هدانا الضابط الافرنسى إلى مدرسة للحقوق نلتحق بها فقد كنا مختلفين فيما بيننا . فحمود يود الالتحاق بجامعة باريز قائلا إن فرنسا كلها فى باريز، وسليم يرغب فى جامعة اكس ظاناً انها أسهل على الطالب وأخف وطأة ، وكنت انا متردداً لا أعلم أين أذهب

فقال لنا الضابط الافرنسي : اسمعوا منى يا أولادى فأنتم شبان صغار فى السن قليلو الاختبار ، إن ذهبتم إلى باريز ضعتم فيها وقد تفسد عليكم مذاهبكم وتضيع ما جئتم لأجله ، فتعالوا معى إلى ديجون أحقكم بجامعتها والجامعات فى فرنسا متساوية كلها فى المجد والكرامة ، وديجون بلد صغير تتلقون العلم فيه هادئين مجدين . وأنا مقيم فى معسكرها استطيع أن أساعدكم جهدى

ففرحنا لأننا لم نكن نعرف فى فرنسا كلها مخلوقاً واحداً ، ورأينا الرجل ملاذاً وحصناً أميناً . فانه لا شىء أعلق فى النفس فى ديار الغربة من امرىء تلجأ اليه إذا سدت فى وجهك أبواب الفرج

سامى الجريديني

من أصدق ماقيل

- لابد لصاحب المبدأ من قلب جرىء يقاوم صدمات العواصف . وما أشدها واقساها فى وجه أصحاب المبادىء !
- ثمن الكرامة والحرية فادح . ولكن السكون للذل والاستعباد أشد فداحة
- لا يهز الظالمين صوت أشد من صوت جماعة متحدة
- ما أحوج دعوة الاصلاح لمستبد عادل !
- كل قوة لا يكون مبعثها القلب تكون ضعفاً
- ضياع المرء فى أمرين : الغرام بالامانى والتسويف فى الاعمال
- ربما من كان لك فى الرخاء كان عليك فى الشدة
- اذا لم يكن للمرء وجود مستقل ووجدان فقيم يكون شرف حياته ؟
- الحياة هى الشعور باستمرار الحركة المنظمة الدائمة
- البخيل يسخو من عرضه بقدر مايبخل من ماله

الوحدة والتجزئة

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

(هذه صفحة من مذكرات الزعيم السوري المعروف الدكتور عبد الرحمن شهبندر وقد تضمنت ذكرياته عن مسألة الوحدة والتجزئة في القطر السوري أيام كان من أركان الحكومة الفيصلية . وبديهي ان ما كتب في هــذه الصفحات هو للتاريخ وحده وليس لنا رأي فيه)

كان الفرنسيون فى سنة ١٩٢٠ مشتبكين مع الترك فى حرب عبوس ، فأرادوا أن يسخروا السكة الحديدية من (رياق) الى حدود (الاناضول) لنقل جنودهم وأعتادهم ، وكانت هذه السكة فى منطقتنا وتحت تصرف الحكومة الوطنية بدمشق وقد اشتدت حاجتهم اليها باشتداد الضغط الذى أناخ على صدورهم من المجاهدين الترك ، فقلنا فى أنفسنا فرصة سانحة لسبر غور الفرنسيين ومعرفة ذهنيتهم ومدى الاستعداد الذى فى نفوسهم لتحقيق العهود التى قطعوها لسورية.ففاتح جلالة الملك الكولونيل (طولا) مرافقه ـــ وهو من ضباط الارتباط الفرنسيين ـــ بالموضوع فسافر هذا الى بيروت ، ومن ثم عاد بعد بضعة أيام يحمل نسختين من صورة اتفاق ، الواحدة ليوقعها جلالته والأخرى لتوقعهـا الحكومة . وبعد أخذ ورد طال أمده أدخلنا التعديلات التى لا بد منها لضمانة حقوق البلاد . وانى لا تحضرنى صورة من هذا الاتفاق ، ولكن خلاصته هى أننــا نسمح بامرار الذخائر والزاد وبعض رجال الجيش بشروط معينة

(الأول) الاعتراف الصريح من الحكومة الفرنسية باستقلال سورية استقلالا تاماً

(الثانى) الاعتراف بوحدة الشعب السورى والمملكة التى يقيم بها

(الثالث) أن نأخذ حصتنا من المكس التى تم الاتفاق عليها فى مؤتمر « حيفا »

وبلغت هذه الحصة يومئذ زهاء خمسين الف جنيه مشاهرة . وموارد المكس لا تزال منـذ الاحتلال الى اليوم فى قبضة الفرنسيين لا يعرف أحد بالضبط طريقة التصرف فيها ، ولكن الاحصاءات عن السنة الماضية دلت على أن جيش الاحتلال وموظفى المفوضية والداثين الاوربيين وجلهم من الفرنسيين يأخذون ثلاثة أرباعها . فقد كان دخل ما يدعى « المصالح المشتركة » لسنة ١٩٣٢ ـــ وأهمه موارد المكس ـــ ثمانية ملايين وستمائة الف ليرة سورية ، أو نحو مليونى جنيـه استرلينى

بالسعر الحاضر ، صرف منها على الجيش المحتل أربعة ملايين ونصف مليون وعلى موظفي المفوضية الملكيين ثلثمائة وخمسون الفاً ، وذهب منها إلى الديون العامة — التي حل بنا عقابها ونجا من معظمه الترك مقترفوها — مليون وثلثمائة وخمسون الفاً ، وسد عجز موازنة السكة الحديدية بتسعمائة الف ، وما بقي وهو مليون وخمسمائة الف وزع على الدويلات السورية

ومما قلنا في جوابنا عن حصتنا هذه يومئذ : انكم تعجبون لأننا لا نعاملكم معاملة الحليف في السماح لكم باستخدام سككنا الحديدية لمحاربة جيراننا ، مع أننا أحق بهذا التعجب ، لأنكم بعملكم هذا لا تحرموننا فقط حق الحليف بل تحرموننا حقاً صريحاً من مواردنا تم الاتفاق عليه في المؤتمرات المشتركة التي عقدناها

والذي أريد أن الفت اليه نظر القراء خاصة هو النص المتعلق بالوحدة السورية وهو ما يقيم البلاد ويقعدها في الاونة الحاضرة ، فقد شعرنا حتى في تلك الأيام البعيدة ان الفرنسيين عازمون على تطبيق منهاج تجزيئي في البلاد ، وهو منهاج على ما أرى من أعظم الأسباب التي زرعت بذور الاشتباه في قلوب أبناء البلاد وولدت سوء الظن حتى في نفوس من تربوا على طريقة القرون الوسطى

وكان من البوادر التي دلت على هذا الاتجاه ما قصه على وزير الحربية المرحوم يوسف بك العظمة ، فانه لما كان وكيلا للحكومة الوطنية في بيروت زار الجنرال غورو فقاما يتمشيان في قاعة القصر وكان على مائدة الجنرال كتاب بقلم المسيو روبر دي كاي أستاذ الاستعمار في مدرسة العلوم السياسية في باريز — وهو اليوم وكيل فرنسا الرسمي في عصبة الامم عن بلاد الانتداب في الشرق — فأطرى الجنرال الكتاب اطراء عجيباً وأشار على يوسف بك أن يتصفحه ، فلما قلبه المرحوم وجد علامة بالاحمر على إحدى صفحاته فقرأ تلك الصفحة بانعام نظر فاذا هي خطة عملية قائمة على تنفيذ بعض القواعد السياسية في شمالي افريقيا ، منها تشجيع العادات المحلية والتقاليد القبلية والأخذ بناصر اللغة البربرية في وجه اللغة العربية — والخلاصة هي خطة « الظهير البربري » المعلوم

وأكد لي هذه البوادر بصورة رسمية ما صرحت به الوزارة الفرنسية في أوائل سنة ١٩٢٠ على لسان رئيسها المسيو «ميليران» من القول إنها إنما جاءت سورية للأخذ بناصر الشعوب (بصورة الجمع) الناطقة بالعربية في الاراضي السورية ومساعدتها على الاستقلال

لاجرم أننا بعد هذا البيان الرسمي وما يتبعه من الملاحظات الدقيقة قررنا أن نجعل وحدة البلاد شرطاً جوهرياً مساوياً لاستقلالها . لأنه من العبث أن نضمن للبيت الذي يعيش فيه أبناء الوطن راحة وهناء وهو مقسوم على نفسه

هذه هي خلاصة الشروط التي اشترطناها ، ولكنني كنت قانعاً في نفسي برفضها ، لأنني عرفت

من الاخبار التى ترامت الى أن المسيو روبر دى كاى مسافر الى فرانسة لاقناع أولى الامر بضرورة تجييش جيش لاخضاع سورية ، حتى إنه سيبلغ الوزارة الفرنسية ما يشبه الانذار بقوله اما أن ترسلوا جيشاً ينقذ الموقف واما أن تعفوا الجنرال من هذه الخدمة بتاتاً

وزاد فى اقتناعى ما وصل الينا يومئذ من أن الترك بلغوا فى مفاوضاتهم التمهيدية مع الفرنسيين ما يشبه الاتفاق مما يخفف العبء عن كاهل الجيش المحتل فى الشمال ويعطيه الحرية فى التنقل والارتكاز

وقد صحت هذه العقيدة لان الجنرال أرسل الى الملك رسالة يرفض فيها الشروط المعروضة ويقول انه يكتفى بالتصريح الاول الذى صرح به « ميليران » عن استقلال الشعوب (كذا) الناطقة بالعربية فى الاراضى السورية ، وان حكومته لا تسمح له بتغيير شىء مما ورد فى هذا التصريح

وليس من الممكن أن يكون الكولونل « طولا » متطفلا فى كتابة ذلك الاتفاق الذى أتانا بنسختين منه حتى يصح أن يرفضه الجنرال ، وانما الذى حدث وغير ما فى نفس الجنرال هو ما تناوله من الاخبار المشجعة المتعلقة بسفر المسيو (روبير دى كاى) الى باريز من جهة ومن تقدم المفاوضات مع الترك من جهة أخرى ، وقد انتهت هذه المفاوضات فى نهاية الامر بانسحاب الفرنسيين من (كليكيا) بتاتاً وخروجهم من (كلس) و (عينتاب) و (أورفه) وغيرها من المدن التى استبسل فى الدفاع عنها الكماليون ، فقد أذاع قلم المطبوعات فى (بيروت) فى اليوم العاشر من شهر حزيران — يونيه — سنة ١٩٢٠ البيان الغريب الآتى :

« انه على أثر فوزنا فى عينتاب بعد كسرنا عصاة الترك شر كسرة — وهو فوز قد أتاح لنا أن نضمن المواصلات بين كلس وعينتاب وأن نطهر تلك المنطقة من عصابة النهابين — بات ممكناً للحكومة الفرنسية أن تعقد المسالمة التى يتمناها فريق من حزب الترك الوطنى

« ولا شك أن الحكومة الفرنسية تعقد شأناً على عودة العلائق الحسنة ، فقد كانت هذه العلائق من التقاليد المرعية بين فرانسة وتركيا ، ولاعادة هذه العلائق ولمنع اهراق الدماء ولصيانة هذه المناطق الغنية من أهوال الحرب لم تتردد الحكومة الفرنسية فى اقامة هذه العلائق بينها وبين مديرى الحركة الثورية . وقد عقد الاتفاق مباشرة مع مصطفى كمال زعيم هذه الحركة فوافقت الحكومة الفرنسية فى ٣٠ ايار — مايو — على ايقاف القتال » الخ

وليس من المتعذر على الباحث أن يعرف الاسباب التى حدت بالفرنسيين الى الاصرار على منهاج التجزئة والتمسك به الى النهاية ، ذلك لان هذه التجزئة قائمة على مبدأ له شأن عظيم فى الاعمال الاقتصادية وهو « الحصول على أكثر انتاج بأقل جهد » يعنى أن فرانسة تريد أن تؤلف من السوريين أنفسهم قوى متكافئة بحيث اذا حدثت لها كارثة من أهل البلاد تصف هذه القوى الواحدة فى وجه الاخرى وتبقى بيدها ميزان الارجحية فتنزل هذه الكفة أو ترفع تلك عند الحاجة

بأقل ضغط ، فقد جيشت فى سنة ١٩٢٦ جيشاً من المتطوعة الشركس من (القنيطرة) والارمن الذين نزلوا ضيوفاً بسورية والاسمعيلية فى جهات (حماه) وحاربت بهم المجاهدين السوريين فقاموا بوظيفتهم بكل جرأة

وزاد يومئذ فى خوفنا من التجزئة ما عرفناه من أن تحريك النعرة الطائفيـة ـ اذا أراده أصحاب السلطة ـ ليس متيسراً فقط فى منطقة بسيطة كجبـال العلويين بين أهل السنة والنصيرية مثلا بل هو متيسر أيضاً فى جزيرة أوربية راقيـة كايرلندة بين أهالى (بلفاست) البروتستانت وأهالى (دبلين) الكاثوليك !

ولا شك أن فيلسوف الفرنسيين الاجتماعى (أوغست كونت) كان واهما يوم ظن أن البشر قد جازوا العصرين التمهيديين البالين ـ العصر الخرافى والعصر الكلامى ـ الى العصر الثالث وهو عصر التحرر العقلى المبنى على الملاحظات والتجارب والاستقراء فوضع القواعد الكلية . لان دول البسطة السياسية والتوسع الاقتصادى لا تأبى فى القرن العشرين أن تستعين حتى بالوسائل التى استعان بها شيوخ القبائل فى الغابات لتأييد سلطانهم قبل عصر التـاريخ ، ومن دواعى الاسف ان خدمة النظريات « القروسطية » كثيرون فى كل مكان وهذا ليس بالعجيب لان العقول فى سواد الناس لما تتحرر ، وانما العجيب كل العجيب أن تتنزل الدول المعظمة فيما يدعى (عصر النور) الى الاخـذ بهذه النظريات العتيقة والاحتجاج بها لعرقلة التحول العقلى المنشود

وكم تساءلنا فى أنفسنا فى تلك الأيام المضطربة التى لم يهدأ لنا فيها بال : ما قول فرانسة لو احتل الالمان بلادها مثلا فرأوا الاجل تمزيق وحدتها أن يحتجوا ببعض الفوارق الجنسية واللغوية الموجودة بين عناصرها حتى هذه الساعة والتى ليس عندنا ما يضارعها فخلقوا على أنقاضها دويلات صغيرة فى (بريتانى) و (دونكرك) و (البرنيه الشرقية) وبلاد (الباسك) وجزيرة (كورسيكا) واخذوا بناصرها وتقوية شقة الخلاف بينها للقضاء على العنصر (الغالى) المتغلب فيها ؟

ولا مشاحة فى أن تمسك الفرنسيين بنظرية التجزئة التى وضع تصميمها المسيو (روبر دى كاى) على عهد الجنرال (غورو) قد أدى الى هذه النفرة التى نراها فى أبناء البلاد العاملين والتى تنبأنا بحدوثها منذ شعرنا بتطبيقها . لا جرم أن المسيو (بونصو) لما أراد أن يعقد معاهدة مع الحكومة السورية الحاضرة على أساس هذه النظرية هب الوطنيون فى شهر فبراير ـ شباط ـ الماضى فعقدوا مؤتمراً فى (حلب) قرروا فيه اعتبار كل مفاوضة لا تقوم على أساس الوحدة لاغية

ومما تجب ملاحظته ان الاصرار على التجزئة نبـه الاذهان حتى فى الذين لا يفكرون تفكيراً سياسياً الى الاخطار التى تحيق بالبلاد من جرائها ، بل عمل رد فعل فى الناس لجدد الدعوة ـ على عيار واسع ـ الى (الجامعة العربية) التى كانت أمنية الشعب قبل الحرب العالمية والتى ذهبت النخبة

(البقية فى صفحة ٧٦٠)

بعض نواحي الابتكار في فلسفة الفارابي

قليل منا من يعنى بآثار السلف لتعرف كنوزها الدفينة . وأقل منهم أولئك الذين يعنون بدرس الفلسفة الاسلامية على وجه خاص

على أننا نغتبط لهذه النهضة المباركة التى غرست بذورها فى كلية الآداب . ففى العام الماضى نشر الأستاذ عثمان أمين كتاباً للفارابى هو كتاب « إحصاء العلوم » . وقد جاء نشره معيناً على تصحيح بعض الآراء التى أبديت فى هذا الكتاب . فقد كان جمهرة الباحثين يحسبونه من نوع موسوعات العلوم . ذهب إلى ذلك الأستاذ فريد وجدى (١) ، والأستاذ عيسى (٢) اسكندر المعلوف ، والبستانى فى دائرة المعارف . وهم إنما حذوا فى وصفهم للكتاب قبل نشره حذو (٣) Munk وجورج فارمر (٤) وغيرهما من كبار المستشرقين

وأكاد أزعم أن سادتنا المستشرقين بالرغم مما بذلوه من جهود مشكورة يخطئون أحياناً . ونحن فى هذا العصر نتلقى وحى الحكمة عنهم مع شىء من التسليم ، وفى هذا خطر على العلم لا يعدله خطر

فكتاب « إحصاء العلوم » بعيد كل البعد عن أن يكون « معلمة » . وهو فى الواقع لا يعدو تصنيفاً للعلوم على النحو الذى نجده عند الفلاسفة باسم Classification des Sciences

وكتاب الفارابى هذا هو أول كتاب فى الاسلام عالج هذا الموضوع ، بل على وجه أدق هو أول كتاب وصل إلى أيدينا

فقد نسب إلى الكندى فيلسوف العرب كتاب « مائية العلم وأقسامه » وكتاب « أقسام العلم الأنسى » ولكن هذين الكتابين قد لعبت بهما أيدى الضياع فلا نستطيع أن نحكم على مذهب الكندى فى تصنيف العلوم

أما مذهب الفارابى فهو بين أيدينا ويزيده إيضاحاً الترتيب الذى رسمه لطالب العلم فى رسالة « تحصيل السعادة »

---

(١) دائرة المعارف جـ ٧ ص ١٠٩ (٢) مجلة الآثار جـ ١ ص ٢٧٠

(٣) Mélanges de phil-juive et Arabe p. 343

(٤) The Legacy of Islam

ومع أن الفارابى كان مجدداً فى هذا النحو من البحث فقد كان أيضاً مجدداً فى الفكرة التى أقام عليها تصنيفه للعلوم

ليس من شك فى أن الفارابى قد نحا نحو ارسطاطاليس ومن جاء بعده من فلاسفة الاسكندرية ، فى القول بأن الفلسفة هى مجموعة المعارف الانسانية . وليس من شك أيضاً فى أنهم قد سبقوه بالكلام فى تصنيف العلوم . غير أن الفارابى كان فى هذا بعيداً عن سلطان المعلم الاول فقد أقام تصنيفه على قاعدتين :

الأولى ـ مبدأ الغائية أى الغاية الملحوظة فى طلب العلم . وهو فى هذه القاعدة متأثر بمذهب ارسطاطاليس

الثانية ـ وهى التى تشهد له بالتجديد والابتكار : ذلك أنه سلك فى ترتيب العلوم مسلكا بدأ فيه بما وضح فى العقل ، وهى العلوم الرياضية المجردة . ثم انتقل منها إلى ما وضح فى الخارج وهى العلوم الطبيعية . ثم جعل بعد هذا الواضح فى نفسه ، وإن كان يخفى علينا لشدة وضوحه وقصور ذهننا عن إدراكه ، وموضوعه العلم الالهى

وليس هنا مقام البحث فى تفاصيل مذهبه غير أن الذى أدهشنا هو أن الفارابى يقرر فى تفاصيل مذهبه تقديم العلوم الرياضية وتجزئة المسائل تجزئة تجعلنا نطلب السهل البسيط ثم نطلب ما ألف منه فما كان منه أشد تعقيداً (١)

ونحن نلاحظ أن هذا الرأى هو الذى هلل له العالم عند ما نادى به « ديكارت » وجعله من قواعد منهجه المعروف (٢)

وقد كان كتاب إحصاء العلوم مترجماً إلى اللاتينية . ترجمه Gerald of Cremona فى القرن الثانى عشر ووجدت نسخة منه بمكتبة باريس نشرها فى سنة ١٦٣٨ Guiliemus Camerarius الذى كان أستاذاً للالهيات فى باريس (٣)

ونحن نعلم ان ديكارت توفى سنة ١٦٥٠ . فهل اتيح له ان يطلع على كتاب الفارابى ؟ ! أم هل هذا التشابه الغريب بين مذهبيهما كان من نتيجة المصادفة واتفاق الخواطر ؟

ظاهرة اخرى نجدها عند الفارابى ونجدها ايضاً عند « سانت ارجستان » احد فلاسفة القرن السابع . فقد علل الفارابى المثل الأفلاطونية تعليلا ذهب فيه إلى أن هذه المثل هى

(١) تحصيل السعادة ص ٨

(٢) Rabier, Etudes Critiques sur le Discours de la Méthode, p. 195

(٣) Farmer' The Influence of Ihsa'al'ouloum on the Writers on Music in Western Europe, J. of the R. A. S. July 1932 p. 565.

صور المخلوقات عند الله تعالى قبل خلقها . ويعللها « سانت اوجستان » نفس التعليل أيضاً ، فيقول : إن المثل أفكار فى العقل الأقدس (١)

ولعل تعليل الفارابى هذا هو أول تعليل فى الاسلام للمثل الافلاطونية على هذا النحو

وربما كان هذا من اتفاق الخواطر . إذ ليس من المعروف أن مؤلفات « سانت اوجستان » نقلت الى العربية

على أن أثر الفارابى فى فلاسفة اليهود لا نزاع فيه ، فقد نقلوا اكثر مصنفاته الى العبرية وكان شيوخهم يتواصون بها ويشيرون على تلاميذهم ألا يقرأوا غيرها

وللفارابى فى فلاسفة النصرانية ايضاً أثر كبير ، فقد ترجم من كتبه الى اللاتينية ثمانية كتب ، أحدها كتاب احصاء العلوم الذى نحن بصدده

وقد عرف « جنديسالينوس » أحد الفلاسفة المسيحيين فى القرن الثامن عشر مذهب فى تقسيم الفلسفة . ثم ظهر من مقارنة كتابه بالنص اللاتينى لاحصاء العلوم أن ثلثى كتاب «جنديسالينوس» عبارة عن نفس كتاب « إحصاء العلوم » . وأن الخلاف بين النصين يكاد يكون معدوما(٢)

وللفارابى ايضاً ابتكار مجهول ، فان اكثر الكتاب مازالوا يحسبون أن ابن رشد هو المبتكر لكتابه « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » . ولسنا فى الواقع نسلم بهذا . . فاننا لو وازنا هذا الكتاب بما ذكره الفارابى عن حدوث العالم فى كتاب « الجمع بين الحكيمين » وجدنا أنهما يتفقان فى منهج البحث والأفكار وفى كثير من الصيغ والعبارات وفى النتائج التى وصلا اليها . ولا خلاف بينهما إلا فى امر واحد ذلك هو أن الفارابى يورد حكاية الخلق فى النصرانية بينما يورد ابن رشد قصة الخلق فى القرآن

ويظهر ان ابن رشد عند ما اراد الرد على الغزالى لم يجد خيراً مما قرره الفارابى من قبل فصاغه فى عبارته بعد ان مهد لذلك تمهيداً اقتضاه الحال

* * *

على ان الفارابى ما زال فى الواقع مجهولا ، وإنا لنرجو أن يكون للعناية التى بدأت تظهر بنشر كتبه اثرها فى درس فلسفته درساً يكشف عما يكون له من تجديد وابتكار ، ويظهر الروابط والصلات بين فلاسفة الاسلام وغيرهم من فلاسفة اليهود والمسيحيين

عباس محمود

---

(١) الجمع بين الحكيمين للفارابى ص ٢ —
L. Rougier, Les Paralogismes du Rationalisme, P. 315

(٢) Dr. L. Baur : Dominicus Gundessalenus De divisione philosophiae

الخوف اكتسابي لا وراثي

ينشأ في البيت ويستولى على الانسان

تضاربت أقوال العلماء بشأن الشعور بالخوف واختلفت آراؤهم فى هل هو اكتسابى أم وراثى. وقام الدكتور هارتشورن الاستاذ بجامعة كولومبيا والدكتور ماى أستاذ علم النفس بجامعة بابل، بمباحث واسعة النطاق تتبعا بها منشأ هذا الشعور، فدرسا حالة اكثر من عشرة آلاف تلميذ وتلميذة لم تجاوز أعمارهم السادسة عشرة، فثبت لهما بعد الدرس الطويل أن صفات الانسان تتكيف فى البيت والمدرسة والكنيسة ودور اللهو ومناحى الاجتماع المتنوعة، وأن العامل الاول — أى البيت — هو أقوى من جميع العوامل الاخرى متحدة معاً

ويقوم عامل البيت على الثلاثة الاركان الآتية وهى:

(١) العلاقة بين الزوجين

(٢) العلاقة بين الاخوة والاخوات

(٣) العلاقة بين الآباء والاولاد

ولننظر الآن فى تأثير هذه الاركان الثلاثة فى ذلك الشعور الذى هو — الى حد بعيد — أساس فشلنا أو نجاحنا فى الحياة، ونعنى به الشعور بالخوف أو بما هو عكسه، أى الشعور بالثقة بالنفس

وليس المقصود هنا بالخوف النفور من مواجهة شىء أو أمر معين فى الحياة بل المقصود به ذلك الشعور العام الذى يقعدنا عن الاقدام ويثبط عزائمنا ويولد فى أنفسنا الذعر من كل شىء كأن قوانا تخوننا وتجعلنا ننكص على أعقابنا ونتراجع أمام كل طارىء وكل مشروع

ويتضح من درس نفسية الانسان أن صفاته واخلاقه تتكيف منذ حداثته وهو لا يزال تحت سقف الاسرة وفى كنف والديه. وهو يكتسب الشعور بالخوف بطرق على وجوه لا تحصى. ولشرح ذلك نقول ان الكثيرين من الاحداث يشبون على اعتقادات لا حقيقة لها ولا تستند الى شىء من الواقع لانهم اكتسبوا تلك الاعتقادات من والديهم، فمنهم من يعتقد انه مصاب بمرض معين، ومنهم من يعتقد أموراً خرافية لا طائل تحتها ولا يتصدى لانكارها أو اظهار بطلانها لانه درج على التمسك بها منذ نعومة أظفاره فلا يجرؤ على توجيه أى شبهة اليها

والخوف ثلاثة انواع (أولها) البيولوجى وهو الخوف الذى يحمل الانسان على الفرار من الاخطار الطبيعية (وثانيها) العقلى وهو الخوف الذى ينشأ عن الدرس والتعلم كخوف الانسان من

الامراض والميكروبات (وثالثها) الباتولوجى وهو الخوف الذى ينشأ عن فكرة خطأ كخوف عدم النجاح فى أمر من الامور والخوف من السقوط فى الامتحان وما أشبه . والذين ينفخون فى المرء النوع الثالث ثلاثة ــ والداه ، أو اخوته وأخواته ، أو نفسه ، وفى تسع وتسعين حالة من كل مائة حالة يشعر الانسان بالنوع الثالث من الخوف لان أمه أو أباه أو إخوته ثبطوا عزيمته وأزالوا ما قد يكون له من الثقة بنفسه

وقد يقول البعض ان الخوف من اللص أو من الحيوان أو من البرق أو ما أشبه هو خوف طبيعى أى أنه من النوع الاول ، وهذا خطأ محض لان المباحث التى قام بها علماء النفس قد أثبتت أن مثل ذلك الخوف ليس طبيعياً بل هو اكتسابى . وفى الواقع أن هنالك شيئين فقط هما منشأ الخوف الطبيعى وهما الصوت المفاجىء المزعج (كصوت الرعد مثلا) والشعور بالاشراف على السقوط . وليس هنالك سبب آخر للخوف الطبيعى . والدليل على ذلك أنك اذا عرضت الطفل الرضيع لرؤية المدفع أو النار أو العقرب أو ما أشبه لم يشعر بأى خوف على الاطلاق ، ولكنك إذا اطلقت عياراً بالقرب منه أو أوهمته بأنك تريد اسقاطه من مكانه فانك تبعث فيه حاسة الخوف وهذا برهان على ان الصوت المفاجىء والشعور بالاشراف على السقوط هما منشا الخوف الطبيعى

ولقد تسمع والدة تقول إن طفلها يخشى من الظلام وهى تعتقد أن خوفه هذا طبيعى ، وهذا خطأ فان الخوف من الظلام اكتسابى ، فقد تضجع طفلك فى سريره ثم تطفىء نور الغرفة ، وبدلا من ان توصد الباب بهدوء وتخرج توصده بعنف وبصوت مزعج يلقى الهلع فى نفس الطفل ، أو قد يسقط من يدك اناء على الارض ويحدث صوتاً مزعجاً يخيف الطفل ، أو تلقى فى مسامعه قصة (اذا كان يفهم الكلام) فتخيفه وتجعله يفر من الظلام ، كل ذلك طارىء وليس طبيعياً وهو السبب الا كبر فيما نشأ عليه الاولاد من الخوف

قال أحدهم لكاتب هذه السطور : « انى مضطر للانتقال باسرتى الى المدينة الفلانية لأدخل ابنى فى المدرسة » ولا حاجة الى القول إن سبب انتقال الاسرة كلها هو الخوف من ترك الولد وشأنه يعيش بعيداً عن والديه ، ومثل هذا الامر هو بمنزلة نفخ روح الخوف فى نفس الولد ، اذ لاتسنح له الفرصة والحالة هذه ليتعود الاعتماد على نفسه ، فينشأ وجلا خائفاً لاثقة له بنفسه ولا ثقة لوالديه به ، ولو اطلقا له العنان ليتحمل نصيبه من تبعات الحياة لنشأ قوى الثقة لايعرف للخوف معنى

فانظر كيف يخطىء الوالدون ويدعون الفرصة تفلت من ايديهم وبدلا من أن يربوا أولادهم على الشجاعة والاعتماد على النفس ينفخون فيهم روح الخوف وضعف العزيمة ، ولو عقلوا لعلموا أن فى امكانهم تربية أولادهم على جميع الصفات التى تضمن لهم النجاح فى الحياة ومن جملتها الشجاعة والاقدام والاعتماد على النفس

وليس فى هذا ما يناقض الواجب الذى يحتم علينا نفخ روح النوع الثانى من الخوف (ونعنى به النوع العقلى) فى نفوس الصغار . فعلينا أن نربى فيهم قوة التمييز بين ما هو نافع وما هو ضار ليلتمسوا الاول (كالصحة) ويهربوا من الثانى (كالمرض) . وفى الواقع أن هذا النوع من الخوف هو الوجه السلبى من تكوين صفات الانسان ، وهو سبب ما يضعه المرء أمام عينيه من المطامع وما يتطلع اليه من الغايات وما يخوضه فى سبيله من معارك الحياة ، ومن أعظم واجبات الوالدين أن يغرسوا فى عقول أولادهم الاعتقاد بانهم يجب أن يخوضوا معارك الحياة ويحرزوا فيها النصر

على أن النوع الثانى من الخوف (اى العقلى) اذا تطرف انقلب الى النوع الثالث أى الباتولوجى، ولا ينقذنا منه إلا تقوية ملكة الاعتماد على النفس والثقة بها وبأن قوى النفس توازى على الاقل قوى الآخرين إن لم تكن أفضل منها

وعلى كل فان البيت هو البيئة التى ينشأ فيها الانسان على الخوف (ماعدا النوع الاول منه) وقد فحصت جامعة شيكاجو نفسية ستين ألفاً من المجرمين فى السجون والاصلاحيات فثبت لها بوجه لايقبل الشك ان المنزل هو المكان الذى ينشأ فيه المرء على المبادىء القويمة أو على الميل الى الشر

الوحدة والتجزئة

(بقية المنشور على صفحة ٧٥٤)

المتخبة من السوريين الى مشانق جمال باشا فى سبيلها . وفرانسة هى أدرى الامم بشأن هذا الاتجاه وقيمته السياسية فى الشرق الاوسط . وان هذه الامنية الغالية التى تزداد رسوخاً فى العاملين يوماً فيوماً هى التى حملت (المؤتمر السورى) الذى عقد فى الشام على عهد الحكومة الوطنية على القرار الآتى فى مساء السابع من آذار سنة ١٩٢٠ وهو :

« ولما كانت الثورة العربية قامت لتحرير الشعب العربى من حكم الترك وكانت الاسباب التى يستند اليها فى اعلان استقلال القطر السورى هى ذات الاسباب التى يستند اليها فى استقلال القطر العراقى . وبما أن بين القطرين صلات روابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وجنسية تجعل كلا من القطرين لا يستغنى عن الآخر . فنحن نطلب استقلال القطر العراقى استقلالا تاماً على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسى اقتصادى »

وغنى عن البيان أن الذين هيأوا الافكار لاتخاذ مثل هذا القرار التاريخى هم الذين صودروا وطوردوا وعذبوا وشنقوا فى سبيل عقيدتهم الوطنية . اذن فهم أهل لان يصغى الى حديثهم . واما خيالات الظل الذين يرقصون على كل لحن يسمعونه ويقولون بكل عقيدة يلقنونها من وراء الستار ، فهم اهل لان يمزقوا ويوضعوا فى سلة المهملات

عبد الرحمن شهبندر

يشمل الالمام بالكثير من الأدب والعلم والرياضة (sport) ، فى حين أن معناها فى فرنسا - والفرنسيون يستعملون الكلمة أيضاً - يشمل الالمام بالادب لا الرياضة ، أما فى اميركا فلا يلزم ان يكون الادب أو الرياضة من شروط « الجنتلمان »

إن ما يسمونه الثقافة الغربية اليوم قائم على الثقافة الاغريقية القديمة التى ترجم العرب واليهود كتبها فانتقلت بعد الحروب الصليبية ومنذ عهد النهضة العلمية الى انحاء أوربا ، والثقافة الاغريقية أساسها مدنية مصر وفينيقية وأشور وبابل . وهذه كلها شرقية

ولما كان الشرق مهبط الاديان ، حتى الوثنية منها ، رسخ فى اذهان شعبه التصوف والزهد والايمان بالروحيات والتفكير فيما وراء المادة وحب الخيال والشعر . ولما أن نهضت أوربا من سباتها العميق وتقدم فيها العمران ، أصبحت تخطو الى الامام فى الوقت الذى كانت فيه جميع البلدان الشرقية تتقهقر ، وأصبحت الثقافة الشرقية البقية الباقية البالية من المدنية (اذا صح تسميتها كذلك) فى الشرق وأصبح معنى الثقافة الشرقية مرادفاً لمعنى التأخر والانحطاط . وإلا فماذا نقول فى الثقافة اليابانية ؟ . اذا ذكرنا اليابان قالوا لنا إن ثقافتها غربية أو انها تقلد المدنية الغربية ، أو انها مزيج من الشرقية والغربية مع تغلب الثانية على الأولى

وهذه روسيا كانت الى عهد بطرس الأكبر تعدها دول أوربا الغربية امبراطورية أسيوية أو شبه أسيوية . ولما أن شرع بطرس الأكبر فى سياسته الانشائية وشيد مدينة بطرسبرج ، قالوا إن هذه المدينة بمثابة نافذة تطل منها روسيا الأسيوية على أوربا الغربية . ولما تم للروس ماأرادوا من الاصلاحات ودخلت روسيا فى عداد ممالك أوربا الست الكبرى ضمت الى ممالك العالم التى يقال لها انها تتمتع بالثقافة الغربية . وظل الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٩١٧ حينما قامت الثورة ووقعت فى قبضة الجيش الاحمر وذبح أعضاء الاسرة المالكة . فمنذ ذلك الحين الى عهد قريب قبل ان روسيا عادت الى حظيرتها وانفصلت عن أوربا ورجعت الى آسيا ، أى أنها أصبحت شرقية كما كانت . وهى اليوم وقد أخذت تستقر بعض الاستقرار أخذت الدول تعترف بها تدريجيا وأخذ بعض العارفين يطرون تجربتها الاقتصادية الكبيرة الواسعة النطاق ، وأخذوا يقرءون ويكتبون عن نظمها وآرائها وفلسفاتها . وأخذوا يعدونها فى مصاف الممالك الغربية التى يسرى فى عروقها دم أبناء السلالات الشمالية (Nordic)

وهذه تركيا كانت الى عهد قريب مضرب المثل فى الشرقية المتوحشة ، وكانت التركية مرادفة عند الأوربيين والامريكيين لمعانى البطش والهمجية . فلما أن أخذت باساليب المدنية وأدخل مصطفى كمال اصلاحاته المشهورة بدأت جغرافيتها تتطور فى نظر المتمدينين ، وانتقلت من آسيا الى أوربا ، ومن الشرق الى الغرب ، فى حين أن علماء الأجناس البشرية كانوا يزعمون أن

دم التركى مشوب بدماء الشعوب الصفراء ، وأن رأسه مغولى فلا يتسنى له التقدم إلا بدرجة محدودة ، وهيهات له أن يهضم المدنية الغربية

وقد غير هؤلاء العلماء آراءهم اليوم وأخذوا ينظرون بعين الدهش الى تركيا اليوم ، وهى تطبق قوانين سويسرا فى قضاياها المدنية وشرائع ايطاليا فى الاحوال الجنائية وعلى الجملة أخذت تطبق شرائع اوربا على الاحوال الشخصية والمبادىء الاجتماعية

وفى المدن الكبرى فى الصين والهند ومصر ، يطلق على الاحياء المنظمة النظيفة الحسنة التنسيق الاحياء الاوربية (او الغربية) ، ويطلق على الاحياء القديمة التى لم تمتد اليها يد الاصلاح الاحياء الوطنية (أو الشرقية) . والسياح عند ما يزورون مصر للمرة الثانية يتحسرون على زوال شوارع القاهرة الضيقة وحاراتها وأزقتها القذرة ومخازنها وحوانيتها المكشوفة التى تنفذ اليها الاتربة والغبار بغير استئذان ، ويشكون من أن القاهرة تستحيل تدريجياً الى مدينة غربية فلا يصبح فيها ما هو خليق بالمشاهدة غير ديار الآثار . ومثل هذه الشكوى يرددها الوافدون على مدينة دمشق من الغربيين الذين لايطيب لهم فى المدن « الشرقية » من سكان وأزياء ومنازل ومخازن سوى « حدائق حيوانات »

وبعد أن أخذت اليابان بأسباب المدنية والثقافة الحديثة ، عاد السياح الى بلدانهم ينصحون الى مواطنيهم بالتعجيل فى زيارة تلك المملكة الشرقية العظيمة قبل أن تمحى عنها معالم الشرق وتصبح غربية فى أزيائها وعاداتها وأكلها وشربها

وفى مصر اذا نحن انشأنا منشآت حديثة قلنا مباهاة وتفاخراً إنها تضارع أشباهها فى أوربا وأمريكا ، ونقول عن مدارسنا إنها على النمط الغربى . ولما أن امتدت يد الاصلاح الى الجامعة الازهرية واصبحت انظمتها ومعداتها ومناهجها وطرق التعليم فيها شبيهة بالمدارس الاميرية وكليات الجامعة المصرية قال القائمون بامرها إن هذا الاصلاح يرمى الى جعلها تضارع الجامعات الغربية

* * *

فماذا يفهم من هذا كله ، وما معنى الشرقية والغربية التى نتحدث عنها ؟ هل يقصد بالشرقية جميع الازياء والمبانى والعادات والتقاليد وآداب الاكل والشرب وقواعد النظافة والاخلاق التى تخالف ما يماثلها عند المتمدنين ؟ وهل يقصد بالغربية التمدن والتهذيب والتثقيف وصقل العادات فى جميع مرافق الحياة ؟ وهل كانت مصر وأشور وبابل وفينيقية وبلاد الاغريق فى أبان مجدها شرقية ام غربية ، طبقاً لما نقصد بالشرقية والغربية فى هذا العصر ، وما نوع الثقافة التى نراها بين الهنود الحمر أو سكان امريكا الاصليين اليوم ، هل هى غربية أو شرقية ؟ وكيف تصف ثقافة غاندى ؟ هل هى شرقية أو غربية ؟ واذا قلنا إنها شرقية ، فهل هناك تشابه بينها وبين ثقافات مصطفى كامل وسعد زغلول ومصطفى كمال وفنزيلوس وأمان الله خان ؟

يقول غاندى ان انتشال الهند من الهوة التى هى فيها لا يتاتى إلا بنسيانها ما تعلمته من الغرب — من علوم وفنون وتليفون وسكك حديدية وتلغراف وراديو — والبدء بصفحة جديدة وخلق ثقافة قومية هندية من جديد . فهل هذه فكرة عملية وهل يمكن تحقيقها ؟ واذا كان الجواب نعم فهل تكون ثقافة شرقية ؟

ان الثقافة ميراث اجتماعى لكل أمة وسلالة تحت الشمس ، لا تتمتع به أمة وحدها . وتغلغل الثقافات بعضها فى بعض لا يجرؤ أحد على انكارها . وهاهى اللغات وهى أهم الادوات والوسائل لنشر الثقافة — أو كما يسمونها هى عربة نقل — هذه اللغات ممتزجة بعضها ببعض . فاللغة العربية تشمل أكثر من ثلاثة آلاف كلمة يونانية ورومانية . ولا يتسع المجال لذكر سائر وسائل الثقافة ، وحسبنا أن نقول ان الورق من مخترعات الصين ، والارقام من الهند ، والكتابة من مصر وفينيقية ، والطباعة من المانيا ، وشوكة الأكل من ايطاليا ، والبخار من انجلترا ، والضوء الكهربائى من أميركا ، واللاسلكى من ايطاليا . ومن الغريب أن بنك مصر وبناؤه على الطراز العربى من صنع ايطالى وأن عدداً من مساجد مصر من تصميم الايطاليين ، وأغرب من ذلك كله ماقرأت مرة من أن بانى الكعبة قبطى

واذا كان امتزاج الثقافات فى العصور السالفة محتملا ، فانه قد أصبح فى هذا العصر ضربة لازب لامفر منه . واذا نسينا طرق المواصلات جميعها مؤقتاً وحصرنا تفكيرنا فى اثنين منها وهما الراديو والسينما ، لاتضح لنا أن التكلم عن الثقافة الشرقية والثقافة الغربية خرافة قديمة لا توجد إلا فى الأساطير . وكيف تكون الحال بخلاف هذا واللغات الأجنبية تنتشر بين طلبة المدارس فى جميع انحاء العالم ، والراديو يحمل لكل مكان فى العالم رسائل علمية وفنية وأدبية واجتماعية وسياسية وموسيقية من كل مكان فى العالم ؟ وكيف يمكن أن تكون الثقافات شرقية أو غربية والصور المتحركة ، الصامتة منها والناطقة ، تبين لنا فى غاية من الوضوح والجلاء والاقناع والافحام والتأثير أخلاق الامم المتمدينة وعاداتهم وتقاليدهم ومشاكلهم الاجتماعية والسياسية وحياتهم اليومية وآدابهم العامة فى الاسرة والمطعم والفندق وحمام البحر ومصايف الجبال ومزالق الجليد ؟

ان أولئك الذين يتكلمون كثيرا عن الثقافتين الشرقية والغربية ويفرقون بينهما بالخط العريض ، ان لم يكونوا متعصبين ، فانهم لايعيرون وسائل المواصلات عناية تذكر وقلما يغشون محال الصور المتحركة ظنا منهم أنها تافهة أو مفسدة للاخلاق ، وهؤلاء غالبا لايقرأون المجلات الاسبوعية الراقية ، عربية كانت أم اجنبية . ان هؤلاء مهما كانوا علماء فانهم جهلة لايدرون مايحدث حولهم ولا يعرفون عن العالم إلا ماقرأوه فى الكتب فى نطاقها المحدود الجامد الضيق ، وما سمعوه من أهلهم وأصدقائهم وأساتذتهم ، وما اكتسبوه من خبرتهم الضيقة .

فى المجلات المصورة ، فى الراديو ، فى الصور المتحركة وأمثالها . قد يكون هناك مالا يتفق مع المثل العليا ، ولا يتناسب مع ماورثناه من التقاليد فى الحشمة والاخلاق الكريمة ، غير أن فيها ثقافة القرن العشرين برغم كل شيء ، وفيها حياة الامم كما هى ، خالية من الوعظ والارشاد ومبادىء الاخلاق والتصنع الكاذب ، وفيها مايحب الناس وما يكرهون ، وما تتجه اليه ميولهم طوعاً واختياراً احياناً ، وكرها وجبراً بحكم البيئة والتربية ووسائل العيش الحديثة والاتجاهات الفكرية العصرية . وفيها أيضاً أرقى ما وصل اليه المرء من الموسيقى والاختراع والعلم والفن والآراء الاخلاقية الثاقبة السامية . ومعنى هذا كله أن النشء الحديث يشب بطبيعته على ثقافة مشتركة ـ بفعل هذه العوامل القوية جميعها ـ فلا هى شرقية ولا هى غربية

وانى شخصياً استطيع أن اعترف للقراء انى مقصر فى مصر فى الاطلاع على المجلات المتعددة الانواع وفى التخلف الى محال الصور المتحركة وسماع الراديو ، ولكنى اضحى جزءاً يسيراً من وقتى لها وأجد فيها من الدروس الاجتماعية ما لا أجده فى الكتب ، لانها أقرب الى الحياة من الكتب وأصدق أنباء وابعد نظراً . غير انى أسرف فى مطالعة الجرائد والمجلات والكتب وغشيان محال الصور المتحركة وامثالها فى خلال وجودى فى أوربا وامريكا . واستطيع أن أقول ان الكتب ترسم لى الطريق العام فاستطيع بواسطتها أن أفسر الوقائع وأفهم فلسفاتها وأدرك مراميها وافرق بين غثها وسمينها ، غير أن الوسائل الاخرى التى ذكرت هى الوقائع عينها والحياة كما هى . فالكتب والمدرسة اذاً نظرية ، والمجلات والراديو والسينما عملية . الاولى التصميم أو الرسم ، والاخرى البناء . ولا استطيع أن أقول إنى أجد فى هذه كلها ثقافتين واحدة غربية وواحدة شرقية ، وان كنت لا أنكر أن لكل امة طابعاً ثقافياً يميزها عن سواها من بعض الوجوه

ولا نستطيع أن نغفل أمر السياحة وانتشارها عاماً بعد عام وما تؤدى اليه من تغلغل الثقافات وتجانس طرق العيش والشعور والتفكير . فباريس وحدها بها خمسون ملهى كبيراً يؤمها سنوياً عشرة ملايين من الانفس ، وبين هؤلاء عدد كبير من الاجانب ، ويزور متحف اللوفر سنوياً مليونان اكثرهم من السياح ، ومثل هذا العدد يغشون كافيه دى لابيه (قهوة السلام) وبار رتز ونوتردام وقبر الجندى المجهول ، ولا ننسى أن نصيب المصريين من المكان الاول عظيم جداً . وفى موسم السياح فى مدينة البندقية (وهو يمتد من اواخر مارس الى اواخر اكتوبر) يزيد عدد سكانها فى المتوسط ١٥٠ الفاً وكلهم تقريباً من السياح ، واذا علمنا ان هؤلاء لايمكثون فى المتوسط اكثر من اسبوع ، لادركنا ان مجموع السياح كل عام كبير جداً ، ولا يخفى ما يحملونه معهم من الذكريات وما ينقلونه الى اصدقائهم وما ينشرونه من الآراء التى تزيد فى امتزاج الثقافات

إن ثقافة الامة لاتقوم لها قائمة مالم تتفهم ثقافات الامم الاخرى، وتتلاقى معها كالحيوانات والنباتات يحسن نتاجها بالتنوع والانتخاب الطبيعى. وركود الماء وتعفنه يعزيان الى العزلة. كذلك الحياة الاجتماعية لابد لها من الاتصال والامتزاج بمناهل اخرى

ان الاسفار والعوامل الاقتصادية تجمع بين الامم، وكذلك الثقافة. وقد تبدو مظاهر العداء بين الامم عند اختلاط الثقافات كما نرى احياناً بين الذين يخشون اضمحلال الثقافة «الشرقية» امام تيار «الغربية»، غير أن هذا العداء انما هو لخير الشرق والغرب معاً (اذا كان هناك شرق وغرب) لانه يحفظ الثقافة الشرقية من الركود والجمود والتعفن ويحمل الى الثقافة الغربية ريح الآداب الشرقية وعطر روحانيتها

ألم يكن عصر الاصلاح نتيجة تلاقى الثقافات ووجود الوف الطلبة من جميع أنحاء أوربا فى رومه ؟ ألم يكن من اسباب الاصلاح الدينى سفر اوغسطين من شمالى افريقيا لدرس الثقافة فى ميلان وروما ؟ ألم تكن النهضة العلمية (Renaissance) اساسها اختلاط الثقافات ؟ ألم يكن اراسموس طالباً اممياً ومعلماً أممياً ؟ الم يحمل شيشرون ثقافة الاغريق الى روما بعد ان تلقى العلم فى اثينا ؟ الم تؤثر الثقافة الاغريقية فى الثقافة الرومانية بطريقة تعرفها ؟ أو لم تؤثر الثقافة المصرية فى الثقافة الاغريقية بطريقة للاسف نجهلها ؟ ألم تكن نواة الثقافة الاوربية الحاضرة تلك المصنفات التى نقلها اليهود والعرب الى اوربا ؟

ان الثورة الامريكية لم تندلع لهيبا إلا بعد عودة عدد كبير من الطلبة الامريكيين من انجلترا بعد درس القانون والتشريع الانجليزى فيها . والثورة الثقافية فى اليابان تعزى برمتها الى الطلبة اليابانيين الذين انتشروا فى اقاصى العالم المتمدين لدرس ثقافاته ثم عادوا الى بلادهم ملتهبين .

ان نواة القومية المصرية والثقافة العلمية فى هذه البلاد بمجموعة الطلبة الذين عادوا من اوربا فنشروا الآراء الجديدة منذ عهد مصطفى كامل وسعد زغلول الى اليوم ان لم يكن منذ عهد اسماعيل

وهذه العراق تلك الدولة الصغيرة الفتية اليوم، ربة المجد والسؤدد أمس، فى عهد أشور وبابل، ظلت فى سباتها العميق حتى انتشر فتيانها وفتياتها فى بيروت وباريس ولندرة ونيويورك وسان فرنسيسكو، ولما أن عادوا الى بلادهم انتفضوا على الانجليز والأوربيين، كما فعل المصريون قبلهم أو حاولوا، لا كرها للثقافة الغربية، ولكن حباً لها، لأن نواة هذه الثقافة الغربية الحرية والحرية لاتتفق والاحتلال. واذا تتبعنا الحوادث هناك ألفينا العراق سائرة نحو الثقافة، الثقافة المجردة من الصفة التى لاوجود لها إلا فى عالم الخيال (الشرقية أو الغربية) ولو أن الجميع سيقولون عنها بعد حين انها تنبذ الشرقية وتعتنق الغربية

ومن أقوى الوسائل التى تعمل على مزج الثقافات التربية ومعاهد العلم . فطلبة دار العلوم فى

مصر يتألفون من ٢٥ جنسية غير المصريين، ونصف طلبة الازهر أجانب، والجامعة الاميركية في بيروت يقبل عليها الطلبة من الهند وفارس شرقاً الى مراكش غرباً، ومن جنوبي روسيا وأوربا شمالا الى أواسط افريقيا جنوباً. ويوجد في ولايات أميركا المتحدة اليوم أكثر من ١٥ الف طالب أجنبي. ويبلغ عدد الطلبة الاجانب في باريس سبع مجموع طلبتها. وكان عدد الطلبة الصينيين في اليابان في سنة ١٨٩٨ عشرة فقط، وبعد عشر سنوات أصبحوا عشرة آلاف.. ومن الصعوبة بمكان بعد هذا كله أن نقسم الثقافة العالمية الى شطرين أحدهما شرقي والآخر غربي

أن أصل التشبث بالقول ان هناك ثقافتين هو التعصب سواء أكان صاحبه شرقياً أم غربيا وليس بضائري أكان هذا التعصب جنسياً أم دينياً أم سياسياً. وهذا لورد كرومر في كتابه مصر الحديثة ينعى التربية الغربية في مصر ويندم على ادخالها في المدارس المصرية وملء أذهان النشء بها. ويقول في صراحة ان المدنية الأوربية (في مصر) تهدم ديناً بغير أن تستعيض عنه بسواه وأن المصري المتفرنج لا أدري (Agnostic) من جهة، وليس أوربيا بالمعنى الصحيح من جهة

وقد طلع علينا أخيرا كتاب حديث بقلم لورد لويد المندوب البريطاني السامي سابقا يضرب فيه على هذه النغمة، ويندب الخطأ الذي وقع فيه الساسة البريطانيون بالسماح للثقافة الغربية (الفرنسية) أن تنشر ألويتها في مصر والهند

دعنا نسأل كرومر ولويد وغيرهما من المتعصبين الشرقيين والغربيين: هبنا نريد ثقافة شرقية فما هي الكتب التي نطالع والمدارس والمعاهد والكليات التي ننشيء والنظم والطرق التي نتبع ومرافق الحياة التي بموجبها نعيش؟ وهبنا اطلقنا يد وزارة المعارف العمومية لمحو جميع المعاهد العلمية الحاضرة وبدأنا صفحة بيضاء جديدة، فما هي تلك الثقافة الشرقية التي على اساسها تشيد الوزارة مدارسها الجديدة؟

اني وان كنت شخصياً أقع في الخطا الذي يقع فيه غيري واستعمل كلمتي «شرقي وغربي» استعمالا مطلقا، لا أفهم ماذا يراد بهما. قد أفهم أن لمصر وسوريا وفلسطين ثقافة تكاد تكون متجانسة، وقد أفهم أن لايطاليا واسبانيا وفرنسا ثقافة قد تكون متجانسة، وافهم أن للامم الاسكندناوية والمانيا وانجلترا وربما أميركا ثقافة قد تتشابه بعض التشابه، وقد أفهم أن ثقافة الامم السلافية في شرقي وأواسط أوربا قد تتشابه بعض التشابه ـ أفهم هذا كله بعض الفهم، ولكني لا أستطيع أن اقول أن هناك ثقافة شرقية وأخرى غربية

امير بقطر

هل يمكن خلق العبقرية ؟

النبوغ الوراثى والنبوغ الاكتسابى

الاعتقاد الشائع بين الناس أن النوابغ هم نوابغ بالوراثة لا بالاكتساب . وما دام الأمر كذلك فمن العبث ان يلتمس الانسان النبوغ إذا لم تهيئه الطبيعة لذلك . ويؤخذ الآن من مباحث العلماء ان هذه الفكرة خطأ شائع وان النبوغ والعبقرية من الصفات التي يمكن تنشئتها في الانسان . وهذا ما حدا بعض العلماء الى القيام بتجارب لاثبات هذه النظرية أو نقضها . وفي مقدمة القائمين بهذه التجارب الدكتور سكوت رئيس جامعة نورث وسترن بأميركا ، وهو من كبار الثقات في شؤون التعليم وفي علم البسيكولوجيا . وهذه المقالة مبنية على تجاربه الواسعة

لابد لنا قبل أن نخوض فى هذا الموضوع من القول بأن العالم لا يقوم على أكتاف العبقريين ، وأن زعماء الاجتماع ليسوا عادة من طبقة أولئك الذين تظهر عليهم دلائل النبوغ منذ حداثتهم بل هم من أوساط الناس الذين هم أشد تحكما فى سير العمران من غيرهم . وهذا القول يصدق على التاريخ القديم والحديث على حد سواء . نعم ان بعض قادة الرأى العام وزعماء العمران كانوا ممن ظهرت عليهم آيات النبوغ فى حداثتهم ، ولكن هؤلاء ليسوا هم الكثرة وتأثيرهم فى تسيير العمران قد كان أضعف بكثير من تأثير أوساط الناس

ومع ذلك كان الانسان وما يزال يسعى الى النبوغ ، وفى الواقع ان تطور العقل البشرى متجه نحو تلك الدرجة العليا من الرقى ـ درجة السوبرمان أو الانسان المتفوق الذى هو الآن موضوع بحث الكثيرين من الفلاسفة . وقد اقترح بعض العلماء تعجيل الوصول الى طور السوبرمان بالطرق الصناعية . ويزعم الدكتور فورونوف وأمثاله ان فى الامكان الاستعانة بالتلقيح بالغدد على تحويل الاطفال الى جيل من السوبرمان . وأعلن بعض الاطباء عن عزمهم على ايجاد جيل من السوبرمان بشرط أن تقبل الامهات بان يعهدن اليهم باطفالهن لتحقيق التجربة بتلقيح أولئك الاطفال بخلاصات الغدد التى هى سبب العبقرية

ولاشك ان بين العبقرية وافرازات الغدد صلة وثيقة ، وفى الامكان التحكم فى الغدد الى حد ما . على ان الامر ما يزال فى دوره التجريبي بحيث لا يصح بناء حكم ثابت عليه

وليس من الحكمة التعرض لسير التطور الطبيعى . والافضل اطلاق العنان للعقل البشرى ليتطور نحو العبقرية . وفى الواقع ان هذا التطور سائر سيره ، والدليل على ذلك ان

الولد الصغير يفهم اليوم مالم يكن الرجل البالغ يفهمه منذ خمسين عاما . وقدكان طلبة العلوم العالية منذ خمسين سنة مثلا من الكهول أو الشبان البالغين ، وأما اليوم فقد حل محلهم فتيان احداث السن . ولو تيسر لنا نشر الاحصاءات لرأينا ان طلبة مدارس الطب مثلا تختلف اعمارهم اليوم من ١٨ سنة الى ٢٥ سنة ، وكانت منذ ثلاثين سنة تختلف من ٢٥ سنة الى ٣٥ سنة . وهذا التناقص فى السن ظاهرة عامة فى جميع مدارس العالم لاتكاد تستثنى منها مدرسة ، وسيظل مستمراً على مايظهر . ولولا ان العلوم ترتقى وتتطور لرأينا طلبة المدارس العليا بعد زمن قليل - كما يزعم العلماء - من الاطفال والاولاد الصغار . ذلك لان القوى العقلية فى تقدم مستمر . فما كان يعسر فهمه منذ قرن على الرجل البالغ يسهل فهمه اليوم على الولد الصغير . أى أن سن الادراك تنقص كلما تقدم الادراك ، والتاريخ مملوء بذكر العباقرة الذين اكتملت فيهم قوى الادراك وهم ما يزالون فى سن الطفولة

قلنا ان الاعتقاد الشائع بين الناس هو أن الشاعر يولد شاعراً والعبقرى يولد عبقرياً وان النوابغ هم نوابغ بالوراثة فقط لا بالممارسة . ولكن الدكتور سكوت رئيس جامعة نورث وسترن باميركا ينكر هذا الاعتقاد ويقول إن فى الامكان خلق العباقرة . وقد حداه اعتقاده هذا الى انشاء مدرسة للعبقريين فى جامعته بلغ عدد طلبتها حتى الآن ستة من الذكور والاناث . واليك خلاصة ما كتبه فى هذا الصدد ، قال :

« ان برامج مدارسنا وكلياتنا قد وضعت للطلبة الذين هم فوق المتوسط فى قوام العقلية ، فهى تلائمهم ولا تلائم الذين هم من طبقة أرقى فى ادراكهم . . . ولذلك يجب وضع برنامج يلائم الطلبة النجباء الذين تبدو عليهم علامات النبوغ منذ حداثتهم . نعم ان هذه بدعة فى نظم التعليم ، ولكن الحاجة ماسة اليها منذ زمن . وفى الواقع ان الثقات فى شؤون التعليم وفى « بسيكولوجيا » الاحداث يسعون منذ وقت طويل لحل هذه المشكلة العويصة ، فقد حيرتهم حالة الاحداث النوابغ الذين لايكاد أحدهم يبلغ الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره حتى يؤهله استعداده العقلى ليكون فى مصاف طلبة أرقى الجامعات ، ولا يجدون فى المدارس الكلية فصولا تلائم قواهم العقلية الخارقة . وغنى عن البيان أن قوى هؤلاء العقلية تنضج قبل اوانها ، ولو سارت سيرها الطبيعى لنضجت بعد اربع سنوات أو خمس على الاقل . وهم بسبب هذا النضج المبتسر محرومون من البيئة العلمية التى تليق بهم . ولهذا رأت جامعة « نورث وسترن » ان تقوم بتجربة جريئة لمصلحة هؤلاء النوابغ فتهيء لهم البيئة التى تساعدهم على ظهور عبقريتهم »

ويظهر أن الثقات فى شؤون التعليم مختلفون فى نظرتهم الى هذه التجربة ، فنهم من يتوقع لها النجاح ومنهم من يقدر لها الفشل ، والمستقبل خير كفيل باظهار الحقيقة

هذه هي نظرية عالم من أكبر العلماء الاميركيين . ويظهر انه لم يكد يعلن عن عزمه على انشاء قسم خاص في الجامعة التي يرأسها حتى انهالت عليه طلبات الدخول من جميع انحاء الولايات المتحدة ومن الخارج ايضا ، وتقدم الكثيرون من الاحداث يطلبون الانخراط في سلك ذلك القسم ، ولكن اللجنة التي انشئت لفحص طلاب الدخول لم تقبل سوى ستة فقط تختلف اعمارهم من ١٣ الى ١٥ عاما ، وهم أربعة صبيان وبنتان . وقد اتضح من فحص قواهم العقلية انهم ذوو ادراك خارق للعادة ، أي انهم عبقريون نوابغ على حداثة سنهم . وقد وضع لهم برنامج تعليمي راق جداً بقصد تنمية قواهم العقلية وابراز ماهو كامن بها من آيات النبوغ ، وهذا البرنامج شاق لا قبل لغير أولئك الطلبة به

ومما يجدر بالذكر ان بعض الثقات في شؤون التعليم لايتوقعون نجاحا لتجربة الدكتور سكوت هذه ، وفي مقدمتهم السيدة جين أدمس وهي من أعظم الكتاب الاجتماعيين في أميركا ومن الذين ربحوا جائزة نوبل في العلوم الاجتماعية . فقد كتبت هذه السيدة تقول إن ٨٥ في المائة من الشعب الاميركي هم من الطبقة الوسطى (average) في قواها العقلية ، والخمسة عشر الباقين هم فوق الوسط . والفريق الأول هو السلسلة الفقرية للامة ومنها تخرج الزعامة في كل شيء – في العلم والسياسة والفن والاجتماع . ومن العبث ان نحاول خلق الاشخاص العبقريين ، فان العبقرية ليست من الصفات الاكتسابية

على ان حكم هذه الكاتبة لا يقبل حجة ويجب ألا يحول دون السير في التجربة ، وليس هذا الحكم بالعقبة الوحيدة في سبيل الدكتور سكوت وانصاره ، فهنالك عقبات أخرى كثيرة ، منها الاعتقاد الشائع بين العامة ان الاطفال الذين تظهر عليهم علامات النبوغ لايعمرون طويلا . وهذا اعتقاد خطأ فقد اثبت التاريخ انه ليس بين العبقرية وطول العمر أو قصره أية علاقة . وقد عمر الكثيرون من العبقريين حتى بلغوا من الكبر عتياً ، ومن جملتهم اللورد كلفن الذي كان اعلم علماء عصره وأعلاهم كعباً في العلوم الطبيعية ، فقد عاش حتى بلغ الثالثة والثمانين من عمره . وعاش فان سايكل اعظم النوابغ في القانون في اميركا واحداً وتسعين عاما ، هذا عاش الكثيرون من النوابغ حتى جاوزوا الثمانين

ومما يجدر بالذكر ان حالة العبقريين في العالم تدعو الى مايشبه الشفقة ، فهم بسبب قواهم العقلية الخارقة لا يستطيعون ممازجة من كان على سنهم ، وفي الوقت عينه يظن الذين هم أكبر منهم سناً انهم لايصلحون للاختلاط بهم بسبب التفاوت العظيم في السن

وغني عن البيان اننا اذا استطعنا تحقيق الفكرة التي يتوخاها الدكتور سكوت رئيس جامعة نورث ويسترن صار في امكان زعماء التعليم التحكم في القوى العقلية وابراز ماقد يكون كامنا فيها من آيات النبوغ . وستكون هذه خطوة كبيرة نحو ظهور ذلك الجيل من الانسان المتفوق

التكنوقراطية والعمران

أسلوب جديد لمعالجة المشاكل الاقتصادية

هل يكون الغش وسيلة للنجاح ؟

التكنوقراطية توجيه جديد لعلم الاقتصاد غرضه التوفيق بين عاملي الانتاج والاستهلاك بدرس حاجات البشر وجعل الانتاج وافياً بتلك الحاجات مع تقصير المدة التي تصلح فيها السلع للاستعمال الى أقصر حد بحيث لاتطول تلك المدة فلا يحول طولها دون رواج السلعة . وفي المقالة المدرجة هنا بسط موجز لغرض التكنوقراطية ملخص من مقالتين لاثنين من كبار علماء الاقتصاد الامريكيين وهما الاستاذان « بلوبش » و « تنيز » . وقد نشرت المقالتان في مجلة الاوتلوك التي هي من أشهر المجلات الأميركية

كان المعروف حتى الآن ان الأمانة فى انتاج أفضل أنواع السلع خير وسيلة للنجاح ، وأن خير السلع هى التى تتوافر فيها شروط الجمال والمتانة والملاءمة للحاجة . ولكن تطور العمران فى هذا العصر قد حمل العلماء على تنقيح المبادىء التى كان علم الاقتصاد يقوم عليها حتى الآن ، ومن جملتها ذلك المبدأ القائل بان الأمانة فى الانتاج وسيلة للنجاح . فالتكنوقراطية تقول ان هذه الأمانة ليست دائما وسيلة لنشر الرخاء ، وان انتاج السلع المتينة يحول دون رواجها لان الانسان اذا اشترى سلعة منها اكتفى بها مدة طويلة عن شراء غيرها ، وهذا مؤد كما لا يخفى الى الكساد . حالة أنه لو اشترى سلعة رخيصة غير متينة لاضطر بعد زمن وجيز الى شراء غيرها ، وهذا مؤد الى الرواج

ولشرح ذلك نقول ان صانع الأحذية مثلا اذا باعك حذاء متيناً كان كباحث عن حتفه بظلفه لانك تستغنى بهذا الحذاء عن شراء غيره مدة طويلة . حالة أنه لو باعك حذاء متوسطاً فى متانته كان ذلك أدعى الى رواج تجارته لانك لاتلبث أن تعود اليه بعد قليل لشراء حذاء جديد

ورب معترض يقول ان السلع المتينة تشتهر بين الناس فتروج ، بخلاف السلع الرخيصة فان الذى يشتريها مرة ينفر من شرائها مرة أخرى . وفى هذه النظرية شىء من الصحة ولكن الاختبار قد أثبت أن مسألة رخص الاسعار أهم فى نظر الجمهور من مسألة المتانة ، وان الذين يفضلون المزية العاجلة (اى رخص الثمن) أكثر من الذين يفضلون المزية الآجلة (أى متانة الصنع) لأن الاغنياء الذين ينظرون الى المتانة دون الثمن هم القلة فى كل مكان وزمان ، حالة ان المتوسطين والفقراء الذين ينظرون الى رخص السعر هم الكثرة

لننظر مثلا الى الولايات المتحدة حيث المصانع على أكثرها وحيث الانتاج يفوق الانتاج فى أية قارة أخرى فى العالم . فاميركا هى اليوم فى أوج عصرها الآلى ، والسلع التى تنتجها تزيد على حاجة أهلها وتحتاج الى مايروجها فى الخارج لئلا تصاب بالكساد

خذ مواسى الحلاقة مثلا وهى من أكثر السلع الاعتيادية استعمالا ففى وسع الصانع الفنى (التكنولوجى) بأميركا أن ينتج موسى ذات حد من كاربيد التنجستن بكل سهولة بانفاق نحو عشرين فى المائة أكثر مما ينفقه فى الموسى الاعتيادية . ولا يخفى ان موسى واحدة من ذلك النوع تكفى الانسان مدى حياته بحيث يستغنى بها عن شراء غيرها ، ولكن لو انتج الصانع الفنى مثل هذه الموسى لاقفلت مصانع المواسى جميعها فى الحال ـ ليس فى أميركا فقط بل فى جميع انحاء العالم ، لان فى وسع معمل واحد منها أن يصنع فى اسبوع واحد كل مايحتاج اليه سكان العالم من الآن الى خمسين سنة . فهل فى مصلحة العمران انتاج تلك الموسى التى اذا عم استعمالها اقفلت بسببها مصانع المواسى فى العالم ؟ أفلا ترى اذن أن الأمانة فى انتاج أفضل أنواع السلع وأجودها ليست وسيلة للرخاء ؟

وانظر كذلك الى النبات المعروف بالرامى (Ramie) وهو ذو الياف يمكن أن تصنع منها انسجة فاخرة تفضل الحرير فى نعومتها فضلا عن متانتها ورخصها ، ويمكن أن يصنع منها أيضا أفضل أنواع الورق وأمتنها

والفدان الواحد من الارض ينتج من الرامى ، عشرة أضعاف ماينتجه من القطن . والثوب الذى يصنع من نسيج الرامى يعمر أعواما كثيرة ويحتفظ بجماله ونعومته . ولكن مصانع النسيج فى أوربا وأميركا تعلم انه اذا راجت المنسوجات المصنوعة من الرامى أدى رواجها الى اقفال تلك المصانع بعد زمن وجيز . ولا يخفى انه لما ظهر الحرير الصناعى قاومته جميع مصانع الحرير فى اميركا وأوربا فلم يشع استعماله إلا بعد ظهوره بعشرين سنة ، وها إن ضرره الاقتصادى قد بدأ يظهر للعيان

بل انظر الى الاوتومبيلات وعظم رواجها فى العالم . ولا شك أن فى وسع الصانع الفنى أن ينتج نوعاً متيناً منها يعمر مائة سنة ولا « يكلف » انتاجه أكثر من خمسين فى المائة زيادة على ما يقتضيه انتاج الاوتومو بيل الاعتيادى ، بل إن لدى بعض المصانع الاميركية رسوماً (تصميات) لصنع أوتوموبيل من هذا القبيل يستطيع أن يقطع أكثر من ثلث مليون ميل أو أكثر من نصف مليون كيلومتر قبل أن يحتاج الى تنظيف . ولكن اذا اقدمت المصانع على انتاج أوتوموبيل من هذا النوع حل هذا الاوتوموبيل محل جميع الاوتوموبيلات الموجودة فى العالم فى مدة لاتجاوز السنة الواحدة ، ثم أقفلت بعد ذلك جميع مصانع الاوتوموبيلات

اذ لايعود العالم فى حاجة الى شىء منها قبل انقضاء نحو قرن على الاقل . وهنالك اشاعات تملأ الجو منذ الآن مؤداها أن أحد المصانع سوف ينتج بعد وقت قصير اوتومويبلات من هذا النوع . فاذا تم ذلك فقل على مصانع الاوتومويبلات السلام لانها ستضطر الى اقفال ابوابها فى الحال ، واذ ذاك يبيت مئات الالوف - ان لم نقل الملايين - من العمال عاطلين وتزيد مشكلة البطالة تعقيداً

وكذلك القول فى صناعة الأحذية ففى وسع الصانع الفنى (التكنولوجى) انتاج نوع من الاحذية يعمر عشرات من السنين ، وفى أميركا وحدها مصانع تستطيع تموين العالم كله فى مدة بضعة أشهر بكل مايحتاج اليه من الأحذية . فلنفرض أن بضعة مصانع انتجت النوع المشار اليه وراج هذا النوع . فماذا تكون النتيجة ؟

تكون النتيجة أن جميع مصانع الاحذية تقفل أبوابها بعد بضعة اشهر لان العالم لا يعود يحتاج إلى شىء من الاحذية فيما بعد قبل انقضاء عشرات من السنين . وفى ذلك ما فيه من أسباب زيادة البطالة وتعقد مشكلتها

مشكلة العصر الآلى

ذكرنا ما تقدم على وجه التمثيل فقط ، وفى الامكان اقتباس المئات من الامثلة للدلالة على صحة ما نقول . وفى الواقع ان انتاج السلع المتينة الممتازة بجودة الصنع والنوع ليس فى مصلحة أحد من البشر بل هو من أسباب انتشار البطالة واتساع نطاق الازمة فى الوقت الحاضر . واذا أضفنا هذا السبب الى الافراط فى الانتاج علمنا الى أى حد يصل جهل الانسان وقصر نظره . ولا ريب ان كثرة المواد الخام فى العالم تؤدى إلى الافراط فى الانتاج بحيث يزيد الانتاج على الاستهلاك . نعم ان زيادة الانتاج تؤدى إلى خفض الاسعار ، ولكنها من الجهة الاخرى تؤدى إلى الكساد . وقد اقترح بعض علماء الاقتصاد تضخيم النقد لمعالجة الكساد الذى يسود العالم اليوم ، ولكننا لا نعتقد ان التضخيم وحده يستطيع التغلب على الضائقة العالمية الحاضرة

اننا الآن بازاء مشكلة من اخطر مشاكل التاريخ ونعنى بها مشكلة العصر الآلى . فقد حلت الآلات الميكانيكية محل الايدى العاملة وكانت سبباً فى شقاء الكثيرين . وإذا رجعنا إلى تاريخ الحضارة وجدنا ان الانسان منذ فجر التاريخ إلى ختام القرن الثامن عشر كان يعتمد على العمل اليدوى . ولكن منذ سنة ١٨٠٠ إلى الآن قد حلت الآلة الميكانيكية محل اليد العاملة وصار الانسان يعتمد على البخار والكهربائية وقوى الطبيعة بحيث إن يده فقدت كل ما كان لها من مزية . ولكى تعلم مقدار انتشار الآلات الميكانيكية نقول ان فى الولايات المتحدة فقط آلات يبلغ مجموع قوتها الف مليون حصان ، وهى قوة هائلة تفي بجميع حاجات البشر . ولو

اردنا استبدال هذه القوة بالايدى العاملة لاحتجنا إلى عشرة آلاف مليون من البشر أى إلى خمسة أضعاف سكان العالم فى الوقت الحاضر . والاحصاءات الرسمية تدل على انه إذا استمر نطاق النظام الآلى يتسع بالمعدل الذى قد اتسع به حتى الآن فلن ينقضى العام الآتى (عام ١٩٣٤) حتى يصبح عدد العاطلين فى الولايات المتحدة خمسة وعشرين مليوناً

فالتكنوقراطية اذن تطلب اعادة النظر فى نظام العالم الاقتصادى وتسعى الى توجيهه توجيهاً جديداً . وهى تقول ان الآلة الميكانيكية قد طردت الانسان من عمله وقذفت به الى الفاقة فلم يبق له أمل فى استرجاع مقامه . ولكن لا أقل من التحكم فى كمية الانتاج ونوعه حتى لا تشتد الضائقة تعقيداً . ولا يخفى أن متوسط عدد الساعات التى يشتغلها العامل الاميركى فى العام الواحد يبلغ نحو الف وستمائة ساعة . فلو اننا خفضنا هذا المتوسط الى ستمائة وستين ساعة فقط وقصرنا العمل على الرجال الذين تختلف اعمارهم من ٢٥ الى ٤٥ سنة فقط وجعلنا نوع الانتاج أحط بقليل مما هو الآن ولم نسع الى تحسينه لتمكنا من التغلب على هذه الازمة التى يئن منها العالم اجمع . وهذا ما تريد التكنوقراطية اتمامه . أما السعى لتحسين نوع السلع وجعلها أمتن فاساءة كبيرة الى النظم الاقتصادية الصحيحة

التكنوقراطية الاشتراكية

وللتكنوقراطية وجه آخر هو أقرب ما يكون الى الاشتراكية لولا أن لاصلة بينه وبين السلطة السياسية . فالتكنوقراطيون يقولون ان الاستسلام الى النظام الآلى سيفضى الى اشتداد الصراع بين طبقة العمال وأصحاب الاموال إلا اذا وقع انقلاب يضع حداً لذلك الصراع . وهذه حالة تمثل لنا النظام الاجتماعى مريضاً . ولعلاج هذا المرض يقترح التكنوقراطيون طريقة هى أقرب الى الاشتراكية منها الى غيرها . وهذا الاقتراح يقضى بالعدول عن نظام النقد المعدنى ، وباعتبار الانتاج بمنزلة الثروة الحقيقية ، على أن ينظم هذا الانتاج ويشرف عليه الفنيون . وفى هذه الحالة يستفيد الجمهور كله من «العملة» الجديدة أى من الانتاج ، وبمقتضى هذا النظام يتعهد جميع الافراد الذين تختلف اعمارهم من ٢٥ الى ٤٥ سنة بالعمل مدة يومين فى كل أسبوع بمتوسط اربع ساعات فى اليوم (أى ٨ ساعات فى الاسبوع أو نحو اربعمائة ساعة فى السنة) . فمجموع عملهم هذا يوازى العمل الذى تقوم به جميع الايدى العاملة فى البلاد . اى أن كمية انتاجهم تعادل الكمية التى تنتجها البلاد فى الوقت الحاضر . وهذا الانتاج يفى بحاجة كل فرد ويكفى لاستمرار تجارة الصادرات . وهو باعتبار اميركا مثلا بمنزلة ثروة عشرين الف دولار بالعملة النقدية لكل فرد من افراد الشعب الاميركى

ومما يجدر بالذكر ان جماعة من التكنوقراطيين فى اميركا يقومون الآن بجمع الاحصاءات

الدقيقة وبوضع الرسوم «الغرافية» لاثبات نظرياتهم ، وجامعة كولومبيا الاميركية تقدم لهم جميع التسهيلات التي يحتاجون اليها وهم يشتغلون ليل نهار لجمع البيانات المؤيدة لمذهبهم الجديد. ويعتقدون اعتقاداً راسخاً أن النظام الاقتصادى الحالى لايمكن أن يثبت طويلا ، وانه قد بدأ يتداعى منذ بضع السنوات الماضية ، ولن تنقضى بضع سنوات اخرى حتى يزول تماماً

ومن أشهر زعماء التكنوقراطية فى أميركا اليوم سكوت وستينمتز وفبلين ، وقد ألفوا فى سنة ١٩٢٠ جمعية « الاتحاد الفنى » بقصد درس النظم الاقتصادية الحالية واصلاح ما بها من عيوب. وهم يقولون ان كل نظام مالى أو اقتصادى أساسه فائدة أصحاب الاموال فقط يجب ان يزول ويحل محله نظام ينظر فيه الى فائدة المستهلك والمنتج معاً . وليس من الحكمة تضييق نطاق الانتاج طمعاً برفع السعر بل يجب بالعكس توسيعه وترويج الانتاج بخفض الاسعار الى مستوى يكون فى متناول الجمهور . ورواج الانتاج فى مصلحة المستهلك قبل ان يكون فى مصلحة المنتج ، لانه دليل على ان الايدى العاملة تعمل وليست عاطلة والا ما تسنى مواصلة الانتاج . ولكن كيف يروج الانتاج اذا لم تكن الاسعار فى متناول الجميع ؟ بل كيف يتفق الرواج وغلاء الاسعار ؟ أضف الى ذلك أن الانسان لايفرط بالسلعة الغالية الثمن بل يحافظ عليها جهد المستطاع ومثل هذه المحافظة لاتتفق مع الرواج . اما السلع الرخيصة فضلا عن كونها فى متناول الجمهور لاتدعو الى التشدد فى المحافظة عليها والضن بها بل ان فى الاقبال عليها مدعاة الى الرواج ، وهو جل غاية التكنوقراطيين

الاسراف فى مصلحة الرخاء

ولعل قراء الهلال يذكرون المقالة التى نشرناها فى أحد أجزاء الهلال بمجلد السنة الماضية وضمناها نظرية جديدة للمستر هنرى فورد أغنى أغنياء العالم . ومؤداها ان الاسراف من أكبر عوامل الرواج والرخاء وان الامة التى تنفق وتسرف تتمتع بالرخاء أكثر من الامة التى تقتر على نفسها . ولسنا نقصد هنا بالاسراف تبذير الاموال بلا غاية بل انفاقها فى شراء كل ما يحتاج اليه الانسان وعدم طمرها أو خزنها أو الضن بها . نعم ان الاقتصاد صفة محمودة والمثل العامى يقول : « خبىء قرشك الابيض لليوم الاسود » . ولكن الناس يسيئون ويا للأسف تفسير هذا المثل ويتذرعون به لستر بخلهم وانكار ما يعرف عنهم من الميل الى الشح

على ان الاسراف ، كما سبق الشرح ، لا يتفق مع غلاء الاسعار . ومن حسن الحظ ان هناك عاملا معنوياً يحول دون انتاج السلع الغالية وهذا العامل هو « الزى » الذى تسميه العامة « الموضة » وهو من أقوى أسباب الرواج لانه يتطلب تغييراً مستمراً . فلنفرض ان رجلا اشترى اوتوموبيلا وبعد سنتين تغير زى الاوتوموبيل فصاحبه مضطر لمجاشاة الزى وشراء اوتوموبيل جديد . وهذا

هو السبب فى ان المصنوعات المتينة قلما تتفق مع سير الزى لانها تعمر كثيراً وتبقى بعد زوال « موضتها » . وهذه الحقيقة لا تخفى على أصحاب المصانع فانهم يحسبون حساب تطور الزى فيقدرون لمنتجاتهم اعماراً لا تمتد الى ابعد مما يمتد عمر « الموضة » . فالموضة اذن من اقوى عوامل الرخاء . والتكنوقراطيون فى العالم يعولون كثيراً على هذا العامل ويتوسلون به لتعميم الرخاء . وهم يعلمون ان النظم الاقتصادية ليست كالنواميس الطبيعية نظما ثابتة لا تقبل التغيير أو التعديل بل هى قابلة للتطور ، ومن مصلحة الاجتماع تنقيحها من وقت الى آخر لكى تكون اتم انطباقاً على مقتضيات الاجتماع . وقد قام العالم بعدة تجارب من هذا القبيل ، كجرب « رأس المالية » والمالية الفردية والاشتراكية والشيوعية وغيرها . فلا يضيره الآن ان يجرب التكنوقراطية ايضاً إذ لا يبعد ان يكون أكثر النظم الاقتصادية انطباقا على حالة البشر فى اوقات الشدة والازمات

من ثمار التجارب

ـــ إن الحظ أشبه شيء بعاصفة تهب وتدفع بالسفينة الى الميناء ، فاذا لم يكن الربان ماهراً كان من المحتمل جداً أن تتحطم السفينة على الصخور . ولذلك أقول دائماً إن حسن الحظ يقتضى من العناية والحكمة والمهارة اكثر مما يقتضيه سوء الحظ

(محمد على باشا الكبير)

• • •

ـــ كن فى أيام فاقتك أعف منك فى أيام غناك فان الفقير أقرب للتهمة

• • •

ـــ لو خلت النفوس من الطمع لخلا المجتمع من المنازعات

• • •

ـــ الناس بعضهم لاينفك محتاجاً الى بعض فلا تغتر بغناك يوماً عن الناس

الازل والابد

بدء الوجود المادي ونهايته

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

متى شرع عقل الطفل يتكون تبدأ صور المادة تنطبع فيه. ولا يكاد يتكامل حتى ينطبع فيه تصور الحيز (المكان) الذى تشغله المادة أو يمكن ان تشغله. فاذا رأى الولد كتاباً على مكتب، ثم بعد هنيهة نظر الولد الى المكتب ولم ير كتاباً (لان الكتاب أخذ عن المكتب) يبقى فى ذهنه تصور لموضع الكتاب. وهكذا يدرك تدريجياً معنى الحيز أو المكان. وعلى تمادى الايام اذ تتوسع مخيلته وتكثر المطبوعات فيه يرسخ فى ذهنه تصور المكان تارة مشغولا بمادة وأخرى خالياً منها. ثم يلاحظ أن الكتاب كان على المكتب حين كان هو جالساً اليه. ثم قام وخرج ثم عاد فاذا الكتاب غير موجود. فيشعر أن وجود الكتاب على المكتب كان سابقاً لخلو الكتاب منه. يدرك أن وجوده كان امراً ماضياً وان خلو المكان منه صار امراً حاضراً، هكذا يدرك معنى الحاضر والماضى. وعلى تمادى الايام تنطبع فى ذهنه صورة المادة والمكان والزمان. ومتى نضج عقله ممتلئاً من الاختبارات يكون قد ادرك معنى الحركة ومعنى القوة المحدثة الحركة ايضاً. بعد ذلك نسأله : هل تستطيع أن تتصور العدم ؟

التصور المستطاع

بل أسأل القارىء الآن وقد استوفى عقله كل هذه التصورات : هل تستطيع أن تتصور عدم الوجود، من مادة ومكان وزمان - عدم وجود شيء بتاتاً ؟ اظنك مهما اعنت فكرك فلا يمكنك أن تتصور عدم وجود الفضاء (أو الحيز) على الاقل. يمكنك بصعوبة كلية أن تتصور، ولو لحظة، عدم وجود مادة بتاتاً، أى فراغاً خالياً غير محدود. وأما عدم وجود فضاء فلا تستطيع أن تتصوره. قلت مدة لحظة يمكنك أن تتصور فراغاً مطلقاً. واما ان تتصور عدماً مطلقاً فامر مستحيل

يستحيل أن تستطيع تصور عدم وجود مكان وعدم وجود مادة فيه. لان تصور العدم عدم. وبعبارة أخرى، لاتصور، بتاتاً حيث لاوجود لشىء يتصور. فى حالة طروء العدم

المطلق على الذهن (لو امكن ان يطرأ) يكون الفكر معدوما كما لو كان فى حالة النوم العميق. وبعبارة أخرى أيضا التصور والعدم لا يجتمعان

كذلك اذا استطعت ان تتصور فراغاً مطلقا لحظة يستحيل أن يستمر هذا التصور. بل يستحيل هذا التصور بتاتاً إلا اذا تصورت فراغاً محدوداً بحدود مادية محسوسة. وحينئذ يكون تصور الفضاء مقروناً بتصور مادة تحده. اذاً لا تستطيع تصور الفضاء إلا بوجود مادة فيه. فان امكن ان تنتفى المادة وتضمحل لا يبقى لوجود الفضاء المطلق معنى أو يكون غير موجود. اذن تصور الفضاء يتوقف على تصور وجود المادة أولا. وكما انه يتعذر جدا تصور عدم وجود المادة يتعذر ايضا تصور الفضاء خاليا من المادة

اذن لابد ان يلوح فى مخيلتك دائماً وجود مادة تشغل حيزا من الفضاء. لان العقل مطبوع على تصور المادة والمكان الذى تشغله. العقل نشأ بهذا الانطباع. ولذلك لا يستطيع أن يتجرد منه

تصور الزمن

قلنا إن من جملة ما أدركه العقل هو الحركة، حركة المادة فى المكان، أى انتقالها من حيز الى حيز آخر. فهل تستطيع أن تتصور عدم وجود الحركة؟ ـ قد تستطيع لانك ما أدركت حركة مادة إلا بنسبتها الى مادة أخرى تتراءى لك انها ساكنة. أدركت انتقال الكتاب عن المكتب لانك رأيت ان الكتاب غير موجود بعد ان كان موجوداً وان المكتب بقى موجوداً. الكتاب تحرك من مكانه والمكتب بقى ساكنا بالنسبة اليك. اذاً يمكنك ان تتصور الكون كله ساكنا لاحركة فيه

اذن، اذا تصورت السكون المطلق، أى اذا استطعت ان تتصـــور الاجرام وسائر أجزاء المادة التى تشغل الفضاء ساكنة سكوناً مطلقاً واستطعت أن تنفى من مخيلتك تصور الحركة أو ان تجرد مخيلتك من أى معنى للحركة ـ فحينئذ لا يبقى فى ذهنك معنى للماضى والمستقبل ـ ينتفى من ذهنك الزمن

الزمن غير موجود

واذن، مع امكان تصورك وجود المكان والمادة التى تقيم فيه يمكنك ان تتصور عدم وجود الزمن اذا تصورت السكون المطلق. واذا استطعت تصور عدم وجوده فهو اذن غير موجود وجوداً ذاتياً مستقلا كوجود المادة والحركة، بل هو موجود كصفة للحركة فقط. فنقول ان وجود هذا الكتاب على المكتب كان قبل وجوده فى المكتبة أو صار بعد وجوده

فيها . فبين « قبل » و « بعد » كانت حركة انتقال الكتاب من مكان الى مكان . هذه الحركة نعبر عنها بفترة الزمن . فالزمن اذن ليس إلا تصوراً لمدة الحركة . ماهو بنفسه شيئاً ذاتياً مستقلا ، بل هو تعبير عن مقدار الحركة فقط . والحركة ايضا يمكن ان تكون تعبيراً عن مقياس الزمن.

معنى الزمن

اذا قلت : كنت فى الساعة الاولى فى السوق وفى الساعة الثانية فى البيت فماذا تعنى ؟ - تعنى ان انتقالك من السوق الى البيت عادل انتقال عقرب الساعة من رقم ١ الى رقم ٢ فى دائرة الساعة . وماذا تعنى بانتقال العقرب من رقم ١ الى رقم ٢ ؟ - تعنى ان هذا الانتقال يعادل حركة الارض جزءاً من ٢٤ جزءاً من دورتها على محورها

فترى ان مدة انتقالك من السوق الى البيت التى تعبر عنها بساعة من الزمن مساوية لمدة تحرك الارض جزءاً من ٢٤ من دورتها . فكأنك تقول ان مدة انتقالك من السوق الى البيت هى بقدر مدة تحرك الارض ١ من ٢٤ من دورة كاملة ، وكأنك تقيس حركة بحركة أخرى . وما الزمن الذى نعبر عنه بالساعة والدقيقة واليوم الخ إلا وسيلة للمقايسة بين حركة وحركة . فمقدار اليوم هو دورة واحدة للارض على محورها . ومقدار الفترة بين شروق وشروق هو اليوم

فاذا كنا نقيس حركة مادة بحركة مادة أخرى فأين ما نسميه زمناً ؟ لقد اضمحل . فما كان إلا كيفية أو اصطلاحاً للتعبير عن الحركة . ولا وجود ذاتى له . فهو شبيه بالعملة الورقية التى لا قيمة لها بحد ذاتها وانما هى وسيلة لتسهيل المقايضة

وحاصل القول ان المكان والزمان لا وجود ذاتى لهما . وانما يتعين وجود المكان بوجود المادة . فاذا لم تكن مادة فلا مكان . ويتعين وجود الزمان بوجود الحركة (حركة المادة) فان لم تكن حركة (بل سكون مطلق) فلا زمان

اذن حقيقة الوجود هى وجود مادة متحركة . ولمـــا كانت الحركة نسبية أى انها تعرف بالنسبة الى حركة أخرى اعجل منها او ابطأ ، فالزمان والمكان نسبيان ايضا كما هو مشروح فى نظرية النسبية . لو اسرعت الارض بدورانها على محورها ضعفى سرعتها المعتادة لبقى اليوم ٢٤ ساعة لاننا اعتبرنا الساعة ١ من ٢٤ من دورة الارض على محورها . وحينئذ لا نعرف ان الارض ضاعفت سرعتها . وان رأينا ساعتنا تسجل ١٢ بدل ٢٤ بين ظهر وظهر مثلا حكمنا ان آلة الساعة اختلت ويجب ان نصلحها . وانما نعلم ان سرعة الارض تغيرت اذا قارناها بسرعة سيار آخر كالمريخ مثلا ، اذا بقى هذا محافظا على سرعته

ولكن تصور أن جميع السيارات والاجرام المتحركة ضاعفت سرعتها فلا نستطيع ان نكتشف تغير سرعتها هذا ، وتبقى مدة الزمن عندنا كما هى . فالزمن اذاً نسبى كالحركة لانه ليس

إلا طريقة للتعبير عنها فقط . لذلك لو سكنت كل حركة فى الكون ، أو لو تصورنا الكون كله ساكناً لأصبح الزمن فى ذهننا عدماً لاوجود له ، اذ لا يبقى فى يقيننا فى بحر السكون ماض ولا حاضر ولا مستقبل

واذا كان سر الزمن أو لبابه هو الحركة ، والحركة تشغل مسافة فى المكان ، فالزمن اذاً انما هو تعبير عن هذه المسافة ، أو هو يقاس بها تارة وهى تقاس به اخرى . فاذن الزمن مسافة مكانية فعلا تعبرها المادة المتحركة . واذا كان للحيز ثلاثة أبعاد فمسافة الحركة فيه التى يعبر عنها بالزمن هى بعد رابع للحيز المتضمن الحركة

اللانهاية الزمنية

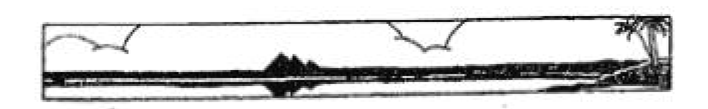
بعد ان فهمنا معنى الزمان (والمكان أيضاً) وبعد ان علمنا ان لا سكون مطلقاً فى الكون . بل ان المواد فيه من اجرام وذرات وكهارب متحركة حركات متفاوتة فى السرعة وتعرف بتناسبها بعضها الى بعض ـ لا بد أن يلوح فى بالنا ان نتساءل : كيف نشأت هذه المادة ؟ ومتى شرعت تتحرك ؟ وبأى قوة تحركت ؟ وهنا تنتصب أمام أعيننا مسألة اللانهاية الزمنية

يقولون « الازل » و « الابد » اى ان الكون غير متناه فى قدمه ولا هو متناه فى مستقبله . والمتمادى فى تصور الزمن يقول : لا أستطيع ان اتصور بداية للزمن ولا نهاية له . فاذا قلت ان الكون ابتدأ منذ عشرة ملايين مليون سنة فلا بد ان يخطر لى ان اسأل : ماذا كان قبل ذلك ؟ واذا قلت إنه سيضمحل بعد مائة مليون مليون سنة فيخطر لى ان اسأل : فماذا يكون بعد ذلك ؟ لا استطيع ان اتملص من قول « قبل » و « بعد » ، مهما تماديت فى تصور الماضى والمستقبل

هذا ما يلوح فى بال كل انسان لانه يتصور الزمن ذا وجود مطلق مستقل . فاذا نقح تصوره واعتبر أن الزمن ليس الا تعبيراً عن الحركة فلا يعود يستصعب عدم تصور شىء سابق لبداية الوجود المادى ولاعدم تصور شىء يبقى بعد نهاية هذا الوجود

الزمن يبتدىء مع الوجود المادى وينتهى به اذا كان للوجود المادى بداية ونهاية . وهنا تنتصب امامنا قضية بدء الوجود المادى ونهايته وهى موضوع مقال آخر

(شبرا . مصر) نقولا الحداد



آداب الاجتماع فى اوربا وأميركا

نظر الاوربي والاميركي الى المرأة والعلاقات الجنسية

تختلف الآداب فى الغرب عما هى عليه فى الشرق ، وتتلاءم فى كل مكان مع عادات الناس وتقاليدهم . فهى اذن نظام نسبي يختلف باختلاف المكان والزمان . فما يتنافى مع المألوف فى الشرق قد يتفق معه فى الغرب . وما يعتبر جنوحاً الى الرذيلة عندنا قدلايكون كذلك عند الغير . وهذا دليل على ان الآداب تتطور وانها تتكيف بحسب البيئة وظروف المكان والزمان

وقد زار أحد النقاد الاميركيين أوربا ودرس الآداب فيها عن كثب ثم عاد إلى بلاده ونشر مقالا بخلاصة بحثه فى مجلة سكريبنر وذكر على سبيل التمهيد لموضوعه انه لما كان فى احدى عواصم أوربا قرأ فى احدى الصحف خبراً مؤداه ان خليلة أحد الرجال الاغنياء قتلت عشيقها فى نوبة من نوبات الغيرة واذ حاول الشرطة القبض عليها أبت ان تسلم اليهم فما كان من أحدهم الا أن أطلق عليها عياراً فقتلها روت الصحف هذا الخبر كأنه حادث عادى ولم تعلق عليه بشيء . وأشارت جميعها إلى خليلة ذلك الغنى كأن وجودها أمر لايخرج عن المألوف وكأنها شخص عادى كالزوجة أو البنت أو الاخت أو الحفيدة . ولم يخطر ببال تلك الصحف أية فكرة عن العلاقات الجنسية وما هو محلل منها أو محرم . ولو وقع ذلك فى الولايات المتحدة ولم تقتل الخليلة لشغلت الصحف اعمدتها فى الكلام عليها ولغطت بحكايتها مدة طويلة ولتلقت تلك الخليلة الوفاً من الرسائل من أنحاء البلاد المختلفة لتهنئتها أو لاظهار العطف عليها أو لطلب الاقتران بها أو ما إلى ذلك . بل لعرضت عليها الصحف كتابة مذكراتها لقاء أجر مالى عظيم . اما فى أوربا فقد مر ذلك الحادث بلا ضجة لان الناس هنالك ينظرون إلى مثله كما ينظرون إلى أى شيء عادى لا يستحق أن يضيع الوقت فى الكلام عليه

يبحث كاتب هذا المقال في الفرق بين آداب الاوربيين وآداب الاميركيين، ويبين وجوه الاختلاف في نظر الفريقين الى بعض مناحي الحياة . وبالاجمال فهو يقدم للقارىء صورة واضحة لنفسية الامم التي هي الآن عنوان حضارة العالم ورقيه الادبي والاجتماعي

ثم ان حادثاً مثل هذا يكفي فى أميركا والبلاد الانجلوسكسونية للقضاء على مستقبل الرجل الذى وقع بسببه ، فاذا كان هذا الرجل من أهل السياسة لم يبق له اى مطمع فى تقلد منصب يخدم به دولته أو وطنه ، واذا كان من رجال المال قوطع فى الدوائر المالية مقاطعة تامة ، واذا كان من المعروفين فى الدوائر الاجتماعية كان ذلك الحادث سبباً فى عزله وانقصائه عن الحفلات والاجتماعات . ولهذا تجد الناس فى تلك البلاد يحافظون على سمعتهم الادبية أكثر من محافظتهم على أموالهم.

أما فى أوروبا فان الرجل الذى يقع مثل ذلك الحادث بسببه لا يناله أى عقاب ، وقلما تعنى الصحف بتعليق أى شأن على العلاقات الجنسية التى قد تكون سبب ذلك الحادث . وموقفها هذا دليل على نفسية الجمهور . نعم قد تشير الصحف تلميحاً أو تصريحاً إلى تلك العلاقات ، ولكن اذا جد الجد وطرح امر الرجل على أهل وطنه لم يكن لعيشته الخاصة ، أى تأثير فى الحكم الذى يصدرونه عليه . وكثيراً ما يقلدونه اسمى مناصب الدولة اذا توسموا فيه الخير ، غير عابئين بما قد يكون من ماضيه أو حاضره لانهم يعتبرونه حراً فى أمر نفسه

ولعل الفرق بين آداب الاوربيين وآداب الاميركيين والانجلوسكسون يظهر على أشده فى مسألة البغاء . فاوربا بوجه الاجمال تبيح احتراف البغاء . نعم ان هنالك بلداناً لا تبيحه ، ولكن معظمها يعتبره مهنة يجوز للمرأة مزاولتها بقيود خاصة تتعلق بالسن والمكان والصحة وما الى ذلك

وقد اتفق لكاتب هذا المقال انه فى أثناء اقامته باحدى مدن فرنسا كان يتردد الى احدى القهوات عند المغرب فلا يكاد يأخذ مجلسه حتى يرى حواليه عدة نساء من أولئك اللواتى وصفهن توماس الصغير بقوله انهن « لسن عذارى ولا امهات » ووصفهن سليمان الحكيم « بالاجنبيات » وكن يترددن الى تلك القهوة كما يتردد غيرهن ، ويجلسن فيها من دون أن يلفت وجودهن الانظار ، ذلك لان الشعب الفرنسى لا يرى فى وجودهن فى مثل ذلك المكان شيئاً غير عادى ، بل بالعكس يراه أمراً مألوفاً كوجود أى زائر آخر هنالك . وكثيراً ما تجلس تلك « الاجنبيات » بجانب الاوانس وربات المنازل حتى ليحدث أن يختلطن معاً ولا يرى الجمهور حرجاً فى ذلك

أما فى اميركا والبلاد الانجلوسكسونية فان الجمهور ينظر الى أولئك « الاجنبيات » نظرة الريبة ويعتبرهن احقر الساقطات . والاعتقاد الشائع هو ان جميعهن يهلكن فى نضارة الشباب أو يمتن من الجوع . والواقع فى أوروبا بوجه عام - وفى فرنسا بوجه خاص - يخالف هذا الاعتقاد فان الكثيرات من أولئك الساقطات يجمعن شيئاً من المال يعولهن فى الكبر ، ثم ينقطعن عن مزاولة عملهن فيشترين حقلا يستغللنه بزرع البقول والفواكه وتربية الدواجن وصناعة الزبدة وما الى ذلك مما يقيهن غائلة الفقر.

بل هنالك ماهو أغرب من ذلك فى نظر الاميركى والانجلوسكسونى ، فقد توفق تلك « الاجنبية » الى زوج يحبها ويقترن بها ثم يوحد الاثنان جهودهما للعمل والكسب من دون ان تخفى المرأة حقيقة ماضيها ، لانها تعلم ان زوجها لن يحاسبها عليه كما انها لن تحاسبه هى على ماضيه ! وهى اذا وفقت الى زواج كهذا قد تعيش مع جيرانها على اتم الصفاء ، ولا يتغامزون عليها كما يفعلون فى الولايات المتحدة

ثم ان اعتزال امرأة كهذه الى حقل من حقول الريف يعتبر فى اميركا والبلدان الانجلوسكسونية بمنزلة تكفير عن الحياة السابقة ، وجيرانها فى الريف ينظرون اليها نظرة ريبة ويساعدون على جعل كفارتها أشق ماتكون ، وذلك بمقاطعتها واستفزاز الناس الى اجتنابها . أما فى أوربا فالفرصة تتاح لها لتتوب توبة حقيقية - اذا كانت نفسها من عنصر طيب - وتقضى البقية الباقية لها من العمر بعيشة هادئة

* * *

ومن الناس من يعتقدون ان المرأة فى أميركا والبلدان الانجلوسكسونية محترمة أكثر مما هى فى أوربا بوجه الاجمال . وهذه الفكرة لاتخلو من خطأ فان فكرة المساواة بين الرجل والمرأة أقرب الى التحقيق فى أوربا منها فى اميركا وانجلوسكسونيا . والاوربى يرى الاجحاف كل الاجحاف فى احتقار الاميركى للمرأة الاجنبية وانكاره لكثير من حقوقها واباحته للرجل مالا يبيحه لها

ثم ان طريق الفضيلة فى أوربا معبد امام المرأة « الاجنبية » لتسلكه اذا أرادت التوبة . أما فى أميركا والبلدان الانجلوسكسونية ، فذلك الطريق موصد فى وجهها سواء أرغبت فى التوبة أم لم ترغب . وقول المسيح فى الدفاع عن المرأة الساقطة : « من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر » لايردد إلا تحت قباب الكنائس ، وأما فى الخارج فلا يعمل به . وبناء عليه ففرصة التوبة سانحة للمرأة « الاجنبية » فى اوربا . والاوربى يرى وجودها على مقربة منه امراً طبيعياً لا يلفت النظر ولا يدعو الى ريبة ، بل هو يعتبر مثل هذه الريبة مظهراً من مظاهر الرثاء .

* * *

وانظر إلى حقوق المرأة السياسية والمدنية والسن التى تعتبر فيها المرأة بالغة تستطيع فيها التمتع بكل مالها من حقوق . فهذه السن تكاد تكون فى أوربا هى هى للرجال والنساء . أما فى اميركا وانجلوسكسونيا فليست كذلك ، لأن مساواة الرجل للمرأة ليست معترفا بها إلا نظرياً فقط . نعم ان الفتاة فى أميركا تنزل إلى ميدان الاعمال وتبارى الرجل فى كل مناحى الحياة . ولكنها تفعل فى أوربا ايضاً مثل ذلك وان يكن مظهر عملها فى أوربا يختلف عن مظهر عملها فى اميركا والبلاد الانجلوسكسونية . وتفصيل ذلك أن عملها فى اوربا يعتبر تحريراً لها واعترافاً

بما لها من الحقوق المدنية والادبية والاجتماعية حالة ان عملها فى أميركا «وانجلوسكسونيا» يعتبر تحريراً لوالديها واعفاء لهما من تبعة اعالتها والانفاق عليها وتربيتها ومراقبتها

وبعبارة اخرى ان الفتاة فى اميركا متى بلغت سناً معلومة أطلق لها والداها حرية الدخول والخروج والعمل، ليس لانهما يعترفان بانها قد اصبحت اهلا للاعفاء من القيود التى كانت مثقلة بها، بل لانهما يريان ان لهما الحق فى التخلص من التبعة التى كانت تبهظ عاتقهما وهى تبعة تربية الفتاة وتعليمها ومراقبتها. أما فى اوربا فان الوالدين يطلقان لابنتهما حرية العمل لانهما يعترفان ببلوغها السن التى تكتسب فيها حقوقا معينة

* * *

وهنالك وجوه اخرى تختلف فيها آداب الاميركيين والانجلوسكسونيين مما لا يتسع له هذا المجال. وهذا الخلاف ناشئ عن خلاف ظاهر بين النفسيتين يظهر فى كل منحى من مناحى الحياة. فالشعب الاميركى ينظر الى تجارة المسكرات مثلا نظرة ريبة، حالة ان اوربا تنظر اليها كأنها تجارة عادية. والشعب الاميركى يقول ان المحافظة على آداب الشبان تتم بتجنيبهم طرق الرذيلة وكتمانها عنهم. اما الشعب الاوربى فيقول ان تجنيب طرق الرذيلة لا يكون بكتمانها بل بفضحها واظهار فظاعتها. ومن العبث مقاومة الرذيلة بالطرق السلبية او محاولة التحكم بالميول الغريزية. والافضل مقاومتها بالطرق الايجابية وباظهار مزايا الفضيلة

هذه نظرة موجزة فى الفرق بين آداب شعبين هما الآن عنوان حضارة العالم ورقيه الادبى والاجتماعى

أقوال في المرأة

— تيه المرأة جزء من وظيفتها «روسو»

— بعض النساء جديرات بأشد الاعجاب لو لم يعلمن أنهن جديرات به «ماريفو»

— لا تقنع المرأة بالمديح متى شاركتها فيه امرأة أخرى «مدام دى جيراردان»

— متى أحبت المرأة فانها لا ترى غير حبيبها. فكل ما فيها من رأفة وحنان ووداد وطيبة وتضحية يوجه اليه - اليه وحده «الفونس دوده»

— إذا ذاقت المرأة طعم الحب لم تستلذ الصداقة «لا روشفوكو»

— قد ينقاد الرجل لهواه، أما المرأة فتنقاد لاهوائها: هذا يتبع مجرى شديداً وتلك تتلاعب بها مجار متناقضة «ريشتر»

— عرفت مئات من النساء تستطيع حملهن على عض الحديد الحامى ولا تستطيع اقناعهن بالتخلى عن رأى أبدينه فى ساعة الغضب «مونتاين»

لماذا نخاف الموت
وكيف نعالج هذا الخوف

لاشك في ان كل انسان يخاف الموت. فكيف نشأ هذا الخوف ؟ وما هي اسبابه ؟ وما الوسيلة لتلطيفه ؟ هذا ما يعالجه كاتب هذا المقال . وقد استعان في بعض ذلك برسالة للفيلسوف العربي الشهير « ابن مسكويه » أحد فلاسفة القرن الرابع الهجري

قبل أن نطرق هذا البحث لابد أن نشير الى اننا سنصل الى ان الموت الطبيعي لا ألم له ، وان الخوف منه انما هو وهم باطل يخالج النفس ويعكر عليها صفاءه الحياة كلما تذكرت نهايتها بهذا الحدث الدنيوى الذى هو نهاية كل حى . ونعنى بالموت الطبيعي الذى يحدث بفناء القوى الجثمانية من أمراض تعترى الجسم أو من توقفها فجأة وعدم قدرتها على القيام بوظائفها . أما الموت الذى يحدث بسبب الانتحار أو بعارض آخر كجناية قتل أو صدمة قطار أو انهيار منزل أو غرق أو احراق ، فلا مشاحة فى انه مؤلم وانه مخيف حقاً

ويجب أن نتكلم عن الخوف أولا وعن منشئه . وللقدماء والمحدثين فى ذلك اراء كثيرة . وهو على كل حال يعرض من توقع مكروه وانتظار محذور . ولكن لماذا نتوقع المكروه وننتظر المحذور وهما من الامور الممكنة التى تحدث أولا تحدث ؟

والجواب عن ذلك ان الانسان وجد فى هذه الحياة وهو محاط بكثير من القوى الطبيعية التى تغالبه ، وأنواع الحيوان التى تنازعه البقاء . وكان لا بد له ـ وقد فطر على حب الحياة كما فطر عليها كل حى ـ ان يكافح هذه القوى المختلفة ، فاما غلبته واما تغلب عليها . وقد ذهب ضحية هذا الكفاح بين الطبيعة والانسان ، وبين الانسان والحيوان ، أرواح انسانية كثيرة عذبت وتألمت وفقدت هذه الحياة التى كانت تحرص عليها وتكافح من أجل الاحتفاظ بها

ورأى الانسان ماحل باخيه الانسان من هذه الحوادث المحزنة وذاك الصراع المؤلم ، وشاهد قبل تحضره كيف تختلس الحيوانات المفترسة غفلته فى الظلام وفى الاماكن الموحشة فتفترسه ، أو تختطف اطفاله أو تغتصب مادة حياته ، فنشأ عنده الحذر منها وصار يخشى أن يقع فريسة لتلك المخاطر وأخذ يتجنب السير فى الظلام وفى الاماكن الموحشة . وجعل يحذر اطفاله من السير ليلا أو فى تلك الاماكن حتى لا يعرضوا أنفسهم لافتراس الحيوانات المختلفة ، وصار يروى لهم القصص المخيفة ليزيد فى تحذيرهم ، فرسخ هذا الحذر فى نفوسهم ، وانتقل الينا بواسطة العقل الباطن ، فورثناه نحن فيما ورثناه من طباعهم وأخلاقهم التى انتقلت الينا بهذه الواسطة . وأصبحنا على الرغم من وسائل الأمن المختلفة نخشى الانفراد حتى فى الأماكن المعمورة ونستوحش من الظلام حتى فى غرفنا الخاصة ، وتهز اعصابنا تلك الخيالات القديمة التى كان

يتخيلها اسلافنا ، والتي انتقلت الينا في عقلنا الباطن . وهي في الحقيقة أوهام باطلة لايحسن التسليم بها . .

ولكن بقيت هناك أمور يخافها الانسان غير الظلام والأماكن الموحشة كفوات مطمع من المطامع أو ضياع شيء عزيز عليه . وأساس ذلك التشاؤم والانانية وحب النفس وكثرة التفكير في الاخفاق وعواقبه . ولو ان الانســان استشعر دائما التفاؤل ، وشغل نفسه بالأمل القوى والتفكير الصالح ، واطمأن الى انه ناجح في كل عمل يزاوله وفي كل مشروع يقدم عليه ، إذن لما وجد سبباً للخوف من فوات مطمع أو ضياع شيء منه

على ان كل أمر يخاف الانسان منه إما أن يقع أو لا يقع ، أي ان وقوعه وعدم وقوعه من الممكنات التي تتساوى ، فلماذا يرجح وقوع مايخافه على عدم وقوعه ! وقد أحسن من قال :

وقل للفؤاد ان ترى بك نزوة من الروع أفرخ أكثر الروع باطله

الخوف من الموت وعلاجه

ولكن هناك أمراً يخافه الانسان وهو لا بد واقع ـ وهو الموت ـ فلماذا يخاف الانسان الموت ؟ وكيف نعالج هذا الخوف ؟

يخاف الانسان الموت لانه يجهل الموت ولا يدرى ما هو على الحقيقة ولا يعلم الى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن ان للموت ألما شديداً غير ألم الامراض التي قد تتقدمه وتؤدى اليه ، أو لأنه يعتقد انه سنحل به عقوبة بعد الموت ، أو لانه يأسف على مايخلفه من المال والمقتنيات . والسببان الأولان عامان عند جميع الناس ، فكل انسان يخاف الموت لأنه يجهل حقيقته ويجهل مصيره ويظن بل يعتقد أن للموت ألما شديداً غير ألم الأمراض التي تتغلب على الجسم وتفقده الحياة . أما السببان الآخران فقد يكونان عند بعض الناس دون البعض الآخر ، ففريق منهم يؤمن بالعقوبة ويخافها ويخاف الموت لاجلها ، وفريق منهم لا يؤمن بها ولا يعتقد انه سيعاقب بعد الموت كالدهريين والملحدين مثلا ، ولكنهم يخافون الموت أيضا . وكذلك الأسف على المال والمقتنيات ليس عند جميع الناس ، فقد يموت الشخص ولا مال عنده ولا ثمين يقتنيه ، فلماذا يأسف ؟ ومع ذلك فهو يخاف الموت ايضا ولو كان معذباً بالحياة ، ولو لم يكن عنده شيء يأسف على فراقه

والخوف لهذه الاسباب كلها لا يصح الاقتناع به ، وينبغي ألا يقع الانسان فريسته . لأن الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنا ، كما يترك الصانع استعمال آلاته . والنفس جوهر غير جسماني وهي ليست قابلة للفساد . ويؤيد هذا الرأى من الوجهة العلمية الآن علماء الارواح ، فقد برهنوا على اثبات بقاء الروح بعد مفارقة

الجسم وإمكان مخاطبتها بتجارب علمية وحوادث مشاهدة يغلب على الظن تصديقها ؛ بل قد تضطر الانسان الى تصديقها لأنها أصبحت ، عند هؤلاء العلماء ، من الحقائق الثابتة التي لا جدال في صدقها.

فاذا كنت تخاف الموت لانك تجهله وعلمت هذه الحقيقة ، هان عليك الموت واطمأننت الى هذا المصير الذي تتخلص الروح فيه من أدرانها الجسمانية ومتاعبها الدنيوية.

أما إذا كنت تخاف الموت لانك تعتقد أن له ألماً شديداً غير آلام الامراض التي تتقدم الموت فهذا اعتقاد لا أساس له ، لأن الألم يكون للجسم الحي المحتفظ بأثر الروح. والجسم انما يحس ويشعر بهذا الروح ، فاذا صدم أو جرح أو حدث له حرق أو مرض تألم لأن احساسه موجود بوجود روحه . أما الموت فانه زوال لهذا الاحساس ، وفراق لما كان يحس به ويتألم . ولهذا فان المحتضر لا يشعر بآلام عند مفارقة الروح ، ويؤيد ذلك استسلامه وهدوؤه ساعة خروج الروح ، فلا ترى له حركة ولا تسمع له تأوهاً ولا أنيناً كما كنت تشاهد ذلك منه قبل ساعة الموت . ولهذا فان أي مرض من الأمراض مهما قل شأنه يشعر الانسان بألمه لبقاء روحه في الجسم . وهو جدير بأن يخافه الانسان لا ان يخاف من الموت . وقل ذلك في حركات المذبوح ، فانما يألم المذبوح ما دامت روحه في جسمه ، اما حين فراقها فانه لا يألم ولا يتحرك.

أما من يخاف الموت لأنه يعتقد أنه ستحل به عقوبة بعده ، فليس في الحقيقة يخاف الموت وإنما يخاف العقوبة . ومن اعترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو خائف من ذنوبه لا من الموت . ومن خاف العقوبة فالواجب عليه أن يحذر الذنوب.

أما من زعم انه يخاف الموت لانه يحزن على ما يخلفه من أهله وولده وماله ، ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها ، فهذا الذي يحزن هذا الحزن ويأسف هذا الأسف انما هو أناني محب لذاته ، واذا تذكر أن في الحياة إلى جانب هذه اللذة والمتاع آلاماً مختلفة ومفاجآت متنوعة ومتاعب تنغص عليه هذه الملاذ ، ثم إذا تذكر أن كثيراً ممن سعدوا في هذه الحياة بأموالهم وأولادهم قد فارقوا هذه الحياة ، وأن من بقي منهم فلا بد له من هذا الفناء ، وأن جميع من في الارض في تلك النهاية سواء — نقول إذا تذكر ذلك كله هان عليه الموت واحتقر هذه الحياة وثنى من عنان حرصه وطمعه .

وبعد ، فهل تجد بعد ذلك سبباً وجيهاً للخوف من الموت ، وهل تظن أنه مخيف حقاً ؟

انك اذا استعرضت ما أسلفناه وآمنت به فلست تجد في الموت ما يخيف ، ولست ترى ما كان عندك من الخوف إلا وهماً باطلا . وقاتل الله الوهم فانه يمثل الضعيف قوياً والقريب بعيداً والمأمن مخافة

طاهر الطناحي

من أسرار الحرب الكبرى

جمال باشا بين الارمن والحلفاء

أذيعت أخيراً في الاستانة وثائق تتعلق بالمخابرات التي تبودلت بين حكومة روسيا القيصرية وسفرائها في عواصم الحلفاء حول الاتفاق الذي أريد عقده بواسطة الأرمن بين جمال باشا والحلفاء لتنصيبه ملكا على سوريا لقاء التمرد على السلطان . وكاتب هذا المقال ينقل الى قراء الهلال شيئاً من هذه الوثائق مبينا الظروف التي أحاطت بها وما انتهت اليه من نتائج

مضى على انتهاء الحرب الكبرى أربعة عشر عاما ، وما يزال جانب كبير من اسرارها وخفاياها مدفونا فى صدور الساسة ومذكراتهم التى لم تنشر بعد . وبعض هذه الاسرار يتعلق بالمخابرات التى تبادلتها الحكومات فى اثناء الحرب أو قبلها . وهى محفوظة لدى كل دولة فى خزائن وزارة خارجيتها تحت مراقبة شديدة ، لم تقع عليها أبصار الباحثين بعد على الرغم من الجهود التى بذلوها للاطلاع عليها

واذا كانت بعض الدول قد حالت دون الوصول الى هذه الاسرار وحرصت على ابقائها دفينة لاغراض سياسية ، فهنالك دول أخرى رأت من مصلحتها ان تذيع هذه المخابرات من تلقاء نفسها دون ان تحمل المتنقبين عناء البحث . فقد نشر اقطاب روسيا الحمراء على أثر ثلهم عرش القياصرة وتوطيدهم دعائم نظامهم الشيوعى الحالى على اطلال العهد الأمبراطورى البائد — نقول نشروا صور المخابرات السرية التى دارت بين حكومة القيصر وحلفائها فى اثناء الحرب ، فأذاعوا بذلك اسراراً خطيرة اثارت ضجة عظيمة فى الأوساط السياسية ، فقامت الصحافة فى كل دولة تنقل الى قرائها ماله علاقة مباشرة بسياسة بلادها من تلك المخابرات معلقة عليها الفصول الطوال

ومن جملة الوثائق التى اذاعها الروس الحمر صور المخابرات التى تبودلت بين وزارة خارجية حكومة القيصر وسفرائها فى عواصم الحلفاء حول الاتفاق الذى اريد عقده بواسطة الأرمن بين جمال باشا والحلفاء لتنصيبه ملكا على سوريا وبقية ايالات تركيا الأسيوية المتحدة لقاء ثورته على السلطان وزحفه على الاستانة لاسـقاط حكومتها بحجة وجودها أسرى فى قبضة الالمان

وقد أذيعت هذه الوثائق أخيراً فى الآستانة ، فى ذيل مذكرات جمال باشا ، (١) الذى لم

(١) نشرت مذكرات جمال باشا بالعربية سنة ١٩٢٣ في مصر نقلا عن الانكليزية ، وقد وقع في هـذه الترجمة أغلاط وحرفت فيها بعض الاعلام . ولوساطة الانكليزية في نقلها فقدت كثيراً من روحها الاصلية التي لها

يشأ ان يبوح بشيء عن قضية العرش فى أثناء تدوينه حوادث سوريا فكان لها دوى هائل نظراً لما حوته من غرائب الاسرار

ولما كان ابناء البلاد العربية أحق من غيرهم بالاطلاع على المساومات التى دارت حول بلادهم أحببت أن انقل لهم صورة احدى هذه الوثائق التى لها علاقة مباشرة بالبحث بعد تنوير اذهانهم بايضاحات لا غنى عنها تمهيداً للموضوع

* * *

حاول جمال باشا فى مذكراته ان يتنصل من تبعة الكوارث التى نشأت عن هزيمة الجيش فى سوريا ، ولكن الواقع يدلنا على ان قسما كبيرا من هذه التبعة يقع على عاتقه وحده دون سواه . فبدلا من ان يتبع خطة المدافع فى جبهة سوريا منذ أول الحرب اشترك اشتراكا فعلياً فى الهجوم على قناة السويس وأعد العدة للزحف على مصر . وقد أدرك أخيراً فداحة الخطأ الذى ارتكبه فى هذا الشأن ولكن .. بعد فوات الأوان

ولما تكلم فى مذكراته عن الحوادث التى وقعت فى سوريا ، أشار الى الخلاف الذى كان قائماً بينه وبين انور باشا حول بعض الشؤون الحربية بصيغة تحمل القارىء على الظن بأن الخلاف نشب عام ١٩١٧ . والحقيقة ان الخلاف بين جمال باشا وانور باشا وطلعت باشا نفسه نشب من سنة ١٩١٥ ، ولم يكن سببه تباين النظريات أو اصطدام الآراء فى الشؤون الحربية فحسب ، بل كان نتيجة طبيعية لتنافس هؤلاء الأقطاب فى تولى زعامة الاتحاديين . وهذا التنافس كان له أثره الواضح المحسوس فى ادارة البلاد وسياستها الداخلية فى ذلك الوقت

فجمال باشا كان مخالفاً لسياسة الشدة التى سارت عليها حكومة الآستانة فى معاملتها الأرمن ، وقد حاول استرضاء النازلين منهم فى البلاد الداخلة ضمن منطقة نفوذه على قدر استطاعته وعمل على اكتساب قلوبهم ومحبتهم بشتى الوسائل

ويؤخذ من مضمون بعض الوثائق التى نحن بصددها ، أن جمالا بعطفه على الارمن كان يرمى ببعد نظره الى غاية سياسية معينة . وهنالك من يقول إنه كان يقصد من وراء هذه السياسة جر مغنم لنفسه

ويقول مذيل مذكرات جمال باشا الذى يرجع اليه الفضل فى اطلاعنا على هذه التفاصيل :

شأن كبير في أمثال هذه المذكرات السياسية . وهذا ما دعانا الى تعريبها رأساً عن التركية معتمدين الطبعة الحديثة التي ظهرت أخيراً في الآستانة بالأحرف اللاتينية مذيلة بوقائع خطيرة . وقد علق عليها بتعليقات وحواش على جانب عظيم من الفائدة خلت منها ترجمة مصر ، وسنشرع قريباً بطبع ترجمتنا مزدانة بالرسوم فنلفت اليها أنظار القراء سلفاً

« ان الروح القومية التى ظهرت أخيراً بين السوريين كانت فى ذلك العهد قد دخلت فى طور خطر ، ولهذا عمد جمال باشا الى اتباع نفس الخطة التى يتبعها الفرنسيون اليوم فى سوريا (كذا) ليحول دون ثورة السوريين على الحكومة ، وذلك بتسهيل وسائل السكنى لجاليات من الأرمن فى أنحاء مختلفة من سوريا لايجاد التوازن بين القوميتين العربية والأرمنية

وهذه النظرية سواء أكانت صحيحة أم كانت غير صحيحة هى التى حملت جمعيات الارمن الثورية على الانحياز الى جمال باشا والالتفاف حوله فى الوقت الذى كانت تبذل اقصى جهودها للعمل ضد الاتحاديين فى الاستانة

وما ان شعر الارمن بوجود اختلاف بين جمال باشا واركان الحكومة المركزية حتى هبوا لاستثارته فوجهوا جهودهم نحو هدف سياسى جديد . فقد استطاعوا بما بذلوه من المساعى الخفية أن يفوزوا بوعد اولى من الحلفاء بتنصيب جمال باشا ملكا على سوريا وبقية أقاليم تركيا الاسيوية ، على أن ينحصر العرش من بعده فى ذريته . ووضعوا مشروعاً خطيراً لحمل جمال على العصيان والزحف على الاستانة على رأس حملة يعضدها الحلفاء بالذخائر والمال لقلب الحكومة فيها وتسليم المدينة والمضايق الى روسيا!

وهذا المشروع دارت حوله مخابرات سياسية بين عواصم الحلفاء . وبقى مدة طويلة بين الاخذ والرد وتحت البحث والدرس فى بطرسبرج ولندن وباريس

والنقطة التى تسترعى الانتباه بنوع خاص فى هذه المؤامرة السياسية الكبرى ان فكرة إثارة جمال على السلطان وعلى حكومته فى الاستانة لقاء منحه عرشاً فى سوريا لم تنشأ إلا فى مخيلة أرمن الاستانة . نستدل على ذلك استدلالا قاطعاً من البرقية المهمة التى بعث بها وزير خارجية روسيا المسيو (سازانوف) بتاريخ ٢٥ اكتوبر سنة ١٩١٥ رقم ٦٣٩ الى سفيريه فى باريس وروما

ونحن اذا انعمنا النظر فى محتويات هذه البرقية المهمة بل فى الوثيقة الخطيرة وطالعنا مضمونها بدقة نستطيع أن ندرك بلا شك حقيقة هذه الحركة السياسية التى دعاها التاريخ فيما بعد بمشروع جمال باشا . وهاك نص البرقية المذكورة : —

يستفاد من الانباء الصادرة عن المحافل الارمنية في الاستانة ان هناك املا في اثارة جمال باشا على حكومة الاستانة والعصيان عليها فيما اذا عرض الحلفاء عليه الشروط الآتية :

١ — يتعهد الحلفاء بصيانة كيان واستقلال حكومة تقوم في تركيا الاسيوية تحت سيادة سلطان مؤلفة من الايالات اللامركزية الآتية : سوريا ، فلسطين ، العراق ، بلاد العرب ، كيلكيا ، كردستان ، ارمينيا

٢ ـ يعلن جمال باشا سلطاناً على ان ينقل الملك من بعده لا كبر اولاده
٣ ـ يتعهد جمال باشا بدوره باعتبار حكومة الاستانة وسلاطينها اسرى في قبضة الالمان وباعتبارهما ساقطين لهذا السبب وباعداد حملة عليهما
٤ ـ في حالة اعلان جمال باشا الحرب على حكومة الاستانة يمده الحلفاء بالاسلحة والذخائر والمؤن وبفريق من رجال المدفعية
٥ ـ عند انتهاء الحرب يعضد الحلفاء جمال باشا بقرض مالي
٦ ـ يتنازل جمال باشا عن الاستانة والمضايق
٧ ـ يتعهد جمال باشا منذ الآن بانقاذ الارمن وباتخاذ الوسائل التي تكفل لهم العيش حتى انتهاء الحرب

ان الاختلافات الداخلية اياً كان نوعها من شأنها ان تضعف القوات التركية وحدها وتخدم في نفس الوقت مصالحنا . وعليه يقتضي الدخول في مفاوضات خفية مع جمال باشا بواسطة الارمن المخلصين لنا ، وفي حالة فشل (جمال) في طرد الالمان واسقاط الاستانة تقوم اضطرابات وقلاقل في الامبراطورية العثمانية لا تخلو من فائدة

فارجو اطلاع وزير الخارجية على المسئلة سراً واعلامي بالنتيجة برقيا بالسرعة الممكنة
(سازانوف)

والبرقيات والوثائق التى تبودلت فيا بعد بين الحلفاء تدل على أن هذا المشروع لاقى فى أول عهده بعض النجاح حتى كاد يتحقق ولكنه اصطدم أخيراً بمطامع الحكومتين الانكليزية والفرنسية فاقامتا فى سبيل تحقيقه عراقيل قضت عليه

والمشروع الذى نحن بصدده ، نشأ فى بادىء أمره أرمنياً ثم غدا أرمنياً روسياً ، فأقلق بال الفرنسيين من جهة والانكليز من جهة أخرى . وقد قابلته الحكومة الفرنسية بشيء من الخوف والحذر لصيرورة سوريا الى جمال باشا بينما هى تطمح اليها منذ زمن بعيد . ولم تقابله الحكومة الانكليزية بالارتياح والقبول لأنها كانت قد اتصلت فى ذلك الوقت بالشريف حسين ودخلت فى مفاوضات معـــه وشرعت فى تهيئة لوازم ثورته على السلطان وحكومة الاستانة . وأدرك الانكليز بما عرف عنهم من بعد النظر السياسى أن مشروع جمال باشا سيحول دون تنفيذ مشروع الحسين ، ولهذا فشلت المساعى الجدية التى بذلت من أجل التوفيق بين النظريتين الروسية الأرمنية والفرنسية الانكليزية

* * *

وهنا يجب أن نتساءل : هل اطلع جمال باشا بواسطة الارمن على ما كان يدور حول هذه

القضية بين الحلفاء؟ ثم هل كان يقابل المشروع بالقبول أو بالرفض فيما لو اتفق عليه الحلفاء فعرضوه عليه ؟

إن الجواب عن السؤال الأول عسير لانستطيع إثباته بصورة الجزم ، لكن هنالك علائم ودلائل قوية وردت فى إحدى الوثائق تشير من طرف خفى إلى وقوع اتصال ما بين الحلفاء وجمال بواسطة الأرمن لايمكننا أن نعين درجته وماهيته

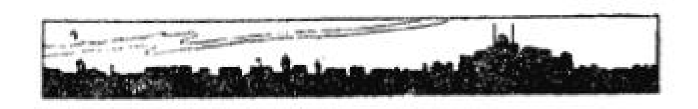
وأما السؤال الثانى فنترك الجواب عنه لناقل الوثائق الى التركية فقد قال : « ونحن مع اعترافنا بصدق وطنية جمال باشا وعدم ارتيابنا فيها واعتقادنا رفضه رفضاً باتاً هذا المشروع فيما لو عرض عليه من قبل الحلفاء ، لابد لنا من القول بأن مجاملته للارمن بعكس السياسة التى كانت تعاملهم بها حكومة الاستانة يومئذ من جهة وظهوره بمظهر الراغب فى السيطرة والحكم من جهة أخرى ، قد أفسحا المجال لخلق هذا المشروع »

ولا بد لنا من القول فى هذا المقام إن تقلبات السياسة التى نراها كل يوم تجعلنا نعتقد أن جمالا لو رضى بهذا المشروع وثار فى وجه سلطانه لما كان نصيبه من الحلفاء سوى زيارة جزيرة قبرص أو سواها كما حدث للمغفور له الملك حسين !

هذا ما عن لنا تدوينه ونقله حول هذه القضية تاركين فى نفس الوقت الجواب عن السؤالين السابقين للقراء أنفسهم بعد أن نطلعهم فى مقال آخر إن شاء الله على صور جميع الوثائق والمخابرات المتعلقة بهذا الموضوع ليتسنى لهم عندئذ إصدار حكم عادل نزيه على هذه الحركة التى أصبح فى الامكان بعد مرور الزمن الكافى عليها تفسير نواحيها الخفية الغامضة

ولقد عرف بالتجربة والاختبار أن مساعى الدول ورجال السياسة لاترى واضحة بمنظار قريب وأنها كلما بعدت عن الزمن الذى وقعت فيه تجلى ما فيها من صالح وضار على منوال يمتنع معه الخطأ والتضليل ، زد على هذا أن لبعض هذه المساعى نتائج لا ترى فوراً فان أكثرها لا تظهر فائدته أو ضرره إلا بعد أن تمضى عليه عشرات السنين . وعلى مجموع هذه النتائج ينبغى ان يبنى الحكم العادل النزيه

دمشق مراد فؤاد حقى



دون كيشوت : الفارس التائه

من سرفانتس الاسباني الى هنري بتي الفرنسي

في سنة ١٦٣٥ ظهرت في اسبانيا الملكية الطبعة النهائية المنقحة لكتاب « دون كيشوت Don Quichotte » لكبير مؤلفي الاسبان « دون ميجل سرفانتس دي سا آفدرا » . وفي سنة ١٩٣٥ تحتفل الأوساط والهيئات الادبية في اسبانيا بمرور ثلثمائة سنة على ذلك الحادث الادبي . وأخيراً ، أي قبيل سقوط النظام الملكي في اسبانيا ، احتفل في عاصمتها مدريد برفع الستار عن تمثال يعد فريداً في نوعه ، يمثل الكاتب الاسباني الاشهر « سرفانتس » وأمامه تمثال آخر يمثل « الفارس التائه » دون كيشوت على ظهر فرسه العجوز ، ووراءه خادمه « سانشو بانسا » ، راكباً حماره ! وهذان الحادثان ، يضاف اليهما الآن حادث ثالث ، وهو ظهور كتاب جديد باللغة الفرنسية للمسيو « هنري بتي » وسمه باسم « وقائع دون كيشوت الاخيرة » Les Derniers Combats de Don Quichotte, Par Henri Petit (Rieder) — كل هذا دعا كاتب هذا المقال الشائق الى التحدث الى القراء عن ذلك « الفارس التائه » الذي جذبت شخصيته عشرات من الكتاب والشعراء في الغرب والشرق

• • •

ولد ميجل — أو ميخائيل — سرفانتس Cervantes في سنة ١٥٤٧ وتوفى فى سنة ١٦١٦ . وقد التحق بالجندية واشترك فى معارك كثيرة ، وأصيب مرة بجرح فى ذراعه اليسرى لم يحسن الأطباء معالجته فعطبت الذراع وظل سرفانتس طول حياته غير قادر على استخدامها . ووقع مرة فى أسر القرصان وبقى فى الجزائر خمس سنوات . ولم ينصرف الى الكتابة إلا بعد عودته الى وطنه فى سنة ١٥٨٠ . وفى سنة ١٦٠٤ صدر الجزء الأول من كتابه « دون كيشوت » ، ولم يصدر الجزء الثانى منه إلا فى سنة ١٦١٤ . وقد نقح سرفانتس الجزأين معاً فطبعا من جديد فى سنة ١٦٣٥ ، بعد وفاة المؤلف ، فى كتاب واحد هو الذى تتداوله الأيدى الى الآن ، والذى يعد فى طليعة القصص المسلية

فمن هو دون كيشوت ؟

رجل من النبلاء ، طيب القلب ، هادىء الخلق ، جاوز سن الكهولة ، حط عليه الدهر فلم يبق له من مال وعقار غير قصر صغير متهدم ، أقام الرجل فيه بين ذكريات الماضى ومخلفات السلف ، وجعل يلتهم كتب الفروسية الحافلة بأخبار أولئك الابطال المغاوير ، الذين سارت بذكرهم الركبان ودون الكتاب والشعراء اسماءهم فى سجلات التاريخ وتواقى الملاحم

وأراد الشيخ المحطم والشريف المعدم ، أن يلعب على مسرح الحياة الدور الذى لعبه أولئك

الفرسان الراحلون ، وأن يطهر الانسانية من أدران الفساد ، فيغيث المظلومين ويعاقب الظالمين ويحمى الأخيار ويطارد الأشرار ، كل ذلك فى سبيل معشوقة وهمية صورها له الخيال ، وجعلها فى نظره أبدع النساء والحور على الاطلاق !

خرج دون كيشوت اذن فى عدة حربه التى علاها الصدأ ، ممتطياً ظهر فرسه التى تزاحمه فى الهرم والهزال ، واصطحب معه حامل سلاحه سانشوبانسا على ظهر حمار يليق بالفرس « روسينانت » ، وراح الاثنان يطويان السهول والهضاب سعياً وراء عدو لا وجود له ، ولكن دون كيشوت يتخيله فى كل آن ومكان وفى كل ناطق وصامت !

وكان ما كان من وقائع تجمع بين البطولة والجبن ، والتعقل والجنون ، والحكمة والهوس :

فمن نزول فى فندق يأبى دون كيشوت أن يدفع لصاحبه أجره ، الى الهجوم بالرمح والترس على طواحين الهواء ، الى حملة شعواء على قطيع من الغنم ، الى معارك لا عداد لها مع حلاق وحماره ، ومع اوراق اللعب ، ومع قرب الخمر ، وغيرها وغيرها من الحوادث التى تملأ الكتاب من أوله الى آخره ، وقد صيغت فى قالب جذاب يأسر القارىء أسرا ويبعث الابتسامة الى ثغر لم يعرف الضحك فى حياته ؟

(سرفانتس) مؤلف رواية « دون كيشوت »

تلك هى الشخصية العجيبة ، التى تجمع بين المألوف والشاذ ، والتى بسط لنا سرفانتس فى كتابه بمقدرة لا تجارى ، جميع حسناتها وسيئاتها ، وعيوبها وفضائلها ، والتى تبوأت بين الشخصيات الخيالية مكانة لم تبلغها سواها لا من قبل ولا من بعد

ولا غرابة فى ان يحوم الكتاب الذين جاءوا بعد سرفانتس حول تلك الشخصية ، وينقلوا كتاب سرفانتس الى مختلف لغاتهم ، أو يستمدوا منه موضوعات لمؤلفات جديدة ، يحاولون فيها عبثاً الوصول الى القمة التى بلغها ذلك المؤلف النابغة ، من سمو فى الخيال ، ودقة فى التعبير ، ومهارة فى سرد الحوادث

ونقلت شخصية دون كيشوت الى المسرح ، وعلى الخصوص فى روايات غنائية من نوع الاوبرا ، وضع ألحانها موسيقيون معروفون ، بينهم أرنست بولانجيه الفرنسى وفرتش الألمانى

وفردريك كلاى وما كفارن وبورشل الانجليزيون ، ومبارى ومركا دانتى ومازوكاتو الايطاليون

وجذبت شخصية دون كيشوت مشاهير الرسامين فى اوربا ، فصنع جوستاف دوريه ، الرسام الفرنسى العظيم ، طائفة من الصور تمثل وقائع « الفارس التائه » ، كما يلقب بطل هذه القصة الخالدة ، وصنع الرسامون دى ميراندا وديكان وريشارد وليلى صوراً بديعة تمثل بعض المشاهد التى وصفها سرفانتس فى قصته

وآخر كتاب ظهر فى عالم الادب فى اوربا وأعاد الى التداول اسم الفارس التائه دون كيشوت ، كتاب المسيو هنرى بتى « وقائع دون كيشوت الاخيرة »

* * *

يشغل هنرى بتى الآن وظيفة كبيرة فى الدوائر الانتدابية بلبنان ، وهو معروف بين اخوانه وزملائه بميله الى الدراسات الفلسفية والمباحث العلمية ، ويعيش بقدر المستطاع بعيداً عن الناس ، فى عزلة يخلو فيها الى نفسه ويناجى أرواح من سبقه من الفلاسفة وابطال الثورات الفكرية ، فيكون لنفسه آراء فى الحياة جديدة ، ويعتنق من النظريات الفكرية ما يراه متفقاً وتلك الآراء

وقد اشتغل هنرى بتى مدة من الزمن فى الصحافة ، بعد حصوله على الليسانس فى الآداب ، فانضم الى قلم تحرير جريدة « لوفر » L'œuvre الباريسية المعروفة . وله بضعة مؤلفات ليس هنا مجال البحث فيها ، ولعل أجرأ كتاب من نفثات قلبه ونتاج فكره ، هذا الذى نتحدث عنه اليوم ، والذى تناول فيه شخصية دون كيشوت فاظهرها لنا فى صورة جديدة تسترعى النظر وتدعو الى الاهتمام والتفكير

لقد أثار كتاب سرفانتس الاسبانى ، منذ ثلثمائة سنة ، أكثر من جدال واحد حول الفكرة الفلسفية التى عالجها ذلك المؤلف العبقرى ، واطلق الناقدون لاقلامهم وأفكارهم وخيلاتهم العنان فى تحليل تلك الشخصية ودرسها من جميع وجوهها

أراد بعضهم ان ينظر الى شخصية دون كيشوت من حيث الفكرة فقط ، أى مجردة عن الماديات ، فجعلوا منها أنموذجاً لا غبار عليه للانسان الطيب الخلق ، الشريف النفس ، المدفوع نحو غاية سامية ـ أو يتخيلها سامية ـ بدافع العواطف النبيلة ، غير راغب الا فى شيء واحد : ان يرضى ضميره ويرضى معشوقته !

ولكن هل يحق لنا ـ اذا تصفحنا كتاب دون كيشوت لسرفانتس ـ ان ننظر الى شخصية بطله من حيث الفكرة فقط ونجردها من الماديات ؟

يصعب علينا ذلك ، لأن للماديات النصيب الاوفر فى مؤلف الكاتب الاسبانى

ولكن هنرى بى يقدم لنا اليوم شخصية جديدة نستطيع أن ناخذها من حيث الفكرة فقط، فقد جردها بنفسه من الماديات، ودون كيشوت الذى يحدثنا عنه غير دون كيشوت الذى عرفناه من قبل. فالمؤلف قد أخرجه من الدائرة الضيقة التى كان محصوراً فيها، وأطلقه فى فضاء واسع، فانطلق - وقد أصبح فكرة أو خيالا - نحو غاية اسمى بكثير من الغاية التى سعى اليها دون كيشوت الاصيل على ظهر فرسه العجوز!

نعم، لقد أخذ هنرى بى لباب الفكرة الفلسفية من شخصية سرفانتس، ولكنه طهر تلك الشخصية، وتركك تبحث عبثاً عن شىء ملموس فيها فلا تجد!

ان من يطالع كتاب هنرى بى لابد ان يصدم فى بادىء الامر صدمة عنيفة، وان يقف حائراً يسائل نفسه: «أأسير مع هذه «الفكرة» الى النهاية، أم أظل محتفظاً بما ألفه الناس عن «الفارس التائه» كما وصفه سرفانتس وفى الدائرة التى حصره فيها؟»

فمطالعة كتاب هنرى بى تتطلب من جانب القارىء جرأة تتفق مع جرأة المؤلف. وإذا وجدت هذه الجرأة عند القارىء فانه يجارى هنرى بى فى فكرته. واذا أنصفه فانه يقر ويعترف ان دون كيشوت، لو عاد اليوم الى هذا العالم، لما كان فيه الا كما وصفه هنرى بى، ولما أتى فيه من الاعمال الا ما سرده هنرى بى

فدون كيشوت الجديد الذى يحدثنا عنه الكاتب الفرنسى اليوم فارس تائه، ولكنه تائه فى القرن العشرين، فهو عصرى، يعرف من شؤون هذا العالم ما لم يعرفه دون كيشوت الاصيل، لأن بطلنا العصرى ملم بما حدث بين الناس منذ ثلثمائة سنة - وهذا ما كان يجهله سلفه!

فان الشر اليوم قد تفاقم امره، والخير قد تقلص ظله. والاشرار يفوق عددهم اضعاف عدد الاخيار. والانسانية ذاقت من الألم والعذاب ما لم يكن عقل دون كيشوت الاصيل ليتصوره

فالفارس التائه الذى يصفه لنا هنرى بى اليوم يحارب قوة جبارة هائلة، قوة لا تقع عليها الحواس، قوة غير منظورة، لا تتجسم فى طواحين الهواء، ولا فى قطعان الغنم، ولا فى قرب الخمر، ولا فى أوراق اللعب، ولا فى طاسة يحملها حلاق مسكين على رأسه. لان تلك القوة هى الشر عينه، الشر الذى يجده الفارس التائه مسيطراً على الناس، يسيرهم فى حركاتهم ويلهمهم فى سكناتهم، والذى يجده أحياناً فى نفسه، أو فى نفس حامل سلاحه سانشو بانسا، وقد أصبح فيلسوفاً عاقلا مثله، ولم يعد ذلك البليد السمج، الذى لا يعرف معنى العظمة والتضحية، فقد طهره هنرى بى كما طهر سيده!

ودون كيشوت الجديد يعلم علم اليقين أن الناس اعداء بعضهم لبعض ، وان الانسان كثيراً ما يكون عدو نفسه ، فهو يحارب الشر فى الآخرين ويحارب الشر فى نفسه

يخرج دون كيشوت اليوم للحرب والقتال كما خرج دون كيشوت من قبل للحرب والقتال ومعه سانشو بانسا ، ولكن الفارس التائه لم يعد ذلك المنهوس المجنون ، بل انه يفكر ، ومغامراته الجديدة ـ أو بعبارة أخرى « وقائعه الاخيرة » ـ هى فى الحقيقة معارك فكرية يناضل فيها بالعقل أكثر مما يناضل فيها بالسيف والترس والرمح وبينما كان بالامس يبحث عن العدو ويستدرجه أو يتحداه للقتال ، فهو اليوم يبحث عن ذلك العدو ، ولكنه يتجنب القتال ، ويسعى الى الفوز بقوة الحجة والفكر وبذل الذات وخفض الجانب ، ويعتقد أن الحلم فى كثير من الاحيان خير من العنف والشدة والغضب . ولذلك فان وقائع دون كيشوت الاخيرة معارك فكرية كما قلنا . والفارس التائه ـ الذى صقلته الحوادث وعلمته التجارب ـ يرى أن الانسان فى استطاعته أن يصنع الخير دون الشر ، وأن فى صدره عواطف نبيلة لا يعرف كيف يستغلها ، أو بالحرى لا يريد أن يستغلها

ان بطل الوقائع التى يقصها علينا هنرى بى فى هذا الكتاب ، رجل جعله المؤلف أنموذجا للانسان كما يريده أن يكون ، أو كما يجب أن يكون ، خالياً من الطمع والغش والخبث والرياء ، وصفوة القول : خالياً من الشر ، يحاربه أينما وجده ، لا يعرف التصنع ، ويسمى الاشياء باسمائها ، يعمل بما يوحى به اليه الضمير ، وتمليه عليه العواطف النبيلة الكامنة فى صدر كل انسان

فهذا الكتاب قطعة فلسفية أكثر منه قطعة مسلية . فاذا أراد القارىء أن يطالع أخبار معارك تجرى فيها الدماء ، وتحتك الركاب بالركاب ، وتشتبك السيوف بالرماح ، فليعدل عن تصفح « وقائع دون كيشوت الاخيرة » ، لانه لن يجد فيها شيئاً من ذلك كله

أما اذا أراد أن يتجرد من المادة ، كما تجرد منها المؤلف وكما جرد منها بطل معاركه فليقدم على تصفح هذا المؤلف القيم ، لانه سيجد فيه غذاء الروح والعقل ، ويجد فيه مجالا للبحث والدرس والتفكير !

حبيب جاماتي

الامنية ✡ قصة مصرية

فى زمن لايذكره أحد من أفراد هذه القصة كان الشيخ مبروك واحداً من كبار أعيان بلدة ... من بلاد مديرية المنيا ، وفى زمن يذكره كل أفرادها أى فى سنة ١٨٩٩ توفى مبروك عن ابن فى الحادية والعشرين وابنة متزوجة فى الثامنة عشرة وعن فدانين هما البقية الباقية من أربعة عشر فداناً ذهبت بها أسباب لامحل لذكرها . وكان الشيخ مبروك قد حاول فى أخريات أيامه أن يستعيد أطيانه الذاهبة ولكنه فشل فى ذلك ، وقد زاده فشلا شعوره أن شمس حياته أوشكت على المغيب . فاكتفى بأن يبذر الفكرة فى ذهن ابنه « حسنين » وثابر على ذلك صباح مساء ، حتى انه لما حضرته الوفاة لفظ أنفاسه الاخيرة وهو يوصى ابنه بالعمل والاقتصاد ويمنيه باسترداد الأطيان الذاهبة . وكان الشيخ مبروك قد اختص ابنه دون بنته بالفدانين ، ولكن التفاهم كان قائماً بين ثلاثتهم على أن يرد حسنين نصيب أخته اليها حالما تمكنه الظروف ان يفعل

واستمع حسنين الى وصية أبيه الاخيرة لا على أنها وصية فقط بل على أنها نبوءة أيضاً

وكان حسنين بطبيعته شاباً شديد الطموح كبير الامل قوى اليقين بنفسه شديد الاعتداد بها . لقد كان يشعر أنه أفضل من الفلاحين الجهلة الذين يحيطون به ، وهو الذى جاور عاماً فى الأزهر بعد أن استنفد ما عند فقيه القرية من علم ، وأفضل من الفلاحين المتوسطين لانه « ابن عز » ولد فى نعمة وترعرع فى ظل أب لم يستطع الفقر أن يخفض رأسه المرتفع ، وأفضل من كبار الملاك الذين يقضى نصفهم حياته الخنثة فى إنفاق ثروة جمعها أب مراب ، ويقضى نصفهم الآخر حياته المجرمة فى امتصاص دماء الفلاحين الكادحين ليروى نهمه الذى لا يرتوى

وفى هذا الجو من اليقين المعتد والألم المتمرد عاش حسنين رجلا جاداً عبوساً منكفئاً على نفسه منزوياً عن الناس ، ومع ذلك فقد بدأ حياته بعزيمة لا تعرف الكلل وكان يريد أن يسترد أطيانه الذاهبة وكان يوقن أنه سيفعل

وكان يدمن التأمل فى الأسباب التى ذهبت بثروة أبيه وكان ذلك يملأه يقيناً أن أباه قد ذهب ضحية المرابين . وأخذ أبوه يرتفع فى نظره رويداً رويداً حتى دخل فى عداد الشهداء ، وأخذت مهمته فى استرداد الاطيان تتطور فى ذهنه من رغبة أبداها رجل يموت الى نبوءة نطق بها شهيد وهو على أبواب الجنة . وأصبح يعتقد أنه مجاهد مزود بقوى علوية . وكانت نفسه تمتلىء خشوعاً كلما تأمل فيما وكل اليه ، وازدادت تقواه أضعافاً مضاعفة ، وهجر غير آسف ملاهيه الصغيرة من مثل مسامرة الفلاحين وقراءة بعض الكتب والجرائد من حين الى حين ،

ولم يعد يتبسط فى الحديث مع زوجته . ولما حرمته السماء النسل اعتقد انها لم تشأ أن تلهيه عن مهمته المقدسة ، ثم لما سمحت ورزقته ابنة قال انها كانت تمتحنه بالحرمان فلما وجدته صابراً أنعمت عليه بأجر الصابرين

وكان يؤدى فرائضه بالتمام عاملا لآخرته كأنه يموت غداً ، ولكنه أيضاً كان عاملا لدنياه كأنه يعيش أبداً ، مغتنما شبابه قبل هرمه وصحته قبل سقمه ، موقناً أنه سينال نصيب المجتهد ما دام مزوداً برضاء ربه ودعاء أبيه ، كأن الأمر عنده أمر حسابى ذو نتائج ثابتة

ولم تؤثر هذه الأفكار فى حالة الحاج حسنين النفسية فقط ولكنها أثرت فى حياته العملية أيضاً ، فكان يتجنب المعاملات المالية من أى نوع كان ويعيش فى دنياه وحده ، ويكره الاشتغال بأى عمل غير الزراعة لأنه كان يرى أنها العمل الوحيد الذى يأخذ فيه العامل أجره من يد السماء مباشرة ، والف الاقتصاد الشديد فى الانفاق على داره انصرافاً عن الدنيا التى لا تستحق منه الاقبال . واذا استثنيت الجنيهات القليلة التى انفقها فى سبيل الحج فانه لم يصرف درهماً فى غير الكفاف . وكان يدخر ويدخر فاذا ما تجمع له ثمن فدان بادر الى شرائه . وهكذا كان ينتزع أرضه شبراً شبراً باذلا جهود الجبابرة ليخطو خطوات الاقزام مسخراً كل قوى جسمه وعقله ونفسه فى سبيل الامنية التى اصبحت مناط حياته

وظل يجالد الايام الشحيحة ويكافح القدر القاسى الضنين وبعد عشرين عاماً طوال - اى فى سنة ١٩١٩ - كان قد تخطى الاربعين وكانت ثروته قد وصلت الى عشرة فدادين ولم يبق له فى ذمة العالم الواسع الا اربعة فدادين

كان ذلك فى سنة ١٩٢٩ ، وكانت الاقدار قد اغفت وارتج ميزان الحظوظ فى يدها ارتجاجاً شديداً وباع الحاج حسنين اقطانه بثمن لم يحلم بمثله من قبل وانهمر عليه سيل النضار وبادر الى شراء تسعة فدادين اخرى ضمنها اربعته الضالة . وبقى عليه من ثمنها مبلغ ان بدا لنا جسيما الآن فما كان اهونه على حسنين الذى باع قنطار القطن بأربعين جنيها وحسب ان الاقدار قد ماتت ولم يدر انها نائمة

واستيقظت الأقدار من سنتها حانقة على من استغلوا غفلتها وأهوت على رءوسهم بعصا من حديد ، واستيقظ بطلنا الجاد الجلد من حلمه البديع ليجد نفسه خاوى الوفاض اللهم الا من فدانيه العتيقين

رباه .. كأن أباه مات بالأمس ، والعشرون عاماً الماضية ؟ جهاد أيامها الكادحة وهموم لياليها الساهرة .. هل ذهبت كلها هباء ؟

هب انه استقوى على الضربة وابتدأ جهاده من جديد ، أتمهله المنية عشرين عاماً أخرى ؟ إن استطاع أن يجد فى قلبه الروح التى يستأنف بها عمله الشاق عشرين عاماً جديداً ، فهل يستطيع

أن يجد الجسد ؟ . لقد تقطعت به الأسباب وتكسرت سهامه فى يده

عاش الشيخ حسنين عيشة ميتة بعد النكبة التى أصابته . لقد كان يمارس أعماله العادية ويدخل ويتحدث كما يفعل الناس عادة ، ولكنه كان قد فقد أمله الوحيد ولم تصبح له قبلة فى الحياة يستقبلها

وقد خفت عبوسه نوعاً ما بعد أن أراحه اليأس من عناء الجهاد ، وأصبح أكثر تبسطاً فى الحديث مع جيرانه وزملائه بعد أن ماتت الأمنية التى كان مشغولا بتذليلها طوال العشرين عاماً الماضية

وأخذت الفلسفة ـ بضاعة الأعمار الراكدة ـ تدب إلى قلبه وعقله . انقلب فيلسوفاً وهو لا يدرى ، واصبح ينظر نظرة السخر إلى نفسه القديمة التى كانت مؤلفة من مجموعة من القواعد المنظومة والمقفاة والمرسلة . النفس القاعدية التى صفعها الواقع فانتثرت هباء ، القصائد الرنانة عن الشهد وابر النحل والمعالى وسهر الليالى !! .. السياط التى ألهبت ظهره واستحثته فى جهاده الفارغ الطويل !! ثم .. الاستقامة وأداء الفروض ونبل المقصد ودعاء الوالدين !! هذه القيود التى كبل نفسه بها .. ما كان أحمقه ! لو أنه كان كفلان وفلان .. ولكنه قد دخل ميدان الكفاح مسالماً بل محرماً .. وها هو الان يعلم ان أسباب النجاح ليست هى « أسباب النجاح » وأسباب الفشل ليست هى « أسباب الفشل » وانما هذه كلها علل نتنحلها نحن لمعلولات موجودة

وانهار ايمانه بأبيه ، لقد كان أبوه نبياً كاذباً ، بل ابليس هو النحس الذى ضاعت الاطيان على يديه ؟. وتزعزع ايمانه بالله أو على الأقل بعدالته ، لم يعد يعتقد أنه مشرف من سمائه على عباده يقسم لهم ارزاقهم بقسطاس العدالة ، وأصبح قلبه خالياً كمعبد حطمت أصنامه وسقطت .. وهو الآن رجل تحطم مستقبله ثم انهار ماضيه .. نعم أصبح بلا ماض ولا مستقبل ولا أب ولا إيمان ولا إله ، طارىء على الحياة يستعرضها كمقامر خسر نقوده ووقف يتفرج على زملائه ويراقب تقلبات الحظ ، روح مشردة تعلم أن الحسن فى هذه الدنيا المريرة ليس أحسن من القبيح ، وسترتمى فى احضان أول ملاك أو أول شيطان تصادفه

وأصبح الحاج حسنين أيضاً أسخى كفاً فى الانفاق على داره ، ولم يدخر شيئاً من ايراد فدانيه المتبقين . لقد علم أنها كل الثروة المقدورة لأسرته ، الثروة التى تركها له أبوه وعليها نبوءة كذبت ووصية ذهبت أدراج الرياح ، والثروة التى سيتركها هو لابنته الوحيدة بلا نبوءة ولا وصية . وكثيراً ما كان يطوف حولها مرات متوالية وهو يتأمل حدودهما ويتصور حولها أسواراً من الحديد تتحطم عليها الجهود وتفنى دونها العزائم .. أسوار قاسية باردة كأسوار القبر . الفدانان الميتان ، انهما لن ينموا ولن يزدادا وسيظلان أبد الدهر وحدة مقيدة

ولكن لياليه ظلت مسهدة مضطرمة ، وطيف الأمنية الميتة كان يزحف الى أحلامه من

مناطق لاسلطان له عليها . ومن يستطيع أن يخلص من ماضيه ؟

* * *

كانت زينب أخت الحاج حسنين تختلف عنه اختلافاً كبيراً من كل وجهة ، فبينما كان هو رجلا اسمر هزيلا ذا عينين واسعتين كئيبتين ، كانت هي امرأة ممتلئة بيضاء تضحك للحياة وتضحك الحياة لها ، فلم تغضب مثلا لما حرمها أبوها من نصيبها فى ميراثه مع أنها لم تكن من ذوات اليسار ، ومع أنها كانت تحب زوجها كل الحب ، ومع أنها حزنت عليه ـ عند وفاته ـ كل الحزن فانها لم تلبث أن تعزت عنه ، وكان ابنها النجيب الودود من أكبر أسباب عزائها . وكان ابنها هذا قد التحق وهو فى الحادية عشرة بجاراج للسيارات بمدينة المنيا ولم يلبث أن نجح نجاحاً باهراً وأصبح سائقاً ممتازاً ، ولم يبلغ السادسة عشرة إلا وكان يربح من المال قدر ما يربح أبوه الرجل المرحوم . وفى الثامنة عشرة أى بعد أن توفى أبوه بعام كان الفتى قد بلغ مبلغ الرجال وطمح طموحهم ورغب فى السفر الى مصر ليجد ميداناً أوسع لمهارته . وعبثاً حاولت أمه أن تثنيه وتمنيه بالزواج من فتاة حسناء من فتيات القرية ، لقد طمح ومن يستطيع أن يثنى الشاب الطموح ؟. وقر قرارهم على أن تنزل فى دار اخيها الحاج حسنين وأن يرسل لها ابنها جنيهاً ونصف جنيه شهرياً علاوة على خمسة جنيهات تركها لها

وكانت العلاقات بينها وبين أخيهـــا فى أحسن حال . وكانت لاتكره منه إلا شدة اهتمامه بالدنيا إلى حد أن ينسى كل شىء وكل شخص حتى هى .. أخته الوحيدة . ولذلك فهى لم تمانع على الاطلاق لما اقترح ابنها عليها أن تبقى بمنزل خاله ، بل رحبت بالفكرة قبل أن تفاتح أخاها . وكان أخوها فى الواقع يحبها حباً جماً ، ولكنه كان مغضياً عنها ضمن من يغضى عنهم من خلائق الله . وكانت ذكراها قد أخذت تتردد عليه بعد نكبته مرات متتاليات ، وكانت مصحوبة بفكرة بغيضة بدأت فى أول الأمر كوسواس خفى ثم أخذت تبرز وتستقوى حتى أصبحت سوط عذاب جديد . لماذا لم يرد لأخته نصيبها الشرعى ؟ .. لقد كانت هذه نية أبيه ونيته هو فلماذا لم ينفذها ؟ لقد كان مالكا لعشرة فدادين ، فلماذا لم يعطها نصف فدان ويبرىء ذمته ؟ الا يمكن أن يكون هذا النصيب المغصوب هو اللعنة التى ذهبت بثمار كده واقعدته على أرض المتربة ؟ لقد ثبت الآن ثبوتاً قاطعاً أنه لن يسترد ماذهب ، والفدانان الأصليان معطلان فى يده ولن ينموا ، فعليه إذاً ان يرد اليها نصيبها . وانتهى الحاج حسنين من هواجسه إلى أنه سيفعل

ولكن الحاج حسنين لم يكن يدرى أن أمنيته لاتزال حية فى أعماق قلبه ، وأنها ستثور فى وجه هذه الرغبة أعنف الثورة . لأن هذه الأمنية لو مثلت شخصاً لكان رأيها ـ كرأى أبيه ـ ان استرداد أربعة عشر فداناً برأس مال قدره فدانان أسهل من استرداده برأس مال قدره فدان

ونصف فدان . وقد بدأت أمنيته بالفعل تدافع عن رأيها هذا ، فأخذت تبث فيه كراهية غير مسببة لأخته ، ووجد نفسه يتساءل لماذا لم ترثه من نصيبها مادامت لاتحتاج اليه ؟ ولماذا ولدت له أخت على الاطلاق ؟ ولماذا لم تمت ؟ وأخذ يشعر أن وجودها ضربة محتومة

وقد كانت هذه الافكار وأمثالها تقتتل فى ذهنه المنهوك المحموم فى صباح أحد الايام لما فاجأه صوت أخته تتحدث مع زوجته . أى شيء جاء بها فى هذا الصباح الباكر ؟

وكانت أخته تنبيء زوجته أن ابنها مسافر الى القاهرة وأنها قد فكرت فى أن تقيم مع أخيها الى حين ، وعندها وثبت شهامة الحاج حسنين الى مقدمة عواطفه واندفع الى باب الغرفة التى كان مختليا بها واتجه نحو اخته قائلا :

ــ مرحباً بك يم (يا أم) حسن واحنا نستاهل ؟

ــ انشالله تعيش يابو نعيمه .. الواد قال لى روحي اقعدى اليومين دول فى بيت خالى ، قلت له حترمى روحنا ومية على الناس

ــ إهه ؟ .. ماتقوليش كده ياوليه داحنا عايشين فى خيرك وفى فضلك

وشعر الحاج حسنين بارتباك عند ماخرجت هذه الكلمات من فمه . لقد كانت وحى عواطفه القديمة ، وكانت متعارضة مع خواطره الجديدة

ولما قالت المرأة ان ابنها سيرسل اليها جنيها ونصف جنيه شهرياً بادر الى الاحتجاج بنية خالصة قائلا :

ــ كلام ايه ده ؟ هو انتى عند ناس غرب ؟ والله انى أنا ... بس يعنى الواحد مش واعى والزمان مطاردنا مطاردة

ــ ماله الزمان ؟ هنا ورضا بس ربنا يخليك و يخلى لك نعيمه وام نعيمه ، هى الدنيا تتاخد بالعافيه ؟ على المهل ياخويا

وشعر الحاج حسنين براحة عظيمة لما سمع هذه الكلمات . ليس ملزماً إذن أن يرد لها نصيبها ما دامت تشاطره مسكنه . لقد حلت المشكلة على أبسط الصور !

وبعد خمسة أيام كانت المرأة عندهم . وكان قلبها العطوف ونفسها الرغدة يطالبانها أن تكون نعمة لهذا البيت الذى حلت به . فأخذت تنفق من الجنيهات الخمسة بيد مبسوطة . وقد خلقت بالفعل جواً من الرخاء كان جديداً على هذه العائلة التى ألفت التقتير ، فأصبحت الفواكه تشرق على مائدتهم بين حين وحين بعد أن كانت لا تدخل الدار إلا إن آب رب الدار من سفر بعيد كأنها لا تزرع إلا فى مجاهل الأرض ولا تقسم إلا للضاربين فى مناكبها . وأصبحوا يأكلون اللحم ثلاث مرات فى الأسبوع بعد أن كانوا لا يأكلونه إلا مرة واحدة ، واشترت لأخيها كوفية من

الحرير الأبيض وأشركت زوجة أخيها فى كل أثوابها وأتحفت نعيمة بثوبين جديدين بدل ثوبيها اللذين ضاقا عن جسمها الذى أفاق من سبات الطفولة

ولكنها رغم ذلك كله لم توفق إلى إرضاء أحد إلا نعيمة فياليتها لم تفعل . فزوجة أخيها قد أخذت تشعر بشىء من التهيب من هذه الطارئة الموسرة . أما الحاج حسنين فقد كان يتألم كلما شهد هذا الاسراف وأخذ يشكو فيما بينه وبين نفسه من أن الأقدار تبعثر لمن يبعثرون وتغل يدها إلى عنقها مشلولة إذا جاء دوره ودور أمثاله الحريصين الذين يعرفون لها يدها

وأخذت هذه الأفكار تحلولك فى نفسه وتتكاثف . فأخته هذه التى تنثر النقود نثراً وابنها ذلك الصبى اللعوب . . انه ليربح عشرة جنيهات شهرياً من تلك الآلة اللعينة وكل عمله أن يجلس ويدعها تسير !!

ياللأقدار العمياء المجنونة ! إنها لتسرق عرق جبينه هو الذى كدح حتى بلى وتسكبه سكباً على هؤلاء الكسالى المسرفين ؟ وانها نقوده ، نقوده هو ولكنها فى جيوبهم وهم يبعثرونها بلا غرض ولاغاية

جنيه ونصف جنيه شهرياً !! ماذا تصنع به هذه المجنونة أم المجنون ؟ تشترى به لحماً . . . وتستطيع أن تأكله وهى تعلم أن ثروة ابنها يأكلها الغرباء بالهوان . . انها لتذبح أمنية حياته كل يوم وتقدمها له شواء وقديدا . انهـــا لتجرعه السم بكرمها الاخرق الممقوت . ألا قوتلت هذه الحمقاء التعسة . واشتد الحلك فى نفس الحاج حسنين واستبد هذا المنطق بعقله ، فهو الآن متبرم بأخته . وليس هو الذى اختلس نصيبها فى ميراثها واخفق فى استغلاله ، ولكنها هى التى اختلست نصيبه فى الحياة ثم هى تذروه فى مهب الريح

ولما تسلم نقودها فى الشهر الاول (وكانت ترسل فى خطابات باسمه) ســـلمها لها بتبرم الرجل الذى يشعر انه مضطر ان يدفع ثمنا غاليا فى سلعة زهيدة محتومة ، ولعن القدر الطائش . وفى الشهر الثانى سلمها لها بتبرم الذى يدفع جزية فادحة لحاكم غشوم ، ولعن القدر الظالم . وفى الشهر الثالث سلمها لها بتبرم الذى يدفع « حلاوة » للصوص أثمة ، ولعن المرأة الظالمة

وها هو الشهر الرابع يدنو . ولم تكن امنية الحاج حسنين قد فاهت برغبتها بعد ، بل كانت مكتفية بأن تتخبط فى قلبه مثيرة عثيراً وقتاماً

وكانت الحوادث تطرد فى سياق عجيب وكلها تسوقه الى غاية محتومة

لقد سمع فى اوائل الشهر ان الشيخ عبد الله رفيق صباه وزميل دراسته قد اشترى ستة فدادين فى بلدة القصر ، فأمسك قلبه بيده وهو يقول : « رباه لم يخب أحد مثل ما خبت انا » ثم اتاه جاره عبد الصمد يعرض عليه أن يبيعه فداناً من فدانيه الخالدين ، فسبه الحاج حسنين اقذع سب ولعن الفقر الذى جعل منه جيفة يتقاسمها الكلاب أمثال عبد الصمد . وبعد ذلك بأسبوع

واحد زاره جرجس افندى (وكيل دائرة « البك » الذى نزع ملكية اطيان الحاج حسنين وفاء للبقية التى بقيت عليه من ثمنها الضخم) وقال له ان « البك » قد تأثر من قصته وعلم انه رجل طيب وهو مستعد ان يتساهل معه فيرد له الاطيان مقابل اقساط كانت رغم صغرها تعجز الحاج حسنين . وهكذا قامت الامنية المتهاوتة حاملة اكفانها واخذت تعول فى قلب الحاج حسنين ، لقد كانت تريد عملا .. عملا ..

وبعد ذلك بأيام قلائل ، اى فى اواخر الشهر الرابع اعلنت اخت الحاج حسنين أنها ستشترى لهم خروفاً يذبحونه فى عيد الاضحى من « مرتب » الشهر الرابع . وجن جنون الحاج حسنين وانطلقت الابالسة المقيدة فى نفسه بلا رادع ولا واق . لان ضميره كان قد مات فى الازمات المتتالية التى مرت عليه – ان صح لنا ان نقول انه كان ذا ضمير على الاطلاق . فالحاج حسنين واحد من الوف الملايين من بنى آدم الذين تركوا ضمائرهم تموت وذهبوا فاستخرجوا لانفسهم ضميرا ميتاً من جثة ميتة وضعوه فى قلوبهم . لقد كان رجلا قاعدياً لا يعرف لنفسه ما هو الخير ولا ما هو الشر ولكنه يعرف او بالحرى يستذكر مجموعة من القواعد تحدد له الكون وترسم اسلوب تناوله . وهذه القواعد نفسها ليست ذات أثر كبير عليه رغم تشدق نفسه بها . وإنما هى مقاييس براقة طلية لا يدرى كيف يستعملها . وهو ينساق على الدوام لعوامل يجهلها تماماً ، قد تدفعه الى الخير فهو خير أو الى الشر فهو شرير . والعوامل الآن تدفعه الى طريق مخصوص وهو يجهل القوى التى تتحكم فيه والمصير الذى يصير اليه ، ويكتفى بأن يعتقد أنه يعمل حسناً وأنه أفضل على الدوام من غيره من الناس . فالحاج حسنين قد انتهى الى أنه يكون مجرماً لو أسلم النقود الى اخته لتذبحها ذبحاً ، فالنقود يجب الا تنفق الا فى وجهها الوحيد – استرداد الاطيان الذاهبة – ولتمت كل رغبة تتعارض مع هذه الرغبة . وظل طول المساء يضع عزمه قواعد وحكما وأمثالا . ولما حيته أخته تحية المساء رد تحيتها فى غضب

ولما تسلم الخطاب فى صباح اليوم التالى اسرع الى مكتب البريد وهو ممتلىء غضباً وغلا كأنه ذاهب ليقتل رجلا ، ولما سلمه عامل البريد المبلغ اختطفه وأسرع الى دسه فى جيبه ، وخيل اليه أن عامل البريد سيسأله عما اذا كان سيسلمه لاخته ، وتأهب برد محنق مشتط لم يلزمه على الاطلاق . ثم انصرف الى داره بعد أن ألقى على العامل وعلى المنتظرين نظرة تقول : « هل من مبارز ؟ هل من مناجز ؟ » . وقبل أن يصل الى الدار دس النقود فى أعمق جيوبه كأن أحداً سيختطفها منه وتأهب لمعركة حامية لم تكن لتحدث

ولما سألته أخته بعد ذلك بيومين عن خطاب من ابنها انفجر غضبه المكظوم وصاح : « أأنا لص ؟ ! هل سبق أن اختطفت منك شيئاً . سأعطيك نقودك ساعة ان تصل »

سليم شحاته المحامي

الاحصاء قديما وحديثا

وازدياد شأنه في العمران

لايتصفح أحدنا كتاباً أو مجلة الا ويمر بطائفة من الاحصاءات التى يبنى عليها المقدمات والنتائج الخطيرة . وقد شاع استعمال الاحصاءات فى بضعة العقود الاخيرة ، فلا تجد خطة سياسية او مالية أو عمرانية إلا وهى مبنية على الاحصاءات التى قد اصبحت ذات شأن خطير فى كل ما له علاقة برخاء الاجتماع . وقد كان الاقدمون يعرفون ما للاحصاء من الشأن فى تحديد الدخل والخرج وتعبئة الجيوش ، ولولا اعتمادهم عليه ما أصابوا شيئاً من النجاح فى سياستهم الحربية والمالية ، فقد كانوا يوجهون الحملات لفتح الامصار وهم يعتمدون على موارد الدولة التى كان لديهم عنها بيانات مسهبة . وكان الرومان والبطالسة مشهورين بنظمهم المالية الدقيقة وباعتمادهم على تعداد الشعب عند جباية الضرائب وتحديد الدخل والخرج وتقييد الانفاق بمقتضى موارد الدولة . وكان فى الاسكندرية لعهد البطالسة ديوان عام للاحصاء يتولى فرض الضرائب وتوزيعها وجبايتها وانفاقها فى شؤون البلاد . وكان هذا الديوان يجمع البيانات الخاصة بموارد الدولة وبسكان المدن المختلفة وما فيها من طرق يجب تعبيدها لتسهيل المواصلات المدنية والعسكرية . وكان من عادة الملوك الاقدمين أن يأمروا باحصاء سكان المملكة من وقت الى آخر لمعرفة ما يمكن جبايته من الناس . وفى التوراة أن موسى احصى عدد الاسرائيليين الذين خرجوا من أرض مصر ومن هلك منهم فى صحراء سينا ومن وصل منهم الى ارض كنعان . وفى سفر أخبار الايام وأخبار الملوك احصاءات وبيانات تدل على حالة الامة اليهودية من حيث عدد اتباعها وحالة جيوشها وجيوش أعدائها . وفى الانجيل ان أوغسطوس قيصر الذى كان امبراطوراً على روما عند ولادة المسيح اصدر أمراً عاماً باحصاء جميع سكان الامبراطورية ، وكان يوسف ومريم (والدا المسيح) من جملة الذين ذهبوا الى احدى الدوائر المركزية لاتمام عملية الاحصاء . وفى اثناء رحلتهما ولد السيد المسيح . ويفهم من قول الانجيل : ان المسكونة كلها خرجت لتكتتب ، ان ذلك الاحصاء كان شاملا لجميع أنحاء الامبراطورية ، وأن الغرض منه كان حصر موارد الدولة وجباية الضرائب وتعيين عدد الجيش ، مع أن عهد أوغسطوس قيصر اشتهر بكونه العصر الذى ساد فيه السلام على جميع أنحاء الامبراطورية

ويقول النقاد المؤرخون ان جهل فن الاحصاء كان فى مقدمة العوامل التى أدت الى سقوط الدول فى العصور الماضية ، وان اكثر النكبات التى حلت بدولة الفرس القديمة نشأت عن جهل

تلك الدول بمواردها المالية والاقتصادية واعتمادها على نظام السخرة فى تجييش جيوشها ، فكان الجندى يجىء فى اكثر الاوقات بطعامه ولا يأكل على حساب الدولة إلا مرة فى كل اربع وعشرين ساعة . وقلما كان قواد الفرس يعرفون عدد جيوشهم وما يستطيعون توجيهه منها على أعدائهم . بخلاف اليونان فقد كان فن الاحصاء معروفاً عندهم ، وكانوا على علم تام بموارد بلادهم وبعدد شعبهم وبالقدر الذى يمكن تجنيده من الرجال ، فكان ذلك عاملا من عوامل نجاحهم وانتصارهم فى كثير من الحروب التى خاضوا غمارها

وانظر الآن فى تطور فن الاحصاء وازدياد شأنه ، ليس بالنسبة الى الشؤون الداخلية فقط بل الى الشؤون الخارجية أيضاً . فكثير من علاقات الدول تقوم اليوم على مبادىء الاحصاء ، سواء أكانت سياسية أم عسكرية ام تجارية . وأى دليل أصدق على هذا من كون الدول ترتبط بقيود ومعاهدات تحدد بها جيوشها واساطيلها وطياراتها ومتاجرها وما الى ذلك من عوامل قوتها ورخائها ؟ وفى الواقع ان لكل دولة من دول العالم اليوم ديوانا خاصا لجمع الاحصاءات والبيانات المختلفة . ومن أهم اعمال هذا الديوان مراقبة الدول الاجنبية لمعرفة مواردها المالية والاقتصادية والعسكرية

وقد كانت الحكومات قديما هى التى تتولى الاحصاءات المختلفة وتقوم بها ، ولكن فن الاحصاء تطور بمرور الزمن فاصبح عاملا لاغنى عنه لجميع الشركات والمصارف المالية فى العالم . وفى الواقع أنه ما من شركة مالية أو تجارية فى العالم تستطيع أن تستغنى اليوم عن الاحصاءات

خذ شركات التأمين مثلا تجد أن جميع اعمالها قائمة على فن الاحصاء ، ولولا اتقانها هذا الفن لاصيبت بالفشل المحقق ، فهى تجمع احصاءات المواليد والوفيات فى كل قطر تشتغل فيه ، وتدرس نسبة الوفيات واسبابها والعامل الذى يجعلها أعلى أو اقل مما هى فى غير ذلك القطر . فاذا استوفت ماتحتاج اليه من البيانات امكنها وضع جداول مسهبة تقوم عليها جميع أعمالها ، واذا كانت الاحصاءات التى لديها مبنية على الخطأ فنهاية اعمالها الى الفشل المحقق

وكذلك الحال فى جميع الشركات المالية والتجارية ، فان ميزانيتها مبنية كلها على احصاءات وبيانات لاغنى عنها والا تطرق الفشل اليها . فشركات السكك الحديدية فى أوربا مثلا تبنى اعمالها على احصاءات ايراداتها ونفقاتها الماضية ، فاذا اخطأت الحساب اصيبت بالفشل المحقق . وشركات البواخر تنفق مئات الالوف من الجنيهات على انشاء البواخر لنقل الركاب والبضائع وهى واثقة بالنجاح ، لان لديها احصاءات دقيقة عن حركة الركاب والمتاجر . وشركات الفنادق تبنى ميزانيتها على ماتتوقعه من اقبال السياح عليها ، لان لديها احصاءات مسهبة عن حركة السياح فى كل جهة من جهات العالم

وغنى عن البيان أن اقدم ضروب الاحصاءات التى عرفها البشر هى احصاءات عدد الاهالى

وتعداد المواليد والوفيات لتعيين الضرائب وتوزيعها وجبايتها ولتجنيد الجنود كما سبق القول . ثم تطورت النظم العمرانية والاقتصادية والسياسية ، فصارت الاحصاءات تتناول كل منحى من مناحي الحياة ـ كاحصاء المتاجر وحاصلات البلاد ودور التعليم وموارد الدولة وضروب الامراض وما الى ذلك من الشؤون المختلفة التي لاتقع تحت حصر . وما من شيء كالاحصاءات الدقيقة للدلالة على حالة الدولة من حيث رخاؤها ودرجة رقيها وتعيين مواردها وتحديد عدد جيوشها ودور تعليمها ومصالحها وهلم جرا

وليس الغرض من فن الاحصاء جمع الارقام والبيانات المجردة بل تبويبها وترتيبها وابراز مالها من دلالة لايجوز اغفالها . فاذا دلت الاحصاءات على تناقص موارد الدولة مثلا وجب البحث عن علة ذلك التناقص . واذا دلت على زيادة نسبة الوفيات او نقص المواليد أو ما الى ذلك تعين على أولياء الامر تحرى اسباب ذلك لاصلاح الحالة وتلافى الضرر

ثم ان الدلالة المعنوية للارقام لا تظهر بوضوح الا اذا تم تبويبها باسلوب خاص وبجداول تبين فيها المدد المتعاقبة ونسبة الزيادة أو النقص ومقدارها العددى وقيودها الزمانية والمكانية الى غير ذلك من البيانات التي لا غنى عنها لايضاح الدلالة المعنوية . ومن تحصيل الحاصل أن نقول انه كلما زادت البيانات التفصلية واتسع نطاق المدة التي تشملها كان الاحصاء أقرب الى الدقة وكانت دلالته أقرب الى الحقيقة

مثال ذلك اننا اذا أخذنا احصاء سكان القطر المصرى للمائة سنة الماضية كان هذا الاحصاء أدق فى دلالته على نسبة زيادة السكان منه لو قصرناه على العشرين سنة الماضية فقط . ولو احصينا مواليد مديرية واحدة فقط من مديريات القطر المصرى ما كانت دليلا صحيحاً على نسبة المواليد فى القطر كله . وهذا دليل على انه كلما اتسع نطاق الزمان والمكان الذى يتناوله الاحصاء كان الاحصاء أوفى بالغرض وأقرب الى الحقيقة

ولا بد لنا من القول هنا ان الاحصاءات المبنية على المصادفة المحضة لا يمكن التعويل عليها بوجه من الوجوه . ومن هذا القبيل الاحصاءات المبنية على حوادث فجائية طارئة فانها تؤثر فى النسب (جمع نسبة) المئوية ، والنسب المئوية هى أهم العبر التي يمكن استخلاصها من الاحصاءات بوجه عام ، فاذا أصيب قطر من الاقطار بوافدة وبائية مثلا فى سنة من السنين فالمنتظر أن يزيد عدد الوفيات فى ذلك القطر فى تلك السنة ، ففى هذه الحالة يجب اعتبار تلك الزيادة طارئة لا تأثير لها فى المجموع العام بوجه الاجمال . وليس معنى هذا اهمال النظر فى العوامل التي أدت الى تلك الزيادة بل يجب بالعكس تحرى تلك العوامل لتلافيها اذا أمكن

ولننظر الآن الى ميزانيات الدول فهى مبنية فى هذا الزمن (اكثر منها فى كل زمن مضى) على الاحصاءات ، وكلما كانت تلك الاحصاءات أقرب الى الدقة كان توازن الدخل والخرج فى

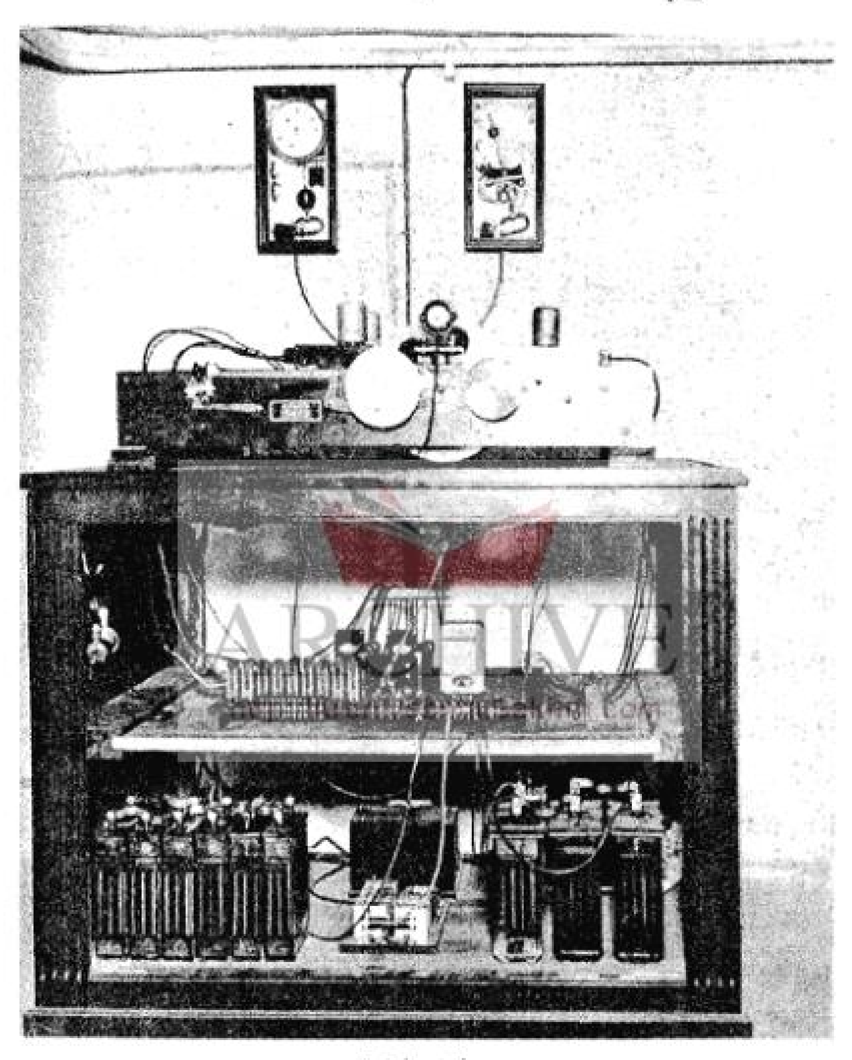
الميزانية أقرب الى التحقيق . ولا حاجة الى القول ان ابواب الميزانيات تتضمن تقديرات موارد الدولة وما هذه التقديرات سوى احصاءات تخمينية لتلك الموارد وما ينتظر أن تدره على الدولة. فاذا كانت التقديرات قرينة الصواب كان توازن الميزانية محققاً ، واذا كان العجز قد تطرق فى هذه السنين الأخيرة الى ميزانيات بعض الدول فذلك لخطأ فى تقدير الموارد الا اذا كان التقدير فى حد ذاته يدل على أن العجز متوقع بسبب طارئ لا يمكن تلافيه ، وفى هذه الحالة لا تستقيم الميزانية ولا تتحقق موازنتها الا باتباع ضروب الاقتصاد فى أبواب الخرج المختلفة

وقد اعتدنا أن نرى الاحصاءات مدونة بجداول مختلفة الاوضاع والاشكال . وقد كانت هذه الجداول بسيطة فى الازمنة السالفة ثم تنوعت وتشعبت بما صار يضاف اليها من البيانات . وبمرور الزمن وتطور فن الاحصاء أخذ الاحصائيون يستعملون الرسوم البيانية (الجغرافية) المختلفة ، وقد تكون ـ أو لا تكون ـ أدق من الاحصاءات العددية ولكنها ابرز منها فى دلالتها وأوضح للعيان . وهنالك ايضاً رسوم بيانية ملونة وللالوان فيها دلالات مختلفة ، والغرض منها تسهيل استيعاب الاحصاء ، على ان هذه الرسوم الملونة لا تقوم مقام الاحصاءات العددية الدقيقة

ولعل أشد شعوب الارض ولعاً بالاحصاء فى الوقت الحاضر هم الاميركيون ، فهم يحصون كل شيء ـ من موارد الدولة الى عدد انفاس المجرمين ونسبتها الى عدد انفاس غير المجرمين . ومصلحة الاحصاء فى اميركا هى أكبر مصلحة للاحصاء فى العالم ولديها من ضروب الاحصاءات ما لا يخطر ببال انسان

وفى مصر أيضاً مصلحة للاحصاء انشئت فى سنة ١٩٠٥ ، ثم نمت وتطورت حتى اصبحت تضارع مصالح الاحصاء فى اوربا . وهذه المصلحة تقوم بمباحث احصائية مختلفة تمد بها الجمهور عموماً والحكومة خصوصاً ، ويساعدها على القيام باعمالها ما هى مجهزة به من الآلات الفنية الحديثة . وهذه المصلحة هى غير اقلام الاحصاء التى فى الوزارات المختلفة . وفى الواقع ان هذه المصلحة تجمع الاحصاءات الاجتماعية والاقتصادية والمالية من المصالح العمومية والخصوصية ، وبعد فحصها وتبويبها تطبعها فى نشرات دورية ، يصدر بعضها اسبوعياً وبعضها شهرياً وبعضها كل ثلاثة اشهر وبعضها سنوياً . وفضلا عن ذلك تقوم باحصاء سكان القطر المصرى احصاء عاماً مرة كل عشر سنوات . وأهم نشراتها هى كتاب الاحصاء السنوى العام للقطر المصرى ، والنشرة السنوية لاحصائية الزراعة ، والنشرة السنوية عن التجارة الخارجية بالقطر المصرى ، والنشرة الشهرية عن تلك التجارة ، والنشرة الاسبوعية (والنشرة السنوية ايضاً) عن المولودين والمتوفين بالامراض المعدية ، والاحصائية الشهرية الزراعية ، ونشرة القطن الاسبوعية ، والنشرة الاسبوعية لأثمان الحاجات بالجملة وبالقطاعى فى الاسواق ، واحصاء المدارس بالقطر المصرى ، واحصاء الشركات . الخ . الخ

سير العلوم والفنون



ساعة ناطقة

أقيمت في باريس ساعة غريبة تجيب السائل عن الوقت عندما يخابرها تليفونياً ! وقد أوصلت هذه الساعة الناطقة بعشرين خطاً تليفونياً بحيث تستطيع الاجابة على عشرين سائلا في وقت واحد . وفوق هذا الكلام جانب من آلات تلك الساعة العجيبة

تجارب جديدة

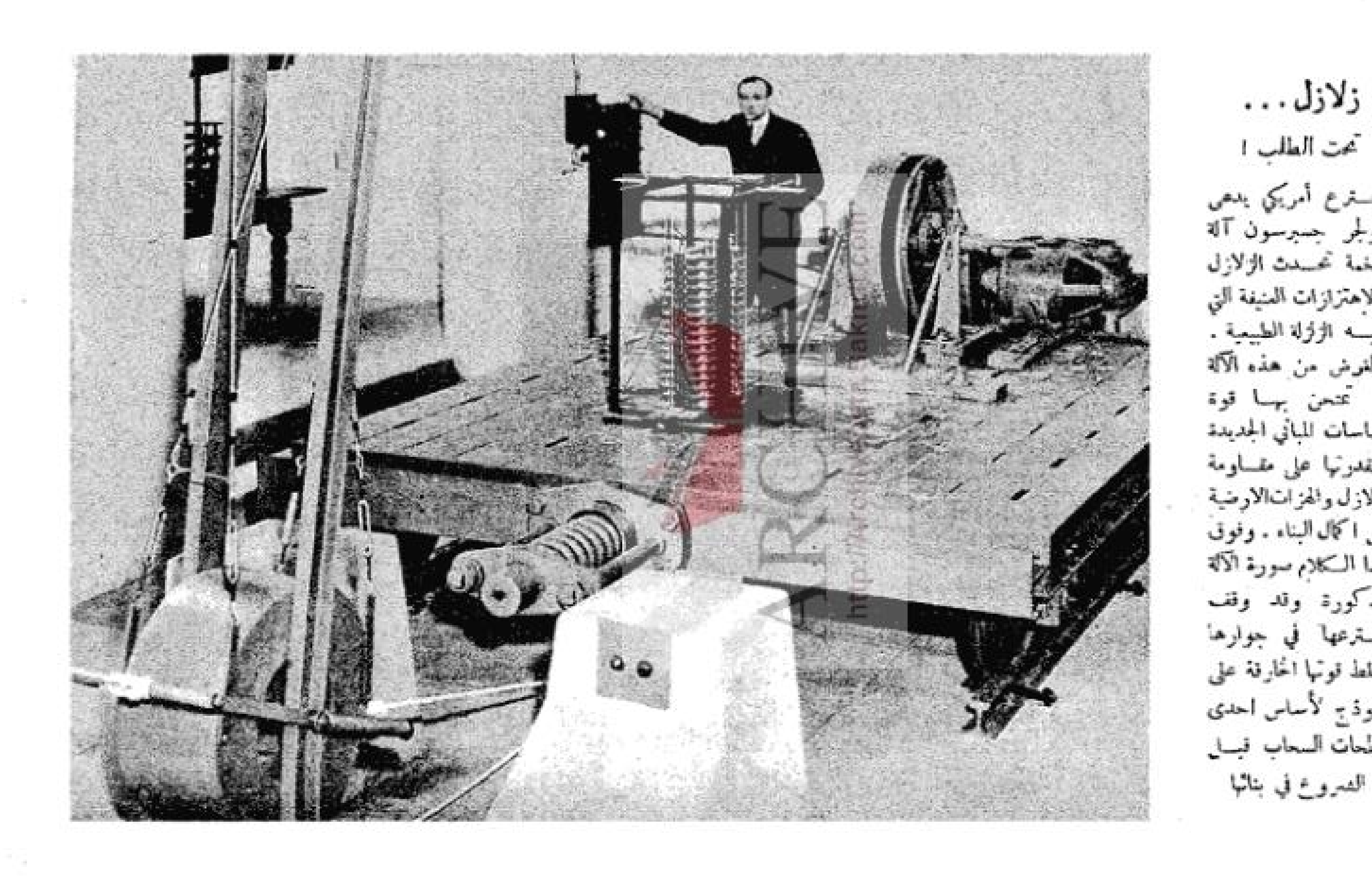
على الذرة الكيماوية

يقوم الآن العالم الروسي كابيتزا بتجارب مهمة على الذرة الكيماوية في معمله الذي بني له خصيصاً في كامبردج . ويقال انه توصل الى تحويل غاز الهليوم الى سائل بمقادير كبيرة مع أن العلماء لم يصلوا الا إلى تحويل كميات قليلة جداً منه . وسيتمكن الاستاذ كابيتزا من تغيير وضع النواة داخل الذرة . ويعد عمل هذا العالم من اكثر الاعمال خطراً ويتطلب حذراً شديداً . اذ يستلزم أن يباشر تجاربه في درجة حرارة قد تصل الى ٤٥٠ فهرنهيت تحت الصفر . وترى الى يمين هذا الكلام صورة الآلة التي يستعين بها العالم كابيتزا في القيام بتجاربه

زلازل ...

تحت الطلب !

اخترع أمريكي يدعى هولجر جيرسون آلة ضخمة تحدث الزلازل والاهتزازات العنيفة التي تشبه الزلزلة الطبيعية. والغرض من هذه الآلة ان تمتحن بها قوة أساسات المباني الجديدة ومقدرتها على مقاومة الزلازل والهزات الارضية قبل اكمال البناء. وفوق هذا الكلام صورة الآلة المذكورة وقد وقف مخترعها في جوارها يسلط قوتها الخارقة على أنموذج لأساس احدى ناطحات السحاب قبل الشروع في بنائها



تنظيف الخشب

بتيارات من الرمل

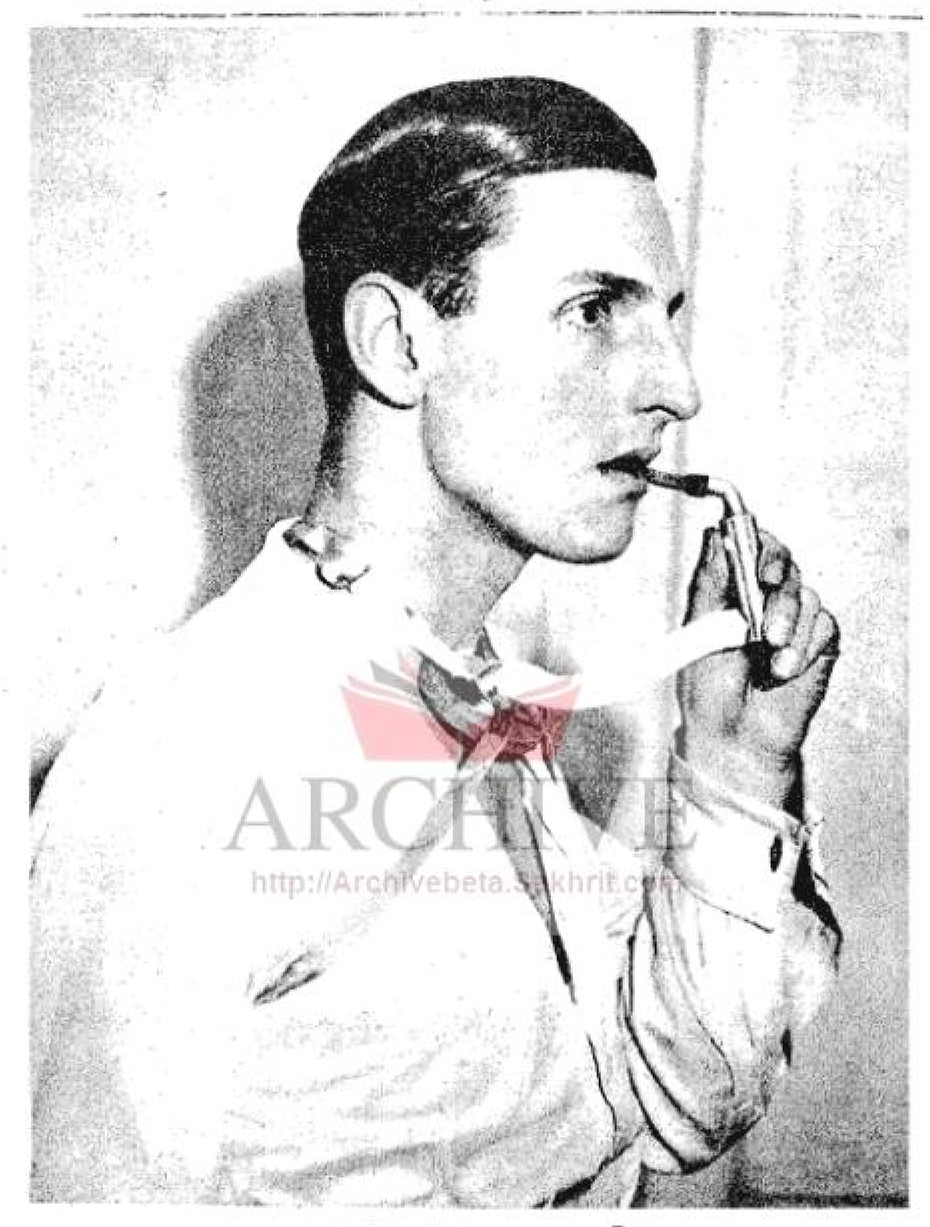
انتشرت في فرنسا طريقة جديدة لتنظيف الخشب بواسطة تعريضه لتيارات من الرمل الدقيق الذي يندفع من أنابيب خاصة بقوة شديدة فيؤثر في الخشب تأثيراً لا يتيسر لأية اداة أخرى. وفوق هذا الكلام صورة عامل يقوم بهذه المهمة بعد ان وضع على رأسه قناعاً خاصاً يقيه من ان يتناثر الرمل المنهمر الى وجهه أو عينيه





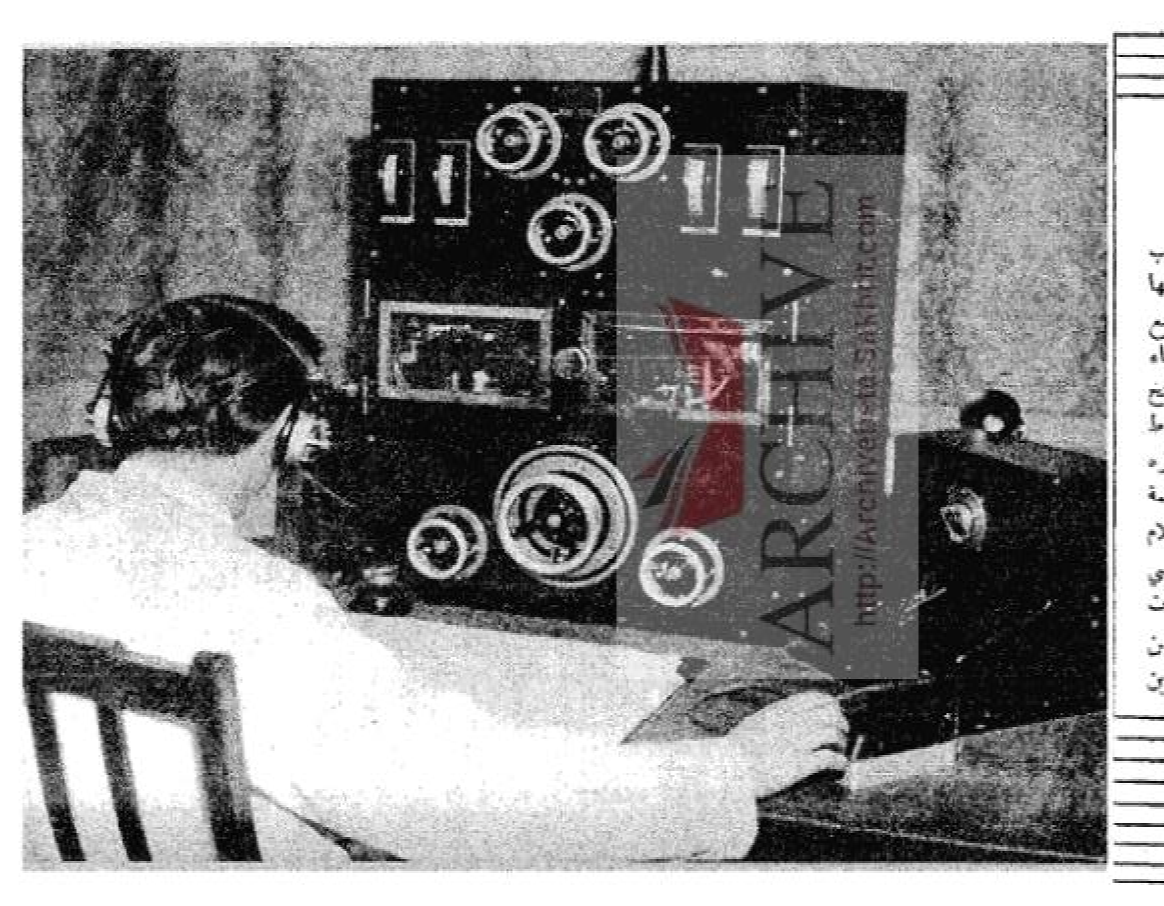
انارة امعاء الانسان

اخترع طبيب الماني يدعى الدكتور شندلر جهازاً يبلعه الانسان فيستطيع الطبيب أن يرى امعاءه بجلاء ووضوح . ولقد سعى الاطباء في سبيل هذا الاختراع منذ زمن بعيد الى أن وفق اليه هذا الطبيب الالماني الذي ترى صورته فوق هذا الكلام ممسكا بالجهاز العجيب



آلة يتحدث بها فاقدو النطق

يحدث أن يفقد بعض الناس النطق وتتعطل أوتارهم الصوتية عن عملها العادي أثر عملية جراحية أو اصابة بالشلل . وقد اخترع طبيب فرنسي جهازاً يسهل النطق على هؤلاء التاعسين ، وهو آلة صغيرة تتصل بأنبوبة يضع فاقد النطق فوهتها في فمه ويتحدث فلا يخرج من فمه إلا هواء (بسبب تعطل أوتار الصوت) ، ولكن ذلك الجهاز يحيل هذا الهواء الى أصوات مفهومة توضح الكلمات



نقل صور وبصمات

أصابع المجرمين بالراديو

انشئت في فرنسا منذ عهد قريب محطات لاسلكية يستخدمها البوليس في نقل بصمات أصابع المجرمين وصورهم الى الانحاء المختلفة خدمة للعدالة ، وقد افتتح في باريس أخيراً مجمع لخطوط هذه المحطات جيعاً وجعل مركزه في ادارة الامن العام بالعاصمة الفرنسية . وفوق هذا الكلام صورة أحد عمال المجمع الرئيسي وهو يبعث الى سائر محطات الراديو البوليسية نسخاً من « تشيه » أحد المجرمين الفارين

ميكروبان لمرض واحد

يعتقد الآن فريق من كبار الأطباء الأميركيين أن لمرض السعال الديكي ميكروبين وأن المرض فى حد ذاته هو مجموع مرضين ، يبدأ أحدهما ببرد شديد يصيب الرأس ، ويبدو الآخر بصفة سعال مصحوب بشهقة وبغيرها من أعراض الداء . فأما البرد الذي يصيب الرأس فيجيء عن طريق العدوى بميكروب من النوع الذي يمر بالمرشحات وهو غير معروف حتى الآن . وأما السعال فينشأ على الأرجح عن باشلس السعال المعروف لدى الأطباء بأسماء مختلفة

وفى الواقع أن مرض السعال الديكي هو - على ما يقول أساتذة كلية جون هوبكنس للطب - دوران منفصل كل منهما عن الآخر . وهذا من أسباب صعوبة معالجة هذا الداء وعدم تمكن الأطباء حتى الآن من صنع لقاح مضمون واق منه

سبب تسوس الاسنان

أحدث الآراء العلمية فى تسوس الاسنان هو أن هذه الحالة تنشأ عن نقص المادة الفوصفورية والفيتامين « د » من المواد الغذائية التى يتناولها الانسان . وقد ثبت هذا الرأى من تجارب علمية واسعة النطاق قام بها فريق من علماء طب الأسنان فى أميركا وجمعوا احصاءات كثيرة عن طلبة المدارس وعن الأنواع الغذائية التى كانوا ولا يزالون يتناولونها وتأثيرها فى أسنانهم

تأثير الحواس المتبادل

كان معروفاً منذ زمن طويل ان بين بعض الحواس علاقات متبادلة بحيث اذا أصيبت احدى تلك الحواس بعطب أصيب غيرها أيضاً بشيء من ذلك العطب . وتدل التجارب العلمية الحديثة على ان بعض الروائح العطرية تؤثر فى النظر تأثيراً يذكر فتزيده قوة وحدة . ويقال ان رائحة زيت السترونيلا تجعل البصر حاداً لانها تؤثر فى أعصاب العين وتنبهها وكذلك تؤثر هذه الرائحة فى حاسة الذوق ايضاً إلى حد بعيد

تغير الوان الاوراق

يقول الاستاذ ساندو من كبار موظفى وزارة الزراعة بأمريكا ان التغير الذى يطرأ على ألوان أوراق الاشجار فى الخريف يرجع الى ما يقع داخل تلك الاوراق من التغيرات الكيماوية . ولا يخفى أن فى تلك الاوراق من جملة ما فيها نوعين من المواد : أحدهما من مركبات الكاروتينوئيد والآخر من مركبات الانثوسيانين. فالاولى هى من المواد الملونة وتظل مخفية معظم الوقت بسبب وجود الكلوروفيل أو المادة التى هى سبب اللون الاخضر فى الاوراق . ومتى حان فصل الخريف زالت مادة الكلوروفيل فتظهر اذ ذاك مادة الكاروتينوئيد التى تصبغ الاوراق بلون اصفر ، واذا لم تمتزج بها مواد أخرى ملونة أصبح لون الاوراق اصفر برتقاليا أو ضارباً الى الحمرة . اما مركبات الانثوسيانين فانها تصبغ الاوراق بلون أحمر داكن اوقرمزى قاتم كلون السماق والماهوغنى وما أشبه

مصدر جديد للراديوم

لا يخفى أن سبب غلاء الراديوم هو ندرته وقلة الموجود منه فى طبقات الارض . والعلماء يبحثون باستمرار عن مصادر هذا العنصر للاستزادة من الكمية الموجودة منه . وقد وردت الأنباء الآن بأن الأستاذ بيجوت وهو من علماء الكيمياء بأميركا قد عثر فى جزائر هاواواى على طبقات من الحمم البركانية القديمة ووجد بينهـــا آثاراً لعنصر الراديوم . وقد عنيت الحكومة الاميركية بهذا الاكتشاف لأنه مع قلة الكمية التى تحويها طبقات الحمم المذكورة من الراديوم ستزيد الكمية الموجودة من هذا العنصر الذى يعتقـــد الاطباء أنه سيحدث انقلاباً عظيما فى عالم الطب

الكتابة في الهواء

من الأمثال الشائعة قول الناس فلان يكتب على صفحات الماء أو الهواء . كناية عمن يعمل عملا لايظهر أثره على الاطلاق . وقد تحققت الآن الكتابة فى الهواء باختراع مصباح كهربائى عاكس يمكن بواسطته كتابة الكلمات على الغيوم فى الجو ، وقد الفت فى انجلترا شركة لاستغلال هذا الاختراع ولنشر الاعلانات التجارية وأخبار العالم السياسية فى الجو بواسطته

اعادة نبضات القلب

خفوق القلب هو دليل على الحياة . فاذا وقعت الوفاة وقف الخفوق تماما . وقد وقفنا الآن على خبر فى احدى المجلات العلمية مؤداه ان أحدهم اخترع ابرة كهربائية تعيد الى القلب نبضاته وتفعل فيه فعل الحقن بالكافور . ومن مزايا هذه الابرة انه يمكن بواسطتها تنظيم عدد نبضات القلب والتحكم فيها حتى يكون ذلك العـــدد مطابقا لسن الشخص المراد اعادة نبضات قلبه

نظرية جديدة في مصدر الحياة

الاستاذ سنيتسين عالم من كبار علماء الروس معروف فى جميع الدوائر العلمية باوربا وأميركا . وقد جاءنا الآن بنظرية جديدة بشأن مصدر الحياة مفادها ان فضاء الكون كله مملوء ذرات والترامكرسكوبية ، حية لا تمكن رؤيتها حتى بأقوى الميكرسكوبات وهى مصدر الحياة . ولا يخفى أن اقصر موجة من أمواج النور المنظور لاتقل عن اربعمائة مليميكرون ، فلو نقص طولها عن هذا الحد ما أمكن رؤية النور الناشىء عنها ولو بأقوى الميكرسكوبات . إلا أن هنالك آلات لتكسير النور يمكن بواســطتها رؤية الاشباح المعكوسة التى لا تزيد دقتها على نحو مائتى مليميكرون . ثم ان هنالك مرشحات من الفخار الصينى يمكن بواسطتها التحقق من وجود ذرات حية أصغر حجما من الامواج المذكورة ، ولكن لا تمكن رؤيتها حتى بأقوى الميكرسكوبات . ومنها ميكروب « مرض الفم والقدم » فهو من أصغر الميكروبات التى ثبت للعلم وجودها . ولا يخفى ان النظرية الكيمياوية بشأن مصدر الحياة تقول انه لما

بردت الكرة الارضية اتحدت بعض العناصر فيها معاً ونشأت منها ذرات حية . وقد اثبت العلم ان بعض الميكروبات تستطيع مقاومة الحرارة والسموم التي لا تستطيع غيرها من الكائنات الحية احتمالها ، وان بعض الميكروبات الاخرى تستطيع ان تعيش بلا اوكسجين . وعليه فليس ثمة ما يمنع ان يكون الفضاء — حتى الفضاء الخالي من الاوكسجين — مشبعاً بالذرات الحية غير المنظورة ، وان تكون هذه الذرات موجودة في جميع الكائنات العلوية ومن مجموعها يتألف شبه مجرى أو تيار هو مصدر الحياة

غبار الفحم

الاعتقاد الشائع بين جمهور المشتغلين في مناجم الفحم الحجري هو ان غبار هذا الفحم ضار بالصحة وباعث على الامراض التي تصيب الرئتين . إلا أن الدكتور هلداين الاستاذ بجامعة كمبريدج قد جاءنا الآن بنظرية تناقض هذا الاعتقاد ، ومؤداها أن غبار الفحم الحجري مفيد للصحة بوجه الاجمال ، لانه يستثير نشاط الرئتين ويؤدي الى كثرة افراز البلغم ، أما الغبار الاعتيادي فيلصق بالرئتين ولا يستفزهما الى افراز البلغم . إلا انه عند ما يدخل غبار الفحم الرئتين يلصق به الغبار الاعتيادي التصاقا متينا ويخرج معه عند إفراز البلغم ، فلولا غبار الفحم ما تم افراز البلغم ، ولولا هذا الافراز ما نظفت الرئتان من الغبار الاعتيادي

اصغر اولاد الاسرة

قام الدكتور بولز من اساتذة جامعة هارفرد بجمع احصاءات كثيرة لمعرفة نسبة أصغر أولاد الاسرة الى أكبرهم في مقاييس اجسامهم وقواهم العقلية . وبلغ عدد الاشخاص الذين فحصهم ثمانية عشر الفا بين رجال ونساء وشبان وشابات . فاتضح له ان اصغر الاولاد في الاسرة هم عادة اطول قامة من سائر اعضاء الاسرة وأكبر جسما وأقوى عقلا وأوسع ادراكا . ولم يقتصر فحص الدكتور بولز على الاميركيين فقط بل تناول ايضا اشخاصا أوربيين ويابانيين وغيرهم . وهذا دليل على أن كل جيل هو أطول قامة وأكبر جسما من سابقه

الارتجاف من البرد

ثبت من المباحث الطبية التي قام بها بعض الاطباء ان الارتجاف هو الوسيلة التي تلجأ اليها الطبيعة لتدفئة الجسم . وتفصيل ذلك انه لما تبرد بشرة الجسم تأخذ عضلات الاوعية الدموية في التقلص ، وهذا التقلص يجعل الدم يتدفق من الاوعية الدموية الصغرى الى الاوعية الكبرى . وبما ان الاوعية الاخيرة تتمدد وتنتفخ بما يتدفق اليها من الدم ثم تتقلص بسبب حصول البرد ، فان تتابع التقلص والتمدد على وجه أشبه بنوبة تشنجية يسبب الارتجاف . وقد ثبت بالاختبار ان التنفس بواسطة الانف يزيد في اوكسجين الدم ويؤدي الى انتاج الحرارة

قوة البرق

اذا تذكرت أن قوة الكهرباء التى تستمد منها مدينة القاهرة ما تحتاج اليه من نور وحرارة لاتزيد على مائتى « فولت » أدهشك أن يقال لك ان قوة الكهرباء التى فى البرق تجاوز مئات الالوف من الفولتات . وقد حسب أحد العلماء أن هنالك نحو مائة الف « فولت » فى شرارة من البرق لايزيد طولها على قدم واحدة وان شرارة البرق التى يناهز طولها كيلو مترا واحدا تكون قوتها خمسمائة مليون فولت فتأمل !

ويقدر العلماء قوة التيار الكهربائى فى البرق بعدد من « الامبيرات » يختلف من خمسة آلاف الى مليون

المدنية وحاسة السمع

من مساوىء تقدم الانسان فى المدنية أن هذا التقدم يؤدى إلى ضعف الحواس الخمس ، فالانسان المتمدن اضعف سمعاً وبصراً وشما وذوقاً ولمساً من الانسان المتوحش ، وهذا الأخير اضعف فى حواسه الخمس من الحيوان . وهذا دليل على انه كلما ارتقى الانسان ضعفت حواسه الخمس ، ولا عجب فان المدنية تقتضى إجهاد تلك الحواس ، والاجهاد يؤدى إلى ضعفها

وقد درس الدكتور هوايت (وهو من كبار العلماء الاميركيين فى علم الأصوات) مشكلة الاصوات المزعجة التى تملأ اليوم شوارع المدن والتى هى من لعنات المدنية الحاضرة ، فاتضح له ان حاسة السمع فى الانسان قد اخذت تضعف بالتدريج ، وأن الصمم قد أخذ ينتشر فى المدن التى تكثر فيها الضجة والاصوات المزعجة . ولعل افظع الأصوات المزعجة هى اصوات القطرات الحديدية التى تسير تحت الأرض فى العواصم الكبرى كلندن وباريس ونيويورك

وفى الواقع ان صلصلة تلك القطرات مما لا يطاق سماعه ، لأن القطرات تسير فى انفاق تحت الارض تحبس فيها اصواتها ولا تنصرف فى الهواء الطلق . اضف إلى ذلك ان شوارع المدن فى الوقت الحاضر لا تخلو من اصوات مزعجة تقلق راحة الانسان وتضعف فيه حاسة السمع ، وإذا استمرت تتزايد كما هو المنتظر فستؤدى إلى انتشار الصمم بين الناس . وقد ينتقل هذا الصمم فى المستقبل بالوراثة بحيث تفقد الاجيال المقبلة حاسة السمع بتاتاً . لذلك يحذر الدكتور هوايت المذكور الحكومات وينبهها إلى وجوب اتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الضجة والاصوات المزعجة وليس ذلك من الامور المتعذرة . فالانفاق التى تسير فيها قطرات السكك الحديدية تحت الارض مثلا يمكن تبطينها بمواد تمتص الصوت ، وأصوات العجلات الحديدية يمكن ازالتها بالباس تلك العجلات اطارات من الكوتشوك . وهكذا قل فى سائر الاشياء التى تتولد منها اصوات مزعجة فان مقاومتها فى وسع الناس فاذا لم يتصدوا لمقاومتها ندموا ولات ساعة مندم

شؤون الدار

لحفظ الجبن

الجبن من أسرع المواد الغذائية الى العطب وهو بيئة خصبة لانواع كثيرة من الجراثيم والبكتيريا . وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات الاميركية التى تبحث فى صناعة الالبان ان اضافة القليل من حامض الليمون (اسيد سيتريك) الى الجبن يحفظ طعمه ويمنعه من العطب . ولكن يظهر ان نتيجة معالجة الجبن بحامض الليمون على هذا الوجه تختلف باختلاف انواع الجبن . « فالتشيدار » (أو الجبن الانجليزى) و « الجرافيرا » والجبن الهولندى وغيرها من الانواع اذا عولجت بحامض الليمون أمكن حفظها طويلا حالة ان هنالك أنواعاً أخرى لا يمكن حفظها على هذه الطريقة مدة طويلة

جهل شائع

من ضروب الجهل الشائع بين الكثيرات من الامهات ان بعضهن يعرضن أولادهن للبرد بقصد تعويدهم العيشة الصحية الصحيحة ، وعلى اعتقاد ان الاولاد الذين يعتادون البرد يشبون أقوياء الاجسام اصحاء الابدان . ولكن هذه الفكرة خطأ من أساسها لأن تعريض الطفل للبرد كثيراً ما يعرضه لامراض خطرة قد يستعصى شفاؤها فيما بعد ، ولا سيما الامراض الصدرية التى تقوى وتشتد فى البيئات الباردة

وكما أن تعريض الطفل للبرد مساوىء وخيمة كذلك المغالاة فى احاطته بوسائل الدفء مضرة ، فان شدة الحر مضعفة للاعصاب وباعثة على فتور الهمة . والوالدة الحكيمة هى التى تلاحظ حالة طفلها فتبعده عن عوامل البرد والحر وتضمن له الجو المعتدل والثياب الواسعة المريحة

إهمال الامهات

من الحقائق المحزنة التى لا بد لنا من الاعتراف بها أن كثيراً من حوادث الجنون وارتكاب الجرائم يمكن اجتنابها لوأن الامهات اهتممن بمراقبة اطفالهن منذ أول الامر . فأعراض الجنون والميل الى الاجرام تظهر منذ الحداثة بشكل نوبات قد لا تخفى على الأم الحكيمة . فاذا تنبهت لها فى الوقت الملائم أمكنها ، بمساعدة طبيب خبير ، ان تصلح طفلها قبل فوات الفرصة . فقد ثبت الآن على وجه لا يقبل الشك أن فى الامكان التأثير فى ميول الاطفال ونزعاتهم لاصلاح الفاسد منها قبل استفحالها . ويقول بعض الباحثين ان الامهات اللواتى يعنين مثل هذه العناية باطفالهن يوفرن لهم السعادة ويبعدنهم عن السجون وعن مستشفيات المجاذيب فضلا عن أنهن يحسن الى الاجتماع احساناً عظيماً

عث الكتب

هو نوع - بل انواع - من الحشرات التى تقضم الكتب وتلتهمها. وكثيراً ما تتسبب فى خسائر فادحة بالتهامها الكتب والمخطوطات الثمينة. ولعل أشهر تلك الانواع الحشرة المعروفة علمياً باسم «سيتودريبا بانيتشيا» (Sitodrepa Panicea) وهى أشد الحشرات فتكاً بالكتب وبأثاث المنزل أيضاً، ولا يؤثر فيها الزرنيخ ولا الرصاص ولا غيرهما من السموم أو المواد اللاذعة التى تؤثر عادة فى الحشرات. وقد ثبت الآن ان افضل طريقة للقضاء على هذه الحشرة هو تبخير الكتب وأثاث المنزل بغاز الكربوكسيد (Carboxide) وهوغاز مادة سائلة محضرة من اتيلين الاوكسيد وثانى اوكسيد الكربون. وليس ثمة أى خطر من استعمال هذه المادة لانها غير قابلة للالتهاب أو الانفجار ومفعولها فى ابادة العث أكيد جداً.

ازالة البقع الدهنية

من أحسن المواد لازالة البقع الدهنية عن الثياب «تتراكلوريد الكربون»، فانك اذا دعكت به البقع زال أثرها. ومن خواص هذه المادة انها لاتغير لون الثوب بعد ازالة البقعة. وفى الامكان شراؤها بكميات كبيرة وباسعار رخيصة جداً من أى مخزن من مخازن الادوية

واذا كانت البقعة المراد ازالتها ناشئة عن شحم الاوتوموبيل فيحسن دعك البقعة بالفازلين من الجهة المقابلة من النسيج (أى البطانة) ثم دعك الظهارة بمادة تتراكلوريد الكربون المذكورة

الصابون من الجراد

يصنع الصابون من مواد كثيرة وبطرق مختلفة، ومنه انواع تقتل بعض الميكروبات - لا كلها - بحيث يمكن تعقيم اليدين بالاغتسال بها. على ان الزعم ان جميع انواع الصابون تقتل الجراثيم هو مصدر خطر كبير. وعندما يكون أحد أعضاء الاسرة مصاباً بمرض معد خطر يجدر بالأم ان تراقب اطفالها ولا تكتفى بان يغسلوا ايديهم بالصابون قبل جلوسهم الى المائدة بل يجدر بها ان تجعلهم يغطسون أيديهم بمادة معقمة كالسليمانى أو الليزول أو ما أشبه قبل الغسل بالصابون

وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات الطبية ان بعضهم وفق الى صنع صابون من الجراد ومادة الليزول، وان الاغتسال بهذا الصابون يكفى للتعقيم. ولكن لم يمر الزمن الكافى لاختبار فعل هذا الصابون

اللبن غير المعقم

من الاعتقادات الشائعة بين الجمهور ان اللبن المعقم (المغلى) يفقد بعض خواصه الغذائية وأن الطازج أفضل منه. وقد قامت إحدى الجمعيات العلمية فى أميركا بالبحث فى هذه المسألة وأجرت تجارب على ثلاثة آلاف وسبعمائة طفل فى تسع وثلاثين مدينة مختلفة من

مدن الولايات المتحدة فثبت لها ما يأتى :

(١) ان ثقل الاولاد الذين يربون على اللبن المعقم يزيد على ثقل الاولاد الذين يربون على اللبن الطازج

(٢) ان طول قامات الفريق الاول من اولئك الاولاد يزيد على طول قامات الفريق الثانى

(٣) ان الاولاد الذين يتناول آباؤهم اللبن الطازج يكونون معرضين للدفتيريا والحمى القرمزية والكساح وامراض الامعاء أكثر من الاولاد الذين يتناول آباؤهم اللبن المغلى

وعليه يجدر بالآباء والامهات ان يلاحظوا هذه الحقائق التى تدحض المزاعم الفاسدة بشأن اللبن المغلى

الاديسين

هو مادة جديدة اكتشفها بعض كبار الاطباء لمعالجة الانيميا او فقر الدم . وهم يعتقدون أن من خواص هذه المادة انها تنشىء الدم وتقويه . ويعتقد غيرهم انها من الهورمونات التى لابد من وجودها فى الدم . وقد سموا هذه المادة « اديسين » . وطريقة المعالجة بها هى الحقن فى العضلات

البرد والجراثيم

يعتقد معظم الناس ان الحرارة الشديدة والبرد الشديد يقتلان الجراثيم والميكروبات ، ولكن العلم قد اثبت ان هنالك ميكروبات لا يمكن قتلها بالماء الغالى ولا بالسم . وقد ثبت ايضا ان هنالك ميكروبات بقيت عائشة فى بيئة متجمدة بلغ البرد بها الدرجة ٤٥٥ تحت الصفر بالفهرنهيت ، فلما ذابت تلك البيئة المتجمدة عادت تلك الميكروبات الى نشاطها وتناسلت بكثرة . وهذا دليل على ان وضع الاطعمة فى الجو البارد (المثلج) قد يحفظها قليلا ، ولكنه لا يقتل ما قد يكون فيها من البكتيريا والجراثيم

الاصابة عند الولادة

يؤخذ من تقارير طبية كثيرة ان نحو عشرة فى المائة من الاشخاص المصابين بضعف العقل أو العته أو الخبل هم ضحايا اضرار أصيبوا بها عند الولادة بسبب اهمال الطبيب المولد أو المولدة ، فقد يصاب الطفل عند ولادته بضربة — مهما تكن لطيفة — على رأسه أو قلبه وهذه الضربة يظهر أثرها فيما بعد

وقد فحص فريق من كبار الاطباء الالمانيين نحو خمسمائة مجنون بمستشفيات المجانين المختلفة بالمانيا ، فاتضح لهم ان جنون نحو خمسين شخصاً منهم ناشىء عن اصابات من النوع المشار اليه ، وهذا يحتم التزام أدق العناية فى توليد الام كما يحتم على الام أيضاً أن تعنى أشد العناية بطفلها وتجعل رأسه بمأمن من كل صدمة أو لطمة قد يظهر أثرها فيما بعد . والتشنجات التى يصاب بها الاطفال فى بدء حياتهم اذا اهملت قد تؤدى فيما بعد الى الجنون ، وكثيراً ماتكون هذه التشنجات نتيجة اصابة عند الولادة من النوع الذى سبقت الاشارة اليه

اليود وبيض الدجاج

قام بعض العلماء الالمانيين بتجارب لاختبار تأثير اليود فى تغذية الدجاج فثبت ان زيادة ملليجرامين من « أيوديد البوتاس » فى غذاء الدجاجة يزيد فى انتاج البيض وفى حجمه زيادة محسوسة . وبفحص هذا البيض ظهر ان كمية اليود فيه تصبح من ثلثمائة ملليجرام الى اربعمائة مع انها لا تزيد فى البيض الاعتيادى على سبعة ملليجرامات

ومعظم اليود الذى يوجد فى البيضة يتجمع فى صفارها ، والمعروف لدى الاطباء ان اليود لازم لغذاء الانسان ، وتحسن الأم صنعاً بتغذيتها اطفالها ببيض يشتمل على الكمية الوافرة من هذه المادة

مبيد جديد للحشرات

مادة الروتنون (Rotenone) هى من أقوى المواد المعروفة المبيدة للحشرات ، وهى مع كونها سماً زعافاً للحيوان لا تؤذى الانسان . وهذه المادة غالية الثمن لانها تستخرج من نبات نادر يسميه الاميركيون « رباط حذاء الشيطان » ، واسمه العلمى « جراكا فرجينيانا » (Gracca Virginiana) . وقد عثر الاميركيون أخيراً على مورد جديد له اكتشفوه فى مساحات واسعة فى عدة ولايات ببلادهم ولا سيما فى الولايات الواقعة بين نيوانجلند ومنيسوتا حتى ولاية فلوريدا جنوباً . وقد شرعوا فى استخراج مادة الروتنون منه ، وستصبح الولايات المتحدة من الآن فى غنى عن المواد المبيدة للحشرات التى تستوردها من الخارج وفى ذلك وفر مالى عظيم . والمتوقع ان يعم استعمال الروتنون فى البيوت وغيرها وان يكون فى استعمالها قضاء على كثير من الحشرات المؤذية

العناية بالآذان

واجبات الام الحريصة على سعادة أولادها كثيرة متنوعة ، وفى مقدمتها العناية بصحة اطفالها الجسمية . ومن ضروب العناية بالصحة تنظيف الاذنين من وقت الى آخر من الشمع الذى يكاد يسدهما ويحدث الصمم فيهما . وقد ثبت من فحص حالة الكثيرين من المصابين بالصمم أن نحو عشرين فى المائة منهم اصيبوا بتلك العاهة بسبب اهمال والديهم لهم

وهناك سبب آخر للصمم وهو التعرض لاصوات الانفجارات المزعجة ، فقد ثبت أن تلك الاصوات مؤذية جداً ومؤدية الى الصمم . فعلى الوالدين ولا سيما الامهات واجب العناية بمسامع اولادهم وابعادهم عن الاصوات المزعجة حتى لا يعرضوا للصمم فيما بعد

العناية بأخمص القدمين

يقول احد الاطباء الفرنسيين ان بين ضيق الحذاء وضيق الخلق علاقة متينة ، وان معظم الذين يلبسون الاحذية الضيقة يكونون عادة شرسى الطباع سريعين الى الغضب . لذلك ينصح هذا الطبيب بملاحظة احذية الاولاد الصغار لكيلا يشبوا على حدة الطباع

فى عالم الادب

وحي الاربعين

للأستاذ عباس محمود العقاد

(طبع بمطبعة مصر بالقاهرة .
صفحاته ١٧٥ من الحجم المتوسط)

يمتاز الشاعر النابغة عن غيره بما وهب من دقة الحس ورقة العاطفة وفيض الخيال . فهو أنى ذهب أو أقام يحس بحركة الوجود ويستمع لنغم الحياة ونشيجها ، وسرورها وأحزانها ، ويرى من جمالها وقبحها ، وخيرها وشرها ما لا يستطيع غيره أن يراه إلا إذا منح هذا الحس الدقيق وتلك العاطفة المرهفة وذلك الخيال الفياض الذى يسيطر على الحياة ويتسع أمامه مجالها ، فيتناول كل شىء ولا ينحصر فى جانب واحد من جوانبها

تلك ميزة الشاعر النابغة الذى يسيطر حسه وخياله على كل شىء ، ويرى الحياة بمنظار مكبر ينبسط أمامه دقيقها وأدقها ، وما يخفى ويدق عن أنظار الناس . وهى ميزة الشاعر النابغة والكاتب الكبير الاستاذ عباس العقاد . فقد أرانا فى هذا الوحى - وحى الاربعين - كما ارانا فى ديوانه وسائر أشعاره التى ينشرها بين حين وحين ان الحياة اوسع دائرة ، وان آفاق الوجود تتسع إلى غير نهاية لغرائب الاحساس، وان للخيال سيطرة تتحطم أمامها كل القيود والسدود ، وأن الشعر لا يقف عند حد ولا يتقيد بمثال ، فهو يتسع لكل خاطر ويستجيب لكل طور من أطوار النفوس الشاعرة

يرينا الاستاذ العقاد ذلك كله فى وحيه الاربعيني وفى سائر أشعاره . فهو يحس بكل شىء يراه أو يلابسه أو يتصل بحياته ، وهو يشعر شعوراً صادقاً به ، ثم هو يعبر عن هذا الشعور الصادق تعبيراً جميلا أصح ما يوصف به انه تعبير عبقرى . ففى تأملاته فى الحياة التى حواها وحى الاربعين ، وفى قصصه وأماثيله وغزله ومناجاته وفكاهاته الشعرية وغير ذلك مما حواه هذا المؤلف السمين تجد من دقة الحس وفيض الخيال مايريك الحياة أوسع نطاقاً مما يتقيد به المتقيدون ، ثم تجد إلى ذلك ثقافة تظهر فى هذا الشعر ، وتحملك فى موجة من التفكير الصحيح ، وتشرك عاطفتك وعقلك وتدع لكل منهما نصيباً من المتعة واللذة . ثم ترى إلى ذلك كله ايضاً قريحة جبارة تخضع لها ما تريد أن تخضعه من شؤون الحياة وتسخر مما تبغضه سخرية لاذعة ، وتشعرك بوجودها وقوتها وتجذبك بسحرها وروعتها

التربية عند العرب

تأليف الاستاذ الدكتور خليل طوطح

(طبع بالمطبعة التجارية بالقدس .
صفحاته ١٧٤ من الحجم المتوسط)

وضع الاستاذ الدكتور خليل طوطح مدير مدرسة الفرندز بفلسطين رسالة منذ بضع سنوات عن التربية عند العرب نال عليها شهادة الدكتوراه من جامعة كولمبيا . وقد رأى أخيراً أن يشرك قراء العربية فى الاطلاع على هذه الرسالة فترجمها وطبعها طبعاً متقناً . وقد تناول فيها تاريخ التربية عند العرب ومدارسهم ومعلميهم وطلابهم وتعليم النساء عندهم وبرامج دروسهم وأساليب التدريس وآدابه وفلسفة التربية عندهم وكتب التربية التى ألفوها

وقد كتب ذلك كله بتحقيق دقيق ودراسة قيمة ووضعه فى أسلوب سهل يقرب تناوله لكل قارىء . ومما قاله عن الطلبة العرب فى العهود السابقة :

« أطلق على الطلبة أسماء شتى منها القارئون والسامعون والمريدون والفقهاء والتلاميذ . وكان للطلب عند العرب ميزات كثيرة ربما كان أهمها الرحلة ، إذ كان الطالب العربى يتجشم مشاق السفر وترك الاهل والوطن للاستماع لعالم انتشر صيته فى الآفاق . وكانت مراكز العلم كثيرة متوزعة فى كل أقطار العالم العربى ، وكان هذا التوزيع مما ساعد الطلبة على طلب العلم . فكانت مرو وبخارى وسمرقند مناهل العلم فى الشرق . وبغداد ودمشق والموصل وحلب وبيت المقدس والقاهرة والاسكندرية فى الشرق الادنى . والقيروان وتلمسان ومراكش وقرطبة واشبيلية فى المغرب والاندلس

« ومما ساعد الطلبة على الطلب أيضاً وجود مملكة عربية متسعة الاطراف ، ممتدة من سمرقند الى قرطبة ، وان اللغة الرسمية فى هذه المملكة كانت اللغة العربية . ولذلك لم يعق التلميذ لغات أجنبية ، وكتب أجنبية ، وعادات وتقاليد أجنبية . والذين رحلوا فى طلب العلم كثيرون لا حاجة إلى تعدادهم . غير أنه لا بأس من ذكر بعضهم لاظهار شىء من حالة العلم والتعليم والطلب فى تلك الايام » الخ

الفكر والعالم

للاستاذ ابراهيم المصرى

(طبع بمطبعة الأمانة بالقاهرة .
صفحاته ٢٨٩ من الحجم المتوسط)

هو مجموعة دراسات اجتماعية وادبية مذيلة بدرامة (نحو النور) فى أربعة فصول . وليس ذلك كل ما نريده من التعريف بهذا الكتاب . فقد وضعه مؤلفه كدراسات مستقلة . كل دراسة تختص بموضوع اجتماعى أو ادبى خاص ، كتبها فى فترات متفرقة ، ولكن يجمعها شىء واحد ، وهو انها تدور كلها حول الصراع بين الفكر والعالم ذلك الصراع الذى تتأثر به الحضارة وتتطور بل تتقدم

وقد نسج فيها الاستاذ ابراهيم المصرى على اسلوب علمى تحليلى أعانه على اجادته سعة اطلاعه

وقدرته الكتابية على كل ما يتناوله من هذه الموضوعات الاجتماعية والادبية التي قرأ له الجمهور شيئاً منها غير قليل . . ونحن ننقل للقراء بعض فقرات من دراسة من هذه الدراسات تحت عنوان « الفن والقوة » :

« ترسل الطبيعة بالفنان الى هذه الدنيا فما تكاد تتفتح عليها عيناه حتى ينشب الصراع الابدى بينه وبينها ، بين قوتين متكافئتين تحمل كل منهما نفس الغرائز والميول وتحاول الواحدة استباق الاخرى والتفوق عليها في الانتاج والخلق

« فالطبيعة تخلق والفنان يخلق الطبيعة والمباراة بينهما في الابداع والخلق هي القاعدة التي يقوم عليها تاريخ الفن في العالم أجمع

« وكما ان القوة المنشئة الخفية هي التي تمد الطبيعة بمختلف ألوان الجمال وتستحدث فيها كل يوم جديداً تبهت له العقول ، كذلك قوة المخيلة عند الفنان . فهي التي تفعم عقله واحساسه بشتى الافكار والصور فيفيض منها على نفسه وسواه روائع تزرى بكل ما انتجته الطبيعة من جمال

« فالطبيعة تخلق بوحى منشئها . والفنان يخلق بوحى تصوره . وهذا ما يجعله مستقلا في الخلق عن الطبيعة ولو انه أقرب الناس اليها »

مناخ العالم

للاستاذ محمود حامد محمد

(طبع بمطبعة الرحمانية بالقاهرة .
صفحاته ٣٣٧ من الحجم الكبير)

للمناخ تأثير كبير في عالمى الحيوان والانسان وفي توزيع كل منهما على سطح الكرة الارضية وفي تعدد اجناسهما واختلاف ألوان هذه الاجناس وأجسامها وحجومها

ولذلك كانت دراسته من أمتع الدراسات وألذها وأفيدها خصوصاً أن له صلة وثيقة بعلم تقويم البلدان . وقد وفق الى وضع هذا الكتاب باللغة العربية الاستاذ محمود حامد محمد الحائز لدرجة بكلريوس مع الشرف من جامعة ديرهام والعضو بالجمعية المتيورولوجية الملكية بلندن ومفتش إدارة المتيورولوجيا بمصلحة الطبعيات بمصر ، وهو أول كتاب في نوعه باللغة العربية ، وقد استغرق في وضعه ثلاث سنوات جمع فيه احدث النظريات وأصدق الارصاد ، وكان لاتصاله بمصلحة الطبيعيات أكبر مساعد له على تحضير هذا الكتاب على الوجه الاكمل ، وقد ساعده مديرو إدارات الظواهر الجوية في كثير من أنحاء العالم بارسال صور فوتوغرافية من الظواهر الجوية التي تشتهر بها بلادهم ، فسد هذا الكتاب فراغاً كان يحس به كل المدرسين في المدارس الثانوية والعالية

أنفاس محترقة

للشاعر المصرى « أبو الوفا »

(طبع بمطبعة دار الهلال بالقاهرة .
صفحاته ١١٢ من الحجم المتوسط)

إذا غرد الطائر على الأغصان وبث شجونه وآلامه أو فاض شعوراً بجمال الحياة والطبيعة التي حوله ، فاخذ يشدو ثم يشدو ، وينوح

تارة ويغنى تارة أخرى ، ولم يتحرك لنوحه غصن ، ولم تبتسم لغنائه أزهار ، أتراه كافاً عن النوح ، مضرباً عن الغناء ، لأنه لا يجد من يتحرك لآلامه ، ولا من يشاركه فى شعوره بجمال الحياة على الرغم مما يعانى فيها من آلام ؟

لا . هو من طبيعته هذا التغريد . فهو يغرد باثاً شجونه أو معبراً عن شعوره بالجمال ، ولو لم يجد قلباً عطوفاً أو أذناً صاغية . وكذلك الشاعر المصرى الأستاذ محمود ابو الوفاء فهو من طبيعته أن يغرد بشعره ، فتارة يريك الحياة فى صورة عابسة مخيفة تستحق الازدراء ، وتارة يريكها فتاة مشرقة الجبين تجمع كل معانى الجمال والجلال ، وطوراً يبهرك بصور من هذه الحياة ما كان لأحد أن يراها ببصيرته إلا إذا كان شاعراً فناناً ، وطوراً آخر يقدم لك من فلسفة الحياة أو فلسفة الشاعر فى الحياة ما يبعث فى نفسك الاعجاب بل يضطرك إلى التقدير والاعجاب . . وهو مع ذلك زاهد فى تقديرك وإعجابك ، مشغول بطبيعته الشاعرة عن هذا التقدير وهذا الاعجاب . ومن هنا كان كثير من الناس لا يعرفونه على الرغم من قريحته الخصبة وشعوره الفياض

لسنا نقدم فى هذه العجالة الأستاذ أبا الوفاء إلى القراء ، ولا نتحدث عن ميزات شعره الذى جمع بين القديم والجديد . فهو قديم من حيث متانة الأسلوب وبلاغته ، جديد من حيث الأفكار والاتجاهات التى يتجه اليها هذا الشاعر ، ومن حيث المعانى المبتكرة والتصوير الدقيق والآراء الفلسفية الصائبة . وإنما نريد أن نهدى اليه بمناسبة صدور ديوانه « أنفاس محترقة » هذه التحية الممزوجة بالتقدير

فى البيت والشارع

مجموعة قصص مصرية

بقلم الاستاذ محمود كامل

(طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة . صفحاته ٢٣٦ من الحجم المتوسط)

يعرف القراء الاستاذ محمود كامل بقصصه ورواياته الممتعة التى توفر على تحريرها منذ سنوات . وقد نشر فى الهلال غير قصة واحدة من هذه القصص . ومثلت له بعض الروايات التمثيلية على أشهر المسارح المصرية ، وأصدر قبل هذه المجموعة مجموعة (المتمردون) نالت اقبالا ورواجاً لاجادة تأليفها ، وحسن سبكها وقوة أسلوبها القصصى . وهذه المجموعة لا تختلف عن المجموعة القصصية الاولى التى أصدرها الاستاذ محمود كامل إلا فى موضوعاتها وشخصيات أبطالها . وثمة فارق آخر فهى كما يقول المؤلف : « أقرب إلى أن تكون صدى لحالات عاطفية خاصة أو لتجارب فى سابق حياتى العملية . وتلك الحالات والتجارب قد مرت بى ألوانها المختلفة المتباينة مرور الحياة فى البيت والشارع ، فتجد جزءاً من هذه القصص يدور حول المسارح ودور التمثيل والموسيقى وأوساط الفنانين والفنانات . كما تجد جزءاً آخر من هذه القصص يدور حول الحياة

الريفية وأوساط المجرمين والحوادث الجنائية . ورجال النيابة والبوليس »

الهيام

للاستاذ عبد الرحيم قليلات

(طبع بمطبعة الكشاف بالقاهرة . صفحاته ٣٢٦ من الحجم الكبير)

حينما تتناول هذا الديوان تشعر بشيئين قد لا تشعر بهما فى كثير من الدواوين والكتب . وهذان الشيئان هما عناية الشاعر بشعره ، ونزوعه نزوعاً خالصاً للدين والاصلاح . فعناية الشاعر بشعره تظهر فى إجادة نظمه ، ثم هى تظهر أيضاً فى اتقان طبعه وجمال رونقه

أما نزوعه إلى الدين والاصلاح الاجتماعى فهو من أبرز الصفات التى تتسم بها قصائد هذا الشاعر المجيد ، فثلاثة أرباع ديوانه تتناول هذه الناحية . فأنت إذا تصفحت هذا الديوان تنتقل من قصيدة فى الدين والمحبة إلى أخرى فى التوحيد إلى غيرها فى الصبر الجميل الخ ... ثم تنتقل من قسم الدين والاخلاق إلى قسم الثقافة والاجتماع ، فتقرأ توحيد التعليم والتجدد ، والأمل الباق ، وأين هى الحرية ، والعامل التعب ، إلى آخر ما هنالك من صنوف الاجتماعيات . ثم إذا انتهيت من ذلك ألفيت أمامك قسم « تهذيب المرأة » وهو قسم فيه كثير من الاجادة والآراء الصائبة فى السفور والحجاب ، وحرية المرأة والهوى والشرف وغير ذلك . وينتهى الديوان بقسمين طريفين: أحدهما فى الفكاهة والثانى فى الاناشيد

ويعجبنا من الناظم هذا التقسيم الذى وضع فيه ديوانه ، وهذا الرونق الذى اختاره له والذى يميزه بميزة خاصة قد لا توجد فى كثير من الدواوين

اغانى أبي شادى

للدكتور أحمد زكى ابى شادى

(طبع بمطبعة التعاون بالقاهرة . صفحاته ١٥٢ من الحجم الصغير)

اتيح لكاتب هذه السطور ان يكتب غير مرة فى ضعف الاغانى المصرية الحاضرة ويندد بابتذالها وسخافتها . وقد دعا الادباء إلى أن يضعوا قطعاً غنائية تتلاءم وطبيعة التقدم الذى تسير مصر الآن فى سبيله ، وتتمشى مع روح التجديد الادبى والاجتماعى ، وتطلق النفوس من هذا القيد الذى تقيدت به منذ عشرات الأجيال . وهو قيد بكاء الحبيب ومناجاته وشكوى الغرام وما الى ذلك مما يسئمه القلب وتمله الأذن ، خصوصاً وقد وصل فى السنين الأخيرة الى درك وضيع من الابتذال . ولسنا نستثنى من ذلك الا النزر اليسير

فلما أهدى الينا صديقنا الدكتور زكى ابو شادى هذه الأغانى تلقيناها بيد متعطشة ، وتصفحناها مغتبطين . فقد حاول الدكتور ابو شادى ان يرفع اسلوب الأغانى المصرية فأجاد فى هذه المحاولة وأتى فى كثير منها بالطريف الممتع . ثم إنه اعطانا صوراً جذابة من جمال الحياة واحلامها وصورها وانغامها جديرة بالاعجاب

جولة في ربوع افريقيا

للاستاذ محمد ثابت

(طبع بالمطبعة الرحمانيـة بالقاهرة
صفحاته ٢٩٠ من الحجم المتوسط)

يستحق الاستاذ محمد ثابت مؤلف هـذا الكتاب ان يغبط على ما اتيح له من فرص ثمينة قلما تتاح لغيره إلا اذا اعطى من وفرة المال وسعة الوقت وقوة العزيمة قدراً غير قليل ، فقد حظى الاستاذ ثابت أو اتيح له ان يحظى بالطواف في القارة الاوربية مهد المدنية الحاضرة منذ سنتين ثم بالطواف بالقارة الاسيوية مهد المدنية الروحية العريقة . وفى العام الماضى اتيح له ان يحظى بجولة ثالثة فى افريقية فاوغل فى جوله حتى وصل الى أقصى جنوبى هذه القارة ، وقطع فيما بين مصر ورأس الرجاء الصالح عشرة آلاف وخمسمائة ميل بين بر وبحر، ماراً بكثير من الشعوب ، وطائفاً بعدد كبير من البلدان الافريقية ، متفقداً احوالها ، دارساً لحياتها الاجتماعية ، مصوراً لمشاهدها الغريبة وانحائها العجيبة ، جامعاً عن كل قطر مر به وكل مدينة اجتازها كثيراً من المعلومات التى لم تستوعبها كتب علماء الجغرافيا الذين كتبوا عن هذه الشعوب . ثم رجع الى مصر فضمن ذلك كتاباً نفيساً يحتوى على نحو ثلثمائة صفحة ،وقدوضح كل ما كتب عنه بالصور الفوتوغرافية عن مشاهد هـــذه البلاد وما تحويه من غرائب الحيوان وعادات الانسان فاستحق بذلك الثناء وكان جديراً بكل اعجاب

قضية الدفع ذهباً

Le Procès
Pour le Paiement en Or
de la
Dette Publique Egyptienne

وضع الاستاذ البرتو لوزينا المحامى لدى المحاكم المختلطة بمصر

(طبع باريس . صفحاته
٣٥٥ من الحجم المتوسط)

ما من قضية تشغل اليوم بال الرأى العام فى مصر كقضية كوبونات الدين المصرى العام وطريقة دفعها . فقد أصدرت المحكمة المختلطة الابتدائية حكماً قضت به على الحكومة المصرية بدفع كوبونات ذلك الدين ذهباً . فاحدث الحكم ضجة واستياء عظيمين فى الرأى المصرى العام الذى كان يتوقع مراعاة بعض الاحوال الخاصة بهذه القضية . ومع شدة احترامنا لحكم القضاء لا يسعنا إلا القول بان مصر بجميع احزابها المختلفة المتضاربة مصممة تصميما قاطعاً على استئناف الحكم والسعى لازالة الحيف الواقع على مصر لغير ذنب جنته . فانها غير مسئولة عن هبوط الجنيه المصرى الورق - ذلك الهبوط الذى نشأ عن ارتباط الجنيه المصرى بالجنيه الاسترلينى وخروج انجلترا عن قاعدة الذهب

وقد تصدى الاستاذ البرتو لوزينا المحامى لدى المحاكم المختلطة بمصر لبسط قضية مصر من هذه الوجهة واثارة الرأى الأوربى العام فوضع ذلك فى كتاب ضخم باللغة الفرنسية يقع فى ٣٥٥ صفحة ، ويشتمل على مقدمة واثنين وعشرين

فصلا ، وجميع الفصول مفعمة حججاً وبراهين تثبت حق مصر بوجه لايقبل الشك وتبين عظم الحيف الواقع عليها من جراء ارغامها على دفع كوبونات دينها ذهباً حالة ان دولا كثيرة قد خرجت عن قاعدة الذهب وحالة ان بعضها حكمت لها محاكمها بعدم دفع كوبونات دينها ذهباً مع انه منصوص في تلك الكوبونات على وجوب الدفع ذهباً

ولا شك ان الاستاذ لوزينا قد احسن الى مصر احساناً عظيما ببسط قضيتها للرأي الاوربي العام على الوجه الذي يبسطها به ، والمصريون اجمع يقدرون له هذه المروءة حق قدرها وسيذكرونها له خير الذكر ، فقضية مصر هذه ليست قضية موضعية ينحصر الخلاف فيها بين ثلاث دول أو أربع ، بل هي قضية العدل العام ووجه الظلم فيها واضح وضوحاً تاماً . وجميع الذين يحبون الخير لمصر ويعطفون عليها يعتقدون ـ كما يعتقد الاستاذ البرتو لوزينا ـ انها ستخرج من هذه القضية فائزة منصورة لان انتصارها هو انتصار العدل بوجه الاجمال ، ولان مصر كما يعرف الجميع بريئة من أسباب هبوط قيمة الجنيه المصري الورق وهي غير مسئولة عن خروج غيرها عن قاعدة الذهب

مؤلفات اخرى

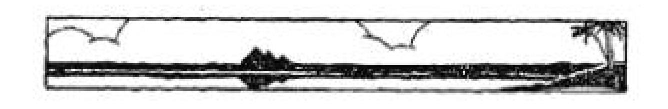
ما تزال لدينا طائفة من المؤلفات لم يتسع المجال لتقريظها في هذا الجزء ، وسنقرظها في الجزء القادم

استدراك

وقع في بعض الاعداد الماضية خطأان مطبعيان ربما خفيا على بعض القراء . ولذلك نحب أن نتداركهما

فأما الأول فهو في تقريظ ديوان نابغة بني شيبان . فقد نشر عنه في العدد الماضي باسم (نابغة بني ذبيان)

وأما الثاني ، فقد قلنا في تقريظ قصة (صديقي ربنان) للاستاذ حسين شوقي « أن هذه القصة وقعت حوادثها في الاندلس .. » وقد سقطت كلة من هذه العبارة . والصواب « أن هذه القصة وقعت بعض حوادثها في الاندلس » .



بين الهلال وقرائه

تطهير الكتب

(بيت شباب ـ لبنان) ابرهيم نجا

هل من خوف على من يقرأ كتاباً قلبته يد رجل مصاب بأحد الامراض المعدية كالسل وخلافه ؟ وما هي الواسطة لتطهيره ؟

(الهلال) لا شك فى أن الخطر من ذلك عظيم . والتبخير باحدى المواد المعقمة كالفورمالين أو ما أشبه هو أحسن وسيلة لتطهير الكتب الملوثة بجراثيم الميكروبات ، على أن توضع الكتب فى غرفة موصدة الابواب والنوافذ ومسدودة سداً محكما وأن يطلق عليها بخار الفورمالين

ومما يجدر بالذكر أن هذا البخار ، فضلا عن كونه يقتل الميكروبات ، يقتل العث الذى يعبث بالثياب أيضاً . وإذا أطلقته على الثياب أمنت به شر العث من دون أن تحدث أى ضرر لتلك الثياب

من هو حمورابي ؟

(واد مدنى ـ سودان) ا . ع . كليب

من هو حمورابي الوارد ذكره فى مقال الدكتور عبد الرحمن شهبندر المنشور فى العدد ٣٨١ من مجلة « كل شيء والدنيا » الخاص بموضوع « لو » ؟

(الهلال) هو أحد ملوك بابل القدماء حكم فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد واشتهر بقانونه المدنى والجنائى الذى كان أساس المعاملات والعلاقات بين قومه . وقد اكتشفه العالم مورجان فى أوائل هذا القرن منقوشاً باللغة البابلية القديمة . وكان قانون حورابى شديد الشبه بالشريعة العبرانية القديمة وهو يدل على سمو المنزلة التى بلغتها الحضارة البابلية فى عهد حمورابى

العناصر التى يؤلف منها الجسم

(صخرة جبل عجلون ـ شرق الاردن) ابراهيم بيروتى

قرأت فى إحدى المجلات أن جسم الانسان مركب من عدة عناصر . فهل لكم أن تبينوا لنا ما هى هذه العناصر وما هى الكميات الموجودة منها فى الجسم ؟

(الهلال) فى جسم الانسان عناصر كثيرة تختلف نسبة كمياتها باختلاف الأجسام ، فاذا فرضنا أن ثقل الجسم مائة وستون رطلا مثلا (أونحو واحد وسبعين كيلو جراماً) كان تركيب الجسم كما يأتى (على وجه التقريب)

١٠ غالونات من الماء

٢٥ رطلا من الكربون

٧ أرطال من الكلس
٣ « « الفوصفور
٢ اونسان من الملح الاعتيادي
½ نصف أونس من الحديد
¼ ربع أونس من السكر
٥ أرطال من النتروجين
١٤ رطلا من الايدروجين والاوكسجين (خلاف الموجود منهما في الماء)

وما بقي من الجسم هو كميات مختلفة من البوتاس والسلفور (الكبريت) والمغنزيوم والفلورين واليود

ولو بيعت جميع العناصر المعدنية التي يتألف منها جسم إنسان كهذا ما زاد مجموع ثمنها على ريال واحد . فما أقل قيمة الانسان وما أعظم كبرياءه !

المادة والقوة

(الزبابدة ـ فلسطين) حنا سلامة

هل توجد مادة بلا قوة ؟

﴿ الهلال ﴾ كلا . لأن المادة مؤلفة من عناصر والعناصر مؤلفة من دقائق وجواهر فردية والجواهر مؤلفة من كهارب أو ايلكترونات متحدة معاً بقوة الجذب الهائلة . والقوة الكامنة في الجواهر هي عظيمة جداً لا يستطيع العقل أن يتصورها . وقد قدر بعض العلماء القوة الكامنة في لتر من الماء فوجد أنها تكفي لادارة جميع المصانع والقطرات الحديدية والبواخر في العالم . وقد حاول العلماء حديثاً تفكيك عرى الكهارب التي تتألف منها الجواهر فنجحوا بعض النجاح ولا يزالون يوالون مساعيهم لمعرفة مقدار القوة الكامنة في الجوهر الفرد

الاجسام البسيطة

(الزبابدة ـ فلسطين) ومنه

ما هي الأجسام البسيطة ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس سؤالكم مفهوماً تماماً فاما أن يكون مرادكم الأجسام التي ليست عضوية (أي الأجسام التي لا حياة بها) أو التي هي مؤلفة من عنصر واحد . وفي هذه الحالة يمكننا أن نسمي كل عنصر مادة بسيطة

العي وراثي أم مكتسب

(الناصرية ـ العراق) جعفر ابن الشيخ حسين

هل العي وراثي أم مكتسب ؟ وكيف يعالج ؟

﴿ الهلال ﴾ هو على الأرجح اكتسابي وان تكن هنالك حالات يكون العي فيها وراثياً وهو نادر . ومن أهم أسبابه الحياء والخجل من الناس . وتختلف درجة صعوبة النطق باختلاف الأحرف فان بعضها أسهل من غيره . وليس للعي علاج غير تمرين العضلات الصوتية على النطق . وقد أشار بهذه الطريقة « سير » و « كولومبا » و « دي كورناك » و « شرفان » وغيرهم من مشهوري الأطباء

خبز القمح

(الناصرية ـ العراق) ومنه

ما هي أول أمة استعملت خبز القمح ؟

(الهلال) لا يعلم ذلك على وجه التحقيق فقد استعمل قدماء المصريين والأشوريين والبابليين وغيرهم خبز القمح . وهنالك قرائن على أن الانسان فى أوائل فجر الحضارة طحن القمح وخبزه . وذكر السر آرثر كيت من كبار علماء الانتروبولوجيا فى العصر الحاضر أن الانسان الكرمانيونى الذى سكن أوربا منذ عشرين الف سنة وجد القمح مزروعاً برياً فنشفه وطحنه وأكله . وفى سفر التكوين ان الله لما أخرج آدم من الجنة قال له : بعرق جبينك تأكل خبزك . وقد عثر العلماء على قمح مطمور فى قبور بعض الفراعنة لأن المصريين القدماء كانوا يعتبرون الخبز المصنوع من القمح ألزم المواد الغذائية للانسان

عرق اليدين

(الناصرية ـ العراق) ومنه

ما هي طريقة معالجة عرق اليدين ؟

(الهلال) العرق أنواع كثيرة وقد يكون عرضاً من أعراض بعض الأمراض ولا سيما ضعف الجسم وعجز أجهزته عن القيام بوظائفها المختلفة . وخير طريقة لمعالجته فى هذه الحالة الاكثار من الحمام البارد واستعمال المقويات كستحضرات الحديد والكينا والستركنين وغيرها . وقد ينفع غسل اليدين بماء مضاف اليه قليل من الخل أو بمحلول مخفف من الرصاص أو الاتروبين ، ثم رش مسحوق من المساحيق المعقمة على اليدين

اختراع الغواصة

(الناصرية ـ العراق) ومنه

متى اخترعت الغواصة ؟

(الهلال) سعى المهندسون البحريون لاختراع الغواصة منذ القرن السابع عشر . ولكن مساعيهم لم تكلل بالفوز إلا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، اذ تسنى لهم اختراع الغواصة بشكلها الحاضر واشترك فى فخر اختراعها جوستاف زاده وجوبيه ولبوف وهم من فرنسا وهولندا واميركا

الصوفية

(حيفا ـ فلسطين) أحد القراء

ما هو التصوف أو مذهب الصوفية . وهل هنالك مؤلفات عربية أو انجليزية فى هذا الموضوع ؟

(الهلال) الصوفية أو التصوف مذهب يقوم على تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة . والصوفى عند أهل التصوف هوفان بنفسه باق بالله تعالى مستخلص من الطبائع متصل بحقيقة الحقائق . وقد انتشرت الصوفية تحت

ستار التيوصوفية فى اوربا واميركا . وكان من اعظم زعمائها فى الغرب جاك بوهم ، وفالنتان ، وفيجل ، وسويدنبورج واوتينجر ، وسان مارتان ، وغيرهم

والمؤلفات الخاصة بهذا المذهب كثيرة فى جميع اللغات لايلم بها حصر فاطلبوها من أية مكتبة

نوع الجنين

(حيفا ـ فلسطين) ومنه

هل يستطاع معرفة نوع الجنين بواسطة النبض ؟ وما تعليل ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ لايستطاع ذلك على وجه التحقيق إلا ان هنالك بعض قرائن يمكن بواسطتها معرفة نوع الجنين فى اواخر مدة الحمل . وقد قرأنا منذ عهد قريب فى احدى المجلات الطبية ان بعض الاطباء توصل الى الاستدلال على نوع الجنين بفحص دم الحامل ولكنا لم نر بعد ذلك ما يثبت هذا القول . اما الحكم على نوع الجنين ببعض الظواهر التى تبدو على الحامل فقد يصدق مرة . ويخطىء مراراً

كلمة الروح

(حيفا ـ فلسطين) ومنه

هل كلمة روح مذكر أم مؤنث ؟

﴿ الهلال ﴾ تذكر وتؤنث . فمن امثلة تذكيرها الآية الكريمة : « فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » . ومن أمثلة تأنيثها الآية الكريمة : « فلولا اذا بلغت الحلقوم » وآية : « كلا اذا بلغت التراقى »

الدين والعلم

(سانتالوتشيا ـ الجمهورية الفضية) خليل التنورى

يقول العلماء ان الارض انفصلت عن الشمس منذ ملايين الاحقاب . وفى سفر التكوين ان الله خلق العالم منذ سبعة آلاف سنة تقريباً . فاى القولين تصدق ، وكيف نعلل التناقض بين هذين القولين ؟

﴿ الهلال ﴾ لم تقل التوراة ان الله خلق العالم منذ سبعة آلاف سنة وليس هنالك اى نص بهذا المعنى ، وانما استدل بعض علماء اللاهوت من بعض القرائن فى العهدين القديم والجديد على ان الله خلق آدم منذ ستة آلاف أو سبعة آلاف سنة وكان استدلالهم هذا خطأ والقرائن التى بنى عليها غير صحيحة . وفى الواقع انه ليس بين رواية التوراة بشأن الخلق من جهة ، والنظرية العلمية بهذا الشأن من جهة أخرى اى تناقض . وعليه نستطيع أن نسلم بالنظرية العلمية الى ان يقوم مايدحضها ويثبت فسادها

لحم الخنزير

(بصره ـ العراق) ناصح عبد الكاظم الشمخانى

ما الحكمة فى تحريم لحم الخنزير ؟

﴿ الهلال ﴾ حرمت الشريعتان اليهودية

والاسلامية لحم الخنزير لان هذا الحيوان قد كان منذ اقدم الازمنة رمزاً الى النجاسة والقذارة عند جميع الامم . ولما كان لحمه كثير الدسم كان اكله فى بعض فصول السنة ولا سيما فى البلاد الحارة مضراً بالصحة . أما الغربيون فانهم يستطيعون اكله لان اعتدال الجو فى بلادهم يساعدهم على هضمه . ومع ذلك فان الشريعة السمحة اباحت أكل لحم الخنزير فى حالات الضرورة فقد جاء فى الآية الكريمة : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجس، او فسقاً أهل لغير الله به . فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » (سورة الانعام ١٤٤)

أفلاطون والايمان بالله

(بيروت - سوريا) ن . م

قرأت فى بعض الكتب أن أفلاطون الفيلسوف اليونانى الشهير كان يؤمن بوجود الله . فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ نعم هو صحيح . وقد خلف لنا هذا الفيلسوف بحثاً مستفيضاً بسط فيه الأسباب التى تحمله على اعتقاده وجود الخالق

مخترع التلسكوب

(القاهرة - مصر) أحد القراء

من أول من اخترع التلسكوب ومتى اخترعه ؟

﴿ الهلال ﴾ اخترعه غاليليو العالم الفلكى الايطالى المشهور الذى عاش من سنة ١٥٦٤ الى ١٦٤٢ وكان أعظم علماء زمانه فى الفلك وعلم الطبيعة وقد اكتشف عدة نواميس طبيعية

الكتابة المسمارية

(القاهرة - مصر) ومنه

ما هى الكتابة المسمارية ، ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

﴿ الهلال ﴾ هى كتابة أهل بابل قديماً وقد سميت بالمسمارية لأن حروفها تشبه فى شكلها المسامير ويختلف النطق بها باختلاف أوضاعها

مؤتمر المائدة المستديرة

(بولوفرنسين - البرازيل) ميخائيل الشعار

لماذا سمى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن بهذا الاسم ؟

﴿ الهلال ﴾ سمى اصطلاحاً بسبب استدارة المنضدة التى اجتمع حولها الاعضاء للتباحث فى المشاكل الخاصة بالهند

أحرف الهجاء المختلفة

(سنت ازابيل - الارجنتين) يوسف بركات

الرجا أن تكتبوا لنا مثالا من جميع أحرف الهجاء التى يستعملها البشر فى الوقت الحاضر كاللاتينية والهندية والصينية واليابانية واليونانية والعبرانية والسريانية وهلم جرا !

﴿ الهلال ﴾ وأين هى المطبعة التى توجد

عندها جميع هذه الحروف فتنشرها لكم؟ ان لغات العالم لا تقع تحت حصر وحروفها الهجائية كثيرة متنوعة، وليس فى العالم كله مطبعة تملك حروف الهجاء لأكثر من ثلاث لغات أو أربع

الماء والهواء

(جنين ـ فلسطين) حنا سلامة

أيهما وجد أولا: الماء أم الهواء؟

﴿ الهلال ﴾ وجد الهواء أولا . وقد كانت الكرة الارضية فى أول طور نشوئها كتلة سديمية ظلت تدور فى الفضاء وتتكاثف حتى ظهر فيها الماء، وكانت قبل ظهور الماء محاطة بالهواء

أشعة اكس

(جنين ـ فلسطين) ومنه

ما هى أشعة اكس وكيف تظهر ما فى باطن الانسان؟

﴿ الهلال ﴾ أشعة اكس ـ وتسمى ايضاً أشعة رنتجن ـ هى أشعة قصيرة الامواج اكتشفها عالم المانى يدعى وليم كونراد رنتجن، ومن خواصها أنها تخترق بعض المواد غير الشفافة بحيث تستطيع العين رؤية ماوراء تلك المواد . وأمواج هذه الأشعة متناهية فى القصر اذ لا يزيد طول كل موجة منها على جزء واحد من مليون مليون المليون من الاجزاء من البوصة الواحدة . أى أن مجموع أطوال كل مليون مليون مليون موجة منها لا يزيد على بوصة واحدة . وهذه الاشعة لا تمكن رؤيتها بالعين المجردة واستعمالها فى الطب يقتضى خبرة وحنكة عظيمتين

عدد الاجانب في مصر

(القاهرة ـ مصر) احمد عبد الرحمن

ما هو عدد الاجانب الموجودين فى مصر؟

﴿ الهلال ﴾ ورد فى الاحصاء الذى نشر فى تقويم الحكومة لعام ١٩٣٢ أن عدد الاجانب الموجودين فى مصر كما يأتى:

اليونانيون	٧٦ ٢٦٤
الايطاليون	٥٢ ٤٦٢
البريطانيون	٣٤ ١٦٩
الفرنسيون	٢٤ ٣٣٢
الروسيون	٢ ٤١٠
النمسويون	١ ٢١٧
الاسبانيون	٢ ٣٦٥
الهولانديون	٤٤٧
السويسريون	١ ٣١١
البلجيكيون	٤٨١
الأمريكانيون	١ ٣٨٩
الألمانيون	١ ٤١٦

وهذه الارقام مأخوذة عن التعداد الاخير الذى اجرى فى عام ١٩٢٧

من هنا وهناك

الصابون في الولايات المتحدة

لو وزع جميع الصابون الذى يستعمله سكان الولايات المتحدة عليهم بالتساوى ، لاصاب كلا منهم خمسة وعشرون رطلا فى العام

فندق غريب

انشىء فى برلين عاصمة المانيا فندق غريب لا يقبل إلا الاطفال ، فاذا أراد بعض الوالدين السهر أو السفر ولم يستحسنوا أخذ اطفالهم معهم وضعوهم فى ذلك الفندق مقابل أجر زهيد

في مناجم الذهب

فى مناجم الذهب بولاية كاليفورنيا أكثر من ثمانية آلاف عامل يشتغلون فى اخراج الذهب . وقد بلغ ثمن ما استخرجوه فى السنة الماضية اربعمائة وخمسين الف دولار

ماء المحيط الباسفيكي

ظهر من فحص مياه المحيط الباسفيكى أن كمية الاوكسجين الذى فيه أقل بكثير من كمية الاوكسجين الذى فى مياه المحيط الاتلانتيكى

زيادة الشعب الياباني

يقول أحد علماء الاجتماع إن الشعب اليابانى بلغ أوج نموه منذ سنة ١٩٢٧ ، وانه أخذ منذ تلك السنة فى الهبوط لان نسبة المواليد فيه بدأت تنقص نقصاً محسوساً

مهنة غريبة

درج أحد الانجليز فى انجلترا على عادة تربية الجرذ أو الفئران وبيعها للمستشفيات لاجراء التجارب الطبية والعلمية فيها . وقد بلغ عدد ما باعه منها فى السنوات العشر الماضية نحو أربعين الفا . ويظهر أن مهنته هذه تدر عليه المكاسب الطائلة وهو ذو خبرة واسعة فى تربية هذه الحيوانات

ضرب من الاسراف

فى القرن الثالث من التاريخ الميلادى لبس « هليوجابالوس » الامبراطور الرومانى ثوبا مصنوعا من الحرير ، فثار عليه جمهور الشعب وتذمر لانه حسب ذلك امعاناً فى الاسراف والتبذير

لانضاج الفواكه

يقال إن الهولنديين كانوا يستعملون طريقة لانضاج اشجار الفواكه فى منتصف فصل الشتاء منذ منتصف القرن الثالث عشر للميلاد

الصحة فى المدارس

يؤخذ من إحصاء لجامعة مشجان بالولايات المتحدة ان من كل الف تلميذ من تلاميذ الجامعات الاميركية يصاب ٩٢٦ تلميذاً بالزكام مرة واحدة كل سنة

ربط القدمين في الصين

يقول أحد علماء التاريخ إن عادة ربط القدمين فى الصين بدأت حوالى سنة ١١٠٠ للميلاد ، وسبب ذلك ان امبراطورة الصين فى ذلك العهد كانت مصـــابة بعاهة فى قدميها فربطتهما ستراً لتلك العاهة . ومنذ ذلك اليوم انتشرت تلك العادة فى الصين ولا تزال شائعة حتى الآن

في الزراعة

ثبت من التجارب التى قامت بها وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة ان أشجار التفاح التى بينها مسافات متساوية تبلغ أربعين قدما ، تحمل من الفاكهة أكثر من الاشجار التى تفصل بينها مسافات اقصر

مرض الانفلونزا

عاد مرض الانفلونزا فاجتاح بلاد اوربا الوسطى وانجلترا وكندا والانحاء الشمالية من الولايات المتحدة . ويظهر أن هذا المرض قد بلغ الآن منتهى شدته وأخذ يخف . والمظنون انه لن يبدأ فصل الربيع حتى يكون قد زال . ومما يدعو الى الارتياح أن الاصابات به لم تكن خطيرة فى هذا العام ، وقد كانت ضحاياه أقل منها فى الاعوام السابقة

هزيم الرعد

يؤخذ من المباحث التى قام بها أحد علماء الطبيعة بفرنسا ان هزيم الرعد قلما يسمع عن بعد خمسة وعشرين كيلومترا

متوسط العمر

كلما تقدمت وسائل الصحة و معرفة الشؤون الطبية زاد متوسط عمر الانسان . ويقول الاطباء إن اعظم زيادة فى هذا المتوسط تمت فى الثلث الاول من القرن الحاضر ، فقد انتهى القرن التاسع عشر ومتوسط عمر الانسان أثنتان وثلاثون سنة ، ولم ينقض الثلث الاول من القرن الحاضر حتى ارتفع ذلك المتوسط الى نحو ثمان واربعين سنة . والمظنون انه لن يجيء عام ١٩٩٩ حتى يصبح متوسط العمر نحو سبعين عاما

السرطان في امريكا

يؤخذ من تقرير ولاية نيويورك لسنة ١٩٣٢ أن هذه السنة هى أول سنة لم تزد فيها نسبة الوفيات بداء السرطان

فى عهد الرومان

عثر علماء الآثار فى روما على « بلاطة » قد نقش عليها باللغة الرومانية القديمة أن ٤٩٤١ مصارعا رومانياً قتلوا فى مدة ١١٧ يوماً فى مختلف ميادين الالعاب الرياضية القومية فى الامبراطورية

اعصار هائل

فى سنة ١٩٢٨ اجتاح اعصار هائل آجام روسيا الشهيرة . وقد ظهر الآن تقرير عن ذلك الاعصار جاء فيه ان نحو خمسة عشر الف مليون طن من التراب أثير على تلك الآجام ونثر عليها

الدفتيريا في أميركا

تدل الاحصاءات الطبية على أن الوفيات من مرض الدفتيريا باميركا تعادل سبعين ضعفاً لعدد الوفيات من مرض الجدرى مع دقة الاحتياطات التي تتخذها الحكومة هنالك

زجاج جديد

تستعمل شركات البناء بمدينة توليدو (طليطلة) باميركا نوعا من الزجاج لا ينكسر إذا رشق بالحجارة وتستطيع الأشعة التي وراء البنفسجية اختراقه

حرير هندي

في بلاد الهند نوع من ديدان القز تسمى الديدان البرية وتنتج نوعا خشناً من الحرير وتتغذى بورق شجر الخروع بدلا من ورق التوت

ايراد الاطباء

في سنة ١٩٣٢ هبط ايراد الاطباء في الولايات الاميركية التي تزرع القطن بمقدار خمسين في المائة

بصمة الاصابع

كان الصينيون أول من استعمل بصمة الاصابع لتحقيق شخصية الانسان

منتجات البترول

يصنعون نحو مائتين وستين مادة من مادة البترول ومنها الاسفلت و « اللادن » الذي يستعمل للمضغ

مدخنة مضيئة

تستعمل بعض البواخر الكبرى التي تمخر الاتلانتيك والباسفيك مداخن عالية ومجهزة بنور ساطع تمكن رؤيته من بعد مهما تكاثف الضباب . وهذا النور يحول دون وقوع اصطدام بين البواخر

مجلس الشيوخ الروماني

تمكن علماء الآثار بايطاليا من اعادة بناء مجلس الشيوخ الروماني القديم بعد جهود دامت عدة سنوات . وكان هذا المجلس قد بنى منذ نحو الفى سنة

من مشاكل الاطباء

تقول احدى المجلات الطبية الاميركية ان من المشاكل العويصة التي تواجه الاطباء في أميركا الآن مشكلة الحصول على أجورهم فان الاحصاءات تدل على انهم لا ينالون من تلك الاجور اكثر من ثمانين في المائة

الزنوج في أميركا

تدل الاحصاءات الرسمية الاميركية على ان عدد الزنوج زاد من سنة ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ثلاثة وستين في المائة في الولايات الغربية والجنوبية معاً وان الزيادة كانت على أعظمها في الولايات الغربية

السرطان والدخان

يعتقد أحد اطباء مدينة فينا ان ادمان التدخين بافراط يؤدي الى سرطان اللسان

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء الحادى عشر من السنة الثالثة — صدر في أول فبراير سنة ١٨٩٥

فولتير الفيلسوف والاديب الفرنسى

هو المنشىء البليغ والشاعر المجيد والفيلسوف الكبير مارى فرنسوا أرديت المشهور باسم « فولتير » وهو اسم لقطعة من الارض كانت ملكا لوالدته فلقب هو بها

ولد فى شاتنى بالقرب من مدينة باريس فى ٢٠ فبراير سنة ١٦٩٤ . وكان والده فرنسوا ارديت من أعيان شاتليت وكان صرافاً لقلم الحسابات فيها ، فولد صاحب الترجمة فى حال من الضعف لم يكن يرجى له معها البقاء ، ولكنه مالبث ان نشأ وترعرع فادخلوه المدرسة فاظهر من النجابة والذكاء ما حببه الى أساتذته مع اعجابهم به وتنبأوا بعظم مستقبله . وكان أكثر الناس اعجاباً به رئيس دير شاتونوف فأخذ على عاتقه تربيته ، فاوعز اليه أن يحفظ كتاباً من كتب رسو الفيلسوف وهو كتاب « مويساده » فحفظه فى الثانية عشرة من عمره ، ثم حمله ذلك الرئيس الى « نينون دى لانكو » وهى امرأة عظيمة الشأن وكانت محبة للعلم والعلماء ، وعاصرت موليير وفونتنيل الفرنسيين ، وكانت ذات ثروة ولم تتزوج فتوسمت فى فولتير النجابة واعجبت به ووهبت له ألفى فرنك ليبتاع بها كتباً . ويقال إنه أقام عندها زمناً كتب فيه روايته التى سماها « المستودع »

وعنى الرئيس بعد ذلك بتعريف فولتير بجماعة الاعيان والكبراء الذين اشتهروا بحب العلم وتنشيط أهله فازداد رغبة فى العلم والادب وأوجس والده خيفة من تلك المخالطة فطلب الى سفير فرنسا فى هولاندا ان يأخذه عنده ولكنه ما لبث طويلا حتى عاد الى بلده . فخاف والده عليه لئلا يعود الى معاشرة أعيان فرنسا مع تعلقه بالشعر وميله الى الهجاء مما قد يكون سبباً لهلاكه اذا زل قلمه ، فنصح والده له ان يكف عن ذلك ويدرس المحاماة فقبل فولتير ، لكنه مالبث ان عاد الى ما فطر عليه فنظم قصيدة هجا بها لويس الرابع عشر ملك فرنسا فحكم عليه بالسجن فسجن بالباستيل سنة نظم فى أثنائها قصيدة سماها « ليج » (التعاهد) ورواية سماها أوديبوس ثم اطلق سراحه بدعوى أنه مريض ، ولكنه عاد الى مثل ما فعل فاعيد الى السجن مهاناً بالضرب واللكم سنة ١٧٢٦ فلبث فيه ستة أشهر ثم اطلق سراحه فغادر فرنسا والتجأ الى انكلترا . وبعد ان قضى ثلاث سنوات فى لندرا عاد الى باريس وأصدر عدة روايات وكتب عدة مقالات فلسفية تعرض فيها للدين والسياسة ، فاحرقت بأمر مجلس النواب واضطر الى مغادرة باريس خوفاً على حياته ثم أتيح له الرجوع فعاد وتولى منصبا رفيعا فى الحكومة الفرنسية وتعين عضواً فى الاكاديمية الفرنسية سنة ١٧٤٦ ،

وذلك بمساعي «مدام دي بمبادور» لتقرب زوجها من لويس الخامس عشر . وفي سنة ١٧٥٠ دعاه فريدريك الاعظم ان يقيم في بوتسدام ببروسيا فاقام ثلاث سنوات ، ثم وقع بينه وبين فريدريك نفور حمله على مغادرتها . وأخيراً أقام في فرني وهي قرية صغيرة لم تكن معروفة قبل عهد هذا الفيلسوف فلما أقام فيها دعيت «عاصمة العلم والفلسفة» . وكان يفد عليه الادباء والعلماء من أقطار أوربا . ثم عادت العلائق بينه وبين فردريك الاكبر فصارا يتكاتبان وصار يكاتب فولتير غيره من الملوك والامراء وكبار العلماء والادباء ، ثم زار فرنسا ، وعرض على الاكاديمية الفرنسية وضع قاموس على نسق حديث ، فاجابوه الى رأيه فاخذ في العمل حتى أنهكه التعب فوصفوا له الافيون فتناول منه جرعات كبيرة كانت سبباً في وفاته عن ٨٤ عاماً وثلاثة أشهر وثمانية أيام

شجر الموز

رد على سؤال :

تقسم أنواع النبات الى ثلاثة أقسام وهي الاعشاب والانجم والاشجار . فالاعشاب نبات رخو النسيج تقل في سوقها المادة الخشبية لاتعيش الاسنة غالباً كالقمح والفول . والانجم نبات ذو سوق خشبية تعيش سنوات كثيرة ولكنها لا تعلو كثيراً وسوقها مجتمعة كثيرة كالورد والياسمين وما شاكلهما . أما الاشجار فهي نبات كبير ذو سوق واغصان خشبية تدوم مدداً طويلة قد تبلغ ألوفا من السنين كالجميز واللوز والسنديان

فالموز ليس له ساق خشبية فهو ليس نجما ولا شجراً ، فهو اذن عشب لكنه يختلف عن الاعشاب بأنه يعيش سنين

بطاقة الزيارة

رد على سؤال :

بطاقات الزيارة قديمة جداً . والمظنون ان الصينيين استخدموها منذ الف سنة وكانت بطاقاتهم قطعاً من الورق كبيرة مشدودة بخيوط . أما في أوربا فاهل البندقية هم أول من استخدموها وفي معرض هناك امثلة من تلك البطاقات استعملت في أواخر القرن السادس عشر للميلاد وانتقلت من هناك الى جرمانيا في أواخر القرن الماضي ومنها الى لندرا ولكنهم يزعمون ان الانكليز يستخدمون البطاقات من أول القرن الثامن عشر . وكانت بطاقاتهم من نوع أوراق اللعب

عن الجزء الثاني عشر من السنة الثالثة ـ صدر في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٥

رفاعة بك رافع الطهطاوي

هو العالم العلامة السيد رفاعة بك بن بدوى ابن علي بن محمد بن علي بن رافع . ويتصل نسبه بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن السيدة فاطمة الزهراء .

ولد في طهطا بمديرية جرجا بمصر سنة ١٢١٦ هـ وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الازهر وقضى فيه ثماني سنوات ، ثم تعين اماماً في بعض آلايات الجند وبعد ذلك اختير اماماً للبعثة التي أرسلها محمد علي باشا الى أوربا وهي أول بعثة

مصرية سافرت الى فرنسا ، فعكف رفاعة بك على درس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه ثم أخذ يطالع العلوم الحديثة فأتقن التاريخ والجغرافيا وعلوماً أخرى ، وكان ميالا الى الترجمة والتأليف فترجم فى باريس كتاباً سماه « قلائد المفاخر فى غرائب عوائد الاوائل والاواخر » وغيره . فبلغ محمد على باشا ما أظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة . ولما عاد سنة ١٢٤٧ هـ الى مصر بعد أن نال الشهادات الناطقة بدرجته فى العلم عينه محمد على باشا فى منصب الترجمة بالمدرسة الطبية التى أنشأها محمد على باشا . ومازال رفاعة بك ناظراً لهذه المدرسة حتى أقفلت فى عهد عباس الاول ، وأرسل الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم . ولما توفى عباس الاول عاد الى مصر وولاه سعيد باشا وكالة مدرسة الحربية بجهات الصلبية . وبعد قليل أنشئت مدرسة الحربية بالقلعة فأحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والمهارجية وعند ذلك نال رتبة المتمايز

ثم الغيت هذه المدارس كلها فبقى رفاعة بك بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ ، ثم أعيد الى نظارة قلم الترجمة وتعين عضواً لقومسيون المدارس وتولى ادارة جريدة (روضة المدارس) وما زال قائماً بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ هـ

التثاؤب بالعدوى

رد على سؤال :

التثاؤب بالعدوى من جملة العلاقات العصبية التى يعسر تعليلها فان السامع لصوت مرور الزجاج على الزجاج أو الخشب على الزجاج أو الحديد المصقول على مثله أو ماشاكل ذلك يقشعر جسمه وتضطرب حواسه . وكذلك من يتدغدغ (يتزغزغ) بلمس ابطه أو اخمص قدمه أو كفه فانه ينفعل انفعالا يصحبه ضحك اغتصابى

وكذلك التثاؤب عمل عصبي يحدث عن التعب أو النعاس . ولابد لكل عمل عصبى أو غير عصبى من مركز عصبى يتولى اجراءه ولا يباشر المركز ذلك العمل الا مدفوعاً بتأثير آخر . فللتثاؤب مركز عصبي لا يحدث التثاؤب الا اذا اتصل اليه تأثير التعب أو النعاس من المجموع العصبى العام . والظاهر أنه يتأثر مثل ذلك التأثير من مجرد سماع صوت المتثائبين أو النظر اليهم أو انتقال حركة التثاؤب منهم كما يتدغدغ بعضهم بمجرد تذكر الحركة التى تحدث التدغدغ

أكبر قطعة من الفحم الحجرى

عرض فى معرض شيكاغو قطعة من الفحم الحجرى طولها ٢٤ قدماً وعرضها خمس أقدام وثمانية قراريط وسمكها أربع أقدام وثمانية قراريط . وقد بلغ وزنها ٤١ قنطاراً

ارجاع الحياة بعد ذهابها

لا يخفى أنهم يستخدمون لقتل بعض المجرمين الآن آلة كهربائية شديدة الفعل تذهب بالحياة فى ثوان قليلة . وقد اخترع بعض أطباء اميركا آلة لرد حياة الذين يقتلون بهذه الآلة . والاختراع هو آلة كالمنفاخ تدخل الهواء الى الرئتين وتخرجه على التوالى

كيف انتهى المماليك بعد مجزرة القلعة

لسمو الامير الجليل عمر طوسون

يعتقد السواد أن المماليك الذين حكموا مصر زماناً انتهوا بالمكيدة التي كادها لهم محمد علي باشا الكبير في قلعة القاهرة في أول مارس سنة ١٨١١ ، والواقع ان فريقاً كبيراً منهم ظلوا احياء بعد تلك المجزرة وقاوموا محمد على باشا ثم تفرقوا في السودان والصحراء الى ان ابيدوا اما قتلا او جوعاً . وقد بسط ذلك سمو الامير الجليل عمر طوسون في محاضرة نفيسة القاها في الشهر المنصرم في المجمع العلمي المصري باللغة الفرنسية ، وتفضل بصورتها علينا فلخصنا القسم الثاني منها بالعربية فيما يلي وهو القسم الذي تكلم فيه سموه عن مصير المماليك بعد مجزرة القلعة

بعد مجزرة القلعة

بعدما وفق محمد على باشا الى الفتك باربعمائة وسبعين من بكوات المماليك ورجالهم فى القلعة فى أول مارس سنة ١٨١١ أرسل نجله ابراهيم باشا فى ابريل سنة ١٨١٢ الى الوجه القبلى لجباية الضرائب ومطاردة المماليك القاطنين فى تلك الارجاء وكان عددهم يبلغ نحو خمسمائة . فلما علموا بقدومه رحلوا عن اسنا ولجأوا الى الجبال التى تسكنها القبائل العربية فماتت جيادهم جوعاً واضطر بكواتهم الى اتفاق آخر فرض لديهم ليقدموا الى رجالهم المواد الغذائية التى كانوا يشترونها من العرب بأغلى الاثمان . فلما اتصل بابراهيم باشا انهم فى حالة بؤس شديد رأى الفرصة سانحة للفتك بهم كما فتك ابوه بزملائهم فى القاهرة ، فاوفد اليهم من أمنهم على حياتهم اذا نزلوا من الجبل الذى اعتصموا به . ومع انهم كانوا عارفين بمجزرة القلعة فان أكثر من ٤٠٠ منهم وفى مقدمتهم كثيرون من البكوات قبلوا العرض الذى عرضه عليهم ابراهيم باشا ونزلوا من الجبل جماعات . وفى أثناء الطريق جردهم الادلاء من كل ما كان عليهم أو لديهم ، فلما بلغوا معسكر ابراهيم باشا بجوار اسنا كانوا كلهم عراة ما عدا نحو ثلاثين منهم

ولما استوثق ابراهيم باشا من أن عددهم قد اكتمل وانه لم يبق من ينضم اليهم أمر بالفتك بهم فى الليل البهيم ففتك بهم جميعاً وبنحو مائتى عبد اسود ولم ينج من هذه المجزرة سوى مملوكين فرنسيين بواسطة طبيب ابراهيم باشا

الفرار من ابراهيم باشا

وماكاد ابراهيم باشا يفرغ من ابادة المماليك الذين كانوا فى اسنا حتى قرر الزحف على اخوانهم الذين نزلوا المناطق الواقعة خلف محاجر اسوان ، فلما رأوا طلائع جيشه حاولوا الفرار

ولكنه لم يلبث ان التقى بهم ودارت معركة كبيرة بين الفريقين انتهت بانتصار جنود ابراهيم باشا على المماليك، ولكن عدداً من هؤلاء تمكن من الالتجاء الى الصحراء الشرقية ونزل مكاناً بجوار « كورسكو » طالبين ضيافة عرب « العبابدة » فاستقبلهم هؤلاء فى مخيماتهم وبذلوا اقصى جهدهم لتجريدهم من كل شيء معهم، وكانوا يبيعون لهم الماء بثمن غال فمات كثيرون منهم عطشاً، فأمر المماليك خدمهم واتباعهم بالعودة الى مصر خلاصاً من موت محقق فاذعن هؤلاء للامر والفوا قافلة كبيرة جردها « العبابدة » من كل ما كانت تحمله قبل أن تبتعد كثيراً عن منطقتهم، ومع ذلك مضى رجالها فى سيرهم الى أن بلغوا اسوان فذهب بعضهم الى معسكر جنود ابراهيم باشا مستسلمين فاعدمهم الجنود فى الحال. أما اخوانهم الذين لم يصحبوهم الى المعسكر فاجتازوا النيل سالكين طريق الجنوب، ولما مروا بقرى الدر نهبوها كلها ثم نهبوا قرية « ابريم » ومن هناك اتجهوا الى وادى حلفا

وكان بكوات هؤلاء الخدم والاتباع قد اجتازوا فى تلك الاثناء جانباً من الصحراء الغربية مع رجالهم فالتقوا بخدمهم واتباعهم على شاطىء النيل فى احدى مناطق ملك دنقلا وتألف من مجموعهم نحو ٤٥٠ مملوكا أبيض وما يقرب من هذا العدد من العبيد السود المسلحين بالسيوف والحراب، ولكنهم لم يستصوبوا الذهاب الى دنقلا بل اجتازوا الصحراء بين كورسكو وأبوحمد لينزلوا بلاد البربر فاكرم شيخ البربر وفادتهم خوفاً منهم

ثم استأنف المماليك سيرهم جنوباً ونزلوا المنطقة التى تقوم عليها الآن دنقلا الجديدة وأحاطوا معسكرهم بسور كبير ولا سيما من جهة الصحراء ليأمنوا غزوات العرب على مواشيهم

الالتجاء الى دنقلا

ولما وصل المماليك الى دنقلا قابلهم شيخ قبيلة « الشايقية » بالكرم الذى اشتهرت به هذه القبيلة فأخبروه انهم يريدون الاقامة فى سنار، فاهدى اليهم عدداً كبيراً من العبيد والجياد والابل كما اهدى اليهم هدايا كثيرة أخرى، فلم يكن منهم إلا أن قابلوا هذا الاحسان بقتل المحسن اليهم غدراً مع بعض رجاله ثم انتشروا فى البلاد فاوسعوها نهباً واشتبكوا مع اهلها فى جهات شتى فقتل من الفريقين كثيرون. وما كاد المماليك يعتقدون ان تلك المناطق كلها دانت لهم حتى تفشت بينهم حمى خبيثة قضت على كثيرين منهم

الرحيل عن دنقلا

وفى شهر يناير سنة ١٨١٢ جمع المماليك جموعهم وزحفوا على « مروى » فقاومهم أهلها مقاومة شديدة قتل فيها ٥٠ من المماليك و ١٠٥ من الاهلين وأسر المماليك بعض العبيد والابل

ولكنهم عجزوا عن اخضاع القبائل المحلية فانتقلوا الى حدود دنقلا من الجهة الاخرى ، فانتهز الاهلون هذه الفرصة وهاجموا العدد القليل من المماليك الذين ظلوا فى تلك الجهة وقتلوهم ونهبوا ممتلكاتهم

شروط محمد على باشا

وفى أواسط سنة ١٨١٣ توفى أقدم زعيمين كانا لايزالان على قيد الحياة من بكوات المماليك وهما ابراهيم بك الكبير وعثمان بك حسن فخلفهمـــا عبد الرحمن بك ومحمد بك منفوخ ، فرأى الزعيمان الجديدان أن الاستمرار فى الخطة التى جرى عليها الزعيمان السابقان لايجدى نفعاً وانه يحسن بهم أن ينتهزوا فرصة ابلاغ وفاتهما لمحمد على باشا ليعجموا عوده بشأن عقد الصلح معه ، فرحب محمد على باشا برسولهم وأهدى اليه خمسة وعشرين جنيها وأبلغه الشروط التى يشترطها للصفح عن المماليك الذين يريدون العودة الى مصر ، وقال انهم اذا أخلوا بشرط منها فان مصيرهم يكون كمصير زملائهم الذين سبقوهم الى الآخرة

وتتلخص الشروط التى اشترطها عليهم محمد على باشا فى ان لايغادروا المناطق التى يقطنونها الان بدون علمه ، لأنه سيوفد اليهم من يتولى السير فى طليعتهم الى مصر ، فاذا بلغوا حدود مصر لايستردون شيئاً من سلطتهم السابقة ــ حتى ولا على دجاجة ــ بل ان رسوله الذى سيصحبهم هو الذى سيكلف باطعامهم

وأضاف محمد على باشا الى الشرطين المتقدمين شروطا أخرى ، منها انه ليس لهم حق الانتقال فى انحاء مصر بل عليهم أن ينزلوا القاهرة حيث تعد لهم مساكن خاصة وتصرف لهم مرتبات تكفيهم لعيشهم ، ولا يحق لهم أن يطالبوا بشئ مما كانوا يمتلكونه

ولما اطلع المماليك على هذه الشروط آثروا البقاء حيث هم على الاذعان لهذا الاسر

حملة السودان

وأخيرا رأى محمد على باشا أن يسير حملة على السودان . وقد كان يرمى من وراء هذه الحملة الى خمسة أغراض : أولها أن يكون المسيطر على النهر الذى هو حياة مصر ، وثانيها أن يتخلص من الالبانيين الذين كانوا بخدمته لانهم كانوا سبب اضطراب دائم بدلا من أن يساعدوه على حفظ النظام ، وثالثها ليجند السود للجيش النظامى الذى كان يريد انشاءه ، ورابعها لكى يستغل مناجم السودان الطبيعية ، وخامسها ليبيد المماليك الباقين فى دنقلا ، لانهم وان كانوا ضعفاء فى الوقت الحاضر فقد ينتهزون أول فرصة تسنح لهم ليخلقوا مشكلة جديدة . وغادرت الحملة القاهرة فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ بقيادة اسماعيل باشا ثالث انجال محمد على باشا (وقد لقى حتفه فى خلال تلك الحملة)

ولما بلغت طلائع الحملة حدود دنقلا لاذ المماليك بالفرار عن طريق الصحراء وعسكروا فى شندى فاستقبلهم شيخها بالترحاب فى بادىء الامر، ولكنه لما سمع بالانتصارات التى احرزتها جنود اسماعيل باشا أمرهم بالرحيل عن منطقته، فاتجه خمسة وعشرون منهم الى « بربر » ولجأوا الى اسماعيل باشا نفسه مستسلمين مسترحمين، فشملهم برحمته وأعطى كلا منهم مائتى قرش ليسافر بها الى القاهرة، ثم زودهم باسترحام الى محمد على باشا ليصفح عنهم، فمثلوا بين يدى محمد على بقمصان بيضاء لكى يرق قلبه، فاجاب بانه يعفو عنهم كلهم ماعدا عبد الرحمن بك ومحمد بك منفوخ، وبقى الخمسة والعشرون فى القاهرة بامان وأرسلوا يبلغون اخوانهم فى شندى ان محمد على باشا عفا عنهم ماعدا عبد الرحمن بك ومحمد بك منفوخ، فلما تسلموا رسالتهم رفضوا قبول هذا العرض وصمموا على المقاومة الى آخر رمق من حياتهم، واذ أراد على بك الفيومى العودة الى مصر والاستسلام لمحمد على باشا ثار عليه اخوانه وقتلوه

الاستسلام

وانتقل الباقون من المماليك من شندى الى كردوفان خوفاً من ان يقعوا فى قبضة اسماعيل باشا فأبى أهل كردوفان قبولهم فى بلادهم، فرحلوا الى « وارا » فى بلاد «وداى» حيث رفض اهلها استقبالهم أيضا، وعندئذ لم يروا مندوحة عن الاستسلام لجيش محمد على باشا فقرروا ذلك ماعدا ٢٦ منهم

وليس هناك شاهد تاريخى ينبئنا بمصير اللاجئين الى جيش محمد على باشا ولكن يغلب على الظن انهم اذا كانوا قد بلغوه احياء فقد تمتعوا بالعفو اسوة باخوانهم الذين عادوا الى مصر

٢٦ يرفضون الاستسلام

أما الستة والعشرون الذين رفضوا الاستسلام فغادروا « وداى » فى شهر مايو سنة ١٨٢٢ وسلكوا طريق القوافل الى طرابلس الغرب، فلما وصلوا الى جهة تسمى « بورجو » كسر جمل من جمالهم فرع نخلة وجرح الاهلون من جهتهم عبداً من عبيدهم فالتحم الفريقان واسفرت المعركة عن قتل ٢٠ من المماليك، فلم يبق منهم سوى ستة استأنفوا سيرهم الى طرابلس. وفى طريقهم اليها مع خدمهم التقى بهم الميجر دنهام فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٢٢ فوجدهم فى بؤس شديد وحدثوه طويلا على الويلات والمصائب التى حلت بهم. ولم يكن بينهم سوى اثنين من البكوات القدماء وكان اسم احدهما محمد بك (منفوخ) وكان لايزال شاباً ويتكلم بقوة. أما الاخر واسمه على بك فكان فى العقد السادس من عمره وقد تركت النوائب آثارها على وجهه

وتركهم الميجر دنهام وهم مصممون على استئناف المسير الى طرابلس وهم يؤملون ان يسمح لهم حكامها بقضاء بقية ايامهم فيها ولكن ليس لدينا ما يثبت انهم بلغوها احياء

وهكذا انتهى المماليك!

أدباء فرنسا الذين انصفوا الشرق

وزملاؤهم الذين أساءوا اليه

كان شهر ابريل الماضي حافلا بالاجتماعات والخطب والحفلات ، في مصر وسوريا ولبنان ، بمناسبة حادثين يتعلقان بأديبين فرنسيين كبيرين : اما الحادث الأول فهو احياء ذكرى الشاعر لامارتين ، بمناسبة مرور مائة سنة على قيامه برحلته الى الشرق . وقد تحدث كاتب هذا المقال عن الشاعر ورحلته في « هلال » مارس الماضي . واما الحادث الثاني فهو الاحتفال بازاحة الستار عن تمثال الكاتب الفرنسي موريس باريس في كلية سان مارك بالاسكندرية يوم الأحد ٢ ابريل الماضي ، في حفلة ترأسها المسيو هنري بوردو مندوب المجمع الادبي الفرنسي بباريس . فالاستاذ حبيب جاماتي يحدثنا في هذا المقال عن موريس باريس ورحلته ، وعن أدباء فرنسا الذين انصفوا الشرق في كتاباتهم وعن زملائهم الذين أساءوا اليه



الكاتب الفرنسي موريس باريس الذي احتفل أخيراً بازاحة الستار عن تمثاله في الاسكندرية

ان الحفلات التى أقيمت فى مصر لازاحة الستار عن تمثال موريس باريس ، وفى سوريا ولبنان لاحياء ذكرى لامارتين بمناسبة مرور مائة سنة على رحلته الى الشرق تذكرنا بطائفة من الكتاب والشعراء الاوربيين الذين جذبهم الشرق اليه منذ الحروب الصليبية الى أيامنا هذه ، فطافوا فى أرجائه وعادوا إلى أوطانهم حاملين معهم ما دونوه فى رحلاتهم من مذكرات وخواطر ومشاهدات ، ثم ما لبثوا ان القوا بها إلى القراء فى كتب جاء بعضها مطابقاً للحقيقة والواقع والبعض الآخر مخالفاً لها

ويطول بنا الشرح لو أردنا ان نستعرض فى هذا المقال جميع كتاب الغرب الذين زاروا الشرق وكتبوا عنه . فسأكتفى اليوم بأدباء فرنسا دون سواهم ، بمناسبة الاحتفال بذكرى اثنين منهم ، كما انى أقتصر على الرجال دون النساء ، على ان أعود فى فرصة أخرى إلى التحدث عن الاديبات الاوربيات اللواتى كتبن عن الشرق والشرقيين

ولن أتحدث من جديد عن الشاعر الخالد لامارتين بعد ان وفيته حقه فى « هلال » مارس الماضى

أما موريس باريس الذى احتفلت مدرسة سان مارك بإزاحة الستار عن تمثاله فهو يختلف عن لامارتين من أوجه كثيرة . ولم يكن هذا الكاتب الكبير فى رحلته إلى الشرق وكتابته عنه مدفوعا مثل مواطنه الشاعر العظيم بشعور العطف على شعوب الشرق ورغبته الصادقة فى درس أحوالهم وتقاليدهم وتاريخهم وتدوين ما يراه ويسمعه بين ظهرانيهم . بل كان مدفوعا بدافع وطنى وسياسى حمله على تكييف كتابته عن الشرق بصورة تتفق مع الآراء والخطط السياسية التى كان يدافع عنها فى بلاده

فلامارتين زار الشرق كشاعر وكاتب . أما موريس باريس فقد زاره كسياسى وكاتب . ولامارتين زاره كفرنسى يحب الشرق ويعطف على الشرقيين . أما موريس باريس فقد زاره كفرنسى ترتبط مصلحة وطنه فرنسا بمصالح الشرق ، لان فرنسا هى صاحبة « الانتداب » على سورية ولبنان ، فلا غرابة اذن فى أن ينظر موريس باريس — فى القرن العشرين — الى الشرق الذى يزوره نظرة تختلف عن نظرة لامارتين اليه عند ما زاره منذ مائة سنة !

وموريس باريس معروف بين كتاب فرنسا بأنه صاحب مبدأ « مذهب الذات — أو دين الذات » Le Culte du moi

ولا يعجب الذين درسوا أدبه وطالعوا مؤلفاته ان يكون هذا الكاتب النابه من أنصار الاستعمار ومن القائلين بوجوب بسط النفوذ السياسى الفرنسى على الاقطار الشرقية بقطع النظر عن الحقوق والتقاليد والاعتبارات الاخرى . فهو بين كتاب فرنسا — فى نظرى — كالشاعر رديارد كيلنج بين كتاب انجلترا . ويكفى للدلالة على آرائه وأفكاره ومبادئه ان يعلم القارىء ان موريس باريس أشار فى كتابه « تحقيق فى بلاد الشرق الادنى » بوجوب ضم سوريا ولبنان الى فرنسا بلا قيد ولا شرط ، أى انه أشار على بلاده بوجوب تطبيق السياسة التى اتبعت فى الجزائر وتونس ومراكش ، على الاقطار التى عهدت جمعية الامم إلى فرنسا بادارة شؤونها حسب نظام الانتداب . فن الوجهة السياسية لم يكن موريس باريس فى كتابته عن الشرق غير رجل من أبناء الغرب المستعمرين الذين جعلوا اقلامهم فى خدمة الاستعمار ووضعوا نصب اعينهم — قبل كل شىء — المبدأ الذى يدينون به والقائل بان الشعوب الشرقية ليست اهلا للسير جنباً الى جنب مع الشعوب الغربية ، وانها أدنى منزلة منها فى مراتب الانسانية


سيدة شرقية بريشة جيرار دي نرفال


بيير لوتي


لامارتين

أما اذا نظرنا الى موريس باريس ككاتب وضربنا صفحاً عن السياسي فاننا نجد في كتابيه عن الشرق : « تحقيق في بلاد الشرق الادنى » و « حديقة على نهر العاصي » من الابداع في الوصف والدقة في التعبير والسمو في الخيال ما لا نجده في كثير من كتب مواطنيه عن الاقطار الشرقية . فان ريشة هذا الرسام الساحرة قد تناولت الافراد والجماعات والمناظر والمدن والجبال والصحارى بوصف لا يجاريه غير وصف لامارتين وجيرار دي نرفال من قبل . ولو لم يدخل موريس باريس السياسة — والدين أحياناً — في جميع ما كتبه عن الشرق لكان المؤلفان المشار اليهما من خيرة ما كتب عن الشرقيين في نظر الشرقيين أنفسهم

وقد ترك موريس باريس مذكرات عن مصر ، كان عازماً على طبعها أيضاً في كتاب ، ولكن الموت وافاه قبل ان يحقق أمنيته فبقيت مذكراته ناقصة . ولكنها تختلف عن كتبه عن سوريا ولبنان ، لانه لم يزر مصر مدفوعا الى غرض سياسي ، بل زارها كما زار لامارتين الشرق من قبل ، ككاتب هبط وادي النيل لينظر ويرى ويكتب . فهي أقرب الى الحقيقة مما كتبه عن بلاد الانتداب

فاذا سئلت : هل أحسن موريس باريس إلى الشرق أم أساء اليه في كتاباته ؟ لأجبت بلا تردد : لقد أساء إلى الشرق أكثر مما أحسن اليه ، وباللأسف !

ولعل من سخريات القدر ان يوفد المجمع الادبي الفرنسي — أو الاكاديمي كما يسمونها — المسيو هنري بوردو ، العضو فيها ، لتمثيلها في حفلة ازاحة الستار عن تمثال موريس باريس في الاسكندرية . فان هنري بوردو من أشد تلاميذ موريس باريس تعصباً لمبادئه ومذاهبه التي يمتزج فيها الادب بالسياسة ، ولم يكن التلميذ في كتاباته عن الشرق أخف وطأة عليه من أستاذه . فهنري بوردو لا ينسى في كل ما يدونه عن الشرق والشرقيين — سواء أكان ذلك في مقال تنشره الصحف الفرنسية المنتمية إلى أحزاب اليمين ، أم في قصة تخرجها المطابع الباريسية ، أم في محاضرة تلقى على جمهور مكون من خليط من الجنسيات المختلفة . أقول ان هنري بوردو لا ينسى في كل ذلك انه فرنسي ، وان فرنسا منتدبة في سوريا ولبنان ، وانه يجب ان يبقى الانتداب قائما وان تحكم أواصره مع الايام

رينان

فهنري بوردو — في نظري — من الكتاب الفرنسيين الذين أساءوا

الى الشرق وما زالوا يسيئون اليه . وهو من أولئك الذين سبق لى ان وصفتهم فقلت عنهم انهم يرون فى الشرق دون ان ينظروا ، واذا نظروا فانهم لا يرون أولا يريدون أن يروا ، واذا أصغوا فانهم لا يسمعون أو لا يريدون أن يسمعوا !

ولنستعرض الآن بقية الكتاب الفرنسيين الذين زاروا الشرق فى السنوات الواقعة بين رحلة لامارتين ورحلتى باريس وبوردو

فنهم ارنست رينان Ernest Renan العلامة الفيلسوف والباحث المدقق . فقد مكث ذلك الرجل العظيم فى لبنان مدة طويلة ، جمع فى خلالها من المعلومات ما لم يجمعه كاتب من قبل ، تعاونه فى عمله الشاق اخته هنريت Henriette ولا يزال الشيوخ الى الآن يذكرون ذلك العالم الطيب القلب ، السخى الكريم ، عند ما كان يجلس على سطح بيت استأجره فى بلدة غزير بلبنان ، ويكتب «حياة المسيح» ، وغيرها من المباحث الدينية والتاريخية والفلسفية الخالدة . وفى بلدة عمشيت بلبنان ترقد هنريت رينان رقادها الاخير ، فى ضريح أعدته لرفاتها عائلة ميخائيل طوبيا اللبنانى بين أضرحة أفرادها

وارنست رينان من الذين أنصفوا الشرق والشرقيين فى كتاباتهم ، بل من الذين بلغ انصافهم حد الهوس فى الدقة والصراحة ، فحمل بعض خصومه موجدة عليه من أجل ذلك الانصاف

ولعل السبب فى صدق رينان وتوخيه الحقائق فى كتاباته عن الشرق انه لم يكن روائياً ولا سياسيا بل كان عالماً مؤرخاً . فهو من الذين ينبغى للشرقيين ان يطأطئوا الرءوس اجلالا وخشوعاً لذكراهم ، ومؤلفاته جديرة بأن يتناقلها الشرقيون جيلا عن جيل !

وقد أراد بعض أصدقاء أسرته فى وقت من الاوقات ان ينقلوا رفات أخته هنريت من مرقدها فى عمشيت إلى فرنسا ، فعارض ارنست رينان فى ذلك وقال لهم : « انها لسعيدة فى رقادها هناك على مقربة من بيبلوس وأرضها المقدسة ، فهل تظنون انها تؤثر النوم فى مقابرنا الكئيبة على البقاء بين اللبنانيين الاوفياء ؟ دعوها فى مكانها بسلام ولا تزعجوا رفاتها ، فهى ترقد مرتاحة هانئة ! »

وإذا ترك المسافر بلدة عمشيت فى لبنان ، وذهب صعداً فى الجبل ، فانه يصل إلى قرية عينطورة الصغيرة ، حيث المدرسة الشهيرة التى يديرها الآن الآباء العازاريون . وفى تلك المدرسة حجرة أقام فيها مشاهير الادباء الذين ركبوا متن البحار من فرنسا الى الشرق منذ مائة سنة الى الآن . فنى تلك الحجرة أقام لامارتين سنة ١٨٣٢ ، وفيها أقام من بعده جيرار دى نرفال وموريس باريس

وهنرى بوردو والاخوان جان وجيروم تارو وبيريتوا وغيرهم ، وهناك كتبوا صحائفهم ودونوا مذكراتهم ، اما لانصاف الشرق واما للاساءة اليه !

☆☆☆

فجيرار دى نرفال Gérard de Nerval من ذلك الرهط النبيـل الامين ، الذى كان فى كتابه عن الشرق صادقاً حافظاً للجميل ذاكراً كرم الضيافة . فقد زار جيرار دى نرفال مصر وفلسطين وسوريا ولبنان ، وطاف بالمدن والقرى ونام فى البيوت وفى الخيام ، وركب الخيل والحمير والجمال ، وعاشر المسلمين والمسيحيين والدروز ، وقابل فى رحلته العظماء والصعاليك ، ثم عاد الى وطنه ووضع كتاباً فريداً فى نوعه وحيداً فى بابه يعد من أبدع وأصدق ما كتبه كاتب فرنسى عن الشرق والشرقيين . ولعل جيراردى نرفال أقرب كتاب فرنسا الذين زاروا الشرق الى القلوب وأخفهم روحاً واظرفهم فى سرد الحوادث والنوادر وأكثرهم مغامرة فى أسفاره وتوغله فى داخلية البلاد ، فان ما وقع لذلك الشاب النبيل الحساس فى شوارع القاهرة وقصورها وبيوتها لم يقع لسواه من مواطنيه ، وما رآه فى ربوع سوريا وجبال لبنان لم يره أحد منهم . ومما يذكر عنه أنه تاه مرة فى أزقة القاهرة وهو يتبع سيدتين كانتا تشيران اليه من وراء الحجاب بأن يتبعهما ، فاذا به يدخل بيت رجل فرنسى من جنود الحملة الفرنسية بقى فى مصر واعتنق الاسلام ، وأما السيدتان فهما ابنتا ذلك الفرنسى المصرى المسلم الذى أكرم وفادة مواطنه ونصحه بأن يمتنع فى المستقبل عن التعرض للنساء فى الشوارع ! وحدث له مرة أن خرج للصيد فى جبال لبنان فوقع وسط معركة كانت رحاها دائرة بين جماعة من الدروز ، فوثب عليه أحد المتقاتلين وخطفه من وراء الصخور وأنزله ضيفاً على أحد الامراء ، ومن هناك هبط بيروت حيث رأى فتاة درزية بارعة الجمال أحبها وجعل منها « خطيبته بالروح واخته السماوية » ، وهناك مئات من الحوادث والوقائع التى يقصها عليك جيراردى نرفال فى كتابه عن الشرق بصراحة وبساطة وأمانة لا تشوبها شائبة . فهو من الكتاب الذين أنصفوا الشرق وأحسنوا اليه ، والذين يجدر بالشرقيين تخليد ذكرهم والترحم عليهم !

وبين الذين كانوا فى كتاباتهم عن الشرق منصفين صادقين الروائى المؤرخ أوجين ملكيور دى فوجوى E. M. de Vogue وكلود فارير Claude Farrère وجوستاف فلوبير Gustave Flaubert والمؤرخ دريو Driault الذى ألقى فى الشهر الماضى سلسلة محاضرات فى الجمعية الجغرافية بالقاهرة عن عصر محمد على باشا الكبير ، والاخوان جان وجيروم تارو J. et J. Tharaud واندريه موروا André Maurois الذى زار مصر فى العام الماضى

ومن الذين كتبوا عنه دون ان يكون أمامهم غرض يرمون اليـه : بيير بنوا Pierre Benoit ورولان دورجليس Roland Dorgelès فانهما لم يقصدا غير سرد مشاهداتهما أو إيجاد مسرح لابطال رواياتهما

☆☆☆

ولا بد من ذكر بيير فروندية Pierre Frondaie بين أدباء فرنسا الذين كتبوا عن الشرق . وهذا الاديب القصصي الروائي يؤخذ عليه انه يطلق العنان لخياله أكثر مما يجب ، ويخلط بين مايراه في الجزائر ومراكش وما يراه في مصر وسوريا ولبنان . فكان الاقطار الاسلامية في نظره كلهم عرب ، والتقاليد والعادات والأزياء واللغة والتاريخ ــ كل ذلك واحد في نظره عند الجميع ، ماداموا عرباً . فهو من الذين يكيفون كتاباتهم حسب مقتضيات المواضيع التي يعالجونها في رواياتهم التمثيلية أو القصصية ، وقـد كتب رواية باسم « ماء النيل » ، وقعت حوادثها في مصر وأخرجت أخيراً في السينما ، وفيها من التفاصيل والسخافات ما يضحك ! فبيرفرونديه لم يكن في كتابته عن الشرق منصفاً ولـكن مؤلفاته من حيث القيمة الادبية لا تعد شيئاً يذكر بالنسبة الى كتاب فرنسا الاخيرين الذين ذكرناهم في هذا المقال

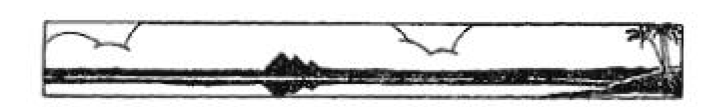
ومنـذ سنوات زار مصر أحد أعضاء المجمع الادبي الفرنسي ، وهو المسيو لويس برتران Louis Bertrand وهذا الرجل يحمل في صدره قلباً حالك السواد ! فهو القائل بان لابد للغرب من القيام بحرب صليبية جديدة ، وقد كتب لويس برتران عن مصر صحائف تعد من أشنع ما كتب كاتب الى الان . وفي سنة ١٩٢٦ أقيمت في مصر حفلة خطب فيها الخطباء ونددوا بمؤلفات لويس برتران ، وأذكر انني كنت بين الذين تكلموا في تلك الحفلة التي وضعت تحت رياسة المغفور له الاستاذ ويصا واصف . فاذا كان بين كتاب أوربا الان من يستحق أن يقابله المصريون واخوانهم ابناء الاقطار العربية بالعصا فلويس برتران المتعصب الاستعماري هو ذلك الكاتب !

ولنختم هذه السلسلة من كتاب فرنسا الذين زاروا الشرق وكتبوا عنه ، باسم ذلك الذي أسر القلوب وسحر الالباب في الاقطار العربيـة جميعها وفي تركيا على الخصوص ، واعني به بيير لوتي Pierre Loti رحمه الله وأحسن اليه بقدر ما أحسن إلى أبناء الشرق بلا فرق ولا تمييز . فمن لم يطالع ومن لايذكر تلك الصحائف الخالدة التي تركها بيير لوتي في عالم الادب ؟ ومن لا يحفظ الجميل لذلك القلم الحر النزيه الذي لم يعرف الكذب ولم يتردد قط في تدوين الحقائق ، ولذلك الصوت الداوي ، الذي ارتفع في ارجاء الغرب للدفاع عن الشعوب الشرقية وحقوقها وحرياتها ، في وقت كانت فيه

الحقوق والحريات مهضومة مهانة ، وكان مجرد ذكرها والترنم بها جريمة لا تغتفر ؟ فبيير لوتى — بين الكتاب الفرنسيين الذين زاروا الشرق وكتبوا عنه — مكانه بلا نزاع فى رأس القائمة ، إذا أردنا أن نحل محل الاعتبار الظروف والاحوال التى كتب فيها مؤلفاته عن الشرق . فان بيير لوتى فى مؤلفاته كان كاتباً ، وكان شاعراً ، وكان سياسياً ، وكان عالماً ، وكان قبل كل شىء رجلا شريفاً حراً نزيهاً ، لم تقف جرأته فى الحق عند حد ، ولم يؤثر فيها وعد أو وعيد . فالى تلك القرية الفرنسية النائية ، التى يرقد فيها ذلك الكاتب العظيم رقاده الاخير ، يجب أن تتجه أنظار الشرقيين كلما ذكر أدباء فرنسا وكلما ذكر الشرق فى كتاباتهم ، لان الى بيير لوتى يعود معظم الفضل فى وقوف المطامع الاوربية فى الشرق عند حد وفى دفع كثير من الكوارث السياسية عن الشرق قبل الحرب العظمى ، وعلى الخصوص فى تنبيه الشرقيين والشرقيات الى بعض المخاطر الاجتماعية التى كانوا يستهدفون لها دون أن يشعروا ودون ان يعلموا الى أين يسيرون

ان الاعوام تمر بسرعة . وبعد مضى مدة من الزمن سوف ينسى الشرقيون اولئك الادباء الفرنسيين الذين زاروا اوطانهم وكتبوا عنها . ولكن مهما تراكت السنون ، ومهما كان النسيان سهلا ، فان أبناء الشرق سوف يذكرون دائمًا الشاعر الفونس دى لامارتين ، والعالم ارنست رينان وأخته هنريت ، وجيرار دى نرفال وبيير لوتى !

حبيب جاماتى



الحرب المقبلة
كيف يصفها
الثقات العسكريون

ظهر حديثاً في لندن كتاب عن الحرب المقبلة اسمه "What Would Be the Character of a New War" اشترك في تأليفه ثمانية عشر قائداً من كبار قادة الجيوش في أوربا وامريكا واليابان وأودعوا فيه آراءهم في أساليب القتال المقبلة ، وأجمع كلهم على انها ستختلف كل الاختلاف عن أساليب القتال في الحروب الماضية . وقد رأينا أن نورد فيما يلي أهم ما جاء في الكتاب المذكور

المشاة والدبابات

فن رأى الجنرال فولر الانجليزى أن جيوش المشاة التى كانت حتى الآن العامل الفاصل فى المعارك قد فقدت قيمتها الحربية بسبب شيوع أدوات الحرب الآليـة الجديدة . فكما أن الآلات فى المصانع قد قضت على الأيدى العاملة كذلك آلات القتال الجديدة قد قضت على المشاة . بل لانبالغ اذا قلنا إنها قد قضت على الفرسان أيضاً وجعلت الوحدات التى تنقل بواسطة الاتوموبيلات قوام الجيش المحارب . وقـد أثبتت معارك الحرب الماضيـة أن الدبابات والاتوموبيلات المدرعة هى أفضل أدوات القتال . وفى ٢٤ ابريل سنة ١٩١٨ - أى فى السنة الأخيرة من تلك الحرب - جرت معركة دموية بين سبع دبابات انجليزية وثلاث أورط المانية . وكان مجموع الجنود والضباط فى السبع الدبابات واحداً وعشرين شخصاً فقط ، ومع ذلك قتلوا أربعمائة جندى وضابط من الثلاث الاورط الألمانية واثبتوا أن اشتباك الدبابات مع المشاة - بل مع الفرسان أيضاً - ليس حرباً بل مجزرة

وقد جرت عادة القواد أن يجهزوا بعض جيوش المشاة بفصائل من الاتوموبيلات المدرعة ، وفى هذا من التناقض ومخالفة المنطق مافيه مما يوجب الفصل بين هاتين القوتين المحاربتين

ومما لاشك فيه أن النظام العسكرى يجب قلبه رأساً على عقب . فليس اليوم للمعيشـة فى الثكنات العسكرية والتعليم العسكرى قيمة عملية . كما أن طرق تجنيد الجنود لاتصلح للحروب المقبلة . والأحسن ابدال التعليم العسكرى بالتعليم الميكانيكى ، وتفضيل الافراد الذين يحسنون سوق الاتوموبيلات واصلاحها ولهم إلمام بالميكانيكا على الأفراد الذين لا يحسنون سوى الخطوات والحركات العسكرية . وقد أثبتت وقائع الحرب الماضية أن ساقة الاتوموبيلات والعمال المكانيكيين ومن فى حكمهم ألزم لضمان النصر من الأفراد العاديين

الحرب الجوية

ومن رأى الماجور برات ، وهو من النقاد الحربيين الانجليز ، أن الشأن الاعظم فى الحروب المقبلة سيكون للجو ، وأن الدولة التى ستكون لها السيادة فوق متن الهواء هى الدولة التى ستضمن النصر على أعدائها . ولقدكانت السكك الحديدية حتى الآن أفضل وسيلة لنقل الجيوش بالسرعة من مكان الى مكان . ولكن السكك الحديدية لا تستطيع السير الا على خطوط ثابتة . بخلاف الطيارات فانها تستطيع الانتقال فى جهات مختلفة . كما تستطيع أيضاً نقل الجيوش والمهمات وما الى ذلك . وقد قللت من شأن السكك الحديدية كثيراً

وليس فى وسع أى جيش برى - مهما يكن مجهزاً بالمدافع الضخمة - أن يحول دون وصول طيارات الاعداء الى معسكراته أو التحليق فوق مضاربه وفوق المدن التى يدافع عنها . ولن يكون هم الطيارات فى المستقبل هدم الحصون والمعاقل وتخريب خطوط النقل أو السكك الحديدية ، بل محاربة المراكز الحيوية التى تغذى الجيش ، أى المناجم التى تمده بما يحتاج اليه ، والمصانع التى تمونه بالأسلحة والذخائر ، والمراكز التى تقدم له الغذاء . بل سيكون همها أهول من ذلك إذ ستنبرى لمقاتلة الاهالى غير المحاربين من نساء واطفال وشيوخ ، فان حرباً كهذه هى التى تضعف همة الشعب وتثبط عزائمه . والاهالى الذين يصابون بمثل تلك النكبات لا يحجمون عن الثورة على حكوماتهم وارغامها على طلب الصلح . أما الاعتماد على المعاهدات الدولية لمنع مثل تلك الفظائع ولتأمين حياة الاهالى غير المحاربين فكالاعتماد على قصاصات اوراق لا قيمة لها على الاطلاق

ومن الطبعى أن تثأر كل دولة لنفسها من عدوتها بان توجه على مدنها الحملات الجوية . ومن المحتمل جداً ان لاتشتبك أسراب الطيارات بالقتال فى الجو ، فان نتيجة قتال كهذا ليست شيئاً يذكر بجانب تخريب المدن الآمنة وتقتيل الاهالى غير المحاربين . لذلك ستتجنب الأساطيل الجوية بعضها بعضا وتوجه جهودها الى المدن وسكانها الآمنين

الحرب الكيمياوية

ومن رأى السيدة جرترود فولكر السويسرية - وهى مشهورة بين علماء الكيمياء - أن على الكيمياء والبكتيريولوجيا سيكون لهما شأن عظيم فى الحروب المقبلة ، وسيكون الشأن الاعظم لاولهما لان الجيوش المحاربة ستعتمد اعتماداً كبيراً على الغازات . وقد كثرت هذه الغازات وتنوعت فهنالك المضحكة منها والمبكية والمخدرة والسامة والمحرقة وهلم جرا . ومع أن هذه الغازات استعملت فى الحرب العظمى الماضية فان الذى اخترع منها بعد تلك الحرب هو أهول وافظع

فلدى إحدى الدول اليوم قنابل غازية ذات فعل هائل جداً لا يزيد ثقل كل قنبلة منها على كيلو جرام واحد (أى أن فى وسع كل طيارة أن تحمل عدداً غير يسير منها) ومع ذلك فانها اذا ألقيت من أعالى الجو على الارض انفجرت فخرج منها غاز تبلغ حرارته ثلاثة آلاف درجة بمقياس سنتجراد. وهذه الحرارة تصهر الصلب المصنوعة منه القنبلة فيسيل على الأرض ويلهب كل ما يجده فى طريقه من نبات وحيوان وجماد. فتندلع النار فى كل مكان ويتعذر إخمادها

وهنالك قنابل أخرى أثقل قليلا من هذه القنبلة وهى إذا ألقيت على الأرض شقتها وبعثت فيها ألسنة لهيب هائل حتى يخيل لمن يراها أن الأرض نفسها تشتعل. وفى وسع قنابل كهذه أن تدمر مدناً بأسرها وتهلك سكانها وتلهب منشآت الغاز والانارة فيها

ولدى إحدى الدول أيضاً قنبلة تسمى « قنبلة برلين » إذا سقطت على مكان قتلت كل نسمة حية من حيوان وإنسان فى منطقة يبلغ محيطها نحو الف متر

الطيارات غير المنظورة

ويقول الجنرال جروز إنه من المستحيل الدفاع عن باريس ولندن وبرلين وغيرها من المدن الكبرى بازاء الأساطيل الجوية فى الحروب المقبلة ، بل من المستحيل الدفاع عن أى مكان بالغاً ما بلغ تحصينه . فستكون قنابل الطيارات فى المستقبل هائلة جداً بحيث لا يجدى الاختباء منها فى الكهوف والمغارات وطبقات المنازل السفلى والانفاق التى تحت الأرض . ذلك لأن فعل هذه القنابل هو مما لا يستطيع قلم الكاتب أن يصفه

وليس ذلك كل ما فى الأمر ، بل الأدهى أن لدى بعض الدول الآن طيارات إذا دهنت بمادة معينة لا تعود ترى حتى بأقوى النظارات . وفى « المناورات » العسكرية الأخيرة التى جرت حول لندن طار سرب من الطيارات المذكورة مؤلف من مائتين وخمسين طيارة فوق المدينة . ومع أنه أديرت نحو تلك الطيارات أقوى المصابيح الكشافة لم يستطع أحد مشاهدة شىء منها - ما عدا ست عشرة طيارة لم تكن قد طليت بالمادة السرية طلاء تاماً ، فظهرت فى نور المصابيح الكشافة ظهوراً غير واضح . أما الطيارات الباقية - وعددها ٢٣٤ طيارة - فقد خفيت عن الانظار تماماً

فأى مكان أم مدينة أم حصن أم مركز حربى يمكن الدفاع عنه ازاء هذه الطيارات غير المنظورة ؟ وكيف يرجو سكان المدن أن يأمنوا شر تلك الطيارات فى الحرب المقبلة ؟

القتل الفظيع

وهنالك غاز جهنمى آخر ذكره أحد القواد الحربيين الذين اشتركوا فى تأليف الكتاب الذى نحن بصدده وهو « الغاز الأخضر » ومن خصائص هذا الغاز أنه لا تجدى فى مقاومتـــه أية

كامة . وعند ما يدخل الرئتين يمتص جميع « البلازم » - أى السائل الدموى - الذى فى الجسم ويغرق الرئتين به فيشعر الانسان بأن جميع شرايينه وأوعيته الدموية قد تقطعت وتدفق منها الدم إلى الرئتين ، فيموت موتة فظيعة

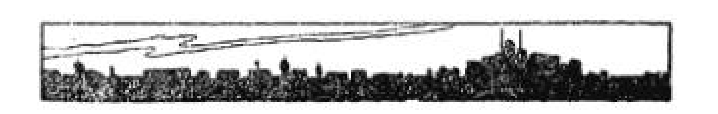
وعلى ذكر الكمامات نقول إن الغازات التى ستستعمل فى الحروب المقبلة ستكون من القوة والشدة بحيث لن تستطيع أقوى الكمامات على منع وصولها إلى الرئتين وإحداث الأثر المطلوب منها فى الجسم

المعاهدات والاهالي غير المحاربين

ويقول القومندان ليفبفر إن دروس الحرب الماضية قد أثبتت لنا سخـــافة الاعتماد على المعاهدات الدولية . فالعدو الذى يرى أن تلك المعاهدات تقف فى سبيل إحرازه النصر لن يدع هذا النصر يفلت من بين يديه بحجة أنه وقع معاهدة تقيده كما يقيد السجين بالاصفاد . وعليه فن الخرق فى الرأى الاستنامة إلى المعاهدات الدولية والاعتماد عليها لدفع أذى الحرب عن المدن غير المحصنة والأهالى غير المحاربين ، فالحرب حرب ، والجيش الذى لا يتعلق بأهداب كل وسيلة تساعده على إحراز السلام يندم فى آخر الأمر

ولا بد لنا من وضع هذا الأمر نصب عيوننا وهو أن غير المحاربين سيكتوون فى المستقبل بنار الحرب أكثر من المحاربين ، فستوجه الطيارات همها إليهم لأن الفتك بهم أسهل من الفتك بجيوش متأهبة للحرب والقتال . بل ستكون ميادين القتال فى المستقبل أوفر أماناً وأدعى إلى الطمأنينة من المدن الآمنة غير المحصنة . فالقاء الرعب فى قلوب الاهالى يحرض هؤلاء على حكومتهم ويستفزهم إلى طلب الصلح

ويقول اللورد هلسبرى مدير مصلحة المفرقعات بوزارة الحربية بانجلترا إن هنالك غازاً ساماً إذا أطلق على مدينة عدد سكانها ثمانية ملايين نفس كمدينة لندن وضواحيها قتلهم كلهم ولم يبق منهم نسمة حية . أما الغاز الاميركى الذى يلقى على الناس سباتاً يدوم أربعاً وعشرين ساعة ينهضون على أثرها بصحة تامة فليس من الغازات التى يرجى شيوعها فى الحروب المقبلة



صحة العقل

بقلم الدكتور يوسف براده
الاخصائى فى الامراض العصبية

العقل فى رأى العلم الحديث

صحة العقل أو العناية بالعقل من الوجهة الصحية جزء من الطب الوقائى . ولكى نفهم المقصود من ذلك يجب أن ندرك ماهية العقل ونعرف وظائفه ونقف على أدوار نموه والعوامل التى تؤثر فيه قوة وضعفاً لا سيما الوراثى منها . وقد اصبح مفهوماً أن العقل على ضربين اثنين : عقل واع يخضع لارادتنا ، وعقل غير واع لاسيطرة لارادتنا عليه . وهذا العقل الذى يسمونه العقل الباطن هو مركز الغرائز والميول والانفعالات ، بينما العقل الواعى مركز الفكر والتمييز . ولاشك ان حياتنا خاضعة للعقل الباطن الى مدى بعيد

اصبح هذا مفهوماً ، لكن العلم الحديث لايقف بنا عند هذا القدر من تعريف العقل وشرح أسراره . فانه يخيل إلى أن الرأى فى وقتنا الحاضر يتجه الى اعتبار العقل اصلا تصدر عنه جميع الظواهر الطبيعية والبيولوجية ، اى اننا لا يكفينا التفسير المادى والميكانيكى لهذه الظواهر . وفى ذلك يقول السير « جيمس جينز » سكرتير جمعية العلوم البريطانية فى كتابه « الكون المحوط بالاسرار » ما نصه : « لم يعد العقل يبدو لنا كدخيل يتطفل احياناً على عالم المادة . لقد بدأنا نرى أنه يجدر بنا تمجيده على اعتبار انه خالق المادة والمتحكم فى عالمها »

فاذا سلمنا بأن هذا هو شأن العقل فى الكون المادى جاز لنا القول بأن العقل يسيطر على وظائف الجسم ، وان العمليات الفسيولوجية تخضع للنشاط العقلى فى حالتى الانتظام والاضطراب

• • •

بعد هذه المقدمة الوجيزة نقول ان العناية بصحة العقل تنقسم الى اربع مراحل ، هى :
١ ـ الطفولة وما قبلها ٢ ـ سن التعليم الى وقت المراهقة ٣ ـ الشباب ٤ ـ الرجولة وما بعدها حتى الشيخوخة

الطفل والد الرجل

تبدأ المحافظة على صحة العقل قبل الولادة ، والواقع انها تبدأ قبل الحمل . فالجنون يورث والاضطرابات العقلية وضعف العقل يظهر اثرها واضحاً جلياً فى الطفل . والزهرى يعطينا اطفالا مشوهين جسماً وعقلا ، وقد لا يعطينا سوى أجنة تقذف بها الارحام قبل الاوان . وللكحول والمخدرات فى نسل المدمنين أثر ملحوظ

فعلينا أن نفكر ملياً فى نسل هذا الفريق ، وبدون الدخول فى جدل حول فكرة فى الامكان اتخاذ اجراءات حاسمة حيال المصابين بالزهرى دون ان يكلفنا ذلك كبير نفقة ، ففى وسعنا مطالبة الراغبين والراغبات فى الزواج بتقديم شهادة تثبت نظافة اجسامهم من هذا الداء الوبيل . يعطى هذه الشهادة قسم الامراض السرية او الاخصائيون

وثمة نصائح للحوامل والامهات لاغنى عنها فى تربية الطفل . ولن تنصح الحوامل بأكثر من المحافظة على صحتهن وأخذ القسط الضرورى من الراحة . وأما الامهات فلهن عندنا نصائح سمينة . إن تربية الطفل فن يحتاج الى معرفة نفسية الطفل ويتطلب حذقاً ولباقة عملية . والأمومة أنفس ما تحرص عليه الأمم التى تنشد السعادة فى مستقبلها وفى حاضرها . وأعلم أن مراكز رعاية الطفل تلقي على الأمهات دروساً فى الأمومة ، إلا انى أرى دائرة هذه المحاضرات ضيقة وعملها مقصوراً على صحة أجسام الاطفال

على الوالدين والمربيات ومعلمات رياض الأطفال ان يدركوا علاقة الطفولة بالشباب وما بعد الشباب . وأن يعلموا علم اليقين ان الطفل والد الرجل ، وان العادات خبيثها وطيبها تتكون فى السنوات الاولى من الحياة ، ابتداء من الاسبوع الاول . وتربية الطفل تتلخص فى غرس العادات الطيبة وصيانته من العادات الخبيثة . والعادات إما فكرية أو عملية أو خلقية

وفى خلال السنتين الاوليين من الحياة يسرع الجهاز العصبى فى نموه اكثر من اى وقت آخر ، ولا يضارعه فى هذه السرعة جهاز سواه من اجهزة الجسم . وفى تلك الفترة يكون الجهاز العصبي غضاً مرناً قابلا للتكييف ، ومن اجل ذلك كلما بكرنا فى غرس العادات الطيبة حسنت النتيجة

ويتفاوت الاطفال فى القدرة على تعلم العادات ، فالبعض يتعلمها بسهولة وتغرس فيه بلا أدنى مشقة ، بينما يتردى فى اسوأ العادات الأطفال « العصبيون » . وهؤلاء اما ان يرثوا سرعة التهيج عن ابويهم واما ان يرجع تهيجهم الى علة مزمنة يغلب ان تكون فى جهازهم الهضمى . فالمحافظة على صحة الجسم جزء هام من تربية الطفل . وتحسبنا فى غير حاجة الى الكلام عن العادات فكلنا يميز خبيثها من طيبها

والغلطة التى لاتغتفر فى تربية الاطفال بمصر هى حنان الام الذى يتخطى الحدود الطبيعية فيصير مفسدة ، أو قسوة الأب وفقدان التربية الاستقلالية ، لدرجة ينشأ معها الطفل جباناً عديم الثقة بنفسه . وكثيراً ما يتسبب عن ذلك أمراض عصبية فى سن المراهقة والشباب . ومن السهل ان تتبين الاسباب الحقيقية فى وجوه الضعف فى اخلاقنا ، انها ترجع الى سوء التربية فى السنوات الاولى ، وقد قيل : « من شب على شىء شاب عليه »

التلميذ فى المدرسة

ينقسم الأولاد من حيث الذكاء الى أقسام :

١ - أولاد ذكاؤهم أدنى من المتوسط ٢ - اولاد ذكاؤهم متوسط ٣ - اولاد ذكاؤهم فوق المتوسط

والمفروض فى برامج التعليم انها موضوعة بحيث يفهمها متوسطو الذكاء . فمن الغبن حشد الذين ذكاؤهم ادنى من المتوسط مع زملائهم . فالاصوب والاجدى على جميع التلاميذ فى المدارس الابتدائية ان يعزل فى فصول خاصة كل من هبط عن مستوى الذكاء ، على نحو ما يفعلون فى امريكا وسواها ثم توجيههم إلى ما ينفعهم فى الحياة من صناعات ومهن تصلح لهم وتصونهم عن التورط فى المفاسد

فاذا انتهت مرتبة التعليم الابتدائى وزع متوسطو الذكاء على المدارس الزراعية والصناعية والتجارية والمتوسطة ، فلا يسمح لغير الاذكياء جداً من النابغين والافذاذ بالانتساب الى المدارس العالية والكليات المختلفة . وحبذا لو قصرنا التخصص على الفئة الممتازة . وهذا الاجراء فى مصلحة الطلبة ومصلحة الامة . ولو اتبعنا هذه السياسة لتلافينا ازمة الشباب التى تهددنا بمشاكل اجتماعية وخلقية واقتصادية خطيرة نحن فى غنى عنها بمشاكلنا الراهنة

تجيء بعد ذلك مسألة محلية بحتة ، هى تفشى البلهارسيا والانكلستوما بين التلاميذ والطلبة القادمين من القرى ، وهذه الأمراض تؤثر على قوى العقل مثل البلاجرا المنتشرة بالريف ، ومن الضرورى الوقاية منها بالطرق المعروفة . ثم من الضرورى سن قانون يحرم على المراهقين الذين تقل سنهم عن ثمانية عشر عاماً غشيان دور الملاهى المتهتكة ومشاهدة شرائط السينما التى تحث على التقليد الاجرامى . وعلى اولياء الامور ان يعاونوا فى حماية الناشئة من المطبوعات المهيجة للرغبات التناسلية وبالاخص المجلات المستهترة بالفضيلة

عهد الشباب

لابد لنا من امور ثلاثة نصون بها عقول الشباب ونعدهم للكفاح فى عصر يتوقف النجاح فيه على قوة الاعصاب ونشاطها ، وهى :

(اولا) تنشئة الشباب على الصراحة فى المسائل الجنسية بمقدار يلائم روح العصر ولا يثور على تقاليدنا ، فان كبت الرغبات الجنسية مثل الافراط فى اشباعها يؤدى كلاهما الى اضطرابات عصبية عدة ليس هنا محل الكلام عنها

(ثانيا) صرف أفكار الشبان عن الخيالات والأحلام والمسائل الجنسية ، الى الرياضة والفنون الجميلة والملاهى البريئة الاخرى مثل الفوتوغرافيا وما شابه ذلك

(ثالثاً) ان يدربوا على مواجهة الحقائق و يعودوا المخاطرة والاعتماد على النفس وتحمل الصدمات بشجاعة واحتقار للألم والتضحية

° ° °

من اجل ما تقدم أرى أن تهتم وزارة المعارف بالشؤون الصحية لعقول التلاميذ والطلبة، بانشاء قسم خاص يعرض عليه هؤلاء متاعبهم ويفضون اليه بالاسرار التى تكتنف اضطراباتهم العصبية. ويختار اطباء هذا القسم من الاخصائيين فى امراض النفس وعلل الاعصاب. ويعهد اليهم بالقاء محاضرات على الطلبة تنير اذهانهم - واذهانهن - فيما يتعلق بالمسائل الجنسية ومشاكل العقل الباطن والالتواءات النفسية. والمعلمون والمعلمات فى حاجة الى محاضرات من هذا القبيل اغزر مادة واوفى معلومات

ان الوزارة التى تربى العقول يجب عليها ان تصونها من الآفات، وهى مسئولة من الناحية القومية عن عقلية الشباب بنوع خاص !!

الرجولة والكفاح فى الحياة

الناس فى عصرنا هذا قد ثقلت على اعصابهم وطأة النضال فى سبيل الرزق، يساورهم الخوف ايان ذهبوا وانيما اقاموا، وقد تزعجهم فى احلامهم المخاوف، والى الخوف تعزى اضطرابات عصبية عدة يختل بسببها توازن الفكر ويرتبك الخاطر. وخلق الله اشكال والوان، فنهم اليائس، ومنهم العاجز عن مسايرة الظروف والاحوال، ومنهم مرهف الحس الذى تمزق قلبه الحسرة، ومنهم النادم على مافرط فيه ندما موجعا لاينقضى أمله، ومنهم المنكوب فى حياته العائلية او رزقه او ثروته، ومنهم الذى سدت فى وجهه الابواب وانقطع الامل فى استقامة شأنه. هؤلاء الناس كيف نحافظ على صحتهم العقلية وكيف السبيل الى انقاذهم ؟!

إننا أنشأنا الجمعيات لمكافحة المخدرات ومقاومة المسكرات وأنشأنا العيادات السرية لمحاربة الزهرى. فلماذا لاننشىء جمعيات تتولى مواساة المنكوبين وارشاد التعساء الى طريق الخلاص والاخذ بيد اليائسين وتقوية نفوسهم ؟ هذه الجمعيات موجودة فى اوربا وامريكا وتوجد الى جانبها عيادات خاصة باضطرابات الاعصاب وامراض النفس

برنامج العمل

رأيت مما تقدم أن العناية بالشؤون الصحية للعقل والأعصاب تتطلب برنامجاً شاملا. وللفائدة وعلى سبيل القيام بواجبى كاخصائى فى الأمراض العصبية ألخص خطة العمل فيمايلى :

(أولا) تعنى وزارة المعارف بصحة العقل وتوقف الطلبة على أسرار النفس « Psychology »

ومن الضرورى إنشاء فصول خاصة لضعاف العقول من التلاميذ

(ثانياً) مصلحة الصحة العمومية : قد آن الأوان لانشاء قسم خاص بالصحة العقلية يتولى

١ ـ البروباجندا فى هذا الصدد بالمحاضرات والنشرات

٢ ـ افتتاح عيادات خاصة بأمراض الأعصاب واضطرابات العقل والتواء النفس وما الى ذلك

٣ ـ تدريب الأطباء والمشتغلين بالشؤون الاجتماعية ، وحبذا لو انشئت فصول لهذا الغرض بالمعهد الصحي يلقن فيها خطباء المساجد والوعاظ بالكنائس شيئاً من هذا القبيل

٤ ـ كفاح البلهارسيا والانكلستوما والبلاجرا بالطرق الصحية ، وبتحسين حالة الفلاح المعيشية .

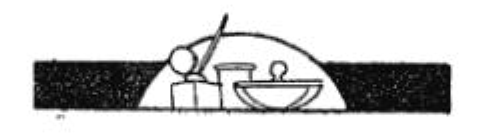
(ثالثاً) إنشاء جمعيات للصحة العقلية تخفف عن الناس متاعب الحياة وترشدهم الى طرق المحافظة على قوى العقل وصيانة الأعصاب سليمة . تفعل ذلك بمختلف الطرق ـ بالمقابلات الشخصية وبالنشر وبالمحاضرات وباسداء المعونة والوساطة عند أصحاب الأعمال وتسوية المشاكل واصلاح ذات البين

(رابعاً) الصحافة: أعتقد أن الجرائد والمجلات يمكنها نشر البحوث والمقالات عن صحة العقل بأسلوب عذب فى متناول كل إنسان

* * *

هذا ماعن لى فى برنامج العمل فيما الى العمل وحى على الفلاح

دكتور يوسف برادة



المقامات العباسية ـ ٤

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

وأخذ عباس يقص حكايته فقال :

ليس أصدق من القائل : ان ليس بالخبز وحده يحي الانسان ـ وليس اقل صدقاً منه من يقول : ان ليس بالمال قوام الحياة ومتاعها مادياً كان هذا أم أدبياً

فلم يكن للمال عندي قيمة فى كل ساعات حياتى الماضية ولم يكن احط شأنا منه يوم كنت فى ديجون اتلقى الحقوق ، فقد كنت من أقل الطلبة مالا ، وكنت مع هذا اكثرهم غبطة بحالى وأوسعهم أملا وابعدهم مطمحا فى كل ناحية من نواحى الفكر والجسد

جرد نفسك من الوهم تر أن المال آلة العيش للضعيف ومركب اللذة للجبان ووسيلة الهناء لمن لا وسيلة له ، فشباب يدفع بالآمال الى فوق ، وقليل من التفوق العقلى يريك الناس على حقيقتهم ـ هذان يغنيانك عن الثروة ويجعلان موضع الغنى منك موضع العبد من سيده

فكنت اذا جلست فى حديقة من حدائق البلدة تحت شجرة مدت فروعها الى السماء وامامى الازهار والطيور احسبنى فى النعيم واحسب الدنيا طوع تصوراتى ـ يكفينى منها ان اريد فيتم لى ما اريد ـ إلا امرا واحدا كان أمنية لى احسد سكان ديجون عليها وادفع نفسى اليها فلا تندفع يشكمها حياء موروث لامفر منه ومراقبة دقيقة من رفيقى سليم

فقد كان هذا يجمع بين حب الطعام وكره بنات حواء جمعا محكما ، ويأبى إلا ان نكون نحن الآخران مثله ، فكنت احاول ان امتثل لامره جهدى واكبت ميولى ما استطعت الى ذلك سبيلا . ولكنها كانت تضرى ويزيد فى ضرامها رؤية الشبان والشابات يمرحون طربين وانا منزو أخاف من سليم واجبن لدى نفسى

ولا خير فى الدنيا اذا انت لم تزر حبيباً ولم يطرب اليك حبيب

فلما يئست من رحمة فتاة تعطف على فاماشيها فى طرق ديجون وحديقتها قفلت الى مغاور الفندق حيث كنا نقيم

وكان قد لفت نظرى فى غرفة للطعام من ذلك الفندق خادم فى عينيها قبل حلو لا يلبغ ان يكون حولا ، تكثر من التلفت الى ناحيتنا ونحن جلوس الى المائدة ، فنحمل هذا التلفت مرة على اننا غرباء فى بلدة يقل فيها الغريب ومرة على خطأ مركز الدائرة فى عينيها

الى ان كان عصر يوم وقد ضاقت بى غرفتى فقرعت الجرس وأمرت بالشاى يؤتى به الى على يد تلك الخادم . وقد كنت اعلم انها هى دون سواها التى تتولى مثل هذه الامور . ولم تلبث ان دخلت على تحمل اطباق الشاى فالتصقت اعضاء جسمى بعضها فى الكرسى لا أستطيع أن انهض وبعضها فى ثيابى لا أستطيع ان اتحرك

وكأنها راقها منى اضطرابى وكانت قد مرت فى دهرها على مختلف الزوابع أو عصفت هذه بها ، فوضعت الاوانى على المائدة وابتسمت تسألنى هل لى غرض آخر أو تصرف . قلت لا . فهمت بالانصراف ، فجاءتنى قوة شيطانية حركتنى عن كرسي ، فنهضت الى الباب وأوصدته دونها قالت : ولم تغلق الابواب ؟ قلت : اخاف البرد . وهممت بيدها امسكها والعرق يتصبب منى ورجولتى تحتقر من هذا الجبن أمام خادم الى ان آنست منها تشجيعا . فكادت تهم بى وكدت أهم بها لولا ان قرع باب الغرفة قرعا شديداً

فجلست مكانى لا اتحرك واذا بمحمود وسليم داخلان يضحكان ، وكان أول ما نطقا به سؤالها : لم كان الباب مقفلا ؟ . أما الفتاة فلم تفارق الابتسامة شفتيها وهى صامتة . واما انا فصامت ايضا بلا ابتسام وبلا مقدرة على الكلام

الى ان أنقذت الموقف اذ رأت أوانى الشاى فتناولتها وخرجت وبقينا نحن الثلاثة وجهاً لوجه

سليم — ماهذا العمل ؟ ألا تخجل من نفسك ومن الفضيلة ؟

محمود — اتراود خادمة عن نفسها وتجون تعج بالبنات الجميلات ؟

انا — ان بعض الظن اثم. والله مارأت منى وما رأيت منها . كفا عن الظلم وأقلعا عن الظن السيء

أما سليم فقام الى الباب يفحص الاقفال ويقول : لم اقفلت الباب ياحسن النية خالص الطوية ؟ والله لن اكلمك ولن اضع يدى فى يدك بعد الساعة . وخرج . اما محمود فكان ضلعه معى وشأنه شأنى . وكانت أوسعنا عقلا وأكثرنا ضحكا من الامر الفتاة الخادمة نفسها فانها مارأتنا بعد تلك الساعة إلا استغرقت فى الضحك وامعنت فى القهقهة والاختفاء

فقلت لنفسي : حسبك مارأيت ، خادمة تضحك من غفلتك وصديق يؤنبك على اثم لم ترتكبي . هذا يغضب منك وانت بريئة ، وتلك تضحك منك لهذه البراءة فماذا انت فاعلة ؟ وبأى احكام ابن آدم تأخذين وأى اقوال الناس وتظنهم تصدقين ؟

وكأن الصدمة اثارت مكامن الجبن من نفسى مخبأت اميالها الغريزية ودفعتنى الى قراءة الادب الافرنسى . وكان أول كتاب قرأته فيه رواية « النسر الصغير » لروستاند ، اخذته ليلة الى

سريرى و بقيت حتى اتيت على آخره وحتى انتهى الليل . وطاب لى هذا النوع من الادب فاخذت اقتش على الروايات الافرنسية اقرأها وعلى الجرائد امعن فى مطالعتها . وكان فى الوقت متسع فعلم الحقوق لايستغرق الكثير من الوقت بله انه ليس من الصعوبة على مايصوره لك دكاترته

ولما جاء فصل الاجازة المدرسية فى الصيف ولم تكن نياتنا منصرفة الى الرجوع الى مصر قال محمود : هيا بنا الى جنيف فهى لاتبعد كثيرا عن ديجون وللطلبة اسعار مخفضة فى الاسفار دائما ، واعلم علم اليقين اننا سنلاقى فيها كثيرا من المواطنين وسنلاقى فيها رخصـــاً فى المعيشة لايضاهيه رخص . وقد كانت سويسرا كلها قبيل الحرب أقل بلاد الله تحميلا للجيب

فأتينا جنيف ونزلنا فى فندق صغير جميل

وأسعفنا الحظ فلقينا فى الفندق مصريين منهم محام كان فى ذلك الزمن شهيراً ولا يزال ، ومنهم موظف ضخم الجسم عريض الادعاء قبيح المنظر يحسب نساء العالم من بعض عشاقه . وخيرهم شيخ معمم ذو مال وطريقة ، خفيف الظل ضحوك بشوش ، لا تأخذه فى معصية الله ندامة ، ولا يكف عن اللهو والطرب فى الاسواق وفى البيت وفى الحانات ، تحسبه من كبار العلماء وهو يكاد يكون أمياً لم يحفظ الا توقيع امضائه خوفاً من أن يزور قومه خاتمه عليه ان هو لم يوقع .

فهش لنا مواطنونا وبشوا الا الموظف الثخين ، فكان ينظر الينا نظرة الاحتقار ويعاملنا معاملة الاطفال ، فكأنه نظر بعين الغيب إلى ما سيكون فرأى أننا سنحرمه عشرة كل بنات الفندق النازلات فيه . فهما يقل فينا فاننا نفوقه فى كل مايرغب الانثى بالرجل . وكان كذلك

الى أن جاءنى الشيخ الظريف فى صباح يوم وقال لى : ماذا فعلت يابنى حتى أغضبت فاهوم بك ؟ قلت : ماكلمته أبداً . قال : انه زبون قديم فى هذا الفندق وقد علمت منه أنه سيكلم المدير حتى يخرجوكم أنتم الثلاثة من هنا ، ولكننى لمته فى الأمر وقلت ما هكذا يفعل المصريون باولادهم فى ديار الغربة . فألح وألح وألح ، إلى أن وجدت أنا طريقاً وسطا افض فيه الاشكال

تعالوا معى إلى فندق بديع فى قرية شامبيرى بالقرب منا فانا اذهب كل يوم الى تلك القرية بغية الحمامات فى مياهها المعدنية ، فكونوا فى صحبتى تترجموا لى ما يغلق على فهمه وتنزلوا ضيوفاً على . فأبينا واستعصت كرامتنا . فما زال بنا حتى قبلنا أنصاف مكرهين

وما عتم فى الليلة نفسها حتى جاءنى وقال : تعال معى فى زيارة الى هذا القصر المجاور فتعلم أى خدمة أسديها لك . فنظرت اليه - والرجل مثل أبى - وأطعت . فدخلنا قصراً صيفياً لشريف من أشراف ايطاليا يمت الى بيت مالك بنسب متين . وأذن لنا فدخلنا على ربة القصر - سيدة برزة فتنة للناظرين ، وكأنها كانت قد رأت مولانا الشيخ فى حديقة الحمامات المعدنية بزيه العربى النادر وعمامته الجميلة وخفة روحه يعرضها على الادميين فكلمته ودعته الى منزلها فصار

من الزائرين . وكان لها ابن غلام يافع لا يقل عنها جمالا فعلق بأذيال جبة الشيخ وتمكنت الصداقة بينهما برغم التفاوت العظيم فى السن

فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث فادركت ان الكونتس تنظر الى الشيخ نظرك الى شيء غريب يسليك ولا يزيد . وزادت فقالت : ان الشيخ مولع بالاولاد لانه لم ينجب على ما فهمت فلذا أترك له ابنى يسليه

فقلت فى نفسى : هكذا الناس يغش أحدهم صاحبه وهو المغشوش . ولم أكن اعرف ما يسمونه « بالبلف » فى ذلك الزمان

وقامت ربة الدار ترينى غرف القصر واحدة واحدة وتشرح لى آيات الفن البارزة فى الصور المعلقة على الجدران ، وأنا غارق فى الجهل الفنى من ناحية وفى اللذة الروحية بجانب هذه الامرأة الفتانة من ناحية أخرى . ثم قالت : تعال أريك الحديقة . قلت : والبرد ؟ فضحكت وقالت : أفى مثل سنك يبردون ، وعليك كل هذه الثياب ؟ أفما ترانى نصف عارية ؟

فشجعتنى كلماتها فنظرت اليها ملء عينى بعد ان كنت أسرق اللحظ سرقة فاذا بها نصف عارية حقاً على مثال كل السيدات عند ما يجلسن على موائد العشاء . ولكننى لم أكن عليما بالامر اذ ذاك . وأخذت بيدى وقادتنى فى الحديقة تسير تحت الاشجار وبين الزهور على نور الكهرباء المتدلى من هنا ومن هناك . وخيل الى - أمن السكر ولا خمر ؟ - انها ضغطت على أصابع يدى فقلت ما العمل ؟ وكيف يفعل الادميون فى مثل هذه المواقف ؟ واستنجدت ماضى فلم ينجدنى وعلى فخانتى واختبار أصحابى فلم يسعفنى . فسكت

وجال فى خاطرى طبق الخادمة فى فندق ديجون وعبثها بى وضحكها منى . فقلت أأظل مضغة فى أفواه النساء وفى عيونهن . أتضحك منى خادمة لاتساوى قلامة ظفرى ؟ والله لا كيدن اصنامها وأريها من أنا

وكانت ظننتها بجانبى فاطلت يدى الى الذراع الجيلة بجانبى وعصرتها فصاحت الكونتس : « مالك أيها الشاب أأخذتك عاصفة البرد ؟ لقد آلمتنى » ثم جلسنا الى مقعد وثير تحت شجرة متدلية الاطراف حتى الهزيع الرابع من الليل

وكان الشيخ المحترم كلما رآنى - ولقد قلت رؤيتى له أو كادت تزول - يضحك ويقول : ألم أحسن خدمتك يافتى . فاطرق لا أجيب

ومر أسبوعان على الاقامة فى جنة شامبيرى واقترحت على الكونتس ذات يوم أن اذهب معها الى الكورسال فى جنيف لنشاهد رواية تمثل هناك . قلت سمعاً وطاعة . وهرولت لساعتى الى محمود وسليم استنجد جيوبهما فاذا بها خاوية على عروشها كجيوبى . وقالوا : لقد أزف ميعاد القفول الى ديجون فلسنا على اطالة الاقامة فى جنيف بقادرين . قلت : بل نسافر الليلة فى قطار

الساعة الثامنة . فقالا : بل الغد . فصحت وغضبت وقلت : الليلة . قالا : فليكن لك ماتريد

ذلك أني وعدت الكونتس أن نكون فى تلك الليلة فى الكورسال ، وذلك انى وجدت المال قليلا لا استطيع أن اشترى به محلا لائقا بها ولا اقبل أن أظهر بمظهر العاجز عن الانفاق أو بمظهر احط منه أن أدعها تؤدى الثمن هى . فكان الفرار . وكان وخز الضمير ، بدأ منذ ربع قرن فى جنيف ولا يزال بى حتى الساعة

ترى ماذا قالت عنى هذه السيدة الكاملة وأى الظنون ظنت ؟ وكيف لا أذهب قبل الفرار وأعتذر ؟ وأى الاعذار أقدم ؟

هذا ما كان يجول فى خاطرى طوال الطريق الى ديجون

أما أنا فكنت ولا أزال كتوما للسر ، فاسررت الحكاية فى نفسى ولم أبدها لصاحبى

فلما عدت الى جوار الدرس والى فندقى كانت تعاودنى هذه الذكرى فيشتد بى غضبى من نفسى فاصرفها الى الانتقام من الخادمة المذكورة

فقد بلغت بى العزة بالنصر فى جنيف مبلغاً كنت اذا لقيت هذه الخادمة وانا فى ابان المجد آمرها فتأتمر وإذا رجتنى وتضرعت أوصدت دونها بابى مهما تقرع لا تجاب . وخرجت من هذه المعامع بفلسفة لا أعلم موقعها عند جماعة المتفلسفين ، وهى أن الرجل غالب على امره اذا كان مع امرأة كائنة من تكون وانه اذا نظر الى المرأة فليكن مفتشاً عن الانثى سواء كانت هذه المرأة خادمة أم أميرة

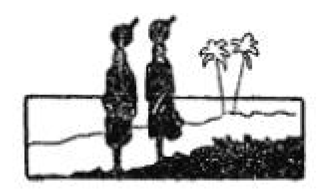
وكنت اذا قرأت المتنبى ووقع نظرى على البيت القائل :

وللخود منى ساعة ثم بيننا فلاة الى غير اللقاء تجاب

قلت هذا ما ينبغى ان يكون

أما قيمة هذه الفلسفة الادبية فليس على تقديرها

سامي الجريديني



لو كنت دكتاتوراً لقضيت على الفوضى
ترويض الجمهور على حب السلام

بقلم الاستاذ « ل . ب جا كس »
العالم والمفكر الانجليزي والدكتور في القانون

يواجه كبار المفكرين اليوم مشكلة الفوضى التى تسود العالم ويبذلون السعى للتحكم فى العوامل التى تؤثر فى الاجتماع أو للفرار منها . ويسلك معظمهم فى معالجة هذه المشكلة طريقاً واحداً

فهم يبدأون بوصف حالة الفوضى التى تسود العالم والعواقب الوخيمة التى تنشأ عن إرخاء العنان لهذه الحالة . ثم يبسطون خطة عمرانية يعتقدون أن فيها القضاء على هذه الفوضى واصلاح المجتمع العمرانى

وفى مقدمة الكتاب الاجتماعيين الذين سعوا ولا يزالون يسعون الى ذلك الاصلاح « ويلز » و « برنارد شو » و « كول » و « مدوجل » وغيرهم من الكتاب . فاولهم يدعو الى اصلاح المجتمع بوضع النظم الحكومية على أسس علمية . وثانيهم يدعو الى تنظيم دخل الافراد حتى يكون متساوياً لجميعهم . وثالثهم ينادى بوجوب تعميم الاشتراكية بعد تنقيحها . ورابعهم يذهب الى ان إصلاح المجتمع لا يتم إلا باحياء العلوم البشرية . ويزعم هذا المفكر أن الوقت قد حان لاعلان عطلة أو هدنة للعلوم الطبيعية وتوجيه الفكر الى العلوم البشرية التى قد أهملت وألقيت فى زوايا النسيان . ويقول الاستاذ شيلر ان إصلاح الاجتماع لا يتأتى إلا بدرس نواميس الوراثة والسعى لتحسين النسل بالطرق العلمية

وهنالك طائفة أخرى من الكتاب والمفكرين يرمون إلى اصلاح الاجتماع بوسائل أخرى ويسعون الى القضاء على الفوضى المنتشرة

وفى مقدمة تلك الوسائل برنامج « الخمس السنوات » الذى وضعه بلاشفة الروس ، وهو برنامج يقوم على الارغام والا كراه ، حالة ان هنالك برامج أخرى تقوم على الجدل والاقناع . وانه لجدير بنا أن نوجه التفاتنا الى امثال هذه البرامج ، قبل ان نوجهه الى اى برنامج يقوم على الارغام

ومع ان البرامج الاجتماعية تختلف عن بعضها اختلافاً كبيراً فان جميعها تشترك فى المبدأ الذى تقوم عليه وهو انها تفترض أن العمل يستمر سائراً من تلقاء نفسه . على أن هذه الفكرة خطأ قد يغفل عنه الكثيرون ، فهم ينسون أن الديمقراطيات التى يوجهون اليها الدعوة (البروباجندا) ليست مروضة على الاساليب الكثيرة المعقدة التى هي من طبيعة كل نظام عمرانى يستحق أن يسمى

بهذا الاسم . واذا كان هذا النظام عاجزاً عن تحقيق الآمال المعلقة عليه فبسبب نقص تلك الرياضة

ومما يدعو الى الدهشة أن الانسان فى معظم البلاد المتمدنة ، ولا سيما فى البلاد الديمقراطية ، لا يروض نفسه على فكرة السلام وعلى الواجبات التى تفرضها هذه الفكرة ، مع أن الجندى يروض نفسه على فكرة النظام العسكرى وعلى الواجبات التى تقتضيها

ولقد يقترح مقترح نشر تلك الفكرة بواسطة التعليم ، ولكن يجب أن نميز بين « التعليم » و « الترويض » وأن لانخلط بينهما . فنحن أسخياء بنشر التعليم بالوسائل المختلفة - بتأليف الكتب وانشاء المقالات والقاء المحاضرات واذاعة الخطب والوعظ والارشاد وما الى ذلك من الوسائل التى هى فى متناول كل فرد من أفراد الاجتماع ، وجميعها تشرح له الواجبات الاجتماعية المفروضة عليه باعتباره أحد افراد الوطن . وفى الواقع أنه ليس ثمة أى تقصير من هذه الناحية . ولكنا نجد الجميع يشوهون مساوىء الحرب ويذمونها ويصورون فظائعها ، ولا نجد أحداً يدعو الى ترويض النفس على السلام وتدريبها على فكرة الحياة السلمية البعيدة عن كل شائبة

ونتيجة هذا النقص هى أنه عندما يدعى الانسان للاشتراك فى أى مشروع عمرانى عظيم ، كمشروع نبذ الحرب ونزع السلاح وابدال برنامج اجتماعى بغيره ، يجد نفسه عاجزاً حتى عن مسايرة رفاقه والموافقة على نظرياتهم

ويجب أن لايبرح عن البال أن أى برنامج عالمى يستقر عليه الرأى أو أى برنامج قومى ينتهى اليه التفكير لابد أن يتطلب تنظيم الجهود وتوحيد المساعى على اختلاف وجوهها ومناحيها ، كما أن الاقدام على أية معركة فى وجه العدو يتطلب توحيد حركات الجيوش وتنظيمها والاشراف على كل خطوة من خطواتها

وقد تدعو الحال ، فى كل مرحلة من مراحل المعركة ، الى استعمال القوة للتحكم فى بعض العوامل وتقييدها - وهى كثيرة متنوعة - خيفة أن تؤدى الى افساد الخطة وتعطيلها . فن تلك العوامل حرية الكلام ، ومن الصعب جداً تنفيذ أى برنامج اجتماعى اذا ابيحت حرية الكلام والانتقاد بلا قيد ولا شرط

ومن الطبعى أن يتولى أحد الزعماء الموثوق بهم حق استعمال تلك القوة . ومثل هذ الزعيم ان لم يكن بمنزلة القائد العام للجيش وصاحب السلطة المطلقة عليه فلا أقل من أن يكون بمنزلة رئيس جوقة موسيقية (مايسترو)

واذا أردنا ان نضمن النجاح فى أى برنامج اجتماعى فيجب ان نعتبر ذلك البرنامج بمنزلة رواية تمثيلية وأن نعتبر جمهور أبناء الوطن بمنزلة فرقة تمثيلية . وغنى عن البيان أن أفراد هذه الفرقة لا يستطيعون أن يقوموا بتمثيل الرواية الا اذا راض كل منهم نفسه على القيام بالدور المطلوب منه . والخضوع للنظام الدقيق واجب على أفراد كل جماعة يريدون النجاح فى أمر من الامور . ومن دواعى

الاسف ان المجتمع الانسانى لم ينشأ بعد على هذه الفكرة ، بل بالعكس قد افضى تدربه الى عكسها . فقد نفخ فى الناس فكرة حرية الفرد واستقلاله حتى صار الفرد يكره كلمة « النظام » وما تقتضيه من فكرة الخضوع

وما دامت هذه هى الروح التى تنفخ فى نفوس الناس ، وما دامت هـذه هى الفكرة التى يشبون عليها ، فلا بد من فشل كل برنامج اجتماعى . ومما يجدر بالذكر أن الشعوب الحديثة ليست لها خبرة كافية بكيفية تنفيذ البرامج العمرانية على أساس الخضوع للنظام (اذا استثنينا التجربة التى يقوم بها البلاشفة فى الوقت الحاضر) فالنظام « الرأسمالى » ليس نظاماً بالمعنى الصحيح وإن يكن أعداؤه يطلقون عليه ذلك الاسم . والوقع ان هؤلاء الاعداء يناقضون انفسهم بأنفسهم . فبينا هم يسمونه « نظاماً » تراهم يبذلون كل جهد ليثبتوا انه مناقض لروح النظام . والصحيح ان «الرأسمالية» لم تك قط برنامجاً موضوعاً بل وليدة عوامل مضطربة غير منظمة تنظيما كاملا . وفى أثناء تطورها انشأت فى نفوس الجماعات طائفة من العادات الملائمة لها وحدها ، وهـذه العادات يجب نبذها والاستعاضة عنها بعادات تختلف عنها كل الاختلاف اذا أريد تنفيذ أى برنامج اجتماعى منظم

ولو أتيح لكاتب هذه السطور أن يقام دكتاتورا على العالم لتنفيذ برنامج اجتماعى منظم لجرى على الخطة الآتية :

كان يضع فى الحال نظاماً لتدريب البشر وترويضهم على نظام تعاونى يختلف كل الاختلاف ، من الوجه الفنى ، عن نظام تدريب الجيوش ونفخ روح النظام فى نفوسهم ولكنه لا يقل عنه دقة وسلطاناً . على ان تكون غاية النظام المذكور تنشئة النفوس على حب السلام . وعلى أن يشمل جميع الطبقات من رجال ونساء وصغار وكبار واغنياء وفقراء

وكان يتعين على هذا الدكتاتور ان يقول لرعيته : « لا أمل بنجاح برنامجنا الاجتماعى الا بخضوعنا للفكرة المذكورة » وبعبارة أخرى انه كان يصلح أساليب التعليم فى جميع ادواره ومناحيه — من دور تعليم الاطفال الى دور تعليم الطلبة فى الجامعات — ويضع تلك الاساليب على المبدأ المذكور . ولا يخفى أن أساليب التعليم الحالية ترمى الى شحن الادمغة بالعلوم والمعارف ، وكان يجب أن ترمى إلى بث روح محبة النظام أولا وإلى شحن الادمغة بالمعلومات ثانياً

وكان يتعين على هذا الدكتاتور ايضاً أن يوجب على كل فرد من أفراد الامة أن ينشأ منذ طفولته على وضع الخطط اتماً — صغيرة كانت أم كبيرة — بالاتفاق مع الآخرين . فبدلا من أن ينشىء لنا القائمون بشؤون التعليم جيلا من أهل الرؤوس المشحونة بالمعلومات فقط ينشئون لنا جيلا يعمل أفراده معاً بانتظام فلا يخطون خطوة ولا يأتون حركة الا وهم على تمام الوفاق والاتحاد ، كاعضاء الجوقة الموسيقية يخضع كل منهم لاية اشارة تبدو من رئيس جوقتهم ولا يعزفون الا تبعاً لتلك الاشارة ويجب أن يشمل هذا الجيل أفراد الجنسين من جميع الاعمار ، على ان ينشأوا عليه منذ حداثتهم

وان يمارسوه كانه من متممات طبيعتهم حتى اذا رأوا نتيجته ونتيجة النظام الاخر المؤدى الى الحروب والاضطرابات ادركوا فضل الاولى على الثانية

وحق نشر روح النظام وتقويته حق طبيعي لكل فرد من افراد المجتمع . وهو بمنزلة أحد الميول الطبيعية التي هي من خواص كل مخلوق عاقل . واذا استعمل هذا الحق على الوجه الصحيح أصبح خلقاً فى الانسان

فيجب أن نعنى بتربية روح النظام وترويض النفوس على هذه الروح قبل عنايتنا بنشر التعليم. على هذا البرنامج يجب ان نسير ، وبموجب هذه الخطة يجب أن نعمل . وعلى الدكتاتور الصالح ان ينفذ هذا الاصلاح ، فقد كفى العالم كثرة مافيه من أدعياء الاصلاح الذين قد افلست دعوتهم ، والذين كانوا يعتقدون انه يكفى اعلان خطتهم للجماهير حتى يؤخذ هؤلاء بفصاحتهم ويؤمنوا على أقوالهم فيصبح العالم فردوسا يتمتع فيه البشر بالسلام والرخاء والاخاء

والحقيقة التي لامفر من التسليم بها هي ان فوضى العالم لايمكن ان تزول وبرامج التعليم لايمكن تسفر عن أية فائدة مالم يروض هذا الجيل على روح النظام . وكل خطة تبنى على غير هذا النظام لابد ان تؤول الى الفشل

(خصوصية للهلال)

نابح في الظلام

ونابح من ظلمة الليل اندفق
مقلته كالجمر فى جوف الغسق
يصدع قلب الصخر من فرط الحنق
لو نبح الصبح المبين ما انبثق
أو غشى النجم عواؤه خفق (١)
كأنه من جانب القبر انطلق
عليه من وحشته ثوب خلق
ومن رفات الهيكل البالى طبق
يعقد جفن كل حي بالأرق
ويمسك الأنفاس رعباً وقلق
حتى تكاد فى الصدور تحترق

(سوريا) حمص رفيق فاخورى

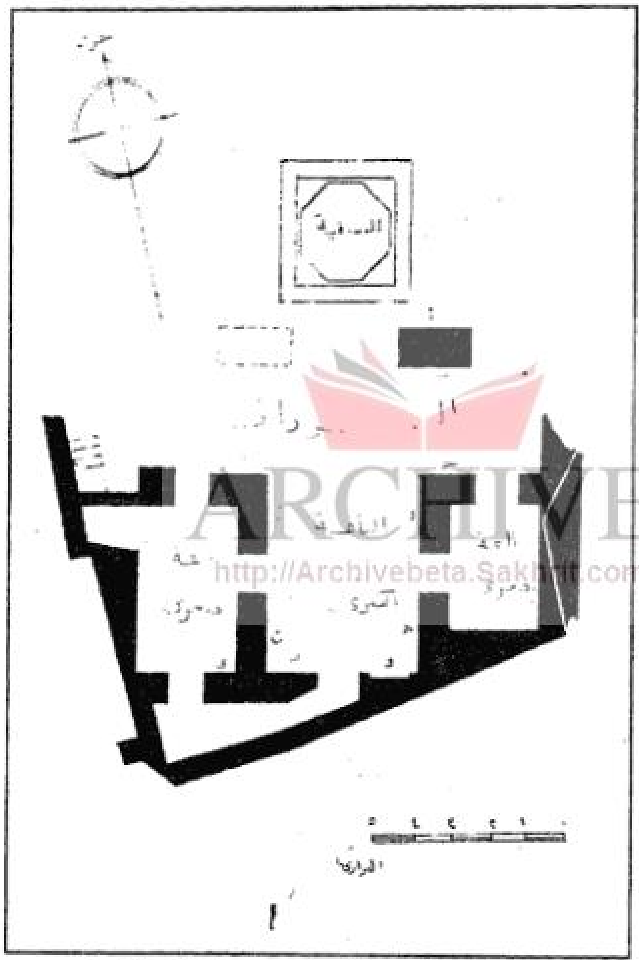
(١) خفق غاب

اكتشاف اثري هام

أقدم دار اسلامية في مصر

مضى عليها الف عام

كشف العالم الاثري الخالد الذكر المرحوم علي بهجت بك جزءاً كبيراً من مدينة الفسطاط أول عاصمة اسلامية في الديار المصرية ، وقد استغرق كشف هذا الجزء العظيم سبع سنوات من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩١٩ م أي طول مدة الحرب العالمية الكبرى التى كانت أكبر عون له لتهافت الفلاحين على استعمال اتربة الكيمان الأثرية كسماد لاطيانهم بدلا من السماد الكيماوي الذي عز نيله وغلا ثمنه . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وتوفي بهجت بك طيب الله ثراه استمرت دار الآثار العربية في الكشف بقدر ما تسمح لها الظروف المالية. وقد نيطت أعمال البحث والتنقيب الى حضرة الاستاذ حسن محمد الهواري افندي الامين المساعد بالدار لسابق اشتغاله بها تحت اشراف المرحوم بهجت بك. وقد وفق الاستاذ الهواري الى العثور على دار أمكنه تحديد عصرها لكثرة الزخارف التي عليها . وقد القى عنها كلمة في المجمع العلمي المصري بتاريخ ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ننشر ترجمتها هنا



مسقط الدار (رسمها الافقي) موضح عليه المواضع التى بها زخارف جصية مرموز لها بالحروف من « ا » الى « ك »

تمهيد

عثرنا فى صيف هذا العام أثناء أعمال التنقيب فى التلال المجاورة لابى السعود على جدار من الجدران القديمة عليه زخارف جصية بارزة تعلوها كتابة كوفية بارزة أيضاً على أرضية زرقاء. قرأناها فاذا هى الشهادتان، فجزمنا بأن هذه الزخارف محراب، وظننا لأول وهلة أننا فى موقع جامع عظيم وقلنا لعله جامع العسكر الذى بناه الوالى العباسى الفضل بن صالح فى سنة ١٦٩ ﻫ (٧٨٥ م) وهو ثانى المساجد الجامعة فى مصر بعد جامع عمرو بن العاص

ولكن عند ماوالينا البحث ظهرت لنا أجزاء أخرى غيرت اعتقادنا الأول. وعند ما انجلى الكشف عن كل المبانى التى لها صلة بهذا المحراب وجدنا أمامنا جزءاً من دار عظيمة الاهمية لكثرة ماظهر على جدرانها من الزخارف الجصية البارزة. ويشتمل هذا الجزء على قاعة كبرى يزيد طولها عن عرضها ويكتنفها من جانبيها حجرتان صغيرتان، وأمام القاعة والحجرتين رواق تهدم كتفه الغربى الذى كان يفصله عن فناء الدار

ولما كان هذا النظام شبيهاً بالنظام المتبع فى أغلب دور الفسطاط وأن دور الفسطاط لا تخلو أفنيتها المكشوفة (حيشانها) من بركة ماء (فسقية) فى الوسط، أجرينا الكشف على محور القاعة الكبرى فعثرنا على فسقية مربعة من أعلى مثمنة من أسفل وعثرنا فى الركن القبلى الشرقى لهذه الفسقية على أنابيب من الفخار كانت تجرى فيها المياه التى تغذى الفسقية

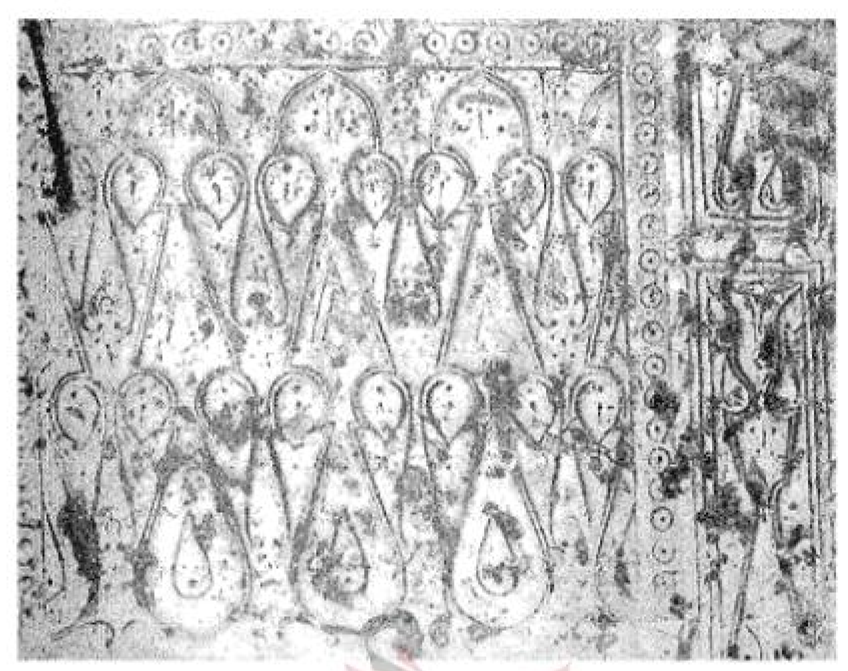
مسقط الدار (نظامها الافقى) من الوجهة الاركيولوجية

وأول ماعرف هذا النظام فى قصر شيرين الذى شيده كسرى ابرويز أحد الملوك الساسانيين فى بلاد فارس، الذى حكم من سنة ٥٩٠ الى ٦٢٨ ميلادية، ثم فى قصر الاخيضر وهو قصر عباسى يرجع عهده على الارجح الى منتصف القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى)، ثم اتبع بكثرة فى مدينة « سر من رأى » بالعراق التى كانت متنزهاً للخلفاء العباسيين من سنة ٢٢١ - ٢٨٠ ﻫ (٨٣٦-٨٩٢ م). ومن القصور التى شيدت على هذا النظام فى سامرا (سر من رأى) قصر بلكوارا الذى بناه الخليفة العباسى المتوكل على الله. والأجزاء الاكثر ظهوراً فى هذه القصور هى القاعة الكبرى والرواق، وهما يشبهان فى وضعيهما معاً حرف التاء الافرنجية مقلوباً. ومنها أيضاً بيت الخليفة، وهو مشابه للدار المكتشفة مع فارق بسيط

ويعزى ظهور هذا النظام فى مصر الى أحمد بن طولون الذى مضى أيام حياته الأولى فى قصور الخلفاء العباسيين فى سامرا، ومن الدلائل الواضحة على تأثر احمد بن طولون بفن سامرا جامعه العظيم بالقاهرة الذى يعتبر سامرى الطراز



صورة عامة لأطلال الدار الطولونية تحيط بها تلال أبي السعود



بعض الزخارف التي تزين جدران القاعة الكبرى بالدار المكتشفة

مسقط الدار من الوجهة الاجتماعية

والذى يلفت النظر فى مسقط هـذه الدار هو الممر الخلفى المنتهى الى فتحة فى وسط الجدار القبلى للقاعة الكبرى . هذا الممر يجعلنا نفكر فى الوظيفة التى كانت تؤديها القاعة الكبرى فى الدار . وانى أرى أن صاحب الدار كان يستعملها لاستقبال ضيوفه . فان طرق بيته ضيف دخل من الباب العمومى للدار الى فنائها المكشوف ثم يتخطى الرواق الى القاعة الكبرى ويجلس فى انتظار رب البيت الذى ينزل من الطابق العلوى على السلم الواقع فى الجهة الغربية من الرواق الى الحجرة الصغرى الغربية الى الممر الخاص لاستعماله فقط للدخول الى القاعة الكبرى قاعة الاستقبال

وهذا الترتيب ـ وهو أن يكون لرب الدار باب خاص يدخل منه الى قاعة الاستقبال ـ كان متبعاً فى كافة العصور فى مصر بل ولا يزال متبعاً الى وقتنا الحاضر فى دورنا التى نبنيها على النظام الأوربى فنتوخى دائماً أن يكون لقاعة الاستقبال بابان : باب يدخل منه الضيف مباشرة من غير أن يخترق أى جزء من أجزاء الدار ، وباب متصل بالغرف الداخلية أو القسم المخصص للحريم يدخل منه صاحب الدار لمقابلة ضيفه ، والداعى لهذا النظام فكرة حجب النساء عن الرجال



المحراب بالدار المكتشفة

ولتوضيح ذلك نذكر بعض الدور المشيدة فى مصر فى عصور مختلفة . ففى منزل جمال الدين الذهبي بحارة خشقدم المبنى فى سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٦ م) مقعد مطل على فناء الدار كان يستعمل قاعة استقبال فى الصيف ، والضيف يصل اليه بعد أن يرتقى السلم من الباب الغربي ، وصاحب البيت يدخل من باب شرقى وفى الشتاء يستقبل ضيوفه فى القاعة الكبرى ولها بابان أيضاً غربي للضيوف وشرق لاستعماله الخاص . وفى سراى المسافر خانه المشيدة فى سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) قاعة الاستقبال الكبرى فى الدور السفلى لها باب خاص للضيوف وباب آخر فى الجهة الشرقية ضمن دولاب خشبي مثبت فى الجدار ، ومن يرى مصراع هذا الباب يعتقد أنه احد مصاريع الدولاب ولكنه متصل بحجرة صغيرة مجاورة للسلم الذى ينزل منه رب البيت من القسم المخصص للحريم لاستقبال ضيوفه

وفى بعض الدور التى قارناها بالدار المكتشفة ممرات أخرى لفتت نظرنا وهى طويلة جداً نعتقد أنها كانت خاصة بالخدم . فمن ذلك الممر الطويل الذى يحيط باغلب اجزاء الدار رقم ٩ من دور الفسطاط ، والممر الخلفى فى منزل جمال الدين الذهبي ، وقد كان فى سراى المسافرخانه سلم خاص للسقاء يصعد عليه الى الدور العلوى ليملأ خزانات الحمامات من غير أن يخترق الدار . وفى الوقت الحاضر تصمم دورنا بحيث يكون لدورة المياه التى من ضمنها المطبخ باب خاص متصل بالسلم مباشرة يستعمله الخدم ، وأحياناً كثيرة يكون لهم سلم خاص يسمى « السلم الزفر »

الزخارف

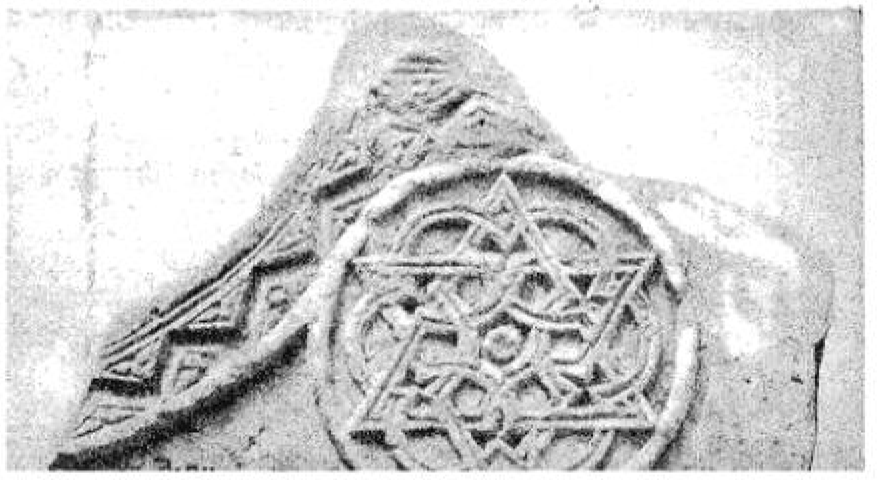
كشف استاذنا المرحوم على بهجت بك فيما بين سنة ١٩١٢ و ١٩١٩ م رقعة من مدينة الفسطاط تبلغ مساحتها خمسين فداناً تقريباً ، خطط دروبها وشوارعها وازقتها ورسم بعض دورها بمعاونة المهندس القدير الاستاذ محمود احمد بك رئيس قلم الآثار العربية ، وكتب مع المسيو جبريل كتاب « حفريات الفسطاط » ووضح المؤلفان بالرسم والبحث تفاصيل ثمانية دور من دور الفسطاط . وكتب بهجت بك فى مجلة Syria (١) وصف ثلاث دور لم تكن قد بحثت فى كتاب الحفريات السابق

وذكر المؤلفان انهما لم يعثرا فى جدران هذه الدور على نقوش أو زخارف أو كتابات تحدد عصرها

(١) كتب بهجت بك في مجلة (Syria, 1923, p, 62-65) وصف ثلاث دور كان أتم فحصها بعد صدور كتاب حفريات الفسطاط ولم ينشر رسم هذه الدور . وقد كلفني قبل وفاته ان أعمل أنموذجاً مصغراً للدار رقم ٩ لانها على صغرها مثل من الامثلة الكاملة لدور الفسطاط . وقد أتممته بعد وفاته وعرض في المؤتمر الجغرافي الدولي الذي انعقد في مدينة القاهرة في سنة ١٩٢٥ م وهو معروض الآن بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية

بعض زخارف من الجص عثر عليها بين انقاض الدار المكتشفة

لوح من الحجر الجيري عليه زخارف عثر عليه بين الانقاض



إلا ان المؤلفين وفقا الى العثور على جزء من سور صلاح الدين فى الجهة الشرقية من الجزء المكتشف من الفسطاط ، ورأيا ان السور يقسم بعض الدور قسمين وأن مبانى السور راكبة فوق مبانى الدور ، فتأكدا من أن مبانى الدور اقدم من السور وبذلك أرجعا عهد الدور الى قبيل أواخر الدولة الفاطمية على أقل تقدير

أما الآن وقد عثرنا على هذه الدار الحلاة بعدة زخارف جصية بقى منها كثير فى عدة أماكن رمزنا لها فى المسقط الافقى من حرف «ا» الى حرف «ك» ، ووضحنا فى الصور الفوتوغرافية بعض الاجزاء الاكثر احتفاظاً بكيانها ، وهى جزء من زخارف القاعة الكبرى والمحراب المزين به أحد جدران الرواق . وكثرة هذه الزخارف تدل على ان جميع جدران هذه الدار من أسفلها الى آخر ارتفاعها كانت مزينـــة بالجص المزخرف بالنقش البارز ، فاذا أمكننا تحديد عمرها بمقارنتها بالزخارف المشابهة لها أمكننا تحديد عمر الدار المكتشفة

وقبل مقارنة الزخارف التى عثرنا عليها فى الدار بالأخرى الشبيهة بها اى التى من عصرها ، نرى تقسيمها الى قسمين : الاول جميع الزخارف ، والثانى المحراب

اولا — جميع الزخارف التى على الجدران مشابهة تمام الشبه للزخارف التى كشفها مسيو هرزفلد فى سامرا ، وكانت تكسو الجدران الى آخر جزء من اسفلها وتحدد من نهايتها اليمنى والسفلى بترابيع على شكل الحشوات المستطيلة ، ويفصل هذه الحشوات عن بقية الزخارف أشرطة بها صف اقراص بارزة شبيه برءوس المسامير ، وهذه مشابهة ايضا للموجودة على جدران بيت الخليفة . وزخارف سامرا وبيت الخليفة يرجع عهدهما الى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى (النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى) لذلك نرى تحديد عمر هذه الدار بأواخر القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)

ثانياً — المحراب المكتشف شديد الشبه بمحراب بالجامع الطولونى واقع على الكتف القبلى من دكة المبلغ ، وكلاهما عبارة عن مستطيل بالقسم العلوى منه سطر كتابة كوفية بارزة به الشهادتان اسفلهما زخارف ذات خطوط منحنية واسعة كبيرة التجويف فظهرت الزخارف شديدة البروز . ويحيط بالزخارف والكتابة شريط مشغول بعدة اقراص متتابعة شبيهة بالسابقة لها مركز ومحيط محفوران مما يدل على انها نقشت بالبركار على الجص قبل ان يجف

ويجاور محراب الدار المكتشفة حشوتان كبيرتان مزينتان بزخارف تشابه زخارف الحشوات المصنوعة من الخشب ، وليس لها مثيل فى محراب الجامع الطولونى نظراً لعدم اتساع الكتف بالجامع لزخارف اكثر مما فيه

وبالرغم من هذه الاختلافات الضئيلة فان روح الزخرفة فى المحرابين واحدة مما يجعلنا نميل الى الحكم بأن ما أوحى بأحدهما اوحى بالآخر

ومن وضع المحراب الطولونى يتبين أنه ليس من عهد انشاء الجامع بل اضيف الى البناء بعد فترة قليلة من الزمان لا تتجاوز عشرين عاماً ، أى أن إضافته الى الجامع لم تتعد الدولة الطولونية فهو من أواخر القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)

فمقارنة المحراب المكتشف بمحراب الجامع الطولونى تؤيد ما أثبته مقارنة مسقط الدار المكتشفة بمساقط الدور السابقة والمعاصرة لها وما أثبته مقارنة زخارف الدار المكتشفة بزخارف سمارا وبيت الخليفة من أن هذه الدار يرجع عهدها الى أواخر القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بلا مراء.

وقد عثرنا بين الأنقاض على قطع من الجص فى بعضها زخارف بارزة وفى الاخرى كتابات بارزة على سطح أزرق ، ويغلب على الظن أنها كانت فى أجزاء علوية من جدران الدار تهدمت . والدليل على أنها كانت فى أجزاء علوية مشابهة القطعة الكبيرة الوسطى لمثيلاتها فى الاجزاء العلوية من جدران دير السريان بوادى النطرون ، وهذا أيضاً يعزز رأينا ويؤيد التاريخ الذى أثبتناه

المحاريب فى المنازل

اتخاذ المحاريب فى المنازل يرجع الى أن المسلم له ان يقيم الصلاة أين شاء وانى وجد فلا يتقيد باقامتها فى الجامع إلا إذا كانت صلاة جامعة كصلاة الجمعة والعيدين ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى حيث ادركته الصلاة

فليس بمحرم على المسلم أن يصلى فى بيته وأن يتخذ منه جزءاً طاهراً يخصصه لصلاته . وان اتخذ هذا الجزء الطاهر لاقامة الصلاة فليس بمحرم ان يضع فيه شارة تدل على اتجاه القبلة . وله أن يتخذها فى أصل البناء نقشاً بالجص كما فى الدار المكتشفة او بالفسيفساء كما فى منزل جمال الدين الذهبي(١) أو بالقاشانى(٢) أو بالتلوين(٣) ، او يعلق على الحائط سجادة فيها صورة محراب(٤) اوحصيراً او ما اشبه ذلك . والغرض من هذا العمل الذى يكون عادة فى قاعة استقبال الرجال انما هو ارشاد الضيف الى اتجاه القبلة ، فاذا حان وقت الصلاة واراد اقامتها خوفاً من

---

(١) يوجد في القاعة الكبرى بمنزل جمال الدين الذهبي (١٠٤٦ هـ / ١٦٣٦ م) محراب من الفسيفساء مشابه في صنعه لبقية فسيفساء القاعة (لفت نظرى الى هذا المحراب حضرة حسن افندى عبد الوهاب مصور لجنة حفظ الآثار)

(٢) بدار الآثار العربية محراب من القاشاني أصله من منزل كان مجاوراً لمسجد الجوهرى وهو خرب الآن

(٣) انظر Lane ترجمة الف ليلة وليلة طبعة سنة ١٨٤١ ج ٢٠ ص ٢٤٧ و Dozz ج ٢ ص ٢٦٦

(٤) السجاجيد التي بها صور محاريب اشتهرت بها جورديز من اعمال تركيا وبدار الآثار العربية عدة منها

ضياع الوقت او لبعد الدار عن المساجد اقامها من غير ان يسأل مضيفه الى اى شطر يولى وجهه
واتخاذ المحاريب فى الدور كان متبعاً فى القرون الوسطى وما يزال متبعاً فى الدور الحالية

استعمال الاحجار

بنا. هذه الدار بالآجر وزخرفتها بالجص ، وكانت فى الغرف من الداخل وفى الرواق وفى الحوش ، ولكننا عثرنا بين الانقاض على بعض اعمدة وقواعد من الرخام وتاج من الحجر يغلب على الظن انها اخذت من مبان قديمة متخربة

ولكن الذى عثرنا عليه فى مكانه فى « صفة » صغيرة بجوار السلم هو لوح من الحجر الجيرى مبطنة به « الصفة » ، وهو محلى بزخارف هندسية بارزة تمثل خاتم سليمان قطعت أضلاعه ست دوائر نشأ منها شكل وردة تقليدية . وقد عثرنا ايضا بين الأنقاض على كتلة من الحجر الجيرى عليها رسم وردة تقليدية مشابهة للسابقة تحتها زخرفة هندسية من حلية عقد نظن أنها كانت مثبتة بوجهة أحد العقود العلوية ، وربما كانت من العقود المطلة على الحوش لمشابهتها للورود الجصية التى بدائر صحن الجامع الطولونى

وبالجهة الغربية للرواق سلم درجه مبطن بحجر من الحجر الجيرى وتحت هذا السلم حنية معقودة بفصوص من الحجر من نوع حجر السلم

كل هذه الأجزاء البسيطة على ضآلتها دليل على استعمال الأحجار فى هذه الدار

وكنا قبل ذلك نقول ان استعمال الحجر فى العصر الاسلامى فى مصر لم يظهر الا فى عهد الدولة الفاطمية ، ولكنا الآن قد قدمنا استعمال الأحجار فى البناء الى اواخر الدولة الطولونية ، ولو ان هذه البقايا ضئيلة ولا يصح ان تعتبر دليلا على كثرة استعمالها إذ لو كان الامر كذلك لكان جامع احمد بن طولون احرى من غيره بأن تستعمل فيه

الجدار المشترك

ومن الأشياء التى لفتت نظرنا فى هذه الدار وهى كثيرة جداً الجدار الشرقى للحجرة الشرقية الملاصق للجار ، فهو غير منتظم الشكل سمكه فى الوسط عشرة سنتيمترات ثم يتزايد تدريجياً نحو الاطراف ، كما ان الجدار الغربى للدار المجاورة قد اتخذ شكلا عكسياً فهو سميك فى الوسط رفيع فى الاطراف

والداعى لذلك ان كل مالك بنى لنفسه جداراً خاصاً لاستعماله الخاص ، فبناه على حسب طبيعة أرضه التى يملكها وهى غير منتظمة الشكل فاخذت الجدران هذا الوضع الذى نستنتج منه ان استعمال الحائط بالشركة بين جارين لم يكن معروفا فى ذلك الوقت ، وارى ان السبب فى ذلك هو اتساع الارض الفضاء وامكان امتداد المدينة الى مسافات بعيدة . ولكن فى القرون الوسطى

عند ما بنيت الاسوار حول المدن حددت اراضى البناء ولم يقبل الناس على تشيد دورهم خارج الاسوار ، فاضطروا الى استعمال بعض الجدران الوسطى بالشركة بل اضطروا الى اكثر من ذلك ، وهو ان يبنى احد الناس داراً ويبيع حق البناء فوقها لشخص آخر . ومن ذلك التزم المشرع ان ينظم الحقوق والواجبات بين ملاك الحائط المشترك وملاك السفل والعلو

لمن هذه الدار ؟

هذه الدار مشيدة على ربوة عالية يبلغ ارتفاعها أربعين متراً عن سطح البحر(١) ، وانفرادها بالزخارف الجصية دون الدور المجاورة لها يجعلنا نحكم بانها لأحد سراة القوم

والقول بان هـذه الدار هي دار الامارة غير ثابت الدعائم ، لانه لم تظهر لنا للآن أدلة ثابتة تؤيد هذا الرأى

حقاً إن دار الامارة كانت مشيدة على ربوة عالية واقعة بين كوم الجارح والجامع الطولونى ولكن الربوة العالية تسع دار الامارة وغيرها من الدور ، فلا نستطيع أن نجزم بانها دار الامارة أبداً

وقد عثرنا بقرب الدار المكتشفة على باب ذى أعمدة مبنية بالآجر فى أصـل البناء مثل الاعمدة الموجودة فى اكتاف الجامع الطولونى ، فلا يبعد أن يكون هذا الباب باب جامع العسكر ، ولكن بين هذا الباب والدار المكتشفة دور أخرى بما أن هذا الباب قـد يكون لاحدى الدور وليس لجامع العسكر

ومما ينفى أنها دار الامارة مساحتها الصغيرة فهى حرية بأن تكون لأحد سراة القوم لا أن تكون كرسياً للحكم

ومما ينبغي التنويه به عثورنا بين انقاض هذه الدار على جزء من لوح من رخام مساحته ٢٦ × ٢٤ سنتيمتراً ملقى على الارض عليه بداءة ثلاثة أسطر من كتابة كوفية بارزة : الاول به اسم « ابراهيم » ، والثانى به جزء من كلمة نصها « البغدا » تكملها فتصبح البغدادى ، والثالث به جزءان صغيران من حرفين . ونستبعد أن يكون هذا اللوح جزءاً من شاهد قبر . لأن طريقة كتابته مخالفة لشواهد القبور ، فالاسطر مفصولة عن بعضها بشريطين بارزين باحدهما كتابة حفر مركبة من كلمتين يرجح أن الأولى لفظ جنة والثانية غير منتظمة الوضع . أما الشريط

(١) اعتاد حكام مصر وسلاطينها أن يشيدوا مدنهم ومقر حكوماتهم على ربوات عالية . فبنى صالح بن علي مدينة العسكر على ربوة عالية في موضع الحمراء القصوى . وبنى احمد بن طولون القصر والميدان . واختطت أغلب خطط القطائع على ربوة مرتفعة هي قلعة الكبش . وبنى بهى الدين الخصي (قراقوش) وزير صلاح الدين قلعة الجبل في موضع قبة الهواء على جبل مرتفع . ومن غريب الاتفاق أن تكون الدار المكتشفة مشيدة في نقطة عالية من موقع مدينة العسكر

الثانى خال من الكتابات والزخرفة ، وهذه الاشرطة الفاصلة لم نر لها مثيلا فى واحد من الأربعة الالاف من الشواهد المحفوظة بدار الآثار ، وطريقة كتابتها البارزة فى سطور متتالية غير منفصلة عن بعضها . لذلك ترانا نميل الى اعتبار هذا اللوح كان قد وضع تذكاراً لانشاء دار ، وتضمن اسم منشئها . وبالبحث وجدت أن من باسمه لفظا ابراهيم والبغدادى قد يكون عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادى . وقد ذكره المقريزى(١) وقال ابن الزيات(٢) فى ترجمته مانصه : « الفقيه الامام العالم الناسك الورع الزاهد ابو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادى المعروف بصاحب الحنفا ذكره القضاعى فى تاريخه ، قال ابن عثمان توفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، قال صاحب المصباح وقبل الدخول الى صاحب الحنفا تجد قبر أبى نصر البغدادى الخطيب والى جانبه قبر محمد بن الحسين البغدادى . وصاحب الحنفا هذا دخل مصر بسبعين الف دينار فتصدق بها كلها ، وقال القرشى هو محمد بن احمد بن الحسين بن ابراهيم البغدادى ووافق عليه ابن عثمان وهو الأصح وهو المشهور بصاحب الحنفا وكانت الحنفا امرأة صالحة مجابة الدعوات . »

كل هذه الاسماء لرجل واحد مع اختلاف بسيط فى أجزائها ، وقد شملت لفظى ابراهيم والبغدادى فهل هذه الدار له ؟

ان وجود محراب فى هذه الدار عمل لايقوم به إلا رجل متدين ومن أحرى باحترام الدين من امام فقيه وهو غنى أيضا ، ولا يصح أن يتصدق بجميع ماله قبل أن يبنى له داراً ، وقدم مصر من بغداد فبنى داره على نمط دورها مزخرفة منمقة حتى فنائها المكشوف زخرفه أيضاً بدليل البقايا فى الموقع « ا » المشرف على الفناء مع أن زخرفة الأفنية فى دور سمارا نفسها كان نادراً جداً ؟

ولكن وجود هذا اللوح من الرخام لا يكفى وحده دليلا على نسبة هذه الدار له ، لانه لم يكن مثبتاً فى احد جدرانها فقد يكون منقولا من دار أخرى . لذلك لا نستطيع الجزم بأن هذه الدار هى لهذا البغدادى

وكل ما يمكن استنتاجه هو كما قلنا سابقاً فى فحص المسقط والزخارف انها من العصر الطولونى أى من أواخر القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)

ولا يسعنى أن أختم كلمتى قبل أن أقدم جزيل شكرى للاستاذ الجليل المسيو جاستون فييت الذى قدمنى ببحثى هذ إلى المجمع العلمى المصرى ، لانه اعتبر هذه الدار بحق أحسن ما كشفته دار الآثار العربية فى العشرين عاماً الماضية

حسن محمد الهوارى

(١) الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٤٦١
(٢) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ص ٢٩٤ — ٢٩٥

بداية الكون المادي ونهايته

كيف نشأ وكيف يتطور وينتهي

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

خرجنا من المقال الماضى « الأزل والأبد » بنظرية أن الوجود المادى هو « المادة المتحركة » التى بدونها لا نستطيع أن نتصور المكان والزمان . فالحيز الذى تشغله هو الذى يحدد المكان وما وراءه مجهول فى حكم العدم . وتحرك المادة على التوالى هو الذى يعين الزمن فى تصورنا . فليس قبل وجود المادة وتحركها زمن ، وليس بعد سكونها زمن . فالمكان والزمان نسبيان للمادة وحركتها . فهل المادة أزلية أبدية ، أو لها بداية ونهاية ؟

إذا قلنا إنها أزلية أبدية وقعنا فى مشكلة « اللانهاية » التى يتعذر على العقل تصورها والتى تناقض « نظرية الحدوث » . ونظرية الحدوث هذه تنص على أن « الكون حادث متغير » . والحدوث والتغير يستلزمان البداية والنهاية . وإذا قلنا إنها ذات بداية ونهاية انحصر بحثنا فى « متى » — متى وجدت والى متى تبقى ؟ وما هى طبيعة التغير التى تطرأ عليها منذ البداية الى النهاية ؟

أما أنها ذات بداية ونهاية فقد لاح للعقل البشرى منذ قدم الزمان كأنه أمر بديهى . نرى ذلك فى ميثولوجيا جميع الأمم التى كان لها قسط وافر من الحضارة والتفكير العلمى والفلسفى . فان جميع هذه الميثولوجيات القديمة تنص على بداية للكون وبعضها تشير الى نهايته . ولذلك سببان : الأول تعذر تصور اللانهاية على العقل . والثانى (وهو سبب نظنه ظناً) هو ما لاحظه القدماء من التغيرات الطارئة على الوجود المادى . وفى كتب الوحى فى الشرق الأدنى نصوص صريحة على بدء الخليقة المادية وانتهائها بساعة المعاد حتى لا يبقى إلا العالم الروحى

ذلك ما يستفاد من الميثولوجيات وكتب الوحى . وأما ما يستفاد من الفلسفة والعلم فبنى على ملاحظات علمية تكاد تكون فى حكم الحقيقة وعلى اختبارات علمية عملية هيهات أن تند عن الحقيقة . واذا طرقنا الموضوع من ناحية العلم آثرنا أن نبحث أولا فى الأدلة على ايلولة الكون المادى إلى الانقضاء — الأدلة المستخرجة من الحقائق العلمية المشار اليها . ثم يسهل علينا أن نعود ثانياً الى كيفية بدئه ونشوئه

النهاية

اشتقاق الاجرام من السدم

أما ان الكون حادث متغير فقد قرره العلم تقريراً لا مشاحة فيه . فالسديم الذى هو مجتمع عظيم من المادة فى الحالة الغازية اللطيفة جداً يتقلص تدريجاً فيما هو يدور على نفسه وتزداد سرعة دورانه كلما تقلص . وفى خلال ذلك يكون بعض أجزائه أسرع تقلصاً من أجزاء أخرى فتكون منها النجوم وتنفصل عنها . وتستمر كل نجمة فى تقلصها مستقلة . وفى أثنائه قد تنفلق الى نجمتين متلازمتين فى دورانهما (ولذلك أسباب وتعليلات لا يسعها المقام) أو تنتثر منها أجزاء تدور سيارات حولها ـ وهو نادر ـ وهكذا يتجزأ السديم الى أجرام متفاوتة الحجم والتكاثف وبالتالى يتجمد بعضها قبل بعض

وهنا لا بد أن يلوح فى البال هذا السؤال :

« ما هو سر هذا التقلص ؟ وماذا يحدث فى خلاله ؟ »

أما سره فهو قوة التجاذب بين أجزاء المادة حول مركز مشترك بينها . وأما ما يحدث فى خلاله فهو انطلاق القوة من المادة متشععه (Radiating) فى شكل أمواج حرارة ونور ، وتوزعها فى الفضاء . ولما كان علماء العصر قد برهنوا على أن المادة والقوة شىء واحد أو أن القوة هى المادة متحركة . فهذا التشعع أو الاشعاع انما هو اندثار كهارب المادة ونوياتها متحولة الى أمواج نور وحرارة . إذن سر هذا التغير الذى نحن بصدده هو ذلك الاشعاع الموجى الذى ينتج عنه ان كل جرم ينقص مادة وقوة فى أثناء اشعاعه

وبناء على حساب السير تجايمس تجينز أحد أعاظم علماء العصر والذى نستمد منه زبدة هذا المقال أن الشمس تنقص فى كل يوم ٣٦٠٠٠٠ مليون طن بسبب الاشعاع الصادر منها . والاجرام المتجمدة كالسيارات أقل اشعاعاً . فالأرض تنقص فى اليوم ٩ أرطال فقط

أما اندثار الكهرب والنواة الذى هو سر الاشعاع فسببه التحول الدائب فى ذريرات المادة . وفى أرضنا نماذج كثيرة له . ومنها تحول عنصر الأورانيوم الى الراديوم ، وهذا الى عنصرين آخرين أبسط منه وهما الهيليوم والرصاص . وفى أثناء هذا التحول ينطلق شىء من القوة اشعاعاً وتصبح مادتا هذين العنصرين أقل وزناً من وزن العنصر الاول الذى انحل اليهما بسبب ما خسره فى الاشعاع . على هذا النحو تنفلت القوة من الاجرام فى خلال تحولات متوالية وتذوب الأجرام رويداً كذوبان الثلوج فى الربيع

ناموسا القوة

بعد هذا البيان الموجز يلوح لدارس الطبيعيات أن يعترض قائلا : « إن كلتا المادة والقوة آيلة الى الفناء . وهو نقيض ما ينص عليه علم الطبيعيات من أن المادة والقوة غير قابلتين

الفناء » . وللتوصل الى جواب مقنع على هذا الاعتراض لا بد من سلسلة بحث طويل فى طبيعة التحول الذى أشرنا اليه لا محل للتبسط به هنا ، فنقتصر على أول حلقة فى هذه السلسلة وهى البحث فى بعض نواميس القوة من حرارة ونور

(الناموس الأول) أن القوة تتحول من شكل الى شكل ، فالقوة الكيمياوية الكامنة فى الوقود تتحول الى حرارة تدفع السفن والقطرات والسيارات الخ . والقوة الكامنة فى أطعمتنا تتحول الى قوة عضلية . وقوة حرارة الشمس ونورها تتحول فى النبات الى قوة كامنة تظهر فى الوقود والطعام المشار اليهما آنفاً ، وقس على ذلك . فبحسب هذا الناموس ، القوة لا تفنى بل تتحول من شكل الى شكل . ولأن هذا الناموس شامل جميع الاجرام يلزم عنه أن القوة الموجودة فى الأجرام جميعاً لا تفنى ، وكيفما تحولت تبقى قيمتها كما هى . فاذا جمعت القوات التى تشعمت وتوزعت فى الفضاء الى القوات الباقية فى الأجرام تساوى مجموعها مجموع القوات التى كانت فى السدم منذ تكونت الاجرام . وقد يلوح للقارىء كما لاح لكثيرين أن هذه القوات المتشععة فى الفضاء يمكن أن تتألف من جديد سدماً تتولد منها أجرام جديدة . وهكذا يبقى الكون فى استمرار إلى الأبد . . ولكن ناموس القوة الثانى يتدارك هذا الظن

(الناموس الثانى) القوة غير قابلة للفناء من حيث كميتها . ولكنها قابلة للتحول من شكل الى شكل كما تقدم القول . على أن هذا التحول الذى هو نواة الناموس الثانى يتخذ اتجاهاً واحداً فلا يرتد إلى اتجاه معاكس له . وتسهيلا لتفهيم هذا القول نعبر عن الاتجاه بالانحدار من أعلى الى ادنى . فالقوة اذا نزلت من أعلى الى أدنى فى تحولها لا تعود تصعد من أدنى الى أعلى . مثال ذلك النور والحرارة هما شكلان من أشكال القوة (بل هما الشكلان الرئيسيان) فقدر معين من النور يمكن أن يتحول الى قدر مساو له من الحرارة ولكن هذا القدر نفسه من الحرارة يستحيل أن يتحول الى قدر مساو له من النور بل الى أقل . والباقى يشع أمواجاً فى الفضاء . هذا مثل خاص لقاعدة عامة ، وهى أن القوة المتشععة Radiating تميل دائما الى التحول من أمواج قصيرة الى أمواج أطول (إذ لا يخفى عليك أن الاشعاع يحدث فى شكل أمواج) . مثال ذلك التألق Flourescence يزيد موجة النور طولا . فالمادة المتألقة (أو التى يحدث النور العابر فيها تألقاً) كبعض الأحجار الشفافة أو كزيت البارافين مثلا تمتص أشعة النور من جهة وتبرزها من جهة أخرى أطول أمواجاً . يدخل النور فى سائل البارافين أبيض فيخرج أزرق . ولو أدخلت فيه نوراً أزرق لخرج منه أخضر أو أصفر . فالتألق يحول النور الأزرق الى أخضر فأصفر فأحمر (والأحمر أطول الأمواج) ولكنه لا يحول الأحمر الى أصفر فأخضر فأزرق (وهو أقصرها موجة)

فالقوة المتشععة اذا تحولت من موجة قصيرة الى موجة طويلة لا تعود تتحول بالعكس من

طويلة الى قصيرة . وتعتبر الموجة القصيرة أعلى منزلة فى سلم الأمواج لأنهـــا أسرع . وتعتبر الطويلة أدنى منزلة لأنها أبطأ كما هى الحال فى السلم الموسيقية مثلا

هذه هى قاعدة تموج القوه المتشععة فى كل حال وتحت أى ظرف وأى سبب

بناء على ماتقدم ينبغى ألا ننظر الى القوة من حيث الكم فقط بل من حيث الكيفية أيضاً. ان مجموع القوة فى الكون لاينقص بل يبقى كما هو . وإنما تحول القوة من حال الى حال يستمر فى اتجاه واحد ولا ينعكس بتاتاً . هذا هو ناموس القوة الثانى . ولكن ليس كل ما تقدم شرحه هو كل مايعنى بهذا الناموس الثانى . بل هناك شىء آخر جوهرى لابد من بسطه

عاملية القوة فى حياة الاجرام

إن القوة عامل جوهرى فى بناء المادة الكونية وفى حياة الأجرام منذ نشوئها الى انقراضها . فتحولها من أعلى إلى أدنى كما تقدم بيانه إنما هو تحول عامليتها (أى عملها) من أقوى الى اضعف أو من أنفع الى أقل نفعاً . قد يمكن ان يسهل على القارىء فهم هـــذا الناموس اذا مثلناه بماء يجرى من الجبل الى الساحل فى مجرى متعرج . فهو يجرى فى مجرى مائل الى تحت تارة ، ثم فى مجرى افقى تارة أخرى . ثم فى مجرى مائل الى تحت وهلم جرا . ولكنه لايستطيع أن يجرى فى سبيل مائل الى فوق من أسفل الى أعلى بل يستمر جارياً من أعلى الى أسفل ، الى أين ؟ — الى البحر حيث ينتهى جريه

هكذا القوة تتحول من حال أعلى فاعلية الى حال أدنى . ولكن لهذا التحول نهاية وهو بحر الفضاء . فالكون المادى وهو يشع امواج القوة الى الفضاء لا يستطيع أن يستمر فى اشعاعها الى الابد لأنه يندثر رويداً بشكل أمواج شعاعية الى ان يضمحل فى ذلك البحر الفضائى العظيم الذى هو أدنى أشكال التحول . وهنـاك تنتهى حياة الكون وتنتهى حياة القوة العمليـة . القوة كلها باقية فى ذلك البحر ولكنها فقدت « خاصة التحول »

قد يلوح فى بال القارىء أن مجرى القوة المنحدر من ذرات المادة فى سلسلة تحولات الى أن يبلغ الى بحر الفضاء يحتمل ان يعود من ذلك البحر مكوناً عالماً مادياً آخر ، فتعيد القوة الكرة ثانية من أعلى الى أسفل على نحو ما فعلت سابقا — كما ان ماء النهر المنحدر من أعالى الجبـال الى البحر يعود فيصعد بخاراً فى الهواء ثم يهطل مطراً على الجبال ويعود الى جريه السابق . وهكذا دواليك الى ما لا نهاية له

ولكن هذا قياس مع الفارق . النهر يستمر فى جريه ، مادامت المياه ترتفع بخاراً فى الهواء وتنهطل مطراً . ولكن ما الذى يرفع الماء بخاراً ؟ — حرارة الشمس . فما دامت الشمس ذات حرارة فالبخار يرتفع والمطر يهطل والنهر يجرى . فاين العامل الذى يرفع القوة من بحر الفضاء بحيث تستأنف عملها ثانية ؟ لا نعرف قوة أخرى ترفع القوة (التى هبطت الى اوقيانوس الفضاء)

الى مقامها الأول لكى تستأنف إنشاء الكهارب والنويات وتأليف الذريات فى سدم الخ وتعود الى نمط التحول النازل الذى بسطناه آنفاً . فقياس « تنازل القوة » على مجرى الماء غير تام من هذه الوجهة . ناهيك بأن الشمس التى حرارتها ترفع الماء ستذوب فى المستقبل إذ تنطلق كل حرارتها ونورها إشعاعاً فى الفضاء . وهكذا مصير كل جرم . هذا المصير يحتمه ناموس القوة الثانى . ويؤيد هذا الناموس الاختبارات العلمية الصادقة . وليس فى نواميس الطبيعة ومظاهرها ما يؤيد مظنة عودة القوة الى مقامها الاول واعادتها الكرة ثانية كما يتكهن بعض اهل العلم

وأما متى تبلغ العوالم المادية هذا المصير ففى امكان الحاسبين من العلماء أن يقدروا له أجلا بملايين ملايين السنين . وانما يقال بالاجمال إن مابقى من عمره اكثر مما مضى . ينتج مما تقدم انه « لا ابد » للوجود المادى بل هو متناه . ومن اراد التضلع بهذا البحث فعليه بمؤلفات السير تجاينس تجينز

البداية

عمر الاجرام

فيما تقدم كنا ننظر الى الامام فى مراحل المادة ونتبين انباءها فى مستقبل الزمن الى أن تضمحل . كنا نرى قدر المادة ينقص بالاشعاع ونستنتج أن نهاية هذا الاشعاع اندثار آخر ذرة من المادة . فاذا التفتنا الى الوراء وجعلنا نتبين انباء ماضى الزمن نرى ان مادة الاكوان كانت اكثر قدراً مما هى الآن . وكلما توغلنا فى تبين الماضى رأينا الاجرام ألطف مادة واكبر حجماً واكثر قدراً وجملتها اكثر وزناً . ولو كان المقام ذا سعة لكنا نبين ان اوزان النجوم كما بلغت اليه الآن لاتتفق مع تقدير عمرها اكثر من ٥ الى ١٠ ملايين مليون سنة . وقبل ذلك كانت كلها فى الحالة السديمية

قدر العلماء هذا العمر للنجوم منذ ولادتها من السدم بناء على درس وزن النجم وحجمه، ومقدار سطوعه وما يخسر من وزنه بالاشعاع كل عام، ومقدار تباعد الجرم الواحد عن الآخر الى غير ذلك من الاعتبارات التى لامحل للتبسط فيها هنا . وانما نذكر طريقة واحدة بسيطة لحساب عمر النجم منذ ولادته من السديم - نذكرها لكيلا يظن القارىء ان علماء الفلك الطبيعى يتكهنون تكهنا فى تقدير اعمار النجوم من غير حساب وعلى غير قاعدة

فلنتصور الآن أن الشمس والنجم قنطوروس الاول Proxima Centaurus الذى هو أقرب النجوم اليها شرعا يتكونان من السديم متجاورين. ثم جعل كل منهما يتقلص فصارت المسافة بينهما تتسع رويداً رويداً الى ان صارت الآن نحو ٤٫٢٧ سنين نورية أى ٢٥ مليون مليون ميل ، فاذا كنا نعرف معدل تقلص الشمس (١) وتقلص قنطوروس كل عام أمكننا أن نعلم كم

(١) قطر الشمس يتقلص ميلا واحداً كل ٢٥ عاماً . خذ الشمس نصف المسافة واحسب

من السنين منذ ولادتهما الى الآن ، بقسمة المسافة بينهما على معدل تقلصهما السنوى . بمثل هذا الحساب مع ادخال اعتبارات أخرى وحسابات أخرى تختص بالاشعاع والسطوع ونقص الحرارة والنور الخ استطاع العلماء ان يقدروا نحو ٥ - ١٠ ملايين مليون سنة (بحسب قول تجينز)

عمر السدم والذريرات

وقبل أن تولد الاجرام كانت الذريرات Atoms متكونة فى السدم منذ عهد أطول جداً من أعمار النجوم . فمتى ائتلفت النواة (البروتون) والكهرب فى الذريرة ؟ - هذا دهر من ادهار تطور المادة الكونية وليس بالسهل تقدير سنيه . لقد حسبوا وزن كثير من السدم وعرفوا أن السديم المسمى « المرأة المسلسلة » Andromida 31 M. يزن قدر ٣٥٠٠ مليون شمس كشمسنا ، ومجموع الضياء الساطع منه يساوى سطوع ٦٦٠ شمساً . وبناء على هذا التقدير ولاعتبارات أخرى تختص بالنسبة بين الوزن والسطوع قدروا أن عمر الذريرة فى هذا السديم نحو ٨٠ مليون مليون سنة . وكذلك حسبوا وزن السديم N. G. 4594 يساوى وزن ٢٠٠٠ مليون شمس ، وسطوعه يساوى سطوع ٢٦٠ شمساً . فقدروا عمر الذريرة فيه ١١٠ ملايين مليون سنة . فالمعدل الاوسط لتكون الذريرة نحو ١٠٠ مليون مليون سنة منذ تكونها فى السديم الى اليوم

لانستطيع ان نستمر بالتوغل فى الماضى وفى تصور اشكال المادة لاننا كلما تقهقرنا الى الوراء مرحلة نجد المادة فى كل دور سابق اكثر قدراً أو زنة منها فى كل دور لاحق . فاذا استمررنا بهذا التوغل الى ما نهاية له اقتضى ان يكون وزن مادة الكون فى الازل ما لا يستطيع العقل تصوره ولا يمكن ان يتفق مع نواميس الطبيعة . لابد أن نصل فى التقهقر الى حد من كثافة المادة لا يمكن أن تكون قبله اكثف فى الحيز الذى تشغله

بلغنا فى التقهقر فى سلم الماضى الى الدور الذى بدأت فيه الذريرة تتكون فى السديم من النواة والكهرب . فماذا كان قبل ذلك الدور ؟

يد القوة القصوى

لا نستطيع أن نتصور شيئاً قبل ذلك الدور الا أن الحيز (الفضاء الكونى) كان مملوءاً سدماً لطيفة جداً كلطافة الاثير (واذا شئت فهى الاثير بنفسه) وكانت منتشرة فيه ومنها نشأت الكهارب والنويات غير مؤتلفة فى ذريرات بل بقيت منثورة مبعثرة متفرقة بلا انتظام . ولايمكن ان يكون هذا الدور ازلياً فلا بد أن يكون قد سبقه دور آخر أو بضعة أدوار كانت فيه المادة والقوة تتأهبان للانتظام . ومهما تقادم هذا الدور فلا يكون اكثر من ٢٠٠ مليون مليون سنة . وماذا كان قبل ذلك ؟

قلنا اننا لا نستطيع أن نتصور ازلية للوجود المادى ما دمنا نرى له تطوراً من حالة الى حالة . فلابد أن نسلم بأن « قدرة قصوى » عينت حيزاً متناهياً من الفضاء ثم افرغت فيه قدراً متناهياً من أصول المادة التى نشأت منها النويات والكهارب . واذا كنا نسلم بان المادة والقوة شيء واحد وجب أن نتصور ان قوة مشعة ذات أمواج أقصر ما عرف من الامواج الى الآن واسرعها وليست أطول من جزء من ١٣ الى يساره ١٣ صفراً فعلامة الكسر العشرى ، (هكذا ١٣ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ر.) من السنتيمتر وهى أقصر الامواج المعروفة وأسرعها

هذه الموجة تسحق الكهرب والبروتون إذا سلطت عليهما فى بعض الاحوال وتنشئهما فى بعض الاحوال الاخرى كما هو ثابت بالاختبار العملى العلمى - يجب ان نتصور قوة بهذه الشدة أفرغت فى ذلك الحيز الفارغ وجعلت تتبلور او تتجمد فى كهارب وبروتونات تألفت منها الذريرات فيما بعد . من هذه القوة المتجمدة تكونت السدم اللطيفة التى كانت تملأ الحيز المعد لها . ومن كهاربها وبروتوناتها تألفت الاجرام بعدئذ . أو يمكننا ان نتصور (بحسب تعبير السير تجايمس تجينز) ان الله ملأ الحيز أثيراً ثم حركه بأصبعه فجعلت ذرات الاثير تتجاور وتتألف منها الكهارب والبروتونات . منذ ذلك الحين ابتدأ المكان وابتدأ الزمن

ترى مما تقدم اننا لا نستطيع ان نتوغل فى الماضى بلا نهاية لان نواميس المادة تمنع هذا التوغل . ومهما توغلنا فلا نستطيع أن نتملص من تصور قوة قصوى بدأت الوجود . ولكن هل هذه « القوة القصوى » هى نفس القوة التى كتبت بأصبعها لوحى موسى الحجريين وهى التى قست قلب فرعون على موسى وشعبه ؟ . لا نستطيع ان نتصور إلا ان هذه القوة القديرة الغامضة السر أودعت فى الحيز الكونى مادة السدم مشفوعة بقوة التجاذب . ومن ثم شرعت ذريرات المادة تتحرك بهذه القوة وبتحركها صارت تتألف فى كتل ، ثم صارت تتطور على نحو ما تبسطنا به

فلو تصورنا ان ذريرات المادة متفرقة فى الفضاء المقدر لها تفرقاً متساوياً فى كل ناحية لكان فى كل سنتيمتر مكعب منها جزء من ١٥ والى اليسار ٣١ صفراً ثم علامة الكسر العشرى الى اليسار . ذلك من الجرام بحسب حساب العلامة هوبل ، وان تصورنا ان المسافات بين كل واحدة والاخرى من الذريرات الاثيرية متساوية فقوة التجاذب بينها متوازنة ، ولذلك تبقى ساكنة ، فلابد من قوة أجنبية عنها تحركها لكى يختل هذا التوازن إذ يصبح بعضها أقرب الى بعض من بعض . وعندئذ يحدث التجاذب فتكتل المواد وثم تتكون الاجرام

وزبدة القول ان الوجود المادى ليس أزلياً ولا أبدياً بل له بداية وله نهاية

ومهما تعمقنا بالتفلسف فى بدايته فلا بد ان نقف عند حد يجب أن نسلم عنده « بقوة قصوى » بدأته . ولا نستطيع أن نفهم من خواص هذه القوة القصوى اكثر من أنها علة الوجود

شبرا نقولا الحداد

حقائق مجهولة وأوهام شائعة

عن النوم والارق

قام اثنان من العلماء الاميركيين وهما الاستاذان لايرد ومولر — بمباحث واسعة النطاق بشأن النوم فاتضحت لهما حقائق كثيرة وثبت لهما بطلان أوهام متنوعة . وقد وضعا تقريراً بما انتهى اليه بحثهما ونحن نلخص فيما يلى ماجاء فى هذا التقرير

جاء فى أول التقرير الذى نشره العالمان الاميركيان لايرد ومولر أن من أقدم الحقائق المعروفة عن النوم أن النائم يكون أشد اغراقا فى النوم فى الساعة الاولى منه فى أية ساعة تالية ، وان الصوت الذى يكفى لايقاظه فى الساعة الثانية لا يوقظه فى الساعة الاولى ، وقد حدت هذه الحقيقة الكثيرين الى الزعم بأن نوم ساعة واحدة قبل نصف الليل يعادل نوم ساعتين بعد نصف الليل ، وهو زعم خطأ فقد أثبت الاختبار أنه وان يكن نوم الانسان « ثقيلا » فى الساعة الاولى ، فان عضلات الجسم تكون أشد استرخاء فى الساعة الثانية والساعات التى تليها . وهذا الاسترخاء هو دليل على انخفاض نشاط الجسم الى الحد الادنى ، وهو شرط لازم للنوم الهنىء . وفى الواقع ان حالة النوم أو نوعه أهم بكثير من مدته . فقد يستفيد الانسان من نوم اربع ساعات (اذا كان النوم هنيئاً) أكثر مما يستفيده من نوم تسع ساعات نوماً غير هادىء .

تأثير الرياضة والحالة النفسية : اثبت البحث أن القيام بالرياضة البدنية قبل النوم يبعد النعاس ويجعل النوم متقطعاً . وعند اليقظة فى الصباح يشعر الانسان باستيلاء النعاس على اجفانه . بعكس الاجهاد الفكرى قبل النوم فانه لا يؤدى الى شىء من النتائج المذكورة . وفى الواقع انه كلما كانت حالة الانسان النفسية أقرب الى الهدوء عندما يأوى الى سريره كان نومه أقرب الى الهناء . ولذلك ترى ان الذين يأوون الى الفراش وهم يتوقعون سوءاً فى اليوم التالى لا ينامون نوماً هنيئاً

تأثير الجوع والغذاء : وقد أثبت البحث أن من أهم أسباب الارق عند البالغين ثلاثة : (اولها) تناول غذاء غير ملائم للمعدة (ثانيها) تناول كمية غير كافية من الطعام (ثالثها) عسر الهضم . وكل سبب من هذه الأسباب يكفى لاحداث الارق وحرمان الانسان النوم الهنىء . ولا يخفى ان معدة الانسان تهضم الطعام وتصبح بعد نحو أربع ساعات من تناوله فارغة . فاذا فرضنا أنه تعشى فى الساعة السابعة مساء فان معدته تصبح فارغة حوالى الساعة

الحادية عشرة . فاذا اعتاد تناول الطعام فى الساعة الثامنة صباحاً كان معنى ذلك ان معدته تظل فارغة تسع ساعات متوالية وهذا يسبب له الارق . واذا فرضنا انه استطاع أن ينام ولو نوماً متقطعاً فانه يشعر فى صباح اليوم التالى بخمول عظيم ويظل النعاس مستولياً عليه طول النهار

وبعكس ذلك إذا تناول عشاءه فى الليل متأخراً وهضمه هضماً جيداً وشرب قبيل ايوائه الى السرير مشروباً حلواً دافئاً فانه ينام نوماً هنيئاً . واذا استثنينا بعض أصحاب المزاج العصبى فان تناول الشاى والقهوة مع العشاء لا يسبب أرقاً كما يتوهم الكثيرون . والارجح أن الارق الذى يصاب به أحياناً من يتناول شيئاً من المنبهات هو ناشىء عن سبب آخر كافراط فى الحركة واللهو فى السهرة قبل النوم . فاذا كان هذا هو سبب الارق فان الحمام الساخن هو أحسن دواء له

جو الغرفة : ولجو الغرفة علاقة كبيرة بالنوم ، وكذلك لدرجة حرارة الجسم . فمن الجهل أن يكون الجو بارداً الى حد يحتاج معه المرء الى اللحف والاحرامات (البطانيات) الثقيلة ، فان ثقل هذه الاشياء يعوق حركة استرخاء العضلات . ومن الجهة الاخرى اذا كان جو الغرفة بارداً جداً وما يلتحف به الانسان خفيفاً لا يدفىء فان الجسم يبذل جهداً اضافيا للاحتفاظ بالدرجة اللازمة له من الحرارة . واذا استيقظ وهو يشعر بالبرد كان ذلك دلالة على كونه لم ينم نوماً هنيئاً

الصوت والنور : وقد اثبتت التجارب انه ما من صوت يحدث بقرب النائم مهما يكن خفيفاً الا و يؤثر فى عضلاته بعض التأثير ويكاد يوقظه . والذى ينام على مقربة من خطوط الترام أو السكك الحديدية أو ما أشبه لا يمكن أن ينام النوم المنىء الواجب وان هو اعتاد ضجة القطرات والمركبات ، وسواء أيقظته تلك الضجة أم لم توقظه

وكذلك النور فان أشعته تؤثر فى النوم وقد تذهب به . وتدل التجارب على أن ومضة نور تمر بجو غرفة النائم سريعاً تؤثر فيه وتقلقه وان هو لم يشعر بذلك شعوراً جلياً

وأغرب من ذلك تأثير لون الغرفة فى النائم فقد ثبت أن للالوان علاقة كبيرة بنوع النوم ودرجة هنائه . فاذا كان اللون الغالب فى الغرفة مائلا الى الخضرة أو الزرقة كان النوم هنيئاً وان كان أسود داكناً أو لوناً من الالوان القاتمة فان تأثيره يكون على عكس ذلك

الثياب ووضع الجسم : وللثياب أيضاً علاقة بالنوم . فبعضها يعوق استرخاء العضلات ، وبعضها لايحول دون ذلك . وتدل التجارب على ان الذى ينام عارياً من الثياب يتمتع بنوم هنىء جداً

ولكن لاتأثير لوضع الجسم على السرير أو لكيفية الاضطجاع . فان الجسم ينقلب من وضع الى وضع كل خمس عشرة دقيقة تقريباً والطبيعة تهديه الى الوضع الذى يلائمه . فترى النائم

تارة مستلقياً على ظهره ، وطوراً على بطنه ، واخرى على احد جنبيه ، وقلما يثبت على وضع واحد أكثر من ربع ساعة أو مايقرب من ذلك . على ان النوم على البطن أو على الجنب الايسر قد يكون أقل نفعاً من الاستلقاء على الظهر أو على الجنب الايمن

الاحلام والغذاء : والارجح ان الاحلام لا تؤثر فى النوم كثيراً . إلا أن بعض الناس يهبون احياناً مذعورين من حلم مزعج . وتدل المباحث العلمية الاخيرة على ان الاحلام المزعجة تكثر على أثر نهار يقضيه الانسان فى حالة لا تدعو الى الارتياح فكرياً

وقد ثبت أن تناول الطعام المغذى يعوض للجسم بعض القوة التى يحرمه اياها الارق . أى أن الذى يصاب بالارق فى ليلة قد يستطيع أن يحصل ، بواسطة الغذاء ، على القوة التى كان ينتظرها من النوم إلى حد ما . ويؤخذ من الاختبار أن الاكثار من أكل السكر أو المواد السكرية يوازى نوم ساعة أو ساعتين . واذا أكل الانسان المواد البانية للعضل فان هذه المواد تنقص ساعات النوم التى يحتاج اليها الجسم لتجديد قواه بمتوسط نحو ساعتين فى كل ليلة . واذا سهر الانسان ثم شعر بالنعاس فليتناول شيئاً من الحلواء فانها تعوضه عما فاته من النوم . واذا استيقظ باكراً فى الصباح لداع من الدواعى وهو يشعر بانه لم يأخذ قسطاً وافياً من النوم فانه يستطيع أن يعتاض عن ذلك القسط بوجبة تكثر فيها مادة الكربوهيدرات (أى السكر) . وفى الواقع ان تناول الحلواء فى آخر السهرة مما يعوض على الانسان ما يفوته من النوم

ولمادة الكلسيوم أيضاً تأثير نافع ، وهذه المادة تؤخذ عادة مع اللبن فاذا نقصت من الغذاء كان النوم مضطرباً متقطعاً

الانفعالات والنعاس : ومما لاشك فيه أن لكل شيء يثير فينا الانفعالات النفسانية تأثيراً فى النوم . فالذى يقضى يومه فى اضطراب أو انفعال نفسانى أو فى عمل يستغرق كل الافكار والقوى ينام فى الليل عادة نوماً متقطعاً ، بخلاف الاعمال التى تنهك القوى الجسمية فقط فانها مجلبة للنوم الهنىء

وقد ثبت بالاختبار ان القراءة قبيل النوم مجلبة للنعاس ، والخوف من الارق مجلبة للارق . ولعل خير وسيلة لمحاربة الارق هى مطالعة كتاب ممتع قبل النوم . وقد جرب الاطباء هذه الوسيلة فاسفرت عن نجاح عظيم

قد يستطيع الانسان الانقطاع عن الغذاء عدة أيام وأسابيع ولكنه لا يستطيع الانقطاع عن النوم أسبوعا واحداً فان ذلك يورده الهلاك . ومتى جاوز سن الخامسة والثلاثين أصبح أقل حاجة إلى النوم وأصبح الخطر من تقصير ساعات النوم اقل

الذكاء والاختبار

أيهما أبرز أثراً فى حياة الانسان

منذ مدة قريبة ألقى الدكتور ويشلر العالم الاميركى خطبة فى مجمع تقدم العلوم الاميركى ناقض بها النظريات التى تقول بلزوم الاختبار لجميع الاشخاص الذين يعهد اليهم فى المهام العالمية. وذهب الى أن الذكاء ألزم للانسان من الاختبار، وأن معظم الشؤون التى يعالجها الكبار فى السن لا يمكن أن تنتهى الى النتيجة الموفقة التى يمكن أن تنتهى اليها لو تولاها شبان اذكياء لم يجاوزوا الثلاثين أو الاربعين من اعمارهم. وبعبارة أخرى ان الثقة بحكمة الشيوخ وباستطاعتهم معالجة أمور العالم انما هى ثقة فى غير موضعها، فالشيوخ عاجزون عن مواجهة تلك الامور ومعالجتها على الوجه الامثل، ومصلحة العالم تقتضى أن يعهد فى المهام الخطيرة وفى جميع الشؤون التى تهم الاجتماع الى فتيان اذكياء لهم من قوة العقل وهمة الشباب نصيب لا ينكر

> هل الذكاء ألزم للانسان من الاختبار؟ فى هذه المقالة شرح لنظرية القائلين بأنه ألزم، وهذا الشرح يناقض الاعتقاد الشائع عند الجمهور

ويقول الدكتور ويشلر المذكور إن تسلم مقاليد الحكومات الى البالغين فى السن بحجة امتيازهم بالحنكة والاختبار انما هو خرق فى الرأى لا يسوغه العقل. والنظم والدساتير التى تنص على الحد الادنى لسن الذين يتولون مهام معينة يجب تنقيحها بحيث تنص على الحد الاعلى لتلك السن. فلا يؤذن مثلا لمن جاوز سن الخامسة والاربعين فى تولى رئاسة الجمهورية أو رئاسة أية جامعة أو شركة. لان نشاطه الجسمانى والعقلى يكون اذ ذاك فى هبوط، ولان الخير الذى يرجى منه اذ ذاك لا يوازى الخسارة التى تنشأ عن عدم اسناد مهمته الى من هو أحدث منه سناً وأكثر نشاطاً، على افتراض تعادل الذكاء فى الاثنين

يقضى دستور الولايات المتحدة مثلا بأن لا يتولى رئاسة الجمهورية الا من توافرت فيه شروط فى مقدمتها أن لا تزيد سنه على خمس وثلاثين سنة. وفى الواقع انه لم يتول تلك الرئاسة أحد كانت سنه حوالى ذلك الحد، بل كانت سن جميعهم اكثر من ذلك بكثير. وكان أصغرهم تيودور روزفلت الذى توفى منذ عهد غير بعيد. فقد كان عمره يوم تولى الرئاسة اثنين وأربعين عاماً. وأما قريبه الرئيس الحالى فقد كان عند توليه الرئاسة فى الحادية والخمسين من عمره. وكان

هريسون فى الثامنة والستين عندما تولى الرئاسة . ولم ينقص عن سن الخمسين سوى ستة من ثلاثين رئيسا تولوا ذلك المنصب حتى الآن . وأما الباقون فقد كانت أعمار جميعهم فوق ذلك الحد . ولو اتيح لجميعهم أن يتولوا منصب الرئاسة فى شبابهم لكانت اعمالهم أنفع وأخلد

وتدل المباحث الحديثة التى قام بها جمهور من علماء البسيكولوجيا على أن نشاط الانسان العقلى يتفق فى بدئه واشتداده وانحطاطه مع أطوار النشاط الجسمى ، وأن النمو العقلى يكتمل قبل الزمن الذى يتوهمه جمهور الناس ، ثم يأخذ فى الانحطاط أيضا قبل الزمن الذى يتوهمونه . وكان جونسون الكاتب الانجليزى الشهير يقول إن شيخوخة الانسان تبدأ فى الخامسة والثلاثين ، فكل من يطمح الى النبوغ يجب أن يسعى اليه قبل تلك السن ، والا فمن العبث أن يسعى اليه بعدها . وكان سويفت الاديب والمؤلف المشهور يشير الى الحياة بعد سن الثلاثين بكونها « انحداراً الى الجانب الآخر » ويقصد بذلك انها بدء الشيخوخة

ومع ذلك يتوهم الكثيرون أن الشيخوخة لا تبدأ إلا فى الخامسة والستين أو السبعين من العمر . ولا ريب فى ان الانسان كلما تقدم فى العمر جمع الشىء الكثير من الحنكة والاختبار ، ولكن نشاطه العقلى يبدأ بالتضاؤل فى أوائل العقد الثالث من عمره ، ولعل ذلك النشاط يصل الى أقصاه ، على ما يقول الدكتور ويشلر ، عند ما يبلغ الانسان الحادية والعشرين من عمره . ولئن يكن اكمل خبرة بعد تلك السن ، الا أن عمله لايمكن أن يكون اكثر انتاجاً . نعم ان بعض نوابغ التاريخ اشتهروا فى أواخر اعمارهم ، كالفيلسوف آينشتين مثلا ، ولكن لو درسنا ترجمة كل منهم لاتضح لنا أنهم بلغوا درجة النبوغ فى حداثتهم ولكن تنظيم أفكارهم وتبويبها ونشرها استغرق الاعوام الكثيرة فلم تشتهر آراؤهم إلا وقد بلغوا من الكبر عتياً . « فدى فنسى » لم يشتهر فى العالم إلا بعد أن أكملت ريشته صورة « العشاء الاخير » ولكنه قضى اربعة عشر عاماً فى انجاز تلك الصورة . ودانتى شاعر ايطاليا العظيم لم يشتهر فى عالم الادب إلا بعد ظهور قصيدته العظيمة « المهزلة الالهية » وقلما يعرف أحد أن نظم تلك القصيدة استغرق عشرين سنة . وداروين الفيلسوف العظيم لم يشتهر بين العلماء إلا بعد ظهور كتابه « أصل الانواع » الذى استغرق جمع مواده نحو ثلاثين سنة ، وهكذا قل فى سائر النوابغ الذين خلد التاريخ اسماءهم فانهم بلغوا درجة النبوغ قبل أن ذاعت آراؤهم وتعاليمهم بكثير ، بل لقد كان معظمهم ، إن لم نقل كلهم ، فى دور انحطاطهم العقلى عندما ذاعت شهرتهم

كل ذلك دليل على أن الذكاء ألزم للشهرة من الاختبار . فالذين اشتهروا من عظماء التاريخ بذكائهم هم اكثر من الذين اشتهروا باختبارهم . والعلوم الحديثة ليست قائمة على الاختبار بل على الذكاء ، وأساطين العلم فى الوقت الحاضر ليسوا من الشيوخ الذين بلغوا من الكبر عتياً بل

من الشبان ، واذا كان ثمة علماء قد جاوزوا العقد الخامس أو السادس أو السابع فقد بلغوا أوج شهرتهم العلمية منذ زمن بعيد أى عندما كانوا شباناً ثم أخذوا ينحدرون ، وهم الآن على نشاط عقلى دون النشاط الذى امتازوا به منذ اعوام

يقولون ان جفرسون (الرئيس الثالث من رؤساء الولايات المتحدة) بلغ أوج شهرته فى السنة التى انتخب فيها رئيساً . ولكن جميع الذين درسوا ترجمته درساً انتقادياً يسلمون بان أعظم عمل اتاه هو « بيان الاستقلال » الذى وضعه وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره . ولم يأت بعد تلك السن أى عمل أعظم منه

وبلغ الاسكندر ذو القرنين اوج مجده فى الخامسة والعشرين من عمره اذ انتصر على مملكة الفرس وأخضع ملكها . وقام هنيبال بأعظم أعماله العسكرية (أى اجتيازه جبال الالب) وهو فى التاسعة والعشرين من سنه . ولم يكن عمر قيصر عندما اجتاح بلاد الغال (فرنسا) سوى اربع وأربعين سنة . وكان قد أخضع اسبانيا قبل ذلك ورقى إلى رتبة « براتور » (امبراطور) . وقد كتب عنه باسكال يقول : « يلوح لى أن قيصر كان قد بلغ يومئذ سناً لا تتفق مع محاولة اخضاع العالم فان عملا كذلك كان جديراً بمن هو فى مثل سن الاسكندر ذى القرنين ، فقد كان لهذا من عزم الفتوة ما يضمن التغلب على جميع العقبات . وأما قيصر فكان أبلغ نضجاً وأقل نشاطا »

واذا استشهدنا بعظماء العصور الحديثة رأينا أن نبوليون حاز أعظم انتصاراته العسكرية وهو فى نحو الثلاثين من عمره (سواء اعتبرنا معركة لودى أم معركة اوسترلتز أعظم تلك الانتصارات)

ولسنا ننكر أن بعض عظماء التاريخ قاموا بأعمال باهرة وهم فى سن كبيرة مفعمة بالحنكة والاختبار . ومن هؤلاء الاستاذ فرويد الفيلسوف المعروف بمباحثه الشائقة فى العلوم العقلية والنفسية فقد بلغ الآن السبعين من عمره وهو لا يزال يتحف العالم بنتيجة مباحثه الفلسفية . ولكن يجب أن لا ننسى أن أمثال فرويد قليلون وانه حتى هذا العالم نفسه نشر كتابه « تفسير الاحلام » وهو فى الاربعين من سنه . ولعل استمراره فى المباحث النفيسة حتى الشيخوخة أثر من آثار النبوغ

واذا نظرنا إلى نوابغ الكتاب والشعراء نرى فرقاً عظيما بين ما كتبوه ونظموه فى سن الشباب ، وما كتبوه ونظموه فى سن الكهولة والشيخوخة . نعم ان أعمالهم بعد منتصف العمر تشف عن حنكة وخبرة ، ولكن أعمالهم فى طور الشباب لا تقل عنها عظمة بل لقد تفوقها فى درجة الاثر الذى تحدثه فى الاجتماع . ولا نعرف كاتباً أو شاعراً خلد له التاريخ مؤلفاً أو منظومة الا كان قد بدأ بذلك المؤلف أو بتلك المنظومة وهو فى مقتبل العمر

كان اديسون أعظم مخترعي عصره ، وقد عاش طويلا ووصل إلى العقد التاسع من عمره . وكان أهل وطنه يلقبونه « بالرجل ذى الالف من الاختراعات » دلالة على كثرة ما وفق اليه منها . ولو درسنا تاريخ اختراعاته درساً دقيقاً لاتضح لنا أن اهمها هو المصباح الكهربائي والفونوغراف والناقل الكربونى (Carbon Transmitter) وغيرها مما انجزه فى الاربعة العقود الاولى من عمره

ويقول الاستاذ وطسون ديفيز رئيس تحرير مجلة « الخدمة العلمية الاميركية » (Science Service) ان معظم الاختراعات والاكتشافات التى استفاد منها العالم كانت لشبان أو لاشخاص فى حكم الشبان . فغاليليو مثلا اكتشف ناموس « الرقاص » وهو فى السابعة عشرة من عمره . وبركنز استنبط أول صبغة صناعية (الارجوان الانيلي) وهو فى الثامنة عشرة من عمره . ونيوتن وضع كتابه الشهير فى الرياضيات وهو فى العشرين من عمره . ومدام كورى اكتشفت الراديوم (بمساعدة زوجها) وهى فى الحادية والثلاثين من عمرها . وهرتز اكتشف الامواج اللاسلكية وهو فى الثالثة والعشرين من عمره . والسر همفرى دايفى اكتشف عنصرى البوتاسيوم والصوديوم واخترع مصباح الامان (الذى تضاء به المناجم تحت الارض) وهو فتى يافع ، وعين عضواً ومحاضراً فى المعهد الملكى بلندن وهو فى الثالثة والعشرين من عمره . وكان العالم « فرادى » مساعداً له وقد ذاع اسمه فى العالم العلمى بسبب مباحثه واكتشافاته العجيبة فى الكهربائية وهو فى الثانية والعشرين من عمره . وادهش « موزارت » العالم بمؤلفاته الموسيقية وهو فى الخامسة من عمره ، ومات فى الخامسة والثلاثين تاركا للعالم ٧٦٩ منظومة معظمها من أبلغ ما نظمه البشر فى الموسيقى . والموسيقى فيبر اتحف العالم بمؤلفات « اوبرا » شهيرة فى العقدين الثالث والرابع من عمره . وشوبيرت نظم قطعاً موسيقية بليغة وهو فى الحادية عشرة من عمره ، وتوفى قبل أن يكمل الثانية والثلاثين . ومندلسون الف منظومته الموسيقية الشهيرة (حلم ليلة فى منتصف الصيف) وهو فى السابعة عشرة من عمره ، وأدهش العالم بمنظوماته الموسيقية البليغة وهو فى مقتبل الشباب . وميخائيل انجلو المصور المشهور ذاع صيته فى جميع أنحاء العالم وهو فتى يافع . وعهد اليه البابا فى زخرفة كنيسة السكستين بالفاتيكان وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره . ورافائيل أدهش عالم الفن بتصاويره البديعة قبل أن يكمل الحادية والعشرين ، وتوفى فى السابعة والثلاثين تاركاً وراءه ثروة من التصاوير لاتقوم بمال . والشاعر برايانت ـ وهو من أعظم شعراء الاميركين ـ أطرب العالم الانجليزى بمنظوماته البليغة قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، ونظم قصيدته الخالدة (Thanatopsis)وهو فى السابعة عشرة

ويضيق بنا المجال اذا أردنا احصاء عظماء التاريخ الذين أدهشوا العالم باكتشافاتهم

واختراعاتهم ومؤلفاتهم ومنظوماتهم وبجميع مناحي تفكيرهم قبل أن يصلوا الى سن الكهولة . وما ذلك الا بينة قاطعة على أن ذكاء الانسان الفطرى يظهر فى الحداثة ويكتمل فى سن الشباب أو قبل تلك السن . وقد تضيف السنون إلى تلك السن حنكة واختباراً ، ولكن الفضل الاعظم هو للذكاء لا للحنكة والاختبار ، وأبرز أثر لعمل الانسان فى الاجتماع هو أثر حداثته وشبابه لا أثر كهولته أو شيخوخته . وليس معنى ذلك أن الاختبار لا قيمة له فى الحياة ، فليس الغرض من هذه المقالة نفى تلك القيمة ، وانما الغرض منها اظهار فضل الذكاء على الاختبار ، واثبات ان تأثير الاول فى الاجتماع هو أعظم من تأثير الثانى وأبعد غوراً

ولسنا ننكر ان بعض نوابغ العالم أثروا فى بيئتهم وفى الوسط الذى عاشوا فيه تأثيراً عظيماً بعد أن جاوزوا سن الشباب . ولكن هؤلاء قليلون ، واذا درسنا ترجماتهم درسا انتقادياً رأينا أن عوامل خاصة أثرت فيهم فى أدوار مختلفة من أعمارهم ، فظهر أثر ذكائهم فى شبابهم وكهولتهم وظهر أثر اختبارهم فى شيخوختهم . وعلى كل فان أثر ذكائهم كان دائماً أعظم من أثر اختبارهم والفائدة التى جناها العالم من الاول كانت ،على كل حال ،أعظم من الفائدة التى جناها من الثانى

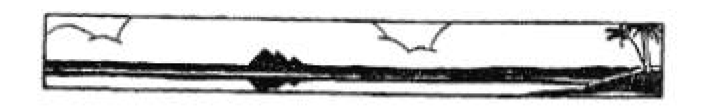
ومن أمثال هؤلاء العالم جالتون الذى يمكننا تقسيم حياته إلى أربعة أدوار يمتاز بعضها عن بعض . ففى الدور الاول (أى إلى حين بلوغه الثامنة والثلاثين) لم يعمل أى عمل يشف عن علم أو نبوغ اذ قضى معظم وقته فى السفر والسياحة وكتابة الروايات الخيالية الغريبة

وفى الدور الثانى ـ أى فى خلال التسع السنوات التالية ـ أصبح عالماً جيولوجياً ذا صيت ذائع وصار ثقة فى علم المعادن

وفى الدور الثالث (من سن ٤٧ — ٦٤) اشتغل بالبحث فى ناموس الوراثة فكان من أعظم نوابغ العلم فى عصره

وفى الدور الرابع ـ أى بعد الرابعة والستين من عمره ـ قام باعظم اعماله العلمية الخاصة بتحقيق الشخصية بواسطة بصمة الاصابع

فثل هذا النابغة افاد الاجتماع وهو فى العقد السابع من عمره ، مملوءاً حنكة واختباراً أكثر مما أفاده وهو فى أيام شبابه أو كهولته . ومع ذلك فان أمثاله من عظماء التاريخ قليلون لا يمكن أن نستعين بهم على وضع قواعد عامة شاملة



الاسلوب اللاذع فى الادب العربي

هل آن الأوان لأن ندرسه ؟

كان بشار بن برد يرى رأى ابليس فى أن النار خير من الطين - كما جاء فى القرآن الكريم - ويستصوب هذا الرأى ، وقد قال فيه :

الارض مظلمة ، والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وزعم - فيما حدث به الجاحظ - أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : « وعلى ايضاً ؟ » فأنشد :

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لاتصبحينا

ومن أجل ذلك رمى بالالحاد . وقد كان يكره واصل بن عطاء . وكان واصل غزالا (بتشديد الزاى) ، قبيح اللثغة شنيعها وكان طويل العنق جداً ، فقال بشار :

مالى أشايع غزالا له عنق كنقنق الدو إن ولى وان مثلا

عنق الزرافة مابالى وبالكم أتكفرون رجالا كفروا رجلا

فبلغ واصلا ذلك ، فقال : « أما لهذا الملحد الاعمى المشنف ، المكتنى بأبى معاذ من يقتله ؟ . أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله فى جوف منزله وفى يوم حفله . ثم كان لايتولى ذلك منه إلا عقيلى او سدوسى »

أتينا بذلك لنعطى القارىء مثلا من المهاترة التى تدفع اليها شدة الغيظ ، فلا يستطيع المغيظ المحنق أن يضبط عواطفه فيرسل نفسه على سجيتها ، كما ارسل واصل نفسه على سجيتها ، فجاءت بكلام لايمتاز عن كلام السوقة إلا بقوته الخطابية وفخامة تعبيره ، وان لم يكن فيه شىء من الاسلوب الفنى اللاذع الذى يجرح بلا سكين ويذبح بلا سيف - هذا الاسلوب الذى يبلغ فى تعريضه وتلويحه مالا تبلغه المجابهة والتصريح بالذم ، ومالا تصل اليه فى الايلام والاحراج أنواع السباب التى تسم كاتبها أو قائلها بالابتذال والجرى على نهج السوقة

وأنت تستطيع أن تجد من ذلك شيئاً غير قليل فى الأدب القديم والأدب الحديث : شعره ونثره ، ففيهما الاقذاع فى الذم والتصريح بالسباب الى درجة تخرج مانظم وماكتب فى هذا

النوع عن الادب الفنى ، وتلحقه بكلام السوقة ، وان كان يمتاز عن كلام السوقة بأوزانه واعرابه واحتوائه على بعض الالفاظ والتراكيب الفصيحة

وقد تأنقنا فى الاختيار من هذا النوع ، ورفقنا بالقارىء ، فأتينا بمثل مما حدث بين « واصل » و « بشار » ، وهو من أقل الامثلة التى يستشهد بها فى التصريح بالذم والسباب وإلاففى هذا النوع من الاقذاع ماتعافه الانفس وتصدف عنه الآذان

ثم تأنقنا فى الاختيار ورجعنا الى القرن الثانى للهجرة حيث كانت الحضارة الاسلامية فى فجرها ، ولم تفسد النفوس المطامع والشهوات ، ولم تبلغ المنافسة بين العلماء والادباء ما بلغته فى عصر ازدهار الحضارة وفيما ولى ذلك من العصور المتأخرة الى النهضة الحديثة التى نرى فيها المنافسة تعبث باقلام بعض الادباء ، فينزلون فى خصوماتهم عن مكانتهم الادبية الخاصة ، ويستخدمون هذا الاسلوب الذى لاتسيغه إلا أوزاع العامة

قال عبد الحميد الكاتب فى رسالته التى وجهها الى الكتاب : « . . . ونزهوا صناعتكم عن الدناءة ، واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات ، وإياكم والكبر والسخف والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة من غير إحنة »

وقد كان عبد الحميد الكاتب فى فجر الحضارة الاسلاميـــة ، ولم تكن المنافسة قد لعبت بنفوس الكتاب وافسدت علاقتهم وقطعت ما بينهم ، فن المعروف أن الحضارة كلما تقدمت فى أمة كثرت فيها المطامع وتلوثت النفوس بالاقبال على الدنيا وإيثار الشهوات . ولسنا نقول ذلك جزافاً ، بل ان الواقع يشهد به ، وابن خلدون يؤيده بقوله فى مقدمته : « وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها ، قد تلوثت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر ، وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك . حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة فى أحوالهم ، فتجد الكثيرين منهم « يقذعون » فى اقوال الفحشاء فى مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصدهم عنه وازع الحشمة »

ولذلك نجد بديع الزمان الهمذانى فى القرن الرابع الهجرى - اى بعد ازدهار الحضارة الاسلامية - ينزل فى خصومته لابى بكر الخوارزمى الى هذا الدرك الذى تعبث فيه السوقة بحوشى الكلام وردىء القول فى غير اسلوب فنى يلائم مكانة « البديع » فى الادب العربى . فيقول فى نقد قصيدة لابى بكر الخوارزمى :

« سألت - امتع الله بك - عن الخوارزمى وشعره ، وقلت انى لأجد فيه بيتاً لو رؤى فى

المنام لاوجب الغسل حساً ، وبعده بيتا اذا سرد ينقض الطهارة مساً . ولعمرى إن هذين البيتين لو كانا تينتين ما نبتتا فى ارض ، او تمرتين ما جنيتا من غصن »

فاين ترى من هذا الكلام وهذا النقد الذى لا طائل تحته اسلوباً فنياً يمتاز عن كلام السوقة ؟

واسمع لابن زيدون يخاطب الوزير الكاتب أبا على بن عبدوس فى رسالته الهزلية (وابن زيدون من أدباء القرن الخامس الهجرى) :

« أما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر فى ذيل اغتراره ، الاعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب ـ على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش فى الشهاب . فان العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب . وانك راسلتنى مستهدياً من صلتى ماصفرت منه أيدى أمثالك ، متصدياً من خلتى لما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلا خليلتك مرتاده ، مستعملا عشيقتك قواده . . . » !!

الى آخر ماجاء فى هذه الرسالة من الشتائم المرصوصة والعبارات التاريخية المصفوفة التى نقول ـ على الرغم من مكانة ابن زيدون ـ إنها ليست من الأدب الفنى فى شىء . . . وبأى شىء يمتاز هذا الكلام السابق عن قول جهلة العامة فى مقام الخصام والسباب : « يامجنون ، ياجاهل ، يا مغرور ، يا أعمى . . . » الخ الخ مما يجىء على ألسنتهم ؟ وهل يميز الاول عن الثانى انه كلام مسجوع قد تخللته الألفاظ اللغوية والتشبيهات ؟ أو أنه كلام لابن زيدون ، ومتى كان كلاماً لابن زيدون أحد أعلام الأدب العربى ، فواجب علينا ألا ننتقده ، وواجب علينا ألا ننتقصه

حسبك أن تعلم أن مثل هذه العبارات التى وجهها ابن زيدون للوزير ابى على لو انها وجهت لاقل الناس خطراً فى هذا العصر ، لابلغ أمرها الى النيابة ، ولكان من وراء ذلك مايعرفه القراء

نحن لا نتجنى على ابن زيدون ومن نهج على منواله فى هذا الاسلوب ، ولكننا نريد أن نقول إن اللغة العربية قد وسعت من الاسلوب اللاذع مايجب أن يشار اليه ، وما ينبغى أن يسير الكتاب على مثاله حينما يوجدون فى ظرف يضطرون فيه الى التهكم والنقد اللاذع أو الهجوم أو الدفاع عن انفسهم أمام خصوم نالوا منهم . .

ويمتاز هذا الاسلوب بعفة الالفاظ ونزاهتها عن السخف والابتذال ، ويقوم فيه التلويح مقام التصريح ، ويلعب صاحبه بفكر القارىء فينقله الى جانبه ، ويجذبه الى شيعته ـ دون أن يحس بأنه يتعسف به ، أو يتحامل على خصمه ـ ويجعله يقتنع كل الاقتناع بأنه لايدعو الى نفسه وانما يدعو لوجه الفن وللانصاف وحده بلا منافسة ولا ضغينة أو حقد كمين ، وهو فى الوقت نفسه ينال من خصمه أبلغ منال

نرى ذلك الاسلوب فى غير أثر واحد من الآثار الادبية التى وقع فيها الخصام بين بعض الأدباء السابقين . ومنه ما كتبه أبو سعيد محمد بن احمد العبيدى صاحب كتاب الابانة عن سرقات المتنبى فى الرد على أنصار هذ الشاعر الكبير. وانى أنقل اليك بعضاً من هذا الرد ، وفيه صدق ما أقول عن هذا الاسلوب اللاذع الذى يجرح بلا سكين . قال ابو سعيد :

« ولست - يعلم الله - أجحد فضل المتنبى وجودة شعره وصفاء طبعه وحلاوة كلامه وعذوبة الفاظه ورشاقة نظمه ، ولا انكر اهتداءه لاستكمال شروط الاخذ (!) اذا لحظ المعنى البديع لحظاً ، واستيفاء حدود الحذف (!) اذا سلخ فكساه من عنده لفظاً (!) ولا أشك فى حسن معرفته بحفظ (!) التقسيم الذى يعلق بالقلب موقعه ، وايراد التجنيس الذى يملك النفس مسمعه، و « الحاقه » فى الاحكام ببعض من سبقه ، وغوصه فى الفهم على ما يستصفى ماءه ورونقه (!) وسلامة كثير من اشعاره من الخطأ والخلل ، والزلل والدخل ، والنظام الفاحش الفاسد ، والكلام الجامد البارد ، والزحاف القبيح المستشنع ، واللحن الظاهر المستبشع (!) واشهد أنه عن درجته غير نازل ولا واقع ، وأعرف أنه مليح (!) الشعر غير مدافع ، غير انى مع هذه الاوصاف الجليلة (!) لا أبرئه من سرقة . . . الى أن يقول : « ولا أطعن فى دينه ونسبه ، ولا أذمه لاعتقاده ومذهبه . وكيف يسوغ ان اثلبه لالحاده (!) ،واعيبه لسقوط آبائه وأجداده (!) وانا اتحقق أن اكثر من يستشهد باشعارهم المشركون ، والكفار المنافقون . . . والادب يجعل الوضيع رفيعاً . . . » !!

فانظر كيف بلغ ابو سعيد من ذم المتنبى هذا المبلغ فى غير فحش ولا إقذاع ولا استكراه من سباب كسباب السوقة وشتائم كشتائم السفلة ، فأزاله عن مكانته واستطاع أن يتهمه بهذه التهم ويسند اليه من أوصاف النقص ماتتململ منه عظام المتنبى فى قبره . ومع ذلك فلم يسمعك سباباً ساقطاً ولا قولا مبتذلا ، ولا الفاظاً مستكرهة كما تفعل السوقة من الناس

وقد وقفنا على مجموعة رسائل لرشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمرى البلخى المعروف بالوطواط . نقل بعضها الحسن بن على الاسكافى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وذكرها عنه ياقوت الرومى فى معجمه « طبقات الادباء » . وفى هذه المجموعة رسائل كتبها رشيد الدين الى الحسن القطان . وكان الحسن اتهم رشيد الدين بالسرقة من كتبه ونهبه نتيجة عمره ، وارسل اليه رسائل محشوة بسبه والتصريح بشتمه . وانبرى رشيد الدين ينفى عن نفسه التهمة ، ويرد على القطان فى عدة رسائل نجتزىء بشىء من احدى هذه الرسائل ، وهى وان كانت بعبارات مسجوعة أفقدتها بعض جمالها إلا انها قطعة فنية فى موضوعها وفى الاسلوب اللاذع الذى نرمى اليه . قال بعد البسملة :

« . . . صادفنى خطابه الكريم وكتابه الشريف بخوارزم ، وانا ناعم البال ، منتظم الحال ، من

النفس فى دعة ، ومن العيش فى سعة . والحمد لله على ذلك . . . وحين تنسمت من يد حامله رياه ، وثبت من مكانى مستقبلا إياه ، ومددت اليه يمينى مد معز مكرم ، وأخذته بطرف كى أخذ مجل معظم . وقلت فى نفسى كرامة ساقها الله تعالى إلى ، وسعادة ألقت أنوارها على ، وأرسلت فى الحـال قاصداً الى ذروات الاشراف ، وسروات الأطراف . وبعثت فى الساعة مسرعاً الى رجالات الأخبية والأبنية ، وساكنة الأباطح والأودية ، ودعوت من كل حلة رئيسها وزعيمها ، ومن كل خطة كبيرها وعظيمها ، حتى اجتمع عندى البدوى والحضرى ، واحتشد فى ربعى الربعى والمضرى ، ثم عرضت عليهم كتاباً شريفاً بختمه ، وحنيت ظهرى لتقبيله ولثمه ، وطلبت خطيباً مصقعاً من بلغاء بنى معد صحيح اللسان ، فصيح البيان ، وصنعت له فى منزلى منبراً من الساج ، مغشياً بالدر والديباج ، ليصعد به ذرى الأعواد ، ويقرأه على رؤوس الاشهاد . . فرفع الكل أصواتهم يمنة ويسرة ، وسألونى خفية وجهرة : ماهذا الذى تظهره لنا وتعرضه ، وتوجب علينا سماعه وتفرضه ؟ فقلت كتاب لم تلمح عين الزمان بمثله ، ولم تسمح يدالزمان بشكله ، كتاب إمام هو فى العلم صاحب آيات ، وفى الفضل سابق غايات ، إمام تطلع نجوم الجو دون قدره . وتحسد رياض الخلد أطايب صدره ، كتاب إمام تم به حساب العلماء . . . ونشرت من معالى سيدنا أدام الله علوه ومفاخره ، وذكرت من مناقبه ومآثره ما امتلأ بنشره النادى ، وسال من ذكره الوادى ، فسكنوا وسكتوا . . فلما فضضت ختامه ، وحدرت لثامه ، شاهدت فى أثنائه من الفزع الاكبر ما اطال السهاد ، وأطار الرقاد . . حسبته حلة خسروانية ، فوجدته حربة هندوانية . كتاب ، لا ، بل كتائب تفل كل جيش ، وخطاب ، لا ، بل خطوب تكدر كل عيش ، وكلام ، لا ، بل فى الاضلاع كلام ، وفصول ، لا ، بل فى الجوانح نصول . هو – أدام الله علوه – دفاع الامراض بطبه ، فلم أمرضنى بفضائع سبه ، ونطاسى الجراح بعلمه ، فلم جرحنى بقبائح ظلمه

ومن أرجى شفاء السقام ومسقمى جفوات الطبيب

« ما هذا الانذار والايعاد ؟ وما هـــذا الابراق والارعاد ؟ . . . قال أدام الله علوه : مصصت دمى من عرق ، أوليس يدرى أن امتصاص الدماء من خصائص بضاعته . والتصرف فى اللحوم والعظام من لوازم صناعته . رحم الله امرءاً عرف قدره ، ولم يتعد طوره . وشر ما فى بنى آدم من الخصال الذميمة والأفعال اللئيمة إيذاء الصغار الكبار . . . »

ونحسب أن القارىء سيعجب غاية الاعجاب بهذا التعريض والتهكم « النظيف » الذى لم تذكر فيه عبارة فاحشة ، ولا كلمة نابية ، والذى بلغ من اللذع غايته ومن الايلام نهايته

أوليس فى هذه الصورة التهكمية التى رسمها رشيد الدين لخطاب الحسن القطان ما يرينا أن الرجل كان يكتب بدهاء عجيب ، وأنه استعان بماله من دهاء وملكة فنيـــة على أن يكتب هذا

الخطاب بأسلوب نستطيع أن نسميه أسلوباً فنياً حقاً ، خصوصاً إذا قارناه بما يكتبه بعض كتاب اليوم فى هذا المقام من الأساليب السوقية المبتذلة

وقد وضع رشيد الدين نفسه من هذا الخطاب فى مكانة أصح ما توصف به أنها مكانة الأديب الذى يقبض على قلمه فيصرفه بمهارة ولباقة ، ويستطيع بذلك أن ينال من خصمه دون أن يبتذل نفسه أو يعرضها للنزول عن مكانتها إلى درك الجهلة والطغام . ثم هو فى الوقت نفسه يلذع لذعاً مؤلماً ، ويؤنب تأنيباً قارصاً . . .

أنظر اليه وقد أراد أن يتهكم من خطاب الحسن القطان ، ويضاعف من قبحه ووقاحته التى لا تليق بالأدباء ، فيذكر انه كان قبل أن يصل اليه هذا الخطاب ناعم البال منتظم الحال من النفس فى دعة ، ومن العيش فى سعة ، وأنه حين وصل اليه هذا الخطاب « الكريم الشريف » وثب من مكانه فاستقبله استقبال معد مكرم ، وأخذه بطرف كه مثل ما يأخذ المجل المعظم ، وعلل نفسه بأن تلك كرامة ساقها الله اليه ، وسعادة حلت أنوارها عليه ، وأرسل فى الحال يدعو الاشراف وكبار القوم ليسمعهم هذا الخطاب السعيد ، وأقام فى وسط المجتمعين منبراً لذلك ، ورفع الكل أصواتهم متعطشين لسماع هذه الدرر الغالية والآيات العالية . ولم يخل على المجتمعين ـ قبل أن يقرأ الخطاب عليهم ـ أن يخبرهم أنه كتاب لم تلمح عين الزمان مثله ، وأنه كتاب إمام هو فى العلم والفضل صاحب آيات وغايات ، ثم لم يخل عليهم أيضاً أن ينشر عليهم مفاخر صاحب هذا الخطاب ومناقبه وما أثره مما امتلأ بنشره النادى وسال به الوادى

وبعد ذلك كله ، فض الخطاب . . فماذا كان ؟ ! . أرجو أن يسأل القارىء نفسه عما حدث من أثر فى نفس المجتمعين ، وعما وقع للمرسل اليه والمجتمعين من صدمة وصفها رشيد الدين ، وانتقل منها الى الرد على « اللقان » بعبارات غاية فى الابداع والابتداع

وأنت إذا قارنت ذلك بما كتبه أديب من أدباء العصر فى هذا المقام يرد على أديب آخر اتهمه بالسرقة من كتبه ، لوجدت بين الأسلوبين بوناً شاسعاً . ولا نريد أن نعيد شيئاً مما نشر فى هذا الصدد صوناً لنا من نقمة بعض الأدباء ، وتنكباً عن طريق السخيمة والشحناء ، وإنما نريد أن نقول إنه لينقصنا فى هذا العصر أن ندرس الاسلوب اللاذع ، وأن ننقيه من أدرانه ، وأن ننحو فيه ناحية تتفق وتقدم الحياة العقلية فى نهضتنا الحديثة ، حتى يخلص هـذا الاسلوب من السخف والشتائم السوقية التى تشوهه وتنزل به من أوج الفن إلى درك اللغو من الكلام

طاهر الطناحى

قصة السجين ✡ قصة مصرية

بقلم حسن محمود

لم يكن يروى قصته لزميله الجالس أمامه وهو يصغى اليه كل الاصغاء ، ولم يكن يلقى قصته على الجندى الواقف فى حراستهما ـ وقد أغمض جفنيه كى يشعر بأنه غير مسئول إذا سأله سائل عن سبب سماحه لهذين السجينين بالحديث ـ وإنما كان يروى قصته للطبيعة التى تحوطه ، وللسماء الزرقاء ، وللشمس التى كانت تلفحه بنارها فى وقت الظهيرة ، وللجبال الجرداء الواقعة بين القاهرة وحلوان التى تتلون تارة بلون أحمر وطوراً بلون بنفسجى ، وللصحراء التى تتلألأ ببريق الآلاف من الأصداف والأحجار اللامعة ، إنه يبث أمره لا إلى مخلوق مثله بل الى تلك الظواهر الطبيعية التى يرى من خلالها مجاهل الأبد

مضت عليه سنوات سبع منذ اليوم الذى دخل فيه ساحة السجن وصار لايمشى حتى يسمع رنين القيد ، وسيظل فى هذا السجن إلى القبر ، ولكنه تحمل آلام هذه السنوات بصبر لا يعدله صبر ، عرف بين رفاقه بالقوة الهائلة ، وكان يقوم بعمله الشاق ويمضى نهاره فى اقتطاع الصخر دون أن يشكو مرة أو يصيبه إعياء

لا يدخل السجناء السجن حتى ينسوا شقاءهم ، وهم يجدون من تلك الحياة التعسة مخرجاً الى اللهو والعبث فهم يتلهون بقصص ذنوبهم وبارتكابها ما يسميه الناس آثاماً

أما هذا السجين فقد ظل هذه السنوات السبع لا يعاشر أحداً ولا يبوح بسره لأحد حتى صار زملاؤه السجناء يخشونه ويرهبونه

ولكنه وجد اليوم رفيقاً قد جلس يرتاح قليلا فى وقت الهجير وثقلت نفسه بما يحمل من سر فباح بما تنطوى عليه الضلوع

٭ ٭ ٭

نشأت فى قريتى ولم أر لى أباً منذ نظرت عيناى الضوء . ولدت يتيما وسط الاحزان وقد توفى أبى قبل أن أدرج الى هذا العالم ببضعة أشهر . قيل لى إنه كان تاجراً وكان ينتقل بأحمال القماش من قرية الى قرية وإن كسبه كان كبيراً . أما أنا فلم أشهد منذ أخذت أفهم أمور الحياة إلا الشقاء . وأى شقاء أكبر من أن تظل دارنا الحقيرة بغير وقود أياماً ؟ وأى شقاء هذا الذى عنديا فى أغلب الأيام الى قصر سيد القرية كى نجد ما نتبلغ به ؟ على أن أمى كانت كبيرة المطامع

وكانت تأمل أن ترانى يوماً فى غير مستوى الفلاحين وأن أصير كاتباً لدى على بك سيد القرية

ورث على بك قريتنا عن آبائه وأجداده الشراكسة وجميع ما حولها من أرض زراعية ملك له . لذلك كان جميع أهل القرية فى خدمته . وقد كان رجلا رقيق القلب رضى الأخلاق يجد الفلاحون بسذاجتهم وصراحتهم طريقاً الى قلبه ونقوده

ربيت فى حجر أمى وتحت كنف هذا السيد الذى بلغ الاربعين عند ما جئت الى هذه الدنيا

طمحت أمى الى أن أكون كاتباً فما صرت غلاماً حتى أدخلتنى كتاب القرية . وقد يكون ما تعلمته فى هذا الكتاب كثيراً الا أن المعلم كان يظننى غبياً وكنت أستفيد من درسه دون أن يشعر

ومما كان يزيده سوء ظن بى وبعض الصبية أننا كنا نقوم بالرحلات البعيدة الى القرى المجاورة وكان يرافقنا احمد بك ابن سيد القرية ، وكنا نعود من هذه الرحلات متعبين وقد اصطبغت وجنتا احمد بك بلون الورد من تأثير الشمس والهواء والتعب . وكذلك كنا نتأثر نحن وإن أخفت وجوهنا السمراء هذا الاثر

شبت بينى وبين ابن سيد القرية بسبب هذه الرحلات صداقة متينة بل انى أحببته حباً يختلف عن حبى لامى ، فقد كنت أعطف عليه وأشفق . والصبى لايشعر بعاطفة الحنو والاشفاق نحو أمه . أما حب الام فيمتزج بالحنو والشفقة . فهل كان ذلك لانه هو الضعيف ؟

كنت أصغر سناً من احمد ولكننى كنت أقوى منه جسما وكأنى أكبر منه بسنوات وشعرت بهذه القوة فنصبت نفسى له ظهيراً ونصيراً

ooo

كان سيد القرية يرى إشفاقى على إبنه فكان يميل إلى ويكافئنى بالدريهمات ، وبدا له أن يرسلنى مع ابنه للتعلم فى مدارس القاهرة وكاشف أمى بذلك الامر ففرحت فرحاً عظيما وبلغنى هذا الخبر فكان له تأثير كبير فى نفسى وسررت له أكبر السرور ، وكيف لا أسر لرؤية بلاد غريبة والعيش الى جانب احمد سيدى وصديقى ؟ أما أمى فلم أفكر فيها عندئذ لحظة واحدة

مضت الشهور حتى لم يبق على وقت الرحيل غير أيام ، وقد أثر فى السرور فصرت لا أنام إلا غراراً . وفى ذات ليلة استيقظت بعد نومى وفتحت عينى فى تثاقل ، ولم أكد أتبين من خلال أجفانى الاشياء حتى رأيت أمى فى لباسها الاسود جالسة ترنو إلى وتبكى

فهمت من تلك الساعة ما أحدثه لها من الآلام بسفرى ، فأغمضت جفنى كيلا تشعر بأنى استيقظت ، وعزمت عزماً أكيداً على ألا أبرح جانبها ما دمت حياً

صحوت فى اليوم التالى وكانت أمى قد بكرت بترك الفراش ، وما كدنا نجلس لطعام الصباح

حتى جاءنا رسول يدعونا على عجل الى القصر فسرنا اليه مهرولين وقابلنا على بك فقبلت يده فابتسم لى وقال :

ــ أعد عدتك فانكما تسافران اليوم

قلت فى تلعثم :

ــ كلا لست راحلا

فانقطع عن الابتسام وأجابت أمى على عجل :

ــ أجل هو راحل يا سيدى البك

فقلت وقد ملأ الدمع مآقى :

ــ كلا لست راحلا

وانهمرت من عينى الدموع

فجذبتنى أمى على عجل الى الخارج وقد شعرت بالخجل والرهبة . وامتزجت بتينك العاطفتين عاطفتان : هما الامل الذى تعقده على رحيلى والفرح الذى تشعر به لقربى

كان حديثها إلى مزيجاً من التأنيب والعتاب مع الترغيب والتسليم ، وكنت لا أجيب على حديثها بغير البكاء وقد أصررت على البقاء

بقيت لأعيش عيشة الفلاح ، وانقطعت منذ ذلك اليوم عن الدرس وقد حطمت بفعلى كل ما بنته أمى من آمال ، وقمت بالخدمة فى القصر أولا ثم بالعمل فى الحقل ثانياً ، وكنت لا أجد فى الحياة ما أغتبط به مثل أيام مجيء احمد بك الى القرية ، وأخذت هذه الايام تقل سنة بعد سنة ، وكانت السنون تزيد التباعد بيننا وكنت لا أزال مقيما على حبه وهو يعطف على وان قل تحادثنا وتخاطبنا

* * *

ماتت أمى بعد أن بلغت الخامسة عشرة من العمر بقليل فاذا أنا بعدها وحيد فى هذه الحياة . وأى حياة ! أتسمى حياة تلك التى يعيشها رجل يعمل طول يومه فى فلاحة الارض بصبر وجلد حتى اذا كان الليل ألقى بجسمه الى الارض فاذا به يحلم بأنه يعمل فى فلاحة الارض أيضاً وهو ينام كالصخرة من التعب فلا يكاد يسترد قواه حتى يعود الى عمل اليوم التالى ؟ حياة يعمل فيها الرجل طول يومه لكى يكسب حاجتــه من قمح وذرة من مخزن سيد القرية ، فاذا كان أوان قبض الاجرة لم يجد من نقوده الباقية ما يكفى لشراء ستر لجسده . لقد هممت مرات عدة أن أهجر هذه الحياة وانضم الى جماعة من اللصوص . ولكن كان يمنعنى من ذلك أمران : ولائى لعائلة احمد وأمر آخر

* * *

فتاة فى ريعان الشباب كانت خادمة فى دار سيد القرية . وكنا نراها صبية فاذا هى لم تخط تلك الخطوة بين الطفولة والشباب حتى تفتحت كالزهرة يبدو جمالها للعين . كانت نحيلة بيضاء لا يشوب لون بشرتها احمرار ، أشبه شىء بالنرجس . كانت لها عينان واسعتان سوداوان شديدتا السواد . تلك هى الفتاة التى غلب غرامها على سائر مشاعرى حتى لم تخل منها جارحة . بدأت أشعر بالحياة وأجد فى هذه الحياة لذة بدل السآمة والملل

كنت أختلق الفرص للذهاب الى القصر فانعم بمشاهدتها . ولم يكن لى فى هذا الحب مطمع فانى دميم كما ترى وقد قضى العمل فى الحقول على كل أثر للشباب ، فما كنت تراني حينئذ إلا كما تراني اليوم : جسم قد من صخر ووجه أسمر جعدته الغضون . وكانت تخاف إذا ما دنوت منها . ولعل تلك النار المتقدة فى ضلوعى كانت - إذا ما اقتربت منها - لاتجد منفذاً إلا من عينى فتقدحان شرراً فتزداد لونها امتقاعاً فتزداد فى عينى بهاء

كنت احبها دون أمل فيها إلا أن أتمتع برؤيتها بين حين وحين

* * *

أطلت عليك الحديث لأنى أخشى أن اقترب من نهايته

صارت « خضراء » غاية حياتى وكنت اكتم هذا الحب فلم أبح به لمخلوق ، وحاولت أن أخفيه عن الخالق ولكن الخالق مطلع على القلوب ، وكذلك مخلوقاته الازلية تعلم ماتكنه الصدور . وإلا فلماذا أرى السماء والشمس والقمر والماء والأشجار كلها تبتسم لى وكأنها تحنو على ؟ اليس ذلك لانها هتكت ستر الكتمان

كنت اكتم ذلك الحب ولا ابوح به لمخلوق ، ولو عن لى أن افضى لاحد بسرى لما وجدت غير احمد رفيق صباى ، ولكن احمد اليوم غير احمد بالامس وان كنت ما أزال له مخلصاً . هو الآن فتى فى مقتبل الشباب جميل الطلعة ممشوق القامة ، وهو سيد وانا عامل حقير من عماله ، ولكنه لا يزال يعاملنى برقة وعطف ، وهو الآن يكثر من زيارة القرية فقد انتهى من دروسه فصار يشارك اباه فى الاعمال

دعيت ذات يوم الى القصر وكنت أظن الداعى احمد فاذا بى فى مجلس ابيه وقد اظهر الحنو على ثم تكلم كلاماً طويلا عن أمى وما كان من عطف أصحاب القصر عليها وعلى ، وانهم يرعوننى ويسهرون على راحتى ، وهم يجدون ان خير راحة لى بعد وفاة امى هى الزواج ، الزواج ممن ؟ من « خضراء » !

ذكر اسم خضراء فهل انا بحاجة الى الجواب ؟ ولكن هل كانت راضية ؟ أسألهم فيقولون إنها راضية وراغبة ، ويأتون بها ليسألوها فتهز رأسها علامة الموافقة وان كانت الدموع تنهمر من عينيها فى سكون . . .

إنها دموع الخجل التى تعترى العذراء . . . اى سعادة اغدقت على إغداقاً ؟ اراد الله ان اتمتع بنعيم الحياة الدنيا فى تلك الايام القليلة السابقة للزواج وبلغت ذروة النعيم فى يوم الزواج

أجل كانت أياماً سعيدة تفتحت على اثرها أبواب الجحيم . وأى جحيم اكبر من أن اراها زوجتى وملكى وهى مع ذلك تنفر منى كما ينفر الناس من الاجذم ؟

تكدرت حياتى فصرت اكره الذهاب الى دارى وصرت لا أستطيع العمل ، وهمت أبحث عما يلهينى عن آلامى فوقعت فى زمرة سوء قادونى إلى مشارب الخمر فاقدمت عليها وصرت اجرعها كى انسى آلامى

فى ذات ليلة أضاءت الكأس رأسى فبحت لاحد الرفاق بآلامى وإذا هو يتكلم كلاماً لا اجتلى منه إلا الريبة . فهل كانت دموعها يوم قبلتنى زوجاً دموع الاثم لادموع الطهر

أسرعت الى الدار وعولت ان تكون تلك الليلة هى الفاصلة وقد كاد يتنفس الفجر ، ودخلت الى غرفتها وهى نائمة فايقظتها وامضيت معها نصف ساعة لا اكاد أذكر ما ارتكبته من عنف حتى عرفت منها السر

تركت الدار على ان لا أعود ، ولكن كنت اينما اذهب ارى الفلاحين يسيرون إلى الحقول فاندفعت أسير معهم إلى حقلى واخذت اضرب الارض بالفأس ضرباً يرن صداه فى الاجواء

لم اعد افكر فيما أعمله ولم اعد ارى شيئاً فى هذا الوجود .

لا أعلم الوقت الذى مر على كذلك ولكننى سمعت حوافر جواد ثم وقوفه على مقربة منى وشعرت بأن انساناً يترجل عن الجواد ثم هو يقترب منى وينادينى باسمى

التفت الى صوته ونظرت اليه حتى وقف أمامى وهو يبتسم ثم مد يده اليمنى ووضعها على كتفى فجعلت انظر اليه فى سكون ونظر إلى واذا ابتسامته تغيض وتجف كما يجف ماء الحياة من الجسد المريض فرفعت ذراعى اليمنى وأهويت بالفأس على رأسه

• • •

ضربته مرات لا اعلم عددها وظللت اضرب بفاسى جثته وان فارق الحياة فى الضربة الاولى . ولست اروى لك ماكان من محاكمة وقضاء

هذا حساب الدنيا وبقى حساب الله

سكت السجين هنيهة وقد جحظت عيناه وقدحتا شرراً ثم قال :

ـــ اجل بقى حساب الله ، وانى لاستعجل ذلك اليوم الذى تأتى فيه جنباً الى جنب . اتعلم ماذا افعل ؟

ثم ضحك ضحكة مريعة لها صفير كصفير الرياح فى بهيم الليل وقال : « إنى سأقتله مرة ثانية »

الانسانية والحب

للكاتب المجري هنريك رالف(1)

تلخيص الاستاذ ابرهيم المصري

هنريك رالف كاتب مجري شاب لم يجاوز العقد الثالث بعد ولكنه وضع ديوان شعر واربع قصص والكتاب الذي نلخصه اليوم. وهو يمتاز عن ادباء المجر بل عن معظم ادباء الغرب بنزعة في الفكر والاحساس روحانية تجريدية، لا تتفق عادة وما في الشباب من عنف الحيوية المادية. وهذا وجه الطرافة فيه. فحيوية شبابه المادية تنسكب في تعاليمه الروحية فتهبها قوة الحماسة والاقناع والامتلاء والتأثير. وكتابه (الانسانية والحب) هو صرخة الروح منبعثة من صدر شاعر متمرد على حضارة المادة والمصلحة. وقد رأينا أن نلخصه نظراً للضجة الكبيرة التي أثارها عند ظهوره ولأنه يمثل نفسية طائفة كبيرة من كتاب الجيل الجديد في أوربا

الحب المنقذ

لا يترك هذا العصر للانسان فرصة ينعم فيها بقلبه وعواطفه

الحضارة مادية، والرغبات مادية، والمجد باطل دنيوي، ومعظم جهود البشر منصرفة الى شهوة المال وشهوة الجنس، وهذه الحضارة على ماحققته من ضروب الرفاهية وأسباب النعيم، وقفت حيال مشكلة الاخلاق عاجزة، لم تستطع تهذيبها ولا صقلها ولا جعلها في مستوى العقل نشاطا واخلاصا ونزاهة وقوة

وليس ثمة شك فى ان البون شاسع اليوم بين عقلنا واخلاقنا، بين ثقافتنا وعواطفنا، بين انتاجنا العلمى النفعى، وانتاجنا الادبي والفنى النزيه

نحن لانفتأ نفكر فى كل مانستزيد به الفرد قدرة على رياضة الطبيعة واستغلال عناصرها، أما رياضة الروح وانماء خصائصها واجراء التعادل بينها وبين العقل فآخر مانخطره على بالنا وآخر ما نسعى اليه

ولقد ترتب على هذا ان فقد الانسان نفسه، واجترفه سيل الماديات فلم يعد يأبه للشعلة العلوية الكامنة فيه

والانسان عقل وقلب، منطق ورحمة، جسم ونفس، ولا حضارة كاملة سليمة إلا تلك

(1) L'humanité et l'amour par Henrich Ralph

التى تنمو فيها وتزدهر قوى الانسان كاملة من عقلية، ووجدانية، لخير الجميع فى ظل الحق والمساواة والحرية

ونحن فى هذا العصر انكرنا الوجدان لا لأننا آمنا بالعلم بل بوسائل الترف التى تمخض عنها العلم، فكان ان استولى شيطان هذا الترف علينا، واستحوذ على عقولنا ومشاعرنا، وجعلنا لفرط تأثيره نشك فى جوهر الدين وجوهر الفن وجوهر الاخلاق ونقيسها جميعاً بمقياس المتعة والمصلحة، ونعتبرها لهذا السبب فى المرتبة الأخيرة من مراتب الاهتمام البشرى.

وهكذا ضلت ارواحنا طريقها، وضللنا سبيل العثور عليها، ولم يعد لنا من ملجأ يقينا طغيان المادة وتخاوفيه - ولو فترات قصيرة - بانفسنا نستمع لهمساتها ونأنس بها إلا الحب ... الحب هو اليوم خلاصنا! ... وهو البقية الباقية فينا من لهب تلك الشعلة العلوية المتوهجة

ونحن لا نتشبث بالحب ونهرع اليه ونستطيب التحدث عنه ونغلو فى بحثه وتحليله الا لانه قوة روحانية ومادية منسجمة. قوة تمثل الانسان كاملا والطبيعة كاملة، وتحقق فى الفرد ما لم تحققه الحضـــارة الراهنة لا فى الفرد ولا فى المجموع، أى ذلك التعادل المنشود بين المادة والروح! ...

معنى السعادة والشقاء

قد تعيش ردحا من الزمن طويلا لا تفكر إلا فى نفسك، ولا تهتم إلا براحتك، ولا تحفل بغير انانيتك، كأنك وحدك مركز العالم، وكأن العـــالم لم يخلق إلا لك. فتمر بك الايام والاعوام وأنت هادىء الاعصاب، قرير النفس، منشرح الصدر، تأخذ من الافراح والاتراح بقسط متعادل معقول، لاتعرف الألم الكبير ولا الغبطة المطلقة ولا الصفاء الروحانى العظيم، بل تسخط على هذه القوى النفسية جميعا، وتسميها امراضا، وتمضى فى طريقك باذلا جهدك فى تنظيم حياتك وتركيزها، واعتصار مادة الاسراف منها، وتحويل ايامها الطويلة الزاخرة من نهر مزبد عريض الى جدول متواضع صغير

ويخيل اليك انك ظفرت بالسعادة القصوى، وأخضعت الحياة لحكم العقل، وطردت منها عناصر الثورة، وأقمت سداً منيعاً بينك وبين كل ما يمكن أن يعكر عليك صفو هدوئك المتشابه الهانىء اللذيذ. وانك لفى حلمك العميق هذا واذا بامرأة تهبط اليك، لا تعرف من أين مقدمها، ولا من هى، ولا ما تحمل من خير أو شر، وسرعان ما ينقلب نظامك الى فوضى، وتستحيل حكمتك الى حماقة، وينتهى اعتدالك الى شطط وجنون!

يرقد فيك الانسان الأول ويستفيق الثانى على لجب حياة جديدة مالك عهد بها، فتشعر والدهش آخذ منك مأخذه انك تفرح الى حد البله، وتبكى الى حد التمزق. وتشقى الى حد

الخيال . وتموت وتبعث كل يوم مرات بحسب اتقاد حركة الحياة أو فتورها فى العيون التى تحبها وفى الفم الذى تعبد الكلمات متفجرة منه كما يعبد رجل الصحراء ماء الينبوع !

تلفت حواليك واذا بك قد سموت فى طرفة عين من مخلوق تافه وضيع الى مرتبة خالق عبقرى . فابدعت لنفسك ولمن تحب وللناس حياة خصبة جديدة تحيطها بمختلف الوان الجمال والطيبة والحنان والرحمة ، شاعرا ابلغ شعور واوفاه انك لم تكن فى يوم من الايام قاسيا ، ولم تكن قط غليظ القلب انانيا ، بل ان التضحية كانت على الدوام معدنك وانكار ذاتك جوهر قلبك النقى النبيل ! . . .

وتنطلق فى اعصار هذه الحياة الجديدة ، وتحس انك بدأت تفهم كل ظاهرة فى الوجود ، وتستبطن سر كل فتنة خفية . وتتكشف لك الدنيا ـ من خلال جمال ورقة ودلال من تحب ـ عن عوالم مقدسة مجهولة محرمة الا على المؤمنين بالحب والمؤمنين بالألم

وتتضاعف فى نفسك القوى ، وتسرى فى كيانك نار البطولة ، ويخيل اليك ان فى مقدورك اتيان كل شيء واقتحام كل شيء ، فتعد العدة لمستقبل زاهر ، وتشمر عن ساعد الجد ، وتعلل النفس بالآمال الكبار ، وتشعر ان فى وسعك القبض على ناصية الكون واذلاله لارادتك وتقديمه فى ابتسامة متضعة مسكينة ـ كحلية نادرة رائعة ـ إلى المرأة التى اصطفيتها من دون النساء ! وحينئذ . . . حينئذ . . . تبدو منك هفوة بسيطة . . . أو تبدو منها كلمة عارضة . . . أو يمر بكما رجل غريب . . طويل أو قصير . . ابيض أو أسمر . . جميل أو دميم . . . رجل كبقية الرجال ولكنك تبغضه أشد البغض ، وتتفزز أعصابك لمرآه ، وتحس برغمك نفوذه وسلطانه والهوة السحيقة التى يحتفرها لك . . وتتطلع الى المخلوقة التى اودعتها صفوة أحلامك ، ونصبتها على القاعدة الشامخة كتمثال ومضيت تعبدها ، واذا بها قد ضاقت بالسماء ذرعا وتمايلت وتهاوت فجأة على نفسها وسقطت على الارض وتحطمت تحطما !

ويهولك مرأى الاشلاء المتناثرة ، وتشهد مصرع حلمك بعينيك ، فيطوح بك الدوار ، وتختبل بحقيقة ذاتك فى الهزيمة كما اختبلت بها فى النصر ، فترتد كالمطعون غشى الدم بصره ،وعقد لسانه ، وخنق الصرخة فى صدره ، ثم تنكص فى بطء على عقبيك ، وترجع الى دارك ، وتقبع فى زاوية حجرتك ، وتعود إلى حياتك الراكدة المتشابهة القاتمة الأولى !

تعود إلى الانانية والنظام والظلام ، والحسرة تقطع فؤادك ، واليأس يأكله ويتمدد فيه ويستقر ! وعندما يبرح بك العذاب ، ويمزقك الحنين ، وتود أن تلتمس فى اىما شيء عزاء لك وسلوى ، تقول وتردد فى هدأة الليل بينك وبين ضميرك : « لقد احببت ، وتألمت ، ولكنى عشت ! . . . »

هذه قصتك . . . وهى قصتى أيضاً وقصة الناس جميعاً . ولولاها لما كان فى هذا الوجود أى معنى للسعادة ولا للشقاء !

الاتجاه الروحاني الجديد

يستخف هذا العصر بالحب الشعرى العاطفى، ويتخذ منه اداة سخرية وهزؤ ، ويتهم اصحابه بنقص فى العقل ، وانحراف فى المزاج ، وافراط فى التخيل ، وفقر فى الملكات العملية المسيطرة على شؤون الحياة

فالرجل المتحضر الحديث يفخر بانه قد تحرر من وهم الحب ، والقى عن كاهله الحلل الشعرية التى يخلعها التصور الكاذب على شخص المحبوب ، وتمكن فى النهاية من رؤية الحب على حقيقته ، أى مجرد رغبة جامحة وقتية طارئة ، تجمع بين بشرتين مضطرمتين فى محيط لذة عابرة ، يجب أن يرتشفها المرء وهو فرح جذلان دون أن يسمح لها بتسميم قلبه وخياله

فالاحلام الرقيقة ، والتأملات العذبة الطويلة ، والشكايات المرة الحزينة ، والغيرة الوحشية الفاتكة ـ كل هذه الميول يكرهها الرجل المتحضر الحديث وينفر منها ويعدها ألاعيب صبية وعلالات اطفال ، تخمد من حرارة اللذة الجنسية ، وتتحول بالمحب عنها ، وتتجه بكيانه نحو لذائذ عقلية وعاطفية اخرى لا تمت الى الحب ولا الى مادته الشهوية الاصلية بسبب

فالمحب العصرى سواء أكان رجلا أم امرأة يأخذ من حبيبه بقدر ما يستطيع أن يعطيه ، يعامله معاملة تجارية شريفة أو معاملة سياسية ممتازة ، يأخذ منه لذة ويعطيه أخرى معادلة لها فى العنف والنشوة ، لا يقول له : انى أحبك قلبى وحياتى ، لانه يعتقد ان القلب يتبدل فى الساعة مرات ، وان الحياة مجموعة اهواء متقلبة متعاقبة لا يمكن أن ترصد على مخلوق واحد مهما أوتى هذا المخلوق من جمال وكمال

والمحب انما يسلك هذا الطريق مدفوعاً برغبته فى ان يكون صريحاً ، وان يكون ذكياً ، وان يكون مخلصاً ، لا يخدع نفسه ، ولا يخدع من يحب ، ولا يمنيه بعواطف كبيرة يحس انه عاجز عن تحقيقها وانها لا تتفق ونزعات الطبيعة البشرية

والعجيب فى أمر الانسان العصرى انه يقدم فى غير احتفال على أشد المغامرات المادية خطرا ، ولكنه يجبن ويتراجع حيال مغامرات القلب والعاطفة

يحب العظمة فى المادة ، وينفر منها فى الروح ، يمجد الطيار البطل ، ويسخر من العاشق الشهيد ، يصفق للوصولى الظافر ، ويهزأ بصرعى المثل العليا

وهو انما يتفادى كل عاطفة روحانية ذاتية كبيرة لشعوره العميق انها تحمل فى طياتها شتى معانى الألم الصامت ، والاحتمال الصامت ، والهناء الصامت ، والتضحية الصامتة ، وانها تصرف ذهنه عن السعى وراء النجاح المادى ، والاقدام على عمل من اعمال البطولة المادية التى يراها الجميع ويمكن لصاحبها أن يزهو بها وهو يستثمرها ويعرضها فى السوق سلعة طريفة تخلب ألباب الناظرين

هذا هو الانسان الشائع المتحضر الحديث، وتلك هي نظرته الى الحب والى كل مايتصل بالقلب من عواطف سامية كبيرة. ومع ذلك فالصورة التى رسمناها له وان كانت تعبر عن الجانب الاجتماعي من نفسه إلا انها لا تمثل الجانب الابدى فيه حيث يشترك الناس جميعا فى الخضوع لقوانين غريزية واحدة

فرجل هذا الزمن المتأثر بفلسفة بعد الحرب - برغم انكاره الحب لا ينفك يبحث عنه، وبرغم استخفافه به لايفتأ يطمح اليه، وبرغم سخريته منه لايزال يخشاه. وما خوفه الحب إلا الدليل البالغ على ضعفه أمامه وتوقه الشديد اليه

وعندى ان الانسانية لم تكن فى أى عصر من عصورها كلفة بالروحانيات اطلاقا ومفتونة بالحب على وجه الخصوص كما هى اليوم. ولكنها تراوغ وتنافق وتموه الحقائق على نفسها وتبرأ من هذه الفتنة جهدها، وتتظاهر بتقديس العلم، وتقديس الآلات، وتقديس المصلحة، حبا بمسايرة فلسفة العصر المادية التى احدثت فيها رد فعل روحانى خفى وعميق

والأمثلة كثيرة على ماتقدم :

فمعظم الروايات السينمائية لا تكاد تصور غير الحب، ولا تمجد غير الحب الكبير وحده وما يشتمل عليه من عواطف البطولة والولاء والتفانى فى شخص المحبوب والتخلص من أوضاع المجتمع وفروضه القاسية

ومعظم القصص الفنية الرفيعة التى تأثرت عقب الحرب بنظريات العلامة النمسوى سجموند فرويد فى اصول الحب وبواعثه الجنسية المحضة أخذت تتطور وتتحرر من استبداد (الفرودزم) وتتجه نحو رسم روحانية الحب وشاعريته وصفائه التأملى المطهر

فوريس بارنج وروزامند لهمان وكاترين منسفليد واضرابهم فى انجلترا، ودوهاميل وادمون جالو وفرانسوا موررياك وامثالهم فى فرنسا - جميع هؤلاء من القصصيين الذين لايهملون الحب الجنسى ولكنهم يعنون اكبر عناية بمظاهره الروحية الخالدة

ولست اشك فى ان تأثير الروائى الكبير فيدور دستويفسكى على الحركة القصصية الحديثة لم يكن تأثيراً فنيا فحسب، بل روحانيا ايضا. وجميع قصصي أوروبا الذين تأثروا به لم يكتفوا بتجديد القصة من حيث الوضع والتحليل وتصوير الشخصيات، بل لقحوها بعناصر شعرية دينية جعلتها على حد تعبير اندريه جيد، سمفونيا موسيقية رائعة

والحق ان الشعر لم يمت فى هذا العصر كما يعتقد الكثيرون بل غادر القصائد والدواوين واندس فى صلب القصص، أى انه اقترن برغبة تصوير الواقع التى تقوم عليها القصة، وارتفع بهذا الواقع من ميدان الحقيقة اليومية التافهة الى رحبات التصور الشعرى الذى يرى بعين البصيرة ما يكمن خلف الحقيقة تجميلا لها وسمواً بها

وأى برهان على شغف الغربيين بالروحانيات أوضح من تقديرهم العظيم شعر تاغور وتقديسهم شخصية المهاتما غاندى واقبالهم فى هذه الايام على دراسة الفلسفة الهندية وانشائهم المدارس لبحث هذه الفلسفة وترويجها ، وتأثر كبار فلاسفتهم وكتابهم بها امثال الكونت هرمان كايزرلنج ورومان رولان وموريس ماترلنك

بل أى دليل أبلغ من اتجاه الفلسفة الغربية والعلم الغربى اتجاها يوشك ان يكون صوفيا ويتمثل فى خلاصة شخصيات واعمال ومبادىء برجسون واينشتين ووايتهيد وجوليان هكسلى

ولو اننا القينا نظرة فاحصة على المذهب الاشتراكى المادى نفسه لألفينا زعماءه يلوحون هم ايضا بالرقى الروحانى ويؤكدون فى حماسة واصرار ان هذا الرقى المنشود لا يمكن ان يحققه إلا نظامهم ولا بد ان يجىء نتيجة طبعية لاقرار هذا النظام

واذا ما عدنا الى موضوع الحب نجد ان صفوة هذه النزعات تبدو جلية فيه لأنه عاطفة فطرية مشتركة سرعان ماتنعكس فيها اخفى ميول الجماهير

واذن فالفرد العادى يحاول من حيث لا يدرى ان يسمو بالحب فوق الشهوة كما يحاول العالم والفيلسوف والقصصى والفنان أن يسمو بتفكيره فوق الظواهر ، متجاوزا حد الطبيعة الى ما وراءها من قوى علوية غير منظورة .أما الغرض من هذا النضال فهو انعاش شخصية الفرد وتجديدها وتجديد الثقافة الراهنة ايضا فى سبيل تجديد الحضارة نفسها

وأكبر ظنى ان الفوضى التى يشكو منها العالم الآن ترجع الى ان الهوة سحيقة بين الشعوب ومفكريها وبين رجال السياسة والاقتصاد الرسميين ،وان النزعة الانسانية الروحانية التى تحسها الجماهير ويعبر عنها المفكرون لم تصل بعد الى مسامع أولئك الرجال وقلوبهم الذين ليس بينهم عبقرى واحد يفهم عصره حق الفهم ويشعر شعورا قوياً برغباته ويقدم فى جرأة وايمان على اشباع هذه الرغبات . وقد وقع من جراء هذا ان عيل صبر العناصر المتطرفة فاخذت توحد كلمتها وتجمع صفوفها وتلجأ الى وسائل العنف محواً لهذه الفوضى بفوضى مثلها

وهكذا يظل اغلب الساسة والاقتصاديين الرسميين حجر عثرة فى سبيل تقدم العالم إلا عن طريق فاجع مكدس بالاشلاء والجثث !

الحب والاحساس الدينى

ما السر فى أننا ننشد على الدوام عاطفة الاخلاص فى الحب ، ونفرق بين العلاقات الشهوية وبين الحب ، ونحس شيئاً من المرارة والأسى إذا انقضت أيام شبابنا وأشرفنا على الكهولة ونحن بعد لم نعرف الحب ؟ بل ما السر فى أن معظم الرجال يظلون يبحثون طوال حياتهم عن امرأة واحدة ، وكذلك معظم النساء يبحثن عن رجل واحد ؟

وما علة إصرارنا جميعاً على الأمانة والولاء متى أحببنا، ونزولنا مختارين عن كل متعة وكل جمال فى العالم، ورضانا بأن تستعبد ميولنا وأذواقنا لمتعة واحدة، وجمـــال واحد تلتقى عنده وتجتمع فيه كل مفاتن الدنيا ؟

إن الرجل يحب، فيتجاوز ويصفح، ويحتمل الألم والذل صابراً، ويجد فى صبره العاجز أكبر لذة. والمرأة - وهى المخلوقة الغريزية العملية الحساسة المتلونة - تحب، فتستعبد هى أيضاً وتصبر وتتجاوز وتصفح. والغريب فيها أنها شهوانية الميول نفعية النزعة، ولكنها متى أحبت لم تحفل البتة لا باشباع شهوتها ولا بمرضاة نفعيتها. وكثيراً ما يذهب بها العشق الى حد التخشن والتقشف والتبتل من أجل احتفاظها بمن تهوى

يزعم البعض أن المسألة مسألة مزاج وأن من كان عصبياً شديد الاحساس كان أدنى الى الحب من القوى الصحيح البدن، وان العصبيين هم الذين أوجدوا الحب المطلق، وهم الذين يسرفون فيه ويتبذلون ويتهتكون. ولكنى أرى أن هـذا وهم، لجميعنا مخلوق للحب الكامل الذى ذكرت. كلنا يطمح اليه. وكلنا معرض - تحت ضغط نفس الظروف - لأن يحب بنفس القدر وان اختلفت مظاهر العاطفة وألوانها

فالمزاج يبدل من أشكال الحب ولكنه لا يؤثر فى جوهره ولا يمكن أن يبدده ويلاشيه

وعليه فما السر فى هـذا الجنون الابدى؟ ولماذا لم يستطع العقل المثقف النابه، والعقائد العلمية السائدة، والحضارة المادية الجارفة أن تكتسحه وتأتى عليه ؟

يلوح لى أن الأصل فى الحب شعور دينى متأصل فى النفس البشرية. شعور يدفع بالفرد الى التسامى بقلبه، والتفوق على فطرته، والاندماج فى شخص آخر اندماجاً أساسه الأنانية وانكار الذات معاً، الموت والحياة معاً، والموت والبعث والخلود معاً، كذلك الاندماج الذى يحدث بين الصوفى وربه

فالصوفى يود أن يستأثر بالله لينقطع لعبادته، والمحب يود أن يستأثر بحبه لينقطع أيضـا لعبادته

فالأنانية فى الصوفية وفى الحب ملازمة للتضحية

والحب شعور دينى لأنه مثل أعلى من القوة والسلام والصفاء والكمال. وهذه الصفات الأربع كانت على الدوام رمز فكرة الله فى عقول الناس، والنور الذى يتوجهون اليـــه فى ظلمات الحياة. فالحب لا يموت إلا إذا مات «الشعور» الدينى، والشعور الدينى لايموت إلا إذا أدرك العلم جميع أسرار الطبيعة، ولكن العلم مقيد بالانسان نفسه، مقيد بحواسه المحدودة، وعواطفـه المتقلبة، وعقله الخاضع لأحكام حواسه وعواطفه

ولهذا سوف يبقى الحب على مر السنين عنواناً خالداً على عظمة الانسان وطموحه فى حياته الخاصة الى تحقيق مثل أسمى ينحدر اليه من صرح الألوهية التى ما تنفك انظاره ـ برغم حدتها وذكائها وكبرها ـ تتطلع أبداً اليها !

صلاة الكاتب الى ربة الحب:

أيتها القوة الأبدية التى تحمل هيكل العالم كما يحمل القلب جسم الانسان !

يانعمة الوجود وارادته ، ومجد الخالق ورحمته ، اغمريني بكل مافيك من جبروت ، وتسلطى على واسحقيني كيما تتبدد ذرات كيانى فى الفضاء الفسيح وتتصل فى النهاية بضمير الله !

انى لاجثو عند قدميك خاشعاً ، واعفر وجهى بثراك الطاهر ، وأعرض أمامك فى غير خجل أو استكبار قروح بدنى المسكين ، ثم أرفع نحوك ذراعى ، واتوسل اليك والدمع يحرق عينى ، ان تفجرى من صدرك الابيض ينابيع مياهك المقدسة اغتسل فيها واتطهر وابعث كائناً جديداً من نور وهواء !

لقد انكرتك أيتها القوة الأبدية ففقدت نفسى وابديتى وغاصت قدماى فى الرمال !

الاعصار يهب مجنوناً على . والريح العاتية تطوح بى ، والأرض تجتذبنى الى أحشائها المظلمة ، والسماء قد ملأتفى بالتراب ، فاسعفيني وانجديني ، ومدى الى يدك وانقذيني ، والا فقدت آخر عبادك الصادقين فى دنيا الانسان !

مازلت . . . مازلت اعبدك ايتها القوة البكر ، ايتها العذراء الملكية النقية . أعبدك وحدى وسط الملايين من الهمج المجرمين الكافرين الذين استباحوا حرمك ، وانتهكوا عرضك ، وخربوا هيكلك ، وعاثوا فيه معربدين صاخبين !

فتجاوزى . . . تجاوزى يا ربة النبل والاحسان . . . وغضى بصرك عنهم ، واغفرى لهم خطاياهم ، وانظرى الى وحدى . . . خاطبيني أنا وحدى . . . وأنا الكفيل ـ اذا ما تنزلت إلى وعطفت على ، وكلمتنى ولو همساً ـ بأن أحرر الناس من عقولهم وبطونهم ، وأردهم طائعين الى عبادتك الخالدة !

كل من يحب ايتها الالهة يصبح فى الدنيا نبياً ورسولا !

فامنحيني أجمع واشد واروع ما فى سماواتك من حب كى اصبح سيد أنبيائك وزعيمهم ، وكى تتحقق معجزة هداية الانسانية وخلاصها على يدى !

هذه صلاتى اليك صباح مساء !

ابرهيم المصرى

آثار جديدة تؤيد قصة آدم وحواء وترجعها الفي سنة أخرى الى الوراء

وردت قصة آدم وحواء في الكتب المقدسة وأجمع علماء الدين على ان سفر التكوين الذي وردت فيه هذه القصة كتبه موسى كليم الله حوالى سنة ١٧٠٠ قبل المسيح . وقد عثر العلماء الآن على آثار ترجع الى ما قبل ذلك الزمن بنحو الفي سنة وقد نقشت عليها رواية آدم وحواء بحذافيرها

سواء أكانت قصة آدم وحواء حقيقية أم مجازية فقد شاعت بين كثير من الشعوب القديمة وتناقلها الخلف عن السلف منذ أقدم الأزمنة . وخلاصة ما جاء في التوراة بهذا الصدد أن الله خلق آدم من التراب (وهو مدلول كلمة آدم بالعبراني) ونفخ في انفه نفساً حية ، وخلق معه حواء لتكون معيناً له ، بأن أوقع عليه سباتاً فنام ، فلما استيقظ وجد الى جانبه حواء ، فعاش معها في سعادة وهناء في جنة فيها ما فيها من ثمار وأزهار . ولم يحرم الله عليه وعلى زوجه إلا شجرة واحدة هي شجرة معرفة الخير والشر . وأثار هذا التحريم الشهوة في الزوجين . وتمثل الشيطان لحواء في صورة حية وأغراها بأكل ثمرة من تلك الشجرة . فصغت لكلامه وأكلت من الثمرة وأعطت رجلها أيضا فأكل معها . وأثار هذا غضب الله عليهما فطردهما من الجنة ولعن الارض بسببهما

هذه خلاصة قصة آدم وحواء ، وقد وردت بمثل هذا التفصيل في تقاليد الكثير من الامم الحالية . وقد أجمع علماء الآثار على أن الانسان الاول ظهر في البلاد المعروفة بما بين النهرين . وجميع القرائن في التوراة تدل على ان « جنة عدن » — سواء أريد بها مكان حقيقي أم مجازي — كانت هنالك وأن جوها وهواءها ومياهها وثمارها كانت من أحسن مايطمع به الانسان

وقد جاءت الانباء الآن بأن علماء الآثار قد اكتشفوا آثاراً جديدة تؤيد قصة آدم وحواء بحذافيرها ، وأنهم عثروا على هذه الآثار بين خرائب مدينة هي بلا شك أقدم مدينة بناها البشر أي مدينة « تيب جورا » التي انشئت منذ اكثر من ستة آلاف سنة

وهذه الآثار هي قطعة من الفخار قد نقشت عليها صورة رجل وامرأة قد حنى الحزن ظهريهما وبدا الهلع على وجهيهما . خرجا من الجنة عاريين من الثياب ووراءهما أفعى قد انتصبت ترقبهما وكأنها تمثل ملاك النحس

ولم يذكر اسم الرجل والمرأة ولكن القرائن تدل على أنهما سقطا في حبائل الافعى فتغلبت عليهما وتسببت في خروجهما من الجنة التي كانا يعيشان فيها



قطعة من الفخار عليها رسم يمثل خروج آدم وحواء من الجنة عاريين وقد انتصبت خلفهما الأفعى التي أغرت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة

ويدل فحص هذا الأثر على أن النحات الذى نقش تلك الصورة عاش حوالى سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد (اى منذ نحو ٥٧٠٠ سنة) — أى قبل أن كتب موسى قصة الخليقة وحكاية آدم وحواء بنحو ألفى سنة . ويدل نقش الصورة على قطعة من الفخار على أن قصة آدم وحواء كانت من القصص المتداولة ولا يبعد أن تكون أول قصة تناقلها البشر عما وقع لجدهم الاول ورواها الخلف عن السلف

أما مدينة تيب جورا المشار اليها فواقعة الى الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين . والذين اكتشفوا خرائبها هم رجال بعثة علمية تعمل باشراف عدة مدارس وجامعات فى أمريكا برئاسة الدكتور سبيزر العالم المشهور

كانت هذه البعثة تنقب منذ بضع سنوات عن خرائب مدينة اور الكلدانيين التى يظن أنها مسقط رأس ابرهيم الخليل والتى كان العلماء حتى عهد قريب يزعمون أنها أقدم مدينة بناها الانسان . ثم عثرت البعثة فيما بعد على خرائب مدينة تيب جورا فاتضح أنها أقدم من أور الكلدانيين ، بل هي أقدم مدينة بناها الانسان اذا استثنينا الكهوف والمغاور وبعض القرى الصغيرة التى سكنها البشر فى أوائل عهد حضارتهم . وما دامت تيب جورا أقدم مدن التاريخ فليس غريباً أن يجد العلماء بين خرائبها آثار قصة آدم وحواء . والذى يؤخذ من نص التوراة أن جنة عدن كانت فى ما بين النهرين ، فقد جاء فى سفر التكوين « الاصحاح ٢ : ٨ » أن الله غرس جنة فى عدن شرقاً ووضع فيها آدم . . . وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة أنهر : أولها نهر « فيشون » المحيط بأرض الحويلة حيث الذهب والمقل وحجر الجزع ، وثانيها نهر « جيحون » المحيط بارض كوش . وثالثها « حداقل » الذى يجرى شرقي أشور . ورابعها « نهر الفرات »

وزعم بعض علماء التفسير أن « فيشون » هو نهر الهند وأن جنة عدن كانت بناء على ذلك فى الهند . وزعم آخرون أن « جيحون » هو نهر النيل وأن جنة عدن كانت بناء على ذلك فى مصر . الا أن جمهور المفسرين ينكرون ذلك ويؤكدون أن عدناً كانت فى ما بين النهرين

لما بدأ علماء الآثار ينقبون عن خرائب مابين النهرين لم يكونوا يعلمون من تاريخ أشور

وبابل وبلاد الكلدان الا القليل . وكان معظم ما يعلمونه مبنياً على ماجاء فى التوراة من أخبار الحضارات التى نشأت فى تلك البلاد ثم اندثرت . وكان العلماء أشد جهلا بمنشأ تلك الحضارات لا يعرفون كيف نبتت ولا الاطوار التى مرت بها وكذلك كانت معرفتهم بحضارات الكنعانيين والفلسطينيين والعبرانيين وصلة تلك الحضارات بعضها ببعض . وفى النصف الاخير من القرن الماضى بدأ العلماء ينقبون عن آثار تلك الامم البائدة ويحاولون استجلاء أسرار حضارتها . وقد وفقوا فى جهودهم توفيقاً يذكر فعثروا على آثار كثيرة تبين لهم من درسها الصلات التى تربط الحضارة العبرانية بغيرها من الحضارات البائدة ولا سيما الاشورية والبابلية . وعرفوا فى أثناء بحوثهم الشىء الكثير من تقاليد أولئك القوم ومن جملتها قصة الطوفان فقد وجدوها بحذافيرها بين قصص البابليين (وقد استبدل فيها اسم نوح باسم رجل آخر يدعى « اوت نابشتيم ») . وعلموا ايضاً أن البابليين كانوا يؤمنون بوجود الارواح والملائكة والكروبيم والسرافيم وغير ذلك مما هو مثبت فى الديانة العبرانية

وبعد أن اكتشف العلماء ذلك لم يكن ليدهشهم العثور على قصة آدم وحواء أيضاً لان الادلة قوية على وجود علاقة متينة بين الآداب البابلية والآداب العبرانية . ومن المحتمل أن يكون مصدر القصص الشعبية والروايات الدينية التى كان يتناقلها البابليون والعبرانيون فى الاصل واحداً

بل إن هنالك قرائن أخرى تدل على أن قصة آدم وحواء وغوايتهما كانت معروفة عند أهل بابل أيضاً فقد عثر العلماء منذ عدة سنوات على آثار فيها اشارات غير صريحة الى حكاية آدم وحواء . وما يزال أولئك العلماء مختلفين بشأنها ففريق منهم يزعم أن تلك القرائن صريحة فى دلالتهما على قصة آدم وحواء ، وفريق يزعم أن الدلالة غير صريحة

وكذلك اختلف العلماء فى منشأ الصلة بين التقاليد البابلية والتقاليد العبرانية . والمعروف أن ابرهيم الخليل الذى يقول علماء التوراة إن الامة اليهودية نشأت منه نزح من مدينة أور الكلدانيين التى كانت مسقط رأسه . ومع ان اسم تلك المدينة هو اور الكلدانيين فقد كانت فى الحقيقة مدينة بابلية بكل معنى الكلمة . وعليه فليس ثمة أية غرابة فى أن يكون ابرهيم عند نزوحه من مسقط رأسه قد نقل معه طائفة من القصص والتقاليد البابلية مما وعته ذاكرته . وبمرور الزمن اتصل اليهود بالكنعانيين فى « أرض الموعد » . وكان الكنعانيون والفلسطينيون يمتون الى أهل بابل بنسب وقد نقلوا عنهم كثيراً من قصصهم وأخبارهم التى وقع فيها شىء من التغيير والتحريف بمرور الزمن . ولعل العبرانيين لما اتصلوا بالكنعانيين والفلسطينيين لم يدهشوا اذ وجدوا عندهم كثيراً من أخبار أهل بابل وتقاليدهم

وهنا يخطر بالنا هذا السؤال وهو : كيف اتصلت قصة خلق آدم وحواء وغوايتهما بأهل بابل حتى دونوها على آثارهم ؟

لانستطيع الآن ان نجيب عن هذا السؤال ، ولعل المستقبل كفيل بالجواب عنه . والشيء الذي قد ثبت الآن هو أن قصة خلق آدم وحواء وسقوطهما في الخطيئة كانت معروفة للبشر قبل زمن موسى بألفي سنة على الاقل ، وربما كانت معروفة قبل ذلك الزمن بكثير

وغريب جداً ان يكون أهل بابل قد بلغوا منذ نحو ٥٧٠٠ سنة درجة من الحضارة جعلتهم يخلدون قصصهم وتقاليدهم بنقشها على الخزف . ويؤخذ من وصف قطعة الفخار المنقوشة عليها صورة آدم وحواء أن النقش دقيق جداً وأن آدم ذو لحية وهو عاري الجسم ما عدا غطاء موضوعا على رأسه . وهو يسير خارجاً من جنة عدن وقد أمسكت به حواء وهي عارية . ومنظر كليهما يدل على الذل والندم ويذكرنا برواية التوراة تماماً

وقد عثر الدكتور سبيزر على هذه القطعة الاثرية مدفونة بين خرائب تيب جورا ويؤخذ من درس تلك الخرائب ان ثماني مدن أخرى أقيمت على أنقاض ذلك المكان — فوق انقاض تيب جورا . ولم يعثر العلماء بين أنقاض تلك الخرائب على أية ادوات من الحديد او النحاس . ولا شك أن المدينة انشئت في العصر الحجري . وعلى كل فان خرائب تيب جورا هي أقدم خرائب عثر عليها الانسان . وقد سماها بعضهم « تيب جورا الثامنة »

ومما يجدر بالذكر أن خرائب هذه المدينة تدل على حضارة راقية . فقد كان في وسط المدينة ميدان فسيح فيه معبد فخم وعلى مقربة منه قلعة حصينة . وكان الجزء الجنوبي من المدينة مقر الاغنياء كما يؤخذ من آثار بيوتهم . وكان للمدينة شوارع منظمة وفي احدها السوق العامة

ويظهر ان بناة المدينة كانوا بعيدي النظر يتوقعون الطوارىء المختلفة ولا سيما الحصار في وقت الحرب . ولذلك بنوا داخل أسوار المدينة صهريجاً للماء يزيد عمقه على مائة قدم

وتدل هندسة بيوت المدينة على مبلغ رقي فن العمارة عند القوم . ولم يكن بيت من تلك البيوت يخلو من نوافذ مزخرفة وشرفات (بلكونات) وأفاريز وهلم جرا . ويظهر أن القوم كانوا يعرفون سر بناء القناطر والاقبية . وتدل هندسة ابنيتهم ومعابدهم على ذوق سليم وفن لا تشوبه شائبة



سير العلوم والفنون



غواصة لشخص واحد

اخترع مهندس امريكي يدعى جيمس بولار من أهالي أوكلاند غواصة صغيرة لا تتسع الا لشخص واحد وقد جربها بنجاح وغاص بها الى عمق ١٥ قدماً . وفوق هذا الكلام صورة الغواصة وقد أطل صاحبها من فتحتها العليا

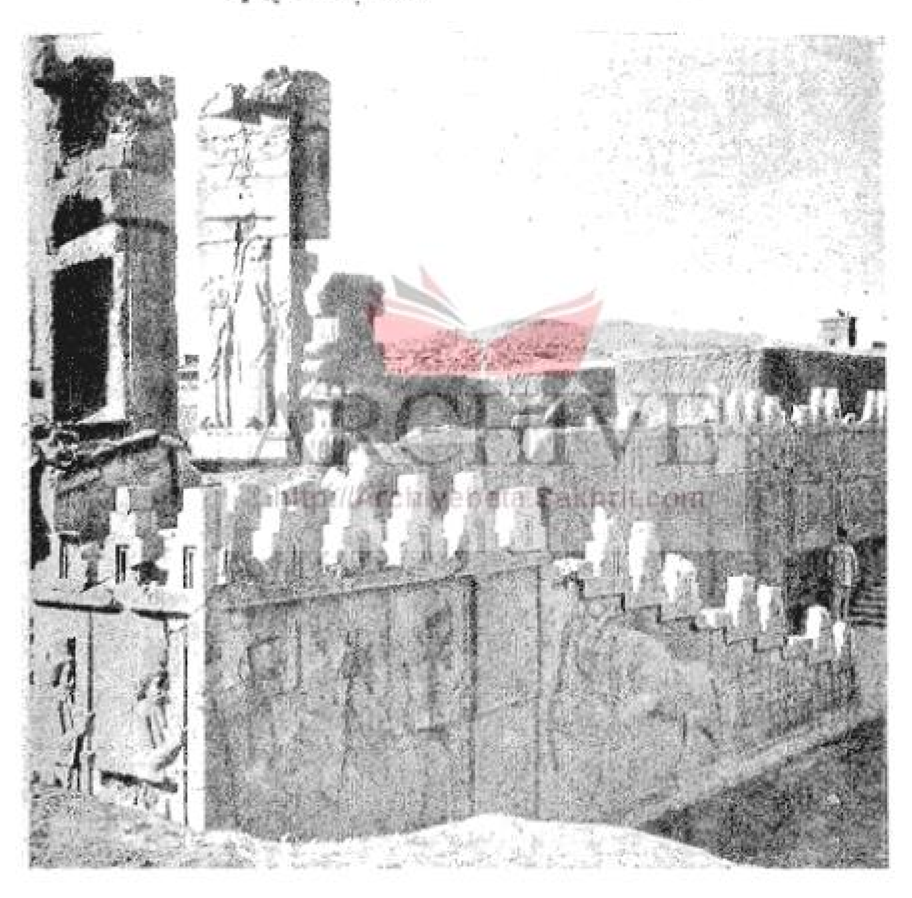


رغوة لاطفاء النيران

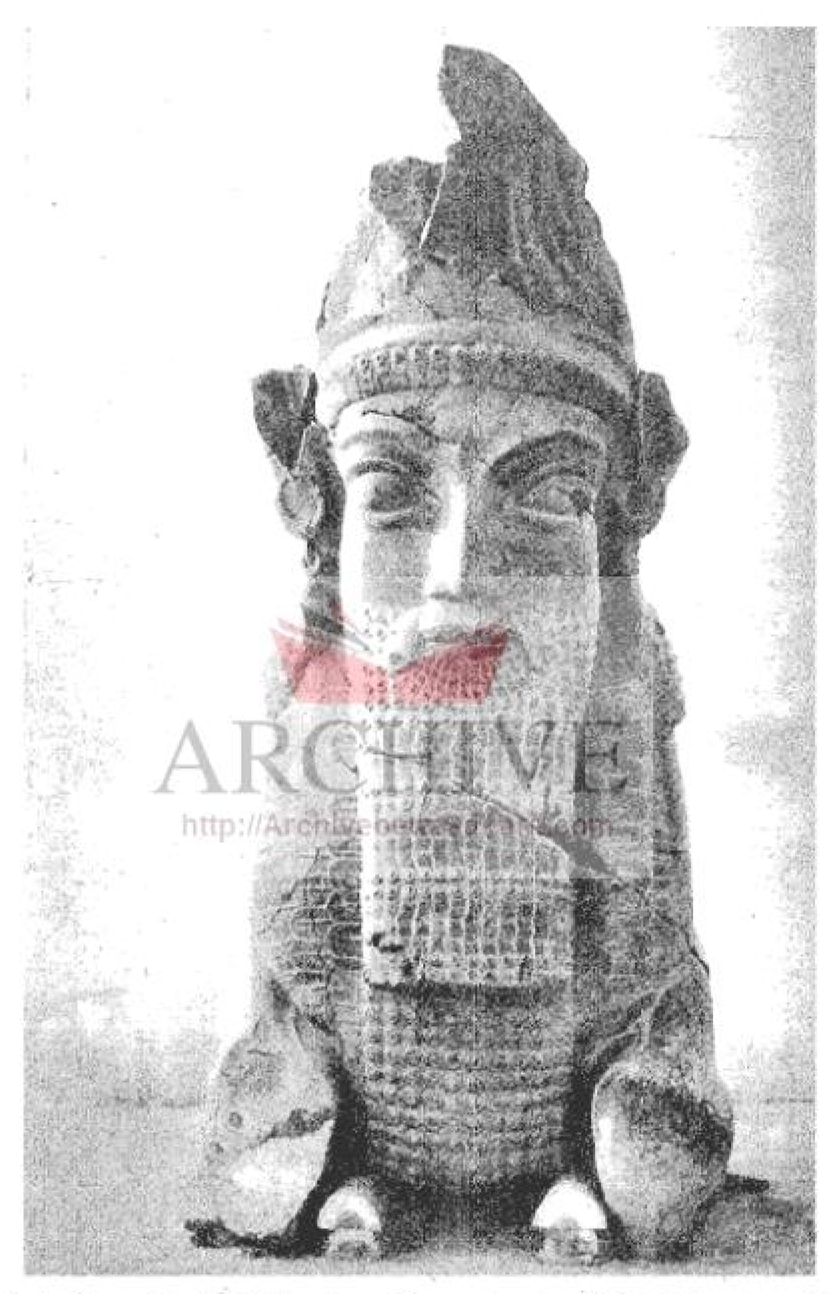
عرضت في لندن أخيراً وسيلة جديدة لمكافحة الحريق واطفاء النيران ، وهذه الوسيلة عبارة عن القاء رغوة على النار فتطفئها على عجل . وتتكون هذه الرغوة من مزيج ٩٠ ./. من هواء و٨ ./. من الماء مع كمية من مسحوق خاص . وترى في الصورة أحد رجال المطافىء وهو يكافح الحريق بواسطة هذه الرغوة

آثار عجيبة في برسيبوليس عاصمة الفرس القديمة

تقوم بعثة اميركية بالكشف عن الآثار الفارسية القديمة في أنحاء مدينة برسيبوليس عاصمة الفرس القديمة ، وهي تابعة لمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاجو ، ويشرف عليها البروفسور ارنست هيرزفيلد . وقد عثرت هذه البعثة على آثار طريفة ترجع الى عهد سحيق والى أيام اسكندر الاكبر . وقد نشرنا على هاتين الصفحتين صورتين لبعض ما اكتشفته هذه البعثة الاميركية



صورة درجات سلم قديم اكتشف في برسيبوليس . وكان هذا السلم يفضي الى القصور الخاصة باقامة الملوك . وقد ظهرت فوق السلم نقوش بارزة تعتبر من اعظم وأدق ما قام به الفنانون في العصور الماضية . ومن بين هذه النقوش صورة أسد يهجم على ثور



تمثال ضخم يمثل ثوراً له رأس آدمي يعلوه تاج . وقد اكتشفته البعثة الاميركية في مدينة برسيبوليس عاصمة الفرس القديمة



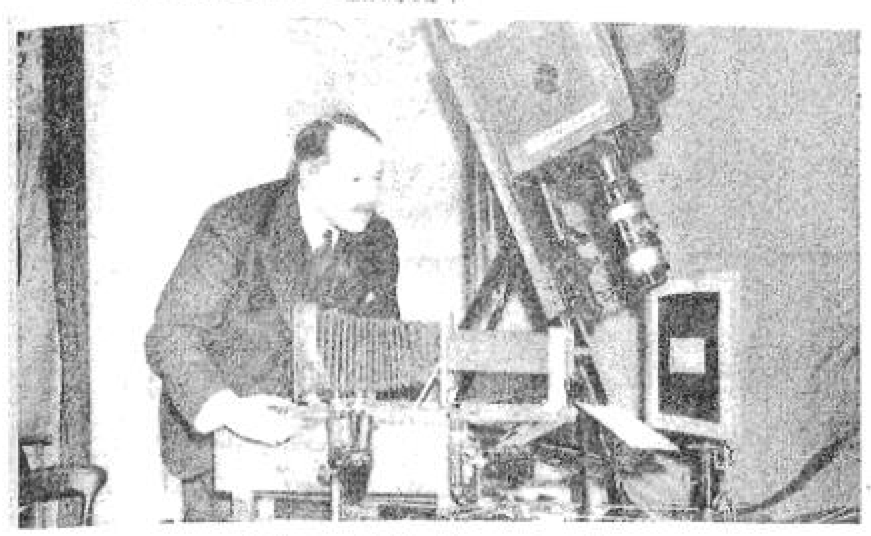
لمكافحة السرطان

هذه انبوبة لتوليد اشعة رونتجن (X) صنعت حديثاً في اميركا لمكافحة السرطان . وقوتها ٨٠٠٠٠٠ فولت وستستعمل في أحد المستشفيات بشيكاغو وهي أحدث وأقوى ما صنع من هذا القبيل



منطاد بلا غاز

كان من بين المعروضات في معرض المخترعين الأهلي الذي عقد أخيراً في اميركا ، الأنموذج المنشورة صورته فوق هذا الكلام ، وهو هيكل مصغر لمنطاد وضع تصميمه مهندس اميركي . ومن مزايا هذا المنطاد أنه لا يستعين بالغاز على الطيران بل يرتفع بقوة تمدد الهواء الساخن وتحكم اتجاهاته بواسطة سحب الهواء ايضاً ، ويهبط بطريقة آلية سهلة



آلة لكشف أوراق النقد الزائفة

اخترع انجليزي من الخبراء في كشف النقود الزائفة آلة فوتوغرافية يتصل بها جهاز لتوليد الاشعة فوق البنفسجية . فاذا أريد اختبار احدى أوراق النقد المشتبه فيها سلطت عليها أشعة الجهاز فتكشف عن أماكن التزوير إن كانت الورقة مزورة حقيقة . وترى المخترع في الصورة وهو يقوم بتجربة اختراعه



تليفون عجيب

اخترع مهندسان نمسويان جهازاً عجيباً يلحق بآلة التليفون. ومهمة هذا الجهاز أنه إذا طلب صاحبه لمحادثة تليفونية ولم يكن في داره فان هذا الجهاز يجيب ، فيذكر لطالبه الساعة التي يستطيع فيها أن يجده في داره . وترى في الصورة المخترعين وهما يجربان جهازهما

تقليد نور الشمس

اخترع احد الاميركيين مصباحا كهربائيا جديداً يشبه نوره نور الشمس تماما ، وهذا المصباح هو انبوب مملوء بغاز ثانى اوكسيد الكربون يمر فيه التيار الكهربائى فيتولد منه نور ساطع يشبه نور الشمس تماما فى جميع مزاياه إلا انه خال من الوهج فلا يؤذى النظر عند التحديق فيه ، والحرارة التى تتولد منه ضعيفة جداً

الاشعة التى فوق البنفسجية

يظهر من المباحث العلمية ان الاشعة التى فوق البنفسجية هى أكثر فى شمس الاصيل منها فى شمس الصباح ، وان نتائج المعالجة بالاشعة فى عصر النهار أفضل منها عند مطلع الشمس

زيت سمك السلمون

لايخفى أن زيت كبد الحوت هو من أفضل المواد التى يعالج بها مرض الكساح (ضعف العظام) ، وذلك بفضل مايحتويه ذلك الزيت من الفيتامين « د » . على ان التجارب التى قد قام بها الاطباء حديثاً تثبت ان زيت سمك السلمون (وهو من انواع السمك التى تأتينا محفوظة فى العلب) هو اغنى من زيت كبد الحوت بالفيتامين المذكور فهو اذن افضل من ذلك الزيت فى معالجة مرض الكساح

رطوبة الجو

يقول السر ليونيل هيل من كبار علماء الفسيولوجيا الانجليزيين : إن من صفات الجو المشبع بالرطوبة انه يمنع تمدد أنسجة الجسم ، حالة ان الجو الجاف الدافئ يلين تلك الانسجة ويمددها ويقوى الدورة الدموية . ولهذا يشعر المصاب بمرض الروماتزم بالآلام فى الجو المشبع بالرطوبة و بالراحة فى الجو الجاف الدفئ .

الفيتامين « ب ٢ » وفقر الدم

فى إحدى المجلات العلمية الفرنسية ان المباحث العلمية الاخيرة قد أثبتت ان نقص الفيتامين « ب ٢ » هو احد اسباب الانيميا او فقر الدم الكثير الانتشار فى المناطق الحارة . والفيتامين المذكور يوجد بكثرة فى اللحم واللبن والبيض والخميرة وقشور الرز ولهذا يجدر الاغتذاء بهذه المواد لمقاومة فقر الدم

الكلوروفيل والقوة

الكلوروفيل هو المادة الخضراء فى النباتات وقد أخذ العلماء الآن يدرسونها ليقفوا على العلاقة بينها وبين القوة المستمدة من نور الشمس . فقد جاء أحد العلماء الالمانيين بنظرية جديدة ملخصها أن مادة الكلوروفيل هى مصدر قوة النبات ومصدر تفاعل كيماوى يقع فيه

الحديد فى قلب الكرة الارضية

يقول الدكتور والى الاستاذ بجامعة هارفرد باميركا ان قشرة الكرة الارضية رقيقة جدا لا تزيد على اربعين ميلا (٦٤ كيلومترا) ، وان تحت هذه القشرة طبقة من المواد الصلبة تبلغ كثافتها نحو الف وثمانمائة ميل وهى أصلب

طبقات الارض وتكاد تكون أصلب من الفولاذ ، أما قلب الكرة الأرضية فحديد مصهور شديد الحرارة . ويعتقد الدكتور والى ان هذه النظرية تعلل كثيراً من الظواهر الطبيعية التى كان يصعب تعليلها حتى الآن مما لا يتسع هذا المجال لشرحه ، ولاسيما انخساف قشرة الارض وانبعاجها فى بعض الجهات وبروزها فى جهات أخرى

أشد المهن خطراً

لاشك ان أشد المهن خطراً هى مهنة ملء الانابيب (او الابر) الخاصة بالراديوم لاستعمالها فى المستشفيات . والذين يزاولون هذه المهنة يلبسون قفازات من الرصاص ويتخذون احتياطات دقيقة جداً لوقاية اجسامهم من اشعة الراديوم القوية . وهم يعملون ثلاثة أشهر وينقطعون عن العمل ثلاثة اشهر لأن استمرارهم فى العمل بلا انقطاع يوردهم الهلاك

ميكروب التيفوئيد وامواج النور

يؤخذ من عدة تجارب علمية قام بها الاطباء فى جهات مختلفة أن أمواج النور القصيرة تقتل ميكروب التيفوئيد . وقد أثبت الطبيبان فايان وجراهم الاميركيان ان اطلاق أشعة النور ذات الامواج القصيرة على ذلك الميكروب وعلى بعض انواع معينة من البكتريا يهلك الجراثيم ويلاشيها بالتدريج . ولذلك يسعى الاطباء الان لاختبار طريقة تعقيم الجو بأمواج الراديو القصيرة ولمعرفة تأثير تلك الامواج فى الوقاية من مرض التيفوئيد

القرمز الذهبي

يظهر من فحص بعض المواد التى وجدت فى مقبرة توت عنخ آمون ان سبب اللون القرمزى الذهبي الذى يعلو بعضها هو مزيج من أوكسيد الحديد والذهب . والارجح ان المصريين القدماء كانوا يمزجون هذين العنصرين ويطرقونهما بعد تعريض المزيج لحرارة شديدة . وقد قرأنا فى احدى المجلات العلمية ان أحد العلماء الاميركيين تمكن من تقليد اللون المصرى القديم وارسل أنموذجا منه الى متحف الآثار المصرى بالقاهرة

الفراش وقوة البصر

كلما تقدم الانسان فى الحضارة ضعفت حواسه الخمس ولا سيما حاسة البصر . وسبب هذا التضاؤل هو ان الحيوانات تعتمد على الحواس الخمس لادراك الاشياء ، حالة ان الانسان يعتمد عليها وعلى قوة عقله أيضا . ويظهر من تجارب علمية دقيقة قام بها بعض الالمان ان جميع انواع الفراش تبصر الأشعة التى فوق البنفسجية مع ان الانسان لايبصرها ولعل هذه الحاسة الدقيقة فيها هى القوة التى تهديها من مكان الى مكان

اكتشاف لقاح للسعال الديكي

لا يخفى ان مرض السعال الديكى الذى يصيب الاطفال عادة هو من الامراض الفتاكة . ومع ان بعض الاطباء يستعملون فى علاجه أنواعاً من اللقاح فليس بين تلك الانواع لقاح

يصح أن يوصف بانه علاج ناجع للسعال الديكى

إلا ان الدكتور لويس ساور Dr. Louis Saur أحد أطباء مدينة ايفانستون باميركا القى منذ عهد قريب محاضرة فى المجمع الطبى الاميركى اشار بها الى لقاح جديد للسعال الديكى يظهر أنه دواء ناجع ، فقد جرب فى نحو ثلثمائة طفل ثم عرضوا الى هذا الداء فلم يصابوا به . وتقول «رسالة الأخبار العلمية» الاميركية التى نقلنا عنها هذا الخبر (الجزء الصادر منها فى ١١ فبراير الماضى) ان هذا اللقاح مصنوع من أجسام عضوية ميكرسكوبية تسمى هيموفيلوس برتوسيس ، ويظن أنها الجراثيم التى تسبب مرض السعال الديكى

عصر الالومينوم

يسمى هذا العصر عصر الحديد لأن هذا المعدن هو قوام المدنية الحاضرة ، ولا بد منه إذا أريد أن يظل العمران سائراً الى الأمام . على ان مباحث الاخصائيين تدل على ان الحديد الموجود فى مناجم العالم لا يمكن أن يدوم الى الأبد ، بل لا بد أن يجىء يوم - مهما يكن بعيداً - تنضب فيه مناجمه . ولذلك أخذ العلماء يتطلعون من الآن الى معدن يحل محل الحديد . ويظهر ان الاجماع يكاد يكون تاماً على أن موارد الالومينوم هى من أغنى الموارد المعدنية فى العالم وفى الامكان احلال الالومينوم محل الحديد فى كل شىء . وفى الواقع ان جميع القرائن تدل على ان المعدن الخفيف سيحل محل ذلك المعدن القديم ويصبح قوام العمران فى المستقبل ولا سيما اذا اهتدى العلماء الى طريقة لتقوية الالومينوم وجعله متينا كالصلب على نطاق واسع كمعدن «الدورالومينوم» الذى يصنع الآن بكميات قليلة لا تفى بحاجات العمران

نيزك قديم

فى الهضاب الواقعة فى الجزء الشمالى من ولاية اريزونا (من الولايات المتحدة) حفرة هائلة يعتقد علماء الجيولوجيا أنها نشأت من وقوع نيزك عظيم فى تلك الجهات ، وكان هؤلاء العلماء يقولون ان ذلك الحادث وقع منذ ألفى سنة على أقل تقدير وعشرة آلاف سنة على أكبر تقدير . الا أن جمهوراً آخر من العلماء قد فحصوا الآن تلك الحفرة مرة أخرى فأجمعوا على أن النيزك وقع هنالك منذ أربعين الف سنة الى خمسة وسبعين الف سنة وهذا التقدير الجديد مبنى على مقدمات ودلائل علمية لا يتسع هذا المجال لشرحها

قتل الاعشاب المؤذية

يستعمل الفلاحون الفرنسيون الآن محلول حامض الكبريتيك لقتل الاعشاب المؤذية التى تنمو فى حقول القمح ، وذلك بان ترش تلك الحقول بمحلول مخفف من المادة المذكورة يحتوى على كمية تختلف من ٨ الى ١٤ فى المائة من المادة الكبريتية . ويظهر أن هذا المحلول لا يقتل تلك الاعشاب فقط بل ينفع التربة أيضا ويجعلها أكثر ملاءمة لنمو سنابل القمح.

لمقاومة الطيارات

فى احدى المجلات العلمية أن وزارة الطيران البريطانية تقوم الآن باختبار نوع من الاشعة اذا اديرت نحو طيارة فى الجو أعمت الطيار وجميع ركاب الطيارة عن رؤية ماحولهم بحيث لا يستطيعون قذف القنابل ولا الاهتداء فى طريقهم . ويظهر أن هذه الأشعة تطلق من مصباح خاص فتخترق سحب الغيوم والضباب بحيث لا تستطيع أية طيارة أن تتوارى عن الابصار

وتختبر وزارة الطيران المذكورة أيضا نوعاً من الألوان الصناعية اذا طليت به الطيارة أصبحت لاترى بالعين المجردة ولا بالمنظار ، ويظهر أن اختبار الطلاء المذكور قدأسفر عن نتيجة مدهشة

قلب الدجاجة بعد موتها

الدكتور الكسيس كارل رئيس معهد روكفلر بمدينة نيويورك هو من أعظم علماء العالم ، وله تجارب مدهشة فى ارجاع الحياة بعد الموت ، ومن جملة تلك التجارب أنه منذ واحد وعشرين عاما أخذقلب دجاجة وحفظه فى انبوب ووضع هذا الانبوب فى معهد روكفلر المذكور . وبتغذيته تغذية صناعية تمكن من الاحتفاظ بهذا القلب حياً ، ولا يزال كذلك حتى الآن . ويعتقد الدكتوركارل أن فى الامكان الاحتفاظ به كذلك الى الابد لو أمكن الاحتفاظ بتغذيته باستمرار . وكان يمكن الاحتفاظ بدماغ الانسان أيضا وبجهازه العصبي لو كان ثمة سبيل الى تغذيتهما

طريقة جديدة لمكافحة الملاريا

لايخفى أن بعوض الملاريا منتشر فى بعض اصقاع العالم انتشاراً هائلا ، وفى مقدمة طرق مكافحته تجفيف المستنقعات التى يكثر فيها ونضح البرك التى يضع بيضه فيها بالبترول . ولكن يظهر الآن أن هنالك طريقة أوفق بهذا الغرض وهى «مصيدة كهربائية ذات مروحة » شافطة » اذا وضعت حيث يكثر البعوض » شفطته » الى داخل المصيدة حيث تصعقه امواج الكهربائية فتكدس اشلاؤه بمئات الالوف داخل المصيدة

تقوية الصلب

يظهر أن الصلب المستعمل فى فن البناء تزيد قوته ٧٥ فى المائة اذا احيطت قضبان الصلب بالطوب أو الاسمنت . ويقول المهندسون الاخصائيون فى بناء ناطحات السحاب ان القضيب المصنوع من الصلب يستطيع أن يحمل من الثقل والضغط وهو ملبس بالاسمنت مالا يستطيع حمله وهو عار . وسيكون لهذا الاكتشاف أثر عظيم فى صناعة البناء

حبر سرى

كان الاسرى الالمانيون فى زمن الحرب يستعملون حبراً سرياً فى مكاتباتهم ، فكانوا يكتبون ماريدون كتابته من الاسرار بهذا الحبر على ورق اعتيادى فلا ترى الكتابة ثم يكتبون فوق هذه الكتابة وعلى الورقة عينها بالحبر الاعتيادى أموراً تافهة لا قيمة لها ، فاذا قرأها الرقيب أجاز الرسالة ، فاذا وصلت الى

يد الالمانيين فى المانيا عرضوها للاشعة التى فوق البنفسجية فتظهر الكتابة الخفية فى الحال . أما الحبر السرى فكان اقراصا من الاسبرين اذا اذيبت فى الماء صارت حبراً لا تمكن رؤيته بالعين المجردة

ولم تكتشف هذه الحيلة اللطيفة إلا منذ عهد قريب

البرد والكهربائية

اذا تركت الاوتوموبيل مكشوفاً فى الليل ومعرضاً لجو تبلغ درجته الصفر فقدت البطارية الكهربائية التى فى الاوتوموبيل ٣٥ فى المائة من قوتها

انابيب للأشعة من المقوى

تصنع الآن أنابيب أشعة اكس من المقوى ، وقد ظهر ان هذه الانابيب تستطيع احتمال قوة هائلة من الكهربائية لا تستطيع الانابيب الزجاجية احتمالها . فالانابيب الزجاجية لا تستطيع احتمال قوة تزيد على اربعمائة الف فولت ، والمظنون ان انابيب المقوى تستطيع احتمال عشرة ملايين فولت

السكر من الخشب

انشئت فى اسوج شركة لاستخراج السكر من الخشب ، ويقدرون ان فى الامكان استخراج مليون طن فى العام سيصدر نحو ستمائة وستين الف طن منه لتكريره فى انجلترا والدنمرك . ويقال ان لدى هذه الشركة طريقة سرية يمكن بواسطتها استخراج ستين رطلا من السكر الخام من مائة رطل من الخشب ويمكن استعمال هذا السكر لتقطير الكحول ولاغراض أخرى فاذا أريد استعماله للاغراض الاعتيادية وجب تكريره

لوقاية الماء

يمكن وقاية ماء الشرب وحفظه نقياً بواسطة البطارية الكهربائية المعروفة بالخلية الكهربائية الفوتوغرافية ، فان هذه البطارية تتحكم فى كمية مادة الكلورين التى تطلق على الماء لقتل الجراثيم التى قد توجد فيه . وهى تعلم بطريقة أوتوماتيكية الكمية اللازمة من الكلورين للماء فى كل حالة من حالاته

الجزائر العشبية

فى البحر اعشاب تفرز مادة خاصة تختثر وتتحجر بمرور الزمن فتنشأ منها جزائر فى وسط الماء شبيهة بالجزائر المرجانية ، ويظهر أن بعض تلك الاعشاب تنشىء الجزائر بأسرع من الحيوانات التى تنشىء المرجان

قطن لا يحترق

ذكرت مجلة « بوبيولار ميكانكس » فى جزئها الصادر فى هذا الشهر أن بعضهم قد اكتشف طريقة لصنع منسوجات قطنية غير قابلة للاحتراق . وتقول هذه المجلة ان فى الامكان صنع منسوجات كثيرة من هذا النوع ولا سيما ماقد يكون معرضا منها للحريق كالمنسوجات التى تستعمل للملابس ولصناعة الخيام والمظلات (التندات) وما اشبه

شؤون الدار

ازالة بقع الحبر والفاكهة وغيرها

يمكن ازالة هذه البقع من الاوراق أو المنسوجات بواسطة مادة تباع اليوم فى اميركا رزماً صغيرة ، وقد ثبتت فائدتها ثبوتاً قاطعاً . وأساسها على ما يظهر حامض الاوكساليك وروح النشادر ، ولكن استعمالها لا يخلو من الخطر ومن العوامل التى تسبب الانزعاج

تدفئة المنازل وتبريدها

يميل الانسان فى فصل الشتاء الى تدفئة جو بيته كما يميل فى الصيف الى تبريد ذلك الجو على ان التطرف فى التدفئة أو التبريد مضر بالصحة إذ يجب دائماً مراعاة درجة الجو التى تلائم الجسم . وقد شاع اليوم فى بعض مدن الولايات المتحدة استعمال جهاز خاص لتدفئة الجو فى الشتاء وتبريده فى الصيف . وهذا الجهاز يشتغل بالكهربائية ولا يستهلك على ما يقال الا القليل من التيار الكهربائى

لفحص البيض

شاع فى اميركا استعمال جهاز خاص بفحص البيض يسمى « اجو سكوب » ويمكن بواسطته مشاهدة مافى داخل البيضة ومعرفة عمرها وهل هى طازجة أم قديمة . وهذا الجهاز أشبه بآلة اكس التى تخترق المواد المعدنية وتبصر ما وراءها

ولا تزال الطريقة الدارجة عندنا لفحص البيض وضعه فى ماء ملح ، فاذا رسب كان طازجاً واذا طفا كان قديماً لان الهواء الذى يكون محبوساً داخله يجعله يطفو قليلا

ويمكن حفظ البيض من الفساد بدهن قشرته بالزيت لمنع تسرب الهواء الى داخله ، ثم يطمر فى النخالة ليضمن عدم اختراق الهواء لقشرته

تقوية الحرير

إذا غطست المنسوجات الحريرية أربع مرات أو خمساً فى محلول كلوريد القصدير وفوسفات الصوديوم أصبح الحرير متيناً جداً يصعب تقطيعه ولا يمكن أن يبلى سريعاً

ازالة ورق الجدران

كثيراً ما يراد نزع ورق الزخرفة عن جدران الغرف فيسبب ذلك عناء غير يسير ، فافضل طريقة هي أن تبله بللا جيداً ثم تطلق عليه ناراً من « بوتقة » أومن موقد غاز فتستطيع إذ ذاك نزع الورق بلا عناء . ويفضل استعمال الماء الساخن ولا سيما الماء المغلى ، وذلك بان تغطس فيه قطعة من الاسفنج وتدعك بها الجدار دعكا كثيراً فيسهل نزع الورق عنه

تجميد اللبن

اخترع أحد الروسيين طريقة لتجميد اللبن بتبريده ، فيبدو اللبن المتجمد كانه قطعة من ثلج . وهــذه الطريقة تحفظه من الفساد ، وقد شرع تجار اللبن فى الهند فى استعمال هذه الطريقة التى ظهر ان من فوائدها سهولة ارسال اللبن من مكان الى آخر مع حفظه من الفساد

والمعروف ان اللبن المغلى مرتين أو ثلاثاً يمكن حفظه من الفساد أكثر من اللبن الذى يغلى مرة واحدة فقط . وعلى كل يجب وضعه فى وعاء معقم والا تطرق اليه الفساد ولو كان مغلى مراراً

ومن أحسن الآنيــة لحفظ اللبن زجاجات مصنوعة من مادة السليولوز . وهذه الزجاجات لا تكسر ولو سقطت من اليد . ومن السهل جداً غسلهــا وتنظيفها ومعظم معامل اللبن فى امريكا تستعملها ، وهي ارخص ثمناً من الزجاجات الاعتيادية

ثياب لا يخترقها المطر

كثيراً ما يضطر الاولاد الى قضاء جانب من وقتهم فى الخارج اما فى اللعب أو النزهة . وهم بذلك معرضون دائماً للمطر والبرد . وقد وفق قسم النسيج بوزارة الزراعة بالولايات المتحدة الى صنع نوع من نسيج القطن لا يخترقه المطر ولا البرد . والمظنون ان هذا النسيج سيشيع فى صناعة ثياب الاولاد لوقايتهم

وعلى ذكر هــذا نقول ان معظم حوادث التهاب الرئة التى تصيب الأطفال تنشأ عن تعرضهم للبرد والمطر فى اثناء اللعب ، فاذا تسنى لهم لبس ثياب تقيهم المطر والبرد سهلت وقايتهم من النزلات الشعبية ومن مرض التهاب الرئة

طبخ البقول

تدل التجارب على ان طبخ البقول المحفوظة فى « الثلاجات » أو فى الاماكن الباردة يستغرق أقل من الوقت الذى يستغرقه طبخ تلك البقول اذا لم تكن « مثلجة » ، كما ان طعم الاولى مستطاب أكثر من طعم الثانية

تنظيف اليدين

اذا استعملت الصابون والخل (بدلا من الصابون والماء) لغسل يديك أمكنك أن تنظفهما من جميع البقع والاوساخ العالقة بهما ، ولازالة الرائحة التى قد تعلق بيديك من الخل اغسلهما مرة أخرى بالماء والصابون

غسل آنية الصيني

كثيراً ماتعلق بعض البقع بالفناجين وغيرها من آنية الصيني بسبب الشاى والقهوة ، فخير طريقة لتنظيف هــذه الانية واعادتها الى لونها الاصلى أن تدعكها بقطعة من النسيج مغموسة بملح الطعام

تنظيف الثياب من الوحل

لتنظيف الثياب من الوحل الذى قد ينشف عليها امسحها بفرشاة اعتيادية بشرط امرار الفرشاة بموازاة السدى لا بموازاة اللحمة

العناية بالمريض

ليست العناية بالمريض من الهنات الهينات ، وقلما تجد بين الامهات من تحسن تمريض ولدها طبقاً لمقتضيات الشروط الطبية . لذلك رأينا ان ننشر هنا بعض الارشادات الأولية التي يجب اتباعها لخير العليل

الحرارة والنبض والتنفس

تختلف درجة حرارة الجسم الطبيعية من ٣٦٠٨ الى ٣٧٠٢ بمقياس سنتجراد ، ويمكن اعتبار الدرجة ٣٧ سنتجراد (اى ٩٨٠٦ فهرنيت) حرارة طبيعية ، واذا بلغت الدرجة ٣٩ سنتجراد (١٠١) فهرنيت وجب استدعاء الطبيب

اما النبض الطبيعي فيختلف باختلاف السن . فهو من ٧٢ الى ٨٠ فى البالغين ومن ١٠٥ الى ١٢٠ فى الاولاد الصغار

ويختلف التنفس ايضاً باختلاف السن ويبلغ فى الحالات الطبيعية نحو ١٨ نفساً فى الدقيقة

غرفة العليل

ومن أهم ما تجب العناية به غرفة العليل ، والافضل ان تكون ذات عدة نوافذ لكي تسهل تهويتها ولتدخلها اشعة الشمس من وقت إلى آخر . ويجب ان تكون نظيفة وخالية من الاثاث على قدر الامكان وان يكون اللون السائد فيها الابيض او الاخضر او غيرهما من الالوان المفرحة

ويجب ان يكون السرير عالياً غير عريض لكي يتسنى للطبيب والممرضة القيام بالاعمال اللازمة للمريض من غسل جسمه وتغيير ثيابه وهلم جرا

العناية بالعليل

ويجب ان تكون ثياب العليل دائماً نظيفة . وان تراقب حالة امعائه وافرازه للبول . واذا طال رقاده على السرير يجب دهن ظهره بانواع خاصة من « الكريم » لمنع حدوث قروح وتشقق فى الجلد . ويجب ان يكون الفراش وثيراً ناعما . واذا كان الجو بارداً توضع زجاجة ماء ساخن فى السرير بشرط لف الزجاجة بقطعة من النسيج او الفلانلا لمنع احتراق الجسم

ويجب تغيير « ملايات » السرير كل يوم . وتمشيط شعر العليل وتنظيف يديه واسنانه وتقليم اظافره كلما طالت ، وتغيير ثيابه

الغذاء

أما الغذاء فيجب ان يترك للطبيب المعالج . وعلى كل حال يستحسن ان يكون الغذاء سائلا كاللبن الحليب أو عصير البرتقال أو مرق اللحم أو مرق الفراخ . الا فى الحالات التي يكون المرض فيها بسيطاً فيمكن اعطاء العليل قليلا من « البيض برشت » أو السمك المسلوق أو صدر الفرخة أو ما الى ذلك من المواد التي يسهل هضمها

من وجه عام

ومن وجه عام يجب العناية براحة العليل وبدرجة حرارته ونبضه وغذائه وتهوية غرفته . وابلاغ الطبيب المعالج كل تبدل او انقلاب يطرأ على درجة حرارته أو نبضه أو تنفسه أو نشاطه

في عالم الادب

حافظ وشوقي

للدكتور طه حسين

(طبع بمطبعة الاعتماد بمصر .
صفحاته ٢٢٤ من الحجم المتوسط)

اصـدر الدكتور طه حسين هذا الكتاب وهو يحوي طائفة من بحوثه الشائقة عن حافظ وشوقي وعن بعض النواحي الاخرى التي تتعلق بالشعر والشعراء واعلام النهضة الادبية الحديثة في الشرق والغرب مما له صلة بهذين الشاعرين الكبيرين

وقد سبق له أن نشر جانباً من هـذه البحوث في « الهلال » وفي بعض الصحف الاخرى ، واذا كان بعض القراء قد اطلع في مناسبات مختلفة على هـذه البحوث فمن حق الطائفة الاخرى أن تطلع عليها ، بل من حق هذه البحوث أن تذاع وتنشر بين سائر الادباء ومحبي الادب الحديث لانهـا من النوع الخصب المفيد ، ولانها نتاج قريحة ناضجة وثمرة ذكاء نادر واطلاع واسع

وجدير بهذه البحوث أن تكون في مقدمة ما يحرص عليه عشاق الادب العربي . لا لان مؤلفه عميد في الادب وفنان نابغة ، ولا لانه أديب عبقري فحسب ، بل لانه مع ذلك كله نقاد خبير ، جريء في الحق لا يبالي الا بارضاء الفن قبل اي شيء آخر . واذا هاجم ففي عفة وأدب وبراعة ينال بها مايريد دون ان يجرح ويسيل الدماء . واذا كانت مواهب الدكتور طه حسين قد نالت كل اعجاب ، فانا نظن ان هذه الموهبة التي ظهرت في كتاباته النقدية لم تستوف حقها من الاعجاب ، وهي تذكرنا بموهبة بعض الادباء القدماء في هذا الباب . وتستطيع ان ترى ذلك واضحاً حين تقرأ كل نقد يوجه لحافظ أو لشوقي في هذا الكتاب . قال بصدد كتاب البؤساء الذي ترجمه حافظ :

« ولحافظ في نفسي هاتان المكانتان (مكانته الادبية العالية ، ومكانة الصديق من نفسه) فأنا متهم حين اثني عليه ومكره لنفسي حين انقده . ومع ذلك فمن حق كتابه على الثناء والاعجاب فلست تقرأ في كتاب من هذه الكتب التي تصدر في هذه الايام اسلوباً أمتن ولا تركيباً ارصن ولا لفظاً أحسن اختياراً واشد ملاءمة لمعناه واستقراراً في نصابه مما تقرأ في هذا الجزء من كتاب البؤساء

« ليس في ذلك شيء من الاسراف أو الغلو بل هو دون ما أريد أن أقول . وماذا تريد أن تقول في كتاب ظهر في هذه السنة ، ولهذا الجيل فاذا قرأته استيقنت انه لم يكتب في هذه السنة ولا لهذا الجيل . . !! »

ذكرى حافظ

تأليف مصطفى بك الدمياطى

(طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة ،
صفحاته ٩٠ من الحجم الكبير)

« القصيدة العمرية » من أشهر قصائد حافظ وابلغها . وهي تتضمن سيرة عمر بن الخطاب ومناقبه وما حدث فى حياته من الحوادث الرائعة وقد بلغت هذه القصيدة مائة وسبعة وثمانين بيتاً وليس أحد من قراء العربية لم يسمع بها فقد صاغها حافظ فى لغة صحيحة ومعان دقيقة ونظم وقائعها فى قصص حسن تغلب فيه الروح الشاعرة على سياق القصة مما جعلها فى اعلى منازل الشعر القصصى

وقد رأى صديقه مصطفى بك الدمياطى قياماً بواجب الوفاء لصديقه أن يقوم بشرح هذه القصيدة تخليداً لذكراه . فشرحها بيتاً بيتاً فى لغة فصيحة وتحقيق دقيق وقد اعتمد على أصح المصادر فى سيرة عمر بن الخطاب وقدم لها مقدمة طريفة ثم تلاها باثبات القصيدة كلها . وبعد ذلك أخذ يشرح منها بيتاً بيتاً فكانت فى اختيارها وضبطها وشرحها وتحقيقها وتنسيقها مما يستحق عليه شارحها التقدير

جلفر في بلاد الاقزام والعمالقة

لمؤلفه جوناتان سويفت

ترجمة الاستاذ كامل كيلانى

طبع بمطبعة المعارف بمصر
صفحاته ٢٢٠ من الحجم المتوسط)

ما زال الكاتب الاديب الأستاذ كامل كيلانى مجداً فى خدمة الناشئة العربية بتأليف المؤلفات النافعة وترجمة المفيد من الكتب . وقد أخذ منذ مدة يصدر قصصاً ممتعة ويؤلف من هذه القصص مكتبة للاطفال تكون معواناً لهم فى التربية والتهذيب وفى تمرين أذهانهم وملكاتهم على المطالعة والانشاء . وقد أصدر منها الى الآن عدداً غير قليل ناهجاً فى تأليفها واصدارها ترتيباً تصاعديا فبدأ بالقصص الملائمة لصغار الاطفال ثم لما يليهم وهكذا

وقصة (جلفر) هذه هى من أشهر القصص وأفيدها للاطفال ، لانها توسع خيالهم وتستفز فيهم غريزة حب الاطلاع ، وتحفزهم الى المغامرة والسياحة لمشاهدة ما فى مجاهل المعمورة من غرائب . وقد ألفها (جوناتان سويفت) بعد ماقام بعدة رحلات ، وهي احدى مؤلفاته التى خلدت اسمه ، فوصف فيها على لسان (جلفر) ما زعمه بلاد الاقزام والعمالقة ، وروى عدة وقائع مدهشة حدثت له فى بلاد لا يزيد طول أهلها عن ست أصابع ، وفى بلاد أخرى طول الواحد من أهلها كطول المئذنة ومسافة خطوته تسعة أمتار ، وصوته يشبه صوت الرعد

وسرد المؤلف ما حدث لجلفر من الحوادث التى تلفت النظر وتستثير الدهشة . وقد أجاد الاستاذ كامل كيلانى فى ترجمة هذا الكتاب ، وأهدى الى ناشئة اللغة العربية قصة من أمتع القصص وألذها وصاغها فى أسلوب عربى سلس يغرى القارىء ، وزانها بعدة صور توضيحية جميلة . واسمعه يترجم عن المؤلف ويكتب بقلم فصيح فيقول محدثاً عن (جلفر) بعد ما حمله

الاقزام على عربة طولها سبع أقدام وعرضها أربع أقدام وارتفاعها ثلاث أصابع ولها اثنتان وعشرون عجلة ، وقد اشترك في صنعها خمسة آلاف نجار ومهندس ، وحملوه عليها إلى مدينة «الامبراطور» يجرها الف وخمسمائة جواد (من الاقزام طبعاً) :

«وما زالت العربة سائرة نحو أربع ساعات ثم استيقظت فجأة لوقوع حادث عجيب ، فقد وقفت العربة في الطريق ريثما يتم اصلاح عطب يسير أصاب أحد أجزائها . ولم تكد العربة تقف حتى دفع الفضول ثلاثة من الاقزام الى التمتع برؤية جسمي ووجهي ، فتقدم أحدهم الى أنفي وكان ضابطاً جريئاً طلعة يميل الى الدعابة والمزاح . وكأنما أراد أن يفحصني ويقف على تركيب جسمي الضخم العجيب . وما كان يصل الى أنفي ويرى طاقتيه حتى خيل اليه انهما كهفان ، فدفعه فضوله الى سبر غورهما ، فوضع في احداهما رمحه الصغير وما كدت أحس وخزة رمحه في أنفي حتى عطست ، فتقاذف من أنفي رشاش خيل اليه أنه رصاص ، فانقلب على ظهره من شدة الذعر ، وعاد أدراجه هو ورفيقاه وهم يرتجفون من شدة الخوف» ! !

الفتيات المرشدات

لكبيرة المرشدات الآنسة منيرة صبري
(طبع على نفقة وزارة المعارف العمومية . صفحات الجزء الاول ١٤٤ والثاني ١٥٦ من الحجم المتوسط)

في أواخر سنة ١٩٢٩ اتخذت مراقبة التربية البدنية بمصر العدة لنشر حركة المرشدات بين الفتيات المصريات ، فابتدأت أولا باعداد قائدات الفرق ثم انشأت الفرق الاولى للمرشدات في بعض مدارس البنات بالقاهرة في مارس سنة ١٩٣٠ . ومن ذلك الحين أقبلت الفتيات على الانتظام في سلك هذه الحركة اقبالا عظيما حتى بلغ عددهن في تلك المدة الوجيزة ما يقرب من الفين بخلاف (الزهرات)

وحركة المرشدات من أحسن الوسائل لتربية الفتاة الحديثة تربية صالحة تهيئها للحياة العملية الصحيحة ، وتساعد الآباء والامهات في اعداد بناتهم اعداداً نافعاً لهن ولقومهن وللمجتمع الانساني . اذ الفتاة المرشدة يجب ان تأخذ على نفسها ميثاقا لا تحنث فيه وهو : اداء الواجب لله والملك والوطن ، ومساعدة الناس في جميع الظروف ، والعمل بقانون المرشدات . وأهم أغراض المرشدات الاساسية تكوين الاخلاق الصالحة وملكة الذكاء والصحة والتربية البدنية ، والمهارة في الحرف واظهار مواهب المرشد والعمل لتنميتها ، والخدمة العامة وخاصة ما يتعلق منها بالمنزل

وقد أخذت بهذه الحركة أغلب الامم الراقية وتأسس لها اتحاد دولي . ويسرنا ان تكون مصر قد أصبحت عضواً بهذا الاتحاد بفضل تلك الجهود الصادقة التي تقوم بها كبيرة المرشدات الآنسة منيرة صبري فقد برهنت بحق على أنها خير من اعتمدت عليه وزارة المعارف في تأسيس هذه الحركة ونشرها في مدارس الوزارة . وقد قامت الآنسة الفاضلة الى جانب جهودها بتأليف هذا الكتاب المفيد وهو أول كتاب ظهر باللغة

العربية لتهتدى به قائدات الفرق فى القيام بمهتهن وتستعين به المرشدات أنفسهن فى معرفة مايحتجن اليه .وهو مؤلف من جزأين يشتمل على كثير من الصور والرسوم . وقد نهجت فيه المؤلفة طريقة عملية مفيدة بحيث يسهل لكل مطلع عليه الاستفادة منه . وقد عنيت به وزارة المعارف المصرية فطبعته على نفقتها طبعاً أنيقاً

أهل الكهف

للاستاذ توفيق الحكيم

(طبعت بمطبعة مصر .
صفحاتها ١١٧ من الحجم الكبير)

طبع منها المؤلف عدداً محدوداً وزع معظمه على خاصة الكتاب والادباء وكبريات الصحف . والمجلات وهذه الرواية تدور حول فكرة مبتكرة هى فى لبابها القصة التى وردت فى القرآن الكريم . وقد اعتمد على تفسير البيضاوى فى مادتها التاريخية واشخاصها ... ولا يسعنا الا نحمد المؤلف هذا المجهود ونهنيء به الادب الحديث ، ذلك بأن طريقته فى تصوير الشخصيات وحبك المواقف وسرد الحوادث مما يشهد له بسعة الخيال واستقامة التحليل النفسانى . وعسى أن تمثل هذه الرواية كى يتذوق الجمهور فنها ، اذ المحك الوحيد للحكم على المسرحيات هو تمثيلها

الموجز الجغرافي التاريخى

تأليف الاستاذ فريد مسيحة فهمى

(طبع بمطبعة الاعتماد بمصر .
صفحاته ١٠٨ من الحجم الكبير)

توخى مؤلف هذا الكتاب أن يقدم لناشئة السنة الثانية الابتدائية موجزاً جغرافياً تاريخياً موافقاً لآخر منهج أقرته وزارة المعارف العمومية. وقد نهج فيه أحدث مبادىء التربية وأصول التدريس ، وعنى بتوضيحه بالاشكال الايضاحية والرسوم التخطيطية وصور المناظر الطبيعية التى طبع بعضها بالالوان لزيادة الايضاح

وقد الحق كل موضوع من موضوعات التاريخ بملخص يكون معواناً للتلامذة على المذاكرة والتحصيل ، وختم كل موضوع باسئلة عامة تركز المعلومات عند التلميذ وتقفه على مقدار تحصيله وحقيقة علمه . وعنى المؤلف بأن تكون لغة الكتاب سلسلة تناسب التلاميذ الذين وضع لهم هذا المنهج . ونحن نثنى على المؤلف لهذه الخدمة النافعة التى حفزته اليها غيرته على فائدة التعليم

أمير الشعراء بين العاطفة والتاريخ

جمع وترتيب الاستاذ محمد خورشيد

(طبع بمطبعة بيت المقدس .
صفحاته ٢٨٦ من الحجم المتوسط)

مجموعة قصائد ومقالات وبحوث مما كتبها أونظمها بعض الادباء فى شوقى بك . عنى بترتيبها الاستاذ محمد خورشيد استاذ اللغة العربية فى مدرسة النجاح الثانوية بنابلس (فلسطين) ومما هو جدير بالذكر ان الاستاذ المؤلف صدر كتابه ببحث ممتع . اردفه بسائر المقالات التى نشرت بالعدد الخاص الذى اصدرته مجلة « كل شىء » عن امير الشعراء عقب وفاته بأيام قليلة ... ثم بمقالات أخرى لا نستطيع ان نقول كما قال أنها خير ماقيل عن شوقى نظما ونثراً فى الاقطار العربية ... ونحن على كل حال نرى ان هذا الكتاب من جلة

وسائل تخليد امير الشعر العربي . فنرجو له الرواج

التائه – على الطور

تأليف الاستاذ ايليا الخوري ابو رزق

(نشرتهما مكتبة الصحافة العربية على نفقتها
صفحاتهما ٢٨٣ من الحجم المتوسط)

روايتان بقلم الاستاذ ايليا الخوري أبو رزق نشرتهما مكتبة الصحافة العربية في افريقيا الغربية لصاحبها ابرهيم تشام . . . وليس أبلغ في تقريظ هاتين التحفتين من قول المؤلف في مقدمة الرواية الثانية :

« أيها القارىء الكريم ! ! اليك مطامح الشاب الوثاب في رقيه الذاتي واستقلاله الفكري .
اليك مجالي الحب وما يحتوي من جلال وروعة .
اليك صورة من حياتنا وصفحة من ترهاتنا .
اليك آمالنا وآلامنا ، فضائلنا ونقائصنا . اليك هذا « العالم التائه » وسط الاضاليل . لا بل اليك ذلة الانسان للتقليد وتضليل العادات والخرافات . . »

ومما لا شك فيه أن هاتين الروايتين من المحاولات الجريئة في سبيل تأليف القصة العربية الصميمة . والاجدر بالادباء ألا يهملوا تتبع ما تخرجه المطابع من هذا القبيل . وأما الجمهور فسيجد في قصتي الاستاذ أبي رزق خير تسلية

كواكب في الفلك

للاستاذ توفيق وهبه

(طبع بمطبعة البصير بالاسكندرية .
صفحاته ١٣٩ من الحجم المتوسط)

هو مجموعة مقالات ادبية واجتماعية نشر بعضها في اشهر الصحف العربية ، وقد صدرت بقصيدة ممتعة نظمت بمناسبة زيارة جلالة ملك مصر لنفيشي مستشفيا بمياهها عام ١٩٢٧ . واسلوب المؤلف سهل مرسل يحتوي بعض الخطرات والبحوث التاريخية الى جانب البحوث الادبية والاجتماعية ، إلا انه في بعض المقالات يسير على نمط الشعر المنثور أو على طريقة الحكم والاراء الفلسفية المختصرة كما في مقالة (تحية مصر) ومقالة (كواكب في فلك) . وقد قال في هذه المقالة :

« اخلاق الناس متشابهة اساساً انما تختلف باختلاف الاحوال كمياه السواقي فانها تضعف وتقوى وتصفو وتعكر حسب المضايق التي تمر بها

« العين اليقظى هي التي ترى الاشياء غير المحسوسة

« إذا لم تستطع أن تصدق احداً فلا تصحبه » الى غير ذلك من الآراء والنظرات

كتاب الامراض المعدية

في الاقطار العربية

تأليف الدكتور حبيب صادر

(طبع بمطبعة صادر بيروت .
صفحاته ٢٧٢ من الحجم المتوسط)

بحث مؤلف هذا الكتاب عن الامراض واسبابها وطرق وقايتها وهي تختلف مع اختلاف الاقطار ، فالمرض الواحد يتفشى بين سكان قطر ما بطريقة تغاير الخطة التي يسير عليها في قطر آخر ، ومن المعلوم ان البحوث الاجنبية من حيث العدوى والاسباب والعلاج لايمكن الكثير

من الامراض تطبيقها الا على الشعوب العائشة فى بيئاتها

لهذا رأى الدكتور حبيب صادر ان يقوم بالبحث فى الامراض التى تنتاب البلاد العربية بكثرة ، كالحصبة والجدرى والحمى القرمزية والسعال الديكى وديدان الامعاء على انواعها المختلفة . وقد اهتم بمسألة الوقاية من الامراض السارية ، فوفاها حقها بحيث جاء هذا الكتاب من خير الكتب التى تساعد فى اتقاء الامراض فضلا عن انه يقف القارىء — سواء اكان طبيباً أم غير طبيب — على معلومات مفيدة عن هذه الامراض

الكتاب السنوي الثالث

للمجمع المصرى للثقافة العلمية

(طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر . صفحاته ٢١٤ من الحجم الكبير)

أصدر المجمع المصرى للثقافة العلمية كتابه السنوى الثالث وهو يحوى مجموعة المحاضرات التى القيت فى مؤتمر المجمع السنوى لسنة ١٩٣٢ وهى احدى عشرة محاضرة بينها خطبة رئيس المجمع الدكتور محمد شاهين باشا عن رسالة رجل الصحة الى العالم ، ثم تلوها محاضرة الدكتور على باشا ابراهيم عن التعليم الطبى فى مصر فى العهد الحديث ، ثم محاضرة الدكتور حسن بك صادق عن التفسير العلمى للمناظر الطبيعية ، وقد نشر الهلال هذه المحاضرة ، وغير ذلك من المحاضرات القيمة التى القاها نخبة من العلماء فى مصر

مطبوعات أخرى

☆ (سمير التلميذ) قصص مصورة وانشاء مطالعة للمدارس الابتدائية تأليف الاستاذ عبد اللطيف بدوى المدرس بالمدارس الابتدائية الاميرية . وهو الجزء الرابع للسنة الرابعة . طبع على نفقة المكتبة الاهلية الجديدة بمصر

☆ (مذكرات الجيولوجيا) للسنة الثالثة الثانوية . تأليف الاستاذ عزيز سلامة . يطلب من مكتبة الفجالة بمصر

☆ (الامراض الوبائية فى الدجاج والحمام) بقلم الدكتور زكى مرقص . وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . ويطلب من المؤلف وجميع المكاتب الشهيرة

☆ (الرياضة البدنية وابطالها) ترجمة حياة أبطال الرياضة فى سوريا ولبنان وشرح طرق تمرينهم والالعاب الرياضية وكل ذلك مع التوضيح بالصور والرسوم . تأليف الاستاذ عارف الحبال ، يطلب من المكاتب العمومية ومن مؤلفه ببيروت — المطيطبه

☆ (مجموع الادب فى فنون العرب) تأليف الشيخ ناصيف اليازجى — الطبعة التاسعة — طبع فى المطبعة الاميركانية ببيروت

☆ (العظة) تأليف جورجى افندى شرقى . رواية ذات خمسة فصول . طبعت بمطبعة الشعب بطنطا

☆ (الكوخ الهندى) تأليف برناردين ده ش بيير نقله الى العربية الاستاذ الياس أبو شبكة . يطلب من مكتبة صادر بيروت

بين الهلال وقرائه

البروتايين

(بيلوهوريزنتى - البرازيل) سعيد مراد

ما هو البروتايين ؟ وما هى المواد الغذائية التى يوجد فيها ؟

﴿ الهلال ﴾ المراد من البروتايين هو المواد اللحمية والدهنية التى توجد فى جميع اللحوم وفى بعض المواد النباتية كانواع الجوز المختلفة وهو غذاء لازم للانسان

الطب والحقوق والهندسة الميكانيكية

(بيلوهوريزنتى - البرازيل) ومنه

أى هذه العلوم أهم للانسان - الطب أم الحقوق أم الهندسة الميكانيكية ؟

﴿ الهلال ﴾ تصعب المفاضلة بين هذه العلوم لجميعها لازم للانسان لا غنى له عنها ، فالاول يعنى بصحة الانسان . والثانى بالعلاقات التى بين افراد البشر . والثالث بمقتضيات الحضارة . ولعل الطب كان ألزم للانسان فى أول عهده ، وكلما تنوعت العلاقات بين افراد الاجتماع بدت الحاجة الى الحقوق . ثم تقدمت الحضارة فصار لا غنى للانسان عن الهندسة الميكانيكية

التاريخ الميلادي

(كفر الدوار - مصر) محمد عبد الغفار

يقول المؤرخون ان كيت وكيت من الحوادث وقع عام كذا قبل الميلاد . فهل كانوا يعلمون ان ميلاد المسيح سيكون عام كذا حتى يؤرخوا الحوادث بالنسبة اليه ؟

﴿ الهلال ﴾ ان عبارة « قبل الميلاد » لم تستعمل إلا بعد الميلاد . وأما قبله فكان المؤرخون يستعملون تقاويم مختلفة . فكان اليونانيون مثلا يؤرخون الحوادث اعتباراً من دورات الالعاب الاولمبية عندهم . وكان الرومان يؤرخونها اعتبارا من بناء مدينة روما أو من حكم بعض قياصرتهم . فلما ولد المسيح صار المسيحيون يؤرخون الحوادث باعتبار وقوعها « قبل الميلاد » أو « بعد الميلاد »

أيام الاسبوع

(كفر الدوار - مصر) ومنه

فى أى عهد قسمت الاشهر الى أسابيع وسميت الايام : الاحد الاثنين الثلاثاء الخ ؟

﴿ الهلال ﴾ لايعلم بالتمام زمن تقسيم الوقت الى أسابيع أو دورات مؤلفة من سبعة أيام (وكلمة اسبوع مشتقة من سبعة) وقد ورد فى سفر التكوين من التوراة ان الله خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع . وسميت الايام المذكورة اليوم الاول واليوم الثانى واليوم الثالث وسمى الاخير يوم السبت أى يوم الراحة . وليس لتقسيم الزمن الى

اسابيع أيه علاقة بحركة الافلاك ، بخلاف تقسيمه الى أيام وأشهر . وتختلف أسماء ايام الاسبوع باختلاف اللغات ، وتسمى فى اللاتينية يوم الشمس ويوم القمر ويوم المريخ ويوم عطارد ويوم المشترى ويوم الزهرة ويوم زحل . ومن اسماء هذه الافلاك اشتق معظم الاوربيين اسماء أيام الاسبوع

اتجاه الكتابة عند الشرقيين والغربيين

(مزدا - إيوان) اسماعيل السويح

هل من سبب لاختلاف اتجاه الكتابة عند الشرقيين والغربيين ؟ فنحن العرب مثلا نكتب من اليمين الى اليسار والغربيون يكتبون من اليسار الى اليمين . فما سبب هذا الفرق ؟

(الهلال) ليس لذلك من سبب سوى العادة فبعض الشرقيين كالعرب وغيرهم يكتبون من اليمين الى اليسار . وبعضهم - كاليابان - يكتبون من اعلى الى اسفل . والافرنج يكتبون من اليسار الى اليمين . والغريب ان العرب يكتبون من اليمين الى اليسار الا الارقام فانهم يكتبونها بعكس ذلك . فيكتبون العدد الفاً وثلثمائة وخمسة وستين هكذا - ١٣٦٥ ولو راعوا ترتيب الكلام لكتبوا ذلك هكذا - ٦٥٣١ . على ان من العرب من يقرأ الرقم ١٣٦٥ هكذا : خمسة وستين وثلثمائة وألفاً . والمسألة كلها لا تخرج عن حد الاصطلاح

الفنون الجميلة

(جده - الحجاز) قارىء حجازى

ارجو ان ترشدونى الى بعض المؤلفات الانجليزية التى تبحث فى الفنون الجميلة

(الهلال) هذه المؤلفات كثيرة جداً ولعل « رسكن » (Ruskin) هو اعظم الانجليز الذين كتبوا فى هذا الموضوع ، ومعظم مؤلفاته تدور على هذا المحور فاطلبوها من اية مكتبة تبيع كتباً انجليزية . ونتصحكم ايضاً باقتناء كتاب Outline of Art تأليف سر وليام اوربن

تقدم الطب

(الكاظمية - العراق) عبد الجبار امين

هل تقدم الطب فى أى عصر من العصور الماضية كتقدمه فى هذا العصر ؟

(الهلال) لاشك ان الطب يسير فى هذا العصر بخطوات واسعة الى الامام وقد تقدم فيه أكثر مما تقدم فى أى عصر آخر . وارتقت الجراحة بعد الحرب ارتقاء لا نظير له . ويتوقع العارفون ان يواصل الطب ارتقاءه وان يتغلب على معظم الامراض المستعصية قبل انتهاء القرن الحاضر ، وفى مقدمتها السل والسرطان والحمى المخية الشوكية وغيرها

مجلة طبية

(بومباى - الهند) بدر الخالد

ما هى ارقى مجلة طبية تصدر باللغة الانجليزية ؟

(الهلال) اللانست (The Lancet) والمجلة الطبية البريطانية (The British

Medical Journal) وكلتاهما معروفة لدى باعة الكتب

علم الاشعة

(بومباى ـ الهند) ومنه

هل توجد مدارس خاصة لتدريس علم الاشعة كأشعة اكس وغيرها ؟

(الهلال) لا نعرف مدارس خاصة لتدريس هذا العلم ، ولكنا نعلم انه يدرس مع الطبيعة فى جميع المدارس العالية ويعنى به عناية خاصة فى مدارس الطب

مرض السرطان

(بومباى ـ الهند) ومنه

ما هى أهم اعراض السرطان ؟ وهل هذا المرض خاص بسن معلومة ؟

(الهلال) لا يكون هذا الداء فى أول أمره مصحوباً عادة بالالم ، وهذا أمر يدعو الى الاسف لانه يشجع المصاب على التهاون وعدم التماس العلاج . ومتى تقدم الداء ظهرت اورام خبيثة مؤلمة . والسرطان انواع مختلفة . والمعروف انه يصيب البالغين والكبار فى السن. ولكن هنالك حوادث شوهد فيها السرطان قبل سن العشرين على انها نادرة جداً لا يصح القياس عليها

العرب في العالم

(بومباى ـ الهند) ومنه

كم يبلغ عدد العرب ؟

(الهلال) نظنكم تقصدون بالعرب سكان بلاد العرب ، لا جميع الذين يتكلمون اللغة العربية ، فعددهم على ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية الاخيرة نحو سبعة ملايين منهم ثلاثة ملايين فى بلاد اليمن وعسير ومليون فى الحجاز ومليون فى عمان وحضرموت ومليونان فى نجد والحسا والصحراء

الكهربائية

(بغداد ـ العراق) توفيق طقطق

هل الكهربائية عنصر أم روح ؟

(الهلال) احدث النظريات فى الكهربائية هى انها قوام المادة أى ان عناصر المادة تتألف من جواهر فردية والجوهر الفرد يتألف من عدد من الايلكترونات او الومضات الكهربائية السلبية تدور حول نواة تدعى « بروتون » وهى الومضة الكهربائية الايجابية . والتيار الكهربائى هو مجموعة من ملايين الملايين من الايلكترونات التى تمر فى السلك المعدنى . ولا يخفى ان الايلكترونات تدور داخل الجوهر الفرد بسرعة تعادل تسعة اعشار سرعة النور (أى نحو ٤٠٠ ١٦٧ ميل فى الثانية)

مستقبل انجلترا

(بغداد ـ العراق) ومنه

هل تدل الحوادث العالمية الاخيرة على ان نجم انجلترا آخذ فى الافول ؟

(الهلال) قد تكون الدول كالافراد فى أطوار نموها فتنتقل من طور الطفولة الى طور الحداثة الى الكهولة الى الشيخوخة الى الفناء. وهذا ما أصاب الامم فى الازمنة السالفة. ولكن كثيراً ما يتفق ان تبلغ الدولة طور الشيخوخة ثم يطرأ عليها ما يجدد نشاطها ويبعث فيها روح الشباب. وقد وقع مثل ذلك لتركيا فى العهد الاخير. فقد كان سلطان الاتراك قبل الحرب العظمى الماضية يلقب برجل اوربا المريض، ثم انتعشت تركيا بعد الحرب وابعدت عنها العوامل التى كانت مصدر ضعفها وذلك بتخليها عن الولايات التى لم يكن اهلها من عنصر تركى. ولا شك ان اختلاف العصبيات فى الدولة الواحدة فى مقدمة أسباب ضعفها. وقد كان هذا اهم أسباب سقوط الدولة الرومانية قديما. وساسة الانجليز يعلمون هذا ويحاولون تلافى سقوط امبراطوريتهم بانشاء نظام جديد يقوم على المبدأ الذى يسميه كتاب هذا العصر «اللامركزية»، وأن يطبقوه على ممتلكاتهم ومستعمراتهم بحسب مقتضيات الاحوال. والفكرة التى تسودهم الآن هى إنشاء دول مستقلة داخل الامبراطورية شبيهة بولايات متحدة. فاذا أتيح لهم تنفيذ هذه الفكرة استطاعوا أن يجددوا شباب امبراطوريتهم وأن يبعثوا قوتها بشرط أن يعيشوا بوئام وسلام مع جميع أمم العالم

ولا شك أن خلق الشعب البريطانى قد كان من أهم أسباب عظمة الامبراطورية البريطانية. فانجلترا لم تسد العالم بقوتها ولا بعلمها ولا بذ كائها — ففى العالم دول كثيرة تفوقها بهذه الاعتبارات — وانما هى سادت العالم باخلاق شعبها وبصبرها وثباتها وبكون الانجليزى ينظر الى العالم نظرة جد وعمل

طوائف

(سانت ايزابيل - الارجنتين) ى. ب

ماهى الباطنية والقرامطة والأشعرية والجهمية والمعتزلة. هل هى اسماء قبائل عربية أم أسماء طوائف دينية؟

(الهلال) الباطنية شيعة من الاسلام تعرف بالسبعية وتذهب مذهب الاسمعيلية والقرامطة. والقرامطة فرقة من غلاة الشيعة لا تختلف كثيراً عن الباطنية وقد تسمى مثلها بالسبعية ومؤسس الفرقة حمدان الملقب بقرمط. والاشعرية قبيلة باليمن منها أبو موسى الأشعرى. والجهمية فرقة منسوبة الى جهم بن صفوان وهم جبرية خالصة. والمعتزلة من القادرية قالوا انهم اعتزلوا فئتى الضلالة عندهم أى أهل السنة والخوارج أو سماهم به الحسن لما اعتزله واصل بن عطاء الغزالى واصحابه الى اسطوانة من أسطوانات المسجد وشرع يقرر القول بالمنزلة أى التوسط بين المنزلتين أى الكفر والايمان وأن صاحب الكبيرة، أى الذنب العظيم، لا هو مؤمن مطلق ولا كافر مطلق.

بل بين المنزلتين بجماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل

آنية الالومنيوم

(بيروت ـ سوريا) أحد القراء

قرأنا فى إحدى المجلات أن طبخ الأطعمة بالآنية المصنوعة من الالومنيوم مضر . فهل هذا صحيح ؟ ومتى بدىء باستعمال هذه الآنية ؟

﴿ الهلال ﴾ نذكر أننا قرأنا فى بعض الصحف الاميركية قبل الحرب العظمى الماضية (حوالى عامى ١٩١٢ و١٩١٣) حملة شديدة على هذه الآنية . ثم تجددت الحملة منذ نحو ست سنوات أو سبع . ولكن مجلة « السيانتفيك اميركان » ـ وهى أعظم المجلات العلمية الاميركية قامت بمباحث علمية واسعة النطاق ثبت لها منها ان الحملة على آنية الطبخ المصنوعة من الالومنيوم لا مسوغ لها على الاطلاق ولا تستند إلى شىء من الواقع

تحويل السنين الهجرية الى ميلادية

(القدس الشريف ـ فلسطين) اليف موسى

ارجو ان تفيدونى عن طريقة تغيير السنين الهجرية الى سنين ميلادية ولكم الشكر

﴿ الهلال ﴾ القاعدة الآتية تفيد فى تحويل التاريخ الهجرى إلى تاريخ ميلادى وهى مأخوذة عن تقويم الحكومة المصرية :

$$\text{سنة هجرية} - \frac{٣ \text{ سنة هجرية}}{١٠٠} + ٦٢١،٦ = \text{سنة ميلادية}$$

ويجب صرف النظر عن الكسور

تاريخ الحديد

(بيروت ـ سوريا) أحد القراء

متى استعمل الأنسان الحديد ؟

﴿ الهلال ﴾ لايعرف ذلك بالتمام ولكن الدلائل متوافرة على ان الانسان استعمل الحديد منذ أربعة آلاف سنة على الأقل . وفى التقاليد الصينية أن الصينيين وغيرهم من الشعوب الاسية استعملوا الحديد منذ خمسة آلاف سنة والارجح أن المصريين برعوا فى صناعة الحديد منذ سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، واستعمل أهل طروادة أسلحة حديدية سنة ٧٠٠ قبل الميلاد

حرارة الجسم والنبض

(بيروت ـ سوريا) ومنه

ما هى درجة حرارة الجسم الطبيعية وعدد دقات النبض الطبيعى فى الانسان ؟

﴿ الهلال ﴾ الدرجة الطبيعية لحرارة الجسم تختلف من ٣٦،٧ درجة إلى ٣٧،٥ بمقياس سنتجراد . ويمكننا أن نعتبر الدرجة ٣٧ متوسطاً طبيعياً . ويختلف عدد دقات النبض باختلاف الأعمار . فهو من ١٠٥ دقات الى ١٢٠ دقة فى الأولاد الصغار ومن ٧٢ إلى ٨٠ دقة فى البالغين والكبار . ويزيد عدد هذه الدقات أو ينقص تبعاً لاجهاد الجسم أولاجهاد أحد أجهزته . أما الحرارة فلا تزيد الا فى حالة المرض

من هنا وهناك

عدد ساعات العمل الاسبوعى

قام عدة علماء فى المانيا ببحث ساعات العمل بين العمال فوجدوا ان جعل ساعات العمل خمساً وثلاثين ساعة فقط فى الاسبوع يجعل نتيجة العمل أفضل من نتيجة زيادة تلك الساعات أو تقليلها

الخنزير فى نيوزيلندا

أول حيوان أوربى ادخل إلى نيوزيلندا هو الخنزير وقد أدخله الى هنالك الكابتن كوك الرحالة الشهير فى سنة ١٧٧٣

الصلب الذي لا يصدأ

ينتشر اليوم استعمال الصلب الذى لا يصدأ فى امور كثيرة . وآخر ما استعملوه فى صناعة الاسنان فقد بدأوا يصنعون منه « تيجاناً » للاسنان

في الجو

اذا ارتفع الانسان إلى علو عشرة آلاف قدم فى الجو أمكنه رؤية شروق الشمس قبل ان يراه من كان تحته على سطح الارض بعشر دقائق

ترميم الآثار في روسيا

الفت فى روسيا لجنة للمحافظة على الآثار التاريخية الموجودة فى البلاد ولترميم ما أصيب منها بتلف

اكبر كتلة بلاتين

البلاتين من المعادن الغالية بسبب ندرتها . وقد عثروا حديثاً على كتلة من هذا المعدن فى جبال الاورال تزن اكثر من ثلاثة عشر رطلا

اليد اليسرى

نحو ثلاثة فى الالف من الناس يستعملون اليد اليسرى بدلا من اليمنى فى كل شىء ومعظم هؤلاء من الرجال

سم حية الاجراس

فحص أحد علماء الكيمياء سم حية من حيات الاجراس بعد ان مر على حفظه اياه أربع وعشرون سنة فوجد قوته باقية كما كانت من قبل

القرود والبراغيث

يقول أحد علماء الحيوان ان البراغيث لا تقرب من القرود مع ان القمل يجد فيها مرعى خصباً

امراض الاسنان في فرنسا

يعالج اطباء الاسنان فى فرنسا نحو عشرة ملايين رجل كل عام ، على أن امراض الاسنان فى فرنسا هى اقل انتشارا منها فى اوربا الوسطى وانجلترا . ويقال ان متوسط ما ينفقه الفرد الفرنسى على معالجة اسنانه يبلغ

نحو مائتي فرنك في السنة وهو نحو نصف ما ينفقه الانجليزي والالماني

تأثير هبوط الجنيه

كان لهبوط الجنيه تأثير حسن في التجارة الانجليزية الخارجية . وفي أنباء الصحف الاميركية ان حكومة الولايات المتحدة قد حاولت ان تجس نبض بريطانيا العظمى لتعلم هل ترضى أن تعود الى عيار الذهب في الحال اذا أعلنت أميركا انها تتنزل لها عن ديونها . والارجح ان انجلترا تأبى العودة الى عيار الذهب ما دام نظام توزيع الذهب يهدد التجارة البريطانية

وعاء قديم

وجد العلماء في أحد اهرام يوكاتان (من اهرام المايا القدماء) وعاء فخاريا على غاية من الاهمية اذ قد نقش عليه التقويم الذي كان شعب المايا يجري عليه منذ اكثر من الفي سنة . على ان أولئك العلماء لم يوفقوا حتى الآن الى حل رموز ذلك التقويم

تقدم الطب

جمعت احدى الجمعيات الطبية في انجلترا احصاءات مسهبة عن انتشار مرض السل فظهر من هذه الاحصاءات ان الطب قد تقدم تقدماً عظيما وان وسائل علاجه قد تحسنت بحيث صار عدد الذين يموتون منه لا يزيدون على ثلاثة وعشرين في المائة من الذين كانوا يموتون منه منذ ثلاثين سنة . ولم يفقد الأطباء الرجاء من الحصول على دواء ناجع لهذا الداء الوبيل

الزلازل في أميركا

توالى حدوث الزلازل في أميركا الوسطى على وجه لم يعهد له مثيل من قبل

ويقول بعض علماء الجيولوجيا ان عدة براكين قد شوهدت تنفجر في مناطق تلك الزلازل وفي مناطق أخرى مجاورة لها

مجمع تقدم العلوم الاميركي

سينعقد هذا المجمع قريباً في مدينة اتلانتيك ستي ويقدرون عدد الذين سيحضرونه بنحو أربعة آلاف شخص وعدد الخطب العلمية التي ستتلى فيه بألف خطبة لا يقل مجموع عدد كلماتها عن مليون ونصف مليون كلمة وكلها في مواضيع علمية صرفة

التحليق فوق الهملايا

نجح بعض الطيارين الانجليز في التحليق فوق قمة راكابوشي وهي من اعلى قنن جبال الهملايا . وفي الانباء الاخيرة ان اولئك الطيارين وصلوا في ارتفاعهم الى علو اكثر من سبعة وثلاثين الف قدم

غرس الاشجار قديما

يؤخذ من الآثار الهيروغليفية القديمة أن المصريين القدماء كانوا ينقلون الاشجار من بيئة ويغرسونها في بيئة اخرى بعيدة عنها . وقد ثبت انهم نقلوا في بعض الحالات اشجارا على النيل الى مدى يزيد على الف وخمسمائة ميل

بحيرة اوخريدا

فى بحيرة اوخريدا باواسط اوربا أنواع من الحيوانات المائية التى انقرضت فى الجهات الاخرى ، والعلماء يدرسون هذه الانواع ويستعينون بها على حل بعض اسرار التطور

اقدم مخزن للأدوية

اول مخزن للادوية هو مخزن أنشىء فى مدينة وترلر بالمانيا سنة ١٢٣٣

البطالة في امريكا

لايعرف عدد العمال العاطلين فى امريكا بوجه التدقيق ،ولكن قسم الاحصاء بجامعة الامم يقدرهم بتسعة ملايين عاطل على الاقل ، وفى بعض الانباء ان عددهم لايقل عن سبعة عشر مليوناً . ويقدر عدد العمال الذين اشتغلوا بانتاج ما اصدرته الولايات المتحدة فى السنة الماضية من المصنوعات والبضائع بمليونى عامل على الاقل يعولون نحو خمسة عشر مليوناً من الانفس على اقل تقدير

مرض الكتاراكت

ثبت لفريق من الأطباء أن المرض الذى يصيب العيون (ويعرف عند العامة بالماء الأزرق) يمكن ان يكون وراثياً فى حالات كثيرة

مكواة كهربائية جديدة

اخترع احد الامريكيين مكواة كهربائية جديدة بها شبه ميزان للحرارة لضبط الدرجة اللازمة منها عند كى الانسجة المختلفة

كلاب الحرب قديماً

يعتقد بعض الناس ان الكلاب لم تستخدم فى الحروب الا فى العصور الحديثة . ولكن النقوش التى عثر عليها بعض علماء الاثار حديثاً تدل على ان الاشوريين والبابليين استخدموا الكلاب فى حروبهم منذ اقدم الازمنة . وكثيرا ما كانت كلاب الفريقين يهجم بعضها على بعض وتشتبك معا فى معارك حامية

بذخ ملوك الفرس قديما

فى بلاد فارس بعثة علمية امريكية برئاسة الدكتور هرتزفلد تبحث عن آثار ملوك الفرس الاقدمين . وقد عثرت هذه البعثة على آثار ترجع الى اكثر من الفى سنة وخمسمائة سنة ، وتدل على ان ملوك الفرس القدماء بزوا فى بذخهم جميع من تقدمهم او جاء بعدهم من الملوك

زيادة سكان العالم

تدل الاحصاءات الموثوق بصحتها على ان سكان العالم هم الان أربعة اضعاف عددهم منذ ثلاثة قرون . وقد بلغوا سنة ١٩٢٩ بحسب تقدير الدكتور ويلكوكس (استاذ علم الاحصاء بجامعة كورنيل باميركا) ١٨٢٠ مليونا منهم ٩٥٤ مليونا (او اكثر من النصف فى آسيا) و٤٧٨ مليوناً فى اوربا و١٦٢ مليونا فى امريكا الشمالية و٧٧ مليونا فى امريكا الجنوبية و١٤٠ مليونا فى افريقيا و٩ ملايين فى اوستراليا

وتدل الاحصاءات ايضا على ان سرعة نمو الشعوب الاوربية تعادل ستة اضعاف نمو الشعوب الاخرى

التاريخ الاشورى

عثر العلماء على آثار اشورية قديمة على مقربة من تل بيلا بما بين النهرين، وهذه الآثار توسع نطاق التاريخ الاشورى القديم وترجعه ثلاثة قرون الى الوراء، وبين تلك الآثار تقاويم أشورية قديمة

الحضارة الصينية

أقوال المؤرخين بشأن حضارة الصين القديمة متناقضة متضاربة، فبعضهم يرجعها إلى أكثر من ستة آلاف سنة وبعضهم يؤكد أنها أحدث من ذلك بكثير . ويؤخذ من المباحث التاريخية الاخيرة أن تلك الحضارة أحدث من الحضارة المصرية بكثير وأن الصين لم تبدأ عصرها النحاسى الا سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد، وعليه يكون عمر الحضارة الصينية نحو أربعة آلاف سنة فقط

صناعة اللاذن

هى صناعة كثيرة الرواج فى اميركا وقد أثرى بهـــا الكثيرون ، ويؤخذ من تقرير أصدرته إحدى الشركات التى تنتج اللاذن أن قوام هذه المادة هو المطاط (الكاوتشوك) والشحم والشمع . إلا أن هنالك أنواعاً منه تخلو من المواد المذكورة

الفيتامين والتفاح

يظهر أن كمية الفيتامين التى فى فاكهة التفاح تختلف باختلاف نوع التفاح والمكان المزروع فيه ، والكمية الكبرى من ذلك الفيتامين توجد عادة فى قشور التفاح

سكر البنجر

ولاية كولورادو باميركا هى فى مقدمة بلدان العالم فى انتاج سكر البنجر، وتليها كاليفورنيا، ومجموع ما تنتجه هاتان الولايتان يعادل مجموع ما تنتجه سائر الولايات المتحدة من ذلك المحصول

معالجة الانيميا

يظن بعض الأطباء أن معالجة الانيميا أو مرض فقر الدم بخلاصة الكبد هى وسيلة حديثة، وقد ثبت الآن أن أهالى جزيرة سيلان كانوا يعالجون الانيميا الخبيثة بالكبد منذ أكثر من الفى سنة

الانتاج فى روسيا

فى الاحصاءات التى جمعها معهد الاحصاء الاقتصادى بالمانيا ان روسيا اليوم هى ثانية بلدان العالم فى كمية الانتاج ، والاولى هى الولايات المتحدة . ولا حاجة الى القول بأن قانون السخرة فى روسيا يساعد تلك الدولة على الاكثار من الانتاج

للبحث عن الآثار الرومانية

عزم فريق من علماء الآثار الفرنسيين على ارسال غطاسين الى نهر الرون للبحث عن مركبين غرقا فى ذلك النهر فى القرن السادس عشر وكانا يحملان آثاراً رومانية قديمة

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء الثالث عشر من السنة الثالثة : صدر في اول مارس سنة ١٨٩٥

لامرتين

هو الفونس لا مرتين الشاعر الفرنسي البليغ والفيلسوف الكبير والسياسي المحنك . ولد سنة ١٧٩٢ . وتلقى العلوم اولا في (بيلي) ، ثم سافر الى (ليون) ومنها الى ايطاليا ، ثم عاد الى باريس . وكلما أثرت مشاهد الطبيعة العظيمة في مخيلته ، فاهاجت فيه ملكة الشعر ، فعكف على النظم والكتابة . ولما نفى نابليون بونابرت الى (البا) تعين لامرتين في منصب عسكري ، ولكنه ما لبث ان اعتزل الاعمال العسكرية وعاد الى الدرس والمطالعة والنظم

وفي سنة ١٨١٨ زار ايطاليا مرة ثانية ولما رجع منها ألف كتاباً سماه « تأملات شعرية » فلم يكد ينشر حتى تكاتف القراء على اقتنائه ولهجت باريس وسائر فرنسا بذكره وتحدث الناس عن نبوغ هذا الشاعر ، ولكنه ما لبث ان شغل عن الشعر والعلم بالسياسة ، فتقلد منصباً في سفارة فرنسا بفلورنسا ثم سكرتيرية السفارة الفرنسية في نابولي ، ثم في لندرا ، وتزوج هناك بفتاة انكليزية ذات ثروة طائلة . وفي اثناء ذلك توفى خال له من عائلة « لامارتين » وأوصى بأن يكون صاحب الترجمة وريثه على شرط ان يدعى « لامارتين » احياء لاسم عائلة والدته بعدما كان يدعى « الفونس دبرات » نسبة الى عائلة والده

ثم تقلد لامرتين بعد ذلك بعض المناصب الاخرى ونظم عدة قصائد منها « وفاة سقراط » و « الانغام الشعرية الدينية » ورحل الى بلاد المشرق وزار الامير بشير الشهابي في بيته وكتب عنه في رحلته هذه كلاماً مسهباً ، وصفا الزمن له مدة ثم أصيب بوفاة ابنته « جوليا » فعظم خطبها عليه وبكاها كثيراً ورثاها طويلا . وفي جملة ذلك قصيدة « جسماني أو وفاة جوليا »

ثم عين في منصب سياسي ، ولم تمض مدة حتى تولى رئاسة حزب سياسي كبير من احزاب المحافظين . على انه ظهر سنة ١٨٤٥ بمظهر جديد فصرح بكرهه لحكومة لويس فيليب ، وصار من زعماء الاحزاب المعارضة . وألف كتاباً في « تاريخ الجيرونديين » آل الى سقوط وزارة جيزو وقيام ثورة سنة ١٨٤٨ فنال لامارتين على اثر ذلك شهرة عظيمة ، وصار اليه الرأى وعليه المعول في الاجراءات السياسية . وكثيراً ما اهاج الاحزاب ، وادار الآراء وانهض الهمم بخطبه لبلاغتها وفصاحتها حتى كانت الاراء تقوم بقيامه وتقعد بقعوده . ثم ما زال كذلك الى ان اعتزل السياسة وانقطع الى الكتابة وعمل بها عملا حسناً فعينت له الحكومة الفرنسية مكافأة له على خدماته الى أن توفى في سنة ١٨٦٩ . . وفي جملة مؤلفاته : « تاريخ ثورة سنة ١٨٤٨ » و « روفائيل »

و « اسرار » و « تاريخ الاصلاح » و « تاريخ تركيا » و « تاريخ روسيا » « وسياحات فرنسية في المشرق » . وقد تولى لامرتين اثناء حياته فيما تولاه من الاعمال والمهام ادارة جريدتين سياسيتين احداهما تدعى « بيان بيبليك » والاخرى اسمها « باي »

القمار أو الميسر

نشأ القمار في أول عهده على هيئة العاب يقضى بها وقت الفراغ ، وكان اليونان والرومان والمصريون القدماء يمارسونه كرياضة يقتلون بها السأم ويستعيدون بها النشاط في اوقات الفراغ . وكان الملوك والعظماء يتعاطونه على هيئة العاب يبدون بها الرياضة الجسدية أو العقلية ، وحاكاهم في ذلك الاغنياء وغيرهم ثم تدرجوا في ذلك الى ان صاروا يقيمون تلك الالعاب على رهان معلوم من النقود أو ما يقوم مقامها ، وأخيراً انتقل من اللعب واللهو والرياضة الجسدية أو العقلية للمراهنة على مثال العاب اليانصيب ومنها الى المقامرة على نحو ما هو جار الآن

وقد جرى العرب على مثل ذلك أيضاً قبل الاسلام بالسباق ، وكانوا يسمون ذلك اللعب السبق بالخف او بالحافر . ثم انتقل عندهم الى ما سموه بالميسر ، وهو على قول بعضهم مشتق من اليسر لانه أخذ لمال الرجل بيسر وسهولة

وكان العرب في الجاهلية يلعبون الميسر ، وذلك أنهم كانت لهم عشرة قداح يسمونها الازلام والاقلام والمغالق ولكل قدح منها اسم خاص

وهم يزعمون أن لقمان بن عاد كان أمهر الناس في الضرب بهذه القداح . ولذلك قالوا في امثالهم « أيسر من لقمان » . ويضرب المثل ايضاً بقدح ابن مقبل وهو قدح اشتهر بالاصابة

وما زال الميسر قائماً في الجاهلية الى ان جاء الاسلام بتحريمه

كذبة ابريل

رد على سؤال :

الكذب في أول ابريل من العادات القديمة التي درج عليها الافرنج . وقد نقلت الينا عنهم . على أن الهنود يجرون على مثل هذه الكذبة في آخر يوم من أيام مارس أي قبل أول ابريل بيوم واحد ويسمون ذلك اليوم « عيد الهولى » . اما الانكليز فيسمونه جنون ابريل أو « يوم المجانين كافة » والفرنسيون يسمونه « سمكة ابريل » أما أصل هذه العادة وسببها ففيهما آراء كلها تخمينية مبنية على مجرد الحدس لا فائدة من ذكرها

عن الجزء الرابع عشر من السنة الثالثة : صدر في ١٥ مارس سنة ١٨٩٥

صدر هذا الجزء من « الهلال » وكان قد توفي المغفور له الخديو اسماعيل باشا في ٢ مارس سنة ١٨٩٥ . لهذا رأى مؤسس الهلال ان يفتتح هذا الجزء بمقالة مسهبة عن تاريخ اسماعيل ، ثم اتبع ذلك بمقالة عن الاشكال والابهام في كتاب تاريخ العرب قبل ظهور الديانة الاسلامية ، ولا نستطيع ان نقتطف فقرات منها لارتباط اجزائها ارتباطاً شديداً . وهي منشورة في كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » لمؤسس الهلال

ويلي تلك المقالة بضعة مقالات جدلية في

مسألة التمدن الاسلامي وبماذا قام . ولمؤسس الهلال كتاب ضخم في هذا الموضوع . ثم ينتهي هذا الجزء بباب تاريخ الشهر وفيه رثاء للمغفور له الخديو اسماعيل ، وخلاصات عن أهم الحوادث التي وقعت في النصف الاول من شهر مارس

عن الجزء الخامس عشر من السنة الثالثة : صدر في أول ابريل سنة ١٨٩٥

اغناطيوس

مؤسس الرهبنة اليسوعية

ولد في اسبتشيه في شمالي اسبانيا سنة ١٤٩١ وفي سنة ١٥٢١ اشترك في الحرب بين فرنسا واسبانيا وأصيب بعدة جراح وقاسى العذاب ألواناً من هذه الجراح . فترك الحروب ومالت نفسه الى التدين . فلما شفيت جراحه سار الى دير في جبل (سارات) وأودع سيفه وخنجره هناك وصمم على الانقطاع للعبادة . وصار يعيش بالاستعطاء زاعماً ان ذلك يقربه الى الله . وكان زاهداً متقشفاً يقهر نفسه ويحتقر حطام الدنيا

وفي أول سنة ١٥٢٣ سافر الى برشلونة ومنها الى بيت المقدس فكث به بضعة أسابيع ثم عاد الى اسبانية وأقام في برشلونة وأخذ في دراسة مبادىء اللغة اللاتينية وسنه إذ ذاك ٣٣ سنة فتمكن من قواعدها وآدابها ثم انتقل الى كلية الكالا لدراسة الفلسفة واللاهوت فيها وكان قد التف حوله جماعة يقتدون به في تقشفه واستجدائه . وأصاب اغناطيوس في الكالا سوء معاملة فغادرها وسار الى سلامنكا لاتمام درسه في كليتها وسار اصحابه معه ينشرون مبادئه على النهج الذي رسمه في كتاب ألفه باسم « الرياضات الروحية » كان أساس كل تعاليمه

وفي سنة ١٥٣٤ نال الدبلوما في اللاهوت والفلسفة وخرج للتعليم والوعظ

قوس قزح

قلما يظهر قوس قزح في الديار المصرية لقلة امطارها . ولكنه كثير الظهور في البلاد الممطرة وهو مشهور بالوانه . ولكننا قرأنا في جريدة الاختراع الانكليزية ان قوس قزح ابيض ظهر في الخامس من يناير الماضي في اسبانيا (؟) وذلك نادر الوقوع جداً

العدوى بالتلفون

وجدت لجنة الاطباء في باريس ان بعض الامراض المعدية تنقل بالتلفون من فم الى آخر مما يعلق على فوهة الآلة من الميكروب المنبعث من رئة المصاب أو فمه فينقل الى فم الصحيح أو رئته فيعديه . فاشارت باستعمال قطع من الورق مضادة للفساد وتوضع عند فوهة الآلة دفعاً للعدوى

النحاس والبطاطس

وجد الالمانيون بتجاربهم الزراعية ان محلول جزأين من كبريتات النحاس في مائة جزء من ماء الجير إذا رشت به اغراس البطاطس نمت واخصبت فطال مكث الاوراق وتعددت الجذور

خواطر ✡ لاحمد شوقي بك

(مختارة من كتاب « اسواق الذهب » الذي يطبع الآن بدار الهلال . وسيصدر قريباً)

مَنْ بغى بسلاح الحق بُغي عليه بسلاح الباطل

*

قُبّح الذّين نطق ففضح وسكت ففدح

*

ما نبّه على الفضل الكاذب مثل الثناء الكاذب

*

قضاء السماء بقضاء الارض اختلط ، وهذا معصوم وهذا عرضة للغلط

*

هلكت أُمة تحيا بفرد وتموت بفرد

*

تغطي الشهرةُ على العيوب كالشمس غطّى نورُها على نارها

*

للرياسات أذناب فلا يكن ذنبك كذنبِ الطاووس فيذهب ببهائك كله لنفسه ، ولا كذنب الفأر فينقطع عنك عند العسل ، ولا كذنبِ النجم فيصبغك بنحسه

*

من عجزَ عفَّ ، ومن يئسَ كفَّ ، ومن جاع أسفَّ

*

الأمم بنيان الهمم

*

الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات

المدرسة تُعلِّم ولا تحلِّم، والحياة تحلِّم و تُعلِّم

*

المتحيِّز لا يُميِّز

*

ولد البخيل مرحوم ، وولد المبذر محروم

*

يد القاتل حمراء تنمُّ عليه في الدنيا وتشهد عليه في الآخرة

*

آس ثم انصح

*

ربما تقتضيك الشجاعة أن تجبن ساعة

*

الخير فيه ثوابه وإن أبطأ ، والشر فيه عقابه وقلما أخطأ

*

عليك أن تلبس الناس على أخلاقها ، وليس عليك ترقيع أخلاقها

*

العتاب رفَاء الودّ

*

النصح ثقيل فلا تجعله جدلا، ولا ترسله جبلا

*

رُبَّ قارض للاعراض ، وعرضه بين شقَّيْ المقراض

*

أكثر الفضائل اصطلاح ، وجوهرها كلها الصلاح

الذليل بغير قيد متقيد ، كالكلب لو لم يسد لبحث له عن سيد

*

تحسن المرأة نصف عليمة ، ويقبح الرجل نصف جاهل

*

من أثرى أوساد ، فلا يعدن الحساد

*

اذا خدع الطبيب المريض أعان الدواء ، واذا خدع المريض الطبيب أعان الداء

*

العامة أذناب من يمسح رؤوسهم

*

يهدم الصدر الضيق ما يبنى العقل الواسع

*

العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة

*

يستأذن الموت على العاقل ، ويهجم الباب على الغافل

*

الغلط اذا أدرك تبدد ، واذا ترك تعدد

*

اذا كثر الشعراء قل الشعر

*

الحقيقة ثقيلة فاستعيروا لحقائق العلم خفة البيان

*

السقي بعد الغرس ، والتربية قبل الدرس

اجتنب التفريط والافراط ، تستغن عن بقراط

*

بُغّضَ الكبر الى النفس الكبيرة ، وحُبّبت الصغائر الى النفس الصغيرة

*

يا أخا العزلة أنت لو طرتَ عن الناس ما وقعت الا عليهم

*

تهرم القلوب كما تهرم الأبدان ، إلا قلوب الشعراء والشجعان

*

من ذهبَ يستقصي سرائر النفوس لم يرجع

*

السجون اذا امتلأت انفجرت

*

ما عرفتَ من نفسك شيئاً إلا عرف الناس منها أشياء

*

الباشفية قيصرية ، لها جبروت الملك وسرفه ، وليس لها جلاله ولا شرفه

*

الوقت عدو مجتهد ، لايدافعه إلا مجتهد

*

قادة الثورة مقودونَ بها كالجلاميد تقدّمت السيل تحسبها تقودهوهي به مندفعة

*

الثورَة جنون طرَفاه عقل

*

خطة العاقل في رأسه ، وخطة الجاهل في نفسه

الحظ طير يقع غير مستأذن ، ويطير غير مؤذن

*

من أحبَّ المال تعب بجمعه ، ومن أحبه المال تعب بتبديده

*

أبى الله أن يتساوى عباده إلا فى النوم والموت

*

القدم الى جاري المقدور ، أسرع من الماء الى الحدور

*

الماضي يُسلّ عليك يوماً

*

اخدع من شئت إلا التاريخ

*

أصدقاء السياسة أعداء عند الرياسة

*

خُلقت المرأة تنبل بالجمال ، فان فاتها التمست ما ينبل به الرجال

*

عجبت من الصدر يسع الحادث الجليل، ويضيق بحديث الثقيل

*

ارحمْ نفسَكَ من الحقد فانه عَطَبٌ ، نارٌ وأنت الحَطَب

*

كاد صفح الوالد يسبق ذنب الولد

*

لو حطّمت السّنُّ المرأة ما حطّمت مرآتها

لا رعد مع صحو ، ولا كوعيد العاجز لغو

*

لا يُبحث عن القتلى والقتال دائر

*

الاعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه

*

كل بنيان يهدم من رأسه ، وبنيان الأوهام يُهدَم من أسه

*

ثلاثة مسخَّرون لثلاثة آخر الأبد : الفقير للغنيّ ، والضعيف للقوي ، والبليد للذكيّ

*

نسجُ القلوب من شهوات

*

دودُ الحرير أخرق ، هلك تاركاً للناس خير ما لبسوا فما تركوا له منه كفناً ، والنحل حكيم طعم من كل الثمرات ثم أطعم

*

يتقي الناس بعضهم بعضاً في الصغائر ، ولا يتقون الله في الكبائر

*

من لم يكن في عنان لذة أو تحت مهماز ألم ، فليس على ميدان الحياة

*

الجماعات مطايا أهل المطامع تبلّغهم الى منازل الشهرة

*

باني نفسه لا يُبالي ما هدم

هل في مصر نهضة ادبية ؟

من حديث مع الدكتور محمد حسين هيكل بك

جلسنا الى الاديب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك في ساعة من اوقات فراغه فدار الحديث بيننا عن نهضة الادب العربي ومدى ماوصلت اليه ، وعن الادب كفن جميل ، والقصة ومستقبل الفن القصصي في مصر ، وعن رأيه في الشعر المنثور ، والتأليف والترجمة وايهما انفع لنهضتنا . وقد كان محادثنا الدكتور في غبطة لانه يعتقد كما سيأتي في هذا المقال ان الاحاديث الادبية كثيراً ما تثمر في اتجاهات الادب الجديد . وقد آثرنا ان نلخص هذا الحديث الممتع لنشرك القراء معنا في فائدته وامتاعه

« هل عندنا نهضة أدبية حقاً ، وهل هذه النهضة قوية بالمعنى الصحيح ، وهل هي جديرة بان تنبه الاذهان وتكره الجمهور على الاعتراف بها ؟

« اسئلة قد تدور فى خلد كثير من الناس ، وقد يختلفون فى الاجابة عنها ، ولكن الواقع ان عندنا نهضة ادبية قوية تكره الجمهور على الاعتراف بها على الرغم مما يصادفها من عقبات . واظهر ما فى هذه النهضة أنها تخطت ما كانوا يسمونه « عصر الترجمة » الى صورة أخرى وهي ما يسمونه « عصر التأليف » وإن كان الجيد من المؤلفات قليلا . ولولا الشواغل التى تصرف الادباء عن مضاعفة الجهد كالعمل فى السياسة والسعي لطلب العيش لكانت الحال أحسن مما هي الآن

النثر والشعر

« وانا مازلت اعتقد أن النهضة الادبية سائرة الى الامام فى النثر أكثر منها فى الشعر . وهذا واضح فيما نتناوله كل يوم من الكتب والصحف والمجلات . وقد رأينا منذ ابتداء النهضة كتاباً مجيدين قاموا بدورهم ثم خلفهم آخرون ، وظهر عندنا كثير من نوابغ الناثرين كالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وسعد زغلول . ومصطفى كامل . وقاسم امين . وعلى يوسف . والمنفلوطى . وغيرهم ممن احدثوا مدرسة جديدة فى النثر العربى

« وهذا بخلاف الحال فى الشعر ، فان الشعر العربى فى الوقت الحاضر مازال لابساً ثوبه القديم ، ولازال الشعراء الذين احتلوا الميدان من اربعين سنة هم ابطال هذا الميدان . وتستطيع ان تقول انه لم يظهر لهم الى الآن منافسون يهابونهم . ومما يؤسف له أن أغلب المنتجات الشعرية لا تخرج عن المديح والرثاء ولا تتجاوزهما الى العاطفة السامية التى هى اهم اغراض الشعر الصحيح

« وفى اعتقادى ان من اكبر عيوب نهضتنا الادبية عدم الاهتمام باحياء الادب العربى القديم ، ومن العيب كذلك ميل الادباء الى هدم بعضهم بعضاً ، فان كثيرين منهم يتأثرون بالخلافات الشخصية

والمذاهب السياسية فى تقديرهم للآثار الادبية.مع ان الادب كفن جميل يجب ان يسمو فوق كل اعتبار، ويجب ان ينظر اليه من ناحية الفن دون سواه

« ولو تساند الادباء والمشتغلون بالادب وخلقوا لهم رابطة لكانت النهضة أقوى وأوسع دائرة مما هى ، ولاستطاعوا ان يحدثوا تيارات فى التفكير والكتابة أكثر جداً مما هو حاصل الآن

« فانى لأرى أن اجتماع الادباء ومحادثاتهم بل احاديثهم كثيراً ما تنتج وتثمر فى اتجاهات الادب الجديدة اكثر مما تثمر المطالعة ، وأكثر مما يثمر تقليد الادب الغربى

الادب والاديب

« والادب عندى — كما قلت — فن جميل . وهو يحتاج الى الموهبة الفنية الخصبة والجدوالاجتهاد. فاذا لم تكن الموهبة فيه غنية خصبة فالجد وحده لا يكفى . وكذلك غنى الموهبة لا يكفى وحده دون الجد والاجتهاد المتصل

« وفرق عندى بين الاديب والكاتب ، فكل أديب كاتب ، ولا عكس . وكثيرون منا معشر الصحافيين كتاب لا أدباء ، وكثيرون منا لا يحبون الادب بالمعنى الذى افهمه من إنه فن جميل ، وان كانوا متفوقين فى الصحافة تفوقاً يجعلهم فى الدرجة الاولى من اهلها

« ومن رأيى أن الادب كفن جميل له كسائر الفنون الجميلة جميع نواحيه ومذاهبه ، ففيه الادب الفلسفى والروائى والقصصى وغيره . ويغلب ان يجيد الاديب ناحية من هذه النواحى اكثر من سواها . وخير مايفعله الاديب ان يتوفر على تنمية ملكاته فى الناحية التى وهب فيها

الادب القصصى

« وذكرت فيما ذكرت من النواحى الادبية الادب القصصى،وهو من ارق انواع الادب . وعندى ان القصة المصرية موجودة . ولما كتبت « زينب » — وأنا فى صدر الشباب — كان فى خيالى ان اقف حياتى على هذا النوع من الادب ، لانه غزير المادة عندنا ، فلا يكاد يمضى أسبوع حتى اسمع فيه من الحوادث التى تقع فى مصر وبين جدران منازلها ما يصلح للقصة وما يصلح للاقصوصة ، وما يصلح للمسرح

« وانما يقعد بالادباء عن تصوير هذه الحوادث فى القصص والاقاصيص والروايات المسرحية أن هذه الآثار الادبية تحتاج لدقة اظهارها الى وقت طويل وفراغ ورياضة نفسية وذهنية لا تيسرها اسباب العيش وكسب الرزق فى مصر ، وهذا هو السبب فى عدم وجود القصة أو الاقصوصة بالصورة الفنية الجديرة بالتقدير فى الادب المصرى

« على أنى لست متشائماً من ناحية الفن القصصى ولا من ناحية النهضة الادبية بوجه عام لان قراء العربية يزداد عددهم عاماً بعد عام ، ولان حالة الاضطراب النفسى التى تسود الامم العربية ستنتهى حتما

الى الاستقرار بعد زمن ما . ونجد كثيراً من الناس اشد اقبالا على القراءة وسيجد كاتب القصص بعض ما يكافىء مجهوده ان لم يجد كل ما يكافىء مجهوده . ورجل الفن الموهوب يكفيه القليل دائماً لانه وغيره من الادباء يشعر بسعادة لا تعدلها سعادة فى انتاج الآثار الفنية التى يحبها على صورة تطمئن لها نفسه ويستريح لها ضميره

التأليف والترجمة

« وتسألنى عن التأليف والترجمة وأيهما أنفع لنهضتنا الادبية الحاضرة . فأقول لك إنه لا غنى عن الترجمة كما لا غنى عن التأليف ، ويجب ان يسيرا جنباً لجنب دائماً . لانه مهما عظمت الثروة الادبية فى أمة من الامم فانها فى حاجة الى الاقتباس والاطلاع على الثروات الادبية فى الامم الاخرى . واذا كان ذلك ما حدث فى الايام القديمة ، فان الامم احوج اليه الآن بعد أن صارت أكثر اتصالا بعضها ببعض

« فالترجمة لازمة للنهضة الحاضرة كالتأليف. والادب الصالح هو الذى يقوم فيه كل مشتغل به فى الناحية التى يتقنها

الشعر المنثور

« على انى اذا قلت ان الترجمة لازمة فانما احب ان تتناول الآثار الادبية لنوابغ ادباء الغرب مما يضيف الى الادب العربى ثروة يتذوقها وتتمشى مع روحه ، وهنا أذكر ما ابتدعه بعض الادباء اخيراً مما يسمونه « الشعر المنثور » . فهو فى رأيى بعيد عن ذوق الأدب العربى ولا يتمشى مع روحه . وهو فى اعتقادى توثب فى النفس الى الشعر ، وقصور دون ادراك غايته . ولو ان الذين يتوثبون نظموا خواطرهم شعراً لكان ذلك احسن ، ولضمنوا لآثارهم البقاء ، أما هذا النوع من النثر ، اذا ترك أثراً فنياً جميلا ، فانه على ما اعتقد ليس مما قدر له البقاء

« وقد طالعت من « الشعر المنثور » شيئاً غير قليل، يدلنى على صحة ما قدمت . ومع ان امام هذا المذهب المرحوم جبران خليل جبران ، فان روايته « الاجنحة المتكسرة » التى لم يلجأ فيها الى نوع الشعر المنثور ستكون أبقى آثاره فى الادب العربى ، ذلك لان روح الادب العربى فى مدى السنين الطويلة لم تتذوق هذا النوع ، ولم تتنبه مع اتصال العرب باوربا واطلاع كتابهم على ادب الغرب فى الاندلس — ذلك الاطلاع الذى كان جديراً بأن يلهمهم مختلف المذاهب الغربية التى تلتئم وروح الادب العربى »

ط . . .

العلم ومناجاة الارواح

ما هو الموقف العلمي الصحيح بازاء هذه المسألة الخطيرة ؟

بقلم الاستاذ اميل زيدان

لا تسلم الا بما اثبته العلم ..
ولكن لا تنكر ما لم ينكره

اود ان اردد هنا ماقلته غير مرة فى مقالاتى السابقة ــ وهو أنى حين اكتب فى موضوع مناجاة الارواح ، فلست فى مقام من يروج لمذهب يؤمن به ، او من يبث الدعوة لرأى عزيز لديه . وانما انا كمن شق امام عينيه حجاب كثيف فتراءت له امور عجيبة رام تبينها واستقصاء حقيقتها . وانى اتقدم فى هذه المجاهل بمنتهى الحذر مهتدياً بمصباح البحث العلمى النزيه ، غير غافل عن التبعة المترتبة على النفى او الاثبات فى مثل هذا الموضوع الخطير

وكلمة اخرى اود ان اوجهها الى نفر من الذين طرقوا هذا البحث : ان المناقشة العلمية ليست كالمناقشة فى السياسة أو الدين . ففى هذين الميدانين يغلب ان يكون الاعتقاد سابقاً للبرهان ، أى ان العقيدة السياسية أو الدينية تتسرب الى ذهن الانسان عن غير طريق البحث والفحص ، ثم يعمد صاحبها الى اثباتها والتدليل على صحتها . واذا نحن قمنا بهذا الاسلوب فى منشأ عقائدنا السياسية والدينية فلسنا نستطيع الاعتماد عليه حين نبغى تكوين رأى علمى . فللعلم حدود صريحة وللبحث العلمى منهج واضح لا يجوز تخطيه

فمن يتصدى لدراسة مناجاة الارواح وما يتصل بها من الموضوعات الخارقة يجب عليه بادىء بدء أن يطرح كل رأى سابق لم يقم على أساس التحرى ، وان يلج هذا الباب بحذر مسترشداً بالمنهج العلمى الصحيح . اجل ، يجب ان يدرس الظواهر الروحانيــة كما يدرس أى طائفة من الظواهر الطبيعية . وفى الواقع ان الظواهر الروحانية ينبغى ان تدخل فى حيز الظواهر الطبيعية اذ ليس من شىء خارج الطبيعة وانما هناك اشياء شملها علمنا الحاضر ، وأشياء لم يشملها بعد . ولا بد قبل قبولها فى حظيرته من ان تؤدى الامتحان

✶ ✶ ✶

ان علم القرن العشرين اكثر اتضاعاً من علم القرن التاسع عشر وارحب منه صدراً : فان التقدم العلمى العجيب فى القرن الماضى وما احدثه فى حياة الانسان من تحول وانقلاب لم يعهد لها مثيل فى التاريخ ، كان من جرائه ان اصيب العلم بنشوة زادته زهواً بنجاحه واعتداداً بقدرته ، وظن العلماء حيناً ان العلم المادى قد احاط بسنن الكون الرئيسية وان فى استطاعتهم تفسير جميع الظواهر تفسيراً مادياً . وشأن العلم الحديث فى ذلك كشأن الشاب فى أول عهده يغتر بقوته ويختال بجرأته ولكنه لايلبث بعد النضوج العقلى وسكون الفورة الاولى ان يتغلب عليه الحرص والتروى

ثم ان العلماء قد رأوا كثيراً من النظريات التى ظنوها ثابتة لا تتزعزع ، رأوها تنهار وتندك من اساسها بين عشية وضحاها . فكم من المبادىء التى تعلمناها منذ عشرين أو ثلاثين سنة قد تعدلت اليوم أو ابدل بها سواها . هذا ماتم فى جيل واحد من الناس وفى بضعة عقود من السنين . فلنتصور ما يكون من مصير العلم بعد مائة سنة . . . وبعد الف سنة . . . وبعد ذلك !

وفى الحقيقة ان نظرة سريعة نلقيها على تاريخ الكشف العلمى لكفيلة بان تخفف من غلواء بعض المتعصبين للعلم أو لما يظنونه علماً . فما احفل هذا التاريخ بالعبر وما ادعاه الى التحذر فى التقرير والاستنتاج . فكم من مرة رأينا حقيقة الامس تصبح ضلالا وضلال الامس يصبح حقيقة

اجل ، ان تاريخ التقدم العلمى ليس إلا تاريخ الحقائق الجديدة تطرد من امامها الحقائق القديمة وتحل محلها . فالحقيقة التى يكتشفها البشر ليست هى الحقيقة الأزلية المطلقة ، ويندر ألا يصيبها الزمن بمعوله عاجلا أو آجلا ، على الرغم مما قد يبذله انصارها من المقاومة فى اول الامر : فان بعض الاوليات المقررة اليوم فى اذهان الناشئة كانت يوماً ما مثارة للجدل بل للفتن والمنازعات ، ثم لم تلبث ان انتصرت على ما سواها ، وقد يجيء اجلها بعد حين ويختم عمرها اسوة بما تقدمها . . . وهكذا دواليك

على ان التحول فى الرأى العلمى يندر ان يتم بلا مقاومة . ولهذه الظاهرة — التى سماها البعض Misonéisme أو Néophobie أى كراهة الجديد — تعليل مقبول : وذلك ان علماء كل جيل تستقر فى اذهانهم بعض النظريات وتعد لديهم فى منزلة الحقائق الثابتة التى يسكنون اليها ويطمئنون . فالانسان لايطيق حالة الشك التى تنهك فكره بل ينشد راحة ذهنه على الدوام

فاذا جاء باحث بجديد يترتب عليه زعزعة ما استقر فى الاذهان كان نصيبه العداء والمقاومة ، حتى قبل ان تبحث دعواه . لان كل مايتطلب جهداً أو يثير شكاً ينفر منه الانسان بفطرته ، ولا سيما بعد ان يجاوز سناً معينة . فالعقل كالجسم يفقد مرونته مع السنين وتقل قابليته للنمو والتكيف . ومن العلماء من تتصلب آراؤهم فيتعصبون لها بعناد عجيب . وليس التعصب فى العلم باقل عماية وشناعة من التعصب الدينى !

غير ان العالم الجدير بهذا الاسم تجب عليه محاربة هذا الميل الطبيعي ـ أو بالحرى هذا الـكسل الذهني ـ مهما تكلفه من جهد او تجر اليه من تغيير فيما استقر عليه « علمه » . على اننا اذا تصفحنا تاريخ العلوم وجدنا العلماء من هذا الطراز هم الاقلية . فما أكثر الحقائق التي قاومها العلماء بحجة انها مخالفة « للعلم » وهي انما كانت مخالفة لعلمهم هم ! !

هذا كان شأن التخدير الجراحي فقد انكره العلماء في اول امره

وهذا ايضاً كان شأن « الميكروبات » فان العلماء ظلوا عشرين سنة دون التسليم بوجودها

وغليلو سجن لانه قال ان الارض تدور

وأكد العالم لافوازيه الفرنسي ـ على سعة علمه ـ انه يستحيل أن تسقط حجارة من السماء إذ ليس فيها حجارة !

والدورة الدموية لم تثبت صحتها الا بعد جدال دام اربعين سنة !

وقس على ماتقدم امثلة عدة . فتاريخ العلوم مملوء بما تلاقيه الحقائق العلمية من صنوف المقاومة قبل ان تستقر ويسلم بها العلماء . بل كثيراً ما كان العلماء انفسهم هم اكاْد العقبات في سبيل تقدم العلوم ، وسرعان ما كانوا يصمون الشيء الجديد الذي يجاوز علمهم بانه مناقض للعلم

وشتان بين ما هو « جديد » في العلم وما هو « مناقض » له

* * *

قلت اننا في دراسة مناجاة الارواح يجب ان ننهج المنهج العلمي . فما هو هذا المنهج وما الذي يقضي به ؟

يجب على الباحث العلمي اولا ان يخلي ذهنه من كل رأي سابق لم يقم على أساس التحري . ثم يجب عليه جمع أكبر قدر من الحوادث والوقائع الداخلة في مجال بحثه ، حتى اذا اجتمع منها القدر الكافي امكنه استخراج قاعدة لتعليلها جميعاً . ثم يعمد الباحث الى تحقيق هذه القاعدة والتأكد من صحتها فاذا ثبت لديه بالتجربة والاختبار انها تنطبق على جميع الحالات قررها نهائياً واعتمدها قانوناً عاماً

افرض أني ادرس فعل الحرارة في المعادن ، فاني اشرع في التجربة بمعادن مختلفة فاذا وجدت النتيجة في جميع الحالات تمدد المعادن بفعل الحرارة وضعت مبدئياً هذه القاعدة وهي « ان الحرارة تمدد المعادن » ، ثم عمدت بعد ذلك الى توسيع مدى البحث والاختبار والمقابلة حتى اذا تأيد هذا القانون في كل مرة قررته وجعلته في صيغته النهائية

وبعبارة اخرى ان العلم في تحريه يقطع اربعة ادوار :

١ ــ جمع الحوادث والوقائع
٢ ــ تعليلها تعليلا اولياً
٣ ــ تحقيق هذا التعليل بتطبيقه على حوادث ووقائع منوعة
٤ ــ تقرير التعليل نهائياً

وفى الواقع ان الانسان لا يستطيع ان يجزم جزماً قاطعاً (أى موثوقاً بصحته مائة فى المائة كما يقال) إلا فيما يتعلق بالحوادث والوقائع المفردة . فلنفرض مثلا انى وجدت قطعة من الحديد تمددت بفعل الحرارة ثم وجدت مرة ثانية قطعة من النحاس تمددت كذلك ، ثم فى مرة أخرى قطعة من الرصاص ، فهذه الحوادث المفردة ثابتة لا شك فيها ، ولكنى حين اود ان استخرج منها قانوناً عاماً ينطبق على ما سواها ــ فاقول ان جميع المعادن تتمدد بالحرارة ــ ففى هذه الحال لا يكون حكمى نهائياً ويبقى قولى معرضاً لخطر استكشاف معدن جديد قد تكون له خواص أخرى تلجىء الى تعديل حكمى السابق أو تقييده بتحفظ

☆☆☆

هذا هو باختصار ــ واخشى أن يكون اختصارى مخلا ــ اسلوب البحث العلمى . وهذا هو الاسلوب الذى يجب أن نتوخاه فى دراسة مناجاة الارواح

واول ما يطلب منا كما قلنا ألا نركن الى رأى سابق فى هذا الموضوع ــ سواء أأوحته الينا عقائدنا الراسخة أم اميالنا الخفية أم ما تصبو اليه نفوسنا . بل يجب ان نبحث ونجمع الحوادث والوقائع ونحققها التحقيق الوافى ، وحينئذ نرى هل يكفى ما اجتمع لدينا من البيانات الموثوق بها لاتخاذ موقف معين

وينبغى ألا تحول غرابة الشىء دون التسليم به ، فمعظم ما نجهله نستهجنه فى أول الامر ولا نتصور صحته الا بمشقة : افرض ان سائحاً جاء يوماً الى قوم لا عهد لهم بالمغنطيس وقال لهم انه اكتشف معدناً له خاصة جذب الاشياء اليه ، لاشك أنهم يكذبونه ولا يحفلون بدعواه

كذلك كان من الصعب على الانسان ــ قبل الاختراعات العلمية التى تمت فى القرن الماضى ــ ان يتصور شيئاً مما تحقق اليوم وأصبح مألوفاً.فلا شك ان آباءنا لوجاءهم زاعم يزعم انه يستطيع التحليق فى الجو أو محادثة شخص بعيد أو اضاءة غرفة بضغط زر أو . . . أو . . . الى آخر المعجزات التى نعيش بين ظهرانيها لسخروا منه واتهموه بالخبل أو ــ على الاقل ــ بالدجل

☆☆☆

ثم هنا تعرض مسئلة يجدر ان نواجهها بلا ابطاء . وهى : هل يجوز لنا الاعتماد على شهادة الباحثين

فى موضوع مناجاة الارواح ؟ أى هل يمكننا الأخذ بما يرويه لنا نفر من العلماء عن تجاربهم واختباراتهم ؟

الجواب : نعم ، ولم لا يكون الامر كذلك ؟ اننا نعتمد على شهادة النزهاء من أهل العلم فى جميع ميادين البحث العلمى . ومع كل ما يلابس المباحث الروحانية من صنوف الدجل والخداع ، فان شهادة بعض كبار العلماء ممن لا يطعن أحد فى نزاهتهم حرية بالاعتبار والاحترام . وليس يعقل ان اولئك العلماء الذين راضوا عقولهم طول حياتهم على اسلوب التحرى العلمى الدقيق — لا يعقل ان هؤلاء العلماء حين يلجون باب المباحث الروحانية يفقدون تلك الصفات التى اتصفوا بها وينسون ما تقتضيه هذه المباحث الخطيرة من الدقة والحذر

اما الخداع فى هذا الميدان فلا شك انه قد كشف غير مرة ولا شك انه فضح أمر غير واحد من « الوسطاء » — ولكن حادثة واحدة اثبتت بالطرق العلمية الصحيحة اكثر دلالة من مائة حادثة انجلت عن ظهور الغش فيها . قال برجسون الفيلسوف الفرنسى الكبير : « لا شأن لى بقدر ما يصح أولا يصح من حوادث الاحلام التنبئية فليست هذه مسألة احصاء . ولو لم يثبت لدى إلا حادث واحد من هذه الحوادث لقررت صحة انتقال الافكار » . وما قاله برجسون عن انتقال الافكار يمكن اطلاقه على مناجاة الارواح ايضاً

وقد شبه العلامة ما برز اولئك الذين يبحثون الآن فى هذه الموضوعات الخارقة بكولمبس مكتشف امريكا قبل ان يطأ العالم الجديد . فقد ضل طريقه غير مرة وتعثرت سفنه فى بحر الظلمات لما اكتنفها من نفايات البحر ومخلفاته ، ثم لم يلبث ان شق طريقه بين مختلف العقبات وكشف عالماً جديداً عجيباً

* * *

على أن الباحثين فى الروحانيات يختلفون اختلافاً بيناً فى تقدير الشوط الذى قطعوه فى مباحثهم ففريق منهم يرى ان ما اجتمع لديهم من المشاهدات والتجارب يكفى لتقرير وجود الارواح وامكان الاتصال بها . فهذا البحث فى نظرهم قد جاوز دور الفرض ودخل دور التقرير

ولكن الفريق الآخر وان سلم بصحة ما يبدو فى هذا الميدان من الظواهر ، فانه ما زال يفحصها بدقة . فلا ريب ان اموراً عجيبة تتم على أيدى بعض الوسطاء ، إلا ان دلالتها الحاضرة فى نظر هذا الفريق لا تتيح الجزم بأنها صادرة عن أرواح الموتى

قال الاستاذ محمد فريد وجدى فى البحث الذى نشره اخيراً فى الهلال : « ... أما المسألة التى حيرت

العقول ولا تزال موضوعاً للنزاع بين الباحثين هي صحة شخصية الارواح — هل هي ارواح الموتى الذين تعنيهم ، أم هي ارواح من طبيعة اخرى موجودة فى العالم الأثيرى تنتحل اسماءهم وتظهر بصورهم ، أم روح الوسيط نفسه تخدعهم وتجيب السائلين بلسان موتاهم ، أم روح وقتية تألفت عناصرها من مجموع ارواح المجربين على غير وعى منهم . . . ؟ »

* * *

قال السير اوليفر لودج العالم الانجليزى المشهور : « ان اهم ما اثبته البحث الروحانى حتى اليوم هو امكان انفصال الجسم عن الفكر وان الفكر يستقل احياناً ويعمل بصور معينة بعيداً عن اداته الجسدية . . . »

هذه فيما نعتقد أدنى نتيجة يخرج بها الباحث من دراسة هذه الموضوعات فكل من عنى بها لا يلبث ان تبدو له هذه الحقيقة وهي ان الذهن البشرى قد تصله المعرفة فى بعض الاحوال بطرق غير طرق الحواس العادية

ولا يبرحن من الذهن ان العلم لم يفقه الى الآن كنه الجانب الاكبر من الحقائق الاولية . فما هي المادة ؟ وما هي الكهرباء ؟ وما هو الأثير ؟ وما هي الجاذبية ؟ وكيف يتاح للبويضة اذا ما لقحت ان ينشأ عنها شجرة أو حشرة أو فيل أو انسان ؟ وكيف ينسج العنكبوت نسيجه وتقطع الاطيار القارات والبحار فى فصول معينة ؟

هذه كلها اشياء مألوفة ولكنها فى الوقت نفسه ألغاز يتعذر حلها ، أما الظواهر الروحانية فهى ايضاً ألغاز كهذه وان لم تكن مألوفة مثلها

على ان ذهننا هو اللغز الاعظم ، ولا شك اننا لا نفقه الا النزر اليسير من احكامه — احكامه فى الحياة وبعد الممات . فكل المباحث النفسية الحديثة ان دلت على شىء ، فانما تدل على اننا ما نزال فى بدء عهد الاستكشاف وان خفايا النفس أعجب من ظواهرها — وكأن الانسان ، على رأى وليم جيمس ، يعيش على سطح ذاته وكل ما تحت هذا السطح يكاد يكون مجهولا

ان المباحث الروحانية فى نظرنا ما تزال فى اول عهدها . وكأنها اليوم فى المرحلة التى قطعها علم الفلك حين كان تنجيما . ولكن التنجيم قد انقضى عهده واصبحت الاجرام السماوية خاضعة لنواميس معروفة . ولا يبعد أن يجىء يوم يستخرج فيه العلماء نواميس ثابتة من بين شتى المباحث الروحانية التى يقومون بها فى جميع الاقطار

اميل زيدان

كيف استقل العراق

دولة تنشأ في عشر سنوات

قام أخيراً الاستاذ كريم ثابت برحلة الى العراق وايران وانتهز فرصة اقامته في الدولتين الناهضتين لدرس أحوالهما السياسية والاجتماعية . وفي هذا المقال يسرد كيف استقل العراق وكيف تمكن العراقيون من انشاء دولة في عشر سنوات . ولا يخفى ان هـذه الدولة ستدخل جمعية الامم بعد أسابيع

مطامع الانجليز فى العراق

كان للانكليز مطامع قديمة فى العراق وكانت رغبتهم فى الاستيلاء عليه معروفة بغية ضمه الى امبراطوريتهم لقربه من الهند واتصاله بها . فما كادت تركيا تخوض غمار الحرب العظمى ويدور القتال بينهم وبين الترك حتى اسرعوا بانزال جنودهم في سواحل العراق وتقدموا لاحتـــلاله فقاومهم الترك مقاومة شديدة ، ولكنهم لم يكترثوا للصعاب التى لاقوها فى طريقهم وظلوا يواصلون الزحف حتى دخلوا بغداد فى أوائل سنة ١٩١٧ وكانوا فى أثناء زحفهم وتقدمهم يكيلون الوعد للعراقيين العرب بالحرية والاستقلال ويمنونهم بانشاء الامبراطورية العظمى ويوزعون عليهم منشورات المغفور له الملك حسين ملك الحجاز الأسبق

الادارة الانجليزية ونتائجها

وبعدما وطد الانجليز أقدامهم فى بغداد استأنفوا الزحف متجهين نحو الموصل ، فلما وصلوا الى «شرقاط» وبينها وبين الموصل مسافة قصيرة ، عقدت الهدنة بين الترك والحلفاء وأمضيت شروطها فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ فوقف القتال ولكن الانجليز مضوا فى تقدمهم نحو الموصل فدخلوها وبذلك صار العراق كله فى قبضة أيديهم فتناسوا عندئذ وعودهم للعرب والعراقيين بانشاء حكومة عربية مستقلة ، وأنشأوا فى بغداد ادارة انجليزية مرتبطة بحكومة الهند أى ان العراق كان يدار على شكل مستعمرة تابعة للهند فكانت الحكومة الهندية تتولى شؤونه وادارته وترسل اليه العمال والموظفين حتى امتلأت مصالحه ودواوينه بهؤلاء الغرباء الذين لا يعرفون لغة البلاد ولا عاداتها وتقاليدها ، وكان التشريع عبارة عن قرارات أو أوامر يصدرها الحاكم العسكرى أو معاونه ، وكان ضباط حامية الهند أيضاً يتقلدون المناصب الادارية فى الأقاليم والبنادر والارياف ، فمنهم المديرون

ومنهم ضباط البوليس ومنهم رجال الامن العام ، حتى أصبح العراق غريباً فى بلاده بعيداً عن دوائر حكومته مقصياً عن الوظائف التى جعلتها السلطة العسكرية وقفاً على الذين تأتى بهم من الهند أو غيرها من الاقطار الاخرى

الثورة العراقية

وسرعان ما عيل صبر العراقيين من هذه الحالة فطلبوا وألحفوا بتعديلها ومنحهم حقوقهم والبر بالوعود والعهود المقطوعة لهم ، ولما لم يجدوا أذناً صاغية تنادوا الى الثورة فاندلعت نيرانها فى صيف سنة ١٩٢٠ وقد ابتدأت يوم ٢٢ يونيو باغتيال ضابطين بريطانيين فى مدينة تل عفر التى تبعد بضعة كيلومترات عن الموصل . ثم شملت منطقة أواسط الفرات فحاصرت الحاميات البريطانية فى المدن وقطعت عليها خط الرجعة وكان عدد رجال الجيش الانكليزى فى العراق يومئذ ستين الفاً فأعاد النظام بعد معارك عنيفة وبعد وصول نجدات جديدة اليه وهكذا وجد الانكليز أنفسهم أمام حالة جديدة ، فقرروا إجابة مطالب الامة والبر بوعودهم لها ، وعكفت وزارة المستر لويد جورج على درس شؤون العراق دراسة دقيقة ، فعرفت مكامن الداء وأعراضه فقررت فوراً تأليف حكومة برياسة المرحوم السيد عبد الرحمن النقيب ، نقيب أشراف بغداد ، تستمد السلطة من مجلس وطنى يمثل أعيان البلاد وعدد أعضائه ٢٠ عضواً منهم ثمانية يؤلفون هيئة الحكومة الجديدة ورئيسهم هو النقيب

الملك فيصل فى العراق

وكان جلالة الملك فيصل حين اضطراب الحالة فى العراق فى لندن وكان قد خرج من سوريا على أثر احتلال الفرنسيين لها فاتفق مع الحكومة البريطانية على أن يرشح نفسه لمنصب ملك العراق وأن يذهب الى بغداد لهذه الغاية

وفى شهر يونيو سنة ١٩٢١ وصل جلالته الى البصرة وفى ١١ يوليو قرر المجلس العراقى أو مجلس الشورى - وقد قلنا آنفاً انه يتألف من ٢٠ ذاتاً - عرض عرش العراق على الملك فيصل فقبله وأيد المندوب السامى البريطانى هذا الانتخاب واستفتى الشعب العراق فنال جلالته ٩٦ ٪ من مجموع الاصوات وفى يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ نودى به ملكا

التوفيق بين الفريقين

وكانت العلاقات السياسية يومئذ بين الحكومتين البريطانية والعراقية مبهمة مشوشة ، فان الانكليز كانوا يتمسكون بالانتداب ويقولون ان جمعية الامم عهدت اليهم به محاولين الاشراف على الكبير والصغير من شؤون البلاد والتدخل فى كل أمر من أمورها وجعل الاستقلال الذى ناله بمقتضى معاهدة فرسايل لفظاً لا مدلول له

وكان هناك عدد من الوطنيين يرى ان بقاء الانكليز لا يتفق والكرامة القومية وينادى بوجوب جلائهم ورحيلهم عن البلاد بقضهم وقضيضهم وتركهم ادارتها لأبنائها

وهنا رأى العقلاء ان يبتكروا حلا يوفق بين الوجهتين المتناقضتين لأنهم أدركوا ان جلاء الانجليز عن العراق قبل ان يتم تكوينه الطبيعي ويبلغ أشده وتنشأ القوى الكافية لحماية حدوده الواسعة ، معناه تعريضه لغزوات جيرانه ، وهكذا يفقد استقلاله ويقضى على أمانيه فيعود الى أشد مما كان عليه فى عهده السابق كما ان سيطرة الانجليز المطلقة على الادارة وتصريفهم للجليل والحقير من شؤونها لا يسير بالبلاد الى الغاية التى تنشدها وتسعى لبلوغها ـ نقول ان العقلاء رأوا ان يبتكروا حلا يوفق بين هاتين الوجهتين المتناقضتين ، فلم يجدوا أحسن من عقد معاهدة تقرر علاقات الحكومتين احداهما بالأخرى

المعاهدة والدستور

وكان أول ما عمله جلالة الملك فيصل بعد جلوسه على العرش انشاء حكومة جديدة برئاسة نقيب بغداد ففاوضت هذه الحكومة الانجليز لعقد معاهدة تحدد علاقات العراق بانجلترا بدلا من صك الانتداب الذى رفض العراقيون قبوله أساساً لعلاقاتهم ببريطانيا . وفى يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ تم توقيع هذه المعاهدة ومدتها ٢٠ سنة فلقيت معارضة شديدة من الوطنيين الذين رأوا فى نصوصها غبناً لبلادهم ، بيد ان ذلك لم يمنع الحكومة من مواصلة العمل فدعت الامة إلى انتخاب جمعية وطنية حصرت مهمتها فى ثلاثة أمور :

١ ـ التصديق على المعاهدة واقرارها

٢ ـ وضع دستور العراق

٣ ـ وضع قانون الانتخاب

ومع ان الحكومة العراقية لقيت صعوبات جمة فى حمل الشعب على الاشتراك فى هذه الانتخابات بسبب الدعوة الشديدة التى بثت لمقاطعتها إلا انها استطاعت جمع الجمعية فأجتمعت فى شهر ابريل سنة ١٩٢٣ وأقرت المعاهدة ووضعت الدستور وقانون الانتخاب فتم بذلك انشاء الحكومة العراقية الجديدة

تعديل المعاهدة

غير ان المعاهدة العراقية البريطانية لم تلبث ان عدلت فى سنة ١٩٢٤ وفى سنة ١٩٢٥ وفى سنة ١٩٢٧ ، وذلك تبعاً للاحوال والظروف ، وآخر معاهدة عقدت بين العراق وانجلترا هى معاهدة شهر يونيو سنة ١٩٣٠ وضمنت للعراق دخول جمعية الامم ونظمت علاقاته بانجلترا .

وقد أقر البرلمان العراقي هذه المعاهدة وستنفذ من اليوم الذى يصير فيه العراق عضواً فى جمعية الأمم أى فى شهر سبتمبر القادم

تقرير العلاقات الخارجية

واتجه هم العراق بعد ذلك الى تقرير صلاته بجيرانه وتسوية المسائل المعلقة بينه وبينهم وفى مقدمتها شؤون الحدود ، فعقد المعاهدات مع تركيا والحجاز ونجد واليمن ، وعقد اتفاقات تمهيدية مع إيران . وقد أدت زيارة جلالة الملك فيصل لطهران فى الشهر الماضى الى تفاهم رجال الحكومتين العراقية والايرانية على أساس المسائل التى كانت لا تزال تفتقر الى تسوية وينتظر ان تعقد المعاهدات الخاصة بها . وزار الملك فيصل فى السنة الماضية عاصمة تركيا الجديدة فكان لهذه الزيارة أثر كبير فى توطيد علاقات حسن الجوار بين البلادين

الاهتمام بالاصلاحات الداخلية

ولم تصرف السياسة الخارجية المسؤولين من رجال العراق عن الاهتمام بالشؤون الداخلية . فأصلحوا الطرق وألفوا جيشاً منظماً أصبحت البلاد تستطيع ان تعتمد عليه الآن ، وأوجدوا شرطة ووضعوا لها نظماً تماثل نظم الشرطة فى أرقى بلدان العالم ، وزادوا عدد المدارس وعنوا بزيادة عدد المدرسين العراقيين ونشطوا الصناعات المحلية على نحو ما تجلى فى معرض بغداد الذى افتتح فى شهر ابريل الماضى

وستوقف الحكومة العراقية إيرادها من امتيازات البترول التى منحتها لشركتين انجليزيتين حتى الآن على مشروعات الرى الجديدة التى يراد بها احياء نحو مليونى فدان ، وستكون ٨٠٠ ألف فدان منها صالحة للزراعة فى خلال السنوات الخمس الأولى ، وعلى تحسين الطرق الموجودة وإنشاء طرق جديدة ، وعلى تعميم المدارس ونشرها فى جميع أنحاء البلاد

فما تقدم يتضح ان العراق تقدم فى جميع مرافق الحياة ، واستطاع فى خلال عشر سنوات ان ينشىء دولة على النظم الحديثة وان ينظم علاقاته الخارجية ويكفل التقدم المادى والادبى والعملى والاجتماعى لشعبه . ومما لا ريب فيه ان الفضل الاكبر فى هذه النهضة المباركة يعود إلى ما أظهره العراقيون من التضامن القومى

كريم ثابت

سوريا ولبنان
وتطور الموقف المالى والاقتصادى فيهما

خلاصة محاضرة للدكتور جورج فوشيه

تطورت الحوادث في سوريا ولبنان في الاسابيع الاخيرة تطوراً فجائياً لم يكن في الحسبان اذقضت الاعتبارات السياسية والاقتصادية بوقف الدستور وبتعديل النظام الحكومى الى ان تستقر الحالة وتهدأ ثورة الافكار . وقد وقع ذلك كله قبيل انتخابات الرآسة التى كان ينتظرها الجميع . وبهذه المناسبة رأينا أن ننشر هنا خلاصة خطبة ألقاها زميلنا الدكتور جورج فوشيه في الجمعية الملكية للاقتصاد السياسي بالقاهرة ، أجمل بها الحالة في سوريا ولبنان ونظر اليها نظرة صادقة . قال ما خلاصته :

لا يسع الجائل فى البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسى إلا ان يتضح له التطور البين الذى قد تم فى خلال العشر السنوات الماضية ، سواء أكان فى المدن أم فى القرى . فقد أنشئت هنالك الطرق الكثيرة وغرست ألوف الاشجار وجىء بماء الشرب النقى الى جميع البلاد وأقيمت المحطات الكهربائية فى كثير من الجهات . ومظاهر الرقى بادية على الخصوص فى بيروت ودمشق وحلب والاسكندرونة

ولقد يتساءل المرء لماذا لم تتم هنالك مشروعات عامة كبيرة ، ولماذا يكتفى القوم بسكة حديدية صغيرة تربط بيروت بدمشق ، ولماذا لم يتم إنشاء الخط الحديدى الذى وضعت رسومه بين بيروت وطرابلس منذ عهد طويل ، ولماذا أهمل مشروع الخط الحديدى بين حمص ودير الزور ، ولماذا أهمل الكثير من مشروعات الرى وغيرها ؟

الجواب ان الحائل دون ذلك كله هو الحاجة إلى المال والى الايدى العاملة . فموارد البلاد قد شحت بسبب ما طرأ عليها من الاضطرابات السياسية . والفلاح السورى لم يتسن له ان يجرى على الأساليب الزراعية الحديثة . لذلك بقيت مالية البلاد ضعيفة

الميزان المالى

ولا بد لنا هنا من الاشارة إلى ميزان البلاد المالى فى خلال العشر السنوات الماضية . والمقصود بالميزان المالى هو مقدار الاموال التى دخلت البلاد والاموال التى خرجت منها بين عامى ١٩٢١ و ١٩٣١

تدل احصاءات الجمارك على ان البلاد اشترت فى خلال تلك المدة من الخارج بضائع زادت قيمتها على قيمة ما باعته ستة مليارات من الفرنكات (أى ٣٠٠ مليون ليرة سورية) . ومن

حسن الحظ ان هذا العجز فى الميزان التجارى سوى بفضل عدة عوامل يصعب فى الوقت الحاضر تقدير شأن كل منها تماماً وأثره فى تسوية ذلك الميزان

ففى مقدمة تلك العوامل الاموال التى أرسلها المهاجرون من الخارج ، وتقدر بنحو خمسة ملايين ليرة سورية كل عام . وإيرادات المصايف ، وتقدر بنحو ثلاثة ملايين ليرة كل عام . ومكاسب التجار من البضائع التى يعيدون اصدارها إلى تركيا وإيران والعراق والحجاز ، وتقدر بعدة ملايين كل عام . وأثمان البضائع التى ترسل الى تركيا وغيرها بطريق « التهريب » ولا تذكر فى بيانات الصادرات ، وتقدر بمبلغ يختلف من ٦ الى ٨ ملايين ليرة كل عام . وميزانية المفوضية العليا والجيش الفرنسى فى سوريا وقد بلغت فى خلال العشر السنوات الاخيرة نحو مليارين ونصف مليار فرنك (أى ١٢٥ مليون ليرة) . وعلى كل حال فان عجز الستة المليارات الذى أشرنا اليه قد تسنى للبلاد سده كله تقريباً بفضل الموارد التى أشرنا اليها . وصادرات البلاد لا تزال فى زيادة مطردة ، سواء أكان باعتبار مقاديرها أم باعتبار قيمتها . فقد كانت الواردات سنة ١٩٢١ تسعة أضعاف الصادرات فنزلت فى سنة ١٩٣١ إلى أكثر من ضعفيها بقليل . واشترت البلاد فى خلال العشر السنوات الماضية آلات وادوات حديثة لتنظيم الصناعات المحلية بحيث يتسنى تقليل الواردات

مالية الحكومات السورية

واذا نظرنا إلى مالية البلاد رأينا نظامها معقداً ، فهنالك أربع دويلات لكل منها ميزانية خاصة للنفقات والايرادات . وهذه الدويلات هى سوريا ولبنان الكبير وبلاد العلويين وجبل الدروز يضاف اليها سنجق الاسكندرونة الذى هو - بالاعتبار المالى - وحدة مستقلة بذاتها وان يكن سياسياً تابعاً للدولة السورية . وهنالك أقساط سنوية تشترك الدويلات فى تسديدها بنسبة عدد سكانها ومقدرتهم المالية كأقساط الدين العثمانى وتبلغ ٢٤٤ ليرة تركية كل سنة وغيرها من الأمور المشتركة

وتدل ميزانية الجمهورية اللبنانية على ان نفقاتها قد تضاعفت بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٣١ أى انها زادت من ٢٥١٥٠٠٠ ليرة سورية الى ٥١١٤٠٠٠ ليرة . وليس معنى ذلك ان الشعب قد أرهق بالضرائب . وفى الواقع ان الضرائب الجديدة خفيفة جداً نسبياً . أضف إلى ذلك ان موارد البلاد فى اتساع وإيراداتها فى زيادة مطردة والحمل المالى الذى يتحمله الفرد فى لبنان لا يزيد على سدس الحمل الذى يتحمله الفرنسى فى فرنسا

واذا نظرنا إلى نظام البلاد السياسى وجدناه معقداً بعض التعقيد . وقد يكون من المدهش ان بلاداً لا يزيد عدد سكانها على سبعمائة ألف نفس يكون لها رئيس وزارة وخمسة وزراء

وخمسة وأربعون نائباً . ومثل هذا النظام يستلزم فى الحقيقة إدارة واسعة ونفقات كبيرة . ولكنه نظام يقتضيه نشوء البلاد واتساع مصالحها . وفى الواقع ان العمل الذى قد تم فى خلال العشرة الاعوام الماضية قدكان عظيما من الوجه المالى . على ان هنالك وجوهاً كثيرة للاصلاح ما تزال تحتاج إلى بذل مجهود . ولقد يدهش المرء إذ يرى فى ميزانية سنة ١٩٣١ مثلا اعتماداً بمبلغ ثمانمائة ألف ليرة سورية لانشاء الطرق وإصلاحها حالة ان الاعتمادات الخاصة بالشؤون الصحية وبتحسين مجارى المياه لا تزيد على ٥٢ ألف ليرة ، على ان اعتماد الطرق طارىء وقد دعت اليه اعتبارات محلية لا يتسع المجال لشرحها

ويقول المؤرخون ان عدد سكان سوريا فى العصور الغابرة كان يزيد على اثنى عشر مليوناً وان هذا العدد الكبير كان يعيش على موارد البلاد . أما اليوم فقد هبط ذلك العدد هبوطاً عظيما ومع ذلك فان السكان فى أشد الحاجة الى تنظيم موارد البلاد

التنظيم الاقتصادى

وانتقل الخطيب من هذه الخلاصة إلى ما يأتى فقال :

ان هذا التنظيم يقتضى القيام بمشروعات اقتصادية كبيرة ، والمشروعات تحتاج إلى أموال كثيرة لا تحتملها ميزانية البلاد . ولذلك فكر ولاة الأمور فى هل من الحكمة ومن المصلحة عقد القروض فى الخارج لاستغلال موارد البلاد

ويقال بوجه الاجمال ان الاهالى يرغبون فى عقد تلك القروض لاعتقادهم ان الفائدة التى يجنونها من استثمار الاموال الاجنبية تعود عليهم بالربح . إلا ان اعتبارات سياسية واقتصادية حالت أخيراً دون عقد تلك القروض

ولا بد لنا هنا من كلمة عن نظام الانتداب فهو يقضى بوضع تلك البلاد تحت رعاية فرنسا وان تكون الدولة المنتدبة شبه وصى ، وان تقتصر مهمتها على إعادة تنظيم البلاد سياسياً واقتصادياً بالتدريج

فنرى من هذا ان نظام الانتداب هو ضرب من الحماية المؤقتة ، وان البلاد انما وضعت تحت وصاية الدولة المنتدبة لكى تتولى هذه تدريبها للحصول على استقلالها بمرور الزمن

وانت تعلم ان أعظم مظهر للاستقلال هو الاستقلال المالى . وطبيعى ان الجماعات أو الحكومات التى تقرض البلاد الواقعة تحت الانتداب تطلب الضمانات الوافية للاموال التى تقرضها . وليس نظام الانتداب ضماناً من هذا القبيل إذ يكفى ان تكون الكثرة فى مجلس النواب الفرنسى يوماً ما فى جانب الذين يقولون ان فرنسا تخسر باصرارها على الاحتفاظ بانتدابها على سوريا أكثر مما تكسب حتى يسقط ذلك الضمان . وفى الواقع ان البلاد قد كانت معرضة غير مرة لمثل هذا الانقلاب الخطير . وما نزال نجهل ما يكنه المستقبل

وقد اقترح بعضهم ان تضمن فرنسا نفسها القروض التى تحتاج اليها البلاد . وفى هذه الحالة يتمتع لبنان وسوريا بالمزايا التى تتمتع بها الجزائر ومراكش والهند الصينية حيث تستثمر رءوس الأموال الاجنبية . على ان الدوائر المالية والسياسية الفرنسية تجد فى معاملة سوريا ولبنان بمثل تلك المعاملة صعوبات جمة . أضف إلى ذلك ان ثورة الدروز والثورة السورية أحدثتا أثراً سيئاً من الوجهة المالية . ومع ان تينك الثورتين أخمدتا فقد ظل الماليون ينظرون إلى البلاد الواقعة تحت الانتداب بعين الحذر وعدم الطمأنينة

ومنذ سنتين تحسنت الحالة واستتب الامن فى تلك البلاد ، فاستأنف المسيو بونسو مساعيه فى سبيل عقد قرض فى الخارج بضمان الحكومة الفرنسية . وكان ثمة مشروع ينتظر له نجاح عظيم من هذا القبيل لولا ان الحوادث تطورت بعد ذلك تطوراً غير منتظر

ففى خلال سنة ١٩٣٠ وضعت مصلحة الاشغال العمومية برنامجاً لمشروعات كبيرة كان يراد القيام بها على شروط مالية ملائمة بمعونة الدولة المنتدبة على ان تقدم هذه الدولة جانباً من أموال التعويضات المستحقة لفرنسا على ألمانيا بمقتضى مشروع يونغ . ومن ضمن تلك المشروعات إنشاء خطوط مواصلات كهربائية بين مراكز الانتاج ومراكز التصريف . وقد قدرت الاموال اللازمة لها بخمسة وسبعين مليون فرنك ، يؤخذ سبعون مليون فرنك منها من أقساط التعويضات الألمانية . ومنها مشروع إنشاء خط حديدى بين بيروت وطرابلس قدرت نفقاته بمائة وخمسين مليون فرنك ، يؤخذ ٥٥ مليوناً منها من أقساط تلك التعويضات . ومشروع آخر لانشاء خط حديدى بين حمص ودير الزور قدرت نفقاته بمبلغ ٢٢٠ مليون فرنك ، يؤخذ نصفه من أقساط التعويضات . ومشروع آخر لتوسيع ميناء بيروت قدرت نفقاته بخمسة وسبعين مليون فرنك ، يؤخذ ٤٥ مليوناً منها من تلك الاقساط . ومشروعات رى كبيرة قدرت نفقاتها بمائتى مليون فرنك كان يراد أخذ ٧٥ مليوناً منها من التعويضات . وإنشاء مصلحة للتلفونات قدرت نفقاتها بستين مليوناً من الفرنكات

هذه بعض المشروعات التى كان فى النية القيام بها والاستعانة على تنفيذها بأقساط التعويضات الألمانية . إلا ان سوء الحالة المالية فى ألمانيا فى السنة الماضية قضى باعلان الموراتوريوم وتأجيل تسديد أقساط الديون والتعويضات باقتراح المستر هوفر رئيس الولايات المتحدة ، فقضى على مشروعات المفوضية العليا الفرنسية

ooo

ولكن ـ هل فى ذلك مايدعو الى الندم ؟

لانعتقد ذلك . فلو انسوريا ولبنان انشأتا فى السنين الاخيرة خطوطاً جديدة ، لكان نصيب هذه الخطوط اليوم عجزاً مالياً كبيراً بسبب الازمة الاقتصادية العالمية ، وبسبب الهبوط العظيم

فى اسعار المواد الاولية . وقد أصيبت سكة حديد دمشق وحماه منذ العام الماضى بعجز كبير . فلو أن البلاد المشمولة بالانتداب عقدت قروضاً بضمان خطوطها الحديدية، فالارجح أن ميزانيتها كانت ترهق باعباء تنوء بها

ولو أن السدود القناطر أقيمت فى البلاد ومشروعات الرى والصرف انجزت لكانت نفقاتها أعظم بكثير مما لو انشئت الآن . والارجح أن ايراداتها ما كانت تكفى للانفاق عليها ولتسديد اقساط قروضها . كذلك لو عقدت البلاد قرضاً لتوسيع زراعة أشجار التوت وترقية صناعة الحرير لافضى ذلك الى الافلاس . فقد كان سعر الكيلو من أحسن أصناف حرير ليون منذ ست سنوات ٣٦٦ فرنكا . فهبط فى سنة ١٩٣٠ الى ٢١٥ فرنكا . ثم هبط فى أوائل العام الحاضر الى ١١٠ ، كذلك هبطت أسعار الصوف والقطن والمطاط وغيره

والخلاصة أن من حسن حظ البلاد الواقعة تحت الانتداب ان العوامل المالية والاقتصادية والسياسية قد حالت حتى الآن دون عقدها القروض فى الخارج فى خلال العشر السنوات الماضية اذ ليس من الحكمة عقد القروض واستثمارها فى ابان التضخم النقدى

وان تطور الحوادث فى السنوات الأخيرة يثبت لنا انه ليس من المصلحة العامة استثمار رءوس الاموال الاجنبية الكبيرة فى بلاد زراعية اذا عرضت منتجاتها على أسواق العالم كانت عرضة لهبوط السعر ، فالزارع الذى ليس مديناً لاحد بشىء يستطيع أن ينال بلغة العيش لانه يعيش على انتاج أرضه . واذا هبطت أسعار غلاته اقتصد فى نفقاته ما وجد الى الاقتصاد سبيلا . ولكن اذا كان مرهقاً بالدين وكان مضطراً الى تسديد اقساط ذلك الدين أصبحت حاله لا تطاق

ومن المحتمل أن تكون متجهين نحو اليوم الذى يعاد فيه تعديل الاسعار . واذ ذاك تصبح البلاد الواقعة الآن تحت نظام الانتداب أكثر استعداداً للقيام بالمشروعات الحيوية التى سبقت الاشارة اليها . لاسيما ان التقدم الذى قد تم فى بضع السنوات الاخيرة يشمل جميع مرافق البلاد العامة . فقد تحسن النظام الاقتصادى وزاد عدد السكان وتحسنت الشؤون الصحية . وكل ذلك عوامل تدعو الى الارتياح

وهنالك مشروع اقتصادى عظيم سيكون مصدر خير للبلاد وقد بدىء بالاعمال التمهيدية له وسيتم بالاموال الاجنبية ، ونعنى به مشروع مد انابيب البترول من الموصل الى طرابلس الشام . وستنقل هذه الانابيب ٢٥ فى المائة من ذلك البترول الى طرابلس . ولا يخفى ان رخص المازوت سيرقى الزراعة . ويدخل عليها الآلات التى تدار بالمحركات

* * *

ويسرنا أن نقول إن البلاد تتجه الآن نحو الاستقلال سواء أكان فى شؤونها السياسية أم

فى شؤونها الاقتصادية . وأساس نظامها الاقتصادى متين لان البلاد قد كانت تعتمد حتى الآن على مواردها الخاصة . وفى امكانها أن تتقدم تقدماً صحيحاً اكثر مما لو كانت تعتمد على رءوس الاموال الاجنبية . وقد استطاعت البلاد على الرغم من الازمة الاقتصادية التى تجرف اليوم العالم أن تدبر شؤونها الاقتصادية من دون ان تعقد القروض الاجنبية ، وان ترهق نفسها بتسديد تلك القروض كما هى الحالة فى جميع بلدان أوربا تقريباً

«آلام وأحلام»

رأي للاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

(الف الاستاذ توفيق مفرج مجموعة من الشعر المنثور وأصدرها ضمن كتاب انيق بعنوان « آلام واحلام » وقد كتب فضيلة الاستاذ مصطفى عبد الرازق هذه الكلمة التي تغنينا عن تقريظ الكتاب)

فى كل صناعة أهل الفن والهواة ، وكثيرا مايكون للهواة أثر عظيم فى نهضة الفن ومجهود خصيب

لكن الأدب كان دائما من بين الصناعات قوى الروح قاهر السلطان

فهو يحيل هواته صناعا ويغلب كل استعداد لهم ، وكل صفة وكل عمل حتى لايكونوا إلا أدباء

وانا لنعرف فى التاريخ العربى شواهد تغلب فيها الأدب حتى على الامارة والملك كما فى حال ابن المعتز الذى ذهب عنه ملكه وسلطانه ولم يحفظ له الدهر إلا لقب الشاعر الأديب

وهل يعرف الناس والقاضى الفاضل ، الاكاتبا والبهاء زهيراً إلا شاعراً ،أما الوزارة والرياسة فقد طغى عليهما الأدب وغمرهما غمراً

على أن العصور الحديثة تظهر هواة لايزالون ظاهرين فى عوالم أخرى

وانا لاندرى أضعف سلطان الأدب فلم تعد له غلبته الأولى ؟ أم ان روح الزمن أصبح يأبى أن يكون الأدب وحده شغلا شاغلا إلا لمن هيأته الفطرة ليبتدع نماذج من جمال البيان وسحره يهتدى بهديها ذوق البشر

وكتاب « آلام وأحلام » للسيد توفيق مفرج أثر أدبى من آثار هواة الأدب

تعرف ذلك فى شكل الكتاب من قبل ان تقرأه اذ تجد فضل ترو فى تخير لون الغلاف والورق وتناسب الأشكال ، وتنويع الخطوط وترتيب الأوضاع

وكل أولئك يشعر بنوع من التأنق قلما تجده إلا عند هواة الفنون الجميلة العارفين لفضلها الخبيرين بما يكون للطف المهارة فى عرضها من خلابة وتأثير

وتعرف ذلك فى الكتاب حين تقرأه فان الكتاب مجموعة قصائد ومقالات من الشعر

مزاعم خرافية
عن أهوال الحرب المقبلة

يلذ لبعض الكتاب أن يذهبوا فى وصف أهوال الحرب المقبلة كل مذهب . ويزعم بعضهم أن تلك الحرب متى وقعت ستقضى على الحضارة البشرية القضاء المبرم . إلا أن أحد كبار الكتاب الاميركيين (وهو المستر آرلنجتون كونواى) قد بحث فى هذا الموضوع بحثاً منطقياً خرج منه الى القول بان أكثر مايزعمه الكتاب من أهوال الحروب المقبلة انما هو أقرب الى الخيال منه الى الحقيقة . واليك خلاصة ماقاله هؤلاء الكتاب

مر على انقضاء الحرب الماضية ثلاثة عشر عاماً . وكان الطيران فى تلك الحرب ما يزال فى طفولته . ومع ذلك كان المتشائمون يزعمون أن الطيارات ستهلك البشر وتفنى حضارتهم . فهل تحققت نبوءاتهم ؟

لنتصور الآن أن الحرب وقعت بين دولتين متجاورتين ككندا والولايات المتحدة مثلا . ولنفرض أن كندا دولة قوية لها من الاساطيل الجوية ما لفرنسا التى تعتبر اليوم أقوى دولة حربية فى العالم وأن عدد طياراتها لايقل عن ألف وسبعمائة وهو العدد الذى تملكه فرنسا من هذا السلاح ، وأن حكومة كندا رأت أن أعظم ضربة توجهها الى الولايات المتحدة هى أن ترسل اليها سرباً من الطيارات الحربية تغزو مدينة نيويورك باعتبارها أظهر هدف يصلح للهجوم . فماذا تكون النتيجة ؟

بعد اعلان الحرب بنصف ساعة يهاجم سرب الطيارات حدود الولايات المتحدة وهذا السرب مؤلف من مائة واربعين طيارة للهجوم ليلا وخمسمائة وثلاثين طيارة للهجوم نهاراً

ولنفرض أن أميركا غير مستعدة للقتال وأنها فوجئت بهذه الغزوة مفاجأة غير منتظرة . فماذا تفعل ؟

يصدر مركز القيادة الجوية العليا أمره الى الاسطول الاميركى الجوى بملاقاة العدو . ولكن نظراً الى المفاجأة غير المتوقعة يصاب الاسطول الاميركى بشىء من الاضطراب . ثم تقع بين الفريقين مناوشات يخسر فى أثنائها كل منهما عدداً من طياراته ، ولكن تتمكن ثمانون فى المائة من الطيارات المهاجمة من اختراق حدود البلاد والوصول الى نيويورك والقاء القنابل عليها . ومعنى ذلك أن ١١٢ طيارة ليلية ، و٤٢٤ طيارة نهارية تصل الى نيويورك وتلقى قنابلها عليها . ولنفرض أن كل طائرة ليلية ألقت عشرين قنبلة زنة كل منها مائة رطل ، وان كل طائرة نهارية ألقت أربع قنابل (وهذا هو أقصى ما تستطيع الطيارات قذفه) فيكون مجموع القنابل التى يلقيها الاسطول

الجوى ٣٩٣٦ قنبلة زنة كل منها مائة رطل . وهو أقصى مايستطيعه سرب جوى هائل .

ترى ماذا تكون نتيجة هذه الغزوة التى لم يقع لها مثيل فى الحرب العظمى الماضية ؟

لنفرض ان الطيارات المهاجمة وجهت كل قوتها الى حى منهاتان ، والبرونكس ، بنيويورك ـ ويبلغ مجموع مساحتهما ٤١٤٧٤ فداناً انجليزياً . وأنت تعلم أن أربعين فى المائة من هذه المساحة تشغلها الحدائق العمومية والطرق والسكك الحديدية . فالارجح اذن أن أربعين فى المائة من القنابل التى تقذفها الطيارات ـ أو على الاقل ٣٠ فى المائة منها ـ تقع فى أماكن غير آهلة بالسكان ، وأن السبعين فى المائة الباقية من تلك القنابل (أى ٢٧٥٥ قنبلة فقط) تسقط فى الاحياء الآهلة

ولا يخفى أن القنبلة التى تزن مائة رطل تستطيع أن تهدم بيتاً مؤلفاً من « دور » واحد ولا يتعدى ضررها الحقيقى مامساحته ٣٢٤ قدماً مربعة كما أثبتت تجارب الحرب الماضية . ولكن لنفرض ان منطقة الضرر تبلغ نحو تسعمائة قدم (أو نحو ثلاثة أضعاف المساحة الحقيقية) فهذه المساحة تعدل ٠,٠٢٠٦ من « الايكر » أو الفدان الانجليزى ، ومعنى ذلك أن القنابل التى تسقط فى الاحياء الآهلة (وعددها كما سبق القول ٢٧٥٥ قنبلة) تدمر كل ما تسقط عليه فيما مساحته ٥٦،٨ من الافدنة . واذا تذكرنا ان مساحة حى « منهاتان » و « البرونكس » من أحياء نيويورك هى كما سبق القول ٤١٤٧٤ فداناً وان اربعين فى المائة من هذه المساحة هى حدائق وطرق ليس فيها أبنية آهلة فالباقى من تلك المساحة وهو ٢٤٨٤٤ فداناً هو الذى يكون معرضاً للتلف . ومن هذا الباقى لا تستطيع القنابل أن تتلف سوى ٥٦،٨ من الافدنة أو نحو ٠،٢٣ فى المائة (أقل من ربع فى المائة)

هذا أقصى مايستطيع ذلك السرب الجوى الهائل اتلافه من الابنية . أما تقدير الخسائر فى الانفس فأصعب . فبعض القنابل لاتصيب أحداً ولا تقتل نفساً ويقتصر كل ضررها على المكان الذى تسقط عليه . ولم يثبت اختبار الحرب العظمى الماضية ان قنبلة قتلت وجرحت أكثر من مائة نفس . وفى أثناء تلك الحرب القت المناطيد والطيارات الالمانية نحو تسعة آلاف قنبلة على جهات مختلفة من بريطانيا العظمى بلغ مجموع وزنها مائتى طن وثمانين طناً ، وبلغ مجموع عدد ضحاياها ١٤١٣ قتيلا و ٣٤٠٨ جرحى . فهذا العدد هو أقل من عدد الوفيات والاصابات التى وقعت فى شوارع نيويورك فى سنة ١٩٢٨ . ثم إن خسارة لندن وحدها فى تلك الغارات بلغ ٦٧٠ قتيلا و١٩٦٣ جريحاً مع أن لندن من أشد مدن العالم ازدحاماً بالسكان اذ تبلغ نسبة عددهم ٦١ نفساً لكل فدان ، حالة ان نسبة سكان نيويورك فى أشد احيائها ازدحاماً لاتزيد على ٢٨ ½ فى المائة لكل فدان . واذا تذكرنا ان نصيب لندن من قنابل الالمان كان خمسين طناً فقط علمنا ان مثل ذلك المقدار من القنابل لو سقط على نيويورك لبلغت خسارتها ستة قتلى و ٢١ جريحاً

ولنفرض ان هول فعل القنابل فى الحرب الجوية المقبلة سيبلغ عشرة أضعاف ما بلغه فى الحرب العظمى الماضية (وهو ما يعتقده الكثيرون مستحيلا) فهل يكون لذلك تأثير حاسم وهل تسلم نيويورك للعدو لأن خسارتها من القتلى تبلغ ستين ومن الجرحى ٢١٠ ؟ وهل تسلم ولو بلغ مجموع الخسارة مائة ضعف ذلك من القتلى والجرحى - وهو ما ينكر العلم إمكانه ؟

ولنذكر ان نيويورك ستقابل أسطول العدو الجوى بأسطول مثله وان معارك شديدة ستدور فى أعالى الجو . والتغيير الوحيد الذى سيقع فى أساليب ذلك القتال فى المستقبل هو فى المواصلات اللاسلكية بين الطيارات فى الجو ومركز قيادتها العليا على الارض . فان هذه المواصلات تمكن كل أسطول من معرفة حركات عدوه ومقدار قوته ، وبالنتيجة فهى تمكن كل قوة مدافعة من زيادة وسائل الدفاع والاحتياط لتقليل الخسارة الناتجة عن غزوة العدو

ولا يخفى ان المدافع المقاومة للطيارات قد تحسنت عما كانت عليه قبل الحرب . فهى اليوم أشد فتكا بالطيارات مما كانت فى تلك الحرب . وستزيد إتقاناً بحيث تصبح فزعة الطيارين

وليست وسائل الدفاع فى الليل أقل تأثيراً منها فى النهار . فالانوار الكشافة تزيد قوة وإتقاناً . ويقدر العارفون ان عدد الطيارات التى تستطيع الاحتجاب عن الانوار الكشافة ليلا والتى تخترق حدود الدفاع لا تزيد على طيارتين من كل ثلاث طيارات . فاما الطيارة الثالثة فاما ان يقتنصها سرب الطيارات المدافع ، أو ان تصبح هدفاً للمدافع

ولننظر الآن فى حرب الغازات السامة - وهذه الغازات هى التى يرتاع منها الكثيرون من أهل الخيال . ففى الحرب العظمى الماضية أطلق الألمان فى ميدان كبراى بفرنسا أربعمائة وخمسين ألف طن من تلك الغازات وبلغ مجموع الذين أصيبوا بها ٤٥٠٠ (بنسبة شخص واحد لكل مائة طن) توفى منهم خمسون رجلا فقط . فاذا فرضنا ان مثل ذلك المقدار أطلق على مدينة لندن (ومساحتها أقل من مساحة ميدان كبراى) ما زادت خسارتها على خمسين قتيلا . واذا فرضنا انه فى الحرب الخيالية التى تصورنا وقوعها بين كندا والولايات المتحدة ألقت الطيارات على نيويورك فى يوم واحد وليلة واحدة نحو أربعة آلاف قنبلة غازية (وهو أمر يكاد يكون مستحيلا إذا فرضنا وجود قوة تدافع عن نيويورك) وكانت زنة كل قنبلة ثلاثين رطلا بلغ مجموع غاز تلك القنابل كلها مائة وعشرين ألف رطل وبلغ عدد الاصابات مائة وعشرين

على أن توقع الغزوات الجوية والقاء القنابل الغازية من الجو يجعل أهالى المدن يحتاطون لتلك الغازات بالكمائم الخاصة وهذه الكمائم تقلل مقدار الخسارة

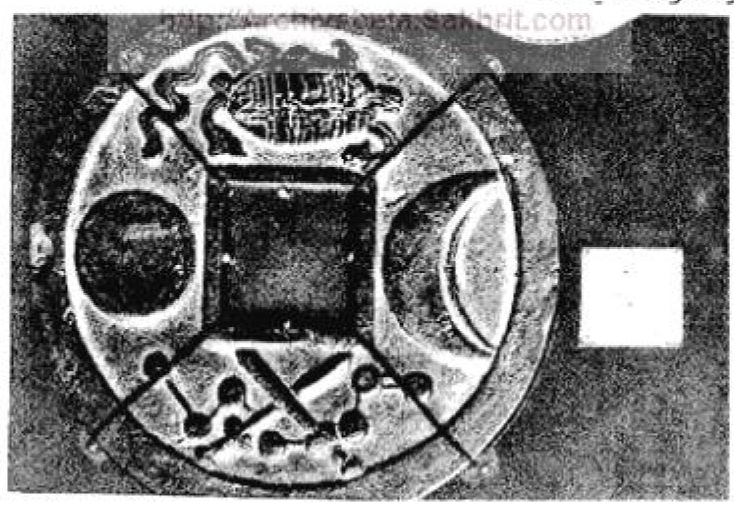
وتدل المباحث العلمية التى يوثق بها وأقوال العلماء الذين يعول عليهم على ان العلم لم يوفق وان يوفق إلى اكتشاف غازات أشد فتكا من الغازات التى استعملت فى الحرب الماضية . أما ما يزعمه بعض المتشائمين من ان الحرب المقبلة ستشهد غازات هائلة وأدوات دمار تهلك الانسان والحيوان والنبات فى طرفة عين فلا يخرج عن أوهام وخيالا

العملة في التاريخ
واغرب انواعها

النقود هي واسطة المعاملات التجارية . وقد كان الانسان في أوائل أطوار نشوئه يعتمد في معاملاته على المقايضة ، أي ان السلع كانت تقوم عنده مقام النقود . فكان يقايض القمح بالمواشي . ويبدل بالبقر حبوبا وبالشياه أشياء أخرى . وعليه فالمقايضة هي مبادلة سلعة بأخرى . ويقول أحد علماء الاقتصاد ان الانسان في أوائل عهد الحضارة استعمل تقريباً كل ما يمتلكه في مقايضاته كما يستعمل الآن النقود . فكان يستعمل الخرز والودع وقطع الحديد وما إلى ذلك بدلا من النقود

وتاريخ النقود متصل اتصالا وثيقاً بتاريخ الفنون والاساطير وسياسة الممالك . ولم يذكر التاريخ مملكة ظهرت في العالم إلا ظهرت معها عملتها الخاصة . فاذا سقطت لم تعش تلك العملة بعدها طويلا . وفي الواقع ان تطور المدنية متصل بتطور نظام النقد . وقد شهد التاريخ انواعا كثيرة من العملة سادت المعاملات التجارية في معظم بلدان العالم ردحاً من الدهر ثم اختفت . كذلك كانت حالة العملة اليونانية والعملة الرومانية وغيرهما في بعض أدوار التاريخ

ولم يشع استعمال النقود المعدنية إلا في القرن السادس قبل الميلاد. أما الذهبية منها فالارجح أن أول من سكها قارون ملك ليدية الذي يضرب به المثل في الغنى . ومنذ ذلك الحين كان لكل دولة نقود معدنية خاصة



قطعتان من النقد الصيني

وقد اختير لهذه النقود أشكال خاصة. فنها المستديرة ومنها المربعة ومنها المستطيلة ومنها المثلثة وما إلى ذلك من الأشكال. وعلى كل منها رموز ونقوش ذات صلة بالعقائد الدينية والاساطير الخرافية والحوادث التاريخية السياسية

وفى وسعنا أن نتتبع نشوء عملتنا منذ أقدم أزمنتها. فقد استعمل العرب النقود الذهبية والفضية والنحاسية كما استعملها غيرهم من الأمم. وكانت قطع النقود الذهبية تعرف بالدنانير (ومفردها دينار) وفى الأنباء الأخيرة ان حكومة العراق قد قررت احياء الدينار وجعله أساساً للعملة العراقية. وسيكون معادلا للجنيه الانجليزى

ولما فتح عمرو بن العاص مصر عام ٦٤١ ضرب الجزية على أهلها بالدنانير. وكان الذهب أساس كل عملة فى مصر فى ذلك الحين. وفى تاريخ المقريزى ان عمراً جبي فى السنة الاولى اثنى عشر الف دينار من المصريين. وظلت مصر تستعمل نقود الخلفاء الأمويين والعباسيين إلى حين قيام صلاح الدين. على

الى اليمين: العملة الغريبة

(١) عملة يابانية (٢) عملة على هيئة القارب (٣) عملة تركية على شكل الطبق (٤ و ٥) عملة يابانية (٦) عملة صينية على شكل رأس شبح (٧) عملة صينية قديمة على هيئة الاجراس (٨) عملة مصرية زجاجية (٩) عملة صينية مستديرة (١٠) عملة زجاجية مراكشية (١١) عملة قدماء المصريين (١٢) عملة صينية على شكل جسم الانسان (١٣) عملة مكسيكية من الجلد (١٤) عملة صينية على هيئة الرمح (١٥) عملة خزفية من سيام وسيلان (١٦) عملة صينية من الورق المقوى

أن أول من ضرب الدينار فى مصر هو الأمير أحمد بن طولون . وكان ذلك عام ٨٧٥ . وقد دعيت الدنانير « أحمدية » نسبة اليه . وفى سنة ٩٨٠ ضرب القائد جوهر الصقلى دنانير جديدة سميت المعزية نسبة إلى الخليفة المعز لدين الله

قلنا ان مصر ظلت تستعمل نقود الخلفاء الأمويين والعباسيين إلى حين قيام صلاح الدين ، وفى الواقع ان صلاح الدين أبطل التعامل بتلك النقود وضرب دنانير مصرية جديدة . وظلت هذه الدنانير تستعمل فى مصر حتى عام ٨٠٦ هجرى حين ظهرت نقود جديدة توالت بمرور الزمن

وفى عهد الفاطميين كان فى مصر دار للضرب تضرب فيها أنواع العملة التى كانت شائعة فى ذلك العهد

ولا يتسع المجال لذكر الأطوار التى مرت بها العملة فى مصر . وفى عهد الأسرة المحمدية العلوية ضربت عملة الريالات المصرية ، وانتشر التعامل بالريال الفرنسى أيضاً (وكان يدعى أبو مدفع) وبالجنيه الافرنجى وقيمته مائة قرش . ثم ضرب الجنيه المصرى



الى اليسار :

(١) عملة مراكشية من القرن التاسع عشر وهي مصبوبة في قالب ومجزأة الى قطع صغيرة للمعاملة (٢) نفس العملة بعد تجزئتها للمعاملة (٣) عملة قبائل الزولو وهي على شكل خاتم (٤) عملة شبه جزيرة ملقا كانت تستعمل في القرن التاسع عشر وهي تصنع من الصفيح على شكل غصن شجرة ليسهل اقتطاع اجزائها المستديرة للمعاملة (٥) عملة يستعملها زنوج افريقيا تصنع على شكل أسلحة مختلفة

(وقيمته مائة قرش) واستعمل البنتو أيضاً وشاعت المعاملة به

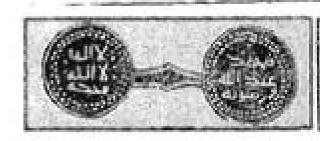
الا ان العملة المصرية لم تنتظم الا فى عهد ساكن الجنان الخديوى اسماعيل والد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . وفى عهده جعل الجنيه الذهب من عيار واحد وعشرين قيراطاً والباقى من النحاس . واستعملت فى عهده أيضاً قطع مختلفة من النقود أشهرها قطعة العشرة القروش (نصف الريال) وقطعة الخمسة القروش والقطع النحاسية

وظلت تلك النقود شائعة فى مصر الى أوائل القرن العشرين إذ حلت محلها العملة العثمانية من ليرات وأنصاف ريالات وأرباع ريالات وقروش

قلنا انه كان فى مصر فى عهد الفاطميين دار للضرب تضرب فيها جميع أنواع العملة التى كانت شائعة فى البلاد فى ذلك العهد . وفى عهد ساكن الجنان محمد على باشا مؤسس الاسرة المالكة أنشئت دار للضرب فى القلعة . ثم نقلت عام ١٨٨٨ الى « بيت المال » بشارع الجمالية بالقاهرة وأطلق عليها اسم « دار ضرب النقود » . وكانت هذه الدار تضرب النقود وتختبر الذهب والفضة وتدمغ المصوغات وتختبر المكاييل والموازين وتضع جميع الاختام التى تحتاج اليها مصالح الحكومة . إلا ان هذه الدار أبطلت فيما بعد ضرب النقود الفضية واقتصرت على ضرب النقود الذهبية وعملة النيكل والبرونز . وفى سنة ١٩١٢ أبطل ضرب العملة فى هذه الدار وأحيل على دار الضرب فى انجلترا

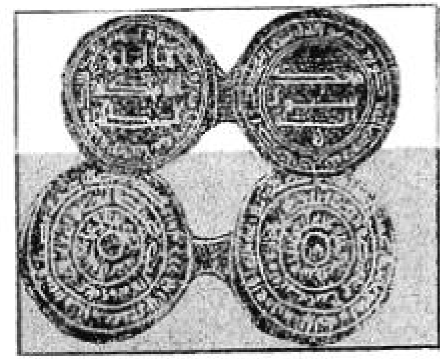
ونرجع إلى تاريخ علاقة العملة بقيام الدول وسقوطها فنقول ان ضرب النقود قد اعتبر منذ أقدم الازمنة علامة على استقلال الدولة . لذلك كان الملوك المستقلون يحرصون دائماً على سك نقود بأسمائهم وصورهم . وقد اختلفت قطع النقود دائماً باختلاف أنواع معادنها وحجومها . فكان بعضها ضخماً للغاية وبعضها دقيق الحجم جداً . فكانت بعض قطع النقود الصينية متناهية فى الصغر ، حالة ان البعض الآخر كان ذا حجم هائل يعجز المرء عن حمل ما يساوى جنيهاً واحداً منه بالعملة المصرية . وقيل ان بعض قطع النقود الرومانية النحاسية كانت قليلة القيمة جداً حتى ان وسق مركبة يجرها ثوران ما كان ليزيد فى قيمته على بضعة قروش من عملة هذه الايام ، ومع ذلك فان تلك النقود كان لها يومئذ قيمة عظيمة . ولا عجب فقد كانت قيمة النقود دائماً نسبية

قلنا ان أول من استعمل العملة الذهبية هو قارون ملك ليدية . ومنذ ذلك الحين أصبح الذهب ـ والفضة أيضاً ـ أساس النقد فى العالم أجمع . وقد ظهرت قيمة الذهب على أجلاها فى الازمة المالية الحالية اذ سعت جميع الدول الى اذخار كل ما يتسنى لها اذخاره من الذهب .

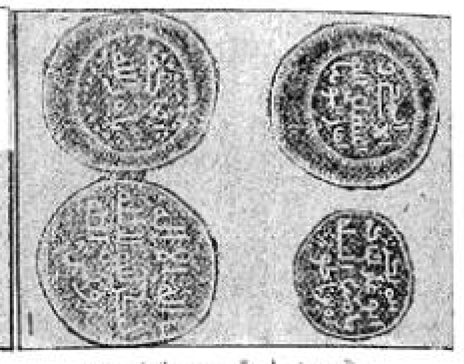




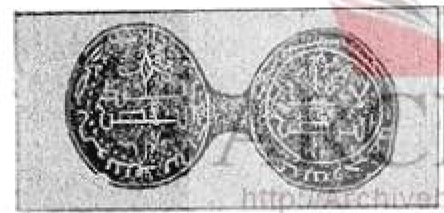
نقود الخلفاء الراشدين



في أعلى : نقود هارون الرشيد
في أسفل : نقود المعز لدين الله



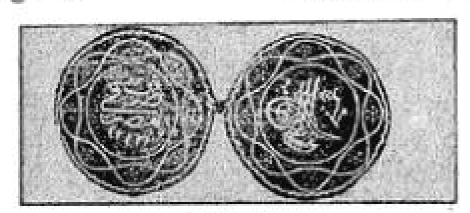
نقود زجاجية مضروبة في عهد
الدولة الفاطمية



نقود صلاح الدين



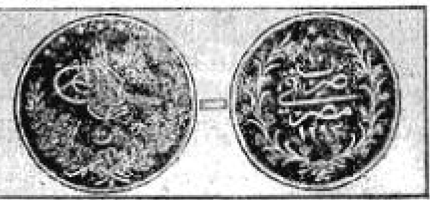
نقود صلاح الدين ضربت سنة ٥٨٤



نقود السلطان محمود



النقود المصرية الحالية

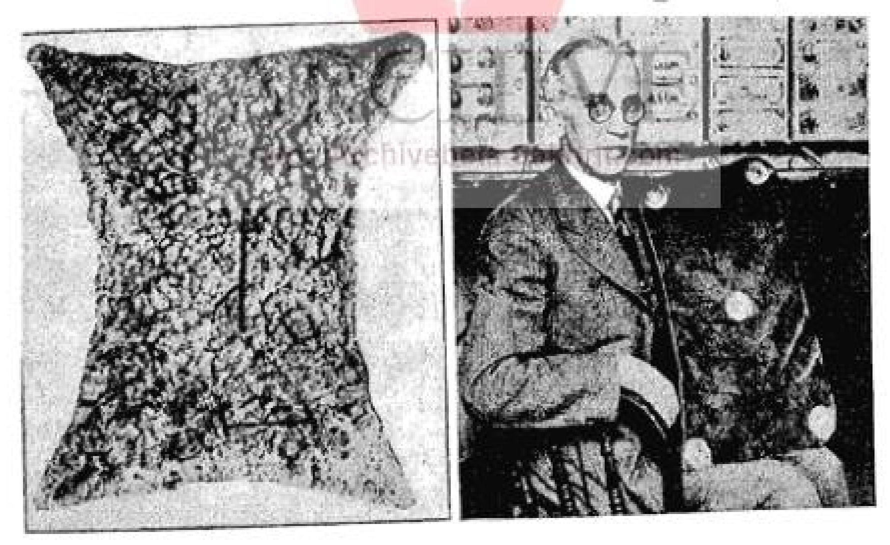


نقود مصرية ضربت سنة ١٢٩٣ ﻫ

والعادة ان هذا الذهب يدخر سبائك . إلا أن هنالك أيضا مئات الملايين من قطع النقود الذهبية كما ترى من الصور المنشورة مع هذه المقالة . ولا يخفى أن الذهب الابريز لين جداً لا يصلح ان يسك نقوداً إلا اذا مزج بنسبة معينة من النحاس . على أن السبائك الذهبية التى تدخر فى بنوك الدول تكاد تكون ذهباً صافياً . فالسبائك المذخورة فى بنك انجلترا مثلا تكون ذهباً صافياً يختلف عياره من ٩١،٦٦ من القيراط الى ٩٨،٩٩ من القيراط . وفى بنك فرنسا تكون ذهباً من عيار ٩٩ قيراطاً ونصف قيراط .

وكانت حكومة روما أيضا تدخر سبائك الذهب . وقد وجد بعض هذه السبائك وعليها أختام الدولة الرومانية وزنتها خمسمائة جرام بعيار هذا الزمن . وكذلك وجدت سبائك نحاسية رومانية (لان النقود النحاسية كان لها فى عهد الدولة الرومانية قيمة تذكر) إلا أن السبائك النحاسية كان ينقش عليها عادة رسم ثور . وكانت كل سبيكة نحاسية تعتبر معادلة لقيمة الثور . ولذلك كانت كلمة « بيكونيا » (Pecunia) ومعناها نقود مشتقة من كلمة « بيكوس » (Pecus) ومعناها رأس من الماشية

على أن الرومان كانوا يدخرون سبائك أخرى نحاسية عليها نقوش ورموز لها علاقة بشعائر القوم الدينية . ومع أن كل سبيكة كانت ذات قيمة عظيمة فى ذلك العهد فان قيمتها اليوم



قطعة من النقد النحاسي السويدي كانت تستعمل في سنة ١٦٦٣ وتبلغ ٢٤ بوصة طولا و١٢ بوصة عرضا وتزن ٣١ رطلا انجليزيا

اقدم سبيكة للعملة وهي من النحاس وكان الفينيقيون يستعملونها في القرن السادس عشر قبل الميلاد . وقد اشر عليها بحروف فينيقية تعني كلمة « ثور »

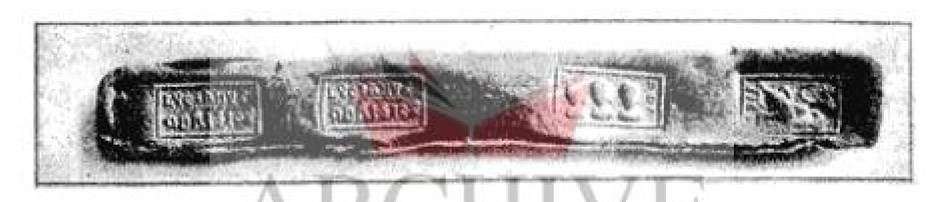


سبيكة رومانية من النحاس تعادل قيمتها ثمن ثور ، وقد نقش عليها صورة ثور رمزاً لذلك

(اذا اعتبرنا كية المعدن الذى فيها فقط) لا تزيد على بضعة قروش باعتبار عملة هذا الزمن

***

ومما يجدر بالذكر أن القبائل المتوحشة ـ وبعض القبائل نصف المتمدنة أيضا ـ لا تزال الى هذا اليوم تستعمل المقايضة فى معاملاتها التجارية ، وأكثر ما تقايض به الحبوب والفاكهة والماشية والبهائم والنساء .



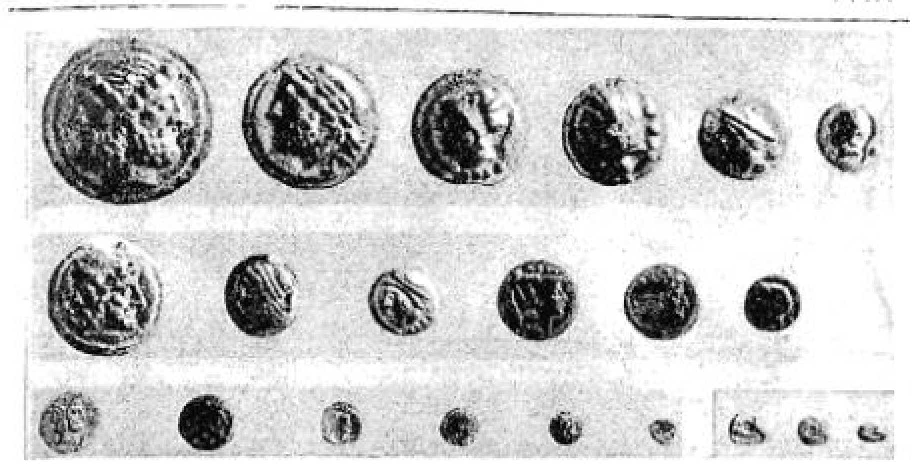
سبيكة رومانية من الذهب زنتها ٥٠٠ جرام وعليها ختم الحكومة وأسماء الاباطرة جراتيان وفالنس وفالنتيان الثانى

وكانت النساء وسيلة للمقايضة فى الأزمنة الغابرة أيضا . فكان الرجل يقايض ابنته أو زوجه بقرة أو خروف أو ما أشبه . وهذا من أغرب ضروب المقايضة التى لجأ اليها الانسان



سبيكة رومانية من النحاس وقد نقش عليها بعض النقوش الدينية التى تمثل « الدجاجة المقدسة »

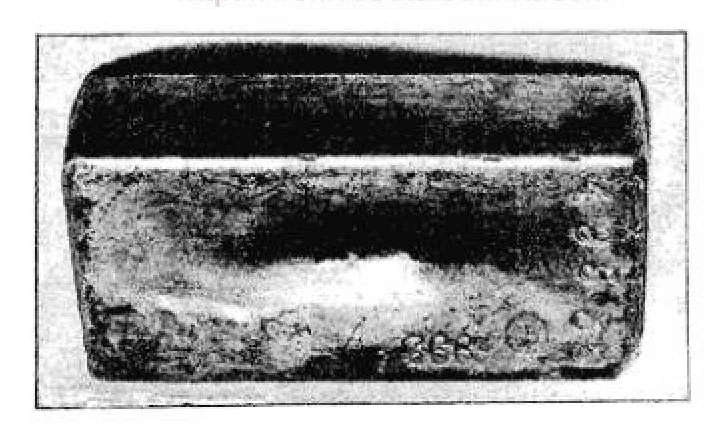
وقد استعملت بعض الامم نقوداً فخارية وزجاجية وحديدية وقطعا من مواد مختلفة . وتتوقف اليوم قيمة النقود على مقدار



تمثل هذه الصورة النقص الذي كان يدخل تدريجياً على قطع العملة النحاسية الرومانية . في حالة هبوط العملة . وترى في المستطيل الصغير الذي في أسفل الصورة ثلاث قطع من الفضة والذهب

الموجود من معدنها . فاذا كان ذلك المعدن نادراً كانت قيمته كبيرة . والعكس بالعكس . وهذا هو سر ما للنقود الذهبية من قيمة

على ان الموجود من الذهب في العالم لايكفي حاجات البشر . وقد اقترح بعضهم استعمال معادن اخرى خلاف الذهب والفضة والنيكل والنحاس لسد حاجات العالم . ولكن استعمال معادن جديدة لايكون مجدياً الا اذا اتفقت جميع الدول على قبول التعامل بتلك المعادن



معيار الذهب الرسمي في بنك فرنسا وهو سبيكة ذهبية فيها ٩٩½ في المائة من الذهب الخالص

في الأدب الفارسى

حديث مع الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

يهتم أدباء الشرق الآن والمتأدبون فيه بالادب الغربى ، فيقبلون على تحصيله واجتناء ثماره ، واستيعاب ما تنتجه أذهان الكتاب والشعراء الغربيين . وهم فى ذلك قسمان : قسم ينحو ناحية الأدب الانجليزى ، والآخر يتعشق الادب الفرنسى . وقليل من هؤلاء من يعنى بغير هذين النوعين

وقد كاد الاهتمام بالآداب الشرقية يقل لولا تلك النهضة الحديثة التى ظهرت فى اللغات العربية ، والفارسية ، والتركية . فقد أخذ أدباء هذه اللغات يحيون آدابها ، ويعيدون ما درس من مجد هذه الآداب ، وما لها من أثر حى ونتاج صالح فى الحياة العامة

ولكل من هذه الآداب الثلاثة صلة بالآخر ، تبدو فى الصبغة الاسلامية التى تسود كلا منها . وقد غزت اللغة العربية اللغتين الفارسية والتركية منذ ابتداء الفتح الاسلامى ، وأحدثت فيهما أثراً ظاهراً فى الافكار والالفاظ والاوزان الشعرية . وتأثرت هى أيضاً بكل منهما ، ولكن تأثرها بالادب الفارسى كان أعظم ، وخاصة فى عهد الدولة العباسية التى يمتاز عصرها باصطناع الحضارة الفارسية ، والانغمار فيها أيما انغمار ، والامتزاج بالفرس والاختلاط بهم بالتصاهر والتجاور والمعاملة

وقد عنى العرب منذ عرفوا الترجمة بنقل كتب الفرس وأخبارهم ، وترجم غير واحد من الادباء والمؤرخين بعض هذه الكتب ، نذكر منهم ابن المقفع ، وجبلة بن سالم ، ومحمد بن الجهم ، وابن مطيار الاصبهانى ، وهشام بن قاسم . فقد نقل ابن المقفع كتباً عدة من الفارسية الى العربية منها خداى نامه أى (كتاب الامراء) ، وكتاب التاج فى أخبار أنو شروان ، وآئين نامه ، (كتاب الرسوم) الذى قال فيه المسعودى أنه « عظيم فى الالوف من الاوراق ، لا يكاد يوجد إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرياسات » . وترجم جبلة بن سالم كاتب هشام بن عبد الملك كتاب إسفنديار ورستم ، وترجم محمد بن الجهم كتاب سير الملوك ، كما ترجم غيره الى اللغة العربية كتباً فارسية جليلة الشأن

ومن بين الكتب الفارسية الجليلة الشأن «الشاهنامه» أى (كتاب الملوك) . وهذا الكتاب يحتوى على تاريخ ملوك الفرس وأساطيرهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الاسلامى . وهو مرتب ترتيباً تاريخياً تذكر فيه الأسرة ، فتبدأ بأول ملوكها وتاريخه وما كان فى عهده من حوادث ، ثم يذكر الملك الثانى وهلم جرا . ويستمر القصص فيه ٣٨٧٤ سنة يحكم فيها أربع دول . فهو

روايات أمة قديمة نسجت حول أبطال تدل أسماؤهم على أنهم كانوا من قوى الخير والشر فى الدين الآرى القديم الذى قام على عبادة الطبيعة

وقد جمعت هذه الروايات (الشاهنامه) من كتب فارسية قديمة كتبت فى عهد الساسانيين بأمر والى خراسان ابى منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسى. ونظمها ابو القاسم الفردوسى باللغة الفارسية فى نحو ستين الف بيت. واستغرق فى هذا العمل الشاق خمساً وثلاثين سنة آخرها سنة ٤٠٠ ﻫ أو قبلها بقليل

وقد ترجم (الشاهنامه) عن الفردوسى ترجمة نثرية قوام الدين الفتح بن على بن محمد البندارى الاصفهانى ما بين جمادى الاولى سنة ٦٢٠ وشوال سنة ٦٢١ فى مدينة دمشق. والبندارى أديب مؤرخ كتب هذه الترجمة بأسلوب عربى غير متكلف، ولكنه اختصر من الأصل نحو الثلث وكان فى حاجة داعية الى التعليق لشرح غامضه ومقارنته بالأصل الفارسى ورد أساطيره الى أصلها وبيان ما بين تاريخه والتواريخ الأخرى من اتفاق واختلاف. وقد وضع الدكتور عبد الوهاب عزام المدرس بالجامعة المصرية كتاباً فى هذا الموضوع ضمنه ترجمة البندارى للشاهنامه، وجعل له مقدمة وافية تستوعب نحو مائة صفحة من القطع الكبير، ينبغى أن نعدها كتاباً كاملا يحتوى على تحقيقات علمية دقيقة عن الشاهنامه وأصلها وتاريخها وملاحمها، وعن نشوء الملاحم الصغيرة والكبيرة، وعن الفردوسى ناظم الشاهنامه، وعن أشخاص هذه القصص وابطالها ومواقعها، وعما حوته من أخبار الأمم والشعوب كالروم والهند واليونان والعرب. وفى آخر هذه المقدمة فصل عن البندارى مترجم هذه الشاهنامه الى العربية، وعن قيمة هذه الترجمة ومكانتها الأدبية والتاريخية. وقد نال الدكتور عبد الوهاب عزام لذلك العمل الأدبى الجليل شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية، وتشرف بتناولها من يد جلالة ملك مصر يوم احتفال الجامعة. وقد أحببت أن أتحدث معه عن الأدب الفارسى وماله من صلة بالأدب العربى وعن أدباء الفرس ونتاج قرائحهم وما كان لهذه الأمة الآرية من شأن فى عالم الأدب، فتفضل حضرته فى جلسة هادئة وأجابنى بما يلى :

بماذا يمتاز الادب الفارسى

قلت له : « بماذا يمتاز الادب الفارسى ؟ »

فقال : « يمكن ان نحصر أهم ما يمتاز به الادب الفارسى عن الادب العربى فى شيئين أولها : سعة الخيال وكثرة تفصيله. فالخيال فى الادب الفارسى أعظم مدى وأكثر تفصيلا منه فى الادب العربى. ويظهر ذلك جلياً فى الموضوع المشترك بينهما

« ولذلك كثر النظم فى الادب الفارسى الى حد يكاد النثر يمحى أمامه . ولا يجد مجالا له فى المنتجات الادبية حتى قال بعضهم ان الفرس ليس لهم نثر . فأغلب منتجاتهم منظومة حتى القصص الطويلة والتواريخ والسير ينظمونها نظما يبلغ فى كثير من الاحيان عدة آلاف

« والى هذا يرجع الاكثار من تأليف القصص ونظمها وترجمتها عن اللغات الاخرى . وقد بلغ بهم الولوع بهذا النوع من الادب انهم نظموا القصص القرآنية كقصة يوسف عليه السلام . والقصص الادبية كمجنون ليلى مالا يقل عن خمس مرات . فى حين ان هذه القصص أو بعضا منها لم ينظم باللغة العربية قبل العصر الحالى . وقد نظموا اكثر هذه القصص نظما طويلا لايقل عدد أبيات الواحدة منها عن خمسة آلاف بيت

« الميزة الثانية ـ الشعر الصوفى . ويمكن ان نقول ان الفرس ليس لهم نظير بين أمم العالم فى هذا النوع . وهو يحتوى على أدق الافكار الفلسفية . واكبر شعراء الفرس منذ القرن الخامس الهجرى هم شعراء صوفيون ، كمجد الدين سنائى الغزنوى ، وفريد الدين العطار ، ثم مولانا جلال الدين الرومى صاحب (المثنوى) . ويقول مولانا جلال الدين عن سنائى والعطار وعن نفسه : « ان سنائى كان روحا ، والعطار كان عينين له ، وأنا جئت فى اثرهما » . ولكن هذا القول تواضع من جلال الدين لانه يعتبر الاول بين شعراء التصوف . فكتاب المثنوى يسمى القرآن عند الفرس . ويقولون عنه أن جلال الدين لم يكن نبياً ، ولكنه أوتى كتاباً ويعنون بذلك (المثنوى)

« ففى المثنوى وغيره من كتب الشعر الصوفى يجد الانسان اسمى الحقائق الفلسفية الاسلامية ممزوجة بالشعر والخيال الواسع . وقد قارن الاستاذ نيكولسن المستشرق الانجليزى بين جلال الدين ومعاصره دنتى فقال : « لا شك أن الفيلسوف المسلم كان اسمى فكراً ، واوسع صدراً من معاصره »

الصلة بين الادبين العربى والفارسى

قلت : « وما هى صلة الادب الفارسى بالادب العربى ؟ »

فقال : « للادب الفارسى صلة وثيقة بالادب العربى . وهذه الصلة تظهر فى أمرين : الاول تأثر كل من الادبين بالاسلام ، والثانى تأثر الادب الفارسى باللغة العربية فى الفاظه وكثير من افكاره واوزانه وقوافيه . وتظهر هذه الصلة فى النثر فى الكتب العلمية أكثر من ظهورها فى الشعر . فقارىء النثر الفارسى يحس احياناً كثيرة انه يقرأ نثراً عربياً . وكل الاصطلاحات التى توجد فى البلاغة الفارسية والعروض والتوحيد والفقه ، اصطلاحات عربية . بل لا تزال اللغة الفارسية تقتبس من الالفاظ العربية للمخترعات الحديثة كالطيارة .

ومن أجل ذلك يسهل على المتأدب العربي أن يدرس اللغة الفارسية وأدبها . وقد يستطيع بعد درس قليل فهم عبارات تستعصى على المستشرق الاوربي كالرمز الى آية قرآنية أو مثل عربي »

صلة الادب الفارسي بالادب الهندي

قلت : « وهل هناك صلة بين الادبين الفارسي والهندي ؟ »

فقال : « تظهر علاقة الادب الفارسي بالادب الهندي في الادب القديم قبل الاسلام . وتظهر علاقتهما في الحديث في شيئين : الاول - بعض المعتقدات القديمة التي كانت مشتركة بين الامم الآرية . وقد بقيت آثارها في الادبين كقصة (جمشيد) مثلا في الشاهنامه ، وقصة (يما) في الكتب الهندية

« والشيء الثاني الذي تظهر فيه علاقة الادب الفارسي بالادب الهندي أن اللغة الفارسية منذ عصر المغول اعتبرت لغة أدب في الهند حتى أن جلال الدين الاكبر الذي يعد من اعظم ملوك التاريخ ، كان حواليه زهاء خمسين شاعراً كلهم ينظمون بالفارسية . وما زال كثير من ادباء الهند ينظمون في الوقت الحاضر قصائدهم باللغة الفارسية ومنهم الشاعر المشهور محمد اقبال الذي زار مصر في هذا العام . والعلاقة واضحة بين الادب الهندي الاسلامي والادب الفارسي ، فالاول متأثر بالثاني الى حد كبير . وقد يجد القارىء في اللغة الاردية الفاظاً فارسية اكثر من الالفاظ الهندية . كما أن الادب التركي القديم يكاد يكون صورة من الآداب الفارسية في الفاظه وافكاره »

النزاع بين القديم والجديد

قلت : « هل في الادب الفارسي نزاع بين القديم والجديد ؟ »

فقال : « لا شك أن هناك نزاعاً بين القديم والجديد في الوقت الحاضر . ولم ادرس هذا النزاع . ولكنني اعرف أن في ايران نزاعاً ، وأن عندهم شبانا يتغالون في الارتداد الى القديم (الى ما قبل الاسلام) . ويتغالون الى جانب ذلك في تقليد الحديث . ولا استطيع هنا أن ابين مظاهر هذا النزاع بالدقة . وهو على كل حال اخف مما كان في تركيا قبل الانقلاب الاخير . ويرجى ألا يبلغ المبلغ الذي وصل اليه الاتراك »

هل الادب صورة من حياة القوم

قلت : « وهل الأدب الفارسي صورة من حياة الفرس ؟ »

قال : «هو كالأدب المصري في الوقت الحاضر يحوي كثيراً من المسائل السياسية والاجتماعية.

ثم إن الشعر الفارسى أقرب الى عامة الفرس من الشعر العربى الى عامة المصريين. فالعامة فى كل بلد فارسى ينشدون أبلغ أشعار الشعراء، ويتعصبون لشاعرهم. والشاهنامه التى هى مثال الشعر الفارسى الذى يكاد يكون خالصاً من الألفاظ العربية تنشد فى محافل العامة، ويولع بها الناس فى كل مكان »

أعظم شعراء الفرس؟

قلت: « ومن هم أعظم شعراء الفرس؟ »

فقال: « أعظم شعراء القصص: الفردوسى، ونظامى، وجامى..

« وأعظم شعراء التصوف: سنائى، والعطار، وجلال الدين الرومى، وحافظ الشيرازى..

وأعظم الشعراء فى الموضوعات الأخرى: الأنورى، والخاقانى، وسعدى الشيرازى، وقا آنى »

عمر الخيام

قلت: « ذكرتم أعظم شعراء الفرس، فلم لا تذكرون بينهم عمر الخيام؟ »

فقال: « الواقع أنه ليس هناك فيما أعلم كتاب من كتب التراجم يعد عمر الخيام من الشعراء، وانما هو معروف بين الفرس بأنه فيلسوف فلكى رياضى. وهذا لا ينفى أن رباعياته من أبلغ الشعر الفارسى. وقد زيد فى رباعياته كثير جداً حتى أصبح من المتعذر التفرقة بين ما هو للخيام وما ليس له. وشهرة الخيام قد تلقيناها عن أوربا لا عن إيران. والسبب فى ذلك ان نزعته الفلسفية فى هذه الرباعيات تتفق والأميال الحديثة فى أوربا. ولهذا لاقت رواجاً كبيراً وترجمت غير مرة الى جميع اللغات الحية

« وتتلخص هذه النزعة الفلسفية فى أن هذا العالم معضلة ليس فى الامكان حلها، فيجب أن نستمتع بما فيه من ملاذ جهد الطاقة، ونتناسى مشكلاته ومصائبه على قدر الامكان

« وقد بدأ أبو العلاء المعرى فلسفته بهذه الفكرة، ولكنه انتهى الى نتيجة أرفع، فاحتقر هذه الحياة وزهد فى ملاذها ومتاعها، وتبرم من غرورها فى حزن وهدوء. وأنا حين أقارن الخيام بالمعرى أشبه الأول بطائر حبس فى قفص فهو كثير الحركة والاضطراب والصفير. والثانى بأسد رابض فى قفص يحس مضاضة الأسر والحبس، ولكنه ينظر فى وقار واكتئاب »

طاهر الطناحي

شركة مساهمة لحكومة العالم

أخى حافظ

دعنى القى اليك بما يشغل ذهنى منذ ثلاثة اشهر كاملة ، فقد قرأت لويلز الكاتب الانجليزى فصلا عن العالم بعد خمسين سنة أهمنى وأثار خواطرى بما يصوره لمستقبلنا من ضيق العيش وقسوة الحياة . فهو يقول :

« من المحتمل جداً أن الناس فى المستقبل سيكونون أسوأ حالا فيما يتعلق بمأكلهم وملبسهم ومسكنهم مما هم فيه الآن .. على أن الطريق ما يزال مفتوحاً أمام البشر لانشاء دولة عظيمة تضمن الحرية والرخاء والسلام لجميع رعاياها .. ومن دواعى الأسف اننى لا أرى اشارة الى مثل هذه اليقظة التى كان يمكن أن تنقذ المجتمع الانسانى »

لعلك تدهش الآن لهذه العناية التى أبذلها نحو هذه العبارات التى تحمل شيئاً كثيراً من الشك ، كما تحمل شيئاً غير قليل من الرجاحة . لكن يكفى ياصديقى أن تعلم بأنى قد أنجبت منذ شهرين لهذه الحياة الانسانية طفلا يملأ نى خيال مستقبله بالأمل الذى يشوبه الخوف حتى تعذرنى. قد لا تفهم أنت هذا كله فهماً تفسياً دقيقاً . على أن الرجال الشبان الذين اصبحوا آباء مثلى واصبحت قلوبهم تعرف ما هو الحب الأبوى العميق يستطيعون كلهم أن يشرحوا لك مقدار عنايتهم بالايام الآتية اكراماً لمستقبل ابنائهم

تصور أن هذه الكلمات التى قالها « ويلز » مرت تحت أنظار الألوف من القراء مروراً سريعا ، ما زالت موضع خواطرى القلقة طول هذه الاشهر الثلاثة ، وأنا فى كل يوم اقرأها ثم أعيد قراءتها تلمساً لشىء من الأمل فى اصلاح الحياة التى سيعيش فيها مولودى الصغير

لكن ويلز كان فى خياله كثير التشاؤم لا تكاد تبرح آراؤه عن اضطراب العالم وزيادة هـــذا الاضطراب جيلا بعد جيل . فرأيت أن تشاطرنى أنت ما أحمله اليوم من قلق على المستقبل . . . وحتى فى هذه اللحظه التى هممت فيها بان أكتب اليك هذه الرسالة لم استطع أن اتخلص من مقال « ويلز » فها هو أمامى يبعث فى نفسى الرعب بما يقول . ولعل اكثر ما برر عندى الجرأة على اثارة خواطرك بهذا القلق الذهنى العجيب ، اننى اليوم ـ واليوم فقط ـ قد توقفت قليلا ، لست أدرى لماذا ، عند قوله بعد عباراته القاسية : « .. لكن من ذا الذى يستطيع أن ينبىء بما يطرأ على جيل الشبان المتعلمين الذين هم عماد المستقبل ؟ »

هذه العبارة الاخيرة جعلتنى افكر فيك وفى أن اعرض عليك هذا الخيال الذى يراه ويلز لمستقبل العالم فى السنوات الخمسين المقبلة . لعل فى خواطرك ازاء هذا الرأى ما تطمئن له

خواطرى . . وتقبل مع تحياتى أول صورة لصغيرى « خيرت »

« س »

* * *

عزيزى س

أثر فى نفسى اهتمامك بمستقبل الحياة التى سيحياها أبناء العالم ، وقدرت فى نفسك هذا الشعور الحنون على الاجيال الناشئة . على اننى حين بدأت اتأمل صورة صغيرك « خيرت » الجميل احسست معك بان مستقبل العالم جدير بهذا الاهتمام حقاً

لقد استطاعت صورة طفلك العزيز أن تجذب عواطفى نحوه جذباً جعلنى أفكر فيه كأنه هو الجيل الناشىء كله . وكما انك أنت لم تستطع أن تتخلص من كلمات ويلز فأنا ايضاً لم استطع التحول عن صورة خيرت الصغير . ولست أدرى كم يسرك أن تعرف اننى الآن فى جلستى إلى مكتبى لا ازال أجد عينى تائهتين بين تقاسيم هذا الوجه السماوى الصغير حتى اننى أكاد انسى العالم فى هذه الابتسامة التى تضىء بين شفتيه !

لكن مهلا ياعزيزى ، فماذا هناك . . !! ان هذه البطاقة التى طبعت عليها صورة طفلك تتمدد وتكبر فى سرعة سحرية حتى لقد غطت كل ما عداها من الاشياء التى أمامى ! وتصور انت أن « خيرت » الطفل بدأ يتحرك أمام ناظرى وينمو هو الآخر نمواً يدعو الى دهشة كبيرة . حتى هذه الطيارة الصغيرة التى أمسك ـ فى الصورة ـ خيطها الرفيع بين يديه قد أخذت تنمو وتتحرك أيضاً . وها هو خيرت الطفل ـ لا بل خيرت الشاب قد ركب طيارته الصغيرة ، وها هما جناحاها يرفرفان فوق رأسى فيطفئان المصباح ، وتسود بحجرتى ظلمة حالكة ساكنة ، ثم لم تلبث الظلمة أن بددتها أنوار علوية ؛ ولم يلبث السكون أن قطعه صوت الطيارة وهى تقطع مراحل الفضاء الذى لا أبصر له نهاية . . !

انظر ، انظر ، ها هو ابنك يهبط بطيارته مطار باريز ، فيستقبله هناك جمهور كثير فى ابهج ما يكون الاستقبال حفاوة وتكريماً . انه يكاد يشبه زعيماً تحوطه الجموع اينما يذهب . وها هى الجموع المحتشدة التى اختلفت ألوانها وأجناسها تسير خلفه فى صفوف منتظمة الى قصر من هذه القصور التى كنا نقرأ عن صلاتها بالثورة الفرنسية . وهناك اختلفوا الى مقاعد متراصة كأنهم فى جلسة برلمان . . أتعرف ما هذا الذى كان هناك ؟؟

« انه « مؤتمر منع الانتحار » جاء اعضاؤه من نواحى العالم كلها يناقشون الحالة النفسية التى وصل اليها الناس بعد أن فشلت سياسة عصبة الامم فى منع الحروب وكادت تتمزق قلوب سكان الارض جميعاً تحت تأثير هذه الصدمات العنيفة التى تتخبط فيها جميع الامم عقب خروجها من الحرب العالمية التى ظل الناس يتحدثون عن فظائعها ساعة من الزمن دون أن أفهم من

احاديثهم شيئاً . وهنا يقف مندوب الروسيا بادى التأثر والانفعال فيقول :

« لقد بلغت الحال بالأزمة النفسية فى بلادنا أن تألفت فى كل حى من الأحياء جمعية للانتحار يمارس فيها شباننا الموت كأنهم مقدمون على لعبة رياضية جميلة . ولست اعتقد أن أمماً كثيرة على وجه الارض تفضل حالتها الاجتماعيه حالة بلادنا بعد هذه التجارب القاسية التى مر بها العالم فى منتصف القرن العشرين . فاذا لم تتخذ دول هذا العالم كله ازاء هذه الازمة النفسية التى تكاد تخرب ديار الأرض جميعاً خطة حاسمة فسوف يفنى هذا العالم قريباً .. »

عندئذ صاح به بعض الاعضاء : « انكم انتم السبب فى هذه النكبات التى حلت بالحياة الانسانية منذ ربع قرن أو يزيد » وأخذ الاعضاء يتساجلون النقد القارص ، وكل مندوب عن أمة يوجه اللوم الى المندوبين الآخرين ، وهنا كانت شرفات المؤتمر مزدحمة بالنظارة من الزائرين والزائرات فانسحبوا كلهم إلى خارج المؤتمر محتجين على هذه الثرثرة الجوفاء ، ووقفت بينهم فتاة جميلة تخطبهم خطاباً حماسياً دافقاً عن تفاهة عقول الساسة الذين انجبهم الجيل الماضى ، أولئك الذين كانت تأخذهم حدة المناقشة بعيداً عن الغرض الذى كانت توفدهم بلادهم ليبحثوه ويصلوا ببحثهم الى هناء العالم المنشود

ليتك كنت بجانبى يا صديقى لتسمع هذه الفتاة الجريئة تقول : « إن اباها وأخاها قد ماتا فى القتال ، وان خطيبها قد سافر الى عاصمة روسيا لينتحر هناك فى أندية الانتحار ، ومع أن هذه هى الحالة التى آلت اليها اوروبا كلها فان أولئك الساسة الذين فشلوا فى عصبة الامم جاءوا هنا ليفشلوا مرة ثانية فى هذه المؤتمرات التى تعقد عليها ألوف الملايين أمل الحياة .. »

لكن الجمهور الذى كان مجذوباً بخطابة هذه الفتاة الساحرة قد تحول عنها فجأة الى اتجاه آخر حيث أزيح الستار عن نافذة فخمة من نوافذ هذا القصر العظيم ، وأطل منها عضو من الاعضاء على هذه الجماهير الثائرة . . أتدرى من كان هذا العضو الذى حول أنظار الجماهير اليه فى هذه السرعة المدهشة ؟

هو ابنك « خيرت » مندوب وادى النيل ! . . ولقد صفقت له الجماهير طويلا ، وأخذوا يحيونه هاتفين : « فليحى رسول الشرق !! »

شىء مدهش حقاً . لكن « رسول الشرق » الفتى قد ابتسم للجماهير العالمية بسمة تحية وامتنان ، وأخذ يخاطب أولئك الثائرين فكأنه مغنطس بخطابه قلوبهم فهم سكوت منصتون لما يقول ، وماذا كان يقول يا صديقى :

« انى أيها الشباب شاب مثلكم أشعر شعور الأجيال الناشئة ، أما أولئك الزملاء الذين معى

فهم قوم قد تربوا على سياسة المراوغة القديمة التى أغرقت العالم بما يسمونه الدهاء السياسى فى محيط مظلم من النكبات التى حلت ببيوت الدنيا جميعاً . فانا أيها الشباب أشاطركم الاشفاق عن أولئك الساسة الدهاة الذين ما أفاد دهاؤهم شيئاً لغير المقابر . . وثقوا ان الشرق المضطهد الذى أهمل اليكم نجاته هو الملاذ الأوحد وطريق الخلاص الطبيعى من هذه الأزمة النفسية التى تحقق الارواح فى أوربا وأمريكا . ان فى الشرق روحانية تستطيع ان تلطف الحياة المادية وتشرع لها حدوداً تحد من قسوتها على الفقراء والمصابين التعساء الذين يطأهم ساسة أوربا وأغنياؤها بالاقدام فيموتون بكثرة كالحشرات التى تموت كل دقيقة فى العالم . لقد أفلح أنبياء الشرق مرات ومرات فى إنقاذ الانسانية من مثل هذه الأزمة ، فيجب أن تتجهوا إلى المصلحين الشرقيين وتعتمدوا عليهم ، فى وضع المنهج الذى يسير عليه العالم ليخلص من هذه الحالة الاجتماعية الرثة التى تمخضت عنها خطط القادة الغربيين فى القرن العشرين . . . إن ساستكم قد بذروا فى نفوسكم ان الشرق هو المستعمرة الغربية التى تحكمونها . لكن كان أولى بهم ان يصرحوا لكم بأن الشرق هو الجنة الانسانية التى يستطيع العالم ان يسعد بروحانيتها . . . جربتم أنتم تعاليم ساستكم عشرات السنين ففقدتم فى هذه التجارب أعز الناس وأحبهم لديكم ، وكدتم تفقدون أنفسكم فى هذه الأزمة التى تمرون بها ، فجربوا مرة تعاليم الشرق التى تحقق الاخاء المنشود ، ما كاد ابنك يفرغ من خطابته حتى صنع له الجمهور من أجسام العذارى سلماً يهبط درجاته الى عرض الطريق ، وما كادت قدماه تطأ أرض الطريق حتى حمله أربعة شبان أشداء من أجناس مختلفة وصاحوا بالجماهير : « هيا بنا إلى مؤتمر الشبان العالمى » .

لم تكن إلا دورة قصيرة فى حدائق لكسمبورج حتى اختار شبان الدنيا الذين اجتمعوا فى هذه المنطقة مكاناً طبيعياً لعقد مؤتمرهم الجديد تحت زعامة مندوب وادى النيل . . . وكم ردد الفضاء هناك خطباً حماسية مختلفة بألسنة مختلفة ، وكم حمل الهواء حرارة قلوب فتية تلتهب اخلاصاً للمستقبل ، وكم سجلت الطبيعة لأولئك الشبان من بدائع الافكار فى حل أزمة العالم ورجوع آمال السعادة إلى أبناء هذا العالم . . كانوا كلهم متحمسين للوحدة العالمية ونبذ الخلافات الدولية والحروب ، وكانوا كلهم ثائرين على الساسة الذين ينشئون الشقاق بين البلاد المختلفة . . لكنهم حين شرعوا يناقشون الوسائل العملية لهذا الاتحاد العالمى المنشود تعددت افكارهم وتجسم أمام أنظارهم منطق الصعوبات التى تعترض طريقهم ، فخيل إلى انهم قد فقدوا حماستهم . لكن ابنك ، وابنك دائماً كان مثار الدهشة والاعجاب ، فقد وقف بينهم وقال :

« ماذا تقولون أيها الاخوة الاعزاء ؟! . لقد نسيتم . أو لعل اعمامكم من كهول الساسة قد أنسوكم ، ان الخلاف بين أبناء العالم ، والحرب التى تنشأ بين بلاد العالم ، والتعس الذى يحل بسكان العالم ، انما مصدر ذلك كله شىء واحد هو التنافس الاقتصادى بين الدول التى تسيطر على

الدنيا منذ عشرات السنين ، فرجال المال ، بل رجال الصناعة والعمل هم فى الواقع الذين يسيطرون على سياسة العالم ومستقبل الحياة العالمية كلها تقريباً ، فلو ان الساسة الكهول كانوا أذكياء حقاً لتخلوا عن مقاليد الحكم لأولئك الاقتصاديين الذين لا يعرفون ما هى الجيوش وما هى الاساطيل . انى أعتقد أن خير وسيلة لانقاذ العالم من هذه الازمات الاجتماعية المتتالية أن نبعد رجال السياسة جميعاً عن كراسى الحكم فى جميع الامم الحية ، ثم نحل محلهم رجال المشروعات الاقتصاديين الذين لا يمارسون وسائل المكر والخديعة . ولكى نحقق أمنية الاتحاد العالمى ينبغى أن نجعل للعالم كله حكومة واحدة ، لا تنفى فيها الحكومات المحلية كما كان يقول الساسة القدماء فلا تلبى قولهم أمة . بل لتشترك هذه الحكومات كلها فى ادارة هذه الحكومة العالمية الكبرى على أساس شركة مساهمة رأس مالها موزع على الدول لكل دولة قدر ما تستطيعه من جهود وأعمال . . . ، لا تسل يا صديقى عن أمواج الاستحسان التى أخذت تغمر صغيرك على فكرته ، ولا تسل عن الهتاف الصارخ لرسول الشرق العظيم ، ولا تسل عن الحماس المتدفق لهذا المذهب الجديد الذى وضعه « خيرت » المصرى لخير الانسانية جميعاً

فقد قامت المظاهرات على وجه الارض وبين طيات الجو وعلى أمواج الانهار والبحار مؤيدة هاتفة للحكومة العالمية المساهمة ، وانتقلت حرارة التحمس لهذه الحكومة العالمية المطلوبة الى بلاد الدنيا جميعها ، فأخذت تفد أخبار الشباب من كل ناحية بقيام الثورة المتعصبة لهذه الحكومة الفاضلة ، حتى اضطر أولو الامر فى جميع الدول ان يخضعوا لحماسة الشباب ويعلنوا ايمانهم بالشركة المساهمة لحكومة العالم . . وأصبح ابنك العزيز أعظم من يتحدث عنهم الناس فى محافل قد ملئت فرحا وأفعمت بالاناشيد الموسيقية الداعية الى السلام

فى هذه اللحظة طرق باب مخدعى ودخلت والدتى تصيح بى : « أهذا السكوت كله انصات منك الى صوت البيانو ؟! »

آه . انها جارتى الصغيرة يا صديقى كانت تعزف طول هذا الوقت على البيانو ، فاطفأت المصباح من حيث لا أدرى وجلست أنصت الى نغماتها وأنا ما زلت أحمل صورة الطفل بين يدى ، فلما أضاءت المصباح ثانية وقع نظرى مباشرة على قول ويلز من رسالتك : « لكن من ذا الذى يستطيع أن ينبىء بما يطرأ على جيل الشبان المتعلمين الذين هم عماد المستقبل ؟ » ورفعت عينى فالتقيتا بصورة « خيرت » الجميل يبسم ابتسامته التى رأيتها هذه المرة ذات عمق وذات معنى ، كأن صاحبها يقول لنا : « أنا فتى الشرق الذى أستطيع ان أتنبأ »

احمل عنى صغيرك العزيز بين ذراعيك وقبله لى قبلة المحبة الخالدة ، ثم دعه يناجيك فى سذاجة الطفولة الحلوة . ان هذا الطفل الجميل قد ضمت جوانحه أمل المستقبل الباسم الذى يريح قلبك الحنون

حافظ محمود

الانسان الاول وأمراضه

هل كانت الامراض أقل فتكا بأجدادنا ؟

يعتقد سواد الناس أن الانسان في أوائل عهده كان خالياً من معظم الامراض التي تصيبه في الوقت الحاضر وان هذه الامراض ليست سوى نتيجة لازمة المدنية . على ان مباحث العلماء الاخيرة قد أثبتت أن الانسان الاول كان ـ كالانسان في هذا العصر ـ عرضة لامراض كثيرة كما ترى في المقالة الآتية

المعروف عن الانسان الأول انه كان ضعيفاً في قواه العقلية جباراً في قواه الجسمية . والتقاليد الموروثة تصوره مخلوقاً أقرب إلى الحيوان منه الى الانسان، يقضي بياض نهاره في الصيد والقنص ويأوى فى الليل الى كهف أو شجرة حيث ينام وهو معرض لاخطار الهوام والحشرات والحيوانات . ومرت عليه ألوف الاعوام وهو على هذه الحال ، يفترش الارض ويلتحف السماء، وليس عليه ما يقى جسمه سوى جلد حيوان متدل من حقويه لا يمنع عنه برد الليل ولا حر النهار

ويعتقد بعض علماء التاريخ الطبيعي ان معظم غذاء الانسان فى أول عهده كان من النوع النباتي ، وان الانسان كان فى ذلك العهد يكثر من أكل الفواكه ، ولذلك لم يكن يشكو من الامساك . ولعل فى هذا الاعتقاد شيئاً من الخطأ لان طعام الانسان فى ذلك العهد لم يكن نباتياً فقط بل حيوانياً أيضاً ، لان الانسان كان يعيش على الصيد والقنص ويأكل لحوم الحيوانات التى يصطادها . ومع ذلك فقد كان يتمتع على وجه الاجمال بصحة جيدة لان نظام معيشته كان يقضى عليه بكثرة الحركة والرياضة البدنية . فكان يقضى فراغه بتسلق الاشجار والانتقال من مكان إلى مكان ، ومطاردة الحيوانات وما إلى ذلك مما يتطلب الحركة ولا يأذن فى الخمول . أضف إلى ذلك انه لم يكن يعرف المسكر ولا التدخين ولا مساوىء المدنية الحاضرة ، ولم يكن جسمه معتاداً الادوية ولا أضعفته رفاهية المعيشة

ومع ذلك فان الانسان الاول ـ والانسان فى فجر المدنية ـ لم يكونا خاليين من الامراض بل كانا يصابان بطائفة كبيرة منها كما سنثبت ذلك

وقبل الكلام عن تلك الامراض نقول انها نوعان ـ نوع أثبت العلم بوجه قاطع انه كان يصيب الانسان الاول من عهد آدم . وآخر قد استدل العلماء على وجوده ، أو عدم وجوده ، من قرائن واعتبارات يطول بنا شرحها

مرض الرمد

ومن هذا النوع الاخير مرض الرمد الكثير الشيوع فى هذا العصر والذى لا يكاد يسلم

منه إلا القليلون . ومع ان الاحافير التى عثر عليها العلماء ليس فيها ما يدل على ان الرمد كان يصيب ـ أو لم يكن يصيب ـ الانسان الاول ، فان أسباب هذا المرض كانت موجودة منذ أقدم الازمنة . فليس من المعقول إذن ان ذلك الانسان سلم منها . وعلى كل فان القول بأن هذا المرض كان معروفاً فى الحقب الخالية انما هو مبنى على فروض وقرائن لا على براهين قاطعة

امراض الاسنان

ومن الجهة الاخرى فان مرض البيوريا أو تقيح اللثة الذى هو شائع الآن كان منتشراً فى الحقب الخالية أيضاً وكان الانسان الاول يصاب به يومئذ كما يصاب به الآن . وليست الدلائل على ذلك تخمينية كما هي الحال فى مرض الرمد بل قاطعة ثابتة . فقد أثبت الدكتور هربرت وليمس من كبار العلماء الاميركيين ان فك أحافير الانسان النياندرتالى والانسان الكرومانيونى يدل دلالة قاطعة على ان مرض البيوريا كان منتشراً فى تلك الازمنة

كذلك توجد دلائل قاطعة على ان الانسان فى ذلك العهد كان يصاب بنخر الاسنان . وتدل الاحافير التى عثر عليها العلماء فى إحدى قرى « ايروكوا » بأميركا الشمالية على ان مرض نخر الاسنان كان شائعاً بين أهلها ، فان كثيراً من الجماجم التى عثروا عليها كان بها أسنان ناخرة وأخرى لا تزال سليمة

الامراض الجلدية

أما الامراض الجلدية فليس لدينا برهان قاطع على ان الانسان الاول كان يعرفها . ولكن القرائن على ذلك كثيرة وفى مقدمتها ان كثيراً من الامراض الجلدية تنشأ عن لسعات الهوام . وقد كانت الهوام موجودة فى العالم بكثرة منذ أقدم الازمنة ، وكان الانسان يعيش عارى الجسم تقريباً ، أى أنه كان أكثر تعرضاً للسع الهوام يومئذ مما هو اليوم . ولهذا يعتقد العلماء ان الامراض الجلدية كانت شائعة بين البشر فى فجر التاريخ البشرى

وهنالك قرينة أخرى يستفاد منها ان الامراض الجلدية كانت معروفة منذ ذلك الزمن وهى بعض آثار بيروية (نسبة إلى جمهورية بيرو) عثر عليها العلماء منذ عهد قريب . وهذه الآثار هى مثل خزفية لوجوه بشرية قد شوهتها قروح حول الفم وعلى جانبي الأنف . وقد درس العلماء هذه الآثار درساً مسهباً وكتبوا عنها المجلدات الضخمة ولكنهم لم ينتهوا منها إلى نتيجة حاسمة . فقد ذهب بعضهم إلى ان تلك القروح هى من النوع الذى ينشأ عن العدوى بالبروتوزوا المسماة « يوتا » (uta) وزعم آخرون انها آثار برص أو جرب أو آكلة أو زهرى أو ما إلى ذلك . وأنكر غيرهم ذلك انكاراً باتاً . ولا يخفى ان داء البرص ـ على ما جاء فى التوراة ـ

كان كثير الشيوع بين الاقدمين فليس ثمة ما يمنع القول بوجوده فى عصر الانسان الاول
ومما يجدر بالذكر ان العلماء وجدوا على جبهة مومياء رمسيس الثانى آثار حب الشباب

الصلع

أما الصلع فليس لدينا ما يدل على ان الانسان الاول كان يصاب به . نعم ان معظم المومياءات المحفوظة حتى الآن هى مجردة من شعر الرأس ، ولكن ليس ثمة أى دليل على ان أصحابها كانوا عند وفاتهم صلعاً . أضف إلى ذلك ان العوامل التى تؤدى إلى الصلع لم تكن متوافرة فى عصر الانسان الاول . وجميع الاساطير والتقاليد تصور لنا ذلك الانسان بصورة رجل طويل شعر الرأس ، ومعظم جسمه مكسو بالشعر

ومما يجدر بالذكر فى هذا الصدد ان العلماء وجدوا آثار بيض القمل لاصقة بجلدة رؤوس بعض المومياءات

امراض القدمين

ولا شك ان قدمى الانسان الاول كانتا معرضتين لامراض وعاهات كثيرة لأن الانسان فى ذلك العهد كان يمشى حافياً . فكان بالطبع معرضاً للجروح والرضوض والوخز بالشوك والغنغرينا والتسمم بجميع أنواعه والسم وهلم جرا . وكانت هذه الاصابات على أقلها عند سواحل البحار حيث كانت الارض أقل وعورة . وعلى كل فان الاحافير التى عثر عليها العلماء لا تدل على أية إصابة من تلك الاصابات بوجه قاطع

امراض المفاصل

أما الروماتزم أو داء المفاصل فالدلائل متوافرة على ان الانسان الاول كان يصاب بها . فالعظام هى أهم ما لدينا من أحافير ذلك الانسان . واذا درسناها درساً دقيقاً لم يبق عندنا شك فى ان الانسان الاول كان يصاب بالروماتزم وبجميع الامراض الشبيهة به

فن ذلك داء الروماتزم المزمن (Osteo-arthritis) وعظام الأحافير التى لدينا تدل دلالة قاطعة على أن الانسان الاول (أو الانسان القرد المنتصب Pithecanthropus erectus - كما يسميه علماء الانتروبولوجيا) كان يصاب بهذا الداء كثيراً . وهذا الدليل واضح جداً فى آثار « انسان جاوا » الذى كان عائشاً منذ نحو خمسمائة الف سنة ، وفى « إنسان نياندرتال » الذى عاش منذ خمسة وعشرين الف سنة . ولا يخفى أن جو أوربا فى عهد الجيل « النياندرتالى » كان رطباً بارداً ، أكثر مما هو الآن ، وكان الانسان ما يزال يمشى حافى القدمين وجسمه تقريباً عار إلا

من مئزرة من جلد الحيوان ، فكان من الطبيعي إذن أن يصاب بالروماتزم وأن يصبح هذا الداء مزمناً

وقد أثبت علم الطب الحديث أن بين بعض أمراض الاسنان ومرض الروماتزم علاقة متينة . ولما كان الانسان الاول عرضة لأمراض الأسنان كما سبق القول فليس عجيباً أن كان ذلك الانسان عرضة لمرض الروماتزم أيضاً

ولم تكن مصر فى العصر النياندرتالى ألطف جواً من غيرها من البلدان . ولذلك كان الروماتزم كثير الانتشار فيها كما كان فى غيرها ، وقد أثبت السر مارك روفر أستاذ الباثولوجيا بكلية الطب بالقاهرة سابقاً أن أربعين فى المائة من الهياكل العظمية التى ترجع الى ما قبل عصر الدولة المصرية الاولى تدل على الاصابة بمرض الروماتزم المزمن . وأثبت الدكتور هردليكا أن خمسين فى المائة من الهياكل العظمية التى عثر عليها الباحثون فى ولايتى لويزيانا واركنساس بأميركا الشمالية والتى ترجع الى العصر الجليدى ، مصابة بآثار الروماتزم المزمن كما يستدل على ذلك من الرواسب المتكونة فى العمود الفقرى

أما النقرس أو داء الملوك فليس لدينا أدلة قاطعة على انتشاره فى الأزمنة القديمة . ولعل أول دليل قاطع هو ما وجده العلماء فى جثة رجل مدفون فى مصر فى أوائل عهد المسيحية . وكان مسيحياً هاجر الى مصر وأقام بها الى أن أدركته الوفاة . وقد بقيت إبهام قدمه سليمة واتضح من فحصها كيماوياً أن فى تلك الابهام رواسب « اليورات » التى لا توجد إلا فى المصابين بداء النقرس

الحصى

ومن الغريب أن جثث الاشخاص الذين عاشوا فى العصور الجيولوجية الغابرة خالية من آثار الحصى ، ما عدا جثة مومياء واحدة وجدت فى مصر ووجدت فيها حصى صفراوية . وما عدا جثثاً قليلة وجدت فيها حصى فى الكلى والمثانة فى ولاية آريزونا وفى المكسيك ولكنها غير عريقة فى القدم

العظام بالاجمال

وليس فيما لدينا من الأحافير والمومياءات أى أثر لداء الكساح . وهذا طبيعى اذا تذكرنا أن سبب الكساح هو قلة التعرض لنور الشمس ، وقد كان الانسان الاول يقضى سحابة نهاره فى أشعة الشمس ولا سيما حوالى خط الاستواء

أما اصابات العظام بوجه الاجمال فكانت كثيرة الوقوع ، ومن جملة أسبابها أسلوب

المعيشة الذى كان يجرى عليه الانسان الأول ، اذ كان يقضى يومه يطارد الحيوانات أو يهرب منها أو ينتقل من غابة الى غابة ومن كهف الى آخر . ويدل درس عظام « الانسان النياندرتالى » المحفوظة فى متحف « بون » بألمانيا ان صاحب تلك العظام كان مشوهاً بسبب قصر الذراع اليسرى . والأرجح أنه أصيب بكسر أو باصابة أخرى نشأت عنها تلك العاهة . وتدل الجماجم التى اكتشفت فى بيرو والتى ترجع الى ما قبل زمن التاريخ المعروف على آثار كسر وشدخ وما أشبه

المناعة

هذه أهم الامراض التى كانت تصيب الانسان الاول والانسان فى العصور السابقة للتاريخ ؛ وهى قليلة جداً بالنسبة إلى عدد الامراض التى يبتلى بها الانسان فى هذا العصر . ولا شك ان البشر فى تلك العصور الخالية نشأت فيهم مناعة قوية حمتهم من أمراض كثيرة ، والفضل فى ذلك لنظام المعيشة الخلوية التى اعتادها الانسان فى تلك الازمنة ، يوم كان يقضى معظم نهاره فيا يشبه الرياضة البدنية ويأوى فى الليل إلى كهف أو ظل شجرة لينام من غير ان يضنى قواه بالسهر والعربدة وما إلى ذلك من ضروب القصف والخلاعة . وكان يأكل الثمار التى هيأتها الطبيعة غذاء له ولا يجهد نفسه بالاطعمة غير الطبيعية . ولم يكن البشر يومئذ كثيرى الاختلاط معاً ولا ميالين إلى الاجتماعات ، ولذلك لم يكن ثمة سبيل لانتشار الاوبئة والامراض الوافدة إلا نادراً ، ومع ذلك فعند ما كانت تلك الاوبئة تنتشر كانت بالطبع تحصد الرقاب حصاداً

ومما يدعو إلى الأسف ان تحضر الانسان قد أدى إلى اضعاف عامل المناعة فيه حتى لقد انتشر الاعتقاد عند بعض الناس بأن المدنية هى سبب معظم ما يبتلى به الانسان فى الوقت الحاضر من الامراض . فالسل والسرطان وبعض الحيات الخبيثة هى بلا شك من أمراض البشر فى العصور الحديثة ، واذا قلنا « العصور الحديثة » عنينا عصور التاريخ المعروفة أى منذ انتشار الحضارة . وأقصى عمر الحضارة على ما تثبته مباحث المؤرخين عشرة آلاف سنة قبل التاريخ الميلادى . فمنذ ذلك الحين كثرت الامراض والاوجاع ، وضعف عامل المناعة فى الانسان ، وكثرت العوامل المسهلة لانتشار السل والسرطان والانفلونزا والحيات على اختلاف أنواعها والامراض الخبيثة مما لا يقع تحت حصر

ومع ذلك فان المدنية قد بذلت جهوداً عظيمة لاستئصال شأفة الامراض والقضاء عليها . وقد وفقت إلى ذلك فى حالات كثيرة . والرجاء وطيد بأن توفق إلى القضاء على جميعها

امراض العصور التاريخية

ذكرنا فيا سبق معظم الامراض التى كانت تصيب الانسان الاول ، يوم كان أقرب فى

معيشته إلى الانسان منه الى الحيوان . وأشرنا أيضاً فى معرض الكلام على تلك الامراض إلى بعض الامراض التى ثبت من فحص المومياءات والجثث انها كانت معروفة فى عصر تلك المومياءات . وسننظر الآن فى الامراض التى ابتلى بها الانسان بعد العصور الاولى

فقد ثبت ان داء السل من أقدم أمراض الانسان عند ما بدأ يتحضر . وبعض المومياءات المصرية المحفوظة الى هذا اليوم تدل دلالة قاطعة على ان السل كان منتشراً فى عصور الفراعنة ـ ولا سيما سل العظام . وقد عثر بعض العلماء بقرب مدينة هيدلبرج على أحافير قديمة تدل على ان صاحب تلك الاحافير ـ وكان شاباً فى مقتبل العمر ـ كان مصاباً بسل العظام . والارجح انه كان أحدب لان الفقرتين الرابعة والخامسة من عمود ظهره الفقرى مندمجتان بالفقرة السادسة

وعثر الباحثون أيضاً على مومياء ولد يرجع إلى الدولة الخامسة (حوالى سنة ٢٧٠٠ قبل المسيح) يظهر انه كان مصاباً بسل الورك . وعثروا على مومياء أحد كهنة « آمين » وفيها آثار « مرض بوط » أى سل السلسلة الفقرية . ويستدل من فحص مومياءات كثيرة ان السل الرئوى كان كثير الانتشار

أما الزهرى فالخلاف بشأنه عظيم جـــداً . فبعض العلماء يعتقدون انه كان معروفاً عند الاقدمين وان النبى داود أشار اليه غير مرة فى مزاميره قائلا ان عظامه قد بليت بسبب زلته . حالة ان فريقاً آخر من العلماء يعتقد ان الزهرى ليس من الامراض القديمة وان رجال كولمبوس أصيبوا به عند ما ذهبوا إلى أمريكا وعادوا به إلى أوربا

وهنالك طائفة أخرى من الامراض كانت معروفة عند قدماء المصريين كمرض تصلب الشرايين ومرض الكلى والكبد والطحال وما الى ذلك . ويظهر ان الامساك كان شائعاً بين المصريين القدماء . وفى أوراق البردى التى ترجع الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح عدة وصفات لمعالجة الامساك بزيت الخروع

العالم والجاهل سيان

ضريبك فى بنى الدنيا كثير
وعز الله ربك عن ضريب
وما العلماء والجهلاء الا
قريب حين تنظر من قريب

الحياة النيابية في عهد اسماعيل

بقلم الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

[أتممنا الكلام في مقالنا المنشور بهلال مايو عن الهيئة النيابية الثانية لمجلس شورى النواب ، واليوم نتكلم عن الهيئة النيابية الثالثة وأدوار انعقادها]

أدوار النهضة والمعارضة

ابتدأت أدوار النهضة والمعارضة بانتخاب أعضاء الهيئة النيابية الثالثة ، وهم الذين شغلوا مراكز النيابة منذ سنة ١٨٧٦ إلى أوائل عهد الخديو توفيق باشا ، واليك أسماءهم :

أعضاء الهيئة النيابية الثالثة

نواب القاهرة : محمود بك العطار . عبد السلام بك المويلحى . السيد يوسف العقبى

نواب الاسكندرية : سليمان الغربى . عبد الرزاق الشوربجى

نواب الغربية : عثمان الهرميل عمدة محلة مرحوم . عبد الرحمن عرفه عمدة برج مغيزل . محمد حماد عمدة كفور بلشاى . محمود سالم عمدة كفر سالم . أحمد سالم عمدة دهتوره . مصطفى مرجه عمدة أبو صير . الحاج محمد سليم عمدة شبرا قاص . ابرهيم الشاذلى عمدة شبرا تنا . عمر خضر عمدة أبو تور

نواب المنوفية : على عمران عمدة سرسموس . مصطفى غنيم الاتابى عمدة جزى . ابرهيم حسن عمدة الباجور . سليمان حسان عامر عمدة جنزور . أحمد السرسى عمدة ادشاى . على عياد عمدة السدود

نواب البحيرة : ابرهيم الديب عمدة صفط العنب . أبو زيد الحناوى عمدة كفر عوانه . عبد الله المنياوى عمدة ديروت . ابرهيم الجيار عمدة خربتا . ابرهيم دربك عمدة عزبة دربك

نواب الدقهلية : عبده جوده عمدة محلة انجاق . محمد عبده عمدة كفر أبو ناصر . أحمد اسماعيل عمدة السنبلاوين . يوسف رزق عمدة كفر يوسف رزق . عبد الوهاب الشيخ عمدة دقادوس . شلبى حسين عمدة سلكا

نواب الشرقية : أيوب أيوب عمدة الصوه . حسن عبد الله عمدة فرسيس . محمد جبر الله عمدة شبرا العنب . محمد رجب كساب عمدة غيته . سيد احمد رضوان عمدة ميت العز . جاد يوسف عمدة شنيط الحرابوه . على عامر عمدة العزيزية . على خليل عمدة السعديين

نواب القليوبية : عبد العزيز مطر . سليمان منصور (كفرشبين) . مصطفى علام (سنديس) . عبد الفتاح زغلول (ميت كنانه)

نواب الجيزة : رزق عكاشه عمدة المنيا والشرفا . حسين عطا الله عمدة برنشت . فضل الزمر عمدة ناهيا

نواب بنى سويف : محمد راضى عمدة انفسط بنى حبين . على كساب عمدة نزلة كساب . مصطفى محمد عز الدين عمدة طنسا بنى مالو

نواب الفيوم : أحمد جاد الله عمدة السيلين . أحمد الدهشان عمدة اهريت

نواب المنيا : بدينى الشريعى عمدة سمالوط . عبد الغنى خالد . خليفة مرزوق . أحمد محمد أبو طالب عمدة برطباط . خليل عبد الرحيم عمدة الفشن . حنا يوسف عمدة نزلة الفلاحين

نواب أسيوط : عطيه عبد العال عمدة العقال البحرية . محمد عبد الوهاب عمدة الهامية . عبد الرحمن وافى عمدة بنى عدى . ميخائيل فرج عمدة ديرمواس . محمد فراج عمدة نزلة فرج محمود . عمر احمد عمدة مسرع

نواب جرجا : ابرهيم حسن أبو ليلة عمدة الريانية . عثمان احمد همام عمدة أولاد اسماعيل . محمد حساب عمدة داود وميت سهيل . تمام حبارير عمدة الحامدة . صديق عبد المنعم عمدة بنجا . عبد الشهيد بطرس (البلينا)

نواب قنا : محمود عبد الله عمدة دشنا . طايع سلامه عمدة القبلى قامولا . سليم سعيد عمدة العركى

نواب إسنا : أحمد عبد الصادق (اسوان) . محمد سلطان (إسنا)

نائب دمياط : الحاج سيد اللوزى

اجتماع مجلس شورى النواب بطنطا

في دور غير عادي (أغسطس سنة ١٨٧٦)

دعت الحكومة أعضاء المجلس إلى الاجتماع لدور « فوق العادة » بطنطا ، واختارت هذه المدينة لمناسبة قيام المولد الأحمدى بها ، وكان الغرض من الاجتماع البحث فى مسألة إبطال المقابلة أو اقرارها ، وذلك ان مرسوم ٧ مايو سنة ١٨٧٦ قضى بايقاف تنفيذ هذا القانون ، ولكن الحكومة رأت تخفيفاً لضائقتها المالية ان يعود العمل به لكى تجبى متحصلات المقابلة ، وكان الاعيان الذين دفعوا أقساط المقابلة ، ومنهم النواب ، يهمهم ان يجرى العمل به حتى يستمر إعفاؤهم من نصف الضرائب المربوطة على أطيانهم ، فدعت الحكومة المجلس إلى الاجتماع للبحث فى هذه المسألة ، وذكرت موضوع الاجتماع فى أمر الدعوة

اجتمع الاعضاء فى طنطا برئاسة عبد الله باشا عزت يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٢٩٣ (١٧ أغسطس سنة ١٨٧٦) ، ولم يحضر الخديو افتتاح المجلس ، ولا تليت فيه خطبة عرش ،

واقتصرت الجلسة الأولى على النظر فى مسألة المقابلة ، لحبذ الأعضاء بقاءها

وثمة ظاهرة بدت فى هذا الاجتماع ، وهى روح جديدة يصح ان نسميها ، طبقاً للمصطلحات البرلمانية ، روح « المعارضة » ، ومن مظاهرها حب الاستقصاء والتحرى عن شؤون الحكومة ، والرغبة الصادقة فى بحثها بعناية تختلف كثيراً عن تهاون المجلس فى الادوار السابقة

ظهرت هذه الروح إذ وقف الشيخ عثمان الهرميل ، احد نواب الغربية ، وأبدى موافقته على إعادة العمل بقانون المقابلة ، لكنه طلب فى صراحة محمودة أن توضح الحكومة الطريقة التى كان فى نيتها تدبيرها لرد المبالغ التى حصلتها من المقابلة ، فيما لو بطل العمل بالقانون . وقال إن مجموع ما حصلته بلغ (الى ذلك الحين) اثنى عشر مليوناً أو ثلاثة عشر مليون جنيه . ومع جسامة هذا المبلغ ووجود ديون اخرى على الحكومة لم تبين كيف يمكنها رد مبالغ المقابلة الى اصحابها .

قال : « وبما ان المجلس لم ينظر ميزانية الحكومة فى السنة الماضية ، مع أن له الحق فى الاطلاع عليها ، ليعرف كيفية الايراد والصرف ، ويعلم أيضاً كيفية الاستقراض ، وحصر الدين واستهلاكه فى ٦٥ سنة (طبقاً لمرسوم توحيد الديون) ، فان وافق المجلس يصير طلب هذه البيانات أيضاً لتنظر بالمجلس »

فهذه روح طيبة تدل على أن فكرة الرقابة على تصرفات الحكومة قد سرت الى نفوس الاعضاء ، لأن الهرميل لم يدل بهذا البيان إلا مستأنساً بتأييد زملائه ، ومترجماً عن ميولهم وشعورهم ، وقد وافق المجلس فعلا على وجهة نظره ، وقرر تأليف لجنة من ثلاثة أعضاء ، وهم بدوى افندى الشريعى ، وعلى افندى عامر ، وعبد الشهيد افندى بطرس ، ومهمتها التوجه الى وزارة المالية ، للاطلاع على البيانات التى طلبها الشيخ عثمان الهرميل

وقد انتقلت اللجنة الى وزارة المالية بالقاهرة ، وفحصت البيانات واستحضرت الكشوف المطلوبة ، وأحيل تقريرها على المجلس بجلسة الخميس ٢٠ رجب ، فقرر إبقاء المقابلة ليعاون الحكومة على سداد ديونها ، وهو قرار لا غبار عليه ، لأنه بمثابة « تضحية » مالية تتحملها البلاد لانقاذ الحكومة من ارتباكها المالى ، ومساعدتها فى سداد ديونها ، والامم فى الاوقات العصيبة تنهض لمعاونة حكوماتها ، مالياً ومعنوياً ، مهما يكن من اخطائها الماضية ، لأن ساعة الخطر تتطلب أن تتضافر الأيدى وتتعاون الأمة والحكومة على انقاذ البلاد مما يحيق بها من المكاره ،

وانتهى فى تلك الجلسة دور الانعقاد غير العادى بطنطا ، بعد أن دام اجتماعه جلستين اثنتين

دور الانعقاد الاول من الهيئة النيابية الثالثة

(نوفمبر سنة ١٨٧٦ — مايو سنة ١٨٧٧)

افتتح الخديو اسماعيل اجتماع المجلس يوم الخميس ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٧٦ ، يصحبه الأمير

توفيق باشا وزير الداخلية . والامير حسين كامل باشا (السلطان حسين فيما بعد) وزير المالية . والامير حسن باشا وزير الحربية ، وشريف باشا وزير الحقانية والخارجيـة ، وخيرى باشا المهردار ، واجتمع الأعضاء برئاسة عبد الله باشا عزت ، وتليت خطبة العرش . وفيها أعرب الخديو عن سروره من اجتماع المجلس ، لبعض مسائل مهمة ، وذكر ان المرسوم الصادر بتوحيد الديون المؤرخ ٧ مايو سنة ١٨٧٦ طرأت عليه أسباب دعت الى تعديله ، وان « أفكار الجميع مخالفة لما هو منصوص به من جهة إبطال المقابلة ، وأشار الى اجتماع النواب بطنطا ، وما استقر عليه رأيهم من ضرورة ابقاء المقابلة . وذكر حضور المسترجوش والمسيو جوبير مندوبى الدائنين ، والاتفاق معهما على تسوية الديون بالطريقة التى ستعرض على المجلس (مرسوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٦) ، وان هذه التسوية مبنية على قرار النواب فى أمر المقابلة

والشيء الجديد فى هذه الخطبة ، أن الخديو جعل للمجلس حقاً ثابتاً فى الاشتراك فى ادارة شؤون الحكومة وتصريفها ، وذلك باعلانه ان التسوية التى أبرمها فى مرسوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٦ مبنية على قرار مجلس شورى النواب فى اجتماعه بطنطا ، ويعد هذا التصريح فى ذاته مكسباً للمجلس

ولا يخفى ان التسوية التى أشار اليها الخديو تتضمن أيضاً فرض الرقابة الثنائية الاجنبية على مالية الحكومة ، وهذه لم يذكرها اسماعيل باشا فى خطبته ، ولم يشرك المجلس فى احتمال تبعتها ، وحسناً فعل من هذه الوجهة

جواب المجلس على خطبة العرش

انتخب المجلس لجنة مؤلفة من عشرة أعضاء لتقديم الرد على خطبة العرش ، وجاء الرد مكتوباً بأسلوب جديد ، وروح جديدة ، تختلفان عن عبارات التملق البالغ التى وردت فى الردود السابقة ، وتضاءلت فيه أساليب العبودية ، مما يدل على تطور المجلس ، واستشعار النواب بكرامتهم وحقوقهم . ويمتاز الرد أيضاً بايجاز عباراته ، وارتقاء أسلوبه الانشائى بالنسبة لاسلوب الردود السابقة ، وهذا ينبىء بتطور الافكار وتقدم لغة الكتابة والانشاء

ونقتبس هنا بعض فقرات من الرد ، للتدليل على مبلغ هذا التطور ، بدأ الاعضاء رسالتهم بشكر الخديو على تشريفه المجلس بافتتاحه ، وقالوا عن خطبة العرش : « اننا شنفنا الاسماع بالاصغاء الى المقالة العلية ، التى أضاءت شموس معانيها ، فأوجدت لنا السبيل الى التدبر لما أودع فيها من المقاصد الخيرية ، الصادرة عن سديد أفكاره السنية ، المتجهة على ممر الاوقات لما يعود على البلاد وساكنيها بالراحة والمنفعة ، ولا غرو فى صدور ذلك من نفس كريمة جبلت على حب الوطن ، وجلبت اليه كل فائدة جليلة ، أمرها مستحسن . ولا يخفى على كل ذى عقل

ولب ما أشير عنه بالمقالة الخديوية من جهة الديون ، فانه من المسائل العظمى العائدة على الحكومة والاهالى بالخيرات الكثيرة ، والثمرات الجة ، لانه مع انتظام الديون وتسويتها تحت روابط معلومة تنتظم مالية وادارة الحكومة ، ويتبع ذلك ترقى حركة التجارة ، وكثرة التعامل بالاخذ والعطاء بين العموم »

ولم يفت اللجنة أن تشير فى ردها الى الحق الذى ناله المجلس من الاشراف على أعمال الحكومة ، فقالت فى أسلوب حصيف : « وبحسبما أشير بالمقالة الكريمة ، سيطلب من نظارتى المالية والاشغال ما يختص بكل منهما من هذه المسائل »

والحق يقال ان هذا الجواب يعد من خير ما قدمه مجلس شورى النواب رداً على خطب العرش ، ولو قارنت بينه وبين رد المجلس فى أول دور انعقاده (نوفمبر سنة ١٨٦٦) لوجدت التقدم ظاهراً فى الروح والطابع والاسلوب والافكار ، وقد بدا على مناقشات الاعضاء حب البحث والاستقصاء ، والاستقلال فى الرأى ، والتطلع الى مراقبة تصرفات الحكومة ، مما دل على ان روحا جديدة من المعارضة سرت الى المجلس

النواب البارزون

وبرز فى ميدان النقاش اعضاء أكفاء برهنوا على حصافة فى الرأى ، وقوة فى المنطق ، وسداد فى المقصد ، نذكر منهم على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، محمود بك العطار ، وعبد السلام بك المويلحى ، باشا ، ومحمد افندى راضى ، والشيخ عثمان الهرميل ، والشيخ محمود سالم ، وبدينى افندى الشريعى ، والشيخ ابرهيم الجباب ، وغيرهم

وقدمت وزارة المالية للمجلس بيانات تفصيلية عن الديون وأنواعها ، وأقساطها ، والايرادات والمصروفات وأبوابها ؛ وتولى تقديم هذه البيانات حافظ بك رمضان فى جلسات متعاقبة ، وكان يتولى الاجابة باسهاب على كل ما يطلبه المجلس من الايضاحات

وبحث المجلس فى مسائل عـــدة تتعلق بمشروعات المنفعة العامة ، كالرياحات ، والقناطر والترع ، وملاحة مريوط ، وغير ذلك ، وانتهى الدور يوم الخميس ، غاية صفر سنة ١٢٩٤ ، ثم استأنف اجتماعه فى ١٦ ربيع الثانى بناء على طلب الحكومة لمناسبة نشوب الحرب بين تركيا والروسيا ، وطلب الخديو النظر فى المال اللازم لتجهيز الحملة المصرية التى اعتزم ارسالها فى هذه الحرب

ولا شك ان جمع المجلس لهذا السبب ، وان كان الغرض منه تدبير المال الذى تطلبه الحكومة ، لكنه يدل على الحق الذى ناله النواب فى الرجوع اليهم كلما احتاجت السلطة التنفيذية الى موارد مالية جديدة ، وقديماً لم تكن ترجع اليهم فى مثل هذا الشأن ، ولا فى غيره ، بل كانت

تفرض ما تشاء من الضرائب دون ان ترجع اليهم ، أو تشركهم فى الامر

وانتهت المناقشة بقرار المجلس زيادة الضرائب على اختلاف أنواعها عشرة فى المائة . وختم الدور يوم ١٦ مايو سنة ١٨٧٧

الدور الثانى (مارس - يونيه سنة ١٨٧٨)

افتتح الخديو اجتماع المجلس يوم الخميس ٢٨ مارس سنة ١٨٧٨ ، يصحبه الامير محمد توفيق باشا وزير الداخلية . والامير حسين كامل باشا وزير المالية ، ومصطفى رياض باشا وزير الزراعة والتجارة ، وشاهين باشا مفتش الوجه البحرى . وأحمد خيرى باشا المهردار ، واجتمع الاعضاء برياسة قاسم باشا رسمى

وتليت خطبة العرش ، وهى تتضمن الاشارة إلى ما عانته البلاد من نقص النيل نقصاً لم يقع مثله منذ عدة سنين ، وما أصاب الاراضى من الشراق ، وخاصة اطيان الوجه القبلى ، فان معظمها لم يزرع لحرمانها مياه الرى ، وألمع إلى انتهاء الحرب البلقانية ، قال : « والمأمول حضور العساكر المصريين لهذا الطرف ، وتقر اعيننا برؤية أولادنا جميعاً » (١) وشكر المجلس على ماقرره فى الاجتماع الماضى ، من تقرير الاعانة العسكرية ، ووعد بتقديم حساب عن الأوجه التى صرفت فيها هذه الاعانة ، واشار الى تأليف لجنة التحقيق الاوربية ، وهى اللجنة التى تولت فحص الحالة المالية للحكومة . وقدم المجلس رده على خطبة العرش ، وهو من نوع الاسلوب الذى كتب به رد الدور السابق ، وفيه ترديد لما أشار اليه الخديو فى خطبة العرش واعراب عن الأمل فى تسوية المشكلة المالية القائمة بين مصر والدائنين

قرارات المجلس

بحث المجلس فى الاضرار والخسائر الجسيمة التى اصابت الاطيان بسبب الشراق ، واضطرار الكثير من الاهالى إلى الهجرة من بلادهم لبوار أراضيهم ، فقرر ان تؤلف لجنة فى كل مديرية لتدارك هذه الحالة على قاعدة امداد الحكومة للأهالى الذين تلفت اطيانهم بالتقاوى والبزور . واقراضهم مايحتاجون اليه من المال لشراء المواشى اللازمة لزراعة أراضيهم ، واضافة ثمن التقاوى وقيمة السلف على مطلوبات الحكومة من المال

ونظر فى اطيان « المنسحبين » ، وهم المزارعون الذين تخلوا عن اطيانهم لعجزهم عن اداء

---

(١) كان الامير حسن باشا نائب الجنرال اسماعيل من قواد الحملة المصرية فى هذه الحرب ، واشارة الخديو فى خطبته الى قرب عودة الجنود المصريين ، والتعبير عنهم (باولادنا جميعا) وفيهم نجله ، تورية لطيفة ، واسلوب ديمقراطى جميل

الضرائب ، ولاحظ زيادة عددهم ، بما ينذر البلاد بالخطر ، فقرر اعطاء اطيان المنسحب إلى اقاربه وذويه الذين تؤول اليهم ملكيتها فيا لومات ، وأن تكلف باسمائهم مؤقتاً لمدة ثلاث سنوات ، بصفتهم وكلاء الغائب ، فاذا حضر قبل انتهاء هذه المدة تعاد له اطيانه ، وإلا تعتبر ملكا لمن زرعوها من أقاربه

وقرر المجلس وجوب مضاعفة منشآت الرى والهندسة ، لكى تجد الاراضى كفايتها من الماء فى حالة ما اذا نقص النيل كنقصانه فى العام الماضى ، واستدعى على باشا مبارك . وكان يومئذ مستشار وزارة الاشغال ، وبحث معه فيما يجب القيام به من اعمال الرى فى مختلف المديريات لزيادة المياه وعمل الاحتياطات الكفيلة بتلافى ضرر الشراقى فى حالة نقص النيل

وقدمت الحكومة للمجلس كشوفا تفصيلية بما صرف بمعرفة وزارة الحربية من اموال الاعانة العسكرية

ولما كانت عليـــه حالة المالية من الارتباك ، وانهماك الحكومة بتقديم البيانات التى طلبتها لجنة التحقيق الاوربية لم تضع ميزانية السنة الجديدة انتظاراً لما تصل اليه لجنة التحقيق من النتائج ، وانتهى الدور يوم ٢٧ يونيه سنة ١٨٧٨ ، دون أن تعرض عليه الميزانية

عبد الرحمن الرافعي

استدراك

ورد فى مقال (الحياة النيابية فى عهد اسماعيل) المنشور بالعدد الماضى (ص ١٠٠٨) بالسطر الثامن خطأ يقتضى تصحيحه . فقد جاءت الجملة هكذا « وانما ذكر فقط عجز الضرائب المترتب على اعفاء المموليين الذين أدوا نصف هذا المبلغ من المربوط عليهم » والصواب « الذين أدوا هذا المبلغ من نصف المربوط عليهم » فاقتضى التنويه

ورق اللعب

تاريخه والاطوار التي مر بها

ورق اللعب هو من أشيع الالعاب المعروفة في العالم . وفي المقالة الآتية بحث موجز في منشأ هذه اللعبة (بضم اللام) وتطورها مبني على ما جاء في دائرة المعارف البريطانية وغيرها من المؤلفات الانجليزية والفرنسية والالمانية

يعتقد الكثيرون أن ورق اللعب من مبتكرات العصور الحديثة . وهو اعتقاد خطأ كما يؤخذ من المصنفات الكثيرة التى تبحث فى هذه اللعبة وفى مقدمتها كتاب لكاهن فرنسى يدعى الاب ريف (L'invention des Cartes à jouer) وغيره من المصنفات الكثيرة التى وضعها مؤرخو هذه اللعبة باللغات المختلفة

ومن المحتمل أن تكون كلة « كاغد » المعربة عن الفارسية (ومعناها ورق) وكلتا (Carte) الفرنسية و (Card) الانجليزية من أصل واحد . وعلى كل فان منشأ ورق اللعب ، كسائر الالعاب القديمة ، غير معروف تماماً . والاعتقاد الشائع هو أن هذه اللعبة جاءت فى الاصل من آسيا . وفى أحد المعجمات الصينية الذى يرجع الى عام ١٦٧٨ للميلاد ان ورق اللعب ظهر إلى الوجود عام ١١٢٠ وكان ظهوره فى عهد الامبراطور « سيون هو » الصينى وبأمره لأنه أراد ايجاد لعبة تلهو بها محظياته وسراريه الكثيرات

وفى اسطورة هندية قديمة أن ورق اللعب كان معروفاً فى الهند قبل ذلك الزمن بكثير ، وان كهنة البراهمة هم الذين ابتكروه . ومما يجدر بالذكر أن فى بعض متاحف العالم مجموعات قديمة من ورق اللعب الذى كان شائعاً فى الهند وكان مستدير الشكل لا مربعاً مستطيلا كالورق الشائع فى هذا العصر

وفى تقاليد أخرى غير موثوق بها أن ورق اللعب هو من مبتكرات المصريين القدماء وانهم كانوا يصنعونه من البردى . ويزعم آخرون أن العرب هم الذين اخترعوه . ومن المحتمل أن « الكاغد » أو « الكارد » أو « الكارت » هو من اختراع الفرس وأن العرب أخذوه عنهم . ولكن ليس لدينا ما يثبت هذا الزعم ، وليس للنقوش والرموز والتصاوير التى على ورق اللعب أسماء عربية على ما نعلم بخلاف الحال عند الفرس والاتراك

وكما اختلف المؤرخون فى أصل ورق اللعب اختلفوا أيضاً فى زمن دخول هذا الورق اوربا . وفى المادة الثامنة والثلاثين من لائحة مجمع « ورستر » التى يرجع تاريخها الى عام ١٢٤٠ الميلادى

اشارة غير واضحة يعتقد البعض أنها إلى ورق اللعب ، وانه بناء على ذلك يكون هذا الورق قد دخل انجلترا فى النصف الاول من القرن الثالث عشر . على أن مؤرخين آخرين يعتقدون ان الاشارة المذكورة (وهى كلمتا « الملك » و « الملكة ») ليست إلى ورق اللعب بل الى لعبة أخرى لا يبعد أن تكون هى الشطرنج . ودليلهم على ذلك أن صورة « الملكة » لم تكن معروفة فى ورق اللعب عند أول ظهوره وانما زيدت فيما بعد

وفى السجلات الخاصة بقصر الملك ادورد الاول (لعام ١٢٧٨) اشارة مبهمة إلى لعبة « الأربعة الملوك » ، ويعتقد البعض أنها لعبة الورق التى نحن بصددها . والارجح ان الاشارة هى الى لعبة الشطرنج الهندية (ومعنى كلمة شطرنج أربعة ملوك) اذ لو كانت لعبة الورق معروفة فى انجلترا أو فى اوربا فى أيام الملك ادورد الاول لذكرها « بترارك » فى مجموعته عن الالعاب التى كانت معروفة فى عصره(١). أضف إلى ذلك ان بوكاتشو (Boccaccio) وتشوسر (Chaucer) وغيرهما من كتاب ذلك العصر وشعرائه اشاروا تقريباً الى جميع الالعاب التى كانت معروفة فى عصرهم ولم يشيروا الى لعبة الورق . نعم إن هنالك اشارات مبهمة ولكن الباحثين الذين يوثق بعلمهم يعتقدون أنها لاتعنى ورق اللعب . ولعل أول اشارة صريحة بهذا الصدد ما ذكره شاربو بوبار الذى كان قهرماناً (أى وكيل الدخل والخرج) للملك شارل السادس بفرنسا . فقد وردت العبارة التالية فى أحد السجلات التى دونها بوبار المذكور عام ١٣٩٢ أو ١٣٩٣ وترجمتها : « ... معطى للمدعو جاكان جرنجونور الرسام ثمن ثلاث رزم من ورق اللعب المذهب وذى



ورق لعب فارسي من القرن السادس عشر

الالوان المختلفة » . وهذا دليل على ان ورق اللعب كان معروفا فى ذلك العهد

وعليه يصح القول بأن هذه اللعبة دخلت اوربا فى منتصف القرن الرابع عشر ولكنها لم

(١) كان بترارك عالما وشاعراً ومؤرخا ولد في مدينة اريتزو بايطاليا عام ١٣٠٤ وتوفي عام ١٣٧٤ واشتهر بما كان يجمعه من المخطوطات القديمة والآثار النادرة ومن جملتها مجموعة من الالعاب التي كانت معروفة في عصره وليست لعبة الورق من جملتها



ورق لعب ايطالى قديم — ورق لعب صينى

تشع الا فى أواخر ذلك القرن . أما البلاد التى يعزى اليها اختراعها فهى كما قلنا غيرمعروفة تماما . الا أن كاتباً ايطالياً من أهالى فيتربو يدعى كوفيلوتزو (عاش فى القرن الخامس عشر) يقول ان الايطاليين أخذوا ورق اللعب عن العرب وان لديه سجلات قديمة ورثها عن جده ، وفى أحدها العبارة التالية : « وفى عام ١٣٧٩ ادخلت لعبة الورق الى مدينة فيتربو وهى لعبة جاءت فى الأصل من بلاد العرب (يقصد من بلاد المقدس) وتعرف عندهم بلعبة النايب (Naib) » . واذاصدق هذا القول فلا شك أن الصليبيين هم الذين جلبوا هذه اللعبة الى اوربا عند عودتهم من بلاد المقدس ، اذ المعروف عنهم أنهم كانوا أكبر مقامرى ذلك الزمن

ويزعم مؤرخون آخرون ان ورق اللعب دخل اوربا أولا عن طريق اسبانيا ، وان الاسبان أخذوه عن المغاربة بشمال افريقيا ، ولا يزالون يسمون هذه اللعبة « نايب » أو « نايبس » ولعلها تحريف كلمة نبى بالعربية . وسواء أصح هذا الزعم أم لم يصح فان لعبة الورق كانت على الارجح شائعة بين العرب قبل الحروب الصليبية ، وانها شاعت فى اور با حوالى ختام القرن الرابع عشر . ومن انصع الادلة على ذلك ان فى مجموعة القوانين التى اصدرها محافظ باريس سنة ١٣٩٧ قانوناً يحرم على العمال أن يلعبوا « التينس » و « كريات الدحرجة » و « الزهر » و « ورق اللعب » فى أى يوم من أيام العمل . ومما يجدر بالذكر ان قانوناً من هذا القبيل صدر فى فرنسا فى حكم الملك شارل الخامس عام ١٣٦٩ وليس فيه اشارة الى ورق اللعب مع أن فيه اشارة الى الالعاب الاخرى السابقة . وتعليل ذلك على ما نرى ان لعبة الورق وان كانت معروفة فى ذلك الزمن لم تشع كثيراً الا فى اواخر ذلك القرن . والارجح أنها شاعت فى ايطاليا قبل ذلك . وفى أوائل القرن الخامس عشر أخذ رجال الدين فى اوربا عامة يشنون الغارة على ورق اللعب . وفى عام ١٤٢٣ أصدر سان برناردينو اسقف سينا منشوراً شديد اللهجة حمل به على ورق اللعب حملة شعواء وقال ان مخترعها هو الشيطان

وفى سجل المانى محفوظ فى مدينة نورمبرج وتاريخه عام ١٣٨٤ اشارة صريحة الى ورق اللعب

وسرعة انتشاره فى اوربا كلها . ويؤخذ من هذا السجل أن ورق اللعب كان فى أول عهده مربعاً مستطيلا أو مربعاً أو مستديراً (وكان الشكل الاخير نادراً)

وما كاد هذا الورق يشيع فى اوربا حتى أخذ الناس يستعملونه لاغراض أخرى خلاف اللعب . من ذلك أنهم صاروا يستعملون ظهركل ورقة لكتابة قواعد اللغة أو الصرف اوالنحو أو المنطق أو ما الى ذلك . وتدرجوا من ذلك الى تعليم الحساب والجغرافيا واسماء الملوك والممالك والاعياد والتقاويم والاوسمة والشعائر وبعض حوادث التاريخ

اما فى العالم الجديد فان اول اشارة الى ورق اللعب فيه هي ما ذكره «هريرا» صديق كورتيز فى احدى رسائله من ان شعب الازتيك كان شديد الشغف بورق اللعب الذى ادخله الجنود الاسبانية الى اميركا

وفى اوائل القرن الخامس عشر اصبحت صناعة ورق اللعب مهنة رابحة فى المانيا ، وكان الالمان يتاجرون بهذا الورق تجارة واسعة ويصدرونه الى بلاد كثيرة . وبعد ذلك بقليل شرع الايطاليون أيضاً فى صناعة الورق والمتاجرة به على نطاق واسع . أما الانجليز فلم يتقنوا هذه الصناعة الا فى النصف الاخير من ذلك القرن . وانشىء أول مصنع لورق اللعب عندهم عام ١٤٦٣ وذلك على أثر القانون الذى أصدره الملك ادورد الرابع وحرم بموجبه استيراد ورق اللعب من الخارج . وكان ذلك بتحريض أصحاب المتاجر من الانجليز . وكان معظم الورق يأتى قبل ذلك من فرنسا وهولندا حيث كانت تجارته رائجة رواجاً عظيما . وفى عهد الملكة اليصابات احتكرت الحكومة الانجليزية تجارة الورق وصارت تستورد الكثير منه من الخارج كفرنسا والمانيا وايطاليا وهولندا . فعاد التجار وأصحاب معامل الورق يشكون . فلما جاء جيمس الأول عاد فحظر استيراد الورق من الخارج ووضع على المصانع الانجليزية ضريبة ما تزال قائمة حتى الآن وهى مصدر ايراد لا يستهان به

ويقول بعض المؤرخين إن ورق اللعب كان ينقش فى أول الأمر بواسطة «كليشهات» تصنع من الخشب . فاذا صدق هذا القول فلا شك أن صناعة هذا الورق ساعدت كثيراً على ترقية فن الطباعة . ولا يخفى أن حروف الطباعة كانت تصنع فى أول الأمر من الخشب ، ويعتقد بعض الذين بحثوا فى تاريخ استنباط ورق اللعب أن اقدم صناع هذا الورق فى اوربا كانوا من أهالى «اولم» ، «ونورمبرج» ، «واوجسبرج» ، وانهم كانوا ينقشون الورق بايديهم لا بواسطة المطابع ، وأن الحالة ظلت كذلك حتى منتصف القرن الخامس عشر ، وأن اولئك النقاشين كانوا ايضاً ماهرين فى صناعة حفر الخشب . وعلى كل فان ورق اللعب الذى كان يصنع خصيصاً للملك شارل السادس كان ينقش باليد

٥٥٥

ولم يتفق مؤرخو ورق اللعب على الزمن الذى بدىء فيه باستبدال بعض الرسوم بارقام أو بنقط معدودة . والارجح أن جميع الاوراق كانت منقوشة أو مزينة بالرسوم فى أول الامر . ولا يزال بعض هذا الورق شائعاً فى بعض انحاء فرنسا والمانيا وايطاليا . وكان عدد ورقات كل رزمة ثمانياً وسبعين ورقة فى الأول باربعة ألوان ، منها اثنتان وعشرون ورقة تحتوى على رموز وتدعى « آتوتى » أو « آتو » (Atouts) والاوراق الباقية ـ وعددها ست وخمسون ورقة ـ موزعة بين الالوان الاربعة لكل لون أربع عشرة ورقة ـ اربع ورقات منها صور ، والباقيــة موسومة بنقط أو ارقام . أما تصاوير الاربع الورقات فهى « الملك » و « الملكة » و « الفارس » و « الحاجب » ، وجميعها رموز تذكرنا بعصر الفتوة الذى يسميه بعض الكتاب عصر الفروسية (Chevalerie) أما الاوراق الرمزية الاثنتان والعشرون (Atouts) فكانت ورقتان منها تسميان المجنون (le fou) ومنهما نشأت الورقة المعروفة اليوم « بالجوكر » أو « الماجن » أو « العفريت » (Joker)

أما الرموز التى كانت تستعمل فكانت تختلف فى أول الامر باختلاف البلدان . ولا يخفى أن هذه الرموز هى الآن القلب أو الكورى (Coeur) والمربعات (Carraux) والسباتى (Spades) أو (Trèfle) والبستونى (Clubs) أو (Pique) . أما فى اوائل عهد ورق اللعب فكانت هذه الرموز « قلوباً » و « اجراساً » و « اوراقاً » و « ثمرة البلوط » . ولم تكن ورقة « الآس » معروفة فى أول الأمر . ولا نعلم ماذا كان يقوم مقامها . وبمرور الزمن استبدلت بتلك الرموز رموز أخرى شاع منها الرموز الايطاليــة وهى : السيف ، والصولجان ، والكأس ، وقطعة نقود . وظلت هذه شائعة فى ايطاليا وفرنسا واسبانيا حتى أواخر القرن السادس عشر حين حلت محلها الرموز الحالية وهى : القلوب ، والمربعات ، والسباتى ، والبستونى

والارجح أن رمز السباتى (Trèfle) هو صورة ورقة نبات مثلثة الاضلاع . وقد حل محل ثمر البلوط . ورمز البستونى حل محل السيف القديم

على أن الرموز الحديثة الاربعة أصيبت بشىء من الفوضى فصارت الاسماء تطلق على غير مسمياتها ، وكانت الفوضى على أشدها ظهوراً فى تسمية السباتى ، والبستونى

ولا يسعنا هنا أن نذكر جميع الرموز والنقوش التى كانت مستعملة على ورق اللعب منذ أول ظهوره حتى الآن فهى كثيرة جداً يخطئها العد . وعلى كل فقد كان القمار بالورق كثير الشيوع كما هو الآن . أما اساليب القمار وأنواعه فكثيرة . ولا نعلم ما الذى كان شائعاً منها عند أول ظهور ورق اللعب ، ولكن المعروف أن جميع الاسر الكبيرة فى اوربا كانت تلعب بالورق . وكانت الاسرة المالكة فى فرنسا تقضى جانباً كبيراً من لياليها فى اللعب بالورق

البحث عن القارة الضائعة

ظهور قرائن جديدة خاصة بجزيرة الاتلنتيد

لما دون افلاطون فيلسوف اليونان الاكبر اسطورته عن جزيرة الاتلنتيد ذكر عنها من التفاصيل مايدل على أن الاسطورة صحيحة فى جوهرها ، وانها وصلت إلى ذلك الجيل بالتواتر ، وانه إذا كان قد طرأ عليها شيء من التحريف فذلك لا يطعن فى صحة أصلها

ترى من أين استقى افلاطون ما رواه عن هذه الجزيرة أو القارة وعن كونها فردوساً بكل معنى الكلمة ، وهل صحيح أن جزيرة الاتلنتيد غارت الى قاع اليم بين عشية وضحاها وأن اثارها وكنوزأهلها مطمورة اليوم تحت قاع المحيط الاطلنطى ؟

نشرت احدى المجلات العلمية الاميركية سلسلة مقالات للاستاذ تيفنين الاميركى تناول بها اسطورة الاتلنتيد وانتهى منها الى القول بأن ماذكره افلاطون عنها صحيح فى جوهره ، وأن هذه الجزيرة كانت قائمة على مقربة من جزائر الآزور الحالية ، وانه كان فى المحيط الهادى ايضاً جزيرة تدعى ليموريا (Lemuria) واقعة بين قارتى افريقيا واوستراليا وقد نكبت فى العصور الخالية كما نكبت الاتلنتيد ، والدلائل على ذلك كثيرة

> نشرنا فى أحد اجزاء الهلال السابقة مقالة عن جزيرة الاتلنتيد التى يقال انها كانت فى الاوقيانوس الاطلنطى والتى روى افلاطون عنها روايات هى أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . ويظهر أن بعض الحكومات مهتمة بجلاء سر هذه الجزيرة . وقد أوفدت كل من اميركا وانجلترا بعثة علمية لهذا الغرض كما ترى من هذه المقالة

ومن العلماء فريق كبير يؤمن باسطورة الاتلنتيد ويرى فى ضحل ماء المحيط الاطلنطى بالقرب من جزائر الآزور برهاناً على وجود تلك القارة فى الازمنة الغابرة . وقد أوفدت كل من انجلترا واميركا بعثة علمية لدرس قعر الاوقيانوس فى تلك الجهة وحوالى جزائر الكنارى على أمل العثور على ما يؤيد رواية الاتلنتيد أو ينفيها . وهنالك بعثات أخرى تسعى لهذا الغرض عينه ، احداها تقوم الآن بمباحث واسعة النطاق بجوار جزيرة جرينلند ، على اعتقاد ان قارة الاتلنتيد كانت فى منطقة القطب الشمالى . وأخرى تقوم بدرس تونس والجزائر لأن بعض العلماء يعتقدون أن الاتلنتيد كانت شمالى افريقيا وأنها غارت فى البحر لأن زلزلة هائلة خسفتها فى طرفة عين ولم تترك منها أثراً

عاش افلاطون فى القرن الرابع قبل الميلاد أى منذ نحو ٢٣٠٠ سنة . ودون ما سمعه عن

جزيرة الاتلنتيد على اسلوب حوار ، وقال إن رجلا يدعى كريتياس ورث عن جده سجلات مكتوبة تلقاها عن صولون حكيم اليونان الاكبر عن اجداده عن أحد كهنة المصريين القدماء . وخلاصة ما جاء في هذه السجلات أن شعباً غريباً أغار على بلاد اليونان قبل ذلك الزمن باكثر من تسعة آلاف سنة وحاول اخضاع جميع شعوب العالم ، وأن هذا الشعب جاء في الاصل من جزيرة في المحيط الاطلنطى وراء أعمدة هرقل (أى بوغاز جبل طارق) وكانت هذه الجزيرة اكبر من شمالى افريقيا وآسيا الصغرى معاً واسمها اتلنتس أو الاتلنتيد ، وأن أهلها أخضعوا افريقيا وبلاد اليونان وايطاليا ، ثم تمكن اليونان من طردهم من جميع مستعمراتهم في البحر الابيض المتوسط . وبعد ذلك بزمن حدثت زلزلة عظيمة وتساقطت أمطار هائلة ، وبين عشية وضحاها غارت الجزيرة أو القارة وتوارت في غور الاوقيانوس

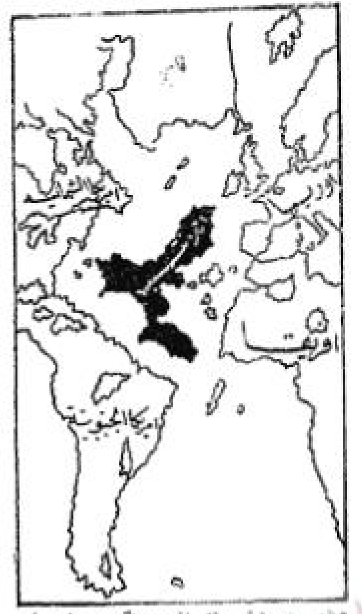
ولا يسعنا أن نورد هنا جميع ما ذكره افلاطون على لسان كريتياس عن هذه الجزيرة وعن غنى أهلها وسعة ملكهم ورقى حضارتهم ونظام معيشتهم فان ذلك يستغرق المجلدات الضخمة . وانما نقول ان اسطورة الاتلنتيد كانت شائعة بين اليونان الاقدمين ، وان الكثيرين من مؤرخيهم دونوا أخبارها وهى تتفق في جوهرها الا في جزئيات ثانوية . وذكر ديودوروس سيكولوس أن نساء الاتلنتيد كن كالامازونيات وان الشعب بوجه الاجمال كان محباً للقانون والنظام وليس بينه من يعتدى على شرائع البلاد ، وأن الاتلنتيديين غزوا مصر وآسيا الصغرى ولكن هرقل انتصر عليهم وردهم الى بلادهم

ويقول شليمان الذى اكتشف آثار مدينة طروادة ان حكاية الاتلنتيد ليست اسطورة خرافية كما يعتقد الكثيرون بل هي حقيقة تاريخية وان أعمال الحفر في طروادة وغيرها من بلاد اليونان تدل على ان الشعب الاتلنتيدى غزا تلك البلاد في العصور السالفة واستولى عليها حقبة من الدهر ، وان آثار ستونهنج (Stonehenge) في انجلترا وآثاراً أخرى حجرية شبيهة بها هي بلا شك من عمل الاتلنتيديين

ومما يجدر بالذكر أن ابن أخي العلامة شليمان المذكور نشر في سنة ١٩١٢ خبراً مؤداه أن عمه (العلامة شليمان) عثر على إناء من معدن البرونز عليه نقوش وكتابة تقول إن ذلك الاناء هو « ملك كرونوس ملك الاتلنتيد » . ثم اتضح بعد ذلك ان الخبر مختلق وان مختلقه (ابن اخى العلامة شليمان) مختل الشعور

اين موقع الاتلنتيد ؟

ويقول معظم الذين يؤمنون بصحة رواية الاتلنتيد ان هذه القارة او الجزيرة كانت في المحيط الاطلنطى الى غربى اعمدة هرقل (اى بوغاز جبل طارق) . إلا ان طائفة اخرى من



تبين هذه الخريطة الموقع الذي يظن ان قارة الاتلنتيد تحتله من المحيط الاطلانطي

العلماء يزعمون الآن ان هذه القارة كانت شمالى افريقيا، ويعتقد غيرهم انها كانت على مقربة من جرينلاند. وفى كلا هذين الموضعين علماء اثريون يبحثون عن الجزيرة الضائعة

وفى سنة ١٦٥٧ اعلن الاب كيرشر من آباء الجزويت - وكان من كبار علماء عصره - ان المباحث الواسعة النطاق التى قام بها اثبتت له بوجه قاطع أن جزائر الآزور ليست سوى أثر باق لجزيرة الاتلنتيد، وأن فى الجزائر المذكورة آثاراً وانصبة حجرية هى بلا شك من بقايا الآثار الاتلنتيدية. وفى سنة ١٧٩٥ أعلن كاديه (Cadet) العالم الفرنسى أنه عثر على آثار كثيرة هى بلا شك آثار الاتلنتيديين. وفى سنة ١٨٨٢ نشر الاستاذ دونللى الاميركى مقالة فى احدى المجلات العلمية حاول أن يثبت بها أن آثار المدنيات البائدة فى جزائر الآزور وماديرا تشبه آثار مدنية مصر وبلاد المكسيك شبهاً مدهشاً، وهذا دليل على أن المدنية الاتلنتيدية كانت وسيلة الاتصال بين تلك الاقطار المتنائية

ومما يجدر بالذكر انه بينما كانت احدى البواخر تضع اسلاك التلغراف البحرى بين راس كود (Cape Cod) وجزائر الآزور عثرت فى غور الاوقيانوس على شظايا حمم بركانيـــة (Tachylyte) فلما فحصها علماء الجيولوجيا (ومن جملتهم الدكتور فيلكن من اساتذة جامعة برلين) قرروا أنها شبيهة تمام الشبه بالمواد البركانية بجبال جزائر ماديرا والكنارى، وأنها كانت عند بدء العصر الجيولوجى الحاضر فوق سطح الماء، وانها غطست فى البحر منذ نحو خمسة عشر الف سنة

ويقول الاستاذ لويس سبنس (L. Spence) من كبار العلماء الانجليز ان المدنية البائدة التى كانت قائمة حول جزائر الآزور فى الحقب الخالية امتدت الى المكسيك وجزائر الهند الغربية، واستشهد على صحة نظريته هذه بوجود فاكهة الموز فى اميركا الوسطى. ولايخفى أن هذه الفاكهة هى فى الأصل من فواكه المناطق الحارة بآسيا وهى لا تنمو من بزور، ولا بد أن انتقالها من آسيا إلى أميركا الوسطى كان عن طريق بلاد قد غطست فى اليم، وهى بلاد الاتلنتيد الضائعة. ومما ذكره هذا العالم أن بحر ساراجوسا هو أثر من آثار جزيرة الاتلنتيد

وأعلن الاستاذ رونالد ستراث (R. Strath) أنه عثر على نقوش وكتابات بلغة يوكاتان (Yucatan) ببلاد المكسيك تدل على أن شعب الاتلنتيد هاجر الى تلك البلاد فى الحقب الخالية. وان هذه المهاجرة وقعت على أثر نكبة حلت بالاتلنتيد فان سحباً من الابخرة والغازات انتشرت فى جوها مدة ثمانية عشر شهراً ظلت الجزيرة فى خلالها فى ظلام دامس لم ينقطع ليل نهار

بعثات تبحث عن الاتلنتيد

أشرنا فى صدر هذه المقالة الى بعض البعثات العلمية التى تبحث عن جزيرة الاتلنتيد. وحول جزائر الآزور والكنارى الآن بعثتان علميتان لهذا الغرض، احداهما اميركية موفدة من قبل معهد المباحث الاوقيانوسية الاميركى (Oceanographic Institution of America) والاخرى انجليزية موفدة من قبل وزارة البحرية البريطانية على ظهر البارجة « تشالنجر ». وهاتان البعثتان تقومان بالبحث فى المحيط الاطلنطى فى الموقع الذى تشير اليه رواية افلاطون عن الاتلنتيد. وقد عثرت البعثة الاميركية حديثاً على آثار انابيب وجرار زجاجية ما تزال تحت البحث. ويقول العلماء الذين تتألف منهم هذه البعثة إنه إذا صدق أن جزيرة الاتلنتيد كانت قائمة فى تلك المنطقة وانها غارت فى اليم فى العصور الخالية، فالارجح أنها مدفونة تحت طبقة رقيقة جداً من رواسب الاوقيانوس أى على عمق بضع بوصات. فاذا وجد تحت تلك الرواسب آثار تدل على أنها كانت فى زمن من الازمان الخالية فوق سطح الماء كان ذلك دليلا على أن جزيرة كانت قائمة هنالك وانها غارت فى اليم منذ بضعة آلاف من السنين

ويعتقد علماء البعثة المذكورة أيضاً ان من المحتمل أن توجد تحت غور الاوقيانوس آثار معابد وتماثيل معدنية وغيرها. وما كان أعضاء البعثة ليعربوا عن مثل هذه الحقيقة لو لم يكن ثمة ما يعتمدون عليه من الدلائل أو القرائن

أما البعثة الانجليزية (أى البارجة تشالنجر) فتبحث عن جبل رابض فى الاوقيانوس على بعد نحو ٢٥٠ ميلا الى شمالى جزيرة الآزور، والمعتقد أن فى هذا الجبل كانت عاصمة الاتلنتيد التى اصطلح العلماء على تسميتها « بوسيدون »

نظرية جديدة

فى سنة ١٨٥٠ تلقت وزارة البحرية البريطانية تقريراً مسهباً عن غور الاوقيانوس بجوار جزائر الآزور، وفى هذا التقرير أن فى منطقة تلك الجزائر قطعة من غور البحر لا يزيد عمقها على ٢٨٨ قدماً وغور البحر حولها عميق جداً يبلغ متوسط عمقه سبعة الاف قدم ومائتى قدم. وفى هذه المنطقة تقوم البارجة « تشالنجر » بالبحث والاستقصاء لعلها تعثر على ما يؤيد اسطورة الاتلنتيد. وفى الوقت عينه تبحث عن أنواع معينة من السمك الذى يصلح للتغذية

ويصعب على الذين يعرفون ما كتبه افلاطون عن جزيرة الاتلنتيد أن يصدقوا أن موقعها كان فى منطقة القطب الشمالى . ولكن اذا تذكرنا أن افلاطون لم يعين موقع تلك الجزيرة بوجه التحقيق . بل قال انها كانت « وراء أعمدة هرقل » أى بوغاز جبل طارق ، علمنا أن موقع الجزيرة غير واضح ، وقد يكون « وراء اعمدة هرقل » بالوف الاميال ، فليس ثمة ما يمنع أنه كان فى منطقة القطب الشمالى

وأعظم المؤيدين لهذه النظرية الاستاذ « الفريد ويجنير » صاحب نظرية « تحرك القارات » وقد توفى فى العام الفائت فى جزيرة جرينلاند حيث كان يحاول جمع الادلة على صحة نظريته . وهنالك الآن طائفة من العلماء يواصلون عمله فى جرينلاند لعلهم يوفقون الى ما يثبت نظريته أو يفندها على وجه قاطع . ولا يخفى أن نظرية ويجنير بشأن جزيرة الاتلنتيد تتفق كل الاتفاق ونظريته الاخرى المشهورة (نظرية تشقق القارات وتحركها) وهى نظرية يسلم بها اليوم سواد علماء الجغرافيا فى اوربا وأميركا . وتقول هذه النظرية ان قارتى اميركا الشمالية وأوربا كانتا حتى ختام العصر الجيولوجى الاخير متصلتين معاً ببرزخ ، وكان الجو فى الجزء الشمالى من هاتين القارتين اكثر اعتدالا مما هو الآن ، لان محور الارض كان منحرفاً انحرافا يختلف عنه الآن . ويقول ويجنير إن بلاد الاتلنتيد كانت فى تلك المنطقة وانها غارت فى اليم عند ما وقعت النكبة التى حلت باوربا واميركا وفصلت احداهما عن الاخرى

ويؤيد الاستاذ هرمان فيرث أحد اساتذة جامعة بحدبورج ومن كبار العلماء فى هذا العصر نظرية ويجنير هذه ، ويؤكد أن حضارة راقية كانت منتشرة فى العصور الخالية فى المنطقة المعروفة الآن بمنطقة القطب الشمالى . ويؤيد نظريته هذه بوجود آثار تلك الحضارة السابقة لزمن التاريخ والتى كانت منتشرة من أسوج وغيرها من بلاد أوربا الشمالية الى خليج هدصن ومضيق بيرنغ وغيرهما من أنحاء اميركا الشمالية . وقد سميت هذه الحضارة حضارة « تول » نسبة الى بلاد غامضة فى شمالى اوربا كانت تسمى « تول » (Thule) وقد أشار اليها بلينوس وغيره من مؤرخى الرومان

حضارة أوربا واميركا

وهنالك آثار كثيرة تدل على وحدة حضارة شمالى أوربا وأميركا فى تلك الازمنة . وفى مقدمة تلك الآثار وجود قبور قديمة ترجع الى ما قبل زمن التاريخ وتشبه المراكب أو القوارب فى شكلها وتسمى قبور « الاومياك » (Umiak) وهى كثيرة فى كل من شمالى اوربا وشمالى اميركا ، وفى أساطير الاسكيمو أن اصحاب تلك القبور كانوا سكان البلاد من أقدم الازمنة ، وانه وقعت لاسلافهم وللملوك الفايكنج (Vikings) حروب كثيرة معهم وانتصروا عليهم . ويعتقد الاستاذ « ستيفنسون » العالم الاسوجى الذى اكتشف شعب الاسكيمو الاشقر فى مضيق دولفين (باقصى

الطرف الشمالى من كندا) أن هذا الشعب هو من بقايا سكان الاتلنتيد البائدين

ثم إن النقوش والرموز التى على قبور « الاومياك » فى شمالى اوربا وشمالى أميركا هى واحدة فن تلك الرموز ما يمثل مركباً قد بدت الشمس عند مؤخره . وهنالك رموز ونقوش أخرى متماثلة من هذا القبيل . ولا شك أن جميعها دينية وأن القوم كانوا كثيرى التدين وعلى كثير من الشجاعة والفضائل والاخلاق السامية . وينطبق عليهم وصف افلاطون للشعب الاتلنتيدى كل الانطباق

ومما يجدر بالذكر أن ديانة الاتلنتيديين سكان القطب الشمالى (اذا صح أن سكان ذلك القطب كانوا اتلنتيديين) تشبه ديانة قدماء المصريين شبهاً كبيراً . وهذا يدل على أن الاتلنتيديين هاجروا الى مصر فى تلك العصور الخالية واقتبسوا منها بعض مناحى حضارتها . وإلا فكيف تعلل التشابه العظيم الذى نجده بين الرموز والنقوش والآثار والأدوات التى فى شمالى اوربا (بلاد السكندناف) وشمالى افريقيا (تونس وغيرها) وشمالى كندا ؟

وقد جمع ويجنير قبل وفاته بيانات كثيرة عن الحضارة التى كانت منتشرة فى منطقة القطب الشمالى فى العصور الخالية ، من ذلك ان اريك (Erik) أحد ملوك الفايكنج الحمر اكتشف اميركا قبل أن يكتشفها كولمبوس بزمن طويل . وقد عثر ويجنير على عبارات منقوشة تركها « اريك » وخلاصتها أنه وجد آثار شعب متحضر كان يقيم بجرينلاند فى الحقب الخالية . وفى السنة الماضية اكتشف الاستاذ باترسون الدمركى خليجاً كبيراً فى جرينلاند محاطاً بأراض واسعة تدل الدلائل على أنها كانت فى العصور الغابرة شديدة الخصب وان جوها كان من النوع المعتدل . وهنالك أيضاً قرائن كثيرة يستدل منها على أن تحت آكام الجليد التى فى جرينلاند بقايا مستعمرات قديمة خصبة ترجع الى العصر الجيولوجى الثلاثى يوم كان جو تلك البلاد اكثر اعتدالا من جو جنوبى المانيا فى الوقت الحاضر . ومن المحتمل جداً ان سكان تلك البلاد كانوا اتلنتيديين

وفى الاساطير السنسكريتية أن اسلاف الشعب الهندى الاوربى (Indo-European) جاءوا من أقصى الشمال هاجرين الفردوس الذى كانوا يقيمون به ، وانهم تشتتوا فى جميع انحاء الجنوب . وفى أساطير الاسكيمو أن طوفاناً عظيماً غطى قنن الجبال من أقدم الازمنة وأهلك البشر ماعدا قليلا منهم . وانه حدث مع الطوفان زلزال عظيم

وعثر العلماء فى خليج جزيرة « برنس أوف ويلز » بالمنطقة القطبية على بقايا حيوانات من الحيوانات التى لا تعيش الا فى الاقاليم الحارة والمعتدلة ، الأمر الذى يثبت أن تلك البلاد التى تكسوها الثلوج الآن كانت فى العصور الخالية كثيرة الخصب والنماء وأن المدنية التى ازدهرت فيها قضى عليها العصر الجليدى . ولا يخفى أن محور الكرة الارضية قبل ذلك العصر كان أقل انحرافاً مما هو الآن . أى أنه كان أقرب الى العمودى مما هو الآن . ولذلك كان نصيب القطب

الشمالي من نور الشمس وحرارتها اكبر من نصيبه فى الوقت الحاضر . فليس غريباً ان الاصقاع القطبية كانت فى العصور الماضية مقر حضارة زاهرة . وفى متاحف أوسلو وهمبورج ولوبك وغيرها آثار قديمة ترجع الى حضارة « تول » التى شملت شمالى أوربا وشمالى أميركا فى العصور الخالية . وقد ثبت الآن أن هذه الحضارة مرتبطة أشد الارتباط بحضارة الشعوب السكندنافية والجرمانية القديمة ، وانها امتدت الى مصر وبلاد النوبة وأنحاء أخرى من افريقيا ثم الى خليج العجم وسومطره وبورنيو وبعض جزائر الباسفيك الجنوبية . وترى رموز تلك الحضارة وآثارها فى معابد « المايا » و « الازتيك » وغيرها

براهين أخرى

وهنالك براهين أخرى تؤيد اسطورة الاتلنتيد وفى مقدمتها اسطورة الطوفان التى تكاد تجدها عند جميع شعوب العالم قديماً وحديثاً ، ومؤداها أن طوفاناً عظيما حدث فى العصور الخالية وأهلك البشر ، والذين نجوا منهم تشتتوا فى الارض . وفى بعض الاساطير أن الطوفان صحبه زلزال عظيم زاد فى هلاك البشر . وهذا هو مؤدى اسطورة الاتلنتيد عينها

ومن تلك البراهين أيضاً مايقوله بعض علماء الجيولوجيا ـ ومنهم الاستاذان فوت (Fauth) وهوربيجه (Horbiger) ـ من أن كارثة هائلة حلت بالكرة الارضية فى العصور الخالية اذ اصطدمت ببعض الاجرام العلوية الصغيرة وكان بعضها جليدياً بارداً . فاحدث اصطدام الارض بها طوفاناً عظيما . واندمجت بعض الاجرام الاخرى بالارض وغيرت شكلها . ولاصحاب هذه النظرية براهين لا يتسع المجال لشرحها

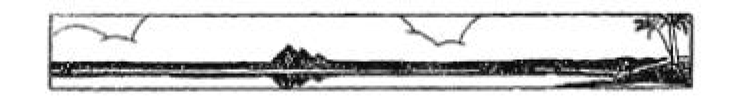
ومن تلك البراهين أيضاً ما يزعمه فريق آخر من علماء الجيولوجيا وهو أن « تشنجات » الكرة الارضية فى العصور الجيولوجية الخالية كانت اكثر وأشد من تشنجاتها فى هذه الازمنة لان الكرة كانت لا تزال فى أوائل تطورها ولم تكن قشرتها قد جمدت بعد . ولذلك كانت كلما تقلصت قشرتها تشققت فى بعض المواضع وانخسفت فى مواضع أخرى . والارجح أن قارات كثيرة انخسفت فى عصور جيولوجية مختلفة وان قارات أخرى ظهرت فى مواضع أخرى ، وان الحالة ظلت كذلك الى أن أصبحت الارض ـ أو قشرة الارض ـ اكثر صلابة وأشد رسوخاً . وما تزال أمثال هذه الحوادث تقع حتى الان ، فتغور جزر الى قيعان البحر وتظهر جزر أخرى ، وان تكن هذه الحوادث أندر الآن مما كانت فى العصور الخالية . ومن احسن امثلتها بركان « كراكاتوا » بجزيرة جاوه . فقد ثبت الآن أنه كان فى « مضيق صوندا » بتلك الجزيرة فى العصور الجيولوجية جبل نارى بارز فوق سطح الماء ثار وقذف الحمم ثم غار وتوارى تحت سطح الماء بعد أن تشققت جوانبه وأصبحت له عدة قنن ، وبعد زمن أخذت احدى هذه القنن

ترتفع حتى بلغت سطح الماء ، ثم ظلت ترتفع الى أن أصبح علوها ٢٦٢٣ قدماً وأصبحت تعرف الآن ببركان « كراكاتوا » وفى سنة ١٨٨٣ ثار هذا البركان مرة أخرى - وهو بارز بشكل جزيرة فوق سطح الماء - وغرق مرة أخرى . وكان هدير حممه يسمع عن بعد ثلاثة آلاف ميل . واضطربت مياه الاوقيانوس بسببه اضطراباً عظيما وهلك بسببه اكثر من ستة وثلاثين الف نفس فما وقع « لكراكاتوا » هو ما وقع لجزيرة الاتلنتيد عينها

الاتلنتيد وأفريقيا

وفى مقدمة العلماء الذين يعتقدون أن الاتلنتيد كانت فى شمالى افريقيا (أى فى تونس) الاستاذ البرت هرمان وهو من كبار العلماء الالمان . ويؤيده فى هذه النظرية بيرون دى بوروك العالم الاميركى الهنجارى الاصل ، وقد اكتشف فى تونس آثار حضارة بائدة تدل على أن تونس كانت فى الازمنة الخالية بلاداً خصبة ذات حضارة راقية تنطبق أوصافها الجغرافية والعمرانية على اوصاف الاتلنتيد كما ذكرها افلاطون . ويقول الاستاذ هرمان المذكور ان الاتلنتيد هى البلاد المعروفة الآن « بشط الجريد » وانها غارت فى الازمنة الخالية تحت سطح البحر ثم عادت فظهرت بدليل ان فى تربتها بقايا حيوانات بحرية كثيرة . وعند البدو الذين يقيمون هنالك اسطورة قديمة مؤداها ان تلك البلاد كانت فى الازمنة الخالية مقر حضارة عظيمة ، وان الواحات التى ما تزال آثارها باقية هنالك حتى الآن كانت فى الاصل مدناً زاهرة

هذه اهم الاكتشافات والنظريات الحديثة الخاصة باسطورة الاتلنتيد ذكرناها بكل ايجاز . ولو نشرنا كل ما كتبه العلماء بشأن هذه الاسطورة لضاقت بنا المجلدات . والامر المهم هو أن سواد العلماء يسلمون اليوم بحكاية الاتلنتيد بوجه الاجمال ، وان هم اختلفوا على التفاصيل ، ولا سيما ما يتعلق منها بموقع جزيرة (أو قارة) الاتلنتيد



المال في عنق الكريم امانة

قصيدة للاستاذ سليم عبد الاحد

(القاها في احتفال اليوبيل الفضي لجمية الاتحاد والاحسان في طنطا يوم ٢٤ ابريل ١٩٣٢)

دع ذكر ما فعلت بك الاشجان … وذر الانين فكلنا ولهان
وأطل حديث المحسنين فذكرهم … أبداً تود سماعه الآذان
هو مهرجان البر طاب أريجه … وشدا بعذب حديثه الكروان
عيد المروءة روجته عشيرة … للخير يفخر باسمها الانسان
وقفت على الاحسان خير جهودها … وبنت فقامت حولها الاعوان
افدى العشيرة هذه آثارها الـ … ـجلى وآثار الكرام حسان
تدعو الى الاحسان فى عصر يرى … فيه جحود الفضل والكفران
والناس بعضهم العدو لبعضهم … وقليلهم لقليلهم معوان
حسب الفقير من الحياة وبؤسها … ان الحياة مذلة وهوان
يمسى ويصبح لا الهموم منيحة … عنه ولا لصروفهن أمان
يزرى الزمان به وتخدعه المنى … ونصيبه من دهره الخذلان
ظمآن يخدعه السراب وكلما … بعد السراب تجلد الظمآن

☆ ☆ ☆

المال فى عنق الكريم أمانة … يعلى ويرفع شأنها الاحسان
والمال فى عنق الشحيح مهانة … ومزيده فى كفه نقصان
اتراه يقبض راحتيه لعلة … لا العقل يقبلها ولا الايمان
يطوى الحياة وليس من يدرى به … اتضمه الدنيا أم الاكفان
وتكاد تقرأ شحه فى وجهه … ان الكتاب دليله العنوان

☆ ☆ ☆

ومن الغيوم شحيحها وجهامها … ومن الغيوم رويها الهتان
ولربما جاد البخيل تساخيا … يعطى وجل مرامه الاعلان
يندى ويبسط راحتيه وانما … لا عطف يأخذه ولا تحنان

لا خير فى الاحسان ان يك مظهراً   فالبر افضله تقى وحنان
واذا صنعت البر فاكتم شأنه   ليزيد شأن صنيعك الكتمان

☆☆☆

ولقد رأيت الفضل يخصب نبته   ويزيده العرفان والشكران
والبر آفته الجحود وآفة الـ   معروف ان يودى به النسيان
وادى الكنانة لاعدمتك موئلا   للقاصدين سبيلك العرفان
كم من يد لك والضيوف اعزة   سلمت يداك وعزت الضيفان
ولكم عطفت وكم أسوت وطالما   نقل الاسى وتجلد الاسوان
وسعت ربوعك نازليك وضمتهم   ولقد تضيق بأهلها البلدان

☆☆☆

هذه ربوع الخيرين ودارهم   وطن الكرام ونعمت الاوطان
افدى الكنانة كلما ذكروا الحمى   هاجت لها الاشواق والاشجان
ما عن طيف خيالها لمحبها   الا عراه لذكرها الخفقان
من عهد يوسف يستجير بأهلها   فى المحنة الغرباء والجيران
النيل رمز الجود فى جنباتها   يجرى ويخصب ارضها الفيضان
يتسابق الاجواد فى ميدانها   نعم السباق وحبذا الميدان
البر رائدهم وفى الاحسان لا   شيع تفرقهم ولا اديان
يرثون للباكى الحزين وربما   هانت اذا آسيتها الاحزان

☆☆☆

الشرق مهد الاوفياء واهله   فى بؤسهم وهنائهم اخوان
ترثى الشآم لمصر فى اوجاعها   واذا بكت مصر بكى لبنان
يتآسيان على الهموم ومرها   ان الهموم دواؤها السلوان

☆☆☆

هذا مجال المحسنين وهذه   آثارهم تشدو بها الركبان
تخذوا سبيل البر واعتصموا به   لا زهو يأخذهم ولا سلطان
البر افضل ما يشاد وربما   ذهب البناة وخلد البنيان

التصوير الهزلي

تطوره منذ عهد المصريين الى الآن

قد أصبح التصوير الهزلي فنا قائماً بنفسه له قيمته وخطره. وللمصورين الهزليين الآن منزلة لا يدرك شأنها الا الذين يتذوقون الفن ويميزون بين غثه وسمينه وفي هذه المقالة بيان موجز لتطور التصوير الهزلي منذ اقدم الازمنة الى الآن

قد يخيل الى القارىء ان التصوير الهزلي (باسكان الزاى) فن حديث العهد لايزيد عمره على بضع مئات من السنين. الا أن المباحث التى قام بها العلماء تثبت أن هذا الفن كان معروفاً عند قدماء المصريين والاشوريين واليونان، وأن الانسان الذى بكى منذ أقدم الازمنة كان يهزل ايضاً ويضحك

التصوير الهزلي (Caricature) فن قديم يقصد به تمثيل الاشخاص أو الجماعات أو الحوادث على وجه يدعو الى الضحك. والغرض منه ايراد فكرة أو نكتة عن طريق رسم مضحك أو صورة ماجنة. وأقدم صورة هزلية حفظها التاريخ هي صورة وجدت فى قبر الملك رعمسيس الخامس، وترجع على الارجح الى عام ١١٠٠ قبل الميلاد أى الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة. وهى تمثل نفس انسان وقد دانه الاله أوسيروس وحكم عليه بالعودة الى الارض ممسوخاً بصورة خنزير ومعه قردان لكل منهما راس كلب. وقد تكون هذه الصورة رمزاً دينياً ولكنها من نوع الصورة الرومانية الشهيرة التى تمثل قصة صلب المسيح وترجع الى المائة الثالثة أو الرابعة بعد الميلاد. وفى هذه الصورة كثير من قلة الاحترام لعواطف المسيحيين مما ينبو عنه الذوق السليم، فانها تمثل المصلوب برأس حمار

وكان التصوير الهزلي شائعاً عند اليونان فى زمن ارسطو وارستوفانيس، وقد ذكر كلاهما أن مصوراً يونانياً يدعى «بوزون» كان يصور بعض المشهورين من أهل جيله على وجه يدعو الى الضحك وانه عوقب على ذلك مراراً فلم يرتدع. وذكر بلينوس المؤرخ أن بوبالوس وآتنيس وهما من أشهر صناع التماثيل اليونان صنعا مرة تمثالا للشاعر ايبوناكس وكان دميم الخلقة. وكان التمثال أشد دمامة حتى كان كل من ينظر اليه يضحك. فاغتاظ الشاعر منهما وهجاهما بقصيدة لاذعة لم يحتملاها فانتحرا.

وليس فى التاريخ مايدل على أن بوزون أو بوبالوس أو آتنيس اتخذ التصوير الهزلي حرفة يتعيش منها. ولذلك لم يترك لنا هؤلاء الثلاثة سوى أثر طفيف من اعمالهم

واشتهر بعض الرومان أيضاً بالتصوير الهزلي ومن أشهرهم «ليوناردو دى فنشى» (١٤٥٢ — ١٥١٩) وتيتيانوس (١٤٧٧ — ١٥٧٦) وغيرهما. واشتهر عن ليوناردو أنه كان يصور بعض رجال

عصره صوراً تدعو الى الضحك لما تبرزه ريشته من ملامح اولئك الرجال المضحكة . ويقول نقاد ليوناردو ان تلك الصور لم تكن هزلية بالمعنى الفني لانها كانت تمثل اصحابها فى بعض مواقفهم وهيآتهم الصحيحة . ومسخ تيتيانوس بعض الصور القديمة المشهورة بأن أعاد تصويرها بشكل يدعو الى الضحك ، من ذلك انه صور تمثال « اللاكؤون » (١) Le Laocoon المشهور على وجه يدعو الى الضحك إذ استبدل بأشخاص ذلك التمثال قردة

نشوء التصوير الهزلي

على أن التصوير الهزلي الصحيح لم ينشأ الا عند ختام القرن السادس عشر . ولعل أشهر مؤسسي هذا الفن هم الاخوة كاراتشي (Carracci) الذين نبغوا فى مدينة بولونيا و وضعوا اساس اسلوب من التصوير عرف باسمهم ونبغ فيه بعدهم طائفة كبيرة . وكثيراً ما كانوا يصورون اصدقاءهم وزائريهم صوراً تدعو الى الاغراق فى الضحك حتى كان عندهم من تلك التصاوير متحف جامع . ومع ذلك كانوا محبوبين من جميع أصدقائهم

وفى عام ١٧٤٣ نشر آرثر بوند الانجليزى مجموعة من التصاوير الهزلية من ريشة الاخوة كاراتشي وغيرهم من المصورين الهزليين . وكان جيزى (Ghezzi) أشهر المصورين فى عصره ليس فى ايطاليا فقط بل فى اوربا كلها

ولم يكن لهذا الفن أية صبغة سياسية عند أول النشوء . بل ليس لدينا مايثبت أن التصوير الهزلى السياسى كان معروفاً قبل اواسط القرن الثامن عشر . ويظهر أن أول من صور صورة هزلية سياسية بالمعنى الصحيح هو جورج تونزند الانجليزى . قيل انه لم يسلم من ريشته كبير ولا حقير ، وانه كان سريعاً لاينفق اكثر من بضع دقائق فى ابراز صورة أى امرىء على وجه يدعو الى الضحك . وكان التصوير الهزلي قبل ذلك يقوم على رموز واشارات لا على اشخاص . مثال ذلك ان بعض الشيع الدينية كان يرمز اليها بصورة تنين . وكانت بعض الجمعيات او «الاشخاص المعنوية » يشار اليها برموز مضحكة . فلما جاء تونزند عكف على تصوير الاشخاص البارزين فى ميادين السياسة . ومع أن الاخوة كاراتشي وغيره كانوا يصورون الاشخاص صوراً هزلية قبل زمن تونزند الا انهم كانوا يتحاشون تصوير رجال السياسة خوف اغضابهم . وشاع التصوير الهزلي السياسى بعد ذلك ولا سيما بين الهولنديين ، ولعل أول ملك كان هدفاً لهم هو لويس الرابع عشر ملك فرنسا . نعم ان ملوكا كثيرين قبله — حتى فى عهد المصريين القدماء — رمز اليهم بصورة أسد أو ما أشبه . ولكن تصويراً كذلك لايعتبر من النوع الهزلي

(١) اللاكؤون تمثال مشهور محفوظ فى متحف الفاتيكان يمثل مشهداً من مشاهد اسطورة طروادة

ولنلق الآن نظرة اجمالية على التصوير الهزلي — ولاسيما السياسي منه — في اهم البلاد التي وصل فيها الى مستوى عال

في انجلترا

في المتحف البريطاني بلندن فهرست (كتالوج) للصور الهزلية جمعه رجل يدعى ستيفنس وذكر فيه جميع الصور الهزلية التي كانت معروفة حتى يومه (عام ١٧٧٠) والفهرست مبوب تبويباً حسناً ويحتوي على ملاحظات وبيانات وتواريخ دقيقة جداً . ويؤخذ من هذه البيانات ان الاسرة المالكة في انجلترا ظلت بمنجاة من ريشة المصورين الهزليين الى ان جاءت اسرة هانوفر وإذ ذاك بدىء بمهاجمتها . وفي مقدمة الذين هوجموا جورج الاول مؤسس الاسرة فكان الهزليون يصورونه صوراً هي غاية في الهزؤ والسخرية . وفعلوا اكثر من ذلك بخلفه جورج الثاني . وكان هوجارت (Hogarth) المصور الهزلي الانجليزي معاصراً لكلا جورج الاول وجورج الثاني . وله فيهما صور هزلية كثيرة ، وقد سماه شانفلوري النقاد الفرنسي المشهور « ملك المصورين الهزليين » . على ان هوجارت قلما كان يصور اشخاصاً بعينهم وانما كان يصور اشخاصاً خياليين ليرمز بهم الى مايريده ، وكان يقول أن تصوير مناحي الحياة وحوادث الاجتماع وتطوراته اوقع في النفس من تصوير الاشخاص . ولذلك كانت تصاويره من النوع الخالد الذي يصلح لكل زمان ومكان . وفي الواقع ان جميع تصاويره هي عبر ودروس في السياسة والاجتماع

ولما ارتقى جورج الثالث العرش كان التصوير الهزلي قد أصبح فناً معترفاً به . ونبغ يومئذ مصور ماهر سبقت الاشارة اليه وهو جورج تونزند الذي نحا منحى جديداً وهو التصوير على البطاقات (الكارتات) وورق اللعب . وقد وصفه ستيفنس صاحب الفهرست الذي سبقت الاشارة اليه بانه مبتكر فن « الرسم » الهزلي الحديث . ولعل في هذا الوصف شيئاً من المبالغة فان فضل تونزند ينحصر في اتقانه الفن والعمل على ترقيته ، والفضل في بعض التصاوير التي اشتهرت بها ريشته يرجع الى حماسته السياسية وعقائده

وفي العقد السابع من القرن الثامن عشر بدأت الصحف الانجليزية تنشر الصور والرسوم الهزلية في موضوعات سياسية واجتماعية . وكانت تلك الصور تتناول اشخاصاً معروفين (من ملوك وساسة) أو اشخاصاً خياليين . وفي الواقع ان الصحف لم تنشر صوراً هزلية قبل عام ١٧٦١ . واشتهرت يومئذ طائفة من الصحف الانجليزية بهذا المنحى الجديد ، واشتدت الخصومات السياسية على اثر انتشارها . وتمادت واحدة منها في تصوير كبار الرجال تصويراً يحقرهم في عيون قومهم وتتعدى آراءهم السياسية الى امورهم الشخصية ومعيشتهم البيتية مما أثار سخط الكثيرين . وفي الواقع ان أساليب الجدل السياسي التي انتشرت في انجلترا يومئذ لم تكن لتتفق وما هو معروف عن الانجليز من الرزانة

والاخلاق العالية . على انه كان فى وسط تلك الفوضى شعاع عزاء ضئيل وهو ان أولئك المصورين كانوا ينتقدون العيوب الاجتماعية ويحاولون اصلاحها

وصار نطاق هذا الفن يتسع ويتشعب ، وزاد الاقبال على الصور الهزلية ولاسيما بعد تأسيس الاكاديمية الملكية . وبلغ من شيوع تلك الصور ان احدهم انشأ لها مستودعاً وكان يكريها للناس باجرة قليلة للاطلاع عليها فى منازلهم . وكثيرا ما كانت السهرات تقضى بالاطلاع على تلك الصور للتسلية والتفكهة

في فرنسا

اما فى فرنسا فان المصورين الهزليين لم يكن لهم فى أول الامر ما كان لاضرابهم من الحرية فى انجلترا . وكان القانون شديد الوطأة على الذين يصورون الاشخاص تصويراً يجعلهم هزؤا وسخرية ولذلك قلما تجد فى فرنسا اثراً للصور الهزلية فى اوائل القرن الثامن عشر الا ما كان منها سياسياً يتناول اشخاصاً خياليين

على أن هذا التشديد لم يحل دون نبوغ طائفة كبيرة من المصورين الذين كثرت تصاويرهم الهزلية السياسية ولاسيما فى اثناء الثورة الفرنسية وحروب نبوليون . وكانت الحكومة الفرنسية تشجعهم على تصوير اعدائها تصويراً يدعو الى تحقيرهم والحط من شأنهم

ويقول شانفلورى فى كتابه « تاريخ التصوير الهزلي الحديث » ان هذا الفن اتخذ فى فرنسا — على اثر حروب الثورة — شكلا اكثر انطباقاً على آداب السياسة والاجتماع من الشكل الذى كان عليه ابان تلك الثورة وحروبها ، وكف المصورون بوجه الاجمال عن تحقير الاشخاص وتشويههم ، الا فى حالات نادرة ، وصاروا يعمدون الى التصوير الرمزى للاعراب عن الافكار التى كانوا يريدونها . ومع ذلك كان التصوير الرمزى لاذعاً جداً وعظيم القيمة من الوجه الفنى . وكان دوميه (Doumier) فى مقدمة مصورى هذا العهد وقد بلغ بالفن أرقى مستواه . ولم يسلم الملك من ريشته فقد كان يرمز اليه بصورة كمثراة لايراها الناظر الا ويدرك انها راس الملك . وعقبه شارل فيليبون وكان من رجال الصحافة ومن أعظم المصورين الهزليين فى عصره ويفضله الكثيرون من النقاد على دوميه . وانشأ صحيفة سماها « لا كاريكاتور » لم يسلم احد من عظماء ذلك العصر من سهامها اللاذعة وكانت سبب اقامة مئات من الدعاوى عليه ، واخيراً صدر الحكم بتعطيلها فانتهت بذلك حياتها بعد ان عاشت خمس سنوات ويظهر ان « فيليبون » شعر قبل تعطيلها بان القضاء سيحكم « باعدامها » . فاسرع واصدر صحفاً اخرى يومية لتحل محلها . ولاشك ان مجموعة الصور الهزلية التى نشرتها هذه الصحف هى من اثمن ما كان من نوعها من الوجه الفنى . وقد صار اسلوب فيليبون مثالا يحتذى مدة طويلة . وعاش دوميه الى عام ١٨٧٩ . وجاء بعد هؤلاء مصورون هزليون ما تزال اسماؤهم خالدة فى تاريخ الفن

في انحاء العالم الاخرى

تكلمنا على فن التصوير الهزلي فى انجلترا وفرنسا بشيء من الاسهاب لان هذا الفن بلغ فيهما ارق مستواه . على أنه بلغ مستوى رفيعاً أيضاً فى المانيا والنمسا واسبانيا وسويسرا وهولندا والبلجيك. ونبغ فى كل من البلاد المذكورة طائفة من المصورين الهزليين الذين ذاعت شهرتهم فى جميع انحاء العالم . اما الولايات المتحدة فان واضع اساس هذا الفن فيها هو رجل اسكتلندى يدعى وليم تشارلس ارغم على مغادرة وطنه والنزوح الى اميركا فى اوائل القرن التاسع عشر . وكانت أكثر تصاويره طعناً فى بريطانيا العظمى وتشهيراً بجون بول . وفى عصر الرئيس جاكسون نبغت طائفة من المصورين الهزليين جرت على اسلوب جديد وهو وضع الكلام المراد النطق به ضمن دائرة بشكل عقدة الانشوطة أو بشكل آخر ، متصلة بفم الشخص المصور . وما يزال الاميركيون ـ وغير الاميركيين ايضاً ـ يجرون على هذا الاسلوب الى هذا اليوم . ولعل اعظم المصورين الهزليين الذين انجبتهم اميركا هو توماس ناست الذى ولد عام ١٨٤٠ وتوفى منذ ثلاثين سنة . وكان الرئيس لنكن يعتبر تصاويره من اعظم عوامل الدعوة (البروباجندا) فى الحرب الاميركية الاهلية وهو أول من جعل صورة الحمار رمزاً الى الحزب الديمقراطى وابتكر رسوماً اخرى جعلها رموزاً الى الاحزاب السياسية المختلفة

وقد بلغ فن التصوير الهزلى فى اميركا فى الوقت الحاضر شاواً عظيما من الاتقان.وكثر المصورون الهزليون هنالك كثرة عظيمة . وهنالك جائزة سنوية تعرف بجائزة بوليزر (Pulizer Prize) تمنح كل سنة لمن يصور أحسن صورة كاريكاتورية . وقد نالها الكثيرون ممن لا يزالون على قيد الحياة . وفى الواقع ان المصورين الهزليين يربحون فى الولايات المتحدة ما لا يحلم بربحه المصورون فى البلاد الاخرى

ولقد كان للحرب العظمى الماضية فضل عظيم على فن التصوير الهزلى ، كما ان هذا الفن كان عاملا قوياً من عوامل نشر الدعوة (البروباجندا) وما يزال لدى كاتب هذه السطور مجموعة من تصاوير لويس ريميكر الهولندى ، وكانت مجلة «الجيش والاسطول» الانجليزية قد اتفقت معه فى زمن الحرب على نشر تصاويره التى كان لها وقع عظيم ، ومن جملتها صورة قرية قد هدمت المدافع كل بيت فيها وتكدست اشلاء قتلاها ، وقد كتب تحت الصورة العبارة الآتية : «بلاغ رسمى : لم يحدث فى الميدان الغربي حادث يستحق الذكر !» وصورة اخرى «لقصر السلام» بمدينة الهاى وقد كتب تحته «للايجار !» الى غير ذلك من التصاوير البليغة

وقد تنبهت مصر الى فن التصوير الهزلى منذ وضعت الحرب العظمى اوزارها ، وظهر بيننا بضعة مصورين زاولوا هذا الفن وبلغوا فيه شأواً بعيداً . ولكن لم يمر حتى الآن وقت يكفى لاصدار حكم منزه عليهم من الوجه الفنى . ولا نبالغ اذا قلنا ان التصوير الهزلى عندنا هو من النوع السياسى البحت تخالطه القليل من النوع الاجتماعى

سمعة الولايات المتحدة
وماذا طرأ عليها بعد الحرب

كانت سمعة أميركا قبل الحرب الماضية تملأ جميع بلدان العالم . وكانت أوربا تنظر الى كل ما هو اميركي بعين الدهشة والاحترام . أما اليوم ، بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على الحرب الماضية ، فقد أخذ نجم تلك السمعة يأفل ، وصارت اوربا تنظر الى اميركا بغير العين التي كانت تنظر بها اليها قبل الحرب

وقد نشرت مجلة « ناشنال ريفو » الانجليزية مقالة بهذا الشأن للكاتب وليم زكرمان جاء فيها ما خلاصته :

بدأت أسطورة سمعة أميركا تزول شيئاً فشيئاً وقد كانت تملأ سهول أوربا وبطاحها نحو عشر سنوات . وبلغت ذروتها يوم دخل الرئيس ويلسون أوربا دخول الظافر المنتصر . وكان الاوربي بعد الحرب ينظر الى اميركا نظرة الدهشة والاحترام ويرى فيها عالماً يختلف عن عالمه من كل وجه ، ممتازاً بجميع مظاهر السعادة والرخاء . فنظام المعيشة الاميركية والثياب الاميركية والاحذية الاميركية وصور السينما الاميركية والملاهي الأميركية — جميع هذه كانت في نظر الاوربي حتى عهد قريب مكللة بهالة مجيدة أشبه بالهالات التي يبتكرها الاطفال ويزينون بها الابطال الذين يمثلون أمام مخيلاتهم

كانت أوربا في زمن الحرب رازحة تحت أثقال المصائب وقواها منهوكة حربياً واجتماعياً واقتصادياً ، وكان كل أوربي يرى أن حضارته هي التي قد جرت عليه الخراب والدمار ، وان نظامه الاجتماعي يجب هدمه من الاساس واعادة بنائه من جديد . وكان الاوربي قبل ذلك يحج الى أميركا كما يحج المرء الى كعبة مقدسة ، ويرى في العالم الجديد كل ما يبهره ويملك عليه مشاعره من عمارات شاهقة وناطحات سحاب ومعامل وأندية وجمعيات وما الى ذلك مما هو فتنة الناظرين . أضف الى ذلك ان النظم والاساليب الاميركية كانت مطمح أنظار كل اوربي . فلم يكن كتاب يظهر في أوربا الا وبطله أو بطلته من الاميركيين وحوادثه في اميركا ومظاهره تتناول الاساليب الاميركية . وكان الاعجاب شديداً بنظام العمل في العالم الجديد وبشدة تهافت الاميركيين على الاعمال واقبالهم على المشروعات ، وكلما اشتدت الفاقة باوربا عظمت صورة اميركا وبلغت درجة أعلى من السمو

وكان هذا الاعجاب يعظم ويشتد في أوربا كلما اتجهت شرقاً حتى اذا وصلت الى روسيا

السوفياتية بلغ أشده لأن البلاشفة يؤلهون النظم الميكانيكية ويسعون لايجاد نظام عمراني جديد يقوم على أسس ميكانيكية . وفي الواقع ان الروس حتى عهد قريب ما كانوا يطربون لحديث قدر طربهم لحديث الأساليب الأميركية ولذلك جعلوها أساساً لبرنامجهم الشهير المعروف ببرنامج السنوات الخمس

أما اليوم فقد تغيرت الحال وصرنا نرى أن الاحترام الذي كانت أوربا تشعر به من نحو أميركا قد زال أو كاد . فندل الفنادق لاينظرون الى السائح الاميركي والى حقائبه بعين الاحترام التي كانوا ينظرون بها اليه من قبل . والتجار لا يتسابقون الى الاتصال بالاميركيين كما كان يحصل سابقاً . والأميركي الذي كان يسير في شوارع باريس ويجتذب احترام الناظرين يسير الآن في تلك الشوارع والناس تكاد ترمقه بعين الاحتقار . والسلع الاميركية والحلويات الأميركية والمثلوجات الاميركية والمشروبات الأميركية التي كانت قد احتلت أسواق أوربا لا تجد اليوم من الرواج ما كانت تجده من قبل

والقطرات التي لم تكن تسمع فيها الا أصوات السياح الاميركيين يصرخون ويصخبون لا تكاد تسمع فيها اليوم صوتاً واحداً منهم . والاحترام الذي كان موظفو القطرات والمحطات وإدارات الجمارك يشعرون به حالما يرون جواز سفر أميركي أصبح لا أثر له الآن . والامتياز الذي كان كل سائح أميركي يتمتع به في جميع أنحاء أوربا قد أصبح أثراً بعد عين

وأبلغ من ذلك كله موقف الصحافة الاوربية بازاء اميركا وكل ما هو اميركي . فهذه الصحف تقف اليوم معظم أعمدتها على أخبار انتشار البطالة والجرائم في الولايات المتحدة . وهي تروي تلك الاخبار وكأنها تشعر بغبطة داخلية مصدرها الشماتة بأميركا . ويخيل الى من يقرأها ان اميركا قد أصبحت بلاد العصابات والمجرمين . ولما وصل « جاك ديامند » من كبار رجال العصابات الى مدينة أنفرس كان وصوله من أعظم الحوادث التي لهجت بها الصحف الأوربية . ولا تكاد تتصفح اليوم جريدة في أوربا إلا وتجدها ملأى بأخبار ما يقع في اميركا من جرائم القتل والسرقات وتهريب الخمور والسطو على البنوك ونسف القطرات وخطف الاطفال ورشوة رجال الامن والقضاء وافساد الذمم ، وتدهور الاخلاق ، وما الى ذلك من أعراض ضعف النظام العمراني

ولا تقتصر هذه الشماتة على رجال الصحف فقط بل تعداهم الى الكتاب العقلاء ايضاً . فالاعجاب الذي أظهره اميل لدفيج وأندريه موروا وفيليب كر بالشعب الاميركي قد زال الآن وحل محله الانتقاد الجارح الذي يوجهه سيجفريد وموران وكيش ودوهاميل وأمثالهم الى الشعب الاميركي والى الاساليب الاميركية . وهم يصفون هذه الأساليب بأنها ميكانيكية صناعية

مجردة من كل شعور وعاطفة ومن كل ما يشف عن الجمال . وما المدنية الاميركية فى نظر القوم سوى مدنية مجردة من الروح المعنوية

ولا حاجة الى القول ان هذا التغيير الذى قد طرأ على أوربا فى موقفها بازاء العالم الجديد ناشىء عن عدة عوامل (أولها) غطرسة اميركا ومحاولتها الوقوف بمعزل عن العالم واعتقادها ان فى وسعها الاستغناء عن أوربا وان الاساليب الاميركية أفضل من غيرها (وثانيها) اصرار الولايات المتحدة على مطالبة أوربا بديونها ورفضها النزول عن شىء من تلك الديون (وثالثها) اعتقاد أوربا ان اميركا تسعى لخنقها وعصرها واستنزاف اموالها (ورابعها) نهضة اميركا الحديثة فى العلم والصناعة والالعاب الرياضية ونبوغ أفرادها فى جميع تلك المناحى

فهذه العوامل وعوامل أخرى كثيرة شبيهة بها قد أثارت ما فى نفس أوربا بازاء العالم الجديد فصارت تنظر اليه نظرة الشماتة وتسخر من أساليبه ونظمه . ولعله ليس من شئون أميركا ما يستفز شماتة أوربا كعامل الأزمة الاقتصاديه المنتشرة فى اميركا انتشاراً مروعاً

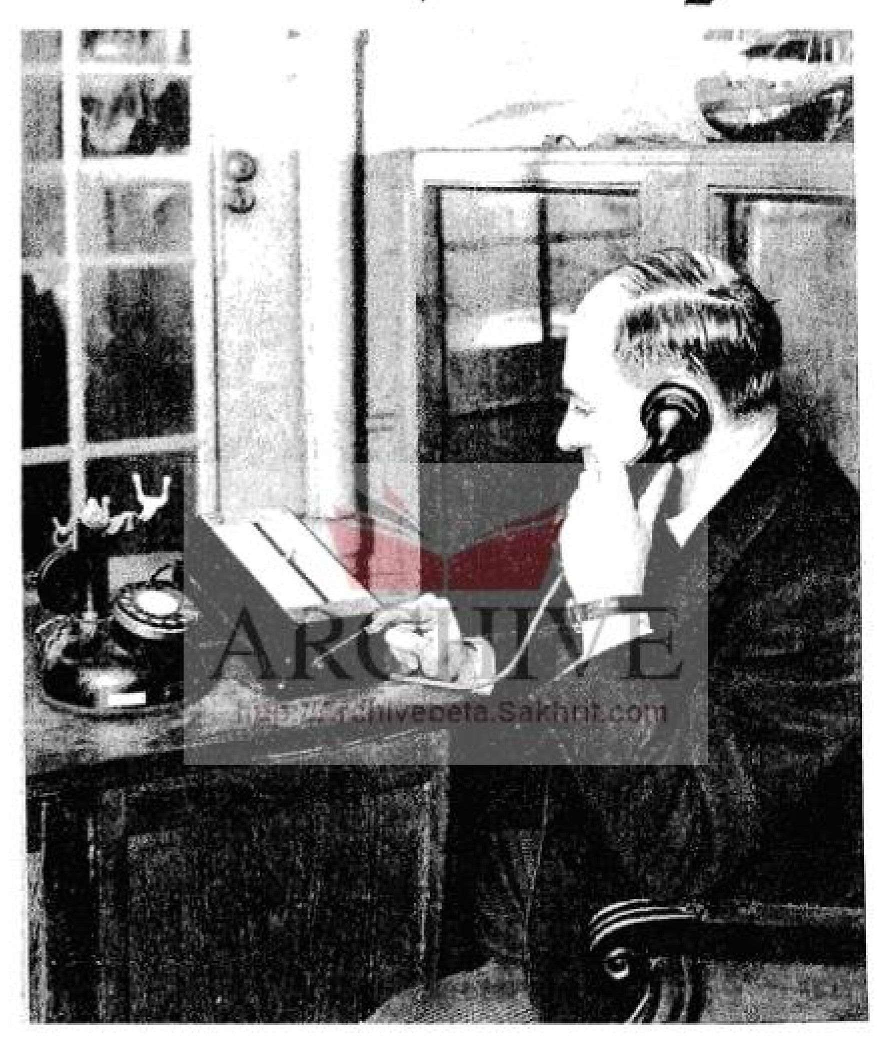
وفى الواقع ان البطالة فى اميركا هى حديث جميع الصحف والمجتمعات فى أوربا فى الوقت الحاضر . وجميع الأنباء المتعلقة بتلك الأزمة تجد على صفحات الجرائد الأوربية المكان الأرحب . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان الصحف الأوربية تنشر من أخبار الأزمة والبطالة فى أميركا أضعاف ما تنشره الصحف الاميركية نفسها . واذا أضفت الى ذلك ما تصر الصحف الأوربية على نشره من اخبار الجرائم فى اميركا والأنباء المشوهة لجمال النظم والاساليب الاميركية لم يسعك الا أن تسلم بأن تلك الصحف تشعر، وهى تنشر تلك الأخبار، بلذة لا يشعر بها الا الشامت

وتوجه الصحف الأوربية أشد انتقاداتها الى الطرق التى بها تحاول الحكومة الاميركية والأمة الاميركية حل مشكلة الأزمة والبطالة . وهى تنشر صور الجماعات الكثيرة من العمال العاطلين وغيرهم ممن يقفون على أبواب المطاعم والملاجىء الخيرية صفوفاً طويلة طلباً للخبز . وفى الواقع ان تلك الصور لما يثير الاشجان ، ولا يدل نشرها ونشر المقالات التابعة لها على شىء قدر دلالته على ذهاب السمعة الاميركية الطيبة وزوال الاحترام الذى كانت أوربا تكنه للعالم الجديد

والرأى العام السائد اليوم فى الولايات المتحدة هو ان موقف أوربا الشاذ انما هو نتيجة الحسد ، وان هذا الحسد كان موجوداً من قبل وانما كانت أوربا تستره بجميع الوسائل وتتملق الشعب الاميركى لما ترجوه من خير ومنافع

على ان فريقاً من العقلاء فى أوربا يعطف اليوم على اميركا فى محنتها الاقتصادية ويتمنى لو انها تعود فتستعيد سمعتها الماضية . وهؤلاء العقلاء يذكرون فضل اميركا ومآثرها على أوربا فى زمن الحرب الماضيـة ، ويعلمون ان شعوب الارض كلها أعضاء فى جسم واحد ، فاذا أصيب عضو واحد بعطب تألمت سائر الاعضاء

سير العلوم والفنون



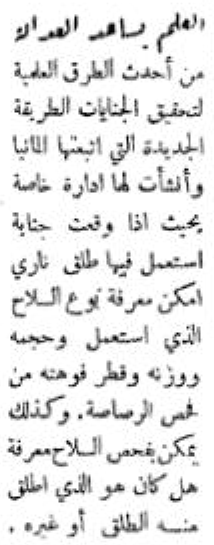
سرعة تليفونية

اخترع المسيو بوايي الفرنسي جهازاً يسهل المخابرة التلفونية فتجد عليه خمسين « نمرة تلفونية » ويكفي أن يضع الانسان مؤشراً متحركا على النمرة التي يريدها فتتم المواصلة في الحال . وبذلك يستطيع كل انسان أن يقيد على ذلك الجهاز الخمسين النمرة التي يستعملها اكثر من سواها . وفي أعلى صورة المخترع أمام جهازه



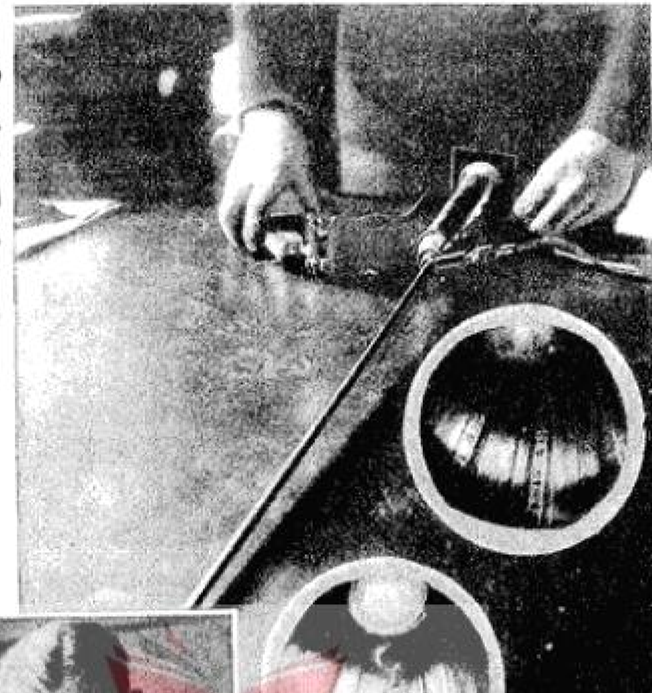
تصوير اختلاج العين

لدى جامعة شيكاغو آلة لتصوير حركات العينين واختلاجهما في أثناء القراءة ، يقدر ثمنها بمبلغ ٦٠٠٠٠٠ ريال امريكي . وهذه الآلة تسجل هذه الصور على شريط سينمائي يبين حركة العين في كل جزء من ٢٥ جزءاً من الثانية . وترى في الصورة أحد رجال الجامعة يقوم بتجربة هذه الآلة

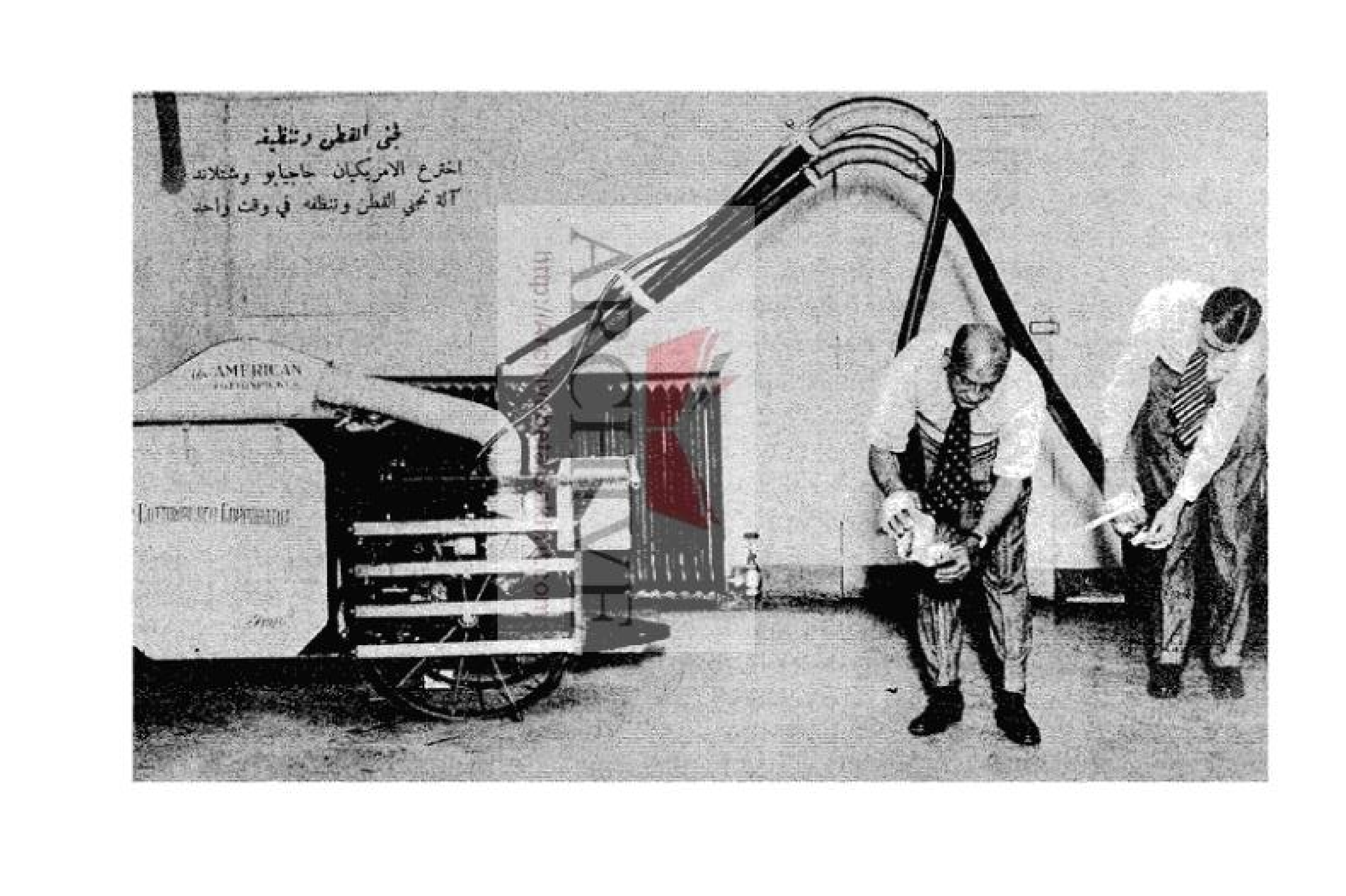


العلم يساعد العدالة

من أحدث الطرق العلمية لتحقيق الجنايات الطريقة الجديدة التي اتبعتها ألمانيا وأنشأت لها ادارة خاصة بحيث اذا وقعت جناية استعمل فيها طلق ناري امكن معرفة نوع السلاح الذي استعمل وحجمه ووزنه وقطر فوهته من فحص الرصاصة. وكذلك يمكن بفحص السلاح معرفة هل كان هو الذي اطلق منه الطلق أو غيره.



وترى في الصورة العليا أحد جهازات هذه العملية وهو أنبوبة رفيعة طويلة تولج في فوهة المسدس وفي طرفها مصباح دقيق يضيء ماسورة المسدس من الداخل لتصويرها بجهاز خاص. وترى في الدائرتين الصغيرتين صورتين صورتا بواسطة هذا الجهاز. أما الصورة التي الى اليسار فهي تمثل أحد الخبراء يفحص مسدساً بالجهاز نفسه ليتبين هل كان هذا المسدس هو الذي اطلقت منه الرصاصة أم لا



لجني القطن وتنظيفه

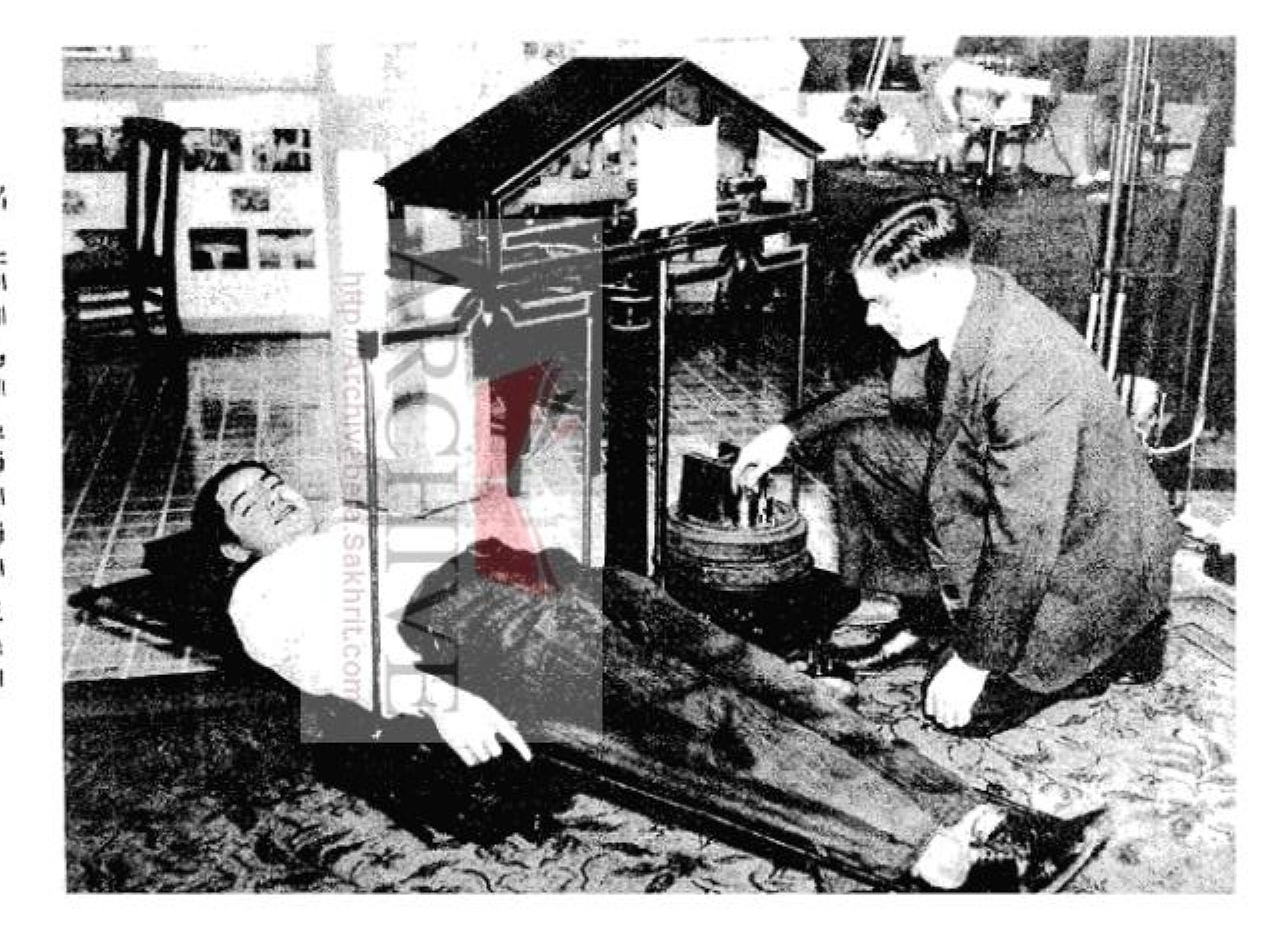
اخترع الامريكيان جاجابو وشتلاند

آلة تجني القطن وتنظفه في وقت واحد



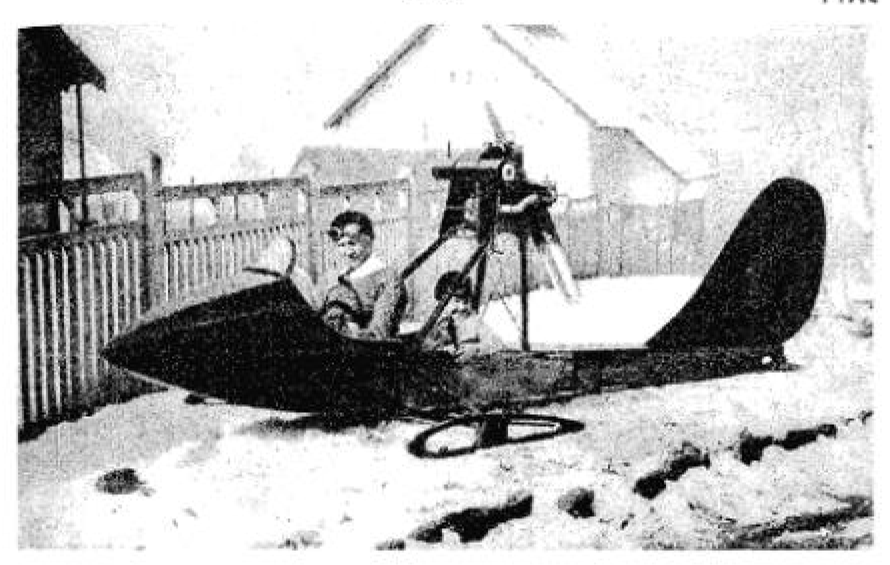
طبع اليانصيب

توصل فرانز فيدلر أحد أصحاب المطابع في برلين الى اختراع آلة لطبع أوراق اليانصيب ووضع النمر عليها وبفضلها يمتنع كل غش في هذه الاوراق . وترى المخترع في الصورة أمام هذه الآلة الجديدة



أثر الحر في الجسم

يهتم مهندسو احدى الجمعيات الامريكية التي تبحث في أثر الحر والتهوية على جسم الانسان بمعرفة ما يفقده الجسم البشري في أثناء الحر ومن افرازه للعرق. وترى في الصورة أحد الاشخاص يوزن بميزان خاص بذلك يسجل اختلاف الوزن لدرجة عشر الجرام



زحافة طيارة

اخترع المسيو جاكوب الفرنسي زحافة للانزلاق على الجليد لها دفة وفيها محرك قوته ١٠ أحصنة وله مروحة مثل مروحة الطيارات وهي تنزلق بسرعة ١٨٠ كيلو متراً في الساعة على الثلج أو الجليد . وترى المخترع في زحافته الطيارة قبيل تجربتها



آلة كتابة كهربائية

اخترع المسيو بلانون السويسري آلة كتابة كهربائية لا تحتوي إلا على عشرين قطعة بينما آلة الكتابة العادية تحتوي على ما يقرب من ٢٥٠٠ قطعة ، ولا يبلغ ثمنها سوى خمس ثمن الآلة العادية

قطن لا يحترق

تمكن أحد علماء الكيمياء الاميركيين من معالجة القطن « السيكارتو » (الرتب الواطئة) ببعض المواد الكيمياوية بحيث يصبح غير قابل للاحتراق ولا للبلل ويمكن صنع علب أو أكياس من هذا القطن توضع فيها الاشياء التي يخشى عليها من التلف بالماء أو النار

الاشعة وخيل السباق

يؤخذ من بعض التجارب التي قام بها بعض مروضي جياد السباق ان تعريض تلك الجياد لسيل متواصل من الاشعة التي فوق البنفسجية يزيد في سرعتها ومقدرتها على الجرى ولا سيما في فصل الشتاء

الراديو والغواصات

اخترع مهندسان فرنسيان جهازاً لاسلكياً يمكن بواسطته مخاطبة الغواصات في اعماق البحر . وقد جربا هذا الاختراع تجربة وافية اسفرت عن النجاح التام . وبناء عليه قد أصبح الاتصال ممكناً بين الغواصات الغائصة في البحر وسائر السفن التي فوق سطح البحر

فيتامين صناعي

لايخفى أن الفيتامين الثالث المعبر عنه بالحرف «C» هو المادة التي تمنع داء الاسكربوط . وهذا الفيتامين يوجد في بعض الفواكه ولاسيما الموالح كالبرتقال واليوسف افندى . وقد جاءت الانباء الآن بأن أحد أساتذة جامعة « ابلند » الاسوجية وجد ان في البرتقال والليمون غير الناضجين مادة تشبه الناركوتين التي هي المادة العاملة في الافيون وان هذه المادة تتحول عند نضوج البرتقال والليمون الى الفيتامين «C» بتأثير أشعة الشمس . وبعد تجارب علمية قام بها الاستاذ المذكور وجد أن في الامكان تحويل مادة الناركوتين المذكورة الى الفيتامين «C» بتسليط الاشعة عليها . وبعبارة أخرى إنه قد أصبح في الامكان الحصول على ذلك الفيتامين في كل مكان وزمان بطريقة صناعية

للانذار بالزلازل

لايخفى أن الآلة المعروفة بالسيسموجراف تسجل الزلازل حالما تشتد اشتداداً نسبياً . وتقول الآن احدى المجلات العلمية الاميركية إن أحد العلماء تمكن من اختراع خلية فوتوغرافية دقيقة جداً اذا وصلت بآلة السيسموجراف أمكنها أن تشعر بالزلزلة حالما تبدأ وليس بعد اشتدادها . وهذه الخلية ترسل في الحال انذاراً بحدوث الزلزلة وبقرب اشتدادها بحيث يمكن اتخاذ الاحتياطات اللازمة لاتقائها

مكنسة ميكانيكية

يجربون اليوم في شوارع باريس مكنسة ميكانيكية جديدة تشبه عربة اليد أو مركبة الاطفال التي تساق باليد . وفي هذه المكنسة « فرشاة » اسطوانية تدور بقوة الدفع من تلقاء نفسها وتنظف الشوارع تنظيفاً تاماً

النوترون

لايخفى أن أصغر دقائق المادة هي الايلكترونات والبروتونات وهي ومضات

كهربائية يتألف منها الجوهر الفرد. وتختلف جواهر المادة بعضها عن بعض باختلاف عدد هذه الومضات الكهربائية. فجوهر الايدروجين مثلا يتألف من ايلكترون واحد يدور حول البروتون أو النواة. وجوهر الهيليوم يتألف من ايلكترونين يدوران حول البروتون أو النواة، وجوهر الكربون يتألف من ستة ايلكترونات تدور حول البروتون، وهلم جرا. وفى الانباء العلمية الاخيرة أن أحد العلماء الانجليز قد اكتشف الصلة بين المادة والكهربائية المطلقة وسماها «نوترون». أى ان النوترون هو ومضة كهربائية فى حالة تطورها وصيرورتها مادة. والنوترون ـ كجوهر الايدروجين ـ يتألف من ايلكترون واحد وبروتون. ولكنه يختلف عن جوهر الايدروجين بكون كهربائية الايلكترون والبروتون متعادلتين بحيث لاتستطيع احداهما التغلب على الاخرى. ومع ذلك فان للنوترونات قوة اختراق هائلة لايستطيع العقل أن يتصورها. ولو أمكن صنع قنبلة صغيرة منها لايزيد وزنها على عشرين رطلا لامكنها ان تخترق ما تخانته خمسة وسبعون الف ميل من الحديد الصلب. فتأمل!

كسوف الشمس

ستكسف الشمس كسوفاً كلياً فى ٣١ أغسطس القادم وتمكن رؤية هذا الكسوف الكلى من بعض انحاء كندا والولايات المتحدة. وستذهب بعثات علمية كثيرة الى تلك الانحاء لرصد الكسوف ولتصوير هالة الشمس اذا لم تغطها الغيوم. ولا يخفى أن هذه الهالة لاترى عادة بالعين المجردة لشدة وهج نور الشمس ولكن العلماء سيحاولون هذه المرة تصويرها بالآلات الفوتوغرافية القوية

لقتل الصوت

الصوت من أقوى العوامل المزعجة فى مدنيتنا الحاضرة. ويعتقد الكثيرون من العلماء أنه سبب من أسباب قصر العمر. ومن أشد الاصوات المزعجة مايسمعه المرء فى السراديب التى تسير فيها القطارات فى لندن وغيرها من عواصم العالم الكبرى. وفى بعض الانباء العلمية الاخيرة أن مدينة لندن قد وفقت أخيراً الى التخلص من ذلك الصوت المزعج، بتبطين السراديب التى تسير فيها القطارات بغشاء من مادة الاسبستوس غير القابلة للاشتعال فقد ثبت بالاختبار أن هذه المادة تمتص الصوت

الكهربائية والكساح

الكساح داء يصيب الانسان والحيوان والطير على حد سواء. وسببه نقص فى أحد أنواع الفيتامينات يسبب ضعفاً فى العظام. وهذا الداء يعالج اليوم بالاشعة التى فوق البنفسجية وبعض المواد الدهنية كزيت السمك.

وقد قام بعض العلماء بتجارب علمية فعرضوا بعض الحيوانات المصابة بالكساح لنور مصباح كهربائى جديد تخترق اشعته التى فوق البنفسجية زجاج جدرانه (بخلاف الزجاج الاعتيادى فان تلك الاشعة لاتخترقه) فاسفرت التجربة عن نجاح عظيم. وعرضوا أيضا بعض دجاجات

مصابات بالكساح لنور ذلك المصباح فلم تنل الشفاء فقط بل زاد حجمها وكثر بيضها وكبر حجمه وزادت مادة الفيتامين فيه

وقد بدىء ببيع المصباح الكهربائي المذكور في الاسواق الاميركية

لقياس نبضات القلب

أعلنت شركات الكهرباء العمومية الاميركية انها قد توصلت الى ابتكار جهاز كهربائي دقيق جداً لقياس خفقان القلب . وفي امكان هذا الجهاز تسجيل القوة التي لا تزيد على جزء واحد من عشرة ملايين جزء من « الفولت » . وعليه فهذا الجهاز يستطيع قياس خفقان القلب مهما كان ضعيفا اذ قد ثبت ان تقلص عضلات القلب تسبقه ظاهرة كهربائية

مزيج معدني جديد

اكتشف أحد علماء الكيمياء مزيجاً جديداً من الصلب الذي لا يقبل الصدأ والنحاس بنسبة مائة الى واحد . وهذا المزيج لا يقبل الصدأ ويقبل الصقل حتى يصبح كالمرآة ويمكن جعله لينا باحمائه الى درجة خفيفة من الحرارة ولكنه اذا كان بارداً كان صلبا جداً

لقتل الجراثيم

كان معروفاً ان الماء اذا وضع في وعاء فضي أو نحاسي اكتسب بعض الخواص ومنها قتل بعض الجراثيم . وقد اكتشف الآن أحد علماء باريس انه اذا صنعت آنية من مادة كلورود الفضة ممزوجة بالفخار الاعتيادي وخبزت في درجة عالية من الحرارة ورشح الماء بتلك الآنية فانه يقتل ميكروبات حمى التيفوئيد وغيرها من دون ان يمتزج بالفضة

مغناطيس جديد

اخترع أحد المهندسين الكهربائيين نوعاً من المغناطيس الكهربائي في وسعه اجتذاب المواد المعدنية غير «الممغنطة» . وهذا المغناطيس يفيد في فصل بعض المواد المعدنية من التراب وربما استطاع المخترع تحسين اختراعه لاستعماله في مناجم الذهب لالتقاط التبر من التراب

قوة الصوت

يقول أحد العلماء الالمان إن القوة التي تتولد من الصوت ضعيفة جداً لا تستحق الالتفات ، وانا اذا جمعنا سكان العالم كلهم في مكان واحد (وعددهم نحو ١٦٠٠ مليون نفس) وجعلناهم يصرخون معاً مازادت القوة المتولدة عن صراخهم (اذا حولناها الى حرارة) على القوة اللازمة لاغلاء كوب عادي من الماء . وعليه فليس في الافراط في الصراخ أي اسراف في القوة على مايقول هذا العالم الالماني

من اسرار الرائحة

يقول أحد أساتذة جامعة كولومبيا ان المباحث التي قام بها جمهور من العلماء بشأن أسرار الرائحة تؤكد لنا أن العلم سوف يكتشف في المستقبل القريب مادة مخدرة ذات رائحة عطرية اذا شمها الانسان غاب عن وجدانه وهو يشعر بلذة غريبة فيستطيع

الطبيب الجراحي اذ ذاك ان يقوم بعملية جراحية على ذلك النائم كما لو كان قد نام بفعل الكلوروفورم او مايماثله من المواد المخدرة

ويقول هـــذا الاستاذ إن درس رائحة البنفسج قدأدى الى استجلاء سر تركيب الفيتامين «A» وأثبت أيضاً أن حاسة الشم هي التي تسير الحشرات لاحاسة النظر

بندقية سريعة جديدة

اخترع مهندس يدعى جون برونتج بندقية سريعة جديدة فى امكانها أن تطلق الف رصاصة ومائتى رصاصة فى الدقيقة . وهـــذه البندقية خفيفة الحمل جداً لا تزيد ثقلها على ثقل مسدس (ريفولفر) اعتيادى بحيث تستطيع اصغر الطيارات ان تحمل عشر بنادق منها على أحد أجنحتها فتطلق وهى فى الفضاء اثنى عشر الف رصاصـــة فى الدقيقة الواحدة . ويبلغ قطر رصاصتها $\frac{1}{2}$ من البوصة

الصوت وأشعة اكس

يؤخذ من التجارب العلمية الحديثة أن فى الامكان اخذ صور فوتوغرافية واضحة جداً بواسطة اشعة اكس اذا عرض الشيء المراد اخذ صورته لامواج صوتية من الآلة المضخمة للصوت . ذلك ان هذه الآلة تنشيء فى امواج الهواء ارتجاجات . فاذا اخذت صورة اعضاء جسم الانسان الباطنية بواسطة اشعة اكس بعد تعريض الجسم لامواج الميكرفون اى الآلة المضخمة للصوت جاءت تلك الصورة جلية واضحة

مرآة هائلة

تصنع الآن فى أميركا مرآة عاكسة هائلة لوضعها فى المرصد البحرى بمدينة واشنطون . ويبلغ قطر هذه المرآة أربعين بوصة . ويمكن بواسطتها رصد الاجرام السماوية التى تبعد عنا عشرة ملايين سنة نورية . ولا يخفى ان السنة النورية هى المسافة التى يقطعها النور فى سنة من الزمن بمعدل ١٨٦ الف ميل فى الثانية، وتعادل نحو ٦٣ الف ضعف المسافة التى بين الشمس والارض

آلة فوتوغرافية دقيقة

حلقت أخيراً احدى الطيارات الاميركية الى ارتفاع واحد وعشرين الف قدم ومعها آلة فوتوغرافية دقيقة أمكنها بواسطتها تصوير البلاد على امتداد مائتى ميل وخمسين ميلا فى كل اتجاه . وقد ظهرت فى الصورة مدينة سان فرنسيسكو ومونت شاستا والمسافة بين النقطتين ٢٥٠ ميلا . وتعتمد هذه الآلة الفوتوغرافية على أشعة النور التى وراء الحمراء وهى أدق آلة فوتوغرافية تمكن العلم من صنعها

اشعاع المواد الحية

لا يخفى أن جميع المواد الحية من حيوانية أو نباتية تشع اشعاعاً غير منظور . وقد توصل أحد العلماء الاميركان الى طريقة يمكن بواسطتها اظهار ذلك الاشعاع بحيث تمكن رؤيته بالعين المجردة ، وذلك بتسليط نور الاشعة التى فوق البنفسجية على المادة الحيوانية أو النباتية المشعة فيبدو اشعاعها قوياً حتى يمكن أخذ صورة فوتوغرافية على ضوئه

شؤون الدار

لمكافحة الفئران

اذا أردت وقاية المواد الغذائية من الفئران فضع تلك المواد فى صندوق من الصفيح مدهون من الخارج بمحلول مستحضر من زيت بزر الكتان المغلى الى درجة ٤٧٠ فهرنهيت . ويمكن تسخين هذا المستحضر بتسليط لهيب مصباح خاص عليه ولكن يجب الاحتراس لان الزيت قابل للالتهاب . وبعد تسخينه يضاف اليه ثلاثة أونسات من مسحوق زهر السلفات تدريجياً . ولهذا المستحضر رائحة كريهة مادام ساخناً فاذا برد زالت الرائحة وهو سم قاتل للفيران

البيض والغذاء

البيض من أفضل المواد الغذائية ولكنه سريع الفساد . وسبب هذا الفساد هو تسرب الهواء الى داخله عن طريق المسام التى فى القشرة . فلمنع هذا الفساد ولحفظ البيض طويلا يحسن ان تدهن القشرة بمادة صمغية أو دهنية تسد المسام وتمنع وصول الهواء الى داخل البيضة . وبهذه الطريقة تحفظ من الفساد طويلا

ويمكن - زيادة فى الاحتراس - وضع البيضة بعد معالجتها بهذه الطريقة فى النخالة فان ذلك يحول دون تعرضها للهواء

لمنع تشقق الجلد

يعتقد البعض أن جلد اليدين أو الرجلين لا يتشقق إلا فى الشتاء من شدة البرد . وفى الواقع أن الجلد عرضة للتشقق من شدة العرق فى الصيف أيضاً - ولا سيما مابين أصابع القدمين . فلمنع هذا التشقق يجب غسل القدمين دائما بالماء الفاتر ثم بمحلول حامض الكربوليك أوماء الاكسجين ثم ينشف الجلد جيداً ويوضع عليه قليل من الطلق (التلك أو البودرة) فيمنع التشقق

لازالة البقع

من أحسن المواد لازالة البقع ورنيش (دهان) مركب من أجزاء متساوية من أسيتات الاميل (زيت الموز) والاسيتون والبنزول . فاذا أردت ازالة بقعة فضع قليلا من هذا الدهان عليها واتركه بضع دقائق ثم امسحه بقطعة من نسيج ناعم أو جوخ . ومع أن الدهان فى حد ذاته ليس خطراً على اليد إلا أنه يجدر الانتباه لانه قابل للالتهاب

اللؤلؤ الصناعي

اذا غطست قلادة من اللؤلؤ الصناعى فى القهوة الساخنة ثم نشفت القلادة صعب على أمهر الصاغة تمييزها عن قلادة من اللؤلؤ الحقيقى

لاصلاح المرايا

كثيراً مايزول الطلاء على ظهر المرآة فتبدو كأنها قطعة من زجاج اعتيادى . فلاصلاح هذه المرآة أولتحويل زجاج اعتيادى الى مرآة تتبع الطريقة الآتية :

يجب أن يكون الزجاج المراد جعله مرآة نظيفاً خالياً من الفقاقيع و«الخدوش» والاقذار. ثم اصنع المحلولين الآتيين من المواد المذكورة فيما بعد :

(المحلول الاول) خذ ٢٨٠ جراماً من نترات الفضة المذاب فى أربعة أونسات من الماء المقطر . أضف اليه قليلا من الامونيا المخثرة حتى يصبح المحلول أسمر اللون ثم اضف اليه ٢٦٠ جراما أخرى من نترات الفضة وحركه الى أن يذوب كله ويصبح اسمر اللون مرة أخرى . ثم أضف اليه ربع كوب ماء مقطر . ثم رشح الكل واحفظه فى زجاجة سمراء اللون

(المحلول الثانى) أذب ١٩٧ جراماً من نترات الفضة فى ثلاثة أونسات ماء مقطر ثم أضف الى ذلك ١٩٧ جراماً من « املاح روشيل » . ضع هذا المحلول فى وعاء من « الزنكو المدهون » واغله على النار مدة خمس دقائق ومتى برد أضف اليه نصف كوب ماء مقطر ورشحه وضعه فى زجاجة كزجاجة المحلول الاول

ثم خذ لوح الزجاج المراد جعله مرآة وضعه على مائدة أفقية تماماً وامزج المحلول الاول بالمحلول الثانى معاً واسكب من هذا المزيج على لوح الزجاج بمعدل ثلاثة اونسات لكل قدم مربعة . ولكى تمنع السائل من الانسكاب على حافة الزجاج ادهن تلك الحافة بزيت البارافين. واترك لوح الزجاج على هذه الحالة الى أن ترسب عليه الفضة التى فى المحلول وتنشف . واذ ذاك اغسل لوح الزجاج بالماء البارد فتراه قد أصبح مرآة جميلة مجلوة

حفظ الاسنان

يؤخذ من مباحث واسعة النطاق قامت بها طائفة من كبار أطباء الاسنان فى أميركا أن قبائل الاسكيمو الذين كانوا يعيشون قديماً على أكل لحوم الحيوانات فقط كانوا بمنجاة من جميع أنواع أمراض الاسنان تقريباً . ويدل فحص هياكل الاسكيمو العظيمة أن مرض تسوس الاسنان عند القوم كان تقريباً مجهولا. أما الآن فقد بدأت أمراض الاسنان على اختلاف أنواعها تنتشر بينهم ، وسبب ذلك بلا شك هو تغيير نوع الغذاء . فبعد ان كان مؤلفاً من اللحوم فقط أصبح شديد الشبه بغذاء الشعوب المتمدنة

ويدل فحص عظام هنود أميركا الاقدمين وآثار أسنانهم على تلك الحقيقة عينها وهى انه كلما كان نوع الغذاء لحياً كانت الاسنان أقل تعرضاً للامراض المختلفة . ويظهر ان الاطعمة المصنوعة من الرز وأنواع الحبوب المختلفة هى سبب ما نراه اليوم من انتشار أمراض الاسنان

فهل تنتبه ربة البيت الى هذه الحقيقة وتقلل من اطعام أولادها الرز وغيره من الحبوب ؟

الروائح العطرية الجامدة

الروائح العطرية من مستلزمات المرأة العصرية . وهى تباع عادة بشكل سائل محفوظ فى زجاجات صغيرة . ولكن هذه الزجاجات عرضة دائماً للكسر والعطب . ولذلك اخترع أحد الاميركيين طريقة لتحويل الروائح العطرية الى مواد جامدة وذلك بمزج خلاصة تلك العطور بمادة البارافين بعد اذابتها على النار . ثم يثخن البارافين بعد اضافة الخلاصة العطرية اليه ويصنع قوالب حسب الحجم والشكل المطلوب

ومن أفضل أنواع العطور الجامدة مزيج من ٤ نقط من زيت البرجموت و٤ نقط من زيت اللاوندار ونقطتين من زيت القرنفل و٤٠ نقطة من زيت الجرانيوم و٢٠ جراماً من الفانيلين . امزج هذه المواد معاً جيداً واضف اليها أربعة أونسات من شمع البرافين الذائب ثم اترك المزيج حتى ينشف فيكون عندك عطر ارج جميل

الحرير الصناعي

يصنع هذا الحرير من مواد كثيرة فى مقدمتها الياف قصب السكر بعد اخراج العصير منه ومعالجته بحامض النتريك . ويظهر ان بعض المصانع الاميركية تمكنت حديثاً من انزال نوع من الحرير الصناعى الى السوق يفوق فى متانته ونعومته كل حرير آخر صناعى . وفى احدى المجلات العلمية الاميركية أن الكثيرات من ربات المنازل بدأن يستعملن هذا الحرير لصنع ثيابهن وثياب اعضاء اسرهن

الليموناده فى الصيف

نذكر اننا قرأنا منذ عدة سنوات فى احدى الصحف الانجليزية سؤالا موجهاً الى جمهور الاطباء وهو : ما هو افضل مشروب مرطب يتناوله الانسان فى فصل الصيف ؟ وكان الجواب الحاسم عن هذا السؤال رأى الدكتور وليم كالب صليبي وهو ان عصير الليمون المبرد هو خير مشروب فى فصل الصيف

وفى الواقع أن فى عصير الليمون من الفيتامين مالا تجده فى أى مشروب آخر . واذا اضفنا اليه السكر ـ وهو من المواد المغذية ـ كان منه أفضل شراب منعش فى فصل الحر

فعلى ربة الدار ان تسقي اولادها فى فصل الصيف من عصير الليمون ما استطاعت الى ذلك سبيلا فهو افضل المشروبات وأشدها انعاشا وأكثرها غذاء

حفظ الشليك (الفريز)

اذا وضعت كمية من الشليك فى وعاء زجاجي وعرضته لأشعة الشمس مدة نصف ساعة أمكنك أن تحفظ ذلك الشليك بضعة أيام ومتى أكلته وجدته كأنه طازج . ويشترط فى ذلك أن يكون الوعاء مفرغاً من الهواء

رائحة الكيروسين

يمكن ازالة رائحة الجاز (الكيروسين) وجعله يشتعل بنور صاف اذا اضفت اليه جزءاً من مائة جزء من حجمه من اسيتات الاميل (زيت الموز)

في عالم الادب

الرسائل الضائعة ورسائل أخرى

للاستاذ سامي الجريديني

(طبع بمطبعة الهلال . صفحاته ١٠٨ من القطع الكبير)

عرف القراء الاستاذ سامي الجريديني محامياً بارعاً من خيرة الرجال الذين اشتغلوا بمهنة المحاماة . وهو الى براعته فى مهنته أديب قدير له عدة آثار أدبية تشهد بوفرة أدبه وخصوبة قريحته وبما له من موهبة فنية تسلس له قياد المعانى والالفاظ فيصرفها حيث يشاء ، ويقبض على قلمه كما يقبض الرسام الماهر على ريشته فيصور من جوانب الحياة ما يسحر ويبهر ويمتلك النفوس والابصار . وله ميزة قلما توجد فى غيره من الادباء وهى حسن الاختيار فيما يؤلف ويترجم . فجميع ما ألفه وترجمه يعد من خير ما ظهر فى النهضة الأخيرة من الموضوعات الأدبية والكتب النفيسة التى تضىء السبيل أمام المتأدبين ، وتهدى النشء الى طريق جديد فى الثقافة والتهذيب . فقد سئمنا تلك المؤلفات التى تنحو ناحية تقليدية قديمة فى الأدب الوصفى والقصصى والروائى وغيره من أنواع الأدب التى اتبع فيها بعض الأدباء طريقة واحدة وكانت سبباً فى كساد الادب وبوار المؤلفات

أما الاستاذ سامي الجريديني فقد نحا - مع نخبة من أدباء العصر - ناحية مشوقة أعادت الى قراء الادب ولعهم به وغرامهم بفنه . ففى « الرسائل الضائعة » ينهج المؤلف ذلك النهج الجذاب المشوق ، ويصف الحياة فى باريس ولندن بما حوته من آداب وعادات ومباهج ومشاهد . وقد جعل هذه الرسائل على لسان فتاتين فرنسيتين احداهما تسكن لندن والأخرى فى باريس . وكأن الفتاتين قد قطعتا عهداً على أن تبوح الواحدة للأخرى بما يكنه ضميرها وعقلها من شعور وآراء ، فكانت تكتب الواحدة لصاحبتها كل ما جال فى خاطرها من عاطفة تصدر عن القلب أو فكر يصدر عن العقل . ولننقل الى القراء قطعة من احدى هذه الرسائل . قالت جرمين فى باريز الى صديقتها فى لندن :

« شهران وبعض شهر بل سبعون يوما مروا على إيابى من زيارتك لم أكتب اليك فى الاثناء حرفاً حتى ليخيل إلى أنك أزمعت أن توقنى أنى فارقت هذه الحياة الدنيا

« كلا أيتها الحبيبة فأنا أنا وليس لى من رغبة فى مفارقة الحياة

« فانى أحبها بل أعشقها ولا أعرف لذة تفوق لذة الوجود

« إن الحياة لجيلة على كل علاتها . جميلة إذا أقبل الدهر وجميلة إذا أدبر لانى أعيش وقتئذ على الامل

« ولماذا لانحب الحياة . ولماذا نقرنها دائما أبداً إلى الثروة حتى تكون هنيئة أو إلى الحب أو الى الجاه ؟ هذا خيال صغار النفوس قليلى الحيلة العقلية قصار التصور

« فالحياة نعيم لمن يضحك لها أو بالحرى لمن يضحك منها

« فأنا ـ ولا أزيدك علماً ـ لا أملك من حطام الدنيا سوى فرنكات لاتشبع بدوياً وثوبين أو ثلاثة للشتاء ومثلها للصيف ، ولست بالزاهدة ،فانى أود لو اعطيت ثروة هنرى فورد ، ولكننى لست وأنا من أنا بأقل منه سعادة . إنى أتمتع بما تناله يدى وأزدرى مالاطاقة لى به فيتم لى الهناء .

« ولى عقل أسمو به على التألم والعذاب إذا أدى آخرين أكثر منى مالا

« ولى إحساس ولى شعور يجعلنى ألذ بجمال الطبيعة وبجمال الفن وبجمال كل ماهو جميل مما يقع تحت ناظرى فأنسى القبيح ولا أكاد إن رأيته أعرفه

« أليس هذا حسبى إلى أن تزيد استطاعتى فأزيد فى هنائى ؟ »

وعلى هذا الاسلوب الممتع جرى المؤلف فى رسائله الضائعة . أما الرسائل الاخرى فهى لاتقل عن هذه الرسائل جمالا وأسلوباً ، وان كانت تتناول شئوناً أخرى فى الحقوق والسياسة والاجتماع

في الحياة والحب

للاستاذ أحمد الصاوى محمد

(طبع بمطبعة سكر بمصر صفحاته ٢٢٣ من القطع المتوسطة)

عندنا أن الاديب الموهوب هو الذى يخلق لنفسه شخصية ممتازة ، ويطبع أدبه بطابعه الفنى الخاص ، الذى يحكى صور نفسه ، ويرسم تاج عقله بلباقة لا تنقاد للشخص العادى ـ أو بعبارة أخرى ـ لا يسلس قيادها للناشىء المتأدب أو الاديب المسلوب الذى كل ماهنالك من ثروته أنه يحاكى غيره محاكاة الببغاء ، ويحتذى سواه فى أسلوبه وتفكيره احتذاء . هو وصمة التقليد ، وعار القصور الذى يلحق الامة فى عهود ضعفها الادبى ، وأزمان تأخرها وانحطاطها ، فتلجأ الى الاقتباس من غيرها فى مذاهب التفكير ومناحى الحياة الادبية والاجتماعية

وقد أتاح الله لمصر هذه النهضة الحديثة التى أبرزت غير واحد من الادباء الموهوبين الذين نهلوا من المنهلين وتثقفوا بالثقافتين العربية والغربية فسرت فى نفوسهم روح أدبية سامية هى جماع مافى الثقافتين من جمال التعبير وصحة التفكير ورقة العاطفة وبلاغة المنطق

ومن هؤلاء الادباء الموهوبين الاستاذ احمد الصاوى محمد . فهو بحق أديب موهوب قد طبع أدبه بطابعه الفنى الخاص الذى امتاز بأسلوبه

وتفكيره ونظرته الفنية الى الحياة ـ تلك النظرة التى امتلأت بكل ماق الشباب من نضارة وجمال ، وأحلام وآمال

وبين يدينا الآن كتابه الجديد « فى الحياة والحب » وهو من عنوانه الى آخر صفحة منه يدل على صحة ما ذكرناه من هذا الوصف وهو وان كان أغلب ما يحويه ملخصاً عن أشهر كتاب الغرب إلا أنه قد أجاد الترجمة والتلخيص الى حد لا نشك فى أنه قد كلفه أضعاف ما يكلفه التأليف . على أن براعته أبت إلا أن تتحف القراء بقصة من تأليفه كما أتحفهم بقصص من ترجمته ، فدبج فى أول الكتاب قصة شائقة ممتعة هى قصة « عائدة » . وهذه القصة أو الاقصوصة جديرة بالثناء الذى صاغه لها شاعر القطرين الاستاذ خليل مطران فى تلك المقدمة البليغة التى قرظ بها هذا الكتاب ، ووقف معظمها على تحليل براعة الاستاذ الصاوى واقتداره فى تأليفه وحسن اختياره فى تلخيصه. ونحسب ان شاعر القطرين لم يسرف فى الثناء على تلك القصة (عائدة) وان كان الاستاذ الصاوى قد أسرف فى كثرة ملخصاته وعنايته بالترجمة عن أدباء الغرب دون أن يعنى بالتأليف العناية التى لا نشك أنها تكون من أديب مثله خيراً من الترجمة التى مهما بلغت من الجودة ، ومهما حسنت ممارستها لا تنهض بأدب أمة كما ينهض به الابتكار والتأليف الصحيح ، الذى هو عصارة الافئدة ونتاج القرائح والاذهان ، وأهم برهان على تقدم النهضة الادبية فى أمة من الامم

القبط

لسيادة جرجس فيلوثاؤس عوض

(طبع بالمطبعة المصرية الاهلية بالقاهرة صفحاته ١٧٢ من القطع المتوسط)

ليس من السهل فى هذه العجالة ان نصف للقراء قيمة هذا الكتاب من الوجهة التاريخية ولكن يكفى ان نقول ان سيادة البحاثة جرجس فيلوثاؤس عوض قد تناول موضوعاً قل من عالجه العلاج الصحيح قبله ، بل ربما لم يعالجه ويدرسه دراسة وافية أحد مثله . فان المطلع على كتاب « القبط » والمتصفح لبحوثه يرى كيف عمد المؤلف الى هذا الموضوع التاريخى الدقيق ، فرجع به الى مصادره الصحيحة، وأحاط به من جميع اطرافه ، واعتمد على أهم الكتب التاريخية لكبار المؤرخين القدماء مثل هيرودت وديودورس الصقلى وغيرهما قبل الفتح الاسلامى ، وبعده مثل : ابن عبد الحكم ، وابن البطريق ، والواقدى ، والقلقشندى ، والمقريزى ، وغيرهم. واستشهد بكثير من أقوال هؤلاء المؤرخين على بطلان بعض الروايات الخاصة بتاريخ القبط وأصلهم . وقد احتوى هذا الكتاب على خلاصة مفيدة لاصل القبط واخبارهم قبل الاسلام وبعده وكيف كان عددهم ، والمقوقس وهل هو قبطى أو اجنبى ، وهل انقرض القبط أو لم ينقرضوا . وغير ذلك من البحوث والدراسة القيمة

ولكى نعطى القراء شاهداً على ماذكرنا ننقل لهم نبذة وجيزة من هذا الفصل الذى عقده تحت عنوان « دخول العرب مصر » :ـ

« في خلافة عمر بن الخطاب دخل العرب مصر بقيادة عمرو بن العاصي، فكان سكانها وقتئذ لا يقلون عن الثلاثين مليوناً ان لم يبلغوا الستة والثلاثين مليوناً من الانفس، نظراً لأن الجزية التي جباها العرب ابان الفتح العربي كانت من ستة ملايين من الانفس الى سبعة ملايين من الذكور البالغين دون سواهم. وعلى هذا قد بنيت استنتاجي الذي استنتجته في مبحثي هذا، كما ترى ذلك ببيان كاف. واما القول بانهم لم يقاوموا العرب مع كثرتهم هذه فلا بد من ان يعرف الباحث حقيقة مركز الامة الخاضعة لغيرها وتجريدها من كل سلاح فضلا عن انهم كانوا يؤدون الجزية مقابل المحاماة عنهم وعن بلادهم. وما كان يخرج أحد منهم للحرب أو يتدرب على حمل السلاح خوفاً من ثورة للتخلص من نير العبودية. ولذلك فاني سأشرح ما كانت عليه حال مصر الاولى قبل دخول العرب لمعرفة الاسباب التي الجأت الى عدم تداخلهم في الحرب من عهد ان تغلب عليهم الاجانب

« وان يكن غير معلوم لنا بالدقة مقدار العدد الحقيقي الذي كان يسكن مصر في الزمن القديم، إلا اننا من عمران البلاد وقيام أهلها باجل الاعمال ونهضتها العلمية قبل سواها، كل ذلك منه نستدل على ما كانت عليه أولا من كثرة السكان. ومن المعلوم أن مصر منبت التمدن والعلم والعرفان قبل سواها، ولذلك سادت على كل المسكونة، وعلمت العالم واخضعته لها، لا بمجرد القوة فقط، بل بما كانت عليه من المدنية والرقي، فابتنت المباني الفاخرة التي عاشت كل هذا الزمان تصارع الدهر ولم يقو على أن يصرعها »

فلسفة العقوبة

للاستاذ محمد مهدي علام

(طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة . صفحاته ١٣٦)

لا نشك أن كل من يقرأ هذا الكتاب من طلاب مدارس المعلمين يستفيد منه فائدة كبيرة ويهتدي به الى خير الطرق التي ينبغي للمربي أن ينهجها في مهنته ويعالج بها تلامذته، فمن المعروف أن كلا الشدة واللين لا يفيدان في التربية إلا اذا استعملا استعمالا حكيما. وأن العقوبة لا تجدي ولا تنتج الثمرة المطلوبة إلا اذا كان المربي عارفاً بقواعدها خبيراً باصولها. وقد أحسن الاستاذ محمد مهدي علام أستاذ التربية وعلم النفس بمدرسة دار العلوم في معالجة هذا الموضوع الذي قصد به كما قال في مقدمته أن يخرج للطلبة الذين يعنيهم هذا الموضوع أولا وللمعلمين ثانياً، والامهات والآباء ثالثاً ولغيرهم ممن يشوقهم الاطلاع آخراً — فكرة عن العقوبة وما يتصل بها. وقد بدأ هذا البحث بالكلام عن الذنوب الاخلاقية مفرقاً بينها وبين الشرور القانونية، ثم تكلم عن العقوبة ومنشئها وأغراضها والمذاهب المختلفة فيها والقواعد الاساسية التي يجب أن يحافظ عليها المعاقب، وبحث في المسئولية وآراء العلماء قديماً وحديثاً وختم ذلك بآراء بعض الفلاسفة في العقوبة

وهذا البحث بما حواه من آراء وأفكار يستحق الثناء والتقدير

بين الهلال وقرائه

مقياس العظمة

(السالمية - مصر) عبد الواحد سليمان غراب

ما هو مقياس العظمة فى رأيكم ؟ ومن هم الآن الاشخاص الذين تنطبق عليهم شروط العظمة سواء أكان فى مصر أم فى أنحاء العالم الأخرى ؟

(الهلال) الرجل العظيم فى نظرنا هو الذى ينفع وطنه و بنى جنسه ويزيد فى راحتهم وهنائهم فالطبيب الذى يكتشف دواء شافياً لداء عضال ، والسياسى الذى يضمن الراحة والسلام والرخاء لوطنه ، والعالم الذى يكتشف أسرار الطبيعة ويسخر قواها لخدمة البشر - جميع هؤلاء هم ممن تنطبق عليهم أوصاف العظمة . أما الغزاة والفاتحون الذين يثيرون الحروب لتحقيق مطامعهم فليسوا فى نظرنا من العظماء لأنهم انما يحاولون الوصول إلى قمة العظمة على أشلاء غيرهم . ومع ذلك فقد اعتاد البشر ان يعتبروهم من العظماء كالاسكندر وهنيبال ونبوليون وغيرهم . مع انهم لم يسعوا إلا لتحقيق مطامعهم بسفك دماء الألوف من بنى جنسهم

اصطلاحات غنائية

(السالمية - مصر) ومنه

مامعانى الاصطلاحات الغنائية الآتية :دور . طقطوقة . مونولوج . ديالوج . تريالوج . مذهب . توشيح ؟

(الهلال) هذه اصطلاحات يعرفها أهل الفن . فالدور ، هو قطعة شعرية غنائية مؤلفة من شطرين يسمى أولها « مذهباً » ، ويكون فى الغالب على وزن يعرف عند أهل الفن « بالمصمودى » ، ويكون الشطر الثانى على وزن « الواحدة العادية » . وتتخلله « ردود » أى ألفاظ يرددها مكملو التخت

أما « الطقطوقة » فهى قصيدة من النوع المعروف بالزجل وكل بيت أو بيتين من أبياتها قطعة مستقلة بذاتها . والقطعة الأولى تعتبر « مذهباً » وتردد بعد كل قطعة أخرى تالية

« والمونولوج » هو كلام غنائى أو غير غنائى يلقيه رجل واحد . وهو من قبيل المناجاة . « والديالوج » هو حديث غنائى أو غير غنائى يشترك فيه اثنان « والتريالوج » يشترك فيه ثلاثة

« والمذهب » سبق تعريفه . وهو الشطر الأول من « الدور » أو « القطعة » الأولى من الطقطوقة ويجب ترديده

« والتوشيح » هو « قطعة » مؤلفة من بيت أو أكثر تشترك الجماعة فى انشادها وتتخللها أحياناً « تقاسيم »

ورق البنكنوت

(جسر الشغر ـ سوريا) صبحي عاصي

متى بدىء باستعمال ورق البنكنوت بدلا من الذهب ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يعلم بالتمام متى بدىء باستعمال ورق البنكنوت . ويقول الصينيون انهم بدأوا باستعمال « ورق النقد » منذ أكثر من ألفى سنة ، وان ذلك « الورق » كان نوعاً من الجلد . ولكن ليس هناك ما يثبت هذه الدعوى . والارجح ان ورق البنكنوت بدىء باستعماله فى أوائل القرن الثامن عشر (عام ١٧٠٩) وكان أول ظهوره فى انجلترا . وكان الصاغة قبل ذلك يقومون بوظيفة البنوك ويعطون الناس « إيصالات » بما يودعونه عندهم من الاموال . وكان المودعون يتصرفون بتلك « الايصالات » كما يتصرف الناس اليوم بورق البنكنوت تماماً فيتداولونها كأنها نقد . فلما انشىء بنك انجلترا فى أوائل القرن الثامن عشر أباحت له الحكومة إصدار ورق البنكنوت ولكن هذا الورق لم يشع إلا فى عهد حروب نبوليون

تعليم الطيران

(طرابلس الشام ـ سوريا) أحد القراء

هل يؤذن لغير الانجليز فى دخول مدرسة الطيران فى انجلترا والالتحاق بالجيش الجوى الانجليزى ؟

﴿ الهلال ﴾ فى انجلترا كما فى غيرها من بلاد العالم مدارس لتعليم الطيران المدنى وغيرها لتعليم الطيران الحربى . فاما المدارس التى من النوع الأول فيقبل فيها الاجانب على اختلاف أجناسهم بشرط توافر الامكنة اللازمة لهم وبشرط دفع الأجور المقررة واجتياز امتحانات معينة لدخول المدرسة

أما المدارس التى تعلم الطيران الحربى فلا يقبل فيها أجانب إلا بطلب خاص من حكوماتهم التى توفدهم عادة لتلقى فن الطيران الحربى على نفقتها الخاصة

الهواء السائل والجامد

(الناصرية ـ العراق) جعفر ابن الشيخ حسين

هل يمكن تحويل الهواء إلى سائل ؟

﴿ الهلال ﴾ يمكن تحويل الهواء الى سائل باستعمال ثانى كربون الاوكسيد السائل والاثلين السائل تحت ضغط مائة وحدة جوية . وذلك بطريقة علمية يتعذر شرحها هنا

البابية فى أوربا وأميركا

(الناصرية ـ العراق) ومنه

أصحيح ان البابية أو البهائية تنتشر الآن فى أوربا وأميركا بسرعة ؟

﴿ الهلال ﴾ لا شك ان أنصار البهائية يبذلون كل الجهد لنشر عقيدتهم ونحن نسمع من وقت الى آخر بدخول الناس فى البهائية ، ولكن ليس معنى هذا ان البهائية تنتشر فى أوربا وأميركا بسرعة

حسر البصر

(حمص ـ سوريا) أحد المشتركين

هل ينفع استعمال النظارات حاسر البصر

وهل يجب استعمالها دائماً ؟ وهل يمكن اصلاح حسر البصر بعملية جراحية ؟

﴿الهلال﴾ استعمال النظارات ينفع حاسر البصر كثيراً جداً ولكن يجب استشارة طبيب العيون فى نوع النظارات التى يجب استعمالها . كما يجب استشارته أيضاً فى هل من الحكمة استعمال تلك النظارات دائماً أم فى أوقات معينة. أما اصلاح حسر البصر بعملية جراحية فممكن فى حالات نادرة ، لذلك يجب ألا يقدم الحاسر على مثل تلك العملية إلا اذا استوثق من نجاحها

عودة البصر

(حمص - سوريا) ومنه

هل يطرأ تغيير على بصر الانسان الحاسر إذا تقدم فى السن ؟

﴿الهلال﴾ يقول الاخصائيون فى أمراض العيون ان حاسر البصر قد يستعيد بصره اذا جاوز الستين من عمره بحيث يستطيع الاستغناء إذ ذاك عن النظارات . ويشترط فى ذلك أن يتعهد الانسان الحاسر بصره بالعناية فى شبابه وكهولته ولا يهمله . وقد كان والد كاتب هذه السطور لا يستطيع القراءة والكتابة من دون استعمال النظارات . فلما جاوز الستين من عمره استغنى عن النظارات لأن بصره استعاد قوته

المن

(الموصل - العراق) محمود محمود الملاح

ما هو المن الذى أنزله الله على بنى اسرائيل وهل صحيح انه من افرازات بعض النباتات ؟

﴿الهلال﴾ فى الاصحاح السادس عشر من سفر الخروج وفى القرآن الكريم ان الله أنزل المن والسلوى على بنى اسرائيل، وقد اختلف المفسرون فى تفسير المن ، والمعروف انه أنواع كثيرة وان بعض الاشجار أو النباتات تفرزه وان قوامه « المنيت » و « الديكسترين » والسكر ممزوجة بمقادير مختلفة . فاما « المنيت » فهو مادة كيمياوية سكرية قوامها الأوكسجين والايدروجين والكربون . وأما الديكسترين فهو المادة الصمغية فى النشا . وأشهر أنواع المن من سيناء ومن كردستان ومن استراليا ومن بريانسون ومن ما بين النهرين . وتختلف هذه الانواع بعضها عن بعض باختلاف الاشجار أو النباتات التى تفرزها

وفى ماردين بشمالى ما بين النهرين نوع من المن يرجح العلماء انه النوع الذى كان يغتذى به بنو اسرائيل فى برية سينا . فهو مادة تشبه الدقيق الاسمر اللون تتساقط فى مواعيد معينة من السنة على بعض الاشجار وعلى الارض كما يتساقط الثلج ، وطعمها حلو لذيذ اذا تناول منها المرء كمية أحدثت معه ليناً فى المعدة ، واذا جمعت فى وعاء لاتلبث أن تتجمد وتصبح صلبة ولزجة ويصبح لونها أخضر داكناً ويمكن ادخارها مدة من الزمن . وتساقط هذا المن من الجو هنالك من الامور المدهشة التى لم يستطع العلماء استجلاء سرها حتى الآن . ويعتقد أهالى تلك الجهات ان هذا هو المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل أثناء تيهانهم فى برية سيناء.

التنويم المغناطيسي

ن . ع . نسيم أحد القراء

ما هو التنويم المغناطيسي وما تعليله ؟

﴿ الهلال ﴾ التنويم المغناطيسي هو سبات صناعي يحدثه شخص يسمى المنوم بتشديد الواو وكسرها في شخص آخر ويسمى المنوم (بفتح الواو المشددة) وهذا السبات هو في الواقع غيبوبة عن الوجدان يكون المنوم (بالفتح) في خلالها خاضعاً لارادة المنوم (بالكسر) فلا يعصى له أمراً . وهذا يصدر أوامره إلى المنوم (بالفتح) بطريقة الايحاء

والسبات المغناطيسي مظهر من مظاهر الخضوع لارادة الغير . ولا يخلو التنويم من اخطار ولذلك منعته بعض الحكومات وقيدته بقيود دقيقة . وقد استعمل في شفاء بعض الأمراض العصبية وفي شفاء الهستيريا

النوم في الليل والنهار

ومنه

هل تستوى فائدة النوم في النهار وفائدته في الليل ؟

﴿ الهلال ﴾ قد جعلت الطبيعة الليل للنوم والراحة . ولا نعتقد ان فائدة النوم في النهار تعدل فائدته في الليل

الدم

(سانت إيزابيل - البرازيل) جهينة اليماني

ما هي أهم المواد التي يتركب منها دم الانسان ، وما الفرق بينه وبين دم الحيوان . وهل يوجد فرق بين دم الذكر ودم الأنثى وبين دم الرجل العالم والرجل الجاهل ؟

﴿ الهلال ﴾ أهم المواد التي يتركب منها دم الانسان « البلازما » أو السائل الدموى . والكريات الحمراء . والكريات البيضاء . والهيموجلوبين . والليسيثين . والكولسترين . وأملاح البوتاسيوم والصوديوم والحديد والكلس والمغنزيوم والكلوريد والفوسفات والماء والحديد والاوكسجين والنتروجين والفضة والنحاس ومواد أخرى كيمياوية توجد في الدم بمقادير صغيرة جداً

أما دم الحيوان فيختلف عن دم الانسان بتركيبه وبعدد الكريات الحمراء التي فيه وحجم تلك الكريات وثقل الدم النوعي ودرجة حرارته وكثافته إلى غير ذلك من الاعتبارات التي تختلف في كل نوع من أنواع الحيوانات وقلما تكون متماثلة في نوعين منها . مثال ذلك ان عدد الكريات الحمراء في مليمتر مكعب من دم الانسان يختلف من ٤ إلى ٥ ملايين كرة . وفي الغنم من ١٣ إلى ١٤ مليون كرة . وفي السمك نحو ½ مليون كره ويبلغ قطر الكرة الحمراء في دم الانسان ٧ أجزاء من الألف من المليمتر . وفي الغزال $\frac{٢}{١٠٠٠}$ من المليمتر

وليس ثمة فرق يذكر بين دم الذكر ودم الأنثى في التركيب ولا بين دم الرجل العالم والرجل الجاهل ، على ان دم الافراد يختلف باختلاف نقص بعض المواد الكيمياوية التي ذكرناها أو زيادتها

الثوم وخواصه

(سانت ايزابيل - البرازيل) ومنه

ما هي أشهر خواص الثوم ؟ فقد قرأنا فى إحدى الصحف الأوربية ان له منافع كثيرة ولكن الجريدة لم تذكر ما هي هذه المنافع ؟

﴿ الهلال ﴾ أشهر خواص الثوم انه منبه لشهوة الطعام مدر للبول منق للدم طارد للريح. ولعل أشهر مزاياه الطبية انه ينظم ضغط الدم ولذلك يصفه الاطباء للمصابين بمرض تصلب الشرايين

هيلانه بلافاتسكي

(سانت ايزابيل - البرازيل) ومنه

من هي هيلانه بلافاتسكى وهل ترجمت مؤلفاتها إلى اللغة العربية ؟

﴿ الهلال ﴾ هيلانه بلافاتسكى (H. Blavatsky) سيدة روسية عاشت من سنة ١٨٣١ - ١٨٩١ وهى حفيدة الأميرة هيلانة دلجروكى الروسية وزوجة ضابط فى الجيش الروسى . ساحت فى آسيا وأوربا وأميركا ووصلت إلى عاصمة تيبت واشتغلت بمناجاة الأرواح .وفى سنة ١٨٧٥ أنشأت فى نيويورك الجمعية الثيوصوفية ، ثم ذهبت إلى الهند فنظمت بعض الجمعيات الثيوصوفية التى كانت موجودة فيها . وكانت تقول بوجوب وحدة الاديان وباخاء البشر . وقامت بتجارب كثيرة مدهشة فى مناجاة الأرواح ورماها الكثيرون بالشعوذة . ولها عدة مؤلفات فى تعاليم الثيوصوفية ومناجاة الأرواح ولا نظن ان شيئاً من هذه المؤلفات ترجم إلى اللغة العربية

استفهام

(شبين الكوم - مصر) احمد احمد المسلكاوى

أشرتم فى الجزء الصادر فى شهر مايو الماضى فى مقالة « أثر اكتشاف النار فى رقى البشر » إلى مقالات ينشرها الدكتور كلارك ويسلر فى إحدى المجلات الاميركية . فما هى هذه المجلة ؟

﴿ الهلال ﴾ هى مجلة « العلم للعامة » (Popular Science) فراجعوا بضعة الاجزاء الأخيرة منها

المدن العشر

(الحصن - شرقى الاردن) فؤاد عصفور

ورد فى التوراة ذكر رافانا . وايبوس . وديون . وبيلا . وأوتوبوس . على انها خمس من المدن العشر . فأين موقع هذه المدن وهل لها اليوم آثار يمكننا ان نعرفها بها ؟

﴿ الهلال ﴾ ورد ذكر المدن العشر فى التوراة على اعتبار انها مدن متحالفة . وكان موقع جميعها شرقى الأردن . والارجح ان الأخيرة منها هى بيسان الحالية ، وكانت معاصرة لدمشق فى ذلك الوقت ومزدهرة مثلها

أما المدن الأخرى فلم يبق لها أثر ولكن بعض الجمعيات تبحث عنها

أما مدينة جرش التى سألتم عنها فهى إحدى المدن العشر المذكورة

تناقض بعض الآراء

(أوهايو - الولايات المتحدة) حنا الدبس

قلتم فى أحد أجزاء هذه السنة من الهلال ان الانسان يولد ومعه شعور دينى . وقلتم فى جزء آخر ان الشعور الدينى اكتساب فى الانسان أى أنه يكتسبه من البيئة التى يعيش فيها . وجاء فى الجزء العاشر من السنة الخامسة والثلاثين فى مقال عن الاديان ان الانسان غير متدين بالطبع وانه يولد بلا شعور دينى. وطالما قرأنا ما يناقض ذلك . فكيف نوفق بين هذه الآراء المتناقضة ولا سيا فى هذه الأيام التى لا ترتاح فيها الافكار إلا الى البرهان المحسوس؟

(الهلال) ان مهمتنا تقضى علينا بنشر آراء مختلفة لكتاب شرقيين وغربيين . وكثيراً ما تكون تلك الآراء متناقضة ومع ذلك ننشرها من دون أن نتحمل تبعة نشرها . وليس كل ما ننشره هو رأينا . وعلى كل فاننا ننشر الآراء المتناقضة لكى يغربلها القارئ ويستخلص منها الحقيقة كما يوحى بها اليه ذكاؤه

النبوغ

(كولك - السنغال) يوسف ابو الحسن

هل للنبوغ علاقة بحجم الرأس وهل له دلائل واضحة على الوجه ؟ ولماذا يكثر النبوغ فى الغرب دون الشرق ؟

(الهلال) قد يكون حجم الرأس دليلا على حجم الدماغ بحيث ان الذى يكون رأسه كبيراً يكون دماغه كبيراً ايضاً . ولكن الواقع ليس كذلك دائماً فقد تجد رجلا خاملا مجرداً من كل ذكاء مع ان حجم رأسه كبير جداً . وسبب ذلك على ما يقول علماء الفسيولوجيا ان حجم أعضاء الجسم كثيراً ما يتوقف على افرازات الغدد الصماء . فقد تجد رجلا ضخم الجثة هائل الحجم وليس فيه شيء من الذكاء . كما قد تجد رجلا صغير الجسم والرأس نحيف القامة وكله شعلة ذكاء . وهذا دليل قاطع على أن العلاقة بين النبوغ وحجم الرأس علاقة واهية جداً

وكذلك العلاقة بين دلائل وجه الانسان ونبوغه فانها واهية . نعم ان علم الفراسة يؤكد وجود صلة بين أخلاق المرء وصفاته من جهة وملامحه من جهة أخرى . ولكن إثبات تلك العلاقة بالبراهين العلمية غير متيسر . ولعل الامثلة التى تدل على عدم صدق الفراسة لا تقل عن الامثلة التى تدل على صدقها . ولو كان علم الفراسة كله صحيحاً لكان فى وسع كل امرىء أن يعرف أخلاق غيره وصفاته وميوله من دون أن يحتك به

أما سؤالكم لماذا يكثر النبوغ فى الغرب دون الشرق فيرجع الى عوامل كثيرة لا يتسع هذا المجال لشرحها . ومع ذلك فان الكثيرين من النقاد الاجتماعيين يعتقدون ان النبوغ فى الشرق لا يقل عنه فى الغرب

اللغة العامية

(الشطرة - العراق) عنيزة بنت عكل

لماذا لا تكتب الصحف باللغة العامية حتى تكون فائدتها أعم ؟ ولماذا لا تمثل الروايات

ايضاً باللغة العامية حتى يفهمها الجمهور كله

﴿ الهلال ﴾ لأن اللغة العربية الفصحى هي هي لجميع الاقطار التي يتكلم أهلها اللغة العربية . وأما اللغة العامية فتختلف باختلاف البلدان . فالعراقي مثلا لا يفهم اللغة العامية المصرية والمصري لا يفهم اللغة العامية السورية والسوري لايفهم اللغة العامية المراكشية . وأما اللغة الفصحى فان جميعهم يفهمونها . ولذلك تفضل على اللغة العامية

الهستيريا

(الشطرة ـ العراق) ومنها

ما هي الهستيريا وما هي أسبابها وطرق معالجتها ؟

﴿ الهلال ﴾ الهستيريا حالة باثولوجية يكون فيها الجهاز العصبي مضطرباً . وهي تصيب النساء أكثر من الرجال وكثيراً ما تؤدي الى فقدان القوى العقلية . والمصاب بالهستيريا يكون عصبي المزاج ، وكثيراً مايصاب بنوبات أشبه بنوبات الصرع تنتهي بشلل أو بنزيف أو بعطب عضو من أعضاء الجسم

وأسباب الهستيريا كثيرة لا يتسع هذا المجال لبسطها . وكثيراً ما تنشأ عند النساء عن اختلاف وظيفة الحيض وعن التفكر في الامور الجنسية . على انها ليست من الامراض المستعصية إذ يمكن معالجتها والشفاء منها . وكثيراً ما يكون الزواج علاجاً ناجعاً لها . ويجب شغل المصاب بالهستيريا بعمل من الاعمال حتى ينقطع عن التفكير والا يترك وحده . ومن وسائل المعالجة أيضاً الرياضة والسفر وكثرة الانتقال وتبديل المناظر واللهو واجتناب العزلة والتنويم المغناطيسي . ويجب تغذية المصاب بالمواد الغذائية الغنية بالفوسفور كصفار البيض والسمك والمخ وما أشبه . وعلى كل فان الهستيريا حالات مختلفة والافضل عرض كل حالة منها على طبيب اخصائي

تفسير آية

(الحصن ـ شرق الاردن) فؤاد عصفور

جاء في الاصحاح الأول من سفر التكوين ان روح الله كان يرف على وجه الماء . فهل نأخذ هذه الآية بمعناها الحرفي أم المجازي ؟

﴿ الهلال ﴾ بمعناها المجازي وهو ان روح الله كان يملأ العالم ويشرف عليه

التقويم الروماني

(الحصن ـ شرق الأردن) ومنه

متى بدأ الرومان باستعمال تقويم منظم ؟

﴿ الهلال ﴾ اقتبس الرومان تقويمهم عن اليونان . وكانت السنة عندهم اثنى عشر شهراً قرياً وأول أشهر السنة شهر مارس وآخرها شهر فبراير ، وكان عدد أيام الشهر يختلف كما يختلف الآن ويعتقد البعض ان عدد أشهر السنة عند الرومان كان في أول الامر عشرة ثم أضيف اليها شهرا يناير وفبراير . على ان الرومان استعملوا بعد ذلك تقاويم أخرى أشهرها التقويم الديونيسي والتقويم اليولياني ثم التقويم الغريغوري

من هنا وهناك

في المطاعم

فى بعض مطاعم أميركا توضع قائمة الأطعمة ضمن اطار مجهز ببطارية كهربائية تلقى نوراً على القائمة بحيث يستطيع المرء ان يقرأها بوضوح ولو كانت مصابيح المكان ضعيفة

مخاطبة المريخ

صنعت شركة وستنجهاوس الاميركية جهازاً لاسلكياً وأرسلت منه أمواجاً وإشارات لاسلكية يقدرون أنها اجتازت ما مسافته أكثر من خمسة وثلاثين مليون ميل ووصلت الى المريخ . فاذا كان المريخ مأهولا كما يزعم البعض فلا شك ان سكانه تلقوا هذه الاشارة اللاسلكية

علاج ناجع لالتهاب الرئتين

اكتشف اثنان من أطباء جامعة بايل بأميركا دواء ناجعاً لداء التهاب الرئتين سماه كاربوجين (Carbogen) وهو غاز يطلق على المصاب بالمرض المذكور فيستنشقه ويشفى . وهذا الغاز مركب من الأوكسجين وثانى أوكسيد الكربون

مجازفة خطرة

أراد بعض المجازفين الامريكيين ان يقوموا بمجازفة خطرة فذهبوا إلى جزائر هاياواى وصعدوا إلى فوهة بركان « كيلويا » وهو فى حالة ثوران ووضعوا عند الفوهة « ميكرفون » ـ أى الآلة المضخمة للصوت ـ لكى يستطيع الناس عن بعد ان يسمعوا هزيم الانفجار البركانى كما لو كانوا على مقربة من البركان

الراديو والمجرمون

يستعمل البوليس الاميركى أجهزة راديو مختلفة لمكافحة المجرمين . وقد أسفرت الجهود فى هذا السبيل عن نتائج باهرة إذ بلغ عدد المجرمين الذين وقعوا فى قبضة البوليس فى مدينة شيكاغو وحدها فى السنة الماضية بفضل أجهزة الراديو أكثر من ستة آلاف

قارب للسباق

صنع أحد المهندسين الالمان قارباً جديداً للسباق يستطيع ان يحمله الانسان بسهولة إذ لا يزيد ثقله على اثنين وعشرين رطلا . ويبلغ طوله ستاً وعشرين قدماً . وهو ضيق جداً لا يتسع عرضه لأكثر من راكب واحد ومن السهل دفعه على الماء لأن طرف مقدمته رفيع كسنان الرمح فهو يشق عباب الماء بسهولة

الكاوتشوك الصناعي

ينتظر فى المستقبل القريب ان يزيد الاقبال على الفحم لأنه يدخل الآن فى تركيب الكاوتشوك الصناعى الذى وفق الأب نيولند

الامريكي إلى استنباطه للاستغناء عن الكاوتشوك الطبيعي . ويظهر ان هذا الكاوتشوك يحتوى على جميع مزايا الكاوتشوك الطبيعي من حيث الخفة والمتانة ويفضله بكونه أرخص منه وأسهل منالا

وعلى ذكر الكاوتشوك الصناعي نقول ان إحدى شركات بيع الجوارب فى أمريكا وفقت إلى صنع جوارب من الكاوتشوك تشبه الجوارب الحريرية كل الشبه وتفوقها فى نعومتها ومتانتها وسهولة غسلها وتنظيفها

طيارة جديدة

اخترع مهندس فرنسي يدعى جيرشه طيارة تستطيع الصعود إلى ارتفاع عشرة أميال فى الجو فى مدة أربعين دقيقة . ومتى وصلت إلى ذلك الارتفاع استطاعت ان تطير بمتوسط ٢٥٠ ميلا فى الساعة

معرفة الجنس

قام بعض علماء جامعة ايلنويز الامريكية بمباحث ممتعة توصلوا بها إلى طريقة يمكن بواسطتها معرفة الذكر من الأنثى من رؤية الكتابة الخطية . فاذا عرضت خطوط وأريد معرفة كاتبيها أمكن تمييز الذكور منهم من الاناث . ولم تذكر المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر كيف يتسنى ذلك

كرة القدم

المعروف ان اللعبة المعروفة بالفوتبول أو كرة القدم هى حديثة العهد ولكن بعض علماء الآثار يقول ان بعض الآثار التى اكتشفت حديثاً فى أور الكلدان تدل على ان لعبة كالفوتبول كانت معروفة منذ أكثر من ألفين وسبعمائة سنة عند الكلدانيين

لتزيين الشوارع

بدأوا حديثاً فى نيويورك بوضع حشيش أخضر صناعي على أرصفة بعض شوارع تلك المدينة لتزيينها . وقد فعلوا ذلك على سبيل التجربة حتى اذا كانت النتيجة مرضية عمموا الحشيش الصناعي فى جميع شوارع نيويورك وربما عمموه فيما بعد فى غير شوارع نيويورك أيضاً

صابون بلا ماء

اخترع أحد الكيمياويين الامريكيين نوعاً من الصابون لا يحتاج المرء معه الى الماء فهو عبارة عن معجون خفيف إذا فرك بين اليدين نشأت منه رغوة لطيفة الرائحة تنظف اليدين بسهولة ويستغنى معها عن الماء

مسحوق عصير البرتقال

لا يخفى ان بعض أنواع الموالح ولا سيما البرتقال غنية بالفيتامين . وقد توصل أحد تجار الفواكه بكاليفورنيا الى تجفيف عصير البرتقال وتحويله إلى مسحوق يسهل حفظه واستعماله مع احتفاظه بكل ما فيه من مادة الفيتامين

مرقص تحت الارض

فى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة منجم للفحم يبلغ عمقه ثلثمائة قدم تحت الارض .

وقد أقيم فى هذا المنجم مرقص ضخم هو أول مرقص من نوعه فى العالم ويستطيع أكثر من ثلثمائة شخص ان يرقصوا فيه بسهولة وهم فى جوف الارض

طيارة هائلة

صنعت شركة يونكرز الالمانية طيارة هائلة تبلغ قوتها ألف حصان وتستطيع ان تحمل خمسة آلاف رطل من المواد وأكياس البريد فضلا عن طن واحد من الغازولين و ١٧٥ رطلا من الزيت . ويبلغ مجموع حمولتها سبعة أطنان

استحمام السمك

أليس غريباً ان يكون السمك محتاجاً الى الاستحمام ؟ قد يكون الامر كذلك ولكن الخبراء بمصلحة مصايد الاسماك بالولايات المتحدة يقولون بوجوب غسل السمك من وقت إلى آخر بماء فيه قليل من حامض الخليك فان ذلك يقتل الحيوانات الطفيلية التى قد تكون عالقة به

آثار المكسيك

عثر الباحثون فى المكسيك على أحافير وآثار بقرب بلدة مونتى البان تدل على ان البلاد كانت مأهولة بشعب غريب ذى حضارة لم يبق منها إلا آثار دارسة . وهذا الشعب هو غير شعب الازتيك الذى يعرف علماء الآثار عنه أشياء كثيرة . ويظهر ان شعب الازتيك هذا بنى معابده واهرامه من حجارة منحوتة أخذها من بقايا آثار الشعب الذى نحن بصدده والذى ليس بينه وبين شعب المايا على ما يظهر أية علاقة

معالجة الدوار

بعض الذين يركبون متن الطيارات يشعرون بالدوار كالدوار الذى يشعر به المسافرون بطريق البحر

وقد ثبت الآن بالاختبار ان تناول جرعة كبيرة من اللبن الحليب قبل ركوب الطيارة يحول دون ذلك الدوار

للاستحمام

تباع الآن فى أمريكا ثياب خاصة بالاستحمام من مزاياها أنها تنشف حالما يخرج لابسها من الماء. وهذه الثياب مصنوعة من الصوف بعد معالجته بطريقة كيماوية . وهى مريحة للابسها ورخيصة جداً فضلا عن كونها خفيفة إلى حد ان لابسها لا يكاد يشعر بها

لاطفاء الحريق

اخترع أحد المهندسين الاميركيين مضخة لاطفاء الحريق بمواد كيماوية . وفى هذه المضخة جرس حساس اذا شم رائحة الدخان نبه أهل المنزل الى حدوث الحريق وذلك بقرعه قرعاً متوالياً

وفى الوقت عينه تواصل المضخة عملية مكافحة النار

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء الخامس عشر من السنة الثانية — صدر في أول ابريل سنة ١٨٩٤

جون ملتن الشاعر الانجليزي

ولد ملتن في لندن في ٩ يناير سنة ١٦٠٨ . وكان أبوه في بادىء الامر كاتباً لصكوك المقاولات والمشارطات ثم جمع ثروة عظيمة

وفي سنة ١٦٣٧ غادر بلاد الانكليز وسافر الى أوربا فمر بفرنسا وايطاليا وهناك التقى بغليليو الفلكي . والتقى بعلماء كثيرين . وكان في عزمه أن يتم سياحته في أوربا فبلغه شبوب الثورة في بلاده فعاد اليها ليشارك مواطنيه في سرائهم وضرائهم . وكان يناضل عن الحرية في القول والعمل ويدافع عن حرية المطبوعات . ومما استشهد به قوله : « ان غليليو الآن انما هو أسير التعصب لانه كان مسجوناً بسبب مجاهرته برأيه عن دوران الارض » فكان ملتن من اضداد حزب الملك . ولكنه مع ذلك تزوج بابنة رجل غني من حزب الملك . فلما غلب الملك فرت المرأة الى بيت أبيها ولم ترد الرجوع اليه ، فالف كتاباً في الطلاق . ثم عادت العائدة على حزب الملك وانتصرت الجمهورية فعادت اليه امرأته وترامت على اقدامه فعفا عنها . فلما ثبتت الجمهورية ببلاد الانكليز تألف مجلسها من ٤١ عضواً وتعين جون ملتن سكرتيراً للاعمال الخارجية ، وفي أثناء ذلك الف كتابه الموسوم « سلوك الملوك والحكام » أراد به اخماد ما جاش في خواطر الناس اذ ذاك

ثم شكا كارلوس الاول الشعب الانكليزي لدى محاكم أوربا لانهم خلعوه . وانتدب مدافعاً عنه اسمه (سلماسيوس) فدافع هذا دفاعاً شديداً حتى كاد يفوز بالحكم على خصوم الملك بالاعدام . وبما أن ملتن كان أحد هؤلاء الخصوم فقد أعمل فكرته والف كتاباً سماه « دفاع الانكليز » نقض فيه حجة « سلماسيوس » . فدوت له أوربا برمتها وشق ذلك على (سلماسيوس) فمات كمداً وحمله ذلك الفخر والفوز على مواصلة الدرس حتى أصيب برمد انتهى بفقد نظره . وكان الاطباء قد انذروه بالعمى اذا لم يكف عن الدرس فقال : « لا بأس من ابتياع الخير الكثير بالشر القليل » أراد أن العمى شر قليل وخير الوطن خير كثير . وكان فقد النظر زاد فيه الميل الى الشعر والتصورات الشعرية فأخذ في نظم رواية « الفردوس المفقود » حتى أتمها في خمس سنوات وعدد أبياتها عشرة آلاف وخمسمائة بيت . ونظم رواية أخرى سماها « الفردوس المردود » وفي أثناء نظمه للرواية الاولى سقطت الجمهورية وقامت الملكية فالتجأ الى بيت أحد أصدقائه خوفاً من انتقام الملك . وخاف عليه أصدقاؤه فاشاعوا موته وحملوا جنازته . ولكن خبره بلغ الملك فاراد قتله . فتوسط له كثيرون من حزب الملك

فعفا عنه . ولكنه أمر بكتبه التى كتبت ضده فأحرقت أمامه

وكان ملتن قد انهكه التعب والعمى ، فاقتصر عن الناس فزاره أخو الملك مرة وعرفه بنفسه ثم قال له : « ألا تظن أن الله أعماك قصاصاً على ما اقترفته فى حق أبى الملك ؟ » فقال ملتن : « اذا كانت المصائب قصاصاً للذنوب فان ذنب والدك يجب أن يكون أكبر من ذنبي لأنى بليت بالعمى أما هو فبلى بقطع الرأس » فغضب لهذا الجواب وذهب الى أخيه . وطلب منه قتل ملتن. فقال له الملك : « كيف رأيته ؟ » فقال « هرماً ضريراً فقيراً » فقال : « اذا قتلناه انقذناه من مصائبه » !

تشطير بيتين

اقترح أحد قراء الهلال فى الجزء ١٣ تشطير هذين البيتين :

« ليالى الوصل أفديها بروحي
وكل مقدس عندى ومالى »
« وإن غيرى أباها ليس بدعاً
فان البيع مرتخص وغالى »

فجاءه ردود كثيرة نذكر منها مايأتى :

« ليالى الوصل افديها بروحي »
وهل شيء ألذ من الوصال
فمن أجل الوصال اعاف نفسى
« وكل مقدس عندى ومالى »
« وان غيرى اباها ليس بدعاً »
لقد جهل المسرة كل خال
فلا تعجب بمن قد عاف حلواً
« فان البيع مرتخص وغال »

نقولا حداد

« ليالى الوصل افديها بروحي »
الا ياحبذا تلك الليالى
يهون على فيها كل غال
« وكل مقدس عندى ومالى »
« وان غيرى أباها ليس بدعاً »
فكم من جاهل قدر اللآلى
وان عجبوا بهذا البذل منى
« فان البيع مرتخص وغالى »
(...)

عن الجزء السادس عشر من السنة الثانية — صدر في ١٥ ابريل سنة ١٨٩٤

الجنازة عند قدماء المصريين

كان لقدماء المصريين عناية خاصة بأمر موتاهم حتى بنوا لهم الاهرام . وبذلوا الجهد فى تحنيط أجسادهم ، وانفقوا فى هذا السبيل المال والوقت الوفيرين

واحتفالهم بدفن موتاهم لم يكن احتفالا بحمل الجسد البالي الى التراب ، وانما كانوا يفعلونه اكراماً للنفس التى كانت حالة بذلك الجسد . وقد فارقته لمجاورة الآلهة فى دار الخلود

وأول عمل يباشرونه اذا مات احد منهم التحنيط وهو على طرق مختلفة . وقد ذكر هيرودت انها ثلاث تختلف نفقة وأسلوباً باختلاف

حالة الميت من الغنى والفقر . أما الفقراء فكانوا ينقعون أجسادهم فى النطرون اياماً ثم يدفنونها فى الصحراء أو فى الكهوف، وأما الملوك فكانوا يبذلون كل مرتخص وغال فى اتقان تحنيطهم ويقضون فى ذلك أياما ، فيغسلون الجسد ثم يستخرجون المخ من الانف ، وينزعون الاحشاء كلها ، ويغسلون التجاويف ثم يملأونها بانواع الطيوب والصموغ . ويجعلون فى احدى الاصابع خاتماً فيه فص بشكل الجعل ، ويجعلون جعلا آخر على صدره أو عند نحره يحيطونه بانواع الحلى ويجعلون فى تجويفى العينين قطعتين من الزجاج ويحشون الانف بقطع الكتان ثم يلفون الجثة بنسيج من الكتان الثخين ثم بلفافة ثالثة

وينقشون على الجعلان السابق ذكرها فصلا من كتاب الاموات عنوانه « حفظ القلب من الفشل فى الهاوية »

فاذا تم التحنيط على ما تقدم يجعلون الجثة فى تابوت من خشب الجميز مصنوع على شكل الجثة ثم يجعلون التابوت فى قارب أو بناء يشبه حجرة حسنة الصنعة كثيرة النقوش ، والحجرة مرتكزة على مزلقة يجرها من الامام الثيران يسوقها اثنان يحمل أحدهما قارورة وأمام الحجرة كاهن عليه جلد النمر — وهو لباس الكهنة الخاص — وفى احدى يديه قارورة الزيت يسكب منها على المزلقة ليسهل سيرها ، وبيده الاخرى وعاء يظن انه المبخرة يحرق عليها الطيوب وترى وراء الحجرة جمهوراً أكثره من النساء يبكين ويندبن ويحثين التراب على رءوسهن . وقد يمشى أمام التابوت كهنة يحملون طعاماً . أو شراباً وأشياء أخرى كالازهار والعقاقير الطبية يقدمونها عند دفن الميت

وقد يبقون الجثة بعد تحنيطها زمناً فى بيت الميت قبل دفنها ليندبوها . ومنهم من يبقيها سنة كاملة يقيمون فى اثنائها الولائم على نفس الفقيد . وهى عادة تشبه ما كان جارياً عند اليونان

بدعة آريوس

(مصر) استوروس افندى بشارة

أرجو من حضرتكم أن تكشفوا النقاب عن بدعة آريوس الهرطقى الشهير . وهى من أعظم المسائل التاريخية الكنسية ؟

(الهلال) آريوس أحد قسوس كنيسة الاسكندرية ولد سنة ٢٧٠ م وتوفى سنة ٣٣٦ م . وقد قام يعلم فى لاهوت المسيح تعليما غير مستقيم حتى ضل به كثيرون من الشعب ، واتهمه خصومه بانه ينكر لاهوت المسيح . وكان البطريرك الاسكندرى اذ ذاك الكسندروس فجمع سنة ٣٢١ مجمعاً مؤلفاً من مائة اسقف وحكم عليه بفصله من الكهنوت



عبد الله نديم افندي

خطيب الثورة العرابية

من كتاب لم ينشر لفقيد الادب والتاريخ المرحوم احمد تيمور باشا

نشرنا في الجزء الماضي من الهلال ترجمتين لاثنين من نوابغنا الراحلين وهما الشيخ علي الليثي وسلطان باشا . وقد اخترنا هاتين الترجمتين من بين التراجم التي دونها المرحوم احمد تيمور باشا في كتاب لم ينشر أسماه «تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر» . وها نحن ننشر في هذا الجزء ترجمة ثالثة لاحد أولئك النوابغ السيد عبد الله نديم (المحرر)

نشأته وحظه من التعليم

هو عبد الله بن مصباح بن ابراهيم الأديب الألمعي والخطيب المفوه ، نادرة عصره وأعجوبة دهره . ولد ابوه بلدة الطيبة بمديرية الشرقية في شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٤ . ثم انتقل الى ثغر الاسكندرية فكان في مبتدا امره نجاراً للسفن بدار الصناعة ، ثم اتخذ له مخبزاً لصنع الخبز . ومات بالقاهرة في ٤ رجب سنة ١٣١٠ . وولد المترجم بالثغر المذكور في عاشر ذي الحجة سنة ١٢٦١ ونشأ في قلة من العيش . ومالت نفسه الى الادب فاشتغل به واسترشد من اهله وطالع كتبه وحضر دروس الشيوخ بمسجد الشيخ ابراهيم باشا . وكان قليل الاعتناء بالطلب غير مواظب على الدرس ، إلا أن الله وهبه ملكة عجيبة وذكاء مفرطاً ، فبرع في الفنون الأدبية وكتب وترسل ونظم الشعر والزجل وطارح الاخوان وناظر الأقران . ثم بدا له أن يتعلم صناعة للمكسب فتعلم فن الأشارات البرقية ، واستخدم في مكتب البرق ببنها العسل ، ثم نقل الى مكتب القصر العالي سكن والدة الخديو أيام ولاية ابنها اسماعيل باشا ، وبقي به مدة عرف فيها كثيراً من أدباء القاهرة وشعرائها مثل الأمير محمود سامي باشا البارودي ومحمود افندي صفوت الساعاتي والشيخ احمد وهبي . ثم غضب عليه « خليل اغا » أغا القصر وكان في سطوة لم يبلغها كافور الأخشيدي فأمر بضربه وفصله . فضاقت به الحيل ورقت حاله حتى توصل الى الشيخ أبي سعده عمدة بداوي بمديرية الدقهلية وأقام عنده يقرىء أولاده ثم تشاحنا وافترقا على بغضاء . واتصل بالسيد محمود الغرقاوي أحد أعيان التجار بالمنصورة فأحسن منزله وفتح له حانوتاً لبيع المناديل وما أشبهها فكانت نهاية أمره أن بدد المكسب ورأس المال . وجعل يجوب البلاد وافداً على أكابرها فيكرمون وفادته ويهشون لمقدمه لما رزقه من طلاقة اللسان وخفة الروح وسرعة الخاطر في النظم والنثر ، فيطوف مايطوف ثم يأوي الى دار الغرقاوي بالمنصورة ، الى أن ورد طنطا سنة

١٢٩٣ واتصل بشاهين باشا كنج مفتش الوجه البحرى إذ ذاك . ولاتصاله به سبب لا بأس من ذكره - وهو أن الباشا المذكور كان بينه وبين الشيخ محمد الجندى أحد العلماء بالمسجد الأحمدى صحبة وتزاور ، وكان الشيخ يحب الغناء ويطرب له ، ولذلك كان يستحضر فتى حلاقاً حسن الصوت ليغنى له فى داره ، فأمره مرة أن يغنى بحضرة الباشا فغنى بقول المترجم

سلوه عن الأرواح فهى ملاعبه	وكفوا اذا سل المهند حاجبه
وعودوا اذا نامت اراقم شعره	وولوا اذا دبت اليكم عقاربه
ولا تذكروا الأشباح بالله عنده	فلو اتلف الارواح من ذا يطالبه
أراه بعينى والدموع تكاتبه	ويحجب عنى والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدنى الحبيب لصبه	سوى زفرة تثنى الحشا وتجاذبه
فلا انا ممن يتقيه حبيبه	ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه
ولو أن طرفى أرسل الدمع مرة	سفيراً لقلبى ما توالت كتائبه

وكان كثيراً ما يتغنى بها فطرب الباشا طرباً شديداً واستظرف قائل الابيات وتمنى رؤيته ، فارسلوا له بالحضور فلما حضر الى طنطا وواجهه استقبح صورته ، إلا أنه أعجبه ظرفه وآدابه ومال اليه فاتخذه نديماً لا يمل ورفيقاً حيث حل . فلما استقرت به النوى وملأ يده من الباشا استعداه على أبى سعدة الذى كان يقرىء أطفاله وادعى أنه أخر له ثلاثين ديناراً من أجرة التعليم ، فامر الباشا باشخاصه الى طنطا وألزمه أن يدفع للمترجم مائة جنيه فدفعها عن يد وهو صاغر . وكان مجلس شاهين باشا محط رحال الأدباء ومنتجع الشعراء والندماء ، لا يخلو من مطارحات أدبية ومساجلات شعرية وللمترجم بينهم المقام الاعلى والقدح المعلى . وحسبك ما وقع له مع طائفة (الأدباتية) وهم مشهورون بالقطر المصرى يستجدون الناس فى الطرق بانشاء الأزجال والضرب على الطبل ، وأغلب أزجالهم مرتجلة فى مقتضى الحال . فكان للمترجم معهم يوم مشهود ذكره فى مجلة الأستاذ

ثم اتصل المترجم بالبيك التونجى فجعله وكيلا على ضياعه ، وما زال حتى لحق بالاسكندرية مسقط رأسه ومنبت غرسه وكان منه ما سنقصه عليك

تلك خلاصة ترجمته فى أول امره ومبتدأ خبره

اشتغاله بالصحافة

وكان القطر المصرى فى تلك الاثناء فى اضطراب وهرج ومرج من اختلال الأحوال وفساد الحكام واعتلاء الافرنج على الاهلين ، وقد سئم الناس حكم اسماعيل باشا وتمنوا زوال دولته . فلما وفد المترجم على الثغر رأى لفيفاً من الشبان الفوا جمعية سموها « مصر الفتاة » يتآمرون

فيها سراً خوفاً من بطش الخديو، فعرف منهم البعض واشتغل بالكتابة فى صحف الأخبار فاعجب الكتاب بمقالاته واقتدوا به فى تحصيل الانشاء. وكان سقيماً منحطاً فى ذلك العهد. ثم سعى مع جمع من الادباء فألفوا جمعية سموها « الجمعية الخيرية الاسلامية » سنة ١٢٩٦ آخر سنى اسماعيل باشا فى الحكم وجعلوه مدير مدرستها

ثم عزل الخديو وتولى ابنه توفيق باشا ففرح الناس وظنوا انفراج الازمة. وجد المترجم واجتهد فى انجاح مسعاه فى الجمعية حتى حمل الخديو على زيارة مدرستها فزارها يوم امتحان تلاميذها وجعلها فى حماية ولى عهده عباس بك، وانعم لهم بالمدرسة البحرية يدرسون بها وأجرى عليها من الحكومة مائتين وخمسين ديناراً فى السنة مساعدة. وطفق المترجم يؤلف القلوب ويحض الاهلين على الالتئام بالمقالات والخطب ينفثها قلمه ولسانه، والف قصة تمثيلية سماها « الوطن وطالع التوفيق » وأخرى سماها « العرب » شرح فيهما ما كانت عليه حالة القطر وما طرأ عليه، ثم مثلهما هو وتلاميذه بأحد ملاعب الثغر بحضور الخديو فكان لهما تأثير كبير فى النفوس. واشتهر المترجم وعلا كعبه ولهج الناس بذكره ثم طرأ فساد على الجمعية نسبوه اليه فانفصل منها. وكان شرع فى انشاء صحيفة سماها « التنكيت والتبكيت » مزج فيها الهزل بالجد ظهر أول عدد منها فى ٨ رجب سنة ١٢٩٨

انضمامه الى العرابيين

وظهر فى أثناء ذلك وميض الثورة العرابية من خلل الرماد فوافقت هوى فى نفس المترجم لميله الى الشهرة وبعد الصيت فضموه اليهم وشدوا أزرهم به، فملأ صحيفته بمحامدهم ودعا الى القيام بناصرهم وخطب الخطب المهيجة ونظم القصائد الحماسية وندب الوطن ورثاه وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ اضاليل الافرنج. فأثرت قالته فى النفوس وأشربتها القلوب. وادعى الشرف وانتسب الى الامام الحسن السبط رضى الله عنه، والله أعلم بتلك النسبة فقد رأيت كثيرين ممن عرفوه ينكرونها. ثم أوقف صحيفته بعد أن ظهر منها ثمانية عشر عدداً آخرها تاريخه ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ وكانت اسبوعية تظهر يوم الاحد. وانتقل الى القاهرة وهى جذوة من نار فغير اسم صحيفته بأمر عرابى باشا كبير الثوار فسماها « الطائف » تيمناً باسم بلدة بالحجاز مشهورة وتفاؤلا بأنها تطوف المسكونة كما جابتها « جوائب » احمد فارس

واسترسل المترجم مع رجال الثورة، حتى صار جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، ولقبوه بخطيب الحزب الوطنى. وقام سراة القطر واعيانه يعقدون المجتمعات ويولمون الولائم للعرابيين ويدعون المترجم للخطابة، فكانت له بها المواقف المشهودة والايام المعدودة، حتى استفحل الامر وقامت الحرب بالاسكندرية بين الانجليز والمصريين يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩. فسافر المترجم اليها مع جماعة من رؤساء الجند وبات بها ليلة، ثم لحق بعرابى باشا وقد انهزم

الى كفر الدوار ، ثم انتقل معه الى التل الكبير . وهو ينشىء صحيفة « الطائف » بالمعسكر فيضمنها اخبار الانتصار ويحشوها بالاكاذيب تهدئة للافكار ، حتى وقعت الهزيمة الكبرى على المصريين فى التل الكبير . ففر عرابى باشا وعلى باشا الروبى ومعهما المترجم الى القاهرة يوم الاربعاء ٢٩ شوال من السنة المذكورة ، واتفقوا على ارساله الى الاسكندرية بكتاب يطلبون به العفو من الخديو فسافر به يوم الخميس . ولما وصل الى كفر الدوار بلغه القبض على زعماء الثورة ودخول الانكليز القاهرة فعاد اليها ليلا وبقى فى داره بجهة العشماوى الى الصباح

اختفاؤه

وخرج مع والده وخادمه فركبوا عجلة وقصدوا بولاق ورآه شاهين افندى فؤاد المفتش العقارى وهو من مماليك عباس باشا والى مصر فظنه غير مطلوب ، قال ولولا ذلك لقبضت عليه . فلما وصلوا الى بولاق ودعه ابوه واختفى هو وخادمه ولم يظهر لهما أثر . فاقام مختفياً نحو تسعة اعوام ، وقد اعيى الحكومة المصرية امره حتى جعلوا الف دينار لمن يرشد اليه ، وبثوا عليه العيون فلم يظفروا منه بطائل ، فلما أعيتهم الحيل حكموا عليه بالنفى مدة حياته من القطر المصرى . ويئس أصحابه من وجوده واشيع القبض عليه وخنقه سراً ومنهم من اشاع موته حتف انفه ومنهم من اشاع هربه الى بلاد الافرنج . فعد اختفاؤه من الامور الغريبة . ولا غرو فأمره غريب من اوله !

القبض عليه

وكان يتردد على بلدة الجيزة (امركز السنطة) رجل يقال له حسن الفرارجى كان منتظماً فى العسكر ثم استخدم جاسوساً سرياً ، فابصر رجلا انكر حاله لما رآه عليه من سيما الاختفاء ورجح أنه عبد الله نديم فكتب الى الديوان الخديوى ينبئهم بوجود رجل من العرابيين مختف بالجيزة ، وأسرع الى ديوان الداخلية وأوضح لهم أمره فاعطوه ورقة بحليته فلما تحقق منه اخبرهم به فأمروا بالقبض عليه ، وحضر من المديرية محمد افندى فريد وكيل (الحكمدار) ومعه نفر من الشرطة ستروا ملابسهم بثياب اخرى وأحاط بعضهم بالبلدة متفرقين وصعد وكيل الحكمدار مع الآخرين على تل مشرف على أفنية الدور ، وأحس المترجم بتلك الحركة فأوجس فى نفسه خيفة وأراد الانتقال الى دار أخرى فأخذ عيبته على كتفه وصعد على سطح المكان ، فابصره الذين على التل فصاحوا وصوبوا بنادقهم عليه وأمروه بالنزول فنزل ثم أحاطوا بالدار وطرقوا الباب طرقاً عنيفاً ، وايقن المترجم أنه مأخوذ لا محالة ففتحه لهم وواجههم متجلداً فسأله محمد افندى فريد عن اسمه فقال له : وسبحان الله . أتجهل اسمى وانت مأمور بالقبض على؟ انا عبد الله نديم ذو الذنب العظيم وعفو مولاى الخديو أعظم سلمت امرى لله ، فقبضوا عليه هو وخادمه وأعمامه

الله عن كتبه واوراقه ولولا ذلك لاصابه شر عظيم بسبب أهاجيه القبيحة للخديو واسرته . وكان القبض عليه فى ٢٩ صفر سنة ١٣٠٩. ولم ينل الواشى به شيئاً من الجعل لفوات الاجل المضروب للمكافأة . ثم استاقوهما الى المركز وسألوه عمن اختفى عندهم فلم يقر بأحد ، وسألوا خادمه وضربوه فأقر بالبعض ونقلوهما الى المديرية بطنطا فسجنا بعض ايام ووكيل النيابة بالمحاكم يوالى سؤالهما

نفيه الى يافا

وانتهى الامر بعفو الخديو عنه وعمن آواه ونفيه خارج القطر ، فاختار يافا ثغر القدس الشريف ووصلها فى غروب يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول ونزل عند السيد على افندى ابى المواهب مفتيها ولما دخل داره وعرفه بنفسه قام واعتنقه وضحك وبكى ، فأقام عنده شهراً ثم اتخذ له داراً وعرفه أعيانها وفضلاؤها وأكرموه وواسوه جزاهم الله خيراً . ثم رحل رحلته الى نابلس وسبطية وقلقيلا وغيرها من البلاد الفلسطينية . واجتمع بطائفة السامرة واطلع على كتبهم ومعتقداتهم كما رأيته بخطه فى كتاب ارسله لاحد أصدقائه فى مستهل رمضان . ولم يزل مقيما بيافا حتى مات الخديو وتولى ولده عباس باشا فى جمادى الثانية فعفا عنه واباح له العودة الى مصر. قال فى آخر ذلك الكتاب : «عزمنا على الحضور بعد العيد ان شاء الله تعالى فان موسم سيدنا موسى الكليم يعمل فى نصف شوال ولا احضر حتى ازوره مرة ثانية فانه صاحب الامر بالعفو عنى وان كان الظاهر خلافه ، وذلك انى عند دخولى حضرته الشريفة انشدته فى الحال :

رجوتك يا كليم الله حاجا ... اوجيها وقد حققت فضلك
فقل لى مثلما لك قبل اوحى ... إله الخلق قد اوتيت سؤلك »

فرأيته ليلا يقول لى : « قوم روح » ثلاثاً وكانت ليلة ٣ رجب وهو تاريخ صدور الامر». انتهى ما نقلته من خطه

عودته الى القاهرة

ولما عاد الى مصر استوطن القاهرة وأنشأ مجلة الاستاذ فى شهر صفر سنة ١٣١٠ فبرزت موشحة ببديع مقالاته وغرر أزجاله وموشحاته . وبدأت الوحشة فى اثناء ذلك بين الخديو والانكليز . وكان ماكان من عزله صنيعتهم مصطفى فهمى باشا كبير الوزراء ومعاكستهم فيما يريدون ، فقام المترجم يستنهض الهمم ويحض على موازرة الخديو ونبذ طاعة سواه وكتب فى ذلك المقالات الطويلة بالاستاذ ، حتى أحفظ الانكليز وخشوا من اتساع الخرق لمكانته السابقة من النفوس وسعى حساده بما سعوا ولفقوا مالفقوا ، فاوقفوا مجلته فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة واعادوه الى يافا منفياً بعد ان اعطوه اربعمائة دينار واجروا عليه خمسة وعشرين كل شهر واشترطوا ان لا يكتب بشأن مصر كلمة ، ولم ينفعه الخديو لقصر يده

شخوصه الى دار السلطنة

ولما استقر المترجم بيافا لم يسلم من السعاية به لدى السلطان فامر بابعاده فعاد الى الاسكندرية متحيراً وقد لفظته البلاد لفظ النواة ، فسعى له الغازى احمد مختار باشا وساعده حتى قبله السلطان المعظم عبد الحميد بدار السلطنة واستخدمه فى ديوان المعارف ووظف له خمسة واربعين ديناراً مجيدياً فى الشهر ، فقضى بها بقية ايامه شريداً عن وطنه بعيداً عن اهله وخلانه حتى اشتدت عليه علة السل

وفاته

فلقى حمامه فى الرابع من شهر جمادى الاولى سنة ١٣١٤ ودفن بمقبرة يحيى افندى فى بشكطاش . وضاعت مؤلفاته ودواوينه ولم يظهر منها إلا جزء من « كان ويكون » كان يطبعه ذيلا للاستاذ وكتاب آخر نسبوه اليه اسمه « المسامير » محشو بالهجو القبيح فى الشيخ أبى الهدى الصيادى نزيل دار السلطنة ، فمضى وكأنه لم يكن رحمه الله رحمة واسعة

ومن تأمل بعين الاتعاظ فى تقلب الاحوال بالمترجم وما ذاقه من حلو الزمان ومره وما قاساه مدة الاختفاء ثم النفى حتى مات غريباً ، حق له العجب وعرف كيف يعبث الزمان بأهل الفضل من بنيه

ونشأ المترجم فقيراً كما قدمنا وعاش فى قلة فان اصاب شيئاً بدده بالاسراف . وكان فى أول أمره يرتدى الثياب الافرنجية المعلومة ولما ظهر بعد الاختفاء لبس الجبة والقفطان واعتم بعمامة خضراء اشارة الى الشرف . وكان شهى الحديث حلو الفكاهة إذا أوجز ود المحدث انه لم يوجز . لقيته مرة فى آخر إقامته بمصر فرأيت رجلا فى ذكاء اياس وفصاحة سحبان وقبح الجاحظ . أما شعره فأقل من نثره ونثره أقل من لسانه ولسانه الغاية القصوى فى عصرنا هذا . وقد انتخب أخوه عبد الفتاح افندى جملة صالحة من مقالاته جمعها فى كتاب سماه « سلافة النديم » فارجع اليه ان شئت

ونحن ذاكرون من شعره ما يحتمله هذا المختصر . فمن ذلك مرثيته فى الخديو محمد توفيق باشا وقد اشار اليها فى كتاب أرسل به من يافا فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ يقول فيه : « غمنى وكدرنى موت الحضرة الخديوية لامور (اولا) لعفوه عنى واحسانه إلى (ثانيا) لسابقة معروفه معى وتوجهاته السابقة (ثالثاً) لصغر سنه (رابعاً) لصغر سن انجاله (خامساً) لصغر سن حرمه وما تقاسيه من حزنها عليه لما كان بينهما من شدة الالفة والمحبة (سادساً) لانه كان برزخاً بين مصر وبين نكبات انجلترا وغيرها . والله تعالى يجرى الامور على السداد . وسأبعث بمرثية رنانة

لحضرة والدى مصطفى بك ماهر رئيس ترجمة ديوان الحربية ليطبعها و ينشرها على حدتها ،
انتهى ما نقلته من خطه ، ولم اقف الا على ثلاثة ابيات منها ذكرها المترجم فى « الاستاذ » وهى :

ما للكواكب لاترى فى المرصد   والكون اصبح فى لباس اسود ؟
عم الكسوف الكل ام فقد الضيا   ام كلنا يرنو بمقلة ارمد ؟

وتاريخها

فلاتك الجنات قالت ارخوا   توفيق فى عز النعيم السرمدى

١٣٠٩

ومن مختار شعره قوله من قصيدة لم نعثر منها إلا على هذا القدر :

سيوف الثنا تصدا ومقولى الغمد   ومن سار فى نصرى تكفله الحد

ومنها

ومن عجب الايام شهم اخو حجى   يعارضه غر ويفحمه وغد !
ومن غرر الاخلاق ان تهدر الدما   لتحفظ اعراض تكفلها المجد

ويقال انه نظمها لحضرة شاهين باشا تبكيتاً لمن زعم قصور الشعراء عن معارضة ابى الطيب المتنبى فى قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدواً له ما من صداقته بد

قلت بين القولين فرق ظاهر للتأمل وأين الثريا من يد المتناول ؟ ومن شعره قوله ايام اختفائه وكتب بها الى صديق له يسليه على نازلة نزلت به :

ياصاحبى دع عنك قول العاذل   واسمع نصيحة عارف بالحاصل
اجمل تجد صفو الزمان فانه   من قسمة القدم الغبى الجاهل
ودع التغفل بالتعقل يستقم   امر المعـاش فحظه للغافل
وارض البلادة تغتنم من بابها   مالا وجاهاً بعد ذكر خامل
واذا ابيت سوى العلوم فلاتفق   بحروب دهر لا يميل لفاضل
قلب تواريخ الاولى سبقوا تجد   دنياك ما قيدت بغير الباطل
تجد الافاضل فى الزوايا كلهم   حال الحياة وبعدها بمحافل
العلم ستر كالسحاب به ترى   شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
هل ابصرت عيناك ديواناً به   مدح البليغ جميل سعد حافل
ان قلت اى فاذكر لنا من ناله   اولا فعش كالناس فى ذا الساحل
ضدان لاتلقاهما فى واحد   مال الغبى وحكمة للكامل

نظرية جديدة فى تعليل العبقرية

لا علاقة لحجم الدماغ بالذكاء والنبوغ

من الأوهام الشائعة بين العامة - بل بين طائفة من المتعلمين أيضا - أن بين حجم الدماغ والنبوغ علاقة محسوسة وانه كلما كبر دماغ الانسان كبر عقله . ومع أن هنالك أمثلة كثيرة يدل ظاهرها على صدق هذه النظرية فان هنالك أيضاً أمثلة أكثر لا تدل على صدقها

ويظهر أن العلم قد وفق الآن الى اكتشاف سر جديد من أسرار العظمة ، فقد وجد فرقاً واضحاً بين تركيب دماغ الرجل الاعتيادى وتركيب دماغ العالم

ولا علاقة لهذا الفرق بحجم الدماغ أو وزنه أو تلافيفه (غضونه) ولكن له علاقة متينة بمقدار الدم الذى يصل الى الدماغ ويغذيه . وكمية الدم هذه تفسر لنا سبب ذكاء زيد دون غيره من الناس وسبب مايبدو عليه من دلائل العبقرية أو النبوغ

وفى مقدمة العلماء الذين تنبهوا الى علاقة الدم بالدماغ والنبوغ الدكتور دونالدسون استاذ علم التشريح بمعهد ويستار بفيلادلفيا . فقد قضى هذا الاستاذ عدة أعوام يدرس أدمغة العلماء بعد وفاتهم ويقابلها بادمغة الافراد الاعتياديين ليرى الفرق بينها ويستخلص منها سبب النبوغ ، فكان يدرس مقاييس تلك الادمغة وأوزانها وأشكالها ومقدار الدم الذى يصل اليها ، الى أن ثبت له بوجه قاطع أن الدم الذى يصل الى الدماغ بواسطة الغشاء الوعائى المغلف للدماغ والحبل الشوكى والمعروف عند الأطباء بغشاء « الأم الحنون » (Pia Mater) هو سبب العظمة والنبوغ

ولا يخفى أن هذا الغشاء دقيق جداً وهو أدق وأرق وأطرى من ورق السيجارة ، ويكسو الدماغ كله بأخاديده ونتوآته ويغذيه بالدم الذى ينقله بواسطة أوعية دموية

اذا فحصت دماغ عجل بعد ذبحه رأيت فيه كتلا دقيقة من دم متجمد اذا سحبت كتلة منها وجدتها عالقة بكتل أخرى بواسطة خيط دقيق . فهذا الخيط هو فى الواقع غشاء « الأم الحنون » قد انفتل بعضه على بعض فأصبح دقيقاً جداً يحمل كتل الدم التى تجمدت بعد حصول الوفاة

وفى أثناء فحص دماغ أحد الموتى أزال الدكتور دونالدسون غشاء « الام الحنون » ووضعه جانباً على أن يفحصه بعد فحص بقية أجزاء الدماغ ، وكانت المباحث العلمية الحديثة تدل على أن ترتيب الاوعية الدموية فى الغشاء المذكور يختلف اختلافاً كبيراً باختلاف الاشخاص وأن لهذا الاختلاف معنى خاصاً . وفى الواقع أن المنطق يرغمنا على التسليم بان للمواد المختلفة التى

يتألف منها الدماغ شأناً أعظم من شأن حجم الدماغ وشكله . والقرائن كلها تدل على أن الدم هو القوة التى وراء الدماغ والتى تحركه ، وأن العوامل التى تتحكم فى إيصال الدم الى الدماغ هى من العوامل الاساسية المهمة جداً . ومما يدل على قيمة الدم بالنسبة الى الدماغ انه اذا جرد الدم من الدماغ حدث الاغماء

وكان العلامة هندز قد درس تركيب أوعية الدماغ الدموية فوجد بين ذلك التركيب والقوى العقلية علاقة عظيمة . فكلما كانت تلك القوى أعلى وأتم كان تركيب الأوعية الدموية فى غشاء « الأم الحنون » أكثر تعقيداً . وكلما كثرت تلك الأوعية كانت تغذية خلايا الأعصاب أوفى وأتم

وقد استخلص الدكتور دونالدسون من هذه الحقائق نتيجة منطقية وهى أن الدماغ - ككل عضلة أخرى من عضلات الجسم - يعمل أحسن كلما كثرت كمية الدم التى تغذيه ، وبعبـــارة أخرى ان بين الدم وقوة العقل صلة لا يمكن إنكارها

وإذا سلمنا بهذه الحقيقة وجب علينا أن ننظر فى فرض آخر محتمل وهو أن لتركيب مادة الدم نفسها - وليس لكمية تلك المادة فقط - علاقة متينة بقوة العقل . وفى الواقع أن بعض العلماء قد أثبت أن الدم الذى يتلقـاه الدماغ يؤثر فى خلايا أعصاب الدماغ تأثيراً محسوساً ويحدث بها تغيرات واضحة . وهذه التغيرات تتفق اتفاقاً تاماً مع التغيرات التى تطرأ على وظيفة الدماغ . على أن المباحث فى هذا الشأن لا تزال فى أول عهدها . ومع أن العلم قد يعجز فى المستقبل عن زيادة عدد الأوعية الدموية فى غشاء « الام الحنون » إلا أنه قد يستطيع تعيين المواد الغذائية لتحسين نوع الدم الذى يصل الى خلايا الدم وجعل ذلك الدم غزيراً

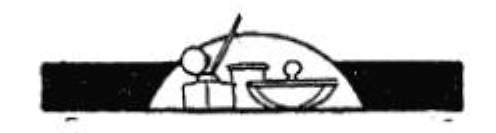
ومما يجدر بالذكر أن علماء الفراسة كانوا حتى عهد قريب يعتقدون ان للقاحد (جمع قمحدوة) وجميع النتوءات البارزة فى أدمغة بعض الناس علاقة وثيقة بمرتبة القوى العقلية . ولكن هذه النظرية ما كانت لتقنع الثقات من أهل العلم الذين بحثوا ولا يزالون يبحثون عن سبب الفرق بين شخص وآخر فى قواهما العقلية . ومع أن للعامل الذى بسطناه (أى كمية الدم ونوعه) تأثيراً عظيماً فى تلك القوى فمن المحتمل أنه ليس بالعامل الوحيد . وقد حاول طائفة من العلماء فى النصف الاول من القرن التاسع عشر - وفى مقدمتهم فرانز جول - أن يثبتوا وجود علاقة بين شكل الجمجمة والقوى العقلية وأن يبرهنوا على أن بين هذه القوى ونتوءات الجمجمة صلة وثيقة ، الا أن نظرياتهم لم تحز قبولا إجماعياً لدى جمهور العلماء . وكان « فرانزجول » المشار اليه يقول ان نتوءات الجمجمة تقابلها نتوءات الدماغ فى الداخل ، وان لكل نتوء وظيفة أو عملا معيناً . على أن كل ما فعله فرانزجول هو أنه حول اهتمام علماء الفراسة من الوجه الى الدماغ

وجاء بعد ذلك علماء قالوا بوجود علاقة بين وزن الدماغ والقوى العقلية وذهبوا إلى أنه كلما

زاد وزن دماغ المرء زادت قواه العقلية . ومع أن هذه النظرية كانت تصدق فى حالات كثيرة الا أن وجود شواذ كثيرة لا تنطبق عليها جعلت العلماء يرتابون فى صحتها . فاللورد بيرون مثلا - وهو من نوابغ الشعراء الانجليز - كان ذا دماغ كبير جداً . ولكن نبوليون وأناتول فرانس وغيرهما من عظماء التاريخ كانوا ذوى أدمغة خفيفة . وكان لويس أجاسيز العالم الاميركى المشهور ذا رأس كبير جداً ولكنه لما مات ووزنوا دماغه وجدوه خفيفاً جداً

وجاءت بعد ذلك نظرية أخرى وهى نظرية تلافيف الدماغ أو تجعداته . وخلاصة هذه النظرية أنه كلما كثرت تجعدات الدماغ كانت القوى العقلية أرق . إلا أن طائفة من العلماء شرحوا أدمغة عدد كبير من العظماء فوجدوا أن النظرية تصدق فى حالات ولا تصدق فى حالات أخرى

وظهرت بعد ذلك نظرية أخرى لا يزال لها شأن عظيم حتى الآن ، وهى أن فى الدماغ عدة «مراكز» لكل مركز منها وظيفة معينة . فهذا للسمع وهذا للبصر وهذا للنطق وهذا لتعلم اللغات وهذا للذاكرة وهلم جرا . ومنذ ظهرت هذه النظرية أخذ الكثيرون من الناس يوصون بأدمغتهم بعد وفاتهم للمعاهد العلمية لكى يدرسها العلماء لعلهم يهتدون منها الى أسرار العقل المستغلقة . وفى أوربا وأميركا اليوم معاهد خاصة بدرس الدماغ وفى مقدمتها «جمعية المباحث الدماغية بجامعة كورنيل بأميركا» ، ومعهد ويستار . وفى المعهد الأخير قام الدكتور دونالدسون بمباحثه ، وعلى هذه المباحث بنيت هذه المقالة . ولا يزال هذا العالم يدرس ويبحث ليكتشف أسرار النبوغ ، وقد درس أدمغة الكثيرين من العظماء فوزنها وقاسها ودرس تركيبها وتجعداتها واشكالها وحجومها . وهو يعتقد أن القرائن كلها تدل على أن العامل الوحيد الذى يتحكم فى القوى العقلية فيضعفها أو يقويها هو مقدار الدم الذى يغذى خلاياه بواسطة الأوعية الدموية التى فى غشاء «الأم الحنون» . ويعتقد هذا العالم أن ثقل بعض الأدمغة ناشىء على الارجح عن ثقل خلايا الاعصاب التى فى تلك الادمغة ، وان كبر حجم بعضها دليل على توافر عوامل نموها وعدم وجود ما يعوق ذلك النمو ، وأنه ليس بين ثقل الدماغ أوحجمه من جهة والقوى العقلية من جهة أخرى اية علاقة ، وان القرائن كلها تدل على وجود علاقة متينة بين القوى العقلية من جهة وكمية الدم التى تغذى الدماغ بواسطة أوعية «الام الحنون» من جهة أخرى



المقامات العباسية ـ ٦

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

حدث عباس بن غسان عن نفسه قال :ــ

كنت قد عقدت النية على أن احترف المحاماة فى مكتب واحد مع صديقى محمود ، ولكنه اضطرته تكاليف الحياة أن يذهب الى مدينة الفيوم حيث أقام محامياً يروح ويجىء بينها وبين بنى سويف

أما أنا فساقتنى الصدفة على يد صديق للاسرة قديم فأدخلنى مكتب محام فى مصر أتمرن فيه على تحضير القضايا والحضور فى المحاكم عن المتقاضين

ومرت بنا سنتان طويلتان لم يشاهد فيهما أحدنا الآخر ، ولم نكن نتبادل الرسائل موقنين كلينا بان التفاهم أفصح فى القلب والفكر منه على الورق ، وأن الغرض من رسالة تبعث بها الى صديقك يجب أن يكون أمراً معيناً تطلبه أو تبينه ، وأما اذا كان تعبيراً عن عاطفة شوق أو بثاً لوحى الود فدعه جانباً ، لان الصداقة أبلغ من أن يفسرها كتاب أو توحى بها رسالة

وانك فى الواقع عندما تكتب وتطيل الشرح ـ سواء أكان ذلك لصديق أم لامرىء تعرفه ـ فانك تكتب لنفسك ، اللهم الا فى أمور معينة تجيب عليها أو تطلبها ، شأنك فى مكاتبة أحد التجار أو العملاء . وليس هذا ما أرمى اليه ، انما اقصد الرسائل التى يخلفها لنا التاريخ فى الادب أو فى الفلسفة ، فانها حررت وأرسلت من محررها واليه ، فهو يجيش بصدره الرأى فيقوله لنفسه ، ثم يرى أن المجال ضيق وانه يكاد يختنق ان هو كتم الامر وحال بينه وبين الظهور فيبعث به رسالة الى صديق ، وليس لهذا الصديق يد فى الخطاب ولا رجل ، فلا هو يفهم سر الرسالة ولا يدرى الباعث عليها حتى تنشرها الايام . لذلك كنت على اتفاق مع محمود ألا نكتب ولكننا نجتمع ونتكلم فيفهم أحدنا صاحبه الفهم الحقيقى

ودخل على ذات يوم فجأة ـ بعد طول الغياب ـ وسلم وجلس وقال : « لقد ضقت بالحياة ذرعاً . قاتل الله الفيوم والارياف والمحاماة ويوم احترافى لها مهنة »

فدهشت لصديقى يغضب وكان مشهوراً بالحلم وسعة الصدر ، فقلت : « ماذا جرى ؟ اتبرماً بالمحاماة أم بسكنى الريف ولما يمض بك غير سنتين ؟ فكيف اذا دار الزمن عشراً ؟ »

قال : « سنتان فى عذاب مقيم . فقد فهمت كل شىء وتمرست بكل شىء وتقززت نفسى من كل شىء

« أرأيت الى احلام الصبى وآمال الشباب قبل دخولك ميدان العمل؟ أرأيتها كيف تتبخر وتضمحل ، وتطلع فلا ترى مكانها الا دخانا قاتما يسد الانفاس؟ - هذه هى حالى

« كنت أحلم أن أقف محامياً اذود عن الضعيف حتى آخذ الحق له وأحول بين الاستبداد والظلم وبين الفقير فانقذه من مخالبهما فى ساحة القضاء تحت حكم القانون . وقد كنت امنى نفسى بفصاحتى اظهرها للملأ وبحسن نيتى يعرفها الناس

« فاذا جئت وماذا رأيت ؟

« دخلت دار المحكمة فى أول مرافعة لى وقد درست القضية وعلمت بواطن امورها وظواهرها وأحضرت دفاعاً قوياً يظهر وجهة نظرى فيها . فما بدأت الكلام حتى تذمر زملائى المحامون كلهم يطلب منى الاختصار فى القول حتى يأتى دورهم وينصرفوا الى أعمال اخرى . ورأيت القاضى يقلب أوراقاً أمامه قلت انه يدرس فيها ما ايته له . ثم سألنى سؤالا ادركت منه انه لم يفقه حديثى ولم يسمع كلامى فاستشطت غضباً وأخذت اعيد الكلام ، فاذا القاضى والمحامون يلحون بان اكتفى بالمذكرة الكتابية ، وتأجل النطق بالحكم

« فخرجت مخبئاً فى صدرى الفصاحة التى اعددت والغضب وخيبة الامل اللذين حصدت »

انا (ضاحكا) — ليس فى الامر كارثة عالمية ، وما عهدى بك احمق !

محمود — انت لم تشتغل بعد محامياً مستقلا حتى تعلم ما اعلم . وليس الامر فى المثل الذى ضربته لك بل فى كل ناحية من نواحى المهنة

« انى اومن ايماناً راسخاً بالشباب فلا استطيع أن أتصور شاباً تعلم تعلمنا يدخل ميدان الحياة مشبعاً بروح الكسب المادى أو الغاية الدنيئة ، لا ، فانه من قمة رأسه الى اخمص قدمه آمال ومطامع ومثل عليا . ولكنه يصطدم فى كل خطوة من خطوات شوطه فى ميدانه بما يهدم آماله ويكذب مثله

« فقد كنت أرى فخر المحامى فى الوقوف الى جانب الفقير يساعده على فقره أو الى جانب المجرم يخفف عنه جرمه ، فاذا بى ارانى ان لم اكن المحامى الوكيل عن اصحاب الدور والاطيان ظللت أبد الدهر متعطلا وبقيت فقيراً غير محترم ، واذا انا أرى المحاماة أخذاً بيد الغنى فينتفع الفريقان ، وتنفيذاً لحكم القانون فى الفقير فيزداد الفقير بؤساً وتقوى صولة القانون وتفر الرحمة والعدالة من الارض

« كنت أرى أول واجب على فى مهنتى أن أحسن الظن بالزميل فاكرم عمله واحترم قوله . فما لبثت أن رأيته يستغلنى لغرضه ويخلف معى القول والعمل - فما بالك به مع غيرى - فكره الى الزمالة

« وانك قد تفهم الخصم فتأخذ عدتك له وتحتاط وتتقيه مهاجماً أو مدافعاً ، ولكن ماقولك فى موكلك ؟ انه ألد عدو لك ، انه يبدأ علاقته بك مضمراً الشر ، والشر كثيرة انواعه متعددة

طرقه ، يخفى عنك الحقيقة ويسخرك فى كل ساعات عملك وراحتك ويسىء الظن بكل كلمة تقولها للخصم او بحديث تسوقه الى زميلك محامى الخصم

« ثم اذا قضى وطره من قضيته انقلب عليك لائماً ليهرب من مكافأتك أو فر هارباً ، فاذا كان شريراً فاسقاً أتبع غيبته بشكوى يتهمك فيها بما يسىء الى سمعتك وشرفك فى مهنتك

« ولو احببت أن اضرب لك الامثال لسقتها أقاصيص واقعية تأ كل الاحاديث كلها

« فرأيت الآن الحقيقة ولمستها بيدى ، ان على أن اختار واحداً من أمرين : اما الفقر والانزواء مع البقاء على مبادىء الكتب ، وإما النجاح المادى والضرب بكل ماكان عزيزاً على عواطفى عرض الحائط

« فأنا معذب لانى لا استطيع الاختيار فانجدنى برأيك »

وقد كان صديقى فى عذاب حقاً . فانى اعرف منه صراحته فى عاطفته واحلامه التى كان يعيش بها أيام الدراسة ، فاشفقت عليه من صدمة خيبة الامل ، رغم ماكان عليه من ظواهر حال حسده عليها كثيرون من الذين بدأوا الجهاد فى الحياة معنا فى جميع ميادين الجهاد

فقلت : خفف عنك ايها العزيز ولا تبالغ . فانت تنظر الآن الى ناحية واحدة من نواحى عملك فتراها سوداء . ولكنك لا تلبث ان تظهر لك ناحية أخرى بيضاء بعد حين

محمود — مللت الانتظار فلست بالصبور وليس لى من التغيير مفر . فاما بلد آخر أو خدمة فى الحكومة ، ارمى بالمشوانية جبين الدهر وانتقم لنفسى من اخى هذا الفلاح الذى احببت واضمرت له الخير فاذا به يسر الخير لبقرته ولأرضه ويضمر الشر لما عدا ذلك . انى ضيعت أيامى افكر فى تحسين حاله الاجتماعية بمشاريع درستها فى كل كتب الافرنج والعرب ، فما لقيت منه إلا ازدراء كل شىء غريب عنه وما عرفت فيه إلا الاستبداد يظهره فيمن هو دونه والمكر يخبئه لمن هو فوقه

فأجبت وقد أحببت أن أحول تيار فكر صديقى : انك تشكو وحالك خير من حالى . فها أنا فى العاصمة فى مكتب محام لا أعلم بماذا أصفه لك

« فهو طيب وسخيف . ساذج وماكر . صادق ومنافق . لا يفعل الشر ولا يستطيع الى الخير سبيلا . كل رأس ماله عقل كاللولب يبعثه من مرقده فى تصريف التافه من الأمور المكتبية ويغفل عما هو نافع . وقته ضائع بين تنظيم موائد الكتابة والتقنين للكتبة بمواد لا يفتأ يغير فيها ويبدل ، ويعلقها على الحائط تارة أو على الأبواب أخرى . فللدخول عليه قانون وللكاتب الاول لائحة وللثانى لوائح ولترتيب أوراق القضايا لوائح أخرى

« فكيف ترانى أعاشر مثل هذا ؟ وهل يتفق ما أرى مع ما ظننت انه سيكون ؟

« صدقنى يا محمود ان الحياة سلسلة حلقاتها اصطدام يتلوه اصطدام بين ما هو فى عقلك او فى

ميلك وما هو فى الواقع المتعارف . فاللبيب اللبيب من عرف أن يكيف عقله على دهره لا أن يقلب دهره ليطابق عقله »

محمود ـــ إذاً على كل سبل الاصلاح العفاء ، ولنعش كالبهائم نأكل ونشرب وغداً نموت

أنا ـــ أسرفت . افهم ما أقول . أواثق أنت من عقلك أو من هواك تسير عليهما حوادث الدهر ونظم الناس ؟ آراؤك التى تقيمك وتقعدك وعقيدتك التى تحركك فلا تستطيع الاستقرار أهى هى اليوم كما كانت عليه أيام التلمذة وما ستكون عليه بعد عشر سنين ؟ أم تود أن تغير فى الناس وفى الاحوال أبداً دائماً متبعاً تبدل آرائك وتقلب مبادئك ؟

محمود ـــ ولكن من المبادىء ما لا يتغير أو ما لا يجب أن يتغير

أنا ـــ صحيح . والعبرة فى جلب الناس الى هذه المبادىء أو ـ بعبارة اصح ـ بلفت الناس الى هذه المبادىء الكامنة فيهم كمونها فيك . فالبذرة التى تظنك احتكرت زرعها تجدها عند غيرك كما هى عندك مع قليل من الفرق فى عمق التربة . ولم يقم مصلح فى زمن من الازمنة بشىء لم يكن له فى قلوب الناس وعقولهم استعداد وقبول

محمود ـــ أرى الفلسفة غالبة على امرها معك اليوم . وذلك انك لم تحتك بالناس ولم تعاملهم بعد . اصبر قليلا . فعملى فى الارياف واندفاعى فجأة من نظريات الدرس فى الكتب فى بيئة خاصة الى أخذ وعطاء فى بيئة أخرى ارتنى مالا تستطيعه انت ولا فلسفتك

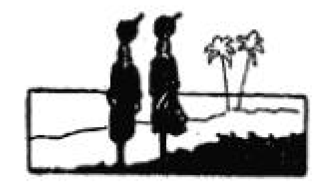
« ولقد حان وقت الغداء وبى جوع شديد فهلم الى الاكل »

قلت : حسناً تفعل فالجوع كان ولا يزال محركا قوياً للثورة

واذا بيد محمود واصابعه القوية تشد فى ذراعى شداً كاد يزهقنى ويقول : اصمت . اخرس . قاتل الله كل مافى دماغك من دعوى علم فارغ

فسكت خوف أصابعه وهرولنا الى البيت

سامي الجريديني



المناعة من الامراض

للدكتور عبد الواحد الوكيل

استاذ علم الصحة والطب الوقائي بكلية الطب

لعله لايوجد بين الامور الحيوية الغامضة ــ التى رفعت يد العلم بعض أستارها ــ صورة أروع ولا صحيفة أبدع مما يستطيعه الجسم لمدافعة الامراض والتوقى من العلل

الجسم فى ظاهره للعين المجردة لحم وعظم ودم . ولـكنه فى الحق ثـكنة دفاع وخزانة اسرار سبحان خالقها . لا يكاد يشعر صاحبها بوجودها ، بينما هى تسهر اذ ينام وتعمل اذ يلهو وتعينه حين يحتاج بغير سؤال

والطبيعة التى خلقها الله ــ ونعلم انها جعلت القوة البدنية والعقل مداراً لتنازع الحياة بين المخلوقات وحاكما لبقاء الافضل والاقوى ــ نراها عكست فى بعض خلقها آيتها . فجعلت من الـكائنات المتناهية فى الضآلة (وهى الميكروبات) ما هو مع دقته وصغره أشد خطراً على الجسم من أى عدو جبار مفترس ، لاتغنى فى مكافحتها كثرة الدم ، ولا قوة العضلات وصلابة العود ، ولا سرعة الخاطر وحدة الذهن

فكيف اذن يستطيع الجسم بوسائله العادية ان يجالد أو يتقى عدواً لا تراه عدسة العين الطبيعية ؟! مع انه قد توجد منه الآلاف فى الطعام الذى يأكله وفى الشراب الذى يتناوله وفى الهواء الذى يستنشقه ؟ وهو عدو يتناسل حين يجد الوسط المناسب مابين يوم وليلة بالملايين . وسلاحه السم الذى لاندرك كنهه وان أدركنا فعله ، السم الذى ليس له دواء فيما خلق من جماد أو حيوان أو نبات !

كان حقاً اذن أن تقدم الطبيعة للجسم وسيلة للدفاع يغتنمها وقت الحاجة حتى لا تسرع اليه يد الفناء ، والا اضمحل الـكون وساد الخراب عالم الحيوان والانسان وادرك الموت هذه الحياة

ولذا نراها تمنح الجسم قدرة خفية لمقاومة تلك المـكروبات الخفية ، فامكنته عند حاجته ان يحضر بنفسه ولنفسـه الدواء من سمومها ، وجعلته ليس خزانة من دم ولحم وعظم فقط بل أيضا معملا حيوياً كيمياوياً متحركا . بل جعلت الطبيعة من الميكروبات ذاتها أو من سمومها منشطاً لذلك المعمل العجيب يمده بالقوة . فاذا دخلت الميكروبات الجسم هبت بعض خلاياه الداخلية الى مكافحتها وصنع الترياق الشافى من سمومها ، وهو ما اصطلح الاطباء على تسميته « المواد المضادة » وتكتب الحياة او الموت بمقدار ما يقدم الجسم من هذه المواد إبان علته

فاذا قدرت النجاة من المرض وتمت السلامة رأينا ظاهرة أخرى هى من أعجب الامور

التى تشملها هذه الحياة ، وهى ان الاصابة بكثير من الامراض المعدية تقى المصاب مدة طويلة أو قصيرة ، فلا تعاوده فيها مرة أخرى . فالجدرى والتيفوس والدفتيريا والحمى القرمزية والسعال الديكى والحصبة والتهاب الغدة النكفية — مثلا — يكون مريضها عادة بعد الشفاء آمناً منها طول حياته لا تصيبه مهما تعرض لها أو اقتحم أخطار عدواها

كما أن هناك امراضا اخرى كالحمى الراجعة وغيرها تكسب الجسم مناعة مؤقتة لعدة شهور بعد الشفاء منها ، ومن ثم تختفى هذه المناعة رويداً رويداً

ويقوم هذا دليلا بيناً على ان الاجسام تستطيع ان تختزن فى بعض الاحوال من « المواد المضادة » ما يكسبها مناعة من العلل ووقاية من العدوى

☆ ☆ ☆

على ان مشاهداتنا فى الحياة لا تقف عند هذا الحد ، بل تتجاوزه مع الامعان والتبصر الى ما هو أكثر غرابة وأبلغ أثرا وان كان أندر حدوثا ، وهو امكان اكتساب المناعة بدون المرض ، بل وامكان حدوثها بدون ان يشعر صاحبها بحظه السعيد منها

فنشاهد ان الاطباء وغيرهم من خدام المرضى يكتسبون بالتدريج شيئا من المناعة ضد الحميات ، اذ يصابون على الدوام بجزء من جراثيم الامراض القادرة على تنشيط اجسامهم بتحضير الترياق ، ولكنها غير كافية لاظهار أعراض الداء فيهم

ونشاهد أن المرء كلما طال عمره قلت قابليته لكثير من العلل الوبائية ، لأنه وهو فى طريق حياته يكتسب المناعة منها بما ينال من رشاش مكروباتها

ونشاهد أن الطفل الرضيع حتى يبلغ الشهر السادس من حياته يكون أكثر أمناً من عدوى الامراض ، لان دم أمه الذى يجرى فى أوعيته لا يزال يحوى شيئاً من مختلف الترياق الذى اختزنته فى حياتها لكنه سرعان ما يفقده

وأخيراً فاننا نشاهد — وخاصة عند تفشى الاوبئة — ان من الناس من ينجو من العدوى مهما تعرض لها ، كانما قد أفاضت عليه الطبيعة ستاراً مانعاً أو حبته بما يقوم عليه حارساً حفيظاً

هذه بعض امثلة نصادفها فى الحياة اليومية تقوم دليـلا على وجود المناعة ، وانها قد تكون طبيعية أى هبة إلهية — وهو النادر — أو مكتسبة يصطنعها الجسم بنفسه لنفسه أو ينالها من دم غيره

وكانت هذه المشاهدات وغيرها مما سنأتى على بعضه هى الأسس التى قامت عليها الوقاية كعلم طريف نافع ، ولعمرى انه لمن أمجد الاكتشافات التى تمخض عنها الطب الحديث ، وبالاخص علم البكتريولوجيا فى الستين سنة الاخيرة

وقد قتلت تلك المشاهدات بحثاً وفحصاً ولا تزال ، واقتبست طرائقها لخير بنى الانسان وخير

الذلول من حيواناته ، وأمكن للعلم الحديث أن يهبنا المناعة من الامراض بالطرق الصناعية كما نرتدى الملابس للوقاية من عوادى الجو

ففى بعض الاحوال يتحكم فى ذلك المعمل الخفى فى أجسامنا ويدفعه ليحضر من المواد المضادة أو الترياق ما يكفل نجاتنا أو تخفيف وطأة الداء علينا ، وفى البعض الآخر يحضر الترياق فى أجسام الحيوانات ومن دمائنا ويعرضها بضاعة تباع وتشرى فى الاسواق لمن يريد

ولا ينبغى أن ننسى أن الطب كغيره من العلوم هو سلسلة من الاختبار ذات حلقات تتصل فيها تجارب الخلف بتجارب السلف . والفضل فيها شائع تصعب قسمته وتوزيعه بين ذويه . وهذا علم الوقاية مثل وعبرة

فأهل التجربة والرأى حتى من غير الاطباء ألموا فى الازمنة الماضية بوجود المناعة ونتائجها ، وان هم لم تمكنهم وسائل عصرهم من اكتشاف بعض أسرارها الخفية بالحس كما مكنت من جاء بعدهم المجهرات العظيمة القوة وأجهزة تفريخ المكروبات والطرائق المبتدعة لانمائها واستقراء طرق حياتها وتجربة مفعولها على الحيوانات وغير ذلك

كان ابقراط وهو أبو الطب الذى عاش ومات من ٢٢ قرنا يقرر فى تعاليمه الهامة ان ما يسبب المرض هو أيضاً قادر على شفائه . . كأنما يقصد ما نعرفه الآن من ان المكروبات كما تورث الجسم المرض تدفعه الى صنع ما يكافحها ويفنيها . أو على حد قول الشاعر العربى حين أمضه العاذلون :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

مع العلم بأن هناك فرقاً غير قليل بطبيعة الحال بين المكروبات وبين معشوقة هذا الشاعر اللبيب

وكان « بلينى » الاكبر أحد الاطباء المبرزين بين القدماء يصف لعلاج داء الكلب أكباد الكلاب الكلبة . ولعمرى ما أشبه الليلة بالبارحة ، فان العلاج الحديث ـ المسمى « لقاح باستير » ـ لداء الكلب يستعمل فيه ما يقرب من ذلك

وقد ذكرت بعض الاساطير اليونانية أن أحد أبطال تلك القصص الخرافية ويدعى « تليفوس » جرح فى معركة فشفى جرحه بتضميده من صدأ السيف الذى اصابه . ولا شك ان هذه الاقصوصة زائفة وهمية فى أصلها وموضوعها ، وان كانت تنطبق على تعاليم ابقراط وتدل على شيوع نظرياته

وذكرت أسطورة أخرى بديعة هى أن « اكيلس » أحد ابطال الالياذة والذى كان مثلا أعلى للقوة والشجاعة ، كانت النصال تصيبه فلا تؤثر فيه الا فى مكان واحد يقع خلف عرقوبه ، وقد أصابه أحد أعدائه فى هذا المقتل بسهم فأرداه

كذلك ذكر أن « متريداتس » أحد ملوك نبطوس فى القرن الثانى بعد الميلاد ، كان يشرب دماء البط بعد تسميمها ، وقاية لنفسه من كيد اعدائه

بل أنه عند ما كان القتل بالسم — وخاصة بالزرنيخ — فاشياً فى عهد ملوك فرنسا بالقرنين السابع والثامن عشر ، يتخذه الخصوم طريقا سهلا للتخلص من أعدائهم — فى ذلك العهد التجأ الكثير من الاشراف وكبار الساسة والقواد الى بعض الافاقين لوقاية أجسامهم من فعل السم وسريانه خشية من دسه فى طعامهم أو شرابهم

☆☆☆

ظل علم المناعة — فيما عدا ذلك وغيره من المعتقدات أو التجارب المحدودة — شيئاً مبهماً الى ان جاء « جنر » وهو طبيب انجليزى نابه ولد فى منتصف القرن الثامن عشر بمقاطعة « جلوستر » بانجلترا ، واليه يرجع فضل كبير فى انعاش نظريات المناعة والانتفاع بها . وقد تتلمذ فى صغره لبعض فحول العلماء المختصين فى التاريخ الطبيعى واشتغل كثيرا بمباحثهم ، وكذلك اشتغل بفنه ومهنته . وقد لفت نظره منذ كان تحت التمرين ما كان الاعتقاد به شائعاً فى مسقط رأسه ، وهو أن الاصابة بجدرى البقر تقى من الجدرى الآدمى

وجدرى البقر فى الحقيقة — كما نعلم الآن — هو صنو الجدرى الآدمى أو نوع منه يظهر على حلماتها وضروعها بشكل بثرات أو حبوب صديدية سرعان ما تنتقل الى ايدى الانسان عند حلبها وليس منه على الحياة خطر . ففى سنة ١٧٧٥ بدأ « جنر » دراسة جدية لهذا الموضوع الى ان تأصل الاعتقاد فى نفسه . فقام سنة ١٧٩٦ بتجربة نهائية لاثبات الامر ووضعه على قواعده الحقيقية . فلقح صبياً بجدرى البقر ، ثم لقحه بعد شهر ونصف بالجدرى الانسانى فلم يصب به . وتلك أول تجربة عظيمة الاثر فى علم المناعة . وقد خلد التاريخ ذكراها بمداد من الذهب ! !

وجعل « جنر » يبشر بطريقته الجديدة للوقاية من ذلك المرض الخبيث . ولكنه لم ينج — كما هى العادة — من هجمات الناقدين ودسائس الحاقدين . ولم ينج هو نفسه من المغالاة فى مدح طريقته قبل ان تكمل أوجه بحثها على ضوء الامعان وتعرف على مر الزمن فضائلها ونقائصها . وانقسم الاطباء شيعتين بين محبذين وخصوم ، الى أن وضح الصبح لذى عينين واقتبس العالم بأجمعه طريقة جنر ، وسبقت مصر فى أيام محمد على باشا غيرها الى تعميم هذه الطريقة . ويمكن القول بأن الجدرى أصبح مرضاً بائداً او اثراً بعد عين

وفى الحقيقة لم يكن « جنر » فى عمله مكتشفاً وانما كان محققاً ممحصاً ، ولكن له الفضل على العلم — كأحد البارزين الذين خدموا الانسانية وانتفعت من وجودهم الدنيا — بفضل ما أوتيه من دقة الملاحظة والشجاعة فى ابداء رأيه والثبات فى ادائه . فقد كان الفلاحون فى المقاطعة التى ينتسب اليها « جنر » يعلمون

من قديم فائدة ذلك التطعيم . وكانت بعض الامم الشرقية (كالهند والصين وبلاد العجم) يعلمون بالتجربة من مئات السنين أن الاصابة بالجدرى الآدمى الخفيف تقى من انواعه الشديدة الخطر . وقد بلغت بهم شجاعتهم — أو بالاحرى جزعهم على اطفالهم من ذلك المرض المشوه — أن يعرضوهم للعدوى بوضعهم قرب المصابين بالانواع الخفيفة منه ، او يلقحوهم من بثرات أولئك المصابين قصدا الى اصابة اولئك الاطفال بالنوع الخفيف ، ومن ثم نجاتهم من انواعه الشديدة . وحدث قبيل عهد «جنر» أن اللادى ورتلى مونتاجو توجهت الى الاستانة حين عين زوجها سفيرا لانجلترا فى تركيا فوجدت هذا النوع من التلقيح ضد الجدرى من المريض الى السليم متبعاً فى تركيا ، وبالاخص كان تجار الرقيق يحافظون به على جمال الحسان من السبايا الشركسيات فى ذلك الوقت . وقد لقحت تلك السيدة الشجاعة اطفالها بهذه الطريقة وعند عودتها الى انجلترا سنة ١٧٢١ عملت على تعميمها فنجحت فى ذلك بعض الشىء

على اننا نعلم الآن أن التطعيم من إنسان الى انسان ليس مأمون النتيجة ولا حميد العاقبة فى كل الاحايين ، اذ فضلا عما كان يحدث مراراً بالرغم من كل احتياط من ظهور المرض بشكله الخبيث ، فان هذه الطريقة كثيراً ما نقلت عدوى الزهرى وغيره من شخص الى آخر . ولذلك فان طريقة « جنر » باستعمال جدرى البقر للوقاية من جدرى الانسان ، كانت فتحاً جديداً بالغ الاثر فى علم الوقاية والمناعة ، اذ كان أول من قرر بصفة علمية ناضجة استعمال قليل من مادة العدوى المخففة لاكتساب المناعة . وقد اتضح ان الجدرى حينما يصيب البقر تخف حدته وتفل شباته عن بنى الانسان ، بحيث يمكنهم من صنع الترياق بدون أن يؤثر على حياتهم . وقد أطلق على الطعم كلمة «الفاكسين» وهى مشتقة من كلمة Vache أى اللقاح أو الطعم ، سمى بذلك تشبيهاً بما يعمل فى أشجار الفاكهة وغيرها من التطعيم (أو التلقيح) . وقد ابتدع العلم الحديث على هذا النمط نفسه عشرات من اللقاحات أو أنواع الفاكسين المختلفة . وهى مكونة من كمية قليلة من المكروبات أو من سمومها المخففة توضع فى الجلد أو تحته لبعث المناعة فى البدن ، وهى لقلتها أو لضعفها لا تورث المرض . ومما يجدر ذكره أن الدهر على غير عادته قد افتر ثغره وابتسم لجنر فى حياته ، فقد انهالت عليه الهبات والالقاب ، وبلغ من الرفعة شأواً عالياً حتى لدى الملوك والامراء ، من ذلك ان الامبراطورة جوزفين قالت لنابليون حين أبى ان يطلق سراح بعض الاسرى الانجليز : « ولكن الدكتور جنر هو الذى أوصانى خيراً بهم !! » فصاح نابليون قائلا : « جنر !! اننا لانستطيع لطلب مثله رداً . . . فكوا إسارهم !! »

على ان هذا لم يتم الا بعد أن قطعت الارض مدارها حول الشمس نيفاً وثمانين مرة منذ عهد « جنر » . وإذ ذاك — أى منذ ستين سنة قبل وقتنا هذا — بزغت شمس المعرفة الانسانية بزوغاً

لا مثيل له باكتشاف الميكروبات وتأسيس علم البكتريولوجيا على أيدى جبابرة العقول وعمالقة الافهام . وعلى الاخص « باستير » الفرنسى العظيم الذى يقوم اسمه بين العلماء كالهرم الاكبر بين الرمال . وتغيرت تعاليم الطب وتغير مجرى بحوثه تغيراً جوهرياً عظيما

كان الدجاج فى باريس وما حولها موبوءاً بنوع من الكوليرا التى تصيب الطيور . وكان باستير قد استخلص منها ميكروب ذلك المرض ونماه فى الانابيب بمعمله . فحدث أثناء تجاربه سنة ١٨٧٩ أن دعاه بعض شؤونه للسفر والتغيب مدة . فلما آب واستأنف مباحثه وجد أن تلك الميكروبات المستنبتة فى معمله منذ مدة قد فقدت قدرتها على اصابة الدجاج بالمرض (الكوليرا)

فواصل تجاربه مندهشاً حتى بدت له ظاهرة أعجب ، هى أن الدجاج الذى حقنه بتلك الميكروبات المستنبتة الضعيفة اصبح فى مأمن من العدوى . وما كان لمثل ذلك العقل العظيم والذكاء المتقد أن يهمل التأمل فى هذه الظاهرة الجديدة . وهكذا اهتدى « باستير » الى أن الميكروبات تضعف بالاستنبات مدة خارج الجسم وتفقد قدرتها على احداث المرض ، ولكنها لا تفقد قدرتها على استحثاث الجسم لايجاد الترياق

وسرعان ما تعمق هو وغيره من معاصريه وتلاميذه فى البحث ، الى ان اكتشفت عدة طرق أخرى لتقليم أظفار الميكروبات والانتفاع بها فى منح الاجسام مناعة ضدها . نذكر من هذه الطرق : التسخين واضافة بعض المواد الكيماوية وغيرها . وصارت هذه الميكروبات الضارة أداة خير كما هي أداة شر . واجتمع فيها النقيضان بفضل العلم . وتهيأ للعقل البشرى ان يتحكم فى ألد أعدائه فيرد كيده الى نحره وان يبث فى هذه الحياة شيئاً من السعادة وكثيراً من تخفيف الويلات

☆☆☆

وكان المهد الذى نما فيه علم المناعة والوقاية — وهو طفل رضيع على يدى « باستير » — هو بطبيعة الحال أجسام الحيوانات التى أجريت عليها تجارب عديدة ابتغاء وقايتها من الامراض . ولذا نرى ان ايام « باستير » الاولى كانت مكتظة بالاكتشافات العظيمة لوقاية الحيوانات من الحمرة والحمى الفحمية والالتهابات الصديدية وطاعون الخيل ، بخلاف كوليرا الطيور وغيرها مما لا يزال يتبع فيه التطعيم الى اليوم بطريقة اللقاحات المختلفة

نجح « باستير » بعد ذلك بقليل فى إيجاد لقاح لمرض الكلب ، بواسطة تجفيف أمخاخ الحيوانات الكلبة لمدد مختلفة ، وحقنها بكميات صغيرة الواحدة بعد الاخرى فى جسم الحيوان المعقور قبل ظهور الاعراض عليه — أى بعد العقر مباشرة — فيقيه ذلك من ظهور الداء وهو الموت المحقق

توالت البحوث فى الامراض البشرية ، وأمكن الآن إيجاد لقاحات مختلفة جليلة الفائدة وافرة النفع ، أهمها ما يستعمل للوقاية من التيفود والباراتيفود . ولقاح التيفود يقى الجسم نحواً من سنة

ونصف ، أما لقاح الدفتيريا فيبقى طول الحياة ، بينما يبقى لقاح الجدرى مدة أقصاها ١٢ سنة . ولا تنس أن لقاح الكوليرا والطاعون الدملى يبقيان الجسم مدة قصيرة قد لا تتعدى ثلاثة شهور ، ولذلك لا يعطيان إلا عند تفشى الاوبئة . كذلك توجد لقاحات مختلفة للجمرة الخبيثة والانفلونزا والالتهاب الرئوى والحمى المخية الشوكية والتيتانوس وغيرها

عجيب أن « باستير » أصر على إطلاق كلمة « فاكسين » على هذه اللقاحات ، كأنما رغب فى تمجيد « جنر » وتخليد ذكراه مع مافى ذلك من الخطأ اللغوى المتعمد

وجدير بالذكر ان البحوث التى لا تزال مستمرة قد أبانت ان التطعيم بأنواع اللقاحات المعروفة ليست جميعاً على وتيرة واحدة من حيث مدة الوقاية التى تنجم عنها ومن حيث قوتها . وقد يكون فى طى القدر اكتشافات أخرى تزيدنا معرفة بأسرار هذه اللقاحات وتمكننا من جعلها أبدية المفعول

☆☆☆

لم تقف جهود الطب عند هذا التقدم الرائع فى الوقاية من الامراض باستعمال نفس مكروباتها ، بل استعمل أيضاً دماء الحيوانات فى تحضير الترياق وقاية للانسان

فاننا نرى « بهرنج » الالمانى فى سنة ١٨٩٠ يحقن الخيل بسم الدفتريا حتى تكتسب المناعة ، ثم يستنزف جزءاً من دمها ويزيل منه لونه الاحمر — أى الكريات الحمراء — ثم يقدمه للعالم كأفضل وأنجع علاج وقعت عليه العيون أو خطر على الأسماع لذلك الداء العضال

بل برهن على أن القليل من ذلك السائل يقى من المرض المذكور وقاية سريعة ، وان تكن مؤقتة لاتتعدى أسابيع قليلة . وبذلك مكننا من أن نسرع فى وقاية العائلة من مرض احد أفرادها

ثم إننا نرى « كيتاساتو » اليابانى يقوم بمثل ذلك لمرض « الكزاز » الذى يصيب الانسان من تلويث الجروح بجراثيمه الموجودة فى الارض ويندر أن تنجو منه فريسة تنكب به

كما نرى الآن للالتهاب السحائى والدوسنطاريا والالتهاب الرئوى وغيرها ، بل لسم الثعبان ولدغ العقرب ، مثل هذه المحضرات من دماء الحيوانات ، التى يطلق عليها اسم « سيروم » (المصل) أى سائل الدم بدون الخلايا السابحة فيه . وبعض هذه المصول يستعمل للعلاج وبعضها للوقاية وبعضها للعلاج والوقاية جميعاً بنجاح مختلف القدر والنتيجة . على أن الوقاية التى تنجم من حقن المصل لا تدوم طويلا مثل التى تنجم من حقن اللقاح . ومعنى ذلك أن قيام الجسم بتحضير ترياقه بنفسه خير له من أن يستعير ترياق غيره

☆☆☆

والآن لنقف قليلا ونسائل العلم والطب ومن يلوذ بهما من أساتذة وتلاميذ : « ما هو كنه هذه المواد المضادة التي يصنعها الجسم عند المرض أو التي تحضر من الحيوانات وتحقن في أجسامنا ؟ وأين أين ذلك المصنع الكيمياوي الحيوي الذي يشحذ غرار عزمه كلما جد الامر او ادلهم الخطب ؟ »

انهم لا يستطيعون جواباً ولا رداً ، فما منهم من يدرك للآن كنه هذه المواد المضادة ولا كيف تطبخ ولا أيان تهيأ في ألوانها المتعددة

إلا أنها مواد غامضة توجد في الدماء وتجري معها في كل مكان بغير مستقر ، تصد كيد الميكروبات وتفل غرب الجراثيم . فما أعجبها حديقة تؤتي للناس ثمراتها ، ولا تراها العيون ولا تشملها الابصار ! وسبحان من أبدع ذلك العقل الانساني ، يسلس له قياد الامور ، وان جهل وغابت عنه بعض شؤونها . وأعني بذلك جهلنا سبب الوقاية رغم معرفتنا فوائدها

على ان هذا لم يثلم من همة الباحثين في هذا الميدان الذي سلكته الممالك المختلفة بأفذاذها من العلماء ، يعالجون كشف ذلك السر الخفي الذي هو — ولا شك — جزء من سر الحياة الدفين

فتقدم « متشنيكوف » الروسي ثم « ارليخ » الالماني من بعده بنظريتين ، يعتقد العلماء الآن ان احداهما متممة للاخرى ، وغير معارضة لها ، وانهما تفسران ماجريات الامور

فمتشنيكوف — وكان استاذاً في علم الحياة — لاحظ في بحوثه الخاصة ان الحيوانات الضئيلة المكونة من خلية واحدة وليس لها فم ولا أعضاء ، تستطيع ان تلتهم ما هو أصغر منها للتغذية مثلا ، وذلك بأن تزحف عليه وتدخله في جسمها . وقد هدته تجاربه رويداً رويداً الى أن هذه الصفة التي ظنها مختصة بالحيوانات الضئيلة ذات الخلية الواحدة غير مفقودة فعلا من الحيوانات الكبيرة ذات الخلايا المتعددة ومنها الانسان

ففي الدم يوجد عدد عظيم من خلايا بيضاء عائمة ، هي غير الخلايا الحمراء التي تكسبنا اللون الاحمر . وتلك الخلايا التي يقال عنها انها بيضاء (على حين أنها لا لون لها) تستطيع أن تتحرك وتزحف وتأكل كل الميكروبات . ولذلك سماها الخلايا الاكالة وشبهها ببوليس البدن وجنوده ، لانها دائماً على استعداد للقبض على اللصوص والمتشردين من الميكروبات . بل انها لتتكاثر جموعها في مكان الاصابة كأنما حشدت حشداً وسيقت الى الميدان الذي يحتاجها . وقد تموت الالوف منها في كفاحها مع الميكروبات

وقال متشنيكوف : « ها قد عثرت على سر المناعة ! .. فهذه الخلايا أو الجنود الباسلة هي ما يقي الجسم وما يشفيه »

ولعل القراء يعلمون انه يوجد من هذه الخلايا الاكالة نحو ٧٠٠٠ في كل مليمتر مكعب من دمنا ، أي ان كل شخص منا يحمل كما قال « متشنيكوف » جيشاً عرمرماً يبلغ ٤٠ الف مليون مقاتل

(البقية على صفحة ١١٨٨)

النزاع بين الفصحى والعامية
في الادب المصري الحديث

بحث للاستاذ محمود تيمور

قدم الاستاذ محمود تيمور في مؤتمر المستشرقين الثامن عشر — الذي عقد بمدينة ليدن بهولندا سنة ١٩٣١ — بحثا قيما باللغة الفرنسية عن النزاع بين العامية والفصحى في الأدب المصري الحديث . وفيما يلي تلخيص شامل لأهم ما جاء في هذا البحث الممتع

إن النزاع بين اللغة الفصحى (القديمة) وبين اللغات العامية (الحديثة) ينشب أحيانا خفية وراء الستار وأحياناً أخرى يدور علانية أمام الانظار ، متأثراً فى استخفائه وعلانيته بطبيعة البلاد التى تدور فيها رحاه . ومن الممكن تحديد الموقف فى كلمات قليلة ، هى : أيكتب النصر للغة الفصحى ، لغة الكتابة ؟ ! أم تفوز اللغة العامية ، لغة الكلام ؟ ! وهل تستطيع اللغتان أن تعيشا جنباً الى جنب من غير ان يعوق ذلك تقدم الأدب والثقافة فى البلاد الناطقة بالضاد ، أم الخير كل الخير فى خلق لغة ثالثة تكون وسطا بين اللغتين تشتمل على ما فيهما من محاسن وتبرأ مما تحتويانه من مساوىء وعيوب ؟ !

من المعلوم أن لابناء العرب فى أفريقيا وآسيا وأمريكا لغة مشتركة هى اللغة الفصحى لغة القراءة والكتابة ، لكن تمزق أوصال الدولة الاسلامية (العربية) قد أدى الى تمزيق وحدتهم فأصبحوا شعوباً متباينة لكل منها لونه السياسى ومميزاته القومية ، وتلك الشعوب تتكلم اليوم بلغات قومية مختلفة ، لاجدال فى أنها جديدة وإن تكن قد اشتقت من اللغة الفصحى وأفرغت فى قالبها أول الأمر ، ثم تغيرت باستعارة الاصطلاحات الأجنبية واستعمال التعبيرات الحديثة . وأهم ما يواجه هذه اللغات هو : أيقتصر استعمالها فى المستقبل على الكلام أم تنافس اللغة الفصحى ؟ !

والآن دعنا نلقى نظرة تحليلية فاحصة نتعرف بها محاسن اللغة الفصحى واللغة العامية ونقف على مساوئهما

فى الوسع تقسيم الأدب المصرى الى عهدين : عهد ما قبل الحرب ، وعهد ما بعدها . فقبل الحرب العظمى كان الأدب اسلاميا فى الصميم واللباب تشيع فيه روح الاسلام وثقافته ، وكانت مصر منظوراً اليها كجزء من السلطنة العثمانية . وكان الأدب العربى هو المصدر الوحيد الذى يستمد منه الوحى ويستهبط الالهام . وقد تحدثوا عن الوطنية فى وادى النيل ، لكنهم كانوا يعنون فى الواقع الوطنية الاسلامية ، أما الوطنية المصرية الصحيحة فلم تظهر إلا بعد الحرب ، ومنذ ذلك العهد تفاقم أمرها رويداً رويداً الى أن اصبحت اليوم أحد العوامل الرئيسية فى مصر الحديثة .

وقد ظهر الأدب المصرى الحديث على أثر تلك الحركة الوطنية وساهم فى تطورها ، وبعد أن بقى اسلاميا دهراً طويلا انتسب الى مصر واختص بها ، مصر التى يتحدث كتابها اليوم عن الروح المصرية والعادات المصرية والادب المصرى واللغة المصرية

ان هذه الحركة السياسية يشتمل برنامجها على الرغبة فى ايجاد لغة مصرية وأدب مصرى . ومن أجل ذلك وجه الى اللغة الفصحى كثير من النقد . ولرب سائل يقول : « وما هو خطب هذا النقد وأى شىء يتضمن؟! » فنجيب بأنه موجه فى الغالب الى الاجرومية . وثم اقتراح مؤداه أن تكون أواخر الكلمات ساكنة ، فاذا تكلمنا أو قرأنا وقفنا عند نهاية كل كلمة كما هو الحال فى اللغات الأوربية . والحق اننا ندرس لكى نقرأ قراءة صحيحة ، ولا نقرأ لكى ندرس كما قال أحد دعاة الاصلاح . ويتطرف آخرون فيزعمون انهم أقدر على التعبير عن أنفسهم بلغة أجنبية ، على رغم ما بذلوه من جهود لامتلاك ناصية اللغة الفصحى والتمكن منها . بالاختصار ان الرأى الأكثر انتشاراً - ولا نقول الرأى الاجماعى - يطالب بضرورة افراغ لغتنا العربية فى قوالب جديدة وبذل اقصى الجهد فى بعثها وجعلها اكثر مرونة . وهؤلاء ينسون النقص الاكبر فى اللغة الفصحى ، ونعنى به انها ليست لغة كلام ولكن لغة كتابة . والنقد الآخر الموجه للغة الفصحى هو أنها كانت تسد الحاجة فى سالف الأيام حينما كان العرب كتلة واحدة مجتمعة الشمل ، غير انها أصبحت عاجزة عن التعبير عن نفسية الأمم الكثيرة التى كانت فيما مضى تكون المملكة العربية ، كما تعجز عن التعبير عن شتى نواحى الحياة فى هذه الشعوب . ذلك أن كل أمة من تلك الأمم تعيش حياتها الخاصة بعاداتها وتقاليدها ، ثم انها تتفاوت من حيث الحضارة تفاوتاً ظاهراً . ومما يدعم هذا النقد ويقويه ان جميع المحاولات التى قام بها انصار الجامعة الاسلامية قد نبذت ، واصبحت مصر والعراق وسوريا وبلاد العرب تفكر كل منها فى استقلالها استقلالا تاما . ومن ثم قد يسبق الى الوهم ان هناك جبهة متحدة ضد اللغة الفصحى وان هزيمتها أمر محقق . والأمر على خلاف هذا ، وان تكن اللغة الفصحى ستخرج من المعركة دامية الجروح . فستبقى اللغة الفصحى ما بقى الاسلام ، اذ هى ضرورية لفهم القرآن الكريم ، وتذوق بلاغته ، وتفقه تعاليمه السامية . والقرآن هو معجزة اللغة العربية ، وسيظل أبد الدهر كذلك . هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى فان واجبنا كأحفاد العرب ان نصون تراثهم وندافع عن لغتهم التى ستظل الرابطة المتينة التى تربط البلاد العربية . وبالاختصار اننا لا نريد ان نفصم الروابط التى تربطنا باخواننا العرب أدبيا وفكرياً . وان ذلك ليهم مصر بصفة خاصة إذ هى تطمع فى بقائها زعيمة تحمل المشعل المقدس ، الأمر الذى يجعلها تقاوم كل هجوم يوجه ضد اللغة الفصحى بين ربوعها ، مخافة ان ينقص ذلك من هيبتها فى انظار الناطقين بالضاد

تعرضت اللغة العامية لتأثيرات شتى منذ الفتح العربى ، وهى لغة شائعة تستخدم فى اغراض

الحياة وتخضع لناموس التقدم، ثم هي علاوة على ذلك مرنة تتكيف حسب حاجاتنا اليومية. وفيها كلمات وتعبيرات كثيرة استعيرت من اللغات الاجنبية. وبالرغم من ان اللغة العامية اشتقت من الفصحى فقد اصبحت اداة كاملة تكفى للتعبير عن جميع الاغراض. ولا نكران فى أن اجرومية اللغة العامية ناقصة، وحروفها الهجائية اقل من حروف الفصحى، لكنها أكثر حياة واعظم قدرة على اداء الاغراض العملية. وقد استغنت عن الحروف الهجائية التى لا تقدم ولا تؤخر فى الحوار والحديث. هذه اللغة يتكلم بها الوزير والعامل، المتعلم والجاهل، فلماذا يصفها الكثيرون بأنها « لهجة »، وانها لغة خسيسة لا شأن لها ولا اعتبار..؟! أليست تستعمل فى اغراض الحياة اليومية.؟ والحق انها غنية بمفرداتها تحتوى على الكلمات التى نحتاج اليها فى حياتنا دون انتظار الاذن من معهد علمى وبلا حاجة الى ارشاد اللغويين. وقد طبعت كلماتها وتعبيراتها بالطابع المصرى والشكل المصرى، وبذلك صارت لغة قومية. ولا جدال فى أنها لغة طبيعية تتجدد كل يوم، وتماشى سير الحياة والمخترعات والمكتشفات مع انها تتطور وتتقدم

أما ان هذه اللغة يمكن ان تكون لغة التأليف والكتابة فامر يقوم الزجل والروايات الفودفيلية والقصص الشعبية دليلا عليه، وحتى الصحف نفسها تنشر مقالات تحتوى على كلمات وتعبيرات عامية، وقد شرع الادباء يحلون العامية المحل اللائق بها. وقصارى القول ان اللغة العامية لم يعد منكوراً أنها - على الرغم من عجزها وبعدها عن الكمال - لها مكان هى جديرة به، حتى عند ما تكتب

وبمضى الزمن ستكون العامية صالحة للكتابة، لكن من يحاول الكتابة بها فى الوقت الحاضر تعترضه عقبات لا يمكن التغلب عليها. وقد يكون صحيحاً انها مجرد « لهجة »، ولكن هناك كثير من اللغات كانت أول الأمر لهجات قومية

لخصت فيما تقدم محاسن ومساوىء اللغتين: الفصحى والعامية. وسأنتقل الى الكلام عن المقترحات التى تتقدم بها دوائر الفكر المختلفة لفض هذا النزاع الذى يضر استمراره بتقدم أدبنا الحديث. ان معظم كتابنا يظنون ان اللغة العامية والفصحى سيندمجان قريباً أو بعيداً، فيصيران لغة جديدة. ومع ان هذا غير مستبعد فانه يقضى القضاء المبرم على الفصحى. والارجح ان اللغة الجديدة ستكون عبارة عن اللغة الدارجة بعد ان تتطور تطوراً جديداً. ومن الصعب بث الحياة فى لغة نصف ميتة، واللغة الفصحى كذلك، لانها لا يمكن استعمالها فى الكلام. ومن السهل علينا تصور ان اللغة التى سايرت حاجات اولئك الذين عاشوا من قرون مضت، ولم يطرأ عليها تغيير يذكر، يمكن ان تصبح لغة حديثة تفى بالحاجات العصرية

فهل نحن سننبذ لغة اجدادنا..؟ بالطبع لا!! لن نفعل ذلك، لاننا يستحيل علينا ان ننسى تاريخنا ونتنكر لعظمة ماضينا، ولو فعلنا ذلك لانتهكنا حرمة نعتبرها مقدسة، ونفصم العرى

التى تربطنا بالممالك العربية . ومن ذلك يتبين ان حل المعضلة يتلخص فى تآزر اللغتين الفصحى والعامية ، فكلتا اللغتين جديرة بحرصنا ، الفصحى لاعتبارات روحانية ، والعامية لاعتبارات مادية . والنتيجة المعقولة هى ان لغة المستقبل ستكون هى اللغة العامية الحديثة التى ستصير لغة المكاتبات الرسمية والحديث الشفوى ، بينما تظل اللغة الفصحى - كما كانت - لغة الكتابة فى سائر البلاد العربية

وفى الختام يجدر بى ان ألفت النظر إلى ان الجيل الحاضر فى مصر يساوره القلق ، ويستشعر الرغبة فى القيام بتجارب جديدة . وتلك ظاهرة سببها اليقظة بعد الرقاد الطويل . ولقد كان من شأن تشبع الطبقات العالية فى مصر بحضارة اوربا وثقافتها ان تعرضت التقاليد والنظم القديمة للنقد الشديد . والاصلاح اليوم فى الجو تهب نسماته فى كل مكان ، والحاجة ماسة لازالة العقبات التى تعوق تقدم البلاد ورقيها . والدعوة الى التمشى مع مكتشفات العصر ومثله العليا تزداد قوة وانتشاراً . وليست المعركة بين اللغتين - الفصحى والعامية فى مصر - غير احدى المعضلات العديدة التى اثمرتها يقظة العقل وأنتجتها الرغبة فى قلب العهد الحاضر رأسا على عقب

المناعة من الامراض

(بقية المنشور على صفحة ١١٨٤)

من هذه الجنود التى يبلغ قطر الواحد منها جزءاً من مائة من المليمتر . وهذا الجيش على قدم الاستعداد للطعن والنزال ليل نهار . والطحال والنخاع من وراء الجيش لتجنيد غيره وتخزين الفائض منه

ولا جدال فى أن هذه النظرية صحيحة لدرجة محدودة ، وبالاخص فى الالتهابات الجسمية ، كالدمامل والخراجات حيث الصديد مكون من الخلايا البيضاء التى ماتت فى ميدان المجد والتضحية دفاعاً عن الجسم . ولكن هذه النظرية لا يمكن تطبيقها على كل معالم المناعة والوقاية ، بل أمكن العلماء ان يثبتوا وجود المناعة فى الدم حتى بعد نزع هذه الخلايا منه

ولهذا تقدم « إرليخ » الالمانى ومن تبعه من العلماء بنظرية فحواها ان الجسم قادر على إيجاد ترياق أو مواد مضادة تحت تأثير المرض أو الحقن بالميكروبات أو سمومها ، وان لكل مكروب مادة مضادة خاصة مجهولة التركيب ، هى التى تجالده فى الجسم وتفنيه ، وان الخلايا الاكالة التى وصفها « متشنيكوف » ليست فى الحقيقة فى مرتبة الجنود المقاتلة فى المقدمة ، وانما هى من طبقة الكناسين أو الحانوتية ، تنظف الجسم وتحمل الموتى أثناء المعركة وبعدها

وهذه النظرية الاخيرة هى السائدة فعلا فى أيامنا . ولم يبق إلا معرفة كنه ذلك الترياق المختلف الانواع ، الذى تستطيع صنعه أجسامنا ، والذى نشعر بوجوده ونرى أثره وهو غائب عن أبصارنا لا نعرف من تركيبه شيئاً

دكتور عبد الواحد الوكيل

صفحة مجهولة من تاريخ الحرب العظمى

السنوسي الكبير وهجومه على مصر

(توفي اخيراً الى رحمة الله السيد احمد الشريف السنوسي الكبير الزعيم الطرابلسي الشهير . وقد رأينا بهذه المناسبة أن نأتى بصفحة مجهولة عن هجومه على حدود مصر الغربية في اثناء الحرب العظمى بتحريض من الترك والالمان وما دار في اثناء ذلك الهجوم من معارك ومناوشات انتهت في آخر الامر باندحار القوات السنوسية)

الترك والالمان والسنوسى

بعد انتهاء الحرب الايطالية التركية فى طرابلس سنة ١٩١١ اعترف رسمياً بسيادة ايطاليا على طرابلس فى معاهدة لوزان ، ومع ذلك فان ايطاليا لم تستطع ان تثبت قدميها الا فى السواحل ، لان أهل الجنوب ـ وكلهم من العرب والبربر الذين يقطنون الواحات المتناثرة ـ استنكروا الحكم الايطالى وأبوا أن يخضعوا بمحض ارادتهم للحكام الجدد ، ولذلك لم يصعب على الألمان والترك أن يجدوا بينهم مرتعاً خصباً لدعايتهم

وكانت المانيا تسعى من زمن بعيد للتوغل فى افريقيا الشمالية ، فلما نشبت الحرب العظمى أمل الألمان ان يساعدهم نفوذهم لدى الترك على بث روح التمرد بين العرب لمناوأة الايطاليين من جهة ومن جهة أخرى للهجوم على مصر من ناحية حدودها الغربية . وفعلا أخذ الترك منذ أيام الحرب الاولى يستميلون اليهم عرب الجنوب باهداء المال وتوزيع الأسلحة والذخائر بينهم لحثهم على الانتقاض على الايطاليين والاشتراك فى « الحرب المقدسة » التى نادى بها سلطان تركيا ضد الانجليز والحلفاء.

وقد تمكن الترك والالمان من ايصال ذلك المال وتلك الاسلحة والذخائر الى عرب الجنوب بواسطة بعض الغواصات الالمانية ، فقد كانت هذه الغواصات تصل الى بعض السواحل بدون أن تشاهدها أساطيل الحلفاء. وعند وصولها اليها ينزل منها بعض الضباط الترك والالمان ويحملون الهدايا الى داخلية الواحات بدون ان يراهم أحد من الايطاليين

وقد كان من نتيجة تلك الدعاية أنه بعد ما كان السيد احمد الشريف السنوسى الكبير على وئام تام مع مصر وانجلترا حتى صيف ١٩١٥ انقلبت علاقاته بهما الى عداء مستحكم

المناوشة الاولى

وكانت « السلوم » نقطة الحدود الغربية تحميها حامية صغيرة من الجيش المصرى وخفر السواحل وبعض القوات العربية بقيادة ضابطين أو ثلاثة من الانجليز ، فحدث فى شهر أغسطس سنة ١٩١٥ أن اصيبت غواصة من غواصات الاسطول البريطانى بشيء من العطب غربى ميناء السلوم ، فانتهز السنوسيون هذه الفرصة وسلطوا نيرانهم على بحارة الغواصتين ، وانتهى الحادث يومئذ باعتذار السنوسى الكبير فانه قرر انه كان يجهل جنس البحارة

ولم يحدث بعد ذلك ما يكدر صفو العلاقات بين الفريقين الى أن كان شهر نوفمبر من السنة عينها ، فان السفينة « تارا » - وهي من سفن السواحل المسلحة - اصيبت فى ذلك الشهر بطوربيد بالقرب من السلوم ، فاسرعت الى نجدتها ثلاث سفن اخرى نزل رجالها الى الشاطىء غربى السلوم وكان عددهم ٩٢ رجلا ، وكان السنوسيون يكمنون لهم فاسروهم كلهم وقادوهم الى داخل الصحراء فى مكان اسمه « بير حاكم » ، ويبعد نحو سبعين ميلا عن الشاطىء فقضوا فى الاسر بضعة اشهر . ولما خوطب السيد احمد الشريف السنوسى الكبير فى الموضوع يومئذ قال : انه لا يعرف شيئاً عن أولئك البحارة ولا يعلم أين مقرهم وانه لا يزال على صداقته للانجليز

الهجوم على السلوم

وفى ذلك الحين كانت قوات العرب تحتشد فى الصحراء بالقرب من السلوم فعززت حامية السلوم بقوة من السيارات المسلحة ارسلت اليها من القاهرة

وفى ٢٣ نوفمبر هاجمت السلوم قوة كبيرة من السنوسيين المسلحين بأسلحة نارية مختلفة من بينها عدد من المدافع القديمة ، فاضطرت الحامية الى اخلاء المدينة ولجأ رجالها الى احدى سفن خفر السواحل واسمها « رشيد » فى يوم عاصف شديد

وفى نفس اليوم اخلت حامية « برانى » المدينة كذلك والتجأت إلى احدى سفن خفر السواحل ايضاً وقصدت الحاميتان الى « مرسى مطروح » ، فتحولت من ذلك اليوم الى مدينة فى حالة دفاع ولم يلبث المدد ان وصل اليها من القوات الانجليزية المعسكرة فى الاسكندرية بواسطة السيارات وعربات « الترولى »

التحام الفريقين

وبينما كانت القوة الانجليزية تقيم الاستحكامات الدفاعيـــة حول مرسى مطروح تجمعت بعض قوات السنوسيين غربى المدينة ، وقبل ان تقدم على عمل ما تقدمت الحامية نحوها فى ١٣ ديسمبر والتحمت بها ، وكان عدد السنوسيين نحو ١٣٠٠ رجل فنزلت بهم خسائر فادحة

اضطرتهم الى اخلاء مواقعهم القريبة من المدينة

وفى أواخر الشهر المذكور اعادت قوة من العرب الهجوم واحتلت « وادى مجيد » بالقرب من مرسى مطروح ، وكانوا قد قرروا مهاجمة المدينة نفسها ليلة عيد الميلاد اى أثناء هرج الجنود ومرجهم وعربدتهم . . ولكن من العجيب انه لم يكن فى المدينة كلها زجاجة واحدة من البيرة فى تلك الليلة

وحدث فى هذه المرة ما حدث فى المرة الاولى أى ان حامية المدينة لم تنتظر ان يكون السنوسيون البادئين بالتقدم بل تقدمت هى اليهم تعاونها بعض الطيارات والسفن البحرية ، فاشتبكت معهم فى معركة كبيرة انجلت عن اصابة السنوسيين بخسارة عظيمة فرحلوا عن معسكرهم وكانت الجنود الانجليزية قد دمرته تدميراً

بدء الانكسار

ولم يلبث الشتاء ان أقبل ببرده الساحلى وعواصفه وسيوله فملأت مياهه الغزيرة الوديان وتحولت المنطقة الساحلية الى برك ومستنقعات ، ولكن بالرغم من هذا كله احتشد السنوسيون فى مكان يبعد عن مرسى مطروح نحو ٢٥ ميلا من جهة الغرب فاستطلعت الطيارات أماكنهم وأصلتهم ناراً حامية فتقهقروا غرباً

وفى ٢٦ فبراير حدثت مناوشات بين الفريقين فى « اجاجيا » بالقرب من « برانى » فخسر السنوسيون معظم قواتهم ووقع قائدهم « جعفر باشا » فى الاسر ، وعندئذ رأى السنوسى الكبير وأعوانه أن يرحلوا عن الساحل ويلجأوا الى الداخل فقصدوا الى سيوه

أما « جعفر باشا » الذى وقع فى الاسر فهو سعادة جعفر باشا العسكرى أحد أقطاب مملكة العراق اليوم ووزير الحربية فيها . وقد نقل بعد أسره الى العاصمة واعتقل فى القلعة فظل فيها الى ان امتشق الملك حسين الحسام فى وجه الترك ونادى بالثورة العربية فانضوى تحت لوائها

استرداد السلوم

ولما وصل السنوسى الكبير الى سيوه أقام فى « قصر حسونة » وشرع فى تجنيد الرجال لتعزيز قواته

أما القوات الانجليزية والمصرية التى كانت تقاتل على الساحل فلازمها النصر فى كل خطوة من خطواتها ، فانها بعد ما انتصرت فى موقعة « اجاجيا » استولت على « برانى » ثم اتجهت الى السلوم واحتلتها فى ١٤ مارس (سنة ١٩١٦) وكانت القوة بقيادة دوق وستمنستر فدخل المدينة فى طليعة سياراته المسلحة

وبعد ما احتلت القوات الانجليزية والمصرية الساحل كله لم يبق أمامها إلا التوغل فى الصحراء واجتيازها الى سيوه . وكانت الفرصة سانحة للشروع فى هذا التوغل ولاسيما ان المجاعة كانت قد تفشت بين الاهلين فأخذوا يبحثون عما يسدون به رمقهم بأى وسيلة

وفى ١٦ ابريل غادر السنوسى الكبير « سيوه » الى الواحات الداخلة ومعه بعض الرجال القادرين وما يلزم قافلته من الجمال والمال والأمتعة ، ولكن بعض رجاله تخلى عنه فى الطريق والبعض الآخر ادركته الوفاة ، ومع ذلك مضى رحمه الله فى سيره الى الواحات الداخلة فاقام فيها بضعة أشهر ثم عاد الى « سيوه » لما بلغه من اختلاف مشايخها مع أتباعه الذين عينهم حكاماً على الواحة

وفى يناير سنة ١٩١٧ استقر قرار السنوسى الكبير على الرحيل الى « جغبوب » ولكنه أجل سفره بناء على الحاح بعض اعوانه الذين قالوا له ان رحيله يدخل الفزع الى قلوب رجاله

احتلال سيوه وتقهقر السنوسيين

وفى ٢ فبراير وصلت قوة من السيارات المسلحة واللوريات والسيارات الخفيفة الى « جربا » وهى واحة صغيرة تقع شمالى « سيوه » الغربى فى واد صخرى عميق ، وفى اليوم التالى تمكنت القوة من النزول الى مضيق الوادى وهاجمت معسكر السنوسيين فى « جربا » فاخذتهم على غرة ، لانه لم يدر فى خلدهم انهم سيهاجمون فى معقلهم الحصين الذى يبعد عن الساحل ما لايقل عن مائتى ميل . ولما كانت الارض صخرية فى تلك المنطقة لم تستطع السيارات الاقتراب من مواقع السنوسيين فناوشهم رجالها عن بعد فى بادىء الامر

وكان السنوسيون فى « جربا » ٨٠٠ مقاتل بينما احتفظ السنوسى الكبير بخمسمائة مقاتل فى سيوه ، فلما بلغته اخبار الحملة الانجليزية المصرية فكر فى الرحيل الى جغبوب نهائياً . وفى مساء اليوم الرابع شرع السنوسيون فى التقهقر عن مواقعهم فى « جربا » مدمرين كل مايمكن ان يستفيد منه اعداؤهم

وفى اليوم الخامس دخلت القوات الانجليزية والمصرية سيوه ، وفى اليوم السادس وصلت الى « جربا »

وارسلت فى اليوم التالى قوة منفصلة لمطاردة الهاربين من فلول الجيش السنوسى فأسرت عدداً يذكر منهم

وفى اليوم الثامن عادت الوحدات الى السلوم بعدما ازالت كل خطر عن الصحراء الغربية

أما السنوسى الكبير فأقلته غواصة المانية من ساحل طرابلس الى الاستانة حيث حل ضيفاً على السلطان

الاديبات الاوربيات
ورحلاتهن الى الشرق

تحدثنا في العددين الأخيرين من « الهلال » عن الشاعر لامارتين وعن سواه من ادباء فرنسا الذين زاروا الشرق وكتبوا عنه . فاصبح واجباً لزاماً علينا أن نخص بكلمة بعض الاديبات الاوربيات اللواتي قمن برحلات إلى الشرق ، وأسفرت رحلاتهن عن آثار كتابية كان لها شأن في عالم الادب . وعدد اولئك الاديبات كثير جداً ، لكننا نختار منهن أبعدهن صيتاً وأكثرهن شجاعة وأغربهن أطواراً . ومما يدعو الى الغبطة أن الاديبات الاوربيات اللواتي زرن الشرق وكتبن عنه كن في كتاباتهن أقرب الى مراعاة حقوق الضيافة ، واحترام الحقائق وانصاف الشرقيين ، من الرجال الذي دفعهم حب الاستطلاع أو داعي السياسة الى زيارة الشرق والكتابة عنه

إن أول امرأة أوربية كتبت عن الشرق على أثر رحلة قامت بها إلى فلسطين ـ الارض المقدسة ـ هي السيدة اوتيرى الاسبانية ، المعروفة باسم « القديسة سيلفيا » Sylvia والتى يعدها المسيحيون من الابرار سكان السماء . فقد رحلت تلك السيدة عن وطنها فى أواخر القرن الرابع للميلاد ، وتجشمت المتاعب والصعاب فى سبيل زيارة القبر المقدس ، والسير فى الطرق الوعرة التى اجتازها السيد المسيح فى أورشليم والجليل . ودونت السيدة اوتيرى مذكراتها ومشاهداتها بصراحة وبساطة ، فكانت تلك المذكرات الأولى فى نوعها ، وكانت يد القديسة سيلفيا أول يد نسائية ناعمة كتبت عن الشرقيين . ولكن مذكراتها لم تنشر على القراء الا بعد كتابتها بمدة طويلة ، فقد أذاع نسخاً منها الراهب الاسبانى فاليريوس Valérius فى أواخر القرن السابع ، ثم أهملت مدة أخرى ، إلى أن جاء الأب جامورينى Gammurini فى سنة ١٨٨٧ فطبع مذكرات سيلفيا . وأجمع الناقدون العارفون على انها أوفى وأصدق ما كتب عن الكنائس والطقوس والعادات الشرقية

وليس بين الاوربيات اللواتى زرن الشرق فى المدة الواقعة بين القرن الخامس والقرن الثانى عشر من تستحق أن نذكرها هنا ، لأن بحثنا يقتصر على الاديبات اللواتى تركن آثاراً كتابية ، واللواتى زرن الشرق للدرس والبحث والاستطلاع . ولكن منذ ذلك العهد الى الآن كثيرات هن الاديبات والعالمات الاوربيات اللواتى ركبن متن البحار واقتحمن المخاطر ورأين الاهوال ، فى سبيل اطلاع العالم الغربى على ما كان يجهله عن العالم الشرقى

ففى أواسط القرن الثانى عشر وصل إلى العراق عالم إيطالى كبير يدعى بيترو ديلا فالى Della Valle وهو أول أوربى كشف بقايا المدنية القديمة فى بابل . وقد أقام ذلك الرجل مدة من الزمن فى بغداد ، حيث التقى للمرة الاولى بالمرأة التى أصبحت فيما بعد رفيقة حياته ، والتى تعد بلا شك أشجع النساء المغامرات على الاطلاق ، وهى ايطالية مثله سبقته الى الاقطار الشرقية ، وأقامت بين شعوبها فدرست لغاتها واتخذت عاداتها ، وكانت لزوجها فى رحلاته وا كتشافاته دليلا ومرشداً . وقد فتحت رحلات ديلا فالى وزوجته جيوريدا Gioreida - فى أنحاء العراق وأطراف الصحراء العربية - أمام العلماء والمكتشفين الاوربيين ، أبواباً جديدة طرقوها ، ومهدت لهم السبل للوصول الى ما وصلوا اليه اليوم من كشف النقاب عن خفايا العصور الخالية فى تلك البقعة من الشرق . وكما أن القديسة سيلفيا أول امرأة كتبت عن الشرق من الناحية الدينية ، فان جيوريدا ديلا فالى أول امرأة كتبت عنه من الوجهة العلمية والتاريخية

والآن لابد لنا من أن نضرب صفحاً عن الاوربيات المغامرات اللواتى طفن فى نواحى الشرق بعد جيوريدا وزوجها ، لكى نصل الى القرن التاسع عشر ، الذى يخيل الينا أن حمى السفر والمغامرة قد استولت فيه على طائفة من الاديبات والعالمات الاوربيات ، فرأى الشرق عشرات منهن ينزلن على شواطئه ويتوغلن فى سهوله وجباله وصحاريه . فلندون هنا أسماء أشهر أولئك السائحات وأبعدهن أثراً فى عالم الادب

لعل أغرب شخصية بينهن هى تلك التى اقتحمت حدود الصحراء النجدية مع زوجها فى سنة ١٨٧٨ ، فكانت أول امرأة غربية دخلت بلاد الوهابيين ودرست مذهبهم وعاداتهم وكتبت عنهم فى صحف أوربا وتركت عنهم كتاباً يعد فريداً فى نوعه . تلك هى « اللادى آنا بلونت » زوجة المستشرق بلونت Blunt ، فقد مكثت تلك السيدة المغامرة مدة طويلة فى بلاد العرب ، وطافت فى نواحيها على ظهور الخيل أو الجمال ، ولم تترك كبيرة ولا صغيرة الا ودونتها فى مذكراتها القيمة عن الحجاز واليمن وعلى الخصوص عن نجد وقبائلها

وفى الوقت عينه كانت سيدة أوربية أخرى تطوف نواحى بلاد العرب ، ولكن فى ناحية الشمال ، مع زوجها العالم المؤرخ . تلك هى السيدة جان ديولافوا Dieulafoy الفرنسية ، التى دفعها حب المغامرة إلى الرحيل عن وطنها مع زوجها الى البلاد التى كانت السيدة « جيوريدا ديلا فالى » قد سبقتها اليها قبل ذلك الوقت بستمائة سنة ، أى إلى العراق والاماكن التى ازدهرت فيها مدنية بابل ونينوى . وقد درست السيدة جان ديولافوا - بارشاد زوجها - اللغات الشرقية القديمة والحديثة ، ولها مباحث جليلة مفيدة فى أصول الحروف الهجائية وتفرع الخطوط الشرقية والغربية من تلك الاصول . ومن غرائب هذه المرأة أنها كانت ترتدى زى الرجال ،

وقد فعلت ذلك للمرة الاولى على أثر اعتداء وقع عليها فى الصحراء ، وظلت محتفظة بذلك الزى طول حياتها ، ولم تخلعه عنها بعد عودتها إلى وطنها

وهناك سيدة أخرى كتبت عن بلاد التيبت حيث أقامت ١٤ عاماً ، عاشت فيها عيشة أبناء البلاد وتعلمت لغتهم ودرست تاريخهم ودياناتهم وتقاليدهم ، فجاء كتابها أوفى ما وضع الى الآن عن تلك البلاد ، وأعنى بها السيدة الكسندرا دافيدنيل Alexandra David Neel التى عرفت فى وقت من الاوقات باسم « المتسولة » لانها كانت تطوف نواحى التيبت وعلى جسمها أطمار بالية ، وبيدها غصن شجرة تتوكأ عليه ، وتدخل البيوت وتقف أمام أبواب الهيا كل باسطة يدها للمحسنين !

وينبغى ألا ننسى ـ ونحن نذكر الاديبات الاوربيات اللواتى زرن الشرق فى القرن الماضى ـ تلك الثائرة الايطالية ، الاميرة بلجيوجوزو ، التى لعبت دوراً عظيما فى ميادين السياسة والاجتماع والأدب ، والتى أقامت خمس سنوات كاملة فى بلاد الاناضول ، ودونت فى مذكراتها معلومات ومشاهدات تعد أغرب وأوسع ما كتب عن تلك البلاد الى الآن

وليكن مسك الختام ، فى ذكر الكاتبات اللواتى قمن برحلاتهن فى القرن الماضى ، اسم تلك التى ترقد رقادها الاخير فى بلدة عمشيت بلبنان فى الارض الفينيقية التى أحبتها « هنريت رينان » أخت العالم الفرنسى الاشهر أرنست رينان ، وشريكته فى مباحثه العلمية والتاريخية والدينية ، وأشد الكاتبات الاوربيات اعجاباً بالمدنيات الشرقية القديمة ، وبجمال الطبيعة فى نواحى الشرق ، وأشرف امرأة وطئت قدماها الارض المقدسة ، وأبلغ كاتبة تحدثت عن الروح الشرقية ، والخصال الشرقية ، والنبوغ الشرقى !

* * *

وقد كثر عدد الكاتبات الاوربيات اللواتى جذبهن الشرق اليه ، فى القرن العشرين ، قبل الحرب العظمى وبعدها . ولكن لابد من أن نفرق بينهن . فان اللواتى قمن برحلات الى الشرق قبل الحرب العظمى كن مدفوعات بحب الاستطلاع والمغامرة ، وكانت غايتهن أدبية أو علمية لا تشوهها العقائد السياسية والدينية . أما بعد الحرب العظمى فقد دخلت السياسة فى كل شىء فأفسدته ، وجعلت الكاتبات الاوربيات اللواتى يزرن الشرق مع الروائيين والصحفيين وغيرهم ، يضعن أقلامهن قبل كل شىء فى خدمة الاغراض السياسية التى ترمى اليها حكومات بلادهن ، ويلبسن كتاباتهن عن الشرق صبغة التحامل أو الحقد ، ويخفين ما ليس من مصلحة السياسة اظهاره ، ويظهرن ما ليس من مصلحة السياسة إخفاؤه

فلنذكر بعض أسماء ترد من وقت الى آخر على صفحات الجرائد ، من أسماء الكاتبات المنتميات الى الفريقين اللذين أشرنا اليهما

ولنبدأ بالتى جاهدت بقلمها فى سبيل مصر جهاد الجبابرة ، والتى كانت للمغفور له مصطفى كامل باشا بمثابة « بوق » يردد فى نواحى الغرب صوت ذلك الزعيم الوطنى المحبوب ، فى وقت كان فيه صوته صوت مصر ، وكانت أمانيه أمانى مصر . ولن يذكر فى التاريخ اسم مصطفى كامل باشا إلا مقروناً باسم مدام جوليت آدام Juliette Adam صاحبة القلم الحر النزيه ، وواضعة كتاب « انجلترا فى مصر » ، والتى حاولت الدسائس السياسية فى وقت من الأوقات أن تثنيها عن عزمها وتحملها على التخلى عن رئيس الحزب الوطنى والدفاع عن القضية المصرية ، فما كان منها إلا أن فضحت المساعى التى بذلت لديها وأعلنت أن كل كاتب فرنسى يحترم نفسه ويفاخر بأنه سليل الرجال الذين أضرموا نيران الثورة الفرنسية الكبرى ، يجب أن ينقاد لنداء الضمير دون سواه ، وأن يدافع عن حرية الشعوب المغلوبة على أمرها ، ويرفع صوته ويرهف قلمه فى سبيل مصر أو غير مصر من الاقطار الشرقية المعذبة . فمدام جوليت آدام رحمها الله من أولئك الكاتبات اللواتى خضن غمار المباحث والمجادلات السياسية ، ولكنها فعلت ذلك بايمان واخلاص ونزاهة واقدام ، وفى سبيل الشرق والحرية ، لا فى سبيل الغرب والاستعمار . وهى تختلف فى ذلك عن العشرات من أولئك الغيد الحسان ، اللواتى يقع عليهن اختيار الصحف الاوربية من وقت الى آخر للقيام برحلات اخبارية فى الشرق ، وعمل ما يسمونه بلغة الصحافة «الريبورتاج» السياسى أو الاجتماعى أو الأدبى

فان الواحدة من أولئك الفتيات المغرورات بأنفسهن ، الجاهلات المدعيات ، تهبط بلاداً لا تعرف من تاريخها وعاداتها شيئاً ، فتقيم فيها بضعة أيام تتنقل فى خلالها من مائدة إلى مائدة ومن سيارة الى سيارة ، ثم ترحل بالسلامة الى بلادها ، وتطلع علينا بطائفة من المقالات والقصص والحوادث أو « الحواديت » التى تطلق فيها الكاتبة لخيالها العنان ، وتثبت أنها مرت بالبلاد التى زارتها كسائحة تقصد النزهة والفرجة ، لا ككاتبة تقصد التحرى عن الحقائق ودرس الاخلاق وخدمة المجتمع

فالاديبات الاوربيات اللواتى رأيناهن ولا نزال نراهن بين ظهرانينا فى هذه السنوات ، كثيرات لا يحصى لهن عدد . ولكن اللواتى يجدر بنا أن نذكر اسماءهن فى هذا البحث الموجز قليلات ويا للأسف !

فهناك مدام مريم هارى Myriam Harry ولعلها اكثرهن انتاجاً فى الوقت الحاضر ، فان هذه الكاتبة القديرة ، التى لم تعد فى عنفوان الشباب ، لم تؤثر فى نشاطها الأسفار المتوالية والرحلات البعيدة فى الجبال والصحارى . فهى تخرج مؤلفاتها الواحد بعد الآخر ، وتنشر فى الصحف الفرنسية مقالات ومباحث عن الشرق ، تدل على سعة اطلاع عجيبة ، ورغبة أكيدة فى

اعادة الحقائق الى نصابها ، واطلاع الغربيين على مايجهلونه عن الشرق والشرقيين . وقد عاشرت مريم هارى الاسر الشرقية على اختلاف أديانها ومذاهبها ومواطنها ، وكتبت عن المرأة الشرقية مالم يكتب من قبل ، وان كانت قد وقعت فى بعض اخطاء لا أهمية لها ، فانها على كل حال تعد فى الوقت الحاضر ، بين حملة الاقلام فى أوربا ، أشجع كاتبة خاضت مثل هذه المواضيع إلى الآن ، واكثرهن علماً بالاسرة العربية والمرأة المسلمة والمجتمع الشرقى . ومريم هارى حسنة النية صافية الضمير شديدة الرغبة فى خدمة الشرق والشرقيين . فاخلاصها هذا يشفع لها إذا ما جنح بها القلم عن ادراك بعض الحقائق التى يصعب على المرأة الغربية ادراكها . ومريم هارى بلا شك من أصدق النساء الغربيات شعوراً وأعمقهن عاطفة فى حب الشرق والعمل فى سبيله

وبجانب هذه الكاتبة الشهيرة لابد أن نذكر مدام دى سان بوان ، حفيدة الشاعر الفرنسى الخالد لامارتين ، ونزيلة مصر منذ سنوات ، فانهذهالسيدة النبيلة قد ذاقت فى سبيل مصر وسوريا وغيرهما من الأقطار العذاب والاضطهاد . فهى تكتب عن الشرق ليس من الناحية الاجتماعية والادبية فقط ، بل أيضاً وعلى الخصوص من الناحية السياسية ، وهذا ماجعلها فى بعض الاحيان عرضة للارهاق من جانب الحكومات الشرقية والغربية فى آن واحد

ومن الاديبات اللواتى ستظل اسماؤهن مقرونة باسم الشرق : روزيتا فوربس ، واللادى دراموند هاى ، والملكة مارى الرومانية ، وكلارا ميل كندياني ، وبول هنرى بوردو

أما الأولى فقد قامت برحلات جريئة خطرة ، ولا أظن القراء يجهلون كيف أنها ادعت لنفسها كثيراً من الاعمال التى قام بها الرحالة المصرى احمد محمد حسنين بك . والمجال لا يتسع هنا لنقد موقفها من شريكها فى المتاعب والمخاطر

وأما الثانية فان المصريين والسوريين واللبنانيين يعرفونها ، منذ أن كانت تقيم فى بيروت ودمشق الى أن انتقلت إلى القاهرة ، ثم عادت إلى بلاد الانجليز وظلت تحن إلى الشرق وتزوره من وقت الى آخر وتكتب عنه بصراحة وعطف واخلاص

والملكة مارى الرومانية من نساء الغرب اللواتى سحرهن الشرق . فقد هامت به تلك الكاتبة الشاعرة المتوجة . وأذكر أنها قالت لى فى حديث نشرته لها فى سنة ١٩٣٠ : انها لا تأسف الا لشىء واحد ، وهو أنها لم تكثر من الطواف فى الشرق فى سنى شبابها . وعندما طلبت الى جلالتها أن تكتب بيدها الكريمة كلمة عن مصر ، تناولت القلم وكتبت باللغة الفرنسية ما ترجمته :

« بعد أن دانيت مصر قديمها وحديثها ، أدركت الدافع الذى يهيب بهؤلاء المجيين داعى العودة اليها ! »

وكلارا ميل كندياني هى ابنة الكاتب الفرنسى المشهور بيير ميل . وقد احترفت الصحافة

وقامت برحلة الى مصر وسوريا ، وكتبت سلسلة مقالات كانت سبب خلاف بينها وبين الصحيفة التى أوفدتها الى الشرق ، لأن هذه الفتاة الصادقة أبت إلا أن تسرد الحقائق مجردة عن كل غرض وغاية . وهذا ما لم تقبله تلك الصحيفة . وكلارا بيل كنديانى لا تترك الآن فرصة تمر دون أن تغتنمها لزيارة الشرق والكتابة عنه

أما بول هنرى بوردو فهى ابنة الكاتب الفرنسى هنرى بوردو ، وقد انتقلت اليها من أبيها عدوى التسرع فى الحكم والتحدث عن أمور لا تفهمها والخوض فى موضوعات لم تتعمق فى دراستها . فمؤلفاتها عن الشرق لن تعيش طويلا لأنه ينقصها ما ينقص مؤلفات أبيها : الفكر الثاقب ، والنظر الصائب ، وطلاوة الحديث ، وسرد الحقائق والوقائع بامانة واخلاص

هذه نظرة عامة على الكاتبات الغربيات ، اللواتى تركن فى عالم الأدب آثاراً عن الشرق تذكر ، واللواتى يجب على الشرقيين أن يطالعوا مؤلفاتهن ، سواء أكانت قيمة أم تافهة ، صادقة أم كاذبة

حبيب جاماتي



Après avoir approché l'Egypte ancienne et la nouvelle, je comprends ceux qui obéissent à leur appel de retour.

Marie.

الكلمة التي كتبتها جلالة الملكة ماري الرومانية بيدها الكريمة وأعطتها للاستاذ حبيب جاماتي عندما اخذ منها الحديث الذي أشار اليه في هذا المقال ، وترجمتها : « بعد ان دانيت مصر قديمها وحديثها ، ادركت الدافع الذي يهيب بهؤلاء المحبين داعي العودة اليها » ويرى في أعلى التاج الملكي الروماني

مخاطر تهدد كرتنا الارضية

يعيش معظم الناس آمنين مطمئنين ، وينامون وملء جوانحهم الثقة بأنهم سوف يستيقظون كما استيقظوا فى اليوم السالف وأن العالم سائر كما كان سائراً ، وأن مجرى الزمان لن يعترضه معترض . ولكن العاقل لا يرى هذا الرأى لانه ينظر الى الاشياء بعين الروية ويعلم أن الكرة الارضية جسم سابح فى فضاء هذا الكون ، وهى كغيرها من الاجرام العلوية سوف تنطوى متى حان أجلها فتزول منها الحياة وتصبح يباباً لازرع يجملها ولا ضرع

عند مايسير سائق القطار بقاطرته ويدفعها فوق السهول والمرتفعات والمنحنيات يستطيع ان يبصر ما أمامه ، فاذا رأى خطراً يتهدده وقف القاطرة أو خفف سيرها . وأما عالم الفلك الذى يرصد الفضاء بالمرقب (التلسكوب) فيعلم أن الكرة الارضية تندفع فى الفضاء بسرعة ثمانية عشر ميلا فى الثانية ، ولكنه لايستطيع رؤية المخاطر التى تعترض الكرة فى طريقها ، واذا رآها لم يستطع وقف الكرة أو تخفيف سرعتها أو تحويل خط سيرها

ومما يجدر بالذكر أن نور الشمس لا يجاوز آخر حدود النظام الشمسى الا ملايين معدودة من الاميال . فنحن اذن لا نستطيع رؤية كل ما فى الفضاء مما قد يكون خطراً على الكرة

وقد نشرت احدى المجلات العلمية الاميركية مقالة للدكتور ستيتسون مدير مرصد بركنس بجامعة وزليان بأميركا (وهو من كبار علماء الفلك) وجه بها الانظار الى بعض الاخطار التى تهدد الكرة الارضية عن بعد أو عن قرب . وأشد هذه الاخطار ما يعرف عند علماء الفلك « بالأضبة الكونية » (جمع ضباب) وهى أشبه شىء بسحب كثيفة منتشرة فى فضاء الكون تشغل حيزاً تزيد سعته على سعة حيز النظام الشمسى كله . وقد درس الدكتور ستيتسون هذه الاضبة مستعيناً بتلسكوب المرصد الذى يديره (وهو ثالث تلسكوبات العالم الكبرى) فاتضح له أنه اذا اندفعت الكرة الارضية لا قدر الله الى ذلك الحيز أدى ذلك الى حصول عصر جليدى جديد يشتد فيه زمهرير الارض ويهلك كل كائن حى

قلنا ان الارض تندفع فى الفضاء حول الشمس بسرعة ثمانية عشر ميلا فى الثانية . ولو كانت هذه هى حركتها كلها ما كان ثمة أى خطر يتهددها ، ولكنها هى والشمس والقمر وجميع الاجرام التابعة للنظام الشمسى تسير معاً فى الفضاء متجهة نحو النجم المسمى فيجا (Vega) أو النسر الواقع وهو فى كوكبة اللورا (١) (Lyra) واذا ظل النظام الشمسى يسير فى الفضاء بسرعته الحالية فانه

---

(١) تعرف أيضاً بكوكبة السلياق أو الاوز والصنج والمعزفة والسلحفاة وفيها ٢١ نجماً أكبرها نجم فيجا أو النسر الواقع وهو من القدر الأول

يدنو من النسر الواقع بعد نحو نصف مليون سنة . ويعتقد الدكتور ستيتسون أن بين النظام الشمسي وكوكبة اللورا المذكورة منطقة أو منطقتين أو أكثر من « الاضبة الكونية » وأن من المحتمل كثيراً جداً أن تدخل الكرة الارضية تلك المنطقة

ولنفرض أنها دخلتها . فماذا تكون النتيجة ؟

كان العلماء حتى عهد قريب يعتقدون أن العصور الجليدية التى مرت بهـا الكرة الارضية فى الحقب الجيولوجية الخالية ، كان سببها تضاؤل حرارة الشمس تضاؤلا وقتياً لسبب طارىء غير معروف تماماً ، كما يتضاءل لهيب الشمعة قليلا ثم يعود فيشتد مرة أخرى . أما الآن فان العلماء يعللون العصور الجليدية بنظرية أخرى ، وهى مرور اجرام النظام الشمسى بمنطقة الغيوم أو الاضبة الكونية الشبيهة بسدم سوداء مظلمة لا تخترقها أشعة الشمس . وهذه الغيوم أو الاضبة أو السدم حالت دون وصول نور الشمس وحرارتها الى الارض ، فافضى ذلك الى حصول العصور الجليدية السابقة

ويستدل من رصد الفضاء بالمراقب الكبيرة ان هنالك سحباً لولبية هائلة الحجوم تسمى السدم اللولبية ، وترى على أحد جوانبها منطقة سوداء يظن علماء الفلك أنها غمامة سوداء لا يخترقها نور السدم . وفى كوكبة الجبار (Orion) بقعة سوداء يعتقد علماء الفلك انها ضباب من الاضبة الكونية المذكورة وهى تحجب كل ما وراءها من أنوار واجرام

وفى نظام المجرة أيضا بقع سوداء كأنها مناطق فارغة لا اجرام فيها ولا كائنات ، ومنها بقعة يسميها علماء الفلك « كيس الفحم » . وكانوا حتى عهد قريب يظنون انها مناطق فارغة لا أجرام فيها ، ولكنهم قد عدلوا الآن عن هذه النظرية وصاروا يعتقدون أن تلك البقع هى سحب سديمية كثيفة أو أضبة كونية لا تخترقها أنوار الاجرام المستترة وراءها

أما السدم اللولبية التى سبقت الاشارة اليها فهى كبيرة جداً يبلغ اتساعها ملايين الملايين من الاميال ، وتدور على محورها دوراناً سريعاً . ولو كانت كرتنا الارضية قريبة منها لكانت عرضة لان تحرم نور الشمس فتمر اذ ذاك بعصر جليدى جديد

ويقول العلماء أن الشمس دخلت فى منطقة الاضبة الكونية غير مرة فى العصور الخالية . وكانت آخر مرة منذ نحو مليون سنة يوم مرت الارض بالعصر الجليدى الكبير . وكانت قد مرت بعصر جليدى قبل ذلك بنحو مائتين وخمسين مليون سنة . وجمهور العلماء يعتقدون الآن أن سبب كل عصر من تلك العصور الجليدية كان مرور الارض فى منطقة الاضبة الكونية التى حرمتها نور الشمس وحرارتها . بل ان بعض العلماء يؤكدون ان الشمس لم تخرج من تلك المنطقة الا من عهد قريب ، وأن الرجم والنيازك التى تتساقط على الكرة الارضية من وقت الى آخر ليست سوى ذرات من « الغبار » الكونى أو الاضبة التى أشرنا اليها . ويؤكد السر رتشارد جريجورى العالم الانجليزى ان عدد

الرجم والنيازك التى تسقط فى جو الكرة الارضية لا يقل عن أربعمائة مليون فى كل يوم من أيام السنة . ومما يجدر بالذكر أن تركيب الكرة الارضية لا يدل على تساقط الرجم والنيازك عليها فى العصور الجيولوجية الخالية ، أى ان هذه الرجم والنيازك لم تعرف الابعد اجتياز الشمس منطقة الاضبة الكونية ، وبعبارة أخرى أن لها علاقة بالعصر الجليدى

ثم ان هنالك طائفة من العلماء يعتقدون ان الحياة وصلت الى الكرة الارضية من تلك « الاضبة » منذ أكثر من مليون مليون من السنين . ولا يخفى أن العلماء غير متفقين حتى الآن على كيفية ظهور الحياة على الكرة الارضية ، فبعضهم يقول بنظرية التولد الذاتى ، وبعضهم (كالدكتور سفانت آرنيوس الكيمياوى السويدى المشهور) يعتقد أن جرثومة الحياة الاولى وصلت الى الارض من فضاء الكون . وهنالك قرائن تدل على أن جرائيم الحياة تستطيع احتمال برد فضاء الكون ملايين من السنين ، بحيث يمكن أن تجتاز ذلك الفضاء متوالدة فيه أحقاباً طويلة حتى تصل الى الارض . ومن المحتمل أيضاً أن الارض وأجرام النظام الشمسى كانت كلما مرت بضباب من الاضبة الكونية تلتقط بعض الانواع الحية ، ومن هذه الانواع نشأت جميع أصناف الاحياء على الارض

ومن أغرب الاخبار العلمية الحديثة أن الاستاذ « ليمان » — من أساتذة جامعة كاليفورنيا — أعلن منذ عهد قريب أنه اكتشف جرائيم حية فى نيزك سقط على الكرة الارضية من فضاء الكون . فاذا ثبت هذا كان دليلا قاطعاً على أن الحياة ليست معدومة من فضاء الكون ولا هى مقصورة على الكرة الارضية

وههنا موضع خطر آخر يهدد الكرة الارضية ، ذلك أن العالم كثيراً ما تجتاحه أوبئة جارفة لا يستطاع تعليل انتشارها تعليلا مقبولا . أفليس من المحتمل أن تكون تلك الاوبئة ناشئة عن جرائيم آتية من فضاء الكون وهى تنتشر فى جو الكرة الارضية ؟ بل أليس من المحتمل أن تكون تلك الجرائيم سبب انقراض الكثير من الحيوانات التى سادت الكرة الارضية فى الحقب الماضية ثم زالت ولم يبق منها الا أحافيرها ؟

ومع ذلك فمن المحتمل ان دخول الارض فى منطقة بعض الاضبة الكونية يكسب الكائنات الحية مناعة تامة ، أو يساعد على تنشئة السوبرمان (أو الانسان المتفوق) الذى هو موضوع بحث الكثيرين من علماء الاجتماع . على أن هذا الفرض بعيد الاحتمال . ومثله افتراض دنو الكرة الارضية من أحد الاجرام العلوية واصطدامها به ، ولو وقع ذلك لطارت الارض هباء منثوراً فى الفضاء ، ولكن احتمال وقوع هذا الحادث بعيد جداً . ويقول علماء الفلك ان اصطداماً كهذا يقع مرة فى كل الف الف الف مليون سنة !

الشعوب المضطهدة

ومذابح التاريخ الكبرى

يعاني اليهود اليوم في المانيا ارهاقا اختلفت الروايات بشأنه . فمن قائل إنه اضطهاد منظم غرضه الانتقام من اليهود لاخراجهم من المانيا بقضهم وقضيضهم . ومن قائل إنه حوادث فردية لها ما يسوغها وليست على شيء من الخطورة التي يصورها بها بعض المرجفين . وسواء أصدق ذلك أم هذا فان هذا الاضطهاد ليس الاول في نوعه في التاريخ ، فقد شهد العالم مذابح واضطهادات هي وصمة عار في صحيفة الانسان

ولقد كانت قارة آسيا ميداناً لأفظع الاضطهادات التي شهدها التاريخ ، ففيها عاث المغول والتتر والقوط والهون فساداً في الارض ، ومنها تدفقت سيول السفاحين على جميع أنحاء العالم وجرفت معالم حضارته . وكثيراً ما كان أولئك السفاحون يغيرون على مصر من الامصار فلا يتركون فيه قرية أو مدينة الا اجتاحوها وقتلوا أهلها

كان المغول قوماً رحلا يعيشون على الغزو والسلب قدموا من أقاصي الشرق جحافل جرارة ، يكتسحون البلاد ويحرقون كل ما يصادفهم في طريقهم ، فلم يمروا بمدينة إلا أحرقوها ولا بأرض إلا تركوها قفراً يباباً . ويؤكد المؤرخون أن مجموع الذين أهلكهم المغول في غزواتهم لا يقل عن ثلاثين مليوناً من الانفس في خلال القرون الثلاثة التي عقبت سقوط الامبراطورية الرومانية . وكان أعظم قادتهم أتيلا وجنكيزخان وتيمور لنك (أو دمير لنك) وقد لقبهم بعض المؤرخين « بلعنة الله على الارض »

ولم يختص المغول والتتر فقط بالفظائع بل اشتهر بها كثير من الشعوب الاوربية التي كانت ترتكب ما ترتكبه باسم الدين أو في سبيل القضاء على عقيدة من العقائد . فقد حاول الرومانيون في عهد امبراطوريتهم ان يستأصلوا المسيحيين ويمحوهم على بكرة أبيهم . فاستعدوا عليهم القوط والفندال وغيرهم من الشعوب الفظة . فاثخنوهم وأعملوا السيف والنار حتى كادوا يفنونهم عن آخرهم . ولعل أعظم الاضطهادات التي عاناها المسيحيون في ذلك العهد هي التي وقعت بايعاز نيرون السفاح ، فانه خشي أن يثور شعبه عليه بسبب مساوىء حكمه وتبذيره ، فاستعدى القوم على المسيحيين ليلهيهم بهم عن نفسه . فاخذ الشعب يلقي بهم أمام الوحوش رجالا ونساء وأطفالا أو يغطسهم في القار وغيره من المواد الملتهبة ويجعل منهم مصابيح تضيء في الليل وتنير الطرق والحدائق والساحات العمومية

ولم يعان المسيحيون صنوف الظلم والاضطهاد فى عهد نيرون فقط بل فى عهد ديوقليطانوس وكاليغولا وكرا كلا والبغابالوس وغيرهم أيضاً. فقد ارتكب هؤلاء من الفظائع ما تقشعر منه الابدان، وقد ذكر المؤرخون عنهم ما لا يصح أن ينسب إلا الى الوحوش

* * *

وقد عانى اليهود أيضاً صنوف الظلم والاضطهاد بسبب دينهم . ومن أقدم تلك الاضطهادات المظالم التى عانوها فى أيام الحروب الصليبية . فقد كان قادة الجيوش فى تلك الحروب شديدى التعصب للديانة المسيحية ، يعتقدون أن من واجبهم اهلاك أعداء النصرانية وفى مقدمتهم اليهود . قيل إن الدوق جودفرى اقسم عند ما تولى قيادة جيوشه أن ينتقم من اليهود أشد نقمة لانهم تسببوا فى صلب المسيح . وحاصر الكونت اميكو مجمع اليهود بمدينة « ماتنز » فعرض عليه هؤلاء أن يفدوا أنفسهم بقطع من الذهب والفضة ، ولكنه ابى الا أن يهلكهم وأوعز الى جنوده بالاحداق بهم وقتلهم رجالا ونساء وأطفالا . ولما رأت الامهات ما سيحل بشعبهن عمدن الى أولادهن فقتلنهم ذكوراً وإناثاً بايديهن لكيلا يسقطوا بيد العدو ، ثم قتل الرجال أزواجهم وانتحروا . وقد وصف المؤرخون هذه المذبحة وصفاً يذيب الاكباد ، فقالوا إن الام كانت تعمد الى ولدها فتقتله بيدها لكيلا يقع فى قبضة الاعداء فيقتلوه بعد ان يطيلوا عذابه . وكان الخطيب والخطيبة ينتحران معاً والوالد يذبح أولاده ليكفيهم عذاباً لا يطاق على يد الاعداء . وقد قتل من اليهود فى مدينة ماتنز فى يوم واحد مائة والف

وعانى اليهود الاضطهادات فى فرنسا وانجلترا والمانيا ، وبلغ من شدتها ان الحاخام « يوستوف » الذى كان مركزه بمدينة يورك بانجلترا اضطر ان يقتل بيده ستين من اليهود لينقذهم من العذاب الذى كان مهيئاً لهم وليحول دون ارتدادهم عن الدين

وفى العصور الوسطى كان اضطهاد اليهود على أشده فى المانيا حيث كانوا يسامون العذاب ألواناً فيقتلون ويحرقون ويغرقون وتقتلع أظافرهم وتكوى أجسامهم ويدفنون أحياء . ويقول المؤرخ اليهودى ليون فوخت فانجر (وهو اليوم منفى من المانيا) ان معظم اليهود الذين نجوا من المانيا فى ذلك العصر نزحوا الى بولونيا وأقاموا بها فى وجل وذعر دائمين يتوقعون الموت فى كل لحظة . وسنت لهم الحكومة قوانين فى منتهى الشدة فلم تأذن بان تزيد نسبة عددهم فى أية بلدة على يهودى واحد لكل ستمائة مسيحى . وفرضت عليهم الضرائب والمكوس الباهظة ، وقيدت حركاتهم وسكناتهم وحرفهم وصناعاتهم بقيود ثقيلة ، وحظرت عليهم مزاولة المهن الحرة ، ومنعتهم من حلق لحاهم ، وفرضت عليهم ثياباً معينة ، وحصرتهم فى احياء قذرة لا يجوز لهم ان يتعدوها . وضربت لهم مواعيد للخروج فى النهار ، الى غير ذلك من القيود الثقيلة التى أرهقتهم بها . ومع ذلك نموا وتكاثروا فى

احيائهم القذرة المظلمة وانصرف معظمهم الى مهنة اقراض المال بالربا وهم يشعرون بثقل أعباء الحياة

ولم يكن قياصرة الروس اكثر عطفاً على اليهود فى العصور الحديثة بل جروا على سياسة من شأنها استئصال شأفة تلك الطائفة . ففى سنة ١٩٠٣ وقعت مذبحة كشنيف المشهورة التى هلك فيها الكثيرون من اليهود وعقبتها مذابح أخرى شبيهة بها فى كياف واوديسا وغيرهما من المدن الروسية . فهلك الالوف من الرجال والنساء والاولاد لغير سبب سوى كونهم يهوداً

واتفق ان جرت تلك المذابح فى أثناء الحرب الروسية اليابانية ، وعاد بعض الجنود اليهود من ميادين القتال فوجدوا أن أهاليهم قد قتلوا بتحريض الأمراء الروس ، فاستصرخوا العالم المتمدن ولكن العالم المتمدن لم يستطع أن يمد اليهم يد الانقاذ

☆ ☆ ☆

ومن الامم التى وقعت عليها اضطهادات شديدة الامة الارمنية فى الدولة العثمانية فى أيام السلطان عبد الحميد . فقد أراد هذا السلطان أن ينتقم من الارمن لاظهارهم الاستياء من حكم الاتراك . فاوعز الى الاكراد بأن يقوموا عليهم ويفتكوا بهم . وجرت مذابح هائلة دامت من سنة ١٨٩٣ الى زمن الحرب العظمى الماضية فى فترات متقطعة . وبلغ عدد الارمن الذين قتلوا سنة ١٩١٥ فقط أكثر من أربعة ملايين ، عدا مئات الالوف من الذين قتلوا قبل تلك السنة من الرجال والنساء والاطفال والشيوخ والبنات . وكانت تلك المذابح أقذر وصمة فى تاريخ المدنية الحديثة . والقلم يعجز عن وصف أهوالها . وقد تحرك العالم المتمدن لوقف تلك المذابح ، ولكن اختلاف مصالح الدول الاوربية شجعت الحكومة العثمانية البائدة على المضى فى سياستها ، فلم تستطع أوربا وأمريكا انقاذ الارمن ولا استطاعت أن تفعل شيئاً أكثر من ارسال الاعانات المالية للمنكوبين

☆ ☆ ☆

ولم يسلم المسلمون من الاضطهادات القاسيـــة فان المغول والتتر أنزلوا بهم ويلات كبيرة وعلى الاخص فى عهد جنكيز خان الهائل الذى انقض بجحافله على آسيا الوسطى فى اوائل القرن الثالث عشر للميلاد

وكان جنوده اشبه بوحوش ضارية يقتلون ويسلبون وينهبون ولا يعفون عن احد . وكان الفرس والعرب يفرون من أمامهم كلما سمعوا بخبر دنوهم . لان المغول كانوا اعداء المدنية فلم يدخلوا مدينة الا أحرقوها وقتلوا اهلها ونهبوا ما فيها ولم يتركوها الا أطلالا بالية . كذلك فعل جنكيز خان وهولاكو ببغداد وغيرها من المدن الزاهرة فى ذلك العهد

وقد ذكر احد المؤرخين ان هولاكو أمر باخراج أهالى بغداد كلهم وجمعهم فى مكان واحد خارج المدينة ثم أمر بذبحهم على بكرة ابيهم غير مشفق على طفل أو ولد او امرأة او شيخ هرم .

وكانت ببغداد مكتبة مشهورة لا نظير لها فى العالم فأمر هولاكو باحراقها كما أمر ايضاً بهدم جميع قصور المدينة واطلاق ألسنة النار فيها بقصد القضاء على الحضارة الاسلامية

ولم يقع اضطهاد المغول على المسلمين فقط بل امتد الى روسيا ايضاً ، فاجتاحت جحافلهم بلاد القياصرة وارتكبوا فيها فظائع تقشعر منها الابدان . منها انهم كانوا يجمعون الاسرى فيوثقون ايديهم وأرجلهم ويحرقونهم كومة واحدة أو يغرقونهم او يدفنونهم احياء

ومن عاداتهم انهم كانوا يجمعون الاسرى وهم موثقو الايدى والارجل ثم يضعون فوقهم ألواحاً من الخشب ويمرون بخيلهم فوقها وهم يتسابقون او يأتون ما يشاءون من ضروب الفروسية الى ان تسحق أشلاء اولئك الاسرى المساكين ويهلكوا واصوات أنينهم بالغة عنان السماء

☆☆☆

ونكب المماليك فى تركيا فى عهد السلطان سليم الاول نكبة عظيمة فان السلطان انتقم منهم وضربهم ضربة بالغة فأهلك منهم ألوفاً كثيرة . ونكب البروتستانت فى اوربا فى ازمنة مختلفة نكبات فظيعة ، فجرت مذابح الالبيجيس والهوجونوت (البروتستانت) ومذبحة سانت برتلماوس فى فرنسا ، ومذابح الفالدانس (البروتستانت) بسويسرا ، ومذابح اخرى كثيرة لا يتسع هذا المجال لبسطها . وما فظائع « ديوان التفتيش » بخافية على احد من العالمين بتاريخ اسبانيا . وبلغ عدد البروتستانت الذين قتلوا فى مذبحة سانت برتلماوس وحدها [فى ٢٤ اغسطس سنة ١٥٧٢] نحو ثلاثين الفاً . ومن سنة ١٥٦٧ الى ١٥٧٣ بلغ عدد الذين قتلهم دوق الفا من اهالى هولندا نحو ثلاثة ملايين لم يكن لهم ذنب سوى انهم رفضوا ان يدينوا بدين الدوق . وكان ذلك العدد يزيد على نصف سكان هولندا

☆☆☆

وصفحات التاريخ مشوهة بذكر الاضطهادات الدينية الكثيرة . ومع ان هذه الاضطهادات قد قلت الآن بسبب تقدم المدنية فانها لم تزل زوالا تاماً ، فما زال لهيبها يندلع من وقت إلى آخر كأنها جذوة نار تحت الرماد



وبعد التحصيل ؟

ماذا تصنع بعلمك ؟

يخطر هذا السؤال ببال كل والد له اولاد يتلقون العلم فى الجامعات والمدارس العالية . فقد أصبحت مسألة التعليم وما نفعل بالمتعلمين أعقد من ذنب الضب ، وكلما مر عليها الزمن زادت تعقيداً وقد عالج أحد كبار الكتاب الانجليز هذا الموضوع ونشرت له احدى المجلات بحثاً مسهباً ذهب فيه الى أن جمهور الكتاب فى هذا العصر يسهبون فى الكلام على العلم ويوجزون فى الكلام على الغاية منه . ومعظمهم يعتبرون العلم عدة الانسان فى معارك الحياة ، فترى الوالدين يشجعون اولادهم على الجد والتحصيل لكى يضمنوا لانفسهم فى المستقبل رزقاً طيباً . فيجعلون كتب الدرس بذلك وسيلة لاحراز المادة

ومن حق الانسان أن يسعى ويكد ليضمن لنفسه الرزق والعيشة الهنيئة ، بل من حقه ان يبذل كل الجهد للوصول الى اعلى المراتب الاجتماعية ، وان يستعين فى سبيل ذلك بما قد أحرزه من علم . ولكن المادة ليست غاية العلم ، ولو كانت كذلك لكان العلم نقمة لا نعمة

خذ علم الطب مثلا وانظر الى طالب قد تخرج فى هذا العلم ونال الاجازة التى تبيح له مزاولة هذه المهنة ، ففتح « عيادة » وأخذ يعالج المرضى ويكسب ما يحتاج اليه ، وفى الوقت نفسه يتتبع الاكتشافات الحديثة فى علم الطب . ولكنه يقف عند هذا الحد ولا يبلغ شأواً من الشهرة بين قومه ، حالة أن احد رفقائه ممن درسوا الطب معه ولم يكن فى مدة الدراسة على شىء من الذكاء ولم ينل الاجازة الطبية إلا بشق النفس هو اليوم أوفر منه نجاحاً وابعد شهرة وهو يستعمل أحدث الاساليب الطبية وأفضلها واسمه على لسان كل من يعرفه . هذان طبيبان درسا معاً وتخرجا فى مدرسة واحدة وعلى ايدى اساتذة بعينهم . وكان أولهما فى المدرسة أوفر ذكاء وأوسع فطنة ولم ينل الثانى اجازته إلا بشق النفس . فلماذا اشتهر فيما بعد أكثر من رفيقه ؟ وما الذى جعله أوفر نجاحاً فى مزاولة مهنته ؟

السر فى ذلك هو تطبيق العلم على العمل فمعظم الناس يتلقون العلم ويستعملونه كما تلقوه ، وقليلون منهم يطبقونه على اعمالهم بطرق وأساليب يبتكرونها ، فهم مبتكرون وأولئك مقلدون . وفى العالم مئات الالوف من الشبان الذين يحملون الشهادات المدرسية ، ولكن النوابغ منهم قليلون جداً . والذين يرقبون التفاحة تسقط من الشجرة كنيوتن والبخار يدفع غطاء القدر كجيمس واط هم الذين يطبقون العلم على العمل ويفيدون العالم اكثر مما يفيده حملة الشهادات

وفى الواقع أن التعليم ليس سوى وسيلة لترقية عقل الانسان والتحكم فى ذلك العقل ولتقوية ملكة الاختراع والابتكار ، وبعبارة اخرى — ان التعليم يجب أن يكون بمنزلة المحرض للدماغ على البحث والاستقراء ومعرفة العلل والمعلولات . فاذا اقتصر فيه على شحن الدماغ بالمعلومات فقد ذهب

ضياعاً . واذا أريد أن يسفر التعليم عن النجاح وجب تدريب الدماغ على عادة الابتكار ، وتدريب الدماغ لازم كتدريب الجسم والعضلات . وليس هذا التدريب أمراً نظرياً بل هو عملي ، وغاية الغايات منه التحكم فى عمل الدماغ وتسيير ذلك العمل فى الجهة التى يراد تسييره فيها . وفى جميع ذلك يجب على الانسان أن يعلم انه يؤثر فى البيئة التى هو فيها وفى الوسط المحيط به تأثيراً صالحاً أو رديئاً . وهذا هو المراد ببناء الاخلاق . وقد زعم البعض انه ليس ثمة أية صلة بين التعليم والاخلاق وهذا خطأ شائع . فان التعليم الذى لا يرقق طباع الانسان ويصقلها ليس جديراً بان يسمى تعليماً

ثم إن للتعليم غاية أخرى أرقى من كل ما تقدم . وهى ترقية المجتمع فى كل نواحيه ومساعدة ناموس التطور لكى يجرى مجراه . وبهذا الاعتبار نقول ان التعليم ليس هو جمع المعلومات بين دفتى كتاب وتلقينها للتلميذ أو الطالب . بل هو وسيلة لرقى الانسان ووصوله الى الحقيقة . ولا يمكن ان يقف بالانسان عند حد معين . لان الانسان مهما بلغ من الرقى يظل بمنزلة التلميذ الذى يحتاج الى التحصيل . لهذا يقول العلماء ان دور التعليم لا ينتهى بخروج الانسان من المدرسة بل يلازمه طول العمر ، والمعلومات التى يكتسبها فى مدرسة الحياة أهم بكثير من المعلومات التى يكتسبها بين جدران الكليات والجامعات

واذا أخذنا كل علم من العلوم على حدة نجد أن له أطواراً يزدهر فيها وأطواراً يذوى فيها ويشرف على الزوال . فلكل من الشعر والموسيقى وعلم الأدب والحساب والتاريخ وغيرها أدوار هبوط وارتفاع . ولكن للمعرفة دوراً واحداً لا يتغير . وبعبارة أخرى — لقد تضعف دولة الشعر فلا نعود نرى شعراء كشكسبير ودانتى وامرىء القيس ، وقد تضعف دولة التعاليم الدينية فلا نجد أفاضل كفرنسيس الاسيسى ، وقد تضعف دولة الفن فلا نجد أنداداً « لانجلو » و « دى فنشى » . ولكن الرغبة فى العلم فى حد ذاتها لا تضعف بل هى ابداً فى نمو وازدياد ، والتلميذ الشاب الذى يتردد اليوم الى أية كلية يعرف من العلوم اضعاف ما كان يعرفه فلاسفة الاقدمين

ثم انظر الى مناحى تقدم العلم . فالاطباء الجراحون الآن يقومون بعمليات جراحية لو شهدها السلف لعدوها من المعجزات الخارقة ، والبواخر تسير بسرعة ما كان أحد يحلم بها من قبل ، والبشر يتخاطبون عن بعد ألوف من الاميال كما لو كانوا يتخاطبون وجهاً لوجه . وتطور الانسان والاجتماع محسوس فى كل دائرة من دوائر الاجتماع ، والقوة الاساسية التى تعمل فى هذا التطور هى التعليم . واذا كان هذا التطور قد صادف فى طريقه الصعاب والعقبات الكثيرة فللجهل فى تطبيق العلم على العمل . ويقول النقاد المتذمرون : « ما فائدة بواخركم الفخمة وقطاراتكم المريحة وطياراتكم السريعة واجهزتكم اللاسلكية واعباء الحياة تزيد كل يوم والشقاء يستحكم بالعالم والاخلاق تتدهور والمعابد تفرغ وابتسامة الارتياح لا أثر لها على ثغور الناس ؟ بل ما فائدة الاختراعات العلمية

والسجون ملأى بالمجرمين ومستشفيات المجاذيب غاصة بالمجانين والمدن مزدحمة بالبائسين ؟ أبمثل هذا يباهي الجيل الحالي ويدعي ان عصره هو عصر النور والمدنية ؟ . بل انظر الى أهل هذا الجيل وقد عرا الاصفرار وجوههم وحنى العمل ظهورهم وافسد الجهد قواهم وعبثت الهموم بنفوسهم ، وقابلهم بأهالي الاجيال الماضية الذين كانوا أقل علماً وأوفر هناء . فهل زاد العلم في راحتهم أم في شقائهم ؟ وهل كان العلم مجلبة لسعادتهم ؟

ليس اللوم واقعاً على العلم ، بل على الذين يسيئون تطبيق العلم وما من عالم فيلسوف الا ويعتقد اعتقاداً راسخاً ان العلم الحقيقي يجب ان يؤول الى سعادة الانسان وهناءته ، لا الى بؤسه وشقائه . فاذا كان قد آل حتى الآن الى العكس من ذلك فليس ذلك لعيب في العلم بل لنقص في طريقة تطبيقه

ولا شك ان التعليم ينشيء مقداراً من الذكاء حتى في ضعاف العقول . ومن خواصه انه يصقل الاخلاق ويهذب النفوس ويقرب الانسان من المثل الاعلى للكمال ، واذا أحسن الانسان تطبيقه كانت الحياة أوفر بهجة وأكثر سروراً

ولقد تسأل الكثيرين من الذين يحملون الشهادات المدرسية : كم تلقوا من العلم في المدرسة ؟ فيجيبونك أنهم لم يتلقوا سوى النزر اليسير . وأكثر منهم الذين يجيبونك أنهم لا يعرفون كيف يطبقون ما تعلموه ، فكأنهم خرجوا من المدارس لا أكثر علماً ولا أقل جهلا . وهذا يوجب على رجال التعليم أن يزيدوا على البرنامج « مادة » جديدة وهي تطبيق العلم على العمل . ويعتقد الكثيرون أن هذا التطبيق هو سر العبقرية والنبوغ ، أي أن العبقري النابغة لايختلف عن المتعلم البسيط إلا بكونه يحسن تطبيق ما تعلمه على شؤون الحياة

والدلائل اليوم متوافرة على ان الانسان قد بدأ يدرك نقص أساليب التعليم الحاضرة وحاجتها الى التنقيح . بل هنالك قرائن كثيرة تدل على ان الذين بيدهم شؤون التعليم قد اخذوا يدركون الآن ان النظم التعليمية الحالية هي ميكانيكية خالية من العنصر المعنوي ، أي أن الانسان يكتفي بأن ينال قسطاً معيناً من العلم ويؤدى عنه امتحاناً معيناً ينال بعده الشهادة المدرسية ثم يدخل مدرسة الحياة الكبرى وقد وضع تلك الشهادة في أحد ادراجه ونسى ما تعلمه وأخذ يسعى لكسب رزقه ، لامن طريق تطبيق العلم على العمل بل من طريق الاستعانة بالحظ والاعتماد على « محاسن الصدف » . ولكن الاستسلام الى « المصادفة » ليس دليلا على استعمال الذكاء ولا هو يشف عن تطبيق العلم على العمل . وغني عن البيان أن هذا التطبيق في حد ذاته هو مجلبة للسعادة ولشعور النفس بالارتياح الباطني . والدليل على ذلك انك وأنت تقوم بتطبيق العلم تشعر بلذة باطنية ولو لم يكلل عملك بالنجاح . إنك تشعر بأنك قد فعلت الواجب المفروض عليك ولم تستسلم الى عامل الحظ . ولايستطيع أحد أن يطالبك بأكثر من ذلك

ما يجب توافره في المؤلفات الناجحة

رأي اديبين كبيرين (من حديث معهما)

نشرنا في عدد سابق من « الهلال » رأيين للاستاذين عباس محمود العقاد وخليل مطران في هذا الموضوع . وننشر في هذا العدد رأيين آخرين للاستاذين محمد حسين هيكل بك وعلى عبد الرازق

الدكتور محمد حسين هيكل بك

أعتقد ان « الكتاب الجيد » هو الذى تظهر فيه شخصية واضحة ، وهو الذى تلتمس منه أن صاحبه قد أتى بشىء من عنده ، ولم يأت بشىء سبقه اليه غيره ثم تناوله هو ووضعه وضعاً آخر مع تغيير فى الاسم أو فى ترتيب الأبواب والفصول

ولا تنس أن كل كتاب يجب أن يؤدى رسالة خاصة يسد بها حاجة الجمهور ، ويقدم لهم نتاجاً جديداً ليس لهم به سابق عهد ، أو يحل لهم مشكلة من المشكلات التى يحتاجون الى حلها

فاذا كان الكتاب فى التاريخ مثلا ، فالواجب ألا يكون عبارة عن جمع حوادث من هنا وهناك وضم بعضها الى بعض ، ثم اصدارها فى مجموعة من الأوراق على انها كتاب تاريخى يستحق التقدير ، بل لا بد ان يكون لصاحب هذا الكتاب عمل فى هذا التأليف غير ذلك العمل ، ولا بد أن تظهر شخصيته فى حكمه على الحوادث وتمحيصها ورد الاسباب الى مسبباتها ، وربط النتائج بمقدماتها ، ثم يستخلص من ذلك الحقائق والعبر والعظات

واذا كان الكتاب فى الأدب ، فليكن رسالة جديدة يلمس فيها القارىء انتاج المؤلف ، ويشعر بأنه مبتكر أتى بشىء جديد . وقس على ذلك انواع التأليف

ثم يأتى بعد هذا الشرط فى « الكتاب الجيد » حسن العرض ، وسهولة الاسلوب . فهذان الشرطان مهمان جداً . فقد يكون الكتاب مستوفياً الشرط الاول وهو ظهور شخصية المؤلف ، ولكن طريقة العرض سقيمة أو عقيمة ، وأسلوب التأليف معقد أو ركيك . وحينئذ فلا يغنى ظهور الشخصية فى الحكم على الكتاب بالجودة

وقد قلت « الكتاب الجيد » ولم اقل « الناجح » لانى أعنى بالجيد ما كان مستوفياً الشروط السالفة ، سواء أكان ناجحاً فى الاسواق أم لم يكن ناجحاً . فنجاح الكتاب من حيث الرواج ليس مرتبطا بشرط من الشروط ، بل هو رهين الظروف . فاذا كان القراء ميالين فى ظرف خاص الى الاطلاع على ما يتعلق بالحرب وحوادثها ، فان المؤلفات التى تتناول هذا الموضوع

تصادف فى هذا الظرف رواجاً كبيراً ،كما حدث بعيد الحرب الكبرى ، فقد كان الناس مشغوفين بالاطلاع على كل ما يتعلق بهذه الحرب ، حريصين على قراءة كل كتاب يبحث فيها ويروى وقائعها

واذا كان القراء ميالين الى الاطلاع على المسائل الدينية أو الوطنية ، فان الكتب التى تبحث فى الدين أو الوطنية تصادف رواجاً غير قليل . وكذلك سائر ما يشغل اذهان الجمهور ، ويتفق والشعور العام ، سواء أكانت هذه المؤلفات جيدة أم رديئة

وهناك ظروف أخرى تعمل لرواج الكتب من الوجهة المادية ، لا محل لذكرها . . وليس هذا دليلا على جودتها ، بل ربما كان أقل الكتب جودة واتفهها موضوعاً أكثرها انتشاراً ورواجا بين الجمهور . وذلك تبعاً لميول الجماهير فى ظروف خارجة عن شروط الاجادة التى ذكرتها

الاستاذ على عبد الرازق

لست أعرف أن هناك شروطا يجب أن تتوافر فى المؤلفات الناجحة ، ولا ادرى لماذا ينجح هذا الكتاب أو لماذا ينال الاعجاب دون غيره . ولست أجد أسباباً معينة استطيع أن ارد اليها هذا النجاح او هذا الاعجاب الذى يفوز به كتاب من الكتب

ولقد أستحسن كتاباً من الكتب وأراه جديراً بالنجاح ، وربما كان فى الوقت نفسه ليس ناجحاً وليس جديراً بالاعجاب عند غيرى . وقد لا استحسن كتاباً واهمله ولا اعيره شيئاً من العناية ، فى حين أن غيرى يستحسنه ويحرص عليه ويعنى به عناية فائقة

وربما لا أعنى الآن بكتاب كنت أعجب به منذ عشر سنوات مثلا . وربما اكون معجباً اليوم بكتاب لا اعجب به بعد عامين أو ثلاثة أو اكثر

ولا تسألنى لماذا تعجب به ، أو لماذا تميل اليه نفسك ، فانى لا استطيع أن أجيبك عن هذا السؤال . غير انى ارى ان ذلك رهن لظرف من الظروف المهيئة للاعجاب بهذا الكتاب . فاذا زالت هذه الظروف فقد يصبح الكتاب لا قيمة له

وأظن انى اتفق والناس فى هذه الحالة . فقد يظهر كتاب يملأ نفوسهم اعجابا لاسباب وظروف خاصة ، فاذا زالت هذه الاسباب والظروف عاد الكتاب كغيره من الكتب التى لا تثير فى نفوس الناس اهتماما

فكتاب كتحرير المرأة للمرحوم قاسم بك امين كان له فى وقته اهتمام خاص استثار اعجاب المستنيرين . ولكنه اليوم أقل شأناً مما كان

ومثل كتاب قاسم بك أمين غيره من الكتب التى تستثير اهتمام المتعلمين فى ظرف من

الظروف فاذا زال هذا الظرف زال بزواله الاعجاب به ، وان فاز فى وقته باهتمام فائق ، وكان له حظ عظيم من النجاح بين المتعلمين

ولقد يفوز بعض الكتب بحظ من النجاح طويل الأمد أو مستمر كأنه الخلود ، ولا يبعد أن يكون للظروف أثر فى ذلك أيضاً

هذا الذى نسميه ظروفاً قد يسميه غيرنا أسباباً ، وربما استطاع العلم يوماً من الأيام أن يكشف عن هذه الظروف أو الأسباب ويحددها ، أو ربما كان بعض العلماء قد وصل فعلا الى ذلك . أما أنا فالى اليوم لا أدرى

في سكون الليل

الآن لا عين ترانا ولا — سمع يعى من حولنا ما نقول
الآن يغشانا ظلام له — حال من الروعة ليست تحول
بشاشة المغرب غمت به — فى مسبح ما ان له من قرار
وأمست الألوان لوناً كأن — غابت وجوه السهل فى جوف غار
ونامت الا كواخ إلا صدى — مختنقاً فى مهده ناسما (١)
وهوم الدوح فألقى على — صدر الدجى هامه حالما
صمت كصمت القبر لا ينجلى — فاض على الأحياء طراً وساد
حتى كأن الحس فى روعهم — غيب فما يرجى له من معاد

* * *

الآن ألقاك بروحى فما — حقك جسما من بنات التراب
وأجتلى حسنك وحياً إذا — ران على قلبى احتواه الغياب
أفرغ فؤادى من غرام الصبا — واملأه حباً كاللظى أحمرا
واعبث به إن شئت أو داره — فهو لغير الحب ما قدرا
دنياى لا أشغل نفسى بها — انت غدى والامس والحاضر
وانت ما أرجو وما أتقى — وأول الأحلام والآخر

(سوريا) حمص — رفيق فاخوري

---

(١) الناسم : المريض أشفى على الموت

خصومة قديمة بين الرجل والمرأة

بقلم الاستاذ أمير بقطر

رغم ما أودعت الطبيعة فى الرجل من شدة الميل للمرأة ، ورغم ما أودعت فى المرأة من شدة الميل للرجل ، فان بينهما خصومة ترجع إلى يوم الخليقة . فقد جاء فى الكتب المقدسة أن المرأة خلقت من ضلع الرجل ، وبذلك سجل عليها فى « علم الأحياء » أنها دون الرجل منزلة . ولم يرض أحد الفلاسفة أن تكون المرأة من صنع الذات العلية أولا ، ومن صلب الرجل ثانياً ، فقال متهكما : « إن الشيطان هو الذى خلقها بغير علم الله ، فلما نهض الله من نومه أنب الشيطان على ما فعل ، ولكنه سمح للمخلوق الجديد أن يعيش فعاشت ، ووجد الرجل أنها مليحة حسنة فأخذ بيدها ، وانطلق الاثنان يمرحان ويتناسلان حتى ملأت الأرض ذريتهما »

وشريعة اليهود فى الأصل لا تمنح المرأة من الاعتبار والاحترام والحقوق ما تمنحه الرجل

ومع أن أفلاطون كان يعتقد عدم التفريق بين الرجل والمرأة فى التربية والتعليم ، غير أنه لم ينظر اليها بعين الاعتبار ، وقد حذا فولتير حذوه فى عدم الثقة بالمرأة ، فقد سئل مرة عن الدين فأجاب : إنه يود أن يكون محاميه ، وصانع ملابسه ، وزوجته متمسكين بالدين ، حتى لا يتواطأ محاميه مع خصمه ، وحتى لا يسرق صانع ملابسه القماش ، وحتى لا تخونه زوجته . وهو يعنى متهكماً أن هؤلاء الثلاثة جهلة وليس من سبيل إلى حملهم على الاستقامة إلا عن طريق الدين

وقد مات أرسطو وهو يعتقد أن أسنان المرأة أقل عدداً من أسنان الرجل ، رغم علمه وحكمته وغزارة مادته

وما يزال الكثيرون يعتقدون حقاً أن المرأة منشأ « الخطيئة الأصلية » وأنها هى التى أعطت آدم الثمرة المنهى عنها . وقد شن بولس الرسول الغارة على المرأة فأجلسها فى أعلى « التياترو » وخص الرجل بمقصورة فاخرة ، ولم يكتف بذلك ، بل نصح للشبان بالعزبة من استطاع اليها سبيلا . ولعله كان متأثراً فى ذلك العصر من تهتك المرأة الرومانية وانغماسها فى مراتع اللهو والشهوات الحيوانية ، فقد كان الحسان فى ذلك الحين يسرن فى الطرق والأماكن العامة مرسلات الشعور ، حاسرات الصدور ، بارزات النهود ، وكن يبالغن فى التزين والتبرج والاستحمام باللبن والسباحة مع الرجال فى البرك الصناعية

وكان الفيلسوف الألمانى شوبنهور من ألد أعداء المرأة ، وكان يعيب تسميتها « الجنس اللطيف » فى حين أن « شكلها قبيح ، وخلقتها لا تماثل فيها ولا تناسب ، وقوامها ينقصه الذوق الفنى »

وهجا شوبنهور المسيحية ، وأنحى عليها باللائمة ، لأنها احترمت المرأة ، وجعلت لها بجانب الرجل مقاماً رفيعاً ، وقال : إن الأدب الخيالى (Romanticism) الذى اشتهرت به أوربا فى ذلك العصر ، والأدب العاطفى (German Sentimentality) الذى اشتهرت به ألمانيا زادا الطين بلة ، فتبوأت المرأة مكاناً تحت الشمس . وأطرى الاسيويين لاقتناعهم بانحطاط المرأة وقبولهم تعدد الزوجات ، وذم الاوربيين لأنهم مراؤون ، يعاشرون النساء خلسة معاشرة الازواج ، ثم يدعون كذباً أنهم يحرمون تعدد الزوجات ، ثم يؤمنون بأن المرأة لها بين الناس مقام رفيع

وقال شوبنهور : إن الغربيين يمنحون المرأة من الثروة نصيباً مساوياً لنصيب الرجل ، فى حين أنها كثيرة التبذير والانفاق ، شديدة الغرور بنفسها . ثم استدل على ذلك بلويس السادس عشر الذى يعزى اشتعال الثورة الفرنسية إلى نسائه الفاجرات المبذرات ، اللواتى أشرفت فرنسا بسببهن على شفا الخراب والافلاس

غير أن شوبنهور معذور فى إعلان هذه الآراء - التى وإن كانت لا تخلو من شىء من الصحة فانها نصف ناضجة ، إن لم تكن مشوهة بالا كاذيب - وعذره أنه لم يذق فى حياته طعم الأمومة ، فقد كانت أمه على غير وئام مع أبيه فرحلت عنه ، وعاشت حياة حرة مبتذلة ، تبيع عرضها رخيصاً لرهط من العشاق . واضطر شوبنهور أن يرحل إلى غير بلاده فاقام فى بولندا . فكيف تنتظر أيها القارىء من فيلسوف متطرف مثله ، لا زوجة له ولا أم ، ولا ابن ولا ابنة ولا أسرة ولا وطن ، أن يحترم مخلوقاً مثله أمه أشنع تمثيل ، والصقت به وصمة العار والفضيحة والفجور ؟ ومن الغريب أن لورد بيرون الشاعر الانجليزى الذى ولد فى السنة التى ولد فيها شوبنهور قد أصابه من أمه ما أصاب شوبنهور

أما نيتشه الفيلسوف الألمانى أيضاً فقد كان أشد ازدراء واحتقاراً للمرأة من شوبنهور ، وذلك أنه كان شديد الايمان بنظرية دارون (بقاء الأصلح) وشديد الكراهية للضعيف (كالمرأة) والمتواضع والمتوسط والديمقراطى والوديع ، محباً للقوى والمتكبر والعبقرى و « السوبرمان » والارستقراطى ، ومن أقواله فى هذا الصدد : إن الديموقراط ، والانجليز ، والباعة ، والبقر ، والنساء - كلهم عندى فى منزلة واحدة وصعيد واحد

ولأنه كان يكره المساواة ويحب السيطرة والقوة والسيادة ، كان يقول ان المساواة بين الرجل والمرأة ضرب من المستحيل لأن السلام لايسود فى العالم إلا إذا كان الرجل سيداً والمرأة أمته ، وان الطبيعة تبغض المساواة ، ولهذا نشاهد الفروق بين الأفراد

ولا يزال الكثيرون حتى فى أرق الأوساط فى أوربا وأمريكا يعتقدون أن المرأة دون الرجل

* * *

غير أن هذه كلها ليست إلا آراء فردية ، وخرافات وأوهاماً لا يعززها دليل ، ومذاهب شخصية يشوبها التحزب أو المحاباة أو الجهل ، لأنها لم تكن نتيجة تجارب عملية أو أسانيد علمية . وقد قصدنا من كتابة هذا المقال أن نجمع من أشتات كثيرة ما توصل اليه العلماء - خصوصاً في علم النفس - من معرفة الفروق بين الرجل والمرأة :

من ناحية الذكاء العقلي لم يجد العلماء فرقاً يذكر بين الرجل والمرأة بعد فحص مئات الألوف من الطلبة والطالبات ، في مختلف الأعمار ودرجات التعليم في أوربا وأمريكا بواسطة مقاييس الذكاء.

ومن الغريب أن العالم السويسري دكتور كلاباريد ، الذي استعانت به وزارة المعارف المصرية منذ ثلاثة أعوام على درس حالة التعليم في مصر ، وجد أن متوسط الذكاء في البنات أعلى منه في البنين . ولعل سبب هذه النتيجة أن الاختبار الذي أجراه لم يتناول العدد الكافي من الجنسين ، لأن عدد البنات اللاتي امتحن لم يتجاوز ألفاً وبضع مئات

غير أن مسألة الذكاء هذه تحتاج الى شيء من التفصيل . وذلك أننا إذا تصورنا في مدرسة أو كلية الف طالب والف طالبة ، فان الخمسة في المائة العليا في الترتيب تكون من الذكور ، والعشرة او العشرين في المائة السفلى تكون من الذكور أيضاً . أما النسبة الباقية وهي المتوسطة فيكون اكثرها من البنات . وعلى هذا المبدأ يكون المتفوقون في البكالوريا مثلا من البنين ، والراسبون أو المتأخرون معظمهم من البنين أيضاً ، أما المتوسطون من الناجحين فتكون الأكثرية فيهم من البنات - هذا بفرض تساوي عدد البنين والبنات (أو ما يقرب) المتقدمين للامتحان .

وقد توصل كلاباريد في أحد اختباراته الى ما يقرب من هذه النظرية ، ووجد أن الرجال يفوقون النساء في العلوم الرياضية . ويعزون ذلك الى تمرن الرجل منذ آلاف السنين على العمليات الحسابية التي تتطلبها أعماله المصلحية والتجارية

كذلك وجد أن في القراءة الصامتة يمتاز الرجل عن المرأة (بوجه عام) في درجة الفهم وسرعة ادراك المعاني . غير أن المرأة أكثر اتقاناً للتهجئة (في اللغات الأوربية) من الرجل

ومن الغريب أنها تمتاز عنه في جودة الخط ، على عكس النظرية الشائعة في مصر (١) التي لا ترتكز على أساس . ولعل النظرية الموما اليها تشبه النظرية القائلة ان جودة الخط تتناسب مع قلة الذكاء . وهذا خطأ وقع فيه الفرنسيون مثلنا حتى شاع بينهم مثل معروف وهو « الخط لغة الحمير L'écriture est la science des ânes »

واذا جمعت في كتاب النظريات الشائعة التي يعتقد العامة صحتها على غير أساس لكان هذا الكتاب أضخم من الكتب التي تجمع الأخطاء اللغوية المنتشرة بين الناس

(١) لأن المرأة لم يعط لها النصيب الكافي من العلم حتى تظهر مواهبها في هذه الناحية

والمرأة أقدر على السرعة فى الكتابة من الرجل ، وفى معاهد العلم تفوقه فى الانشاء والتحرير ، فموضوعاتها الانشائية اجود نوعاً ، واعذب اسلوباً ، وأرق عبارة ، واكثر مادة . وهى أخصب ذهناً ، ولهذا تميل الى الاطالة فى الكتابة كما تميل الى الاطالة فى الحديث . ولما كانت اكبر ميزة تمتاز بها الموضوعات الانشائية عن غيرها فى المعاهد العلمية ، هى الجلاء فى الفكرة والوضوح فى التعبير والبعد عن الغموض والابهام ، فان الطالبات بوجه عام يفقن الطلبة فى درجات الانشاء . وهذا ما يقوله علماء التربية فى امريكا . ولا بد ان ينطبق على غير تلك البلاد ، لان الطبيعة البشرية تكاد تكون هى بعينها فى كل مكان

واستدلالا على القول بأن هذه الفروق بين الجنسين عامة ـ اى انها تنطبق على مصر مثلا كما تنطبق على غيرها من البلدان ـ أقتبس من تقرير كلاباريد عن البنين والبنات فى المدارس المصرية ما يأتى :

« ويرى من الرسم . . . أن البنات يتفوقن كثيراً عن البنين . وقد لوحظ هذا التفوق عند البنات فيما يختص بسرعة الكتابة لغاية سن الثامنة عشرة (وبعد هـــذه السن يتفوق عليهن الذكور) أما فيما يختص بحفظ الكلمات فالتفوق لغاية سن السابعة عشرة . والامر بالعكس فيما يختص بعملية الجمع فان قوة البنين والبنات واحدة ، ويفوق البنون البنات فى عملية الطرح ، اما فى عمليتى الضرب والقسمة فان البنين يفوقون البنات لغاية سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة »

أما فى العلوم التاريخية فقد دلت الاحصاءات فيها على ان الاناث دون الذكور . وقد حاول بعضهم ان يبحث عن علة هذا الأمر فذكروا اسبابا لا تخرج عن كونها من قبيل الحدس والتخمين

والمرأة اقل جنوحاً لكسر القوانين ، والخروج عن المألوف ، وتعدى حدود العادات والتقاليد ، وإساءة التصرف فى الآداب العامة والقواعد المرعية والمسائل الخلقية . ففى سن الحياة المدرسية يقل عدد الفتيات اللواتى يتغيبن بغير سبب ويشققن عصا الطاعة ويهملن الواجبات المدرسية ويعاكسن المعلمين ويشاكس بعضهن بعضاً بعكس الطلبة الذكور

أما اللكنة ، والتعثر فى الالقاء والكلام ، وعسر النطق ، وتكرار الحروف قبل اخراجها فهذه كلها عيوب أشد انتشاراً بين الذكور منها بين الاناث . واذا فهمنا الأصل فى علة هذا الداء أدركنا سبب هذا الاختلاف بين الرجل والمرأة

فالتعثر فى النطق يعزى الى جهل الوالدين والمعلمين وسوء التربية أكثر مما يعزى الى الوراثة . ويقول العلماء ان اسكات الطفل كلما هم بالكلام ، وزجره وتأنيبه اذا ما أراد التعبير عن رأيه ـ بدعوى أنه صغير لا يليق به أن يتحدث أمام من هم أكبر منه سناً ـ والتهكم به اذا ما اخطأ فى الاجابة وعدم تشجيعه على الاجابة بتؤدة فى المدرسة ، والمبالغة فى اصلاح خطئه ، والاكثار

من تصحيح لحنه عند المطالعة أمام معلميه ، والالحاح عليه بسرعة الاجابة عما يلقى عليه من الأسئلة ، واخراسه اذا لم يجب اجابة صحيحة ، وأمره بالجلوس فى الحال مع تأنيبه اذا لم ينطق بما يريده المعلم بأوفر سرعة - هذه ومثلها من المسائل هى أهم أسباب التلعثم واللكنة والتعثر فى الكلام والالقاء.

ولما كانت حالة الفتاة تستدعى عادة الرفق بها ، ومعاملتها باللطف واللين ، وتشجيعها على التعبير عن رأيها ، فانها بهذا تكون أقل عرضة لهذا العيب من مثلها من الذكور

ووجد ايضا أن العسر (أو استعمال اليد اليسرى بدلا من اليمنى) فى الكتابة وسائر الاعمال أكثر انتشاراً بين الرجال منه بين النساء . ويقدر العلماء أن اربعة فى كل مائة من السكان فى أى بلد كان لايستطيعون استعمال اليد اليمنى . وهذا أمر طبيعى لايستدعى القلق أو الاهتمام . ومثل هؤلاء مثل أولئك الذين تزيد قوة النظر فى عيونهم اليمنى عنها فى اليسرى . ومن العبث جعل الطفل الأعسر أيمن بالمران والتدريب . وغاية ما فى الأمر أنه فى هذه الحالة يستطيع استعمال اليد اليمنى بدرجة محدودة

ونسبة العسر (أو استعمال اليد اليسرى) بين الاناث ثلاثة اخماس نسبتها بين الذكور ، أى أن كل ثلاث من النساء يقابلهن خمسة من الرجال

والنساء أشد من الذكور ولعاً بقراءة الروايات الخيالية ، غير أن الذين يقرءون الروايات الخيالية من الذكور يفضلون تلك التى تبحث فى المخاطرات والاسفار، كروايتى السندباد البحرى ومونت كريستو ، بعكس النساء فانهن يفضلن تلك التى تبحث فى حياة الاسرة والاجتماع . وذلك أمر طبيعى ، فاحلام الفتيان كلها نزوع للبطولة والحروب وتجشم الاخطار وركوب متن البحار . أما أحلام الفتيات فتميل الى الزواج وبناء الأسرة والحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها . ومن الغريب أن هذا الفرق الواضح بين الجنسين منشؤه فى الاصل العاطفة الجنسية والجاذبية الطبيعية بين المرأة والرجل . فالرجل لايطمح فى البطولة ، ولايبنى قصوراً فى عالم الاسفار والاخطار الا ليجذب اليه قلوب النسوة الجميلات . والمرأة لاتحلم بعالم الاسرة والاجتماع إلا ليترامى على قدميها الرجال فتختار منهم من تشاء

غير أن الرجل يمتاز عن المرأة فى صحة الرواية وصدق الشهادة ، أى أن المرأة اذا شهدت حادثة وطلب منها سرد وقائعها فانها لا تتقن الوصف الصحيح ، ولا تدقق فى الرواية كالرجل . ولا يفهم من هذا أن الرجل كامل من هذه الناحية ولكنه يفوق المرأة نسبياً . وقد اقام علماء النفس تجارب كثيرة للدلالة على هذه النقطة . كأن يمثل استاذ أمام جماعة راقية مهذبة من الرجال رواية قتل قصيرة ، ويطلب منهم كتابة ما شاهدوه كتابة واضحة مختصرة ، يشترط فيها سرد الوقائع صحيحة ، ثم تراجع الاوراق لايجاد مقدار الدقة فى الوصف فى كل منها ثم

يدون متوسط نسبة هذه الدقة فى جميع الأوراق . ومن الغريب أنه فى قاعة بلغ عدد الحاضرين فيها ستمائة من طلبة الجامعات ، لم تزد هذه النسبة عن ٧٠ فى المائة فى المتوسط . وقد أجريت مثل هذه التجربة أمام عدد كهذا من الاناث فكانت النسبة نحو ٦٠ فى المائة

ويتضح من هذا أمران : أحدهما أن قاضى المحكمة ينبغى له أن يحذر شهادة الشهود ، وألا يعول عليها إلا فى حدود المعقول ، مع مراعاة الظروف والاحوال . وثانيهما أن الحكمة القديمة فى الشريعة الاسلامية الغراء التى تجعل شهادة الرجل معادلة لشهادة امرأتين ، تستند الى أساس علمى

وقد أجريت فى اسكوتلندا أخيراً تجربة للوقوف على الفرق بين الذكور والاناث من تلاميذ المدارس فيما يتعلق بالصور المتحركة . وليست هذه التجربة الاولى فى نوعها فقد قام الاميركيون والالمانيون بمثلها مرات عديدة . وقد دلت هذه التجارب على فروق يسيرة فى النزعات والميول من هذه الناحية . فالذكور مثلا أكثر اختلافاً الى دور الصور المتحركة من الاناث ، كما أن الفقراء من البنين والبنات على السواء أكثر ميلا لهذه الدور من الاغنياء ـ لما لدى هؤلاء من صنوف الملاهى والتسلية . والذكور أشد ميلا للروايات الحربية واللصوصية وروايات البطولة والجاسوسية والهزلية . أما البنات فيملن الى الروايات الخيالية وروايات رعاة الابقار والاطفال (نظراً لغريزة الامومة) ومن الغريب أن نصيب الروايات الغرامية فى الصور المتحركة جاء السابع فى الترتيب بين الانواع التى يرغب فيها . ومن الغريب أن بنات الفقراء أشد ولعاً بالروايات الغرامية وأكثر اقبالا على الصور التى تمثل الحب من بنات الطبقات المتوسطة والارستقراطية . ولعل سبب ذلك أيضاً توافر الملاهى والالعاب والحفلات وضروب السمر عند الثانية مما يلهى الفتيات عن الحب وتنبه العواطف الجنسية

ووجد أيضاً نتيجة لهذه التجربة أن لكل من الطلبة الذكور والطالبات الاناث مجموعة خاصة من الممثلين والممثلات . فبين النجوم الذكور يميل الشبان الى هاردى ، وهولت ، وسمرفيل ، وجاكى كوجان ، وكولمن ، الخ على الترتيب . وتميل الفتيات الى أدولف منجو ، ولون شانى ، ونوح بيرى ، وباويل ، وجاك أوكى ، الخ على الترتيب

أما بين النجوم الاناث فيميل البنون الى جينور ، وبنيت ، ومكدونلد ، وشيرر ، وكروفورد ، الخ على الترتيب . وتميل البنات إلى جينور ، ودرسلر ، ومكدونلد ، وكروفورد ، وبنيت ، الخ على الترتيب . ويتضح من هذا أن الجنسين أكثر اتفاقاً فى ميلهن إلى النجوم من الاناث . وأن البنات والبنين على السواء يكرهون جريتا جاربو[1] ، وأنا ماى وونج ، ومرن لوى . ويختص البنات فوق ذلك بكراهية جلوريا سوانسن ، ولويس ولسون . غير أن البنين والبنات اتفقوا أيضاً فى

(١) أحد والديها من السويد والآخر من جاوا

ميلهم إلى تفضيل روايتين شهيرتين بالاجماع على سائر الروايات المعروفة ، وهما « الكل هادىء فى الميدان الغربى » و « بن هور »

* * *

ويلوح أن الطبيعة لم تودع فى المرأة من العاطفة الجنسية ، وما يتسبب عنها من الشهوة الحيوانية ، مقدار ما أودع فى الرجل . لذلك يسعى الرجل وراء المرأة فى غالب الاحوال حباً فى جمالها وطمعاً فى اشباع طبيعته الحيوانية منها ، غير أنها تسعى اليه فى غالب الاحوال حباً فى الاحتماء به والاعتماد عليه مدفوعة بغريزتين أساسيتين هما الخوف والجوع ، تليهما غرائز أخرى ثانوية كالعاطفة الجنسية والامومة وتكوين الاسرة . لهذا يعزى إباؤها ، ونزوعها إلى العفة ، والترفع عن الدنايا ، وعدم الاستسلام إلى عاطفتها الجنسية . وهذه الصفات نسبية أى أنها ليست معدومة فيها ولكنها أقل منها عند الرجل بمراحل . غير أن ضعفها وحسن ثقتها بالرجل يدفعانها أحياناً إلى الاستسلام والانقياد له انقياداً أعمى ، وكثيراً ما تهبط بسببه إلى أغوار الفساد ، وتسلك فى أشدها حلكا وأبعدها مدى . ومعظم أسباب الطلاق وتفكك أوصال الاسرة يرجع إلى الرجل لا إلى المرأة ، كما دلت الاحصاءات فى أوربا وأميركا

وكم من امرأة تبيت طاوية ولا تسعى للرذيلة . وكم من زوجة تعلم سراً أن زوجها كثير الاتصال بغيرها من النساء الساقطات ، فتصبر على مضض العيش ، تلبسه مضطرة وترضى به كارهة . وكم من امرأة إذا ما ابتليت بزوج أحمق ، واشتدت بها المصائب ، رضيت بزماله . وراضت نفسها على الصبر ، واحتملت صنوف العذاب والارهاق ـ وان ضجرت فى نفسها ـ حباً فى بنيها وبناتها وبيتها . وكم من امرأة ترى الرجل يتعقبها فتحاول المروق منه . وكم من امرأة تجمح بها الرغبة فى مداعبة الرجل أحياناً وركوبه بالمزاح أخرى ، فتلاعبه ثم تتخلص منه بعزيمة صادقة وارادة قوية وتحكم فى العاطفة ، حباً فى التمسك بمبادئها ، واحتراماً لنفسها ، رغم ضعفها . وكم من رجل بكلمة واحدة ، أو بجرة قلم ، يهدم الحياة الزوجية لأوهى الاسباب ، فيذهب الامل الذى كانت تتنسمه شريكة حياته طوال السنين ، وتزلزل نيتها التى نوتها ، وتجلس إلى نفسها تحاسبها ، فلا تجد أمامها إلا ظلاماً دامساً نهايته الابدية !

والمرأة ـ ككل مخلوق ضعيف ـ شديدة الحذر والاحتراس ، كثيرة العناية بنفسها وصحتها وسمعتها ، قليلة التعرض للحوادث (١) . ولذا فانها تعمر أكثر من الرجل ، وتفوقه عدداً فى معظم البلدان . وربما كانت هذه كلها مدعاة لشقائها

ونريد أن نقول ختاماً انه مهما يكن ثمة من الفروق بين الرجل والمرأة . سواء أكانت هذه

(١) فى كل ١٢ من الغرق فى أميركا امرأة واحدة . وعدد الغرق سنوياً فى مدينة نيويورك فقط خمسمائة

الفروق جثمانية (فيزيولوجية) أم نفسية (سيكولوجية) فان هذه الفروق لا تنهض دليلا على تفوق أحدهما على الآخر . لان الافراد بين الذكور قد يكون التفاوت بينهم أكثر منه بين ذكر وأنثى ، كما أن التفاوت بين السلالات البشرية المختلفة أقل منه بين الافراد من سلالة واحدة .

وإذا كنا نؤمن بنظرية الوراثة التى لا يشك فيها غير انصار (١) مذهب السلوكية (وهم قلائل جداً) نحط من كرامة انفسنا إذا ما احتقرنا المرأة ، لان المرء يرث من أبويه قليلا او كثيراً .

وربما لا يعلم بعض القراء ان علماء النفس وجدوا ان فى كل ١٦٠ حالة ١٣٠ حالة يشبه الاولاد ابويهم فى مقدار الذكاء . وقد كان العالم فرنسيس جولتون (٢) يقول ان الطفل يرث من ابويه النصف ومن جديه الاولين الربع ومن جديه الثانيين الثمن ، وهكذا ١/١٦ ثم ١/٣٢ ثم ١/٦٤ . غير ان العلماء اليوم لا يذهبون إلى هذا الحد

وربما لا يعلم بعض القراء ان فى كل رجل عنصراً من الانوثة ، وفى كل امرأة عنصراً من الذكورة . أى أنه لا يوجد رجل كامل الذكورة ، ولا توجد امرأة كاملة الانوثة . ومن الرجال من يكره النساء ، ومن النساء من يكره الرجال . ومجمل القول أن الخصومة بين الجنسين قديمة وستبقى كذلك - رغم الميل المتبادل - ما بقى الانسان على وجه الارض ، وان كانت هذه الخصومة لا أساس لها . ولا يبعد ان تكون غريزة من الغرائز التى نسى علماء النفس ذكرها

امير بقطر

لابن حزم الاندلسى

☆ غاظنى أهل الجهل مرتين فى عمرى : احداهما بكلامهم فيما لا يحسنونه أيام جهلى . والثانية بسكوتهم عن الكلام بحضرتى ، فهم أبداً ساكتون عما ينفعهم ناطقون فيما يضرهم

وسرنى أهل العلم مرتين : أحداهما بتعليمى أيام جهلى . والثانية بمذاكرتى أيام علمى

☆ من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها . ولم يرافق فى تلك الطريق إلا أكرم صديق . ومن طلب الجاه والمال واللذات لم يساير إلا الكلاب الكلبة والثعالب الخلبة . ولم يرافق فى تلك الطريق إلا كل عدو

☆ منفعة العالم فى استعمال الفضائل عظيمة . وهو أنه يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو فى الندرة . ويعلم قبح الرذائل فيتجنبها ولو فى الندرة . ويستمع الثناء الحسن فيرغب فى مثله ، والثناء الردىء فينفر منه . فعلى هذه المقدمات وجب أن يكون للعلم حصة فى كل فضيلة وللجهل حصة فى كل رذيلة . ولا يأتى الفضائل من لم يتعلم

---

(١) behaviourists (٢) Galton

لمحة في تاريخ الفيلاتيلسم

أو جمع طوابع البريد (Philatélisme)

ليس استعمال الطوابع قديماً فهو لا يرجع الى ابعد من منتصف القرن السابع عشر . ومع ذلك فقد أصبحت بعض الطوابع تحفاً عتيقة فى نظر هواتها يجودون بالاموال الوفيرة فى سبيل اقتنائها . وقد يدفع أحدهم بضعة آلاف من الجنيهات للحصول على طابع واحد لم يكن ثمنه الأصلى ليزيد على مليم واحد أو على بضعة مليمات

بدىء باستعمال الطوابع فى سنة ١٦٥٣ . ففى تلك السنة نال المسيو دى فيلايه (الذى اصبح يعرف فيما بعد بالكونت دى فيلايه) اذناً من ملك فرنسا بانشاء بريد لنقل الرسائل ، على أن يدفع للحكومة الفرنسية جعلا معيناً ، وعلى ان تكون كل رسالة ينقلها ملفوفة بغلاف عليه طابع خاص . وكان هذا الغلاف ينزع عند تسليم الرسالة الى صاحبها ويعاد استعماله فيما بعد ، وكان شبيهاً جداً بالغلافات المبصومة التى ترسل بها الصحف اليوم بمصلحة البريد . وعليه يصح القول بأن أول طوابع بريدية استعملت فى العالم هى الطوابع التى ظهرت فى فرنسا ، ومنذ ذلك الحين شاع استعمالها فى نواحى العالم الاخرى . ولكنها لم تظهر بشكلها الحالى أو ما يقرب منه الا فى اوائل القرن التاسع عشر ، فشاع استعمالها فى سردينيا سنة ١٨١٨ وفى اسوج سنة ١٨٢٣ وفى بريطانيا العظمى وبعض ممتلكاتها سنة ١٨٢٨

وفى سنة ١٨٤٠ ظهر فى انجلترا نوعان من الطوابع : أحدهما مبصوم على ظرف خاص (كالظروف البريدية الحالية) وثانيهما طابع مربع الشكل مصمغ الظهر عليه رأس الملكة ، ولكنه لم يكن « مشرشر » الحافات فى الأصل لأن كل طابع كان يطبع على حدة . وفى سنة ١٨٤١ ظهرت فى انجلترا طوابع جديدة عليها صورة رأس الملكة مطبوعة طبعاً بارزاً . ولا تزال الطوابع البارزة شائعة الى هذا اليوم

ومما يجدر بالذكر ان الطوابع الانجليزية اصبحت فيما بعد أنموذجاً للطوابع البريدية فى جميع نواحى العالم بسبب صغر حجمها وسهولة استعمالها . ومع انه مر بعض الزمن قبل أن تقتبس سائر الدول شكل تلك الطوابع فان هواة جمعها بدأوا يطلبونها من ذلك الزمن . وبمرور الايام اصبح جمع الطوابع مهنة رابحة

وفى سنة ١٨٤٢ نال احد الانجليز المقيمين بنيويورك (واسمه هنرى وندسور) اذناً بانشاء مصلحة بريد داخل مدينة نيويورك واستخدم لهذا الغرض طوابع خاصة ثمن كل منها ثلاثة

سنتات . وفى السنة التالية اقتبست بعض مدن سويسرا والبرازيل هذا النظام . وكانت أول طوابع بريدية استعملتها حكومة البرازيل اهليلجية الشكل ، ولذلك كانوا يسمونها « طوابع عيون المهى » . وكان عليها الرقم الدال على قيمة الطابع فقط من دون رسم صورة رئيس الجمهورية لاعتقاد القوم ان ختم تلك الصورة بختم البريد يشوهها وليس فيه احترام لرئيس الجمهورية

وكان لكل مدينة من مدن الولايات المتحدة فى اول الأمر « مصلحة بريدية » يقوم بادارتها واستغلالها أحد الافراد بموجب امتياز خاص . وشاع هذا النظام فى عدة نواح من بلاد الغرب الى ان عدلت عنه الولايات المتحدة سنة ١٨٤٧ اذ تولت الحكومة الاميركية ادارة مصلحة البريد واستغلالها بنفسها . وقد انقرضت طوابع البريد التى كانت تستعمل قبل ذلك الزمن (اى قبل انتقال مصلحة البريد الى يد الحكومة) الا النزر النادر منها مما هو اليوم فى حيازة بعض الهواة ولا يمكن تقويم ثمنه بمال

وإذا عدنا الى تاريخ الطوابع فى انجلترا نجد أن مستعمرة موريتيوس كانت اول المستعمرات التى استخدمت طوابع بريدية بريطانية خاصة بها ، وكان ذلك سنة ١٨٤٧ . وكانت تلك الطوابع فئتين : فئة قيمة كل طابع منها بنس واحد ولونه برتقالى ضارب الى الحمرة ، واخرى قيمة كل طابع منها بنسان ولونه ازرق . وقد نقشت على الجانب الايسر من الطابع كلمة « البريد » وعلى بقية الطابع صورة الملكة . ولا يوجد اليوم من تينك الفئتين فى العالم كله سوى ثلاثين طابعاً فقط . وهى غالية جداً يساوى كل طابع منها عدة آلاف من الجنيهات ، ولو وجد الثلاثون طابعا فى حيازة رجل واحد لجاز له أن يحسب نفسه من كبار الاغنياء فى العالم

قلنا ان حكومة الولايات المتحدة تولت استغلال مصلحة البريد بنفسها سنة ١٨٤٧ واستعملت اول « طبعة » من الطوابع التى اصدرتها لهذا الغرض فى اول يوليه سنة ١٨٤٧ . وكانت قيمة كل طابع خمسة سنتات وعليه رأس الرئيس فرنكلين . ثم اصدرت بعد ذلك طبعة اخرى قيمة كل طابع منها عشرة سنتات وعليه رأس واشنطون

ومامر على نظام البريد الجديد فى الولايات المتحدة عامان حتى حذت معظم حكومات اوربا حذو الحكومة الاميركية وصارت تقوم باستغلال مصلحة البريد بنفسها . فتبعتها حكومات بافاريا والبلجيك وفرنسا سنة ١٨٤٩ ، وحكومات النمسا وهانوفر وبروسيا وسكسونيا وشلزويج هولشتين وسويسرا سنة ١٨٥٠ ، ثم اقتبست سائر الدول ذلك النظام فيما بعد حتى أصبح اليوم لكل دولة مصلحة بريدية تستغلها ولها طوابع بريدية هى - كالعملة وغيرها من الاشياء - من علامات استقلال الدولة ومميزاتها

وماكاد القرن التاسع عشر ينتصف حتى كثر هواة الطوابع فى اوربا واميركا وأخذوا يتصيدون النادر منها . ومن سنة ١٨٦٠ الى ١٨٦٢ اشتد الكفاح بين أولئك الهواة وصاروا

يتنافسون فى اقتناء الطوابع النادرة تنافسا شديداً . وفى سنة ١٨٦٢ نشر رجل انجليزى يدعى مونت براون « كتالوجاً » لطوابع العالم المعروفة وفيه قائمة تحتوى على الف ومائتى طابع . وفى سنة ١٨٦٤ أعاد طبع ذلك « الكتالوج » وفيه قائمة تحتوى على ٢٤٠٠ طابع (أى على ضعفى القائمة الاولى) وظهرت بعد ذلك (كتالوجات) كثيرة وكل كتالوج منها يحتوى على قوائم أصناف جديدة . وآخرها كتالوجات شركات مختلفة للمتاجرة بالطوابع (مثل كتالوجات شركة جبونس وشركة سكوت وغيرها بانجلترا) وكل منها يحتوى على زهاء مائة وثمانين الف صنف من طوابع البريد الحكومية فقط . ولو أضيفت اليها طوابع مصالح البريد الخصوصية القديمة وطوابع المجالس البلدية والطوابع التذكارية لزاد العدد كثيراً جداً

ولعل أول هواة جمع الطوابع رجل من اهالى ستراسبورج يدعى « اوسكار برجر ليفو » فقد جمع فى سنة ١٨٦٠ طائفة ثمينة منها اشتراها من رجل من اهالى باريس يدعى الفريد بوتيكه وطبع منها كتالوجاً خاصاً سنة ١٨٦١ . وفى سنة ١٨٦٢ ظهر اول كتالوج فى انجلترا يحتوى على مجموعة مونت براون الذى سبقت الاشارة اليه . ثم توالى ظهور الكتالوجات الخاصة بمجاميع الافراد من هواة الطوابع فى فرنسا وانجلترا والمانيا والبلجيك وغيرها من البلاد

وتجار طوابع البريد منتشرون اليوم فى جميع نواحى العالم ، ومنهم من قد الف الشركات الكبيرة لهذه التجارة . وتباع الطوابع (المستعملة) عادة رزماً رزماً تحتوى كل رزمة أو مجموعة منها على الف طابع او اكثر من اصناف مختلفة . ولا تعتبر المجموعة ذات قيمة اذا كانت تحتوى على اقل من مائة وخمسين الف طابع مختلف

وهنالك تجار أو هواة يتبادلون الطوابع ويسعى كل منهم لشراء ما ينقصه لاكمال مجموعته . وكثيراً ما تقام « المزادات » فى لندن وباريز وبرلين ونيويورك وغيرها من المدن لبيع الطوابع القديمة النادرة . واذا اعلنت الصحف عن مزاد كهذا تقاطر إليه الهواة من كل فج وصوب وتنافسوا فى شراء الطوابع النادرة مهما بلغت اثمانها . وفى سنة ١٩٢١ انشئت فى واشنطون نقابة كبيرة للمتاجرة بالطوابع على نطاق واسع واسمها « The Philatelic Agency » وهذه النقابة تابعة لمصلحة البريد الامريكية . وقد انشئت فى كندا وهولندا ومستعمراتها والدنمرك واسوج نقابات شبيهة بها . وهى تمد تجار الطوابع بالكميات الكبيرة مما يحتاجون اليه فى تجارتهم

وتقوم قيمة الطابع على الاربعة الاشياء الآتية وهى :

(١) نوع الورق المصنوع منه الطابع وعلامته المائية « Water mark » (اذا كان له مثل هذه العلامة) ولونه

(٢) رسمه أو النقوش التى عليه وهل هى بارزة ام مطبوعة طبعاً اعتيادياً أم بواسطة المطبعة

الحجرية ، ولون الرسم أو النقوش

(٣) نوع الصمغ المستعمل فى الطابع

(٤) حافات الطابع وهل هى « مشرشرة » أم مستوية

فاما العلامة المائية فتختلف اختلافا عظيما، وقد تكون مفردة أو متعددة . وفى بعض الحالات لا يظهر من المفردة فى الطابع الواحد سوى جزء منها ، والجزء المتمم لها يظهر فى الطابع الذى يليه . وهواة الطوابع يعنون بهذه العلامة جد العناية . وأما الرسم الذى على الطابع فيغلب ان يكون رمزاً الى الدولة كأن يكون صورة رأس الملك أو الملكة أو رئيس الدولة أو صورة منظر تاريخى من مناظر البلاد . وقد يكون أيضا طابعاً تذكاريا خاصاً بمؤتمر تاريخى أو معرض أو ما اشبه

وأما الصمغ فهو تركيب خاص يختلف باختلاف الطوابع

وأما حافات الطابع فمن النوع «المشرشر» أى أنها مشققة كاسنان المنشار وهذه « الاسنان » تختلف باختلاف حجومها ، فمنها ما يبلغ عددها ست « أسنان » لكل سنتمتر ، ومنها ما يزيد على ذلك أو ينقص عنه . ولعدد « الاسنان » فى كل جانب من جوانب الطابع شأن عظيم عند هواة الطوابع وهو احدى العلامات المميزة لها

ولا يشترط فى الطوابع القديمة ان تكون مستعملة فليست قيمتها فى كونها مستعملة بل فى كونها قديمة . ومع ذلك فكثيراً ما يحمل الطابع المستعمل تاريخاً لحادث ذى شأن . فالطابع الذى عليه تاريخ اليوم الذى توفيت فيه الملكة فكتوريا مثلا هو أهم من طابع مماثل له غير مستعمل . ثم ان للطابع الواحد عدة « طبعات » فكلما نفدت طبعة حلت محلها طبعة اخرى

ولما وضعت الحرب أوزارها ظهرت طوابع جديدة للدول التى نشأت بعد تلك الحرب كطوابع سوريا وفلسطين والعراق واستونيا ولاتفيا ولتوانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها . كما ان طوابع بلاد كثيرة تغيرت وحلت محلها طوابع جديدة تدل على الانقلاب السياسى الذى طرأ عليها كطوابع روسيا والمانيا وتركيا ومصر واليونان وغيرها من الدول التى تحولت من الملكية الى الجمهورية أو بالعكس

ومن الطوابع التى استحدثت بعد الحرب طوابع البريد الجوى وقد بدىء باستعمالها سنة ١٩١٧ ، وأول طابع منها هو الذى استعمل فى نقل البريد بين مدينتى روما وتورينو فى شهر مايو سنة ١٩١٧ ، ثم ظهرت بعد ذلك طوابع البريد الجوى فى الولايات المتحدة فالنمسا فالمانيا فبريطانيا العظمى ففرنسا فالبلجيك فسائر الدول التى اشتركت فى تلك الحرب وهى كثيرة

وفى العالم اليوم مجموعات ثمينة من الطوابع يساوى بعضها مئات الالوف من الجنيهات . وفى مقدمتها مجموعة المتحف البريطانى وقد أهداها اليه أحد أغنياء الانجليز واسمه تابلنج . وهى مجموعة

كاملة لجميع طوابع العالم حتى سنة ١٨٩٠، وقد اضيفت اليها الطوابع التي استحدثت بعد ذلك التاريخ

وهنالك مجموعة متحف البريد الالماني ببرلين ومجموعة متحف البريد بمدينة ستوكهلم عاصمة أسوج ومجموعة مكتبة مدينة نيويورك وقد اشترتها سنة ١٩٢٤ من المستر ميلر من أهالي ميلوكي . وفي كل من مانشستر وكلكتا وسدني مجموعات ثمينة جداً تحتوي على طوابع نادرة

ولدى جلالة الملك فؤاد الاول مجموعة من الطوابع هي بلا شك أغنى مجموعة في الشرق وتمتاز بطوابعها المصرية والسودانية والعثمانية

وعند الملك جورج الخامس اكبر مجموعة من الطوابع يملكها فرد في العالم، وجلالته رئيس جمعية الفيلا تيلسم (جمع الطوابع) الملكية بانجلترا . وقد بدأ بجمع الطوابع منذ كان نوتياً بسيطاً في احدى السفن. وكان لدى المسيو فيراري مجموعة ثمينة جداً استولت عليها الحكومة الفرنسية بعد وفاته سنة ١٩١٧ ثم باعتها بالمزاد سنة ١٩٢٥ فبلغ ثمنها ٤٠٢٩٦٥ جنيهاً . وقد بيع طابع واحد منها بمبلغ ٧٣٤٣ جنيهاً (وهو من طوابع غيانا البريطانية وثمنه الاصلي سنت واحد أي نحو مليمين) . وبيعت طوابع أخرى بمبالغ تتفاوت بين ألفي جنيه وخمسة آلاف جنيه. ويظهر أن رجلا امريكياً من هواة الطوابع اشترى معظم مجموعة المسيو فيراري فصارت لديه مجموعة ثمينة جداً . ومن ضمن الطوابع النادرة التي حصل عليها طابع لمستعمرة موريتيوس لم يكن ثمنه الاصلي ليزيد على اربعة مليمات ومع ذلك اشتراه الاميركي بمبلغ احد عشر الف جنيه فتأمل !

وفي العالم اليوم عدة جمعيات للعناية بالطوابع والمتاجرة بها . وفي انجلترا ومستعمراتها فقط نحو ثمانين جمعية لهذا الغرض . ولا يقل عدد الجمعيات الأخرى الموجودة في سائر نواحي العالم عن نحو خمسمائة جمعية

هذا وستكون مسألة الطوابع في مقدمة المسائل التي سيعنى بها مؤتمر البريد القادم الذي سيعقد في العام القابل في القاهرة



حواء بلا آدم

قصة مصرية * بقلم الاستاذ محمود طاهر لاشين

خلاصة ما تقدم فى الجزء الماضى

في منزل صغير هادىء في حى الحلمية تعيش حواء مع جدتها . وقد تخرجت حواء في المدرسة السنية وهي تشتغل بالتعليم فى إحدى المدارس . وقد أدى بها النشاط وحب العمل الى ان تنضم الى هيئة نسائية تدير مشغلا لتعليم الفقيرات . وتوثقت عرى الصداقة بينها وبين حرم الاواء نظيم باشا فعهدت اليها في تعليم ابنتها الموسيقى . والجدة امرأة وقورة من نساء الجيل الماضي تعتقد كل الاعتقاد فى أعمال السحر . ولها قريب شيخ طيب القلب هو الحاج امام يسكن معهما ويشاطر الجدة معتقداتها . وفي المنزل خادمة كثيرة الصخب اسمها « نجية »

اليوم يوم السبت ، والوقت وقت الظهيرة ، والمنزل الصغير يشمله السكون المألوف . فقد فرغت الجدة وحفيدتها من تناول طعام الغداء ، ولاذت حواء بسريرها فاستلقت عليه ، وقد انتهى عملها اليومى من المدرسة ، وآوت الجدة الى حجرتها فجلست على الكنبة ، ومضت تعمل بالابرة فى ثياب أمامها

حتى نجية لم يكن لها صوت وقتئذ فبعد أن غسلت الاطباق نصف غسيل اسرعت الى غرفة الحاج امام تستكتبه خطابا . فقد سافر ابن الجزار وخلف لها حرقة الحب تصليها اللواعج والسهاد ، فكبر الحاج بادى الرأى واستغفر ، ولكن سواء أكان لما حملته اليه الفتاة من السكر والشاى اثره فى عدوله عن ابائه ، أم أن بعض ذكريات الصبى اسعفته بالمرحمة للشباب المعذب ، فانه الآن جالس على فراء فى أظلم ركن من غرفته والفتاة جالسة أمامه تحمل الدواة فى يدها يصيب منها بقلمه كل مرة ما يكفى لتلويث أصابعه وللكتابة ولاحداث البقع على الارض وعلى الورق

وهو مسترسل فى ادعائه انه لو كان البحر مداداً والشجر أقلاماً لحفيت الاقلام من بث السقام ، ولنفد المداد قبل شرح المراد . مستعيناً فى استنزال وحى البيان بمط شفتيه ولى أنفه ، وزر عينيه تباعاً أو معاً

حواء على سريرها والجدة فى غرفتها . لا هذه نائمة ولا تلك تخيط . هذه سابحة وتلك واجمة

قال وجدان الجدة : « لست أدرى يا بنتى ماذا تعانين . وعبثاً تحاولين أن تخفى عنى غمتك بابتساماتك وكلماتك . انها ابتسامات خالية من ذلك البريق الذى ينعكس على عينى ، وكلمات ليست

فيها تلك الحرارة التي أتخذ منها النشاط لشيخوختي . أأنت مريضة ؟ »

فأجابها وجدان حواء : « كلا . لست مريضة . بل قد اكون . اني حائرة ، وأشعر بأنني لست ملك نفسي . ولست أدري لماذا يفرح قلبي ولماذا يحزن ، وممَّ يفرق تفكيري وبمَ يطمئن ! »

ولم يستطع وجدان الجدة فهم هذه الشكاية المبهمة ، فعمدت الى الابرة والثياب . وعالجت حواء النوم ، ومكنت رأسها من الوسادة . وكان يلذ لها أن تنام وقت الظهيرة كلما سنحت الفرصة . وهي اليوم أشد ما تكون حاجة إلى الراحة فقد لازمها في الليالي الماضية نوم غير مريح تشرف فيه على وديان لا عهد لها بها فتبهرها ، ولا تكاد تطمئن اليها حتى تقوم العواصف وتنقلب الوديان أرضاً جبلية فيها أغوار مخيفة وطرق وعرة ، فتستيقظ في فزع وينتابها أرق ممض لا تستطيع فيه التفكير بجلاء

بيد أن حواء لم تنم الآن أيضاً وعاودتها الحيرة والهواجس ، فقالت لنفسها بغضب : « لقد أنهكت أعصابي بالعمل . لن أذهب إلى بيت الباشا . الجمعية والمشغل . انها لحماقة . سخف . لماذا لا أكون كباقي زميلاتي فرحة طروباً . آخذ الحياة على علاتها ؟! ولا بيت الباشا أيضاً . لن أذهب اليه . نعم ، لن أذهب !! »

وأدركها الدوار ، وتخاذل جسدها ، وضاعف ضيقها الحر والعرق

قال وجدان الجدة بعد حين : « هل نمت يا ابنتي ؟ »

فقال وجدان حواء : « ادعي لي يا جدتي »

فرفعت العجوز عينين متوسلتين الى السماء ، ثم عادت الى الابرة والثياب

واستيقظت حواء بعد حين على صوت نجية وقد صعدت من عند الحاج امام ، وهي تصيح لتفهم سيدتها الكبرى أنها كانت طوال هذه المدة عند « المكوجي » تستعجل كي فستان سيدتها الصغرى ، ولكن الرجل الكسول لم ينته منه بعد . فنادت حواء الخادمة وأمرتها باعداد الحمام . فأسرعت تلك الى تلبية الطلب بهمة دلت عليها قعقعة قبقابها ذهاباً وجيئة . وأفاد الماء البارد حواء ، وعادت إلى غرفتها تشعر بنشاط ما ، وجلست إلى مرآتها

في هذه اللحظة جاشت مشاعرها حتى شلت تفكيرها اطلاقا

ثم انتبهت فاذا هي تنظر إلى المرآة وجلة ضارعة . لقد ذكرت انها في الثانية والثلاثين من عمرها ، وخيل اليها انها لم تنظر الى المرآة من قبل ، بل كانت ترجل شعرها ، وتصلح من وجهها بكيفية آلية أو غريزية ، وهي تفكر في أشياء اخرى : المدرسة . الجمعية . المشغل . الموسيقى . وما الى ذلك

ولكنها الآن . . ترى . . !

ترى أن عينيها السوداوين الواسعتين قد غلب فى نظراتهما جد الرجولة على فتور الانوثة . ووجهها وان كان مستديراً ممتلئاً إلا انه كامد البشرة شاحب يزيد منظرها عمراً ، وقوس شفتيها منحن إلى اسفل عند طرفيه اكثر مما يجب ، وشعرها لا بريق له ولا هو مرتب على نمط خاص ، ونظرت حواء الى المرآة فاحست بالخجل ، والحسرة . . والجرأة ! ثم ترددت ، ودارت فى الغرفة حائرة ، ثم عادت سيرتها الاولى من المرآة ، وفتحت أدراج التواليت بحركات عصبية ، وشرعت تعنى بنفسها للمرة الاولى

وكانت عند ذلك تحاول أن تقتنع بأنها انما تفعل ذلك من أجل نفسها كأية شابة فى سنها . بل سوف لا تهمل زينتها بعد الآن . وسوف تعتذر لحرم الباشا عن متابعة تعليم ابنتها . وتعطى لجسمها وأعصابها الراحة الواجبة بعد ذلك الاجهاد العنيف . سوف تشارك زميلاتها ضحكهن ومرحهن . . تثقب هذه الشرنقة التى تلفها وتطير فى الحياة بأجنحة جديدة نشطة . ان الوقت لم يفت بعد ، وهى ما تزال فى عنفوان شبابها

وسرها ما بدا على وجهها من نضارة ، ولو أنها لم تبالغ فى زينته . وهمت بأن تذهب إلى جدتها ، والجدة لا شك ستفرح . فتلك أمنيتها من زمن بعيد . ولطالما حيتها الى حفيدتها وأغرتها بها ، وكانت حواء تعرض عنها وتسكتها بأن فى الحياة ما هو أفضل للمرأة من المرآة والمساحيق

ولكن الساعة دقت فى الردهة النصف بعد الرابعة . فخفقت حواء وأرهفت أذنيها . ثم أسرعت — على غير عمد — فارتدت ملابسها . وعلى غير عمد كذلك انتقت أجملها وأظهرها لقوامها المديد

وهبطت السلم . .

الى بيت الباشا . .

☆☆☆

ومضت أسابيع ، تخلفت حواء فيها مراراً عن الجمعية وعن المشغل طلباً للراحة ، ولكنها لم تتخلف عن بيت الباشا مرة واحدة ، وكانت تغرى نفسها بأن هذا الدرس يدر عليها مالا اضافياً تحتاجه فى الضائقة النسبية التى خلفتها الصفقة الاخيرة من شراء المنزل . ولكن هذا المنطق كان يغضبها « ألأجل المال وحده أذهب ؟ » وتثور كرامتها « إذن لماذا أذهب وأنا على أشد ما شعرت به فى حياتى أسفاً واهتياج أعصاب ؟ ! » وما من جواب صريح بل انها كانت تخشى الصراحة وتكبتها . . وتذهب الى بيت الباشا . .

هنالك تقابل رمزى قبل الدرس أو بعده ، فتتحدث اليه ، وتجيبه الى ما يطلب اليها عزفه على البيانو

ورمزى فتى تخرج فى مدرسة الزراعة العليا منذ عامين ، ويشغل مركزاً فنياً فى الوزارة . وهو الآن فى الثالثة والعشرين من عمره . تظهره الوسامة والنعمة أصغر من سنه . ويحسبه الرائى طالباً لم يساهم فى الحياة بعد . وهو من جاه والده وثروة والديه غنى عن أى طموح . طريق الحياة منبسط أمامه ممهد ، مشرق مديد . وانه بذلك قانع وسعيد . لذلك لم يتعمد أن يثقف نفسه ثقافة خاصة . ومع ذلك فما هو نزق بشبابه ولا صلف بما أوتى . بل رزين دمث وفى نظرته خجل . وقد نشأ وفيه صوت والده الغليظ الواضح ، يجذب به اليه المستمع وان لم يتحدث بجديد

على أنه لم يخل من هرطقة الطبقة التى هو منها . فهو يجلس فى غرفة الاستقبال الفخمة من منزله الفخم ويتكلم برخاء عن فقر الفلاحين ، ويظهرعلمه بجهلهم وحسن نيته بسوء حالهم ، ويأسف لذكر وانثى من بنى آدم ، وذكر وانثى من البهائم يعملان النهار فى حقل واحد ويبيتان الليل تحت سقف واحد . ثم يعتذر بوالده عن أى اصلاح فى ضيعتهم . . . فاذا حواء مشفقة عليه لاعلى الفلاحين

وقد عود رمزى أهلوه منذ صغره أن يقنع بالدار والحديقة ، وبالسينما أو المسرح احياناً ، فهو ماض على هذه السنة . ومنذ جاءت حواء تعلم اخته الصغرى وجد تسلية فى أن يتحدث اليها دقائق قبل الدرس أو بعده

واعتادت حواء منه ذلك . وما لبثت هذه العادة أن تطورت الى رغبة والرغبة الى إحساس بنعيم . وحواء تجادل فى ألا تعترف لنفسها بهذا النعيم . ومن ثم كانت حيرتها بادى الرأى . لا تعرف لماذا يفرح فؤادها ولم يحزن . ومم يفرق تفكيرها ولم يطمئن . الى ان شبت الحرب بين عقلها — وقد حشد الدين والايمان والعرف والخرافات — وبين قلبها ، وليس له الا الشباب المستميت . وكانت الحرب سجالا ، فهى حيالها فزعة أبداً . . .

إلى ان كان يوم ذهبت فيه الى بيت الباشا فلم يستقبلها رمزى ، وابتدأت الدرس ثم انتهت منه ولم يجيء . وكان عليها ان تنصرف . . . ولكن كيف ؟ وهل يمكن أن تنصرف دون ان تراه ؟ . . هنا نزلت بالدين والايمان والعرف والخرافات هزيمة فادحة أمام طغيان العاطفة واستحالت حواء فى مكانها تمثالا صلداً ، ثم تحرك التمثال فجأة بعد برهة ، كأن معجزة أودعت فيه الحياة !

— أليس هذا أخاك ؟

قالتها بلهفة ! وكان رمزى ينادى بعض الخدم

— نعم ، هو مع بابا من أجل العزبة

ولو أن تلميذتها كانت أكبر سناً أو أكثر ملاحظة لاكتشفت أمرها . وتبينت حواء موقفها واتزنت جهدها ، وعدلت عن اسئلة شتى تقافزت الى رأسها . وطال الوقت فى احاديث صبيانية ثم انصرفت راغمة

وانها لسائرة فى الطريق لا تحس الارض التى تحت قدميها وإذا بصوت يقول :
ــ أهذا أنت ؟

فثابت إلى حسها ، تكاد عيناها تجحظان ، تلتهبان ، تعشيان حين وقعتا على وجه رمزى . وصارت كل جارحة منها تنبض باحساس صارخ . ومضت روحها تضرب جدران قلبها بأجنحة قوية تود الانطلاق لتتقمص هذه الفرحة . فرحتها الحقيقية الاولى فى اثنتين وثلاثين سنة . ولم تدر بماذا اجابت . وهل صافحته ؟ وهل شدت على يده ؟ وكيف كان مسها ؟ وكيف كانت حرارتها ؟ ولم تحر جواباً . بيد أن ما كان يبدو على وجه الفتى من كآبة خفف من هذه الغلواء . فقالت وهى تبتسم :
ــ ما الخبر ؟ لم أعهدك عابساً ! !

وسارا جنباً إلى جنب . وكانت اطول منه بعض الشىء . واستطرد رمزى فى احتدام وغضب ينهى اليها ما كان من أمر والده مع فريق من المزارعين جاءوا يشكون الازمة وقلة المحاصيل وهبوط اسعارها ، ويلتمسون منه تخفيض الاجارات إلى حد يتناسب مع تلك الحال الجائرة التى لا تكاد تدر عليهم القوت ، والباشا لا يلين ولا يتحلحل . فلما اراد الفتى التوسط فى الامر انتهره ، ورمى الفلاحين بأنهم أخبث من الذئاب ، وأمكر من الثعالب ، وأنه يجب أن لا يرثى لهم ، وأن يكون من ألاعيبهم على حذر ، فآثر الفتى ان ينصرف

وكان الطريق الذى يسلكانه يؤدى إلى منزل حواء . وكانت حواء تنصت إلى رمزى وتشترك فى الحديث بأقصر العبارات وعقلها فى تفكير آخر . ماذا عساها تصنع حين يصلان البيت وسيصلانه بعد دقائق ؟ تترك هذه الفرصة الذهبية تفلت منها بهذه السرعة ؟ كلا . كلا . سوف تدعوه الى دارها وتلح اذا اقتضت الحال . ومرت فى خاطرها مقارنة بين الدارين وبين الاهلين فكادت تعدل عن رأيها . وأصر قلبها على التشبث بالفرصة السانحة . سوف تجلس معه على انفراد ، يتحدثان بحرية كاملة وتعزف له على البيانو . بذلك تستطيع أن تقترب من قلبه فتسبره . أية فرحة جنونية سوف تعتريها اذا ما وجدت لها فيه مكاناً ؟ . وخطرلها كذلك أن هذا اللقاء ليس وليد المصادفة ولكنه تدبير من الفتى تعمده ، فقويت ثقتها فى العثور على الضالة المنشودة وأدركها لذلك الخاطر مثل مس الكهرباء .

وأدخلته غرفة الاستقبال ــ بعد أن فتحتها من الداخل ــ واعلنت قدومه لجدتها فى غير ماوقت . فوقف رمزى فى وسط الحجرة الضيقة يجيل فيها نظرة فاحصة وابتسامة فيها سرور وتواضع اشفقت حواء أن يكون ازدراء فارتبكت . وأقبل رمزى على بعض صور فوتوغرافية لها مع تلميذاتها فأطراها وهى تهز رأسها ولا تتكلم . وزاد ارتباكها حتى امتقع لونها حين وصل صوت الخادمة يرن باستفسارها عما إذا كانت تشترى «الغازوزة» بالقرش الصاغ كله أو بنصفه فقط . ثم جلس رمزى فى هيئة والحركة

البطيئة ، فى السينما وجلست قبالته ، وعمدت إلى أن تستأنف معه الحديث عن الفلاحين فتكلم الفتى حيناً ثم فتر الحديث . وطلب منها بدوره أن تعزف على البيانو فقامت بخفة وابتسام تتعملها ، ولكن اهتياج اعصابها حال دون الاجادة

ودخلت «نجية» بثدييها البارزين وجسمها الرجراج وشعرها المنفوش تقدم الفازوزة . فلم يستطع رمزى إلا أن يبتسم ابتسامة واضحة ، وأسر إلى حواء استعداده لان يقدم هذه المخلوقة إلى أول معرض تقيمه وزارة الزراعة ، فوافقته حواء على أن تلك الخادمة بقرة آدمية حقاً . وضحكت لتسره ولتخفى خجلها . بعد ذلك كان بينهما حديث ممزق مضطرب . يبتدئها بسؤال فتجيبه بسؤال آخر ، ثم تبتدىء موضوعاً جديداً فاذا به كلمات معدودة . ثم صمت . . . وهكذا ، حتى ادركا معاً أن الخير فى ان ينتهى هذا الموقف بالانصراف . . .

فهبطت معه السلم وشيعته بنظرها إلى أن خرج . وكانت تظن انها تبتسم . . .
ولكن الدموع كانت تنهمر على خديها . . .

⁂

وكانت هذه الدموع آخر قطرات كبريائها ، وقد اعلن الحب انتصاره الا كبر ، وتوغل فى كيانها أجمع ، وأخضع كل جارحة منها له . وأصبحت حواء آلة مسخرة لمكافحة ساعات اليوم حتى تصل إلى الدقائق التى تحظى فيها برؤية رمزى والتحدث اليه . وكان رمزى — بعد ان انقشعت عن صدره غمة تلك الزيارة — أدركته المرثية لحال حواء التى أفنت شبابها كداً وجداً ثم لم تفز إلا بتلك المتربة . وأراد أن يشعرها بأن اطلاعه على حالها المعيشية لم يؤثر البتة فى احترامه لها وتقديره إياها . فجعل يزيد فى التلطف اليها واطراء كفاآتها ويشاورها فى شؤونه الخاصة . وحملت هذه الظاهرة حواء على أن تعتقد إيماناً ان لحاق الفتى بها فى الطريق إنما كان تدبيراً منه للقائها على انفراد ، وأن تلك الزيارة — وان خابت — هى فاتحة زيارات يتوق اليها ويمنعه حياؤه ولكنها ستكون

وكثر اشراف حواء على مروج احلامها ، يانعة موشاة الاطراف بالزهر الباسم وقد ألفتها فهى تمرح فيها وتنهل من مائها العذب . ويدركها رمزى — عند جدول أو فى ظل دوحة اصطفتها هنالك — طروباً ممراحاً يقول لها :

— أهذا أنت ؟

ولكنها الآن تعرف ان تجيبه بقولها :

— نعم يا حبيبى . . الى . . الى . .

وتهوى بين ذراعيه حينا :

— اجذبنى وراءك فنجرى . .

فيجذبها ويجريان حتى يرتميا على الحشيش اليانع فيقبلهـا ، وتشفى من شفتيه الممتلئتين غلة ساكرمية ، وتستيقظ متخدرة الاعصاب بنشوة دونها امتع متاع الدنيا

ولـكن ! ! . . .

يحدث أن تثور العاصفة هوجاء راعدة بارقة ، تلفح الورد وتجفف الماء وتقهر الدوحة الجبارة ، وحواء تستصرخ فتاها والفتى فى ذهول عنها أو فى غير اكتراث ، فتهب من نومها جزعة مذعورة تدعو الله وتتوسل اليه بالنبيين . وحين تقابل حواء فتى احلامها لحماً ودماً فى اليوم التالى تئن جوانحها بالرغبة فى أن تفتح له ذراعيها ، وأن تبتدره بقولها : « هأنذا ياحبيبى . . الى . . الى . . » ثم تفض له اغلاق فؤادها الفرح بما كان لها معه من متعة ونعيم ، أو تسائله عن ذهوله عنها وقت أن استصرخته فى العاصفة . . . وتدرك أنها احلام فتمسك الـكلام وقد كاد يفر من شفتيها

وكانت حواء فى عدم استقرارها بين الفرح والحزن والتفاؤل والتشاؤم تثق بالعـدل الأعلى ، وانه سوفٌ يقرر لها السعادة التى تحلم بهـا . الى أن جاء يوم ! ! ! . .

كانت حواء فى بيت الباشا تقطع نياط اليانو ونياط قلبها معاً . وحولها نسوة كالدمى طلاء وهنداماً يفضن فى تهنئتها على ما حباها الله به من روح وسحر أداء . وهى تشكرهن وتبتسم . كيف كانت تبتسم ؟ بلياتشو يضحك وقلبه يدمى ! وكادت تصيح بهن أن يدعنها ، أو فليبذلن لها العزاء . وكادت تنطلق إلى الشارع ، ولـكنها لم تكن قابلت رمزى ويوم يمر عليها دون لقائه لن يكون ، فأذعنت لمركزها . ورحن يضحكن ويتهامسن ، ثم يذكرن الخطبة الجديدة ! ! . وهى بينهن حائرة العينين ذليلة كما كانت بين اترابها وهى طفلة . ثم عيل صبرها وآنست من حولهـا الرغبـة فى أن تعود إلى اليانو ، فاستأذنت فى الانصراف ، وشيعتها حرم الباشا الى السلم وهى ما تزال تلح عليهـا بالبقاء ، وحواء تعتذر . ووقفت ربة البيت عند رأس السلم المشرف على الحديقة ، ونادت ابنهـا ــ وقد لاح لها ــ أن يتشبث بهذه الهاربة ! فاعترضها وعادت المضيفة إلى أضيافها

ــ إلى أين ؟

فقالت تتكلف الابتسام :

ــ لقد انتظرتك طويلا لأهنئك . كان بودى أن أبقى معكم فى هذا اليوم السعيد . . ولـكن ، أنت نفسك لاحظت منذ أيام انى متعبة ومريضة

ــ كنت مع ابى هنا فى غرفة الـكاتب . . (واشار إلى غرفة صغيرة بقرب باب المنزل) ما رأيك هل رأيت أعجب من ذلك ؟ هذه الخطبة المفاجئة . لم يخبرنى أبى بها إلا اليوم . ألم تخبرك والدتى ؟

فحركت حواء لسانها الجاف كالعصا تقول :

ــ نعم ، وقد عزفت لصديقاتها بهذه المناسبة . . . ارضاء لخاطرك

قال وعيناه تلمعان سروراً :

ـــ وما قولك ؟

فبلعت حواء ريقها لـكيلا تقول ما همت بقوله ، وأوشكت أن تخونها ابتسامتها المستديمة . وخرج الباشا من غرفة المكاتب واقبل عليهما بقوامه العسكرى ، والبشر باد على وجهه الاحمر المحتقن ، وفى عينيه الغائرتين وحتى فى حاجبيه وشاربيه حديثى الخضاب

ـــ هيه ! . . ما رأيك فيما حدث ؟ (وظل ممسكا يدها ، ثم شد عليها وقال) :

ـــ ألم أحسن صنعاً ! ؟

قالت حواء وقد حشدت قواها :

ـــ طبعاً ياباشا

وعلقت بوجهه نظراتها لـكيلا تخونها ، واقترب نظيم باشا منها وقد استباح لنفسه أن يضع يده على كتفها هنيهة ، وقال :

ـــ المسألة فى الاصل ليست غريبة . أنا والمرحوم ذهنى بك ـ طبعاً تعرفينه أو سمعت عنه فهو جارنا ـ كنا أصدقاء منذ كنا ضابطين صغيرين فى سواكن . فلما بلغ السن القانونية استبدل معاشه من جهة وباع ما يملك فى القاهرة من جهة أخرى ، واشترى عزبة تجاور عزبتنا كانت فى ذلك الوقت تباع بالمزاد العلنى لها موضوع طويل ، وكان الله يرحمه ينتهز مثل هذه الفرص . فلما مات بدوره ومات ابنه احسان . . فى الـكوكايين والمساخر ، صار اخوه ، أخو ذهنى بك يشرف على الورثة . فأساء التصرف بشكل مريع . . مريع . . واشتكت لى أم الاولاد مراراً . . وسألتنى أن أدبر لها شؤونها ، فلما أحس صاحبنا بذلك أقام الصعوبات والعراقيل فى المحا كم وغيرها . ولـكنى هزمته على طول الخط ! ! إلى أن انتهينا منه البارحة فقط . فلما ذهبت اهنيها بحكم المحكمة لمصلحتها فى آخر قضية . . جاءت . . فكرة خطبة ابنتها الـكبرى سعاد لرمزى . . فاتفقنا على بركة الله . . .

وكان لم يبق فى ذهن حواء من هذه السيرة كلها إلا « على بركة الله » فرددتها وهمت بالانصراف ولـكن الباشا قال :

ـــ ألا تنتظرين سعاد ؟ الظاهر أن والدتها أخبرتها بالامر فخجلت أن تحضر معها للتفاهم فى شأن الخطة التى عولت على اتباعها . . فى . . ادارة عزبتهم ، ولـكننى أرسلت اليها . . ولن تخالف أول أمر من اوامرى . .

وأصاب ظن الباشا فوقفت سيارة لدى الباب ونزلت منها فتاة رشيقة فى نحو السادسة عشرة فى ثوب أزرق على أحدث طراز ، وقد زاد احمرار وجهها خجلا حين وقع بصرها على الواقفين وعلى

من أطل عليها من النوافذ . فتوارى الفتى فى غرفة الكاتب أدباً منه وبعض حياء . وانهمك الباشا فى استقبال القادمة والمبالغة فى الترحيب بها

وانصرفت حواء بعد ان لم تجد أحداً الى جانبها

☆☆☆

كانت الجدة فى مكانها المألوف بين الكنبة والسرير . وقد تحدث اليها الحاج امام ـ منذ ساعة ـ عن مناقب السيد البدوى ، وكيف خرس العجين لامه ولم يتجاوز عمره أياماً معدودة ، وكيف أنه عب من البحر عباً حتى كان القوم ينظرون من حلقه فاذا السمك يعوم فى معدته طالعاً نازلا . وكيف انه لما مات امتد سره الباتع الى المسكوف ـ ليتجراد الآن ـ فأتى منها بالاسير المؤمن فوضعه فوق قبة المسجد سالما معافى . وذلك بمناسبة زيارة ولي الله للحاج امام فى منامه الليلة الماضية . وكان الحاج يود أن يرد تلك الزيارة ، فراح يحبب للجدة أن تصحبه الى طنطا ، لا لتقوم بدفع نفقات الرحلة ولكن لان ولى الله طلب اليه ذلك

وكانت الجدة ناعمة بالتفكير فى هذه الدعوة المباركة . وانتوت أن تبتدر حواء حين تعود برغبتها فى تلبية تلك الدعوة . وفيما هى كذلك دخلت عليها الخادمة تقول :

ـــ ستى . ستى . ستى الصغيرة جت دلوقت . . وراحت قاعدة فى الصالة مش عارفه مالها ! !

ولأول مرة تكلمت نجية فى حذر وبصوت خافت . ولاول مرة بدا على وجهها أثر العاطفة فقد كانت خائفة مشفقة . فضربت الجدة صدرها من فزع . وهبت من مكانها تعثر فى أدوات القهوة . ولم تبال بمخالب القط فى قدمها حين اعترضها فداست عليه

ـــ مالك يا بنتى ؟ مالك يا حبيبتى ؟ اسم الله عليك يا اختى ! !

وانحنت عليها . . جسدها يرتجف وقلبها شديد الخفقان . . والخادمة عن بعد ترمقهما فى وجل

وكانت حواء جالسة على مقعد إلى المائدة وقد وضعت عليها ذراعيها وأخفت وجهها فى راحتيها ، ولم تجب النداء . فراحت الجدة تكرر استفسارها فى لهفة أمطرت لها عينا نجية . . وتضاعفت عتمة المغرب فى عينى الجدة فأهابت تطلب نوراً ، فأضاء . . عند ذلك رفعت حواء وجها مصفراً وعينين مطبقتين نصف انطباق وقالت :

ـــ ما فيش حاجه . ما فيش حاجه . . أنا تعبانه . . جداً . . بس .. اعملى لي فنجان شاى . .

وقامت الى غرفتها فاستلقت على سريرها . وتبعتها الجـدة ، فأمرتها بالانصراف الى ما طابت فانصرفت العجوز تجر ساقيها جراً . . وتلعن المدرسة والجمعية والمشغل . والخادمة تساعدها فى عمل الشاى وفى استنزال اللعنة . وجعلت حواء تشد على قلبها رحمة به وبالجدة المسكينة . وجاء الشـاى

تسعى به الجدة فافادها بعض الفائدة . فسحت حواء جبينها وابتسمت ابتسامة خفيفة

— استريحت يا حبيبتى ؟

— الحمد لله

— له الف حمد .. ايه كان ده كله .. ما قلت لك يا بنتى ما تعيش نفسك أد كده . . أهو جالك كلامى . . النبى يا رب ما تدخل لنا ردى أبداً (وبعد فترة قالت) الأحسن تقلعى هدومك علشان تاخدى راحتك . .

فاستجمعت حواء قواها وأجابت الرجاء ثم عادت الى استلقائها ، وجلست الجدة على شيزلونج مجاور لتكون دائمة النظر فى وجه حفيدتها العزيزة . وكانت الخادمة أضاءت مصباح الغرفة حين شرعت سيدتها تستبدل ثيابها فأمرت حواء باطفائه . . فسادت العتمة ، وخيم الصمت ، ولكن الطمأنينة لم تسد

وخطر للجدة أن تنادى الحاج امام ثم ذكرت انه انصرف على أن يصلى المغرب فى الجامع . فلاذت بالله تدعوه سراً وتعزز الدعاء بالصمدية تتلوها بين شفتيها تكراراً

وكان للراحة ولهذا المحيط الرحيم أثرهما فى تهدئة نفس حواء ، ومضت تناجيها : « هذا بله صريح . . لقد اكتسب رمزى من هذه الخطبة عزبة أن لم يكن حباً . نعم هذا ما كنت سأصرح له به حين سألنى رأيى . أما أنا . . فالى ؟ أى شىء كان لى من رمزى وفقدته حتى ابكى وأذهب روحى حسرات عليه ؟!

لم يكن حيالى الا جامداً بارداً . وما كان حديثه معى الا لهواً منه .. وهو — على هيئته الصبيانية — محتفظ بشخصية الارستوقراطى أمام بعض فلاحيه المقربين اليه . ها قد انتهى أمره . فليهنأ بعروسه وبالعزبة الجديدة . . اننى لم أبلغ من الكبر عتياً . ولن أعدم — اذا شئت — أحداً يحبنى .. »

وأطبقت عينيها تنشد الراحة بعد ذلك الجهد الجهيد ، وفى كنف هذه الطمأنينة . ولكن تياراً أسود مربداً تدفق فى روعها : « .. ولكنها الفرصة أفلتت . والحب قد خاب . والقلب شاب وهرم . ولم يفلح فى التصابى ! ! ان اثنتين وثلاثين سنة قضيتها فى رجولة زائفة أقامت بينك وبين الحياة الحقة مثل سور الصين . لاحول لك الآن على القفز من فوقه الى حيث أترابك يمرحن فى نعيم الدنيا أمهات وغير أمهات . وأغلب الظن انك تلبثين العمر سجينة هذا الجدار العالى المنيع . وانه ليعلو كل يوم .. كل شهر .. كل سنة .. اذ تهلكين وأنت تضربين رأسك فى أساسه . . »

فما لبثت اجفانها أن تباعدت فرقا ، وسهمت عيناها طويلا فى العتمة القائمة امامها كأنها السور الذى افترضته ، ثم . .

اى عجب ! ؟

لقد بدت امامها صورة رمزى ضعيفة راقصة كا نما تراها من خلال ماء . ثم وضحت شيئاً فشيئاً حتى استبانت منه اهداب العينين . وهذه خطيته جيلة صغيرة رشيقة تعرف فى وجهها الخجول نضرة النعيم . متلكئة مستخذية . وها هو يقبـل عليها فيحتضنها ويمعن فيها تقبيلا . تلك القبلات ! . . تلك القبلات التى طالما نعمت بها فى احلامها والتى كانت تود فى يقظتها لو أنها تفتدى احداها بحياتها

عند ذلك علا صدر حواء وخنقتها العبرة ، وعلى الرغم منها أجهشت ببكاء كان جسدها ينتفض به انتفاضاً ! !

فنهضت الجدة فى فزع جنونى وراحت تلطم خدها دراكا وبعنف وهى تقول : « بنتى . بنتى . بنتى . بنتى » وجرت الخادمة الى السلم مذعورة وهى تجأر باسم الحاج امام . ومن حسن المصادفة ان اماماً كان قد حضر منذ هنيهة فأسرع جهده يستطلع الخبر . وأضاءت نجية المصباح ، فرأى فاطمة هانم فى لطمها وندبها ، وحواء تتلوى على الفراش وتنشج . ومضت الخادمة تشرح له الامر على عجل والجدة تستنجده فى وقت واحد ، وهو حائر بينهما لا يصدق ما يرى ويسمع ، ولا يدرى ماذا يفعل !

وهنا صرخت حواء من بين اسنانها المتضاغطة صرخة حادة كظيمة وادركتها حشرجة عنيفة ، وصارت ترفع يداً متصلبة اثر أخرى وتضرب بهما الفراش على الجانبين . ثم تحولت جميعها حجراً صلداً . فارتمت الجدة عليها تضمها ضما وتهزها هزاً

وتبلل وجهها بالدمع الغزير وجعلت تستعطفها بشيخوختها وبحق التربية عليها وبأملها فيها الا ما أفاقت . فلما لم يجدها ذلك نفعاً ، والحشرجة دائمة ، جعلت الجدة تضرب صدرها تارة وتتشبث بالهواء تارة اخرى وهى تولول قائلة :

— الحقنى يا حاج امام ، انجدنى ، الحقنى شوف لى حل ياخويه . . . ليه كده يا رب . . . دى بنت مسكينة . . . دى شابة غلبانة . . . منكسرة تحت رحتك ، الحقونى بالشيخ مصطفى يا ناس . . . غيثونى به يا اخواتى ، روحى انت يا نجية . . .

هنا ثارت عزة الحاج امام ، وقال يطمئنها ولكن فى عنف :

— دى مش أرواح سفلى يا فاطمة هانم يا بنتى . . . الشيخ مصطفى يعمل فيها آيه ؟ ! دا شىء من عند الله ، وحالا ينصرف باذنه . . . بس اهدى وصلى على النبى وأنا أعرف شغلى

واقبل الحاج بدوزه على حواء ، فتمتم بالصمدية ثلاثاً ثم تلا صيغة الاذان فى اذنها . وما زال حتى هدأت الحشرجة ، فأمسك وابتعد وعلى وجهه عبوس النصر الحزين وأشار بيده يطلب الهدوء ، فربطت الجدة على قلبها واقتربت من السرير ، فاذا الحفيدة العزيزة تتنفس فى لين كأنها فى سبات عميق ،

وخيم صمت رهيب . وتعلقت الاعين بالصدر الذى يعلو ويهبط . وبعد فترة طويلة فتحت حواء عينيها وجعلت تفركهما بظهر يديها . فلما تبينت من حولها سألتهم : لم هم واقفون ؟ !

فقالت الجدة فى دهشة :

ـــ واقفين ؟ انت . . .

فأومأ الحاج امام إلى فاطمة هانم بالسكوت . إذ كان يعلم أن ليس من الخير مفاجأة المريضة بالحقيقة . وقال وهو يحك لحيته ويبتسم :

ـــ ما فيش حاجة . . . دى كانت دوخه بسيطة وزالت بعون الله

وثبت عمامته فى رأسه اغتباطاً بما أسدى . . .

☆☆☆

لم يعرف البيت الهادىء الهدوء بعد تلك الليلة !

لحواء تحمل فى غدواتها وروحاتها ونومها ويقظتها قلباً لا حول لها على حمله . فلا الحجر ولا الحديد ، ولا الرصاص ، ولا الزئبق بأثقل منه وزناً . . . ولا اللهب المتلظى بأشد منه حرارة . وقد شحب لونها ، وتضعضعت صحتها ، وبدا وجومها ، وتكررت مواقف نسيانها لأقرب الحوادث الى حد لفت الأنظار وحرك الالسنة بالتساؤل والاشفاق . ولكن أحداً لم يكتنه سرها . فهى ضنينة به حتى على توسلات جدتها ودموعها المترقرقة فى أخاديد وجهها ، وحتى طبيبها وكان يستدرجها فى الكلام بغية أن يصل الى كنين ذلك الضعف المتزايد على الرغم من الحقن والبرشام والسوائل بين مقو وملطف وقن بأن يجىء بأحسن الأثر

وكانت حواء ابداً تناجى بقولها : « آه يارب . ماذا عساى أن أقول ؟! أنا التى كافحت منذ طفولتى لأكون مثلا يقتدى به ، وحققت ما نصبت له نفسى . أنا التى قضيت حياتى مخلصة لك يا ربى فى عملى وعرضى ! لماذا تحطمنى هذا التحطيم وتسحقنى هــذا السحق الاليم ؟ لماذا ؟ الهمنى ! ! ليس لى سواك الجأ اليه ! لا أريد أن اتكلم الى الناس . . بل لا استطيع . . لن أجــد منهم الا سخرية بفاجرة ، أو مرثية لمسكينة ، أو استهزاء بمعتوهة . أنا الطاهرة القوية العاقلة ! ! »

وتبكى وتنشج . . ثم تنشنج

وتذهب الجدة الى أولياء الله احياء وأمواتاً تلثم عتباتهم ، وتجعل من ترابها على رأسها ، أو تبلله بدموعها ، وتقدم النذور وتبذل الطعام لمن على ابوابهم من مسكين ويتيم . ولا تسألهم إلا شفاعة لحفيدتها . ! ! وتغادرهم الى الشيخ مصطفى ومن على شاكلته ـــ رجالا ونساء ـــ تطلب اليهم تفسير حلمها ، وقد عاودها مرور فأومأ اليها فتبعته هذه المرة الى غرفة حواء يقينا ، وهنالك رأت الشمعة تحترق بسرعة اكثر ادهاشاً ، وتحدث مادتها السائلة هيئة جسد ممدد ملفوف فى غلالات بيض . . .

فيكتبون لها التمائم ويلقنونها التعاويذ . فتدس التمائم هنا وهناك أوتعلقها هنا وهناك . وتكرر التعاويذ ليلا ونهاراً

ورضيت حواء ان تحمل التمائم ، وان تتلقن التعاويذ ، وهناً منها ، ومجاملة للجدة المتوسلة المتلهفة. بل لقد جلست ذات ليلة الى الشيخ مصطفى وقد تكرم بزيارتها واحرق الشب وعيون القردة وأمرها أن تخطى فوق الدخان سبعاً فخطت فوقه سبعاً ، معتقدة وهازئة معاً ، ثم ارتعش الرجل الضخم ، وزاد وجهه احمراراً ، واهتزت لحيته فوق صدره ، وسرح نظره في عالم اسراره ، وارغى بما يفهم وما لا يفهم ، وأحدث اصواتاً واسماء اصوات ، وكلمات يصعب ترديدها الا عليه ، فيها استفهام وفيها نفى وفيها أمر ونهى ! !

صه . صه !!

حواء ! ! . . .

الشخصية البارزة فى المدرسة ، وفى الجمعية ، وفى المشغل ، وفى الموسيقى . . تصيخ بسمعها الى الرجل ، وتميل تجاه ما يشير بعينين خائفتين ذاهلتين . هذه الرزينة المتعالية ! ! تكرر الاصوات وأسماء الاصوات فى لهجة الجواب إذا استفهم والايجاب إذا نفى ، وفى ذلة واذعان إذا أمر أو نهى والدمع ينهمر مدراراً فوق وجهها المتراخى العضلات ! !

واستغرقت حواء فى نوم عميق . وثاب الرجل المخيف إلى هدوئه وهو يتضاحك ويؤكد أن روحاً جبارة لمستها . ولكن عنده الدواء المنيع . فباتت الجدة تلك الليلة بالأمل والطمأنينة !

وانقطعت حواء مراراً عن المدرسة . وكيف لاتنقطع ، وقد أملت على تلميذاتها يوماً أن « رجلا طوله ستة أمتار . . » فانبرت نبيهة منهن تلفت نظرها إلى انها تعنى أقداماً لا أمتاراً . فلم تدرك حواء سهوها ، وأضافت أن « عرضه متران . . » فتضاحكت البنات ، وتهامسن بالفكاهة واعلنت خبيثة منهن جريئة انه ربما تكون معلمتهن تقصد ما تقول بذاته ، فقد تكون تعرف رجلا بهذه الابعاد الشاذة . واصطكت هذه العبارة بسمع حواء ، فثابت إلى حسها ، فاذا الضحكات عالية واذا الفصل مضطرب بمالا عهد لها به اطلاقا . فانتهرت التلميذات ، فجأت مقذعة فيما بدر منها فتصايحن احتجاجاً ، ولم تجد وساطة بعضهن فى التماس العذر لمعلمتهن التى طالما احببنها والتى لم يعتدن منها إلا الكمال والادب . وحضرت الناظرة ، وتوافدت المدرسات والطالبات ، فأدارت حواء فيهن عينين محملقتين . ثم خرت صريعة !

ولكنها كانت تذهب الى بيت الباشا . .

وكان رمزى قد غير نمط حياته بعد أن تم التعارف بينه وبين خطيبته. فهو كثيراً ما يزورها فى دارها أو يصحبها إلى السينما أو يخرج بها فى نزهة . لذلك لم تكن حواء تلقاه الا نادراً . . وتلقاه

فيستفسرها عن صحتها ثم يسترسل فى سرد آماله فى زواجه متهلل الوجه مستبشراً
ويمضى الى خطيته..
وتمضى حواء الى الجحيم المقيم..

☆☆☆

انتهت السنة الدراسية
وانتهى كل أمل لحواء
وابتدأت الافراح فى بيت العروس
وابتدأت الافراح فى بيت العريس

ثم وافى اليوم الذى فيه « يدعو اللواء نظيم باشا السعيد.. بمناسبة زفاف الآنسة سعاد هانم ذهنى كريمة المرحوم القائمقام ذهنى بك عبد الفتاح على نجله رمزى بك نظيم الموظف بوزارة الزراعة.. » كما جاء فى رقاع الدعوة المكتوبة بماء الذهب . فخرج المال لاستقباله جزافا . وأدرت الضيعتان عليه من خيراتهما جزافا . فالفراشون فى حركة النمل ، طائفة تقيم الاعلام ، وطائفة تنضد المقاعد الذهبية وجماعة يكسون الارض رملا ، وجماعة يعقدون اكاليل الورد فوق المداخل والابواب ، وآخرون يمدون قلائد المصابيح الكهربائية ويتفننون فى صنوف الثريات ، والطهاة فى ثيابهم البيضاء ، مضت عليهم ليال وهم سهارى يذبحون ويسلخون ويخرجون من العجين « فنا » متعة للناظرين

وبكرت حواء فاقبلت على مكتبها تملأ الصحائف بلا هوادة ، حتى اشبعت نفسها وأتت على آخر ما تريد تسطيره ، ثم وضعته فى غلاف وكتبت عليه عنوان رمزى فى منزله الجديد ، فلما تم لها ذلك ذهبت الى جدتها فشاركتها القهوة ، وأكلتها طعام الافطار وأصابت منه بشهوة . ثم قهوة أخرى ، وتحدثت فى مواضيع شتى ، وأبدت رغبات وعدت بها الجدة عن طيب خاطر ، واسدت لحواء نصائح تقبلتها القبول الحسن ، فتهلل وجه العجوز وفرح قلبها جذلا بالجلسة التى لم تنعم بمثلها منذ أشهر

وعمدت حواء الى البيانو فعزفت عليه قطعاً شتى ، بينها لحن كانت اصطنعته فى الشودة لبنات المشغل ونال استحسانا عظيما ، ثم تلكأت فى غرفتها ساعة ، خرجت بعدها من المنزل فوضعت الخطاب فى أول صندوق للبريد صادفها . وزارت بعض الحوانيت ثم عادت بصندوق كبير من ورق مقوى فوارته فى غرفتها

ووقت الغداء طلبت الى الحاج امام أن يشاركها وجدتها الطعام . فقبل مضاعف السرور بالأكلة وبجمال حواء . وداعبت نجية بقولها : « ان رمزى بك لم يتزوج من سواها الا بعد ان تبين بعينى رأسه أنها بقرة آدمية »

وتركت حواء الجدة والحاج يتحلبان المنى بانفراج الشدة وقد بدت بوادره . واستلقت على سريرها فلم تستيقظ الا على صوت الموسيقى تصدح عند منزل العروسين . وبداهة أنها دعيت الى حفلة الزفاف ، وأعدت لها ثوباً أبيض غاية فى الابداع ، فقامت تتأهب لها يعاونها أهل المنزل أجمع ويحلق فوقهم صوت الخادمة

وفى معمعة الحفلة جعلت حواء تغدو وتروح ، تساعد حرم الباشا فى مشاغلها الجمة . ويصادفها الباشا نفسه وهو صخاب منتفخ الاوداج ، يثنى على هـذا ويستنهض همة ذاك من الخدم والعمال . . فيهش لها ويقول :

ـــ هذا يومك . . اشتغلى . . اتعبى . . سوف نشتغل ونتعب يوم عرسك

فتبتسم وتمضى . واتفق أن انفردت برمزى فى غرفة فقال لها :

ـــ ما رأيك ؟

ـــ هذه حفلة تليق بك وبها حقاً

ـــ ولـكنى اصارحك . . أنا . .

وتوقف عن الـكلام يبلع ريقه من اهتياج مشاعره ، وشاعت الفوضى فى احساس حواء مما عساه يصارحها به وجمدت مكانها ، وعاد رمزى فقال :

ـــ ولـكنى اصارحك . . بانى . . خائف !

فثابت حواء الى حسها وتضاحكت ، وقالت له كما لو كان طفلا صغيرا : « ان الامر أهون من أن يخيف . . وما هى الا ساعات حتى تنتهى تلك المظاهر المثيرة للاعصاب ، وتـكون مع عروسك . . وانى لارجو لـكما كل سعادة وهناء . . »

وكانت لهجتها قد تحولت من دعابة إلى جد . واهتز صوتها بنبرة عجيبة . ولم تستطع عند انتهاء كلماتها إلا أن تقبل عليه وتقبله فى جبينه قبلة حملها الفتى على معنى الاخاء ، ولو أن حرارتها لم تخف عليه ، وود لو أن حواء لم تفعل ذلك . على أنه شكرها وانصرف فى خجل . . .

أما هى ؟!

لقد قبلته أخيراً ! تلك القبلة التى كانت تفتديها بحياتها !! ووهى عزمها فهوت على مقعد قريب تستمتع بنعيم الجنة

وعادت حواء إلى دارها عند الساعة الحادية عشرة فانسلت إلى غرفتها دون أن يشعر بها أحد . واسرعت الى الصندوق الذى احضرته ضحى فأخرجت منه اكليلا من زهر الليمون وطرحة من حرير ابيض شفاف فوضعتهما على رأسها ثم عمدت إلى طاولة بجانب السرير فاختطفت من فوقها زجاجة .. وجمدت امام المرآة حيناً ..

« لا تزيدي عدد النقط . ولاتسرفي في استعمال هذا الدواء فان الاكثار منه قد يؤذي القلب . . بل ربما يوقفه . . اجعليه للضرورة القصوى فقط »

هذا صدى صوت الطبيب يتردد في رأسها . ولكن في طرفة عين اجترعت مافي الزجاجة كله !.

وبينا كانت الجدة تداعب « سروراً » في احلامها

وبينا كان الحاج امام يفكر في رد زيارة ولي الله البدوي

وبينا كانت نجية تعانق طيف ابن الجزار

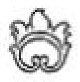
كانت حواء مستلقية على سريرها في هيئة العروس وهي تجود بأنفاسها الأخيرة ، وقد اختلط في سمعها صوت الموسيقى بصوت المغنيات ينشدن انشودة الزفاف . . .

محمود طاهر لاشين

النرجسة

للاستاذ خليل مطران

داع دعاه الى الجهاد فأزمعا سفراً وجاد بنفسه متطوعا
غلبت حميته هواه لعرسه فنأى وودع قلبه اذ ودعا
وقضت « امينة » بعده أيامها في الحزن غير امينة ان تفجعا
غرست بصحن الدار زهرة نرجس لتكون سلوتها الى ان يرجعا
كانت تبالغ في رعايتها كما ترعى عيون الام طفلا مرضعا
حتى اذا ماجاءها عن بعلها نبأ اصم المسمعين وروعا
شقت مرارتها عليه وأوشكت من هول ذاك الخطب ان تتصدعا
وكأن ذاك الرزء قبل وقوعه مما شجاها لم يكن متوقعا
فتفقدت يوماً اليفتها التي كانت سلتها حسرة وتوجعا
فاذا بها ذبلت كزهرة حبها كلتاهما نمتا وعوجلتا معا
ذبلت وحلاها الندى فكأنها عين اسال الحزن منها مدمعا



سير العلوم والفنون



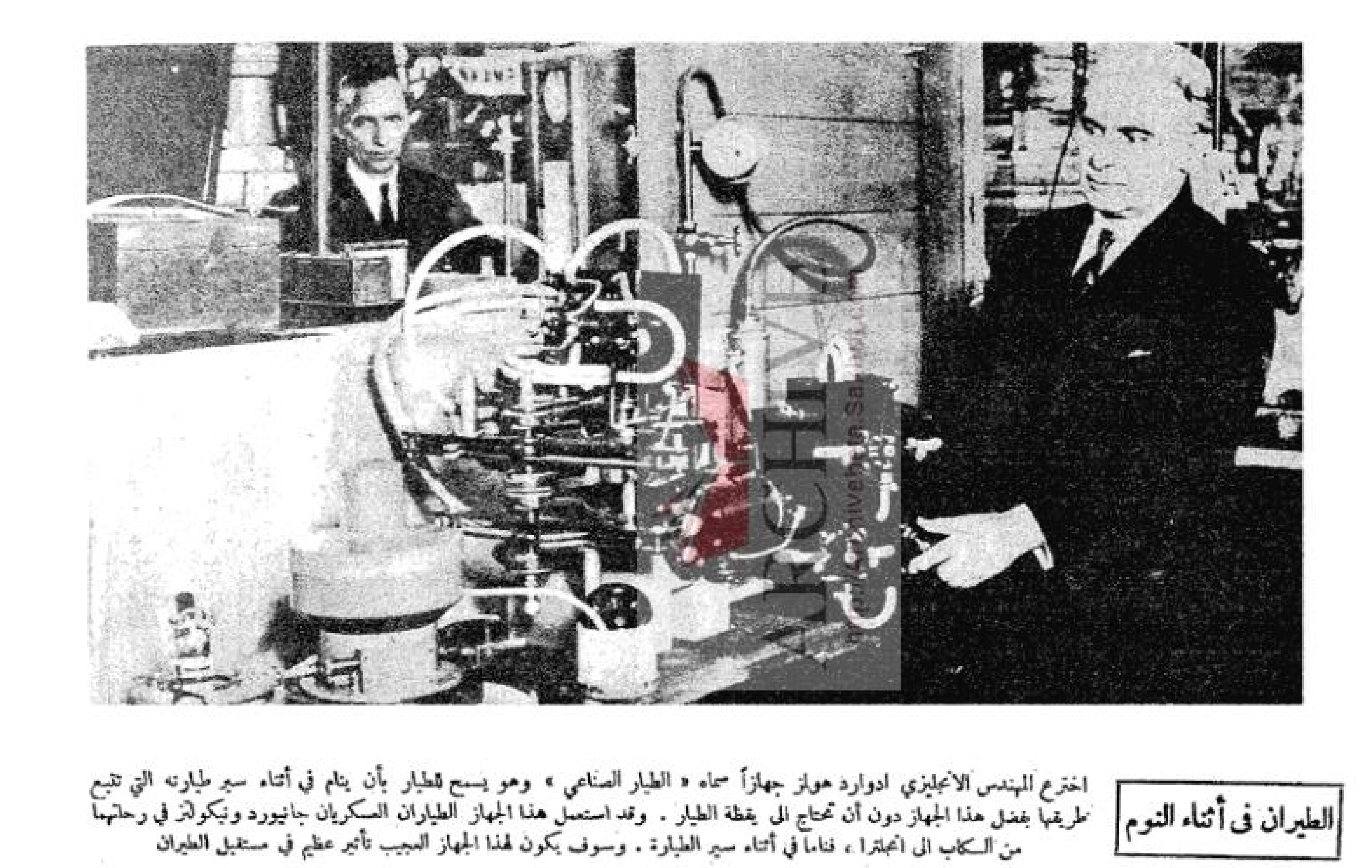
الوقاية من الانفجار

كثيرا ما يعمد المجرمون الى ارسال قنابل أو مواد منفجرة ضمن طرود البريد ، وقد يحدث الانفجار بينما يكون موظفو البريد منهمكين في تفتيش الطرود . ولذلك صنع في برلين لباس خاص يرتديه الموظف الذي يفتح الطرود المشكوك فيها فلا يؤثر فيه الانفجار اذا حدث . وترى في الصورة موظفاً يرتدي هذا اللباس



مقياس لمعرفة تأثير السرور

يقوم الدكتور ممنر لى كرولى أستاذ علم النفس بجامعة كليفلاند بامريكا بتجارب يقيس فيها تأثير الاحساسات المختلفة في النبض والقلب وذلك بواسطة آلة اعدت خصيصاً لهذا الغرض . وتمثل هذه الصورة فتاة تفحص بواسطة تلك الآلة لمعرفة تأثير السرور والضحك في تنفسها ونبضها



الطيران فى أثناء النوم

اخترع المهندس الانجليزي ادوارد هولز جهازاً سماه « الطيار الصناعي » وهو يسمح للطيار بأن ينام في أثناء سير طيارته التي تتبع طريقها بفضل هذا الجهاز دون أن تحتاج الى يقظة الطيار . وقد استعمل هذا الجهاز الطياران العسكريان جانيورد ونيكولتز في رحلتهما من الكاب الى انجلترا ، فناما في أثناء سير الطيارة . وسوف يكون لهذا الجهاز العجيب تأثير عظيم في مستقبل الطيران



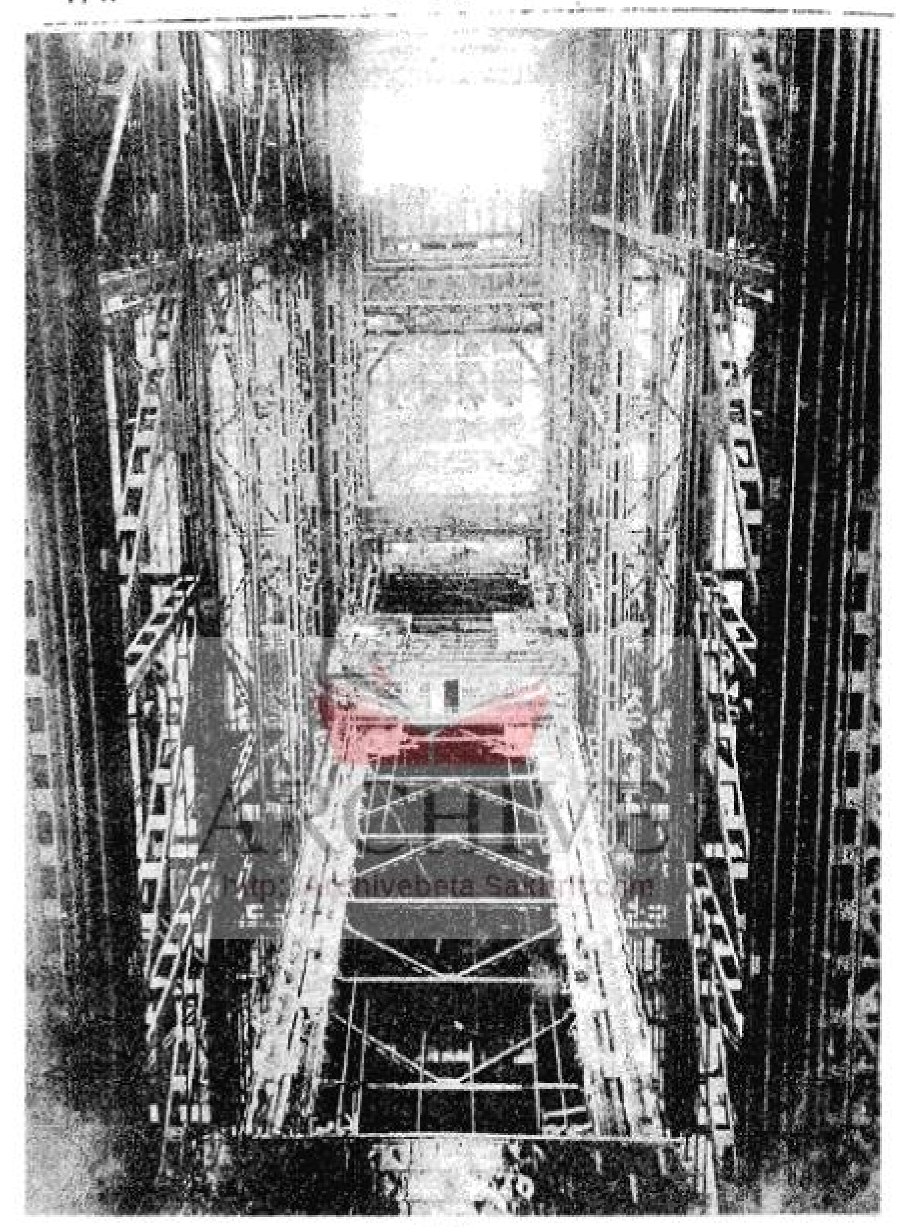
بندقية لا تحدث دخاناً ولا صوتاً

لاحظ أحد مدربي الجنود في انجلترا أن الشبان المجندين حديثاً حين يبدأون في تعلم اطلاق البنادق يؤثر فيهم دخانها وصوتها حتى تعتل أعصابهم ويصيبهم الصداع . ولذا اخترع بندقية لا تحدث دخاناً ولا صوتاً وانما تبعث ضوءاً على الهدف بواسطة عدسات دقيقة وتركيبات خاصة . وتمثل هذه الصورة تلك البندقية عند اطلاقها



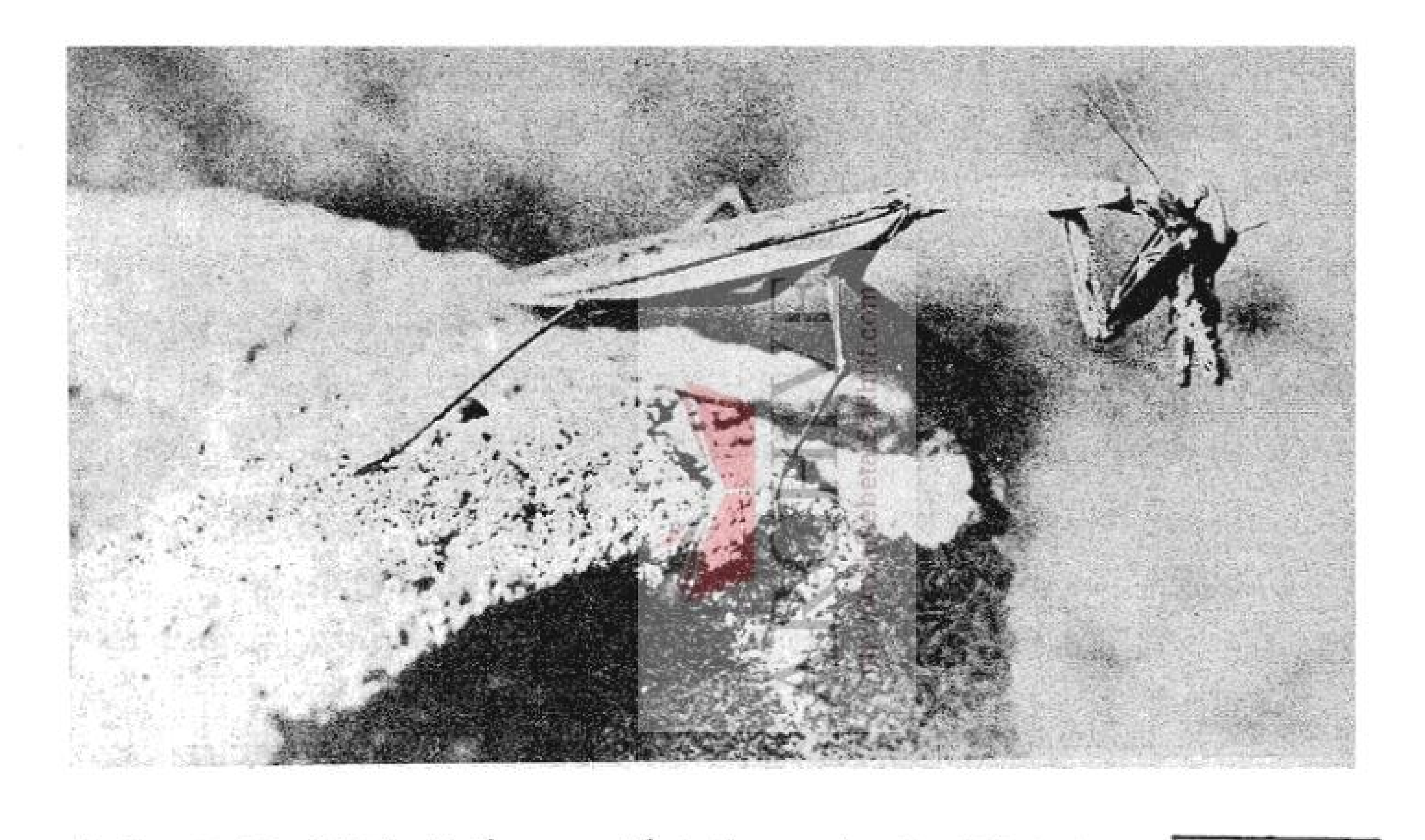
معالجة الجنون بالراديوم

لا تزال معالجة الجنون من المشاكل الاجتماعية والعلمية التي تشغل العالم . وقد توصل الدكتور مرشان الفرنسي الى ايجاد طريقة لمعالجة بعض حالات الجنون بواسطة الراديوم . فحقن بمصل خاص ٥٧ مريضا شفي منهم ٣١ ، وذلك في مستشفى هنري روسيل بباريس . ويرى الدكتور مرشان في هذه الصورة أمام الميكروسكوب



مصعد للسفن

يصنع في المانيا مصعد عظيم للسفن التي تمر في قناة هافل ــ أودر ، ويبلغ طوله مائة متر وعرضه ستين متراً ، ويمكنه ان يصعد بسفينة وزنها الف طن الى ارتفاع ٣٦ قدماً في مدة خمس دقائق . والحوض الذي ترتفع فيه السفينة طوله ٨٠ متراً ويحتوي على ٤٢٠٠٠٠٠ كيلوجرام من الماء . ولا شك ان هذا المصعد يعد من أعاظم الاعمال الهندسية . وتمثله هذه الصورة وقد قارب صنعه التمام



في عالم الحشرات

صورة نادرة استطاع المصور ان يرسمها بعدسته بعد ان ترقب أياما متعددة ، وهي تمثل (فرس النبي) تلتهم جرادة صغيرة . وتهتم وزارة الزراعة في امريكا الآن بتربية فرس النبي لنفعها للزراعة اذ تأكل الحشرات الضارة بها

شلل الجنون

لا يخفى أن أحدث الطرق لمعالجة شلل الجنون الناتج عن مرض الزهرى هو حقن المصاب بميكروب حمى الملاريا . وتقول احدى المجلات العلمية الامريكية إن حكومة الولايات المتحدة كانت حتى عهد قريب تستورد بعوض حمى الملاريا من أفريقيا ومن جهات أخرى لاستيلادها واستعمال نتاجها لمعالجة المرض المذكور ، وكانت تتحمل فى سبيل ذلك نفقات باهظة لا تقل عن مائتى دولار لكل بعوضة . ولكن العلماء الأمريكيين توصلوا حديثا الى الاعتياض عن البعوض بافراز ذلك البعوض . ونفقات استحضار الافراز لا تزيد على عشرة فى المائة من نفقات استحضار البعوض نفسه

لا كتشاف التزوير

اكتشف أحد علماء الكيمياء النمسويين طريقة لاكتشاف تزوير الوثائق والمستندات الرسمية . وقد ثبتت فائدة هذا الاكتشاف للحكومة النمسوية فأخذت به وأمرت بان يستعان به على اكتشاف حوادث التزوير

وتفصيل ذلك أن جميع أنواع الحبر فى العالم تحتوى على مادة الكلوريد فى شكل من الاشكال وبكميات مختلفة (وملح الطعام الاعتيادى ليس سوى ضرب من ضروب مادة الكلوريد) وهذه المادة تنتشر فى الورق وتتخلل خلاياه ودقائقه بالتدريج ولكن العين المجردة لا تستطيع رؤيتها . وبمعالجة الوثيقة بطريقة كيميائية تظهر آثار الكلوريد على الورق ظهوراً جلياً يمكن الاستدلال منه على تاريخ كتابة الوثيقة . فاذا كانت قد كتبت منذ ساعة واحدة فقط ظهرت آثار الكلوريد جلية واضحة . واذا كانت قد كتبت منذ يوم ظهرت الآثار واضحة ولكن بخطوط عريضة . واذا كانت قد كتبت منذ أربعة أيام ظهرت الآثار غير جلية . واذا كانت قد كتبت منذ شهرين أو منذ سنة أو منذ سنتين بدت على الكتابة أعراض أخرى جلية

وبهذه الطريقة يستحيل اخفاء التزوير فى الوثائق لانه اذا تم ذلك التزوير بعد ساعة واحدة من كتابة الوثيقة أمكن اكتشافه

النجوم المذنبة

يعتقد الكثيرون من العامة أن فى الامكان رؤية جميع الشهب والنجوم المذنبة التى تومض فى الجو . ولكن الأرصاد الجوية تثبت لنا أن ما نراه من هذه الاجرام بالعين المجردة ليس سوى جزء يسير جداً مما لا نراه

من اسرار مرض السكر

لايخفى ان البنكرياس هو العضو الذى يحتوى على « جزائر لنجر هانس » التى تنتج مادة الانسولين ، فاذا لم تنتج كمية كافية من هذه المادة اصيب الانسان بالديابيطس أو مرض البول السكرى . ومن حسن الحظ أن العلم قد وفق الى الاستعاضة عن الانسولين الطبيعى بمستحضر صناعى يحل محله وقد سمى باسمه . وكان المعروف عند الأطباء حتى عهد قريب أن

إزالة البنكرياس بعملية جراحية تؤدى الى الوفاة . إلا أن الدكتور هوساى من أطباء جمهورية الارجنتين قد أثبت أن فى الامكان ازالة البنكرياس واجتناب الوفاة اذا ازيلت الغدة النخامية ايضاً فى الوقت عينه . والارجح أن هذا دليل على وجود علاقة بين الغدة النخامية ومرض البول السكرى

ومما يجدر بالذكر أن بعض الاطباء الامريكيين قاموا بتجربة غريبة وهى أنهم أنشأوا مرض السكر فى بعض الكلاب باعطائها خلاصة الغدة النخامية . وفى هذا دليل على وجود علاقة بين الغدة المذكورة ومادة السكر التى يستعملها الجسم

مرض غريب

روت احدى المجلات العلمية الامريكية أن ربان احدى البواخر الامريكية - واسمه الكابتن تشارلس مارتيل - أصيب بمرض غريب حير نطس الاطباء . ذلك أنه اصيب بورم فى الغدة الدرقية الاضافية وهذا الورم جعل عظامه تقصر حتى ان قامته نقصت اثنتى عشرة بوصة فى مدة وجيزة لا تجاوز بضعة أيام . ثم إن عظامه أصبحت قصمة جداً حتى كانت أقل صدمة تؤدى الى انكسارها . وقد اجرى له الاطباء ثمانى عمليات جراحية لاصلاح عظامه ، وكانت الاربع العمليات الاخيرة بطلب الكابتن مارتيل نفسه لانه سئم الحياة وكان يريد أن يكتشف الاطباء سر مرضه الغريب . وكان هؤلاء قد أنذروه بأنه لن يعيش طويلا ومع ذلك ألح عليهم بالقيام بتلك العمليات كما أنه أوصى بجسمه لاحد المعاهد الطبية بعد وفاته لعل العلم يستطيع اماطة اللثام عن مرضه ولا يزال سره مستغلقا على الاطباء حتى الآن

الشمبانزى القزم

اكتشف علماء الزولوجيا نوعاً جديداً من الشمبانزى فى منطقة واقعة جنوبى نهر الكونغو بافريقيا . وهذا النوع من الشمبانزى هو صغير الجسم جداً فهو القرد القزم وليس بين أنواع الشمبانزى نوع أحط منه . وهو يمتاز بصغر عينيه واذنيه وله صوت يختلف عن أصوات سائر القردة . وكان بعض العلماء الامريكيين منذ عدة سنوات قد عثروا على بقايا هذا الحيوان فظنوها نوعاً منقرضاً من الشمبانزى وجاءوا بها الى المتحف الامريكى للتاريخ الطبيعى . لذلك كان سرورهم عظيما لعثورهم على نسل هذا النوع حياً

اكتشاف لقاح لمرض التهاب الرئة

فى الجزء الصادر فى ١٣ مايو الماضى من مجلة « رسالة الاخبار العلمية » الامريكية بشرى مفرحة خلاصتها أن الدكتور آرثر كوكا من أساتذة مدرسة الطب بجامعة كورنيل قد قام بمباحث علمية واسعة النطاق ثبت له منها أن ميكروب مرض التهاب الرئة (بنوموكوكس) يفرز مادة سامة ذات فعل قوى جداً فى الانسان ولكنها لا تؤثر فى الحيوانات السفلى . والقرائن تدل على أن هذه المادة هى العامل المضر الكائن فى ميكروب التهاب الرئة . فاذا

ثبت هذا لم يبق ثمة ما يحول دون احداث المناعة فى جسم الانسان ووقايته من مرض التهاب الرئة المخيف

وفى الواقع أن الدكتور كوكا حقن بعض الاولاد الصغار باللقاح الذى صنعه من المادة المذكورة فاحدث المناعة فى العدد الاكبر منهم . وهو لايزال يوالى تجاربه لصنع لقاح يقى من داء التهاب الرئة وقاية تامة ، فاذا وفق الى ذلك أدى للانسانية خدمة من أجل الخدمات

مغزى التفكير البطيء

الاعتقاد الشائع بين الجمهور هو أن الرجل الذى يكون بطيئاً فى تفكيره هو بليد غير متوقد الذهن . ولكن فريقاً من العلماء الالمان قاموا حديثاً بمباحث واسعة النطاق ثبت لهم منها أن التفكير البطيء ليس دليلا على البلادة وخمول الذهن ،وأن الكثيرين من أصحاب العقول الراجحة هم ممن يمتازون بالتفكير البطيء

التحكم في الجنس

من أخبار مدينة موسكو أن الاستاذين شرودر وكولتزوف من العلماء الروس قاموا بتجارب علمية مدهشة تمكنوا بواسطتها من التحكم فى مواليد طائفة من الارانب بحيث جاءت تلك المواليد ذكورا او أناثاً حسب الطلب بواسطة استعمال جهاز كهربائى يمكن الفصل بواسطته بين الكروموسومات «X» والكروموسومات «Y» (والاولى هى الذرات التى تنتج الاناث والثانية هى التى تنتج الذكور) . ولم تذكر المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر تفصيل التجارب التى قام بها العالمان المذكوران

الفراغ التام

لا يخفى أن الفراغ التام هو موجود نظريا ولكن لا وجود له بالمعنى الحقيقى . واكمل فراغ تمكن العلماء من ايجاده حتى الآن هو ٩٩٩ ٩٩،٩٩٩ جزءاً من مائة من الفراغ التام

ترياق لسم الدفتيريا

من أخبار باريس العلمية أن أحد علماء البكتريولوجيا الفرنسيين اكتشف ترياقاً كيماويا للسم الذى يفرزه ميكروب الدفتيريا فى جسم الانسان . وهذا الترياق هو غير اللقاح الواقى من مرض الدفتريا وهو يختلف عنه بكونه يعطى للانسان عند اصابته بالمرض المذكور لشفائه منه ، حالة ان اللقاح ينشىء المناعة فى الجسم ويحول دون اصابته بالمرض

لون اللبن والزبدة

تدل التجارب العلمية على أن نوع المواد الغذائية التى يأكلها البقر يؤثر فى لون لبن البقر ولون الزبدة التى تصنع من ذلك اللبن

الصحة العامة بلندن

من الحقائق المعروفة لدى العلماء منذ زمان طويل ان مدينة لندن هى أفضل مدن العالم من الوجه الصحى ونسبة الوفيات فيها أقل منها فى اية مدينة اخرى . وقد كان العلماء حتى عهد قريب يحارون فى تعليل هذه الظاهرة الغريبة الى أن

اتضح اخيراً ان ضباب لندن الذى لايكاد يفارق جوها على مدار السنة هو مشبع بذرات القطران المتولد من دواخن (جمع دخان) معامل المدينة فان مادة القطران هى بمنزلة مادة مضادة لسموم الامراض وهى فى الوقت عينه تعمل على تولد الضباب فى الجو

هالة الارض

المعروف ان للشمس وللنجوم المضيئة هالات محيطة بها وان الاجرام الفلكية التى ليس لها نور اصلى ليس لها هالات. الا ان الاستاذ لارس فيجارد استاذ علم الفلك بجامعة اوسلو الاسوجية قد جاءنا الآن بنظرية علمية جديدة، خلاصتها ان للكرة الارضية هالة تمكن رؤيتها من ارتفاع نحو سبعين كيلو متراً الى ثمانمائة كيلو متر فى الفضاء المحيط بالكرة. وهذه الهالة تتولد من وقوع اشعة الشمس على الغازات المحيطة بالكرة الارضية ومن التهاب غاز النتروجين عند مرور التيارات الكهربائية الجوية به

ضعف شهوة الطعام

تدل التجارب العلمية الحديثة على أن ضعف شهوة الطعام فى الانسان والحيوان ناتج من نقص مادة الفيتامين «ب» فى الغذاء. وكثيراً ما يؤدى هذا النقص الى الامتناع عن الاكل بتاتاً والى الوفاة بسبب الجوع

سرعة حركة النظام الشمسي

ثبت الآن لاول مرة أن مجموعة الاجرام الفلكية المعروفة بالنظام الشمسى تندفع فى الفضاء جنوباً بمعدل خمسة واربعين الف ميل فى الساعة (أو بسرعة نحو ١٢٥ ميلا فى الثانية) وهى سرعة تعادل الف ضعف لسرعة اكبر الطيارات الحالية

تطور جسم الانسان

اذا درست جسم الطفل منذ ولادته وجدت فيه ادلة قاطعة على صحة مذهب النشوء والارتقاء فصدره عند ولادته اسطوانى الشكل وبمرور الزمن يصبح أعرض وأكثر اتساعاً. وفخذه حتى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة أطول من ساقه، وبعد بلوغ تلك السن تأخذ ساقه تزيد فى الطول حتى تعادل فخذه. ثم إن قدمه لا تتخذ الشكل الملائم للوقوف إلا بمرور الزمن فانها تقصر بنسبة طولها الى الساق ولكن مؤخرتها تصبح أكبر وأضخم

وجميع هذه الصفات تصدق على القردة وعلى أحوال تطورها

فى فضاء الكائنات

يقول الدكتور شابلى أستاذ علم الهيئة فى جامعة هارفارد (وهو من اكبر علماء الفلك فى العالم) ان الجزائر الكونية هى مجاميع عوالم أو أجرام فلكية تشبه كل مجموعة منها نظام المجرة وتشتمل على مئات الملايين من الاجرام والشموس الهائلة الحجوم. والغريب أن كل مجموعتين منهما تسبحان معاً كأنهما توأمتان يفصل بينهما فضاء لايزيد قطره على قطر أية مجموعة منهما

شئون الدار

لابادة الحشرات

فصل الصيف هو الفصل الذى يكثر فيه الذباب والحشرات. وجميعها من ناقلات جراثيم الامراض وميكروباتها. فاتقاء شرها من أهم الامور التى يجب أن تعنى بها ربة الدار، وعليها تقع التبعة فى عدم وقاية الاسرة من أذاها

ولعل أحسن وسيلة للتخلص من الذباب هي أن توضع على الابواب والشبابيك وجميع المنافذ «شباك» خاصة. وهذه الشباك شائعة فى بيوت كثيرة، واستعمالها خير من الالتجاء الى العقاقير التى تقتل الذباب «كالفليت» و «والتوكس» وغيرهما. فهذه العقاقير تقتضى النفقات الكبيرة فضلا عن ان فائدتها فى ابادة الذباب وقتية اذ لا يلبث جو الغرفة أن يخلو من رائحة تلك العقاقير حتى يعود الذباب الى الغرفة، حالة أن الشباك تحول دون دخول الذباب حيلولة تامة

أما الحشرات التى من قبيل الصراصير ففى السوق مستحضرات كثيرة خاصة بابادتها وجميعها على أساس مادة البورق لان البورق سم زعاف للصراصير وأمثالها من الحشرات

أما البعوض فهو شديد الفتك بالانسان فى أثناء نومه. ويمكن الخلاص منه اما باستعمال الكلة (الناموسية) أو بدهن أعضاء الجسم المعرضة للسع البعوض بالمزيج المركب من المواد الآتية:

اونس (أوقية)	
١ $\frac{1}{2}$	زيت زيتون
$\frac{1}{4}$	« زيت الكافور
$\frac{1}{4}$	« البنى رويال
١	« الساسافراس
$\frac{1}{4}$	ستروتيلا

فرائحة هذا المزيج ليست مكروهة عند الانسان ولكن البعوض يكرهها

وهنالك مزيج آخر ذو رائحة عطرة للانسان ومكروهة عند البعوض وهو قليل من اللانولين يضاف الى زيت اللاوندا و يزاد على المزيج قليل من زيت البنى رويال

ومن الوسائل الفعالة لطرد البعوض ان تضع فى الغرفة التى أنت فيها قليلا من مادة الكريوزوت فان البعوض يكره رائحتها ولا يجرؤ على الدنو منها

أما النمل فخير وسيلة لاقصائه عن الآنية التى فيها أطعمة هى وضع تلك الآنية فى خزانة خاصة تركز قوائمها فى علب من الصفيح مملوءة ماء

لتقشير الطماطم

إذا أردت تقشير الطماطم بسهولة فاشوه قليلا على اللهيب ثم أزل عنه قشرته تحت ماء الحنفية الجارى فانها تزول بكل سهولة

لازالة السخام

لازالة السخام الذى يعلق بآنية الطبخ من الخارج افرك السخام أولا بقطعة من الفلانيلا المبللة بالماء ثم افركه جيداً بقطعة فلانيلا أخرى مشبعة بالخل

لمنع رطوبة الملح

كثيراً ما يتكتل الملح (أى يتجمع ويتماسك) فى الملاحة بسبب الرطوبة بحيث يتعذر ذره على الطعام . فلمنع ذلك يستحسن أن تغطى الملاحة بقدح مقلوب يمنع وصول الرطوبة الى الملاحة

نظافة الاسنان

الميكروبات العالقة « بفرشاة » الاسنان هى من أشد الأخطار التى تهدد الفم . ولذلك يجب الحرص على نظافة الفرشاة وتعقيمها بوضعها فى بيئة بعيدة عن الجراثيم ثم بتطهير الفرشاة بمحلول من المحلولات المعقمة . وفى اميركا اليوم « فرش » للاسنان تصنع من الورق ولا تستعمل كل « فرشة » منها الا مرة واحدة

كي الثياب

كثيراً ما يتفق أن تكوى الخادمة ثياب سيدتها والمنسوجات المختلفة بمكواة واحدة ذات درجة متماثلة من الحرارة ، فعمل كهذا لا يدل على الحكمة ، لان درجة الحرارة التى يتطلبها كى المنسوجات الحريرية الطبيعية هى أخف من درجة الحرارة التى يتطلبها كى المنسوجات الحريرية الصناعية ، ودرجة الحرارة التى تتطلبها هذه أخف من درجة الحرارة التى تتطلبها المنسوجات الصوفية ، وتليها المنسوجات القطنية فالمنسوجات الكتانية

وقلما تحتاج المنسوجات الحريرية الناعمة الى نضحها بالماء قبل كيها . واذا لم يكن بد من رش الماء عليها فليكن ذلك خفيفاً جداً ، أما المنسوجات الكتانية فلا بد من نضحها بالماء قبل كيها

ويجب ايضاً عند كى المنسوجات الحريرية وغيرها من المنسوجات الناعمة عدم مطها كثيراً من بعض جوانبها دون غيرها . والافضل نشرها على مائدة الكى وامرار كف اليد عليها لتسوية اجزائها المختلفة ثم كيها بالمكواة

نشاط المعدة

يظهر ان نشاط المعدة يكون على أشده بعد العشاء سواء أكان ذلك فى الاقاليم الحارة أم فى الاقاليم المعتدلة . وتدل المباحث التى قام بها فريق من الأطباء الالمان على أن لعاب الانسان هو انشط و أقدر على هضم المواد النشوية بعد تناول الطعام منه قبل تناوله . وهو أقل قدرة على هضم الطعام فى الليل منه فى النهار ، وفى الشتاء منه فى الصيف

الثلج والمثلوجات

يميل الانسان عند اشتداد الحر الى الاكثار من شرب المثلوجات والماء المثلوج . ولا بأس من تناول هذه المشروبات على شرط ان لايكون ذلك فى إبان اشتداد العرق . والافضل عدم « تبريد » الماء بوضع قطع الثلج فيه بل بوضعه

فى الثلاجة ، ومن الخطأ شرب الماء المثلوج على طعام حار فان ذلك مما يعوق عملية الهضم

ويجدر بالانسان عند اشتداد الحر أن لا يأكل من الاشياء المالحة لكيلا يضطر الى الاكثار من شرب الماء. وهذا الاكثار يجعله يعرق كثيرا خصوصاً فى إبان اشتداد الرطوبة الجوية

من الأغذية الصيفية

فى نشرة دورية لمصلحة الصحة لولاية كارولينا الجنوبية الاميركية ان المحار من أفضل المواد المغذية فى فصل الصيف ، وهو يحتوى على كية غير يسيرة من عنصر الايودين الذى هو شديد اللزوم لجسم الانسان ، وهو من احسن المواد لمعالجة مرض الروماتزم على اختلاف أنواعه . وتقول النشرة المذكورة إن متوسط السكمية التى يحتاج اليها الشخص البالغ من الايودين كل يوم هي ٤٥ ميكروجرام . فاذا أكل كل يوم محاراً كانت كية الايودين التى تدخل جسمه — مع السكمية التى تدخل الجسم من المواد الغذائية الاخرى — تكفى لامداد الجسم بما يحتاج اليه

أضف الى ذلك ان المحار يحتوى على الخمسة الانواع الاولى من الفيتامين (أ — ب — ج — د — هـ) ، وعلى المعادن الاخرى اللازمة للغذاء . أما وحدات الحرارة فيه (الكالورى) فقليلة جداً وقلتها هذه تجعلها صالحة لفصل الصيف . ويقول احد الاطباء الاميركيين الاخصائيين فى مسائل التغذية إن المحار من أفضل المواد الغذائية للسيدات اللوآتى يخشين السمانة فهو يغذى من دون ان يسمن

ومن افضل المواد الغذائية الصيفية أيضا سمك السلمون الاحمر والسبانخ والبطاطس والجزر والخس وكبد البقر والبيض والزبدة ولحم البقر ولحم العجول والطيور ذات اللحوم البيضاء ومعظم انواع السمك ، والبقول ذات الحبوب كالفاصوليا والحمص والبازلا ، والفواكه على اختلاف انواعها

البقول المغذية

من البقول التى نأكلها ما تكثر فيه أنواع الفيتامين والمواد المغذية المختلفة ، ومنها ما لا قيمة غذائية له . ومن أفضل البقول التى يحسن طبخها وتغذية الاطفال بها الجزر والسبانخ فان الفيتامين « ا » يوجد فيها بكثرة . ومن أهم العوامل المغذية الموجودة فى النوعين المذكورين مادة « السكاروتين » وهي توجد أيضاً فى بقول ومواد غذائية كثيرة كالخس والقرع والكوسى والبطاطا وغيرها . ولذلك يحض الكثيرون من الخبيرين بالشؤون الصحية على الامهات بتغذية صغارهن بالمواد التى يكثر فيها السكاروتين

وعلى ذكر الفيتامين « ا » نقول ان العلماء قد تمكنوا من عزل هذا الفيتامين وتحضيره للاستعمال على ثلاثة أوجه . فهنالك البلورى منه (ويعرف أيضاً بالسكاروتين البلورى) ويستعمل للطبخ . وهنالك السائل (وهو زيت يستعمل لاغراض طبية) . وهنالك مستحضر خاص هو مزيج من السكاروتين وزيت كبد الحوت . ولا يجوز اعطاؤه للاولاد الصغار إلا باشارة الطبيب

فى عالم الادب

تنبيهات اليازجي

على محيط البستانى

جمعها وحل رموزها الدكتور سليم شمعون والاستاذ جبران النحاس

(طبع بمطبعة صلاح الدين بالاسكندرية . صفحاته ١٠٠ من الحجم الكبير)

كان المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي من أئمة اللغة والادب فى عصره ، وكان لذلك خير ثقة يرجع اليه فى المسائل اللغوية والادبية . وكان من عادته أن يضع على هوامش كتبه تعليقات للتنبيه الى خطأ او شرح مجمل او بيان غامض . ومن هذه الكتب التى وضع على هامشها عدة تعليقات كتاب محيط المحيط للعلامة بطرس البستانى . وهذه التعليقات اللغوية التى كتبها الشيخ اليازجي جديرة بان تحفظ ، وجديرة بان تظهر للناس لتوضيح ماغمض او تصحيح ماوقع من خطأ مطبعى أو علمى فى محيط المحيط

وقد انبرى لجمعها سبط المرحوم اليازجى الدكتور سليم شمعون ،وساعده فى حل رموزها وتفصيلها الاستاذ جبران النحاس، وقد عانى كل منهما مجهوداً فى جمع هذه التعليقات وتفصيلها لان اليازجي لم يكتبها للناس بل كتبها لنفسه على هامش نسخته . وربما لم يدر بخلده انها ستصدر يوماً ما فى كتاب خاص يتداوله الجمهور فاكتفى بالاشارة والرمز ، ولذلك اضطر الاستاذ جبران النحاس ان يوضح مدلول الاشارة ويحل الرموز . فنشكر الفاضلين الدكتور شمعون والاستاذ النحاس على هذا العمل المفيد

وقد صدر الجزء الاول من هذه التنبيهات وكله يبحث فى « باب الهمزة » ، وسيصدرقريباً الجزء الثانى منها وهو خاص « بباب الباء »

الاصول العربية لتاريخ سورية

فى عهد محمد على باشا

جمعها وضبطها الدكتور أسد رستم

(طبع بالمطبعة الاميركية ببيروت . صفحاته ٢٧٦ من الحجم الكبير)

أصدر حضرة المفضال الدكتور أسد رستم استاذ التاريخ الشرقى بجامعة بيروت الاميركية المجلد الخامس من « الاصول العربية لتاريخ سورية » فى عهد محمد على ، وهو يشتمل على الوثائق والاوراق السياسية التى تعد مصدراً رسمياً صادقاً لهذا التاريخ . وقد جمعها من بعض دور المحفوظات والقنصليات والمكتبات التاريخية ومن ورثة بعض القادة المعاصرين لحكم محمد على باشا فى سورية

ولا شك ان جمع هذه الوثائق والاوراق السياسية وضبطها ووضع فهارسها ليس بالشىء

المبين ، بل هو يستدعى مجهوداً كبيرا واحاطة بتلك المصادر المهمة التى يرجع اليها فى التحقيق العلمى فى تاريخ سورية . وهذه المصادر هى أهم ما يعول عليه المؤرخ حين يعرض للبحث التاريخى

ومن هنا كان هذا المجهود الذى قام به الدكتور رستم خير خدمة يقدمها للباحثين فى تاريخ سورية . وإذا أضفنا إلى ذلك أن هذا المجلد الكبير الحجم الذى يبلغ عدد صفحاته ٢٧٦ صفحة هو خامس مجلد فى هذا الموضوع المفيد ، رأينا أن الدكتور رستم قد حمل عبئاً كبيرا فى خدمة التاريخ من هذه الناحية حتى أخرج تلك المجلدات الخمسة التى نعتقد انهـــا صادفت من الباحثين إعجاباً غير قليل !

محاولات في درس جبران

للاستاذ امين خالد

(طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت . صفحاته ١٠٠ من الحجم المتوسط)

أول ما يجب الاهتمام به فى دراسة الأدب هو العصر الحاضر ، لأنه أقرب الينا وألصق بنا . فاذا اهتممنا بعصر آخر من عصور الادب العربى ولم نهتم بدراسة عصرنا فقد أسأنا الى أنفسنا والى النهضة الحاضرة التى نعيش فيها والتى يجب أن نعرفها خير المعرفة لنتبين عيوبها من محاسنها ونقف على الصالح والفاسد منها حتى نتقدم بها الى الامام

ومن دراسة هذه النهضة دراسة ادبائها الذين كان لهم فيها حظ غير قليل . ويسرنا أن يكون مؤلف هذا الكتاب قد تناول فيه دراسة أديب شاعر كبير هو المرحوم جبران خليل جبران ، فدرس عناصر التأثير فى شخصية جبران ونفسيته وأخلاقه واتجاهاته الأدبية والصوفية ، ونقد حياته نقداً نزيها وحللها تحليلا دقيقا ، بحيث اطلعنا على صورة صادقة من حياة هذا الاديب الكبير

شاهنامه نوبخت

أو پهلوى نامه

(طبع بمطبعة مجلس البرلمان بطهران . صفحاته ٢١٥ من الحجم الكبير)

أصدر الشاعر المجيد ميرزا حبيب الله خان نوبخت ديواناً شعرياً بهذا الاسم يحتوى على تاريخ ايران من انقراض أسرة الملوك الساسانيين إلى السلطان شاه پهلوى . وقد بلغت أبيات هذا الديوان النفيس ثلاثين الف بيت من الشعر الحماسي الوطنى ، وزينه بثلاثين رسماً خيالياً من أروع ما رسمته ريشة المصورين

ونحن لا ننكر أن الشاعر الفارسى الحكيم أبا القاسم حسناً الفردوسى الطوسى نظم تاريخ إيران القديم – حتى ظهور الاسلام – فى ستين الف بيت من الشعر وذلك فى عهد السلطان محمود غزنوى احد ملوك الأسرة الغزنوية ، المتوفى سنة ٤٢١

غير أن الديوان الجديد الذى نحن بصدده وهو « شاهنامه نوبخت » جدير بحسن التقدير ، وهو يقع فى ثلاثة مجلدات صدر منها الجزء الأول . وستبلغ أبيات الأجزاء الثلاثة مائة الف بيت . ويبتدىء تاريخه الشعرى هذا من انقراض

الدولة الساسانية إلى يومنا الحالى . وكان اكبر حافز للشاعر ومشجع له فى السير بعمله الأدبى ما رآه من تشجيع حضرة صاحب الجلالة رضا شاه بهلوى للكتاب والمؤلفين والمؤرخين . وقد زين المؤلف صدر الكتاب بصورة جلالته وديباجة مدحه فيها

وجماع القول ان هذا السفر النفيس ، تأليف الاستاذ الكبير والشاعر العبقرى نوبخت سيكون خير أثر لتخليد ذكر صاحب الجلالة السلطان رضا شاه بهلوى وما قام به من نشر العلوم والمعارف

الاستعلام عن معاني الحروف

واستعمالها فى الكلام

للاستاذ الشيخ عبدالوهاب محمد زرنبه

(طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة .
صفحاته ٩٦ من الحجم المتوسط)

الاحاطة بمعانى الحروف فى اللغة العربية عسيرة لانها مفرقة فى انحاء الكتب وفى زوايا الفصول . على ان كثيرين ممن عمدوا الى جمعها قد فاتهم شيء غير قليل من هذه المعانى وخانهم الاستقصاء . فلم يوفقوا الى جمعها كلها . وقد اتيح لمؤلف هذا الكتاب الاستاذ عبد الوهاب محمد زرنبه ان يجمع بين دفتيه ما صعب على غيره جمعه ، وان يوفى هذه الحروف حقها ، وان يفصل الكلام عنها تفصيلا سهلا يصل الى الذهن من أقرب طريق . والاستاذ عبد الوهاب محمد زرنبه من نوابغ علماء الازهر ، ومن الادباء الذين درسوا الادب العربى خير دراسة واستطاعوا ان يوفقوا بين القديم والجديد فى اسلوبهم . ولذلك كان كتابه هذا أثراً ادبياً جليلا فضلا عن كونه أثراً علمياً يستحق التقدير

عنوان الاريب

عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم اديب

تأليف الشيخ محمد النيفر

(الجزء الثاني — طبع بالمطبعة التونسية .
صفحاته ١٩١ من الحجم المتوسط)

وهو مجموعة تحتوى على تاريخ الادباء الذين نشأوا بتونس ، وبيان ما خلفوه من أشعار وا ثار أدبية ، كأبى القاسم الرعينى القيروانى ، والشيخ المفتى المالكى أبو عبد الله محمد بن ابراهيم ، والشيخ ابى عبد الله محمد قويسم صاحب « سمط اللآل » ، والشيخ ابو العباس احمد الشريف ، وغيرهم من الأدباء

والكتاب مطبوع طبعاً أنيقا على ورق جيد ، وقد ضم بين دفتيه كثيراً من القصائد العامرة التى أنشأها هؤلاء الادباء

بلاد المجد المفقود

بقلم وريشة الاستاذ مصطفى فروخ

(طبع بمطبعة الكشاف بيروت .
صفحاته ١٦٥ من الحجم المتوسط)

قام الاستاذ مصطفى فروخ برحلة الى بلاد الاندلس زار فيها كثيراً من أماكنها التاريخية ومشاهدها الخالدة من آثار العصر الذهبى للعرب فى هذه البلاد

وقد وصف فى هذا الكتاب رحلته وصفاً دقيقا فى أسلوب سهل فصيح ، وكتب له مقدمة موجزة عن تاريخ الاندلس ونهضتها

التي وصلت الى اوج رفعتها وكانت خير واسطة لنقل الحضارة الاسلامية الى البلاد الغربية

والكتاب جدير بالاطلاع خصوصا للذين لم يزوروا اسبانيا ويروا مشاهدها التاريخية . فهو كفيل بان يصور للقارىء صورة واضحة لتلك المشاهد الاثرية الجميلة وتلك البلاد الاسبانية الشاسعة

البربرية تبحث عن الله

تأليف الفيلسوف جورج برنارد شو

ترجمة الاستاذ حسن صبحي

(نشرتها مكتبة الهلال بالقاهرة . صفحاتها ١٣٦ من الحجم المتوسط)

الأستاذ حسن صبحي شاب نشط ، مشغوف بحب الادب والصحافة والتاريخ المصري القديم ، فطوراً تراه يكتب في الأدب ، وطوراً يتركه الى الصحافة ، وآونة يكتب في التاريخ المصري ، واخرى يترجم عن الأدباء الغربيين . وهو على هذا النشاط كاتب سهل العبارة واضح الاسلوب

وهذه الترجمة هي ثمرة حسنة من هذا النشاط الذي طبع عليه الاستاذ حسن صبحي . ولا ريب ان بعض القراء قد اطلع على هذه الرواية التي كتبها برناردشو . وكان لها صدى في عالم الادب ، حتى إنها طبعت في مدى ثلاثة اشهر تسع مرات ، بل إنها طبعت في شهر واحد ست مرات . وليس برنارد شو بحاجة الى أن نعرف ، ثاره للقراء ، ولكننا نقول إن هذه الترجمة العربية لرواية «البربرية تبحث عن الله» جديرة بان تصادف من الشباب اقبالا وتقديراً

اختبارات فاروق الانجليزية

للمدارس الثانوية

(The Farouk English Tests)

تأليف ف . ج . وود هام

(طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة . عدد صفحاته ١٨٨ من الحجم الصغير)

هو كتاب مدرسي وضعه الاساتذة : وودهامز وعارف محمد عسكر ومحمد اسماعيل ابراهيم ، وهم من خيار رجال التعليم في مصر ، وقد قصدوا بهذا الكتاب تسهيل اللغة الانجليزية وتقريب قواعدها واصطلاحاتها لمن يريدون تعلم هذه اللغة . والكتاب مؤلف من ثلاثة أجزاء في مجلد واحد لطلبة السنوات الاولى والثانية والثالثة (الثانوية) . وهو يشمل تسعين اختباراً في قواعد اللغة الانجليزية واصطلاحاتها وتسعين موضوعاً إنشائياً من أحدث الموضوعات ونماذج أجوبة كثيرة ومجموعة كبيرة من حروف الجر وطريقة استعمالها ومن المحفوظات المقررة لطلبة الكفاءة مشروحة شرحاً وافياً . فنثني على حضرات المؤلفين ونشكر لهم خدمتهم الثمينة لطلاب اللغة الانجليزية

ويطلب الكتاب من مكتبة الهلال بشارع الفجالة بمصر

مطبوعات أخرى

• (فن خراطة المعادن) كتاب في يبحث في فن خراطة المعادن وفي القرايز وحساباتها لعمل التروس على اختلاف أنواعها . وهو مفيد

للمشتغلين بصناعة الخراطة خصوصاً تلاميذ المدارس الصناعية وطلبة مدارس الفنون والصناعات . تأليف الاستاذين حامد سلامة وزكى رشيد . طبع بمطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بالقاهرة . صفحاته ٢٠٠ من الحجم المتوسط

• (مخاطرات الشباب) رواية ممتعة بقلم الاديب حسن رشاد . صفحاتها ١٩٢ من الحجم المتوسط . طبعت بمطبعة المعرفة بشارع عبد العزيز بالقاهرة

• (فن الاركت) تأليف المهندس رشيد زكى . وهو كتاب يبين طريقة الاركت (تفريغ الخشب) . ويوضح كيفيتها وادواتها والاماكن التى يجلب منها الخشب الصالح لهذه الطريقة . طبع بالمطبعة المرقسية . صفحاته ٤٨ من الحجم الصغير

• (بولس وفرجينى) رواية تأليف برناردين ده سن بيير . وهى من أشهر آثار الأدب الفرنسى . نقلها إلى العربية الأستاذ الياس ابو شبكة فى أسلوب سهل متين لم يفقدها شيئاً من جمالها الأصلى . تطلب من مكتبة صادر بيروت . صفحاتها ١٧٥ من الحجم المتوسط

• (نظرات) بقلم الاستاذ محمد عبد الوهاب صالح ناظر مدرسة الشوبك . وهى مقالات أدبية اجتماعية محلاة بالرسوم . صفحاتها ٦٧ من الحجم الصغير

• (التنويم المغناطيسى) بقلم فتح الله قسطون . طبع بمطبعة العصر الجديد بحلب . صفحاته ٧٨ من الحجم المتوسط . والكتاب مكتوب بأسلوب على سهل ومطبوع طبعاً جيدا

• (ابونواس) وهى إحدى حلقات تلك السلسلة الأدبية التى يقوم بتأليفها الأستاذ عمر فروخ ، وتقوم بنشرها مكتبة الكشاف . صفحاتها ٩٦ من الحجم الصغير

• (البخيل) وهى رواية تمثيلية هزلية ذات خمسة فصول تأليف موليير الأديب الفرنسى المشهور . وقد نقلها إلى العربية الاستاذ الياس ابو شبكة ـ وهذه الرواية من أمهات الروايات التمثيلية وقد ترجمت ترجمة حسنة . طبعت بمطبعة صادر بيروت . صفحاتها ١٠٤ من الحجم الصغير

• (الضحية) رواية طريفة على هيئة رسائل تأليف بهاء الدين سامى بالمدارس الثانوية . طبعت بمطبعة كرازة بالدرب الجديد رقم ٣٥ بالقاهرة

• (رحلة الى الثغرين) مشاهدات ومناظر اجتماعية وسياسية وتاريخ وفكاهة ، تأليف الاستاذ السيد محمد بن هاشم . طبعت بمطبعة حجازى بجوار قسم الجمالية بالقاهرة . صفحاتها ٨٦ من الحجم المتوسط

• (العروبة فى الميزان) نظرة فى تاريخ العراق السياسى ، بقلم الأستاذ عبد الرازق الحصان . طبع بمطبعة العهد ببغداد . صفحاته ١١٩ من الحجم المتوسط

بين الهلال وقرائه

طنين الاذن

(القاهرة ــ مصر) ع . ج . خ

من الاعتقادات الشائعة بين الناس أن طنين الاذن دليل على مرور صاحب الاذن بخاطر جماعة من أهله وأصدقائه . فهل لهذا الاعتقاد أثر من الصحة ؟

(الهلال) هو خرافة ليس لها ما يثبتها

الارتجاف والجاذبية

(القاهرة ــ مصر) ومنه

قرأت فى مقالة أن للجاذبية علاقة بارتجاف الانسان من الخوف . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) كلا . فان ارتجاف الجسم حركة عضلية منشؤها الدماغ الذى ينبه الاعصاب والعضلات والاوعية الدموية عند دنو الخطر

المياه الصالحة للشرب

(نابلس ــ فلسطين) يوسف نجم

أين توجد أفضل المياه العذبة الصالحة للشرب فى الاقطار العربية والتى تفضلونها على مياه النيل ؟

(الهلال) لا نفضل ماء على ماء النيل . ولعل ماء دجلة والفرات أفضل المياه فى الاقطار العربية من حيث صلاحيتها للشرب

نظام حيدر آباد

(نابلس ــ فلسطين) ومنه

بكم تقدرون ثروة نظام حيدر آباد ؟ وهل هو فى الحقيقة أغنى أغنياء العالم ؟

(الهلال) نظام حيدر آباد هو بلا ريب من أغنى أغنياء العالم ، ولكن ما من أحد يستطيع تقدير ثروته بالتمام ، فان جانباً منها هو مجموعة من اللآلىء والحجارة الكريمة التى يتعذر تقدير قيمتها الحقيقية . ونذكر أننا قرأنا مرة احصاء لما يقتنيه أمراء الهند من الذهب والحجارة الكريمة واذا ثروة نظام حيدر آباد لا تقل عن ثلثمائة مليون جنيه فسبحان الواهب الرزاق

اليهود فى العالم

(القاهرة ــ مصر) ج . مسعوده

ماهى الدول التى تحب اليهود الآن ؟

(الهلال) لا نفهم ماذا تعنون بقولكم « تحب اليهود » فان المفروض فى جميع الدول المتمدنة أنها تحب رعاياها على السواء وتدافع عنهم بدون تمييز بين طوائفهم الدينية . نعم لقد وقعت فى المانيا بعض الاضطهادات على اليهود ــ وهو أمر يدعو الى الاسف ــ ولكن قد وقع أمثال هذه الاضطهادات على المسيحيين والمسلمين أيضا فى أوقات وأماكن مختلفة ، ثم كانت العاصفة

تمر وتعود الحكمة والروية والسياسة فتحل محل الطيش والاندفاع وقصر النظر . واليهود يتمتعون اليوم فى جميع نواحى العالم تقريباً بالعدل والانصاف اللذين هما من حقهم . ونعتقد أن ما يعانونه الآن فى المانيا من الشدة هو اشبه بعاصفة عابرة سوف تمر بعد قليل ثم يحل الصفاء والوئام وينتصر العدل .

الهواء سائل

(القاهرة — مصر) ومنه

إذا كان عندنا مكعب أجوف من المطاط ونفخنا فيه فانه يتخذ شكلا كروياً . فما تعليل ذلك ؟

(الهلال) المفروض فى هذا المكعب المجوف أن جميع جوانبه متساوية فى قدرتها على احتمال ضغط الهواء من الداخل . والهواء كما لا يخفى سائل يملأ كل فراغ وانما داخل « مجوفاً » تمدد فى جميع نواحيه تمدداً متعادلا الا اذا وقف أحد جوانب ذلك « المجوف » فى سبيل تمدده وهو ما يرجح وقوعه اذا كان « المجوف » مكعباً فان الهواء يلقى من كل جانب من جوانب المكعب مقاومة تختلف درجتها عن درجة مقاومة الجانب الآخر . وكلما اشتد تمدد الهواء داخل المجوف دنا شكله من الشكل الكروى لانه — وهو سائل — يميل الى التمدد تمدداً متماثلا فى جميع الجهات

الاستقلال والانتداب

(آبيدجان — أفريقيا الفرنسية) حسن جابر

كثيراً مانقرأ فى الصحف السيارة عن قرب عقد معاهدة بين سوريا ودولة الانتداب تمنح سوريا بموجبها الاستقلال . ولكن المفهوم أن جيش الانتداب الفرنسى سيبقى فى دولة لبنان . فكيف يتفق الاستقلال والانتداب ؟

(الهلال) الانتداب بدعة سياسية ولدتها الحرب العظمى الماضية ، ووضعت بموجبها بعض المستعمرات الالمانية السابقة وبعض الولايات العثمانية السابقة تحت سلطة الدول التى انتصرت على المانيا وحليفاتها فى تلك الحرب . وقد سمعنا كما سمعتم بخبر المعاهدة المراد عقدها بين حكومة سوريا والدولة المنتدبة (أى فرنسا) ولكننا لا نعلم تفاصيل هذه المعاهدة فلا يمكننا ابداء أى رأى بشأنها

ولا شك أنكم مصيبون فى قولكم إن الانتداب والاستقلال لا يتفقان . ولكن ما من دولة فى العالم تجرؤ على القول بأن الانتداب هو احتلال مؤبد . وقد رأينا نهاية الانتداب فى العراق فعسى أن نرى سوريا ولبنان وفلسطين وغيرها من البلدان التى لا تزال واقعة تحت سلطة الانتداب تتمتع باستقلالها التام فى أقرب فرصة

أما سؤالكم الآخر بشأن السبب الذى دعا الى تقسيم سوريا دويلات دويلات فالجواب عنه أنه من مقتضيات بدعة الانتداب

قلعة بعلبك

(بغداد — العراق) احمد دباغ

من بنى قلعة بعلبك ؟

(الهلال) جاء فى دائرة المعارف البريطانية

فى طبعتها الحديثة أن العرب هاجموا مدينة بعلبك فى سنة ٦٣٥ واستولوا عليها وحولوا هيكلها المشهور الى قلعة . وكان الهيكل من بناء امبراطرة الرومان فى القرنين الثانى والثالث للميلاد

زنوبيا وآسرها

(بغداد ـ العراق) ومنه

من هو الملك الرومانى الذى انتصر على الزباء وأسرها ؟

(الهلال) هو الامبراطور أوريليان ، وكان انتصاره عليها سنة ٢٧١ للميلاد بعد معركة حمص ، اذ حاولت الزباء أن تعود الى تدمر عاصمة ملكها ، ولكن الامبراطور اوريليان تبعها بجيشه وانتصر عليها وأسرها بعد ان قتل قادة جيوشها

الدفتيريا

(جيتوليتا ـ البرازيل) نقولا الحاوى

ما هو مرض الدفتيريا وما هي اعراضه وطرق معالجته ؟

(الهلال) الدفتيريا مرض شديد العدوى يصيب الصغار والبالغين ، ولكنه أكثر وقوعاً بين أولئك منه بين هؤلاء . وسببه ميكروب دقيق اكتشفه الدكتوران كليبز ولوفلر سنة ١٨٨٣ . وأهم اعراضه قشعريرة خفيفة فى بدء الداء وهبوط فى قوى الجسم وألم والتهاب فى الحلق وتصلب فى الرقبة وورم فى اللوزتين وما يجاورهما ، وظهور بقع بيضاء فى الفم وفى سقف الحلق تتحول فيما بعد الى شبه غشاء كثيف اصفر ملتصق بالغشاء المخاطى ، واذا ازيل ترك قروحاً مؤلمة تنزف دماً ولا تلبث قليلا حتى تحل محلها بقع أخرى قد تكسو الفم كله من الداخل ثم تمتد الى مجارى الهواء ، وقد يساعد السعال على طرد بعضها فينشأ عن ذلك نزيف واختناق

وليس من الضرورى أن ترتفع درجة الحرارة ولكن الوجه يكون شديد الشحوب ويزيد ورم غدد العنق والرقبة ، وقد يظهر الزلال فى البول ، ثم يصاب العليل باختناق من جراء انتشار البقع البيضاء فى مجارى الهواء ويعقب ذلك الموت

وقد كان هذا المرض حتى أواخر القرن الماضى من أشد الامراض فتكا بالانسان الى ان وفق الدكتور بهرنج العالم الالمانى فى سنة ١٨٩٤ الى اكتشاف اللقاح الواقى منه . ولا شك ان اللقاح الذى يصنعه اليوم معهد باستور (انتيتوكسين رامون) هو أفضل لقاح للوقاية من هذا الداء فانه ينشىء فى الجسم مناعة تامة يدوم أثرها مدى العمر . ونعتقد ان من واجبات كل والد ووالدة « تلقيح » أولادهما باللقاح المذكور

لتعلم الطب والتجارة

(اربيل ـ العراق) أحد القراء

ما هى أكبر مدرسة فى العالم لتعليم الطب ؟ وما هى أكبر مدرسة لتعليم التجارة ؟

(الهلال) تصعب المفاضلة بين جامعات العالم الكبرى وايثار احداها على الأخرى . ففى أمريكا وانجلترا والمانيا وفرنسا بل فى جميع

بلاد العالم الراقية مدارس لتعليم الطب والتجارة وغيرها من العلوم والفنون ولكل منها فضل على الطب والتجارة لا يقل عن فضل غيرها . ولا حاجة الى القول إن طالب العلم أنما يفضل المدرسة التي تلائمه من الوجه المالي ومن حيث سهولة الاتصال بها ومعرفة لغة التعليم فيها وما الى ذلك من الاعتبارات النسبية

شعار النقود الاميركية

(كنستون — جيكا) فريد حنا

يزعم البعض ان الكتابة المنقوشة على النقود الاميركية « على الله نتكل » ترجع إلى سلومون تشايز الذي كان وزيراً للخزانة الاميركية عام ١٨٦٤ فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) الارجح أنه صحيح فقد كان سلومون تشايز وزيراً للخزانة الاميركية من سنة ١٨٦١ — ١٨٦٤ في مدة رئاسة « لنكن » وكان من أقدر رجال المال في أميركا ، وهو من أسرة اشتهرت بتقواها وتدينها . وكان في اول أمره محامياً وقف نفسه للدفاع عن قضية العبيد في أميركا وكان له في قومه نفوذ عظيم

نابوليون الثاني

(اسكندرونة — شمال سوريا) ع . م

ما هي أهم المؤلفات باللغة الفرنسية عن نابوليون الثاني بن نابوليون الاول ومن هم مؤلفوها وأين توجد ؟

(الهلال) المؤلفات عن نابوليون الثاني أو الدوق دي ريشتاد أوفرخ النسر (وجميعها القاب لمسمى واحد) كثيرة لا تقع تحت حصر ليس باللغة الفرنسية فقط بل بغيرها من اللغات أيضاً ومن أهمها ما يأتي :

Le Fils de l'homme (Barthelmy et Méry)

Le Duc de Reichstadt (Baron J. I. Comte de Montbel)

Histoire de Napoleon II (J. de Saint Felix)

Histoire de Napoleon II (Guy de l'Hérault)

سالنامه عربية

(اسكندرونة — شمال سورية) ومنه

هل في اللغة العربية كتاب نظير « سالنامه » الذي كان يصدر على عهد الحكومة العثمانية سابقاً ، يجمع بين دفتيه تراجم الكتاب والادباء والوجهاء ورجال الصحافة وأمثالهم ؟

(الهلال) لا يوجد كتاب كهذا باللغة العربية . وكان بعض أصحاب الصحف العربية الكبرى قد عزم منذ سنين على إبراز كتاب سنوي بهذا الوصف شبيه بكتاب « Who is Who » الانجليزي ولكنه عدل عن ذلك لعدة أسباب

الارقام الهندية

(أكوه دولسي — المكسيك) عادل مرعب

من المعلوم أن الارقام التي نستعملها الآن هي هندية الاصل ، والاوربيون يسمونها الارقام العربية لانهم أخذوها عنا وحسبوا أننا نحن الذين وضعناها . على انني قرأت في إحدى الصحف أخيراً أن العرب كانوا قبل اقتباسهم الارقام الهندية يستعملون أرقاما شبيهة بالارقام

الافرنجية . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) كان الافرنج يستعملون الارقام الرومانية (وهي مؤلفة من بعض أحرف الهجاء عند القوم) وقد ظلوا يستعملونها الى أن اقتبسوا الارقام العربيـة . ولم يكن للعرب أي عهد بتلك الاحرف على الاطلاق ، فلاصحة للخبر الذي قرأتموه

عرق القدمين

(دير الزور – سوريا) أحد القراء

يكثر عرق القدمين في الصيف ويسبب رائحة كريهة . فهل من دواء لمعالجته وازالة الرائحة الناتجة عنه ؟

(الهلال) أفضل علاج لازالة العرق هو عدم التعرض لاسباب العرق ، كالافراط في شرب السوائل والاكثار من المشي وما أشبه . ويجب أيضاً الاستحمام بالماء الفاتر بكثرة . أما استعمال المساحيق (البودرات) فقد لا يخلو من ضرر لان البودرة تسد مسام الجسم وتحول دون افراز العرق بحرية وفي هذا من الضرر ما فيه

تاريخ هجري

(دير الزور – سوريا) ومنه

شاب ولد في ٣ ذي القعدة سنة ١٣١٧ ، فما هو التاريخ الميلادي المقابل ليوم ولادته ؟

(الهلال) يقابله ٥مارس (اذار) سنة١٨٩٩

الفرق بين الاوزان

(الاسكندرية – مصر) حسين شوقي كامل

ما الفرق بين الطن الانجليزي والطن الفرنسي ، وبين قنطار القطن المحلوج وقنطار القطن غير المحلوج ؟

(الهلال) الطن الانجليزي يعادل ٢٢٤٠ رطلا انجليزياً أو ٨١٤ أقة مصرية أو ٢٢،٦١ قنطاراً مصرياً أو ١٠١٦،٠٥ كيلو جراماً

والطن الفرنسي أو المتري يعادل الف كيلو جرام أو ٨٠١،٠٣ أقة . وقنطار القطن المحلوج يعادل مائة رطل مصري . وقنطار القطن غير المحلوج يعادل ٣١٥ رطلا مصرياً

اختلاف المقاييس والمكاييل والموازين

(الاسكندرية – مصر) ومنه

أما من سبيل لاتفاق الشعوب المختلفة على توحيد مقاييسها ومكاييلها وموازينها تسهيلا للتعامل بينها ؟

(الهلال) لا يرجى ذلك في هذا العصر الذي تزيد فيه أوجه الخلاف والمنافسة بين الشعوب على أوجه الوفاق

رفع القبعة للتحية

(بيروت – سوريا) أحد القراء

لماذا يرفع الاوربيون قبعتهم عند التحية أو عند دخولهم البيوت ؟

(الهلال) هذه عادة قديمة ترجع إلى عصر الفتوة (الفروسية) في أوربا يوم كانت قبعات الرجال والشبان خوذاً حديدية تقيهم في الحروب والمعارك . وكان الرجل في ذلك العهد إذا دخل منزلا خلع قبعته كأنه يعترف بصداقة أهل المنزل ولا يخشى منهم سوءاً . وقد زال عصر الفتوة وبقيت هذه العادة تذكرنا به

شهر العسل

(بيروت — سوريا) ومنه

ما أصل تسمية الشهر الاول من الحياة الزوجية بشهر العسل ؟

(الهلال) جاءت هذه التسمية من شعوب أوربا الشمالية والشرقية ، فقد كان العريسان لا يشربان فى خلال الشهر الاول بعد زواجهما إلا خمراً مصنوعة من العسل . قيل ان الملك اتيلا ظل يشرب خمر العسل شهراً كاملا بعد زواجه حتى مات من السكر فانقلب شهر عسله مأتماً

من اسباب الصلع

(بغداد — العراق) ح . ك

هل يمكن ان يكون الصلع ناشئاً عن كثرة الهم وانشغال البال ؟

(الهلال) نعم فقد ذكر الاطباء عدة حوادث من هذا القبيل . وروى الدكتور روجرس من أساتذة جامعة ويسكونسن بأميركا انه عرف رجلا فقد شعره فى مدة بضعة أسابيع بسبب هموم وأحزان ساورته فجأة . وذكر غيره أمثلة شبيهة بهذا مما يدل على تأثير الهموم فى شعر الرأس . على ان أحد الاطباء الفرنسيين أنكر ذلك بتاتاً بحجة ان النساء معرضات للهموم والاحزان مثل الرجال تماما بل اكثر ومع ذلك فقلما يصبن بالصلع

الآلة الكاتبة

(بغداد — العراق) ومنه

من هو مخترع الآلة الكاتبة المعروفة بالتايبرايتر ؟

(الهلال) اخترعها شاب مهندس انجليزى يدعى هنرى ميل وسجل اختراعه سنة ١٧١٣ فى عهد الملكة حنه (ملكة انجلترا) ثم تطورت هذه الآلة وادخلت عليها تحسينات كثيرة حتى وصلت الى حالتها الحاضرة من الاتقان

سرعة الريح

(القاهرة — مصر) احمد رشيد الصيرفى

ما هى أقصى سرعة تبلغها الريح ؟

(الهلال) لا يمكن معرفة ذلك بوجه التدقيق لان الريح اذا بلغت سرعة معينة لم تقو الآلات التى تقيس السرعة على الثبات فى مهابها، بل لم تقو بعض البنايات على البقاء أمامها . والمظنون أن سرعة الريح قد تبلغ فى بعض الاحيان أربعمائة ميل فى الساعة وهى سرعة هائلة ولكنها نادرة جداً

الاكل عند الغضب

(القاهرة — مصر) جلال محمد عوف

قرأت فى مجلة طبية أنه من الخطر أن يتناول الانسان الطعام وهو فى حالة الغضب . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم فان الغضب يسحب الدم الذى فى أعضاء الجهاز الهضمى الى العضلات والرئتين والدماغ . فاذا تناول الانسان الطعام فى ساعة الغضب فان الدم الذى فى المعدة مثلا لا يصلح لهضم الطعام . وهذا قد يسفر عنه عواقب وخيمة

من هنا وهناك

آينشتين والزلزلة

لما حدثت الزلزلة الهائلة فى كاليفورنيا منذ عهد قريب ودمرت كثيراً من القرى والمنازل وأهلكت الكثير من الانفس كان الاستاذ آينشتين والدكتور جوتنبرج (وهو من أكبر الثقات الاميركيين فى علم الزلازل) سائرين معاً فى منطقة الزلزلة فى موضع لايبعد كثيراً عن مركزها . وكان هذان العالمان منهمكين فى حديث علمى فى موضوع الزلازل استرعى كل انتباههما فلم يشعرا قط بالزلزلة . وقال الدكتور جوتنبرج انه اضاع بعدم شعوره بها فرصة لاتعوض ، لانه كان يتمنى من زمن طويل ان يشعر بزلزلة قوية لعله يستطيع أن يستعين بذلك على حل بعض أسرار الزلازل

الجيل المقبل

تدل الاحصاءات والبيانات التى جمعها فريق كبير من الأطباء الاميركيين على ان اطفال هذا العصر الذين سيتألف منهم الجيل المقبل سيعمرون طويلا وان اكثرهم سيبلغون الخامسة والسبعين من اعمارهم .وهذا دليل على تحسن الشروط الصحية وعلى ازدياد متوسط عمر الانسان فى العالم

جو اميركا

يقول أحد العلماء الفرنسيين ان المباحث الواسعة النطاق التى قام بها هو وبعض رفاقه فى خلال الاعوام القليلة الماضية قد أثبتت بوجه قاطع أن جو أوربا اليوم هو أظلم وأقتم مما كان منذ أربعين سنة وان حلك الجو فى اوربا يزداد بمرور الزمن . ولم يبين هذا العالم سبب هذا التغير

التفاح في اميركا

باع تجار الفواكه بولاية نيويورك باميركا تسعة وتسعين نوعاً من التفاح فى السنة الماضية بينها انواع لم تكن حتى عهد قريب معروفة فى العالم الجديد

عند الولادة

يظهر ان جسم الانسان يكون عند ولادته مشبعاً بعنصر الحديد وفقيراً من مادة الكلسيوم . وبمرور الزمن تنقص النسبة المئوية من المادة الاولى وتزيد النسبة المئوية من المادة الثانية

الصواعق

تدل الارصاد الطبيعية التى جمعها أحد المراصد الاميركية على انه فى كل اربع وعشرين ساعة يحدث نحو اربعة وأربعين الف صاعقة فى جو الكرة الارضية

الصناعات الجديدة فى اميركا

فى احصاء لبعض الشركات التجارية الاميركية ان نحو أربعين فى المائة من سكان الولايات المتحدة يعيشون اليوم من صناعات لم يكن لها وجود منذ اربعين عاماً

قنة افريست

نجحت البعثة العلمية البريطانية التى ذهبت الى الهند لاقتحام جبال الهملايا وتسنى لها التحليق فوق قنة افريست فى الشهر الفائت . ولا يخفى أن هذه القنة هى اعلى قنن جبال العالم ويبلغ ارتفاعها ٢٩١٤١ قدماً . واليك قياس علو اعلى جبال العالم بعد قنة افريست المذكورة

كاشنجونجا (بالهند) ارتفاعها ٢٨٢٢٥ قدماً

اكونكاجا (شيلى والارجنتين) ارتفاعها ٢٢ ٨٣٤ قدماً

ما كنلى (الاسكا) ارتفاعها ٢٠٣٢٥ قدماً

كاليما نجارو (افريقيا) ارتفاعها ١٩ ٧٢٠ قدماً

البروز (اوربا) ارتفاعها ١٨٤٦٥ قدماً

بوبو كاتبتيل (المكسيك) ارتفاعها ١٧٥٤٣ قدماً

مون بلان (الالب) ارتفاعها ١٥٧٨١ قدماً

ويناى (الولايات المتحدة) ارتفاعها ١٤٤٩٦ قدماً

محطة للراديو

سوف يتم قريباً افتتاح محطة للراديو فى لكسمبورج ستكون من أقوى محطات الراديو فى العالم ، وستخصص لاذاعة الاعلانات التجارية بلغات مختلفة

في تاريخ الصين

فى سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد كان يحكم بلاد الصين امبراطور يدعى «يو» وكان رعاياه الصينيون يسمونه « رب الاسفار » لانه أول امبراطور خرج من عاصمة مملكة واوغل فى بلاده حتى وصل الى آخر حدود مملكته من جهة الغرب

اصابات الاولاد

تدل احصاءات شركات التأمين على الحياة فى اميركا على ان الاصابات التى تقع فى الشوارع ويهلك بها الاولاد الصغار آخذة فى النقص بفضل الارشادات التى تصدرها جمعيات رعاية الاطفال وامثالها فى نواحى اميركا المختلفة

الاكاليل في الجنائز

يقول أحد علماء التاريخ المصرى القديم إن استعمال أكاليل الازهار فى الجنائز كان شائعاً بين قدماء المصريين منذ ١٥٠٠ قبل الميلاد

الاصابات فى امريكا

تدل احصاءات البوليس الاميركى على أن نحو ١٤ فى الالف من سكان الولايات المتحدة يصابون فى خلال السنة باصابات مختلفة بين خفيفة وخطيرة

الارصاد الجوية

بدىء بتدوين الارصار الجوية اليومية فى اوربا منذ منتصف القرن السابع عشر

الغازات المنيرة

كثيراً ما نشاهد فى الليل اعلانات مضيئة ذات ألوان مختلفة يحسبها البعض ناشئة عن ألوان

أنابيب الزجاج التي يمر بها التيار الكهربائي. والواقع ان هذه الالوان ناشئة عن غازات مختلفة. فاللون الاحمر هو غاز النيون. واللون الازرق هو غاز الارجون. والغاز الاصفر هو غاز الهيليوم

في اثينا

اكتشف علماء الآثار الذين يعملون في بلاد اليونان حجراً قديماً في الموضع الذي يقال انه كان سوق اثينا العمومية. وقد نقش على هذا الحجر شعر في وصف معركة ماراتون الشهيرة

مرض الحصبة

الاعتقاد الشائع عند العامة هو أن مرض الحصبة يكون على اشده خطراً اذا أصاب الكبار في السن. ولكن مباحث الاطباء الحديثة مجمعة على ان هذا الداء هو اشد خطراً على الاطفال والاحداث منه على غيرهم. وانه كلما تقدم الانسان في السن كان أقوى على احتمال الحصبة

امراض الصدر

يقول أحد الاطباء الالمان ان ثلث الذين يموتون في اوربا واميركا من ساقة القطرات على اختلاف انواعها يذهبون ضحية الامراض الصدرية المختلفة ولا سيما مرض ضعف القلب

آثار عربية في بروسيا

روت مجلة «رسالة الاخبار العلمية» الاميركية بالجزء الصادر في ١٨ مارس الماضي انه بينما كان الدكتور جيرته مدير المتحف البروسي بمدينة كونجسبرج يقوم بالبحث عن بعض الآثار في شرقي بروسيا عثر على قبور «للفيكنج» الذين نزحوا الى هنالك من بلاد السويد في الازمنة الماضية وانشأوا لهم في بروسيا الشرقية مستعمرة. وعثر الدكتور جيرته في قبور القوم على قطع نقود عربية ترجع الى نحو الف سنة ولا يعرف حتى الآن كيف وصلت تلك النقود الى هنالك

بصمة الاصابع

يقترح احد الكتاب الفرنسيين على مديري البنوك ان يوجبوا على عملائهم ان يضعوا على «الشيكات» التي يكتبونها بصمة اصابعهم الى جانب امضاءاتهم زيادة في الحذر والحيطة

آثار رأس شمرا

في السواحل السورية الشمالية بعثة فرنسية باشراف الاستاذ شيفر (من اساتذة جامعة ستراسبورج) تبحث عن الآثار القديمة في تلك الجهات. وقد اشرنا في جزء سابق من الهلال الى الاعمال التي قامت بها هذه البعثة والى الآثار الثمينة التي وفقت الى العثور عليها. وقد جاءت الانباء الآن بان الاستاذ شيفر عثر فيما عثر عليه على تمثال امرأة محكم الصنع يرجع الى ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد ويبين زي ضفر الشعر الذي كان شائعاً في ذلك الزمن. وكذلك عثر على تمثال «البعل» وهو كبير آلهة الفينيقيين القدماء وبيده هراوة غليظة وكرة نارية تمثل الصاعقة

ضحايا الديابيطس

يقال إن عدد المرضى المصابين بالديابيطس أو البول السكرى ممن يعالجون بالانسولين فى أوربا والولايات المتحدة فقط يزيد على المليون

الأفاعي السامة

فى جنوبى أفريقيا أنواع كثيرة من الافاعى السامة ومنها نوعان يسمى أحدهما « الكوبرا ذات الحلقات » والآخر «الكوبرا ذات العنق الاسود» وكلاهما ينفث سمه قاذفاً اياه من نابه الى بعد بضع أقدام

حملة ميكروب التيفوئيد

ثبت الآن أن الاشخاص الذين يحملون ميكروب حمى التيفوئيد وينقلونه الى غيرهم ليسوا بالضرورة ممن أصيبوا هم أنفسهم بتلك الحمى فقد تكون فيهم مناعة طبيعية أو مكتسبة

قلم « استعلامات » ميكانيكى

فى محطات القطرات التى تسير تحت الارض فى مدينة لندن أجهزة كهربائية ميكانيكية اذا ضغط الانسان زراً فيها أمكنه الحصول على البيانات التى يحتاج اليها بشأن مواعيد تلك القطرات وأجور الانتقال بها بين المحطات المختلفة

نمو الاولاد

تدل المباحث الواسعة النطاق التى قام بها بعض العلماء على أن نمو قامة الفتاة هو أسرع من نمو قامة الولد بين العاشرة والرابعة عشرة من العمر

الزلازل والمنائر

مما يجدر بالذكر أن الزلازل الهائلة التى اجتاحت جنوبى كاليفورنيا منذ عهد قريب لم تصب المنائر المقامة فى تلك الجهات بأى عطب . والارجح ان هذا ناتج عن متانة بناء المنائر

اكبر مجهر فى العالم

هو المجهر « الميكروسكوب » المعروض الآن فى معرض شيكاجو ويبلغ ارتفاعه سبع اقدام . وفضلا عن كبره فهو أيضاً اقوى مجهر فى العالم

هنود امريكا القدماء

يظهر من فحص جماجم هنود أمريكا القدماء أن جانباً كبيراً من أولئك الهنود كانوا مصابين بأمراض الاذن على اختلاف أنواعها ، وكان الكثيرون منهم مصابين بأورام فى عظام آذانهم . والغريب أن هذه الامراض لم تكن معروفة بين زنوج امريكا . وقد كانت اكثر انتشاراً بين الرجال من الهنود منها بين النساء

الحمار المغولى

الحمار المغولى البرى هو من أسرع الحيوانات المعروفة اذ تبلغ سرعته أربعين ميلا (أربعة وستين كيلو متراً فى الساعة) الا انه لا يستطيع الجرى الا مسافات قصيرة لان التعب يأخذ منه بعد ركضه نحو ربع ساعة

المطاط الصناعى

أنشأ الروس معملا فى مدينة فورونيز لصنع المطاط « الكاوتشوك » من مشروب الفودكا (المشروب الوطنى الروسى)

الهلال في مراحله الماضية

عن الجزء التاسع عشر من السنة الثالثة — صدر في أول يونيو سنة ١٨٩٥

حواة الثعابين

رد على سؤال :

كثيراً ما سمعنا بهؤلاء الحواة وادعاءاتهم ونحن لانعتقد ان في البشر قوة على مثل هذه الاعمال فافضى بنا حب البحث الى أن نجرب الامر بنفسنا ، فاستقدمنا أمهر حواة القاهرة وطلبنا اليه اخراج حية قلنا له انا سمعنا حفيفها في سقف المطبخ . فجاءنا ذات يوم حاملا جرابه ومتشحاً بجلبابه . ولم يشأ أن يدخل المطبخ قبل أن نفحص ثيابه ونتحقق خلوها من الحيات فادخلناه غرفة وجردناه من ثيابه حتى وقف عريان ويداه خاليتان فلم نر معه شيئاً ، ثم لبس جلبابه ودخل المطبخ وجعل يتمتم ونحن نراقب حركاته ولم نر فيها ما يوقع شبهة في صدقه ثم مد يده الى احدى زوايا المطبخ واستخرج حية رأيناها رأى العين كأنها تنساب بين الاواني فعجبنا غاية العجب لخدعنا بهذه الحيلة

ولكننا استعدنا العمل ثانياً ، والتمسنا من الرجل استخراج حيـة ثانية ، فاستخرجها من زاوية أخرى ونحن ننظر اليه ولا نشعر بالحيلة . ولكن اعتقادنا في شعوذة الحواة ما زال ثابتاً وازداد ميلنا الى استطلاع كنه حيلهم، فتقدمنا الى الرجل ان يطلعنا على كيفية اخفائه الحية وطريقة استخراجها على هذه الصورة ، وقلنا انا على يقين من خلو منزلنا من الحيات وانا لم نستقدمه إلا على سبيل الامتحان ، فأبى مكاشفتنا وأصر على أنه استخرج الحيتين من منزلنا ، فلما اعيتنا الحيلة استرضيناه بالنقود على شرط أن يطلعنا على ذلك السر ، فلما قبض النقود تبسم ورفع يده وأرانا ابطه ، فاذا به حية ملتفة حتى صغر حجمها ولم تعـد تظهر لغير المتأمل . ثم قال اني أضع الحية على هذه الصورة هنا ، فاذا جردتموني من ثيابي فهي باقية تحت ابطي لاترونها . وقد اجعلها في أخمص رجلي أو بين فخذي أو في مخبأ آخر من جسمي . فاذا أخذت في التعزيم استخرجتها بخفة ووضعتها في أي مكان أردته ثم أريكم اياها خارجة من هناك . فلم نثق بقوله حتى أجراه فعلا أمامنا . وذلك أنه لف الحية على نفسها وجعلها تحت ابطه ووقف يعزم وينادي كجاري العادة ونحن نراقبه فاذا به يجرها من تحت الطاولة وهي تحاول الفرار منه . ولم نكد نشعر به حين أخرجها من ابطه فعجبنا لخفته ودقة شعوذته . ولم نعد نلوم العامة لاعتقادهم صدق هؤلاء الحواة

وخلاصة القول أن صناعة الحواة باب من أبواب الشعوذة ، ولكن لبعضهم طرقا دقيقة قد يخدع بها أدق المراقبين

المشاهرة

المشاهرة وما جرى مجراها من تـنـائج

التشاؤم والتفاؤل لا دليل علمياً ولا نظرياً على صدقها

وأما انتشارها بين العامة فاسبابه غامضة لا سبيل الى ادراكها. على أن اكثر ما نشاهده من اعتقادات العامة ونعده من الخرافات لا يخلو من أساس علمي أو طبي. ومن أمثال ذلك ان كهنة المصريين القدماء مثلا كانوا يعتقدون التوحيد ويعبدون الاله الواحد الازلي. وانما نصبوا الانصاب وأقاموا التماثيل تمثيلا لصفات ذلك الاله كالقوة والحياة والعقل وما شاكل، فلم تمض مدة حتى ظن العامة أن تلك الاحجار هي آلهتهم فعبدوها، فعبادتهم اياها خرافة. ولكنها لا تخلو من أصل حقيقي

وقس على ذلك كثيراً من أحوال الدين والدنيا. فلعل عادة المشاهرة ارادوا بها في الاصل منع الازدحام عند النفساء نظراً لشدة تعرضها للامراض، وخصوصاً الامراض المعدية. ومن أفضل الوصايا الصحية للنفساء اليوم النظافة التامة، ومنع الزائرين والزائرات عنها بقدر الامكان. ولم يكن ذلك مجهولا قديماً لانه من الحوادث الكثيرة الوقوع في كل زمان ومكان. فالظاهر أن الاطباء وغيرهم أرادوا بادىء بدء منع الازدحام عند النفساء، ثم جعلوا يعللون أسباب ذلك المنع فتحولوا الى الاوهام فنسبوا السبب الى الحلى أو اللحم أو ما شاكل ذلك.

وفي سوريا يحظرون على الشبان والشابات الاعزاب الدخول على النفساء ولا يلتفتون الى ما يحملون من اللحوم أو الحلى. وذلك يدل على ان المراد في الاصل منع الزيارة خوفاً من الازدحام ثم تفننوا فيها على مقتضى الاحوال

الدوخة وألم الرأس

ألم الرأس والدوخة عرضان مسببان عن علة لا يمكن الحكم فيها بغير فحص طبي ومشاهدة المريض ودرس أحواله. ولكن الغالب في حدوثها أن يكون عن سوء الهضم أو ضعف المعدة وتناول الاطعمة العسرة الهضم وعدم انتظام مواقيت الطعام، فيتسبب عن ذلك خلط يسبب الدوخة وألم الرأس. وأحسن علاج لذلك تنظيف الامعاء بمسهل من المسهلات البسيطة وأحسنها زيت الخروع، ثم تخفيف الطعام والعدول عن المآكل الضخمة وتقليل كمية الخبز وتنظيم مواقيت الاكل. وقد يحدث الالم والدوخة عن ضعف عام في الجسد وفقر الدم المعروف باصطلاح الاطباء بالانيميا، وعلاجه تناول المقويات والمغذيات مع بعض مركبات الحديد والكينا أو غيرها والرياضة البدنية واستنشاق الهواء الطلق

عن الجزء العشرين من السنة الثالثة — صدر في ١٥ يونيو سنة ١٨٩٥

القهوة

القهوة نبات من الفصيلة السكونية، وطنها الاصلي بلاد اليمن وجنوبي الحبشة. ومن بلاد اليمن نقلت الى سائر البلاد التي تصلح لنموها كالهند وسيلان والبرازيل وجاوا وغيرها. وشجيرات القهوة أو البن يختلف علوها بين ثماني

أقدام وعشرين قدماً . أما الذين استخدموا القهوة شرباً بعد احراقها فاقدمهم أهل الحبشة ولا نعلم متى بدأوا استخدامها ولا كيف توصلوا الى ذلك ولكن المقرر أنهم أول من شرب القهوة في العالم ، ثم شربها أهل فارس سنة ٨٧٥ م وانتقل استعمالها من الحبشة الى بلاد العرب في أوائل القرن الخامس عشر . وفي أواخر القرن التالي نقلت الى الاستانة . وفي سنة ١٦٥٢ حملت الى لندرا حملها اليها رجل يوناني اسمه باسكا . وفي سنة ١٦٧٢ نقلت الى فرنسا بطريق مرسيليا ، وأخذت من ذلك الحين في الانتشار حتى عم استعمالها سائر اقطار المسكونة . وصارت وارداتها كثيرة جداً . فيرد منها الى بريطانيا وحدها نحو ثمانين الف طن في السنة

والقهوة أنواع : أشهرها وأفضلها قهوة مخا وهي فرضة من فرض اليمن مشهورة بقهوتها . وتمتاز عن الانواع الاخرى بصغر حبوبها ولونها الاصفر المظلم . ومن أنواع البن : الجاوي الذي ينمو في الهند الشرقية ولونه أصفر فاتح ، والبلاني والهندي الجنوبي والبرازيلي ، وكلها تمتاز بلونها الاسمر المخضر او المزرق

العلم يرفع الوهم

وثب فار ابيض أمام فتاة بغتة فاجفلت واستولى عليها الرعب وما زالت بعد ذلك تتخيل الفار يثب امامها دائماً وكلما تخيلته على هذه الحال ترتعد فرائصها ويخفق قلبها . وحاول الاطباء وغيرهم اقناعها بأن ما تراه صورة وهمية فلم تقتنع ، فجاءها الدكتور ستاروعول على اقناعها بالعلم ، فبين لها اولا أننا اذا ضغطنا باحدى اصابعنا مقلة احدى عينينا صرنا نرى الشبح شبحين ، وجعلها تجرب ذلك بنفسها غير مرة ثم قال لها اذاً كان الفار الذي تظنين أنك ترينه بعين المخيلة لابالعين الباصرة فضغطت احدى عينيها باصبعها فلم تر الفار الا مفرداً . فاقتنعت وزال الوهم من عقلها

طول الامواج وسرعتها

يقال ان طول الموجة في جنوبي الاوقيانوس الاطلنطي يبلغ ١١٥٠ قدماً وسرعتها نحو ٤٥ ميلا في الساعة . وقد شاهد بعضهم امواجاً علوها ٣٢ قدماً وقال ان علوها يبلغ في بعض أحوال النوء أكثر من ٦٠ قدماً

عن الجزء الحادي والعشرين من السنة الثالثة ـ صدر في أول يوليو سنة ١٨٩٥

المعدة والاخلاق

تتوقف حال الانسان في الاقدام والاحجام على حاله الصحية . وليس المراد بذلك أن يكون قوى العضل أو ضعيفه ، وانما نريد الوظائف العضوية وانتظامها أو خللها فاذا تلبكت المعدة من ضخامة الطعام تلبك العقل . وقد يرافق بعض أنواع الدسبيسيا خوف شديد حتى يخاف الرجل من خياله ، فاذا خفت وطأة الطعام عن المعدة عاد العقل الى صحوه فلا يرى موجباً لذلك الخوف . وكثيراً ما يكون سبب الشعور بالجبن أو الحياء أو الخمول قلة النوم والافراط في

المسكرات أو غيرها وهذا كثير الحدوث فى شبابنا

وفى اعتقادنا ان على حال المعدة تتوقف أحوال كثيرة من الاخلاق كالاقدام والاحجام والحزم والخجل وأحوال كثيرة من العواطف كالفرح والحزن والكدر والغضب والانتقام وما شا كل ذلك . وليس المراد أن حال المعدة تكون دائماً السبب الرئيسى لهذه الاحوال ، ولكن المراد أنها تساعد عليها فتكبرها حتى تصير البعوضة فيها جملا فاذا تعبت المعدة استولى على صاحبها الكدر وخيل له أن الدنيا كلها أحزان وهموم وصار يتوقع المصائب فيضيق خلقه ولا يقوى على عمل عقلى

تنفس الجنين

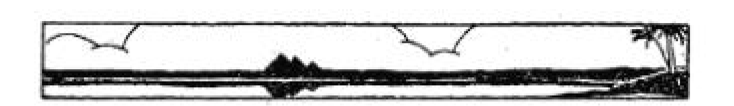
الجنين لا يتنفس قبل وضعه اى ان الرئتين لا تتنفسان هواء قبل ملامسة الهواء . وأما تطهير الدم فى الجنين فيتم بواسطة المشيمة ، لا لان المشيمة تعمل عمل الرئتين بل لانها مؤلفة من أوعية دموية تقبل الدم الوريدى من الجنين فترسله الى دم أمه فيختلط به ويتطهر فى رئتيها ثم ترده اليه مطهراً نقياً حاملا مواد غذائية جديدة . وهكذا الحال فى سائر أجنة الحيوان ، ففى الطيور يقوم الزلال والملح مقام الغذاء الذى يتناوله الجنين من أمه مدة الحمل ، وإذا احتاج الطير الى شىء من الهواء قبل خروجه من البيضة بقليل فقشر البيض ذو مسام يخترقها الهواء . أما بوجه الاجمال فان أجنة الحيوان لا تتنفس قبل أن تخرج إلى الهواء ، ويكون التنفس ضعيفاً فيها أول الامر ثم تتقوى شيئاً فشيئاً

النمل فى فلوريدا

فى فلوريدا بأميركا أنواع كثيرة من النمل لا توجد فى غيرها . منها ما لا يزيد حجمه عن حبة الرمل بحيث لا تكاد تدركه العين المجردة ، ومنها ما يزيد عن نصف قيراط . وفيها النمل الاحمر والاسود وما بينهما ، وفيها النمل الطيار والنباب . وقد حسبوا مقداره بالنسبة الى مساحتها فوجدوه أكثر جداً مما فى سائر أقطار الارض ، ولكنه قليل الاذى بخلاف النمل الهندى الذى يقرض الثياب فلا يكاد يجلس الرجل وتطأ ثيابه الارض حتى يحوم النمل حولها ويقرضها . وقد شهدنا فى أقطار السودان نوعاً من النمل أبيض اللون يسمونه القارضة لانه يقرض كل ما تصل اليه قوارضه

التدرن فى البقر وانتقال عدواه

قررت اللجنة الملكية الانكليزية بعد بحثها فى التدرن وانتقاله بواسطة اللبن من البقرة المصابة بالتدرن ، ان اللبن لا ينقل العدوى الا اذا كان ثدى البقرة مصاباً به . فعندها ان البقرة ولو كانت مصابة بالتدرن فى سائر اعضائها ما عدا الثدى فلبنها لا يكون معدياً



اضطهاد اليهود الحديث

كيف نشأت الحركة ضد السامية وكيف تطورت

(بمناسبة ما أصاب اليهود أخيراً في ألمانيا على أثر قيام حكومة هتلر)

فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر كانت اوربا تتنازعها الاهواء السياسية والاختلافات الدولية ، وما لبثت أن نشأت بين هذه الحركات حركة موجهة ضد اليهود عرفت باسم « ضد السامية » (anti-semitism)

وكانت الحركة فى مبدئها تقوم على اساس كره اليهود الذى يرجع الى القرون الخالية ، ولكن زعماء هذه الحركة ألبسوها ثوباً عصرياً وزعموا انهم يقصدون بها منع الاجناس السامية من التغلب على الاجناس الآرية ، وايقاف تدفق سيل الساميين من آسيا على اوربا ، ونادوا بانها حركة غايتها انقاذ المدنية الاوربية من غارة الجاهلية الاسيوية !

وفى الحقيقة ان هذه الحركة كانت سياسية . فلن تجد منشأها فى النزاع القديم بين اوربا وآسيا أو فى الصراع الطويل بين الكنيسة والهيكل - المسيحية واليهودية - ذلك الصراع الذى طالما سالت من أجله الدماء وازهقت الارواح فى القرون الوسطى . وانما كانت نتيجة تحرير اليهود فى أواسط القرن التاسع عشر

فقد عاش اليهود آلاف السنين فى أوربا ومع ذلك فما برح سواد الاوربيين ينظرون اليهم نظرهم إلى أجانب دخلاء . ولا يرضون أندماجهم فى أوساطهم . ولعل السبب فى ذلك ان اليهود حافظوا على قوميتهم وقضوا السنين الطويلة معتكفين فى احيائهم لايختلطون بالشعوب الاخرى ولايتزوجون من سواهم فاحتفظوا بطابع خاص وصبغة خاصة

وكان حى اليهود (الجيتو) فى كل مدينة عبارة عن شبه معزل لليهود اقامه المسيحيون حتى يقوا المسيحية شر « اليهودية » ولكنه مالبث ان أصبح مركزا انحصرت فيه الجهود المالية والسياسية والاجتماعية التى قضت على النظام الاقطاعى فى أوربا

فان اليهودى الذى قضى السنين الطويلة فى « الجيتو » مشرداً غريباً عن بلاده ، احتفظ بالتقاليد السامية وأضاف اليها النشاط الأوربى . ولما كان محروماحسب شرائع البلاد من دخول الجيش أو امتلاك الأرض أو تأليف الشركات التجارية فقد أصبح يشتغل بالمال ويكتنزه ويدخره

واضطهدته الكنيسة وضايقته الحكومة فاصبح داعية للمبادىء الديموقراطية واصبح شديد الحذر والحيطة وتنبهت حواسه واشتد ذكاؤه وقوى جهاده ودهاؤه

ولما حرر من قيوده وسمح له بأن يغادر « حى اليهود » ويتمتع بحقوق المواطنين الآخرين برز من حيه مخلوقاً جديداً فلم يعد ذلك اليهودى الشرقى وانما كان أوربياً عصرياً يمتاز عن الاوربيين بدقة ذكائه وسعة حيلته

في المانيا

ولما كان اليهود كلهم من طبقة واحدة هى الطبقة المتوسطة فقد توحدت جهودهم وقواهم فى تلك الطبقة وما لبثوا حتى اصبحوا فى طليعتها مالياً وسياسياً واجتماعياً وخصوصاً فى المانيا والنمسا. وظهر تفوقهم وتسلطوا على شؤون البلاد ونبغ منهم أفراد كثيرون ، منهم لدويج بورنه وهنريك هينه وادوارد جانز وكارل ماركس وموسى هيس. وقبض أغنياؤهم على الحركة المالية فى البلاد وتجلى النفوذ السامى فى كل الدوائر . وهكذا بدأ القلق يساور النفوس وشعر الالمانيون والنمسويون انهم سيصبحون غرباء فى ديارهم وانهم لن يطول بهم الوقت حتى يصبحوا عبيداً ويصبح اليهود أسياداً

وعلى الرغم من ان اليهود تفوقوا على مواطنيهم فى المانيا فى كثير من الشؤون فانهم كانوا أكثر الناس محافظة على القانون وخضوعاً للشرائع . ولم يترددوا فى أن يبذلوا كل ما لديهم فى سبيل رفعة المانيا التى اتخذوها وطناً ثانياً ، حتى ان البرنس بسمارك نفسه اعترف بأن المال الذى حصلت عليه الحكومة للانفاق على حرب سنة ١٨٦٦ دفعه المالى اليهودى بليخرودر بعد ان رفضت الأسواق المالية تعضيد الحكومة الالمانية فى سياستها الحربية

وحدث فى سنة ١٨٧٠ عند توحيد المانيا بعد حرب السبعين أن تولى ادوارد لسكر اليهودى زعامة حزب الأحرار الوطنيين واشتد نفوذ اليهود واستولوا على معظم شؤون البلاد المالية

وكان الحقد على اليهود كامناً فى النفوس ينتظر الفرصة لينفجر الى أن سنحت هذه الفرصة فى سنة ١٨٧٣ إذ نشر صحفى صغير الشأن من هامبورج يدعى « ولهلم مار » رسالة دعاها « دير سيج ديس يودنتوس اوبرداس جرمانتوم » أى (انتصار اليهودية على الالمانية)

ولقيت هذه الرسالة أذهاناً مهيأة لقبولها فهاج الشعب ضد اليهود الماليين وانفجر الغيظ المكظوم

وحدث فى ذلك الوقت أن بسمارك اختلف مع حزب الأحرار الوطنيين الذى يرأسه لاسكر اليهودى فراح من جهته يعضد هذه الحركة ويؤيدها

وانحصرت زعامة الحركة فى رجل يدعى « أدولف ستوكر » له نفوذ اجتماعى كبير وقوة خطابية وعزم من حديد ، حتى إذا كانت سنة ١٨٨٠ بلغت الحركة أشدها وانتشر اضطهاد اليهود فى كل مكان وقوطعوا وأهينوا واعتدى عليهم ، ورفعت العرائض إلى البرلمان الألمانى بطلب حرمان اليهود من دخول المدارس والجامعات وعدم تعيينهم فى وظائف الحكومة

وعضد حزب المحافظين هذه الحركة مناوأة لحزب الأحرار الوطنيين الذى كان ينصر اليهود ولم يخل اليهود من أنصار فى ذلك الوقت بينهم ولى عهد المانيا (الامبراطور فردريك بعد ذلك) الذى صرح بأن هذه الحركة عار وفضيحة لالمانيا

وانتشرت فكرة اضطهاد اليهود بين طبقات الشعب الجاهلة وثار العامة ضد اليهود واحرقوا معابدهم وقتلوا منهم أشخاصاً عديدين . وقبض فى سانتن على جزار يهودى بتهمة أنه ذبح طفلا مسيحياً ليصنع الفطير بدمه وحوكم فحكم ببراءته ، ولكن ذلك لم يقنع العامة ببطلان هذه التهمة

وقام حزب الاحرار الوطنيين يدافع عن اليهود ويتهم حزب المحافظين بانه يدير هذه الحركة. وقامت الاختلافات الشديدة بين الحزبين وانتهى الأمر بتراجع حزب المحافظين وهدوء حركة العداء ضد اليهود ، حتى اذا كانت سنة ١٨٩٣ خمدت تلك الحركة بعد أن أهاجت الرأى العام طويلا فى نواحى أوربا

فى روسيا

كان يهود روسيا يعيشون فى احيائهم مكدسين يعتبرهم الروسيون اجانب غرباء وينظرون اليهم نظر الهنود الى الانجاس المنبوذين

ثم قامت حركة تحرير الفلاحين فى روسيا وكانت هذه الحركة صدمة قوية لاصحاب الأرض ، فكان اليهود هم الفائزون فى تلك الحركة اذ لم يكونوا من اصحاب الأرض ولم يكونوا من الفلاحين ، فاشتغلوا بالاعمال المالية وراحوا يقرضون الطرفين ونشطوا للاستفادة من أن يكونوا وسطاء بين الطرفين فقويت شوكتهم واشتد نفوذهم هنا وهناك

ثم كانت الحرب بين روسيا وتركيا ، وشعر الشعب الروسى بانه فى حاجة لتعديل نظام الحكم فى بلاده ، وقام الفوضويون يبثون روح التذمر بين الفلاحين ، وشعر القيصر اسكندر الثانى بخطورة الحالة فوقع مرسوماً يمنح بلاده الدستور

ولكنه اغتيل قبل تنفيذ هذا المرسوم ، وابى خلفه أن ينفذ سياسة ابيه وقويت عند ذاك احزاب المعارضة وانتشرت مبادئها واشتد التذمر . وكان اليهود يتهزون هذه الفرصة ليزيدوا نشاطهم المالى . وشعر الروسيون بان اليهود يستولون على مال البلاد وينعمون به وهم فى فقر مدقع فبدأ الحقد يعمل عمله . ثم انتشرت أخبار اضطهاد اليهود فى المانيا فنبهت الروسيين الى مالم يكونوا يدركون

وانفجر العداء ضد اليهود فجأة وعلى غير انتظار اثر مشاجرة فى حانة خمر فى « خرسون » حيث اشتبك بعض الموجودين من الروس فى عراك مع بعض اليهود وراحوا يتهمونهم بأنهم يذبحون أطفال المسيحيين ليصنعوا من دمائهم الفطائر

وثارت ثائرة المتشاجرين وقد أعماهم السكر فحطموا الحانة وانطلقوا ينهبون ويسلبون حى اليهود ويفتكون بهم فتكا ذريعاً

وانتشرت الاضطرابات بسرعة فى كل مكان وانقض الاهالى فى كل مدينة يقتحمون أحياء اليهود وينهبونها ويحرقون منازلهم ، ولم تمر أسابيع حتى كانت روسيا الغربية من البحر الاسود إلى بحر البلطيق شعلة نار مضطرمة ضد اليهود ، وقد أحرقت مساكنهم ودمرت دورهم ونهبت ممتلكاتهم وسفكت دماؤهم

وذبح مئات من الرجال والاطفال اليهود ، وهتكت أعراض المئات من اليهوديات واصبح الآلاف منهم لا يجدون مأوى ولا طعاماً . وانتشرت المذابح والحرائق فى أكثر من ١٦٧ مدينة وقرية بينها « وارسو » و « اودسا » و « كيف »

وضجت اوربا لهذه الفظائع واتهمت الحكومة الروسية بأنها تؤيد هـــذه المذابح لتشغل الناس عن دعاية الفوضويين وعن التذمر من الحكم القائم فى البلاد

ومما لا شك فيه أن أولى الأمر الحربيين والملكيين فى روسيا كانوا يؤيدون هذه الحركة ولا يتخذون أى إجراء لاخمادها ومقاومتها

ومع أن القيصر أظهر فى أول الامر استياءه من هذه الحركة إلا أنه ما لبث أن ارتاح لها تحت تأثير وزرائه ، فأصدر مرسوماً قيصرياً يقضى بايقاف تدخل اليهود فى شؤون البلاد ويرغمهم على أن يقيموا فى احيائهم لا يغادرونها ولا يشتركون فى الشؤون العامة ، فكأنما قضى عليهم بالاعتقال الابدى وحرمهم من كل الحقوق المدنية

وكان تأثير هذا المرسوم شديداً فى الممالك الاخرى إذ دل على قسوة لا مبرر لها ، واحتجت دول أوربا وأرسلت الحكومة الانجليزية نداء إلى القيصر تناشده فيه أن يكف عن اضطهاد اليهود فكان جوابه : « لا أريد أن أسمع شيئاً عن هذا الشعب »

وكانت نتيجة هذا القانون القيصرى أن شلت الحركة التجارية والمالية فى البلاد ، خصوصاً وقد هاجر من روسيا ٧٨ الف يهودى وحملوا معهم ما قدرت قيمته بنحو ٦٠ مليون روبل من أموالهم

ولما انتهت هذه الاضطرابات فى سنة ١٨٨٢ اتضح من الاحصائيات انها كلفت روسيا أكثر مما كلفتها حربها مع تركيا فى سنة ١٨٧٧ ، فقد وقفت حركة التجارة وأفلست بنوك عديدة ونقلت أموال جمة الى مصارف اجنبية ونزلت أسعار الاوراق المالية الروسية

ومع ذلك فان الحكومة الروسية مضت فى سياستها التى تقضى بالقضاء على اليهود فغادر روسيا العدد الكبير من اليهود ، واستمرت هذه الاضطهادات ثلاث سنوات إلى أن مات القيصر فكان خلفه اقل صرامة وقد تعبت البلاد من تلك الحوادث الدموية فخفت تلك الاضطهادات

في رومانيا

ولم تظهر الحركة ضد السامية فى مثل هذا المظهر العنيف إلا فى رومانيا ، فقد كان اليهود يعيشون فى غبطة وسعادة فى أيام الحكم التركى ، فلما حررت رومانيا قام الرومانيون يضطهدون اليهود ، وقام زعماؤهم يدعون لاعلان الحرب الدينية ضدهم ، وصدر قانون باعتبارهم من الاجانب على الرغم من اقامتهم القرون الطويلة فى البلاد

وقام الأهالى فى سنة ١٩٠٠ يضطهدونهم اضطهاداً شنيعاً وينهبون دورهم ، وشرع اليهود يهاجرون من رومانيا ويفرون منها زرافات ووحدانا

في النمسا

وبدأت حركة اضطهاد اليهود فى النمسا فى الوقت الذى بدأت فيه فى روسيا والمانيا . وكان مبدؤها أن فتاة مسيحية تدعى « استرسويموس » اختفت من قريتها فى المجر فى ابريل سنة ١٨٨٢ ، وأشيع أن اليهود اختطفوها وذبحوها ، فقامت قيامة الاهالى وقبض على خمسة عشر يهودياً أودعوا السجن ، ودبرت محاكمتهم تدبيراً وجىء بشهود يشهدون زوراً ، وقبض البوليس على ابن أحد المتهمين وهو غلام فى الرابعة عن عمره وما زال يعذبه على حمله على أن يقرر أن أباه ذبح الفتاة

وبدأت المحاكمة فى ١٩ يونيو وكانت من أشهر المحاكمات التاريخية واستمرت الى ٣ أغسطس فانكشفت فى أثنائها مؤامرة البوليس وافتضح أمره وحكمت المحكمة ببراءة المتهمين جميعاً

ومع ان هذه القضية أخمدت حركة العداء ضد اليهود الا ان المحرضين الالمانيين لم يدخروا وسعاً فى اهاجة العامة فى بلاد النمسا ضد اليهود ، فاستمر اضطهادهم طويلا ولم تخف وطأة هذا الاضطهاد الا فى سنة ١٩٠٧

في فرنسا

ولم تتأثر فرنسا بالدعاية ضد السامية كثيراً على الرغم من أن كل الظروف الاجتماعية والسياسية التى أثارت الالمان على اليهود كانت متوافرة فيها

ولم تظهر هذه الحركة فى فرنسا الا فى سنة ١٨٨٢ عند ماخرج من خدمة آل روتشلد وكيل أعمالهم « بول بونتو » فسعى لتحطيم ذلك البيت المالى الكبير وأخذ ينشر الدعاية ضد اليهود . وكان لنفوذه الكبير اثره فى اثارة الخواطر ، وزاد فى ذلك الكتاب الذى نشره « ادوارد درومون » فى سنة ١٨٨٦ وعنوانه « فرنسا اليهودية » ، وطعن فيه على اليهود طعناً شديداً وذكر عنهم فضائح شنيعة ، وانتشر ذلك الكتاب انتشاراً واسعاً . ثم أصدر درومون جريدة اسمها « الكلمة الحرة » كرسها للدعاية ضد اليهود فراجت رواجاً شديداً . ثم كانت سنة ١٨٩٢ عند ما ظهرت فضيحة قنال

بانامًا وانكشف ما كان فى مشروع القنال من اختلاسات وسرقات شملت بعض اليهود فانفجر الغضب الكامن

واتسعت الحركة فى الاوساط العسكرية عند ما قبض فى سنة ١٨٩٤ على ضابط يهودى يدعى « الكابتن الفريد دريفوس » وحوكم بتهمة الخيانة العظمى ، فكان ذلك أساساً لاشتداد الحملات ضد اليهود خصوصاً بعد أن حكم بتجريد « دريفوس » من رتبته ونياشينه وبسجنه مؤبداً

وكانت اسرة دريفوس — وهى اسرة ذات مكانة ونفوذ — واثقة من براءة ولدها ولذلك سعت دون تراخ فى اثبات براءته . وعلى الرغم من ظهور الادلة القاطعة ببراءته فان وزارة الحربية صممت على اعتباره مذنباً ، وأخيراً أعيدت محاكمته

ولكن حكم عليه مرة أخرى بالادانة فكان لذلك الحكم وقع سيء فى نواحى اوربا . وأرادت الحكومة الفرنسية ان تلافى ذلك فأشارت على رئيس الجمهورية بالعفو عن « دريفوس » وهكذا كان

وأعيدت الى « دريفوس » رتبته العسكرية ومنح وسام جوقة الشرف وعوض عن الاساءات التى اسيء اليه بها . وكان ختام هذه القضية ختاماً لاضطهاد اليهود فى فرنسا



من أقوال المنفلوطي

لا صداقة فى الدنيا أمتن ولا أوثق من صداقة الفقر والعدم . ولا رابطة تجمع بين القلبين المختلفين مثل رابطة البؤس والشقاء . فلو خيرت بين صحبة رجلين احدهما فقير يضم فاقته الى فاقتى فيضاعفها وثانيهما غنى يمد يده لمعونتى فيرفه عنى ما أنا فيه من شدة وبلاء ، لآثرت اولهما على ثانيهما ، لان الفقير يتخذنى صديقا والغنى يتخذنى عبداً ، وأنا الى الحرية احوج منى الى المال

☆☆☆

ان كان لابد من سعادة فى هذه الحياة فسعادتها أن يعتقد المرء ان لا سعادة فيها ، ليستطيع أن يقضى أيامه المقدرة له على ظهرها هادىء القلب ساكن النفس لا يكدر عليه عيشه امل كاذب ولا رجاء خائب

اطفالنا المهمل اليوم

كبار المجرمين في الغد

من محاضرة للاستاذ محمد فتح الله المرصفي
ناظر مدارس اصلاح الاحداث بمصلحة السجون

من يدرس سير العتاة من المجرمين ويحلل شخصياتهم لا يلبث حتى يقتنع بأنهم كانوا أحداثاً مهملين استمرأوا مرعى الاجرام صغاراً ولم يجدوا من يرد غوايتهم ويهديهم صراطاً سوياً، فأصبحوا من كبار الاشرار معتادى الاجرام يسلبون الناس طمأنينتهم ويقضون على ساعات سرورهم

ومما يؤسف له ان الشعور السائد فى مصر هو أن الحكومة ـ والحكومة وحدها ـ هي الوصى المسئول عن كل شيء، فى حين أن حماية الطفل من التردى فى حمأة الجريمة يجب أن تكون فى مقدمة ماتعنى به الهيئات العاملة على اختلاف أنواعها

⁂

وعلى الحكومة أن تقوم بمهمة التشريع الخاص بالمهمل وصغار المجرمين، فان القوانين المعمول بها منذ أكثر من عشرين عاما فى حاجة إلى التعديل تبعا لتطور العصر الذى نعيش فيه

صحيح أن ثمة نصوصا فى القانون تقضى بتوقيع العقاب على الحدث المجرم، ولكن ماقيمة هذه العقوبة التى توزع على الجميع دون مراعاة للعوامل والظروف فى مختلف الحالات

فعقاب الحدث المجرم واطلاق سراحه بعد أن يفى العقوبة لا يصلحه ولا يردعه، اذ يجب أن يقوم إلى جانب قصاص القانون بحث شامل وفحص دقيق لحالة الحدث ومبادرة حازمة إلى علاج نواحي الضعف التى دفعت به الى الاجرام

ولعل اغفال هذا البحث وذلك الفحص من أهم الاسباب التى جعلتنا نواجه الآن جيشا عرمرما من المجرمين الذين ضاقت بهم اصلاحيات الاحداث صغاراً والسجون المصرية كباراً

⁂

وإلى القارىء أمثلة تؤيد صدق ماقلناه من أن إصدار العقاب وحده لايجدى ولا يصلح :

ففى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١١ اتهم غلام فى سن العاشرة بسرقة فحكم عليه من أجلها بالحبس ثلاث سنين فى اصلاحية الاحداث، ولأنه لم يتيسر له مكان بهـا أطلق سراحه! . وعاد الغلام إلى السرقة وحكم عليه فى يناير سنة ١٩١٤ بالسجن شهرين، وفى مايو سنة ١٩٢٠ بالسجن سنتين مع الجلد، وفى ديسمبر سنة ١٩٢٠ بالسجن أربعة أشهر، وفى يناير سنة ١٩٢١ بالسجن ثلاثة أشهر

ومثلها فى يناير سنة ١٩٢١ فى قضية أخرى ، وفى يوليو سنة ١٩٢١ بالسجن ثلاثة أشهر ، وفى نوفبر سنة ١٩٢١ بالسجن ستة أشهر ، وفى ديسمبر سنة ١٩٢٢ بالسجن ثلاث سنوات وفى فبراير سنة ١٩٢٣ بالسجن سنة

وهذا الغلام لم يسجن يوما واحداً ولم يرسل الى الاصلاحية يوما واحداً لعدم وجود محل بها !

وقد قبض البوليس على غلامين فى يناير سنة ١٩٣٣ .. متى ؟ بعد أن ارتكبا خمسين حادث سرقة ، وقد سبق لهذين الغلامين أن أودعا أصلاحية الاحداث فعلا

فلو أن التشريع ضمن تنفيذ العقاب فى الغلام الأول ، ولو أتيح للغلامين الآخرين بحث وفحص دقيق لتعرف أسباب الجريمة ونواحى الضعف الدافع على الجريمة ، لما كان من أمر استرسال هؤلاء الهمل فى الاجرام ذلك الاسترسال البغيض

* * *

ذلك إلى أنه يجب أن يفرق فى عقاب صغار المجرمين — أو بعبارة أصح فى علاجهم — تبعا للبواعث التى حملتهم على الاجرام ، فان لهذه البواعث عند الاطفال أشكالا متباينة ، بل إن منهم طوائف أحوج ماتكون الى العناية والشفقة

فن هؤلاء الهمل فريق مفطور على النباهة والذكاء ولكنه — لسوء البيئة وانعدام وازع الدين والتربية والتعليم — يستخدم مواهبه فى الخداع والمكر ، فيلجأ الى الغش والنشل والسرقة والنصب والاحتيال ، وله من ذكائه ما يمهد له سبيل الافلات والهرب . فهؤلاء يجب أن يعنى بأمر علاجهم بما يتناسب وحالتهم حتى تهذب فيهم غرائز حب النفس والأثرة والشره وما يلازمها ، ويستبدلون بها الفضائل فيكونون اداة نفع لا ضر ، واذا عنينا بشأنهم استطعنا أن نجعل منهم أعضاء فى المجتمع ينفعون أنفسهم والهيئة الاجتماعية

ومنهم طوائف الاغبياء وضعاف العقول وهم وإن كانت حياتهم عديمة الاثر والفائدة فان خطرهم أشد ومغبتهم أسوأ ، لا على أنفسهم فحسب بل على المجتمع أيضاً

وهؤلاء جديرون باللحاق بمعاهد لا تقل فى نظامها عن أن تكون مستوصفات — لا معاقل تأديبية — تجرى فيها البحوث والاختبارات النفسية ويوصف العلاج الصحيح

وإلى القارىء نماذج من حوادث وقعت من صغار الصبية ، يعدها الناس صورة من الاجرام أو الوحشية ، وان لم تكن فى الواقع الا نتيجة « مرض » جدير بالبحث والتحليل

فقد حدث فى مدينة المنصورة أن شبت النار فى منزل أسرة كريمة ثلاث مرات فى ثلاثة أيام متوالية ، فكان رجال المطافىء يتداركون النار قبل أن يستفحل خطرها

وقد حامت الظنون حول خادمة صغيرة فى ذلك المنزل اعترفت بفعلتها الشنعاء وقررت فى

بساطة أنها تعمدت إحداث الحريق لتشبع نفسها بمرأى رجال المطافىء يكافحون النار فى نشاط وحمية وهم يرتدون خوذاتهم اللامعة !

واعتقل البوليس فى مساء ٩ يوليو سنة ١٩٢٨ ثلاثة أطفال ، لا يزيد عمر اكبرهم على العاشرة ، أثناء أن كانوا يضعون خرقة مبللة بالبترول تحت باب حانوت بعد أن أشعلوا فيها النار . كما دس غلام فى العاشرة من عمره « حامض الفينيك » فى الصهريج الذى يشرب منه تلاميذ مدرسته

وانسل غلام فى الثالثة عشرة من عمره الى بيت رجل بشارع كوبرى قصر النيل ، وإذ رأى صاحبه يصلى انتهز الفرصة وجمع ثياب الرجل ولاذ بالفرار . ولقد أدركه رجال البوليس وقادوه الى المخفر فاتضح أنه من ذوى السوابق العديدة فى السرقة

ولقد رأيت بعينى غلامين لا يزيد عمر أكبرهما على العاشرة وقد اندمجا ذات مساء فى سلك المارة ومنتظرى الترام عند التقاء شارع عماد الدين بشارع فؤاد الاول ، بعد أن تآمرا على السرقة والنشل . وتم الاتفاق بين الغلامين — بالاشارات التى عرفتها بالخبرة — على ان يسقطا على أحد الواقفين بعد أن رأيا منه حيرة الذى يرقب شيئاً أو صديقاً حصر ذهنه فيه . وكادت تتم خطة الغلامين ويفوزان من الرجل ببغيتهما لولا أن ظهر أحد رجال الشرطة مصادفة ووقف على مقربة من الرجل . وسمعت أحد الغلامين يقول لصاحبه :

— حمل . . . الكتكوت . !

ومعنى ذلك دع الصيد فقد جاء الشرطى ! وهى لغة اصطلح عليها صغار المجرمين ، وهم يجيدون التفاهم بها كما نتفاهم بلغتنا العادية ، والحق أنى لم أنتبه الى ذلك الشرطى ولم أحس باقباله الا بعد ان سمعت عن « الكتكوت »

وانى لأذكر ، فى بدء عهدى بمدارس اصلاح الأحداث وقبل أن أدرس لغات صغار المجرمين ، ان نشل ساعتى الذهبية غلام بالتواطؤ مع غلام آخر وأنا واقف فى أحد الميادين العامة

وقد حدث منذ عهد ليس ببعيد أن كان سعادة حافظ عفيفى باشا منصرفا من نادى الموسيقى الشرقى بعد أن شهد حفلة جمعية « العناية بالطفل » واذا بطفل من صغار المجرمين ينشل ساعته وسلسلتها الذهبية ويلوذ بأذيال الفرار

ولقد قتل غلام فى سن العاشرة طفلة ليتوصل بهذه الجريمة إلى اللحاق باصلاحية الأحداث ليستشفى من مرض مزمن ، كما قتل غلام فى سن الثالثة عشرة رجلين شقيقين كان أحدهما قد قتل أباه وحكم عليه بالسجن عشر سنين وفاها وخرج من السجن ليلقى حتفه على يدى هـذا الحدث الذى قال فى التحقيق :

— لو كنت ملكت عدلى لقتلت أربعة منهم نظير أبى

فهذه جرائم مختلفة وقعت من صغار مختلفى السن والتفكير ، ويكاد يكون الدافع الى كل منها مختلفا عن الدافع إلى الاخرى . ومن هؤلاء المجرمين الصغار من كان يوما فى عداد المحبوسين فى اصلاحية الاحداث ، ولكنه خرج منها بعد وفاء العقوبة ، فلم يجد هاديا خارج الاصلاحية فأضحى شأنه كأولئك الذين لم يدخلوها

فكيف يتقى المجتمع غائلة هؤلاء الصغار المجرمين ؟!

لقد دلتنا الخبرة والتجارب على أن هؤلاء الاحداث فريقان : ذكى مفطور يفقد المرشد والمنقذ فيستغل ذكاءه فى الشر والتفنن فى ضروبه ، وضعيف العقل منحط الادراك يعوزه العلاج الصحيح

ولكن هذين الفريقين يسامان الآن نوعا واحداً من العقاب دون تفرقة ودون تمييز بين البواعث والملابسات

ولقد زار طبيب من كبار المشتغلين بالبحوث النفسية والعقلية إصلاحية الاحداث بالجيزة وفحص ثلاثين غلاما من غلمانها الذين يقل مستوى ادراكهم عن زملائهم ، فكان هذا قراره : « فحصت ثلاثين غلاما من الذين أودعوا الاصلاحية بأمر من المحكمة لأن ١٧ منهم قد اتهموا بالسرقة و ٩ بالتشرد و ٤ بالقتل والاذى ، فرأيت ان نظرة طبية إلى هؤلاء البائسين تكفى للحكم بان أصلح مكان لهؤلاء الصغار الضعاف العقول هو المستشفى ينالون فيه مايلزم من العلاج الذى قد يكون ناجعا فى تحسين عقليتهم واستقامة مداركهم بدلا من السجن ، فانه لم ينشأ لامثالهم ، لان جرمهم لم تتوافر فيه نية الاجرام ، وانما كانت عقولهم لسوء حظهم سببا فى اجرامهم ، فهم والحالة هذه غير مجرمين »

فلو اننا حمينا الحمل ووقيناهم من الهبوط إلى اغوار الجريمة ، وأوسعنا مجال البر بهم والعناية بشأنهم قبل أن ينزلقوا إلى مهاوى الرذيلة ، ولو أننا عالجنا مجرميهم بالتهذيب من جهة وعلى اعتبار انهم « مرضى » من جهة أخرى ، لاستطعنا أن نستأصل العوامل التى تكون صغار المجرمين اليوم ، ولأمكننا حماية الامة من شرور كبار المجرمين فى الغد

وما زلنا نقول ان على عاتق الهيئة الاجتماعية تقع المسئولية الكبرى فى حماية هؤلاء الاحداث ، وخاصة بعد الافراج عنهم من معاهد الاصلاح ، فانهم اذا خرجوا من هذه المعاهد دون أن يجدوا النصير الذى يأخذ بأيديهم ويهديهم ويسلك بهم مناهج العمل الشريف المنتج ، انقلبوا أشد سخطا على المجتمع مما كانوا قبل أن يعلنوا عليه العداء والجريمة لاول مرة ، وانقلبوا مجرمين عتاة ينفثون الشر ويقيمون أركان الفساد أينما يحلون

المقامات العباسية ـ ٧

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

وأتم عباس حديثه قال : ـ

وكنت أعرف من محمود ميله إلى الأندية الراقية الغنية ، وحبه النزول بأفخم الغرف إلى أحسن الموائد ، حباً لم أستطع تعليله حتى الساعة . فانه (وفى الصعيد شمال المنيا منبته ، وأسيوط ثم بيروت البلدان الوحيدان اللذان أقام بهما ردحاً من الزمن) قد كان من الصعب العثور على السبب الذى حبب اليه الترف

فقد يكون حرمانه الشيء فى الصغر دافعاً الى اشتهائه فى الكبر ، أو قد يكون فى دمه بقية من دم فرعونى يمت الى كهنتهم بسبب بعيد . وهؤلاء الكهنة كانوا انصاف آلهة ذلك الزمن أو آلهته المستترين ، فخلفوا له بقية من ميراث عظمة فارغة . وكنت إذا ذكرت له هذا الأمر طرب وظن بالحق انه فضلة صالحة أو طالحة من أولئك الكهنة ، ويزيد ويقول إن دمه ازداد صفاء وشرفاً بامتزاجه بدم عربى قدم من نجد أو من اليمن . فكنت أضحك منه وأعبث قائلا : « أما الاصل الفرعونى فجائز ولكنه أصل لم يمت بسبب الا إلى أولئك العمال الارقاء الذين بنوا الهياكل والقبور ، وأما الكهنة والملوك فقد انقرضوا ولم يتركوا ذرية ، والدم العربى نقى طاهر ولكنه وليد الصحراء والفاقة

كل هذه المقدمة لكى أبرر ذهابى به الى الغداء فى فندق شبرد . فلما حضر الطعام وسكت حوارنا أخذنا نجيل انظارنا فى الحضور وكانوا خليطاً من كل الشعوب شأن السياح فى كل البلاد

ولفتنى صوت امرأة كأنه رنة الموسيقى تلفظ بكلمات عربية مكسرة ثم تضحك فكان الجدول الصافى ينساب على الحصى . فاذا بالقرب منا مائدة جمعت ثلاث نسوة ورجلين ، وكانت صاحبة الصوت الملكة المتوجة عليها بتاجى الحسن وفتنة العيون

فأخذت لا من جمال السيدة بل من هذه العذوبة فى صوتها والسحر فى كل جزء من اجزائها

أما أن القوم الذين على هذه المائدة ليسوا من أجانب السياح فظاهر من هندامهم المفرط فى الاتقان ومن اللغة الأفرنسية التى يتكلمونها ومن تلك الكلمات العربية التى التقطنها . وأما حقيقة أمرهم فلم استطع سبر غوره . فقلت إن القوم نزول على كل حال فى شبرد فلأعودن الليلة عسى الله أن يرينى هذا الجمال وهذه الفتنة مرة أخرى

ونهضوا قبل أن تتم طعامنا

أما محمود فلحظ ما أنا فيه فتمتم وقال : « تالله تفتأ تنقل هواك . اعقل ما أقول وتزوج »

فضحكت منه وقلت : « هواى ! وأنى لى أن أهوى مثل هذه أو ان يسوقنى الحظ إلى رؤيتها ثانيـة ؟ إنك تستسهل كل شيء وتظننى مجنوناً أجرى وراء الخيال . دع عنك هذا وانظر أن للجمال قوة وسحراً ! أرأيت هذا الحسن السابى ؟ »

قال : « رأيت ، ولكنها بيضاء وهى كل ما تشتهى أنت فى المرأة وأما أنا فابغنى السمراء الدعجاء وخذ كل بنات حواء »

قلت : « وهذا أيضاً من أسرار صداقتنا وأسبابها فاننا لانختلف لأجل حسناء ولا يجمعنا ذوق واحد على واحدة ونعم الحال هى »

فلما انصرفنا وعدنا إلى العشاء فى الفندق على أمل رؤية تلك الحسناء جلسنا وأدرنا لحاظنا ولوينا أعناقنا فاذا الديار قفر وفندق شبرد لا يساوى خاناً بالفيوم فى نظرى

قال محمود : « اعتصم بفلسفتك » حتى إذا قارب الليل أن ينتصف قمنا ، هو الى منزل أخيه فى المنيرة وأنا إلى بيتى

وكنت فى ذلك الزمن أقيم فى منزل فى حى من أحياء التوفيقية لا أعرف عن أهله جيرانى شيئاً ، إلا منزلا يواجه منزلى تسكنه أسرة يونانية مؤلفة من رجل وامرأة وابنة صغيرة وخادم يونانية أيضاً كانت تقوم فى الصباح مبكرة تنظف السجاد فى الشباك فتقلق راحتى فأعمد إلى شباكى كى أقفله فتضحك وتمعن فى اقلاقى

فلما نهضت فى الصباح أعمد عمل ما عودتنى الخادم عمله وهممت بالنافذة أغلقها اذا بى وجها لوجه ـ على مسافة عشرين ذراعاً ـ أشاهد فاتنة الفندق . وكأنى احتاطت بى شتى الفواعل فذهلت ولبثت واقفاً لا أتحرك ، وكأنها راعها منظرى ناهضاً من فراشى فى لبسة المتفضل مستشزر الشعر مغمض العينين مأخوذاً كمن بات ليله يسكر ، فضحكت وأغلقت النافذة ، وأظننى بقيت نحواً من عشر دقائق انظر الى النافذة ولا أزيد . ثم توكلت وجعلت شباك غرفتى مجلسى آوى اليه فى الصباح والمساء وفى كل ساعات الفراغ بين الوقتين أرقب فاتنتى ان استطعت إلى رؤيتها سبيلا

وليس كالثبات وسهر الليالى سبب إلى طلب العلى ، وإلى الوقوع فى الغرام أيضاً

وجدت الأيام بى عشراً فزت بعدها بسلام أبادله السيدة . ثم أخذت أترقب ساعات خروجها فى عربة مع صاحبة البيت فاتبعها عن بعد فى عربة أخرى حتى الجزيرة فتلتقى العربتان وتلتقى نظراتنا كأننا على غير ميعاد . فكنت احسبنى فى ذلك الزمن أسعد خلق الله حظاً . وكتمت الأمر محموداً وكل الناس فانى أرى السعادة والهناء فى الكتمان ، لا عن الحاسدين والرقباء فقط بل عن أعز الاصدقاء أيضاً ، ذلك لأنى كنت أومن بقدسية الحب وأنزهه عن أن تمتد اليه الظنون أو يعبث به قول قائل

إلى أن رأيتها ذات يوم تستقل العربة وحدها فاسرعت فى عربة أخرى أتبعها حتى رأيت

عربتها تقف بعد اجتياز جسر قصر النيل ، فمررت بالقرب منها والتفت مسلماً فابتسمت وأشارت : أن تعال ، فلولا استنجادى رجولتى وخوف وصمة الجبن لوقفت مكانى لا أبرحه . فانى كنت ولا أزال شديد الحياء أحاول اخفاءه فافلح مرة وأخيب فى أحسن المرات . فدنوت وسلمت فردت السلام باحسن منه ، وقالت : اصرف عربتك وتعال معى فى عربتى . فلم أصدق اذنى ، وكأنه ظهر على حيائى ، فضحكت وقالت : لا تخف فليس فى الأمر ذنب وما أنا من أهل القاهرة ـ فكم تمنيت لو كان الوقت ليلا أو لو كان فى الامكان إغماض عينى ، إذاً لكنت جرأت فاظهرت فصاحة فى الحديث . إنما أنقذ موقفى أنها لم تكن تحسن الافرنسية ولا تتكلم العربية إلا قليلا ، ولغتها اغريقية لا غش فيها ، فكان هذا سبباً أخرج شجاعتى من مخبئها . فالمرء يجبن إن آنس تفوقاً لآخر عليه سواء أكان هذا التفوق أدبياً أم مادياً فى أى مظهر من مظاهر الحياة . وأنا لا أزال على رأى أقلية من أهلى لا يسمحون لامرأة أن تتفوق على الرجل بشىء بحق أو بغير حق

وتعاقبت الأيام على هذا المنوال ، خروجاً للتنزه عصر كل يوم وأحاديث حب كنت فيها صادق الوعد وفياً مغرماً حقاً . كنت فيها رجلا رأى كل ما تتوق اليه نفسه فى امرأة كادت تبلغ حد الكمال فى الجمال . وكنت إذا مر بخاطرى أنها ذات بعل وولد أهرب من هذا الخاطر أو ابعده عنى مخافة أن يعكر صفو الهناء . وقديماً خدع الناس أنفسهم فى سبيل اهوائهم

ولكنها لم تكن أياماً كثيرة . وحان موعد رجوع السيدة إلى أهلها بالاسكندرية فقد كانت فى زيارة أختها فى القاهرة هرباً من فصل الشتاء وكان لا بد لها من العودة إلى بيتها

وكان فراقى لها من أصعب الأيام التى مرت بى لأنى شعرت بألم لا يفوقه ألم جسدى . وتواعدنا على الكتابة فكان كتابها فى صباح كل يوم أول شىء أطلبه وأعز شىء أجده . حتى إذا اشتد الشوق وبرح كنت أركب قطار الظهر من محطة القاهرة فأصل الاسكندرية حوالى الرابعة فى العصر فأركب عربة إلى رمل الاسكندرية أمر أمام بيتها فأراها فى حديقتها أو فى شرفة بيتها فأسلم إلماماً وأعود بقطار المساء إلى العاصمة

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وأجمعنا بعد ذلك أمرنا على أن ننتظر فصل الصيف فاذهب أنا الى الرمل مصيفاً عسى الايام أن ترحمنا فتمهد لنا سبيل الاجتماع . وكان اذعانى مغتبطاً للذهاب فى الصيف إلى الاسكندرية تضحية وبرهان حب أكيد

فانى كرهت هذا البلد منذ الصغر ، فقد كان مهد ضياع ثروتنا ومدفن أعز الناس إلى . أضف إلى ذلك شعورى بأن الوطنى غريب فيه لا ينظر اليه بعين التجلة . وأولو الامر والنهى فيه قوم أجانب شماميط تجمعهم جامعة المضاربة والميسر من طريق البورصة فما دون ، وأمعنوا فامتدت العدوى إلى جميع الطبقات . فكيف يكون شأن الآداب وما ربيت عليه من مقاييس النظر اليها

فى مدينة لا يربط خليط سكانها إلا المال وجمع المال وانفاق المال ؟ وبئس الرابطة . وربما كان لبنى الاغريق المقام الاول فى هذه الهيئة الاجتماعية . ولكننى كنت أغتفر لهم ذنوبهم حباً بالسيدة الاغريقية التى ملكت واستبدت فاضاعت منى صائب الحكم . فلقد تفهم أن الرابطة فى قوم اقحاح تكون أدبية أو اجتماعية أو سياسية تدفعهم الى المثل الأعلى عن طريق الايثار وخدمة الغير فيتضامنون ويتفاهمون وينمو فيهم شعور واحد وغرض فى الحياة واحد

وأما أن يختلف الناس فى الدين وفى الجنس وفى اللغة ويتساكنون فمحال أن تكون لهم جامعة غير جامعة المال أو هدف يسعون اليه الا إحراز المال . ومتى كان هذا الاله معبود قوم يستمتعون به فقل على كل ما فى الحياة من خلق سام السلام

وكان قد جرى بينى وبينها ذات يوم حديث مداعبة عند اقامتها فى القاهرة - فكم كانت حيرتى عظيمة اذ رأيتها تزعم - ناقلة رأى قومها لا رأى بعلها - ان الاسكندرية بلد يونانى ويجب أن يظل يونانياً لان الاسكندر أقام قواعده

قلت: ان قومك يودون اغتصاب الاسكندرية اغتصابهم ذا القرنين . فلم يكن هذا الفاتح العظيم يونانياً بل كان لليونان عدواً مبيناً ، حاربهم واستباح بلادهم ، ومكن لقومه المكدونيين فيهم - خلة ورثها عن أبيه الذى قال خطيبكم ديموستين أبلغ خطبه فى ذمه واستفزاز الاغريق لحربه فدعوها « الفيليبيات » ، ولكنه تكلم لغتكم فانتحلتموه بعد موته حتى الآن وخلط الجمهور مكدونيته بيونانيتكم

قالت : دع عنك الاسكندر فان لكليوباتره علينا حق النسب وكانت الاسكندرية عاصمة ملكها

قلت : ولكن المصريين يدعون كليوباتره ويفخرون بمصريتها

فضحكت وقالت : لعلها مصرية مثلما يصح أن تدعو لورد كرومر مصرياً !

فأمسكت عن الاجابة وقعت فلسفتى الوثابة على ما يصطلح عليه الناس فى السياسة وفى التحكم بعضهم فى البعض الآخر . فهم فى قرن من قرون التاريخ يدينون بالانتساب إلى الارض ، وفى قرن آخر يفخرون بدم الآباء والاجداد مهما شط بهم المزار ، وفى قرن آخر تجمعهم جامعة الدين فيثيرونها حروباً على كل مخالف فى الايمان أو العقيدة ، وفى آخر الزمن يسيرون على نظام القوميات ولا يتفقون على تحديد « القومية » ذلك لأن فاتنتى لم تكن من التثقيف بمكان يحسدها عليه الحاسدون المغفلون . فسحرها كان سحر النساء فى كل عصر - أنوثة وفتنة وسذاجة فيما عدا ذلك ، وهذا ما استعبدنى لها وجعلنى أومن بما تؤمن به ولو جاء مخالفاً لكل ما لى من عقل وحس وادراك

سامي الجريديني

رثاء حافظ * للاستاذ بشاره الخورى

(بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته)

حال عهد الهوى فعز الرفاقا وطوى الشعر بنده (١) الخفاقا
أى نكباء أخرست بلبل النيل واذوت تلك الليالى الرقاقا
ورمت صدر مصر فارتعش الشر ق كما رمت حالماً فاستفاقا
نبأة فى حشى العروبة منها مثل هز العواصف الاوراقا
ولسان من اللهيب له فح (٢) رمى الشآم واستباح العراقا
وانثنى للذوائب البيض من لبـ نان لا يأتلى بها تحلاقا
وقديماً بكى العباقر لبنا ن وروى الآداب والاخلاقا
وكسا يعربا سموطاً (٣) من الابـ داع زادت جبينه اشراقا

***

مأتم فى التراب سال على الآ فاق منه ماضرج الآفاقا
واستثار الارواح فى الملأ الاعـ لى فأتلعن (٤) نحوه الاعناقا
يتضارين بالجوانح ترحا ما ويمعن فى الفضاء سباقا
عرس ماجت البشائر فيه واستطارت صبابة وعناقا
فتغنى وشبب المتنى وتصابى الصابى (٥) أبو اسحاقا
ومشى بالدنان حور وولدا ن عصرن الخدود والاحداقا
ونثرن الأزهار مما كسا الحقـ ـل ومما كسا القدود الرشاقا
وهززن النهود من خلل الوشـ ـى ولمسن ما أحاط الساقا
مرحباً روح حافظ دونك الخلـ ـد عيوناً وأكؤساً ورفاقا
وأكاليل من زنود وأجياد كما هجت جدولا رقراقا
منحة الشاعر الذى يعبد الحق ويرضى الاوطان والخلاقا

***

شاعر النيل خذ بناصية النجـ ـم وداعب جبينه البراقا
أو فعد للحقول دغدغ بها الزهـ ـر وبه فى صدرها الأشواقا
أنت والنيل ضفتان لمصر تنبتان الأذواق والأرزاقا

***

---

(١) بنده : علمه (٢) الفح : صوت الأفعى (٣) جمع سمط وهو الخيط الذي ينظم فيه العقد
(٤) لع : أمال نحوه عنقه (٥) الصابي ابو اسحاق : الكاتب المشهور

قل فكم من يتيمة لك رنت قطع الشرق دونها الاطواقا
ومشى فى الحديد رنحه الظلــم وقد عالج الحديد فعاقا
يطلب الحق فى الوجود فيعطى كاذبات الوعود والاخفاقا
قل فكم من خريدة لك لا تر ضى القواق الا هدى وخلاقا
تسكب الدمع بلسما للجراحا ت وتفنى شعورها اشفاقا
تؤثر الشعر للحقيقة عصيا . وتأباه أن يكون نفاقا
قل فكم مجلس فتقت به الفجـ ـر ضحوكا والليل مد رواقا
وتركت النجوم فى الكاس غرقى عاريات وبعضها عشاقا
مقول محصد الهموم وينمى فى الندامى بشاشة وانطلاقا
وهل الشعر غير ما امتلك النفـ ـس لحلى كأساً وحل وثاقا

***

ما نسينا لك المواقف بيضاً يوم عاثوا فى الأمتين شقاقا
ورموا مهجة الاخاء فسمو ها وكانت دموعك الترياقا
ما نسينا إذ مصر أو بعض مصر آذن الشام جفوة وفراقا
فغسلت الجراح بالسلسل العذ ب وصيرت كل خلف وفاقا
ودوى صوتك العزيز بمصر فاذا الشرق عنده يتلاقى
مثل سرب من الحمام نهيك أحتثـه يد النوى إرهاقا
يزرع الريش فى المفاوز اعيـاء وقد عله الرجاء فساقا
لم تكد عينه ترى الواحة الخضراء حتى ارتمى بها ارماقا (١)
ليت لى أن اشق لحدك فى (صـنين) لا بدعة ولا إغراقا
بل وفاء لما كسوت مغانيه وكنت المفضل السباقا
نحن فرعان للعروبة يا مصـ ـرشأونا (٢) الفروع والاعراقا
كم محب على ثرى مصر منا ذوب الروح فى الهوى وأراقا
و«خليل» (٣) لعين مصرجفا الخلــد وتلك الكؤوس والاحداقا
فمن الغى أن تدور بنا الكا س فلا نلتقى ولا نتساقى
شاعر النيل جز طريقك للخلــد وخذها لمن تحب صداقا
درة صاغها الذى ترك الحسا د تجرى ولا تطيق لحاقا
كلما أطبق الغبار عليهم حشرجوا تحته وماتوا اختناقاً

بشارة الخورى،

(١) فى الرمق الاخير (٢) فقنا (٣) خليل بك مطران

وفق الكاتب الالمانى بوداخ الى العثور على طائفة من الوثائق تتعلق بالفيلسوف نيتش وبما أحاط جنونه من ظروف وملابسات . وقد جمع الكاتب تلك الوثائق وعلق عليها ونشرها في كتاب كان له في عالم الأدب دوى بعيد ، وعمل على أثر صدوره الى اللغات الاجنبية. والكاتب المشار اليه هو الذي أوحى الى الاستاذ حبيب جاماتي بكتابة المقال التالي عن :

جنـــون نيتش

ان الوثائق التى يضمها كتاب الأديب الألمانى بوداخ تحمل على الاعتقاد بان جنون الفيلسوف نيتش العظيم ناتج عن اتساع عقله اتساعاً ادى إلى الانفجار . والذى يطالع هذا المؤلف القيم يروعه ما يلاحظه فيه من ضيق الشقة والتمازج العجيب بين آراء ذلك الجبار الصائبة وآرائه التائهة ، وبين الافكار البعيدة الغور والمرمى ، والافكار السطحية التافهة !

نعم ، لقد ضاق رأس نيتش عن أن يسع عقله فانتهى به الأمر الى الجنون !

٢١ سبتمبر سنة ١٨٨٨

وصل نيتش الى مدينة تورينو لقضاء مدة من الزمن فى ربوع ايطاليا التى كان يحبها ويتغنى بجمالها ومجدها . ولم تكن تلك المرة الأولى التى زار فيها نيتش مدينة تورينو ، فقد سبق له ان أقام فيها من قبل . وكان اول ما صنعه على أثر عودته اليها فى تلك السنة ، البحث عن الغرفة التى سكنها بشارع كارلو البرتو . فهو فقير لا تسمح له حالته المالية بان يسكن الفنادق و يستأجر المنازل . وكل ما يستطيع أن ينفقه على نفسه فى الشهر لا يزيد عن مائة فرنك !

ففى تلك الغرفة التى استأجرها بخمسة وعشرين فرنكا فى الشهر ، جلس الى مكتب بسيط لانجاز كتابه « المسيح الدجال » !

وبعد سبعة أيام ـ أى فى ٣٠ سبتمبر ١٨٨٨ـ كان نيتش قد انتهى من ذلك الكتاب الذى كان يعده مفخرة حياته

وقبل أن يذوق راحة بعد ذلك العمل المضنى ، تناول قلمه وخط السطور الاولى من كتاب آخر « شفق الأصنام »

وظل يفكر ويكتب شهراً بعد شهر ، مدفوعاً بحمى نشاط عجيب لا يعرف الكلل

وتلك الحمى هى التى أودت بعقله وتركته رمة بشرية لافائدة منها ترجى ، بعد ان كان ذلك العقلُ المدهش يملى مبادئه الجريئة وآراءه الجديدة على الانصار والخصوم

بلغ نيتش فى ذلك الوقت السنة الرابعة والاربعين من عمره ، وخيل اليه ان الساعة قد ازفت لتنفيذ الحلم اللذيذ الذى طالما علل به النفس : اصلاح العالم ، ليس فقط من الوجهة الاجتماعية والدينية ، بل أيضاً من الوجهة السياسية . وقد كتب الى أصدقائه فى ذلك الوقت يقول : « الساعة تقترب ، والعالم يستعد اليوم لانقلاب عظيم ! »

وما كان نيتش يدرى ــ وهو يخط هذه الكلمات ويسترسل لذلك الحلم ــ انه هو وحده على أبواب انقلاب عظيم . . . على ابواب مستشفى المجاذيب !

يطول بنا الشرح لو أردنا ان نبسط نظريات نيتش الفلسفية وآراءه الاجتماعية والسياسية . ولكننا نشير إلى البارز منها ، وإلى المبدأ الذى جعله ذلك المفكر العظيم اساساً لفلسفته :

لقد حارب نيتش الاديان القائمة ، لانه كان يعتقد أن الاديان تميل بالنفوس الى الاستسلام والصبر والاستكانة . وحارب الدين المسيحى على الخصوص ، لأن الدين المسيحى يأمر بالرحمة والشفقة ويحرم الالتجاء الى القوة واستعمال القسوة . ولكنه لم يندد قط بالمسيح ، لانه كان من القائلين بان الكنيسة المسيحية قد شوهت تعاليم المسيح واقامت الديانة المسيحية على غير الاسس التى وضعها لها منشئها المصلوب فى اورشليم . وحارب نيتش المبادىء السياسية الحديثة ، التى نادى ابطال الثورة الفرنسية ، والقائمة على الاخاء والمساواة ، لأن احترام مبدأ الاخاء والمساواة يقيد حرية العمل فى نظره ، ويحول بين ذوى المواهب النادرة وبين الارتقاء الى العلى

فماذا يريد اذن ذلك الذى لم يكن ليعجبه شىء من الانظمة القائمة والمبادىء المعمول بها ، والمذاهب الدينية التى يخضع لها الناس فى الغرب والشرق ؟

كان يريد شيئاً واحداً ، ويهيب بالناس للسعى اليه وتنفيذه ، وذلك الشىء الذى كان يريده هو استغلال النشاط الكامن فى كل انسان استغلالا مطلقاً من كل قيد وشرط ، وتغذية ذلك النشاط فى سبيل السيطرة على الآخرين افراداً وجماعات

فالقوى الذى يعرف كيف يحتفظ بقوته يجب أن يسيطر على الضعيف الخائر العزيمة دون أن يسطو على حقوقه . وذو المواهب الفذة الذى يعرف كيف يحتفظ بتلك المواهب ويغذيها ويزيدها نمواً ، يجب عليه ويحق له أن يسيطر على الغبى الخامل . وهذه القاعدة يجب ان تعم العالم وأن تصبح أساساً للعلائق بين الجماعات والامم فضلا عن الافراد

والعنف ليس من المحرمات فى نظر نيتش ، فهو ارستقراطى فى مبادئه السياسية . وتلك المبادىء التى سعى فى وقت من الاوقات الى وضعها فى موضع التنفيذ ، وحمل الدول والحكومات على الأخذ والعمل بها ، ناتجة عن مبادئه فى الدين والاجتماع ، بعد ان انتهى به الأمر الى استنكار ما تدعو اليه الاديان من محبة ووئام ورحمة وتسامح واستسلام

كان نيتش يسعى الى الهدم فالبناء . أراد أن يهدم فى بادىء الأمر الديانة المسيحية ، ثم يهدم

بعدها النظام السياسى القائم فى اوربا . وبعد ذلك يفكر فى البناء ، فأوربا فى نظره قائمة على أساس فاسد ، ولا حاجة بها الى تلك الدول الكثيرة المبعثرة فى نواحيها الاربع . فألمانيا يجب ان تكون دولة واحدة تحل محل الاتحاد الجرمانى الذى أنشأه غليوم الاول وبسمارك . وأوربا يجب ان تدعى بالحسنى الى تحقيق حلم نابوليون الاول ، فتؤلف شبه اتحاد تشترك فيه جميع دولها وتنضم اليه جميع أممها ، فاذا أبت ان تفعل ذلك فانها ترغم عليه بالقوة

هذا ما كان يريده نيتش الذى لم يعد يعتقد أنه كاتب وفيلسوف ، بل دفعه الهوس الى أن يعد نفسه مبعوث القوى الخفية التى تسيطر على مصير العالم لانقاذه من الفوضى والانحلال

وقد دخل ذلك المفكر العظيم فى طور الجنون منذ اليوم الذى بدأ يسعى فيه لتنفيذ ذلك البرنامج الواسع النطاق

كان نيتش قد اخرج مؤلفاته القيمة : المسيح الدجال ـ وشفق الاصنام ـ ونيتش ضد واجنر ـ وهو ذا الرجل ـ وغيرها وغيرها

وفى أوائل سنة ١٨٨٩ بدت عليه أعراض الجنون الواضح ، فقد كتب إلى الأديب السويدى سرتنبرج خطاباً وقعه بهاتين الكلمتين : « نيتش قيصر ! » وظن سرتنبرج ان صديقه يمزح ، فرد على خطابه قائلا : « أيها الاله الطيب العظيم ! » لكن نيتش كتب اليه مرة أخرى بلهجة تنم عن اضطراب عقلى جلى ، ووقع رسالته بالكلمتين المشاراليهما : « نيتش قيصر ! » ، وقال لصديقه فى ذلك الخطاب إنه سيدعو الدول إلى عقد مؤتمر فى روما للحكم على امبراطور المانيا الشاب بالاعدام وتنفيذ الحكم فيه رمياً بالرصاص

وذلك الامبراطور الذى كان نيتش يريد اعدامه هو غليوم الثانى !

وحدث فى يوم ٣ يناير ١٨٨٩ أن خرج نيتش من غرفته للنزهة فى شوارع المدينة ، فوقع نظره على حوذى يضرب حصانه بقسوة وحشية ، فماذا صنع ذلك الرجل الذى دعا الناس فى مؤلفاته الى تغذية النشاط فى نفوسهم واستغلال القوى الكامنة فيهم ، والذى نادى فى تلك المؤلفات بأن القوة يجب أن تسود العلاقات بين الناس ، وان الرحمة التى تدعو اليها تعاليم المسيح انما هى عار ومذلة ؟ ـ ماذا صنع نيتش عند رؤيته ذلك الحوذى يقسو على حصانه ويضربه ؟

لقد بكى . نعم بكى ، وهرول إلى الحصان فاحتضنه وجعل يقبله بلهفة ، ويشتم ذلك الحوذى القاسى الذى لم يرحم الحيوان البهيم ، وسقط على الارض فاقد الرشد !

هذه هى المرحلة الأولى من مراحل جنونه . وقد تبسط الأديب الألمانى بوداخ فى وصف حالة المريض ، والأقوال التى كان يفوه بها على سريره بعد نقله من الشارع إلى الغرفة . . .

ومنذ ذلك الوقت جعل نيتش يصرح بأن روحاً إلهية قد تقمصت فيه ! فهو ديونيزوس أو باخوص ، إله الخمر والكروم ، ديونيزوس الذى يحب امرأة جميلة اختطفها منه خصم عنيد . وإذا

كان نيتش يعتقد أن روح ذلك الاله الاغريقي والروماني قد تقمصت فيه ، فانه يعني بالخصم العنيد عدوه واجنر ، واجنر الذي يحب نيتش زوجته كوزيما ، والذي خاصمه طول حياته بسبب تلك المرأة . وعند ما أدخل الفيلسوف المجنون إلى مستشفى المجاذيب همس في أذن الطبيب قائلا : « إن امرأة تدعى كوزيما واجنر هي التي دفعت بي إلى هنا ! »

وهو أيضاً المسيح ، فان روح المسيح قد تقمصت فيه - على اعتقاده - لاعادة الديانة المسيحية إلى طهارتها الأولى ، وإلى حقيقتها كما وضعها يسوع بن مريم . وإذا كان نيتش يكره الكنيسة ويحاربها ويعمل على تقويض أركانها ، فانما هو يفعل ذلك لا كرها بالمسيحية بل لتطهيرها من أدران الفساد !

وجعل نيتش يبعث برسائله - الواحدة بعد الأخرى - الى ملوك أوربا وأمرائها وحكامها داعياً أولئك القابضين على زمام الامور في بلاد الغرب الى مؤتمر يعقد في ٨ يناير سنة ١٨٨٩ في روما ، لوضع الأسس الجديدة للاتحاد الأوربي والتعاون العالمي

وكتب الى الملك امبرتو الايطالي الذي كان يعطف عليه ويحبه : « يا بني العزيز ... السلام عليك ! ... »

لكنه لم يبعث بدعوته الى أسرة هوهنزولرن ، لانه لا يريد أن يشترك الامبراطور غليوم الثاني في ذلك العمل الجليل . هذا ما صنعه نيتش المجنون في يناير سنة ١٨٨٩ وهذا ما يريد أن يصنعه القابضون على زمام الأمم اليوم في سنة ١٩٣٢ ...

ألا يدعون الى ما كان يدعو اليه ذلك المجنون منذ ٤٤ سنة ؟

ومن الرسائل التي كتبها نيتش وهو في حالة جنون تام ، رسالة بعث بها في ٥ يناير الى صديقه برخارت الألماني ، يخاطبه فيها بصفته « الاله المرسل لانقاذ البشر ! »

ونقل نيتش بعد ذلك الحادث الى سويسرة ، حيث مكث مدة قصيرة في مستشفى المجاذيب بمدينة بال . ثم نقل الى مستشفى المجاذيب في يينا بألمانيا . وظل بضعة شهور في حالة جنون هائج ، يصيح ويضرب ويحطم كل ما يقع تحت يده ، وامتنع في تلك المدة امتناعاً تاماً عن الكتابة ثم هدأ جنونه ودخل في طوره الأخير ، فعاد نيتش الى عهد الطفولة !

وعاش المسكين بقية حياته كالحمل الوديع ، طائعاً لارادة أمه وذويه وأصدقائه ، لا يعارض في شيء ولا يقاوم أحداً

ومات في سنة ١٩٠٠ في السادسة والستين من عمره مستسلماً لاحكام القدر ، وهو الذي حارب الاديان لان فيها ما يدعو الى الاستسلام !

حبيب جاماتي

هل في اللغة العامية
أدب يستحق البعث؟

من أين نشأت اللغة العامية ؟

هذا ما يطرأ على الذهن قبل التحدث عن « الأدب العامي » إن صح هذا التعبير . ولأجل الاجابة عن هذا السؤال يجب أن نذكر ان اللغة العامية ليست لغة واحدة ، بل هي عدة لغات تختلف فى أوضاعها باختلاف الاقطار والبيئات . وهي وليدة امتزاج عدة لغات أعجمية باللغة المضرية لغة القرآن ، بعد أن خرجت مضر من عزلتها فى وسط الجزيرة العربية ، واتصلت بالاعاجم ، واستعمرت بلدانهم ، واختلطت بهم اختلاط مصاهرة وتجاور ومعاملة . فنشأ عن هذا الاختلاط لغة أخرى أو لغات أخرى ، لا هى بالمضرية ولا بالاعجمية ، لغات مستقلة بذاتها نطلق عليها نحن اسم « اللغات العامية » ، وهي تقرب من العربية كلما اقتربت البلدان الناطقة بها من العرب المضريين ، وتبعد كلما ابتعدت عنهم

ونريد هنا باللغات الاعجمية ما سوى العربية من الفارسية والرومية والتركية والهندية وغيرها من اللغات الاخرى . وهذه اللغات كانت سبباً فى فساد ملكة النطق الفصيح عند العرب ، لانهم باختلاطهم بالاعاجم صاروا يسمعون عدة صور للمعنى الواحد ، فاضطربت ملكة لسانهم ، وزاد هذا الاضطراب استخدام الامم التى خضعت للعرب للغة العربية استخداماً مشوهاً ملحوناً ، اضطرهم الى ذلك تعذر النطق الفصيح عليهم . فأصبحت كل بلدة من البلاد العربية تدرج على لغة خاصة متأثرة بما يكتنفها من عوامل هذا الامتزاج ، ونشأ الاطفال ينقلون عن آبائهم هذا الامتزاج ويحاكونهم فى النطق بلغة سقيمة مبتذلة لا ضابط لها ولا اتساق فى تعبيرها على خلاف ما كان للغة المضرية التى يرجع الفضل فى فصاحتها الى بعدها فى بيئتها الاولى عن اللغات الاعجمية ، فبدت خالصة من شوائب الضعف اللفظى سليمة من اللحن والتحريف . ولذلك كانت اللغة المضرية ـ وهى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ـ أفصح لغة فى الجزيرة العربية لبعدها عن الامتزاج باللغات الاخرى . فموقعها الجغرافى فى وسط الجزيرة بعيداً عن الفرس والروم والحبش هيأ لها أن تبلغ حداً من الفصاحة الفطرية ليس لغيرها من لغات ربيعة وجذام وغسان وقضاعة واياد وقبائل اليمن ونحوهم من القبائل العربية المجاورة للاحباش والفرس والروم

والواقع ان لغات هذه القبائل المجاورة للأمم الاجنبية تخالف اللغة المضرية فى كثير من تصاريفها واوضاعها وحركاتها ، فربيعة تسكن أواخر الكلمات ، وحمير تنطق باللام ميما

فى (ال) كقولهم :«ليس من امبرامصيام فى امسفر» وقضاعة تقلب الياء المشددة جيماً فى مثل على علياً فتقول (علج) بالجيم المشددة ، وتميم تقول فى مثل انك (عنك) وفى مثل بك (بش) وبعض العرب يقولون فى مثل ابوك (ابوس) وامك (امس) فى خطاب المؤنث ويقولون فى مثل ربع (ربح) وفى أغن (أحن) وفى خطر (عطر)

وقد اقتصر العلماء على تدوين اللغة المضرية لان القرآن الكريم نزل بها ولانها أفصح لغات العرب ، لابتعادها كما قلنا عن الامتزاج باللغات الاعجمية . فاذا قيل هذا يخالف الفصيح فمعنى ذلك انه يخالف اللغة المضرية وربما كان متفقاً ولغة قبيلة أخرى من القبائل العربية

وقد اصطلح على ان اللغة العامية هى تلك التى نشأت من امتزاج اللغة المضرية باللغات الأخرى وأصبحت لها عدة صور تختلف باختلاف البلدان

ولقد قصر العرب فى ابان فتحهم للبلاد فى نشر لغتهم الفصحى تقصيراً ادى الى ضعفها وانتشار لغات مشوهة عامية ذهبت بجمالها وحلت محلها فى الحديث والمعاملة وفى كثير من الشؤون العامة ماعدا الكتابة والشعر والخطابة ، بل ان هذه الانواع الثلاثة تأثرت بهذا التيار الذى اجتاح اللغة الفصحى من بين الجماهير ، فضعفت فى كثير من العصور ومالت الى الركاكة والابتذال

وكان من وراء ذلك أن اصبح لكل قطر لغة عامية خاصة ، فللاندلس لغة عامية ، وللمغرب لغة ولمصر لغة ولسورية والعراق وماجاورهما لغات عامية ، وامتد هذا الفساد الى قلب الجزيرة العربية ففسد الذوق العربى الفصيح ، وضاعت ملكة النطق باللغة الفصحى

نقول قد قصر العرب حين فتحوا البلاد الاجنبية فى نشر لغتهم الفصحى واقتصروا فى ذلك على مايقتضيه الدين ، لان غرضهم من الفتح كان الدعاية للدين الاسلامى ونشر تعاليمه الصالحة بين الامم ، ولأن ظروفهم لم تكن لتهيء لهم أن يجبروا الامم على تعليم لغتهم ، فتركوها للناموس الاجتماعى تؤخذ بالتقليد ، على حد قول بعض المؤرخين : « المغلوب مولع بتقليد الغالب » . ولكن هذه الطريقة ادت الى تشويه اللغة العربية وتحويلها من لغة فصحى الى لغة عامية بالامتزاج على نحو ما قدمنا

نعم كانت لهم مدارس ومعاهد لدراسة اللغة والعلوم ، ولكن لم يكن الغرض الاول منها نشر اللغة الفصحى نشراً يجتاح امامه ما عداها ، بل كان الغرض الاول والأخير هو التثقيف العلمى والادبى الى جانب خدمة الدين الاسلامى . على أن هذه المدارس والمعاهد لم تكن بالكثرة التى تهيء للغة الفصحى ان تنتشر فى الاقطار العربية التى افتتحها العرب وتصبح فيها لغة الجماهير

ولقد عمد الاندلسيون الى التقريب بين اللغة العامية واللغة الفصحى ، فاستحدثوا الزجل والتوشيح ، وابتدعوا من ذلك شيئاً غير قليل . وقد كانوا فى أول عهدهم بهذا النوع اقرب

الى اللغة الفصحى منهم الى اللغة العامية . فتقرأ لهم :

ما حال صب ذى ضنى وا كتئاب أمرضه ياويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتناب ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفونى النوم لكننى لم أبكه إلا لفقد الخيال
وذا الوصال اليوم قد غرنى منه كما شاء وساء الوصال
فلست باللائم من صدنى بصورة الحق أو بالمثال

ثم انتشر هذا النوع فتناوله العامة فى الاندلس ، فنظموه باللغة العامية على نحو ما نشاهده فى ازجال اليوم ، فتسمع بعضهم يقول :

نشب والهوى من لج فيه ينشب تر إيش كان دعاه يشقى ويتعذب
م العشق قام فى (ما لو) يلعب وخلق كثير من ذا اللعب ماتوا

وتسمع بعض الاندلسيين ايضاً يقول من هذا النوع :

لى دهر بعشق جفونك وسنين وانت لاشفقة ولا قلبك يلين
حتى ترى قلبى من اجلك كيف رجع صنعة السكة ما بين الحدادين
الدموع ترشرش والنار تلتهب والمطارق من شمال ومن يمين
خلق الله النصارى للغزو وأنت تغزو فى قلوب العاشقين

وهذا النوع يحاكى بعض الزجل الموجود فى العصر الحاضر

والى هنا نقول : هل مثل هذا النوع من اللغة العامية يقال له أدب ؟ ولأجل أن نتحدث عن ذلك لا بد أن نتكلم عن معنى الأدب

فالمعروف عند القدماء أن الأدب هو إجادة التعبير نظماً ونثراً على أساليب العرب . والمعروف عند ادباء اليوم أن الأدب هو التعبير بكلام جميل عن خاطر يجول بالنفس اوعاطفة يفيض بها القلب أو شعور بصورة من صور الجمال .

فعلى كلا الرأيين ـ رأى القدماء ورأى المحدثين ـ نجد أن الزجل والاغانى والقصص وغيرها مما جاء بلغة عامية ليس من الأدب فى شىء ، وأن اللغة العامية ليس فيها نوع من الادب ، أو بعبارة أخرى ـ ليس فيها مايهز النفس ويطرب القلب . وهذا ما يخالف الواقع ، ففى اللغة العامية أدب بمعناه الحقيقى ، وفيها من صور النفس وعواطف القلب وأمثلة الخيال والتصوير الصادق لبعض جوانب الحياة ما يسترعى النظر

صحيح أنه ليس من الفصاحة فى شىء إذا كنا نعلم أن الفصاحة هى سلامة الالفاظ ، ولكن ذلك لا ينافى أن يكون الكلام مشتملا على معنى رائع أو على صورة من صور الجمال . وما الالفاظ إلا بمثابة الآنية لسائغ الشراب أو الملابس للكاعب الحسناء ، فكما أن سائغ

الشراب لا يغير جوهره كون الآنية من زجاج أو خزف بدل ان تكون من ذهب أو فضة ، وكما أن الكاعب الحسناء لا يضيرها أن تكون مرتدية اوضع الثياب شأناً ، كذلك المعانى الرائعة إذا كانت فى كلام عامى فانه لا ينقص من جمالها إلا كما ينقصه الوعاء الزجاجى من سائغ الشراب أو الثياب الوضيعة من جمال الحسناء

وعندنا من الادب العامى ثروة أكثرها على السنة العامة لم يدون منها إلا القليل ، ولا يصح إهمالها وتركها دون أن نتفع بما فيها من امتاع وجمال ، فنلبسه اللباس اللائق به

عندنا قصص لاشك أن بعضها من أحسن ما أنتجته قريحة اديب من الادباء القصصين ، وفى مقدمة ذلك كتاب « الف ليلة وليلة » فهو أثر من آثار الادب العامى . وعندنا أمثال من أحكم الامثال التى صاغتها يد التجارب وعظات الزمان . وعندنا نوادر من اطرف النوادر ، وأزجال قد تفرعت الى عدة فروع ، منها الازجال الاجتماعية ، والأزجال الغنائية ، والازجال القصصية ، وأزجال المديح والهجاء والوصف وشكوى الزمان ، ومواويل دينية وطقاطيق ومنولوجات . . .

وانك لتجد بين هذه الانواع ما هو ضعيف لا يكاد يذكر فى باب الادب ، ولكن الى جانبه ما اشتمل على تصوير دقيق لحالة خاصة من الحياة او لحادث من الحوادث او على إحساس جميل او على عاطفة انسانية أو خاطر يجول بالنفس . اقرأ ما يغنى به بعضهم فى بلاد الارياف المصرية :

ألا يابو حلق طارات تبيع الورد بارطالات
تبيع الورد فى الصبحه قيطلك زين الطرحه
عسى الله انضرك لمحه تجمع عندنا الجلات
ألا يا بو حلق طارات

ألا يابو قميص هريط عسى الله انضرك فى الغيط
وأدى لك قدح مخيط وادى لك شمال كرات
ألا يابو حلق طارات

واعطى لك شمال خبيز واعطى لك قدح جميز
واجعل لك على ميز فطيره دخن فى الصبحات
ألا يا بو حلق طارات

انا حبك كما العجله ويا زينك حدا الجله
تعال الغيط بلا مهله وتتفرج على العجلات
الا يابو حلق طارات

تعا عندى وكل جعضيض وجيب لك يا مليح حميض
وأقلى لك كأنى بيض بزيت حار من حدا الزيات
ألا يابو حلق طارات
ودمس لك انا القعبة وجيب لك فول من القضبه
وكل واشرب كان شربه تخلبـك تشبه العنزات
ألا يابو حلق طارات
وجيب لك عدس مع بيسار وكسرة عيش مع فول حار
وجيب لك مسرجة زيت حار تنور لك كما القمرات
ألا يابو حلق طارات

الى آخر ما جاء فى هذا الزجل الريفى ، وفيه تصوير صحيح للحياة الريفية
واقرأ فى الغزل :

من فوق شواشى الجبل حى ينادينى زعق وقال يامتيم ، قلت انا دينى
ياللى هواك ملتى وحبك دينى ياللى انا الورد وانت الميه تسقينى
ان غبت دبلتنى وان جيتنى تحيينى

ثم انظر الى ما فيه من استعارات وتشبيهات وجناس وطباق ، كلا بل انظر الى ما فيه من مناجاة ساحرة ، وعاطفة فياضة ، وبث للواعج الحب التى تملأ جوانح هذا المتيم ، فتنطقه بما لو وضع فى كلام فصيح لكان من أبلغ الغزل !

واقرأ فى مناجاة الديار :

يادار يعنى بعاد الاحباب ربحكى لما صبحت بغير سكان ربحكى
اليوم فيكى سكن للغرب ربحكى فقالت الدار : ماتوا الكل ماعدوشى
علوا قصورهم وبعد الفرش ماعدوشى ظنوا بجور المنايا عوم ماعدوشى
غرقوا ماجوشى وع اللى صار ربحكى
يا دار قولى على اصحابك وسكانكى راحوا على فين فقلوكى وسكانكى
والهدم داير فى جدرانك وسكانكى فقالت الدار : دنيا شوم غداره
طلقت فى قلب الحبايب ميت غداره سكنوا اللحود بعد لبس العز غداره
أمرا ولطانه صحاب سطوه وسكانكى

واقرأ فى الشكوى وهو للبوصيرى باللغة العامية :

رب الفصاحة عديم الذوق يقف أبكم والأبلم التيس مصدر ومتعظم
يا رب ان كان حرمانى كما تعلم ا ، بن على اكون تيس بن تيس ابلم

وقد نظمه بعضهم بكلام فصيح فقال :

رزق التيوس يجيئها بسهولة وذوو الفصاحة رزقهم مسجون
ان كان حرمانى لاجل فصاحتى امنن على من التيوس اكون

هذا . ولا نستطيع ان نسترسل فى هذه الامثلة لضيق المقام . ولكننا نحب ان نشير الى ان بعض المؤلفين للازجال والاغانى العامية قد تفنن تفنناً غريباً . فترى فى المؤلف من هذا النوع مواويل فى التحذير من الذنوب ، ومواويل على نسق اسماء الله الحسنى اى ان كل موال يبدأ باسم من هذه الاسماء ، ومواويل الاستغفار تبدأ كلها بكلمة استغفر الله ، ومواويل على نظام حروف الهجاء فى مدح النبى واهل البيت . ومواويل قصصية تتناول قصة النبى (ص) او قصة آدم وخروجه من الجنة او قصة ابراهيم والنمروذ او قصة موسى وفرعون او قصة المسيح عيسى ، الى كثير من ذلك وغيره

وقد دفعت هذه الكثرة بعضهم إلى ان ينشىء قاموساً للغة العامية ، منهم السيد وفا محمد القونى أمين دار الكتب المصرية سابقاً ، فقد وضع قاموساً للغة العامية المصرية يقع فى مجلدين سنة ١٨٩١ لم يطبع بعد ، ولكن فى هذه الدار نسخة مخطوطة منه مرتبة على حروف الهجاء ، ونحن ننقل هنا مثالا من هذا القاموس العامى . قال فى حرف « الحاء » :

« حاس . يحوس . حوسة . وهو حايس . يقولون فلان حاس فى الشغل تحير وارتبك فلم يدر كيف يصنع . والحوسة التحير والارتباك . ويقولون « فلان داير حايس » أى ذاهب الى كل جهة فى الدار أو غيرها لا يهتدى الى الصواب . . . » الخ

وقد اكثر فى هذا القاموس من الالفاظ العامية المستعملة فى الوجه البحرى . ونرى أن مثل هذا العمل لا نتيجة له إلا إذا أخذنا هذا القاموس على انه سجل للغة العامية فى الجيل الذى ظهر فيه وهو مالا نحتاج اليه

وخير من هذا ماقام به بعضهم من جمع الامثال العامية واثباتها كذخيرة أدبية . ونذكر فى هذا الباب المرحوم نعوم شقير ، فقد جمع طائفة غير قليلة من أمثال العوام فى مصر والسودان والشام وطبعها حوالى سنة ١٨٩٥

والآن وبعد أن بسطنا ما بسطناه عن اللغة العامية وادبها نرى من واجب الادباء أن يعملوا الى جانب جهودهم على التقريب بين اللغة العامية واللغة الفصحى كما فعل بهاء الدين زهير فى كثير من التعبيرات العامية الرقيقة والصور الادبية الشائعة بين العامة ، فقد نقلها فى شعره بعد تهذيبها واستخدمها أجمل استخدام ، فجاءت من الطف التعبيرات ، حتى انك تقرأ شعره فى هذا الباب ، فلا تجد تعسفا ولا تكلفاً فى التوفيق بين هاتين اللغتين . خذ مثلا من ذلك - وقد أشرنا الى الاستعمالات العامية بقوسين :

مولاى وافانى الكتاب الذى ذكرت فيه ألم البعد
(فكل ما عندك من وحشة فانه بعض الذى عندى)

* * *

وجليس حديثه للمسرات طارد (مثل ليل الشتاء فهو طويل وبارد)

* * *

ليت كل الناس لما غبت عن عينى فداكا ذقت فى بعدك ماهو ن فى القرب جفاكا
لا ألوم الدهر فى أحكامه (هذا بذاكا)

* * *

وعائد هو سقم لكل جسم صحيح لا بالاشارة يدرى ولا الكلام الصريح
(وليس يخرج حتى تكاد تخرج روحى)

* * *

خليت كل الناس ما خلاكم وقلت (مالى احد سواكم)

فقول زهير : « فكل ما عندك من وحشة » الى آخر البيت فى المثال الاول لايختلف عن قول أحد العامة لصاحبه : « أنا مشتاق اليك » فيرد عليه الآخر : « دا من بعض ما عندنا » . وكذلك « مثل ليل الشتاء » فهو من المثل العامى المعروف . وقول زهير : « هذا بذاكا » هو كقولهم « ده بده » . وكذا « وليس يخرج حتى تكاد تخرج روحى » و « مالى أحد سواكم » .

وتكاد تكون سهولة البهاء زهير آتية من هذا الاسلوب الذى جمع فيه بين العامية والفصحى واستخدم العامية ألطف استخدام بعد أن خلع عليها قليلا من التهذيب . وليس ذلك مقصوراً على الالفاظ ، بل ان البهاء زهيراً قد تناول صور الحياة العامة فاستخدمها فى شعره أيضاً . فقال :

تعلمت خط الرمل لما هجرتم لعلى أرى شكلا يدل الوصل
ورغبنى فيه بياض وحمرة عهدتهما فى وجنة سلبت عقلى
وقالوا طريق ، قلت يا رب للقا وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل
فاصبحت فيكم مثل مجنون عامر فلا تنكروا أنى أخط على الرمل

فضرب الرمل صورة مألوفة بين العوام وخصوصاً المحبين والمهمومين . وقد استخدمها البهاء زهير كما استخدم غيرها . وهذا الذى فعله فى شعره هو نوع من التقريب بين الادب العامى واللغة الفصحى ، وهو نوع من الاصلاح اللغوى الذى يجب على الأدباء ان يعالجوه حتى تقرب المسافة بين اللغتين وحتى ننتفع بالادب العامى من وراء هذا التقريب ، ففى الادب العامى ثروة من الخطأ أن نحتقرها او نهملها كأننا لسنا عائشين فى هذا العصر

طاهر الطناحي

الجـــديد في دراسة التاريخ

الشعور بالزمن موهبة خص بها الانسان ، فالحيوان يحس اللحظة التي تحتويه ويتبلد عن سواها، أما الانسان فيعيش في الماضي بذكرياته وخياله ويستوعب الحاضر وقد يحيى في المستقبل

وكلما تدرج الانسان في الرقي صعداً تضاعف علمه بالماضي وتقلباته ، فالهمجي لا يزيد شعوره بالزمن عن درك حاضره ، بينما القبائل تحفظ أنسابها وتروى حروبها وتشيد بأمجاد أبطالها وقد تعرف قدراً من ماضي غيرها ، على حين تحرص الشعوب المتحضرة على أن يكون علمها بالماضي أدق وأفسح

والارجح أن الاغريق هم أول من سجل التاريخ في كتب قائمة بذاتها ودرسوه على اعتبار أنه نوع من أنواع المعرفة مستقل له اصوله وقواعده

يمثل طريقة الاغريق في تدوين التاريخ ثلاثة : « هيرودوت » الذي سجل ملاحظاته ومشاهداته ، و « توسيديدس » الذي اتخذ الحقائق الممحصة مادة للتاريخ ، و « هوميروس » الذي حشد الاساطير والخرافات وأدمجها في قصتي الالياذة والاوديسة

ثم طرأ على كتابة التاريخ بعد ذبول الحضارة الاغريقية تطور خطير أحدثه المؤرخ الروماني « بوليبيوس » الذي استنبط تسجيل الحوادث والوقائع الهامة يوماً فيوماً . وقد احتذاه عامة المؤرخين — وفي جملتهم مؤرخو العرب — نحواً من ألفي عام

لكن في أواخر القرن التاسع عشر — بعد العثور على حجر رشيد وتقدم العلوم الحديثة — اتجه التاريخ وجهة جديدة . فبدأنا ننقب عن المدنيات البائدة وذهبنا نبحث عن حياة الانسان قبل التاريخ — بعبارة أوضح نشأ علم الآثار ، كما نشأ علم تاريخ الانسان

مصادر التاريخ

لا جدال في أن مصادر التاريخ في ظل الحضارة الراهنة قد تضاعفت وتشعبت ، وتراكمت مواده على طراز لا مثيل له . بل إن فكرة التاريخ نفسها قد امتدت من حياة الانسان منذ نشأته الاولى أيام كان يخرج من الكهف أو من الادغال حاملا حربته يدفع بها سطوات الوحوش الضارية ويصرع من الحيوانات ما يقيم به أوده — نقول امتد البحث التاريخي من الانسان إلى الحيوان والنبات ، وتناول الارض التي ندب عليها ومقدار عمرها منذ انفصلت من الشمس حتى اليوم ، وارتمى إلى دراسة الاجرام السماوية ونشأتها وتطورها ونشأة الكون في سحيق الازل

إنها لرائعة حقاً تلك المادة التاريخية التى جمعت فى العصر الحديث . ففى باب السياسة والحرب لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيت ومحصت . وتعاظم الاهتمام بتاريخ التشريع والديانات والعقائد المختلفة وما يتصل بها ويطغى عليها من خرافات وأباطيل . وسجلت تطورات العلم والادب والفنون الجميلة وردت اصولها إلى ما قبل التاريخ ، فصرنا نجل مكتشف النار قدر ما نجل مكتشف الجاذبية ، وعرفنا أن الانسان الأول زاول التصوير حباً للفن وارضاء لضميره الفنى ، وعلمنا ان الشعر سبق النثر فى نشأته . وقد جاس العلماء خلال الاقطار الاستوائية ، وهبطوا على قبائل الهمج فى استراليا والجزائر الجنوبية ، واختلطوا بالهنود الحمر وغيرهم من أهل أمريكا ، وعبروا صحارى التبت وتوغلوا فى قلب آسيا ، كل ذلك ليزيدوا فى معلوماتنا التاريخية . وقد وضعوا فى ذلك بحوثاً تشوق وتدهش . وارتفع الاقتصاد السياسى الى مرتبة العلوم ، وانتفعنا به فى ادراك السر فى توزيع الثروات والارزاق، فاتضح لنا شىء من أسباب الاضطرابات الاجتماعية وبعض الثورات . وصار الاحصاء علماً هو الآخر وبلغ من الدقة حظاً عظيماً ، ودرست تأثيرات المناخ والطعام والبيئة على الشعوب الانسانية زرافات ووحدانا . ورجاء أن لا يفوتنا عنصر أو عامل من العوامل التى توسع دائرة معلوماتنا عن الحوادث والتقلبات التى يتعرض لها الانسان ، أنشئت معاهد خاصة للعناية بشؤون كنا نجهلها من قبل . مثال ذلك احصائيات المواليد والوفيات والزواج والطلاق وعدد العاطلين وأثمان الحاجات ومقدار المحاصيل . وضاعفت الصحافة معلوماتنا التاريخية إلى حد بعيد

فيتعين والحالة هذه على المؤرخ أن يحيط علماً بفروع شتى من المعرفة ليكتب عن عصر أو ثورة أو شخصية من الشخصيات البارزة ، فلا أقل من إلمامه بالاقتصاد السياسى وروح الدين والشرائع والفلسفة والادب وبقدر عظيم من العلوم الطبيعية والبسيكولوجية بأنواعها خصوصاً نفسية الجماعات ، ثم لا مفر من وقوفه على فلسفة الاحصائيات

تلك هى مصادر التاريخ ومادته . فكيف يكتب التاريخ ؟!

قبل الاجابة عن هذا السؤال يجب أن نعرف هل التاريخ علم أم أدب ؟

التاريخ علم أم أدب ؟

للعلم المجرد نتائج دقيقة وله أساليب فى غاية الضبط والاحكام . وقد أخضع لنا العلم الطبيعة وسخر قواها وزاد فى رخائنا ومد فى أعمارنا وطوى مسافة الزمان والمكان . وليس هكذا التاريخ ، فان علم الآثار الذى استخدم الطريقة العلمية فى إعادة الماضى الى الحياة لم يزد فى قوتنا المادية ولا أضاف الى متعنا طريفاً يشتهى . ولما كشف السير « أرثر إيفانز » عن حضارة « كريت » البائدة لم يغير نظام المجتمع الاقتصادى ولم يحدث جديداً فى عاداتنا ونسق معيشتنا . كل ما لا كتشافه من قيمة هو أنه وسع مدى تفكيرنا وزاد تصورنا للماضى بهجة ورواء . انه غذى عقولنا وترك أجسامنا تنشد الطعام

فالتاريخ لا يدعى لاكتشافاته ونتائجه ما يدعيه العلم لاكتشافاته من خطر وأهمية عملية ، ولا يمكن أن يدعى لطريقته ما يدعيه العلم لطريقته من دقة وإحكام ووثوق . مثال ذلك : يستطيع الكيمائى فى معمله أن يحلل المركبات الى عناصرها الاولية ، ويعود فيركب من العناصر مواد عديدة ، يفعل ذلك بالضبط والدقة . أما المؤرخ فقصارى ما يستطيعه هو أن يصور لنا ثورة أوعهداً فتجيء الصورة غير كاملة مهما تكن مهارته فى استخدام الطريقة العلمية ، لانه انما يستطيع تمحيص التافه من الحقائق التى تتسبب عنها الثورة أو يتألف منها العهد الذى يدرسه ، اذ التحليل العلمى للثورة الفرنسية يحتاج — فى جملة ما يحتاجه — الى معرفة ما دار من حديث بين ملايين الناس فى غرب أوربا مدة قرون عديدة

فالتاريخ علم من حيث الطريقة التى تجمع بها مادته وتمحص معلوماته وحقائقه ، وفيما وراء ذلك عندما يأتى دور العرض وتدوين النتائج ، يجد المؤرخ نفسه فى عالم آخر هو عالم الادب

على أن المؤرخ لا يملك من حرية التعبير والعرض ما يملكه الاديب والشاعر ، ذلك لانه مرغم على أن يظل عبداً للحقائق . فالمادة التى يستخدمها فى رواية التاريخ وقص حوادثه يجب ألا يستمدها من خياله كما يفعل الشاعر والاديب ، وانما يستمدها من الحقائق التى يكتشفها بطريقته العلمية

وقلما يتغلغل المؤرخ الى صميم الحوادث وقلوب الابطال والقادة والملوك ، فيقف على كنه البواعث والحركات والنزعات ، اللهم الا فى أحوال نادرة تعتبر من قبيل الشواذ . بخلاف الشاعر أو القصصى ، فانه هو الذى يخلق الشخصيات ويؤلف الرواية ويرتب المواقف ويحبك الحادثة ويجيد سبكها . ومن أجل ذلك ترانا نفهم «هملت» و «دون كيشوت» و «ترتوف» أكثر مما نفهم «صلاح الدين» و «تيمور لنك» و «نابليون» لا لشيء سوى أن مصادر التاريخ ناقصة وما عندنا من مواده لا يكفى لتصوير شخصية حية لأى واحد من هؤلاء الابطال الثلاثة

ثم هناك فارق آخر يخرج التاريخ من دائرة الادب ، هو ان المؤرخ يعجز عن صوغ التاريخ فى أشكال مستوفية شروط الفن كما هو الحال فى القصص والروايات الادبية

والآن لكى نرسم صورة صادقة لأى عصر طواه الماضى فى سجلاته لا غناء عن استخدام الطريقة العلمية فى جمع الحقائق التاريخية وتمحيصها ، وبعد ذلك نستوحى الفن الادبى فى ابداع الصورة وتجميلها بالظلال والالوان ونفخ الحياة فيها . ذلك لان الماضى لا يمكن أن يحيى بالاحصائيات والارقام والحقائق الميتة . لقد كان الماضى نابضا بالحياة زاخراً بالحركة والنشاط ، ومن حقه علينا أن نعيده الى الحياة كما كان . من أجل ذلك كان التاريخ من أصعب فروع المعرفة ، لانه يستلزم الجمع بين الطريقتين : العلمية والأدبية . ولم تظفر الانسانية بمؤرخ يجمع بين هاتين الطريقتين على ما يشتهى المثل الاعلى ، وما زلنا فى انتظار المؤرخ الكامل

كيف يجب ان يكتب التاريخ ؟

ان تاريخ الانسانية أكبر من أن يستوعبه عقل فرد . ومن أجل ذلك وبالنسبة لاختلاف المواهب وتعدد وجهات النظر ، ذهب المؤرخون مذاهب شتى فى تفسير التاريخ . فناس انقطعوا لتاريخ العلم ، وغيرهم تخصصوا فى تاريخ الادب ، وآخرون عكفوا على دراسة الشرائع ، وهكذا حتى لقد صار لكل علم وفن تاريخه الخاص به . فأما الذين فضلوا أن يكتبوا تاريخ عصور برمتها فقد مال بعضهم إلى تغليب العامل الاقتصادى وجعلوه أساسا للحوادث والتطورات وأرجعوا اليه اسباب الثورات والانقلابات . وزعم بعضهم أن التفسير الروحانى للتاريخ أصدق وأدنى إلى الصواب . وخالفهم جماعة من الكتاب ــ مثل كارليل ــ فقالوا بأن عظماء الرجال هم المحور الذى يدور حوله التاريخ والباعث الذى ينفخ الشعوب بالهمة والعزم وبالقوة التى توجهها الى حيث أرادت من الاغراض والغايات

☆☆☆

وبودنا هنا أن نشير بنوع خاص إلى نزعة عدلت بالتاريخ عن طريقه إلى القلوب والألباب ، ونعنى بها الافتتان بالتعميات والنظريات وصنوف التحليل والاستنتاجات

مثال ذلك قول السير فلندرز بترى : « ان جميع المدنيات المعروفة لنا جرت فى تطورها على وتيرة واحدة . فأولا ــ يغير شعب قوى على آخر ضعيف ويسيطر عليه وعلى شؤونه ، ثم يمتزج الأقوياء المغيرون بالضعفاء المغلوبين من الأهالى ، وبعد انقضاء قرون تزدهر عقلية هذا الشعب المشترك فيبدع المبانى الجميلة ، ثم يجيد صنع التماثيل ، ثم يرسم الصور البديعة ، ثم ينبغ فى الآداب الرفيعة ، ثم يبتكر الآلات الميكانيكية (بقطع النظر عن القوة التى تديرها) ثم يصيب الشعب ثروة جليلة فيعم الرخاء ، ومتى عم الرخاء دبت عوامل الفساد وظهرت علامات الانحطاط والاعلال ، واذ ذاك يملك البلاد شعب جديد يفتحها عنوة واقتداراً »

هــذا مثل من أمثلة التعميات ، وهو حسن لكن من شأن التعميات أن تفقد التاريخ صفته الانسانية وتجرده من عناصره الحية ومواقفه الفاتنة ، بفواجعها ومسراتها على حد سواء . نعم إن التاريخ اذا اشتمل على التعميات ليس غير ، فأحر به أن يفقد قيمته الحقيقية وهي تمكيننا من أن نتصور كيف كان آباؤنا يعيشون وكيف كانت حياتهم

والطريقة المثلى لكتابة التاريخ هي أن ننظر إلى الموضوع من جميع نواحيه وندرسه من جهاته المتعددة ، مع المحافظة على التوازن والاتساق وتجنب التعسف واطراح الهوى والتعصب ، على شرط أن تبرز الحوادث ويحيي الاشخاص من بين السطور . ثم لا بأس من دس التعميات هنــا وهناك بأسلوب يسيغه القارىء العادى ، فان التاريخ اذا لم ينزل إلى مستوى الجماهير المثقفة قل الانتفاع به وانحصرت فائدته المرجوة فى دائرة ضيقة لا تتعدى بعض العلماء والمفكرين

خدمات التاريخ الحديث واغراضه

أولى الخدمات التى أداها التاريخ الحديث للمعرفة الانسانية هى تفسير الآداب والفنون ، أو بعبارة أصح — ان التاريخ قد أصبحت دراسته ضرورية لفهم الآداب والفنون والتأثر بها من الاعماق . مثال ذلك اننا لا نفهم أشعار المتنبي ما لم ندرس حالة الدولة العباسية فى عهد انحطاطها وتفكك أوصالها ، ونفقه سيرة بنى حمدان ، ووثوب كافور الاخشيدى على عرش مصر واستئثاره بالسلطة ونهوض الفاطميين فى غرب أفريقيا ، وما استتبع تقسيم الامبراطورية العربية إلى إمارات وممالك يظفر بها القوى القادر ، ثم ما فشى فى هذا العصر من سفالات وفضائح وما نكبت به الحياة الاجتماعية من اختلال وفساد . ومثل ذلك ينطبق على مخلفات الأدباء ورجال الفن فى كل زمان ومكان . . .

يلى هذا إنعاش التاريخ للديموقراطيـة والحياة النيابية بدراسة تاريخ الاغريق والرومان . وحركة الاصلاح الدينية يرجع بعض الباعث فيها الى تاريخ حرية الفكر . والوطنيات التى نضجت وقضت على نظام الاقطاع والعبودية للاشراف استمدت عناصر قوتها من التاريخ ودراسته . كذلك يرجع بعض الفضل فى إلغاء الرق الى التاريخ الحديث ، اذ أظهر بما لا يحتمل الشك ان حضارة الاغريق نهضت على أكتاف العبيد وبسببهم انهارت ، فقد لا يجهل القراء أن أهل أثينا كانوا يصطنعون العبيد فى القيام بالاعمال بينما انصرفوا هم الى الشعر والفلسفة والعلم . والامم لا تعيش بالنظريات والافكار المجردة

ليس للتاريخ قيمة نفعية . وليس فى المستطاع ان نستخلص من الماضى قوانين سياسية واجتماعية واقتصادية نطبقها على الحاضر كما يطبق الميكانيكيون قانون الجاذبية وكما يطبق علماء الطبيعة قوانين الحرارة والمغناطيسية . ولا ينفعنا التاريخ فى التكهن بالمستقبل والتنبؤ بمـا قد يقع فيه من احداث وتقلبات ، كما هو الشأن فى عالم الجو والفلك . ذلك لأن أساليب الانسان مثل نفسه معقدة ومتباينة بحيث لا يمكن اخضاعها لقواعد وقوانين ثابتة لا تخطىء ...!!

ان فائدة التاريخ فى الغالب لا تعدو رياضتنا على العطف والمرثية لمصير الانسان وتلطيف طبائعنا وتهذيبها وتوسيع خيالنا وتدريب عقولنا على الفهم الصحيح . ومرد ذلك الى أن الحـكمة لا تستفاد بالقواعد والقوانين ، وانما تستفاد الحكمة وتحصل الموعظة بالتجربة . والتاريخ يضيف الى تجاربنا ما خبره الغابرون وبلوه فى حياتهم من خير وشر وبؤس ونعيم

بالاختصار إن التاريخ يصدع حواجز الزمن ، وبذلك يطيل فى أعمارنا لاننا نعيش دهوراً مديدة باستيعابنا سيرة الانســانية . ومن أجل ذلك كان التاريخ ومازال من المواد الاساسية فى برامج التعليم . ومن أجل ذلك كان التاريخ أروج ضروب المعرفة وأجداها على بنى الانسان ،

احمد خيري سعيد

شاهدان أثريان

من عهد الدولة الايوبية

في اواخر شهر يونيه سنة ١٩٣٣ ورد لدار الآثار العربية عمودان من الرخام عثر عليهما في جهة (خرطة التونسي) وهي خطة جديدة واقعة بين الامام الشافعي وجبل المقطم، كانت تشغل جزءاً من القرافة الكبرى، ومنذ ربع قرن شرع الاهالي يشيدون عليها بعض مساكن صغيرة . وبينما احد الملاك يقيم منزلا اذ عثر العمال اثناء حفر الاساس على عمودين من الرخام فعلم البوليس بوجودهما فصادرهما واخطر دار الآثار العربية التي تسلمتهما وحفظتهما ضمن مجموعتها

العمود الاول

وشكل العمود الاول اسطواني ارتفاعه متران وعشرون سنتيمتراً وقطره ثلاثون سنتيمتراً ، منقوش على احد وجهيه ثلاثة عشر سطراً بالخط النسخ الايوبي البارز نصها : —

(١) بسم الله الرحمن الرحيم (٢) كل من عليها فان ويبقا (كذا) (٣) وجه ربك ذو الجلال (٤) والاكرام . هذا قبر (٥) المعتز بشبابه الموخوذ (كذا) (٦) من بين اهله واترابه الحسن (٧) الصورة الحسن السيرة (٨) الحسن السريرة الامير الأجل (٩) زين الدين ابن الامير المجاهد المرابط (١٠) الحاج الى بيت الله حسام الدين (١١) الحاجب لؤلؤ .

شاهد عبد الوهاب بن عبد الكريم الدمشقي مؤرخ سنة ٦٠٦ هـ ، وهو افراد الجزء الاسطواني الذي به النص

توفي يوم الاحد (١٢) ثالث عشر صفر سنة ثمان وتسعين (١٣) وخمس مائة رحمه الله ورحم من ترحم عليه

ومنقوش على الوجه الآخر سطر بالخط الكوفي المشجر البارز نصه : « الدائم الباقي الله » تحته صورة مشكاة معلقة في وسط عقد اسفلها سطر آخر بالخط الكوفي المشجر البارز ايضاً نصه : « الملك لله »

العمود الثاني

اسطواني الشكل ايضا ارتفاعه متر وثمانون سنتيمتراً وقطره عشرون سنتيمتراً ينتهي من اسفل بقاعدة هي والعمود قطعة واحدة ، منقوش على احد وجهيه سبعة عشر سطراً بالخط النسخ الايوبي البارز نصها : —

(١) بسم الله الرحمن الرحيم (٢) لله العزة والبقاء وله (٣) ما ذرا وبرا وعلى خلقه (٤) كتب الفناء وفي رسول (٥) الله أسوة وعزاء . فمن كان (٦) يرجوا (كذا) لقاء ربه فليعمل (٧) عملا صالحاً ولا يشرك (٨) بعبادة ربه احدا . هذا (٩) قبر الفقير الى رحمة ربه (١٠) الزكي عبدالوهاب (١١) ابن عبد الكريم بن محمد (١٢) بن الشحيون (؟) الدمشقي (١٣) توفي ثالث ربيع الآخر (١٤) سنة ست وستمائة (١٥) رحم الله من قرأه (١٦) ودعا له بالرحمة (١٧) والمغفرة ولجميع المسلمين

ونقش على الوجه الآخر سطران بالخط الكوفي البارز نصهما : « ١ — نعم السكن ٢ — لمن احسن » تحتهما مشكاة بالحفر اسفلها بالخط النسخ الايوبي حفرا ايضاً آية « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »

فتاريخ العمود الاول هو سنة ٥٩٨ هـ وتاريخ العمود الثاني سنة ٦٠٦ هـ فهما من عهد الدولة الايوبية وكانا مستعملين كشاهدين لقبرين



الوجه الآخر من شاهد عبد الوهاب بن عبد الكريم الدمشقي وهو انفراد الجزء الاسطواني الذي به الزخارف

شواهد القبور

لم تكن شواهد القبور في القرون الاولى من الهجرة النبوية على شكل اعمدة بل كانت تتخذ من الواح مستطيلة من الرخام او الحجر الرملي . واغلب الشواهد التي من الرخام اصلها من قرافة عين الصيرة في الجهة القبلية لمدينة القاهرة . اما الأخرى التي من الحجر الرملي فهي من اسوان وبعض بلدان الوجه القبلي . وقرافتا عين الصيرة واسوان هما اقدم القرافات الاسلامية في مصر . ويوجد من هذه الألواح بدار الآثار العربية نحو اربعة آلاف شاهد منها اقدم اثر اسلامي (١) مؤرخ سنة ٣١ هـ وثاني اثر اسلامي (٢) مؤرخ سنة ٧١ هـ . ومنها اربعون شاهداً من الربع الاخير من القرن الثاني الهجري تواريخها ما بين سنة ١٧٤ هـ وسنة ٢٠٠ هـ . وابتداء من سنة ٢٠١ هـ الى آخر الدولة الفاطمية (٥٦٧ هـ) يوجد في مجموعة الدار من كل سنة على التوالي شاهد او اكثر فهي مجموعة قيمة ندرس فيها الآن الخط الكوفي وكيف تدرج

كل هذه الشواهد كما قلنا من الالواح المستطيلة ، ولكن في اواخر الدولة الفاطمية بدأوا يصنعونها على شكل اعمدة من الرخام وينقشون عليها الكتابة اما حفراً وإما بارزة . واقدم شاهد اسطواني الشكل في مجموعة دار الآثار العربية مؤرخ سنة ٥٠٩ هجرية باسم (احمد بن علي بن حسن الهواري) واصله من بعض قرافات الاسكندرية

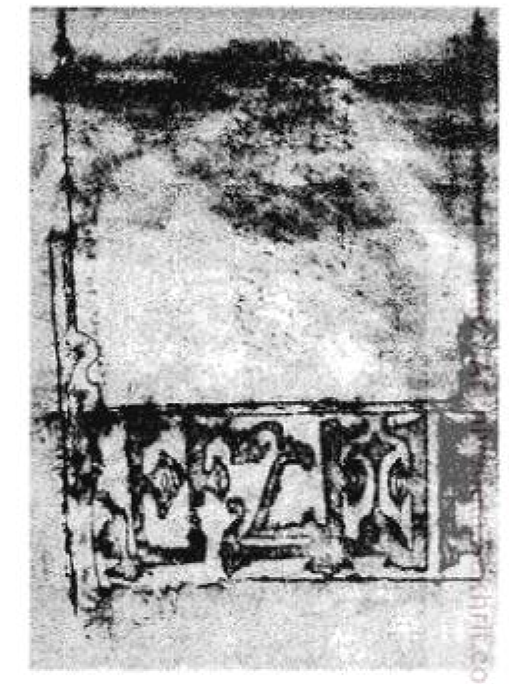
وكثر استعمال الاعمدة كشواهد للقبور في الدولة الفاطمية وفي عهد الدولة الايوبية وما بعدها من دولتي المماليك البحرية والشراكسة . واول شاهد بدار الآثار العربية اسطواني الشكل من عهد الدولة الايوبية مؤرخ سنة ٥٧٥ هـ للشابين العزيزين والعروس اولاد علي العلاقة . وكانوا يكسرون العمود من اعلاه كسراً غير منتظم الشكل اذا كان لشاب او لشابة

وبالرغم من كثرة استعمال الاعمدة كشواهد في عهد الدولة الايوبية فان اتخاذها من الالواح المستطيلة لم يترك نهائياً بل كثيراً ما كانوا يتخذونها من الحجر البركاني الاسود . وبدار الآثار العربية عدة شواهد من هذه المادة ، منها شاهد مؤرخ سنة ٥٦٧ هـ وهو أقدم أثر مكتوب بالقلم النسخ الايوبي ، وفضلا عما في هذا الشاهد من الفائدة التاريخية لفن الخطوط القديمة فان له أهمية كبرى لما حواه من ألقاب التفخيم ، مثال ذلك تلقيب صاحب القبر بلقب السلطان مع أنه لم يرد له ذكر في التاريخ ، ووصفه (بالاجل بهاء الدين عز الاسلام والمسلمين جمال السلاطين محي العدل في العالمين) ونحو ذلك

(١) انظر هلال اغسطس سنة ١٩٣٠ ص ١١٧٩ — ١١٩١

(٢) انظر هلال ابريل سنة ١٩٣٢ ص ٨٥٧ — ٨٦١

شاهد زين الدين بن حسام الدين لؤلؤ مؤرخ سنة ٥٩٨ هـ.
وصورته مأخوذة عن افراد الجزء الاسطواني الذي به النص



— الوجه الآخر من شاهد زين الدين بن حسام الدين لؤلؤ، وهو افراد الجزء الاسطواني الذي به الزخارف



بحث الشاهد الاول

نرى تقسيم البحث في هذا الشاهد إلى قسمين : أولا البحث الفني ، ثانياً البحث التاريخي

البحث الفني : احتوى هذا الشاهد على نوعين من الكتابة . فبينا كتب النقاش النص التاريخي بالقلم النسخ الايوبي على أحد وجهيه زخرف الوجه الآخر بنقوش بارزة ضمنها كتابة كوفية مشجرة

والكتابة الكوفيـة بلغت شأناً عظيما على عهد الدولة الفاطمية . وعند ما غلبهم الايوبيون لم يقتصر صلاح الدين على محو الشيعة واحياء السنة فقط ، بل غير كثيراً من أساليب الحكم وتعدى ذلك الى الفنون فطبعها بميسم خاص ، وغير الخط الكوفي المشجر الجميل بالخط النسخ الايوبي المستدير الاطراف . وناقش هذا العمود جمع بين الفنين فاستعمل الخط النسخ الايوبي في الكتابة العادية واستعمل الكوفي المشجر عند ما رغب في الزخرفة

وللخط النسخ الايوبي ميزة أخرى ظاهرة بوضوح تام في هـذا الشاهد ، فالالفات واللامات عريضة من أعلى رفيعة من أسفل كما ان الالفات مستديرة من أسفلها لجهة اليسار وهذه من أظهر ميزات الخط النسخ الايوبي

البحث التاريخي : اشتمل هذا الشاهد على عبارات جنائزية وألقاب للتفخيم . والعبارات الجنائزية كانت على شواهد القرون الأولى كلها إشهاد وإثبات على ان الميت مسلم مصدق لما جاء به الدين الجديد من تعاليم ومبادىء ، فكانوا يقولون : هذا ما يشهد به فلان يشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ويشهد ان الجنة حق وان النار حق وان الموت حق وان البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور . أو يقولون : يشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أو ما يماثل ذلك من الآيات والعبارات الملائمة للدعاية للدين الجديد. وعند ما فتحت الامصار وانتشر الدين الاسلامي وظهر تغيرت العبارات الجنائزية وأصبحت تشمل السلوى والعزاء لاقارب الميت والتسليم لقضاء الله ثم تعظيم الميت بالمدح والثناء بألقاب التفخيم سواء كان ذا شخصية بارزة أم لم يرد له ذكر أبداً

وعبارات السلوى والعزاء في هذا الشاهد هي : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » وأول شاهد في مجموعـة دار الآثار العربية ظهرت فيه هذه العبارة مؤرخ سنة ٢٧٩ هـ

وعند ما يكون المتوفى طفلا أو طفلة أو شابا أوشابة ينقشون من العبارات ما يليق بالمقام كأن يقولون في حالة الطفل : « اللهم إن فلاناً توفي طفلا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وشريعة الدين وملة ابرهيم ودين محمد عليه السـلام . اللهم اجعله لوالديه فرطاً ونوراً وكرامة وذخراً واربط

على قلوبهما بالصبر واعظم لهما الثواب والاجر واجمع بينهم في محل رضوانك يا كريم ، وما شابه ذلك

وان كان شابا ذكروا عبارات يفهم منها ذلك كما قيل في الشاهد الذي نحن بصدده حيث كتب النقاش : « هذا قبر المعز بشبابه المأخوذ من بين أهله وأترابه الحسن الصورة الحسن السيرة الحسن السريرة » ومن هذه العبارات يفهم انه توفي شابا . ثم نعته هو ووالده بألقاب فيها تفخيم واجلال وتعظيم فقال : « الامير الاجل زين الدين ابن الامير المجاهد المرابط الحاج الى بيت الله حسام الدين الحاجب لؤلؤ »

والحسن الحظ ان ألقاب التفخيم في هذا الشاهد قيلت في شخص ولو اننا لا نعرف عنه شيئاً يذكر به إلا أن والده لؤلؤاً الحاجب كان ذا شخصية بارزة في التاريخ

فقد ورد ذكر لؤلؤ الحاجب في الخطط للمقريزي وترجمه فقال عنه ما ملخصه : « انه أرمني الاصل تولى الجندية في أواخر الدولة الفاطمية وناصر صلاح الدين وكان كريماً جواداً ذا مركز سام وله أربعة بنات وولدان » فصاحب هذا الشاهد أحد هذين الولدين توفي بعد والده بسنتين لان وفاة والده لؤلؤ الحاجب كانت في سنة ٥٩٦ هـ كما ذكر ذلك المقريزي

ولكن المقريزي يذكر في سياق ترجمة لؤلؤ الحاجب أنه حارب الافرنج في بحر القلزم والحجاز وردهم عن المدينة المنورة في سنة ٥٩٨ هـ . وهذا التاريخ غير صحيح ولا تستقيم معه ترجمة لؤلؤ ولا تاريخ وفاته وفيه تحريف من الناسخين فبدلا من أن يكتبوا ثمان وسبعين وخمسمائة كتبوا ثمان وتسعين وخمسمائة ، وهو خطأ شائع الوقوع لتشابه تسعين وسبعين شكلا واختلافهما نقطاً . وغير معقول أن يحارب لؤلؤ بعد وفاته بسنتين . ومن ناحية أخرى فالمقريزي يقول إن هذه الحرب وقعت في حياة صلاح الدين وصلاح الدين توفي في سنة ٥٨٩ هـ

وقد ورد في ترجمة لؤلؤ غلطتان أخريان إحداهما لا ذنب للمقريزي فيها لانها تحريف من الناسخين أيضاً حيث كتبوا أن الذي حاربه لؤلؤ هو ارباط (بالباء) ملك الكرك وصحته أرناط (بالنون) وهو تحريف للاسم الفرنسي (ريجنالد دي شاتيون Reginalde de Chatillon) وقد حرفه بعض المؤرخين من العرب فكتبوه (رانود) ثم تطور التحريف بعد ذلك إلى ارناط كما ورد في أغلب كتب التاريخ

والغلطة الثانية هي قول المقريزي إن نائب صلاح الدين على مصر أثناء خروج الاسطول الى القلزم وعلى رأسه لؤلؤ الحاجب كان سيف الدولة بن منقذ . ولكن أبو الفداء يقول إن نائبه هو أخوه الملك العادل ابو بكر بن أيوب ، وأبو الفدا من العائلة الايوبية ودون تاريخهم بنفسه فهو أحرى بقول الصدق من المقريزي

بحث الشاهد الثاني

الشاهد الثاني مكتوب ايضا بالقلم النسخ الايوبي ومتجلية فيه ميزات هـذا الخط من سعة في الالفات واللامات من أعلى وضيق من اسفل .واستدارة في الاركان . وعباراته الجنائزية تدل على التقشف والورع كقوله : « لله العزة والبقاء وله ما ذرا وبرا وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله اسوة وعزاء » هذه الجملة وما يتبعها من جمل اخرى كقوله : « الفقير الى رحمة ربه » وكقوله : « رحم الله من قرأه ودعا له بالرحمة » تجعلنا نميل الى نسبة هذا الشاهد الى رجل ورع دين ولو اننا لم نعثر لغاية الآن على ترجمة له في كتب التاريخ ولا ندري هل كانت له شخصية بارزة أم لا

ومما يدعم رأينا اختيار الآيات القرآنية التى نقشت على هذا الشاهد فهي تحث على العمل الصالح وتزهد في الدنيا،ففي غضون النص التاريخي آية « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احداً » وفي الوجه الآخر من الشاهد آية « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » كل هذه الآيات اختيرت بمناسبات خاصة وهذه المناسبات في رأيي متعلقة بالمتوفى نفسه الذى لايبعد ان يكون من الصوفية او الاولياء المتقشفين

حسن محمد الهوارى
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

علامة المانى يجمع أوراق البردي

ان أوراق البردى التى يعثر عليها هى فى الغالب مهلهلة من طول القدم ، فيكون من العسير ـ ان لم يكن من المحال ـ جمعها معا واعادتها وثيقة تقرأ

ولكن فى برلين علامة يدعى الدكتور ايبشر وقف وقته وجهده على هذا العمل ، فهو يجمع قطع البردى القديمة مهما صغرت وبليت ويكون من أجزائها المفردة المبعثرة وثائق تفيد علم الآثار وتفتح امام المؤرخين بابا جديداً للبحث فى تاريخ اجدادنا العظام . ولا يوجد فى العالم كله شخص آخر غير ذلك العلامة توافر على هذا العمل المضنى مثله واتقنه مثل اتقانه

وتراه يتسلم أوراق البردى المفتتة فى صناديق صغيرة من المعدن فيعرف بمجرد النظر اليها أي عهد ترجع اليه . ثم يفرزها تبعاً للونها وقدمها . ولا يلبث حتى يعرف نوع كل وثيقة وكونها مثلا وثيقة قانونية أو تذكرة طبية أو أغنية من أغاني الوفاة أو خطابا خاصا أو غير ذلك . وقد يكفى شكل الورق وحده لان يعلم كل ذلك ويفرق بين كل وثيقة وغيرها . وهو لا يتولى ترجمة الاوراق بنفسه ، ولكن درايته تدله على نوعها ، حتى ليستطيع ان ينبئك بان الورق الذى امامه من عهد الأسر



صورة تذكرة طبية يرجع تاريخها إلى عهد الفراعنة . وقد نجح الدكتور ايبشر في جمع اجزائها المتناثرة واعادتها الى اصلها . ولكن بعض الاجزاء لا تزال مفقودة

المصرية القديمة أو الحديثة نوعاً أو من عهد اليونان أو الرومان أو أن المكتوب فيه كتابة قبطية

والادوات التي يستعملها في عمله الدقيق لا تعدو جهازاً صغيراً لازالة التراب ونظارة مكبرة وملقاطاً ومرآة صغيرة لعكس الكتابة

وهو اذا تذرع بهذه الادوات جلس الساعات الطويلة الى مكتبه وأخذ يمسك ورق البردي قطعة قطعة ويجرب جمع اجزائه بعضها الى بعض ، فلعلها تتفق معاً اذا وضعت الاجزاء هكذا أو وضعت كذلك . وكثيراً ما تنقص منها قطعة فيتعرقل عمله وقد يضيع وقت طويل في البحث عن بداية فقرة جديدة ، وقد تنقضي أيام أو اسابيع في ارجاع ورقة صغيرة الى اصلها . وكأنما يذكر ذلك الرجل دائماً ان العمل الذي يعمله يطوى في نفسه مئات السنين فلا عجب ان يستصغر في شأنه الايام والاسابيع والشهور

ولا يقتصر عمله على اوراق البردي المصرية بل يشمل أيضاً الوثائق الاثرية من كل نوع وجنس. فمن ذلك أنه ذاع منذ سنوات قليلة أنه عثر على وثائق أثرية بخط (ماني) منشيء الديانة المانوية في بلاد العجم ، وقد عاش ذلك الرجل في القرن الثالث قبل الميلاد ونشر في بلاده مذهباً يتضمن تعاليم تشبه من بعض الوجوه تعاليم الديانة المسيحية ، وقد قتل صلباً سنة ٢٧٥ بسبب مذهبه واضطهد اصحابه حتى صاروا يخفون كتبه . والآن عثر في قبر بمدينة (فيوم) على سبعة مجلدات مكتوبة بخط يده وتعد ذات قيمة تاريخية لا تقدر ، أما قيمتها المالية فلا تقل عن عدة آلاف من الجنيهات ، غير ان تلك المجلدات وجدت صفحاتها بالية ممزقة وكأنها مكونة من قشر شجر بال . فلما اريدت قراءتها لم يوجد أحد غير الدكتور ايبشر ليصلح شأنها ويجبر كسرها . فارسلت اليه في مقره بمكتبة برلين ، وصار يأخذ صفحة صفحة ويضعها بين لوحين من الزجاج ويحاول ان يجعل منها صفحات تقرأ وتفهم . وهو في اجتهاده لاصلاح مثل هذه المجلدات لا يستخدم أية مادة كيمياوية ، كما قد يعمد غيره ، لانه يخشى منها أن تفسد الوثائق الاثرية . ولما عرضت عليه مجلدات ماني قدر عشر سنوات لاصلاحها وارجاعها الى اصلها

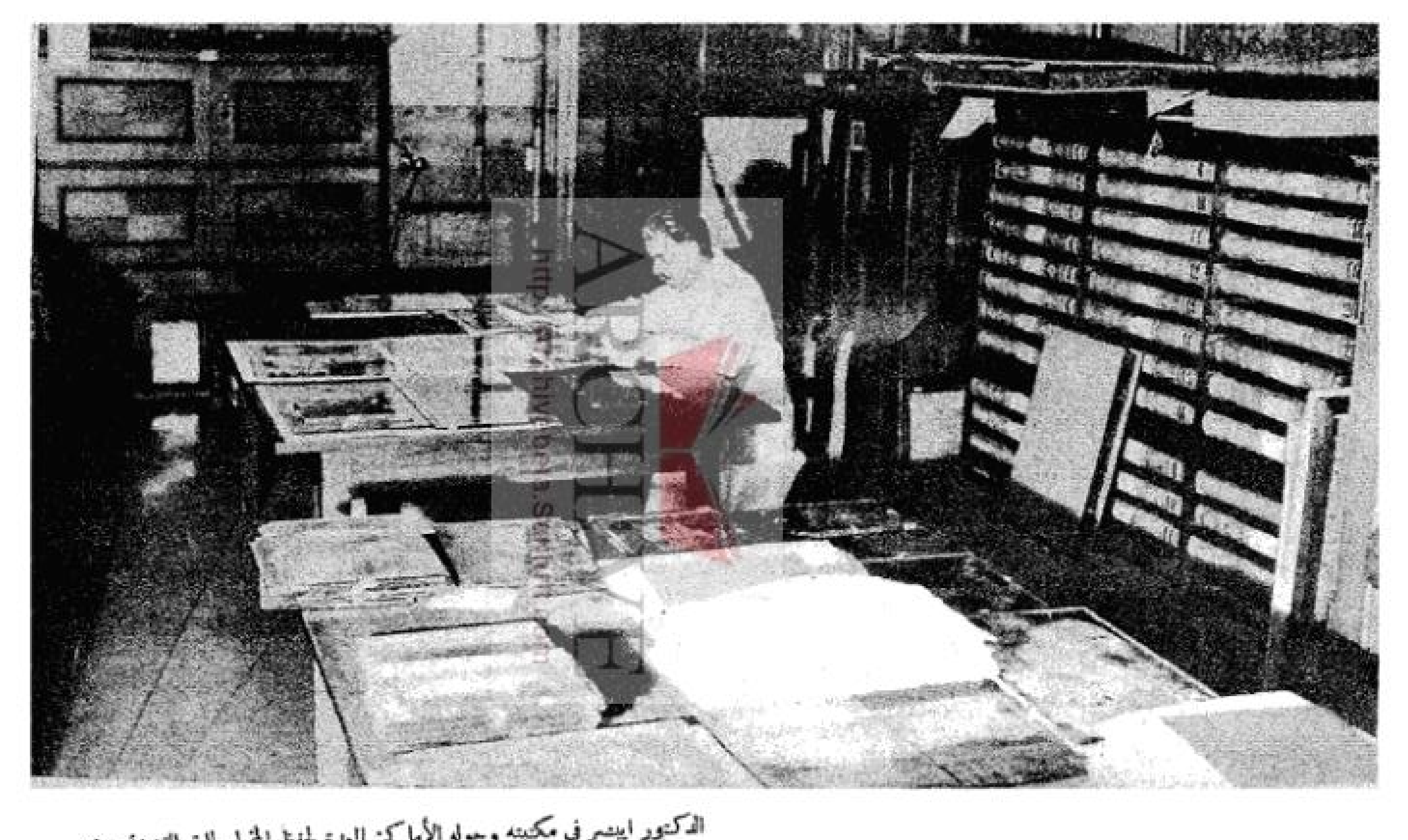
ولا تقتصر فائدة عمله وجهده على مكاتب المانيا ومتاحفها وحدها بل تلجأ اليه المتاحف في جميع البلدان كلما وصل اليها ورق اثري ممزق أو مفتت وصعب عليها الاستفادة منه ما دام على تلك الشاكلة . وقد وصلت الى قداسة البابا بيوس الحادي عشر (وهو مشغوف بالكتب والاطلاع كما يعرف القارىء) هدية من اسبانيا هي عبارة عن وثائق تاريخية عثر عليها في بعض الاديرة الاسبانية القديمة ، وكانت تحتاج الى كثير من الاصلاح حتى يمكن الانتفاع بها ، فلم يجد البابا شخصاً يعهد اليه هذه المهمة سوى الدكتور ايبشر ، وقد أداها على أكمل وجه فانعم عليه البابا بلقب فارس من رتبة القديس غريغوريوس . ولما زار روما ليشكر للبابا هذا الانعام استقبله قداسته وامر بأن يعرض الحرس السويسري أمامه كما لو كان أحد الملوك العظام ، وذلك تقديراً لخدمته العظيمة للعلم وصبره الذي يضرب به المثل في هذه الخدمة



صورة كتاب من البردى فيه كتابة عن ديانة « ماني » وبه نحو ٢٥٠ صفحة وقد أعيد الى أصله بعد
عمل دام عشر سنوات . وعاش ماني قبل الميلاد بنحو ثلثمائة سنة



ان اعادة المخطوطات القديمة الى اصلها عمل شاق يستغرق وقتاً طويلا . فان وضع قطعة صغيرة في مكانها قد يتطلب أسابيع . ولا يكون العمل قد تم الا بعد أن توضع جميع القطع في اماكنها وتراجع بدقة ويرى في هذه الصورة الدكتور ايفشر يشتغل في اعادة احد المخطوطات الى حالته الاصلية



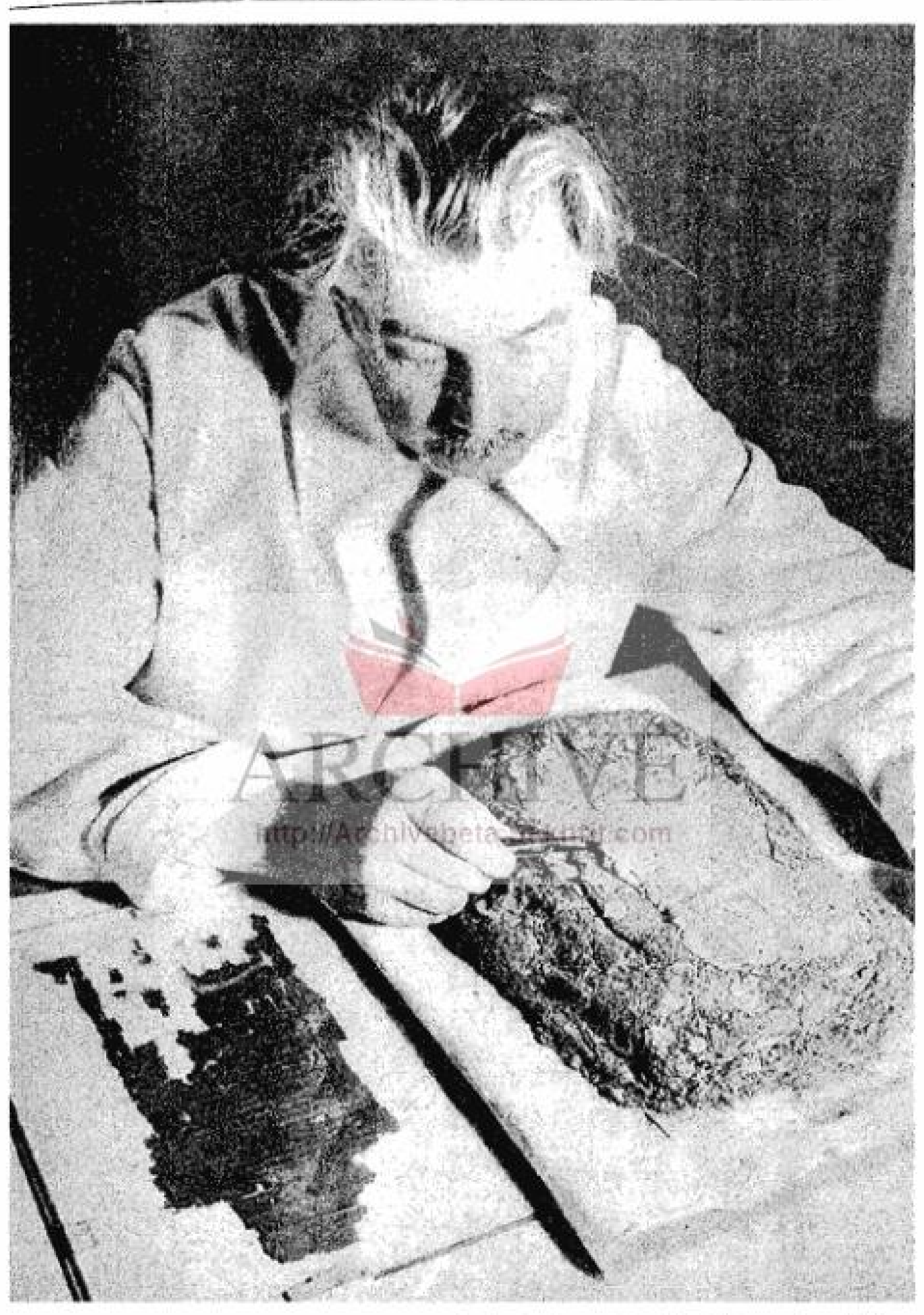
الدكتور ايبشر في مكتبته وحوله الأماكن المعدة لحفظ المخطوطات القديمة بين الواح الزجاج . والدكتور ايبشر يعمل وحده دون أن يساعده احد



كيفية حفظ المخطوطات القديمة وأوراق البردي بين الواح الزجاج في مكتبة الدكتور ايبصر . وقد تمكن الى الآن من اعادة عشرين الف وثيقة خطية الى أصلها



كان المعتاد عند قدماء المصريين ان يلصقوا فوق نعوش موتاهم أوراقا وخطابات وكتب شعر قديمة . وهذه الاوراق والخطابات والكتب تحمل وثائق تاريخية قيمة ، فاذا أريد الوقوف عليها ازيلت طبقة الدهان التي يغطى بها النعش فتظهر من تحتها تلك الوثائق . وترى الدكتور ايبشر في الصورة وهو يحل رموز بعض الوثائق التي يحملها نعش اكتشفت منه القطعة الظاهرة أمام الدكتور ايبشر



الدكتور ايبشر يعالج كتاباً من البردي عثر عليه أخيراً . وهو الذي يحوي وصف ديانة « ماني » الايرانية

من كتاب لم ينشر للمرحوم احمد تيمور باشا

الشيخ حسن الطويل

نشرنا في الجزأين الماضيين من الهلال ثلاث تراجم لثلاثة من نوابغنا الراحلين وهم: الشيخ على الليثي وسلطان باشا وعبد الله نديم أفندي. وقد اخترنا هذه التراجم من بين التراجم التي دونها المرحوم احمد تيمور باشا في كتاب لم ينشر اسماه «تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر» ونحن ننشر في هذا الجزء ترجمة رابعة لأحد أولئك النوابغ (المحرر)

الامام العلامة شيخ الشيوخ واستاذ الأستاذين وأحد من تفرد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول، وأتقن العلوم العديدة مع الزهد الصحيح والورع وعلو النفس والتادب بآداب الشرع والتمسك بالكمالات

وهو حسن الطويل بن احمد الطويل بن علي. ولد بمنية شهالة احدى قرى المنوفية حوالى سنة ١٢٥٠ هـ كما سمعته من تلميذه الخاص الشيخ احمد ابي خطوة. وذكر الشيخ الظافر في كتابه «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» انه ولد سنة ١٢٥٦. وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها، ثم انتقل الى طنطا وهو صغير فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتون بالمسجد الاحمدي نحو سنتين أو ثلاث، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر فقرأ على شيوخ العصر مثل الشيخ محمد عليش المالكي في الفقه والحساب وغيرهما، وعلى الشيخ حسن العدوى الحمزاوي والشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد الأشموني والشيخ محمد الانبابي والشيخ احمد شرف الدين المرصفي، فظهرت عليه النجابة وابتدأ في حضور «السعد». وكان من دأبه في أول أمره مماكسة المشايخ في الدروس بكثرة الأسئلة والمناقشات حتى حدث ما اضطره الى الانقطاع عن الأزهر.

تجنيده بأمر سعيد باشا

وسبب ذلك أن أبناء العمد واقاربهم طلبوا للدخول في الجندية بقانون وضع لذلك أمر به سعيد باشا والي مصر. ولما كان المترجم من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم وجند مع من جند فصار واحداً منهم. الا أنه لم يسلك مسلك اكثرهم في التفريط في الفروض، فكان يواظب على الصلوات والاوراد، وكان الوالي يكره من الجند من يصلي. وحدث أن المترجم جاءه من شيخه الشيخ احمد شرف الدين المرصفي كتاب فيه استغاثة يأمره بتلاوتها عقب كل

صلاة ، رجاء أن تفرج كربه وتخلصه من الجندية ، فوقع الكتاب فى أيديهم وعدوه لذلك مذنباً، وكان عقاب المذنبين عندهم إهمال تعليمهم الفنون العسكرية وتشغيلهم فى السكك الحديدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة ، فكان المترجم يشتغل فى هذه الأعمال بهمة زائدة ، تأديباً لنفسه لأنه ظن أن ماوقع له عقاب على جراءته على مشايخه

وكان سعيد باشا يلقب المطيعين من الجند بالفراعنة والعاصين المذنبين بالنماردة ، فغضب مرة على النماردة وأمر بطردهم من الجيش ، فخرجوا منه وبقوا تابعين له ، وهم الذين كانوا يسمونهم بالعساكر الأمدادية ، وخرج المترجم معهم فأقام ببلدته مدة . وكان قبل ذلك يجتمع بالشيخ خالد أحد مشايخ الطرق فرأى أن يسافر اليه ، فسافر الى بلدته المسماة بالسريرية من أعمال المنية أى منية ابن الخصيب ولزمه فيها بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق

سفره الى القاهرة

ثم طلب الى الجندية مرة ثانية فذهب اليه أبوه ليحضره وأراد الشيخ خالد منعه فلم يرض هو بل عاد مع ابيه الى قريته فوجدهم أهملوا طلبه لحمد الله ، وأراد والده إبقاءه معه فى القرية خوفاً من أن يعود الى الصعيد ، فضاق المترجم بهذا الأمر وخرج من غير علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئاً ، فمشى على قدميه يبيت فى كل بلدة تصادفه حتى وصل القاهرة ودخلها من جهة باب الحديد فاشترى بما كان معه شيئاً أكله وذهب الى الأزهر ، فصادف الشيخ محمداً القارى فلما رأى المترجم أسرع اليه وهش له وأخبره أنه يطلبه من مدة ، ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهراً لا يتكلف شيئاً من عنده ، وكان مراد القارى نظم قصيدة يمدح بها أحد الامراء فنظمها له ، وأخذ القارى عليها أربعين ديناراً جائزة . ولما انقضى الشهر حف الله المترجم بعنايته فطلبه الشيخ حسن العدوى لتصحيح البخارى وكان شرع فى طبعه فانتفع بأجر التصحيح، ثم طلب الى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به ، فقابل هناك احمد عبيد بك رئيس الترجمة وامتحنه فأعجب به وكاد يطير فرحاً وقال عنه هذا جوهرة خفيت عنا واستخدمه فى الحال للتصحيح بهذا الديوان وسعى له فى محو اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه

ثقافة شاملة

وكان المترجم فى هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال به مع القيام بالتصحيح بالديوان ، حتى شهد له شيوخه بالتأهل للتدريس فدرس بالأزهر ، وكان أول درس قرأه فى شوال سنة ١٢٨٣ وابتدأ فيه بالقراءة فى « الأزهرية » . ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالازهر بل بحث ونقب ، واجتمع بالشيخ محمد أكرم الافغانى فتلقى عنه العلوم الحكمية وبرع فيها

وتلقى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي ، ونظر فى الهندسة والجبر والعلوم الرياضية وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر وطالع كتب اللغة والادب ونظم الشعر السهل و كتب الترسل البديع ، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علماً إلا ويسعى اليه ويتلقاه عنه كائناً من كان ، حتى صار نسيج وحده وقريع دهره فى سائر العلوم مع بعد النظر فى السياسة وسعة العقل وسلامة العقيدة وشدة الانكار على البدع والمستحدثات فى الدين

مشاهير تلاميذه

وقد قرأ عليه فى الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين . فكان الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة والشيخ محمد عبده والسيد احمد الشريف وابراهيم بك اللقانى والشيخ محمد راضى البوليني ممن قرأ عليه فى الطبقة الاولى من تلاميذه . ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فودة والشيخ محمد الغريني والشيخ عبد الرحمن قراعة . وقرأ عليه أيضاً الشيخ محمد بخيت والشيخ داغر والشيخ محمد المغربي والشيخ احمد الزرقاني وغيرهم ممن لا يحصون

واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة والشيخ راضى البوليني والشيخ عبد الرحمن فودة والشيخ عبد الرحمن قراعة ، فكانوا يقرأون عليه فى داره دروساً غير الدروس الأزهرية وصحبوه ولازموه فانتفعوا به فى دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه

ثم نقل إلى وزارة المعارف وعين للتفتيش فيها . ولما مات الشيخ زين المرصفى مفتشها الأول سنة ١٣٠٠ وأقيم بدله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثانى جعل المترجم مفتشاً ، ثم نقل مدرساً بمدرسة دار العلوم ، فعم الانتفاع به وتخرج عليه أحسن من نراهم الآن من الاساتذة المتخرجين فى هذه المدرسة كالشيخ الفاضل حسن منصور والشيخ محمد المهدى والشيخ محمد الخضرى والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من أفاضل الوقت

وفاته

وبقى فى هذه المدرسة الى سنة ١٣١٧ ، وكانوا شرعوا فى الامتحان قبل الاجازة المدرسية كالعادة . فلما كانت ليلة السبت ١٧ صفر سهر كعادته ثم ذهب لداره معافى ليس به شىء واستيقظ فتوضأ وصلى الصبح ثم طلب الافطار والقهوة ، وأخذته غفوة كان فيها القضاء المحتوم ، فلم تشرق شمس ذلك اليوم إلا والنعاة ينعونه والمؤذنون يؤذنون على المآذن كالعادة فى موت كبار العلماء ، وأم داره شيخ الازهر الشيخ عبد الرحمن الشربينى والشيخ محمد عبده المفتى وجميع العلماء والفضلاء وكبار نظارة المعارف وتلاميذه من الازهر ودار العلوم ، وشيعت جنازته تشييعاً سنياً فصلوا عليه فى الازهر ودفنوه بمقابر المجاورين . رحمه الله وغفر له عدد حسناته

ومن غريب المصادفات انه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة فجلسنا فى صحن الدار نلعب الشطرنج وكان مولعاً به مع قلة اجادته فيه . فقال لى عند ما أراد الذهاب : «نحن الآن فى الامتحان وقد قربت الاجازة وصدرى ضيق فى هذه الايام من الناس ونفسى تجنح للعزلة، فهل تعرف لى مكاناً أقضى فيه بعض أيام بعيداً منهم ؟ » فقلت : « ياسيدى اذا انتهى الامتحان فالاوفق أن نسافر معاً إلى ضيعتنا التى بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرأه » فقال : « نعم الرأى هذا وسأستصحب معى ولدى حسناً ليشترك معنا فى القراءة » ثم لم يمض يومان حتى نقله الله الى جواره، ويسر له العزلة ولكن فى دار قراره ، فأصبت فيه بمصيبة لم أصبها فى بعيد ولا قريب لما كان له على من الفضل، ولو لم يكن له على سوى تصحيح العقيدة وتأديبى بآداب الحنيفية السمحة لكفى

ارشاده للعقائد الصحيحة

اما سبب اجتماعى به وقراءتى عليه فانى كنت خرجت من المدارس بعد تلقى مايتلقى بها من العلوم المعروفة وانا فى سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شىء من آثار التربية بهذه المدارس. إلا انى كنت مولعاً من الصغر بالاسلام ومحاسنه والمطالعة فى السيرة النبوية ومناقب الاصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدرى لأشياء وينقبض من أشياء تعرض لى فيها شبهات ، ثم كنت أعرض مايظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ماعليه الناس من البدع والمحدثات التى تمسكوا بها وجعلوها من الاصول الدينية ، فأجد التناقض والتصادم ، فصرت أتردد على كثير من كبار علماء الازهر وغيرهم لعلى أجد عندهم مفرجاً ، فأراهم احرص من العامة على هذه الخزعبلات، حتى كدت أحكم بأنها من الدين وان الأمر دائر بين شيئين : فاما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة ، واما ان يكون ماتراه حقاً ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل فى النفس، حتى أرشدنى بعض الاصحاب للترجم فأخذت فى السؤال عنه من أهل العلم فكانوا ينفروننى منه، حتى بالغ بعضهم - عامله الله بما يستحق - ورماه بالزندقة . فقلت : « اذا كنت لم أجد طلبتى عند من يسمونهم بالصلاح والورع فلعلى أصيبها عند الزنادقة » ثم سعيت فى الاجتماع به وسألته القراءة عليه والاهتداء بهديه . فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق وأعدت عليه الصرف بتوسع وعلوم البلاغة ، ثم قرأت طرفاً من الحكمة فى شرح الدوانى على « هياكل النور » للسهروردى وشرح رسالة «الزوراء» وغير ذلك . ولما رآنى مجداً فى التحصيل قرر لى درساً ثانياً بعد العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها . وانا فى كل هذه المدة استوضح منه ماأشكل على فيحله لى فكان اجتماعى به ومصاحبتى إياه من أكبر نعم الله على فى دينى . وكثيراً ما كان يغضب منى ويؤنبنى اذا رأى منى تهاوناً فى الصلاة

وكان من عادته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحاً للنفس ، فكان يذهب الى الاميرية من ضواحي القاهرة عند تلميذه الشيخ عبدالرحمن فوده فيقضى عنده الخميس والجمعة ويعود يوم السبت . فلما عرفته صار يذهب للاميرية بعض الأخمسة ويسافر فى بعضها إلى ضيعتنا التى بقويسنا أو الى حلوان حينما نسكن بها شتاء ، فكنت اقضى معه هذين اليومين فى مطالعة واشتغال ، حتى فى حالة المشى والتنزه كنت احمل الكتاب معى وأقرؤه عليه فيقرر لى المسائل ونحن سائران

عقيدته ومذهبه

وكان رحمه الله سنى العقيدة صوفى المشرب لايحيد عن الشرع قيد أصبع آخذاً بمذهب الامام ابن تيمية فى مسألة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى منكراً على المبتدعة أشد إنكار ، آية من آيات الله فى معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين ، متضلعاً من الحديث متحصنا بالشريعة فى كل علم يقرأه من كلام أو حكمة أو تصوف أو رياضيات أو طبيعيات . وخص باستحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى الاستشهاد بها على حل المشكلات الدينية ، فكان أمره فى ذلك عجباً وشأنه فيه مستغرباً ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

ومع انحراف علماء الأزهر عنه لانكاره عليهم بدعهم وما درجوا عليه فانهم كانوا مقرين بفضله . وكثيراً ما كانوا يحتاجون اليه فى معرفة أسرار الشريعة وحل مشكلاتها والرد على الطاعنين عليها من ارباب النحل الأخرى والمرتدين

أخلاقه ومناقبه

أما أخلاقه فزهد غريب وعلو نفس عن الدنايا وبعد عن الرياء وتواضع مع كل انسان وسذاجة فى المطعم والملبس والمسكن ، لاينفق على نفسه من راتبه إلا القليل ويتصدق بالباقى فى الخفاء . فلما مات قام الصراخ فى دور كثيرة يسكنها فقراء وأرامل كان يعولهم فى كل شهر بما فضل من نفقته . وما علم به أحد حتى أقرب الناس اليه واخصهم به إلا بعد موته

وكان كثير الاشتغال بأمور المسلمين دائم الهموم لما أصابهم من التأخر فى مشارق الأرض ومغاربها ، منتظراً فرجاً يأتيهم ولطفاً من الله يخصهم ، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين تقوى على جمع شملهم . ولذلك لما قام المهدى بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة واستولى على البلاد السودانية أحسن المترجم فيه الظن وقام بنصرته بقلبه ولسانه ، حتى اضطر الانجليز أن يسيروا وراءه عيناً يخبرهم بحركاته وسكناته . وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه لولا ان سلمه الله

ولمداومة اشتغاله بالقراءة وتربية النفوس لم يؤلف تأليفاً ، غير ان نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس جمع ما يلقيه من الدروس ، وكان يدرس التفسير بمدرسة دار العلوم ، شرع فى جمع ذلك فى كتاب سماه « عنوان البيان » لم يطبع منه غير المقدمة سنة ١٣١٦ أى قبل وفاته بسنة

١٣ عاماً في مدارس مصر

نال الكاتب شهادة الحقوق منذ بضعة اشهر بعد أن قضى في السلك المدرسي ١٣ سنة . وقد كتب هذا المقال على اثر انتهائه من الدراسة وسرد فيه جانباً من اختباراته الطريفة وملاحظاته القيمة السديدة

ثلاثة عشر عاما طويلة ، انقضت فيها تنقضى فيه حياة التلاميذ والطلاب ، من عبث برىء موصول بجد ونصب ، الى امتحانات مرهقة متعبة ، وترقب لثمرة العمل يورث الانسان الضيق والقلق

ثلاثة عشر عاما ، يقضيها الانسان فى أطواره الدراسية المختلفة وهو لا يحس بمسئوليته فى الحياة ، فيمضى ضاحكا متفائلا ، ولكنها على الرغم من ذلك أخطر أدوار حياته جميعاً ، اذ بها يكاد يتقرر مصيره ويتكيف مستقبله ، وفيها يحمل الاسلحة للصراع الذى ينتظره ، ويتزود بالزاد الذى يعتمد عليه فى الرحلة التى سيقطعها ، فمن انتقى سلاحه فأحسن الاختيار ومن عرف كيف يتزود ويتسلح ثبتت قدمه واتضح له سبيل الفوز . فكيف قضينا نحن هذه الاعوام الطويلة ؟ وهل كان فى الامكان أن نجد الأسلحة الماضية فى خلال هذه السنين ؟ وهل استطعنا أن نتزود بالزاد الذى يناسب طول الطريق الذى نقطعه ؟

يحلو للذين يكتبون عن المدارس المصرية وبرامجها ونظم التعليم فيها أن يعمدوا الى النظريات الحديثة فى التربية والتعليم ، ويحلو لهم أن يشيروا الى البرامج الاوربية والامريكية ، وأن يفاضلوا بين الانظمة اللاتينية النظرية والانظمة الانجلوسكسونية العملية . على أن هناك مبادىء عامة لسنا فى حاجة الى النظريات ولا الى أقوال الخبراء وآراء الاخصائيين لندركها ونعرف كيف أنها مهملة فى مصر ، وان اهمالها هو السبب الاول فى اختلال الانظمة التعليمية فى مصر وفى قصورها وعقمها

قد نستطيع أن نقتبس عن أحدث البرامج ، وقد نستطيع أن نقلد خير الامم فى التربية والتعليم ، ولكن يبقى الاقتباس والتقليد ولا ثمرة لهما ، ما دمنا لا نعرف ان ما ينقصنا هو « الروح » وليس الهيكل ، وان الهيكل مهما كان قوياً ومتينا ، فيبقى « هيكلا » لا أكثر ولا أقل مادامت الروح التى تدب فيه هى روح ضعيفة أو لا تتناسب وقوته !

فاليك اذن مقالا بعيداً عن النظريات — مقالا لا يتحدث عن الهيكل وانما يتحدث عن الروح — مقالا لا يذكر لك عدد الحصص وكثرة المواد ، وانما يجيب عن الاسئلة التى قدمتها لك من قبل : يتلقى الطلبة والتلاميذ المصريون دروساً فى التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية . . الخ . كما يتلقى

اخوانهم فى فرنسا وانجلترا وتركيا مثل هذه الدروس . لكن العجيب أننا نتلقى هذه الدروس فى مصر وكأننا فى غير مصر ! . فان لمصر تاريخا حافلا بالعجائب ، ولمصر مركز جغرافى لا يكاد يناظره مركز آخر فى الدنيا ، اذ حسبك أن تعلم انك لو رسمت دائرة حول العالم وأردت أن تجد لهذه الدائرة مركزاً ، لكنت تجد القاهرة هذا المركز ! . ومرت فى مصر احداث ، وظهرت فيها شخصيات ، وأصابتها محن . ونحن نرجو أن نحقق مثلا عليا فى السياسة والاقتصاد والعلم . فما صدى كل هذا فى الدروس التى تلقى فى مدارس مصر ؟

يمر الاستاذ بمصر مروراً سريعاً ، فاذا تكلم عن حضارة الفراعنة وعن حوادثهم وملوكهم ذكر لك ما يحتمه عليه الواجب ، ولم تحس فيما يقول هذا الاعجاب بهؤلاء الذين أوجدوا للعالم أول حضارة ، ولست تشعر اذ يشرح بناء الاهرام انه فخور بأنه ابن هؤلاء الذين أدهشوا الدنيا بأسرارهم فى الكيمياء وفى البناء وفى الفن وفى كل نواحى الحياة . فاذا قرأت الكتب التى بين أيدى الطلبة وجدتها لا تعوض هذا الاهمال ، فهى تفرد لنابليون الصفحات الطوال وتتحدث عن عبقريته وقوته الحربية وكأنه ابن مصر العزيز ، فاذا جاء ذكر بطل من أبطالنا سردت الحقائق الهامة فى حياته وكأنما تتناول عنصراً من عناصر المادة تتكلم عنه بجفاف وتشرحه بايجاز ثم لا تزيد .

وأثر هذا يبدو فى حياتنا اذ نفرغ من الدراسة ، فنحن لا نحب أبطالنا بقدر ما نحب أبطال سوانا ، ولا نحب أن نعرف هؤلاء الابطال ، ولا نزين حجراتنا ودورنا بصورهم بقدر ما تجد فى حوانيت الكثيرين من أصحاب المهن الصغيرة ، صوراً لابطال أوربا يعلقونها . وبعضهم يعرف أصحابها وينطق بأسمائهم نطقاً ملتوياً معوجاً يثير الضحك ، وبعضهم لا يعرف هذه الاسماء ولكنه يعلق الصورة على أنها صورة . فنحن ندرس التاريخ المصرى لا بروح مصرية ولكن بروح سلبية لان الكتب نقلت عن اللغات الاجنبية نقلا فلم يستطع كاتبها أو ناقلها أن يدخل اليها روحه ويشيع فيها احساسه

علمونا ان مصر فقدت استقلالها منذ عهد الفراعنة وأن المحتلين توالوا عليها . وقد يبدو هذا القول صحيحا لاول وهلة ، ولكنه عند التحقيق والتمحيص يظهر زيفه ويكشف باطله . فالذين أتوا الى مصر هضمتهم مصر واحالتهم مصريين روحاً ولغة ، فالبطالسة كانوا يعيشون عيشة مصرية ، ونقلوا عنا أكثر مما نقلنا عنهم وقلدونا أكثر مما قلدناهم ، ولم يكن من حكام مصر فى عهدهم الا الملوك . وماذا يضير مصر أن يكون ملكها أجنبياً وانجلترا يجلس على عرشها ألمانى والسويد يحكمها برنادوت الضابط الفرنسى ؟

مثل هذه الروح القومية يجب أن تسرى فى الدروس التاريخية . وليس هذا اعتداء على التاريخ ولا قلباً للحقائق بل ان ذلك فهم للحقائق بروح مصرية . ويجب ان يكون العلم فى خدمة مصر

وفى خدمة بنيها . ويجب أن تكون الدروس التى تلقى حافزاً لاثارة الروح المعنوية . ولم تستطع الامم القوية أن تقوى وتتقدم الا بالاتجاه الى المدارس والكتب المدرسية ، لتشيع فى الطلاب والتلاميذ الروح التى تزيد اعتدادهم بأنفسهم ، واعتزازهم بوطنهم ، وتقوى أملهم فى الحياة ، وتفهمهم أنهم سادة الدنيا

ففى تركيا الحديثة مثلا يدرس التاريخ كما كان يدرس من قبل هذه الجمهورية ، ولكن الامبراطورية العثمانية القديمة كانت ترى فى محمد الفاتح أعز أبطالها لانه فتح القسطنطينية وانتزعها من الدولة البيزنطية ونشر راية الاسلام فى اوربا ، والجمهورية الحديثة لا تراه كذلك ، فان هذا الفاتح اعترف بوجود الاجناس المختلفة فى الدولة التركية وكان واجبه كتركى يقضى عليه أن يقضى على هذه الاجناس المختلفة جميعاً (فيتركها) أى يدمجها فى تركيا أو يبيدها بأسرها . أما سليم الاول فاتح مصر فليس بطلا كذلك ، أنزلته الجمهورية عن عرش بطولته ذلك لانه جمع بين الدولة والدين ، جمع فى يده السلطة الزمنية فكان سلطاناً ، والسلطة الروحية فكان خليفة ، وتركيا الحديثة فصلت بين الدولة والدين لذلك هى تكره سليم الاول هذا ولا تعجب به اعجاب الدولة العلية القديمة . ويظهر هذا فى الكتب المدرسية وفى اقوال المدرسين ودروسهم ، فينتقل هذا الاحساس الى التلاميذ ، ويشبون أشد ما يكونون إيماناً بوجوب فصل الدولة عن الدين (١)

ولسنا فى حاجة الى امثلة نأخذها من تركيا فان هذا الذى نشير اليه مبدأ سارت عليه الامم جميعاً ، سارت عليه الجمهورية الفرنسية فى بدء ثورتها ، فاتخذت الدروس جميعاً حتى (الطبيعة والكيمياء) روحا جمهورية . والكتب الاسلامية ما زالت بين أيدينا تدرس الفلك والجغرافيا بروح اسلامية . وان كان التطرف فى ذات الدراسة منتقداً عند الامم التى استقلت وقويت ، فانه ولا شك محمود عند الامم التى لا تزال فى اول الطريق وفى حاجة الى روح قوية فى ابنائها لتساعدهم وتساعدها فى شق الطريق لهم الى المجد المنشود

جاءتنى تلميذة باحدى الكليات الاجنبية فى مصر ومعها كتاب الجغرافيا وهو باللغة الانكليزية ، ثم اظهرت ضجرها من الكتاب لانها ما تقرأ شيئاً فى هذا الكتاب عن أمة من الامم الا وترى المؤلف يشير الى وطنه فيقارن بينه وبين سواه دائماً ، وكأنما يريد أن يذكر الطالب بالحقائق الهامة عن بلده وان يؤكد له ان وطنه هو محور الدراسة وأصلها . أما فى مصر فنحن ندرس جغرافية بلادنا فى السنة الثانية ولا نعود لدراستها بعد ذلك . ثم يهب المدرسون وتتطرف الكتب المدرسية فى إيراد التفاصيل المملة المتعبة عن جزئيات صغيرة فى بلاد نائية لا تمت اليها بشيء

فى مصر يجب أن تكون الدراسة مصرية ، وقبل ان يعرف التلاميذ شيئاً عن الدنيا يجب

---

(١) Mustafa Kemal, by H. E. Wortham

أن يعرفوا كل شىء عن وطنهم . وليس من العار ألا يعرف المصرى نابوليون ، وانما العار كله ألا يعرف أبطاله ، وألا يحبهم ويعجب بهم ، ويرى فضائلهم تذرى بالفضائل جميعاً . فنحن فى مرحلة نريد أن تأخذ فيها مصر مكانتها ، ولا سبيل الى ذلك الا الكتب المدرسية تملؤها بما يظهر مزايا بلادنا ، والا المدرسين نعلمهم كيف ينقلون حب مصر من قلوبهم الى قلوب تلاميذهم ، عن طريق التاريخ والجغرافيا والعلوم جميعاً . . .

فى تركيا يقول مصطفى كمال ان بلاده كانت موطن الحضارة الانسانية الاولى ، وليس انسان واحد يصدق هذا القول ! . وفى مصر لا تقول ان مصر هى أصل الحضارات جميعاً ، والعالم كله يقول ذلك !

يشكو رجال التربية من كثرة المواد . وكثرة المواد فى نظرى بلية قد تهون مع الجد والاعتياد ، ولكن الذى لا يهون شره هو انتفاء الروح الاجتماعية فى مدارسنا . نحن نعيش فرادى لا نجتمع معاً الا قليلا ، فاذا اجتمعنا لم تجد ما يسرك . لقد انقضت على ثلاثة عشرة سنة وأنا فى المدارس المصرية ، ولست أذكر أنى شاهدت اجتماعاً اجتمعت فيه المدرسة أو التأم فيه فصل من الفصول . تمر الأيام جافة وليس فى حياة التلميذ ما يخفف عنه عناء الاعمال ، وليس يرجو من المدرسة أن تدبر له شيئاً جديداً . ليس فى المدرسة إلا الدروس الثقيلة يشرحها المدرس بالاسلوب الذى تعوده التلميذ من سنوات . وليس يستطيع أن يلقى المدرس إلا فى حجرة الدراسة

لا بد أن تكون للمدرسة أعيادها ومواسمها . وفى مصر المدارس الاجنبية تقيم فى نهاية كل شهر احتفالا يلقى فيه بعض الطلاب خطباً ويعزف البعض الآخر أدواراً موسيقية ، وتوزع الداليات على الفائزين المتقدمين . وتتهيأ المدرسة لهذا الاحتفال قبله ويشغل التلاميذ به ، فاذا اجتمعوا كسبوا من هذا الاجتماع الشىء الكثير ، كسبوا منه الروح الاجتماعية التى تقضى على الروح الفردية الكريهة التى هى علة العلل فيما نعانيه فى أعمالنا واجتماعاتنا . وهذه الاجتماعات الخفيفة الدورية تعود التلاميذ النظام وتعلمهم كيف يحافظون على راحة سواهم ، وتقضى على الصيحات التى تتخذ فى مصر وسيلة للتعبير عن الفرح أو الاستهجان ، وتهذب أسلوب حفلاتنا الخاصة أيضاً

ان مهمة المدرسة غير مقصورة على التلقين وعرض النظريات ، ولو اقتصرت على ذلك لكانت مهمة حقيرة تافهة ، بل ان واجبها أن تفتح للتلاميذ دنيا جديدة . يجب أن تعلمهم السرور البرىء ، وتهيىء لهم المتعة الطيبة ، وتطلب من أبنائها أن يفكروا فى الحياة وأن يلقوا خلاصة تفكيرهم على اخوانهم وأمام أساتذتهم ، خطباً ومحاضرات صغيرة

وان هذه الحفلات التى أعلق عليها كل هذه الأهمية لتمنح برامج التعليم الحياة وتمد الدروس بما يزيدها قرباً الى النفوس . وانى لافضل أن تحفل بها المدارس ، على أن تنقح برامج التعليم وأن يحذف من الدروس أو ان يضاف اليها أو يبدل فيها . لذلك أنا أضحك من هؤلاء الذين يسمون

الالعاب الرياضية - الموسيقى والتمثيل والتصوير - دروسا عالية ، لان الطالب يستفيد منها أكثر مما يستفيده من بقية الدروس. فاذا رأيت الطالب فى الشرق قليل الاعتماد على نفسه ، أو رأيته قليل الحظ من الاخلاق التى تجمعها اللفظة الانكليزية " Self Control " فذلك كله راجع الى اننا لانعنى بما يسمونه الدروس الكمالية

كنا فى المدارس لا نعرف شيئاً عن الالعاب الرياضية التى اعتاد أن يحتكرها ثلاثون طالبا يتخصصون فيها ويصبح همهم الاول التجديد فيها . وكانت مهمتنا نحن مقصورة على الوقوف وراء الحبل فى ميادين اللعب نصفق ونهتف ، وترتفع طرابيش بعضنا فى الهواء ، اسرافاً فى الفرح وإعلانا عن السرور . وكانت أجسامنا الضعيفة تبقى على ضعفها ، وكانت أجسام اللاعبين القوية تزداد قوة ، وكأن المدارس تزيد القوى قوة وتزيد الضعيف ضعفا . أما الحصة المخصصة للرياضة فقد كانت حصة ثقيلة على الطلاب كريهة الى نفوسهم ، لان ما يتلقونه فيها هو حركات فاترة لا تقوى جسما ، ولاتشدعصبا ، ولا تجدد الدم أوتفسح فى الصدر . وكنا نتهرب من الرياضة ، منا من يتمارض فينقذه تمارضه ، ومنا من يلجأ الى الاطباء يطلب منهم الشهادات الطبية ، ليدفع بها عن نفسه حصة الرياضة بسخفها وسقمها !

يجب أن يكون للطالب لعبته الرياضية التى يحبها ، ويجب أن يلعبها مرات فى الاسبوع ، لا ليقوى جسمه فحسب ، وانما لان جو مصر جو حار ، والطالب فى سن المراهقة تحتشد الخيالات المريضة فى رأسه ، وليس هناك وسيلة أحسن ولا أجدى فى طرد هذه الخيالات من هواية تشغل وقت الطالب ويتسامى بها على هذه النزعات القاتلة التى تهدمه وتعوق تقدمه . فاذا نقصنا مواد التعليم الى نصف ما هى عليه اليوم ، ونقصنا الحصص الى النصف كذلك ، أمكن للطالب أن يحصل من تعليمه أضعاف مايحصله اليوم ، ولكنه يبقى محتاجاً الى ما يقوى شخصيته ويعلمه النظام ويعوده الحياة الخشنة

فى كل بلدان العالم يجب على الشاب أن يقضى بضع سنوات فى الحياة العسكرية ، كجندى يعيش عيشة الجنود ، ويحتمل شظف العيش وخشونة الحياة ، ويألف النظام القاسى الذى لايرحم ، ويعرف الهجير والزمهرير . ولكن فى مصر لا يذوق الشاب هذه الحياة . فكيف نحارب الرخاوة فى الاخلاق ، والليونة البادية فى الاقوال والافعال ؟. الرياضة هى التى تحيل المدارس الى ثكنات سلمية لا يسمع فيها صليل السيوف ، ولا دوى المدافع ، وانما يجنى منها الشاب مثل ما يجنى من الحياة العسكرية . ولقد استطاعت جمعيات الطلبة الرياضية الالمانية (١) فى بدء نهضة المانيا الاولى ان تعد لالمانيا شبابا قوياً وأنفاً من نفسه ، قادراً على العمل لالمانيا ، مهما كان هذا العمل شاقاً . والحكومات الحديثة ذات الاطماع ترى فى الرياضة أجدى الوسائل فى التربية . فلننس قليلا الفصول وما يلقى فى

(١) البرشنشافت

الفصول لنخرج الى ساحات المدارس ، ففى ساحات المدارس ميدان التعليم أشد اتساعاً وأعظم أثرا !

زيدت السنوات من أربع الى خمس فى الدراسة الثانوية ، وستنقص من خمس الى أربع ، وقد تصل الى ست . وأضيف الى البرامج التاريخ الطبيعى والاقتصاد ، ثم حذف الاقتصاد واستبدل به المنطق ، وقد يحذف المنطق ليستبدل به الاخلاق . ولكن لن تنفع البرامج ما دمنا ننسى ان الاخلاق القوية هى التى تحكم العالم . والاخلاق القوية هى : النظام ، والطاعة ، وضبط النفس ، واحتمال المكاره

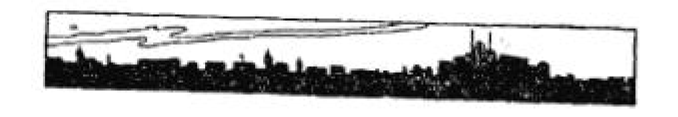
قال غاندى ذات يوم : « وأسفاه ! لم أدرك الا اليوم اننا فى حاجة إلى الموسيقى ، نحن نسير فى المظاهرات فيختل مسيرنا ويضطرب ، ولا يعرف الواحد منا كيف يسير مع غيره فى خطوات متسقة ، لاننا لم نتعود الحياة الموسيقية المنتظمة ، واذا ارتفعت اصواتنا بالاناشيد سمعت نشازاً مؤلماً »

ولسنا فى مصر أسعد حظاً من اخواننا الهنود ، لسنا نعرف الموسيقى ولا نحن نهواها . وان كان عسيراً أن يتعلم الطلبة جميعاً الموسيقى فى المدارس فلا أقل من أن يعنى بتعليم فريق منهم هذا الفن عناية تامة . ثم ليكن أمراً ضرورياً أن يتعلم تلاميذ كل مدرسة نشيداً ــ الاناشيد القوية الحارة ــ الاناشيد السهلة الواضحة الحماسية ــ الاناشيد التى ترتفع بها الاصوات مرة واحدة بنغمة واحدة ، لتعبر عن معنى واحد . هذه الاناشيد تعلم الاطفال وهم فى طفولتهم التضامن ، وتعودهم أن يقوموا فى نعومة أظفارهم فى صورة اجماعية بعمل مشترك ، هو ترتيل النشيد أولا ، ثم العمل للوطن ثانياً . . .

كلما تخيلت عاماً مصرياً فى وسط ساحة المدرسة يرتفع صباح كل سبت ، أى بدء الاسبوع ، والاطفال حوله يرتلون نشيداً واحداً ، احسست بالسعادة ، لا لما فى هذه الصورة من الجمال الفنى ، بل لما فى مثل هذه المظاهر من الاثر فى الاخلاق والنفوس

ليس يهمنى أن يعرف الطلاب كثيراً أو قليلا ، وانما يهمنى أن يكون ما يعرفونه سلاحا لهم ، وسلاحا لوطنهم . والكتب والدروس تستطيع أن تنجح فى هذا السبيل ، اذا كتبت والقيت بروح قوية . ولكن ساحات اللعب ، والاحتفالات المدرسية ، والاناشيد البسيطة ، نجاحها فى هذا الصدد أعظم ولا شك

سيد فتحى رضوان



اهم حوادث التاريخ

التي أثرت في حضارة العالم

صفحات التاريخ ملأى بالحوادث الجسام التى كان لها اكبر الأثر فى إبلاغ المدنية حالتها الحاضرة من الرقى . وليست تلك الحوادث سياسية فقط ، بل هى دينية وعمرانية ومالية وأدبية وعلمية وفنية واقتصادية أيضاً . وفى الواقع أن الحوادث التى هى من طراز واحد والتى تؤثر فى منحى واحد فقط من مناحى الحياة - كالحوادث السياسية مثلا - لايمكن أن يتكون منها تاريخ مستوفى للعالم أو لأى قطر من الأقطار . فلا بد من النظر فيها مع غيرها من الحوادث أيضاً واستخراج ما يمكن من العبر منها

واذا علمت ذلك أدركت أن وقوع معركة حاسمة أو ظهور اختراع عظيم أو اكتشاف سر من اسرار الطبيعة ليس وحده كافياً لتكوين تاريخ الاجتماع أو لتحديده . ويقول علماء الاجتماع ان التاريخ يشتمل على نوعين من الحوادث : أحدهما داخل فى حدود ناموس التطور ، والآخر فى حدود الاتفاق الذى تسميه العامة « الصدفة » . فحوادث النوع الأول سلسلة متصلة الحلقات يستطيع العاقل أن يتتبع فيها العلة والمعلول وأن يرى علاقة تلك الحلقات بعضها ببعض . ومن هذا القبيل قيام الأمم وسقوطها لأسباب ظاهرة للعيان وبلوغ بعض الدول قمة الشهرة وانخفاض غيرها لأسباب لا يمكن أن تخفى على العاقل اللبيب . على أن هذه الحوادث أو « الحلقات » كثيراً ما تطرأ عليها أمور غير متوقعة تصفها العامة بالصدفة وتؤثر فى سير العمران تاثيراً محسوساً . وكلما أنعم المرء نظره فى النوعين المذكورين من الحوادث أدرك عظم تأثير كل منهما فى الآخر ومدى أثره فى الاجتماع . وكما أنه كلما حدق الانسان بصره فى الليل فى قبة الفلك رأى نجوماً أكثر مما يرى لو ألقى على تلك القبة نظرة عابرة - كذلك كلما حدق الانسان بصره فى تاريخ الحضارة أبصر عوامل كثيرة ما كان ليدركها لو أنه مر بذلك التاريخ وشيكا

ثم انك إذا ألقيت على تاريخ العالم نظرة عامة بدت لك بعض الأزمات الخطيرة أو الحوادث التى كان لها أثر خاص فى الاجتماع ، فهى بمنزلة أعظم الطوارىء التى تحكمت فى تطور الحضارة واليك أهم الحوادث التى أثرت فى مجرى التاريخ وأوصلت الاجتماع الى حالته الحاضرة :

١ - حروب اليونان قديماً

خاضت اليونان فى الأزمنة السالفة حروباً كثيرة كانت أهمها الحروب الفارسية . وقد وقعت

العالم يومئذ ينتظر نتيجة تلك الحروب ، إذ عليها كان يتوقف مصير الغرب الذي كان يومئذ رمزاً الى الديمقراطية والحرية ، كما أن الفرس كانت رمزاً إلى البطش والاستبداد

ولا يسعنا أن نصف كيف كانت الحضارة تبدو لو أن قضية الديمقراطية فشلت يومئذ وانتصر الفرس على اليونان . ومن المحتمل أن النظم الديمقراطية كانت تتقهقر ويستغرق وصولها إلى حالتها الحاضرة زمناً طويلا

٢ ـ أثر الدين في الاجتماع

ولا شك أن للدين أثراً كبيراً فى الاجتماع وأنه لولاه لكانت حالة العالم الأدبية والنفسية غير ما هى عليه . ولقد يكون الانسان فى ظاهره غير ميال الى الدين ولكنه لا يحجم عن الدفاع عنه كلما سنحت الفرصة لذلك . ولعلنا لا نخطىء إذا قلنا إن معظم حروب التاريخ القديمة أو على الأقل أهمها كانت فى سبيل الدين . فحروب الأسلام والحروب الصليبية والحروب الطويلة بين فرنسا وانجلترا وغيرها إنما كانت فى مجموعها جهاداً دينياً سببه غضبة للدين وغيرة فى سبيل نشره . ومنذا الذى يستطيع أن يصف حالة الاجتماع لو لم تتخلل تلك الحروب تاريخ العالم ؟

وإذا علمت ذلك أدركت أن ولادة مؤسسى الثلاثة الأديان المنزلة ـ اليهودية والنصرانية والاسلامية ـ كانت من أعظم حوادث التاريخ وان أثرها فى الاجتماع لا يزال ظاهرا إلى اليوم وسيظل بارزاً الى الأبد

وعلماء الاديان يتخذون الحروب الدينية حجة على صحة الدين . فهم يقولون ان الانسان وان لم يجاهر بايمانه بعقائد الدين فانه لا يحجم عن بذل دمه فى سبيل الدفاع عن تلك العقائد . وهذا دليل على أن شعوراً باطنياً يملأ النفس ويقنعها بوجود الخالق وبصحة العقائد الدينية . ولو أن الدين زال من العالم وأنكره الناس لأصبحت الأرض جحيما لا يطاق ، لأن الدين هو على الأقل سياج أدبى يحفظ العمران ويبعد عنه الشرور التى مصدرها طبيعة الانسان ، بل هو يجعل الانسان يفكر فى مستقبله لا فى حاضره فقط . ولا شك أن الايمان بالخلود ـ وهو العقيدة التى تبشر بها جميع الاديان المنزلة ـ هو من أعظم العوامل التى تؤثر فى حياة الانسان وبجرى الاجتماع

٣ ـ السياسة

وإذا التفتنا إلى أهم الحوادث السياسية التى وقعت فى تاريخ العالم نجد قصة « ماجنا كارتا » ـ أو وثيقة الاستقلال الانجليزى ـ فى مقدمتها . ولا نظننا مبالغين إذا قلنا إنها أهم من الثورة الفرنسية فى تقرير حقوق الفرد وإنها كانت من الحوادث التى مهدت للثورة الفرنسية

وقعت حادثة « الماجناكارتا » فى انجلترا سنة ١٢١٥ إذ ثار الشعب الانجليزى على ملكه جون وأرغمه على قبول تلك الوثيقة ، وهى اعتراف صريح بحقوق الفرد وانكار لسلطة الملك على أملاك رعاياه وحقه فى استغلال تلك الأملاك . وقد اصبحت تلك الوثيقة أساساً لدستور الشعب البريطانى ولعلاقته بحكومته . بل إن تلك الوثيقة هى اساس جميع الدساتير الاوربية الديمقراطية ، لأن البرلمان البريطانى الذى هو وليد « الماجناكارتا » هو أبو جميع برلمانات العالم وحجر الزاوية فى النظم الديمقراطية الحديثة ، وعلى منواله نسجت جميع الشعوب فى إنشاء مجالسها النيابية

٤ ـ نشر العلوم

كانت العلوم فى جميع نواحى العالم محصورة فى طائفة الكهنوت حتى اواسط القرن الخامس عشر ، ولذلك ظلت الامية منتشرة فى آسيا واوربا ، إلى ان اخترع جوتنبرج فن الطباعة فى سنة ١٤٣٠ . ومنذ ذلك اليوم « اصبح القلم أصدق انباء من السيف » ، وأخذت سحب الجهل تنقشع عن ربوع اوربا بالتدريج

وما نظن كاتباً يستطيع أن يصور تأثير اختراع الطباعة فى الاجتماع . فبعد ان كانت الكتب نادرة غالية لايطمع بالحصول عليها إلا الاغنياء أصبحت بفضل الطباعة فى متناول الجميع ، وأدركت الجماهير لاول مرة فائدة العلم وحاجة البشر الى نشر التعليم وترقية مستوى الادراك . ومن السهل جداً ان نتصور كيف كان العالم يبدو لنا لولا ظهور فن الطباعة وانتشار الكتب والمجلات فى العالم ، فقد اخرج هذا الفن الناس من ظلمات الجهل الى نور المعرفة

٥ ـ عامل التجارة

على ان العوامل الاربعة التى ذكرناها ليست هى الوحيدة التى أثرت فى حضارة البشر ورفع الاجتماع الى مستواه الحالى من الرقى . بل كان ثمة حوادث أخرى أثرت تأثيراً خاصاً وزادت فى موارد الناس الاقتصادية ، ونعنى بذلك التجارة . وقد كان لا بد لنشر التجارة من اكتشاف الطرق البحرية لتسهيل اسفار السفن الناقلة للبضائع . وكان الفضل الاكبر فى اكتشاف طرق البحار للسر درايك الرحالة الانجليزى الشهير ، فقد سار فى سنة ١٥٨٠ بسفينته حول العالم وكشف للناس طرقاً تجارية بحرية جديدة ، فكان ذلك سبباً فى زيادة رخاء البشر وانتشار التجارة فى العالم . وهل فى وسع أحد أن ينكر تأثير التجارة فى حضارة البشر وفى توفير أسباب هنائهم ورخائهم ؟

ومما يجدر بالذكر أن الاعتقاد الشائع بين الناس حتى زمن السر درايك كان ان الكرة

الارضية غير مستديرة ، ولكن فى ذلك الزمن ظهرت نظرية استدارة الارض ، وقد اثبتها دارك برحلته حول العالم . فحقق بذلك غرضين مهمين : أولها اثبات كروية الارض ، وثانيهما فتح طرق جديدة لنشر التجارة بواسطة البحار

٦ ـ ناموس الجاذبية

ولعل اعظم الحوادث العلمية التى سجلها التاريخ اكتشاف السر ايزاك نيوتن لناموس الجاذبية فى سنة ١٦٦٥ . ولا شك ان التسليم بصحة هذا الناموس قدكان اساس معظم النظريات العلمية واليه يرجع الفضل فى ارتقاء مستوى العلوم

٧ ـ اكتشاف اميركا

وكان اكتشاف القارة الاميركية من اعظم الحوادث التى وقعت فى التاريخ ، وكان له أثر عظيم فى تسيير مجرى الاجتماع . وقد لا يصعب علينا ان نتصور حالة العمران ودرجة رقيه لولا اكتشاف العالم الجديد . فقد وسع هذا الاكتشاف حدود العالم واضاف مناطق جديدة الى موارده الاقتصادية . وليس أدل على تأثيره فى الحضارة من أن النصف الشمالى من العالم الجديد اليوم اغنى بقاع العالم واكثرها ثروة واخصبها موارد . وقد كان لابد للعالم من اكتشاف القارة الاميركية عاجلا أو آجلا ، ولكن لو لم تكتشف فى أواخر القرن الخامس عشر لكانت حضارة العالم اليوم فى تقهقر ولأضاع العالم فرصة ثمينة للوصول الى مستواه الحالى من الرقى

٨ ـ الحرب العظمى الماضية

ولا يسعنا أن نختتم هذه العجالة من دون اشارة الى الحرب العظمى الماضية وماكان لها من أثر فى الاجتماع . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان هذه الحرب كانت أعظم حروب التاريخ من كل وجه وكان تأثيرها فى العمران أعظم من تأثير أى حرب تقدمتها . وقد استخدم الانسان فيها كل ما اوتيه من عقل وقوة ، وسخر قوى العلم والطبيعة فى سبيل التدمير والتخريب والانتقام . وغريب من الانسان ـ وهو الذى عمل على رفع العلوم والفنون الى مستواها الحالى ـ أن يسعى فى ساعة الغضب لهدم ما بناه ولتقويض اركان الحضارة ؛ وقد بدا فى تلك الحرب بصورتين متناقضتين : احداهما الانسان العالم المسخر لقوى الطبيعة ، والاخرى الانسان المتوحش الذى يسفك دماء أخيه الانسان ويلغ فيها ويسعى للقضاء على الحضارة

تلك كانت الحرب العظمى الماضية ولا يستطيع أحد أن ينكر تأثيرها فى نشوء الحضارة أو تقهقرها . ولعل معركة المارن كانت اعظم معاركها ، فانها منذ وقوعها فى أوائل تلك الحرب

غيرت مجرى التاريخ . ولو انتصر الالمان فى تلك المعركة لكانت خارطة أوربا غير ماهى اليوم ، ولكانت مشاكل الحضارة غير المشاكل التى حاولت الدول منذ سنة ١٩١٨ ولا تزال تحاول حلها . وفى الواقع انه ما كادت تلك الحرب تضع اوزارها حتى بدت مشاكلها وتعقدت . وكان الناس يظنون ان توقيع معاهدة فرساى يكفى لاعادة المياه الى مجاريها والى اعادة الرخاء الى العالم ، ولكن المؤتمرات الكثيرة التى عقدتها الدول منذ تلك المعاهدة انصع دليل على ان المشاكل التى ولدتها الحرب لا تزال حيث كانت يوم توقيع المعاهدة ، وان الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية والمالية وغيرها لا تزال معقدة على وجه يكاد يبعث على اليأس

كل ذلك ذو أثر ظاهر فى الاجتماع لايستطيع أى مؤرخ منصف انكاره . ويعتقد بعض الناس اننا لا نزال بعيدين عن حل تلك المشاكل ، فان الحرب العظمى الماضية صدمت صرح الاجتماع صدمة عنيفة لايمكن ان يستفيق منها إلا بعد مرور الزمن . وهانحن نشهد اليوم مؤتمرا آخر من المؤتمرات التى ولدتها تلك الحرب ـ ونعنى به المؤتمر الاقتصادى ـ وقد اجتمع فيه مندوبو ست وستين دولة ، ليتباحثوا فى خير الوسائل التى تخرجهم من الفوضى المالية والاقتصادية التى زجتهم فيها تلك الحرب

* * *

هذه هى اهم حوادث التاريخ التى اثرت فى نظام الاجتماع وابلغته منزلته الحاضرة من الرقى . ولا حاجة الى القول ان هنالك حوادث اخرى كان يمكن الاشارة اليها ولكن المجال لايتسع للخوض فى جميعها . وقد اقتصرنا على ما ظنناه اهمها فى كل منحى من مناحى الاجتماع ـ فى الحرب والدين والسياسة والعلم والاقتصاد . ومن الصعب جداً أن نتصور حالة الاجتماع لولا وقوع تلك الحوادث وان نتخيل كيف كان العالم يبدو لو أن التاريخ جرى بغير ماجرى . وعلى كل فان مستوى الاجتماع الحالى ليس بالمستوى الختامى اذ لا نزال بعيدين عن مراتب الكمال . وعصر الانسان الذهبى الذى يعبر عنه الغربيون بكلمة « يوتوبيا » لايزال من مواليد الخيال ، إلا ان الانسان سيظل يتجه نحو تلك المرتبة ، وحوادث التاريخ ستظل تؤثر فى الاجتماع وتتحكم فى خطة سيره . والانسان مندفع مع تيار التاريخ ، وليس فى العالم قوة تنقذه من ذلك التيار



الاسكندرية وأثرها في الطب

للدكتور عبد الواحد الوكيل

الأستاذ المساعد بقسم الطب الوقائي بكلية الطب

لست أرغب فى أن أصف هذه المدينة الحديثة التى صارت تدعى باريس الصغرى، ولكنى أتكلم عن اسكندرية أخرى مطمورة تحت الثرى، كانت ثانية العواصم فى الزخرف والمجد بعد روما، ثم درستها الحرب والثورات، وأحلتها الكوارث وخسفتها الزلازل، بل نزلت عن حكم مصر الى عاصمة أخرى أحدث منها سناً وأقل بهجة

ولكن يد الحدثان التى قوضت أركانها ودكت معالمها لم تستطع أن تدفن ذكراها، أو تحجب بالنسيان ما صنعه أبناؤها الأقدمون لخدمة العلوم والمعارف والفنون

وإذا كانت كلمة اسماعيل « ان بلادى قطعة من أوربا » ستخلد عن مصر كلها، فليس فيها كالاسكندرية مدينة من قديم الزمان جديرة بهذه المغالطة البليغة التى يتجلى بين حروفها معنى الرقى والنشاط الأدبى والمادى والعلمى

فالاسكندرية قد أمر ببنائها زين الشباب الاسكندر المقدونى سنة ٣٣٢ ق.م. ومع أنه لم ير وهو حى منزلا واحداً قائماً فى أرجائها، فقد عادت اليها جثته ودفنت فيها، وأصبح جسده الرابطة الاولى بين مصر وأوربا. وتولى ملكها وملك مصر من بعده البطالسة، وعلى أيديهم الكريمة قبضت الاسكندرية على أسباب التجارة والادب والمعرفة فى الشرق والغرب معاً فى قرون متوالية وتحقق أمل الاسكندر، فصارت هذه البقعة المجهولة من الساحل - التى لم يكن فيها إلا قرية مصرية حقيرة وجزيرة فاروس (وهى شبه جزيرة رأس التين الآن) - مدينة باذخة مترفة عالمة. وإذا قرأنا فى التاريخ رأينا من الحثالة الباقيـــة فى المتحف ودار الصور والآثار، قبساً مما كان فيها من القصور والهياكل الشامخة والحدائق والتماثيل والشوارع المتسعة المستقيمة وصهاريج الماء والمجارى، والفنار إحدى عجائب الدنيا السبع وأول هاد للسفن فى التاريخ، بل إن المسلة القائمة على شاطىء التاميز التى كساها الجو الكالح فى لندرا بالسواد، وأختها القائمة فى نيويورك تدلان على مجدها الذى قضى، وعهدها الذى انقضى

ولكن الاسكندرية وأهلها الأقدمين لم يهيئوا لأنفسهم وسائل الترف والنعيم فقط، بل تركوا للاجيال تراثاً خالداً من الاكتشافات والتجارب العلمية ما كان أكثره لولا حرق مكتبتيها الأم والبنت اللتين كانتا تضمان الآلاف من المجلدات والمصنفات

فالبطالسة ـ كالملوك النابهين المصلحين ـ خدموا العالم خدمة جليلة بانشاء ما دعوه «الموسيون» أو بيت الحكمة ، فى كنفهم . فأقاموا مدينة للعلم داخل مدينتهم بل داخل قصورهم ، وجذبوا اليها علماء اليونان وفلاسفتهم، تتبعهم التلاميذ يطعمون ويكسون لوجه العلم . ولم يقعدهم اللهو والترف عن مدهم بالمال والكتب لا حباً فى نفع مادى أو أرب شخصى ، وإنما تباهياً ببدائع الفن والعلم التى أماط عنها أولئك العلماء وأخلافهم الثام

فاضحت مدرسة الاسكندرية ـ أو بيت الحكمة ـ بل تلك الأكاديمية العلمية العظمى وارثة المدارس القديمة فى بلاد اليونان التى سرعان ما اضمحلت وذوت . وتلقف علماء الاسكندرية تعاليم أبقراط وأرسطو وغيرهما وزادوا عليها . وتم على أيديهم الفتح الأكبر لأسرار الطبيعة وكنهها . وصار بهم القرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام أعظم الأزمان التى مرت على العالم من حيث رقى الانسان وتمدنه وازدياد معارفه ، بما قد لا يقاس به إلا التقدم الذى تم فى القرن التاسع عشر الماضى الذى تمتع بمكتشفاته

فعلوم الحساب والهندسة والطبيعيات والجغرافيا والفلك والطب نمت وبلغت أشدها فى «بيت الحكمة» بل فى القطعة الصغيرة من الاسكندرية الواقعة الآن فى شارع فؤاد ، حيث كانت تقوم تلك المدرسة بجوار قصور البطالسة

وأينا لا يذكر (إقليدس) ونظرياته الهندسية التى لا نزال نتعلمها فى مدارسنا حتى اليوم ، أو (أرخميدس) صاحب القانون المشهور فى الطبيعيات؟ أوهل يمكن أن ننسى الجغرافى (أراطوسطيس) النابغة الذى نبض له قلب العالم فى زمانه حين قاس محيط الارض وقطرها فى مرصد الاسكندرية بحساب الفرق فى درجة الظل بينها وبين اسوان . ولم يخطئه العلم الحديث إلا قليلا ؟ وهل ننسى أن علماء الاسكندرية هم الذين أدخلوا نظام السنة الكبيسة والسنة البسيطة فاصلحوا خطأ وقع فيه المصريون القدماء ؟ أو هل ننسى بعد ذلك أن الاسكندرية كانت مجالا للمناقشات الدينية العتيدة قبل المسيح وبعده ، وأن المذهب القبطى تكون فيها ؟

ولست لعمرى أرغب فى أن أعدد جميع مآثر تلك المدرسة على العلم وفروعه ، إذ أن نواحى مثل هذا الكلام واسعة فضفاضة ، ولكنى أقتصر على ما الميل إلى معرفته أكثر ، وهو أثرها فى الطب الشريف ، صحيفة وضاءة سطرها أساتذتنا القدماء ، نرسل لهم من أجلها بعد مضى عشرين قرناً ونيف ، تحية مقرونة بالاعجاب والتجلة والتقدير

وقبل أن أتكلم عن أثر الاسكندرية فى الطب ، أرى أن ألمح أولا إلى مبدأ الطب فى التاريخ . فن المعروف الآن أنه قد كان للطب شأن يذكر فى عهد قدماء المصريين ، وعادة التحنيط وأوراق إيبرس وأقوال المؤرخين (هيرودوتس) و (ديودوروس) الصقلى وغيرهم شاهد بمعرفة المصريين وبالاخص كهنتهم لشىء من ذلك العلم النبيل ، وانهم كانوا يدججون فيه

كثيراً من التعاويذ والأدعية الدينية. غير أن علم الطب لم يدخل فى أول عهده المتين إلا بعد أن اتسع نطاق بحوثه بين اليونانيين سواء فى بلادهم وفى ولاياتهم فى آسيا الصغرى، فوضع علماؤهم قواعده وأسسه التى أخذوا مبادئها عن مصر القديمة

فاذا نبذنا ما أبهم التاريخ ذكره عن استيلا بيوس إله أو كاهن الشفاء الذى قيل إنه كان تلميذاً لهرمس المصرى، فاننا نجد أن فيثاغورس وأبقراط وأرسطو وغيرهم كثيرين من علماء اليونان فى المدة السابقة لانشاء الاسكندرية لم يكونوا فلاسفة وأدباء فقط، بل كان الطب جزءاً من معلوماتهم والبحث فيه قسما من تجاربهم. وكانت هناك مدارس ثلاث هامة: إحداها فى «قنيدوس» وهى مدينة فى آسيا الصغرى، والثانية فى «كوس» أو «قو» وهى أيضاً فى آسيا الصغرى من الجهة الجنوبية الغربية، والثالثة فى أثينا

وقد بقيت منها مدرسة كوس زماناً طويلا زاهرة زاهية. وفيها كان لابقراط أبى الطب شأنه الكبير إلى أن مات سنة ٣٣٠ ق. م أى قبل إنشاء الاسكندرية بـ ٢٣ سنة

وقد بحث هؤلاء العلماء فى الجسم الانسانى ووضعوا شيئاً كثيراً من النظريات الطبية، وتكلموا عن الامراض وأسبابها وعلاجها على ما هدتهم اليه عقولهم وما مكنتهم منه وسائل عصرهم

فلما تأسس «بيت الحكمة» فى الاسكندرية ورثت تلك المدرسة من تراث أولئك المعلمين الأول مؤلفات جمة ونظريات ان بدت لأعيننا ضعيفة الآن فقد كانت موضع الاحترام أجيالا عديدة وقد تناولها علماء الاسكندرية فنقحوا أصولها وهذبوا أطرافها وزادوا عليها

وإن أجل خدمة بين المنن الكثيرة التى قدمتها الاسكندرية جيد الطب لهى دراسة علم التشريح دراسة منظمة مستقيمة، ويرجع التاريخ الى علمائها ذلك الفضل السابغ الذى وطد الطب والجراحة فى العالم على أسس صحيحة سليمة

فقبل الاسكندرية لم يأت ذكر لتشريح العلماء للجسم الانسانى إلا نادراً وبصفة مبهمة. ولا شك أن العقائد كانت سداً حائلا دون ذلك فاقتصر العلماء على تشريح الحيوانات. ولكن علماء الاسكندرية وجدوا فى مصر أمة قد تعودت تحنيط الموتى واستخراج الأحشاء من الجثث لحفظها، فكان ذلك أكبر مشجع لهم على دراسة تلك الاحشاء، ومن ثم الى دراسة الجسم الانسانى بالذات، فتقدموا بالطب خطوات بليغة الأثر. ولم يقتصر عملهم على ذلك، بل كانوا جراحين مهرة، وفى قسم الولادة لم يكونوا أقل شأواً من أطبائنا المولدين الحاليين

ولا شك أن الفضل الاكبر فى رقى علوم الطب بالاسكندرية يرجع الى الطبيبين الاولين وهما: «هيروفيلوس» و«اراسسطراطوس» الذين كانا من أصحاب أرسطو معلم الاسكندر. وقد واصل كل منهما بحوثه تحت رعاية البطالسة وتبحرا فى التشريح وغيره من الفروع تبحراً كبيراً وأسسا المدرسة التى حملت علم الطب تسعة قرون ونيفاً الى أن أخذه العرب ومن بعدهم غيرهم

ويجدر بى أن أذكر شيئاً من بحوثهما ليعرف مقامهما العلمى السامى والطب إذ ذاك فى مهده . فهيروفيلوس (الذى ولد فى سنة ٣٣٥ وتوفى سنة ٢٨٠ ق . م) كان يونانياً من خلديكونيا استوطن الاسكندرية وكان ذائع الصيت ببحوثه العميقة فى التشريح . وكان فى زمانه شيخ المقلدين لمذهب ابقراط ونظرياته فى الطب . ومما يدل على شهرته أن كثيراً من عظماء الطب بعد زمانه ومنهم غالينوس وسلسوس كتبوا عنه ومدحوه مدحاً عظيما . وكان مقامه معدوداً فى جميع العالم القديم كأفضل الباحثين فى الطب بعد ابقراط

وكان من أهم اكتشافاته بحوثه فى المخ والاعصاب . فنرى أنه درس سحايا المخ وجيوب الام الجافية . وكان أول من لاحظ تمدد الجيب الطولى الاعلى المسمى الآن Gorcular Heuoptili أى «معصرة هيروفيل» حيث كان يظن أن الدم الذى يأتى لذلك المكان من اتجاهات مختلفة يصير عصره أو كبسه فيها كما يعصر النبيذ

وأمعن فى درس بطينات المخ والضفائر المشيمية الوعائية التى بها ، وخصوصاً فى البطين الرابع أو بطين المخيخ . وكان رأيه أن المخيخ مركز الذكاء وقد سمى الشق الموجود فى قاع ذلك البطين

وتتبع هيروفيلوس أيضاً عدداً من الأعصاب الى اتصالها بالمخ والنخاع الشوكى وفسر وظائفها لنقل الحاسة والارادة وقال انها تنشأ من مادة المخ ، ولكنه ذكر أنها مملوءة بالنخاع . ولم يقصر همه على الجهاز العصبى بل تعداه الى غيره ، فكان من تعاليمه أن الشرايين تنشأ من القلب وأن سمك جدرانها يبلغ ستة أمثال جدران الاوردة ، ولكنه قال إنها تنقل الدم والهواء أيضاً . وكان يسمى الشريان الرئوى «الوريد الشريانى» وهو الذى أطلق على الاثنى عشرى كلمة «Duodenum» نسبة لطوله . وأول من لاحظ أن الشعرات الليمفاوية اللبنية تنتهى الى أجسام أشبه بالغدد ، ووصف الكبد بدقة كبيرة وقارن بينه وبين اكباد الحيوانات ودرس الغدد اللعابية والبنكرياس والعظم اللامى . وهو الذى سمى البروستاتا باسمها

وأيضاً فاننا مدينون لهيروفيلوس بالوصف الأول عن الخصيتين والقناة الناقلة والحويصلات المنوية والشريان المنوى ووريده ، بل إنه هو الذى اكتشف صلة الوريد المنوى الايسر بالوريد الكلوى بينما الوريد الايمن يصب فى الاجوف الاسفل مباشرة . كما أنه وصف الاوعية الرحمية . وكتب مؤلفاً عن العين وصف فيه غلافاتها الثلاثة والسائل الزجاجى وأدخل تحسيناً فى طرق عملية الكاتاراكتا

ولم يكن هذا البحاثة الاكبر مشرحاً فقط بل كان يشتغل كذلك بالجراحة العامة ، والف

كتاباً فى الولادة وأمراضها ، وهذب كثيراً من طرق تشخيص الامراض . وكان أول من وصف النبض ذا الضربتين « Dicrotic pulse »

وكان يفضل دائماً الملاحظة الشخصية والتجارب على النظريات . ولعمرى إن هذا لافضل ما يجب ان يتصف به طبيب

على أن فرط احترامه لتعاليم الأساتذة الاقدمين ومنهم أبقراط جعله يستسلم لبعض تلك التعاليم مما أثبت العلم الحديث فساده ، فظل محافظا على الاعتقاد الذى كان سائداً بوجود الأخلاط الأربعة فى الجسم وأنها تفسر المرض والصحة والاخلاق فى الانسان

وخلاصة هذه النظرية الخاطئة التى عاشت دهوراً وحازت ثقة عظمى هى أن الجسم الانسانى يحتوى على أربعة أخلاط أو عصارات هى : الدم والبلغم والصفراء والسوداء . وشبهت من حيث خواصها بالعناصر الاربعة : الهواء والماء والنار والتراب ، فالدم حار رطب كالهواء ، والبلغم بارد رطب كالماء ، والصفراء حارة جافة كالنار ، والسوداء باردة جافة كالتراب

وكان أبقراط يقول : ان المرض يتسبب من عدم امتزاج الأخلاط المذكورة امتزاجاً متعادلا ، ولذلك فان الزائد منها يسبب تهيجاً ينشأ عنه المرض ، وقسم الامراض حسب ذلك ؛ كما قال إنه إذا تفوق أحد تلك الاخلاط على غيره فى جسم أى انسان فان صفاته تنشأ عنه ، فقد يكون مزاجه دموياً أو بلغمياً أو نارياً أو سوداوياً . والرجل الصحيح هو الذى تمتزج فيه هذه الاخلاط امتزاجاً متكافئاً

وقد دامت هذه الاوصاف على الالسنة وفى الادب حتى وقتنا هذا وزاد عليها بعضهم المزاج العصبى والمزاج الفرح

وإن لنا لدرساً بليغاً فى موقف رجل عملى حاد الذهن متوفر الادراك كهيروفيلوس من نظرية خيالية كهذه ، فكثيراً ما أخذ العلماء كلام أسلافهم قضية مسلمة دون بحث وتنقيب ، مع أنها لم تكن لتقوى على حججهم اذاهم رفعوا عنهم غشاء الخشوع ووضعوها كغيرها على منضدة التشريح

وكان اعتقاد هيروفيلوس فى صحة هذه النظرية سبباً فى المناقشة الشديدة بينه وبين زميله الذى سأذكر طرفا من عمله حيث لم يهضمها عقله أو لم يستسغها مخه

فاراسسطراطوس (الذى ولد سنة ٣٣٠ ق . م وتوفى سنة ٢٨٠ ق . م) كزميله تشرب أيضاً بتعاليم أرسطو وغيره من الاساتذة القدماء ، وكان معروفا بالدقة المتناهية والامعان فى بحوثه ، ولم يكن أقل خطراً من زميله العظيم هيروفيلوس

وقد حضر إلى الاسكندرية فى أواخر حياته ودرس التشريح واشتغل بالجراحة . وقد ضاعت للاسف معظم مؤلفاته إلا قليلا ثمين القدر حفظه جالينوس وغيره . وقد كان أراسسطراطوس

رجلا حراً فى آرائه لم يقيدها بآراء من سبقوه . كما كان جريئاً فى البحث هجاماً عنيداً فى المناقشة ، شديد الوطأة على خصومه ، فسخف أبقراط ونظرياته وتابعيه ووضع نظريات خاصة به . وكان ذلك ولا غرو أكبر منتج للخصومة بينه وبين هيروفيلوس طول حياتهما

ولكنه لم يقعد عن بحث الجسم الانسانى . وله كزميله آثار غراء فى هذا الباب ، فكان وصفه للقلب وأوتاره وصماماته ادق وأوفى من ارسطو وأبقراط . وأطلق على الصمام ذى الثلاث الشرافات (Tricuspid) ذلك الاسم كما انه اسمى التعريج السينى بالاسم المعلوم : (Sigmoid) وأيضاً سمى القصبة الهوائية باسمها (Trachae) واكتشف وظيفة لسان المزمار (Epiglottis) وقارن بين الاوعية الليمفاوية اللبنية فى الانسان والحيوان ، وعرف عن عمل الصفة التشريحية تليف الكبد وتجمده فى حالات الاستسقاء الزمن، كما لاحظ النتائج المرضية لالتهاب البلورا ولدغ الثعابين ، ووصف الكبد وصفاً دقيقاً

ومع أنه كان يعتقد أن الاعضاء ماوجدت فى الجسم الا لتؤدى عملا ما فان هذا لم يكن رأيه فى الطحال الذى قال إنه لايؤدى أى فائدة

وقد لفت ارا سسطراطوس الانظار الى الانبعاجات المخية ، وكان أول من لاحظ كثرة تعرجها فى الانسان عن الحيوان ، وكان كذلك أول من أرجع ذلك الى نمو فى القوة العقلية

وقد وافق زميله هيروفيلوس على نتائج بحوثه فى الجهاز العصبى ، ولكنه رفض بتاتاً أن يصدق نظرية الاخلاط الأربعة التى مر ذكرها

ومع ذلك فقد أبدل بها نظرية خاطئة أخرى ، هى ما يدعوه المؤرخون بالنظرية الميكانيكية . فهو كغيره من العلماء قبل أوانه كانوا يعلمون أن الهواء فى الرئتين يتجدد بالتنفس ، فعند تمدد الرئتين يحدث أثير ينشأ عنه دخول الهواء للحنجرة فالشعبتين ففروعهما . وكل هذا صحيح ولكنه زاد فقال إنه اذا تمددت عضلة القلب بعد ذلك دخل الهواء من التفمم (Anastomosis) الكائن بين الشعب الصغيرة الى الشرايين الصغيرة ومنها الى الوريد الرئوى الذى كان يسميه «الشريان الوريدى» ، ومنه الى القلب ، فاذا انكمش القلب ضغط الهواء الى الاورطى ومنه الى الشرايين كلها

وعلى هذه النظرية كان يعتقد أن وجود الدم فى الشرايين هو أمر غير طبيعى يدل على المرض . وكان يرى ان الهواء والدم هما مصدر نشاط الجسم جميعاً ، وأن الدم يتكون من الطعام وأنه لا يوجد إلا فى الاوردة

وتكملة لهذا الرأى فسر المرض تفسيراً ميكانيكياً مقابل التفسير الكيمياوى فى نظرية الاخلاط الأربعة ، فقال إنه ناتج من زيادة امتلاء الاوعية الوريدية واحتقانها وهو ما يسمى بليتورا (Pletora)

فالالتهاب والحمى تتسبب من احتقانها كلها ، والتهاب المفاصل مثلا ناشىء من الاحتقان فيها موضعياً وهكذا . ولا شك ان فى هذا شيئاً من الصواب فى تفسير الحميات والامراض

وبالرغم من هـــذا الاعتقاد فى الاحتقان ونتائجه فانه لم يلجأ إلا نادراً للحجامة وهى العلاج المنطقى لمثل ذلك السبب ، ولكن كل ذلك من عمل الاطباء الذين جاءوا من بعده ، بل ليست بعيدة عنا كثيراً تلك الايام التى كان فيها الفصد علاج كل مرض والحجامة أول ما يخطر على ذهن الطبيب . وبقاء مثل هذه العادة نحواً من عشرين قرناً دليل على مقدار رسوخ العقائد الخاطئة فى النفوس حينما يقدمها أساتذة مبرزون

وبلغت معرفة اراسسطراطوس أنه لم يكن يبزل البطن فى حالات الاستسقاء علما بأن البزل ما هو إلا مهاجمة لأحد الأعراض وليس لموطن الداء

ومن اختراعاته قنطرة سنية ومشرط معوج كالخطاف لاخراج رأس الجنين الميت . ويقال إنه كان من الشجاعة بحيث كان يشق البطن ليضع الأدوية مباشرة على الكبد والطحال اختصاراً للطريق والوقت فى العلاج

وقد ذكر بعض المؤرخين أن هيروفيلوس واراسسطراطوس كانا يحصلان على المجرمين من السجون بأمر ملكى . وكان كل منهما يشرح مع تلاميذه أولئك الاشخاص وهم أحياء ، لكى يتعرفوا قبل موتهم ـ أى على الطبيعة الحية ـ موضع الاحشاء وشكلها ولونها وحجمها وملمسها . ولم يعدم هذا العمل الفظيع مدافعين ومحبذين فى ذلك الزمان

ومهما كان رأى الاطباء وما لهم من رقة القرن العشرين ولطافته ، فانه لا يمكن أن تخفى عنهم فى هذه القصة حقيقتان هما : شدة شغف الأستاذين بحث الجسم الانسانى و إدراك أسراره بأى وسيلة ، وشدة ميل البطالسة إلى مد العلماء بكل ما تصبو اليه مطامعهم العلمية الجشعة

ويمكن للمرء أن يتصور مقدار تقدم الطب فى الاسكندرية على يديهما ، فقد عاشا مدة طويلة وأسسا فى هذه المدينة مدرسة طبية سار بذكرها الركبان وحج اليها التلاميذ من كل حدب وصوب ، وكان يكفى أن يقول الطبيب إنه من خريجيها ليحترمه الناس ويأخذوا بآرائه

وقد نتج من اختلاف وجهات النظر بينهما أن انقسم أطباء الاسكندرية فى زمانهم ومن بعدهم إلى فرقتين : الهيروفيلية والاراسسطراطية ، كل منهما عدوة للأخرى ، ونال الطب من خصومتهما الخير الغزير

وقد تميزت الهيروفيلية بتحبيذ ابقراط وتعاليمه والبحث فى مؤلفاته وأنجبت مشرحين كثيرين ، وامتاز رجالها برونق الكتابة وآدابها ، ولكنهم انهمكوا فيما بعد فى المناقشات النظرية العقيمة ، ولم يأت القرن الاول حتى كانت مدرستهم قد اختفت واندثرت

أما المدرسة الاراسسطراطية فكانت أطول عمراً من أختها ، فقد دامت إلى القرن الثانى بعد

الميلاد إلى حين ظهور جالينوس . ولم تكن مشهورة بالتشريح إذ أنها نبذته إلى الاهتمام بأعراض الأمراض ، وتوسع رجالها توسعاً عظيماً فى تلك الدراسة وفى استعمال الأدوية للعلاج وفى الجراحة

وقد مهدت المدرسة الاراسسطراطية الطريق إلى وجود فريق على هام نشأ فى الاسكندرية وعم العالم بعدها ،وهم من أطلق عليهم اسم « فريق أهل التجربة » الذين جعلوا الاختباروالتجربة مبدأهم ،وقال رجالها إن التجربة لا تستند إلاعلى ثلاثة أمور : أولها الملاحظة ،والثانى الاطلاع على ما دونه الاقدمون من ملاحظاتهم ،والثالث استعمال المقارنة بين الاشياء للبت فيها ، وسميت هذه ثلاثيات التجربة

وقد دامت هذه الخصومة العلية أكثر من ثلاثة قرون أى من القرن الثالث قبل الميلاد إلى أن تملك الرومان مصر سنة ٣٠ ق . م ، بل إلى أن ظهر جالينوس فى أواخر القرن الاول ووحد بين تعاليم الفرقتين

وهكذا تصدرت مدرسة الاسكندرية فى علوم الطب فى القرون الثلاثة قبل ميلاد المسيح وتفرع عنها إلى كل مكان ، وأنشئت على نمطها بعض المدارس فى سوريا وكانت فى الحقيقة فروعاً منها

ولكن سوء الحكم والمنازعات الداخلية التى منيت بها الاسكندرية فى آخر عهد البطالسة كان حرباً عليها ،فبدأت فى الاضمحلال والتقهقر . فلما فتح الرومان هذه المدينة انتقل إلى روما مركز التقدم العلمى وجاءها جالينوس وهب اليها بدورها العلماء من كل مكان . وأصبحت الاسكندرية مفقودة لا قائدة فى حلبة ذلك الميدان ،ومع ذلك فقد بقيت على شىء غير قليل من سؤددها بين رفع وخفض بسبب الثورات والحروب نحو ستة قرون أخرى بعد الميلاد أى إلى أن تملك العرب مصرفاضمحلت نهائياً،ولكنها فى تلك الستة القرون أسدت إلى الطب يداً عظيمة أخرى هى احتفاظها بتعاليم جالينوس فكان فضلا لاحقاً بفضلها السابق

هذا العالم الفيلسوف كما ذكرت ظهر فى روما فى القرن الاول بعد الميلاد ، وهناك صنف كتبه الجمة فى التشريح ووظائف الاعضاء والامراض وتشخيصها والادوية ، جامعاً فيها ما سبق العلماء لاكتشافه وما نتج من عمله الخاص . ولم يعتم أطباء مدرسة الاسكندرية بعد زمانه أن تناولوا كتبه فجمعوها وأجملوها فى ستة عشر كتاباً وفسروها وجعلوها نبراساً لهم وأساساً لتعليم الطب فى عصرهم وبعد عصرهم . وأهم من قام بذلك اسطفان وانقيلاوس وجاسيوس ويوحنا فيلوبوس وغيرهم . وقد عاصر هؤلاء الفطاحل فى ازمنتهم اطباء مشاهير كثيرون . وعمر منهم يوحنا المشهور بيحيى النحوى الذى كان تلميذاً لامونيوس ، فأدرك أوائل الاسلام فى مصر ودخل على عمرو بن العاص فأكرم وفادته